مجلة الأزهر

٩٧

بسم الله الرحمن الرحيم

سقيفة الصفا العلمية

مجلة الأزهر

مجلة شهرية جامعة

تصدر عن مشيخة الأزهر في أول كل شهر عربي

٩٧

المجلد الحادي والسبعون ـ القسم الأول

السنة ١٤١٩هـ

سقيفة الصفا العلمية

الأزهر الشريف

مشيخة الأزهر الشريف
تليفون : 25899823 / 25907497
فاكس : 25903974 / المحمول : 01114242123
www. azhar. eg

جميع الحقوق محفوظة للأزهر الشريف

١٤٤٥هـ-٢٠٢٣م

SAQIFAT AL-SAFA TRUST
لبوان ـ ماليزيا
www.saqifat-alsafa.org
E-mail : info@saqifat-alsafa.org

الأزهر

مجلة شهرية جامعة

تأسست عام ١٣٤٩ هـ - ١٩٣١ م

وصدر العدد الأول فى المحرم ١٣٤٩ هـ

يصدرها

مجمع البحوث الإسلامية

فى مطلع كل شهر عربى

• • •

المشرف العام

رئيس التحرير

عبد المعز عبد الحميد الجزار

مدير التحرير

عبد الحفيظ محمد عبد الحليم الخطيب

سكرتير التحرير

عادل رفاعى خفاجة

المراسلات باسم

مدير التحرير / إدارة الأزهر / القاهرة.

ت : ٢٦٣٨٥٩٩ - ٥٩٠٥٤٧٣

الاشتراكات : قسم الاشتراكات بالأهرام

شارع الجلاء - القاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

قيم من الهجرة

الحمد لله ، والصلاة والسلام على أشرف خلق الله ، سيدنا محمد - صلى الله عليه وآله وسلم - وبعد .

فلما اشتد على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كيد قريش وأذاها بعد وفاة عمه وزوجه ، توجه إلى الطائف عسى أن يجد فى أهلها من يناصره فى أمر ربه ، ولكنهم ردوه ردا غير جميل ، وأغروا به سفهاءهم وصبيانهم ، فقذفوه بالحجارة ، وشدخوا رأسه ، وجرحوا وجهه ، وسال الدم على ثوبه ، وأدموا قدميه الطاهرتين ، وأغمى عليه ، فاستند إلى جوار البستان ، وأخذ يمسح وجهه من الدم ، وهو يقول : « مابال أقوام خضبوا وجه نبيهم بالدماء » ، ورفع رأسه إلى السماء داعيا بهذا الدعاء الخاشع : « اللهم إليك أشكو ضعف قوتى ، وقلة حيلتى ، وهوانى على الناس ، يا أرحم الراحمين ، أنت رب المستضعفين ، وأنت ربى ، إلى من تكلنى ؟ إلى بعيد يتجهمنى[1] ، أو إلى عدو ملكته أمرى ؟ إن لم يكن بك غضب علىّ فلا أبالى ، ولكن

(١) أى : ينظر إلى بوجه كريه ، وهو كناية عن العداوة والبغضاء .

عافيتك(٢) هى أوسع لى(٣) ، أعوذ بنور وجهك الذى أشرقت به الظلمات ، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة ، من أن تنزل بى غضبك ، أو تحل بى سخطك ، لك العتبى حتى ترضى ، ولاحول ولاقوة إلا بك »(٤) .

وإذا بملك من السماء يأتى إليه ويقول له : يامحمد إن رب العزة قد أمرنى أن أطبق عليهم الأخشبين(٥) ، فقال له رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « إنى لم أرسل معذبا ولا لعانا ، وإنما أرسلت رحمة للعالمين ، اللهم اهد قومى فإنهم لا يعلمون ، إنى لأرجو الله أن يخرج من أصلابهم من يعبد الله ويوحده » .

وهنا يتبين لنا أن توجهه ـ صلى الله عليه وسلم ـ إلى الطائف دليل على التصميم الجازم ، فى نفس الرسول على استمرارية دعوته إلى الله ، وعدم يأسه من استجابة الناس لها ، وبحث عن ميدان جديد للدعوة .

ثم إن فى إغراء ثقيف صبيانها وسفهاءها بالرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ لدليل على أن طبيعة الشر واحدة أينما توجد ، من حيث اعتمادها على السفهاء فى إيذاء دعاة الخير .

وفى سيل الدماء من قدميه ـ صلى الله عليه وسلم ـ لأكبر مثل لما يلاقيه الداعية فى سبيل الله ، من أذى واضطهاد .

أما دعاؤه ـ صلى الله عليه وسلم ـ ذلك الدعاء الخاشع الخالد ، ففيه تأكيد لصدق الرسول فى دعوته ، وتصميم على الاستمرار فيها مهما قامت فى وجهه الصعاب ، ولا يهمه إلا رضا الله وحده ، كما أن فيه استمداداً لقوة من الله ، باللجوء إليه ، والاستعانة به عندما يشتد الأذى بالداعية ، وأن خوف الداعية كل الخوف إنما هو من سخط الله عليه وغضبه .

وبعد هذا عرض الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ نفسه على القبائل فى موسم الحج ، وفى هذا دليل على أن الداعية لا ينبغى له أن يقتصر فى دعوة الناس إلى الخير ضمن مجالسه أو بيئته فحسب ، بل ينبغى له أن يذهب إلى كل مكان يجتمع فيه الناس ، وأنه لا يأس من إعراضهم عنه مرة بعد أخرى ، فقد يهيىء الله له أنصارا ، يؤمنون بدعوته الخيرة من حيث لا يفكر ولا يحتسب ، وقد يكون لهذه القلة التى تهتدى به فى بعض المناسبات شأن كبير فى انتشار دعوة الحق والخير ، وفى انتصارها النصر النهائى على الشر وأعوانه ، وكان لإيمان السبعة الأوائل من الأنصار ، الذين التقوا بالرسول أول مرة مما أدى إلى تغلغل الإسلام فى المدينة ، وكان لهذا التغلغل أثر فى انتشار الإسلام وسيطرته عليها ، مما مهد للمؤمنين المضطهدين فى مكة أن يجدوا فى المدينة مهاجرا ، يتمركزون فيه ،

---

(٢) وهى السلامة من البلايا والأسقام .

(٣) فيه : أن الدعاء بالعافية مطلوب محبوب ونحوه : لا تمنوا لقاء العدو واسألوا الله العافية ، وهكذا عادة الأنبياء ـ عليهم السلام ـ إنما يسألون بعد البلاء عنهم .

(٤) رواه الطبرانى فى كتاب الدعاء ، وابن إسحاق فى السيرة

(٥) جبلين بمكة .

ولرسول الله موئلا أمينا يقيم فيه دولته ، ويبث منه دعوته ، وينطلق منه أصحابه إلى مقاومة الشرك والمشركين بالحروب والمعارك ، التى كانت نهايتها انتصارا خالدا للإيمان ، وهزيمة أبدية للشرك .

ثم أذن الله لرسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بالهجرة إلى المدينة ، فخرج هو وأبو بكر ، وإن فى موقف أسماء وعائشة ـ رضى الله عنهما ـ فى الهجرة ما يؤكد حاجة الدعوات الإسلامية إلى النساء ، لأنهن أطيب قلبا .

وفى أيامنا هذه نجد أن حركة الإصلاح الإسلامى قليلة الأثر إلا إذا اشتركت المرأة التى تربت على الإيمان والخلق والعفة والطهارة ، لأنهن أقدر على نشر القيم فى المجتمع .

إذن علينا أن نشجع بناتنا وأخواتنا على تعلم الشريعة الغراء ، وعلى سيرة السلف الصالح ، ثم إن فى إيداع المشركين ودائعهم عند رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ مع محاربتهم له ، وتصميمهم على قتله لدليل على أن أعداء الإسلام يوقنون بأمانة الرسول واستقامته ونزاهته ، ولكنه العناد والجمود على العقائد الضالة .

كما أن فى موقف عبد الله بن أبى بكر ما يدل على مكانة الشباب فى نشر الدعوات ، إذ هم عماد كل دعوة إصلاحية حيث يضحون ويفتدون الأوطان بكل غال ونفيس .

ولما وصل النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ قباء بنى فيها أول مسجد ، ليجتمع فيه المؤمنون ، ثم لما وصل إلى المدينة أقام مسجده ، وفى هذا برهان على مكانة المسجد فى الإسلام ، لأنه مظهر قوى من مظاهر اجتماع المسلمين ، وتعاونهم على البر ، وتوحيد صفوفهم ، وتهذيب نفوسهم ، ومن المسجد انطلقت جحافل الجيوش الإسلامية ، وانبعثت منه أشعة النور والهداية للمسلمين وغيرهم ، ومنه ترعرعت بذور الحضارة الإسلامية ، وتنبعث منه أسبوعيا كلمة الحق مدوية فى إنكار المنكر ، أو أمر بمعروف ، أو دعوة إلى الخير .

ويوم يعود المسجد لأداء رسالته على الوجه الأكمل فى تربية الرجال ، وإصلاح الفساد ، ومحاربة المنكر ، وبناء المجتمع على تقوى الله لسعدت البشرية .

ثم إنه ـ صلى الله عليه وسلم ـ آخى بين المهاجرين والأنصار ، حتى كان الأنصارى يقتسم كل شىء فى بيته مع أخيه المهاجرى ، وقد سجل القول الكريم هذا الموقف فى قوله تعالى :

﴿ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُو الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (الحشر / ٩)

ثم كتب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ كتابا بين المهاجرين والأنصار ، وادع فيه اليهود وأقرهم على دينهم وأموالهم ، وهذا الكتاب احتوى على المبادىء العامة التى قامت عليها أول دولة فى الإسلام ، من العدالة الاجتماعية ، والتسامح الدينى ، ووحدة الأمة الإسلامية ، وتساوى بين أبنائها فى الحقوق والكرامة ، وتكاتفها ضد الظلم والعدوان ، واشتراكها فى تقرير العلاقات مع أعدائها ،

وتأسيس المجتمع على أحسن النظم ، ومكافحة الخارجين على نظام الدولة العام ، وعدم نصرتهم ، وحماية من أراد العيش مع المسلمين ؛ مسالما ، متعاونا ، ورفض الامتناع عن ظلمهم ، والبغى عليهم ، ثم إنه لغير المسلمين دينهم وأموالهم ، فلا يكرهون على الإسلام ، ولا تؤخذ منهم أموالهم ، وعلى غير المسلمين أن يسهموا فى نفقات الدولة كالمسلمين ، وأن على غير المسلمين أن يتعاونوا مع المسلمين فى رد العدوان على الدولة ، وأن يشتركوا فى نفقات القتال مادامت الدولة فى حالة حرب ، وعليها أن تنصر من يظلم منهم ، كما تنصر كل مسلم يعتدى عليه ، ثم إن المسلمين وغيرهم عليهم أن يمتنعوا عن حماية أعداء الدولة ، ومن يناصرهم ، وإذا كانت مصلحة الأمة فى الصلح وجب على أبنائها من مسلمين وغيرهم ، أن يقبلوا بالصلح ، ولا يؤاخذ إنسان بذنب غيره ، ولا يجنى جان إلا على نفسه وأهله ، وحرية الانتقال فى داخل الدولة وإلى خارجها ، مصونة بحماية الدولة ، ولا حماية لظالم ، ولا لآثم ، وأن هذا المجتمع يقوم على أساس التعاون ، على البر والتقوى لا على الإثم والعدوان .

وهذه المبادىء يحميها إيمان الشعب بالله ، ورعاية الله لمن برَّ ووفى ، ثم رئاسة الدولة يمثلها سيدنا محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ .

وكانت فرحة الأنصار والمهاجرين فى المدينة بمقدم رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ووصوله إليهم سالما فرحة ما بعدها فرحة ، لأنه أنقذهم من الظلمات إلى النور بإذن ربهم إلى صراط العزيز الحميد .

أما اليهود فكانوا ظاهرا فرحين ، أما باطنا فكانوا متألمين من منافسة الزعامة الجديدة ، ولا غرابة فى هذا ؛ لأنهم عرفوا بالنفاق والملق للمجتمع ، وبالحقد الأسود ممن يسلبهم الزعامة ، ومازال اليهود يحقدون على كل من يخلّص الشعوب من سيطرتهم ، وينتهون من الحقد إلى المؤامرات ثم إلى الاغتيال إن استطاعوا ، ذلك ديدنهم ، وتلك طبيعتهم ، وهكذا اليهود دائما قوم يشعلون نار الحروب دائما وأبدا : ﴿ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ ﴾ (المائدة/٦٤) .

وأخيرا فإن العالم الإسلامى والعربى يمر اليوم بمرحلة من أدق مراحل التاريخ ، وما أشبه الليلة بالبارحة .

وإن هذه الأمة العربية الإسلامية لهى فى حاجة إلى أن تتخذ من الهجرة الدرس العملى إن أرادت لنفسها ولأوطانها قوة ومجدا ورفعة شأن وخلدا .

وإن الهجرة لا تزال تهتف فى أذن الكون كلما جاء ميقات ذكرها توقظ النائمين ، وتهيب بالمسلمين أن يتابعوا الخطى على الطريق المستقيم ، طريق الأولين السابقين ، عليهم أن يسترجعوا مجدهم وعزهم حتى يعود لهم مكانهم السياسى ، وتعود لهم قوتهم وعزتهم :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ⁽٧⁾ ﴾ (محمد/٧) .

رب ثبت على الطريق خطانا
من تثبت خطاه لا يتعثر

عبد المعز عبد الحميد الجزار

تفسير سورة البقرة

﴿ وَلَمَّا جَاءَهُمْ
كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى
ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَمَّا جَاءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ ۚ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾
بِئْسَمَا ٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُوا۟ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بَغْيًا أَن يُنَزِّلَ ٱللَّهُ
مِن فَضْلِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ فَبَآءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ ۚ وَلِلْكَٰفِرِينَ
عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾

لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر

الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوى

ثم نبه القرآن المؤمنين إلى نوع آخر من رذائل اليهود ، ويتجلى هذا النوع فى جحودهم الحق عن معرفة وعناد ، وكراهتهم الخير لغيرهم بدافع الأنانية والحسد ، وتحولهم إلى أناس يتميزون من الغيظ إذا ماراأوا نعمة تساق لغير أبناء ملتهم .

روى المفسرون فى سبب نزول الآية الأولى من هاتين الآيتين آثارا متعددة ، من ذلك ما جاء عن عاصم بن عمرو بن قتادة الأنصارى عن رجال من قومه قالوا : مما دعانا إلى الإسلام مع رحمة الله وهداه ، أنا كنا نسمع من رجال يهود حين كنا أهل شرك وكانوا أهل كتاب ، عندهم علم ليس عندنا ، وكانت لا تزال بيننا وبينهم شرور ، فكنا إذا نلنا منهم بعض ما يكرهون قالوا لنا : قد تقارب زمان نبى يبعث الآن ، نتبعه فنقتلكم معه قتل عاد وإرم ، فلما بعث الله محمداً ﷺ رسولا من عند الله أجبنا حين دعانا إلى الله وعرفنا ما كانوا يتوعدوننا به فبادرناهم إليه ، فآمنا به وكفروا به ، ففينا وفيهم نزل قوله - تعالى - ﴿ وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ﴾ . . . الخ الآية (١) .

ومعنى الآيتين الكريمتين : ولما جاء إلى اليهود محمد ﷺ ومعه القرآن الكريم وهو الكتاب الذى أوحاه الله إليه ، مصدقا لما معهم من التوراة فيما يختص ببعثة النبى ﷺ ونعته ، وكانوا قبل ذلك يستنصرون به على أعدائهم ، لما جاءهم النبى المرتقب ومعه القرآن الكريم جحدوا نبوته ، ◀

---

(١) تفسير ابن كثير جـ ١ ص ١٢٣ .

وكذبوا كتابه ﴿ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ . بئس الشيء الذى باعوا به أنفسهم . الكفر بما أنزل الله على نبيه محمد ﷺ ، وكفرهم هذا كان من أجل البغى الذى استولى على نفوسهم ، والحسد الذى خالط قلوبهم ، وكراهية لأن ينزل الله وحيه على محمد العربى ﷺ فباءوا بسبب هذا الخلق الذميم ، بغضب مترادف متكاثر من الله[٢] - تعالى - ﴿ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾ جزاء كفرهم وحسدهم .

والمراد بالكتاب فى قوله تعالى :
﴿ وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ ﴾ القرآن الكريم ، وفى تنكيره زيادة تعظيم وتشريف له ، وفى الإخبار عنه بأنه من عند الله ، إشارة إلى أن ما يوحى به - سبحانه - جدير بأن يتلقى بالقبول وحسن الطاعة لأنه صادر من الحكيم الخبير ، والذى مع اليهود هو التوراة ، ومعنى كون القرآن مصدقاً لها ، أنه يؤيدها ويوافقها فى أصول الدين ، وفيما يختص ببعثة النبى ﷺ وصفته .

وفى وصف القرآن الكريم بأنه مصدق لما معهم ، زيادة تسجيل عليهم بالمذمة ، لأنهم لم يكفروا بشىء يخالف أصول كتابهم وإنما كفروا بالكتاب الذى يصدق كتابهم .

وقوله تعالى : ﴿ وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ﴾

بيان لحالتهم قبل البعثة المحمدية ، فإن اليهود كانوا عندما يحصل بينهم وبين أعدائهم نزاع ، يستنصرون عليهم بالنبى ﷺ قبل بعثته فيقولون اللهم انصرنا عليهم بالنبى الذى نجد نعته فى التوراة .

والاستفتاح معناه : طلب الفتح وهو الفصل فى الشىء والحكم فيه ، كما فى قوله تعالى :
﴿ رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ ﴾ . ويستعمل بمعنى النصر ؛ لأن فيه فصلا بين الناس ، قال تعالى :
﴿ إِن تَسْتَفْتِحُوا۟ فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ ﴾ أى : إن تستنصروا فقد جاءكم النصر ، فالمراد به فى الآية الاستنصار .

ثم بين - سبحانه - حقيقة حالهم بعد أن جاءهم الكتاب والرسول فقال تعالى :
﴿ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ ﴾ أى : فلما جاءهم ما كانوا يستفتحون به على أعدائهم ويرتقبونه جحدوه وكفروا به .

وقال - سبحانه - ﴿ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ ﴾ ولم يقل فلما جاءهم الكتاب أو الرسول ، ليكون اللفظ أشمل ، فيتناول الكتاب والرسول الذى جاء به لأنه لا يجىء الكتاب إلا عن طريق رسول .

ومعرفتهم بصدق الرسول ﷺ وما أنزل عليه حاصلة بانطباق العلامات والصفات الواردة فى التوراة عن النبى ﷺ فكان من الواجب عليهم أن يؤيدوا هذه المعرفة بالإيمان به ، ولكن خوفهم على زوال رياستهم وأموالهم ، وفوات ما كانوا يحرصون عليه من أن يكون النبى المبعوث منهم لا من العرب ، ملأ قلوبهم غيظا وحسداً ، وأخذ هذا الغيظ والحسد يغالب تلك المعرفة حتى غلبها ، وحال بينها وبين أن يكون لها أثر نافع لهم لعدم اقترانها بالقبول والتصديق .

ولقد حاول رئيسهم (عبد الله بن سلام) -

---

(٢) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح جـ ٣ ص ٢٨٢ للإمام ابن تيمية وقد ساق - رحمه الله - اكثر من عشرة آثار فى هذا المعنى عند حديثه عن هذه الآية .

رضى الله عنه - أن يصرفهم عن العناد وأقسم لهم بأن ما جاء به النبى ﷺ هو الحق المصدق لما معهم أن يتبعوه ولكنهم عموا وصموا وتنقصوه ، ولذا لعنهم الله تعالى ، وأبعدهم عن رحمته كما قال تعالى : ﴿ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ .

وقال - سبحانه - ﴿ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ ولم يقل عليهم ، للإشعار بأن حلول اللعنة عليهم كان بسبب كفرهم .

ثم ذكر - سبحانه - أنهم بكفرهم قد باعوا أنفسهم بثمن بخس . فقال تعالى : ﴿ بِئْسَمَا ٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُوا۟ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ﴾ أى : بئس الشىء الذى باع به اليهود أنفسهم كفرهم بما أنزل الله بغيا وحسداً أن ينزل الله من فضله على من يشاء من عباده .

وجمهور المفسرين على أن ﴿ ٱشْتَرَوْا۟ ﴾ هنا بمعنى باعوا ؛ لأن أولئك اليهود ، لما كانوا متمكنين من الإيمان الذى يفضى بهم إلى السعادة الأبدية بعد أن جاءهم ما عرفوا من الحق فتركوه ، واستمروا على كفرهم بغيا وحسداً وحبا فى الرياسة وتعصبا لجنسيتهم لما كانوا كذلك ، صار اختيارهم للكفر على الإيمان ، بمنزلة اختيار صاحب السلعة ثمنها على سلعته ، فكأنهم بذلوا أنفسهم التى كان باستطاعتهم الانتفاع بإيمانها ، وقبضوا الكفر عوضا عنها ، فأنفسهم بمنزلة السلعة المبيعة وكفرهم بمنزلة ثمنها المقبوض ، فبئس هذا الثمن الذى أوردهم العذاب الأليم .

وعبر - سبحانه - عن كفرهم بصيغة المضارع ﴿ أَن يَكْفُرُوا۟ ﴾ وعن بيعهم لأنفسهم بالماضى ، ﴿ ٱشْتَرَوْا۟ ﴾ للدلالة على أنهم صرحوا بكفرهم بالقرآن الكريم من قبل نزول الآية ، وأن بيعهم أنفسهم بالكفر طبيعة فيهم مستقرة منذ وقت بعيد ، وأنهم مازالوا مستمرين على تلك الطبيعة المنحرفة .

وقوله تعالى : ﴿ بَغْيًا أَن يُنَزِّلَ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ﴾ ، تعليل لكفرهم وبيان للباعث عليه ، أى : كفروا بما أنزل الله على عبده ورسوله محمد ﷺ بدافع من البغى والحقد ، وكراهة أن ينزل الله الوحى من فضله على من يشاء من عباده ، فالبغى هنا مصدر بغى يبغى إذا ظلم والمراد به ظلم . خاص هو الحسد ، وإنما عد الحسد ظلما ، لأن الظلم معناه المعاملة التى تبعد عن الحق وتجافيه ، والحسد معناه تمنى زوال النعمة عن الغير ، والظالم والحاسد قد جانب كل منهما الحق فيما صنع ، والحاسد لن يناله نفع من زوال نعمة المحسود ، كما أنه لن يناله ضر من بقائها ، وما دام الأمر كذلك فالحاسد ظالم للمحسود بتمنى زوال النعمة وصدق الشاعر فى قوله :

وأظلم خلق الله من بات حاسداً
لمن بات فى نعمائه يتقلب

فاليهود قد كفروا بما أنزل الله ، من أجل حسدهم للنبى ﷺ على النبوة ؛ ولأنه لم يكن منهم وكان من العرب ، وكراهية لأن ينزل الله الوحى على من يصطفيه للرسالة من غيرهم ، فعدم إيمانهم بما عرفوه وارتقبوه سببه أنانيتهم البغيضة ، وأثرتهم الذميمة التى حملتهم على أن يحسدوا الناس على ما آتاهم الله من فضله ، وأن يتوهموا أن النبوة مقصورة عليهم ، فليس لله - تعالى - فى زعمهم - أن ينزعها من ذرية إسحاق ليجعلها فى ذرية إسماعيل - عليهما السلام .

ولم يصرح - سبحانه - بأن المحسود هو النبى ﷺ لعلم ذلك من سياق الآيات الكريمة وللتنبيه

على أن الحسد فى ذاته مذموم كيفما كان حال المحسود .

ثم بين ـ سبحانه ـ بعد ذلك ما آل إليه أمرهم من خسران مبين فقال تعالى :

﴿ فَبَآءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ ۚ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾ : باء بإثمه يبوء أى : رجع ، أى : فرجعوا من أجل كفرهم وحسدهم للنبى ﷺ بغضب مضموم إلى غضب آخر ، كانوا قد استحقوه بسبب كفرهم بعيسى ـ عليه السلام ـ وبسبب تحريفهم للكلم عن مواضعه ، وتضييعهم لأحكام التوراة . فهم بسبب كفرهم المستمر الذى تعددت أسبابه ، يصيبهم غضب كثير متعاقب من الله ـ تعالى .

ويصح أن يكون معنى قوله : ﴿ فَبَآءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ ﴾ أنهم رجعوا بغضب شديد مؤكد ، لصدوره من الله ـ تعالى .

والمراد بالكافرين ، اليهود الذين تحدث عنهم فيما سبق ، فهم الذين عرفوا صدق محمد ﷺ فى نبوته بما نطقت به التوراة ، ومع ذلك كفروا به فاستحبوا العمى على الهدى .

وعبر عنهم بهذا العنوان للتنبيه على أن ما أصابهم من عذاب مذل لهم كان بسبب كفرهم ، ويصح أن يراد بالكافرين : كل كافريهم يدخلون فيه دخولا أوليا ؛ وإنما كان لهم العذاب المهين لأن كفرهم لما كان سببه البغى والحسد والتكبر والأنانية ، قوبلوا بالإهـانة والصغار .

وبذلك تكون الأيتان الكريمتان قد كشفتا عن لون من صفات اليهود الذميمة وهو إعراضهم عن الإيمان بمحمد ﷺ الذى كانوا يستنصرون به على أعدائهم قبل بعثته ، وبيعهم الإيمان الذى كان فى مكنتهم الظفر به بالكفر بما أنزل الله من دين قويم ، وكتاب كريم إرضاء لغريزة الحقد الذى استحوذ على قلوبهم ، وتمشيا مع أثرتهم التى أبت عليهم أن يؤمنوا بنبى ليس من نسل إسرائيل ولو جاءهم بالحق المبين ، فحق عليهم قول الله ـ تعالى : ﴿ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴾

(يتبع)

قبس من أنوار النبوة

أحب الأعمال إلى الله

للشيخ
علي حامد عبد الرحيم

عن ابن عباس - رضى الله عنهما - أنه كان معتكفاً فى مسجد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فأتاه رجل فسلم عليه ثم جلس، فقال له ابن عباس : يا فلان أراك مكتئبا حزيناً . قال : نعم ياابن عم رسول الله، لفلان على حق ولاء، وحرمة صاحب هذا القبر ما أقدر عليه .

قال ابن عباس : أفلا أكلمه فيك؟ قال : إن أحببت . قال فانتعل ابن عباس ثم خرج من المسجد، فقال له الرجل : أنسيت ماكنت فيه؟ قال : لا، ولكنى سمعت صاحب هذا القبر والعهد به قريب - ودمعت عيناه - يقول : «من مشى فى حاجة أخيه، وبلغ فيها كان خيراً له من اعتكاف عشر سنين، ومن اعتكف يوما ابتغاء وجه الله - تعالى - جعل الله بينه وبين النار ثلاثة خنادق أبعد مما بين الخافقين» .. رواه البيهقى .

البيان

إن الإسلام الذى ارتضاه الله دينا لعباده يحتفل بالحياة وبالأحياء ويحرص على أن يوفر للناس أسباب السعادة، وأن يتيح لهم الاستمتاع بنعم الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق، وأن يدخل على أنفسهم البهجة والسرور فى غير مأثم ولا خروج على حدود القصد والاعتدال .

إن الفرائض التى شرعها الله - تبارك وتعالى - أحب الأعمال إلى الله، وهى تستهدف تحقيق معنى

وجود الإنسان فى هذه الحياة ، كما تستهدف توثيق صلة الإنسان بربه ، وتصحيح اتجاهه إلى الله ، وتُقوم علاقته بالله وبالناس على أسس قوية ، ودعائم راسخة من الإخلاص والتعاون على البر والتقوى ، وبذلك تتحقق سعادة الفرد والمجتمع .

وما من فريضة يتعبد بها الإنسان لله ـ سبحانه ـ إلا عادت على الإنسان ثمرتها ، وكان هو المقصود بالإفادة منها ؛ فإن الله ـ تعالى ـ غنى عن العالمين لا تنفعه طاعة من أطاعه ، ولا تضره معصية من عصاه .

قال تعالى :

﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ﴾

« الجاثية ١٥ » .

ولهذا كان أداء الفرائض أحب الأعمال إلى الله ، وأرفعها منزلة عنده ، ثم تأتى بعد ذلك أعمال لها المنزلة الكبرى والثواب العظيم ، ومنها إدخال السرور على المسلم .

وإن أحب الناس إلى الله أنفعهم للناس ، فعن عبدالله بن عمر ـ رضى الله عنهما ـ أن رجلا جاء إلى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقال :

يا رسول الله أى الناس أحب إلى الله ؟ قال : أحب الناس إلى الله أنفعهم للناس ، وأحب الأعمال إلى الله ـ عز وجل ـ « سرور تدخله على مسلم تكشف عنه كربه ، أو تقضى عنه دينا أو تطرد عنه جوعا ، ولأن أمشى مع أخ فى حاجة أحبُّ إلىَّ من أن أعتكف فى هذا المسجد ـ مسجد المدينة ـ شهراً ، ومن كف غضبه ستر الله عورته ، ومن كظم غيظا ولو شاء أن يمضيه أمضاه ملأ الله قلبه رضا يوم القيامة ، ومن مشى مع أخيه المسلم فى حاجة حتى يُثَبِّتَها له ثبت الله ـ تعالى ـ « قدمه يوم تزل الأقدام » رواه الطبرانى ، وابن أبى الدنيا

. . ولما كانت الحياة متعددة الجوانب ، فيها ما يبعث على البهجة والسرور ، وفيها ما يثير الحزن والقلق ، والإنسان معرض لهذا وذاك ، ومن ذلك أن المسلم قد يخطىء فتزل قدمه ، وينحرف عن سواء السبيل ، وعندما يستيقظ ضميره يستشعر فداحة الذنب ، فتسود الدنيا فى عينيه ، ويستولى اليأس على قلبه ، وقد يحمله ذلك على الانغماس فى الخطايا والذنوب مادام لا يجد أمامه طريقا للنجاة .

فما هو واجب المسلم نحو أخيه وهو يعانى هذه المحنة ، ويتعرض لهذا البلاء ؟ هل يفتح عليه أبواب جهنم ، ويصب فى أذنيه وقلبه آيات العذاب والوعيد ، وبذلك يزيده عذابا على عذابه ، ويلقيه فى غيابات اليأس والقنوط ، أم يفتح أمامه أبواب الأمل والرجاء ، ويسكب فى روحه آيات الرحمة والمغفرة ، وبذلك يدخل السرور على نفسه ، وينقذه من ذل المعصية إلى عز الطاعة ، ومن لجة الخطيئة إلى شاطىء التوبة ، ومن ظلام اليأس إلى نور الأمل .

وقد أوجب الإسلام على أتباعه أن يزيلوا أسباب التصدع والخلاف ، ويتخذوا من التعاون على البر والتقوى مايحقق تضامنا مثمراً فى سبيل تقوية الروابط بين أفراد المجتمع المسلم ، حتى يسلم من شرور الفرقة والأثرة ، وإذا كان الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول فيما رواه أبو هريرة : « لقد رأيت رجلاً يتقلب فى الجنة فى

شجرة قطعها من ظهر الطريق كانت تؤذى المسلمين » .

فما بالنا بالمنزلة الرفيعة التى ينالها من يرفع الظلم عن المظلومين ، ويقيم موازين الحق والعدل ، ويسعى فى سبيل مجد الأمة وعزتها ، ويعمل جهد طاقته لأمنها وسد حاجتها .

وإن خدمة المجتمع الإسلامى سمة أهل المعروف الذين يحبهم الله ، عن على بن أبى طالب ـ رضى الله عنه ـ قال : قال لى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « يا على إن الله خلق المعروف وخلق له أهلاً فحببه إليهم ، وحبب لهم فعاله ، ووجه إليهم طلابه ، كما وجه الماء فى الأرض المجدبة لتحيا به ، ويحيا به أهلها ، إن أهل المعروف فى الدنيا هم أهل المعروف فى الآخرة » .

وفى حديث الباب توجيه نبوى كريم بأن أهل المعروف هم الآمنون من عذاب الله يوم القيامة .

فعن ابن عمر ـ رضى الله عنهما ـ قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فيما رواه الطبرانى : « إن لله عبادا اختصهم بحوائج الناس ليفزع الناس إليهم فى حوائجهم ، أولئك الآمنون من عذاب الله » .

إن هذا الحديث يصور إعزاز الإسلام لعلاقات الإخوة ، وتقديره العالى لأنواع الخدمات العامة التى يحتاج إليها المجتمع لإرساء أركانه وصيانة بنيانه .

لقد آثر ابن عباس أن يترك اعتكافه ـ والاعتكاف عبادة محضة رفيعة الدرجة عند الله ـ لأنها استغراق فى الصلاة والصيام والذكر ، ثم هو فى مسجد رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ حيث يضاعف الأجر فيه ألف مرة فوق المساجد الأخرى .

ومع ذلك فإن فقه ابن عباس فى الإسلام جعله يدع ذلك ليقدم خدمة إلى مسلم يطلب العون ، هكذا تعلم من رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ الذى يقول : « من مشى مع مظلوم حتى يثبت له حقه ثبت قدميه على الصراط يوم تزل الأقدام » . . والذى يقول : « إن لله عند أقوام نعما أقرها عندهم ماكانوا فى حوائج المسلمين ، مالم يملوهم فإذا ملوهم نقلها إلى غيرهم » . . وفقنا الله لما يحبه ويرضاه .

□

بالتخطيط المحكم والتنظيم السليم

قامت الهجرة

لفضيلة الشيخ / عبد المنصف محمود عبد الفتاح

عن أبى موسى الأشعرى - رضى الله عنه - أنه قال : قال رسول الله - ﷺ - رأيت فى المنام أنى أهاجر من مكة إلى أرض بها نخل فذهب وهلى أنها اليمامة أو هجر ، فإذا هى المدينة « يثرب »[1] . . إننا إذا ذكرنا الهجرة ، فلنذكر الإيمان القوى والجهاد المرير ، والكفاح الشاق ، والصبر الطويل ، أمام أعداء ألداء ، وفجرة كفرة أشداء ، يريدون أن يبقى عهد الشرك ، وأن يطول ليل الباطل ، والمسلمون يومئذ قلة فى ضعف ومسكنة وذلة ، يتخطفهم الناس من حولهم ، وقد مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله ؟ ، فقد مكث رسول الله - ﷺ - بمكة زهاء ثلاثة عشر عاما يدعو إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة ، ويناله الأذى فى سبيل دعوته ، وينزل العذاب بالمستضعفين من أصحابه حتى رأى رسول الله - ﷺ - أن يشير على أصحابه بالهجرة إلى بلاد الحبشة ، لينعموا فى جوها الطلق ، بالحريات الكاملة ، حرية العقيدة ، وحرية الرأى ، وحرية الاستعلان بشعائر الدين ، قائلا لهم : « لو خرجتم إلى أرض الحبشة ، فإن بها ملكا لايظلم عنده أحد ، وهى أرض صدق ، حتى يجعل الله لكم فرجا ومخرجا مما أنتم فيه » ، فهاجر جماعة من المسلمين إليها ، وكان من بينهم عثمان بن عفان وزوجه رقية بنت رسول الله - ﷺ - ، وتتابع المسلمون حتى كان جملة من هاجر إليها منهم غير صغارهم ثلاثة وثمانين ، فأمنهم النجاشى ، وأكرم وفادتهم .

ثم كانت الهجرة إلى يثرب ، حيث استقبلت النبى - ﷺ - استقبالا عظيما لم تشهد له مثيلا من قبل ، وسجل أهلها من المروءة والتضحية ، وإنكار الذات آيات رائعة ، ومفاخر خالدة ، وضربوا أروع الأمثال فى الدفاع عن العقيدة والوطن ، بل إن ذكراهم لمدد روحى لاينضب

(١) اخرجه البخارى فى صحيحه .

لكل مجاهد : فى سبيل فكرة سامية ، أو عقيدة حقة ، أو مفاهيم صحيحة ، أو مبادىء سليمة ، واطمأن الإسلام فى وطنه الجديد ، ونما وترعرع ، حتى صار شجرة باسقة ، أصلها ثابت ، وفرعها فى السماء ، تؤتى أكلها كل حين بإذن ربها .

وتقع يثرب فى سهل خصيب شمالى مكة ، قرب سلسلة الجبال التى تفصل قطاع نجد عن تهامة ، وهى أرض تكثر فيها الحدائق والبساتين والحقول المزروعة ، وتتناثر فيها أشجار النخيل ، وكانت السيادة فى هذه الواحة الناضرة لقبيلتى الأوس والخزرج اللتين شرفهما النبى - ﷺ - فيما بعد بلقب الأنصار ، وزاد فى تكريمهم فقال : كما روى عن عبد الله بن زيد ، وأبى هريرة - رضى الله عنهما : « لولا الهجرة لكنت امرءا من الأنصار »[1] .. وكانت القبيلتان فى صراع داخلى أفضى إلى انقسام يثرب إلى معسكرين متناحرين ، كانت الحرب بينهما سجالا حتى لقد أصبح الرجل منهما لايستطيع أن يخرج فى حاجة له بمفرده ، دون أن يعرض نفسه للخطر ، ولاشك أن كلا الفريقين قد ضاق ذرعا بهذه الحال التى لايمكن أن تطاق طويلا ، ولم يكن هناك أحد من أفرادهما يملك من النفوذ الأدبى قدرا كافيا لجمع الصفوف ، وتقريب وجهات النظر ، فكان لابد لهذه الحال من رجل عظيم ، بكل ما تحتمله هذه الكلمة ، من معنى ، يأتى من خارج يثرب ، فكان ذلكم الرجل العظيم هو محمد - ﷺ - .. وكانت الهجرة النبوية ، فقد فطن رسول الله - ﷺ - أن دعوته خليقة أن تلقى فى يثرب ، من حسن الإصغاء ، وطيب القول مالا تظفر بمثله فى مكان آخر ، وبجانب هذا كانت يثرب مركزا هاما يقع على الطريق التجارى بين مكة وبلاد الشام .

وإذا كانت هجرة بعض المسلمين إلى الحبشة فرارا بدينهم ؛ فإن هجرة النبى - ﷺ - التى غيرت مجرى التاريخ لم تكن فرارا ولاخوفا ، ولكن تنفيذا لخطة مرسومة وضعت وأخذت عليها البيعة والميثاق ، فلم يهاجر رسول الله - ﷺ - خوفا من بطش قريش وجبروتها ، بل تنفيذا لوعد أبرم من قبل مع بعض الوافدين ، من يثرب إلى مكة فى موسم الحج .. لم يهاجر رسول الله - ﷺ - فى سبيل مال أو جاه ، أو تطلعاً لمجد يتطاول به على خلق الله ، لم يهاجر حقدا على ظالميه من أهل مكة ، أو حنينا إلى منصفيه من أهل المدينة ، بل كان دعاؤه « اللهم اهد قومى فإنهم لايعلمون » كانت هجرته - ﷺ - حبا للبشرية كلها ، وإيمانا بالحرية وتأميناً لها ، وحفاظا عليها ؛ لذلك نجد القرآن الكريم سجل الهجرة على أنها نصر من الله تعالى لنبيه ، فقال جل شأنه :

﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾

(التوبة : ٤٠)

لقد كانت الهجرة حدثا تاريخيا من أعظم الأحداث التى شهدتها الإنسانية ، فهى نموذج حى متجدد على مر العصور ، قادر على الإلهام بأعظم الأعمال ، مقدم أروع القيم والمثل ، وأحكم التدابير : التى تكفل نجاح من يلتزمها ، فهى عمل بطولى فذ .. لم يكن نبينا محمد - ﷺ - من الذين تخرجوا من الجامعات (التى تقتصر على التربية المحدودة ، والتعليم المحدود ، وإنما كانت تربيته فى الجامعة الإلهية بعالم الغيب التى لاحدود لتربيتها ، ولا نهاية لتعليمها ، ولم يكن تعليمه على أيدى أساتذة من البشر ، وإنما كان من عند ربه الذى أوحى إليه فيما أوحى :

(١) أخرجه البخارى فى صحيحه

﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ أَن يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَيْءٍ وَأَنزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَٰبَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴾

(النساء : ١١٣)

.. لقد علمه ربه فأحسن تعليمه ، وأدبه فأحسن تأديبه ، مما أعده لتحمل أعباء الرسالة العالمية ، والتبليغ العالمى ، لنشر دين عالمى أبدى يشمل العالم كله على اختلاف الأجناس والألسنة والألوان ، ويتمشى مع الفطرة السليمة ، دين يبقى ببقاء الدنيا إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ؛ لهذا كانت العناية الإلهية تربية لمستقبل العالم الإنسانى كله ، قال الله تعالى :

﴿ تَبَارَكَ الَّذِى نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴾

﴿ الفرقان ١ ﴾

.. فكان رسول الله ـ ﷺ ـ ربانيا فى كل حركة يتحركها ، رحيما بخلق الله ، حسبما قال تعالى :

﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾ ﴿ الأنبياء :١٠٧ ﴾

.. لقد حدد النبى ـ ﷺ ـ هدفه من الهجرة ، وكان الأسلوب الذى اتبعه فى رحلته : كفيلا بتحقيق هذا الهدف ، فقد أعد من الوسائل البشرية والمادية ما يلائم الظروف القائمة ، ويتفق مع الظروف المحتملة ، ونظم هذه الوسائل تنظيما محكما ، ثم نفذها بأسلوب واقعى سديد ، فنجحت خطته ، وأدرك غايته ، وكان أهم هذه العوامل إسناد الدور المناسب إلى الشخص المناسب بمعنى وضع كل فرد من أفراد الجماعة التى وقع الاختيار عليها فى الموضع الذى يتفق مع موهبته وقدرته .. فأبوبكر الصديق لمرافقة الطريق والتمويل ، وعلى بن أبى طالب : لرد الودائع ، وللنوم على فراش رسول الله ـ ﷺ ـ حتى يعمى على الكفار ، ويظنون أن النبى ـ ﷺ ـ نائم وعبد الله بن أبى بكر للأخبار (قلم مخابرات) وأسماء : للتموين تساعدها أختها عائشة ، وعامر ابن فهيرة للإعفاء على آثار الأقدام بغنمه ، وليطعمهما اللبن واللحم ، وعبدالله بن أريقط ، لإخفاء النوق عنده ، ثقة بأخلاقه ، وإن كان مشركا ، وما سبق ذلك من حلف مع الأنصار فى بيعة العقبة ، ثم إرساله مصعب بن عمير إلى المدينة بين يديه واعظا ، حتى دخل الإسلام كل بيت ، ثم اختياره الطريق إلى المدينة ، فسلك من الغار إليها طريقا غير مسلوك لم يلق به إلا القليل ومنهم « سراقة بن مالك بن جعشم » الذى قال لأبى جهل عندما لامه أن ترك النبى ـ ﷺ ـ

أبا حكم والله لو كنت شاهدا
لأمر جوادى إذ تسوخ قوائمه
علمت ولم تشكك بأن محمدا
رسول ببرهان فمن ذا يقاومه
عليك بكف القوم عنه فإننى
أرى أمره يوما ستبدو معالمه

لقد كانت الهجرة بخيرها وآثارها برداً وسلاما على الإنسانية ، أخرجتها من ظلمتها وهدتها من حيرتها ، وأنقذتها من وهدتها ، ودفعت بها إلى طريق الخير والإصلاح ، أسست بها دولة قوية على مبادىء الأخوة فى الله ، والتضامن الإنسانى العام ، ثم تتابعت التشريعات الإلهية بما يسعد الفرد والجماعة ، فى علاقتهم بربهم ، وعلاقة بعضهم ببعض ، وأخذت على كاهلها تطهير الأرض من عبادة غير الله ، ومحاربة الظلم والظالمين ، والفساد والمفسدين ، أينما حلوا ، وكيف كانوا ، ثم امتدت إلى أرض فارس والروم ، وأصبح سلطان الأرض فى قبضة المؤمنين (١) .

البقية ص ٧٧

(١) إشراقات نورانية من السنة النبوية : الجزء الثانى : تأليف عبد المنصف محمود .

معالم دينية على طريق

الهجرة النبوية

للدكتور: مبروك عطية أحمد أبو زيد

مثلما يخضر الربيع فى موات الشجر ، فيستحيل الكون فى أعين الناظرين جنة وارفة الظلال ، وتتلاقى الأفنان فى آفاق الثمر ، فينسج الأيك آيات الجمال ، كانت هجرة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة ، حيث تمت كلمة الإسلام ، وانتشر دين الله فى شتى البقاع ، وكانت الهجرة المباركة مقدمة من مقدمات الفتح المبين لأم القرى ؛ تكريماً لسيدنا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ الذى تعلق قلبه بها ، فهى المولد والنشأة ، والصبا الصبوح ، والشباب الطاهر ، والزواج الموفق ، ومبعثه إلى العالمين هادياً ومبشراً ونذيراً ، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً .

أَجَلْ ، لقد كانت الهجرة النبوية المطهرة ربيعاً ، مثلما كانت حياته ـ صلى الله عليه وسلم ـ كلها ربيعاً ، لمن ألفت نفسه حب الحق والجمال ، وتطلعت روحه إلى الخير الذى ينفع الناس جميعاً ، وأبت بمبادئه ذاته قبول الضّيم والذّل والهوان ، ولم تكن هجرة دنيوية ، هدفها تحصيل ملك وتجميع مال ، لذلك كتب الله لها النجاح ، وباركها ، وبارك فيها ، وفى كل مَنْ سلك طريقها ؛ لأن النية فيها أنها خالصة لله ، ومن أجل دين الله وصدق الرسول الكريم ـ صلى الله عليه وسلم ـ حيث قال : « إنما الأعمال بالنيات ، وإنما لكل امرىء ما نوى ، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ، وَمَنْ كانت

الكاتب : أستاذ اللغويات المساعد ـ كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بسوهاج ـ جامعة الأزهر .

هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها فهجرته إلى ما هاجر إليه »[١] .

لم تكن الهجرة فرارا من أذى :

ولم تكن الهجرة النبوية فراراً من أذى - كما يشيع على ألسنة بعض الناس - وإنما هى أمر من الله - سبحانه وتعالى - لرسوله - صلى الله عليه وسلم - وذلك لعلمه - عز وعلا - بما يمكر به الكافرون :

﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴾

[الأنفال : (٣٠)]

وأن دين الله الحنيف - أصبح رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يعرضه على أهل مكة - كما يعرض الذهب على المتوحشين ، يرونه بريقاً وشعاعاً ثم لا قيمة له ، وما بهم حاجة إليه ، وهو - كما يقول الرافعى[٢] - حاجة بنى آدم إلا المتوحشين ، وكانوا فى المحادة والمخالفة الحمقاء ، والبلوغ بدعوته مبلغ الأوهام والأساطير ، كما يكون المريض بذات صدره مع الذى يدعوه فى ليلة قارة إلى مداواة جسمه بأشعة الكواكب ، وكانت مكة هذه صخراً جغرافياً ، يتحطم ولا يلين ، وتأمل لفظ « أمر » بالبناء للمفعول فى قول ابن خلدون فى حديثه عن المدينة : « .... ثم أمر النبى - صلى الله عليه وسلم - بالهجرة إليها ؛ لما سبق من عناية الله بها ، فهاجر إليها ومعه أبو بكر ، وتبعه أصحابه »[٣] .

وهذا لا يعنى أنه - صلى الله عليه وسلم - قد سلم من أذى كفار مكة هو ومن آمن به ، فحصول الأذى ثابت بلا ريب ، لكنه ليس سبباً فى هجرته من مكة إلى المدينة ؛ لأنّ الله - عز وعلا - قادر على أن يدفع عنه - صلى الله عليه وسلم - ومن تبعه كل أذى ، فهو - صلى الله عليه وسلم - نبيه ورسوله ، ومصطفاه وحبيبه ، وإنما كانت أمراً من الله عز وعلا - لحكمة بالغة ، تتفرع عنها عظات ودروس ، وتتفجر عنها نيات ومواقف ، وينبنى عليها أحكام للعباد ، ومن ذلك ما رأيته بتوفيق الله وهديه :

١ - إنها لم تكن فى بداية الدعوة ، وظهور الكفر والأذى ، وقد ظل - صلى الله عليه وسلم - ثلاث عشرة سنة يدعو فى مكة إلى دين الله ، فتحققت بذلك العزيمة ، وتوطن الثبوت على الحق برغم العناد واللجاجة ، والأذى والفتن ، وصدق الله العظيم :

﴿ أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ﴾

[العنكبوت] (٢ ، ٣)

وقد صدق إيمان بلال وعمار وعياش بن أبى ربيعة ، وسلمة بن هشام وغيرهم - رضى الله تعالى عنهم - وكانت هذه الآية تسلية لهؤلاء ، وتعليماً لمن يأتى بعدهم على تحمّل المشاق فى سبيل العقيدة الصحيحة ، والمبادىء التى تأسست على الحق .

٢ - معية الله :

وكشفت لنا الهجرة النبوية عن حقيقة من أهم الحقائق الكامنة فى العقيدة ، وهى معية الله عز

---

(١) البخارى كتاب بدء الوحى / باب : كيف بدأ الوحى إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وكتاب الإيمان / باب : « ما جاء إن الأعمال بالنية » .

(٢) انظر وحى القلم (وحى الهجرة) ص ١٩ .

(٣) مقدمة ابن خلدون ص ٣٥٦ ط دار القلم / بيروت سنة ١٩٨٤ الخامسة .

وعلا ، وحقيقة أن يكون الله معنا تتجلى أشد من تجلى الشمس فى ضحاها ، إذا أخلص المسلم دينه لله ، وتوفرت فى صدره معانى الثقة بالله ـ عز وجل ـ وإذا تجلت تلك الحقيقة فلا خوف ، ولا حزن ، ولا فزع ، ولا شىء يقهرنا ، ولا غالب لنا ؛ لأنّ معنا الله القادر على كل شىء ، يقول عز من قائل :

﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾

[التوبة] : (٤٠)

قال الإمام فخر الدين الرازى : « والمراد من قوله : ﴿ أخرجه الذين كفروا ﴾ هو أنهم جعلوه كالمضطر إلى الخروج ؛ لأنه خرج بإذن ربه »(١) ، وهذا يؤكد ما أثبته من أنها لم تكن فراراً من أذى والمتأمل فى قوله عز وعلا : ﴿ لا تحزن إن الله معنا ﴾ يقف على معطيات تلك الحقيقة الإيمانية ، ومنها : أن من كان الله معه فلا يحزن ، ولن يحزن مادام حريصاً على أن يعيش فى نور تلك المعية الربانية ، فلمّا دخل رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأبو بكر الغار أرسل الله زوجاً من حمام حتى باضا فى أسفل الثقب ، والعنكبوت ؛ حتى تنسج بيتاً ، فلما جاء سراقة بن مالك فى طلبهما ، فرأى البيض ، وبيت العنكبوت قال : لو دخله أحد لانكسر البيض ، وتفسخ بيت العنكبوت فانصرف ، وقال النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ اللهم اعم أبصارهم ؛ فعميت أبصارهم عن دخوله ، وجعلوا يضربون يميناً وشمالاً حول الغار ، والملائكة فى الغار يضربون الوجوه عنهم(٢) .

وقد نهى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ صاحبه أبا بكر عن الحزن ؛ لأنّ الطمأنينة كانت تغشاه ـ صلى الله عليه وسلم ـ حيث خرج بإذن الله(٣) .

والقرآن الكريم يوضح لنا حقيقة تلك المعية فى قصة موسى ـ عليه السلام ـ وقد خرج بمن آمن معه ، وأدركهم فرعون ، والبحر أمامهم وتلك صورة مادّية ، توحى بأن الهلاك حاصل لا محالة ، فهذا الطريق قد انتهى إلى ماء بلا ساحل أو شاطىء ، وهذا العدو مجتهد فى الطلب والإدراك ، فإما اللقاء ، ووراءه الأهوال ، وإمّا الغرق وبعده نهاية المآل ، ومن ثم قال أصحاب موسى : ﴿ إنا لمدركون ﴾ ، بصيغة اسم المفعول ، أى سيدركنا عدونا لا محالة .

لكن رسول الله ـ موسى ـ عليه وعلى نبيناالسلام يقول بما أوحى إليه من ربه : ﴿ كلّا ﴾ ويأتى التعليل بعدها ﴿ إن معى ربى سيهدين ﴾ فكانت النجاة ، وكان الفوز ، وكان خرق العادة واجتياز المستحيل ، أرأيت قوله سبحانه : ﴿ فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ۝ قَالَ كَلَّآ ۖ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ ۝ فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ ۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ ۝ وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ ٱلْءَاخَرِينَ ۝ وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ۝ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ۝ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ۝ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴾

الشعراء : ٦١ ـ ٦٨ .

---

(١) التفسير الكبير ٦٣/١٦ ط دار الكتب العلمية طهران .
(٢) مجمع البيان فى تفسير القران ٣١/٥ ، ٣٢ . ط دار إحياء التراث العربى / بيروت .
(٣) حاشية الجمل على تفسير الجلالين ٢٨٤/٢ ط عيسى الحلبى .

إنّ معّية الله عز وعلا من معانيها امتداد العطاء بعد نفاد الأسباب ، كما ترى فى آيات الشعراء ، ومن معانيها نفخ الله من روحه وعطائه فى السبب الضعيف ، حتى يكون بفضل الله وإرادته أقوى الحصون ، كما نرى فى الغار ، والبيض والعنكبوت ، فلولا معية الله لدخل بعض الكفار الغار ولو عبثاً ، أو اطمئناناً لقلوبهم اللاهثة خلف رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ولو دخله بعضهم لأعمى الله أبصارهم كما أعمى بصائرهم لما استحبوا الكفر على الإيمان ، وما أشد حاجتنا إلى نور المعّية الذى يبعث الأمل فى النفوس .

٣ ـ اختيار الصاحب :

ومن معالم الخير والجمال ، ودروس الهجرة النبوية اختيار الصاحب كيف كان ؟ ومن هو ؟ وما مهامه ؟ وأى منزلة يحتلها فى النفس ؟ وما أثره فى التاريخ ؟

وخلاصة الأمر أننا وقفنا من جديد على عتبة الصديق نتفيأ من ظلال إيمانه ونفحاته ، فأبو بكر ، رضى الله عنه ـ صاحب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وَمَن صدّقه فى خبر السماء ، وصدقه فى حادثة الإسراء والمعراج ، وقد أحسن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ اختياره فى رحلته وصحبته ، ولعل الله أطلعه على ثبات أبى بكر على الدين ظاهراً وباطناً ، كما يقول الرازى[1] ، ولو لم يطلع على باطنه لخاف أن يدل عليه أعداءه ، نرى الصديق فى الغار يدخله قبل رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ليختبره ، ونسمعه يقول له ـ صلى الله عليه وسلم ـ :

« إذا مت أنا فأنا رجل ، وإذا مت أنت هلكت الأمة والدين »[2] يارسول الله ، لو نظر أحدهم تحت قدميه لرآنا ، ولم تهدأ نفسه إلا فى ظلال قوله ـ صلى الله عليه وسلم له ـ : ما ظنك باثنين الله ثالثهما[3] .

ونحن فى حاجة إلى التروى فى اختيار الصاحب والصديق ، وإذاعة أسرارنا على كل مَنْ ظننا به الوفاء بعد مقاسمة لقيمات وشربة ماء !

٤ ـ الأخوة فى الدين :

ومؤاخاة الرسول الكريم ـ صلى الله عليه وسلم ـ بين أصحابه إثر الهجرة المشرقة من تلك المعالم ، وفى تلك المؤاخاة أمسك ـ صلى الله عليه وسلم ـ بيد سيدنا على بن أبى طالب ـ كرم الله وجهه ـ وقال : هذا أخى ، ومن ثم كان سادتنا : حمزة أسد الله وعم رسوله محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ أخا لزيد بن حارثة ، وجعفر بن أبى طالب أخا لمعاذ بن جبل ، والصديق أبو بكر أخاً لخارجة ابن زهير ، والفاروق عمر أخاً لعتبان بن مالك ، وأبو عبيدة بن الجراح أخاً لسعد بن معاذ ، . . . وهكذا .

وكانت هذه المؤاخاة ليذهب عنهم ـ صلى الله عليه وسلم ـ وحشة الغربة ، ويؤنسهم من مفارقة الأهل والعشيرة ، ويشد أزر بعضهم ببعض ، فلما عـزّ الإسلام ، واجتمـع الشمل ، وذهبت الوحشة ، أنزل الله ـ سبحانه ـ

﴿ وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ ﴾

(الأنفال : ٧٥) أى فى الميراث[4] .

البقية ص ٥٩

(١) انظر التفسير الكبير ١٣/٦٣ .
(٢) حاشية الجمل ٢/٢٨٤ .
(٣) انظر تفسير الطبرى ١٠/٩٦ ط الأميرية سنة ١٣٢٧ هـ وابن كثير ٢/٣٥٨ ط دار الكتب .
(٤) وانظر سيرة ابن هشام مع الروض الأنف للسهيلى ٢/١٨ ط القاهرة (الجمالية سنة ١٣٣٢ هـ) .

الهجرة الكبرى

أسرار وأنوار

لفضيلة الشيخ :

معوض عوض إبراهيم

١ـ الهجرة .. وبدء الوحى :

طبع الله محمدا ـ صلى الله عليه وسلم ـ على مكارم الأخلاق بعد أن اصطفاه من أطهر الأعراق ، وكان مر الأيام يكشف للأقوام من صدقه ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأمانته ورحمته ورقة حاشيته وترفعه عن الآثام وفضله على الأقران والجدود والأعمام ، ما يفسر قول الله تعالى فى مصطفاه : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ (القلم) ، وكانت حياته فى بيت خديجة ، وصلاته مع المجتمع الذى يعج بالوثنية ، ويضج بالشر ، وتقوم أكثر قواعده على الأحساب الموضوعة والأنساب المصنوعة بعيدا عن ميزان التفاضل الحق فى قوله تعالى : ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾ (الحجرات / ١٣)

مصداق ثناء الله على نبيه الذى لا يعرفه على الحقيقة إلا مولاه :

وحين أنصف النضر بن الحارث فى لحظة من لحظات صحو الضمير وصدق الشعور فقال :

« لقد كان محمد فيكم غلاما حدثا أرضاكم قولا وأصدقكم حديثا حتى إذا بدا فى صدغيه عارض الشيب وجاءكم بما جاءكم به قلتم إنه كاذب ، والله ماهو بكاذب والله ماهو بكاذب » .

ثم لم يلبث أن انتكست فطرته وغلبت عليه شقوته ، فمارى النبى ، وجارى قومه فى ريبهم فى الدعوة ، وإنكارهم للرسالة ، وقال عن القرآن الكريم : « لو نشاء لقلنا مثل هذا ، إن هذا إلا أساطير الأولين » ، وحكى الله مقالته ، وأكذب ضلالته ، ودحض سفاهته وألبسه خزى هواه « ولعذاب الآخرة أخزى » ، فقال تعالى :

﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا قَالُوا۟ قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَآ ۙ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذْ قَالُوا۟ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾

(الأنفال/ ٣١ - ٣٢) .

وأية ضلالة تلك التى أخذت بمخانقه فلم يقل : « إن كان هذا هو الحق من عندك فألزمنا إياه وثبتنا عليه » ، ولقد عرفت خديجة - رضى الله عنها - محمدا - صلى الله عليه وسلم - فآثرته على الذين أرادوا الزواج منها من علية قومها ، وهى السيدة التى عرفت الزواج ومقتضيات نقائه وبقائه مودة ورحمة وسكنا وسكينة أنفس من ضجيج الحياة وفوضى المجتمعات .

واصطفى الله محمدا وأرسله رحمة للعالمين ، وعاد النبى يوما من غار حراء إلى خديجة يرجف فؤاده واستقبلته شريكة الحياة بكل إيناسها وسارعت فزملته كما أمر ، حتى قام من نومه فأخبرها بخبر الغار أحداثا وأحاديث ، وقال : « لقد خشيت على نفسى » ، فقالت : كلا .. والله ما يخزيك الله أبدا .. إنك لتصل الرحم وتحمل الكلّ ، وتكسب المعدوم ، وتقرى الضيف وتعين على نوائب الحق » ، وهى خلائق كل واحدة منها تورث حمدا وتصنع مجدا .

ومضت خديجة مع أبر زوج وأوفى عشير حتى أتيا ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى ودعته بعمومة بينهما ، أن يسمع من ابن أخيه ، وتحدث محمد والرجل يرهف السمع وينعم إلى محمد النظر ، ويكشف إشراق وجهه عن المعانى الكبرى التى غلفها حديث محمد ويبادر يقول فيما أورد الإمام البخارى بسنده فى الحديث الثالث من كتابه بدء الوحى جـ ١ من صحيحه : « هذا الناموس الذى أنزل على موسى ، ياليتنى فيها جذعا ، ليتنى أكون حيا ، إذ يخرجك قومك ، فقال الرسول - صلى الله عليه وسلم - أوَمُخرِجِىَّ هم ؟ قال : نعم . لم يأت رجل قومه بمثل ماجئت به إلا عودى وإن يدركنى يومك أنصرك نصرا مؤزرا . ثم لم يلبث ورقة أن توفى وفتر الوحى » .

منذ ذلك اليوم وصوت ورقة يتردد فى سمع النبى بأنه مصطفى الله إلى قومه «ليخرج الناس من الظلمات إلى النور ، بإذن ربه ، وأنهم مخرجوه ، وإن استبعد أن يخرجوه » ، قال الإمام ابن حجر فى شرحه للحديث « واستبعد النبى - صلى الله عليه وسلم - أن يخرجوه لأنه لم يكن فيه سبب يقتضى الإخراج لما اشتمل عليه من مكارم الأخلاق التى تقدم من خديجة وصفها » . شرح فتح البارى جـ ١ للحديث الذى روته أم المؤمنين عائشة .

٢- على طريق المرسلين :

هذا ورقة يسارع فيلطف من دهشة الرسول من خبر إخراج قومه له فيقول : « لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودى » والإمام ابن حجر يقرر من كلام ورقة ما قد يكون قاعدة فى مداخلة الناس ، وهو يقول : « وفيه دليل على أن المجيب يقيم الدليل على ما يجيب به إن اقتضاه المقام » .

إنهم يعادون محمدا ويؤذونه ويكذبونه ويحاصرونه والذين آمنوا معه وبعض قومه الذين كانوا على دين قريش ويضطرون النبى إلى أن يأذن لمن يريدون ترك خير دار وأبر جوار ليسلم لهم دينهم فى جوار ملك لا يظلم أحد عنده .. فكانت الهجرة إلى الحبشة حين أذن الله للمسلمين بالهجرة إلى المدينة كما توعد الأقوام رسلهم بالإخراج من ديارهم ، فهاجر إبراهيم ، وهاجر لوط عليهما السلام :

﴿ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِن قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا ﴾

(الأعراف ٨٨)

﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ ﴾

(إبراهيم/١٣)

والحافظ ابن كثير يستوعب هذه الآيات وغيرها فى هذا السياق ، فيقول فى جـ ٢ ص ٥٢٥ طبعة الحلبى : « يخبر الله تعالى عما توعدت به الأمم الكافرة رسلهم من الإخراج من أرضهم والنفى من بين أظهرهم ، كما قال قوم شعيب له ولمن آمن به : ﴿ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِن قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ ﴿٨٨﴾ ﴾

وكما قال آل لوط :

﴿ أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ ﴾

(النمل/ ٥٦) .

وقال تعالى إخبارا عن مشركى قريش :

﴿ وَإِن كَادُوا لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذًا لَّا يَلْبَثُونَ خِلَافَكَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٧٦﴾ ﴾

(الإسراء/ ٧٦) .

وقال : ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴾

(الأنفال/ ٣٠) .

وقال رحمه الله : « وكان من صنعه تعالى أن أظهر رسوله ونصره وجعل له بسبب خروجه من مكة أنصارا وأعوانا وجندا يقاتلون فى سبيل الله تعالى ، ولم يزل يرقِّيه تعالى من شىء إلى شىء حتى فتح له مكة التى أخرجته ومكن له فيها ، وأرغم أنوف أعدائه من سائر أهل الأرض ، ودخل الناس فى دين الله أفواجا ، وظهرت كلمة الله ودينه على سائر الأديان فى مشارق الأرض ومغاربها فى أيسر زمن ، ولهذا قال الله تعالى فى أعقاب الآية ١٣ من سورة إبراهيم :

﴿ فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ ﴿١٣﴾ وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ الْأَرْضَ مِن بَعْدِهِمْ ﴾

(إبراهيم/ ١٤) .

كما قال تعالى :

﴿ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴾

(الصافات/ ١٧١ - ١٧٣) .

وقال تعالى : ﴿ كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ ﴾

الآية ٢١/ المجادلة

إلى آخر ما أورد من ايات لو تدبرها المسلمون وأخذوا بها أنفسهم وارتفعوا إلى مستواها من الإيمان بالله ، والإذعان لأمره واجتناب نواهيه ، لربط الله بها على قلوبهم فكانوا على قلب رجل واحد ، لا تقوى القوة العالمية على أن تجد فى صفهم ثغرة أو يكون لها عليهم سلطان أو إمرة .

﴿ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴾

(المائدة ٥٦)

﴿ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ﴾

(المدثر/٣١) .

ومن أصدق من الله قيلا :

﴿ لَنُهْلِكَنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٣﴾ وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِى وَخَافَ وَعِيدِ ﴿١٤﴾ وَٱسْتَفْتَحُوا۟ وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿١٥﴾ ﴾

(إبراهيم/ ١٣ - ١٥) .

وإنه لوعد من الله - كما قال الإمام الطبرى - لأنبيائه بالنصر على عدوهم ، قال : « لما تمادت أمم الرسل فى الكفر وتوعدوا رسلهم بالوقوع بهم - على حال الإخراج الذى تكرر فى آيات إلا أن تعود الأمم إلى دين أقوامهم الذى لم يعتقده المرسلون ولم يكن ذكرهم إلا على معنى التغليب ، لقد أوحى الله إلى الرسل أن يقتلوا من كفر بهم من أممهم ووعدهم النصر ، وكل ذلك كان وعيدا وتهديدا لمشركى قوم نبينا محمد - صلى الله عليه وسلم - على كفرهم به ، وجرأتهم على نبيه وتثبيتا لمحمد - صلى الله عليه وسلم - وأمر له بالصبر على ما لقى من المكروه فيه من مشركى قومه كما صبر من كان قبله من أولى العزم من الرسل ، ومعرفة أن عاقبة أمر من كفر الهلاك ، وعاقبته النصر عليهم ، سنة الله فى الذين خلوا من قبل . . وتلتقى آيات القرآن فى توكيد وعيد المشركين لأقوامهم عصرا بعد عصر بالإخراج من الديار ، وأن الوعيد كان واقعا ظالما من أقوام ، وأنه كان محاولة من مشركى مكة حيث يقول تعالى :

﴿ وَإِن كَادُوا۟ لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا ۖ وَإِذًا لَّا يَلْبَثُونَ خِلَٰفَكَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٧٦﴾ ﴾

(الإسراء) .

إن الذى أخرج النبى ، والذين آمنوا معه من مكة إلى المدينة هو الله تعالى لحكم جليلة وأسرار علية من أبهرها وأظهرها أن يجد المسلمون بلدا يستطيعون أن يعبدوا الله فيه آمنين ، قادرين على الحركة بالدعوة حتى تبلغ ما شاء الله فى مشارق الأرض ومغاربها ، وتتم نعمة الله بإرسال محمد كما قال تعالى :

﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾

(الأنبياء/١٠٧) .

﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾

(سبأ/٢٨) .

٣ـ القرية التى أخرجته :

مكة أم القرى واجه فيها النبى - صلى الله عليه وسلم - صناديد قريش ودعاهم إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة فخاشنوه وصدوا عن سبيله إيثارا

لأصنامهم التى لا تبصر ولا تسمع ولا تضر ولا تنفع على عبادة الله مخلصين له الدين . . وآذوا نبيهم والذين آمنوا معه وجاوزوا فى ذلك المدى ، وطاش فى ذلك صوابهم فقتلوا من الآباء والأبناء من قتلوا ، وهاجر من شاء إلى الحبشة وغيرها من المواقع ، وجرت أحداث ، واتصل حوار كان يديره المشركون بالهوى وصوالحهم المادية ، ومحاولة التمكين لشركهم ، والتوطين لأصنامهم ، وما كان الرسول بالذى يقبل أيسر مساومة فى توحيد الله ، وإخلاص الوجه لعبادته ، وطالما دعاهم إلى أن يقولوا « لا إله إلا الله » ليسودوا بها من سواهم ، ويدين لهم بها العرب والعجم على سواء ، ولكنه ـ صلوات الله عليه ـ كان منهم كمن يضرب فى حديد بارد .

لقد أصم الشرك عن توحيد الله آذان المشركين فى أم القرى وما حولها ، وقالوا :

﴿ وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِن بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَاعْمَلْ إِنَّنَا عَامِلُونَ ﴾

(فصلت/٥) .

ولم يعد فى قوس صبر المسلمين منزع ، وبدت تباشير الفرج القريب تتهلل بها وجوه الوافدين من يثرب فى مواسم الحج ، وأيام عكاظ وذى المجنة وذى المجاز ، والنبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ يخامره قول ورقة بن نوفل منذ بدء الوحى ويحرص على لقاء الوفود ، حتى رأى دار هجرته فى نومه : « وكان لا يرى رؤيا إلا جاءت كفلق الصبح » فى حديث الإمام البخارى الذى مر بين يديك ، وأذن الله بالهجرة إلى يثرب ، وأخذ المسلمون إليها الطريق مستخفين إلا من كان على مثل شجاعة أبى حفص عمر ، ووجد المهاجرون فى المدينة :

﴿ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾

(الحشر/٩) .

واستأنى الرسول صاحبه أبا بكر (وأمن الناس عليه) ، فقد استأذن مرات فى أن يهاجر ، فكان النبى يقول له : « عسى الله أن يجعل لك صاحبا » ، فكانا كما قال الله تعالى :

﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا ﴾

(التوبة/ ٤٠) .

وكان ذلك بعد أن أداروا بينهم الرأى فى « دار الندوة » بم يتخلصون إلى الأبد من محمد :

﴿ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴾

(الأنفال/ ٣٠) .

٤ـ فى الطريق إلى يثرب :

لقد قدر النبى وفكر فى الهجرة وما تستوجب من حيطة وحذر ، واستعان بالكتمان وهو يعلم أن وراء تدبيره تدبير ربه وحفظ مولاه ، الذى يمهل ولا يهمل ، ويملى للطغاة إلى حين ويروى غراس اليقين فى ذلك بين أعطاف المؤمنين :

﴿ وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾

(الزمر/٦١) .

إن إسرار الرسول إلى أبي بكر بخبر الهجرة واللهفة التى اعتلجت كلمات فى قول أبى بكر : « الصحبة يارسول الله » ، وقول الصادق الأمين : « الصحبة ياأبا بكر » ، ودموع السرور التى تضاعف بها سناء وجه الصدِّيق رضى الله عنه ، موقف من مواقف تكشف عن وفاء النبى وعرفانه لقدر أول الرجال إسلاما ، وأعظمهم إيمانا ، وأحقهم بأن يكون فى المشهد العظيم : « ثانى اثنين » لتصل هذه الحلقات أمثالها فى بلاء أبى بكر فى الدعوة وافتدائه للنبى الأعظم ووفائه وعطائه للمسلمين والمستضعفين بخاصة ، ويكون هذا الموقف نورا نرى فيه أبا بكر يرصد ماله ورجاله لإنجاح هذه المخاطرة التى جن لها جنون المشركين بقدر ما واجهها وخاض غمراتها المسلمون بارتياح ويقين .

وكان القرآن الكريم يغادى النبى ويراوحه بمثل قوله تعالى :

﴿ إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ قُل رَّبِّي أَعْلَمُ مَن جَاءَ بِالْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾

(القصص / ٨٥) .

إن الإمام القرطبى فى جـ ١٣ من الجامع لأحكام القرآن ص ٣٢١ يقول فى كلام نفيس : ختم الله السورة ببشارة نبيه محمد - صلى الله عليه وسلم - برده إلى مكة قاهراً لأعدائه ، وأورد فى « معاد » معانى لا توضع فى كفة ميزان أمام مراد « مكة » فهو يقول : « والأول أكثر » وهو قول جابر بن عبد الله وابن عباس ومجاهد وغيرهم ، وأورد أن معاد الرجل بلده الذى ينصرف منه ثم يعود إليه .

قال مقاتل « خرج الرسول - صلى الله عليه وسلم - من الغار ليلا مهاجرا إلى المدينة ، مخافة الطلب ، أقول وتلك مشاعر بشرية مُحسَّة ، وإن كان صلوات الله عليه يغمره اليقين بأن الله كالئه وهاديه وحاميه ، وحاشا أن تكون هجرته هربا ، لكنها أمر الله ووحيه لمصطفاه فى رؤياه ، وإن تسبب المشركون فى دواعيها ودوافعها جاهلين أن الله خيرٌ حافظا لنبيه وأوليائه .

قال مقاتل : « فلما رجع الرسول إلى الطريق ونزل الجُحفة عرف الطريق إلى مكة فاشتاق إليها ، فقال له جبريل أن الله يقول :

﴿ إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ ﴾

إلى مكة ظاهرا عليها .

واستظهره الفخر الرازى ، وقال : « لأن ظاهر المعاد أنه كان فيه وفارقه وعاد إليه ، وذكر كلام العلماء أن هذا من أعلام النبوة لأنه أخبر بغيب كان بعد ذلك كما أخبر حين جاء نصر الله والفتح » جـ ٢٥ من تفسيره ، وأورد ابن كثير أحد أقوال ابن عباس أن المراد عودته إلى مكة فى الفتح وهو عنده أمارة على قرب انتهاء أجل النبى كما فسر ابن عباس سورة النصر . . وليس بعد الفتح والنصر إلا الموت ، فالفردوس الأعلى والدرجات العلا التى كتبها الله لخيرته من خلقه وصفوته من رسله وأكرم من فدى رسالته بهجرته وجهاده حتى أكمل الله به الدين وأتم النعمة على المسلمين ، وترك فيهم كتاب ربه الذى حفظه ولم يستحفظه سبحانه أحدا وحفظ معه السنة بأخذها لا محالة من أراد أن يعرف مراد الله من كتابه وكلماته .

وصدق الله العظيم :

﴿ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّن قَرْيَتِكَ الَّتِي أَخْرَجَتْكَ أَهْلَكْنَاهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ ﴾

(محمد ١٣) .

إن أمثال هذه الآية كثير فى كتاب الله ، وتؤكد

البقية ص ٣٩

الهجرة إلى مكة

للشيخ عبد الحفيظ فرغلى القرنى

المعروف أن المدينة هى دار الهجرة ، كان اسمها « يثرب » ، ثم سماها النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ بعد هجرته إليها « المدينة » ، وجعلها حرما ، وقال فى ذلك : « إن إبراهيم حرم مكة ودعا لأهلها ، وإنى حرمت المدينة كما حرم إبراهيم مكة ، وإنى دعوت فى صاعها ومدها بمثلى ما دعا به إبراهيم لأهل مكة » . رواه مسلم فى كتاب ﴿ الحج ـ الحديث رقم ٤٢٥ ﴾ عن عبدالله بن زيد بن عاصم .

وأصبحت الهجرة إلى المدينة شرطا من شروط الإيمان ، مصداقا لقوله تعالى :

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يُهَاجِرُواْ مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَىْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْ ﴾ (الأنفال : ٧٢) .

ولذلك أصبح من المألوف أن يهاجر الناس إلى المدينة بعد أن هاجر النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ إليها ، وجعلها مركز الدعوة الإسلامية ، ولم تلبث أن أصبحت بعد ذلك عاصمة الدولة الإسلامية فى عهد النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ وظلت كذلك حتى سنة أربعين من الهجرة .

والهدف من الهجرة إلى المدينة القرب من النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ والانضواء تحت لوائه باعتباره القائد الأعلى للأمة الإسلامية ، وهو فى حاجة إلى كل المسلمين ليكونوا جنودا فى الدفاع عن الإسلام والجهاد فى سبيل الدعوة ، والتضحية بالنفس والنفيس فى ذلك ، وإلا فلا معنى للإسلام بدون ذلك ، وقد أبطل النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ الهجرة بعد الفتح وقال : « لا هجرة بعد فتح مكة » أخرجه البخارى عن مجاشع بن مسعود .

وكثير منا يغفل أن هناك هجرة كانت إلى مكة قبل المدينة .

كانت هناك هجرة إلى مكة فى أثناء مقام النبى - صلى الله عليه وسلم - فيها قبل الهجرة إلى المدينة ، أيام أن كان يدعو إلى الله فى بدء الدعوة ويعارضه القرشيون ويسدون عليه المسالك ويضيقون عليه الخناق ، ويحولون بينه وبين إبلاغ كلمة الله .

كانت دعوته تتحدى العقبات ، وتصل إلى مسامع العرب فى كل مكان ، وكان هناك من يصيخ السمع إلى ما يصل إليه من آيات بينات ، فيعجب لهذا الكلام الرائع ، ويتخلل فؤاده ، ويحاول التعرف على صاحبه والاقتراب منه .

ولكن قريشا كانت توصد أمام هؤلاء الأبواب ، وتحذر كل وافد إلى مكة من الاقتراب من النبى - صلى الله عليه وسلم - وتصده عن الوصول إليه والاستماع إلى ما يقول .

أول مهاجر إلى مكة :

ولعل أول مهاجر إلى مكة للقاء النبى - صلى الله عليه وسلم - هو أبو ذر الغفارى - رضى الله عنه - واسمه جندب بن جنادة بن قيس بن عمرو من قبيلة غفار .

سمع أبو ذر بدعوة النبى - صلى الله عليه وسلم - فأحب أن يلقاه ويستمع إليه ، فأرسل أخاه أنيسا إلى مكة قال له : اركب إلى هذا الوادى فاعلم لى علم هذا الرجل الذى يزعم أنه نبى ، يأتيه الخبر من السماء ، وأسمع من قوله واثتنى .

فانطلق أنيس حتى قدم مكة ، وتمكن من لقاء النبى - صلى الله عليه وسلم - وسمع من قوله ، ثم رجع إلى أخيه أبى ذر فقال له : رأيته يأمر بمكارم الأخلاق ، وسمعت منه كلاما ما هو بالشعر .

فقال له أبو ذر : ما شفيتنى مما أردت .

وتزود أبو ذر ، فانطلق بنفسه إلى مكة ، فأتى المسجد ، والتمس النبى - صلى الله عليه وسلم - وهو لا يعرفه ، ولم يستطع السؤال عنه تخوفا من أهل مكة ، وظل كذلك أياما حتى لقيه على بن أبى طالب ، وعرف أنه غريب جاء يطلب النبى - صلى الله عليه وسلم - فاصطحبه خفية حتى أوصله إلى النبى - صلى الله عليه وسلم .

والتقى أبو ذر بالنبى - صلى الله عليه وسلم - وكان أول من حيا بالسلام تحية الإسلام . وعرض عليه النبى - صلى الله عليه وسلم - الإسلام فأسلم .. كان إسلامه قديما ، قيل إنه لم يسبقه إلى الإسلام سوى أربعة كان هو خامسهم ..

وأراد البقاء بمكة مع النبى - صلى الله عليه وسلم - ولكن النبى - صلى الله عليه وسلم - أمره بالرجوع إلى قومه ليبث فيهم الدعوة ، وطلب منه أن يلحقه بدار الهجرة (المدينة) حين يعرف أنه هاجر إليها .

وبقى أبو ذر فى قبيلة غفار يدعو إلى الإسلام ، حتى عرف أن النبى - صلى الله عليه وسلم - هاجر إلى المدينة ، فاصطحب قومه وهاجر إليه .

فهذه هجرة إلى مكة .

لم يكن أبو ذر له هدف فى مكة سوى لقاء النبى - صلى الله عليه وسلم - والإيمان به ، وود لو أنه بقى معه فى مكة لولا أنه أمره بالتوجه إلى قومه ليكون سببا فى هدايتهم .

وقد تأدب أبو ذر بأدب الإسلام وانصاع لأوامره ونواهيه ، حتى كأنه أصبح أمة وحده ، وقد أثنى عليه النبى - صلى الله عليه وسلم - ثناء مستطابا ، وقال فى حقه : « أبو ذر فى أمتى على

زهد عيسى ابن مريم » أسد الغابة لابن الأثير حـ ١ صـ ٣٥٧ .

وقال : « ما أقلت الغبراء ولا أظلت الخضراء من رجل أصدق لهجة من أبي ذر » الطبقات الكبرى لابن سعد حـ ٤ صـ ٢٧٥ .

وتوفى أبو ذر بالربذة فى عهد عثمان بن عفان - رضى الله عنهما - .

المهاجرون من الأنصار:

وقد يعجب القارىء حين يرى هذا العنوان ، فالمعروف أن المهاجرين كلهم من مكة وما حولها ممن أسلم من غير أهل المدينة ، ثم هاجر حين صدر الأمر بالهجرة إلى المدينة عقب بيعة العقبة ، ولكن هناك بعض الأنصار هاجروا من المدينة إلى مكة ، وأقاموا مع النبى - صلى الله عليه وسلم - فى مكة حتى هاجروا معه إلى المدينة ، وهؤلاء يلقبون بلقبين : الأنصار والمهاجرين .. وهذه ميزة خاصة بهؤلاء .

كان أولئك المهاجرون من الأنصار ممن بايعوا النبى - صلى الله عليه وسلم - فى العقبة ، واشتد حبهم للنبى - صلى الله عليه وسلم - ولم يصبروا على الابتعاد عنه ، فأصروا على الرجوع إليه فى مكة والبقاء معه على ما فى مكة من مجافاة للمسلمين وإيذاء لهم .. ومن هؤلاء المهاجرين الأنصار :

١ - ذكوان بن عبد قيس:

وهو ذكوان بن عبد قيس بن خلدة بن مخلد بن عامر بن زريق الأنصارى الخزرجى ثم الزرقى يكنى أبا السبع .

شهد العقبة الأولى والثانية ، ثم خرج من المدينة مهاجرا إلى النبى - صلى الله عليه وسلم - وهو بمكة ، وأقام معه بمكة حتى هاجر إلى المدينة حين هاجر النبى - صلى الله عليه وسلم - إليها . فكان يقال له : مهاجرى أنصارى .

وشهد ذكوان بدرا ، واستشهد فى موقعة أحد ، قتله أبو الحكم بن الأخنس ، فاقتص له على بن أبى طالب منه فقتله .

ويذكر الواقدى أن ذكوان بن عبد قيس هو أول من أسلم من الأنصار ، ذلك أنه خرج هو وأسعد ابن زرارة إلى مكة يتنافران إلى عتبة بن ربيعة ، كان ذلك قبل العقبة الأولى بزمن . وفى مكة سمعا بدعوة النبى - صلى الله عليه وسلم - إلى الإسلام فذهبا إليه ، فدعاهما إلى الإسلام ، وقرأ عليهما القرآن ، فأسلما ، وتركا المنافرة التى جاءا من أجلها ولم يقربا عتبة ، ورجعا إلى المدينة مسلمين ، فكانا أول من قدم بالإسلام إلى المدينة .

- أسد الغابة حـ ٢ صـ ١٦٨ - الاستيعاب فى الأصحاب ٤٦٦ - الطبقات الكبرى لابن سعد حـ ٣ صـ ٦٠٤ .

٢ - رفاعة بن عمرو:

رفاعة بن عمرو بن زيد بن عمرو بن ثعلبة بن مالك الأنصارى الخزرجى السالمى ويكنى أبا الوليد .

شهد بيعة العقبة الثانية مع السبعين ، وعاد إلى المدينة مع قومه بعد المبايعة ولكنه لم يصبر على فراق الرسول - صلى الله عليه وسلم - فعاد إلى مكة مهاجرا إليه ، وأقام بمكة حتى هاجر إلى المدينة مع هجرة النبى - صلى الله عليه وسلم - وظفر بلقب المهاجرى الأنصارى .

وشهد رفاعة موقعة بدر ، كما شهد موقعة أحد وظفر بالشهادة فيها قال ابن سعد فى الطبقات : وليس لرفاعة عقب ، كان له أولاد فانقرضوا .

ـ أسد الغابة حـ ٢ صـ٢٣٢ ـ الطبقات الكبرى حـ ٣ صـ ٥٤٦ .

٣ـ زياد بن لبيد :

هو زياد بن لبيد بن ثعلبة بن سنان بن عامر بن عدى الأنصارى الخزرجى البياضى يكنى أبا عبد الله .

شهد العقبة الثانية مع السبعين .

ثم خرج إلى مكة مهاجرا للنبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ وملازماً له ، وأقام معه بمكة حتى هاجر النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ إلى المدينة فهاجر إليها فكان يقال له : أنصارى مهاجرى .

وشهد زياد موقعة بدر ، وشهد أحدا والخندق وسائر المشاهد مع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ .

واستعمله النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ على حضر موت ، فظل بها حتى لحق النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ بربه . وأقره أبو بكر على عمله الذى ولاه النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ إياه .

وحين ارتد العرب قاتل زياد أهل الردة باليمن ممن ارتدوا مع الأشعث بن قيس ، وظفر بهم فقتل منهم من قتل ، وأسر من أسر ، واستطاع أن يسوق الأشعث بن قيس مقيدا بالأغلال إلى الخليفة أبى بكر فى المدينة .

ولزياد بن لبيد رواية عن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ منها ما رواه الأعمش عن سالم بن أبى الجعد عن زياد قال : « ذكر رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ شيئا فقال : ذاك عند ذهاب العلم قالوا : يارسول الله ، وكيف يذهب العلم ونحن نقرأ القرآن ونقرئه أبناءنا ويقرئه أبناؤنا أبناءهم ، قال : ثكلتك أمك ابن أم لبيد ، أو ليس اليهود والنصارى يقرءون التوراة والإنجيل ولا ينتفعون منهما بشىء » !

توفى زياد بالمدينة أيام معاوية .

أسد الغابة حـ ٢ صـ ٢٧٣ ـ الطبقات الكبرى حـ ٣ صـ ٦١٠ ـ الإصابة لابن حجر حـ ٢ صـ ٥٨٦ .

٤ـ عباس بن عبادة :

وعباس بن عبادة بن نضلة بن مالك بن العجلان الأنصارى الخزرجى ، شهد بيعة العقبة الثانية ، وقيل : بل شهد البيعتين الأولى والثانية ، وقيل أيضاً . . كان فى النفر الستة الذين لقوا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أول من لقى من الأنصار ، وكان ذلك فى السنة السابقة على بيعة العقبة الأولى ، وقد أسلم هؤلاء الستة ، وعادوا إلى المدينة فأظهروا فيها الإسلام .

وعباس بن عبادة هو الذى شد عقد البيعة لرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى البيعة الثانية ، فقد قال لقومه : يامعشر الخزرج ، هل تدرون علام تبايعون هذا الرجل ؟ إنكم تبايعونه على حرب الأحمر والأسود ، فإن كنتم ترون أنكم غير وافين له بذلك فمن الآن ، فهو والله إن فعلتم خزى الدنيا والآخرة ، وإن كنتم ترون أنكم وافون له فهو والله خير الدنيا والآخرة .

قالوا : فما لنا إن وفينا يارسول الله ؟ قال : الجنة . قالوا : ابسط يدك . فبسط يده فبايعوه . ثم إن عباس بن عبادة خرج إلى النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ مهاجرا إليه بمكة ، فأقام معه حتى هاجر النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ إلى المدينة فهاجر معه . فكان بذلك أنصاريا مهاجريا .

وبعد الهجرة آخى النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ بينه وبين عثمان بن مظعون . ولم يشهد عباس بدرا ولكنه شهد أحدا واستشهد فيها ـ سيرة ابن هشام ـ أسد الغابة حـ ٣ صـ ١٦٣ .

٥. عبد الله بن أنيس:

كان حليف بنى سلمة من الأنصار وهو أصلا من جهينة ، اسمه عبد الله بن أنيس الجهنى ، شهد العقبة الثانية ، وعاد إلى المدينة ، ثم توجه مهاجرا إلى مكة ليصاحب النبى - صلى الله عليه وسلم - فيها ، وأقام معه حتى هاجر إلى المدينة حين هاجر النبى - صلى الله عليه وسلم - إليها فكان مهاجريا أنصارياً .

ثم شهد بدرا وأحدا وما بعدهما من المشاهد مع النبى - صلى الله عليه وسلم -

وتوفى عبد الله بن أنيس سنة أربع وسبعين من الهجرة - أسد الغابة حـ ٣ صـ ١٧٨ .

٦. عقبة بن وهب:

وهو عقبة بن وهب بن كلدة بن الجعد بن هلال بن الحارث حليف بن سالم بن غنم بن عوف ابن الخزرج .

شهد بيعة العقبة الأولى ، وبيعة العقبة الثانية . وقيل : إنه أول من أسلم من الأنصار فى بعض الروايات . ثم لحق برسول الله - صلى الله عليه وسلم - بمكة ، فلم يزل هناك حتى هاجر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى المدينة ، فهاجر هو إلى المدينة ، فكان يقال له : مهاجرى أنصارى شهد من المشاهد بدرا ، ثم أحدا ، وقيل : إنه هو الذى نزع الحلقتين من وجنتى النبى - صلى الله عليه وسلم - يوم أحد ، وقيل : إن الذى نزعهما هو أبو عبيدة بن الجراح ، قال الواقدى : إنهما جميعا عالجاهما فأخرجاهما من وجنتى النبى - صلى الله عليه وسلم -

سيرة ابن هشام حـ ٢ صـ ٤٦٥ - أسد الغابة حـ ٤ صـ ٦٢ - الطبقات الكبرى حـ ٣ صـ ٥٤٧ .

ملاحظتان

ويلاحظ أن هؤلاء الأنصار الذين هاجروا من المدينة إلى مكة ثم منها إلى المدينة ، كانوا من الخزرج أو من حلفائهم ، ذلك لأن الخزرج هم أول من استجاب لدعوة الإسلام ، وكان منهم النفر الستة الذين التقى بهم النبى - صلى الله عليه وسلم - قبل العقبة الأولى بعام فأسلموا حين عرض عليهم الإسلام ، ووعدوه العودة فى العام القادم فعادوا فى وفد مكون من اثنى عشر رجلا منهم تسعة من الخزرج وثلاثة من الأوس . . كما يلاحظ قلة عدد المهاجرين إلى مكة ، ولذلك سبب واضح ، أن مكة لم تكن بالمكان الآمن المستقر لاستقبال الدعوة الإسلامية ، بل كان النبى - صلى الله عليه وسلم - ومن معه من المسلمين يتعرضون للأذى الشديد والمعارضة القاسية من أهل مكة ، مما دعا النبى - صلى الله عليه وسلم - إلى التفكير الجدى فى الهجرة منها - على الرغم من حبه الشديد لوطنه - وعرض نفسه على القبائل ليؤووه وينصروه حتى يبلغ دعوة ربه . فلم يجد استجابة إلا من أهل المدينة .

فكانت هجرة من هاجر من الأنصار إلى النبى - صلى الله عليه وسلم - وهو فى مكة بدافع الحب الشديد للنبى - صلى الله عليه وسلم - والرغبة فى مصاحبته ومجاورته ، مضحين فى سبيل ذلك بما يلقونه من تجهم وضيق فى جو مكة المستفز ، فصحبة النبى - صلى الله عليه وسلم - يهون فى سبيلها كل صعب ، ويعذب فى طريقها كل مشقة . صلى الله وسلم على هذا النبى الأمين ، ورضى الله عن صحابته من الأنصار والمهاجرين .

الهجرة

عظة وعبرة

للدكتور : أحمد عبد الله الطيار*

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على من بعثه الله داعية للعالمين : إنسهم وجنهم ، وهاديا وبشيرا ونذيرا ؛ ليخرج الناس من الظلمات إلى النور ، وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين . وبعد :

فقال تعالى : ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴿٣٠﴾ ﴾ (الأنفال : ٣٠)

لما رأى النبى - صلى الله عليه وسلم - تسلط الغطرسة ، وحمية الجاهلية على قريش ، وأراد الله إعزاز دينه على يد غيرهم - أخذ يخرج إلى المواسم العربية (وهى أسواق كانت العرب تعقدها للتجارة والمفاخرة) ، ويعرض الرسول - صلى الله عليه وسلم - نفسه على القبائل ؛ ليحموه حتى يؤدى رسالة ربه ، فكان بعضهم يرد ردا مليحاً ، وبعضهم يرد رداً قبيحاً .

وفى أحد المواسم تعرض لنفر من عرب يثرب (المدينة) يبلغون الستة ، فدعاهم الرسول إلى الإسلام ، فأسلموا ووعدوه المقابلة فى الموسم المقبل ، وفيه قدم اثنا عشر رجلا فأسلموا ، وبايعوا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - على ألا يشركوا بالله شيئاً ، وعلى السمع والطاعة لله ولرسوله ، وأرسل معهم من يقرئهم القرآن ، ويفقههم فى الدين تلك هى البيعة الأولى ، وكانت كما نرى على التمسك بالآداب التى جاء بها الإسلام ، ودعا إليها القرآن ، فهى مجموعة من الأوامر والنواهى ، وهى جانب رفيع من الأخلاق أراد الإسلام أن ينشىء عليها المجتمع المسلم ، ليطهره من أرجاس الجاهلية ، ويبتعد به عن الأخلاق الدنية وليكون هذا المجتمع الذى ستقوم

---

* الكاتب : مدرس بكلية اصول الدين - المنوفية .

على كواهله دولة الإسلام مجتمعا نموذجياً فريدا ، يرى فيه الناس آمالهم التى يتطلعون إليها حية متحركة ، ويلمسون من خلاله المثل التى كانوا يتلهفون عليها . وأقبل موسم السنة الثالثة عشرة من البعثة النبوية ، وقدم مصعب بن عمير إلى مكة ، وقدم وفد من المسلمين حجاجا مع قومهم من المشركين وكانوا قد عزموا على ألا يدعوا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى مكة تهدده قريش وتتوعده ، واتفقوا على أن يلتقوا برسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ليلا سراً ، حتى لا تشعر قريش ، فيسعوا فى نقض ما أبرم ، واتفقوا على أن يلتقوا برسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ عند العقبة ، وأن يكون خروجهم من خيامهم مستخفين بعد أن يمضى هزيع من الليل يطمئنون فيه إلى نوم من معهم من المشركين حتى لا يروهم ، وأن يكون ذلك فى أوسط أيام التشريق[1] .

وجاء اليوم الموعود ، وجن الليل ، وأخذ المسلمون يتحينون الفرصة ويرقبون من معهم من المشركين ودخل كل منهم فى فراشه متظاهرا بغلبة النوم ، حتى إذا غط المشركون فى نوم عميق إنساب المسلمون متسللين[2] ، لم يحرصوا على شىء قط حرصهم على اللقاء برسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى تلك الليلة .

اجتمع المسلمون فى الشعب عند العقبة ، وأخذوا يترقبون قدوم الرسول بفارغ الصبر ، وأقبل الرسول ومعه عمه العباس بن عبد المطلب ، ولم يكن أسلم ، ولكنه أراد أن يستوثق لأمر ابن أخيه ويحضر البيعة التى سيعقدها مع أهل المدينة .

جلس الرسول ، وجلس القوم من حوله ، وكان أول المتكلمين العباس بن عبد المطلب ، قال يا معشر الخزرج أن محمداً منا حيث قد علمتم ، وقد منعناه من قومنا ، ممن هو على مثل ما رأينا فيه ، فهو فى عز من قومه ، ومنعة فى بلده ، وإنه قد أبى إلا الانحياز إليكم ، واللحوق بكم ، فإن كنتم ترون أنكم وافون له بما دعوتموه إليه ، ومانعوه ممن خالفه ، فأنتم وما تحملتم من ذلك .

وإن كنتم ترون أنكم مسلموه وخاذلوه بعد الخروج به إليكم فمن الآن فدعوه ، فإنه فى عز ومنعة من قومه وبلده .

قالوا قد سمعنا ما قلت ، فتكلم يارسول الله فخذ لنفسك وربك ما أحببت . وهنا تكلم الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ فتلا القرآن ، ورغب فى الإسلام ودعا إلى الله ثم قال : « أبايعكم على أن تمنعونى مما تمنعون منه نساءكم وأبناءكم » .

وتمت البيعة بين رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وبين المسلمين من أهل يثرب ، وعندئذ قال لهم الرسول : أخرجوا إلى منكم اثنى عشر نقيبا ، ليكونوا على قومهم بما فيهم ، فأخرجوا له اثنى عشر نقيبا ، تسعة من الخزرج وثلاثة من الأوس[3] . فقال لهم رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنتم على قومكم بما فيهم كفلاء ككفالة الحواريين عيسى بن مريم ، وأنا كفيل على قومى ، قالوا : نعم[4]

(١) سيرة ابن هشام حـ ٢ ص ٦١
(٢) نفس المصدر ص ٦٣
(٣) سيرة ابن هشام حـ ٢ ص ٦٤
(٤) ابن هشام حـ ٢ ص ٦٦

وقد ظن المسلمون أن أمرهم لا يزال فى الخفاء ، ولم يطلع عليه أحد ، وبخاصة وقد أخذوا حذرهم ودبروا أمرهم ، فقد تواعدوا عند العقبة فى مكان بعيد عن الناس . وكان ذلك فى جوف الليل بعد أن نام أهل الموسم ، كما كان فى أضيق فرصة من أيام الحج حتى إذا علمت قريش لم يكن لديها الفرصة لتعوق القوم وتعترض طريقهم .

ومع كل هذه الاحتياطات ، ورغم كل هذا الحذر فقد انكشف الأمر ، وخرج صارخ بأعلى صوت : يا أهل الجباجب ـ وهى المنازل ـ هل لكم فى مذمم والصبأة معه ، قد أجمعوا على حربكم[1] .

يقول كتاب السير والمؤرخون : إن الصارخ هو الشيطان ، وأن الرسول قال لما سمع الصارخ : هذا أزب العقبة ، أى عدو الله ، أما والله لأفرغن لك[2] . وعندئذ قال الرسول لمن بايعوه : ارجعوا إلى رحالكم .

هذا وقد أثرت مبايعة الأنصار للنبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى قريش تأثيرا بعيد المدى ، أليم الواقع ، ورأوا أن إيذاءهم لرسول الله وأصحابه على شدته وإغراقهم فيه لم يُحِل دون المضى فى بث الدعوة وانتشارها ، فاجتمعوا فى دار الندوة للنظر فى ذلك الأمر الذى روعهم ، وأقض مضجعهم ، (أقلقهم جدا) ، وبعد تبادل الآراء اتفقوا على أن يختاروا من كل قبيلة شابا شجاعا ويرصده (يرقبه) هؤلاء الشبان حتى ينام فيثبون عليه ، أو يخرج من داره فيهجمون عليه ويضربونه ضربة رجل واحد ، وبذلك يتفرق دمه على القبائل ، فلا يستطيع بنو عبد مناف أن يثأروا له ، فيقبلون الدية ، فأقروا هذا الرأى .

هذا مكرهم ولكن إرادة الله فوق كل إرادة

﴿ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَـٰكِرِينَ ﴿٣٠﴾ ﴾
[الأنفال : ٣٠]

فأخبر الله تعالى نبيه بذلك ، وبالليلة التى عزموا على إنفاذ فعلتهم فيها ، وأمره بالهجرة إلى يثرب فى تلك الليلة ، فأمر الرسول على بن أبى طالب بالنوم فى فراشه ، وغطاه ببردته ، إيهاما للقوم بأنه مازال فى فراشه ، وقبل الإمام على ـ كرم الله وجهه ـ هذه التفدية بغبطة وشجاعة ، وبقى النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى المنزل حتى أرخى الليل سدوله وران الكرى على أجفان الراصدين ، فخرج ونثر على رءوسهم التراب وهو يتلو :

﴿ يسٓ ﴿١﴾ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾ إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣﴾ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤﴾ تَنزِيلَ ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٥﴾ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ فَهُمْ غَـٰفِلُونَ ﴿٦﴾ لَقَدْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَىٰٓ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٧﴾ إِنَّا جَعَلْنَا فِىٓ أَعْنَـٰقِهِمْ أَغْلَـٰلًا فَهِىَ إِلَى ٱلْأَذْقَانِ فَهُم مُّقْمَحُونَ ﴿٨﴾ وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَـٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿٩﴾ ﴾ [يس من ١ : ٩]

وحصبهم بالتراب فلم يبق فيهم رجل جليد نسيب وسيط فى قوم أبى جهل وأتباعه إلا وضع على رأسه ترابا وناموا أو داخلوا أو شلوا أو مسخوا . لقد سحبت قوتهم وعميت عيونهم حتى جاءهم آت ممن لم يكن معهم فقال لهم :

(١) ابن الجوزى حـ ١/١ ص٣٦١
(٢) نفس المصدر السابق

ما تنتظرون ؟ قالوا : محمدا ، قال : خيبكم الله ، قد والله خرج عليكم محمد ثم ما ترك منكم رجلا إلا وقد وضع على رأسه ترابا وانطلق لحاجته[1] .

هذه هى نتيجة القرار البرلمانى الأرضى الذى يستمد نظامه من الطين ، حبات حصى نثرها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - على رءوس الجيش الفتى الذى جاء لينفذ قرار التنظيم الأرضى . . ويسلم (على) من المؤامرة ويبقى فى مكة ليصفى بقيات العلاقات ويؤدى الأمانات التى كان يحفظها الجاهليون عند محمد - صلى الله عليه وسلم - ليقينهم أنه وحده الأمين الصادق[2] وينطلق الركب النبوى ومعه الصديق الوفى إلى غار ثور أو جبل ثور ، وتبقى سرية المخابرات الإسلامية فى مكة : عبد الله بن أبى بكر ؛ ليستمع ما يقول الناس فيها نهارا ليبلغ الأخبار إليهما ليلا وعامر بن فهيرة يرعى الغنم نهارا ثم يريحها عليهما فى الغار عند المساء ، وأسماء بنت أبى بكر تجهز الزاد وتذهب به فى ثياب الليل الأسمر .

ولما علم المشركون بخيبة تدبيرهم ، وفساد مكرهم ، ثارت ثائرتهم ، وهاجت عاطفتهم فطلبوه بمكة : أعلاها وأسفلها ، وبعثوا القافة جمع قائف : وهو من يعرف الآثار ، وقاف أثره : تبعه - فى إثره فى كل وجه ، وجعلوا مائة ناقة لمن يرده ، فوجد الذين ذهبوا قبل ثور أثره هناك ، فلم يزالوا يقتفونه حتى انقطع عنده ، فاستبعدوا أن يكون داخل الغار ، لوجود نسج العنكبوت وبيض الحمام على بابه فقالوا : لو دخل ها هنا أحد لم يكن نسج العنكبوت على بابه[3] وكان فتيان قريش من كل بطن يحيطون الغار بعصيهم وهراواتهم وسيوفهم وحماسهم وكراهيتهم ومرارة هزيمتهم المبارحة ، وقال لهم حكماؤهم وفلاسفتهم ووجهاء القوم عندهم « إلى باب الغار انتهى وقع الأقدام » فلماذا لم يدخلوا الغار ؟ لقد اقترح بعضهم أن يقتحم الغار ويفتشه ولكن الذكى الألمعى الرائد الفيلسوف العظيم أمية بن خلف قال لهم : وما أربكم إلى الغار إن فيه لعنكبوتا أقدم من ميلاد محمد[4] .

لماذا لم يفترض الفيلسوف الماهر أن تلك الراءة والشجرة والحمامتين الوحشيتين سحر من سحر محمد ، فيسمح للجيش الجرار المتحمس لتنفيذ قرار برلمان زق الخمر بتفتيش الغار فياربما وجدوا إربتهم ، لقد كانوا من الحمق بحيث لا يعقلون ما يريدون ، ولا يفهمون ما يودون ألم يقل لهم فى مكة « وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون » فلماذا لم يقدروا على إزالتها وتفتيش ما بداخل الغار ؟ لقد أضلهم الله على علم وختم على سمعهم وأبصارهم فمن يهدهم من بعد الله ؟ وعادت قريش : عاد أعضاء البرلمان الجاهلى الأرضى العبقرى ، وعادت حفالة الشباب الجليد النسيب الفتى ، وعادت فلاسفة القيافة والأثر بخيبة أمل لا مثيل لها فى التاريخ . وروى أن سيدنا أبا بكر لما رأى القافة اشتد حزنه على

(١) تاريخ الطبرى حـ ٢ ص ٣٧٣ - وسيرة بن هشام حـ ١ ص ٤٨٣

(٢) تاريخ الطبرى حـ ٢ ص ٣٨٢ الكامل فى التاريخ حـ ٢ ص ١٠٣

(٣) السيرة لابن كثير حـ ١ ص ٣٢

(٤) الحلبية حـ ٢ ص ٤٠

رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وقال : « إن قتلت أنا فإنما أنا رجل واحد ، وإن قتلت أنت هلكت الأمة ، فقال له رسول الله - صلى الله عليه وسلم - « لا تحزن إن الله معنا » .

وفى صبح اليوم الثالث جاءتهما الراحلتان فركبا إلى المدينة من طريق الساحل ، وهو طريق غير مألوف ، ونجاهما الله من القوم الظالمين ، وقابلهما أهل المدينة بأعظم ترحيب .

العبرة من الهجرة :

١ - أراد الله تعالى ألا ينتشر الإسلام بمكة أولاً ، حتى لا يتخذ ذلك وسيلة إلى الطعن عليه بأن قريشا طمحت الملك ، فأوعزت إلى واحد منها أن يدعى هذه الدعوى ، ليدركوا بذلك أمنيتهم ، بل أراد الله أن يكونوا قوما لدا ، لم يعرفوا فى إيذاء النبى وأصحابه هوادة ولا حداً .

٢ - ظهر جليا فى هذه الهجرة أن الدعوة الإسلامية كانت تساير الأحوال العادية للناس ، وتجرى على حسب الأحداث الطبيعية للبشر التى ترتبط فيها الأسباب الظاهرة بمسبباتها ، ويظهر فيها التفكير والاجتهاد ، ولم يكن اعتمادها على الآيات الكونية الخارقة للعادة ، والتى تفوق مقدور البشر ، ولا يتناولها إدراكهم ، فإن النتيجة الطبيعية لمقاومة الدعوة ، مع الغلو فى إيقاع أشد أنواع الأذى بالداعى - إنما هى هجر البلاد إلى أخرى تفتح صدرها للدعوة وتكرم صاحبها ، وتمنعه مما تمنع منه أهلها .

٣ - تجلى فيها رباطة جأش النبى - صلى الله عليه وسلم - وثبات جنانه ، وحسن تدبيره وقت ترقب الشبان إياه حول داره ، وقد دل على ذلك سعة حيلته ، وعظم فكرته ، فى انتداب على لينام مكانه ؛ ليلقى فى عقل القوم ، أنه لا يزال فى فراش النوم ، ثم تلطفه فى الخروج ، حتى لا يشعر به الراصدون ، مع خطر مهمتهم ، وعظيم اهتمامهم ، وكذلك سلوكه طريقا غير مطروق كثيرا ، واختباؤه فى الغار ثلاث ليال ، وهى المدة التى تغلب على الظن أنهم يطلبونه فيها ، ثم يتسرب اليأس إلى نفوسهم .

٤ - كانت الهجرة مبدأ عهد جديد لظهور الإسلام وقوته ، وانتشاره بسرعة عظيمة دهش لها التاريخ ، بعد أن مضت عليه ثلاث عشرة سنة يعانى أقصى ضنك من المشركين ، ورسول الله - صلى الله عليه وسلم - ممنوع من الجهر بالعبادة ، والمسلمون يتجرعون غصص العذاب الشديد ، حتى اضطر بعضهم قبل ذلك إلى الهجرة إلى الحبشة وسبق معظمهم النبى - صلى الله عليه وسلم - إلى المدينة ، وقد آخى النبى - صلى الله عليه وسلم - بين المهاجرين والأنصار أخوة فاقت أخوة النسب ، فبدلهم الله بوطنهم وطنا ، وبأهلهم أهلا ، وبضعفهم قوة ، وبذلهم عزا ، وببغضهم محبة .

﴿ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُو الدَّارَ وَالْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾ ﴾

[الحشر : ٩] .

الأنصار

دروس فى الحب والإيثار

للأستاذ / عاطف شحاتة زهران

الإيثار هو تقديم الغير على النفس وحظوظ الدنيا رغبة فى الحظوظ الدينية ، وينشأ ذلك عن قوة اليقين وتوكيد المحبة والصبر على المشقة .

والإيثار ليس عن غنى وإلا كان سخاء ، وإنما جاء عن فقر ولا يكون إلا فى الخير ويعين عليه ثلاثة أشياء :

١ - تعظيم الحقوق ، فإن عظمت الحقوق عنده قام بواجبها ورعاها حق رعايتها واستعظم إضاعتها وعلم أنه إن لم يبلغ درجة الإيثار لم يؤدها كما ينبغى فيجعل إيثاره تحوطا لأدائها .

٢ - مقت الشح . فإنه إذا مقته وأبغضه التزم الإيثار ، فإنه يرى أنه لاخلاص له من هذا المقت البغيض إلا بالإيثار .

٣ - الرغبة فى مكارم الأخلاق ، وبحسب رغبته فيها يكون إيثاره لأن الإيثار أفضل درجات مكارم الأخلاق[١] .

فإذا سكن نور الإسلام فى القلب وتمكن اليقين من النفس ووقر الإيمان فى القلب كان رضا الله واتباع أوامره هو المطلوب دون رضا الناس واتباع الهوى . .

قال سبحانه :

﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾
(الحشر : آية ٩) .

وقد جاءت الآية فى صدد ذكر الأنصار فى المدينة لما استقبلوا المهاجرين وأفسحوا لهم من دورهم وقسموا لهم من أموالهم فى غير تبرم .

روى أن رجلا من أصحاب النبى - ﷺ - بات عنده ضيف ولم يكن عنده إلا قوته وقوت صبيانه فقال لامرأته : نومى الصبية وأطفئى السراج وقربى للضيف ما عندك ، فنزلت الآية[٢] .

---

١ - مدارج السالكين لابن القيم ، جـ ١ ، ص ٣١١ .

٢ - رواه مسلم فى صحيحه ، كتاب الأشربة ، رقم ٢٠٥٤ .

وهذه أم المؤمنين عائشة ـ رضى الله عنها ـ سألها مسكين وهى صائمة وليس فى بيتها إلا رغيف واحد . فقالت لمولاة لها : أعطيه إياه.. فقالت : ليس لك ما تفطرين عليه ! فقالت : أعطيه إياه . ففعلت ، فلما أمسينا أهدى لنا إنسان ما كان يهدى لنا شاة وكفنها . فدعتنى عائشة فقالت : كلى من هذا ، فهذا خير من قرصك[3] .

فهى لم تعلم به ولم تعول عليه فتثق به ، إذ لم يكن هذا يهدى إليهم فى العادة ولكن الله عوضها من حيث لا تحتسب . وكان بعض وجوه العرب يأتون إلى الشاة إذا سلخوها غطوها بعجين البر وكفنوها به ثم علقوها فى التنور فلا يخرج من ودكه شىء إلا فى ذلك الكفن وذلك من طيب الطعام عندهم .

قال علماؤنا : وهذا من المال الرابح والفعل الزاكى عند الله ـ تعالى ـ يعجل منه مايشاء ولا ينقص ذلك مما يدخر عنده[4] .

المهاجرون سبقوا بالإيثار:

أثنى الله ـ سبحانه ـ على المهاجرين أطيب الثناء وأخبر أنهم فقراء ، وأنهم أخرجوا من ديارهم وأموالهم مرغمين ، وأن الغاية من وراء ذلك كله غاية جليلة

﴿ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ﴾

(الحشر : آية ٨)

فهم لم يؤثروا الراحة ولم يخلدوا إلى القعود بل آثروا طريق الهجرة والجهاد تاركين من ورائهم كل شىء ... حملوا راية الإسلام وكفى ، فهان عليهم ما وراء ذلك .

فهذا أبو سلمة أول مهاجر من مكة يترك امرأته وولده عند أهلها مرغما ليلحق بيثرب ، وهذه زوجته يؤخذ طفلها منها عنوة ويفرق بينها وبينه ولا يعلم إلا الله وحده متى يلتئم شملهم جميعا ، وهى تصبر قرابة السنة على تلك الحال لا تسلية لها إلا يقينها بالله وأملها فى مرضاته وربما قضت إرادة الله باجتماعهم ولو بعد حين .

وهذا صهيب الرومى يخير بين ماله وهجرته ، فلا يتردد لحظة واحدة ويتنازل راضيا عن كل ما يمتلك وحسبه أنه سيلحق بالنبى وصحبه الكرام . فما قيمة كل أموال الدنيا مقابل سعادة الدارين ؟ ويكفيه أن النبى صلى الله عليه وسلم دعا له بخير لما علم خبره فقال : « ربح صهيب ... ربح صهيب » .

وقد شاعت هذه الأخبار وغيرها وتناقلها الناس فيما بينهم وعلمها الأنصار فعظُم المهاجرون فى قلوبهم واجتهدوا فى تقديم أى شىء لهم عساهم يلحقوا بهم .

إيثار مبعثه الحب:

وسنقف مع آية سجلت مآثر الأنصار وخلدت حبهم للمهاجرين وإيثارهم إياهم ليقرأها الناس على مدى القرون ما كان فى الناس قرآن يتلى وقلوب تعى وأناس تهفو نفوسهم لتلك المثل .

قال سبحانه : ﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾

(الحشر : آية ٩)

---

٣ ـ الموطا للإمام مالك كتاب الصدقة ، ص ٦١٦ .

٤ ـ تفسير القرطبى ، جـ ١٨ ، ص ٢٦ .

إنهم أولئك الأفذاذ الذين أعلى القرآن ذكرهم وأجزل الثناء عليهم ووصفهم بصفات ثلاث :

أولا : الحب ﴿ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ ﴾

ثانيا : طهارة القلب من الحسد : ﴿ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا ﴾

ثالثا : الإيثار على كل حال :

﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾

وعقب على ذلك بحكم إلهى مهم

﴿ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾

كان المهاجرون فى دور الأنصار بعد أن آخى رسول الله بينهم جميعا ، فلما غنم عليه السلام أموال بنى النضير دعا الأنصار وشكرهم فيما صنعوا ثم قال : « إن أحببتهم قسمت ما أفاء الله على من بنى النضير بينكم وبينهم ، وكان المهاجرون على ما هم عليه من السكنى فى مساكنكم وأموالكم وإن أحببتم أعطيتهم وخرجوا من دوركم » ، « فقال سعد بن عبادة وسعد بن معاذ : بل تقسمه بين المهاجرين ويكونون فى دورنا كما كانوا ، ونادت الأنصار : رضينا وسلمنا يارسول الله . فدعا لهم وقال : « اللهم ارحم الأنصار وأبناء الأنصار » وأعطى المهاجرين ولم يعط الأنصار شيئا إلا ثلاثة نفر محتاجين هم : أبو دجانة وسهل بن حنيف والحارث بن الصمة لحاجتهم(٥) .

إنه الحب الصادق الذى خلا مما يفسده والناشىء من ناحيتين :

١ ـ التربية التى رباهم عليها النبى ﷺ .

٢ ـ يقينهم أنهم مهما بذلوا لإخوانهم المهاجرين فلن يوفوهم عن بذلهم وعن تضحيتهم فى سبيل الدعوة .

ومع هذا البذل لم يحسدوا المهاجرين على ما خصوا به من مال الفىء وغيره ﴿ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا ﴾ فكل ما يجد الإنسان فى صدره مما يحتاج إلى إزالته فهو حاجة »

قال الحسن : أى حسداً وحرارة وغيظا مما أوتى المهاجرون من دونهم ، وأطلق اسم الحاجة على الحسد والغيظ والحرارة لأن هذه الأشياء لا تنفك عن الحاجة(٦) .

الشح : الداء المهلك:

إنه الداء الوبيل الذى هلك به أناس كثيرون . . . وهو حرى بأن يقضى على أية أمة استحكم فيها ، ومن هنا جاءت حرب الإسلام عليه والتحذير من خطره حتى تبقى الأمة الإسلامية بأخلاقها وعطائها وتضحياتها مهيبة الجانب متماسكة الأخلاق .

قال سبحانه : ﴿ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾

(الحشر : آية ٩)

قيل : الشح هو البخل مع الحرص وقيل : البخل هو الامتناع عن إخراج ما حصل عندك ، والشح هو الحرص على تحصيل ما ليس عندك .

قال كسرى لأصحابه : أى شىء أضر بابن آدم ؟ قالوا : الفقر . قال : الشح أضر من

٥ ـ نفسه ، ص ٢٣ .

٦ ـ تفسير الفخر الرازى ، جـ ١٥ ، ص ٤٧٨ .

الفقر ، لأن الفقير إذا وجد شبع والشحيح إذا وجد لم يشبع أبدا . وقد حذر منه النبى ﷺ فقال : « اتقوا الشح فإن الشح أهلك من كان قبلكم حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم[٧] » وإنما كان الشح سبب هلاكهم لأن فى بذل المال والمواساة تحابيا وتواصلا ، وفى إمساكه تهاجرا وتقاطعا وذلك إنما يجر إلى التشاجر والتغادر . من سفك الدماء واستباحة المحارم .

قال القاضى : يحتمل أن يكون الهلاك هو الهلاك الذى أخبر عنهم به فى الدنيا بأنهم سفكوا دماءهم ، ويحتمل أنه هلاك الآخرة ، وهذا الثانى أظهر ، ويحتمل أنه أهلكهم فى الدنيا والآخرة[٨] .

رأى أحدهم فى الطواف رجلا يقول : اللهم قنى شح نفسى . . لا يزيد على ذلك . فقيل له فى ذلك فقال : إنى إذا وقيت شح نفسى لم أسرق ولم أزن ولم أقتل . وإذا الرجل عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه .

عرف القوم خطورة الشح فاجتهدوا فى حربه ، وبين لهم النبى ﷺ الطرق التى تضمن السلامة منه فقال : « برىء من الشح من أدى الزكاة وقرى الضيف وأعطى فى النائبة » رواه الطبرانى .

درس من غلام :

نزل عبد الله بن جعفر إلى ضيعة فنزل على نخيل قوم وفيه غلام أسود يعمل فيه ، إذ أتى الغلام بقوته فدخل الحائط كلب ودنا من الغلام فرمى إليه الغلام بقرص فأكله ثم رمى إليه الثانى والثالث فأكله وعبد الله ينظر إليه . فقال : يا غلام كم قوتك كل يوم ؟ فقال : ما رأيت . قال : فلم آثرت به هذا الكلب ؟ قال : ما هى بأرض كلاب ، إنه جاء من مسافة بعيدة جائعا فكرهت أن أشبع وهو جائع . قال : فما أنت صانع اليوم ؟ قال : أطوى يومى هذا . فقال عبد الله بن جعفر : ألام على السخاء إن هذا الغلام لأسخى منى ، فاشترى الحائط والغلام ومافيه فأعتق الغلام ووهبه منه[٩] .

إنه الارتفاع فوق حاجات النفس وأطماعها ، وإيثار تتسع دائرته حتى تصل إلى الحيوان . . .

من الإيثار إلى الأثرة :

أخبر النبى بتحول يطرأ على الأخلاق وبأدواء تعتريها ، إذا ابتعد أقوام عن المنهل الصافى وآثروا أنفسهم ، فحدثنا على أناس سيصابون بالأثرة وأمرنا آنذاك بالصبر عليهم .

فقال : « سترون بعدى أثرة فاصبروا حتى تلقونى على الحوض » (رواه أحمد) . أى سيجىء أناس هم أحدهم تضخيم ثروته وثروة ذويه ، يؤثرون أنفسهم ويختصون بحظوظ دنيوية ، يفضلون عليكم من ليس له فضل ، ويؤثرون أهواءهم على الحق الواضح والصراط المستقيم وعلينا أن ننصح ونكشف عن الحق ونقدم هدى الإسلام .

لقد خوف القرآن الكريم من أتباع الهوى وحذر النبى ﷺ من الشح وخطره . فأفلح أقوام أطاعوا ، وقدموا لنا مثلا رفيعة وتاريخا مجيداً نتذكره فنرفع رؤوسنا فخراً بأسلافنا ، ولا ينقصنا إلا أن نسير على الدرب واثقين بما عند الله طامعين فى مرضاته ﴿ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّلْأَبْرَارِ ﴾ .

---

٧ - صحيح مسلم كتاب البر والصلة ، رقم ٢٥٧٨ .

٨ - فيض القدير فى شرح أحاديث الجامع الصغير للمناوى ، جـ١ ، ص ١٣٥ .

٩ - إحياء علوم الدين ، جـ٣ ، ص ٢٥٢ .

الهجرة الكبرى .. أسرار وأنوار ـ بقية ـ

أن القرى التى عتت عن أمر ربها عاجلها الله وربما أمهلها قليلا ، ثم كان أخذه صاعقا وبيلا والإخراج فى هذه الآية يحدده وأمثاله ما صرح به الله فى بعض الآيات :

﴿ وَهَمُّوا۟ بِإِخْرَاجِ ٱلرَّسُولِ ﴾ (التوبة/١٣)

فهم قد جاوزوا الحدود فى دواعى الإخراج ودوافع التحول عن مكة التى كان يضن بها .

وقد روى ابن أبى حاتم بسنده عن ابن عباس رضى الله عنهما أن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ لما خرج من مكة إلى الغار وأتاه ، التفت إلى مكة وقال : « أنت أحب البلاد إلى الله ، وأنت أحب البلاد إلىَّ ولولا أن قومى أخرجونى منك ما خرجت » ، فأنزل الله على نبيه : ﴿ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ ﴾ (١٣/ محمد) تفسير ابن كثير جـ ٤ .

والآيات تلقى التراب فى وجوه الطغاة الذين يظلمون الناس ويبغون فى الأرض بغير الحق ، ويربط بها الله على قلب محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ وصحبه لتظل خيول الإسلام مسرجة حول العقيدة الحقة ومن دون البلاد والعباد حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله . ومن خلال إيغال المشركين فى أذى النبى وصحبه ، علم الله ورسوله فى مكة أن يدعو فى صلاته وفى غيرها ويفزع إلى مولاه أن يتولاه . روى الترمذى وقال حسن صحيح عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ : « كان النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ بمكة ثم أمرنا بالهجرة ، فنزلت :

﴿ وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِى مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِى مُخْرَجَ صِدْقٍ وَٱجْعَل لِّى مِن لَّدُنكَ سُلْطَـٰنًا نَّصِيرًا ﴾ (٨٠/الإسراء) .

والذين كتبوا فى شمائله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ذكروا أنه كان يعجبه الاسم الحسن والكنية الحسنة وكان يستبشر ويتفاءل ، وماكان التشاؤم من سماته حاشاه ، وذكروا أنه فى أحرج المواقف ، وأعتى ظروف التحدى كان على أرفع مستوى بشرى من تفاؤله واستبشاره وأمله فى الله ومن خلال ما كان يتحرك فيه من الرصد والطلب فى الهجرة يروون أنه كان ينظر إلى الأمام دائما ، وكان أبو بكر يتقدمه تارة ويتأخر عنه تارة افتداء له ـ صلوات الله عليه ـ روى عبد الله بن بريدة الأسلمى عن أبيه بريدة أنه ركب فى سبعين رجلا من أهله بنى سهم فتلقى النبى فى طريق هجرته فقال له النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ من أنت ؟ قال : أنا بريدة ، فالتفت النبى فقال يا أبا بكر ، برد أمرنا وصلح! ثم قال لى : ممن أنت ؟ قلت من أسلم ، فقال لأبى بكر سلمنا! ثم قال لى : من بنى من ؟ قلت من بنى سهم ، فقال : خرج سهمك يا أبا بكر !!

إنه النبى الذى أدخله ربه مدخل صدق إلى المدينة بعد أن كان مع الله على الصدق والوفاء ، وصبر النفس مع أولى العزم فى التأسى والافتداء ، وهو يقول : « والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه » البخارى بسنده عن ابن عمر رضى الله عنهما ، ويقول : « لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية » البخارى بسنده فى الجهاد ومناقب الأنصار وغيرها .

والعاقبة عند ربك للمتقين .

العطاءات الفقهية والتاريخية

ليوم عاشوراء

للأستاذ/
محمد عبد الحكيم القاضى

نحمد الله الولى الحميد ، الغفور الودود ، ونصلى ونسلم على سيدنا محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ النبى الأمى الكريم ، الرؤوف الرحيم ، وعلى آله وصحبه والتابعين ، وجميع الأنبياء والمرسلين .

ثم نشرع ـ بحمد الله ـ فى هذه المقالة التى تشير ـ بإيجاز ـ إلى ما يفيضه يوم عاشوراء من عطاء فقهى وتاريخى . . عسى الله تعالى أن ينفع بها المسلمين المتقين ويدعو بها الطيبين من أتباع كل ملة ودين .

النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ وعاشوراء :

دخل النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ المدينة ، فوجد اليهود يعظمون يوم عاشوراء ، ويصومونه ، فسأل عن ذلك ، فقالت يهود : هذا يوم صالح ، هذا يوم نجّى الله بنى إسرائيل من عدوهم ، فصامه موسى ، فقال النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ :

« نحن أولى بموسى منهم » ـ « منكم » فصامه رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأمر بصيامه[1] .

---

(١) رواه الشيخان وغيرهما .

ويبدو أن تعظيم هذا اليوم الجليل لم يكن مقصورا على بنى إسرائيل ، ولا كانت بركاته محددة فيهم ؛ فالعرب كانت تصومه فى جاهليتها ، وشارك النبى فى ذلك ، وهذا يدل على أن تعظيمه وبركاته أوسع من بنى إسرائيل ، « ولعلهم تلقّوه من الشرع السالف » ، فتكون من بقايا شرائع الأنبياء الكرام ، التى احتفظت بها العرب كالحج .

وقد روى جماعة من أصحاب الحديث أن يوم عاشوراء كان - أيضا - اليوم الذى استوت فيه سفينة « نوح » على الجودى ، ونجاه هو ومن معه من الطوفان ، وقضى الأمن من الله - تعالى - بإهلاك الظالمين ، روى ذلك عن قتادة وغيره ، أنه قال[٢] : « ركبوا فى عاشر رجب ، فساروا مائة وخمسين يوما ، واستقرت بهم على الجودى شهرا ، وكان خروجهم من السفينة فى يوم عاشوراء » .

وقد ورد مثل هذا أو نحوه فى حديث مرفوع رواه ابن جرير - رحمه الله - وأنهم صاموا يومهم هذا[٣] .

قلت : وروى الإمام أحمد مثله أو نحوه ، وهذا يدل على أن للحديث أصلا[٤] ، كما ورد : أن قريشا أذنبت فى الجاهلية فأمروا أن يصوموا هذا اليوم كفارة لهم ، وأيًّا كان الأمر فلا يبعد مثل هذه الكرامة على مثل يوم عاشوراء ؛ ألا ترى أن العرب كانت تجعله لكسوة الكعبة وغير ذلك من الأمور العظيمة[٥] ، ومن ثمة قال النبى - صلى الله عليه وسلم -[٦] : « وصيام يوم عاشوراء احتسب على الله أن يكفر السنة التى قبله » .

كما عبر - صلوات الله عليه - مرة أخرى - عن عظمته فقال :

« هذا يوم من أيام الله تعالى »[٧] .

حتى الاشتقاق اللغوى لهذا الاسم يوحى بتعظيم عربى لغوى ، فقد نقل بعض اللغويين أن العرب تقول : خابوراء ، وهو مبالغة من (خابر) يراد بها التعظيم ، فهذه الصياغة (فاعولاء) موضوعة للتعظيم ، ولذلك قال القرطبى - رحمه الله[٨] :

« عاشوراء معدول عن (عاشِرَة) للمبالغة والتعظيم » .

وهذا الوزن نادر ، بل ربما لم يوجد عند العرب مسموعا إلا هاتان اللفظتان ، حتى ظن كثير من العلماء أن (عاشوراء) غير عربى .

فريضة منسوخة ، وفضيلة باقية :

لقد صامه النبى - صلى الله عليه وسلم - قبل المبعث ، فلما جاء المدينة فرض صيامه على المسلمين ، فى السنة الأولى ؛ حيث « أمر رجلا من أسلم أن أذن فى الناس أن من كان أكل فليصم بقية يومه ، ومن لم يكن أكل فليصم ؛ فإن اليوم يوم عاشوراء[٩] »

(٢) تفسير ابن كثير ط/الشعب : ٢٥٧/٤ .
(٣) المصدر السابق .
وراجع تفسير الطبرى ط/ دار المعارف : ٣٣٥/١٥
(٤) المسند = ٣٦٠/٣٥٩/٢ .
وقد وهم شيخنا الجليل د. الحسينى هاشم فعزا هذا .
اللفظ للبخارى ومسلم (المسند - دار المعارف : ٢٩٢/١٦ ح ٨٧٠٢) .
(٥) فتح البارى ٤٩٧/٦ .
(٦) رواه مسلم وغيره .
(٧) راجع فى احاديث تفضيل هذا اليوم : مجمع الزوائد للهيثمى ١٨٢/٣ : ١٨٦ .
(٨) المفهم شرح صحيح مسلم . ط/ دار الكتاب المصرى - اللبنانى : ١٨٨٢/٤ .
(٩) فتح البارى : مصدر سابق . والحديث رواه احمد والطبرانى . قال الهيثمى « رواه احمد ثقات »

وقالت عائشة رضى الله عنها : « . . . فلما قدم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - المدينة صامه وأمر الناس بصيامه ، فلما فرض رمضان كان هو الفريضة ، وترك عاشوراء ، فمن شاء صامه ومن شاء تركه[١٠] » .

وهذا ظاهر جدا فى أن صوم يوم عاشوراء كان واجبا ، وأن تركه هو ترك الوجوب ، وهو قولها : « فلما فرض رمضان كان هو الفريضة ، وترك عاشوراء » ، وتفسيرها لهذا الترك بقولها : « فمن شاء صامه ، ومن شاء تركه » .

فدل ذلك على أن رمضان قد حل محل عاشوراء فى الفريضة ، وأن ترك عاشوراء هو ترك للفريضة لا للفضيلة . وهذا هو مذهب جماعة من السلف ، وبه قال أبو حنيفة وأحمد بن حنبل - رحمهما الله تعالى - وذهب أصحاب الشافعى إلى أنه لم يكن واجبا ، وإنما كان تطوّعا ، واحتجوا بأن النبى - صلى الله عليه وسلم - أمر المفطرين بالصوم ، يعنى بإنشاء الصوم فى أثناء النهار ، قالوا : « وهذا لا يجوز إلا فى صوم التطوع ، وأما الواجب فلا يجوز إلا بنية قبل الفجر » ، وهكذا احتجوا بأنه لم يأمر المفطرين بالقضاء .

وظواهر الأحاديث - على قدر علمنا - أقوى من هذه المفاهيم ، ولتحرير هذه الخلاف موضوع غير هذا الموضع الذى لم يُقصد فيه إلى التحرير ، ويمكن مراجعته فى المطولات ، أو فى « زاد المعاد من خير هدى العباد » للعلامة ابن القيم رحمه الله ، حيث العبارة الطليّة ، والإشارة الذكية ، والمناقشة المرضيّة ، وننقل منه هذه الأسطر التى يقول فيها معلّلاً صحة القول بأن صوم يوم عاشوراء كان واجبا[١١] :

« لأنه قد ثبت الأمر به ، وتاكيد الأمر بالنداء العام ، وزيادة تأكيده بالأمر لمن كان أكل بالإمساك ، وكل هذا ظاهر قوى فى الوجوب » .

قلت : ثم نُسخ هذا الوجوب برمضان ، نقل الإجماع على ذلك الإمام ابن عبد البر ، قال ابن حجر[١٢] :

« ونقل ابن عبد البر الإجماع : على أنه الآن ليس بفرض ، والإجماع على أنه مستحب » ، ولعله احترز بقوله (الآن) لأن القاضى عياضا نقل أن بعض السلف - يرحمهم الله تعالى - كان يرى بقاء فريضة عاشوراء ، قال الحافظ : « لكن انقرض القائلون بذلك » .

وإذا كانت الفرضية قد نسخت بالاستحباب ، فإنه بقى مع الاستحباب مزية ، بل مزايا ؛ من أولها ما يكون لصائم هذا اليوم من خير عند الغفور الرحيم سبحانه ، فقد كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول :

« صيام يوم عاشوراء أحتسب على الله تعالى أن يكفر السنة التى قبله » .

وكان ابن عباس رضى الله عنهما يقول :

« ما رأيت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يتحرى صيام يوم فضّله على غيره إلا هذا اليوم - يوم عاشوراء - وهذا الشهر - يعنى شهر رمضان » .

فيا هنيئا لمن صام هذا اليوم إيمانا واحتسابا ، ياهنيئا له هذه الغنيمة الباردة : أن يكفر له حول كامل من الذنوب والسيئات .

ومن ذا الذى يتقاعس عن نيل هذه الفضيلة العالية بهذا العمل القليل ؟

---

(١٠) رواه مسلم .

(١١) زاد المعاد لابن القيم ط/ الرسالة ٢/ ٧٥ .

(١٢) فتح البارى : ٦/ ٢٤٦ .

نحن أولى بموسى منهم :

بيد أن المزية السابقة ليست هى المزية الوحيدة التى بقيت من معطيات هذا اليوم الكريم ، فمن الملاحظ أن نبى الله - صلى الله عليه وآله وسلم - لما أخبرته اليهود أن يوم عاشوراء هو اليوم الذى نجى الله فيه موسى من آل فرعون ، وأنه صامه ، الملاحظ أنه علق على ذلك بقوله : « نحن أولى بموسى منهم » .

فصامه ، وأمر بصيامه هذا الأمر الحاث لجازم ، حتى أنه دفع الذى أفطر أول يومه أن يمسك .

هذا التعليق القولى ، واللازم العملى ، يعطى دلالة قوية على موقف أمتنا من الأنبياء السابقين ، وتوصيفا حيا لعلاقتها بهم :

« نحن أولى بموسى منهم » بل نحن أولى بكل نبى من قومه - حسب ما تقضيه شريعتنا الغراء ، وحسب ما نرى فى الأسطر القادمة شواهد له إن شاء الله تعالى .

هذه الأمة الخيرة الكريمة الوسط هى التى رفع الإسلام شأنها ؛ فكانت أمة آخر الزمان هى أمة الزمان كله ، ألسنا نقرأ فى الكتاب قول الله تبارك اسمه :

﴿ إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا ۗ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ ﴾

قال ابن جرير الطبرى رحمه الله تعالى[١٣] :

« إن أحق الناس بإبراهيم ونصرته وولايته ﴿ للذين اتبعوه ﴾ يعنى : الذين سلكوا طريقه ومنهاجه فوحدوا الله له مخلصين له الدين ، وسنوا سنته ، وشرعوا شرائعه ، وكانوا لله حنفاء مسلمين غير مشركين به ، (وهذا النبى) يعنى محمدا - صلى الله عليه وسلم - ﴿ والذين آمنوا ﴾ يعنى : والذين صدقوا محمد - صلى الله عليه وسلم وآله وسلم - ، وبما جاء به من عند الله تعالى :

ومثل ذلك قالت طائفة من السلف ، منهم قتادة والربيع وابن عباس ، قال قتادة : (كان محمد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - والذين معه من المؤمنين أولى الناس بإبراهيم) .

والذى يتأمل سياق الآيات الكريمات يتبين أن الحق سبحانه قد تجاوز عن اعتبار اليهود والنصارى - صراحة وتلميحا - فى ولاية إبراهيم - حيث قال :

﴿ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٦٧﴾ إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا ۗ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ ﴾

(آل عمران : ٦٧ ، ٦٨) .

قال العلامة المفسر الفقيه أبو محمد عبد الحق بن عطية الغرناطى الأندلسى فى تفسيره[١٤] : (أخبر الله سبحانه فى هذه الآية عن حقيقة أمر إبراهيم ، فنفى عنه اليهودية والنصرانية والإشراك ، الذى هو عبادة الأوثان ، ودخل فى ذلك الإشراك الذى تتضمنه اليهودية والنصرانية .

أمة الزمان كله :

إلى أن قال : « ثم أخبر تعالى - إخبارا مؤكدا أن أولى الناس بإبراهيم الخليل - عليه السلام - هم القوم الذين اتبعوه على ملة الحنيفية ، وهنا يدخل من اتبع الحنيفية فى الفترات ، وهذا النبى

---

(١٣) تفسير الطبرى ط/ دار المعارف : ٤٩١/٦ .

(١٤) تفسير ابن عطية : ٤٥٨/٢ .

محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ لأنه بعث بالحنيفية السمحة » .

ثم ألسنا نقرأ فى كتاب الله تعالى ما يدل على أننا أولى بموسى من بنى إسرائيل واقعا وعدلا ؟

ولو اعتبرنا الصيغة الماضية سؤالا استفهاميا ، فإنما تتحدد الإجابة عن هذا التساؤل : من أولى الناس بالرجل ، هل هم الذين اتهموه وسبوه ؟ أم الذين برّأوه وأيدوه ؟

إذا جاءك هذا فاعلم أن بنى إسرائيل قد اتهمت موسى وآذته ، وأن براءته ظلت فى كتابنا (القرآن) كتاب ـ أمة محمد ـ أمة آخر الزمان ـ بل أمة الزمان كله ، قال تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِندَ اللَّهِ وَجِيهًا ﴾ (الأحزاب/٦٩) .

وروى البخارى وغيره فى تفسير هذه الآية عن أبى هريرة :

إن موسى كان رجلا حييا ستيرا ، لا يرى من جلده شىء استحياء ، فآذاه من آذاه من بنى إسرائيل ، فقالوا : ما يستتر هذا التستر إلا من عيب بجلده ، إما برص ، وإما أدرة ، وإما آفة .

وإن الله ـ تعالى ـ أراد أن يبرئه مما قالوا لموسى ، فخلا يوما وحده فوضع ثيابه على الحجر ثم اغتسل ، فلما فرغ أقبل إلى ثيابه ليأخذها ، وإذا الحجر عدا بثوبه ، فأخذ موسى عصاه عريانا أحسن ما خلق الله وأبرأه مما يقولون .

فذلك قوله تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِندَ اللَّهِ وَجِيهًا ﴾ (الأحزاب/٦٩) .

وروى الحديث من حديث أنس بن مالك فى المسند ـ وفى بعض رواياته :

« .. فقالت بنو إسرائيل : قاتل الله الأفاكين ، وكانت براءته » .

هذا الخبر الموثق فى كتبنا ـ نحن أمة محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ يدل على أمر خطير ، مؤداه أن اتهام موسى ـ عليه السلام ـ كان عندهم ، وأن براءته سجلت عندنا ، ويبحث الباحث عن أثر لهذه البراءة فى كتبهم فلا يجد له أثراً ! مع أن هذه الكتب سجلت من حياة موسى بعد البعثة ماهو أقل شأنا من ذلك ، أما قبل البعثة فالعهد القديم لا يذكر إلا قصة ولادته ، وتبنى القصر الفرعونى له ، ثم خبر قتله لأحد المصريين ، ويقول مؤلفو (قاموس الكتاب المقدس !)[١٥] : « ولا نعلم شيئا عن تفاصيل حياته فى هذه المدة » .

ومع ذلك فإن ما قصته السنة النبوية المطهرة من أخلاق موسى ، ومنزلته عند الله تعالى ، لا تجده فى كتب بنى إسرائيل التى أغرقت فى الحكايات القليلة الجدوى .

فمن أحق بموسى ؟ أمة محمد ـ التى تذكر أنه يقوم النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ حين ينفخ فى الصور فيجد موسى عليه السلام باطشا بالعرش ، وأنه مثل أعلى للصبر ، وأنه حُيَيٌّ ستير ، وأنه يدافع عن التوحيد ويغضب لله ؟

أم قوم موسى ـ الذين اتهموه ثم نسبوا إليه فى كتابهم من الكذب ما نسبوا إليه ، فهو الذى يقول ـ «بزعمهم[١٦] : « فى ستة أيام صنع الرب السماء والأرض ، وفى اليوم السابع استراح وتنفس » .

ويقول للرب ـ واعظاً إياه[١٧] : « لماذا يارب يحمى غضبك على شعبك الذى أخرجته من

---

(١٥) قاموس الكتاب المقدس ط/ مجلس الكنائس العالمى : ص ٩٣١ .

(١٦) سفر الخروج : ١٨/٣١ .

(١٧) سفر الخروج : ٣٢/ ١٣ .

مصر ؟ .. ارجع عن حمو غضبك ، واندم على الشر بشعبك » .

ويبدو أن هذه الموعظة قد أحدثت أثرها فى هذا الرب العجيب ، إذ يقول كاتب سفر الخروج[١٨] :

« فندم الرب على الشر الذى قال إنه يفعله بشعبه » !!

ولكن مع ذلك الرب (!) ينقلب على موسى وهرون - عليهما السلام - فى آخر الأمر لأنهما ليسا من المؤمنين به - فى نظره ! - حيث يقول[١٩] : (من أجل أنكما لم تؤمنا بى حتى تقدسانى أمام أعين إسرائيل ، لذلك لا تدخلان هذه الجماعة إلى الأرض التى أعطيتهم إياها) .

وهكذا بقية الأنبياء :

أما عن هارون - أخى موسى ووزيره ، وعضده ونصيره - فحدث ولا حرج ، وبحسب المرء أن يقرأ فى كتب القوم ليعلم أن هارون - عليه السلام - هو الذى صنع لبنى إسرائيل العجل الصنم من الذهب ، ولبث معهم يعبده ، ويشرب الخمر ويرقص معهم حوله ، وبراءته من هذا الشرك القذر مسطورة فى كتابنا الكريم :

﴿ وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَـٰرُونُ مِن قَبْلُ يَـٰقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦ ۖ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحْمَـٰنُ فَٱتَّبِعُونِى وَأَطِيعُوٓا۟ أَمْرِى ﴿٩٠﴾ قَالُوا۟ لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَـٰكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ ﴾

(طه ٩٠/٩١) .

إلا أن دور أمة محمد - صلى الله عليه وسلم - فى حفظ مكانة الأنبياء لا يقتصر على موسى وهرون ، وإنما يمتد لأنبياء ما قبل (إسرائيل) ، ولأنبياء ما بعد موسى عليهم جميعا فهؤلاء جميعا ذخرت لهم الشهادة الصالحة ، والذكرى واحدا واحدا ، لكن نجتزىء بما يغنى إن شاء الله .

هذا نوح عليه السلام : يؤتى به يوم القيامة مع قومه ، فيسأل : هل بلغكم ؟ فيقولون لا . ماجاءنا من نبى . فيقول الله لنوح : من يشهد لك ؟ فيقول عليه السلام : محمد - صلى الله عليه وسلم - وأمته ، قال - صلى الله عليه وسلم - : فنشد أنه قد بلغ - وهو قوله جل ذكره :

﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَـٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ﴾

(البقرة/١٤٣)[٢٠] .

ونوح - عليه السلام - عندنا - هو الداعية إلى التوحيد ، الذابّ عن الله سبحانه ، الذى أقام ألف سنة إلا خمسين عاما يدعو إلى الحق ، ويظهر الهدى والخير ، فأين هذا كله فى أسفار القوم ؟؟ هذه أمته تنكرت له فى الدنيا والآخرة ، فماذا صنعت به بنو إسرائيل ؟

لم يذكر العهد القديم حرفا عن توحيد نوح أو دعوته للتوحيد ، وإنما ذكر فى الإصحاحات (السادس والسابع والثامن والتاسع) من سفر التكوين تطور حياة نوح وبعض أعماله - ممزوجة بأهواء الإسرائيليين - ولم ينس بنو إسرائيل أن يؤذوا نوحاً عليه السلام ، بقولهم فى الإصحاح التاسع[٢١] :

« ... وشرب (يعنى نوحاً) الخمر ، فسكر ، وتعرى داخل خبائه ، فأبصر (حام) أبو كنعان - عورة أبيه ، وأخبر أخويه خارجا .. » إلخ .

فمن أولى بنوح إذن : قومه الذين أنكروه ؟ أم بنو إسرائيل الذين لمزوه ؟ أم أمة محمد التى حفظت عندها قدره وأكرموه ؟

(١٨) سفر الخروج : ٣٢/ ١٥ .
(١٩) سفر العدد : ١٢/٢٠ .
(٢٠) رواه البخارى .
(٢١) سفر التكوين : ٢١/٩ : ٢٤ .

وهذا سليمان ـ عليه السلام :

وهو الملك العظيم من أنبياء بنى إسرائيل ، الذى تصفه كتبهم بأحسن الصفات ، ولكنها جميعا صفات لا تتعلق بالنبوة ، ولا بالعلاقة بالله تعالى ، ولا حتى بالخلق القويم ، ولا تعدل ـ مجتمعة ـ قطرة واحدة فى قوله تعالى عنه : من المصحف ﴿ نعم العبد إنه أواب ﴾ ص .

لقد استكثر بنو إسرائيل على سليمان أن يكون له صفات رجولية فى حياته ، كشدة الذكاء ، والحكمة ، والمهارة فى البناء والإدارة ، فلم يتورعوا أن يتهموه بغلبة الغرائز الجنسية ، ويكفى قراءة واحدة لسفر نشيد الإنشاد ليعلم مصداق ذلك ، وقد كتبت فصلاً صغيراً فى كتاب (الزنا المقدس) سميته (نشيد الإنشاد .. أفجر قصيدة حب فى التاريخ) . أما نشيد الإنشاد فهم ينسبونه صراحة لسليمان ، فيقولون فى أوله : « هذا نشيد الإنشاد ، الذى للملك سليمان بن داود » .

بل لم يتورعوا أن يتهموه بأنه كفر فى آخر حياته ، وأشرك بالله عز وجل اتباعا لشهوته مع النساء ، واستهواء العشيقات ، فيقول كاتب سفر الملوك الأول ـ لعنه الله تعالى :

« وأحب الملك سليمان نساء غريبة كثيرة .. وكان فى زمان شيخوخة سليمان أن نساءه أملن قلبه وراء آلهة أخرى ، ولم يكن قلبه كاملا مع الرب إلهه .. ، فذهب سليمان وراء (عشتورات) إلهة الصيدونيين ، و (ملكوم) رجس العمونيين إلخ ما جاء فى الإصحاح الحادى عشر من هذا السفر الكذوب .

انظر إلى هذا الكذب على نبى الله سليمان ، ثم انظر إلى هذه المقاطع من آى كتاب الله الفرقان ، ثم قارن .. حيث يقول الله تعالى :

﴿ نعم العبد ﴾ .

﴿ إنه أواب ﴾ .

﴿ وإن عندنا لزلفى وحسن مئاب ﴾ .

وحيث يقول على لسانه :

﴿ رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾

إلخ هذا الثناء المبارك من كتابه الكريم .

ثم أجب بعد ذلك :

من أولى بسليمان عليه السلام : هم ؟ أم نحن ؟

ولو ذهبنا نتتبع ذلك فى الأنبياء جميعا ، وفى أنبياء بنى إسرائيل خاصة لاحتاج ذلك إلى مجلد ، وسنصل إلى ما وصلنا إليه ، ويصبح صدقا وعدلا وقسطا وحقا قول رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ :

(نحن أولى بموسى منهم) .

إن هذه الأمة هى أمة الشهادة ـ أمة الصدق والحق والعدل والميزان .

مخالفة المشركين :

ومن ثم فهى أولى بشرع موسى ، وشرع كل نبى سبق ، مالم يكن قد نسخه شرعنا بما هو أحسن منه ، فقد جمعت شريعة آخر الزمان محاسن الشرائع ، فما كان فيها حسنا أثبتته ، وما كان محتاجا إلى تحسين جاءت به على أحسن ما يكون ، ولذلك يقول الله تعالى :

﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ ﴾ .

قال الإمام العلامة ابن تيمية ـ رحمه الله تعالى[٢٢] :

(فجعل القرآن مهيمنا ، والمهيمن : الشاهد

---

(٢٢) دقائق التفسير لابن تيمية ط/ : ٥٢/٣ ، ٥٥ .

الحاكم المؤتمن ، فهو يحكم بما فيها مما لم ينسخه الله ، ويشهد بتصديق ما فيها مما لم يبدّل) .

ثم قال :

(ولهذا كان مذهب جماهير السلف وأئمة : أن شرع من قبلنا شرع لنا ما لم يرد شرعنا بخلافه) .

قلت : وقد بان شيء من جلالة شرعنا الكريم ، حتى فيما وافق فيه ما سبقه من الشرائع ، فى صيام عاشوراء - ويعد هذا من عجائب الدلالة على محاسن الشريعة الكريمة ، وطرائف التفسير للآية السابقة ونحوها ، فلقد صامت بنو إسرائيل يوم عاشوراء - تعظيما له واحتفالا به - إلا أنهم لم يكونوا يحسبونه بالهلال ، وإنما حسبوه بالشهور الشمسية ، فكانوا - على رغم إرادتهم صومه - لايصيبونه ، وهذا من إضلال الله لهم مزية اليوم ليدخروها لأمة محمد - صلى الله عليه وسلم - كما فعل فى يوم الجمعة ، وصحت بذلك السنة ، ولعل إضلال اليهود يوم عاشوراء ، فالمعروف أنه صلوات الله عليه إنما قدم المدينة فى شهر ربيع الأول ، قال الحافظ فى (الفتح)[٢٣] :

(... ويحتمل أن يكون أولئك اليهود كانوا يحسبون يوم عاشوراء بحساب السنين الشمسية ، فصادف يوم عاشوراء بحسابهم اليوم الذى قدم فيه المدينة ، وهذا التأويل مما يترجح به أولوية المسلمين وأحقيتهم بموسى عليه السلام .

قلت :

وقول الحافظ (يحتمل) فيه بغض النظر ، لأنَّا لا نعرف لليهود حسابا بالقمر ، إنما اعتمادهم على الشمس ، ويؤيد ذلك قول زيد بن ثابت فى هذا اليوم :

(.. وكان يدور فى السنة .. وكانوا يأتون فلانا اليهودى - يعنى لحساب موقع هذا اليوم) .

ثم هناك ملمح آخر يبنى على الملامح السابقة فى اتباع هدى من قبلنا ، وهو مخالفة المشركين فى طريقة العمل بهذا الهدى ، وهذا واضح من قول النبى - صلى الله عليه وسلم - حين صام يوم عاشوراء .

وقد روى مثل هذا المعنى مرفوعا من حديث داود بن على عن أبيه عن جده عبد الله بن عباس - يرفعه ، ولكنى أجد فى نفسى شيئا من داود ، وقد تكلم فيه ، والله أعلم بحاله ، لكن يتوقى حديثه - خصوصا ما تفرد به أو خالف الرواة فيه عن جده - مثل هذا الحديث . إلا أن المعنى صحيح ، وقد صح موقوفا ، وعليه جماعة السلف والعلماء ، أنه ينبغى خلافهم فى صوم عاشوراء .

وترك التشبه بالكفار فى هديهم وسمتهم الخاص واجب ، والدلالة عليه ظاهرة ، ويكفى فى الإشارة إليه قوله صلى الله عليه وسلم[٢٤] :

« من تشبه بقوم فهو منهم » .

وعلى الله قصد السبيل .

---

(٢٣) فتح البارى = ٢٤٧/٦ .

(٢٤) حديث صحيح رواه احمد وابو داود ، وذكره البخارى تعليقا . وصححه الالبانى فى صحيح الجامع .

حاجة الإنسانية إلى الإسلام

للأستاذ الدكتور
رشدى عزيز محمد

لا جدال فى أن المسلمين فى عصرنا الحاضر هم أحوج ما يكونون إلى من يأخذ بيدهم ؛ ليعودوا إلى طريق الإسلام ، وخاصة أن سحبا قاتمة من بريق الحضارة قد حالت بين الكثيرين منهم ، وبين تعاليم دينهم الحنيف ، وأحسب أنه قد آن الأوان كى نستجيب لرغبات مثقفى المسلمين ومفكريهم ، فى وجوب العودة إلى الإسلام ، كرسالة جامعة يلتقى حولها المسلمون فى كل أرجاء الدنيا .

فالأمة الإسلامية التى يشكل العرب فيها واسطة العقد ، وقاعدة الأساس ، تصحو اليوم على آمال جديدة ، وطموحات واسعة ، تستيقظ بعد سنوات طويلة من السبات العميق ، وتتلفت حولها فتجد نفسها راكدة منطوية على نفسها ، بينما تجد أمما أخرى كانت فى المؤخرة فأصبحت فى المقدمة ؛ ولذلك فهى الآن على مفترق الطرق ، تعمل جاهدة ؛ لتنفض عنها أوزار الكسل والركود ، ولتتعرف على الطريق الذى يهىء لها حاضراً عزيزاً ، ومستقبلاً أعز وأشرف .

وحين تكون أمة من الأمم كحالة أمتنا اليوم فى نقطة البدء ، تكثر فى سوقها بضاعة المبادىء والدعوات ، ويخرج الداعون للأفكار كل يزين بضاعته ويقدمها على صورة تأخذ بالأبصار ، والأمة الواعية هى التى تحسن انتقاء الأفضل من هذه المبادىء ، فإذا ماأساءت الاختيار ، وعجزت عن التقويم السليم للآراء المعروضة ، جلبت على

(*) الكاتب رئيس قسم العقيدة والفلسفة بكلية اصول الدين والدعوة بالمنوفية .

نفسها مصائب لا تنتهى ، فالخطأ فى نقطة البدء صعب التقويم والإصلاح .

ويجب ألا يغيب عن أذهاننا أن أبواب الفكر فى عصرنا مفتوحة على الثقافات جميعها ، فوسائل الإعلام المختلفة ، ودور النشر ، والترجمات ، كل هذا سهّل انتقال الآراء والأفكار ، فأصبح من المستحيل أن تغلق أمة على نفسها نوافذ المذاهب والأفكار الوافدة ، من شتى الأقطار والمجتمعات .

ومن هنا اشتدت الحاجة إلى وجوب العودة إلى الإسلام ، ومعرفة جوهره ، وتعاليمه ، فهذه المعرفة بالإضافة إلى كونها ضرورية ؛ للتعرف على ما لدينا من مقومات الوجود والتقدم ، فإنها ضرورية للتسلح بها تجاه الأفكار والعقائد الأخرى ، وحين يتعرف المسلم على حقيقة دينه وسعة جوانبه وضخامة ما يستطيع أن يقدمه للإنسانية جمعاء يزداد ثقة بنفسه لثقته بعقيدته ، ويقوى أمله فى حاضر مجيد ومستقبل أمجد .

ولعل من المفيد هنا أن نلقى نظرة سريعة على حال العرب قبل الإسلام وبعده ، لندرك بجلاء مدى أهمية الإسلام ، وماجاء به من عقيدة ونظام شامل للحياة ، وما حواه من معارف سامية .

فلقد جاء الإسلام وليس للعرب شخصية فكرية متميزة ، صحيح أنهم كانوا يملكون النظرة البسيطة ، وأن لديهم أصولاً طيبة لمكارم الأخلاق ، وبداهة رائعة فى الشعر والخطابة ، إلا أنه كان ينقصهم أهم ما يكوّن الأمم ويعطيها شخصيتها والشعور بذاتها ، والثقة بنفسها ، وهو الرسالة والعقيدة التى تلتقى حولها الطاقات وتتوحد الآراء فتسير منطلقة ، وقد حددت أهدافها ، وتبينت حقيقة وجودها .

جاء الإسلام ليعطى العرب حياتهم وسر وجودهم فأمكن لهذه الإمكانيات الفطرية أن تنطلق وتبدع ، لذلك نجد حياة العرب فى الجاهلية ضحلة سبخة ، بينما نرى حياتهم مع الإسلام غنية وارفة ، لقد وضع العرب بالإسلام أيديهم على سر وجودهم فاستطاعوا أن يحققوا الكثير ، وأن يغنوا الإنسانية بالمبدأ والحضارة والتاريخ المشرق ، وظهرت بظهور الإسلام ثقافات جديدة وعلوم مبدعة ، وفنون ومعارف فى جميع نواحى الحياة ، لذا فقد نشأت الحاجة لتجديد التعرف على القرآن الكريم ، وسيرة الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ فظهرت علوم التفسير والحديث والسير وعلم الرجال ، ونشأت الحاجة إلى التقنين والتشريع ، فظهرت علوم الفقه والأصول ، وطمع المسلمون إلى مزيد من التعرف على أحوال الكون ، فظهرت العلوم التجريبية والمجردة كالرياضيات والفلك والحياة ، وأرادوا الاستفادة مما عند الأمم الأخرى ، فاستجدت دراسة علوم الفلسفة والأديان والعقائد . . وشعروا بأن لغة العرب رابطة متينة بينهم لأنها لغة القرآن فبرزت الحاجة إلى علوم اللغة العربية بشتى فروعها .

وهكذا لم يكتمل القرن الرابع الهجرى حتى كانت الأمة الإسلامية أغنى الأمم علماً وفكراً ، وأكثرها كفاية وكفاءة ، وأقواها عدة وشخصية .

وقد قدم المسلمون للإنسانية أضخم تراث علمى وأدبى ، وكان الأفراد الذين جمعهم درب

الثقافة الإنسانية الوارف أكثر من أن تضمهم مؤلفات فبرزت كتب طبقات الرجال ، واختص كل نوع من الكتب بطبقات معينة من المفكرين ، فهذه معاجم رجال الحديث ، وهذه معالم رجال الأدب ، وهذه طبقات الأطباء والحكماء ، وهكذا وجد من لم يجتمع لأمة من الأمم لا فى ماضيها ولا فى حاضرها .

وقد خلف آلاف الآلاف من المفكرين والعلماء ، آلاف الآلاف من الذخائر والنفائس التى زخرت بها آلاف الآلاف من المكتبات التى كانت تغطى العالم الإسلامى من مشارق الصين إلى الأطلسى ، ومن تركستان وغرناطة إلى عدن ودلهى بشكل يبهر العقول ويحير الألباب . ولقد دامت هذه الثقافة الإسلامية مدة طويلة ، وكانت أساساً للثقافة والحضارة الغربية المستقاة من تراث مفكرى الإسلام حتى نهاية القرن الثامن عشر الميلادى / الثانى عشر للهجرة ، وكانت بذلك بداية النهضة والتقدم فى أوروبا والعالم الغربى كله .

وهنا تبرز الحاجة إلى معرفة الإسلام وعلومه وثقافاته ، إنها حاجة متجددة مع تطور الفكر الإنسانى ، وتبدو ضرورتها والحاجة إليها فى نطاق العرب والمسلمين والإنسانية جمعاء .

أما حاجة العرب إليها : فلأن الإسلام هو الذى يميز الشخصية العربية ، بل إنه هو الذى يعطى العرب شخصيتهم وتميزهم ، وإلا فما معنى العربى والعروبة لولا الإسلام ؟

وإذا نظرنا إلى الموضوع من الزاوية القومية ، وجدنا أنفسنا ملزمين بالتمسك بالإسلام ، ونظمه ، وثقافاته ، فالقومية لا تنفصل عن مضمونها ، والقومية ليست مجرد لباس أو شكل ، أو شعار خارجى ، وإنما هى حقيقة ومضمون ، وإذا كان للعرب رسالة تميزهم عن غيرهم فليست هذه الرسالة إلا الإسلام ، والعروبة لا تتميز بمجرد الشعارات الفارغة والادعاء ، وأن أية محاولة لتجريد فكرة العروبة عن الإسلام ، هى محاولة لتجريد العروبة من روحها وحياتها ، والإبقاء على هيكل عار أجوف لا خير فيه ، ولا فائدة منه .

ولعل سبب حياة الحيرة والقلق التى يحياها العرب اليوم أن عددا من الشعوب العربية تبدو تائهة عن هذه الحقيقة ، فهى تتلمس كيانها وشخصيتها من خلال نظريات ومذاهب غريبة على العرب ، ناسية أن الشخصية تنبع من الذات لا من الغير ، لأنها حصيلة تاريخ ماض ، وحاضر واقع ، ومستقبل مأمول .

هذا بالإضافة إلى أن العرب بالإسلام يصبحون من الأمم ذات الرسالات والمبادىء ، وفرق كبير بين أمة ضائعة تائهة تأخذ من هنا وهناك لترقع ثوباً لا يبدو فيه الأصالة والطرافة ، وبين أمة رائدة قائدة تفاخر برسالة وتحمل مبدأ وعقيدة .

وأما حاجة المسلمين إلى الإسلام : فلأنه هو الذى يستطيع أن يوحد هذه الشعوب التى تضم أجناسا وألوانا متعددة ، وتتكلم لغات مختلفة ، ومع هذا فإنها تحن إلى معرفة الإسلام ، وتحس إحساسا عميقا بأن لا وسيلة لنصرتها وإنقاذها من الضياع وإبعاد الأيدى التى تنوشها من هنا وهناك إلا بالإسلام ، فالمسلمون دون الإسلام مفرقون

ضائعون فاقدون لكل مقومات الحياة والاحترام ، وهم بالإسلام أمة واحدة وكيان قوى واثق من نفسه شاعر بإنسانيته وإنسانية الرسالة التى يحملها وأفضليتها ، والإسلام هو الذى يجعل من المسلمين القوة الثالثة فى العالم ، القوة التى تستطيع أن توازن بين الكتل المتصارعة ، وقد يصبحون القوة الأولى فى العالم التى تهوى إليها النفوس والأفئدة إذا أدركوا قيمة رسالتهم الوسطى ، التى تجمع بين قوة المادة وضرورتها ، وبين أهمية الروح فى السيطرة على المادة المنطلقة كيلا تضل بها الطريق ، وتتجاذبها نوازع الشر ، وشهوات الأنفس .

وأما حاجة الإنسانية إلى الإسلام : فهى لا تقل عن حاجة العرب والمسلمين . فالمذاهب التى تسود العالم الآن لا تنظر إلا للجانب المادى من الحياة ، ومن هنا كانت المصلحة والأنانية والاستغلال هى الأخلاق السائدة فى تنظيم المجتمعات البشرية ، وحين تتخلى الإنسانية عن المثل والقيم الأخلاقية تصبح الحضارة والآلة والمخترعات وسائل إضرار وينقلب الإنسان إلى وحش كاسر .

إن الاستعمار وامتصاص دم الشعوب ، واستغلال خيراتها وطاقاتها ، والرفاهية على حسابها ، كل هذه الجرائم تصبح فضائل فى ظل حضارة زائفة تخلو من الروح والخلق ، والإسلام هو الذى يملك تسخير المادة والحضارة لخير الإنسانية ، وهو الذى يستطيع أن ينقذ الشعوب من المصير الذى تساق إليه بسبب انطلاق عقال المصلحة والأنانية والاستغلال ، والإسلام هو الذى يستطيع أن يكشف زيف الحضارة الغربية المادية ، وما تنطوى عليه من متناقضات ومفارقات .

إن الحضارة لاتعنى البريق الظاهر منها فحسب ؛ وأى فضيلة لحضارة تسمح لأفرادها أن يسرقوا الشعوب ويلتهموا خيراتها ؟ والكثيرون يتلمسون سبيل الخلاص ، فالعالم الذى لم يتحرر بعد يجب أن يجد له الإسلام طريقه للخلاص ، والعالم الذى يُستغل يجب أن يقدم له الإسلام سبيل الهداية والرشاد .

والمسلمون والعرب هم المهيئون للأخذ بيد العالم ، وقد أخذوا بيده يوماً ما فعرف الناس الاستقرار فى ظل الكرامة الوافرة والإنسانية الراشدة .

إننا نثق بأن رسالة الإسلام متجددة ودائمة ، وأن الإسلام هو الرسالة الأخيرة للإنسانية ، وأن مهمة الأمة الإسلامية لم تنته بعد ، وإلا فهل انتهى الاستغلال والاستعمار واسترقاق الشعوب لبعضها ؟ وهل تحرر الإنسان من الخوف على الحياة والرزق ؟ وهل قضى على الشرك بكل صنوفه الذى يخل بكرامة الإنسان ؟

إن مهمة الأمة الإسلامية متى أخلص رجالها مهمة قيادية توجيهية وصدق الله العظيم القائل :

﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾

(آل عمران : ١١٠)

والقائل :

﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾

(سورة البقرة : ١٤٣) .

والإسلام ولا شك أهل لهذه القيادة والريادة ، والمهم أن يخلص أتباعه فى تحمل مسئولياتهم ، ومتى تم ذلك فسيظل الإسلام والمسلمون بخير .

إن الإسلام فى عصرنا هذا لم ينل حظه من العناية ، وذلك لأسباب كثيرة من أهمها : ماأصاب الأمة الإسلامية من تفتت ووهن هيأ للاستعمار والمذاهب الوافدة مجالاً ليفعل كل هذا فعله فى إضعاف المسلمين ، وقد استيقظت الشعوب الإسلامية مبهورة بحضارة أوروبا والغرب ، وقوته ، وكانت مواقف مفكرى المسلمين أحد ثلاثة :

١ - فمن المفكرين من استسلم للحضارة الغربية ، وظن ألا طريق لاستعادة قوتنا إلا بواسطتها ، فظهر من يدعو إلى تقليد الغرب بأفكاره ونظرياته وعلومه ، أو بعبارة أخرى : اقتباس الحضارة الغربية بجميع حسناتها ومساوئها ، وقد وجد هذا التيار فى كثير من البلاد العربية والإسلامية ، وقامت على أساسه نظريات ومذاهب سياسية واقتصادية واجتماعية .

٢ - ومنهم من وجد أنه لا قبل له بهذه الحضارة الغربية القوية ، فظن أنه يحمى نفسه إذا أغلق الأبواب دونها ، وعاش على ما لديه دون أن يفتح باباً لتطور أو تجديد أو اقتباس ، إلا أن هؤلاء سيجدون عاجلاً أو آجلاً أن طبيعة الأشياء تأبى هذا الموقف ، وأنهم إما أن يقبلوا باقتباس المفيد وإجراء شيء من التطور والتجديد وإلا فإن تيار التاريخ سيخلفهم وسيلتفتون حولهم فى يوم فلايجدون نصيراً ولا قريباً .

٣ - ومن المفكرين من واجه الحضارة الغربية مواجهه الواثق من نفسه كمسلم ، المتمكن من شخصه كصاحب عقيدة خاتمة ، فميز بين الثقافة كمذهب ، ورأى وروح ، تتميز به الأمة عن غيرها ، وبين شئون الحضارة والعمران والمدنية ، وهذا هو الموقف السليم المتفق مع طبيعة الأحداث وحقائق التاريخ .

والحق : إن هذا التيار هو الطريق الأمثل أمام الشعوب الإسلامية ، فنحن بحاجة إلى شعوب تشعر بأنها المرجع للعالم كله ؛ لأنها تؤسس حضارة قوية قائمة على الإيمان ، والأخلاق ، والتقوى ، والرحمة ، والعدل فى جانب ، والقوة والإنتاج ، والرفاهية والابتكار فى جانب آخر ، ونحن بحاجة إلى شعوب تأخذ من الغرب ما تحتاجه البلاد ، وتفتقر إليه علمياً دون طابع شرقى أو غربى ، وليس هذا إلا العلوم التطبيقية التجريبية .

إن شعوبا من هذا النوع لن تنظر إلى الغرب كإمام أو زعيم ، وإلى نفسها كمقلد وتلميذ ، لأن هذه الشعوب تعلم أن الغرب إنما تفوق عليها بفضل ممارساته وتجاربه ، كما تفوقت عليه سابقاً ، ولئن أصبحنا الآن نتعلم من الغرب الكثير ، فهو يحتاج إلى أن يتعلم منا كما تعلم منا سابقاً ، وربما أكثر مما نتعلم منه .

إن الذى يدعو إليه هذا التيار هو محاولة الجمع بين حسنات الشرق والغرب ، وقوة الروح والمادة ، وإخراج منهج يجدر بالغرب أن يقلده ، لأنه يوازن بين حاجات النفس والجسد والروح والمادة ، بين العقل والفرد والمجتمع . . وهذا هو الإسلام .

عاشوراء

بين اليهودية والإسلام

لفضيلة الشيخ
زكريا أحمد نور *

عاشوراء هو اليوم العاشر من شهر المحرم وقد وردت أحاديث كثيرة فى استحباب صوم هذا اليوم ، وأن الأحاديث التى ورد فيها استحباب صوم هذا اليوم وأصل مشروعيته ترجع إلى طائفتين ؛ أولاهما تربط بين صيام عاشوراء وصيام يوم (كيبور) عند اليهود فتقرر أن الرسول عليه الصلاة والسلام قد صام عاشوراء وحبب إلى المسلمين صيامه بعد هجرته إلى المدينة حينما رأى اليهود يصومون يوم (كيبور) ومن هذه الطائفة ما أخرجه البخارى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال :

قدم النبى عليه الصلاة والسلام المدينة فأى اليهودى يصومون يوم عاشوراء فقال : ما هذا ؟ فقالوا : يوم صالح ، هذا يوم نجى الله فيه بنى إسرائيل من عدوهم فصامه موسى - عليه السلام - وأرسل مناديا ينادى من أكل فليمسك ومن لم يأكل فليصم وقد استدل أبو حنيفة بذلك على عدم ضرورة النية قبل صيام النفل . وثانيهما طائفة الأحاديث التى تقرر أن صيام اليوم العاشر من المحرم وهو يوم عاشوراء كان من شعائر قريش فى الجاهلية وأن الرسول - صلى الله عليه وسلم - كان يصومه قبل بعثته وأنه لما قدم المدينة جرى على عادته وأمر الناس بصيامه . ومن هذه الطائفة ما أخرجه البخارى كذلك عن عائشة رضى الله عنها قالت :

* عضو رابطة الادب الإسلامى العالمية

« كان يوم عاشوراء تصومه قريش فى الجاهلية وكان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يصومه فلما قدم المدينة صامه وأمر بصيامه ، فلما فرض رمضان ترك يوم عاشوراء فمن شاء صامه ومن شاء تركه » .

والمشاهد من هذا العرض أنه من المتعذر التوفيق بين هاتين الطائفتين ، فإحداهما تفيد أن صيام يوم عاشوراء قد استحدث بعد الهجرة من مكة إلى المدينة وتربط بينه وبين صيام يوم كيبور عند اليهود والثانية تفيد أنه شعيرة قديمة عند قريش ، وأن الرسول كان يصومه قبل قدومه إلى المدينة وأنه بعد قدومه إليها جرى على عادته فصامه وحبب إلى الناس صيامه . ومن هنا يتضح أنه لا علاقة بين صيام عاشوراء فى الإسلام وصيام يوم كيبور عند اليهود ، وقد حاول بعض العلماء التوفيق بين هاتين الطائفتين فوقعوا فى تعسف ظاهر ، فلا مناص إذن من ترجيح إحدى هاتين الطائفتين من الأحاديث على الطائفة الأخرى ونحن نرجح الطائفة الأولى لأمرين :

الأمر الأول : إن أحاديث الطائفة الأولى تفيد أن العاشر من شهر المحرم قد وافق مجيئه يوم دخول الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ المدينة وفى مدة إقامته بها ، وذلك فى يوم كيبور أى فى العاشر من شهر تشرى العبرى وأن الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ قد صام العاشر من المحرم فى اليوم نفسه الذى صام اليهود فيه صيام كيبور ، أى اليوم العاشر من تشرى العبرى ، مع أنه بحسب ما سنوضحه فى هذا المقال لا يمكن أن يكون العاشر من شهر المحرم العربى قد وافق مجيئه فى العاشر من شهر تشرى العبرى فى أية سنة من السنين العشر التى قضاها الرسول عليه الصلاة والسلام فى المدينة ، لأن الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ قد دخل المدينة بالتحقيق فى يوم كيبور أى فى اليوم العاشر من شهر تشرى العبرى سنة ٤٣٨٣ عبرية ، وأن ذلك كان يوافق يوم الاثنين من شهر ربيع الأول العربى ولاحَظنا أن اليهود كانوا يزيدون كل ثلاث سنوات شهرا على السنة الثالثة فيجعلونها ثلاثة عشر شهرا .

وأن العرب كانوا يزيدون أحياناً بحسب ما تمليه عليهم أهواؤهم وظروفهم فى عدد شهور بعض السنين فيجعلونها ثلاثة عشر شهرا أو أربعة عشر شهرا : وأنه قد ترتب على تراكم هذه الفروق أن وقع كل شهر من شهور السنة التاسعة من الهجرة فى موقع الشهر السابق له أى أن الخلل فى الشهور العربية طوال مدة إقامة الرسول عليه الصلاة والسلام فى المدينة لم يكن ليزيد على شهر واحد متقدم عن موعده ، إذا لاحظنا هذا كله يتبين لنا أن العاشر من شهر تشرى العبرى قد تردد مجيئه فى السنين العشر التى قضاها الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى المدينة بين شهور ربيع الأول وربيع الآخر وجمادى الأولى وجمادى الآخرة ولا يمكن مطلقا أن يكون قد جاء فى المحرم .

والأمر الثانى : أن اليهود لا يصومون هذا اليوم تخليدا لذكرى اليوم الذى نجى الله فيه سيدنا موسى وبنى إسرائيل من فرعون وكيده ويسر لهم الهجرة من مصر كما تذكر أحاديث الطائفة الأولى ، وإنما يصومونه للاستغفار وطلب التكفير عما اقترفوه من آثام فى أثناء العام ولإحياء ذكرى العفو عن خطيئتهم الأولى وهى عبادتهم العجل الذهبى فى أثناء غياب نبى الله موسى عنهم لتلقى الكلمات من ربه ، فاليهود يعتقدون أنه فى هذا اليوم نفسه عاد موسى من طور سيناء وعفا الله عما

اقترفوه فى أثناء غيبته واسم هذا اليوم نفسه (كيبور) أى الكفارة يدل على ذلك .

أما اليوم الذى يحتفلون فيه بذكرى نجاة موسى وبنى إسرائيل من فرعون وكيده فهو عيد الفصح ويقع فى الرابع عشر من شهر نيسان كما وضح ذلك العلماء .

يوم عاشوراء فى الإسلام وعند اليهود :

لعل اللبس بين يوم عاشوراء فى الإسلام ويوم كيبور أو يوم عاشوراء عند اليهود كان منشؤه أن كليهما هو عاشر يوم من أول شهر فى السنة ، فعاشوراء المسلمين هو اليوم العاشر من شهر المحرم وهو أول شهر فى السنة العربية ، وعاشوراء اليهود هو اليوم العاشر من شهر تشرى وهو أول شهر فى السنة العبرية المدنية (وإن كان سابع شهر فى سنتهم الدينية) كما سنوضح ذلك بعد .

أو لعل منشأ هذا اللبس أنه فى السنة الحادية عشرة من الهجرة وهى السنة التى انتقل فيها الرسول - صلى الله عليه وسلم - إلى الرفيق الأعلى . جاء العاشر من شهر المحرم (عاشوراء) فى العاشر من شهر نيسان العبرى سنة ٤٣٩٣ عبرية ونيسان هو أول شهر من شهور السنة الدينية عند اليهود أى أن العاشر من أول شهر فى السنة العربية جاء هذا العام متفقا مع العاشر من أول شهر فى السنة العبرية الدينية ، ولكن العاشر من شهر نيسان لا يسمى لدى اليهود عاشوراء ، ولم يرد لديهم فيما نعلم نص بصيامه ولعله كان من الأيام التى يعظمونها ، وبخاصة لأنه أول سنتهم الدينية أو أول الشهر الذى يقع فيه أكبر أعيادهم وهو عيد الفصح فى الرابع عشر منه ولعلهم كذلك كانوا يصومونه تطوعا .

طائفة ثالثة من الأحاديث الخاصة بعاشوراء :

وردت طائفة ثالثة من الأحاديث الخاصة بعاشوراء توضح أن الرسول عليه الصلاة والسلام لما صام عاشوراء فى آخر سنة من حياته قيل له أنه يوم تعظمه اليهود ، فكره التشبه بهم وحرص على مخالفتهم وقال لئن سلمت إلى قابل لأصومن التاسع والعاشر ولكن لم يأت العام المقبل حتى توفى الرسول عليه الصلاة و السلام . فعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : (لما صام رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يوم عاشوراء وأمر بصومه قالوا يارسول الله . . يوم تعظمه اليهود والنصارى فقال : إذا كان العام المقبل إن شاء الله صمنا التاسع) . قال (فلم يأت العام المقبل حتى توفى الرسول عليه الصلاة والسلام) رواه مسلم وأبو داود .

وعبارة (تعظمه اليهود والنصارى) الواردة فى النص تحتمل أنه كان يوما معظما لديهم فحسب ولم يكن من أيام صيامهم . وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : (صوموا التاسع والعاشر ولا تشبهوا باليهود) وفى رواية أن الرسول عليه الصلاة والسلام قد ندب إلى صيام يوم قبله ويوم بعده إمعانا فى حرصه على مخالفة اليهود وقد استخلص الإمام ابن القيم من الأحاديث الواردة فى صيام عاشوراء أن أكمل الحالات : أن يصام

يوم قبله ويوم بعده ، ويليها أن يصام التاسع والعاشر ، ويلى ذلك صيام العاشر فقط .

التقويم الذى يسير عليه اليهود :

كانت السنة العبرية سنة قمرية عدتها اثنا عشر شهرا قمريا ، ولكنهم كانوا يزيدون عليها كل ثلاث سنين شهرا كاملا فكانت السنة الثالثة ثلاثة عشر شهرا ويبلغ عدد أيامها (٣٨٤) يوما وكانوا يفعلون ذلك حرصا منهم على أن يقع رأس سنتهم دائما بين شهرى سبتمبر وأكتوبر الشمسيين ، أى أن ذلك كان محاولة منهم للتوفيق بين سنينهم القمرية والسنين الشمسية حتى تجىء الفصول والأعياد المرتبطة بالفصول فى مواقيتها .

والشهور عند اليهود معروفة بأسمائها الآتية :

(تشرى ـ حشوان ـ كتسلو ـ طبيت ـ آب ـ أيلول ـ شباط ـ آذار ـ نيسان ـ آيار ـ سيوان ـ تموز) أما الشهر الثالث عشر الذى كانوا يزيدونه على سنتهم الكبيسة وهى السنة الثالثة فكانوا يضعونه بين آذار وشهر نيسان ويسمونه آذار الثانى فهذه سنتهم المدنية ، أما السنة الدينية فكانت تبدأ من شهر نيسان .

فاليهود جعلوا سنتهم الدينية تبدأ من الشهر الذى يقع فيه أكبر عيد من أعيادهم وهو عيد الفصح فالسنة الدينية تكون على هذا الأمر :

(نيسان ـ آيار ـ سيوان ـ تموز ـ آب ـ أيلول ـ تشرى ـ حشوان ـ كتسلو ـ طبيت ـ شباط ـ آذار (أذار الثانى فى السنة الكبيسة) . فأول شهر فى السنة الدينية عندهم (نيسان) وهو سابع شهر فى السنة الدنيوية .

وأول شهر فى سنتهم الدنيوية أو المدنية (تشرى) هو سابع شهر فى سنتهم الدينية .

عيد الفصح هو يوم الاحتفال بنجاة موسى من فرعون :

ما أشيع أن اليهود يصومون يوم عاشوراء احتفالا بنجاة موسى وبنى إسرائيل من فرعون كلام خطأ والصواب أن اليهود يحتفلون بنجاة موسى وبنى إسرائيل من فرعون يوم عيد الفصح وهو أهم أعيادهم جميعا ويقال له يوم الفصح أو يوم الخروج أو يوم المرور أى اليوم الذى خرج فيه بنو إسرائيل من مصر ، ويقيم اليهود هذا الاحتفال فى مساء اليوم الرابع عشر من الشهر الأول من سنتهم الدينية وهو شهر نيسان أو الشهر السابع من سنتهم المدنية .

العاشر من تشرى
غير العاشر من المحرم

لليهود عيد يسمى عيد (كيبور) أو عيد الكفارة ويقع فى اليوم العاشر من الشهر السابع من سنتهم الدينية وهو شهر تشرى الشهر الأول من سنتهم المدنية ، ويحتفل اليهود بهذا اليوم ويصومونه للتكفير والاستغفار وطلب العفو عما اقترفوه من خطيئتهم الأولى ، وهى عبادتهم العجل الذهبى فى أثناء غياب موسى عنهم لتلقى الكلمات من ربه ، وذلك أنهم يعتقدون أنه فى هذا اليوم عاد موسى من طور سيناء وعفا الله عما اقترفه اليهود من خطيئة العجل الذهبى واستقبله القوم صائمين ، فهم يسمون هذا اليوم يوم كيبور أو يوم الكفارة وصيامه صوم كيبور أى صوم الكفارة

ويسمونه كذلك يوم عاشوراء لأنه يقع فى اليوم العاشر من شهرهم السابع من سنتهم الدينية ، الشهر الأول من سنتهم المدنية ولم يفرض عليهم فيما يزعمون من أنواع الصيام إلا صيام هذا اليوم أما الأيام الأخرى التى يصومونها فصيامهم فيها نافلة بحسب اعتقادهم وهم يشترطون فى صيام كيبور أن يكون فى غير جمعة أو سبت أو أحد أو ثلاثاء فإذا وقع العاشر من تشرى واحدا من هذه الأيام استبدل باثنين أو أربعاء أو خميس .

التقويم عند العرب قبل بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم :

كان التقويم الذى يسير عليه العرب فى المرحلة الأخيرة من العصر الجاهلى قبل بعثة رسولنا صلوات الله وسلامه عليه تقويما قمريا تشتمل سنته على اثنى عشر شهرا قمريا ويطلق عليها الأسماء نفسها التى نطلقها عليها الآن وهى :

(المحرم ـ صفر ـ ربيع الأول ـ ربيع الآخر ـ جمادى الأولى ـ جمادى الآخرة ـ رجب ـ شعبان ـ رمضان ـ شوال ـ ذو القعدة ـ ذو الحجة) ، ويظهر أنه لم يكن لدى العرب حينئذ فكرة دقيقة هى مدة الشهر القمرى من الناحية الفلكية ، وهو الوقت الذى تستغرقه دورة القمر حول الأرض دورة كاملة أو الفترة الزمنية بين ميلادين متتالين للهلال

والتى تبدأ من لحظة اجتماع الشمس والقمر على طول واحد ومقدار هذه الفترة فى المتوسط ٢٩ يوما ، ١٢ ساعة ، ٤٤ دقيقة ، ٢,٩ أو ٢,٨ ثانية .

لذلك كان العرب يسيرون فى الغالب فى تقدير هذه المدة على طريقة تقريبية فيجعلون شهرا ثلاثين يوما ويجعلون الشهر التالى تسعة وعشرين يوما إلا إذا ثبتت رؤيتهم لهلال الشهر الجديد فى ليلة غير الليلة المتفقة مع حسابهم التقريبى فيصححون بذلك حسابهم ، وفى هذا القول يقول الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ فيما أخرجه البخارى عن عبد الله بن عمر : (أنا من أمة أمية لا تكتب ولا تحسب . الشهر هكذا وهكذا ، وأشار فى الأولى إلى مجموع أصابع يديه ثلاث مرات وأشار فى الثانية إلى مجموعها مرتين وخنس الإبهام فى الثالثة (يعنى الشهر مرة ثلاثون يوما ومرة تسعة وعشرون يوما) .

وللوقاية من حدوث خطأ فى الحساب بهذه الطريقة فقد أوجب الإسلام رؤية الهلال فى الشهور المرتبطة ببعض الشعائر الدينية مثل شهر رمضان الذى تؤدى فيه فريضة الصيام وشهر ذى الحجة الذى تؤدى فيه مناسك الحج فى أيام معينة منه وخاصة أهم ركن من أركانه وهو الوقوف بعرفة فإنه لا يصح أداؤه إلا فى مدة محددة من اليوم التاسع وليلة العاشر من ذى الحجة . وفى هذا يقول الرسول الكريم ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى شهر رمضان (صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته فإن غُمَّ عليكم فأكملوا عدة شعبان ثلاثين يوما) .

طريقة العرب تختلف عن طريقة اليهود فى التوقيت القمرى :

لم تكن لدى العرب الطريقة التى كان يسير عليها اليهود من زيادة شهر فى كل ثلاث سنوات وجعل السنة الثالثة ثلاثة عشر شهرا للتوفيق بين السنة القمرية والسنة الشمسية ، كما ذكرنا ولكنهم كانوا يزيدون أحيانا حسبما تمليه عليهم أهواؤهم وظروفهم فى عدد شهور بعض السنين فيجعلونها ثلاثة عشر شهرا أو أربعة عشر شهرا ويرجع السبب فى ذلك إلى أنهم كانوا يحرمون على أنفسهم القتال فى الأشهر الحرم وهى أربعة أشهر (القعدة والحجة والمحرم ورجب) وأنهم كانوا يستكثرون فى بعض السنين أن يكفوا عن الحرب أربعة أشهر فى مدة اثنى عشر شهرا ، فكانوا يجعلون فى هذه السنين ثلاثة عشر شهرا أو أربعة عشر شهرا ليتسع لهم الوقت للقتال .

اضطراب مواقيت العرب قبل بعثة الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ

قد ترتب على طريقة التوقيت القمرى عند العرب وإضافتهم شهرا أو شهرين ليتسع لهم وقت القتال أن اضطربت مواقيتهم وترتب على هذا الاضطراب تراكم الفروق مما تسبب عنه وقوع كل شهر من شهور السنة التاسعة من الهجرة فى موقع الشهر السابق له ، فقد روى أن أبا بكر رضى الله عنه لما حج بالناس فى السنة التاسعة من الهجرة لم تقع حجته بحسب التقويم الصحيح فى شهر ذى الحجة ، وإنما وقعت فى شهر ذى القعدة ، ولكن الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ قد أشار إلى أن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض ، فكانت حجة الوداع التى حجها عليه الصلاة والسلام فى السنة العاشرة من الهجرة فى مواقيتها فى شهر ذى الحجة بحسب التقويم الصحيح وهو ما أوضحه الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى خطبة الوداع التى ألقاها فى الحجيج فى هذه السنة فقال (إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا وأن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض) .. أى أن الشهور قد رجعت إلى أوضاعها الفلكية الصحيحة .

وقال تعالى فى سورة التوبة الآية (٣٦) :

﴿ إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ۚ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ ۚ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ ۚ وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً ۚ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴿٣٦﴾ ﴾ .

ولما دخل الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ مهاجرا المدينة إليها من مكة فى أحد أيام الاثنين وترددت أقوال العلماء بين الثانى والثامن والثانى عشر والسادس عشر من ربيع الأول فقد جاء فى رسالة (نتائج الإفهام فى تقويم العرب قبل الإسلام) للباحث المحقق محمود باشا الفلكى والمقدمة للجمعية الآسيوية فى باريس (أن دخول الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ المدينة كان فى الثامن من ربيع الأول وأنه لا يمكن أن يكون الثانى ولا الثانى عشر لأنهما ليسا يوم الاثنين ، وعلى أساس هذا التحقيق يمكن كذلك أن يكون دخول

الرسول عليه الصلاة والسلام المدينة قد تم فى الخامس عشر أو ليلة السادس عشر من ربيع الأول كما يقول بعض المؤرخين .

والحق أقول : أنه بحسب تحقيق العالم الفلكى محمود باشا وغيره من العلماء الباحثين يتضح لنا أن اليوم الذى دخل فيه الرسول عليه الصلاة والسلام المدينة يوافق بالضبط اليوم العاشر من شهر تشرى سنة ٤٣٨٣ عبرية وهو يوم كيبور أو يوم الكفارة أو يوم عاشوراء عند اليهود ، وكان ذلك يوافق يوم ٢٠ سبتمبر سنة ٦٢٢ ميلادية .

وبهذا يكون يوم العاشر من المحرم غير يوم العاشر من شهر تشرى ويوم عاشوراء فى الإسلام غير يوم عاشوراء عند اليهود ، ويكون صيام هذا اليوم للكفارة وليس احتفالا لنجاة موسى وبنى إسرائيل من فرعون وليس هناك مجال للقول نحن أحق بموسى منهم .

معالم دينية على طريق الهجرة النبوية - بقية -

وقد منح العطاء وأهله حقه وذكره ، وصدق الله العظيم القائل :

﴿ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُو الدَّارَ وَالْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُولَٰٓئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾

الحشر : (٩)

ولا شك أن المسلمين اليوم فى كل مكان وإن لم يهاجر بعضهم إلى بعض أجساداً فى حاجة إلى تلك الأخوة فقد هاجر بعضهم إلى بعض أرواحاً وأخباراً فهل لهم من إخوان يمدونهم بما هم فى حاجة إليه ليعيشوا وينتصروا على عدوهم ، ومن معالم الهجرة تنظيم الأعمال وتوزيعها على أهلها وأكفأ الناس للقيام بها ، فهذا عبد الله بن أبى بكر يأتى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأباه فى الغار بخبر قريش ، وعامر بن فهيرة مولى أبى بكرى يرعى غنما لأبى بكر ، فإذا أمسى أراح عليهما غنم الصديق فاحتلبا وذبحا ، فإذا غدا عبد الله من عندهما إلى مكة أتبع عامر أثره بالغنم[1] ، وغير ذلك من المعالم الناطقة على طريق الهجرة النبويّة ، وأسأل الله - جلت قدرته أن يوفقنا جميعاً إلى الخير بفقه ديننا ، والوقوف على العبرة والعظة من سيرة نبينا - صلى الله عليه وسلم - وصلى الله وسلم على سيدنا ومولانا محمد مادام الليل والنهار ، وذكر الله - عز وجل - الأبرار ، ونسى ذكره الفجار الكفار ، إلى أن ينادى المنادى : لمن الملك اليوم ويكون الجواب : لله الواحد القهار .

(١) الروض الأنف ٢/٤ .

المسجد ودوره فى المجتمـــع

لفضيلة الشيخ
السيد عبد المقصود عسكر

إن أشرف البقاع على ظهر الأرض هى المساجد ؛ لأنها بيوت الله ـ عز وجل ـ مصداقا لما رواه عبد الرزاق بسنده ، عن عمرو بن ميمون الأودى ، قال : « أدركت أصحاب محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهم يقولون : إن المساجد بيوت الله ، وإنه حق على الله أن يكرم من زاره فيها » .

وأكد القرآن الكريم فضل المساجد بنسبتها إلى الله ـ عز وجل ـ وذلك فى قول الله تعالى :

﴿ وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ﴾ (الجن : ١٨) .

ولهذا كانت العناية بالمساجد : عمارة ، وتشييداً ، وبناء ، وصلاة ، وذكراً لله ـ عز وجل ـ أمارة على الإيمان وسبيلا إلى الهداية .

يقول الله تعالى :

﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَىٰ أُولَٰئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ ﴾ (التوبة : ١٨) .

وحين هاجر رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ إلى المدينة المنورة ، وشرع فى وضع الأسس الراسخة لإقامة الدولة الإسلامية العظيمة ، كان بناء المسجد فى مقدمة تلك الأسس ، وبهذا أصبح المسجد محور حياة الدولة الإسلامية ، وسر قوتها ، فهو أول مدرسة فى الإسلام ، تبنى الأجيال ، وتصنع الأبطال ، يقول الله تعالى :

﴿ لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ ﴾ (التوبة : ١٠٨)

والمجتمع الإسلامى هو مجتمع النظافة، والصفاء، والطهر، والنقاء، ولا تكتسب هذه الصفات إلا من خلال التربية فى المساجد، وهذه الآية الكريمة تشير إلى الطهارة الحسية، والمعنوية؛ لأن المسلم مطالب فى صلاته بأن يكون طاهر الثوب، والبدن، والمكان، وأن يكون طاهراً من الحدثين الأكبر، والأصغر، وحين يصلى فإن الصلاة تطهره من الذنوب والآثام، بل تحفظه من ارتكابها، مصداقا لقول الله تبارك وتعالى. ﴿ اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴾

(العنكبوت: ٤٥).

وفى بيوت الله يتطهر المسلم من الأثرة والأنانية، وحب النفس، ويصبح محبا للناس، يسعى فى الخير لعباد الله جميعا. ولهذا أثنى الله ـ تبارك وتعالى ـ على رواد المساجد فقال: ﴿ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ﴿٣٧﴾ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٨﴾ ﴾ (النور: ٣٦ ـ ٣٨).

وإذا كان المسلمون قد أنشأوا المدارس والجامعات، ووضعوا لها مناهج الدراسة، التى تشمل جميع العلوم والمعارف، كما أنشأوا العديد من المؤسسات كالمحاكم وغيرها، فإن روح المسجد ورسالته التربوية والأخلاقية والتوجيهية، ينبغى أن تسرى فى المدارس، والجامعات، والمؤسسات كلها، توجيها وتعليما ومناهج، وسلوكا؛ لأن الإسلام لا يعرف الفصل بين الدين والدنيا، أو بين العبادة والتعليم، أو بين العقيدة والسياسة أو بين مطالب الروح، ومطالب الجسد.

وقد ثبت أن الرجال الذين تمت صناعتهم فى المسجد، كانوا دائماً على مستوى المسئولية، صدقا فى الكلام، والفعل، ونظافة فى اليد، وطهارة فى القلب، ونقاء فى السريرة، ووفاء بالعهد، وشجاعة فى الحق، ولهذا منحهم الله نصره وتأييده، لأنهم جنوده. وهم الذين أشار إليهم قول الله تعالى: ﴿ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ ﴾ (الأحزاب: ٢٣).

وقد كان المسجد على عهد رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ داراً للفتوى، وكثيراً ما كان يأتى الناس إلى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهو فى المسجد، يستفتونه فى شئون دينهم ودنياهم، فيفتيهم كما كان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يلقى الوفود والسفراء فى المسجد، ومن المسجد كانت تنطلق غزوات المجاهدين فى سبيل الله، وإليه تعود بعد أداء مهمتها، ولهذا حالفها نصر الله وتأييده.

وقد كان المسجد داراً للقضاء، والفصل بين المتخاصمين، حيث يأمن فيه كل إنسان على نفسه، ويطمئن على أخذ حقه، يقول الله تعالى: ﴿ وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ ﴿٢١﴾ إِذْ دَخَلُوا عَلَىٰ دَاوُودَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَاحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَىٰ سَوَاءِ الصِّرَاطِ ﴾ (ص: ٢١ ـ ٢٢)

قال الإمام القرطبى فى تفسيره: «ليس فى القرآن ما يدل على القضاء فى المسجد إلا هذه الآيات. وبها استدل من قال: بجواز القضاء فى

المسجد ، ولو كان ذلك لا يجوز كما قال البعض لما أقرهم داود ـ عليه السلام ـ على ذلك . ولقال لهم انصرفا إلى موضع القضاء .

وقد كان النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ والخلفاء من بعده يقضون بين الناس فى المسجد .

وقد كان المسجد دارًا لتوثيق عقود الزواج ، لما رواه الترمذى وغيره ، عن عائشة ـ رضى الله عنها ـ أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : « أعلنوا هذا النكاح ، واجعلوه فى المساجد ، واضربوا عليه بالدفوف » .

وكان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يعتكف فى المسجد بضعة أيام ؛ مشتغلا بالعبادة ، وبهذا يكون الاعتكاف سنه مأثورة ، وقد وردت الإشارة إلى الاعتكاف فى قول الله تعالى :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٥﴾ ﴾

(الحج : من الآية ٢٥) .

وفى قوله تعالى :

﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴿١٢٥﴾ ﴾

(البقرة : من الآية ١٢٥) .

وقد ورد : أن سعد بن معاذ لما أصيب يوم الخندق ضرب عليه رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ خيمة فى المسجد ليعوده من قريب .

والمسجد كان ولا يزال أفضل مكان للتشاور بين المسلمين ، فى كل شأن ، من شئون دينهم ، ومعيشتهم ؛ لأن المسلم فى المسجد يكون بعيداً عن هوى النفس ونزغات الشيطان

ولكى يعود للمسجد دوره الريادى فى نهضة الأمة وتقدمها ؛ واستعادة مجدها ، فإنه ينبغى أن يمكن للمسجد كى يؤدى رسالته الروحية ، والتعليمية ، والاجتماعية ، دون قيود ، لكى يعود كما كان محوراً للعديد من المجالات النافعة : للأمة ، كأن يلحق به مستوصف طبى ، لمعالجة المرضى ، ورعاية الجرحى ، وأن يلحق به ناد للشباب يمارسون فيه رياضة بدنية خفيفة ، ويقومون بأنشطة ثقافية ، وترفيهية بريئة ، وأن يضم مكتبة للقراءة والمطالعة يتزود فيها رواد المسجد بالثقافة الرفيعة .

وكما كان المسجد على عهد رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ موئلا للفقراء والمساكين ، وأهل الصُّفَّة ، فينبغى أن يعود له هذا الدور فى رعاية الفقراء والمساكين ، وتقديم العون لهم .

والحرص على صلاة الجماعة ، وسيلة ممتازة للتعرف على ظروف هؤلاء وأحوالهم ، وهذا فى الواقع يعد هدفا من أهداف الإسلام حين رغب فى صلاة الجماعة ، وحث عليها .

عن معاذ بن جبل ـ رضى الله عنه ـ أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : « إن الشيطان ذئب الإنسان ، كذئب الغنم ، يأخذ الشاة القاصية والناحية . فإياكم والشعاب ، وعليكم بالجماعة والعامة والمسجد[1] .

وينبغى كذلك أن يقوم المسجد بدوره فى رعاية الطلاب ، وتقديم العون لهم ، كى يتفوقوا فى دراستهم ؛ تخفيفا عن كاهل أولياء أمورهم ،

(١) رواه الإمام احمد فى المسند

ولكى تتوثق علاقة الشباب بربه عن طريق ارتباطه بالمسجد .

ولأن المساجد بيوت الله ، التى يقصدها الصالحون من عباد الله ؛ لكى يتطهروا من الذنوب والآثام ، ولكى يتزودوا بكل نافع من الثقافة والعلم والمعرفة ، ولكى يزدادوا إيمانا على إيمانهم ، ولأن الأمة فى حاجة ماسة إلى هذه النوعية الممتازة من الرجال الأطهار ، الذين تربوا فى بيوت الله ، فإنه يجب أن يشجع أهل الخير على الإكثار من بناء المساجد ، والعناية بها ، وأن تقام المساجد فى كل المؤسسات بشكل عام ، وفى المدارس والجامعات والمصانع بشكل خاص .

كما يجب أن يشجع أولاد المسلمين بكل الوسائل على ارتياد المساجد والتردد عليها بانتظام ، حتى يألفوها ، وتتعلق قلوبهم بها . ضمانا لحسن تنشئتهم وتربيتهم على طاعة الله ، والبعد عن معصيته ، وتوجيههم إلى أن يراقبوا الله فى أقوالهم وأفعالهم ، ولكى يكونوا ضمن من عناهم رسول الله بقوله : « سبعة يظلهم الله فى ظله يوم لا ظل إلا ظله ..... وشاب نشأ فى طاعة الله تعالى . ورجل قلبه معلق بالمساجد ..... »[٢] .

ولهذا فإنه ينبغى أن تفتح المساجد أبوابها ، فى كل وقت ، لكى يتردد عليها زوار الله وضيوفه ، دون أن يحول بينهم وبين ذلك حائل مادى أو معنوى .

ولا يجوز بحال من الأحوال أن يتعرض ضيوف الرحمن لأية مضايقات أو إهانات ، أو إيذاء أو تشويه لصورتهم ، أوتشكيك فى مقاصدهم ؛ ونواياهم .

وعجبا لقوم يسيئون إلى رواد بيوت الله بعد أن شهد لهم الله ورسوله. عن أبى سعيد الخدرى أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال « إذا رأيتم الرجل يعتاد المساجد فاشهدوا له بالإيمان »[٣] . قال الله عز وجل :

﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ فَعَسَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ أَن يَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴾

(التوبة : ١٨)

هذا قليل من كثير مما يمكن أن يقوم به المسجد ، لكى تنهض هذه الأمة من عثرتها ، وتسترد مكانتها بين الأمم ، قائدة ورائدة ، كما يريد الله لها ، وعلى نحو ما كان عليه حال السابقين ، ومن تبعهم بإحسان .

يقول الله تعالى :

﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ۚ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾

(البقرة : ١٤٣) .

هذا سبيل المؤمنين الصادقين ، وهذا طريق الأولين ، الذين مكن الله لهم فى الأرض ، وجعلهم الوارثين . والله هو الهادى إلى سواء السبيل .

---

(٢) جزء من حديث رواه البخارى ومسلم عن ابى هريرة . وتمام الحديث : (سبعة يظلهم الله فى ظله يوم لا ظل إلا ظله ، إمام عادل ، وشاب نشا فى عبادة الله عز وجل . ورجل قلبه معلق بالمساجد ، ورجلان تحابا فى الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه ، ورجل دعته امراة ذات منصب وجمال فقال إنى اخاف الله ، ورجل تصدق بصدقة فاخفاها ، حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه ، ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه) ، متفق عليه ، .

(٣) رواه الترمذى وقال حديث حسن ورواه ابن حبان والحاكم .

الحضارة وأزمة الوعى الأخلاقى

للأستاذ الدكتور
محمد إبراهيم الفيومى

شاركت فى ندوة ثقافية دعيت إليها مع نخبة من رجال العلم والثقافة ، وكان موضوعها موضوعا من مبتكرات التكنولوجيا المعاصرة جدا ، وهو كما حددته الندوة : « حبوب منع حمل الرجل » أو كما عدلته إلى : « حبوب قتل الذكورة فى الرجل » ، وهو موضوع ولا شك يثير الدهشة فى النفس ، اندهاشا يختلف أثره من إنسان لآخر ، فهناك من يدهش من غرابته ، ومن يدهش من التآمر التكنولوجى ، فزعا على مستقبله ، وهناك من تحولت دهشته إلى إعجاب شديد بذلك التقدم الهائل للطب البشرى ، ولا شك حين تتعاكس التجارب ويناقض بعضها بعضا فهذا تلقيح صناعى ، وذاك قتل للذكورة . . . الخ ، وتكون الأبحاث العلمية قد خرجت بالقيمة الإنسانية عن مجال التقدير والإعظام إلى سوق السلع والأدوات التى تباع وتشترى مجزأة كقطع الغيار .

من اجل ذلك نظرت المسألة من زاوية أخرى ، غير التى تهم الطب وتجاربه ، وهى كما بدت لى : أن هذه التجارب وأمثالها قد أدت إلى مزيد من تشوش الوعى الأخلاقى للإنسان المعاصر ، وطرحت استفهامات أمام - الوعى الأخلاقى والدينى ، إن لم يتداركها الإنسان فإنها قد تهدد مستقبله ، أو تجرف الحضارة إلى الانهيار ، من الممكن أن يكون الطب قد انتهى منها تجربة ونتائج صالحة له ، لكن الموقف الإنسانى ، والأخلاقى والدينى لم ينته منها بعد ، بل مازال يلح فى تساؤله : ماهى القواعد الأخلاقية للتلقيح الصناعى ؟ وما معنى تأجير ، أو استعارة رحم أنثى ، لنمو طفل لأنثى غيرها ؟ وما هو المعنى الأخلاقى من وراء استخدام التكنولوجيا ، لتجميد البويضات الملقحة ، التى يمكن أن تؤخر ولادة الطفل لمدة أكثر من عام ؟ وماهى الكلمة النهائية فى ظاهرة نقل الأعضاء ؟

استفهامات عسيرة الإجابة عنها ، من الجانب الأخلاقى لم تكن لتظهر لولا التقدم التكنولوجى للمعرفة الطبية . . تلك الاستفهامات أحدثت جدلا واسعا ، حول مضمونها الأخلاقى ، فبعضهم يرى : أن التجارب إذا ارتبطت بالقواعد

الأخلاقية قد تعوق المعرفة الطبية ، والبعض الآخر يؤكد الرأى السابق وينتصر لتجارب الطب ، ويرى أنها تهدف إلى رفاهية البشر ، وتعزيزا للمعرفة .

أما الذين يرون أن مأساة الإنسان المعاصر الحقيقية ، تكمن فى انفكاك المعرفة عن قيم الأخلاق ، ويسوقون تجارب أطباء « هتلر » لزيادة رفاهية الجنس الآرى ، ومزيدا من تعذيب الجنس السامى ، فكان يجرى التجارب البشعة على أفراد الجنس السامى ، وكان يجمع العديد منهم ، ويحقنهم بمواد مختلفة (سامة ، مهيجة ، مهدئة ، ولا يخفى أن أطباء هتلر هم الذين اكتشفوا عقار « الهلوسة » ثم استخدمه « الجستابو » فى شئونه .

كذلك يقدمون شهادات أطباء التجارب أنفسهم دليلا على مأساة الإنسان ، فهذا الطبيب العالمى « جاك نستار » الذى يعتبر الأب الشرعى لأول طفل أنابيب فرنسى ، قرر فى عام ١٩٨٦ أن يمتنع عن الاشتراك فى المزيد من التجارب الطبية ، وظل من ذلك الوقت يدعو إلى إيقافها وتجريمها ، وحين سأله بعض المحاورين عن سبب تمرده على التجارب الطبية ، وعن دوافعه الحقيقية لهجر مهنة الطب ؟ رد « نستار » عليه بقوله : إن الناس يؤمنون دائما بنزاهة الأطباء الذين يقصرون أنفسهم فى المعامل ، لاكتشاف مصل جديد قد يشفى البشرية من داء عضال ، ولكن التجربة الواقعية التى مررت بها كطبيب ، قد أكدت انتفاء الدوافع الأخلاقية من أهداف معظم التجارب الطبية ، وأن الاعتبارات المادية ، والتجارية تحكم كل شىء ، وأنه لذلك قرر اعتزال مهنة الطب .

من هنا بدأ الإنسان يعى الثمن الفادح ، لما يطلق عليه اسم « التقدم التكنولوجى » ولا شك فى أن التقدم فى حد ذاته شىء طيب ، وإنما يجب أن ننظر للحضارة الإنسانية : هل تقدمت بالفعل كما تدعى ؟ وماهى مظاهر هذا التقدم ؟

يضرب مؤرخو الحضارة المعاصرة مثالا مقارنا بين تقدم وتقدم ، أنه فى بداية القرن السابع عشر كان ديكارت يثبت الوجود الإنسانى بمقولته الشهيرة : « أنا أفكر ، إذن أنا موجود » ، أما إنسان العصر الحالى ، فإنه يقول : « أنا أستهلك . . إذن أنا موجود » ، وشتان مابين المقولتين ، لقد أصبحت الحضارة الإنسانية سلعة إستهلاكية ، وهنا تكمن مشكلة الإنسان المعاصر ، حين بدأ يعانى تخلف حضارته فى الجانب الأخلاقى ومظاهره ، كانت تلك التجارب الطبية ، وهنا بدأ البحث عن علاج ، أو حل مناسب لتلك المشكلة ، ففى فرنسا تكونت لجنة لتحقيق هذه الغاية ، بقرار من رئيس الجمهورية فى عام ١٩٨٣ يرأسها البروفيسور « جان برنار » هى « اللجنة القومية الفرنسية للأخلاق الطبية » تضم بين أعضائها أطباء وعلماء فى علم الحياة ، كما تضم الكثير من علماء الدين ، ورجال القانون ، وأعضاء برلمان .

ولكنى أرى أن مثل هذا الإجراء ربما يحكم السلوك ، لأنه لا يربى المسئولية الفردية بوازعها الأخلاقى فى الفرد ، التى هى العامل الأساسى فى تكوين الوعى الأخلاقى ، لذلك ينبغى التركيز على المضمون الدينى فى الحضارة حتى يكون الإنسان أكثر قربا من الله ، وأكثر إدراكا للمثل : العدل ، والخير ، والجمال ، والحب ، وإذا فشل الإنسان فى تحقيق ذلك الهدف ، فما السبب فى ذلك الفشل ؟ فياترى هل يرجع إلى الإنسان ذاته ، فى عدم اكتشافه الجوهر الحقيقى للدين ؟ أم إلى فشل المؤسسات الدينية فى عدم تقديم الإجابات الشافية للمشكلات الأخلاقية للإنسان المعاصر ؟

آية قرآنية

لها أثر في حياتي

للأستاذ / الربيع الغزالى

الحمد لله الذى جعلنا من أهل القرآن . . هذا الكتاب الإلهى الحكيم ، الذى أنزله الله تعالى ، على رسوله الكريم - صلى الله عليه وسلم .

إن القرآن الكريم ، كان له الأثر الأكبر ، على مسار الإنسانية كلها ، ولا يزال كذلك إلى الآن ، وإلى آخر الزمان ، يعم بنوره وعطائه ، من آمن به من الناس ، ومن لم يؤمن . . فلقد عدل هذا الكتاب الإلهى الحكيم ، موازين الحياة ، وصحح العقيدة ، وفرق بين الحق والباطل . . فاهتدى من اهتدى ، وضل من ضل ممن تنبست عليهم الأمور ، ورانت على قلوبهم وأفهامهم الضلالات والأوهام .

وكان من عمل القرآن ، فى حياة الإنسانية كلها ، مؤمنها وكافرها ، أنه فتح الأبواب واسعة ، للعلوم والمعارف ، التى لم تكن معروفة للناس ، يتغلغل فى أغوارها : هؤلاء وهؤلاء ، وينهل منها هؤلاء وهؤلاء ، كلّ بما شاء الله له ، ليكون من مضطربهم الواسع فى الحياة ، منافع للناس كافة ، ولتتسارع خطى الحضارة الإنسانية ، على آمادها البعيدة ، إلى غاياتها المنشودة .

ولقد شاء الله لنا - وله سبحانه الحمد والمنة - أن يجعلنا من الفئة المؤمنة به ، وبكتابه الكريم ، وبنبيه العظيم . . وفى هذا أقول :

الحمد لله الذى قد خصنا
منه بنعمة دينه وهدانا
وأنار بالقرآن ليل حياتنا
لنرى الحياة ونورها : القرآنا

• الكاتب رئيس تحرير مجلة « صوت العروبة » سابقا .

ونسير في نهج النبي محمد
هو رحمة لله قد أولانا

***

القرآن الكريم لقد كان له أثره العظيم في حياتي كلها ، منذ النشأة الأولى ، وحتى الآن ، وإلى ما شاء الله .

وكم من آيات القرآن الكريم آيات كان لها عندي أثرها الخاص . . وكم من آيات تفيض عليَّ من أنوارها ، ومن أبعاد معانيها ، معاني نورانية وروحانية ، لها آثارها البعيدة ، في نفسي ، وفي قلبي ، وفي حياتي . . فإذا أنا عدت إليها ، مرة بعد مرة ، رأيت لها من الفيض في نفسي ، فوق الذي كان . . وفي كل مرة ، يكون لها معنى شأن أي شأن . . وتتعدد الشئون والخواطر ، والمعاني ، يمد بعضها بعضا ، ولا يتعارض منها شيء مع شيء . . وسبحان من جعل هذا من أسرار الإعجاز ، في القرآن الكريم .

ومن بين هذه الآيات ، آية لازمني أثرها منذ صباي الأول : (عام ١٩٢٠) ، فهي نصب عيني دائماً قائمة ساطعة . . وهي في قلبي لها استقرارها ، وفي نفسي لها أثرها . . لم يزايلني نورها وهداها ، على امتداد حياتي كلها . . هذه الآية هي قول الله تعالى :

﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴾ (الرحمن : ٤٦) .

في السنة الأولى من دراستي الثانوية بالتعليم العام ـ وكانت على عهدنا ، تبدأ بعد المرحلة الابتدائية مباشرة ـ دار حديث بيني وبين ابن عم لي ، كان قد لحق بي في الإسكندرية ، ليلتحق بالمعهد الأزهري الابتدائي . . وفي شجون الحديث ، حدثته عن أمر ، خفت الله فيه ، وامتنعت عن إتيانه . . فإذا هو ينبري إليَّ في حماسة شديدة ، ووجه متهلل ، وينطق بلهجة صادقة مؤثرة بقول الله تعالى :

﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴾ (الرحمن : ٤٦) .

بهرني الموقف ، وأشرقت الآية بنورها في نفسي ، وأحسست أن الله تعالى ، يقدم إليَّ بها شهادة ، أفوز فيها برضوانه ، مرتين .

وإذا كانت الجنتان جائزتين عظيمتين ، لمن يخاف مقام ربه ، فإن هذا الرضوان من الله ، وهو الأكرم ، وهو الأعظم .

وأحسست أن الله تعالى يرسم لي دستور حياتي ، بهذه الآية العظيمة ، ينطق بها في هذه الحماسة ، وبهذا الإشراق ، صبي من أهلي ، في مثل سني .

وصارت هذه الآية ، منذ ذلك الحين دستورا لي وقانونا ، لا يتخلف عني ، ولا أنفك منه ، طوال حياتي . . فما هممت بأمر ، أو ساورتني فكرة ، أو خطر لي خاطر ، إلا رأيت هذه الآية أمام عيني ، تتلألأ بأنوارها . . وفي أغوار قلبي ، يهتز بأسرارها ، وفي قرارة نفسي ، تتصرف على هداها ، فلا أتخذ قرارا ، فيما أكون بصدده ، من فعل أو قول ، أو فكرة تخطر ، إلا بهدى من هذه الآية الكريمة ، وفي ضوء من نورها :

﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴾ (الرحمن : ٤٦)

وفي هذه الغمرة من أنوار هذه الآية العظيمة ، يملؤني إحساس عميق ، بالقرآن كله ، تربطني به هذه الآية ، فيشيع في نفسي بأنوار آياته : نور الهدى ، إيمانا بالله ، ولزوما حبيبا لمنهجه الإلهي الحكيم .

ثم يملؤني إحساس قوى غامر ، بأن هذه الآية تحملنى على أجنحة من نور ، فتضعنى فى رحاب قوله تعالى : ﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ ﴾

(الزمر صدر الآية ٦٧) .

وناهيك بما يملأ القلب ويغمر النفس ، فى هذا المقام ، من إحساس بعظمة الله ، وهواننا نحن على أنفسنا ، أمام جلال الله وعظمته .

﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾

(الزمر : ٦٧) .

أين المفر من قبضة الله ، وأين المهرب ؟

ألا .. ما أشد الخوف من مقام ربنا .. وما أحوجنا إلى هذا المقام ، من الخوف منه جل علاه ، لنضع أنفسنا ، فى دنيانا وفى آخرتنا ، فى هذا المقام ، أمام الله ، راجين أن نكون أمام ربنا سبحانه فى مجال : ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴾

(الرحمن : ٤٦)

ألا .. وإن الله تعالى يرانا ، ظاهرا وباطنا ، وفى كل حال من أحوالنا .. يرانا ونحن فى مضطرب الحياة : عاملين أو متحركين .. يرانا فى حركاتنا وسكناتنا .. يرانا أيقاظا أو نائمين .. يرى أفكارنا وخواطرنا وفضائل نفوسنا ويعلم خائنة أعيننا وما تخفى صدورنا .. يرى نوازعنا وما نفكر فيه ، أو نهم به ، أو نعمله من خير أو شر .

وإنى لأمضى فى مضطرب حياتى كلها ، وأنا أرى الله تعالى ينظر إلىَّ ويرانى ، ويعلم من أمرى وأمر نفسى ، ما أعلمه ، وما لا أعلمه ، من أمر نفسى ، وتغمرنى الرهبة منه ، ويأخذنى الخوف من مقامه ، ويخفق قلبى ، ويردد لسانى ، فى خوف ورهبة ، قول الله تعالى : ﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ ﴾ (الأنعام : ٩١) .. ثم يخفق قلبى ويردد لسانى وأنا طامع فى رحمته ورضاه :

﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴾

حدث في شهر المحرم

عبر القرون

إعداد الأستاذ : أحمد السيد تقى الدين

هذا الباب محاولة لرصد أحداث هامة فى تاريخ أمتنا الإسلامية وقعت فى أشهر العام الهجرى ، وهى محاولة لن تخلو من قصور لأسباب عدة أهمها : أن المصادر التاريخية فى بعض الأحيان تغفل تماماً تحديد الشهر ، وتكتفى بتحديد السنة التى وقع فيها الحادث وهو أمر ألجأ كثيراً من الباحثين إلى تجاهل تحديد اليوم والشهر الذى وقع فيه الحادث اكتفاء بتحديد سنة وقوعه فقط .

وإذا كانت المصادر القديمة أغفلت تحديد البعض ؛ فإن المصادر التى أرخت لوقائع وأحداث العالم الإسلامى اعتباراً من القرن العاشر الهجرى تكاد تتجاهل كلية تحديد شهر وقوع الحادث مكتفية بتحديد السنة ، اللهم إلا بعض الوقائع هنا وهناك .

لذا نستميح القارىء العذر وندعوه معنا إلى متابعة عملنا وتزويده بما يسد أوجه القصور فيه إن أمكن ، والله المستعان .

● فى آخر المحرم من السنة السابعة للهجرة ، خرج رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ إلى خيبر[1] واستخلف على المدينة : (نميلة بن عبد الله الليثى) فلما انتهى إليها حاصرها حصنا حصنا ، يفتحه الله ـ عز وجل ـ عليه ويغنمه ،

(١) ويرى مالك بن انس ـ رحمهما الله تعالى ـ أن فتح خيبر كان فى السنة السادسة للهجرة ، انظر : ابن حزم الاندلسى ، جوامع السيرة ، تحقيق د / إحسان عباس ود / ناصر الدين الأسد ط دار المعارف بمصر ص ٢١١ .

حتى استكملها ـ صلى الله عليه وسلم ـ وخمسها ، وقسم نصفها بين المسلمين ، وكان جملتهم من حضر الحديبية فقط ، وأرصد النصف الآخر لمصالحه ولما ينوبه من أمر المسلمين .

واستعمل اليهود الذين كانوا فيها بعدما سألوا ذلك عوضا عما كان صالحهم عليه من الجلاء على أن يعملوها ، ولرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ النصف مما يخرج منها من ثمر أو زرع ، وقد اصطفى ـ صلى الله عليه وسلم ـ من غنائمها (صفية بنت حيى بن أخطب) لنفسه فأسلمت ، فأعتقها ، وتزوجها ، وبنى بها فى طريق المدينة[٢] .

وقد أهدت إليه امرأة من يهود خيبر شاة مصلية مسمومة ، فلما انتهش من ذراعها أخبره الذراع أنه مسموم ، فترك الأكل ، ودعا باليهودية ، فاستخبرها : « أسممت الشاة »؟ فقالت : نعم . فقال : « ما أردت من ذلك »؟ فقالت : أردت إن كنت نبيا لم يضرك ، وإن كنت غيره استرحنا منك ، فعفا عنها ـ صلى الله عليه وسلم ـ وقيل : إن (بشر بن البراء بن معرور) كان ممن أكل منها ، فمات ، فقتلها به[٣] .

● وفيه من عام ١٢ هـ انتصر المسلمون بقيادة خالد بن الوليد ـ رضى الله عنه ـ على جيوش الفرس بقيادة هرمز فى معركة (ذات السلاسل) وفى بدايتها خرج (هرمز) ودعا (خالدا) للمبارزة ، فأجابه ، وكان هرمز قد طلب من بعض رجاله أن يغدروا بخالد أثناء المبارزة ويقتلوه ، ولكن خالدا تمكن من قتل هرمز الذى فشل جنوده فى النيل من خالد أثناء المبارزة رغم إحاطتهم به من كل جانب ، وانقض (القعقاع ابن عمرو التميمى) الساعد الأيمن لخالد بن الوليد بالجيش على جموع الفرس الذين انهارت معنوياتهم بمقتل قائدهم ، وسميت هذه المعركة بـ (ذات السلاسل) لأن هرمز قيد جنوده بالسلاسل لكيلا يفروا[٤] .

● وفى ٢١ من المحرم عام ١٣ هـ كتب الخليفة أبو بكر الصديق ـ رضى الله عنه ـ إلى خالد بن الوليد ـ رضى الله عنه ـ رسالة جاء فيها : « . . أما بعد : فإذا جاءك كتابى هذا فدع العراق ، وخلف فيه أهله الذين قدمت عليهم ، وهم فيه ، وامض متخففا فى أهل قوتك من أصحابك ، الذين قدموا العراق معك من اليمامة ، وصحبوك فى الطريق ، وقدموا عليك من الحجاز ، حتى تأتى الشام ، فتلقى أبا عبيدة بن الجراح ومن معه من المسلمين ، فإذا التقيتم فأنت أمير الجماعة والسلام عليك » وقدم عليه بالكتاب : (عبد الرحمن بن حنبل الجمحى)[٥] .

● وفيه من عام ١٤ هـ حشد أمير المؤمنين : عمر ابن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ جموع المسلمين

---

(٢) ابن كثير ، الفصول فى اختصار سيرة الرسول ، تحقيق محمد العيد الخطراوى ، محيى الدين مستو ، ط ١٣٩٩/١٤٠٠ ، مؤسسة علوم القرآن / دار القلم ـ دمشق ـ بيروت ص ١٦٧ : ١٦٩ .

(٣) رواه ابو داود فى كتاب الديات ـ مرسلا ـ عن ابى سلمة بن عبد الرحمن بن عوف ، باب فيمن سقى رجلاً سماً ، واطعمه فمات ، ايقاد منه ؟

(٤) ابن كثير ، البداية والنهاية ، ط الثانية ١٣٨٧ هـ دار الفكرالعربى ، القاهرة ، حـ ٦ صـ ٣٨٥ : ٣٨٧ .

(٥) الازدى ، تاريخ فتوح الشام ، ط مؤسسة سجل العرب ١٩٧٠ القاهرة صـ ٦٨ .

المتطوعين لحرب الفرس بالقرب من المدينة عند ماء يدعى (صرار) وكان المسلمون قد تعرضوا لهزيمة مريرة فى معركة (الجسر) فى ٢٣ من شعبان عام ١٣ هـ وقتل فيها « أبو عبيد بن مسعود الثقفى » قائد جيش المسلمين ، وقال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - عندما بلغه الخبر : « والله لأضربن ملوك العجم بملوك العرب » وكان أول ما عمل أن كتب إلى عماله فى الكور والقبائل وذلك فى ذى الحجة عام ١٣ هـ مع مخرج الحجاج إلى الحج فجاءته أوائل القبائل التى طرقها على مكة والمدينة ، ومن كان على طريق العراق وهو إلى المدينة أقرب ، توافوا إليه بالمدينة مع رجوع الحج ، وأخبروه عمن وراءهم أنهم يجدون فى أثرهم ؛ واختار عمر لقيادة هذا الجيش سعد بن أبى وقاص - رضى الله عنه - الذى قاد المسلمين إلى نصر حاسم أسقط به إمبراطورية الفرس فى معركة القادسية(٦) .

● وفيه من عام ١٦ هـ توفيت السيدة : (مارية) رضى الله عنها - زوج رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأم ولده إبراهيم ، وكان عمر ابن الخطاب - رضى الله عنه - يحشر الناس لجنازتها بنفسه ، وصلى عليها ودفنها بالبقيع - رضى الله عنها(٧) .

● وفيه من عام ٢٤ هـ تولى عثمان بن عفان - رضى الله عنه - الخلافة عقب مقتل الخليفة عمر ابن الخطاب - رضى الله عنه - فى ٢٣ من ذى الحجة سنة ٢٣ هـ على يد فيروز المجوسى الملقب بأبى لؤلؤة(٨) .

● وفى آخر المحرم من عام ٣٧ هـ انتهت الموادعة المعقودة بين أمير المؤمنين على بن أبى طالب - رضى الله عنه - وبين معاوية بن أبى سفيان - رضى الله عنه - إبان الخلاف الذى كان قد شجر بينهما بشأن القصاص من قتلة الخليفة الراشد عثمان بن عفان - رضى الله عنه - وكان جيشاهما قد التقيا فى (صفين) فى شعبان من عام ٣٦ هـ ، ودارت المراسلات بين الطرفين بهدف توحيد الكلمة ، وطالت المراسلات حتى اتفقا فى النهاية على الموادعة إلى آخر المحرم من عام ٣٧ هـ ، ثم دارت رحى الحرب بينهما من جديد(٩) .

● وفيه من عام ٦٥ هـ انتصر الخليفة الأموى (مروان بن الحكم) على (الضحاك بن قيس الفهرى) زعيم عرب قيس المضرية فى موقعة (مرج راهط) ، كان الضحاك بن قيس قد رفض مبايعة مروان بن الحكم بالخلافة ، وبايع عبد الله ابن الزبير وذلك عقب وفاة الخليفة الأموى (معاوية الثانى) سنة ٦٣ هـ حيث شهدت الشام انقساما حادا بسبب المنافسة بين أفراد البيت الأموى ، إذ أصبح كل منهم يطمح إلى الخلافة ويرى نفسه أحق بها من غيره ، وانتهى الأمر بمبايعة أنصار بنى أمية وعلى رأسهم (عرب اليمنية) لمروان بن الحكم ، فى حين مالت

---

(٦) ابن كثير ، البداية والنهاية ، حـ ٦ ط ٢ صـ ٣٩ : ٤١ ، الطبرى ، تاريخ الأمم والملوك ، ط ١٩٢٩ حـ ٤ صـ ٨٧ .
(٧) ابن كثير ، الفصول فى اختصار سيرة الرسول ﷺ صـ ٢٢٦ .
(٨) انظر قصة بيعة عثمان فى مقالنا بعدد شهر ذى الحجة ١٤١٨ هـ .
(٩) ابن الأثير ، الكامل فى التاريخ ، ط ١٣٠٣ هـ القاهرة ، حـ ٣ صـ ١١٤ .

(المضرية) بزعامة (قيس) إلى عبد الله بن الزبير الذى كان قد دعا لنفسه بالخلافة(١٠) .

● وفى المحرم من عام ١٢٧ هـ هُزم شيعة عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبى طالب الذى دعا لنفسه بالخلافة فى الكوفة بعد أن أغراه شيعته بأخذ البيعة لنفسه ، على أن كثيرا منهم فروا أثناء القتال ، ولم يثبت للحرب منهم غير بنى ربيعة ، والزيدية ، الذين ظلوا يقاتلون حتى أخذوا لأنفسهم ولعبد الله بن معاوية الأمان من الخليفة الأموى إبراهيم بن الوليد بن عبد الملك على أن يرحلوا حيث شاءوا(١١) .

● وفيه من عام ١٨٧ هـ أمر الخليفة العباسى (هارون الرشيد) بقتل (جعفر بن يحيى البرمكى) وحبس أبيه يحيى وسائر أبنائه ، وأصدر أوامره إلى الأقاليم بمصادرة أموال البرامكة وأملاكهم . كان جعفر بن يحيى البرمكى قد أطلق سراح يحيى بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب ، الذى كان قد خرج على طاعة الرشيد وأخذ البيعة لنفسه فى بلاد الديلم ولكن الرشيد كان قد نجح فى الإيقاع به ، وأودعه السجن(١٢) .

● وفى المحرم من عام ٢٠٠ هـ نجح (هرثمة بن أعين) قائد جيش الخليفة العباسى (المأمون) فى إلحاق الهزيمة بجنود (محمد بن إبراهيم العلوى) الذى خرج على المأمون بالكوفة فى جمادى الآخرة عام ١٩٩ هـ ، وصار يدعو إلى : (الرضى من آل محمد) ونجح قائد جنده (أبو السرايا السرى بن منصور الشيبانى) فى الاستيلاء على الكوفة من يد واليها العباسى ، على أن (هرثمة) تمكن من دخول الكوفة واستردادها ، واضطر (أبو السرايا) إلى الخروج منها هو ومن معه من الطالبيين(١٣) .

● وفيه من عام ٢٠٢ هـ خلع زعماء البيت العباسى الخليفة (المأمون) من الخلافة ، وبايعوا عمه (إبراهيم بن المهدى) ولقبوه بـ(المبارك) بعد أن نقل المأمون الخلافة إلى العلويين بتوليته (على بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق) والذى لقبه المأمون بـ(الرضى من آل محمد) العهد من بعده وأخذ البيعة له بذلك ، وزوجه ابنته ، وزوج (محمد الجواد بن على الرضى) ابنته الأخرى ، بل أمر الناس بخلع السواد شعار العباسيين واستبداله بالخضرة(١٤) .

---

(١٠) تاريخ اليعقوبى ، ط ١٣٥٨ هـ المكتبة المرتضوية بالنجف ، جـ ٣ صـ ٣ ، وانظر ايضاً : الطبرى ، تاريخ الامم والملوك ، جـ ٤ صـ ٤١٥ .

(١١) الطبرى ، تاريخ الامم والملوك ، جـ ٥ صـ ٥٩٩ ، ابن الاثير ، الكامل فى التاريخ ، جـ ٥ صـ ١٢٢ .

(١٢) الطبرى ، تاريخ الامم والملوك ، جـ ٦ صـ ٤٨ : ٤٩ ، ابن طباطبا ، الفخرى فى الاداب السلطانية والدول الإسلامية ، ط ٢ دار المعارف القاهرة ١٩٣٨ صـ ١٨٦ .

(١٣) ابن الاثير ، الكامل فى التاريخ ، جـ ٦ صـ ١٠٤ ، ١٠٥ .

(١٤) المسعودى ، مروج الذهب ومعادن الجوهر ، القاهرة ١٩٣٨ ، جـ٣ صـ ٣٤٩ : ٣٥٠ ، ابن طباطبا ، الفخرى فى الاداب السلطانية والدول الإسلامية ، صـ ١٩٢ ، ١٩٣ ، الجهشيارى ، كتاب الوزراء والكتاب ، تحقيق : مصطفى السقا ، وإبراهيم الإبيارى ، وعبد الحفيظ شلبى ، القاهرة ١٩٣٨ صـ ٣١٢ .

● وفى ١٠ من المحرم عام ٦٥٦ هـ عبرت جيوش التتار بقيادة (باجو) أحد قادة (هولاكو) نهر دجلة واستولت على الجانب الغربى من بغداد بعد أن ألحقت الهزيمة بالجيش العباسى ، أما فى الجانب الشرقى من المدينة فقد استمر الجيش العباسى فى المقاومة حتى اليوم التاسع عشر من شهر المحرم عام ٦٥٦ هـ ، ثم لم يلبث التتار بقيادة (هولاكو) أن اجتاحوا هذا الجانب ، يقول ابن طباطبا : « فجرى من القتل الذريع والنهب العظيم ، والتمثيل البليغ ما يعظم سماعه جملة ، فما الظن بتفاصيله ؟ »(١٥) .

● وفى ٨ من المحرم عام ١٢١٣ هـ وصل إلى ميناء الإسكندرية عشر سفن حربية إنجليزية تلتها خمس عشرة سفينة أخرى بهدف البحث عن سفن الأسطول الفرنسى التى خرجت من ميناء طولون الفرنسى ، ولا يعلمون وجهتها بعد أن فقدوا أثرها فى البحر المتوسط وحاول الإنجليز التفاهم مع السيد محمد كريم حاكم الإسكندرية وعرضوا عليه أن ترسو السفن الإنجليزية فى عرض البحر للتصدى للأسطول الفرنسى فى حالة ظهوره أمام السواحل المصرية ، وطلبوا فقط إمدادهم بالماء والطعام بثمنه ، فرفض السيد محمد كريم حيث رأى أنها مكيدة إنجليزية تهدف لاحتلال مصر وأجابهم بقوله : « هذه بلاد السلطان ، وليس للفرنسيين ولا لغيرهم عليها سبيل فاذهبوا عنا » فغادر الإنجليز سواحل الإسكندرية(١٦) .

● وفى ١٨ من المحرم سنة ١٢١٣ هـ وصلت سفن الأسطول الفرنسى إلى سواحل الإسكندرية وضمت ما يقرب من ٥٠٢ سفينة حربية تحمل ستاً وثلاثين ألف مقاتل ، ومائة واثنين وعشرين عالما فى شتى المجالات العلمية ؛ واستولى قائد الحملة (نابليون بونابرت) على مدينة الإسكندرية ومنها سار إلى القاهرة من طريق الصحراء الممتدة غرب فرع رشيد ، فقابله (مراد بك) أمير أمراء المماليك بمصر عند مدينة شبراخيت بالبحيرة فى ٢٩ من المحرم فهزمه بونابرت وواصل مسيرته نحو القاهرة(١٧) .

● وفى نهاية المحرم سنة ١٢١٣ هـ وجه (نابليون بونابرت) قائد الحملة الفرنسية على مصر رسالة إلى شعب مصر باللغة العربية افتتحها بعبارة : « بسم الله الرحمن الرحيم ، لا إله إلا الله ، لا ولد له ولا شريك له فى ملكه » ومما جاء فيها : « . . . وأننى أكثر من المماليك أعبد الله ـ سبحانه وتعالى ـ وأحترم نبيه والقرآن العظيم . . إن جميع الناس متساوون عند الله . . إن الفرنساوية هم أيضاً مسلمون مخلصون ، وإثبات ذلك أنهم قد نزلوا فى رومية الكبرى(*) وخربوا فيها كرسى البابا الذى يحث النصارى على محاربة الإسلام . . » .

ومما جاء فيها أيضاً : « . . كل قرية تقوم على العسكر الفرنساوى تحرق بالنار . . » .

---

(١٥) ابن طباطبا ، الفخرى فى الآداب السلطانية والدول الإسلامية صـ ٢٩٦ ، ٢٩٨ .
(١٦) الجبرتى ، تاريخ عجائب الآثار فى التراجم والأخبار ، دار الجليل ـ بيروت جـ ٢ صـ ١٧٩ ، ١٨٠ .
(١٧) الجبرتى ، المصدر السابق جـ ٢ صـ ١٨٠ ، محمد فريد بك ، تاريخ الدولة العلية العثمانية ، تحقيق د / إحسان حقى ، ط ٢ ١٩٨٣ دار النفائس ـ بيروت صـ ٣٧٢ ، ٣٧٣ .
(*) يقصد روما .

وختم الرسالة بقوله : « . . . والمصريون بأجمعهم ينبغى أن يشكروا الله ـ سبحانه وتعالى ـ لانقضاء دولة المماليك قائلين بصوت عالٍ : أدام الله إجلال السلطان العثمانى ، أدام الله إجلال العسكر الفرنساوى ، لعن الله المماليك ، وأصلح حال الأمة المصرية . . . »[18] .

● وفى ٢١ من المحرم عام ١٢١٥ هـ لقى الجنرال (كليبر) قائد الحملة الفرنسية فى مصر مصرعه على يد شاب سورى يدرس بالأزهر وهو (سليمان الحلبى) كان كليبر قد ارتكب مذابح بشعة فى إخماد ثورة الشعب المصرى ضد الاحتلال الفرنسى ، وتشكلت محكمة لمحاكمة (سليمان الحلبى) قررت حرق يده اليمنى أولاً ، ثم حرقه حتى الموت فوق الخازوق ، وقررت المحكمة كذلك إعدام أربعة آخرين من طلاب الأزهر هم : السيد عبد القادر الغزى ، ومحمد الغزى ، وعبد الله الغزى ، وأحمد الغزى لأنهم كانوا يعلمون بنية سليمان الحلبى وعزمه على قتل كليبر ، ولم يبلغوا السلطات الفرنسية[19] .

● وفى ١٠ من المحرم سنة ١٢٢٢ هـ احتل الإنجليز بقيادة الجنرال (فريزر) الذى قاد حملة عسكرية قوامها خمسة آلاف جندى مدينة الإسكندرية ، ثم سير فرقة عسكرية إلى مدينة رشيد لاحتلالها ، ولكنها انهزمت ولم تقو على احتلال رشيد[20] .

● وفى ١٦ من المحرم عام ١٣٥٨ هـ احتج الأزهر الشريف على وضع قوة من الشرطة البريطانية فى المسجد الأقصى الشريف ، وطالب بضرورة إخراج تلك القوة من المسجد رعاية لشعور المسلمين وتهدئة لخواطرهم[21] .

● وفيه من عام ١٣٩١ هـ رفض المؤتمر السادس لمجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف أى حل لا يعيد جميع الأراضى المحتلة إلى العرب ، وفى مقدمتها مدينة القدس بكاملها ـ سيادة وإدارة ـ كما رفض المؤتمر فكرة تدويل القدس بأية صورة من الصور ، واستنكر المؤتمر استمرار إسرائيل فى تغيير معالم القدس ، .والعدوان على آثارها الدينية والتاريخية والحضارية ، وطالب الأمم المتحدة بتنفيذ قراراتها المتعلقة بذلك وردع إسرائيل عن المضى فى جرائمها[22] .

---

(١٨) الجبرتى ، تاريخ عجائب الآثار فى التراجم والاخبار ، حـ ٢ صـ ١٨٤ .
(١٩) المصدر السابق ، حـ ٢ صـ ٣٥٧ : ٣٨٧ .
(٢٠) محمد فريد ، تاريخ الدولة العلية العثمانية ، صـ ٣٨٩ ، الجبرتى ، تاريخ عجائب الآثار فى التراجم والاخبار ، حـ ٣ صـ ١٧٧ : ١٨٧ .
(٢١) حلة ، محمد على (دكتور) ، جهود الأزهر الشريف فى دعم قضية فلسطين والقدس الشريف ، ملحق مجلة الأزهر عدد ربيع الآخر ١٤١٨ صـ ١٦ ، نقلا عن : الأهرام ، ١٠ مارس ١٩٣٨ .
(٢٢) قرارات مجمع البحوث الإسلامية .

فَٱسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ

استفتاءات القراء

يجيب عنها

لجنة الفتوى بالأزهر الشريف

يقدمها الشيخ
السيد العراقى شمس الدين

السؤال من ع . ر . خ

أخذت من زوجتى مبلغا من المال وأكملت قيمة بناء منزل ليكون ذلك المنزل شركة بيننا ، الثلث لى والثلثان لزوجتى ويريد كل من الزوج والزوجة التنازل عن ذلك البيت للبنات بيعاً وشراء مع العلم أنه لا يوجد لنا أبناء ذكور ، وأن لى إخوة ذكورا وإناثاً ولزوجتى إخوة ذكوراً وإناثاً ونريد ألا نترك هذه المسألة للظروف ولكننا نريد أن نفعل ما يرضى الله ـ سبحانه وتعالى ـ .

إجابة على ما ورد فى الرسالة الموضحة عاليه ، نقول وبالله وحده التوفيق إن رغبة كل منكما ـ الزوج والزوجة ـ فى التنازل عن البيت المشترك بينك وبين زوجتك بطريق البيع والشراء إنما هو مقصود منه منع البقية من الميراث وهذا البيع الصورى ينقلب إلى وصية تنفذ فى ثلث التركة ، والباقى يوزع حسب الأنصبة الشرعية المقررة فإذا كانت بنتا واحدة فلها نصف الباقى بعد احتساب ثلث التركة وصية ، وإن كانت البنات أكثر من واحدة فلهن الثلثان والباقى بعد الثلث الذى يخرج من التركة بالوصية ، والباقى من التركة فى المنزل يكون للعصبة ، ومادمتما تريدان رضاء الله تعالى وتحرصان على ذلك فإن ترك الأمر على ما هو عليه بدون كتابة هو الأولى بالقبول عند الله تعالى .

الله يتولاكما ويصلح بالكما .

السؤال

من السيد/ صفوت عزيز المحامى :

هل اختلاف الدين مانع من موانع الإرث أو من الوصية ؟

الجواب

الحمد لله ، والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم -

وبعد :

فنفيد بأن اختلاف الدين مانع من موانع الإرث ، واختلاف الدين لا يمنع من الوصية ، والوصية تكون فى حدود ثلث التركة فإن زادت عن الثلث فيلزم إجازة الورثة لها والله أعلم ؟

السـؤال

من السيد/ م . ع

هل يجوز للمسلم أن يكفل يتيما مجهول الأبوين ؟

الجـواب

الحمد لله ، والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وبعد ؟

فنفيد بأنه لا مانع شرعا من كفالة اليتيم حتى ولو كان مجهول الأبوين لأن الإسلام الحنيف حين حرم التبنى لم يمنع من كفالة اليتيم ولقوله - صلى الله عليه وسلم - « أنا وكافل اليتيم كهاتين فى الجنة - وأشار بإصبعيه السبابة والوسطى » هذا والله تعالى أعلم ؟

السؤال

من محمد منصور الشيخ :

أردت إقامة مشروع تسمين ماشية وإنتاج ألبان ، ولما لم يكن معى رأس المال الكافى فقد أشار علىَّ بعض الإخوان بطلب قرض من صندوق التنمية الاجتماعى « وهو هيئة مستقلة » علما بأن هذا القرض يسدد بفائدة ٧٪ بعد فترة سماح لعدة سنوات فهل القرض بهذا الوضع حلال أم حرام؟

برجاء التكرم ببيان وجه الحل أو الحرمة مع وافر التحية وعظيم التقدير .

الجـواب

الحمد لله ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول الله . وبعد :

فنفيد بأنه إذا أمكن تمويل هذا المشروع بالقرض الحسن ، أو المشاركة ، أو المضاربة فلا داعى حينئذ للجوء إلى القرض بفائدة من صندوق التنمية الاجتماعى ، لأن هذا من القرض الذى جر نفعا ، وهو من باب الربا المحرم ، أما إذا تعذر تمويل هذا المشروع بواسطة القرض الحسن ، أو المشاركة أو المضاربة ، فإن كان هذا المشروع المزمع إنشاؤه تتوقف عليه ضروريات الحياة لمن سيقوم به فلا مانع عند بعض العلماء من اللجوء إلى الاقتراض المنوه عنه سابقا للضرورة ، وإن كان الأفضل اتقاء للشبه البعد عن هذا والتماس الرزق من باب لا شبهة فيه والله يغنى من يشاء من فضله ، وهو الغنى الحميد ، والله أعلم .

سـؤال

يوجد مسجد به قبر مدفون فيه شيخ وبأعلى القبر مقصورة فى الجزء الخلفى الأيسر من صحن المسجد .. وتقام بصحن المسجد ترميمات والمطلوب هل يمكن رفع تلك المقصورة ومساواة الأرض تحتها بالرخام مع إعادة وضع المقصورة مكانها وتقليص حجمها ؟

الجـواب

الحمد لله ، والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم وبعد :

فإنه لا مانع شرعاً من ترميم المسجد ومنه فرش أرضه بالرخام ، ولكن لا يجوز الاعتداء على مكان

قبر الشيخ المدفون تحت المقصورة بطمس معالم القبر برخام متساوٍ ، مع أرض المسجد ، ففى ذلك ضياع لمكان القبر وربما يأتى مستقبلا من يزيل هذه المقصورة ، وفى ذلك عدم وفاء لصاحب المكان الذى اتخذه قبرا وأوقفه على ذلك ولا يجوز الاعتداء على أوقاف الغير مهما كانت الأسباب هذا إذا كان الحال كما ذكر فى السؤال والله أعلم .

سؤال من

السيد/ عبد التواب حسن :

أرجو معرفة الحكم الشرعى فى قنوت الصبح ومعرفة حكم ختام الصلاة ، وهل يجوز الدعاء بغير المأثور ؟

الجواب

الحمد لله ، والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - :

وبعد ؟

فنفيد بأن القنوت فى صلاة الصبح من سنن الصلاة وبعض المذاهب تقول بالجهر فيه والبعض الآخر يقنت بالدعاء سرا ولو أتى المصلى به أثيب عليه ولو تركه لا يعاقب عليه ، وإن كان الأفضل الإتيان به فى الركعة الثانية بعد الرفع من الركوع ، كما أنه لا مانع شرعا من الإتيان به عند الشدائد فى أية صلاة ، وللقنوت دعاء مأثور يفضل الدعاء به وإذا لم يعرف المصلى هذا الدعاء فلا مانع شرعا من القنوت بما يعرفه .

وختام الصلاة من كمالها كما ورد فى السنة المطهرة ، ولا مانع من الجهر به ، إلا إذا تسببت فى التشويش على المصلين فيسر به . ولا ينبغى أن تكون هذه الأمور محل خلاف عند جماعة المسلمين لأنها ليست من أركان الدين ، هذا إذا كان الحال كما ذكر فى السؤال .

والله تعالى أعلم .

بالتخطيط المحكم والتنظيم السليم قامت الهجرة . بقية

لقد كانت الهجرة : حدثا فذا من الأحداث الإسلامية الكبرى التى يجب أن تظل معانيها عالقة فى قلوب المسلمين ، تحمل إليهم سمات العظمة التى تحفزهم إلى بناء أمجادهم ، ودعم حياتهم ، ودفعهم إلى العيش الرخى الرغيد ، وهكذا كانت الهجرة نصرا للمؤمنين ، ونورا للمجاهدين ، فتمتعوا بالحرية ، وأخذوا ينشرون دين الله بين العالمين .

والآن : وإن كانت الهجرة قد مضت لأصحابها ، وفازوا بشرفها ، فإن لنا فى هذا العصر المادى نصيباً لو قمنا به لمكن الله لنا فى الأرض ، ولمتعنا متاعا حسنا ألا وهو العمل بكتاب الله ، والتمسك بسنة رسول الله - ﷺ - ، وهجر ما نهى الله عنه ، وأن نسلك حد الاعتدال فى العبادة ، دون إفراط أو تفريط ، فالإسلام بتعاليمه السمحة يميل إلى تحقيق اليسر والرحمة ، فقد صح أن النبى - ﷺ - قال لمعاذ بن جبل ولأبى موسى الأشعرى لما بعثهما إلى اليمن : « يسرا ولا تعسرا ، وبشرا ولا تنفرا ، وتطاوعا ولا تختلفا »(١) .

(١) أخرجه البخارى ومسلم .

طرائف .. ومواقف

الأستاذ/ عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

"كل امرئ حسيب نفسه"

قال تعالى :

﴿ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴾

(الإسراء : ١٤)

قال الزمخشرى : لم ذكر حسيبا ؟ قلت : لأن الحسيب بمنزلة القاضى والشاهد والأمين .

وهذه الأمور يتولاها الرجال غالبا ، فكأنه قال : كفى بنفسك رجلا حسيبا .

وكان الحسن البصرى إذا قرأ هذه الآية ، قال : يابن آدم ، أنصفك والله من جعلك حسيب نفسك .

"العقل أم اللسان"

لأن أرى لعقل الرجل فضلا على لسانه أحب إلى من أن أرى للسانه فضلا على عقله .

"استغاثة أهل النار"

قيل لبعضهم من أحب إليك ، أخوك أم صديقك ؟ فقال : لا أحب أخى إذا لم يكن صديقى .

وقال ابن عباس ـ رضى الله عنه ـ : الصديق أوكد من القريب ألا ترى استغاثة الجهنميين حين قالوا :

﴿ فَمَا لَنَا مِن شَافِعِينَ ۝ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴾

(الشعراء : ١٠٠ ، ١٠١)

ولم يستغيثوا بالآباء والأمهات .

لو كنت تاجرًا

كان سيدنا عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ يقول : لو كنت تاجرا لما اخترت على العطر ، فإن فاتنى ربحه لم يفتنى ريحه .

مؤمنان .. وكافران

قال مجاهد : ملك الدنيا مشارقها ومغاربها أربعة : مؤمنان وكافران .

فالمؤمنان : « سليمان بن داود » ، و « ذو القرنين » ، والكافران : « النمرود » و « بختنصر » الذى خرب بيت المقدس .

الضيف الممل

أضاف رجل رجلا فأطال المقام حتى كرهه ، فقال الرجل لامرأته : كيف لنا أن نعلم مقدار مقامه ، فقالت له : ألق بيننا شرا حتى نتحاكم إليه ، ففعل ، فقالت المرأة للضيف : بالذى يبارك لك فى غدوك غدا أينا أظلم ، فقال : والذى يبارك لى قيامى عندكم شهرا ما أعلم .

حقا

الشريف إذا تقوى تواضع ، والوضيع إذا تقوى تكبر .

"من صنع منكم معروفا فكافئوه"

قال بعض الشعراء :

ولو كان يستغنى عن الشكر ماجد
لرفعة قدر أو علو مكان
لما أمر الله العباد بشكره
فقال : اشكرونى أيها الثقلان

أفضل النساء

سئل أعرابى فى النساء ، وكان ذا تجربة وعلم بهن ، فقال : أفضل النساء أطولهن إذا قامت ، وأعظمهن إذا قعدت ، وأصدقهن إذا قالت ، التى إذا غضبت حلمت ، وإذا ضحكت تبسمت ، وإذا صنعت شيئا جودت ؛ التى تطيع زوجها ، وتلزم بيتها ، العزيزة فى قومها ، الذليلة فى نفسها ، الودود الولود ، وكل أمرها محمود .

دعاء

اللهم إنى أسألك نفسا بك مطمئنة تؤمن بلقائك ، وترضى بقضائك وتقنع بعطائك .

من أعلام الأزهر الشريف

الدكتور محمد حسين الذهبى

باحث موسوعى ملتزم

للأستاذ الدكتور: محمد رجب البيومى

ما تذكّرتُ خاتمة حياة الدكتور محمد حسين الذهبى إلا تذكرت قول الدكتور أحمد أمين فى رثاء الإمام الأكبر مصطفى عبد الرازق !

« كان أستاذاً للفلسفة فى كلية الآداب : فكان فى مكانه الذى خلق له يحضر درسه فى جد ، ويلقيه فى أمانة ويوثق صلته بتلاميذه فهم أبناؤه البررة ، وهو والدهم المحبوب ، لا يكتفى معهم بعلاقته العلمية ، بل يتعرف أحوالهم العائلية ، فيحل مشاكلهم الداخلية ، ويفرج أزماتهم النفسية .

ثم رماه القدر بالسياسة ، فلم تكن له ، ولم يكن لها ، فالسياسة تحتاج إلى جلاد ونضال ومداورة ومناورة ، وليس هو فى شىء من ذلك فالرحمة التامة لاتنفع فى السياسة ، لذلك كان فيلسوفا فى سياسته ، وهيهات أن ينجح هذا المنهج » .

أجل أتذكر قول أحمد أمين دائما كلما أتذكر استشهاد الدكتور الذهبى ، وإذا كان الذهبى لم يكن فيلسوفا يدرس الفلسفة كمصطفى عبد الرازق ، بل كان علّامة يدرِّس علوم القرآن والحديث فإن ما عدا ذلك يتلاقى به الرجلان فى نسق واحد ، فالرحمة الحانية والبعد عن المداراة والمناورة مما تأصل فى سلوك الرجلين لقد كان الذهبى صريحاً إلى كل موقف يتعرض له ، صريحا مع نفسه ، ومع الناس خصوماً أو أصدقاء ، وكان من البراءة الفاضلة بحيث اعتقد أن الإخلاص فى قول الحق ، وأن التمسك بالرأى الذى يعتقده سينزلان منزلا حسناً ، لدى مخالفيه لأنه كان يحنو عليهم فى نقاشه ويدعوهم إلى الحق بالحكمة والموعظة الحسنة ، ويطيل الاستماع إلى ما يقولون فى صبر ، ثم يرى من حقه أن يجهر بما يعتقد دون لبس ، لأنه لايعرف أساليب السياسة الخادعة ، بل يلتزم بمنطق الإسلام فى زمن

أصبح الإسلام فيه غريبا بين أهله، فختمت حياته بالاستشهاد وأخذ مكانه مع الصديقين والصالحين وحسن أولئك رفيقا، ولا يظن القارىء أنه كان مع صراحته برماً ملولا، بل كان الرجل واسع الأفق حقا حين التمس العذر فى بعض كلماته لنفر من الشباب المتسرع، إذ أيقن أن الجو الإعلامى فى الجرائد الهابطة والتمثيليات الساقطة، والتبرج السافر دون احتشام كل ذلك يقدم الوقود لنار تضطرم، فأعلن أن المسجد وحده لايستطيع[1] أن يقوم برسالته فى هذا الطوفان الغامر من الاجتراء، وأن المسجد يحتاج إلى مؤازرة ذوى الرأى من المخلصين، فمهمة وزارة الأوقاف ليست فى تكرار الخطب التقليدية كل أسبوع، بل فى عودة المسجد إلى طبيعته التى نشأ عليها فى صدر الإسلام إذ لم يكن المسجد إذ ذاك دار عبادة فقط، بل كان كل شىء فى حياة المسلم، وقد تفقد مساجد الجمهورية، فعرف من بينها نمطاً يقوم برسالة المسجد على وجهها الصحيح، ورأى المثل المنشود كائناً فى مسجد سيدى بشر بالإسكندرية، فعقد به اجتماعا كبيرا للعلماء مع صفوة من أبناء الثغر، يعرض عليهم كيف صار المسجد عيادة طبية فى جانب من جوانبه، ومدرسة لدروس التقوية فى جانب آخر، ومكتبة حافلة للقارىء فى بعض ردهاته، ومكتباً لتحفيظ القرآن فى ساعات معلومة، ومسرحا للوعظ الدينى بين المغرب والعشاء، ومنتدى للقاء الساعين فى الخير العاملين على عون الفقراء من أبناء الحى كل ذلك تجسد رأى العين أمام المشاهدين، ومع أن الدكتور الذهبى رجل قلم لا

الدكتور محمد حسين الذهبى

خطيب منبر فقد تفجر البيان على لسانه خطيباً فى مسجد سيدى بشر إذ ألهمه الواقع المشهود ما تدفق به لسانه عن حماسة حارة ويقين مكين.

وحين رأس احتفال الأئمة بوزارة الأوقاف، لم يكن بالذى يدعو إلى تأييد اتجاه أو نصرة حاكم هو صاحب الأمر والنهى، بل ألقى كلمته داعيا إلى اتباع المنهج القرآنى، موضحا أن أخلاق القرآن وسيرة السلف الصالح هى مجال الوعظ والإرشاد، وأن الداعية المعاصر عليه أن يكون بصيراً بأحكام الشريعة وبشئون الناس معا، فلا يعالج قضيته إلا فى ضوء كتاب الله، ولايتسع فى الاستطراد الخطابى دون أن يغمر سامعه بفيض من آيات الذكر وأحاديث الرسول - ﷺ - على أن يكون ذلك فى موضوع واحد لايتعداه إذ ما رُزِئ الوعظ الدينى إلا بتعدد الموضوعات فى خطبة واحدة فيأمر الواعظ إجمالا بكل مأمور، وينهى عن المنكرات يسردها سرداً، وهى معروفة للسامع سلفاً إنما يريد

(١) مجلة الثقافة - ٢٥ / ٢ / ١٩٤٧ م.

التدليل والتعليل ، وهو ما لايمكن مع تشعب الأغراض .

ولم يكن عجيبا لدى من يعرف الدكتور الذهبى أن يراه أمام وزارة الأوقاف يقف مع امرأة فقيرة جاءت تطلب العون من وزارة الأوقاف ، فيقرأ الطلب قبل أن يدخل ويسأل السيدة مستفهماً مستوضحا ثم يخف له من يتملقه قائلا : إن فضيلة الوزير له أن يستريح فى مكتبه ثم يستدعيها ! فيبتسم الشيخ ويقول : لم أتعب يا أخى فدعنى فإذا اتجه إلى مكتبه أصر على أن يقرأ كل ورقة يقوم بالتوقيع عليها ويصلى الظهر والعصر بالمكتب إذا لم يفرغ من عمله فإذا قيل له إن المسألة منتهية وتوقيع الوكيل ومن دونه يكفى قال فى ابتسام : ولماذا أوجب القانون أن أوقع ! وإذا كان فيما يعرض ما يرفض وله أنصار ذوو احتيال فقد أكثروا من اللغط حوله حتى اضطر أن يقول فى مجلس الشعب « لم أكسب من الوزارة شيئا ، وأفضل أن أرجع إلى الكلية أستاذا ، إذا لم أقم بالأمر على وجهه الصحيح » !

وقد رجع إلى الكلية كما أراد ، رجع فى هدوء صامت تظلله السكينة ، وطالع طلابه بوجه ضاحك ، وكأنه يستقبل فرجاً بعد ضيق ، ويسرا بعد عسر ، ولكن القدر قد كتب له الشهادة ، إذ كان من واجبه أن يرد على فتوى وجهت إليه بشأن من يدعون أن الإسلام يفرض الهجرة على أتباعه إلى معتزل ينأى عن المجتمع ، وقد فرض الإسلام النضال لا الاعتزال ، فالإسلام إيجابى لا سلبى ، يعرف ذلك كل من قرأ شذورا من كتاب الله ، وما جاء رسول الله ليدعو إلى اعتزال سلبى ، بل جاء يقاوم الشرك فى أمنع معاقله حتى كتب له النصر ، وأتم الله نوره على الكون بما هدى من نفوس ، وجمع من شمل ولم تكن المسألة بحيث يختلف فى شأنها مختلف ، ولكن الأغرار من الأيفاع يستجيبون لكل ناعق ، فزين لهم الشيطان أن يريقوا دما طاهرا كان حقه الصون ، ولكن سلسلة الشهداء البررة التى كان فى براعة استهلالها أمثال عمر وعثمان وعلى والحسين ظلت حلقاتها تتواصل عبر الأجيال حتى كان محمد حسين الذهبى إحدى هذه الحلقات ، فلقى الله شهيدا أمينا ، وترك لتلاميذه حسرة فى النفوس نحس ألمها اللاذع فنستجير بالصبر ، مغتبطين بمكانته عند ربه ، إذ لا يلقاها إلا ذو حظ عظيم .

التحق الطالب محمد حسين بالأزهر فى أواخر العشرينيات فاتخذ لنفسه منهجاً واضحا ، أساسه البعد عن الحركات السياسية التى شملت الأزهر فى عهدى الإمامين المراغى والظواهرى متفرغا للدراسة الهادئة ، جاعلا نصب عينيه العكوف على تحصيل المواد الدراسية فى شتى فروعها ، وكان اسمه بين المتقدمين فى امتحانات السنوات المتوالية ، ثم رغب فى الالتحاق بكلية الشريعة الإسلامية ليواصل التقدم فى امتحاناتها المتصلة ، وبهذا التقدم تهيأ للانتساب إلى تخصص المادة ، وهو تخصص « للدراسات العليا » وُضعت الشروط الدقيقة للالتحاق به إذ لايتهيأ له غير خيار النجباء من الطلاب ، وقد نال مرتبته النهائية بدرجة مشرفة ، إذ عكف على دراسة تاريخ التفسير القرآنى فى رسالة غير مسبوقة فى موضوعها ، إذ لم يسبق أن استقل تاريخ التفسير القرآنى برسالة علمية ذات مجلدات ثلاثة قبل أن يكتب الذهبى رسالته ، نعم إن تاريخ التفسير القرآنى كان يدرس باعتباره فصلاً من الفصول المندرجة تحت ما يسمى بعلوم القرآن ، وهى علوم

تمتد إلى عشرة فروع منها القراءات ورسم المصحف وأسباب النزول وغيرها مما نجد صورة مقربة له فى كتاب « مناهل العرفان » للأستاذ محمد عبد العظيم الزرقانى ، وقد كان من رأى الدارس أن يقتصر على عصر من عصور التاريخ القرآنى ، كما أشار إلى ذلك فى كتابه حيث يقوم بتاريخ الحقبة الأولى للتفسير فى العصر الإسلامى الأول ، أو فى حقبة تليها كمرحلة الإزهار فى العصر العباسى ، أو يقتصر على تحليل المؤلفات المعاصرة لكبار المفسرين ممن ملأوا فراغا كبيرا فى مفتتح هذا القرن ، كان هذا رأى الباحث ، ولكن المشرفين على المادة رأوا فيه مقدرة على استيعاب هذا التاريخ الحافل المتشعب ، وهو تكليف بجهد غير مسبوق ، لأن المؤلفات القديمة اكتفت بما يسمى بطبقات المفسرين ، وهى تراجم تنقبض وتنبسط دون أن تحيط بالعوامل الداعية لتطور الأسلوب التفسيرى ، أما المحدثون فلم يلج الحلبة منهم غير المستشرق المجرى جولدزيهر ، وكان كتابه غير مترجم إلى العربية فى الوقت الذى كان فيه الذهبى يتهيأ لوضع رسالته ، وقد حدثنى - رحمه الله - أنه فى غمرة حيرته فى سلوك النهج الذى يتبعه فى تأليف الرسالة الجامعية ، عمل على شراء الطبعة الألمانية لكتاب المستشرق المجرى ، وحيث كان لا يقرأ الألمانية فقد توسل لبعض الأساتذة المصريين ممن يجيدون الألمانية أن يترجموا له فهرس الكتاب فقط ، وهو لا يتجاوز خمس صفحات ليرى من مضمونه ما يمده بنهج مقارب ، ولكن هؤلاء الأفاضل قد أشاحوا عنه متعللين بكثرة الأعباء العلمية ، وهو تبرير لا يخلو من ملامة ، إذ كان من واجبهم العلمى أن يسعفوا طالب العلم بما يريد فى غير مشقة تلحقهم مهما انتحلوا شتى الأعذار ، وقد لا يعلم القارىء أن كتاب المستشرق المجرى قد طبع مترجماً إلى العربية بعد أن فرغ الباحث من إعداد رسالته ، ونال عليها درجتها العلمية ، فعين مدرسا للتفسير والحديث بكلية الشريعة ، ولكنه آثر ألا يطبع الرسالة حتى يقرأ النص الألمانى ، وتم له ما أراد فلاحظ بعض الأخطاء فيما قرأ ، وتولى التعقيب عليها بما يراه ثم أضاف ذلك إلى الرسالة ، وعد كتاب المستشرق من مراجعه فى خاتمة الكتاب ، والدارس لكتاب الشيخ يرى جهدا حافلا فى البحث والاستيعاب والتحليل والنقد ، حيث امتدت الرقعة الفسيحة أمام الباحث ، فتكلم فى أجزاء الكتاب الثلاثة عن المرحلة الأولى للتفسير فى عهد النبى - ﷺ - وأصحابه الكرام فى الباب الأول ، وخص الباب الثانى بعصر التابعين ، ولو كان لى رأى لضم المؤلف البابين فى باب واحد لقرب المنهج فيهما دون اختلاف كبير ، وقد بدت شخصيته الناقدة واضحة فيما كتبه عن اتهام الأستاذ جولد زيهر [1] والأستاذ أحمد أمين لابن عباس وغيره من الصحابة بالتوسع فى الأخذ عن أهل الكتاب ، حيث وضع الأمر فى نصابه بما لا يقبل الدفع ، وكر على نقدات أخرى ساقها جولدزيهر فى كتابه (المذاهب الإسلامية فى تفسير القرآن) حين زعم أن ابن طلحة صاحب الصحيفة المشهورة فى التفسير ، قد نقل الكثير من آراء ابن عباس

(١) التفسير والمفسرون - ص ٧٢ وما بعدها - (جـ ١) الطبعة الرابعة .

رضى الله عنه مع أن ابن طلحة لم يأخذ التفسير سماعا عنه ، وإنما أخذ عن مجاهد بن جبير . وإذا كان ذلك صحيحا فلن يفيده الزعم فى شىء مادام مجاهد ثقة لاترد له رواية نقلها عن ابن عباس ، أما الباب الثالث وقد جاء خاصا بالمرحلة المنحصرة فى عصور التدوين فمن أنفس ما كتب الباحث حيث دل على سعة اطلاع ونفاذ رأى ، وإصابة تامة فى مجالدة الفحول من كبار المؤلفين ، وقد تصدى لرواية كعب الأحبار مواجها من ذهبوا إلى تكذيبه وفيهم كبار أماثل مثل السيد محمد رشيد رضا ، وروى من النقول ما أيد وجهته ، وليس لى أن أفصل بين السيد رشيد والدكتور الذهبى ، فهذا فوق مقدرتى ، ولكنى سررت حين رأيت رأيا يصول على رأى بالدليل وحجة تدفع حجة بالإسناد .

ثم تتابعت الأبواب متدرجة فى صراطها التاريخى حتى انتهت إلى العصر الحديث فى رحلة شاقة لايقوم بها غير أولى العزم من الفاقهين ، إذ بدأ الدارس بما يقال عن التفسير الموضوعى والتفسير بالمأثـور ، والتفسير بالرأى فى عقود منتظمة تضم الكبار من أمثال الطبرى والسمرقندى والبغوى وابن عطية وابن كثير والثعالبى والسيوطى ثم عن أصحاب التفسير بالرأى مثل الفخر الرازى والبيضاوى وأبى حيان والنيسابورى وأبى السعود والألوسى ، ويطول بى المدى لو أشرت إلى اسم كل من تعرض له فضلا عن إيضاح رأى الباحث فى منحاه إلا أن ذلك لا يمنعنى من الإشادة بالجهد الحافل الذى خص به التفسير الشيعى وتفسير الاعتزال ، وقد جاء ذلك فيما يقرب من جزءين حافلين كتبهما سابقا غير مسبوق ، أما العصر الحديث فقد أشرق التجديد فيه بتفسير المنار للأستاذ الإمام محمد عبده وتلميذه من بعده ، ثم من حاولوا الانتماء إلى مدرسة الإمام من أفاضل المعاصرين ، وهكذا يرى القارىء أن الرقعة قد امتدت إلى ميدان فسيح ، وقد أحسن المؤلف توضيح مرماه حين قال فى مقدمة الكتاب[1] :

(لقد رجوت من وراء هذا العمل أن أنبه المسلمين إلى هذا التراث التفسيرى الذى اكتظت به المكتبة الإسلامية على سعتها وطول عهدها ، وإلى دراسة هذه التفاسير على اختلاف مذاهبها وألوانها ، وألا يقصروا حياتهم على دراسة كتب طائفة واحدة أو طائفتين دون من عداهما ، من طوائف كان لها فى التفسير أثر يذكر فيشكر أو لا يشكر .

ورجوت أيضا أن يكون لعشاق التفسير من وراء هذا المجهود موسوعة تكشف لهم عن مناهج أشهر المفسرين ، وطرائقهم التى يسيرون عليها ، ليكون القارىء على بصيرة من الكتاب الذى يقرأه وعلى بينة من نهجه ولونه ، حتى لايغتر بباطل أو ينخدع بسراب) .

(١) التفسير والمفسرون ـ ص ٩ ـ ط ٤ .

المروءة
من أسس الشخصية المسلمة

للأستاذ : مجدى عبد الحميد بشير

إن بناء شخصية المسلم لا يتم إلا إذا ملك صاحبها نفسا قوية بالإيمان ، وعزيمة مضاءة بالإيقان ، وهمة عالية فى صدق العمل ، وأخلاقا سامية لا تغتر بالعلم وحده ، وتدرك أن العبق الطيب ينتشر أريجه فى سيرة حسنة فاضلة ، تبقى بعد رحيل صاحبها ، إلى عالم البقاء .

وشخصية المسلم فى سبيل المجد تبتعد عن سفاسف الأمور ، ومحقرات الأعمال ، ورذائل المسالك . فالحياة الفاضلة قرين الخلق الرفيع ، والأدب العالى ، والذوق الهادى .

وإنما الأمم الأخلاق ما بقيت
فإن همو ذهبت أخلاقهم ذهبوا

أجل : فبصحيح الدين ، وكريم الخلق يكتسب صاحب هذه الشخصية الكثير من المصافين ، ويقل معادوه ، وتسهل عليه الصعاب ، وتلين له القلوب الغضاب .

قال تعالى :

﴿ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴾ (فصلت : ٣٤)

وقد جسَّد ذلك وقرره نبينا الكريم محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقال : « إن من أحبكم إلىَّ وأقربكم منى مجلسا يوم القيامة أحاسنكم أخلاقا ، وإن من أبغضكم إلىَّ وأبعدكم منى يوم القيامة الثرثارون والمتشدقون والمتفيهقون » .

قالوا : يارسول الله ، قد علمنا الثرثارين والمتشدقين . فما المتفيهقون ؟

قال : « المتكبرون » (١) .

وإن لمحاسن الأخلاق حدوداً إن تجاوزتها صارت ملقا ، وإن تراجع بها أصحابها عن الحق صارت نفاقا ، وهما أمران تنتج عنهما ثمرة مرة المذاق ، لحمتها وسداها والشقاق ، وسوء الأخلاق .

فمن أهم الركائز التى تبنى عليها الشخصية المسلمة إذاً المروءة ، تلك الفضيلة العظمى ، التى أشاد بها الدين ، ونوه وتغنى بها الأدباء فأطربوا .

إنها تنتظم من الأخلاق الحميدة أعلاها ، وتتسنم من الآداب الشريفة أسماها ، وأرقاها ، فهى جماع مكارم الأخلاق ، وخلاصة محاسن الآداب ، خصلة جامعة لأشتات المبرات ، وجالبة لأسباب المسرات ، دالة على كرم الأعراق ، حافزة للمرء أن يشرئب إلى معالى الأمور .

وهى حلية الأنفس وزينة الهمم ، بها تصان النفوس عن كل خلق ردىء ، إنها فى ميزان المنصفين تفوق العقل ، وتصافى الروح محبة ومودة ، حتى قال القائل عنها :

« العقل يأمر بالأنفع والمروءة تأمر بالأجمل والأرفع » .

ترى من أين تُستمد المروءة وفى أى تربة تستنبت زهورها ؟ إن لها منابع عذبة صافية متلألئة تنهل منها المروءة نهلا ، كتاب الله ، وسنة نبيه ـ صلى الله عليه وسلم ـ وآثار السلف الصالح .

فإن جولة فى رياضهم الزاهرة ، وبساتينهم العامرة ، بالخلق الكريم ، لتسعد الروح بوردها ، وتنتشى النفس بأريجها ، فقد سُئِل سفيان بن عيينة ـ رحمه الله ـ : أين نجد المروءة فى كتاب الله ؟ فقال :

فى قوله تعالى :

﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾

(الأعراف : ١٩٩)

ففيه المروءة ، وحسن الأدب ، ومكارم الأخلاق ، ويشرح ذلك بقوله ـ رضى الله عنه ـ :

إنه جمع فى قوله ﴿ خُذِ الْعَفْوَ ﴾ صلة القاطعين ، والعفو عن المذنبين والرفق بالمؤمنين وجميل أخلاق المطيعين ، ودخل فى قوله ﴿ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ ﴾ صلة الأرحام ، وتقوى الله فى الحلال والحرام ، وغض الأبصار ، والاستعداد لدار القرار .

ودخل فى قوله ـ تعالى ـ ﴿ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾ الحض على التخلق بالحلم ، والإعراض عن أهل الظلم ، والتنزه عن منازعة السفهاء ، ومساواة الجهلة والأغبياء وغير ذلك من الأخلاق الحميدة ، والأفعال السديدة والسلوكيات الموفقة الرشيدة ثم قال ـ رحمه الله ـ : وقال الله ـ عز وجل ـ :

﴿ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴾

(القصص : ٧٧) .

قال سفيان : « ففيها عين المروءة وحقيقتها » .

ولئن دلت الحادثة التالية على الحلم ، فما هى

(١) رواه البخارى فى الأدب المفرد ، والترمذى من حديث جابر مرفوعا .

إلا غرس المروءة التى تسنم صاحبها ذرى مكارم الأخلاق ، فعن ابن عباس - رضى الله عنهما - قال : « قدم عيينة بن حصن ، فنزل على ابن أخيه الحر بن قيس ، وكان من النفر الذين يدنيهم عمر - رضى الله عنه - وكان القراء أصحاب مجلس عمر - رضى الله عنه - ومشاورته كهولا كانوا أو شبانا ، فقال عيينة لابن أخيه : « ياابن أخى لك وجه عند هذا الأمير ، فاستأذن لى عليه » . فاستأذن له ، فأذن له عمر ، فلما دخل عليه قال : هيه ياابن الخطاب ، فوالله ما تعطينا الجزل ، ولا تحكم فينا بالعدل ، فغضب عمر - رضى الله عنه - حتى هم أن يوقع به فقال له الحر : « ياأمير المؤمنين إن الله تعالى قال لنبيه - صلى الله عليه وسلم - ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾ وإن هذا لمن الجاهلين ، فوالله ما جاوزها عمر حين تلاها ، وكان وقافا عند كتاب الله - تعالى » . (رواه البخارى) .

وفى بسط أشمل لمعنى ذلك الخلق الرفيع يقول أبو عثمان الصابونى - رحمه الله - مازجاً بين حسن المعتقد ، واستقامة السلوك ، واستكمال المروءة على طريقة السلف الصالح ومنهجهم ، يقول : « يتواصون بقيام الليل ، والناس نيام ، وبصلة الأرحام ، وإفشاء السلام ، وإطعام الطعام ، والرحمة بالفقراء والمساكين ، والأيتام ، والاهتمام بأمور المسلمين ، والتعفف فى المآكل والمشارب ، والملابس ، والمكاسب ، والسعى فى الخيرات ، والأمر بالمعروف ، والنهى عن المنكر ، والبدار إلى فعل الصالحات أجمع ، واتقاء شر عاقبة الطمع ، ويتواصون بالحق ، ويتواصون بالصبر » .

والمروءة كما أوضحها العلماء : باب مفتوح ، وخير ممنوح ، وستر مرفوع ، وطعام موضوع ، وعفاف معروف ، وأذى مكفوف ، أنهارها موصولة ، وحسنات مبذولة ، وهفوات محمولة ، وأعذار مقبولة ، يقول على بن أبى طالب - كرم الله وجهه - : « مروءة الرجل حيث يضع نفسه » وأول المروءة - كما أوضح ميمون بن ميمون ، فقال : - طلاقة الوجه ، وثانيها : التودد ، وثالثها : قضاء الحوائج » . وفى تحديد مشرق للمروءة التى ترتفع بملتزمها إلى مصاف الملائكة سموا ورفعة ، وتنزها ، وتأدبا ، قالوا : « إنه ليس من المروءة أن يربح الرجل على صديقه ، أو أن يستخدم ضيفه ، ولقد طبق التجار المسلمون هذا الخلق تطبيقا لا يعرف له نظير فيما نعلم ، فقد كان الواحد منهم إذا أغدق الله عليه من الربح الوفير ، والمال الحلال ، وإلى جواره تاجر مثله ، وأخ له فى الله لم يربح ما يكفيه ، نظراً لعدم إقبال الناس عليه ، يدل زبائنه - وهم كثر - على دكان أخيه الذى لم يكتسب ما يكفيه ، معتذرا لمن يريد الشراء منه بأن البضاعة التى يطلبها ليست عنده ، مع أن دكانه يمتلىء ويكتظ مؤثراً أخاه بالكسب ، والربح الوفير ، حتى تهدأ النفوس ، وتسعد فما أسمى أخلاق هؤلاء القوم .

ونسوق هنا مثلا بسيطا ليت المحدثين ينتبهون إليه ، ففيه دروس وعبر ترتقى بصاحبها إلى معالى الكمالات درجات ودرجات ، فقد روى أن سعيد ابن العاص كان بينه وبين قوم من أهل المدينة منازعة ، فلما ولاه معاوية المدينة المنورة ترك المنازعة ، وقال : (لا أنتصر لنفسى وأنا والٍ عليهم) .

قال ابن عقيل : هذه والله مكارم الأخلاق ، وهذه هى المروءة ، أترى كيف أحجم عن استخدام سلطانه مع خصومه مع أنه كان بإمكانه أن يُقدم ؟!

وأما فلسفة الأحنف بن قيس فى المروءة فحرى

بنا ألا نغفلها ، ففيها إعمال للعقل ، ونور للبصيرة ، إنه يقول : « ما نازعنى أحد إلا آخذ نفسى بأمور ، إن كان فوقى عرفت له حقه ، وإن كان دونى رفعت قدرى عنه ، وإن كان مثلى تفضلت عليه » .

وأنوار المروءة فى القرآن مصابيح تنير ، وقناديل تضىء ، يجذبنا منها وميضها اللألاء ، ونشرها الطيب ، وعرفها الزكى ، وها هو القرآن يقص علينا طرفا من أخلاق سيدنا موسى - عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام - فيقول الله - تعالى -

﴿ وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰ إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾ فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ ﴾

(القصص : ٢٣ - ٢٦) .

فانظر إلى المروءة كيف كانت طريقا لنجدة الملهوف ، وإسداء المعروف ، والنجاة من الحتوف ، والفوز فى الدنيا والآخرة ، فأين سلوكيات الشباب من هذه الأخلاق العظام ؟!

إن حجة الكثيرين فى النأى عن المروءة حجة واهية لا تجد لها سندا من عقل ، أو دين .

فالبعض يحتج بقلة المال ، وهل القيام لإجلاس حامل ، أو مرضع ، أو صاحب عقل ، أو ظرف خاص فى حافلة عامة ازدحمت بالبشر يحتاج إلى مال ؟

هل إذا طلب مكفوف - مثلاً - أن تقرأ له رقم حافلة ، أو تساعده على ركوبها ، يتطلب أن تكون من ذوى الأموال ؟ كلا : إن المثبط على ذلك هو انعدام المروءة ، وشدة الوهن فى الدين ، وهما أمران يدفعان بالشباب دفعا إلى الوقوع فى خوارم المروءات ، إذ تجردوا من مكارم الأخلاق ، وابتعدوا عن حميد الشيم ، إنهم لا يستحيون من الله حق الحياء ، وإذا لم تستح فاصنع ما بدا لك ، فى جرأة وقحة ، وانظر فى مسالكهم وتأمل أخلاقهم ترى كثيراً من ناشئة المسلمين لا يبالون أن يسيروا فى سوءات العصر المستوردة فى المآكل والملبس ، والحركات والهيئات ، فى ثياب مزركشة ، وسلاسل معلقة ، وتصرفات مخجلة مخزية ، ومالعلاج إلا بالرجوع إلى دين الله ، وتوجيهاته ، والأخذ بالمروءة وكمالاتها ، ولقد قالت الحكماء : « لا مروءة لمن لا أدب له » . وقالوا أيضاً : « اثنتان لا تجتمعان : الكذب والمروءة » .

وإن آفة المروءة إخوان السوء ، وقرناء الفساد .

وبعد : فإن من يقرأ ما أوصى به لقمان ابنه من كريم الوصايا ليجد المروءة تتضح من وصاياه عذبة سلسلا رقراقا ، وماذلك إلا لأنها وصايا استندت إلى عقيدة راسخة بالله ، وحكمة يؤمن بها كل من رام صوغ شخصية أبنائه وبناته على المروءة الصادقة ، التى تكسب المستمسكين بأهدابها اتزاناً لا يخرج بهم عن الجادة ، ولا يردهم عن مواطن الفضل ، ومعالى الأمور فهم منبعثون إلى ذلك .

وفى قلوبهم وعقولهم قول البارى - عز وجل - :

﴿ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ ﴾

(الحديد : ٢٣) .

فالرزق والأجل بيد الله وحده فالمروءة المروءة يا شباب المسلمين .

دور الإعلام الوطنى فى حفظ هوية المجتمع

أمام تيار العولمة

للدكتور: محمد عبد الحكيم محمد (*)

يلعب الإعلام والاتصال دوراً خطيراً ، فى حياة الأمم والشعوب ، فلم يعد ترفاً يمكن الاستغناء عنه ، ولم يعد قاصراً على الإعلام والتعليم كما تقول بعض النظريات ، إنما تخطى هذا الدور إلى آفاق إنسانية بعيدة ، ترتبط بالقيم والعادات ، والوجدان والمشاعر ، وأنماط السلوك ، وقد أوشك الإعلام بفضل ثورة الاتصالات الكبرى أن يُسقط الحواجز بين الأمم والشعوب ، ومن لم أمكن النظر إلى آثاره السلبية على أنها من أخطر التحديات ، التى تواجه العرب والمسلمين فى الوقت الحاضر .

فقد أصبح « الاختراق الثقافى » لمجتمعاتنا العربية والإسلامية ـ عبر الإذاعات الموجهة والقنوات الفضائية والإنترنت وغير ذلك ـ أمراً مألوفاً ، وواقعاً ملموساً ، وهو اختراق لا يحمل كل الشر فى جنباته ، إنما منه ما ينبغى أن نقبل عليه ، ونتفاعل معه ، ومنه ما يجب أن نغالبه ونواجهه ، والتمييز بينهما إنما يكون عن حكمة وبصيرة ، هى التى تدرك نوع التأثير سلباً كان أم إيجاباً ؟

ومن ثم تبدو أمتنا العربية والإسلامية فى مسيس الحاجة إلى إعلاميين نجباء ، ملمين

(*) الكاتب : مدرس الصحافة بكلية الآداب ـ جامعة المنصورة .

بمذاهب الغرب والشرق ، ويعرفون مشكلات العصر ، ويدركون قيمة الإسلام ومقدرته العظمى على حل المشكلات ، فيكشفون الزيف والبهتان ، والافتراءات والأباطيل ، ويطرحون حلوله لها ، ويؤكدون ذاتيته ، ويحافظون على هويته ، وهذا هو دور الإعلام فى كل وطن عربى أو إسلامى ، ومسئولية قادته ، لا سيما بعد أن تقلص دور الاتحاد السوفيتى ، وبدأ القطب الواحد « أحادى التفكير » فى رسم خطوط « العولمة » بأبعادها المختلفة ، على الواقع الاقتصادى ، والسياسى ، والثقافى .

تقسيم أهل الأرض :

وتمشياً مع سنة الوجود[1] ، فقد نجحت مجتمعات فى إحداث نهضة اقتصادية ، من خلال إنتاج المعرفة ، وإتقان تطبيقها ، فى المجالات الصناعية ، والزراعية ، والخدمية ، بينما فشلت مجتمعات أخرى فى تحقيق ذلك ، ومن هنا تحولت المجتمعات البشرية إلى مجتمعات غنية ، ذات اقتصاد قوى ، وتمتلك القدرة على التحكم فى مواردها ، ومجتمعات فقيرة ذات اقتصاد ضعيف ، تتحكم فيها عوامل خارجية ، وتفتقر للسيادة على مقدراتها .

ونظراً لأن غالبية المجتمعات الفقيرة تقع فى الجزء الجنوبى من الكرة الأرضية ، فقد عرفت بدول « أهل الجنوب » ، بينما عرف سكان الدول الغنية بـ « أهل الشمال » ، ويمثل سكان أهل الجنوب ثلاثة أرباع البشر فى العالم ، ويتوقع أنه بحلول عام ٢٠٠٠ سوف تزداد هذه النسبة إلى أربعة أخماس البشر ، وهم يحتلون مايزيد على ثلثى المساحة اليابسة ، وبينما هم يعانون من بعض المشكلات المزمنة كنقص الاحتياجات الأساسية كالغذاء والكساء والمسكن والعناية الصحية والتعليم ، والازدحام وانخفاض أسعار المواد الأولية مع زيادة أسعار السلع الصناعية التى يستوردونها ، يعانى سكان أهل الشمال من مشكلتين أساسيتين ، أولاهما : الذعر النووى ، وثانيتهما : البطالة .

لكن يوجد عدد قليل من القضايا المشتركة بين أهل الشمال (الدول المتقدمة) ، وأهل الجنوب (الدول النامية) ، تتمثل فى النظام البيئى حيث توجد رئات كوكب الأرض المتمثلة فى غابات الدول النامية . . ومنظمة الأمم المتحدة والتجارة على الرغم من أن حصة الدول النامية من التجارة العالمية لا تبلغ سوى ١٥ ـ ٢٠٪ .

وبعد الحرب العالمية الثانية وفى خلال فترة الحرب الباردة ، التى استمرت خمسا وأربعين سنة ، تم تقسيم العالم إلى أقسام ثلاثة :

دول العالم الأول : وتضم أوروبا الغربية ، والولايات المتحدة الأمريكية .

دول العالم الثانى : وتضم الاتحاد السوفيتى ، ودول أوروبا الشرقية .

دول العالم الثالث : وتضم الدول النامية .

وخلال هذه الفترة قاد العالم القوتان العظميان

(١) د . على حبيش : العولمة والبحث العلمى .
ملحق الأهرام الاقتصادى ـ ديسمبر ١٩٩٧ .. بتصرف .

المتمثلتان فى الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى .

ومع انتهاء صراع القواتين العظمين تقلص الدور السوفيتى ، تفردت الولايات المتحدة الأمريكية إلى حد كبير بالساحة الدولية سياسياً ، وعسكرياً ، وساعد ذلك على التأثير المباشر فى شكل وموضوع التوجهات الاقتصادية والثقافية .

مفهوم العولمة :

وفى ضوء ما تقدم نرى أن « العولمة » بمعنى : وحدة العالم الكونى تيار غالب ، وأن التوافق معها أصبح قضية مصيرية لأنها تمثل النتاج الفعلى للنظام العالمى الجديد الذى تتبناه وتحرص عليه القوى الدولية المتحكمة فى مقدرات دول العالم أجمع .

وقد نص السيد صفوت الشريف وزير الإعلام المصرى[1] على أن : العولمة السياسية ، والاقتصادية ، والثقافية ، تفرض نفسها على أى مفكر ، يفكر فى وضع استراتيجية للإعلام الوطنى ، لاسيما أننا قادمون على عصر الفضاء ، وعلى ثورة اتصال ، وعلى عصر تسقط فيه الحواجز ، ويسترسل سيادته قائلاً :

وإن الإعلام الوطنى لابد أن يكون قادراً على أن يواجه تحديات نهاية القرن العشرين ، فقدرة الإعلام فى أن تكون له الرؤية المستقبلية ، فى أن يتعامل مع كثير من المعطيات والمتغيرات القادمة .

العولمة : سياسيا واقتصاديا وثقافيا :

والعولمة السياسية : تتسم بالديمقراطية والتعددية ، والحرية وحقوق الإنسان ، وتعظيم دور مؤسسات المجتمع المدنى ، ولا خلاف على هذا والكل يخطو على هذه الطريقة ، والحواجز تسقط ، وثورة الاتصال كان لها دورها الرئيسى فى الوصول إلى حدوث تلك المتغيرات وتقلص الأيديولوجيات وانكماش الدول العظمى وظهور القطب الواحد .

والعولمة الاقتصادية : تتسم بالتكامل الاقتصادى ، والتكتلات الاقتصادية ؛ للاستفادة من التطورات التكنولوجية الهائلة ، فالتكتلات الاقتصادية الدولية والإقليمية تعتبر خطوة نحو العالمية المطلوبة ، للتجارة الحرة بين دول العالم ، ولعل أشهر هذه التكتلات تكتل الاتحاد الأوروبى ، الذى اشتهر باسم السوق الأوروبية المشتركة ، ونحن نتجه إلى تحرير آليات السوق ، وإطلاق حرية المنافسة الاقتصادية فى برامج الإصلاح الاقتصادى وفقاً لتوجه الاقتصاد العالمى .

العولمة الثقافية : وهى قائمة بالفعل فى ظل ثورة الاتصالات ، وعصر الفضاء والسماء المفتوحة التى جعلت من العالم « عالماً كونياً واحداً » أو « قرية عالمية » ، نتيجة انكماش المسافات وزيادة الاحتكاك بين الشعوب وتطور وسائل الإعلام وتعاظم ثورة المعلومات وثورة الاتصالات وثورة التكنولوجيا وتأثيرها على طبيعة البشر وتطلعاته وسلوكه .

---

(١) الإعلام والألفية الثالثة - الأهرام الاقتصادى - العدد ١٥١٩ - ١٦ فبراير ١٩٩٨ ص ١١ .

خطر العولمة الثقافية :

على أن اختلاط الحضارات والثقافات إنما يتزايد ويتعاظم فى ظل العولمة الثقافية ، التى تتعايش معها المجتمعات المعاصرة ، مما يسبب إحداث تغييرات ثقافية فى مجالين :

الأول : مادى ، وهو ينفع ولا يضر ، بما يتضمنه من الإلمام بالابتكارات والاختراعات ، والتكنولوچيا الحديثة ، والتعامل معها والنظر فى إمكانية الإضافة إليها .

الثانى : معنوى ، وهو يضر أكثر مما ينفع ، لأن اختلاط الحضارات والثقافات قد ينعكس سلبياً على السلوك المعتدل والأخلاق العالية والقيم الفاضلة ، ومن ثم تشحب الهوية القومية .

دور الإعلام الوطنى فى إثبات الذات والهوية :

وتعنى العولمة الثقافية فى ظل ثورة الاتصالات والفضاء والسماء المفتوحة ، قدرة صانعى هذه الثورة التكنولوچية فى عالم البث والاتصال على التسلل والوصول إلى غير القادرين المتلقين لهذه الثورة التكنولوچية - عبر القنوات الفضائية والإنترنت وغيرهما - برسائل ثقافية متنوعة تؤثر حتماً على الثقافة الأصلية لهذه الأمم والشعوب ، فى محاولات دءوبة للهيمنة الثقافية .

وهنا تظهر أهمية دور الإعلام الوطنى لتحديد كيفية التعامل مع هذا التيار الاتصالى الثقافى ، الذى يستهدف فى جوانب منه التأثير على عادات المجتمع ، وقيمه الأخلاقية ، والدينية ، وإن شئت فقل : يستهدف تغريب الثقافة الوطنية وقطعها عن جذورها الدينية والأخلاقية .

مفهوم الإعلام الوطنى :

هو الإعلام المصرى بكل صوره ووسائله المتعددة من صحف ، وإذاعات وقنوات تليفزيون ، ومطبوعات إعلامية ونشرات دورية ، تخرج من أرض الوطن وتصل إلى أرجاء الوطن .

فلدينا ستمائة (٦٠٠)[١] صحيفة تصدر فى القاهرة وفى الأقاليم ، ما بين صحف قومية تصدر عن مؤسسات مملوكة للدولة ، وصحف حزبية تصدر عن الأحزاب المصرية ، وصحف مستقلة تصدر عن مساهمة تم تأسيسها فى عهد الرئيس مبارك وفقاً لقانون سلطة الصحافة الذى تم إنشاء المجلس الأعلى على أساسه .

ولدينا إحدى عشرة إذاعة محلية وإقليمية تملكها الدولة .

ولدينا عشر قنوات تليفزيونية تملكها الدولة ، منها ست قنوات إقليمية ، وقناة فضائية مصرية أولى ، وقناة فضائية مصرية ثانية ، وقناة النيل الدولية ، وقناة النيل للدراما .

ولدينا الهيئة العامة للاستعلامات ، ومالها من موقع كبير على شبكة الإنترنت ، فضلاً عما تصدره من مطبوعات إعلامية ونشرات دورية .

---

(١) وفقاً لآخر إحصاء صرح به السيد وزير الإعلام المصرى فى معرض الكتاب المصرى الذى أقيم فى فبراير ١٩٩٨ .

ضخامة المسئولية :

فكل هذا يعبر عن ضخامة حجم الإعلام الوطنى المصرى والذى يصل إلى كل ركن من أركان الأرض المصرية ، وإلى كل مواطن يعيش على تراب الوطن ، كما يعبر عن ضخامة مسئوليته فى تحمل التزامه القومى فى قضية بناء الإنسان المصرى وحفظ هويته وإسلامه وعروبته أمام تيار العولمة .

يستطيع الإعلام المصرى بكافة وسائله وأساليبه ، أن يجعل الإنسان المصرى يعيش عصره بكل معطياته ، وينفتح على كل الثقافات دون خوف أو وجل ، مادام أسهم فى تثبيت جذوره وتعميقها ، فمسئولية الإعلام الوطنى أن يحافظ على شخصية الأمة وهويتها من الذوبان فى غيرها .

ولا شك أن القيادة التى تخطط لهذه الكتيبة الإعلامية لها رؤيتها الثقافية وفكرها الاستراتيجى لمواجهة الاختراق الثقافى القادم من الإعلام المفتوح والسماء المفتوحة ، وتحقيق التوازن بين التراث الوطنى وروحه وقيمه ، وبين الإعلام العالمى ، ولكن عليها أن تضاعف من حجم وجودة الإنتاج ، الذى يحفظ على أبناء الوطن دينهم وشخصيتهم ، وذلك لمنافسة غزارة الدراما والأغانى والأفلام والمسلسلات الوافدة ، التى تؤثر على عادات المجتمع وهويته .

الصيغ الجذابة :

ولعل من أهم أهداف استراتيجية الإعلام المصرى فى حفظ ذاتية الأمة وشخصيتها ، أن يخرج إنتاجه المعدُّ لهذا الغرض فى صيغ إعلامية جذابة وناجحة ، ومقنعة ، ومشوقة ، ومن هنا نفسر نجاح استخدام الإعلام المصرى فى الوصول إلى عقل كل مشاهد على أرضه عندما وظفه البعض توظيفاً استهلاكياً فى خدمة الإعلان .

من روائع الماضى بمجلة الأزهر

شهر الله المحرم

للأستاذ الدكتور
على عبد الواحد وافى

إعداد وتقديم
عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

المحرم شهر الله ، وقد سمى بهذا الاسم لأن القتال كان لا يستحل فيه ، وأضيف إلى الله - تعالى - إعظاما له ، ومن الشهور أربعة حرم كانت العرب لا تستحل فيها القتال إلا حيان : خثعم ، وطىء ، فإنهما كانا يستحلان كل الشهور ، وكان الذين ينسئون الشهور أيام المواسم يقولون . حرمنا عليكم القتال فى هذه الشهور إلا دماء المحلين» فكانت العرب تستحل دماءهم - خاصة - فى هذه الشهور .

وجمع المحرم : محارم ومحاريم ومحرمات .

ولمنزلة شهر المحرم فى الإسلام لم يندب صيام شهر كامل على سبيل التطوع إلا هذا الشهر ، كما كانت له منزلته الخاصة فى نفوس العرب قبل الإسلام ، ولا أدل على ذلك من أنه قد خص من بين الشهور الأربعة الحرم بالاسم الذى يدل صراحة على حرمته ، وذلك قبل العبث فى مدة الشهور وأوضاعها وابتداع نظام النسيىء الذى غيَّر وبدل ، وجعلهم يتناسون أن تشريع الله للناس إنما هو تشريع للكون كله ، والحيدة عنه مخالفة لأصل هذا التكوين وبنائه ، فالتحليل والتحريم حق خالص لله - تعالى - ومزاولته من البشر بعد ماأنزل الله ليس كفرا فقط بل زيادة فى الكفر يضل به الذين كفروا .

ولمزيد من التوضيح والإرشاد قال الكاتب ـ رحمه الله :

يطلق اسم المحرم على الشهر الأول من شهور السنة العربية القمرية ، وقد كان لهذه الشهور فى أقدم عهود الجاهلية أسماء أخرى غير الأسماء المعروفة الآن ، وإن اختلف الرواة فى تحديد تلك الأسماء ، وأشهر ما ورد فى صدد المحرم أنه كان يطلق عليه اسم « المؤتمر » ؛ لأن العرب كانوا يعقدون فيه المؤتمرات للفصل فى أقضيتهم ، فيستفتحون فى السنة الجديدة بتصفية خلافاتهم فى العام السابق ورسم ما ينبغى أن تسير عليه علاقاتهم فى العام الجديد ، وأما الأسماء التى تطلق الآن على الشهور العربية فالمشهور أنها وضعت فى عهد كلاب بن مرة أحد أجداد الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ وكان ذلك قبل الإسلام بنحو قرنين .

وقد اختلف فى تعليل تسميتها بهذه الأسماء وأشهر ما ورد فى صدد المحرم أن العرب سموه بهذا الاسم لحرمة القتال فيه .

وقد اشترك مع المحرم فى هذا الحكم ثلاثة أشهر أخرى ، وهى : رجب ، وذو القعدة وذو الحجة ؛ فكانت هذه الأشهر الأربعة عند العرب أشهر سلام وهدوء ، يتفرغون فيها لأمور معاشهم وتنمية مواردهم وشئونهم الأدبية والثقافية والدينية ، وتقرر هذا النظام لديهم من قبل الإسلام بأمد طويل ، وكان لها حظ عظيم فيما وصل إليه العرب من رقى وحضارة قبل الإسلام ، بل يرجع إليها أكبر قسط من الفضل فى بقاء الجنس العربى نفسه ، فقد كانت العلاقات بين قبائلهم وبطونهم علاقات متوترة تسودها الإحن والعداوات ، ولم تتوافر لدى أمة ما أسباب التناحر والتقاتل والتطاحن بمقدار ما توافرت لدى هذه الأمة فى جاهليتها ، وما كان أكثر دواعى الحرب ومقتضياتها عندهم ، وكان يكفى أن تنشب حرب بين قبيلتين أو بطنين لأتفه الأسباب حتى ينضم إلى كلتيهما حلفاء وأنصار من القبائل والبطون الأخرى ، وتظل الحرب مستمرة عدة سنين ، وتحصد آلافا من الفريقين المتنازعين ، فلولا نظام الأشهر الحرم لاستأثرت هذه الحروب بجميع مظاهر نشاطهم ، واستغرقت جميع أيامهم ، ولوقف نموهم الاجتماعى والحضارى ، بل لفنى الجنس العربى نفسه .

وظل العرب أمدا طويلا محافظين كل المحافظة على حرمة هذه الشهور فى مواقيتها ، حتى إن الرجل منهم كان يلقى قاتل أبيه فيها فلا يمسه بسوء ، بيد أنه قد شق على بعضهم الكف عن القتال ثلاثة أشهر متواليات وهى : القعدة والحجة والمحرم ، فأدخلوا على الأشهر الحرم تعديلا يتيح لهم تقصير هذه المدة ، والاعتداء على حرمة شهر المحرم بالذات ، وهو نظام النسىء (من نسأه إذا أخر أجله) وذلك بأن يراعوا حرمة شهرين متتابعين وهما ذو القعدة وذو الحجة ، بدلا من ثلاثة ويحلوا القتال فى شهر المحرم ، على أن ينسئوا حرمته (أى يؤخروها) وينقلوها إلى شهر آخر كصفر مثلا ، فإذا جاء صفر واحتاجوا فيه للقتال أحلوه وحرموا ربيعا الأول . . وهكذا .

فأصبح المعتبر فى التحريم عندهم مجرد العدد لا خصوصية الأشهر الحرم ، وكانوا أحياناً يحلون شهراً آخر من الأشهر الحرم غير شهر المحرم ويؤخرون حرمته وينقلونها إلى شهر آخر من غير الأشهر الحرم .

وكانوا أحياناً يزيدون فى عدد شهور السنة فيجعلونها ثلاثة عشر أو أربعة عشر ، ويجعلون أربعة منها حرما ، ليتسع لهم الوقت للقتال ، ومن

أجل ذلك اضطربت مواقيت حجهم ، فكان يجىء حجهم أحياناً فى غير ذى الحجة ؛ ويروى أن أبا بكر قد حج بالناس فى السنة التاسعة من الهجرة فى شهر ذى القعدة ، لأن اضطراب المواقيت عند أهل مكة قد تقدم بالحج فى هذا العام عن موعده .

وقد أقر الإسلام نظام الأشهر الحرم فى وضعه الأصيل ، وقضى على كل ما حدث فى هذا الوضع من تلاعب ، فقرر أن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا لا يصح نقصها ولازيادتها ، وأنه لا يجوز أن يُستبدل بشهر المحرم شهر آخر ، فيجعل المحرم من الأشهر الحلال وتنتقل حرمته إلى هذا الشهر الآخر ، وأنه لا يجوز أن يفعل ذلك فى أى شهر آخر من الأشهر الحرم ، وأن النسىء ضلال وكفر وتغيير لكلمات الله . وفى هذا يقول الله تعالى :

﴿ إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ ﴾ (التوبة : ٣٦)

ويقول : ﴿ إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحِلُّونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا لِّيُوَاطِئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ ﴾ (التوبة : ٣٧)

أى ليجعلوا عدد الشهور التى يحرمونها متفقا مع عدد الشهور التى حرمها الله ، فيعتبرون فى التحريم مجرد العدد لا خصوصية الأشهر الحرم .

﴿ فَيُحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ ۚ زُيِّنَ لَهُمْ سُوءُ أَعْمَالِهِمْ ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿٣٧﴾ ﴾ (التوبة : ٣٧)

ويقول الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ فى خطبته فى حجة الوداع وهى الخطبة التى لخص فيها كثيرا من أحكام الشريعة الإسلامية وجعلها دستورا للمسلمين من بعده : « أيها الناس : إن الشيطان قد يئس أن يعبد فى أرضكم هذه ، ولكنه قد رضى أن يطاع فيها سوى ذلك مما تحقرون من أعمالكم (أى من الأمور التى تعدونها صغيرة) .

أيها الناس إنما النسىء زيادة فى الكفر يضل به الذين كفروا ، يحلونه عاما ويحرمونه عاما ليواطئوا عدة ما حرم الله . وإن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السماوات والأرض ، (وذلك أن الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ قد أعاد حينئذ الشهور إلى أوضاعها الصحيحة ، فكانت حجة الوداع فى مواقيتها فى شهر ذى الحجة) وإن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا فى كتاب الله يوم خلق السماوات والأرض ، منها أربعة حرم ، ثلاثة متواليات وواحد فرد : ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب الذى بين جمادى وشعبان : ألا هل بلغت ؟! اللهم فاشهد !»

غير أنه يظهر أنه لم يكن لدى العرب حينئذ فكرة دقيقة عن مدة الشهر القمرى من الناحية الفلكية (وهو الوقت الذى تستغرقه دورة القمر حول الأرض دورة كاملة ، ومقداره تسعة وعشرون يوما واثنتا عشرة ساعة وأربع وأربعون دقيقة وثانيتان وتسع ثوالث) .

ولذلك كانوا يسيرون فى الغالب فى تقدير هذه المدة على طريقة تقريبية ، فيجعلون شهرا ثلاثين يوما ويجعلون الشهر التالى له تسعة وعشرين يوما ، إلا إذا ثبتت رؤيتهم لهلال الشهر الجديد فى ليلة غير الليلة المتفقة مع حسابهم التقريبى ، فيصححون بذلك حسابهم . وفى هذا يقول الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ : (إنا أمة أمية لا تكتب ولا تحسب الشهر هكذا وهكذا) وأشار فى الأولى إلى مجموع أصابع يديه ثلاث مرات ،

البقية ص ١٠١

العُلوم الكونيّة

ابـن الشــاطــر
مكتشف نظام المجموعة الشمسية

مشـاكل المـراهـقة
عند الفتـيات

ابن الشاطر

مكتشف نظام المجموعة الشمسية

للأستاذ الدكتور : أحمد فؤاد باشا

كثيراً ما يردد المستشرقون وبعض مؤرخى العلم مقولة خاطئة مؤداها : أن العطاء العلمى للحضارة الإسلامية ، قد توقف تقريباً ، عند القرن السابع الهجرى (الثالث عشر الميلادى) ، وأن القرن الثامن الهجرى (الرابع عشر الميلادى) كان مرحلة تخلف وتدهور علمى ، فى ديار الإسلام[1] ، والحق أن المخطوطات العربية والإسلامية المدونة فيما يسمى بمرحلة التخلف عند المسلمين تشهد بأن الحركة العلمية فى عصر النهضة الإسلامية ظلت مستمرة آنذاك فى العديد من الدول الإسلامية ، ويعتبر ابن الشاطر واحداً من علماء هذه المرحلة الذين لم يوفهم المؤرخون حقهم من التنقيب عن آثارهم وأعمالهم ، ومن حقه علينا أن نعيد اكتشافه ونعرف الأجيال بمآثره العلمية والتقنية .

* نبذة عن حياة ابن الشاطر:

هو علاء الدين أبو الحسن : على بن إبراهيم الدمشقى ، المعروف « بابن الشاطر » ، وكما يتضح من اسمه ، فهو من مواليد دمشق ، وفيها توفى . عاش بين سنتى ٧٠٤ و٧٧٧ هجرية ، الموافقتين ١٣٠٤ و١٣٧٥ ميلادية ، لا نعرف عن سيرة حياته إلا القليل ، وخاصة أنه لم يلفت انتباه الباحثين إلا منذ حوالى خمسة وعشرين عاماً فقط ،

(١) إمام إبراهيم احمد ، تاريخ الفلك عند العرب ، سلسلة العلم والحياة ، عدد ٧٠ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٦م . (وقد صدر هذا الكتاب من قبل فى المكتبة الثقافية عام ١٩٦٢) .

عند دراسة أحد مؤلفاته الفلكية ، ومن القليل الذى عرف عنه أن والده توفى وتركه فى السادسة من عمره ، فكفله جده وعلمه تطعيم العاج ، ولذا سمى بالمطعِّم الفلكى ، ثم سلمه جده إلى قريب له علمه الفلك والهندسة ، وأعطاه لقبه « ابن الشاطر » الذى عُرف به ، وتعلق ابن الشاطر بالعلم ، وأخذ ينتقل من أجله بين القاهرة والإسكندرية وحلب ، وعمل فى وظيفة التوقيت ورياسة المؤذنين فى الجامع الأموى بدمشق .

والتوقيت فى الجوامع مهنة شاعت فى العصر الإسلامى ، وبدأت تتلاشى منذ انتشرت الساعات الميكانيكية الدقاقة ، وكان القائم بها (ويسمى « الموقت ») يحدد مواعيد الصلاة اليومية والمناسبات الشهرية والموسمية ، وذلك عن طريق متابعة الأرصاد باستعمال الاسطرلاب ، ومراقبة المزولة (الساعة الشمسية) لتحديد ساعات الليل والنهار ، ووضع جداول بصورة مستمرة تبين نتائج الرصد والمراقبة وتسمى « الأزياج » ، ولهذا نجد ابن الشاطر قد اهتم بتأليف الكتب ، والجداول الفلكية ، إلى جانب عمله فى مهنة التوقيت .

*** مآثره العلمية والتقنية :**

تزيد مؤلفات ابن الشاطر على الثلاثين مؤلفاً فى علم الفلك وأجهزة الرصد والقياس الفلكية ، لا يزال الكثير منها مفقوداً ، ولم تقتصر بحوثه فى الفلك على الجوانب النظرية ، بل إنها امتدت لتشمل أيضاً الجوانب العملية والتطبيقية ، فنجده قد ابتكر كثيراً من الآلات ، التى وصفها وصفاً تفصيلياً دقيقاً ، وبقيت رسائله المتخصصة فى الأجهزة الفلكية تتداول لعدة قرون فى كل من الشام ومصر ، والدولة العثمانية ، وبقية الدول الإسلامية ، وكانت مرجعاً لضبط الوقت فى العالم الإسلامى ، فعلى سبيل المثال ، صنع آلة لضبط وقت الصلاة سماها « البسيط » ووضعها فى إحدى مآذن الجامع الأموى فى دمشق ، وبقيت حتى عام ١٢٩٠ هـ ، حيث وجد أن وضعها قد اختل بمرور الزمن ، وعوامل الرياح والأمطار ، فقام من حاول تصحيح وضعها ، ولكنه لم يفلح .

وفى كتاب لابن الشاطر بعنوان : « الربع التام لمواقيت الإسلام » ، يقول : « إنى أمعنت النظر فى الآلات الفلكية ، الموصلة إلى معرفة الأوقات الشرعية ، فوجدتها مع كثرتها ليس فيها ما يفى بجميع الأعمال الفلكية فى كل عرض ، ويداخلها الخلل فى غالب الأعمال ، إما لصعوبة تحقيق الوضع ، أو لتحرك الآلات بعضها على بعض . . وكنت أود لو يسر لى الله تعالى وضع آلة تخرج بها جميع الأعمال بسهولة مقصد وقرب مأخذ ووضوح برهان ، فوفقنى الله - تعالى - لاستنباط هذه الآلة التى سميتها « الربع التام لمواقيت الإسلام » ، فوافق منطوقها مفهومها ، ورأيتها جامعة مؤدية لمنصف أمعن فيها وفى غيرها النظر . . » .

*** أهم اكتشافاته :**

كانت نظرية بطليموس ترى خطأً أن الأرض هى مركز الكون ، وأن الأجرام السماوية تدور حول الأرض دورة كل ٢٤ ساعة ، ووضع بطليموس لهذه النظرية حساباً فلكياً قائماً على هذا الأساس ، وكان العالم كله فى عهد ابن الشاطر يعتقد بصحة هذه النظرية ، ولكن الأرصاد الفلكية التى قام بها العالم العربى المسلم ابن الشاطر برهنت على عدم صحة نظرية بطليموس ، وأثبتت بدلاً منها أن الأرض والكواكب تدور حول الشمس بانتظام ، والقمر يدور حول الأرض ،

وهـذا هـو الاكتشـاف الـذى نسب إلى « كوبرنيكوس » بعد ابن الشاطر بعدة قرون [٢] .

وفى مقال نشر حديثاً فى « قاموس الشخصيات العلمية » أوضح المستشرق الإنجليزى المعاصر « ديفيد كنج » *D.King* أن كثيراً من النظريات الفلكية المنسوبة لكوبرنيكوس عن نظام المجموعة الشمسية قد أخذها هذا الأخير عن العالم المسلم ابن الشاطر ، وذكرت بعض المصادر أنه فى سنة ١٣٩٣ هـ (١٩٧٣ م) عثر على مخطوطات عربية فى بولندا ، مسقط رأس كوبرنيكوس ، اتضح منها أنه كان ينقل تلك المخطوطات العربية ، وينتحلها لنفسه ، وكان ابن الشاطر قد أكد فى كتبه أنه لم يساير من سبقوه من علماء العرب والمسلمين فى مجرد إبداء الشكوك فى نظريات بطليموس الفلكية عن مركزية الأرض وسكونها ، وأخذ عليهم أنهم لم يقدموا تعديلاً لها ، ويبدو أنه وصف نظريته الخاصة عن المجموعة الشمسية فى كتابه المفقود « تعليق الأرصاد » ، فهو يقول فى مقدمة كتابه « الزيج الجديد » : و« من أراد الوقوف على طرق الأرصاد ، التى سلكتها والآلات التى ابتكرتها والأعمال التى حررتها ، فعليه بكتابى المسمى « بتعليق الأرصاد » وكتابى المسمى « بنهاية السول » ، فإنه يظهر له الحق عيانا ، ويعذرنى فى مخالفتى لمن تقدمنى فيما وقع فيه من الاختلاف ، وذلك لضرورات رصدية ودقائق برهانية [٣] .

من ناحية أخرى يقول « توبى هاف » : أن الإنجاز الفلكى فى الإسلام خلال العصور الوسطى كان عميقاً ومتقدماً إلى حد أبعد من نظيره فى أوروبا ، حيث كان الفلكيون العرب يعملون بجد لإصلاح النسق « البطلمى » القائم على مركزية الأرض ، وذلك من خلال عملية معقدة متضمنة نماذج رياضية واستدلالات فلكية قائمة على المفاضلة بين النظرية والملاحظة .

ويقرر « هاف » أن شخصيات فى مدرسة مراغة غربى إيران ، مثل الأزدى ، والطوسى ، وقطب الدين الشيرازى ، وابن الشاطر ، قد نجحوا فى الوصول إلى نماذج لهيئة الكون ، غير نموذج بطليموس ، تكررت بعد ذلك فى كتاب كوبرنيكوس . . وإن التماثل بين نماذج الأجرام فى مدرسة مراغة (كما عدلها ابن الشاطر) ، والنماذج لدى كوبرنيكوس كبير إلى حد يمكن القول معه أن كوبرنيكوس قد يمكن أن يُعدّ أحد أتباع مدرسة مراغة .

وينقل « هاف » عن مجلة « إيزيس » *Isis* ٦٦ رقم ٢٣٢ لعام ١٩٧٣ ، رسما يوضح نموذج حركة الأجرام ، من الطبقة الأولى ، لكتاب كوبرنيكوس عن « مدارات الأجرام السماوية عام ١٥٤٣ م » ، ويشير إلى أن مناقشة كوبرنيكوس فى رأى مؤرخى العلم تدل على أنه لابد أن يكون قد اطلع على مخطوطة عربية متضمنة رسماً مماثلاً ، وقد لاحظ مؤرخ العلم « ويلى هارتينر » *W.Hartner* هذا التماثل فى كتاب للطوسى بعنوان « التذكرة » موجود فى مكتبة جامع السليمانية بأسطنبول ، وينقل « توبى هاف » نماذج مماثلة لابن الشاطر من كتابه « نهاية السول » عن نسخة موجودة فى مكتبة بودلين باكسفورد [٤] .

ونحن من جانبنا ندعو إلى إعادة تقييم

---

(٢) د . على عبدالله الدفاع ، اثر علماء العرب والمسلمين فى تطوير علم الفلك ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٩٨٣ م .

(٣) راجع : د . احمد فؤاد باشا ، التراث العلمى للحضارة الإسلامية ، ومكانته فى تاريخ العلم والحضارة ، القاهرة ، ١٩٨٣م .

(٤) توبى ا . هاف ، فجر العلم الحديث ، الإسلام ـ الصين ـ الغرب ، ترجمة د . احمد صبحى ، عالم المعرفة ، الكويت ، ١٩٩٦ م .

إنجازات عالم الفلك المسلم ابن الشاطر ، الدمشقى ، المتوفى بدمشق عام ١٣٧٥م ، كما ندعو إلى السعى الجاد فى البحث عن المفقود من مؤلفاته الفلكية والهندسية ، وإذا ثبت ما يتوسمه عنه بعض الباحثين المعاصرين من أنه السابق إلى تفنيد الأخطاء التى وقع فيها بطليموس عن حركة الكواكب ، وأنه الممهد بحساباته الفلكية لتصحيح النظرية الفلكية ، التى صاغها كوبرنيكوس عن هيئة الكون ، فسوف يعتبر من أعظم الفلكيين على مر العصور .

من روائع الماضى بمجلة الأزهر - بقية

وأشار فى الثانية إلى مجموعها مرتين وخنس الإبهام فى الثالثة . (أخرجه البخارى عن عبد الله بن عمر) .

فقد افتتح الرسول - عليه الصلاة والسلام - حديثه بقوله : (إنا أمة أمية لا تكتب ولا تحسب) ، يقصد بذلك أنهم لا يعرفون قوانين علم الفلك ، وبالتالى لا يعرفون مدة الشهر القمرى فى صورة دقيقة ، وأنهم لذلك يسيرون فى عدة أيام الشهر على طريقة تقريبية ، فيجعلون شهرا ثلاثين يوما ويجعلون الشهر التالى له تسعة وعشرين يوما .

ولاتقاء ما عسى أن يكون فى الحساب التقريبى من خطأ أوجب الإسلام فى الشهور المرتبطة ببعض الشعائر الدينية (كشهر رمضان الذى تؤدى فيه فريضة الصوم وشهر ذى الحجة الذى تؤدى مناسك الحج فى أيام معينة منه ، وخاصة أهم ركن من أركانه وهو الوقوف بعرفة ، فإنه لا يصح أداؤه إلا فى مدة محددة من اليوم التاسع وليلة العاشر) أن يعتمد فيها على رؤية الهلال وفى هذا يقول - عليه الصلاة والسلام - فى شهر رمضان : (صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته فإن غم عليكم فأكملوا عدة شعبان ثلاثين يوماً) .

ولشهر المحرم فى الإسلام مكانة مقدسة خاصة . ولذلك سماه الرسول - عليه الصلاة والسلام - : « شهر الله » . ولم يندب - عليه الصلاة والسلام - إلى صيام شهر كامل على سبيل التطوع غير شهر المحرم ، وجعله أفضل صيام بعد رمضان .

فعن أبى هريرة - رضى الله عنه - قال سئل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أى الصيام أفضل بعد رمضان ، فقال : « شهر الله الذى تدعونه المحرم » . (رواه أحمد ومسلم وأبو داود) .

ويظهر أنه كان له كذلك مكانة خاصة فى نفوس العرب فى الجاهلية ، بدليل أنه اختص من بين الشهور الأربعة الحرم بالاسم الذى يدل صراحة على حرمته ، وذلك قبل أن يعبثوا فى مدة الشهور وأوضاعها ويبتدعوا نظام النسىء الذى كان يتيح لهم فى الغالب انتهاك حرمة هذا الشهر بالذات .

ويسمى اليوم العاشر من شهر المحرم عاشوراء ، وقد يسمى التاسع كذلك تاسوعاء . والراجح أن هذه وتلك تسميتان عربيتان قديمتان . وليستا منقولتين من لغة أخرى . ويظهر أنه كان ليوم عاشوراء مكانة دينية خاصة عند قريش فى الجاهلية .

فقد روى عن السيدة عائشة أم المؤمنين - رضى الله عنها - أن : « يوم عاشوراء كان يوما تصومه قريش فى الجاهلية ، وكان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يصومه . فلما قدم المدينة صامه وأمر الناس بصيامه . فلما فرض رمضان قال : من شاء صامه ومن شاء تركه » .

مشاكل المراهقة عند الفتيات

للأستاذ الدكتور : أحمد رجائى عبد الحميد

إن المظاهر التى تعلن عن قرب حدوث الطمث الأول تبدأ قبل سنة تقريبا من حدوثه ، وتكون على صورة تبدلات واضحة فى الشكل العام للجسم ، والظواهر التى تسبق حدوث الطمث هى النمو المفاجىء وبخاصة فى منطقة الساقين ، ومن المهم أن نعرف أن نمو القدمين يسبق نمو الساق ، والفخذ بعدة أشهر فتبدو الأقدام طويلة بشكل غير متناسق ، ولكن سرعان ما يختفى هذا ، ومن المعلوم : أن نمو الجهاز العظمى فى الفتيات يبدأ مبكرا عنه فى البنين ، ولذلك تبدو البنات أطول من البنين فى مرحلة البلوغ ، والظواهر الأخرى هى ما يلى :

■ استدارة الوجه .

■ نمو الثديين .

المهم أن نلاحظ أنه لا توجد علاقة بين حجم الثدى والوزن ، ولكن تتدخل العوامل الوراثية فى ذلك ، وأحيانا يكون أحد الثديين أكبر من الثدى الآخر ، كما تتسع الهالتان حول الحلمتين اللتين تزدادان سمكا ، وتصبحان أكثر بروزا .

■ نمو عظام الحوض ، وزيادة عرضه حتى يكون عرض الحوض مثل عرض الكتف .

■ زيادة الطبقة الدهنية للجلد وتظهر على مستوى الجزء العلوى للفخذين والردفين ، والجزء العلوى للذراعين والبطن .

■ نمو شعر العانة الذى يتخذ شكل مثلث قاعدته على مستوى الطرف العلوى لمنطقة العانة ، ورأسه على مستوى الفرج ، وهذا بعكس ما يحدث فى الذكور ، حيث يتكون رأس المثلث ناحية السرة ، وهذا الاختلاف فى النمو مهم من الناحية الطبية ، حيث يتم تشخيص وجود خلل فى هرمونات الذكورة والأنوثة ، وبخاصة فى حالات العقم .

■ نمو شعر الإبط ، ومن المهم أن نعرف أن هناك بعض الفتيات يكون نمو الشعر لديهم خفيفا والبعض الآخر يكون نموه كثيفا .

■ تطور فى الأعضاء التناسلية : ويشمل زيادة فى حجم الشفرين : الكبيرين ، والصغيرين ، وكبر حجم البظر الذى يصبح قابلا للانتصاب ، كما تبدأ إفرازات الغدد التناسلية « غدد بارثولين » ويكبر حجم الرحم والمبيضين ، وكذلك حجم قناتى فالوب والمهبل ، كما يزداد سمك الغشاء المبطن للمهبل .

■ تغيير فى درجة الصوت حيث يميل إلى الخفوت .

الطمث الأول

إن الطمث الأول فى عمر كل فتاة له أهمية قصوى ، وفى بحث أجريناه فى إحدى قرى ريف مصر « الوجه البحرى » تم سؤال بعض السيدات من المتعلمات ، وغير المتعلمات عن تجربة أول طمث ، والمثير للاهتمام أن معظم المشاركات فى البحث شرحن بإسهاب هذه التجربة ، والتى كانت قاسية على البعض منهن ، والغريب أنه ما من واحدة منهن قد علمت بما سوف يحدث لها إلا بعد حدوثه ، ومنهن من اعتقدن أنهن جرحن ، ومنهن من ارتعبن وخفن ، ومنهن من حدث لهن الطمث فى المدرسة ، ولم يعلمن كيفية التصرف .

والطمث الأول يسمى الطمث « اللابويضى » حيث لا يكون عادة مصحوبا بإفراز بييضة ، ولكن أحيانا تنزل بييضة بدون طمث ـ وإن كان قليلا جدا ـ وإنى أذكر حالة رأيتها فى العريش (شمال سيناء) حملت ٢١ مرة ، ولم تر الطمث فى حياتها (لم تر إلا دماء النفاس) ، حيث تزوجت قبل سن البلوغ ، وحملت ولم تر الطمث ، وعادة ما يكون الطمث غير منتظم فى الأشهر الأولى من البلوغ .

كيفية حدوث الطمث :

تحدث زيادة فى إفرازات الهرمونات المنشطة للمبيضين من الغدة النخامية فى سن من الثامنة إلى العاشرة تقريبا ، وهذا يؤدى إلى أن تبدأ الحويصلات بداخل المبيض فى النمو ، وهذه الحويصلات توجد بها البييضة محاطة بسائل به هرمون « الأستروجين » (الهرمون الأنثوى الذى يفرز بواسطة المبيض) وهو الهرمون المسئول عن ظهور علامات الأنوثة فى البنت ، منذ بداية البلوغ ، كظهور الثدى ، واستدارة الجسم والأرداف ، وهذا الهرمون هو المسئول عن تحول الطفلة إلى فتاة بالغة .

مظاهر الطمث :

تولد الطفلة وفى مبيضها كل البييضات ، التى ستفرز خلال حياتها ، وبعد البلوغ ، وفى كل شهر تبدأ إحدى البييضات غير الناضجة الموجودة بالمبيض منذ الولادة فى النمو ، حتى تندفع بقوة خارج المبيض ، وتسير فى قناة فالوب إلى الرحم ، وفى نفس الوقت ينمو الغشاء المبطن للرحم ، وبعد نزول البييضة يتحلل الغشاء المبطن للرحم ، وينزل على هيئة الدم الذى يطلق عليه دم الحيض ، ثم تبدأ دورة ثانية .

الأعراض المصاحبة للحيض فى سن المراهقة :

تظهر بعض الأعراض التى تؤرق المراهقة ، مصاحبة للحيض فى الشهور الأولى ومنها :

- الصداع .
- انتفاخ وآلام فى الثديين .
- آلام فى أسفل البطن ، أو مغص ، وقد تكون شديدة تحتاج إلى علاج .
- آلام أسفل الظهر .
- تقلب المزاج وتوتر الأعصاب ، أو قلق .
- رائحة غير مستحبة .
- عدم انتظام فى عدد أيام الحيض .
- عدم انتظام أشهر الحيض ، حيث قد تأتى مرة ، وتختفى عدة أشهر ، أو تأتى على فترات قصيرة .

نصائح من الممكن أن تقدمها الأم للفتاة المراهقة :

- يجب التوعية التدريجية ، والتى تبدأ من سن السادسة ، والتى تتدرج إلى تحضير الفتاة لهذا الحدث الهام فى حياتها ، وبخاصة ـ كما ذكرنا سابقا ـ أنه من واجب الأسرة تعليم أبنائها وبناتها أحكام البلوغ ، وكيف تتعلمها الفتاة ؟

وهى لا تعلم ماهو البلوغ ، أو الحيض ، وفقه النساء به كثير من هذه الأمور الهامة التى يجب على الأم التركيز عليها :

التوعية الدينية :

وهى مفصلة فى كتب الفقه الإسلامى باستفاضة ، استنبطت من القرآن الكريم حيث يقول :

﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ﴾ (الأعراف ٣١)

﴿ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرۡ ﴾ (المدثر ٤)

ومن سنة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ حيث يقول : « اتقوا الملاعن الثلاث : البراز فى الماء الراكد ـ وتحت شجرة مثمرة ـ وفى الظل » .

* التوعية الصحية بالنظافة الشخصية .
* التوعية بأهمية الاستحمام يوميا فى أثناء الحيض ، وذلك يساعد على تنشيط الدورة الدموية ، وعلى التخلص من أى رائحة غير مستحبة ، وعلى نزول الدورة بدون آلام ، ومن الأخطاء الشائعة عدم الاستحمام فى هذه الفترة .

خميلة الشعر

إعداد الأستاذ / محمد عبد الوهاب

كل دنيا تبنى على غير دين
فبناء على شفيرٍ هارٍ

من أسمح الشعراء
حاتم الطائى

مناجاة

يسعد مجلة الأزهر ، وخميلة الشعر بها أن تقدم لقرائها الأعزاء درة شعرية نادرة من تراث إمام الدعاة فضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى .. مصورا من خلال أبياتها المعبرة . الرحلة المباركة لهجرة نبى الرحمة محمد - صلى الله عليه وسلم - من مكة المطهرة إلى المدينة المنورة .

والمجلة إذ توجه جزيل شكرها وخالص تقديرها لفضيلة الشيخ الشعراوى حين اختص مجلة الأزهر بهذه القصيدة الرائعة ، لا تنسى أن فضيلته علم من أعلام الأزهر ، أمد الله فى عمره ، داعيا لدين الله ، ومجاهدا فى سبيله .

جزاه الله عنا كل خير .

كلُّ دُنيا تُبنَى على غير دينٍ فبناءٌ على شفيرٍ هارِ

شعر فضيلة الشيخ
محمد متولى الشعراوى

أرْيَحِىُّ السَّماح والإيثارِ لك إرث يا طيبة الأنوار
وجمال الجلال فيك عريق لا حرمنا ما فيه من أسرار
تجتلى عندك البصائر معنى فوق طوق العيون والأبصار
ومن الحسن ما يضيق به الحس (م) وعند فاقد الهوى متوارى
قد حضنت الهدى حنونا فألقى فيك إشعاعه عصا التسيار
واحتفا بُقعة لجفوة أخرى ما تعد الأقدار للأقدار
ليس ينسى الزمان نصرتك الحق (م) بعزم محمدى النجار
هتف الحق حين هاجر حزما أَحُنُّ ياليل ، فى ضميرك سارى
لم ينهنه عن رسالته البطش (م) فباع الأوطان بالأوطار
وتخطى الرقاب ، والعين يقظى وتحدى ترصد الأنظار
حضنت ركبه العناية فانسا ب منيع الجناب كالإعصار
والذى حاطه الإله بعين كان فى غنية عن الأستار

★ ★ ★

قل لطلابه طلبتم عزيزا يتهادى فى قبضة الجبار
مكر الله إذ مكرتم فآبت بلظى الخزى ندوة الفجار

هـل رأيتم فتى الفـداء «عليًّـا» كيـف يحتـل قبلة الأخـطار ؟
ويـرى المـوت قـد أطـل عليـه كـاشر النـاب جـائـع الأظفـار
كيف يلهـو عنه ويسخـر هـزءاً من مشيب قبل اسوداد العـذار ؟
كيف يـرتاع ، والنبوة غـذته (م) حديـد المـهـنـد البـتـار ؟

★ ★ ★

يا وفاء الصديق فى رحلة الحق (م) سـلامٌ عـليـكَ يـا خـيرَ جـارِ
كـنـت درعـا ، إقـامـة ومسيرا ونصيـراً يُـرجى لـدى الإعسـارِ
عـلم الله مـا انـطويت عليـه فـجـزاهُ إمـامـةَ الأبـرار
وكـفـاه عـلى الجـزاء دلـيلا ثـانى اثنـين إذ هُمـا فى الغـارِ

★ ★ ★

نغَّم الغار : مرحباً بالهدى المحض (م) بـلحـن الـتـكـبـير والإكـبـار
مـرحباً بـالحيـاة أرسلهـا الله (م) لـدنـيـا تـورطـت فى الـعـثـار
مرحباً بالسلام والأمن والرَّحمة (م) والـعـدل والهُـدى والـوقـار
مـرحباً بـالبشير لـو عَقَلَ النـا س هُـداه أغـنى عن الإنـذار
مرحباً بالمُجير من غضب الله (م) وإن جـاء فى إهـاب المـجـار
كم حَسَدْنَا (حِراءَ) حين ترى الرو ح أمـيـنـاً يـغـذوك بـالأنـوار
(فحـراءُ) و(ثـور) صـار سـواء بهـما اشفـع لـدولـة الأحجـار
عبـدونـا ونحن أعبـد لـله (م) مـن الـقـائـمـين فى الأسـحـار
تخـذوا صـمتنـا علينـا دليـلاً فـغـدونـا لهـم وقـود الـنـار
قد تجنوا جهلاً كما قد تجنوه (م) عـلى ابـن مـريـم والحـوارى
لـلمـغـالى جـزاؤه والمـغـالَى فـيـه تُـنْجيـه رحمـة الـغـفـار
نـغَّم الـغـار بـالـنبى طـروبـا ومـن الـصـخـر رقـة الأوْتَـار
انزلا منزلاً كـريماً عـلى الله (م) مـنـيـعـاً عـلى أذى الـكـفـار
فعـلى مُـدخـلى أقيمت خيـوط تـتـحـدى عـزائـم الجـرار
هى أوْهَى البيـوت لكن سقتهـا عـزَّة الـصُلب قـوةُ الـقـهـار
أنـا عـين ، وأنتـما النورُ فيهـا وهـو فيهـا كـالهُدْبِ الأشفـار
لا تـراعى (أسماء) هيَّـا إلينـا وَأعِـيـنى عـلى سماحـة قـارى

واخطرى كاليقين يهزأ بالشك (م) حيـاءً من الـدُّجى فى خمـار
خـاتم الرسـل لا أطيق وداعـاً وعن المجتـلى يعـز اصـطبـارى
غـير أنى أرى المـدينـة ظمـأى فـاروهـا طـالعـاً يُبَـلُّ أوارِى
أنـا آثـرتهـا علىّ كـفـاءً وجـزاء الإيـثـار بـالإيـثـار
أطرق الغار خاشعاً ، وسرى الـ ـهادى حياة تدب بـين القفار
فـمشى الخـير حيث يمشى وَوَلّى كـل عُدْمٍ وطـاح كـل افتقـار
وأتى أمَّ مـعـبـدٍ فـتـسـامـت وهى من فكرة القِرى فى دوار
ويحهـا ويحهـا وويـح كـريـم حـين تؤذيه صـدمـة الإعسـار
قـدَّمـتْ شـاتَهـا بضرعٍ بخيـل فـإذا مَـسَّـه فـكـالمـدرار
وإذا الـلهُ كـان عونَ نـبـى فازجر العقـل عن حدود اقتـدار
حـرَّقت قلبهـا المـدينـة شـوقـاً عـبـقـريـا لـطلعـة المـخـتـار
أسرعى نـاق فـوق رَحْلك نـورٌ تـرتجـيـه مـواكـب الأنـصـار
رحمـة للحبيب يـرجـو حـبيبـا فـيرى الدهـر فى أقل انتـظار
حَشَـدَتْ حَشْـدَهَـا فلماً تجـلّى كبر الحشد من جلال الـوقـار
قـد وَهَبْنـا دمـاءَنَـا فـاتَّقـدنـا فى سـبيـل الـلـه جـذوة نـار
فـاقض فيـها لنـا بما أنت قـاض ذاك حق الأصحـاب فى كل دار
جَـلْجَـلَ الحقُّ قـوةً وحِـجَـاجًـا واضحـاً نهجـه وضـوح النهـار
قـدْ دَهَى الشرقَ مـادهاهُ وخـرت جبهـة الغى فى سحيـق القـرار
وَالأُلَى ضيـق القـضـاء عليـهم هـم ضحـايـا العنـاد والإصرار
اذكـروهـم وقـد تـسلـل كـلٌ بـعـدمـا انفض مجلس السـمـار
اختـلاسـاً يسعى لحجـرة طـه لسـماع التنـزيـل فى الأسحـار
عـذرهـم حسـنـه فلما تـراءوا عـللوه بـبـارد الأعـذار
غـنى الـديـن عـنهـم بـرجـال صـادقى العـزم قُـوَّمٍ أحـرار
وكـفـى الـديـن عـزة ومثـالاً عُمَـرُ العـادل الـطهـور الإزار
دعوة المصطفى تشق عن الدين (م) حـجـاب الـكـتـمان والإضمار
مـثـل الفـطرة السليـمـة يـأتى وفقهـا الـوحى آمـرا بـالمشـار

(وبـلال) و(الله أكـبر) يشـدو فيـدوى فى مسـمـع الأقـطـار
يـا جمـال الـوفـاء من خبـاب فى جـلال الـفـداء مـن عـمار
ورعى الله لابن عفان نوريه (م) فـكـم كـان أريحـى الـيـسـار
بـاع دنيـا الحيـاة أكـرم بيـع كـان فيـه للدين أكيس شـارى

★ ★ ★

ذكـرينـا يـا دار هجـرة طـه بـالمجيـد المسطور لـلإخبـار
واملئى النـاس عـزة وطمـوحـا وأريـنـا روائـع الآثـار
إنمـا تـلك عـبرة وتأس صـيَّروهـا ضربـاً من الأخبـار
أيقظى الشرق من سُبات عميق واحمـليـه إلى مـدار الـدرار
فيـه من محكم الـكتـاب مـلاذٌ فَاقدَحِى يا رؤوس فالـزّند وارى
علِّميـه الجهـاد حـزما وعـزمـا فجنى النّحـل من أذى المشتـارِ
عـلِّمـيـه أن الحـيـاة صـراعٌ مَنْ سَهَـاْ فيـه زلَّ فى المضـمار
عـلِّمـيـه أن الـقـوى ظـلـوم كم يهـادى كبـارُهم بـالصِّغـار
فـقـوى عـلى الـضّـلال مقيـمٌ وقـطيـعٌ من الضّـعـاف يجـارِى
ارجـعـيـه لـله يـرجـعْ إلـيـه كـل سلطانـه رفيـعُ المنـارِ
اطـمئنى يـا دار هـجـرة طـه مـا تـوفّى تحـيـة الأشـعـار
فـالتحـايـا إليـك وثبـة روح تنفـخ العـزم فى حُمـاةِ الـذِّمـار
ولنا من تراث ساكنها النور (م) مـعين ثـر بـغـير قـرار
دولـة العلم والسيـاسـة والحرب ودنـيـا الهـوى والاسـتـعـمار
كـل دُنيا تبنى عـلى غير دين فـبـنـاء عـلى شـفـير هـارِ

من أسمح الشعراء

حاتم الطائى

كان محباً للحياة ، مقدراً لها ، فجاء شعره معبراً عن معانيها ، وقيمها السامية ، التى تتمثل عنده فى النهوض إلى ذرى المجد ؛ حفاظاً على معانى الحياة الكريمة ، وتحقيقاً لمثال البطولة ، فهو شاعر أخلاقى ، يتخذ من زوجه (ماوية) ذريعة ؛ ليعبر عن آرائه ومبادئه الراسخة فى أعماقه ، التى تُبرز تمرده على حب المال ، والشح به ، ولكنه يستخدمه للخير والمحبة ، فهو حين يوجه كلامه إلى زوجه ، إنما يعلن آراءه فى الحياة ومعانيها كما يراها ، فجاءت أشعاره وقد غلبت عليها الصفات النفسية ، على الصفات الفنية ، فهو لا يهتم بجمال الفن الشعرى ، قدر اهتمامه بالهموم الإنسانية ، فشعره أقرب للطبع من التطبع ، ومن البديهة إلى الصنعة .

وحاتم إلى ذلك ، يمتاز بصفة الفارس الشجاع ، فهو يفخر بتلك الفروسية ، والشجاعة ، شأن غيره من فرسان العرب ، إلا أنه مزج ذلك الفخر بمشاعره الإنسانية ، الفياضة بالخير والشهامة ، فلا ثارات ، ولا أحقاد ، فهو يختلف عن عنترة بن شداد : صاحب الفروسية العنيفة والدامية ، وعن امرىء القيس الرافض لنواميس الحياة ؛ لأن حاتماً كان بحق شاعر اليقين ، والأخلاق الكريمة ، ولا غرو ، فقد كانت أمه (عتبة بنت عفيف) رمزاً من رموز الجود والكرم ، وكانت ذات يسار ، فمنعها إخوتها مالها ، وحجروا عليها ، من شدة سخائها وسماحتها ، فنشأ ابنها على نفس نهجها فى السخاء ، ويصدق قوله فعله ، فإذا سئل أعطى ، وإذا أسر أطلق ، وكان يُقسم بالله ، لا يقتل واحد أمه (أى وحيدها) ، ومما ذكر عن أمه ، أنها وهى حبلى ، قيل لها فى منامها : أغلام سمح يقال له (حاتم) أحب إليك ، أم عشر غلمة كالناس ؟ فقالت : حاتم ، فلما شَبَّ ، كان يُخرج طعامه ، فإن وجد من يشاركه فيه ، أكل ، وإن لم يجد طرحه .

وقد ذكر الرواة له نوادر كثيرة : فى سماحته ، وكرمه وشجاعته ، حتى بدت كالأساطير ، فهو لا يغزو غزوة ، ولا يتخذ سبيلا إلا وله قصة للبذل ، وقد ينحر النوق للنفر القليل ، ثم لا يتركهم يرحلون ، إلا بعد أن يقتسموا إبله ، جزاء مدحهم لفضله ، والرواة لا يقصرون فضيلة الكرم عليه ، ولكنهم وصفوا بها بنيه ، حتى بعد موته ، قالوا : بأنه يخرج من قبره ، لينحر للقائمين عليه ويقريهم !

ونختار له قصيدته ، التى يخاطب فيها زوجه (ماوية) ، والقصيدة وإن خلت من التكثيف الفنى فى اختيار الألفاظ ، أو تجسيد الصور ، إلا أنها سهلة العبارة ، رائعة المعنى ، فيقول فيها :

أماوِىَّ ! قد طال التَّجنُّب والهجرُ ... وقد عذرتنى ، من طلابكم العذر
أماوِىَّ ! إنَّ المال غادٍ ورائحٌ ... ويبقى من المال الأحاديث والذكر
أماوِىَّ ! إنّ لا أقول لسائِلٍ ... إذا جاء يوماً ، حل فى مالنا نزر
أماوِىَّ ! إما مانعٌ فمُبَيِّنٌ ؛ ... وإما عطاءٌ ، لا يُنهنهه الزجر(١)
أماوِىَّ ! ما يُغنى الثراءُ عن الفتى ... إذا حشرجت نفس وضاق بها الصدر
إذا أنا دَلانى الذين أحبهم ، ... لملحودة ، زُلج جوانبها غُبر(٢)
وراحوا عجالا ينفضون أكفهم ، ... يقولون قد دمى أناملنا الحفر
أماوِىَّ ! إنْ يُصبح صداىَ بقفرة ... من الأرض ، لا ماءٌ هناك ولا خمر(٣)
تَرَىْ أنَّ ما أهلكت لم يَكُ ضرَّنى ... وأنَّ يدى ، مما بخلت به صفر
أماوِىَّ ! إنِّ ، رُبَّ واحِدِ أُمِّهِ ... أجرت ، فلا قتل عليه ولا أسر
وقد عَلِمَ الأقوامُ ، لو أنَّ حاتماً ... أراد ثراء المال ، كان له وفر
وإنى لا آلو ، بمالٍ ، صنيعةً ... فأوله زاد ، وآخره ذخر
يُفك به العان ، ويؤكل طيبا ... وما إن تعريه القداح ولا الخمر(٤)
ولا أظلم ابن العم ، إن كان إخوتى ... شُهوداً ، وقد أودى ، بإخوته الدهر
عُنينا زمانا بالتصعلك والغنى ، ... كما الدهر ، فى أيامه العسر واليسر
كسينا صُروف الدهر لينا وغلظة ... وكلا سقاناه بكأسيهما الدهر
فما زاد بأوًا على ذى قرابةٍ ... غنانا ، ولا أزرى بأحسابنا الفقر(٥)
فَقِدْمًا عصيت العاذلات ، وسُلطت ... على مصطفى مالى ، أناملى العشر
وما ضر جارا ، ياابنة القوم فاعلمى ... يُجاورنى ، ألا يكون له ستر
بعينى عن جارات قومى غفلة ... وفى السمع منى عن حديثهم وقرُ

---

(١) ينهنهه : يكفه ـ الزجر : المنع
(٢) دلانى : احدرنى ـ الملحودة : القبر
(٣) صداى : جثتى
(٤) العانى : الأسير
(٥) الباو : التكبر ـ أزرى : عاب

مناجاة

شعر: محمد فتحى نصار

إلـه الكـون: زدنى فيـك حُبـا ... وهب لى - بعد تيه البعد - قربا
وخـذ بيدى إليـك، ولا تـدعنى ... ورو الـروح بالـرضـوان عـذبـا
وطهـرنى، فهـا أنـا جئت أسعى ... وعُـدت إليـك أشتـاتـاً، وقلبـا
ومـا أنـا بـالتقىِّ أريـد عـدلاً ... ولكـن أستـدر الفضـل سيبـا
ولـسـت بـعـابـد لـك مطمئـن ... وكيف، وقـد شربت البُعـد شربـا؟
أعيش الخـوف أحلامـاً، وصحواً ... وأحيا - فى مناقى الكرب - كربـا
ولمـا أن عـرفـتـك - يـا إلهى - ... وقـد أحدثت - بعد الذنب - ذنبا
ومـا قـدمـت خيـراً أرتجيـه ... ومـا قـربت من دنيـاى قـربى
أتيتـك بـالمعـاصى مُستجيـراً ... فلم أعرف سواك - العمر - ربا
وعفـوك واسـع، يـارب: عفـوا ... وفضلك سـابغ شرقـاً، وغـربـاً
وأنـت المـالـك المـلكـوت، ربى ... عـطاؤك يغمـر الأكـوان رحبـا
فـررت إليـك من أطـواق نفسى ... حملت - مع المنى - قلبـا محبـا
فـلا تـتركـه لـلدنيـا شـقيـا ... وكـافىء حبـه - يـارب - حبـا

من شعراء الأزهر (٣)

محمد عبد الرحمن صان الدين

للأستاذ / أحمد مصطفى حافظ

شعر الحكمة بصفة خاصة هو الذى جعل (المتنبى) يقول بحق عارفا قدر نفسه وموهبته :

وما الدهر إلا من رواة قصائدى   إذا قلت شعرا .. أصبح الدهر منشدا

وقد صحت نبوءته بالفعل ، فمازلنا نقرأ شعره ، مشغوفين مأسورين ، بعد تعاقب القرون والأجيال ، التى شاركتنا فى الإعجاب به ، والإقرار له بالنبوغ والتفرد .. وليس بالكثير عليه أن يقول أيضا عن شعره :

إن هذا الشعر ، فى الشعـر ، مـلك   سار .. فهو الشمس ـ والـدنيـا ـ فلك

ويكفى أن نردد معه فى شعر الحكمة ، قوله :

نحن بنـو الموتى ، فـما بالنـا   نعـاف مـا لابـد من شربـه
تـبخـل أيـديـنـا بـأرواحـنـا   عـلى زمـان ، هن من كسبـه
فـهـذه الأرواح مـن جـوه   وهـذه الأجـسـام مـن تـربـه

وقوله :

من أطاق التماس شىء غـلابا   واقتسـارا ، لم يلتمسـه سؤالا

ولعل أمير الشعراء (شوقى) ـ الحكيم الثانى بعد المتنبى ـ قد نظر إلى هذا البيت ، حينما قال بيته المشهور :

ومـا نيـل المـطالب بـالتمـنى   ولكن تؤخـذ الـدنيـا غـلابـا

وقوله أيضا ـ أى المتنبى ـ :

لا يسلم الشرف الرفيع من الأذى   حتى يراق على جـوانبـه الـدم

حتى قال ابن جنى : أشهد الله ، لو لم يقل (أى المتنبى) غير هذا البيت ، لتقدم به أكثر المحدثين (يعنى من كانوا فى زمانه) ، وإن كان ابن جنى ، قد قال عن بيته فى أحد الممدوحين :

قد شرف الله أرضا أنت ساكنها وشرف الناس إذ سواك إنسانا

ولا يعجبنى قوله « سواك إنسانا » لأنه لا يليق بشرف ألفاظه ، ولو قال : (أنشاك) ، أو نحو ذلك ، لكان أليق بالحال[1] ، ولسنا مع ابن جنى فى قوله هذا ، فحسب لفظة (سواك) أنها : لفظة قرآنية[2] جاءت فى قوله تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ۞ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ ۞ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ ﴾

(سورة الانفطار الآيات ٦ و٧ و٨) .

هذه المقدمة لابد منها حتى نتهيأ لولوج عالم شاعرنا (صان الدين) الرحيب ، فى ديوانه « الإنسان فى الميزان » ، الذى ضم بين دفتيه أكثر من ألفى بيت[3] تدور كلها أو معظمها فى نظراته ولفتاته ، فى عالم الحياة ، والناس ، والحكمة ، وكان قد سبق له من قبل إصدار هذا الديوان ، كتاب آخر ، يحمل عنوان : « شوارد وسوانح » ، بث فيه آراءه وحكمته ، فى سطور نثرية ، وصدره الأستاذ الكبير الدكتور محمد عبد المنعم خفاجى ، بمقدمة ضافية ، دالة ، يقول فى مستهلها : « بين يدى هذا الكتاب الممتع ، والسفر البليغ : « شوارد وسوانح » يتراءى لنا فى صورة الحكيم الحائر ، والفيلسوف الساخر ، والشاعر المالك لزمام الكلمة ، والمتذوق لسحرها وبلاغاتها وموسيقاها » .

وهكذا نجد أن شوارد وسوانح » المنثور ، كان بمثابة إرهاص لديوان : « الإنسان فى الميزان » الذى يستوقفنا منه ـ بادىء ذى بدء ـ قوله تحت عنوان : « الإنسان محير » :

راصد الإنسان فى عصر الهوى .. يمشى كئيبا
إذ يرى فى كل يوم واقعا منه عجيبا

(١) وقد زعم الحاتمى ـ احد الناقمين على المتنبى ـ انه اخذ عن ارسطو قوله : « الزمان ينشىء ويتلاشى ، ففناء كل قوم ، سبب لقوم آخرين » فقال ـ اى المتنبى :

بذا قضت الايام ، مابين اهلها مصائب قوم ـ عند قوم ـ فوائد

فالبون شاسع بين قول ارسطو ، الذى يرى أن الحياة دائبة فى إبراز قوم إلى الوجود ، فى إثر قوم ، بينما يرى المتنبى انه يحدث احيانا ان يستفيد الناس من مصائب بعضهم البعض ، بطريقة او باخرى .

(٢) وحسبنا قول ابن تيمية ، فى هذا الموضوع : « .. واما الإتيان بلفظ يبين المعنى ، كبيان لفظ القرآن ، فهذا غير ممكن اصلا ، ولهذا كان ائمة الدين ، يجمعون على انه لا يجوز ان يقرا (اى القرآن الكريم) بغير العربية ، لا مع القدرة عليها (اى بالترجمة مثلا) ، ولا مع العجز عنها ، لان ذلك يخرجه عن ان يكون هو القرآن المنزل » .

(٣) وهذا يمثل الجزء الاول من خماسياته التى تبلغ اكثر من اربعة الاف بيت ، يضم الجزء الثانى منها بقية الخماسيات وهو قيد الطبع .

بـعـد رصـد الـنـاس حـيـنـا يـنـتـقـى مـنـهـم حـبـيـبـا
فـيـه أمـن وائـتـنـاس إذ بـه يـلـقـاه ذيـبـا !
إن عـيـشـا بـيـن ذئ بـان .. محـال أن يـطـيـبـا

وراصد الإنسان هنا ، هو الشاعر نفسه ، بعد أن قبع فى خلوته ، متأملا متفكرا ، ومجترا لذكرياته عبر عمره المديد ، ومستوحيا تجاربيه فى الحياة ، التى تموج بالعبر ، والأحداث التى مر بها ، والمشاهد العجيبة ، للمتناقضات التى تزخر بها دنيا الناس ، والتى جعلته يقول فى ذات الموضوع ، متسائلا :

هـل صـحـيـح تـعـمـر الـدنـ ـيـا بـصـيـد واقـتـنـاص ؟ ..
واقـتـحـام غـيـر مـشـرو ع ، وأخـذ بـالـنـواصى ؟
لا وربى ذاك مـايـهـ ذى بـه أهـل الـمـعـاصى
بـل بشرع صـان حـقـا فـيـه عـدل وتـواصى
ثـم تـأديـب بـرفـق ثـم زجـر بـالـقـصـاص

إلى أن ينتقل إلى خماسية أخرى ، ناصحا ومحذرا ، بقوله :

ذاهـل عـن روضـة مـن نـام فى جـنى الـثـمار
أحمق مـن راح يـبـغـى الـظـل فى جـدب الـقـفـار
عـابـث من رام عـز الـعـيـ ـش فى حـضـن الـصـغـار

ويستخلص الحكمة من هذا كله ببيتيه التاليين :

إنمـا الـدنـيـا اجـتـهـاد كـل أطـراف الـنـهـار
من تـوان فى ارتقـاء الـصـعـب يـقـعـد فـى انـكـسـار

وشعب (اليابان) يعطى المثل الأعلى ، لمضمون البيت الأول ، فى نشاطه وغزارة إنتاجه الذين نافس بهما شعوب العالم بأسره .

***

وفى قصيدة له بالديوان ، بعنوان : (نصح) يتلفت شاعرنا حوله ، فيجد أن الدنيا ظل زائل ، ولون حائل ، فلا يملك إلا أن يجأر قائلا :

يـاإلهـى كـل مـارا ءتـه عـيـنى .. قـد تحـول
كـم أشـم راسـخ الأر كـان صـلـب .. قـد تـزلـزل
كـم رصـين ظـنـه الإنـسـ ـان لا يـبـلى .. تحـلل
إنمـا أعـنى الـمـعـانى والـذى لـلـعـيش أمـثـل
لم يـعـد فى الـنـاس مـيـزا ن ،ولا لـلـرى مـنـهـل

ثم يجيل الطرف فى خضم الحياة والناس ، وهو يرهف السمع ، إلى أن يقول فى خماسية أخرى بهذه القصيدة :

ليس أهلا لاستماع من مضى بالقول يهذى
ليس حرا فى انطلاق من مشى كالصل يؤذى
فالرياح الهوج تدهو من يلاقيها وتقذى

ثم ينتهى إلى بيتى الحكمة ، فى نهاية الخماسية :

إن بعض الناس يهوى كل شر مستلذ
لا يكف الشر منه غير سلطان بأخذ

وننتقل - مضطرين - لوفرة ما نود الحديث عنه - إلى فصل آخر يحمل عنوان : (لواذع) ، يقدم فيه شاعرنا نادرة مستخرجة من الواقع العجيب ، الذى نعيش فيه ، فيقدم لنا قصة حوارية ، تشى بتمكنه من الفن الدرامى - ليته يخوض غمارة - ويقدم لنا منه ثمرة من الشعر المسرحى ، الذى نتمنى أن يعالجه ، كما صنع (شوقى) فى أخرياته ، بنظم : (مصرع كليوباترا) ، و : (مجنون ليلى) و (عنترة) ، وغيرها من المسرحيات الرائعة .

والقصة الشعرية التى يقدمها لنا صان الدين هى بعنوان : (شعوذة ودجل) ويستهلها بقوله :

قلت للعراف فى جـ ـو التجلى ، والبخور
والتهاويل التى قد خد رت وعى الحضور
كيف تدرى ماتوارى طـ ـى غيب عن بصير
قال : إن الجن يأتينى بأنباء الدهور !
قلت إن الجن مثلى عى عن كشف المصير

ثم يبرز على خشبة المسرح ، أحد الدجاجلة من معاونى (العراف) يصور شاعرنا حركته المصطنعة المتفق عليها بقوله :

فانبرى لى ذو فتون من مريديه يقول :
إن علم (الشيخ) سر ليس تدريه عقول
كم وكم .. من معضلات منه ، وافتها .. الحلول
عنده للغيب كشف إنه (شيخ) جليل
قلت : فض الله فاك أيها الغر المجهول !

ثم يستطرد الشاعر فى إزجاء نصحه ، بعد هذا الحوار الطريف ، فيقول :

مانبى أو رسول خاض فى علم بغيب
إن مابثوه وحى عنه نور الحق ينبى

أيها الإنسان حكم في القضايا شرع ربي
إنه الينبوع يروى من غير كل قلب
لا تكن في العيش غرا لعبة في كف خب[1]

ثم يتجاوز شاعرنا العراف وتابعه ، إلى مخاطبة النجم ذاته ، الذى يزعم العراف أنه يستقى (علمه) منه ، فيقول فى خماسية أخرى :

ياعيون النجم هل تد رين ماتخفى الليالى ؟
هل قرأت اللوح عند العـ ـرش فى نور الجلال ؟
هل أجبت السائل الحيـ ـران عن قصد السؤال ؟
أم لزمت الصمت والإعيـ ـاء عن شاق المقال
ضل عقل يحسب الأفـ ـلاك تنبى عن مآل

وحكمة شاعرنا فى ديوانه ، ليست الحكمة التى صيغت فى قالب بيانى رصين فحسب ، بل إنها حكمة تمور بالحياة ، وتجيش بالفطنة .. حكمة عملية مستقاة من الواقع المعاش ، كقوله ساخرا ، تحت عنوان (ديكور) :

فى بيوت مكتبات بثمين الكتب غصت
مذهبات ، حاليات كالعروس البكر زفت
فى رفوف .. قابعات بيد التنسيق رصت
علمها فى جوفها عن راغب فى البحث أخفت
إنها للزهو (والديـ ـكور) فى قصر ، أعدت

وكيف لا ؟ و :

إن قانيها وجيه يجلب السفر الثمينا
صانها بكرا بتولا فتنة للناظرينا
إن تسل عن محتواها زاغ فكرا .. وعيونا
قال : عندى ألف سفر فيه علم العالمينا
إنها برهان عرفا ن ، وحسب السائلينا !!

ثم يقول ساخرا ، فى مستهل خماسية أخرى :

أيها السارى وضوء الشمـ ـس .. يسعى فى النهار
أمسك المصباح واحذر فى الضحى شر العثار

---

(١) الخب : الخداع المزور .

ثم نأتى إلى فصل : (الغرب والإسلام) ، وهو من أهم - إن لم يكن أهم - فصول الديوان ، فنجده يخاطب الأمة العربية جمعاء ، تحت عنوان : (ياعرب) بقوله :

يابنى عدنان أو قحطان أين اليوم أنتم ؟
من زمان فيه فوق الـ أنجم الزهراء كنتم ؟
حينما أتحفتم الدنـ ـيا بعلم قد علمتم
يوم كان الأمن والإيـ ـمان ظلا حيث سرتم
يوم ساد العدل بين النـ ـاس ، فى شعب حكمتم

ثم يستتلى فى بيان مسببات هذا الماضى المجيد الرشيد فيقول :

كان هذا حين كان الديـ ـن غضا فى القلوب
حين كان العلم نورا فى البرارى والدروب
يوم كان الحب بين النـ ـاس يمحو كل حوب[1]
حين سار العرب بالإسـ ـلام .. عتقا للشعوب
يوم كان البر بالإنسـ ـان حتى فى الحروب

ثم يعمد إلى التذكير والتنبيه فيقول :

هل نسيتم أنكم بالد ين كنتم خير أمه
واحتضنتم دعوة الإسـ ـلام فى عز وهمه
فصعدتم واستويتم فى المعالى .. فوق قمه

ويختلج قصيده ، وهو يقول متهدجا :

أمة القرآن والإيـ ـان ، والفصحى أفيقى
وادرئى فى عزم حر هجمة الشر المحيق
واجمعى أشتات شمل حول ميثاق وثيق
وارجعى من غير إبطا ء .. إلى قصد الطريق

وليت هذا النداء القوى الصاعد ، الحار المتدفق ، يتحقق ، حتى يتحول واقعنا المعاش اليوم ، إلى أكرم وأسعد حال .

ونحسب أن الشعر قد استجاب لضراعة شاعرنا (صان الدين) ، حينما خاطبه مستعطفا ، بقوله :

ياقريضى كن لوجدا نى وفكرى .. مستجيبا
واجعل الإيمان لحنا يطرب الكون الرحيبا

(١) حوب : عيب .

فجاء شعره سلسا ، عذبا ، رقيقا ، وجاءت قوافيه محكمة طيعة ، ولم لا ؟ وهو يقول له ، فى مقطع آخر :

ياقريضى قد كحلت الـ ـعين ـ طول العمر ـ سهدا
كى أحيل القول أنغا ما وأنساما وشهدا

إلى أن يقول ـ آسيا ـ فى مقطع ثالث :

ياقريضى فوق متن الـ ـموت حتما ، سوف أرحل
إن بعيدا ، أو قريبا حل هذا ، أو تأجل
حين ألقى وجه ربى عنك إنى سوف أسأل
هل يراعى كان فيها خط .. عفا ، أم تبدل
كل حرف فيك ياشعـ ـرى ، لدى ربى ، مسجل[1]

ومن هذا المنطلق ، نراه يوجه حديثه للدعاة جميعا ، ناصحا وموجها بقوله الذى نجعله مسك الختام لحديثنا عنه ، وعن ديوانه :

أيها الداعى لدين الله كن عفا رقيقا
واجعل البرهان والحسـ ـنى إلى العقل طريقا
لا تقدم من علوم نلتها .. إلا .. رحيقا
كن بإكبار وإصغا ء لما تلقى .. خليقا

وقوله مبتهلا إلى الله عز وجل :

ياإلهى نح عنى كل ما يطغى ويغرى
أو فثبتنى على الإيمـ ـان ، فى أنواء عصرى
إننى أمشى ، ولكن فوق أشواك وجمر
لست أرخى من زمامى مثلما أرخاه .. غيرى

---

(١) وهذا البيت يشعرنا بمدى إحساس الشاعر بمسئولية الكلمة ، فى ضوء الآية الشريفة :
﴿ مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾ (سورة ق ـ اية ١٨) .

رحلة مع التراث

مخطوطة

ريحانة الألبا وزهرة الحياة الدنيا

لشهاب الدين الخفاجى (٢)

عرض وتحليل : الأستاذ/ حامد الجوجرى

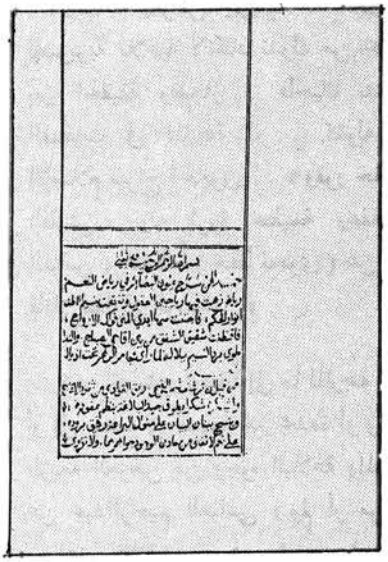

القسم الثانى :

(فى محاسن العصريين من أهل المغرب وما والاها . .)
وعددهم عشرة .

ثم فصل آخر عن . . ذكر الدولة الحسنية ومن بها من بقية العلما والشعرا والأعيان وعددهم ثمانية عشر .

القسم الثالث :

(فى مصر وأحوالها والعود لرسومها وأطلالها)

يقول المصنف : « لما كانت مصر القاهرة ، ربوعها بالفضلاء عامرة وهى عشى الذى منه درجت » .

وبعد حديث طويل عن حبه لمصر وارتحاله عنها والعودة يبدأ فى الحديث عن شعرائها وعددهم بالمخطوطة أربعة وخمسون .
منهجه فى ترجمة الشعراء والأدباء بالمخطوطة :

طريقة الخفاجى فى هذه المخطوطة تختلف عن كل ما عرفنا فى موسوعات التراجم ، كمعجم الأدباء ، والذخيرة ، والأغانى ، وغيرها .

١ ـ أنه لا يتعرض لأى عنصر زمنى عن المترجم له .. فهو لا يذكر تاريخ مولده ، ولا تاريخ وفاته ولا عصره .

٢ ـ أنه لا يحدد لنا بصورة واضحة ما تقلده ، والمترجم له من وظائف ، أو ما يقوم به من عمل ـ إلا بعض إشارات فى صورة أدبية حتى يغلب عليها الغموض من مثل قوله عن / محمد الحنفى المفتى المعروف ـ فبحره لا تكدره الدلاء ، ومورده العذب لا تزجه الركاء (الأوانى) ـ وهبط رحلة فى نادى الكرم ، ومن يشابه أبه فما ظلم « فأفتى ودرس ، ونزل فى ساحة الفضل وغرس مشيرا إلى وظيفة (المفتى) التى تقلدها » .

٣ ـ أنه يعرض لجوانب الشخصية فى صورة تصويرية بلاغية لاتكاد تدرك من خلالها الفرق بين الحقيقة والمجاز .. فأحيانا يتناول جانب الصفات فى المترجمة له .. كقوله عن شيخ الإسلام سراج الحانوتى .. « وقور حليم لا يعرف الطيش ، وله ثروة عظيمة وعفة ، وحسن اللباس ، منقطعاً (خطأ نحوى) عن سائر الناس قاتلاً لطارق الوسواس » .

٤ ـ أنه يشير أحياناً إلى ما للترجمة له من إنتاج أو إلى بعضه فى صورة غير محددة أو واضحة لما فى طريقه العرض من وجوه البلاغة والمجاز ـ كقوله عن عبدالرحيم العباسى « ولم أر من آثاره غير معاهد التنصيص فى شرح شواهد هذا التلخيص .. وسمعت له مسرحا على البحارى ورأيت له شعرا وإنشادا .

٥ ـ أنه يعمد إلى المبالغة فى عرض الشخصية فيخلع عليها من الصفات والفضائل ما يفيض به قلم الأديب ، لا ماينطق به الواقع والحقيقة فى حشد كبير للصور والمعانى والأخيلة والمحسنات . **كقوله فى عز الدين بن عمر الفارسكورى : ـ**

(فاضل عريق ، وأديب فى بحار آدابه حاسده غريق ، له خلق خليق بالألطاف وفضل تقطع دونه النعوت والأوصاف .. ونهى غادرت ضمير القراطيس مصحخاً لألسن الأقلام ..

فحكى النسيم لطافة كما سرى ، وحديث كتحدث الماء الزلال إذا صفا .. فجرى النسيم عليه يسمع ما جرى ، وللأمل فيه عداة (يقصد وعود) يُرجى وفاؤها .. وله على الدهر ديون بينة يحق له أداؤها .

● الاتجاهات النقدية فى المخطوطة : ـ

يعتمد المصنف فى نقده للمادة الأدبية بالكتاب على عدة اتجاهات .

١ ـ شرح الكلمات أو الأبيات ومضمونها .

٢ ـ النقد اللغوى المفصل باستخدام اللفظ ومدى صحته أو خطئه .

٣ ـ النقد البلاغى ، والإشارة إلى ما يكون فى بعض نصوصه من مجازات ومحسنات . وبيان .. وبديع ..

٤ ـ الاستطراد بذكر النظائر والأشباه وما أخذ بعضهم عن الآخرين . والموازنة بين هذه النظائر .

٥ ـ المطارحات بين الشعراء ، وما يرد به أحدهم على الآخر .

وسوف نتناول هذه الجوانب بإيجاز لا نقص به ، والإلمام بالموضوع والتمثيل له والاكتفاء عن الكل بالبعض .

شرح الكلمات. أو المضمون الفكرى.

فى الصفحة الثانية (حاشية) يقول فيها :

« رجل ألفُّ بَيِنُ اللَّففِ أى عيى بطىء الكلام إذا نطق ملأ لسانه فمه . قال الكميت يهجو بعض الولاة : -

« ولاية سلفد ألت كأنه
من الرهق المخلوط بالنوك أثول

● يقول : « كأنه من حمقه ومايتناوله من الخمر تيس مجنون » .

والسلفد الأحمق . . والرهق قال الأصمعى . . رجل فيه رهق أى إقدام على المحارم .

وإنما أوردت نص عباراته حول بيت الكميت لأبين منهجه فى شرح الكلمات والمعانى الكلية للأبيات ، وما تميزت به من دقة ، واستيفاء للمعنى من كل جوانبه .

٢ـ **النقد اللغوى** : يقول فى غضون حديثه عن (محمد الصالحى الهلالى) وفى البيت الأخير من تائيته :

(مالاح نجم على العلياء متقد
وما رعته الجياد الأعوجيات

سانحة : فى قوله رعته (استخدام) لعودته إلى النجم بمعنى الكوكب على ملاحظة معنى البيت . . وقد يتعدد ذلك كما فى قول ابن الوردى :

(وقالت لى وقد صرنا
إلى عين قصدناها
بذلت العين فاكحلها
بطلعتها ومجراها)

وقد يكون (الاستخدام) بالضمير من غير اشتراك أيضاً ـ كما فى قوله تعالى :

﴿ وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ ﴾

ويكون بالضمير المستتر فى حال ونحوها كقولك بذلت العين مكحلة وطالعة ، وقد يكون بالتمييز من غير ضمير . . كقوله : « أخت الغزالة إشراقاً وملتفتا » ، وقد يكون باسم الإشارة كقولى : « رأى العقيق فأجرى ذاك ناظره » وقد يكون بالاستثناء . . كقول ابن الفارض : أبداً حديثى ليس بالمنسوخ إلا فى الدفاتر ـ فذكر النسخ بمعنى الإبطال واستثنى منه بمعنى الكتابة . . ولعلك من خلال هذه الأمثلة قد أدركت ما يعنيه المصنف بكلمة (الاستخدام) وهو يعنى بها كما ترى ما فى الكلام من إيهام وتورية ـ فالنجم ، والعين والغزالة والعقيق ـ والمنسوخ كلمات لها معنيان .

ومن النقد اللغوى ما أورده فى قول الشاعر :

فإذا ماضحاحها نوره الظل وقد أثبت الضياء الضحاء
فكأن الغمامة استودعته ـ مذ أظلت من ظله الدففاء

وملخص نقده . . أن الشارحين ظنوا (أضلت) مبنية للمعلوم (بالضاد) بمعنى أضاعت ـ والدففاء بفاءين ـ أى المسرعين فى السير (من الدف فى السير) « أى السرعة فى السير » .

ويقول المصنف . . هذا خبط وخلط . . وإنما هو هكذا . .

فكأن الغمامة استودعته ـ مذ أظلت من ظله .

فاستودعته وأظلت مبنيان للمعلوم بصيغة المجهول ـ و (مذ) فى رأى المصنف بمعنى الأرض وترابها . . أى أن السحابة أخذت الصور وديعة

عندها حق لا يمس تراب الأرض لأنه من نور الله (حسب معنى الأبيات السابقة على البيت) من الهزيمة .

النقد البلاغى فى المخطوطة : النظرة البلاغية الواعية من المؤلف تسود المخطوطة (يقول .. إن المتأخرين من أصحاب البديعيات لما أكثروا من أنواع البديع ، وفيهم بعض من الأخيرة له بدقائق المعانى والعلوم رأوا فيها أنواعاً مدخولة) .. وهذه النظرات البلاغية واردة فى أكثر من موضع .. بل فى أغلب المواضع ومن ذلك ما أورده حول تشبيه الشيب بالتراب عند أكثر من شاعر .. كقول محمد ابن قاسم الحلبى ، بعد أن شبه العمر بكتاب الأيام [فإذا تم منه ما كتبته ـ تربته[1] من شيبه بتراب] يقول المصنف ـ هو معنى بديع ونحوه قولى أرى نسخة للعمر سودها الصبا .. وللأمير العاصمى :

قالت أهذا الذى أراه
غبار طاحونة بدالى
فقلت لا تعجبى لهذا
غبار طاحونة الليالى

قلت .. لولا مشاكلة الطاحونة السابقة ودوره معها (يقصد وروده معها) لقبحت هذه الاستعارة جداً .

النظائر والأشباه ـ يقوم أكثر شعر المخطوطة على هذه الظاهرة التى وردت فيها عن طريق الاقتباس أو توارد الخواطر ، أو نقل المعنى بين شاعر وآخر أو آخرين .. وقبل أن نمثل لهذه الظاهرة نقدم لها بذكر رأى المؤلف بها ومدى إقراره لها .. أورد من شعر السيد / حسين بن مطهر اليمنى :

الحج يقصد كل عام مرة
ولك العوالم كل حين تقصد

يقول : وهذا المعنى كثير مسبوق إليه كقول بعض العصريين :

كعبة أسست على الفضل لكن
كل حين لها يحج الوفود

وأصله قول سعيد بن سلام وقد قال له بعض ندمائه فى بستان : ما أحسن هذا البستان ، فقال : أنت أحسن منه . لأنه يؤتى أكله كل عام ، وأنت تؤتى أكلك كل حين .

(وفى البيتين كلمتا عام وحين)

والمصنف يرى أن هذا اللون من التقليد هو من قبيل (حسن الأخذ) لا السرقة وأورد فى هذا رأى أبى هلال العسكرى فى الصناعتين أن صياغة المعنى فى ثوب جديد ليس سرقة ، وعلى هذا النمط ساق الشاعر أكثر من عشرين مثالا للتناظر وما يمكن أن نسميه « شعر الموضوع الواحد » فقد أورد لشعراء مختلفين شعراً حول [الشيب] [والأحدب] و[العذار]و [الرمد] و[خيال الظل] و[الكحل] و[القهوة] و[الشمعة] وسنقتصر على بعض ما أورده المصنف حول الشمعة .

فمن شعره فيها : ـ

لعسال الشموع سنان نار
إذا مالاح ينهزم الظلام

---

(١) وضع التراب على الخط ليجف عادة قديمة .

وله أيضاً :

لما رأت أن الظلام يكيدها
ويكاد يؤذن شملها بشتات
أكلت من الغيظ المبرح نفسها
وتلمظت كتلمظ الحيات

وأورد فى نفس المعنى :

علقتم به كالنار فى الشمع فهى لا
تفك يدا عنها ولو حز رأسها

وقال :

وترى الشمع إذا زاد السنا
ضاحكا مبتسما من نشره
كالفتى قد سره أوقاته
وهو نقص زائد من عمره

على أن المؤلف لا يفوته أن يعلق تعليقا سريعاً كنوع من الموازنة حين يقول : وأحسن منه قول فلان وأجود من هذا ما قلته فى نفس المعنى .. إلى آخر هذه العبارات التى تعطى روح الموازنة والمقارنة والتفضيل .

المطارحات فى المخطوطة :

مما أورد المصنف من المطارحات بين الشعراء وبينه وبين الشعراء كثير من القصائد ومنها ما كتبه المصنف للشاعر الطالوى يقول :

قبلت مصطبحا شفاه الأكؤس
والصبح مبتسم بثغر ألعس
حتى غدت منه الغزالة واختفى
مسك الدجى عند الجوار الكنس

فأجابه الطالوى :

خد تورد من لهيب تنفس
أم قد معسول المراشف ألعس
من ريم (وجرة) أو جآذر جاسم
لبس الشباب الروق أحسن ملبس

وهما قصيدتان طويلتان

ومن المطارحات ما اتخذ شكل الألغاز كالمثال الذى أورده بينه وبين أبى بكر بن إسماعيل .

نظرات نقدية متفرقة فى المخطوطة : من الاتجاهات النقدية نرى من قول حسن البوريفى :

يقولون فى الصبح الدعاء مؤثر
فقلت نعم لو كان ليلى له صبح

وفى البيت معنى حسن قال إنه ترجمه من الفارسية مع أنه مشهور فى أشعار العرب كقول ابن شبيب :

يقولون لو غربت قلبك لارعوى
فقلت وهل للعاشقين قلوب

وقول اليازجى :

أنا فى فؤادك فارمِ طرفك نحوه
ترنى فقلت لها وأين فؤادى

وأورد المصنف من قول أحمد أبو العباس المنصور :

فياشادنا يرعى الحشا أنت بالحشا
أنا لمحل أنت فيه زمام

وأحسن من هذا قول الأرجانى :

يرمى فؤادى وهو فى سودائه
أتراه لا يخشى على حوبائه

يقول المصنف : وهنا نكتة أدبية وهى أن الأرجانى أخذ هذا المعنى من قول الحماسى ، إلا أن هذا لا يعد سرقة وإنما هو توليد . .

ومن اتجاهات المصنف فى النقد .. تقرير أثر البيئة فى تكوين الشاعر .

ومن آرائه النقدية مصطلح سماه (التعبير بغير المعتاد) وهو ما نطلق عليه الأن التشخيص أو التجسيد فى التصوير البلاغى . ومثل لذلك بشعر منه قول ابن الرومى :

عذبت خلائقه فكا
دمن العذوبة يشرب

وقول ابن المعتز :

يكاد لولا اسم الإله يصحبه
تأكله عيوننا وتشربه

وأورد المصنف لمحة بلاغية تعليقا على قول ابن مطروح :

وأقول
ياأخت الغزال ملاحة
تقول لا عاش الغزال ولا بقى

فيقول إن من التشبيه البليغ أن ينفى التشبيه فيقول مثلا : ما هو ببحر فإنه عذب .

التضمين فى المخطوطة :

أشار المؤلف إلى بعض الأبيات التى بها تضمين من الأقوال المأثورة أو من الشعر القديم من مثل :

وقائل هل عمل صالح
أعددته ينفع عند الكرب
فقلت حُبى خدمة المصطفى
(فالمرء يوم الحشر مع من أحب)

ومن شعر المصنف :

للذئب نجل فضله
لاح على غير نمط
حاكا[1] أباه فى العلا
(فهل رأيت الذئب قط)
وقد حل العذار بوجنتيه
(بمنزلة الربيع من الزمان)

الطرائف فى المخطوطة :

اشتملت المخطوطة على بعض الطرائف وهذا مثال لها من شعر شهاب الدين الفيومى يمدح :

يهتز من تحت السلاح (كأنها)[1]
ريحانة لعبت بها ريح الصبا

فغضب الممدوح وكاد يفتك به لولا أنه قال بعد ذلك :

فى كل منبت شعرة من جسمه
أسد يمد إلى الفريسة مخلبا

ملاحظات خطية وإملائية على المخطوطة :

١ - المخطوطة محبرة بخط أسود ، والعناوين والأسماء بخط أحمر .

٢ - لا تكتب الهمزة فى الأسماء الممدودة ولكن تكتب رأسى جيم مثل (بنآ) : بدلا من (بناء) .

٣ - الاسم المقصور والفعل الناقص بالألف يكتب أحياناً ألفا ولو كانت الألف منقلبة عن ياء فى الفعل أو رابعة فى الاسم مثل : « تبوأ فى المجد أعلا مقام » ، ومثل « ألفت الضنى من بعدكم » كتبت (الضنا) .

٤ - أن بعض التجاوزات الإملائية تسىء إلى وزن الأبيات ومن ذلك :

خلقت ألوفا لما رجعت إلى الصبا . والصواب (لو رجعت) ، وكذلك يشتاقكم « كل هبت يمانية » والصواب . . (كلما) . وقوله « أما قلبه فشجى » والصواب « فشج » لأنه نكرة مرفوعة .

٥ - إن المؤلف كان يقذع أحياناً فى نقد بعض الشخصيات كقوله عن (الشيخ المهوى) « وسخ الثوب والعمامة ، والبرذون والقفا والغلام » .

٦ - أن المؤلف لم يضع خاتمة للكتاب فجاءت نهايته مبتورة فى هذه النسخة التى بين أيدينا .

---

(١) هكذا وردت .

تعقيب على
رحلة مع التراث

من مؤلفات الشهاب الخفاجى كتابه : ريحانة الألبا وزهرة الحياة الدنيا ، وقد أعددت رسالة لنيل العالمية (الدكتوراه) من كلية اللغة العربية بالقاهرة عام ١٩٨٤ بإشراف الأستاذ الدكتور إبراهيم عبد الرازق البسيونى رحمه الله ، ونلت عليها درجة مرتبة الشرف الأولى سنة ١٩٨٤ .

وقلت عن الكتاب المذكور إنه مطبوع فى مصر عام ١٣١١هـ ، ومدحه ابن معصوم فى السلافة ص١٨ ، والأستاذ محمود مصطفى فى كتابه الأدب العربى جـ٣ ص ٢١٠ ، والكتاب تراجم أدبية وتاريخية واسعة لشعراء وأدباء عصره ، وعلماء القرن الحادى عشر فى مصر والشام واليمن والحجاز والمغرب .

والريحانة مقسمة إلى عدة أقسام وهى :

الأول : فى محاسن أهل الشام .

الثانى : فى تراجم العصريين من أهل المغرب ومن والاها .

الثالث : فى تراجم مكة ومن بحماها من الأشراف والعلماء والشعراء والأعيان .

الرابع : فى تراجم أهل اليمن ، ومن بلغه خبره فى هذا الزمان من الفضلاء والشعراء .

الخامس : فى الترجمة لأدباء علماء مصر .

السادس : فى الترجمة لنفسه .

ثم ختمه بالحديث عن الفصول القصار ، والمقامة الرومية ، ومقامات أخرى ، والحديث عن « تعال » وبنائها وآراء النحويين فيها ورأيه ، وختم الكتاب بقوله : هذا تمام ريحانة الألبا المشتملة على أحاسن الأدباء .

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله .

فهل بعد هذا البيان يدعى أحد أنه مخطوط لم يعرف ، وأن صاحبه مجهول مع أنه كالشمس شهرة ، أرجو رد الحق إلى نصابه ، وبخاصة على صفحات مجلة الأزهر الشريف ، والله الموفق .

أ.د صلاح عبد العزيز على السيد
رئيس قسم اللغويات بكلية اللغة العربية بالمنصورة .

كم كنا نود من السيد الاستاذ حامد الجوجرى كاتب مقال : رحلة مع التراث ، أن يعمد دائما إلى اختيار المخطوطات التى لم تطبع بعد ، حتى نقدم للقراء مادة جديدة .. والله الموفق .

مجلة الأزهر

دوحة الكتب

إعـــداد: محمود الفشـــــنى

على الرغم من ثورة المعلومات وانتشار أجهزة استقبال البث الفضائى والتطور المتلاحق فى الشبكات العلمية وعلوم الكمبيوتر يظل الكتاب رافداً من أهم روافد الإشعاع الثقافى ؛ ولذا نقدم ـ دون نقد أو تعليق فى نبذة مختصرة ـ تعريفاً بأحدث ما فى المكتبات من كتب إسلامية وثقافية وعلمية .

المحرر

الموجز فى الطب

للمؤلف العلامة ابن النفيس

جمهورية مصر العربية
وزارة الأوقاف
المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

الموجز فى الطب

تأليف
علاء الدين على بن أبى الحزم القرشى
المتطبب المعروف بابن النفيس
٦٠٧هـ - ٦٨٧هـ

تحقيق
الأستاذ عبد الكريم العزباوى

مراجعة
الدكتور أحمد عمار

راجعة على القانون لابن سينا
الدكتور رمضان عبد التواب

الطبعة الثانية

القاهرة
١٤١٨ هـ ـ ١٩٩٧م

الإسلام يدعو إلى الفكر والتفكر ، وإلى العلم والتعلم ، والعمل لإسعاد الإنسان من خلال الغوص فى تلك المعرفة ، والمعرفة خاصية من خصائص الإنسان ، وهى : ضالته يبحث عنها أنى يجدها ، يضيف إليها ، وينهل من نتاجها خيرا لحياته واتساعا فى رزقه وزيادة فى رفاهيته ، عزيزى القارىء : مرحلة من التاريخ اختلطت فيها

المعارف والرؤى ، وامتزجت الحضارات فى بوتقة ، جمعت فيها حضارات الصين ، والهند ، والفرس ، والفراعنة ، والرومان ، والإغريق ، مع مزيج من الأديان المختلفة ، تلك التى انتهت إلى الرسالة الخاتمة .

هذا الكتاب : « الموجز فى الطب لابن النفيس » من الكتب المحفوظة فى تراثنا العربى العلمى ، حيث وقف على تحقيقه والتعليم عليه العالم الجليل الأستاذ عبد الكريم الغرباوى ، عضو مجمع اللغة العربية ، كما قام بمراجعته وتحقيقه الأستاذان : عبد العزيز عبد الحق ، والدكتور إمام إبراهيم .

والكتاب يظهر جانبا من الجهود العلمية الفذة ، التى بذلها أحد علماء المسلمين فى خدمة الطب والارتقاء بطرق العلاج ومداواة المرضى .

وابن النفيس هو علاء الدين بن أبى الحزم القرشى ، الملقب : بابن النفيس (٦٠٧ ، ٦٨٧هـ ١٢٠٧ ، ١٢٨٨م) ، دمشقى المولد ، قاهرى الإقامة والنبوغ ، كان عالما شامخا من أعلام القرن السابع الهجرى ، ومن أكثرهم ذكاء وأوسعهم إلماما بكثير من العلوم والفنون .

كان شامخا فى الطب حتى أصبح أحد الأطباء ، الذين قدموا للحضارة الإنسانية أجل الخدمات ، فقد كان أول من وفق إلى اكتشاف الدورة الدموية الصغرى ، ذلك أنه كان يعتمد فى دراسة الطب وتدريسه على تجاربه ، فى أثناء الممارسة ، وعلى تشريح جسم الإنسان ، ومعرفة خواص أعضاء هذا الجسم من واقع ما شاهده فى أثناء التجربة ، ولم يكن يتقبل كلام العلماء السابقين ، من اليونانيين والمسلمين إلا بعد بحث وتجربة ، ومن مؤلفات ابن النفيس فى الطب شرح فصول أبقراط ، تعليق على كتاب الأدوية لأبقراط .

شرح تشريح جالينوس ، شرح القانون ، كتاب موجز القانون ، كتاب الشامل فى الطب ، شرح تشريح القانون ، إلخ ، بالإضافة إلى المؤلفات الأخرى فى المنطق والفلسفة ، وعلم اللغة ، والنحو ، والفقه ، والعلوم الدينية ، وعلم أصول الحديث ، كانت مقدمة التحقيق عن انتشار العلوم فى البلاد الإسلامية ، حيث استقى العرب العلوم من أصلين : أحدهما من البلاد التى فتحوها مثل الإسكندرية ، وأنطاكية ، وحرّان . والثانى من النساطرة الهاربين من اضطهاد بيزنطة وغيرهم من العلماء بعد أن أغلقت مدرسة حران سنة ٤٨٩م ، ومدرسة أثينا سنة ٥٢٩م .

وكتاب الموجز فى الطب مقسم إلى أربعة فنون :

أولها : قواعد جزءى الطب - أعنى علميه وعمليه ، وينقسم إلى جزءين ، الجزء النظرى أجزاؤه أربعة .

العلم بالأمور الطبيعية ، والمزاج ، والأخلاط ، والأعضاء ، والأرواح ، والقوى ، والأفعال ، ثم أشار المؤلف إلى الجزء الثانى من الجزء النظرى فى أطوال بدن الإنسان ، ولها أطوال ثلاثة : الصحة ، والمرض ، وحالة لا صحة ولا مرض .

أما الجزء الثالث من أجزاء الجزء النظرى (فى الأسباب) والأسباب الضرورية عدها المؤلف ستة : الهواء ، وما يؤكل ويشرب ، الحركة

والسكون البدنيان ، الحركة والسكون النفسيان ، النوم واليقظة ، والاستفراغ والاحتباس .

أما الجزء الرابع من أجزاء الجزء النظرى (فى العلاقات) وهى عشرة : اللمس ، اللحم ، الشعر ، اللون ، البنية ، كيفية الانفعال ، الأفعال الطبيعية ، النوم ، الفضول المندفعة ، الانفعالات النفسانية ، ثم وضح المؤلف الجزء العملى وقسمه إلى علم حفظ الصحة وإلى علم العلاج .

وحفظ الصحة : تدبير المأكول وتدبير المشروب ، ثم تدبير الحركة والسكون البدنيين ، تدبير النوم واليقظة ، تدبير الاستفراغ والاحتباس ، ثم تدبير الفصول ، وهى الفصول الأربعة ، أما الجزء الثانى من جزءى الجزء العملى (فى معالجة المرضى) .

والعلاج يتم بأشياء ثلاثة : التدبير ، والأدوية ، وأعمال اليد .

أما الفن الثانى فى الكتاب كما أشار إليه المؤلف ويشتمل على جملتين :

الأولى : فى أحكام الأدوية ، والأغذية المفردة ، وانقسم إلى بابين :

أحدهما ، كلام كلى فى الأدوية المفردة .

ثانيهما : فى أحكام الأدوية والأغذية المفردة ، وقد رتبها المحقق على حروف أبجد ، أما الجملة الثانية فى الأدوية المركبة فوضحها فى بابين : أحدهما فى قوانين تركيب الأدوية ، ثانيهما فى جملة من الأدوية المركبة .

ثم انتقل بنا إلى الفن الثالث فى الأمراض المختصة بعضو عضو ، وأسبابها ، وعلاماتها ، ومعالجاتها .

وذكر منها علامات أمزجة الدماغ والصداع والشقيقة والرِّسام ، والنسيان والرعونة والحمق ، وداء الكلب ، الماليخوليا والعشق والسهر ، والصرع والسكتة ، ثم انتقل بنا إلى أمراض العين وعلاماتها سبع .

وأمراض الأنف ، وأمراض اللثة ، والأسنان ، والشفتين ، وأمراض الوجه ، واللسان والأذن ، والحلق ، والصدر والرئة ، وأمراض القلب ، والثدى ، والمعدة ، والكبد ، والطحال ، والمرارة ، ثم أمراض الكلى والمثانة ، وأمراض أعضاء التناسل ، والرحم ، ثم أمراض الأعضاء الطرفية ، واختتم المؤلف كتابه بالفن الرابع (فى الأمراض التى لا تخص عضوا دون عضو ، وهى إما أن تَعُم البدن كالحميات ، أو تحدث فى أى عضو كان كالورم .

ويشتمل هذا الفن على أبواب ستة فى الحميات ، والبُحران وأيامه ، والأورام والبثور ، والجذام والوباء والتحرزمنه ، ثم فى الكسر والوقى والخلع والسقطة والضربة والصدمة والشجاج والسحج ثم فى الزينة ثم فى السموم والاحتراز عنها .

عزيزى القارىء هذه الموسوعة العلمية يجب على كل إنسان أن يعلم كل شىء فيها ، للاهتمام بصحته وصحة الآخرين ، وتحوى شرحا وافيا لجانب من الجهود العلمية البناءة التى بذلها أحد علماء المسلمين فى خدمة الطب والارتقاء بطرق العلاج ، ومداواة المرضى .

والمكتبة الإسلامية فى حاجة ماسة إلى مثل هذا الكتاب القيم فى موضوعه .

دراسة تحليلية لشخصية الرسول محمد ﷺ

تأليف/محمد رواس قلعجى
(من خلال سيرته الشريفة)

عزيزى القارىء الحديث عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يريح القلب ، وييسر النفس ، ويزيح الهم ، ويفرج الكرب .

لا نعلم رجلا فى التاريخ منذ أن خلق الله تعالى آدم ـ عليه السلام ـ إلى يومنا هذا قد نقلت لنا تفاصيل حياته ، ودقائق تصرفاته ، كما نقلت تفاصيل حياة رسول الله محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ ودقائق تصرفاته ، هذا الكتاب يضم العديد والكثير من حياة الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهو دراسة تحليلية لشخصيته ـ صلى الله عليه وسلم ـ من خلال سيرته الشريفة .

بدأ المؤلف كتابه عن البيئة التى نشأ فيها النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ لأنه لابد لكل دارس لأية شخصية من البدء بإلقاء الضوء على البيئة التى نشأت فيها تلك الشخصية ، وذلك لما للبيئة من أثر فى تكوين شخصية الإنسان .

وقد أشار المؤلف إلى الحالة الدينية فى زمن الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهى خليط من الأديان ، منها عبادة الكواكب : فى اليمن وحرّان ، وأعلى العراق ، وهم فئة قليلة يعرفون بالصابئة ، ومنها المجوسية فى البحرين وفى العراق فئات من الناس يعتنقون الديانة الزرادشتية والمجوسية ، التى تقدس النار ، وتعتبرها عنصر خير ، لأنها مصدر النور فى زعمهم .

ومنها النصرانية فى شمال الجزيرة العربية ، فى قبائل تغلب ، وقضاعة ، وغسان .

ثم اليهودية : نجد فى اليمن ، وفى وادى القرى ، وفى خيبر ، وفى تيماء ، وفى يثرب حيث بنو قريظة ، وبنو النضير ، ومنها الوثنية : وكانت منتشرة فى جميع أنحاء الجزيرة العربية ، حتى لتعتبر الديانة الأكثر اتباعا ، والأكثر انتشارا ، انتقل بنا المؤلف إلى الأصول الاقتصادية فى زمن الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقد كان يغلب على الجزيرة العربية : الصحارى الواسعة ، وهذا ما يجعلها تخلو من الزراعة إلا من واحات محدودة ، فاقتصادها ليس باقتصاد زراعى ، والمراعى الخصبة فيها قليلة .

والصناعة كانت بسيطة جدا ، إلا أن موقعها الاستراتيجى جعلها تحتل مركزا مرموقا فى عالم التجارة ، أما الحالة الثقافية ، فيوضح المؤلف بأن المؤرخين اتفقوا على أن العرب قبيل بعثة الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ كانوا يتصفون بالأمية ، وسجل القرآن هذه الحقيقة فى سورة الجمعة .

رغم علم العرب بالنجوم والطب ، ولكن علمهم كان لا يتعدى مقدار احتياجهم إليها .

أما اللغة ، فقد كانت مقسمة إلى لهجات ، منها لهجة الحجاز ، ولهجة نجد .

وأشار إلى الحالة الاجتماعية حيث الأسرة بأن العرب كانوا يعرفون أنواعا من النكاح ، وكانت العرب تحرم نكاح الأصول كالأمهات والفروع ، كالبنات ، وكانوا - أيضا - يمارسون الطلاق .

ثم القبيلة باعتبارها وحدة سياسية وإدارية مستقلة عن غيرها ، ثم عادات اجتماعية سيئة وحسنة ، أما الحالة السياسية : فكان هناك حلف الفضول ، وحلف المطيبين .

وكانت هناك الحروب : منها حرب البسوس ، وحرب داحس والغبراء ، وحروب الفجار .
وكانت هناك الحالة النفسية .

وأشار أن المصدر الوحيد للرسول - صلى الله عليه وسلم - فى كل ما يتعلق بالعقيدة والعبادة والأحكام وآداب السلوك ، وقصص الأولين ، وقوانين الطبيعة .
ثم بين المؤلف شخصية الرسول - صلى الله عليه وسلم - وصفاته النفسية والسلوكية وهى قل من كثر ، فقد كان خلقه القرآن .

بعد ذلك وضح المؤلف شخصيته النبوية وإعداده - صلى الله عليه وسلم - لها ، ثم بين تهيئة الناس لاستقبال نبوته ، كما تحدث عن بعثته - صلى الله عليه وسلم - ومؤيدات البعثة النبوية حتى انتقل بنا إلى ماخص الله به محمدا - صلى الله عليه وسلم - ككونه أول من يبعث وشفاعته وإعطاؤه لواء الحمد وحشر الأنبياء تحت لوائه ، ثم شفاعته للخلائق كلهم ، أول من يجتاز الصراط ومعه أمته .

أما عن شخصيته - صلى الله عليه وسلم - الاجتماعية ، فأشار المؤلف إلى مظهره الخارجى الذى يظهر فيه الرسول من لباسه وزينته إلى غير ذلك .
ثم تحدث عن الأسباب العامة والخاصة لتعدد زوجات النبى ، وضح أيضا شخصيته السياسية فى بناء الدولة وقيامها على أساس الإيمان الصادق ، وعلى سياسته - صلى الله عليه وسلم - الداخلية ، حيث أشار إلى سيادة الدولة على أراضيها من عدالة الأسعار وإعادة توزيع الثروة توزيعا عادلا ثم التوجيه نحو العمل بالنسبة لسياسته الاقتصادية .

أما السياسة الخارجية فقد وضح خصائصها ومزايا الشخصيات القيادية عند العدو ، وإقناع العدو بقوة الدولة الإسلامية ، احتواء العدو ، السلم والحرب والمعاهدات ، التبادل التجارى والدبلوماسى ، وكذا شخصيته - صلى الله عليه وسلم - العسكرية .

وتناول الصفات الشخصية للرسول القائد ، وإعداد الجنود المحاربين ، التسليح ، ثم مقدمات القتال وأساليبه .

بعد ذلك اختتم المؤلف كتابه بشخصية الرسول التربوية ، معرفا التربية ، وصفات المربى ، ثم القواعد التربوية التى كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يغرسها فى صحابته الكرام وأتباعه .
وأخيرا يتضح لنا من دراسة هذا المؤلف ثلاثة أمور :

أحدها : أداء بعض ما وجب علينا تجاه الرسول - صلى الله عليه وسلم - وذلك بإبراز جوانب شخصيته العظيمة .
ثانيها : يتعلق بالإنسانية جمعاء ، وبالأمة الإسلامية بخاصة .
وثالثها : كثرة الحب لسيرة المصطفى - صلى الله عليه وسلم - .

هذه الدراسة التى قام بها مؤلف الكتاب فى وضوح وبيان تجعلنا نغوص فى بحار المحبة والشوق للحبيب الغالى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ .

وما أحرانا أن نتلمس الهدى والنور فى سيرته العطرة حتى نسعد فى دنيانا وأخرانا .

الشيطان اللعين في القرن العشرين

عبدالحميدنعمة

إن النكسات التى تمر بها الأمة الإسلامية تحتاج إلى وقفة لتستيقظ من سباتها ، وتنظر بعين الاعتبار والتأمل إلى الحوادث التى مرت بها ، لتتمكن من القضاء على الانحرافات الخطيرة ، والرجوع إلى المبادىء العظيمة ، والسنن القويمة ، وروح الإسلام المجيد ، لذلك حرص المؤلف عبد الحميد نعمة على أن يجمع كل صغيرة وكبيرة لها اتصال مباشر وغير مباشر بالشيطان الرجيم ، وذلك من خلال تعريف الإنسان بالمراكز الضعيفة التى يدخل منها الشيطان ، فتقوى دفاعاته ، وتتم صيانة كيانه وحفظه كإنسان كرمه الله ، وخلقه فى أحسن تقويم ، وأجمل صورة من خلال العقل الثمين ، أشار فى مقدمة الكتاب إلى الطريق لمعرفة الداء بأن الخواطر والهواجس ثلاثة أنواع : رحمانية وشيطانية ونفسانية ، فلو بلغ العبد من الزهد والعبادة ما بلغ ، فمعه شيطانه ، ونفسه ، لا يفارقانه حتى الموت ، والشيطان يجرى منه مجرى الدم ، وقال ـ أيضا ـ إن المسلم إذا انتابته الخواطر والهواجس ، وجب عليه أن يرجع إلى ماجاء فى الكتاب والسنة ، فإذا كان صحيحا تأكد منه واستنار باليقين ، وإذا كان خلاف ذلك فمعناه أن هذا من النفس والشيطان .

انتقل بنا بعد ذلك إلى العقل كأداة الحكم على أعمالنا ، فوضح بأنه نور وقوة يميز بها الإنسان حقائق المعلومات ، وهو الميزان الذى يتمتع به كل عاقل ولبيب يميز بين السيىء والصالح ، والجميل والقبيح ، والخطأ والصواب ، ويميز بين كل ما هو نافع وضار ، وبه سيحاسب المرء على أفعاله يوم القيامة .

ثم تعرض إلى النية والقصد أصل المحاسبة ، ثم النسيان من الشيطان ، والوسوسة ، ومدى قوة الشيطان موضحا أن الشيطان قد يأتيك على صورة إنسان أو ساحر من البشر ، أو جان ، وغالبا يأتى كالنفس البشرية من خلال غرائزها وشهواتها ،

وهو الخبير بنقاط الضعف فيه ، أشار بعد ذلك قائلا أما رد كيد الشيطان فيكون علاجه :

- عدم مجاراة النفس فى هواها وأن تثق فى عقلك .
- المراقبة اليومية للنفس ومحاسبتها .
- إغلاق الأبواب والمنافذ التى تسهل دخول الشيطان إلى النفس .

أما عن التداوى بالقرآن والسنة ، فقد أشار بأنه لابد أن نسلك العلاج المتوافر لدى الأطباء مستعينين بالله -عز وجل- فى طلب الشفاء بالإكثار من التعوذات بصدق وإيمان وثقة بالله .

انتقل المؤلف بعد ذلك إلى الطريق إلى العصيان ، حيث شرح عصيان إبليس منذ بداية الخليقة إلى وقتنا هذا ، وأنه أول العاصين الخارجين من النعيم ، فوضح كيفية إسلام دافيد بنجامين القسيس الرومى الكاثوليكى وكيفية حياته قبل وبعد الإسلام .

ثم انتقل إلى مجموعة من المسائل الهامة منها صلاة الجماعة وفضلها ، ثم تحدث عن أركان الإسلام ، وسرية العبادة ، وفائدة العلم الذى يحصنك من الشيطان حتى وصل إلى حديث إبليس عن الأرزاق ، وأن الرؤيا من الله ، والحلم من الشيطان ، وأشار إلى إفشاء السلام ، وترديد بعض كلمات ليس لها صلة بالإسلام غير السلام ، وكيف أن الشيطان بدلها وأغفل تحية الإسلام ، وهى السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

وعرض المؤلف مسائل تهم كل مسلم ومنها : غض البصر ، لصيانة النفس من الخطر والتكبر ، واحتقار الناس من الشيطان الخناس ، حيث أشار إلى مظاهر الكبرياء واستعظام النفس ، واحتقار الغير والازدراء ، فيعتقد المتكبر أنه متميز عن غيره بعلمه أو عمله أو نسبه ، أو ماله أو جاهه ، أو قوته أو كثرة أتباعه . وانتقل إلى جزئية هامة ، عن حياة الخلفاء الراشدين ، وإسلامهم وكيفية الاستفادة من سيرهم ، وأخيرا كان تعليق المؤلف على التبذير والسحر ، وإيذاء الناس ، وعلاقتهم بالشيطان الرجيم .

فى النهاية نقدم لك عزيزى القارىء كتابا مفيدا يصلح بمدارسته أمر الدنيا والآخرة ، تخصك فى دنياك وأخراك ، وكيفية تجنب الشيطان .

وكيف يستطيع المسلم بالعقل والحكمة ألا يترك للشيطان أى ذرة يستطيع من خلالها أن يخترق عقله وينقص من شأنه .

بين المجلة والقارئ

إعداد : عادل رفاعى خفاجة

هجرته

صلى الله عليه وسلم

عاش الرسول الكريم محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى مكة يدعو إلى الله تعالى ـ طيلة ثلاث عشرة سنة ، لاقى فيها ـ من المشركين ـ من صنوف العذاب ما لاقى ، ولم يقابل شرهم إلا بالخير ، وإساءتهم إلا بالإحسان ، ولا عجب إذ هو ـ صلى الله عليه وسلم ـ الرحمة المهداة المبعوث رحمة للعالمين ، بل دعا لهم : « اللهم اهد قومى فإنهم لا يعلمون » .

وكلنا يعلم سبب ذهابه ـ صلى الله عليه وسلم ـ إلى الطائف أملًا فى أن يجد من يشرح الله صدره للإسلام، وينصره فى أمر دعوته، ولاقى ما لاقاه ـ صلى الله عليه وسلم ـ من صدٍّ وكفر وتعصب ضده من أهل الطائف، وزادوا على ذلك أن أغروا به سفهاءهم وصبيانهم وقذفوه بالأحجار حتى انتعل الدم، وعلى الرغم من هذا الموقف العصيب ما كان منه وهو الرحمة المهداة إلا أن دعا لهم، أملًا أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله، ولم يقف شرهم عند هذا الحد بل واصلوا تدبير المؤامرات؛ للقضاء على الدين الجديد وأنَّى لهم ذلك! وعناية الله حافظة لدينه وترعى رسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وصدق الله إذ يقول:

﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴾ (الأنفال / ٣٠).

وأوحى الله إليه ـ صلى الله عليه وسلم ـ بأن يهاجر، فهاجر إلى أرض جديدة، وإلى قوم نهضوا لاستقباله، فتردد فى أرجاء المدينة أعذب نشيد، ومازال رنينه يشنف أسماع المؤمنين، ويثلج صدورهم:

طلع البـدر علينـا من ثنيـات الـوداع
وجب الشكـر علينا مـا دعـا لـله داع
أيها المبعوث فينـا جئت بالأمر المطاع
جئت شرفت المدينة مرحبا ياخير داع

وهكذا استقر الدين الجديد فى هذه الأرض الطيبة المباركة؛ لينطلق من هناك ـ بإذن الله ـ إلى كل أرجاء المعمورة.

وبهذه الهجرة كتب الله ـ تعالى ـ النصر لهذه الأمة والتثبيت لهذا الدين إلى يوم الدين.

أعظمهم محمد صلى الله عليه وسلم

فى هذه الذكرى العطرة: ذكرى هجرة النبى محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ نقدم هذا الإسهام من القارىء ناجى السيد إبراهيم المحامى حيث يقول:

« إذا توغلت فى سرداب التاريخ، وجدت فلسفات قديمة قامت، ودعاوى مصلحين ازدهرت، وحكماء انبهر بتعاليمهم أبناء عصرهم، ولكن سرعان ما انطفأ نور هذا واندثر ذاك.

ذلك أنها لم تعد تصلح لمواكبة الأجيال الجديدة، حيث كانت تتسم بالمحدودية والقصور، ليس هذا فحسب، بل كان يعمها فيضان من المآخذ والثغرات.

الإســلام
دين
الرحمة

وهكذا فى كل زمان وعصر لا يكل البحث ـ من جانب الصفوة ، أهل الخير ـ عن الحلقة المفقودة ، فى سلسلة القيم والأخلاق ، حتى أشرق الفجر بعد طول ليل بهيم ، كان النور الذى أضاء الكون كله ، نور سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم ، وإمام الأنبياء ، الذى سعدت بمولده كل المخلوقات ، وجاءت تعاليمه السمحة ، التى ما تزال جديرة وصالحة لكل العصور والجماعات .

إذ هى تعاليم دين خاتم ، جاء لكل العصور ولكل الجماعات فكان مولده ـ صلى الله عليه وسلم ـ نقطة تحول فى تاريخ البشرية كلها ، وكان النبى محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ هو أكثر الأنبياء تعرضاً لأمواج الغضب الشديد من قومه ، بل من كل عتاة الكافرين ، فى كل زمان ، وبخاصة الغرب ، الذى أساء فهم تعاليمه ـ صلى الله عليه وسلم .

وعلى الرغم من ذلك لا يعدم الحق منصفاً ، حيث نجد هذا الكتاب القيم الرائع : (الخالدون مائة : أعظمهم محمد) وفيه أورد المؤلف أن سبب اختياره للنبى محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ ليكون أعظم الخالدين ، هو : أنه ـ صلى الله عليه وسلم ـ الوحيد فى التاريخ ، الذى أحرز نجاحاً منقطع النظير ، فى كل من الدين والدنيا ، فى آن واحد ، ولعل ذلك هو الذى جعله يؤمن أن محمداً ـ صلى الله عليه وسلم ـ أعظم الشخصيات أثراً فى التاريخ الإنسانى على الإطلاق .

وفى مثل هذه الأيام كانت هجرة النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ إلى المدينة المنورة ؛ طلباً للنصير فأيده الله ـ تعالى ـ بالأنصار ، الذين آووه ونصروه ، وكانت البداية الحقيقية لتاريخ الإنسانية الوضاء . ولو أنصف العالم لشاركنا احتفالاتنا بهجرته ـ صلى الله عليه وسلم » .

ومن رسالة للقارىء : ياسر عبده فريد عبد الظاهر ـ دشلوط / أسيوط .

يقول : « كثيراً ما نقرأ أو نشاهد نشرة أخبار عن جريمة قتل ، وأن من قام بهذه الجريمة بعض الجماعات الإسلامية . وإنى أقول : أنه يجب أن يكون واضحاً أن الإسلام دين الرحمة ، وليس المسلم سفاكاً للدم ، فمن يرتكب أفعال القتل والتخريب ، لابد أن يكون بعيداً عن الإسلام ؛ لأن من بعد عن الرحمة فقد بعد عن الإسلام . وحسبنا قول الحق تبارك وتعالى : ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴾ (النساء / ٩٣) .

إذن الإسلام دين رحمة وسلام للبشرية كلها ، وقد أوجب الإسلام على المسلمين ـ إذا ألجأتهم الضرورة للحرب ـ ألا يقتلوا شيخاً ولا طفلا ولا امرأة .

وضرب المسلمون المثل الرائع على حسن معاملة أهل الذمة .

وهذا عهد عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ لأهل بيت المقدس ، حيث أعطاهم أماناً لأنفسهم وأموالهم ، وكنائسهم لا تسكن ولا تهدم . وهذا هو الإسلام الذى شرع لكل ذى حق حقه ، وماذا بعد الحق إلا الضلال ؟

وهل بعد هذا يحق لأى إنسان أن يقرن الإسلام بالإرهاب أو يدعى : أن هناك ما يسمى بجماعة إسلامية إرهابية » ؟!

تكريمُ الإنسان

أما القارىء / أيمن محمد أبو السعود - دسوق - فيؤكد فى رسالته على ضرورة أن يعترف الإنسان بفضل الله - تعالى - عليه فيقول :

قال الله تعالى :

﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٖ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلٗا ﴾

(الإسراء : ٧)

أيها الإنسان لقد كرمك الله - تعالى - وفضلك على كثير من خلقه ، وسخر لك جميع الكائنات ورزقك من الطيبات ، وأسبغ عليك نعمه ظاهرةً وباطنة ، خلقك فأحسن خلقك ، صورك فأحسن صورتك : شق لك السمع والبصر ، وجعل لك يدين تكسب بهما الرزق ، وتدفع بهما الأذى ، ورجلين تسعى بهما فى الأرض ؛ لتحصيل الخير ، وجعل لك لسانا وشفتين ؛ لتبين للناس ما تكنه فى صدرك ، من المقاصد والرغبات ، ومنحك العقل ؛ ليكون لك نوراً تهتدى به ، فى هذه الحياة ؛ ولتتعرف به على ما أودع الله فى السماء والأرض من دلائل القدرة الإلهية ، فتقر له بالوحدانية .

ومن لطف الله - تعالى - ورحمته أنه لم يترك الإنسان سدى يغلب على عقله الوهم ، ويذهب به الهوى والجهل بعيداً فى أودية الضلال ، ولكنه - سبحانه - أرسل الرسل ؛ مبشرين ومنذرين ، وهادين ومرشدين ، أرأيت أيها الإنسان .. لو أنك نزلت غريباً فى بلد ، ليس لك فيه أهل ، ولا مال ، ولا صاحب ، فأنزلك سيد البلد فى داره ، ووهبك مالاً تستثمره ، ووكل بك من يرشدك إلى أعمال التجارة ، وتنمية المال ، وعهد إلى خدمه ، وحراس بلده ، أن يقدموا إليك ما تحتاج إليه من المساعدة ، ولم يطلب منك ، إلا أن تحسن التصرف فى المال ، الذى أعطاك إياه ، وأن تحافظ على حقوق جيرانك ، وتصون النظام ، ألا يكون من لؤم الطبع ، وكفران النعمة ، ونكران الجميل أن تقابل بالعصيان إحسان هذا السيد الذى آواك وهيأ لك أسباب الحياة ؟

بل يجب عليك أيها الإنسان : أن تحافظ على أوامر الله - تعالى - على ما أفاء عليك من النعم .

قرأت لك

القارىء : توبة لطفى جاد/ العدلية/ بلبيس/ شرقية .

قرأت لك من كتاب : « إحياء علوم الدين » للإمام الغزالى :

« من ادعى أربعاً من غير أربع فهو كذاب : من ادعى حب الجنة ، ولم يعمل بالطاعات فهو كذاب . ومن ادعى حب النبى - صلى الله عليه وسلم - ولم يحب العلماء ، والفقراء فهو كذاب . ومن ادعى الخوف من النار ، ولم يترك المعاصى فهو كذاب . ومن ادعى حب الله - تعالى - وشكا من البلوى فهو كذاب » .

ردود سريعة

مع الحجيج فى رحلة الشوق والحنين

تشكر مجلة الأزهر للأستاذ محمد مصطفى الغمرى أبو العطا مدير إدارة شبرا الخيمة التعليمية - سابقا - ما تفضل به سيادته من تقريظ لكتاب « مع الحجيج فى رحلة الشوق والحنين » لفضيلة الشيخ عبد المعز عبد الحميد الجزار .

ونحن إذ نشكر سيادته ونقدر همته ومتابعته للمجلة نتمنى له دوام الصحة والعافية .

القارىء : سامى محمود حسين - دمياط - قرية الشعراء .

نرحب بك عضواً مشاركاً فى تحرير باب القراء ، ونرجو منكم مراعاة شروط النشر بالمجلة .

****

القارىء : أيمن محمد مرسى خلف الله

نشكر لكم اهتمامكم بالمجلة ، وما ينشر بها ، ومتابعتكم الطيبة ، ونأمل أن يتحقق طلبكم قريبا - بمشيئة الله .

****

القارىء : خالد عبد العليم عبدالمولى عليوة .
عزبة شاهين - كفر النعيم - ميت غمر .

نفيدكم أن البحوث التى تنشر تصدر عن شخصيات علمية مؤهلة ، على أن يرسل البحث قبل الطبع للإدارة العامة للبحوث والتأليف والترجمة لفحصه ووضع تقرير عن مدى صلاحيته للنشر من عدمه .

القارىء : جمال المدنى بدير عبد الخالق - شربين دقهلية .

يمكنكم الاتصال بإدارة التوريدات بالأزهر الشريف - شارع الفردوس / امتداد شارع أحمد سعيد - أمام مرفق مياه القاهرة - بالعباسية لشراء ما تريده .

****

القارىء : نبيل طه مصطفى فرج - القاهرة المعادى

رسالتك بعنوان « فضل العلم » رسالة جيدة ، ولكن يعوزها ذكر المراجع التى اعتمدت عليها ، وبخاصة إذا ذكرت حديثاً شريفاً .

****

القارىء : نشأت محمد حسن
جبلة سنورس - الفيوم

مجلة « منبر الإسلام » يصدرها المجلس الأعلى للشئون الإسلامية وعنوانه ٩ ش النباتات - جاردن سيتى - القاهرة .

أنباء مكتب شيخ الأزهر

إعداد الأساتذين عمر البسطويسى
مصطفى عبد المجيد

فضيلة الإمام الأكبر يستقبل محافظ كفر الشيخ :

استقبل فضيلة الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر الشريف ، بمكتبه صباح يوم ١٤١٨/١١/٢٩هـ ١٩٩٨/٣/٢٨م السيد المستشار محمود أبو الليل محافظ كفر الشيخ والوفد المرافق لسيادته .

دار الحديث خلال هذا اللقاء عن دور الأزهر الشريف وما يقدمه من ندوات ومحاضرات فى مختلف محافظات جمهورية مصر العربية لنشر الوعى والسلوك الدينى السليم ، حيث بلغ عدد المعاهد الأزهرية بالمحافظة ٣٤٠ معهدا أزهريا ، وتأتى محافظة كفر الشيخ فى الترتيب الثالث لمحافظات الجمهورية من حيث عدد المعاهد الأزهرية فى المراحل التعليمية المختلفة .

طلب السيد المحافظ من فضيلة الإمام الأكبر أن تقوم محافظة كفر الشيخ من خلال أجهزتها الفنية فى المساعدة فى ترميم وصيانة المعاهد الأزهرية وغيرها التى أضيرت بالزلزال ، وقد رحب فضيلة الإمام الأكبر بمشاركة أجهزة المحافظة فى هذه الأعمال من منطلق التعاون بينها وبين الأزهر الشريف ، ولسرعة ومتابعة هذه الأعمال ولخدمة أبناء الوطن .

وقد أعلن السيد المحافظ بأنه سيتم تشكيل لجان لحصر المعاهد التى تحتاج إلى ترميمات وغيرها ، وسيتم عرض هذه الخطة خلال الفترة القادمة ، وأشار سيادته إلى أنه سيتم تكليف رؤساء المدن بتقديم كشف عن المعاهد التابعة لهم ، والتى تحتاج إلى إصلاح ، وأنه سيتم جدولتها طبقا لحالتها ، وتقديم الأولوية فى الإصلاح للمعاهد التى فى حاجة إلى إصلاحات بسيطة ، وهذا العمل سوف يتم تحت إشراف المحافظ مباشرة ، حضر اللقاء فضيلة مدير عام الإعلام والعلاقات العامة بالأزهر .

فضيلة الإمام يستقبل سفير دولة يوغوسلافيا بالقاهـــــرة:

استقبل فضيلة الامام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر الشريف بمكتبه صباح يوم ١٤١٨/١٢/٣هـ ، ١٩٩٨/٣/٣١م السيد/ فلاديمير نيشنس سفير دولة يوغسلافيا بالقاهرة .

تم خلال اللقاء بحث الأوضاع الراهنة فى إقليم كوسوفا الذى يقطنه الألبان والصرب وغيرهم ، حيث أوضح السيد السفير موقف دولته من الأحداث الأخيرة فى هذا الإقليم ، مشيرا إلى أن الأوضاع كانت مستقرة بين الذين يعيشون فى هذه المنطقة منذ عهد الرئيس اليوغسلافى تيتو ، ثم بدأت بعد ذلك أحداث عنف تطالب بالاستقلال والانفصال عن دولة يوغوسلافيا ، مما أدى إلى وقوع أحداث العنف الأخيرة .

وأوضح السيد السفير موقف بلاده الرسمى من تلك القضية وحلها داخليا ، ومنع انفصال أى جزء من الدولة ، مشيرا إلى دعوة (الرئيس) اليوغسلافى لأطراف النزاع ، وإعداد صيغة للاتفاق ، ورفض الأطراف لهذه الدعوة وتلك الصيغة .

وأكد السيد السفير على احتفاظ دولة يوغوسلافيا بصداقتها لمصر حكومة وشعبا ، ولكافة الدول العربية والإسلامية ، مؤكدا على أن حكومته ليست ضد مسلمى يوغوسلافيا ، وأنها تريد العيش فى سلام معهم ، مشيرا إلى أن المسلمين هناك يتمتعون بكافة حقوقهم وحكمهم الذاتى موضحا أنه قد أوضح موقف بلاده للمسئولين بوزارة الخارجية المصرية .

وفى نهاية اللقاء شكر السيد السفير الأزهر الشريف على اهتمامه بالطلاب اليوغسلاف المسلمين الذين يدرسون فى الأزهر الشريف .

وقد شكر فضيلة الإمام الأكبر السيد السفير على توضيحه لموقف دولته بالنسبة لمشكلة كوسوفا ، موضحا أن لكل إنسان حقوقا ، وعليه واجبات ، وشعب كوسوفا لابد أن ينعم بحريته ، وألا يقع عليه ظلم ، وأن يعيش المسلمون هناك فى أمان واستقرار ، وألا تعتدى الأكثرية على الأقلية ، وأن ما قرأناه وما يكتب فى الصحف يدل على أن هناك ظلما يقع على المسلمين فى كوسوفا ،

كما أن دول العالم والأمم المتحدة تتدخل لإعطاء كل ذى حق حقه ، مشيرا إلى أن الأزهر الشريف يقف مع العدل والحق ويتمنى لأصحاب القضية التوفيق والسلام والأمان .

وفى نهاية اللقاء أهدى السيد السفير اليوغسلافى فضيلة الإمام الأكبر مرجعا تاريخيا عن دولة يوغوسلافيا .

فضيلة الإمام الأكبر يستقبل وزير خارجية جيبوتي :

استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر بمكتبه صباح يوم ١٤١٨/١١/٢٧هـ ، ١٩٩٨/٣/٢٦م معالى الوزير/ محمد موسى سميح وزير خارجية جيبوق ، يرافقه السيد/ محمود يوسف سفير جيبوق بالقاهرة والوفد المرافق للضيف .

فى بداية اللقاء نقل معالى الوزير لفضيلة الإمام الأكبر تحيات وشكر فخامة رئيس جمهورية جيبوق ، وأشاد الضيف بدور الأزهر الشريف فى العالم أجمع ، وخاصة فى دولة جيبوق لنشر الدعوة والثقافة الإسلامية من خلال بعثاته وعلمائه والمنح الدراسية التى يقدمها الأزهر الشريف لأبناء دولة جيبوق للدراسة بالأزهر الشريف .

وقد تقدم السيد الوزير لفضيلة الإمام الأكبر بطلب للمساعدة فى إنشاء المعهد الدينى بدولة جيبوق ، حيث وعد فضيلته بالمساعدة فى إنشاء هذا المعهد فى أسرع وقت ممكن .

فضيلة الإمام الأكبر يستقبل سفيرة استراليا بالقاهـــرة :

استقبل فضيلة الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر الشريف بمكتبه صباح يوم ١٤١٨/١١/٢٥هـ ، ١٩٩٨/٣/٢٤م سعادة سفيرة استراليا بالقاهرة السيدة فيكتوريا أون ، بمناسبة تسلمها عملها كسفيرة لاستراليا بالقاهرة .

تم خلال اللقاء بحث أحوال الجالية الإسلامية باستراليا وحرية ممارسة الشعائر الدينية للمسلمين باستراليا ، وعلاقات التعاون بين مصر واستراليا ، والتسامح الدينى لكل الطوائف الدينية الموجودة باستراليا ، والتطرف الدينى الذى يسود دول العالم ، ودور رجال الدين فى محاربة التطرف بجميع أنواعه ، وأكد فضيلة الإمام الأكبر أن الإرهاب فى مصر يلفظ أنفاسه الأخيرة ، مشيرا إلى أن الأزهر يعمل على توضيح المفاهيم من خلال علمائه وبعثاته ، وقد أعربت سعادة السفيرة عن استعدادها لتقديم أى مساعدة يوجهها الأزهر الشريف للجالية الإسلامية باستراليا .

فضيلة الإمام الأكبر يستقبل سفير دولة بوركينا فاسو بالقاهرة:

استقبل فضيلة الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر ، السيد/ محمد ترانجو سفير دولة بوركينا فاسو بالقاهرة بمناسبة تعيينه سفيرا لبلاده ، وذلك بمكتب فضيلته قبل ظهر يوم ١٤١٨/١٢/٣هـ ، ١٩٩٨/٣/٣١م فى بداية اللقاء أشاد الضيف بدور الأزهر الشريف فى العالم أجمع من خلال بعثاته ، ونشر الدعوة والثقافة الإسلامية ، مشيرا إلى الدور البارز لبعثة الأزهر الشريف ببوركينا فاسو ، والمنح الدراسية التى يقدمها الأزهر الشريف لأبناء بوركينا فاسو للدراسة بالأزهر الشريف وجامعته العريقة .

فى نهاية اللقاء شكر فضيلة الإمام الأكبر السيد السفير على الزيارة التى قام بها للأزهر الشريف ، داعيا المولى عز وجل أن يوفقه فى منصبه الجديد .

الإمام الأكبر يلتقى ووفد معهد دراسات الشرق الأوسط:

التقى فضيلة الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر الشريف بمكتبه صباح يوم ١٤١٨/١٢/٤هـ ، ١٩٩٨/٤/١م ووفد معهد دراسات الشرق الأوسط ، حيث بلغ عددهم ستين فردا من الجامعات الأمريكية الذين حضروا إلى مصر لتعلم اللغة العربية والتاريخ الإسلامى ، وذلك بمعهد دراسات الشرق الأوسط .

وقد دار الحديث حول إلقاء الضوء على نشأة الأزهر الشريف ، والدور البارز الذى يقوم به لنشر الدعوة والثقافة الإسلامية فى العالم أجمع من خلال بعثاته وعلمائه والفتاوى التى يصدرها ونوعية الدراسة التى يتميز بها الأزهر الشريف من الوسطية والاعتدال والبعد عن التعصب الأعمى والتطرف ، والمنح الدراسية التى يقدمها لأبناء المسلمين فى العالم أجمع .

كذلك ألقى فضيلته الضوء على علاقة الإسلام بالديانات الأخرى ، وأنها تقوم على التعاون والاحترام ، كما أوضح أن كل دين يقوم بممارسة شعائره فى حرية تامة ، وفى مصر رباط وثيق بين المسلمين والمسيحيين فالكل يعيش على أرض واحدة ويشرب من نيل واحد ، ويستظل الجميع بسماء واحدة ، والجميع ضد الإرهاب ويحاربه ، وأن ما يقع من أحداث إنما هى حوادث فردية تحدث فى أى مكان فى العالم ، وظاهرة الإرهاب ظاهرة عالمية تقع فى جميع أنحاء العالم .

وقد أجاب فضيلته على تساؤلات الوفد واستفساراته حول حقوق المرأة فى الإسلام وتنظيم النسل وغيرها من التساؤلات .

حضر اللقاء فضيلة الشيخ عمر البسطويسى المدير العام للعلاقات العامة والإعلام بالأزهر .

فضيلة الإمام الأكبر يستقبل سفير دولة البحرين بالقاهرة:

استقبل فضيلة الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر الشريف سعادة السفير إبراهيم على الماجد سفير دولة البحرين بالقاهرة، وذلك فى مكتبه بالأزهر صباح يوم ١٤/١٢/١٤١٨هـ، ١١/٤/١٩٩٨م، حيث قدم الضيف التهنئة لفضيلة الإمام الأكبر بحلول عيد الأضحى المبارك راجيا من الله تعالى أن يحفظ مصر وأزهرها الشريف من كل مكروه وسوء.

وقد شكر فضيلة الإمام الأكبر للضيف هذه الزيارة، وتلك التهنئة وتمنى لدولة البحرين دوام التوفيق والرقى، وقدم لفضيلته الدعوة لزيارة البحرين الموجهة من صاحب السمو الشيخ خليفة ابن سلمان آل خليفة رئيس وزراء البحرين.

فضيلة الإمام الأكبر يستقبل سفير دولة السويد بالقاهرة:

استقبل فضيلة الإمام الأكبر بمكتبه صباح يوم ٢٥/١١/١٤١٨هـ، ٢٤/٣/١٩٩٨م، سعادة السفير جوستاف كويستر سلفين سفير دولة السويد بالقاهرة الذى أعلن قيام بلاده حاليا بإنشاء المركز الثقافى للحوار بين الأديان بمدينة الإسكندرية من أجل تقريب المفاهيم بين الثقافة والدين، ولتحسين فهم صورة الإسلام فى الغرب كله وتوضيح سماحته ويسره.

وقد شكر فضيلة الإمام الأكبر الضيف، وأبلغه شكره لحكومة السويد على إنشاء هذا المركز الذى سيعود بالكثير من الفوائد على كافة الشعوب من توضيح للمفاهيم الدينية لجميع الديانات إسلامية كانت أو مسيحية أو يهودية، مشيرا إلى أن الأزهر الشريف يرحب بكل حوار يفيد الإنسانية لأن الإسلام ينبذ العنف والعنصرية والإرهاب، ويدعو إلى السلام لأنه دين السلام.

فضيلة الإمام الأكبر يستقبل سفير تركيا بالقاهرة:

استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف بمكتبه صباح يوم ٨ من ذى الحجة ١٤١٨هـ ، ٥ أبريل ١٩٩٨ سعادة السفير/ باشاريقش سفير تركيا فى القاهرة .

فى بداية اللقاء قدم الضيف التهنئة لفضيلة الإمام الأكبر بمناسبة حلول عيد الأضحى المبارك ، ثم أشاد سيادته بدور الأزهر الشريف ورسالته العالمية فى نشر الدعوة الإسلامية فى العالم أجمع ، معربا عن تمنياته الطيبة للأزهر الشريف حتى يظل منارة إشعاع فى العالم أجمع معربا عن تمنياته الطيبة للأزهر الشريف حتى يظل منارة إشعاع علمى لكل المسلمين فى أنحاء العالم .

وقد أعرب فضيلة الإمام الأكبر عن سعادته بهذه الزيارة مشيرا إلى أن الدراسة فى الأزهر تتميز بالوسطية والاعتدال والبعد عن التطرف والمغالاة ، حضر اللقاء فضيلة الشيخ فوزى فاضل الزفزاف وكيل الأزهر الشريف وفضيلة الشيخ عمر البسطويسى مدير عام الإعلام والعلاقات العامة بالأزهر الشريف .

فضيلة الإمام الأكبر يستقبل سفير بريطانيا بالقاهرة:

استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر سعادة السفير ديفيد لازرويك سفير بريطانيا بالقاهرة حيث قدم الضيف لفضيلة الإمام التهنئة بمناسبة حلول عيد الأضحى المبارك .

وقد شكره فضيلة الإمام الأكبر على تلك الزيارة الكريمة وحمله رسالة شكر وتقدير لحكومة وشعب بريطانيا الكريم .

فضيلة الإمام الأكبر يستقبل وزير الداخلية الفرنسى:

استقبل فضيلة الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر الشريف بمكتبه يوم ١٦ من ذى الحجة ١٤١٨هـ ، ١٣ أبريل ١٩٩٨م ، السيد/ چون بير شوڤمان وزير الداخلية الفرنسى ، والمسئول عن شئون الأديان بفرنسا ، والوفد المرافق لسيادته الذى قام بزيارة لمصر فى تلك الفترة.رحب فضيلة الإمام الأكبر بمعالى الوزير

ومرافقيه فى الأزهر الشريف ، حيث ألقى فضيلته الضوء على نشأة الأزهر الشريف وتطوره ونوعية الدراسة فى المراحل التعليمية المختلفة والمنح الدراسية التى يوفدها الأزهر لأبناء المسلمين فى مختلف دول العالم والبعثات التى يوفدها لنشر الدعوة والثقافة الإسلامية ، وعلاقة الأزهر بمختلف دول العالم وعلاقته بالديانات الأخرى مثل المسيحية واليهودية مشيرا إلى الحوار بين الأديان .

وأشار فضيلته إلى أن الأزهر تمتاز الدراسة فيه بالاعتدال والوسطية والبعد عن التعصب الأعمى والتطرف ، وتدريس المذاهب الدينية جميعها ، وذلك لأنها نابعة من تعاليم الدين الإسلامى الحنيف .

كذلك أشار فضيلته إلى الدور الثقافى الذى تقوم به دولة فرنسا وما تتمتع به من حرية فى الرأى والفكر موضحا فى هذا الصدد أن الدكتور الإمام الراحل الشيخ عبد الحليم محمود شيخ الأزهر الأسبق قد حصل على الدكتوراه من جامعة السربون بفرنسا ، وكثيرين من مشايخ وعلماء الأزهر وغيرهم تلقوا العلم بدولة فرنسا .

وأكد فضيلته على أن الأزهر يرحب بالحوار بين الأديان وبكل حوار بناء ، مشيرا إلى اللجنة المشكلة لهذا الغرض بالأزهر الشريف برئاسة فضيلة الشيخ وكيل الأزهر الشريف .

حضر اللقاء فضيلة وكيل الأزهر وقياداته والأستاذ الدكتور على السمان ، وفضيلة المدير العام للعلاقات العامة والإعلام بالأزهر .

فضيلة الإمام الأكبر يستقبل رئيس وزراء المملكة المتحدة:

استقبل فضيلة الإمام الأكبر الدكتور/ محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر الشريف بمكتبه صباح يوم ٢١ من ذى الحجة ١٤١٨هـ ، ١٨ أبريل ١٩٩٨م ، السيد/ تونى بلير رئيس وزراء المملكة المتحدة ترافقه السيدة قرينته والوفد المرافق لسيادته ، رحب فضيلة الإمام الأكبر بضيف مصر والأزهر الشريف ، ملقيا الضوء على نشأة الأزهر الشريف وتاريخ نشأته منذ عام ٩٧١م ، وأن عمره الآن يزيد على الألف عام ، ويقوم بتعليم أبناء مصر والمسلمين فى العالم أجمع أصول وقواعد الدين الإسلامى الحنيف ، ونشر مبادئه السمحة والدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة ، والبعد عن التطرف والتعصب الأعمى ونصرة المظلوم والقيم والمبادىء المعتدلة ، وإعلاء شأن الإخاء الإنسانى وغرس مبادىء المحبة والفضائل بين المسلمين ، وبينهم وبين غير المسلمين فى العالم أجمع لأن الأديان السماوية إنما جاءت لسعادة البشر وليس لشقائهم .

وأكد فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر خلال اللقاء أن الأزهر منذ إنشائه وحتى الآن يقف ضد

الظلم واغتصاب أراضى الغير وضد إقامة المستوطنات غير الشرعية فى الأراضى المحتلة ، لأن الإسلام يدعو إلى العدالة والحرص على إعطاء كل ذى حق حقه ، وفى الوقت نفسه يحارب الظلم والإرهاب والتطرف واغتصاب حقوق الآخرين ، ويقف فى وجه الظالم حتى يندحر ، وقال : إنه على كل هذه المعانى تقوم الدراسة بالأزهر الشريف ، ومناهجه راعت البعد عن التطرف والتعصب والعنصرية البغيضة وتمتاز الدراسة فى الأزهر الشريف بالتنوع والتخصص ، كما أن التعليم فى الأزهر يقوم على التنوع والرقى الفكرى ، وأخذ العلم النافع من أى مكان مادام يحث على مكارم الأخلاق ، فالعلم لا وطن له ، كما أن الأزهر يهتم بالحوار بين الأديان لأنه كلما تقاربت الأديان زاد الفهم المشترك ، كما أجاب فضيلة الإمام الأكبر على تساؤلات ضيف الأزهر الشريف فيما يتعلق بنوعية الدراسة بالأزهر ونوعية الطلاب والأسس الدينية التى تقوم عليها هذه الدراسة ، وقد أجاب فضيلة الإمام الأكبر على أن نوعية الدراسة الدينية بالأزهر الشريف تقوم على السماحة والموضوعية ، وأنه يستقبل كل أبناء المسلمين فى العالم أجمع لتعليمهم أمور دينهم ، كما أجاب على سؤال رئيس الوزراء فيما يتعلق بوجهة نظر الأزهر فى مسألة الحوار بين الأديان واهتمام رئيس الوزراء شخصيا بهذا الموضوع ومدى إمكانية تطوير هذا الحوار ، وقد أجاب فضيلة الإمام الأكبر بأن رئيس أساقفة كانتربرى صديق شخصى لى ، وقد التقيت به أكثر من مرة ووجهت له الدعوة لزيارة الأزهر ، ونحن فى انتظار إتمام هذه الزيارة فى القريب العاجل ، والأزهر مهتم جدا بالحوار البناء لخير الأديان ولخير البشرية جمعاء ، وأننا نؤمن إيمانا مطلقا بأنه عندما توجد العقيدة السليمة فى القلوب سيزداد الناس حبا وتقاربا وتعاونا ، مشيرا إلى أننا نرحب بكل تعاون يقرب أفكار الناس : والأزهر الشريف على استعداد للتعاون فى كل حوار جيد بناء ، لأن عدم فهم الأديان يؤدى إلى التباعد والأنانية والأحقاد .

وقد أعرب الضيف الكبير عن شكره وتقديره للأزهر وشيخه وعلمائه لإتاحة هذه الفرصة ، ولهذا اللقاء الهام وماتناوله من موضوعات .

حضر المقابلة الدكتور عاطف عبيد وزير الدولة لقطاع الأعمال ورئيس بعثة الشرف المرافقة والسيد سفير بريطانيا بالقاهرة ، والسيد سفير القاهرة ببريطانيا وفضيلة الأستاذ الدكتور أحمد عمر هاشم رئيس جامعة الأزهر ، وفضيلة وكيل الأزهر الشريف ، والقيادات الإسلامية فى الأزهر الشريف .

كما قام الضيف ومرافقوه عقب المقابلة بزيارة تفقدية لمسجد الجامع الأزهر والمعالم الأثرية بالقاهرة الفاطمية .

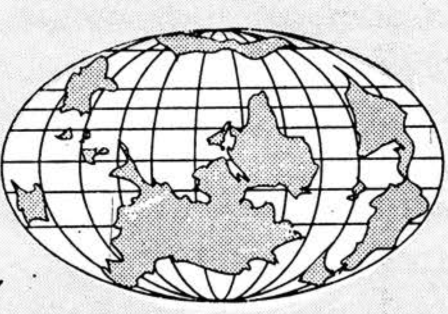

أخبار العالم الإسلامي

يحررها الدكتور
حسن علي محمد

من المحرر: منذ متى يهتم الأمريكان بحقوق الإنسان ؟ !!

فى واحدة من الألاعيب الساذجة ، تحاول أمريكا استخدام ورقة أقباط مصر للضغط على صانع القرار فى مرحلة حرجة تمر بها عمليات السلام . . فى المنطقة . .

والمتاجرة باضطهاد الأقباط فى مصر خاسرة ، والتلويح بموضوع الأقباط فى وجه صانع القرار ، كلما اتخذ قراراً قوميا . . أمر يجب ألا يفوت على عقلاء الأقباط ، ومن الإجرام أن يتخذ بعض أقباط المهجر الموقف الأمريكى وسيلة للضغط على وطنهم الأم وأن يشهروا ببلادهم . . . !!

أقباط مصر . . لهم مالنا . . وعليهم ماعلينا . . ولسوف تبوء بالفشل تلك الحملة المكشوفة التى تظهر وتختفى دون مبرر من آن لآخر ولن تلتفت مصر الأزهر إلى ألاعيب الصبية .

● أخبار مصر

شيخ الأزهر ينفى تصريحه لوزير الداخلية الفرنسى بأن الحجاب غير واجب.

● خاص للأزهر:

نفى فضيلة الإمام الأكبر أ. د. محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر المزاعم التى نسبتها إليه الصحف الفرنسية الصادرة من أسبوعين، حيث زعمت الصحف الفرنسية أن الإمام الأكبر صرح لوزير داخلية فرنسا بعدم وجوب الحجاب للمرأة المسلمة، ويؤكد شيخ الأزهر أن هذا الخبر لا أساس له من الصحة وأنه أجاب عن سؤال لوزير الداخلية الفرنسى عما إذا كان الحجاب من الأصول أم من الفروع بقوله:

إن الحجاب من الأصول وأنه لا يجوز للمرأة المسلمة البالغة أن تكشف شيئا من جسدها سوى الوجه والكفين.

و« الأزهر » يؤكد حرص الإمام الأكبر على تكذيب الصحف الفرنسية التى تحاول تشويه صورة الإسلام فى الغرب، وأن فضيلة الإمام الأكبر يقول كلمة الحق ولا يخشى فى الله لومة لائم.

رئيس الوفد الأمريكى: لا وجود لصراع دينى فى مصر

التقى الرئيس حسنى مبارك « بوفد مجلس الكنائس الأمريكى »، وصرح الدكتور بوتس عقب المقابلة بأن الوفد ناقش مع الرئيس الادعاءات المثارة فى وسائل الإعلام الأمريكية حول وجود صراع بين المسلمين والمسيحيين فى مصر.

وقد زار الوفد كل من فضيلة الإمام الأكبر، شيخ الأزهر والبابا شنودة بطريرك الأقباط. وقال رئيس الوفد الكنسى إنهم اكتشفوا بسهولة زيف الادعاءات المنشورة والتى نشرها بعض أقباط المهجر المصريين، وقال بأن الأقباط فى مصر يتمتعون بحرية كاملة فى ممارسة شعائرهم الدينية.

دكتوراه فخرية من جامعة الأزهر لرئيس وزراء ماليزيا

تحتفل جامعة الأزهر فى ٩ من مايو المقبل بمنح درجة الدكتوراه الفخرية للدكتور مهاتير محمد رئيس وزراء ماليزيا، وذلك فى حفل كبير بقاعة الاحتفالات الكبرى بمقر الجامعة بمدينة نصر.

يحضر الاحتفال رئيس الوزراء وفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر، صرح بهذا الدكتور أحمد عمر هاشم رئيس جامعة الأزهر وقال: إن منح رئيس الوزراء الماليزى الدكتوراه الفخرية من الأزهر يأتى تقديراً لجهوده فى خدمة الإسلام.

التنمية فى شمال صعيد مصر شعار مؤتمر جامعة المنيا

أقامت جامعة المنيا المؤتمر العلمى السنوى لكلية الآداب تحت رعاية الدكتور جمال أبو المكارم رئيس

الجامعة وبرئاسة الدكتور عبد الهادى الجوهرى عميد الكلية حيث ناقش المؤتمر ٤٠ بحثا على مدار يومين تناولت قضايا التنمية والبطالة والإعلام الإقليمى فى شمال الصعيد وأرسل المؤتمرون برقية للرئيس مبارك تؤكد دعم الجامعة لسياساته الخارجية وجهوده فى تنمية مصر .

وفد مصرى يتسلم الممتلكات المصرية بالسودان

توجه وفد مصرى كبير ضم ١٦ خبيراً من ٥ وزارات إلى الخرطوم لتنفيذ قرار تسليم الممتلكات المصرية بالخرطوم إلى مصر .

وأكد مصدر دبلوماسى أن قرار الحكومة السودانية بإعادة هذه الممتلكات إلى مصر جاء ضمن خطوات وإجراءات اتخذتها البلدان ، استهدفت تصحيح مسار العلاقات وعودتها إلى مجاريها .

مسئول قطرى : مصر ملاذ العرب

الدوحة أ . ش . أ

أكد عبد الرحمن الحفيرى أمين عام مجلس الشورى أهمية زيارة الشيخ حمد بن خليفة آل ثان أمير قطر للقاهرة وقال : إن مصر ملاذ العرب جميعا وهى الدولة الكبرى للأمة العربية .

أخبار الأرض المحتلة « فلسطين » : ١٠٠٠ حاج فلسطينى أدوا فريضة الحج هذا العام :

أدى ١٠٠٠ حاج فريضة الحج بعد أن غادروا عبر ميناء رفح عائدين إلى بلادهم .

الجدير بالذكر أن إسرائيل رفضت تسيير خطوط جوية فلسطينية من الأرض المحتلة .

مؤرخ يهودى يسعى لإقناع العرب ببناء الهيكل فى الحرم القدسى .. !!

غزة ـ

أعرب الكاتب والمؤرخ اليهودى الأمريكى « إسرائيل هوكينز » عن اعتقاده إمكان الحصول على موافقة المسلمين على إقامة الهيكل فى منطقة الحرم القدسى الشريف ، وقال عقب اجتماعه مع كبير حاخامات إسرائيل : إنه يعتزم زيارة عدد من الدول العربية لإقناع رجال الدين الإسلامى بإقامة الهيكل فى الحرم القدسى .

٦ مستوطنات جديدة فى الضفة الغربية

غزة ـ ا . ش . ا .

وافقت لجنة حكومية إسرائيلية على إنشاء ٦ مستوطنات يهودية جديدة على امتداد حدود الضفة الغربية فى منطقة يقطنها أغلبية من عرب إسرائيل ، وذكر راديو لندن أن المشروع الجديد سوف يشتمل على ٤٠٠٠ (أربعةآلاف) مسكن . . !!

مجلة بريطانية : إسرائيل أرسلت قوات عسكرية إلى عمق العراق

ذكرت مجلة (فورين ريبورت) العسكرية البريطانية فى عددها الأخير أن هناك قوات

إسرائيلية سرية أرسلت إلى عمق العراق إلى جانب قوات أمريكية وبريطانية فى إطار استعدادات تجرى للقيام بعملية عسكرية ضد العراق .

وزير الثقافة المصرى :
يؤكد رفضه التطبيع مع إسرائيل

أكد السيد فاروق حسنى وزير الثقافة المصرى أن موقف وزارة الثقافة واضح ومحدد فى مسألة التطبيع وقال إن أية محاولة للتطبيع ستبوء بالفشل .

الصرب يحرقون قرى المسلمين فى كوسوفو

لجأ المسلمون فى « كوسوفو » إلى التلال والغابات للاحتماء من الهجوم الوحشى للقوات الصربية ، وذكر راديو لندن أن الفارين من بلدة (بريكاس) معظمهم من النساء والأطفال قد أمضوا ثلاثة أيام فى العراء دون طعام أو ماء .

حيث قامت عناصر من الشرطة الصربية قوامها ١٠٠٠ جندى بإطلاق النيران عشوائيا على المدنيين العزل وأضرمت النيران فى المنازل . .

والسؤال :

أين أمريكا حامية حقوق الإنسان ؟

من أخبار أندونيسيا

الأندونيسيون يقتحمون السفارات الأجنبية طلبا لحق اللجوء السياسى :

كوالا لامبور. وكالات الأنباء

اقتحم العشرات من اللاجئين الأندونيسيين مقار البعثات الدبلوماسية فى العاصمة الماليزية فى محاولة للحصول على حق اللجوء السياسى .

وذكرت مصادر ماليزية أن ثمانية من اللاجئين اقتحموا أسوار السفارة الأمريكية ، فى حين لجأ حوالى ١٤ شخصا إلى السفارة السويسرية وثمانية إلى السفارة الفرنسية وسبعة إلى سفارة بروناى .

باكستان تصنع صاروخا مداه ٣٠٠٠ كم وتتلقى التهانى من المسلمين فى العالم

أدى رئيس باكستان مناسك الحج هذا العام والتقى خلاله بالعديد من زعماء العالم الإسلامى حيث قاموا بتهنئة باكستان على هذا الإنجاز .

وكانت باكستان قد احتفلت مؤخراً باختبار صاروخ أرض ـ أرض عابر للقارات .

وقد أنتجت باكستان هذا الصاروخ لأغراض الدفاع وهو النظام الصاروخى الوحيد لديها والذى صنعته بتكنولوجيا محلية .

تزايد المسلمين فى أمريكا يؤثر على سياسات واشنطن .

« نيوزويك » :

كشفت مجلة « نيوزويك » الأمريكية عن معلومات تفيد بأن عدد المسلمين فى أمريكا فى تزايد مطرد وقالت : إن المسلمين خلال أقل من عقد من الزمان سوف يتفوقون على اليهود الأمريكيين .

وقالت المجلة : بأن المسلمين قد زادوا بنسبة ٤٪ من سكان الولايات المتحدة إلى ٤,١٪ .

وقدرت المجلة عدد المسلمين فى أمريكا بأنهم أكثر من ٦ ملايين مسلم .

نقلا عن « جريدة المسلمون » أوروبا .. ومواسم قتل المسلمين

كتب عبد الله الرفاعى :

المشهد الثانى

□ وأعيد رفع الستار مرة أخرى على مسرح ذبح مسلمى أوروبا .. تحفيز غربى لمسلمى كوسوفا وتأييد لا يتجاوز البيانات الشاجبة .. ويبدأ حثالة الصليبيين بإراقة الدماء المسلمة ، وتبدأ المشاهد فى تصاعد حركى .. مطاردة وتشريد ... والبيانات الشاجبة تتوالى ..

المتابع يدرك أن المسرح البشع هذا أعد منذ زمن ليس بالقصير .. ونحن هنا فى « المسلمون » نبهنا وحذرنا لما يعد لمسلمى كوسوفا .. ولكن صرخاتنا .. تتلاشى فى واد لا صدى له .. مسلمو كوسوفا وغيرهم من مسلمى أوروبا المؤهلين للمشاهد التالية لم يفهموا درس البوسنة جيدا .. فلا وعى ولا إدراك لمكائد الصليبية العلمانية الأوروبية و .. بل لم نر إلا وهنا واعتمادا على دعاوى الحرية والإنسانية والديمقراطية التى يتشدق بها الغرب .. فأوروبا نصرانية فلا مكان للمسلمين فيها .. هكذا صرح زعماء الديمقراطية وقارة « النور » ..

إن « سيناريو » البوسنة يتكرر اليوم فى كوسوفا .. لن يكون هناك تدخل حاسم من الغرب إلا بعد أن يؤدى حثالة الصليبية « الصرب » المطلوب منهم .. عندها سيجد المسلمون أنفسهم فى ظل كيان لا طعم ولا لون له .. فتكون القرابين التى قدموها بلا ثمن ..

هذا المشهد الثانى ومن المتوقع أن يكون له ثالث فى السنجق وفى غيرها من الجيوب الإسلامية المتبقية فى أوروبا .. أوروبا تعيد محاكم التفتيش مرة أخرى ... والصورة رغم نتائجها الفاعلة تبدو أكثر إنسانية وأكثر لطفا .. وفى الحقيقة أنكى وأشد.التورط الغربى فى المجازر التى يتعرض لها مسلمو أوروبا فى كوسوفا اليوم ومن قبل فى البوسنة لا يلغى مسؤولية مسلمى المنطقة ولا مسؤولية باقى الأمة .

[«Le miséricordieux s'installa sur le trôone»]. ...ainsi que dans la parole divine : [«Le miséricordieux lui a enseigné le coran»] et : [«Dis, invoquez «Allah» ou invoquez le miséricordieux»].

Ces deux attributs sont dérivés de la racine «R.H.A» (Rahman). Or. La miséricorde parfaite c'est l'abondance des bienfaits qui enveloppe ceux qui sont dans le besoin. Tandis que la miséricorde générale c'est celle qui est accordée sussi bien méritants qu'aux non méritants ... .La compassion d'«Allah» est ainsi à la fois parfaite et générale. Sa perfection apparaît dans le fait qu'Il accorde à celui qui est dans le besoin ce qu'Il demande. Sa généralité c'est qu'elle est accordée aussi bien au méritant qu'au non méritant. Elle existe en ce monde ici - bas et dans celui de l'au- delà - et elle recouvre les nécessités et les besoins ainsi que tous les avantages qui en découlent. II est certes le Miséricordieux absolu.

La compassion chez l'être humain ne manque jamais d'un certain sentiment de peine qui pousse celui qui éprouve de la miséricorde à aider la presonne prise en compassion, comme s'il voulait se soulager de sa propre peine. Donc c'est comme en agissant ainsi it cherchait à se soulager lui- même. Or, la perfection réside dans le fait d'aider les autres pour eux même et non pour se soulager soi - même. Il arrive aussi que certains étres compâtissants ne parviennent pas à soulager les gens en peine même s'ils le souhaitent ... Tandis que la perfection serait le pouvoir de subvenir efficacement au besoin du nécessiteux ... et le terme «miséricordieux» donne à la miséricorde une signification bien au - delà des capacités humaines : Il est celui qui est est plein d'affection pour ses serviteurs : Tout d'abord, Il les fait exister et les guide vers la foi et vers ce qui les méne au bonheur en cette vie et plus tard dans la vie future à la béatitude á la vue de son noble visage.

De tout cela on déduit que «Le miséricordieux est un terme, plus particulier que «plein de miséricorde» à suivre .

LES PLUD BEAUXATTRI-BUTS D' ALLAH

par Dr. zeinab abde aziz

«Al Rahmân», «Al Rahim»

Le Miséricordieux, Plein de Miséricorde.

Deux noms sublimes parmi ses plus parfaits attributs et qui prouvent qu'Il est qualifié de la miséricorde. Or, c'est là une qualité qui lui est inhérente-qu'Il soit loué et qui convient à sa majesté : Le miséricordieux c'est celui dont la compassion englobe et recouvre toute chose en ce monde. Car la dérivation du mot - selon la chose classe morphologique - sur le modéle «fa'lan» désigne ce qui est plein et qui posséde en abondance. Quant à «plein de miséricorde» il désigne celui dont les croyants bénéficieront de la miséricorde dans la vie future.

Le miséricordieux «Al rahmâne» désigne une qualité inhérente á son Essence même, quant à «Al Rahim», Celui qui est plein de miséricorde, il désigne ce qui est attribué à celui qui est l'objet de miséricorde. C'est pour cette raison que le terme de «misérícodieux» n'est jamais employé au sens transitif dans le Coran (c'est-à-dire comme une action qui passe du sujet à l'objet... il a dit - qu'il soit glorifié - «Il est plein de miséricorde pour les croyants» et non miséricordieux.

Le terme «Le miséricordieux» est à la fois un nom et un adjectif... .En tant qu'adjectif, il accompagne le nom d'Allah dans la formule sacramentelle «Au nom' Allah, Le miséricordieux, plein de miséricorde. «En tant que nom il apparaît dans le Coran sous sous la forme d'un nom propre :

réciter telle que:"***J'exprime l'intention de réaliser tel acte"***, ni une simple idée passagère, mais bien un état d'esprit et un état du coeur, fondé sur un savoir et dont le fruit est une action. Ce savoir fait que la chose soit en accord avec le but qui est un bien-anticipé ou remis,et amène à faire naître le désir de le réaliser. La volonté c'est la ferme résolution du cœur, qui donne l'ordre aux membres et aux sens qui agissent à leur tour en vue d'accomplir ce qui est demandé, ainsi naît l'acte, car les actes ne sont que la concrétisation des intentions.

L'importance et la gravité de la sincérité de l'intention se révèle dans le Hadith qui décrit les trois qui ont mérité l'Enfer, malgré leur prétendue bonne intention: le premier est mort sur le champ de la bataille comme martyr, le deuxième était charitable et dépensait largement, tandis que le troisième était uléma qui récitait le Coran.

Leurs oeuvres pies ne furent pas accomplies uniquement dans l'intention de plaire à Allah, mais dans celle de jouir d'un certain crédit auprès des gens. Il fut dit au martyr: tu as combattu pour qu'on dise de toi "il est courageux" et ceci a été dit. Au deuxième: tu dépensais pour que les gens disent: "il est généreux"; et ceci a été dit. Quant au troisième: tu apprenais le Coran et tu le récitais pour que l'on dise de toi "c'est un uléma", et ceci a été dit. Ils n'ont donc trouvé aucune rétribution pour leurs actions, mais au contraire, ils ont mérité le juste châtiment pour leur attitude ostentatoire[3].

Le Prophète-b.s-a dit:*"Quand le serviteur accomplit de bonnes oeuvres, les anges satisfaits relèvent les feuillets des actions cachetés vers le Seigneur. Mais, exposés devant Les Mains d'Allah-Gloire à Lui- Il dit:'Jetez ces feuillets, car ces actions n'ont pas été accomplies dans le but de Me plaire."*

Hadith rapporté par Anas.

De même, Abdullah Ibn'Omar-A.s.l- a rapporté, d'après le Messager d'Allah-b.s-qu'il a dit : "*Celui qui fonde ses actions avec l'intention d'être rétribué dans la vie de l'au-delà, Allah placera sa richesse en son coeur, écartera de son chemin tous les soucis et la vie d'ici-bas viendra à lui malgré elle-même. Mais celui qui ne recherche que la vie d'ici-bas, Allah l'appauvrira, accumulera ses soucis et il n'obtiendra de cette vie que ce-qui lui est prédestiné."*

Hadith rapporté par Al-Termizie.

Aïcha-A.s.e-la mère des croyants, a rapporté ces paroles du Messager d'Allah-b.s-, qui mentionnent:*"Une armée marchera pour la conquête de la Ka`ba. Lorsque les soldats seront parvenus dans un certain désert, les premiers et les derniers de cette armée seront enfouis sous terre."Ô Messager d'Allah, demanda Aïcha-A.s.e-"comment les soldats de cette armée seront-ils enfouis du premier au dernier, alors qu'il y aura parmi eux des commerçants et d'autres qui ne sont pas venus dans les mêmes intentions qu'eux?". Le Prophète-b.s-répliqua:" Ils seront ressuscités et jugés conformément à leurs intentions."*

Hadith rapporté par Al-Bokhary.

Le Prophète-b.s-a dit également:*"Quand deux musulmans se croisent leurs épées pour s'entre-tuer, l'assassin et l'assassiné, tous deux iront en Enfer":Ô Messager d'Allah, lui dit-on l'un est un assassin (il le mérite), mais pourquoi aussi celui qui est assassiné?." Parce qu'il cherchait à tuer son frère[2]," répondit le Prophète-b.s-.*

Hadith rapporté par Al-Bokhary .

L'intention est donc la source de toutes les actions et l'homme sera jugé selon son intention; ceci est signalé par le Prophète-b.s-qui dit:*"Tous les actes ne sont estimés que selon l'intention qui les inspire. Chacun n'a de son oeuvre que la valeur de son intention."* **Hadith rapporté par Al-Bokhary.**

La sincérité de l'intention procure la bénédiction à l'acte accompli ainsi que sa réussite et amène sa rétribution. On a parfois recours à d'autres mots pour désigner l'intention comme la volonté, l'objectif. Mais ces mots n'expriment qu'une seule idée: celle de l'intention; le musulman est convaincu que ce n'est pas une simple formule à

Il a dit également:**[Comptez-vous entrez au Paradis sans qu'Allah ne distingue parmi vous ceux qui luttent et ceux qui sont endurants?.]**

Surate 3 "Al-Imran" (La Famille D'Imran)V.142.

Allah-Gloire à Lui- décrit ceux dont la foi n'est pas sincère, Il dit: **[Il y a parmi les gens ceux qui adorent Allah en hésitant. S'il leur arrive un bien, ils s'en tranquillisent, et s'il leur arrive une épreuve, ils détournent leur visage, perdant ainsi le bien d'ici-bas et de l'au-delà.. Telle est la perte évidente!.]**

Surate 22 "Al-Hadj"(Le Pèlerinage)V.11.

Il a dit aussi: **[Parmi les gens il en est qui disent: "Nous croyons en Allah"; puis, si on leur fait du mal pour la cause d'Allah, ils considèrent l'épreuve de la part des hommes comme un châtiment d'Allah. Or, s'il vient un secours de Ton Seigneur, ils diront certes: "Nous étions avec vous!". Allah n'est-Il pas le meilleur à savoir ce qu'il y a dans les poitrines de tout le monde.?]**

Surate 29 "Al-Ankabut" (L'Araignée) V.10.

La sincérité de la foi se manifeste dans le coeur du fidèle, lorsqu'Allah et Son Prophète sont ce qu'il aime le plus au monde, le Prophète-b.s-l'a dit en ces termes:***"Trois choses, celui qui aura l'avantage de les avoir y trouvera la splendeur de la foi: Il aime Allah et Son Prophète plus que quiconque, il aime son semblable uniquement pour la cause d'Allah et il déteste retourner à l'incroyance autant qu'il déteste être jeté en Enfer".***

Hadith rapporté par Al-Bokhary.

Allah-Gloire à Lui-décrit ainsi la sincérité de la foi: **[Les vrais croyants sont seulement ceux qui croient en Allah et en Son messager, puis, par la suite, ne doutent point et qui luttent avec leurs biens et leurs personnes dans la voie d'Allah; ceux-là sont les véridiques.]**

Surate 49 "Al-Hujurat" (Les Appartements) V.15.

2- La sincérité de l'intention:

Elle consiste à avoir la ferme résolution d'accomplir une oeuvre pie de façon que l'élan émane du coeur et qu'il soit désinteressé de tout profit personnel. Il importe également que la résolution soit prise sans hésitation, sans penchant ni faiblesse.

La Sincérité

Traduction de :
Hoda Hussein Chaâraoui.[1]

La sincérité est l'opposé du mensonge. La sincérité c'est la force qui pousse l'homme à poursuivre son chemin, et qui l'empêche d'hésiter ou de rétrograder. La sincérité est de différentes sortes: il y a la sincérité de la foi, la sincérité de l'intention, la sincérité dans les paroles et la sincérité dans les actes. Dans les pages suivantes, nous allons expliquer chacune séparément.

1) La sincérité de la foi:

Elle consiste à savoir qu'Allah existe, qu'Il est Unique et qu'Il n'a point d'associé, qu'Il est Omnipotent: rien ne survient dans Son Royaume si ce n'est par Sa décision et Son arrêt est irrévocable.

La croyance du Musulman doit être ferme, et ne doit être entâchée d'aucun doute, tout au long de sa vie et en toutes circonstances. S'il reçoit une faveur, il loue le Créateur et si, au contraire, il est frappé par un malheur, il endure avec patience. Il sait que tout bien qui l'atteint provient d'Allah: et, tout mal qui l'atteint vient de lui-même.

Allah-Gloire à Lui- n'est point injuste envers Ses Créatures, mais Il les éprouve par ce qu'Il veut, Il a dit: **[Est-ce que les gens pensent qu'on les laissera dire: "Nous croyons" sans les éprouver?. Nous avons certes éprouvé ceux qui ont vécu avant eux; ainsi Allah connaît ceux qui disent la vérité et connaît ceux qui mentent.]**

Surate 29 "Al-Ankabut" (L'Araignée) V.2et3.

[1] Par le Révérend Cheikh:Yassine Rouchdy

REVUE
AL AZHAR

AL-MOHARRAM 1419 H. MAY 1998 vol. 71 Part1

Section Francaise

Comité de Rédaction :

Dr. Rokaya GABR, Professeur au Départe ment de Langye Francaise et de Traduction
M.Mohammad OMAR Traducteur en chef au Centre de Recherches Islamiques

and succeading generations following the prophet's footsteps, in the call whose tenets Allah Almighty has laid down in word :

﴿ ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾

«Invite people (O Mohammad) graciously to the path of God, the path of rectitude, with wise, graceful and appropriate inducements which meet them on their own ground and propitiate them, each in his own capacity, to open the ears of their hearts and the eyes of their minds. And reason with them in a logical, peaceable and gracious manner». (Suro 16 : 125)

The result of this activity was a vast Islamic state with boundaries from china in the East, unitl it reached Europe in the west. Islam now has followers in almost all parts of the globe, approximately 1000,000,000 million muslims.

conquest of Mecca in the eighth year of Hijrah. By this Allah has made Islam and its followers victorious, and the people began to enter Islam in great leaps and bounds.

The prophet, (PBUH) had seized the opportunity of truce which was concluded by the Treaty of Al hudiyjah, in the sixth year of Hijrah, to send lettres to kings and leaders calling them to Islam in order to spread it universally.

The most distinguished citation in those letters, was epitomizing a verse (from the Qur'an) showing faith in the one Allah and portraying the dignity of man, for whom it was not proper to adopt a God from among members of his race, and for people to come to terms, on one word. If they did not respond to the call, at least they should accept the new situation and the Islamic society, formed in the Arabian peninsula to deliver the trust of the call to all people This verse is the word of Allah The most Gracious :

﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ
فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾

«Say to them : O you people of the book (Torah and Gospel),: let us come to terms to agree among ourselves that we venerate and worship no one but God and shall not incorporate with Him other deities nor shall any of us take another for a godhead or a tutelary guardian besides God». And if they turn a deaf ear and insist upon hugging their irreverent conviction to their hearts, then say to them : Do then bear witness that we conform our will to God's blessed will, and this reflects conformity to Islam» . /(sura 3 : 64)

And after exhausting the resistance on the part of the jews and others, the prophet (PBUH), began to secure the boundaries of the Arbian peninsula against the two great Powers of the time, the persians and the Romans. He proposed an army under the command of Osamah Ibn Zaid. However at this time, the prophet (PBUH) passed away, at the age of sixty-three after an eventful life of glorious deeds and continuous struggle for the sake of delivering the message.

The responsibility of this message was tightly taken over by the prophet's four immediate successors i.e. The four rightly guided caliphs

﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ① خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ② اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ③ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ④ عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾

«Read in the name of God, your creator who created and brought everything, spiritual, animate and inanimate into being. He created manfrom a clinging orgonism. Read : and realize that (God your creator is most generous. He taught by the pen the main instrument of learning and knowedge, the instrument, of auhorship. He taught man what he did not know

(Sura 96 : 1 - 5)

Returning from meeting in great fear, His wife consoled him, and he was also consoled by Waraqah bin Nawfal, who had knowledge about christianity.

Among the first who believed him was his wife, khadijah, and his servant Zaid lbin Harithah, and his cousin, «Ali lbin abu Talib,» who was under his guardianship, and Abu Bakr al sidiq, (peace be upon them all).

When he called Quraish to Islam, they didnot believe him, and opposed him fiercy. There after some of the Muslims were forced to migrate to A-byssinia.

The ill-treatment by Quraish became severe after the death of his wife khadijah, and his uncle Abu Talib in the same year, and this was ten years into his prophethood. This was a hostile many in which they turned out and thus. Allah graced him with the Night journey (tc Jerusalem) and Ascension (to Heaven), in which Allah ordained the five obligatory prayers.

Prophet mohammad (PBUH) presented Islam to the tribes during the pilgrimage and market seasons. In this way the call reached «Yathrib», where many disiples were made when Quraish was determined to get rid of mohammad by killing him, Allah ordained the migration to Madinah (Yathrib) to which most of the muslims had migrated. The people of Madinah, who came to be called «Al-Ansar», welcomed them in a hospitable way, and they all cooperated together in founding of the new Islmic society. They stood as one, hand in hand, united against antagonist trends from the jews of Madinah, and the polytheists of Mecca, and others like them.

Armed confrontation (ghazawat) took place, most important of which were the Battles of Badr,Ohod, Al'Ahzab and khaibar and ending by the

Under Standing Islam

Part IX

by Dr. Attiyah saqr

Translated by : Sheik Mouhammd M. Geme'a

A Brief Biography of the prophet (PBUH)

Prophet Mohammad, (PBUH) was born in Mecca in the year of the Elephant, 571 after Christ, of the Noble. Arab family. Banu Hashim, whose lineage is traced to Isma'il, son fo Ibrahim, (peace be upon both). Mohammad's father (Abdullah) died, wnen he was still a fetus in the womb of his mother, Amina. His mother looked after him until she died when he was only six years of age. Then his grandfather, Abdul muttlib, took over his guardianship; and died only two years later. Then his uncle Abu Talib became his guardian.

Prophet Mohammad (PBUH), began his adulthood as a shepherd in-keeping with the tradition of prophets,as was rightly said in Hadith. He was also engaged in trade, where he used to accompany his uncle to syria. He was later engaged in a trade venture for lady khadijah, whom he shortly afterwards married at the age of twenty five. The prophet joined his people in important projects like, The Pact of the noble for relief of the oppressed, and also took part in rebuilding of the ka'abah.

After taking khadijah as a wife, he took to seclusion away from where he used to see those among his people who are worshipping idols and others. There fore, he would go for contemplation to the «Cave of Hira;» overlooking the ka'abah, for nights on end. During one of these seclusions, the Angel GABRIEL descended with the Message' or Revelation . This was when he was forty years of age. The Angel GABRIEL recited to him and he recited after him the words of Allah The most Gracious :

«Have They not travelled in the land so that they may have hearts to comprehend with. Or ears to hear with, surely it is not the eyes that become blind but the hearts that are in the chests that become blind». (22:46) the pilgrimmage.

﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى
الْأَبْصَارُ وَلَٰكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾

In the Qur'an, the word or Allah revealed by the holy spirit.

And the light, the light of Allah to muslims accepting Allah's power over humans, over us, over our universe and surrendering to him in total faith. It was also revealed to muslims for guidance and believing in all Allah's messengers and in all three books as ordained in the Qur'an . In the Qur'an the knowledge for humans is greatly expanded much beyond what was known or even limitation could have been imagined, (galilio is a Testimony to the limitations). Space knowledge is emphasised in reiterated reminders, new frontiers that could be in the future accessible directly to humans, by the help of Allah where humans could not go by themselves, were open wide for muslims to read and to ponder about. The muslims who surrendered to Allah and accepted all what He ordained, enjoy the mercy and blessings of Allah and the blessings and mercy of the Qur'an and what came before it. The torah and the gospel.

Three famous stories from the three books can best clarify the three phases of human gourney from darkness to light:

1 - The story of adam and the originl sin.
2 - The story of the Messiah, jesus son of mary.
3 - The night journey of prophet Mohammed visiting heaven.

True to its Title «to read» and to the first word of the first revelation «read». (96:1) the Qur'an urges humans to read, to really

﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴾

read the Qur'an, and in the Qur'an to see the light and the truth and to get out of the darkness of obscurity and ignorance; see the truth that need not be burdened with fetters and rituals. There is knowledge, the ultimate: the light and there are standards of morality and compassion that must be observed to benefit from that knowledge. To learn with our minds, our hearing, our sight and our hearts.

Islam AND The Great Qur'an

Part V

by Ambassador Maha Fahmy

The Three Phases of Human Journey From Darkness to Light

In the book of Adam, the father of human, is the story of how Allah created humans to be blessed, then the fall and with drawal of Allah's spiritual blessing and the expulsion of man from heavens to earth with the curse. During the first centuries of struggle, Allah took mercy on humans and blessed them with guidance so that humans .

Can be redeemed. The covenant of Allah then was giving the first humans the freedom of earth entrusting them to be just, to build civilizations, to imitate nature, planting.

Toiling and cooperating and helping each other. All of with Allah retaining all the controls on humans and on the earth. In the Qur'an Allah reiterates that the perfection of the universe could not tolerate opposing orders, only one Allah the harmonious oneness.

In the Gospel of the Messiah, the story of Jesus, Messiah son of virgin Mary, Allah wanted to forgive the people who believed in jesus, to guide them to the light of mercy and to elevate the son of man to be at the right hand of Allah. There was the passion and only few people then stood by the messiah. The people who believed in jesus, son of Mary, had the mercy of Allah and the blessings of both: The gospel and what was before it of the torah.

AL-AZHAR MAGAZINE

AL-MOHARRAM 1419 H

ENGLISH SECTION

VOL.71 Part1

ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ

الأعراف / ٤٣

" Praise be to Allah,
who hath guided us
to this (felicity): never
could we have found
guidance, had it not been
for the guidance of Allah:
Indeed it was the truth."

(AL A'raf 43)

EDITORS: Dr.TRANDIL H.EL RAKHAWY. PH.D.

Depf. of English Language and Translation
AL - Azhar University.

ADEL REFAI KHAFAGA.M.A.
Executive Secretary
Al Azhar Magazine.

الفهـرس

● الافتتاحية « قيم من الهجرة »
للشيخ عبد المعز عبد الحميد الجزار ١
● تفسير سورة البقرة
لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر ٥
قبس من انوار النبوة
للشيخ على حامد ٩
● قامت الهجرة
للشيخ عبد المنصف محمود ١٢
● الهجرة النبوية
للدكتور : مبروك عطية أبو زيد ١٥
● الهجرة الكبرى
لفضيلة الشيخ معوض عوض ١٩
● الهجرة إلى مكة
للشيخ عبد الحفيظ فرغلى القرنى ٢٥
● الهجرة عظة وعبرة
للدكتور : أحمد عبد الله الطيار ٣٠
● الأنصار
للأستاذ / عاطف شحاتة زهران ٣٥
● العطاءات الفقهية والتاريخية ليوم عاشوراء
للأستاذ محمد عبد الحكيم القاضى ٤٠
● حاجة الإنسانية إلى الإسلام
للأستاذ الدكتور رشدى عزيز ٤٨
● عاشوراء بين اليهودية والإسلام
لفضيلة الشيخ زكريا أحمد نور ٥٣
● المسجد ودوره في المجتمع
لفضيلة الشيخ السيد عبد المقصود عسكر ٦٠
● الحضارة وأزمة الوعى الأخلاقى
للأستاذ الدكتور محمد إبراهيم الفيومى ٦٤
● اية قرانية
للأستاذ / الربيع الغزالى ٦٦
● حدث في شهر المحرم
إعداد الأستاذ / أحمد السيد تقى الدين ٦٩
● استفتاءات القراء
للشيخ السيد العراقى شمس الدين ٧٥
● طرائف ومواقف
الأستاذ / عبد الحفيظ محمد عبد الحليم ٧٨
● من اعلام الأزهر
للأستاذ الدكتور محمد رجب البيومى ٨٠
● المروءة
للأستاذ / مجدى عبد الحميد بشير ٨٥
● دور الإعلام الوطنى في حفظ هوية المجتمع امام تيار العولمة
للدكتور محمد عبد الحكيم محمد ٨٩
● شهر الله المحرم
للأستاذ عبد الحفيظ محمد عبد الحليم ٩٤
● ابن الشاطر
للأستاذ الدكتور أحمد فؤاد باشا ٩٨
● مشاكل المراهقة عند الفتيات
للأستاذ الدكتور أحمد رجائى عبد الحميد ١٠٢
● كل دنيا تبنى على غير دين
فبناء على شفير هار
شعر فضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى ١٠٧
● من اسمح الشعراء
« حاتم الطائى » ١١١
● منـاجـاة
شعر : محمد فتحى نصار ١١٣
● من شعراء الأزهر
للأستاذ أحمد مصطفى حافظ ١١٤
● رحلة مع التراث
للأستاذ / حامد الجوجرى ١٢١
تعقيب على رحلة مع التراث
أ . د . صلاح عبد العزيز على السيد ١٢٧
● دوحة الكتب
إعداد محمود الفشنى ١٢٨
● بين المجلة والقارىء
إعداد / عادل رفاعى خفاجة ١٣٥
● اخبار العالم الإسلامى
للدكتور حسن على محمد ١٤٨

القسم الفرنسى

● المقالة الثانية
زينب عبد العزيز ١٥٤
● المقالة الأولى
هدى حسين ١٥٨

القسم الانجليزى

● المقالة الثانية
عطية صقر ١٦٣
● المقالة الأولى
مها فهمى ١٦٦

121 7

الأزهر
مجلة شهرية جامعة
تأسست عام ١٣٤٩هـ - ١٩٣١م
وصدر العدد الأول فى المحرم ١٣٤٩هـ
يصدرها
مجمع البحوث الإسلامية
فى مطلع كل شهر عربى
• • •
المشرف العام
رئيس التحرير
عبد المعز عبد الحميد الجزار
مدير التحرير
عبد الحفيظ محمد عبد الحليم الخطيب
سكرتير التحرير
عادل رفاعى خفاجة
المراسلات باسم
مدير التحرير / إدارة الأزهر / القاهرة.
ت : ٢٦٣٨٥٩٩ - ٥٩٠٥٤٧٣
الاشتراكات : قسم الاشتراكات بالأهرام
شارع الجلاء - القاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

الشقيقتان

مصر - البحرين

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على أسعد خلق الله أجمعين سيدنا محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين، وصحابته الكرام البررة وعلينا معهم برحمتك وكرمك ومنك يارب العالمين.

وبعد

فتلبية لدعوة كريمة موجهة من صاحب السمو الشيخ خليفة بن سلمان آل خليفة رئيس مجلس وزراء البحرين إلى فضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر لزيارة البحرين. قام فضيلته بالزيارة على رأس وفد على مستوى رفيع من القيادات الدينية فى مصر، وضم الوفد فضيلة الأستاذ الدكتور محمود حمدى زقزوق وزير الأوقاف، وفضيلة الأستاذ الدكتور نصر فريد واصل مفتى

الجمهورية ، وفضيلة الأستاذ الشيخ فوزى فاضل الزفزاف وكيل الأزهر ووفدا إعلاميا على مستوى عال لتغطية هذه الزيارة إعلامياً .

ولمكانة هذا الوفد أعدت البحرين لسفره ذهابا وإيابا طائرة خاصة لتقله إلى المنامة عاصمة البحرين ، وما أن هبطت الطائرة فى أرض المطار حتى رأينا استقبالا تاريخيا حيث كان فى مقدمة كبار المستقبلين سمو الأمير خليفة بن سلمان آل خليفة رئيس مجلس الوزراء ومعه كوكبة من الوزراء والوجهاء ورجال الأعمال والتجارة أكثر من ١٠٠ شخصية دينية يمثلون كافة الاتجاهات الإسلامية ، كما رأينا سماحة لم نشهدها من قبل ، ورأينا رجل دولة بالمعنى الكبير ، ورأينا محدثاً لبقا رائعا ومستمعا جيدا ، كما رأينا استقبالا حاشدا يعجز القلم عن وصفه .

وليس هذا بغريب على دولة البحرين هذه الدولة المسلمة ، ثانى بلد دخله الإسلام ، حيث قد أرسل سيدنا محمد-صلى الله عليه وسلم - كتابه إلى أمير البحرين ، وحمل الكتاب الصحابى الشهير العلاء بن الحضرمى ، وهكذا نقل دين التوحيد وكلمة لا إله إلا الله إلى البحرين ، وكانت النتيجة أن آمنوا جميعا وأصبحوا منذ هذا التاريخ سنداً للإسلام ورسلا للقرآن ، وهم مسلمون مؤمنون موحدون . ومن هذا المنطلق الطيب منطلق الإسلام الحنيف استقبل شيخ الأزهر والوفد المرافق .

كما استقبل حضرة صاحب السمو الشيخ عيسى بن سلمان آله خليفة أمير البلاد المفدى وصاحب السمو الشيخ خليفة بن سلمان آل خليفة رئيس الوزراء بقصر الشيخ حمد بالقضيبية فضيلة الإمام الأكبر والوفد المرافق بمناسبة زيارته للبلاد حيث نقل إلى سمو الأمير وسمو رئيس الوزراء أطيب تحيات الرئيس محمد حسنى مبارك رئيس جمهورية مصر العربية ، والدكتور كمال الجنزورى رئيس الوزراء وتمنياتهما للبحرين مزيدا من الرفعة والرقى والازدهار . وخلال المقابلة رحب سموهما بفضيلة الإمام الأكبر ومرافقيه مشيدين سموهما بعمق العلاقات التاريخية المتميزة التى تربط بين البلدين والشعبين الشقيقين وما تكنه البحرين لجمهورية مصر العربية قيادة وحكومة وشعبا من محبة وتقدير ، كما نوه سموهما بالدور الرائد الذى يضطلع به فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر فى خدمة قضايا أمتنا الإسلامية ، ونشر تعاليم ديننا الإسلامى الحنيف .

كما أعرب سموهما عن اعتزازهما بما يقوم به الرئيس محمد حسنى مبارك من دور بارز فى توحيد الصف العربى ، وإعادة التضامن ، ولم شمل الأمة العربية ، مؤكدين حرص البحرين على المزيد من التعاون مع الأزهر الشريف فى المجالات الإسلامية ، التى منها : الاستفادة من الدراسات الفقهية والشرعية ، التى يعدها الأزهر ، وابتعاث الطلبة البحرينيين لتلقى العلوم الشرعية فى الأزهر الشريف ، منوهين بدور الأزهر فى تخريج أعداد كبيرة من البحرينيين فى مجال القضاء والشريعة والفقه الإسلامى ، متمنين سموهما لضيف البلاد دوام التوفيق والسداد لخدمة الإسلام والمسلمين .

وقال الشيخ عيسى : مصر الشقيقة الكبرى . . والأزهر قلعة الإسلام ، وإن الأزهر الشريف له فى نفوسنا كل التقدير ، لأنه حمى العقيدة الإسلامية ويافضيلة الإمام إن هذه مناسبة طيبة نستقبلكم فيها ، وإن البحرين تسعى للأزهر مشتاقة تواقة إلى علماء الأزهر ،

وإن البحرين وهى تستعرض جلائل الأمور وفضائل الدرجات ، وأسمى الغايات لا تسابق إلا فى الشرف العظيم ، وليس هناك فى العزائم والفضائل أعظم من مجد تحمله رسالة الأزهر ورد شيخ الأزهر قائلاً : ياسمو الأمير : نحن ننزل فى بلدنا الثانى البحرين . . والبحرين هى دولة عربية مسلمة ، وقد رأينا فيها ما سرّ خواطرنا ؛ لأن البحرين هى الدرع الواقى للعقيدة الإسلامية السمحة فى عالم يموج بالأفكار المتطرفة ، والأزهر والبحرين توأمان لا ينفصلان ،

كما أن بلدكم هو بلد الأمن والاستقرار ، وندعو الله ـ تبارك وتعالى ـ أن يديم عليكم نعمة الرخاء والأمن والاستقرار ، وأن يجعلكم سندا للدين والفضيلة وجميع المبادىء التى جاء بها الإسلام الحنيف ، ونحن فى الأزهر الشريف يسرنا أن نقدم لدولة البحرين كل تعاون صادق وبناء ، فى مجالات العلم والعلماء . ونحن ياسمو الأمير نقدم إليكم كل الشكر على الحفاوة التى استقبلنا بها ، ونشكر أصدق الشكر سمو الأمير الشيخ خليفة بن سلمان رئيس مجلس الوزراء ، الذى استقبلنا فى المطار بنفسه رغم مسئوليته الثقيلة ، وأعبائه الكثيرة .

ثم وجه الشيخ عيسى حديثه إلى الوفد المرافق قائلاً : إن البحرين حينما تحتفى بالأزهر ورجاله ، إنما تحتفى بالدين الحق ؛ لأن الأزهر هو حامل مشاعل الهدى والنور ، على مدى

ألف عام من تاريخه ، دفع عن الأمة كل موجات الإلحاد والضلال والشرور والآثام . وأنتم فى بلدكم الثانى بالبحرين .. وإنكم تشرفوننا فى البحرين ونحيى دور الأزهر فى نشر العلم والمعرفة الإسلامية الصحيحة .

وقال الشيخ خليفة : إننا نستقبل شيخ الأزهر فى بلادنا بقلوب مفعمة بالحب والود وكل معانى الإسلام الشريفة ، لأن الأزهر بماضيه العريق ، ومستقبله الفريد هو حامى حمى الإسلام والمسلمين ، ونحن لا ننكر دور الأزهر أبدا فى تخريج العلماء الأفاضل ، الذين حملوا مشاعل النور والهداية فى دولة البحرين . وإن زيارة وفد الأزهر من أسعد أيام البحرين .

ورد فضيلة الإمام الأكبر قائلاً : إن البحرين هى صاحبة حضارة تليدة ، وصاحبة مجد دائم ، ونحن نذكر بالعرفان أن حضارة البحرين المتقدمة هى كسب للأمة العربية جمعاء ، كما أننا نذكر أن الإسلام عندما دخل البحرين كسب بالبحرين أرضاً جديدة ، وأصبحت البحرين هى النافذة أو الباب الذى انطلق منه الغزو الإسلامى أو الفتح الإسلامى إلى كافة أرجاء قارة آسيا .

ونحن نسأل الله أن يجزيكم عن الإسلام والمسلمين كل خير وبركة ، ونحمد لكم ذلك الاستقبال الودود الذى قوبلنا به من إخوة فى الدين والعروبة .
كما ندعو الله أن يديم عليكم نعمة الأمن والاستقرار ومزيدا من الرفاهية لشعب البحرين الشقيق ، ولابد أن نعيد للإسلام وجهه الحقيقى ، وأن نتعاون على البر والتقوى لخير أمتنا .

وعبر فضيلته عن عميق الشكر والتقدير لحضرة صاحب السمو أمير البلاد وصاحب السمو رئيس الوزراء على ما لقيه والوفد المرافق من لدن سموهما من كرم الضيافة والوفادة وحسن الاستقبال منذ وصوله أرض البحرين مشيدا بالتعاون القائم بين الأزهر الشريف ودولة البحرين فى كل ما يتعلق بأمور ديننا الحنيف ، وما تضطلع به البحرين من دور رائد فى خدمة قضايا أمتنا الإسلامية ، مؤكداً لسموهما تطلع الأزهر الشريف لمزيد من التعاون مع دولة البحرين فى كل ما يخدم الإسلام ، مشيدا بنتائج الزيارة التى قام بها صاحب السمو رئيس الوزراء لجمهورية مصر العربية مؤخراً ، وما أسفرت عنه من نتائج طيبة فى دعم وتعزيز علاقات الأخوة بين البلدين الشقيقين . داعيا الله ـ سبحانه وتعالى ـ أن يمتع سمو أمير

البلاد بموفور الصحة والسعادة لمواصلة مسيرة الخير والتقدم ، وأن يديم على البحرين نعمة الأمن والاستقرار والرخاء . وأن يسود السلام والأمن ربوع العالم الإسلامى ، وأن يوحد الله كلمة المسلمين لكل ما فيه خدمة قضاياهم وإعلاء شأنهم .

وأكد فضيلة الإمام الأكبر أن زيارته والوفد المرافق له للبحرين والتى جاءت بناء على دعوة كريمة من صاحب السمو الشيخ خليفة بن سلمان آل خليفة رئيس الوزراء قد حققت أهدافها المرجوة ، وهى أهداف نبيلة جددت معانى الإخاء والتعاون الصادق بين الأزهر الشريف وبين دولة البحرين الشقيقة .

وقال فضيلته : إننا عقدنا عدة اتفاقيات للتعاون بين وزارة العدل والشئون الإسلامية وبين الأزهر ، كما أن وزارة الأوقاف المصرية متمثلة فى فضيلة وزيرها الأستاذ الدكتور محمود حمدى زقزوق قد عقدت اتفاقيات دينية وثقافية بينها وبين وزارة العدل والشئون الإسلامية لتدريب الدعاة ولتبادل الكتب والبعثات . وبروتوكول التعاون بين دار الإفتاء المصرية ووزارة العدل والشئون الإسلامية بالبحرين ، وأن المسلمين مدعوون للاجتهاد بعلم دون التعصب لرأى معين دون بينة ، وذلك فى الأمور الفرعية التى تحتمل أنواعا من الفهم إلا أنه ليس هناك اجتهاد فيما ثبت من الدين بالضرورة ، كما أنه ليس من الضرورى للمسلمين أن يجمعوا الرأى على قضايا فرعية ماداموا قد أجمعوا على الأصول .

وأخيراً أسأل الله العلى القدير أن يديم علينا نعمة الأمن والإيمان والاستقرار ، وأن يلهم القادة والمسئولين كل خير ، وأن يوفقهم إلى ما يحبه ويرضاه .

وبالله التوفيق والهداية ؟

عبد المعز عبد الحميد الجزار

تفسير سورة البقرة

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا۟ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ نُؤْمِنُ
بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ ۗ
قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (٩١) * وَلَقَدْ جَآءَكُم
مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ (٩٢) وَإِذْ أَخَذْنَا
مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱسْمَعُوا۟ ۖ
قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ ۚ قُلْ بِئْسَمَا
يَأْمُرُكُم بِهِۦٓ إِيمَٰنُكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (٩٣) ﴾

لفضيلة الإمام الأكبر - شيخ الأزهر

الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوى

معنى الآيات الكريمة : أن اليهود المعاصرين للعهد النبوى كانوا إذا عرض عليهم الإيمان بما أنزل الله من القرآن على محمد - ﷺ - أجابوا بقولهم : نؤمن بما أنزل علينا وهو التوراة التى أنزلها الله - تعالى - على موسى ، ويجحدون غيرها وهو القرآن الكريم المصدق لها فى الأمر باتباع محمد - ﷺ - ثم أمر الله - تعالى - رسوله - ﷺ - أن يكذبهم فى دعواهم الإيمان بما أنزل عليهم فقال :

﴿ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ بالتوراة فإنها تنهاكم عن قتلهم ثم كذبهم القرآن الكريم مرة أخرى فقال : ﴿ وَلَقَدْ جَآءَكُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ ﴾ أى : بالآيات الواضحات الدالة على صدقه ، ولكنكم ﴿ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ ﴾ أى : من بعد ذهابه لميقات ربه ﴿ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ ﴾ لعبادتكم غير الله تعالى .

ثم كذبهم القرآن الكريم - فى دعواهم الإيمان بما أنزل عليهم - بصورة أخرى سوى ما سبقها فقال تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ ﴾ وقلنا لكم : ﴿ خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم ﴾ - من التوراة - ﴿ بِقُوَّةٍ ﴾ أى بجد وحزم ﴿ وَٱسْمَعُوا۟ ﴾ ما أمرتم به فيها سماع تدبر وطاعة . ولكن أسلافكم الذين أنتم على شاكلتهم قالوا لنبيهم : « سمعنا » قولك « وعصينا » أمرك . وخالط حب العجل قلوبهم كما يخالط الماء أعماق البدن ، وكل هذه الأفاعيل منكم لاتتناسب دعواكم الإيمان بما أنزل إليكم ، وإذا فبئسما يأمركم به إيمانكم إن كنتم مؤمنين بالتوراة كما تزعمون ، فالواقع أن التوراة بريئة من أعمالكم ، وأنتم بعيدون عن الإيمان بها .

وقوله تعالى : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا ﴾ تصوير لنوع آخر من قبائح اليهود ، وإخبار عن إعراضهم عن الحق بدعوى أنهم مكلفون بعدم الإيمان إلا بما أنزله الله على موسى وهو التوراة .

والمقصود ﴿ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ ﴾ القرآن الكريم . ولم يذكر المنزل عليه وهو محمد ـ ﷺ ـ للعلم به أو للتنبيه على أن وجوب الإيمان بالكتاب ، يكفى فيه العلم بأنه منزل من عند الله ـ تعالى ـ ومتى استقر فى النفس أن القرآن الكريم من عند الله ، استتبع ذلك استحضار أنه أنزل على محمد ـ ﷺ .

وقولهم : ﴿ نُؤْمِنُ بِمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا ﴾ معناه : نؤمن بالتوراة التى أنزلها الله على نبينا موسى دون غيرها مما أنزله الله عليك ـ يامحمد ـ ، وجوابهم هذا يدل على غبائهم وعنادهم . لأن الداعى لهم إلى الإيمان ، يطلب منهم أن يؤمنوا بكل ما أنزل الله من الكتب السماوية ، ولكنهم قيدوا أنفسهم بالإيمان ببعض ما أنزل الله وهو ما أنزل عليهم ، فلم يكن إيمانهم مطابقا لما أمر الله به وهو التصديق بجميع الكتب السماوية ، ولاشك أن من آمن ببعض الكتب السماوية وكفر ببعضها يكون كافراً بجميعها .

وقوله تعالى : ﴿ وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُ ﴾ قصد به بيان التصريح بكفرهم بالقرآن الكريم بعد أن لمحوا بذلك فى قولهم : ﴿ نُؤْمِنُ بِمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا ﴾ والضمير فى ﴿ وَرَآءَهُ ﴾ يعود على ﴿ بِمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا ﴾ المكنى به عن التوراة ، أى : قالوا نؤمن بما أنزل علينا والحال أنهم يكفرون بما سوى التوراة أو بما بعدها وهو القرآن الكريم .

قال ابن جرير ـ رحمه الله ـ : « وتأويل وراء فى هذا الموضع : سوى ، كما يقال للرجل المتكلم بالحسن ، ما وراء هذا الكلام الحسن شىء . يراد به : ليس من عند المتكلم به شىء سوى ذلك الكلام . فكذلك معنى قوله تعالى : ﴿ وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُ ﴾ أى بما سوى التوراة ، وبما بعده من كتب الله التى أنزلها على رسله »[1] .

والضمير « هو » فى قوله تعالى : ﴿ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ ﴾ يعود إلى القرآن الكريم المكنى عنه بقوله « بِمَا وَرَآءَهُ » . والحق : الحكم المطابق للواقع . ووصف به القرآن الكريم لاشتماله على الأحكام المطابقة للواقع .

ومعنى كون القرآن مصدقا لما مع اليهود وهو التوراة ، أنه يدل على نبوة النبى ـ ﷺ ـ وبهذا كان مؤيداً للتوراة التى بشرت بالنبى ـ ﷺ ـ وذكرت له نعوتاً لاتنطبق إلا عليه ، وبذلك يكون اليهود الذين يدعون الإيمان بما أنزل عليهم كاذبين فى دعواهم ، لأنهم لم يؤمنوا بمحمد ـ ﷺ ـ الذى بشرت به توراتهم وأمرتهم بالإيمان به وأيدها القرآن الكريم فى ذلك .

قال صاحب الكشاف : وفى قوله تعالى : ﴿ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ ﴾ رد لمقالتهم ﴿ نُؤْمِنُ بِمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا ﴾ ؛ لأنهم إذ كفروا بما يوافق التوراة فقد كفروا بها »[2] .

(1) تفسير ابن جرير جـ ١ ص ٤١٨ .
(2) تفسير الكشاف بتصرف جـ ١ ص ٢٢٤ .

ثم أمر الله - تعالى - رسوله - ﷺ - أن يوبخهم ويبطل دعواهم الإيمان بما أنزل عليهم بدليل إلزامى فقال تعالى : ﴿ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنبِيَاءَ اللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ .

والمعنى : قل يا محمد لهؤلاء اليهود الذين إذا دعوتهم إلى الإيمان بك قالوا : ﴿ نُؤْمِنُ بِمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا ﴾ قل لهم : إن كنتم حقا مؤمنين بما أنزل عليكم وهو التوراة ، فلأى شىء تقتلون أنبياء الله مع أن التوراة تحرم عليكم قتلهم ، بل هى تأمركم باتباعهم وتصديقهم وطاعتهم لأنه أرسلهم لهدايتكم وسعادتكم .

إن قتلكم لهم أكبر دليل على أنكم لم تؤمنوا لا بما أنزل عليكم ولا بغيره ، وأنكم كاذبون فى مدعاكم لأن جميع ما أنزل الله من وحى يحرم قتل الأنبياء ، ويأمر الناس باتباعهم وطاعتهم .

ويرجع معنى الآية إلى نفى فعل الشرط وهو كونهم مؤمنين ، إذ لا وجه لقتلهم الأنبياء إلا عدم إيمانهم بالتوراة ، وهذا كما تريد أن تنفى عن رجل العقل لفعله ما ليس من شأنه أن يصدر من عاقل ، فتقول له : إن كنت عاقلا فلم فعلت كذا ، أى : أنت لست بعاقل .

والفاء فى قوله تعالى : ﴿ فَلِمَ تَقْتُلُونَ ﴾ واقعة فى جواب محذوف دل عليه ما بعده ، والتقدير إن كنتم مؤمنين بما أنزل عليكم فلم تقتلون أنبياء الله - تعالى -

والإتيان بالمضارع فى قوله - تعالى : ﴿ تَقْتُلُونَ ﴾ مع أن القتل للأنبياء وقع من أسلافهم بقرينة قوله تعالى : ﴿ من قبل ﴾ لقصد استحضار تلك الجناية الشنيعة ، وللتنبيه على أن ارتكابهم لتلك الجريمة البشعة يتجدد ويقع منهم المرة تلو الأخرى ، وللإشعار بأن الخلف يمشون على عماية السلف ، فى التعدى والعصيان ، فلقد حاول اليهود المعاصرون للعهد النبوى قتل الرسول - ﷺ - ولكن الله - تعالى - عصمه منهم ، ونجاه من مكرهم .

وأضاف سبحانه - الأنبياء إليه فقال : ﴿ أَنبِيَاءَ اللَّهِ ﴾ للتنبيه على شرفهم العظيم ، وللدلالة على فظاعة عصيان اليهود واجتراحهم المنكر ، إذ قابلوا بالقتل من يجب عليهم أن يقابلوهم بالتصديق والتوقير والطاعة .

ثم ذكر القرآن الكريم لهم جنايات أخرى تدل على أنهم لم يؤمنوا بما أنزل عليهم كما يدعون . ومن تلك الجنايات عبادتهم العجل ، فقال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ جَاءَكُم مُّوسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِن بَعْدِهِ وَأَنتُمْ ظَالِمُونَ ﴾ .

البينات : جمع بينة وهى الآيات والمعجزات الدالة على صدقه وحقيقة نبوته ، كانقلاب العصا ثعباناً ، وفلق البحر ، وانفجار العيون من الحجر . . . إلخ .

وإنما سماها الله بينات ، لأنها لما كانت لايقدر على أن يأتى بها بشر إلا بتسخير الله ذلك له دلت على صدق موسى - عليه السلام - فى نبوته ورسالته .

والمعنى : ولقد جاءكم - يا بنى إسرائيل - نبينا موسى بالآيات الواضحات الدالة على صدقه ، وحقيقة نبوته ، وكان من الواجب عليكم أن تتبعوه وتطيعوه ولكنكم لم تفعلوا فقد اتخذتم العجل إلها من بعد مفارقة نبيكم موسى لكم لمناجاة ربه ، ومن بعد مشاهدتكم لتلك المعجزات ، التى استبان بها صدقه فيما يبلغكم عن ربه فأنتم ظالمون بذلك ، لأنكم تركتم عبادة من يستحق العبادة وهو الله - تعالى - وعبدتم العجل الذى لايملك ضراً ولا نفعاً .

فالآية الكريمة فيها إبطال لدعواهم الإيمان بما أنزل عليهم ، لأنهم لو كانوا مؤمنين حقاً بنبيهم الذى جاءهم بالبينات ، لما تركوا ما أمرهم به وهو عبادة الله ، وفعلوا ما نهاهم عنه وهو عبادة العجل .

ثم ذكر القرآن الكريم جناية أخرى تكذبهم فى دعواهم : إنهم يؤمنون بما أنزل عليهم - وهى إباؤهم التوراة عناداً واستكباراً فقال تعالى :

﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ وَاسْمَعُوا ۖ قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ ۚ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِ إِيمَانُكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾

ومعنى الآية الكريمة : واذكروا - يا بنى إسرائيل - وقت أن أخذنا الميثاق عليكم بأن تعملوا بما فى التوراة ، وتتلقوا أحكامها بالتقبل والطاعة ورفعنا فوقكم الطور لنريكم آية من آياتنا العظمى التى تقوى قلوبكم ، وتجعلكم تقبلون على تعاليم التوراة برغبة واستجابة ، وقلنا لكم خذوا ما آتيناكم بجد وحزم ، واسمعوا ما أمرناكم به سماع تدبر وطاعة ، ولكنكم - يابنى إسرائيل - يا من تدعون الإيمان بما أنزل عليكم - أعرضتم عما أمرتم به من قبول التوراة وقلتم لنبيكم سمعنا قولك وعصينا أمرك ، وخالط حب عبادة العجل قلوبكم كما يخالط الماء أعماق البدن ولم تأبهوا بما جاءكم فى التوراة من الهدى والنور وبما صحب عرضها عليكم من الآية البينة وهى رفع الجبل فوقكم حتى ظننتم أنه واقع بكم فكفرتم بذلك كله ولازالت نفوسكم تحن إلى عبادة العجل ، ولقد سرتم على منهج أسلافكم فى العناد والجحود والإعراض عما ينزله الله من الحق ، وإذا كان هذا شأنكم فكيف تدعون الإيمان بما أنزل عليكم ؟

ثم أمر الله نبيه - ﷺ - أن يوبخهم على تخرصاتهم فقال تعالى : ﴿ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِ إِيمَانُكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ .

وقوله تعالى : ﴿ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ ﴾ معناه : إننا حركناه ونقلناه معلقا فوقكم فى الهواء ، لتروا بأعينكم آية كونية من شأنها أنها تحملكم على الإيمان والطاعة إن كانت لكم عقول تعقل .

ومعنى قوله تعالى : ﴿ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ وَاسْمَعُوا ﴾ : قلنا لكم خذوا ما أمرناكم به فى التوراة بجد واجتهاد فى تأديته ، واسمعوا ما تؤمرون به سماع طاعة وتفهم . فقوله تعالى ﴿ وَاسْمَعُوا ﴾ ليس المراد به مجرد السماع للقول فقط ، بل المقصود منه السماع الذى يصحبه التدبر والاستجابة للأمر : فهو مؤكد ومقرر لقوله تعالى : ﴿ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ ﴾ .

ثم حكى - سبحانه - جوابهم الذى يدل على عنادهم فقال : ﴿ قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا ﴾ .

قال صاحب الكشاف : فإن قلت : كيف طابق قوله جوابهم ؟ قلت طابقه من حيث إنه قال لهم اسمعوا : وليكن سماعكم سماع تقبل وطاعة ، فقالوا سمعنا ولكن لاسماع طاعة[1] .

وقد اختلف المفسرون هل صدر منهم هذا اللفظ حقيقة باللسان نطقاً ، أو أنهم فعلوا فعلا مقام القول فيكون مجازاً ؟

---

(١) تفسير الكشاف جـ ١ ص ٢٢٥ .

قال الفخر الرازى : الأكثرون من المفسرين على أنهم قالوا هذا القول حقيقة . وقال أبو مسلم : وجائز أن يكون المعنى سمعوه فتلقوه بالعصيان فعبر عن ذلك بالقول ولم يقولوه ، كقوله تعالى ﴿ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴾قال : والأول أولى لأن صرف الكلام عن ظاهره بغير دليل لا يجوز [1] .

وقوله تعالى : ﴿ وَأُشْرِبُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ ﴾ عطف على قولهم سمعنا وعصينا والإشراب ؛ السقى وجعل الشىء شارباً ، واستعمل على وجه التجوز فى خلط لون بآخر كأن أحد اللونين سقى الآخر ، يقال : بياض مشرب بحمرة أى مختلط ، وفلان أشرب قلبه حب كذا بمعنى خالط حبه قلبه .

قال الإمام الرازى : قوله تعالى : ﴿ وَأُشْرِبُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ ﴾ فى وجه هذه الاستعارة وجهان : الأول : معناه تداخلهم حبه والحرص على عبادته كما يتداخل الصبغ الثوب ، وقوله فى قلوبهم بيان لمكان الإشراب كقوله : ﴿ إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا ﴾ ، الثانى : كما أن الشرب مادة لحياة ما تخرجه الأرض ، فكذا تلك المحبة كانت مادة لجميع ما صدر عنهم من الأفعال [2] .

وفى الجملة الكريمة﴿ وَأُشْرِبُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ ﴾ مضاف محذوف وهو لفظ (حب) لدلالة المعنى عليه .

والمعنى : إن هؤلاء اليهود الذين مردوا على العصيان قد خالط حب العجل نفوسهم حتى استقر فى قلوبهم ، كما يخالط الماء أعماق الجسد . وحذف لفظ الحب من الجملة الكريمة ، يشعر بشدة تعلق قلوبهم بالعجل حتى لكأنهم أشربوا ذاته .

والتعبير بقوله : ﴿ وَأُشْرِبُوا۟ ﴾ يشير إلى أنه بلغ حبهم العجل مبلغ الأمر الذى لا اختيار لهم فيه كأن غيرهم أشربوا إياه .

وقوله تعالى : ﴿ بِكُفْرِهِمْ ﴾ دليل على أن محبتهم للعجل ناشئة عن كفر سابق ، وجحود متأصل فكفرهم الذى ترتب على عبادتهم للعجل ، قد سبقه كفر آخر ، فهو كفر على كفر .

ـ ثم أمر الله ـ تعالى ـ نبيه فى ختام الآية الكريمة بتوبيخهم فقال تعالى :

﴿ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِۦٓ إِيمَٰنُكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ أى : قل ـ يا محمد ـ لهؤلاء اليهود الذين يدعون الإيمان بما أنزل عليهم ـ قل لهم ـ بئس الشىء الذى يأمركم به إيمانكم قتل الأنبياء وعبادة العجل والعصيان إن كنتم مصدقين ـ كما زعمتم ـ بالتوراة ، والحق أن التوراة ما أمرتكم بشىء من ذلك فما أنتم بمؤمنين بها ولا بغيرها من كتب الله ، لأنها لا تأمر بالفحشاء .

فالجملة الكريمة خلاصة لإبطال قولهم ﴿ نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ﴾ بعد أن أبطله الله ـ تعالى ـ فيما سبق بشواهد متعددة ، لأنهم لما زعموا ذلك ، وكانوا مع هذا يفعلون أفعالا قبيحة تناقض الإيمان بأى كتاب سماوى ، أمر الله ـ تعالى ـ رسوله ـ ﷺ ـ أن يذمهم على هذه الأفعال التى تناقض الإيمان بما أنزل عليهم لكى يعلم الناس جميعاً أن دعواهم لا أساس لها من الصحة .

---

(١) الفخر الرازى جـ١ ص٤٣٢ .

(٢) تفسير الرازى جـ١ ص٤٣٢ .

وأضاف ـ سبحانه ـ الإيمان إليهم فقال ﴿ إِيمَٰنُكُمْ ﴾ ولم يقل الإيمان ، لأنه ليس إيماناً صحيحاً وإنما هو إيمان مزعوم ، فإضافة الإيمان إليهم من باب التهكم بهم والاستهزاء بعقولهم .

وقوله تعالى : ﴿ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ تشكيك فى إيمانهم بالتوراة ، وقدح فى صحة دعواهم فإن الإيمان الحق إنما يأمر بعبادة الله وحده ، وينهى عن عبادة سواه وعن ارتكاب السوء والفحشاء .

فالجملة الكريمة فى معنى النفى لادعائهم الإيمان بالتوراة لأنها ما أمرت بشىء يبغضه الله تعالى .

قال الإمام ابن جرير : وقوله : ﴿ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ أى إن كنتم مصدقين كما زعمتم بما أنزل الله عليكم . وإنما كذبهم الله بذلك لأن التوراة تنهى عن ذلك كله وتأمر بخلافه ، فأخبرهم أن تصديقهم بالتوراة إن كان يأمرهم بذلك ، فبئس الأمر تأمر به . وإنما ذلك نفى من الله ـ تعالى ـ عن التوراة أن تكون تأمر بشىء مما يكرهه الله من أفعالهم وأن يكون التصديق بها يدل على شىء من مخالفة أمر الله ، وإعلام منه ـ جل ثناؤه ـ أن الذى يأمرهم بذلك أهواؤهم ، والذى يحملهم عليه البغى والعدوان »[1] .

وبذلك تكون الآيات الكريمة قد أقامت الأدلة المتعددة ، والبراهين القاطعة على كذب اليهود فى دعواهم الإيمان بما أنزل عليهم ، ووبختهم على مزاعمهم الباطلة ، وأقوالهم الفاسدة .

هذا ، ولفضيلة أستاذنا الدكتور محمد عبد الله دراز كلام رصين عند حديثه عن هذه الآيات ، فقد قال ـ رحمه الله ـ :

يقول الله تعالى فى ذكر حجاج اليهود :

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾

هذا قطعة من فصل من قصة بنى إسرائيل ، والعناصر الأصلية التى تبرزها لنا هذه الكلمات القليلة تتلخص فيما يلى :

١ ـ مقالة ينصح بها الناصح لليهود : إذ يدعوهم إلى الإيمان بالقرآن .

٢ ـ إجابتهم لهذا الناصح بمقالة تنطوى على مقصدين .

٣ ـ الرد على هذا الجواب بركنيه من عدة وجوه .

وأقسم لو أن محامياً بليغاً وكلت إليه الخصومة بلسان القرآن فى هذه القضية ، ثم هدى إلى استنباط هذه المعانى التى تختلج فى نفس الداعى والمدعو لما وسعه فى أدائها أضعاف أضعاف هذه الكلمات ، ولعله بعد ذلك لايفى بما حولها من إشارات واحتراسات وآداب وأخلاق .

قال الناصح لليهود : آمنوا بالقرآن كما آمنتم بالتوراة ، ألستم قد آمنتم بالتوراة التى جاء بها موسى لأنها أنزلها الله ؟ فالقرآن الذى جاء به محمد ـ ﷺ ـ أنزله الله ، فآمنوا به كما آمنتم بها .

---

(١) تفسير ابن جرير جـ ١ ص ٤٢٤ .

فانظر كيف جمع القرآن هذا المعنى الكثير فى هذا اللفظ الوجيز ﴿ ءَامِنُوا۟ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ﴾ . وسر ذلك أنه عدل بالكلام عن صريح اسم القرآن إلى كنايته . فجعل دعاءهم إلى الإيمان به دعاء إلى الشىء بحجته ، وبذلك أخرج الدليل والدعوى فى لفظ واحد .

ثم انظر كيف طوى ذكر المنزل عليه فلم يقل : آمنوا بما أنزل الله (على محمد) ، مع أن هذا جزء متمم لوصف القرآن المقصود بالدعوة .

أتدرى لم ذلك ؟ لأنه لو ذكر لكان فى نظر الحكمة البيانية زائداً ، وفى نظر الحكمة الإرشادية مفسداً .

أما الأول فلأن هذه الخصوصية لا مدخل لها فى الإلزام ، فأدير الأمر على القدر المشترك وعلى الحد الأوسط الذى هو عمود الدليل .

وأما الثانى فلأن إلقاء هذا الاسم على مسامع الأعداء من شأنه أن يخرج أضغانهم ويثير أحقادهم فيؤدى إلى عكس ما قصده الداعى من التأليف والإصلاح .

كان جواب اليهود أن قالوا : إن الذى دعانا للإيمان بالتوراة ليس هو كونها أنزلها الله فحسب ، بل إننا آمنا بها لأن الله أنزلها علينا . والقرآن لم ينزله علينا ، فلكم قرآنكم ولنا توراتنا ، ولكل أمة شرعة ومنهاج .

هذا هو المعنى الذى أوجزه القرآن فى قوله : ﴿ نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ﴾ وهذا هو المقصد الأول ، وقد زاد إيجاز هذه العبارة أن حذف منها فاعل الإنزال وهو لفظ الجلالة ، لأنه تقدم ذكره فى نظيرتها .

ومن البين أن اقتصارهم على الإيمان بما أنزل عليهم يومىء إلى كفرانهم بما أنزل على غيرهم ، وهذا هو المقصد الثانى ، ولكنهم تحاشوا التصريح به لما فيه من شناعة التسجيل على أنفسهم بالكفر ، فأراد القرآن أن يبرزه ، انظر كيف أبرزه ؟ إنه لم يجعل لازم مذهبهم مذهباً له ، ولم يدخل مضمون قولهم فى جملة مانقله من كلامهم ، بل أخرجه فى معرض الشرح والتعليق على مقالتهم فقال :

﴿ وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ ﴾ أليس ذلك هو غاية الأمانة فى النقل ؟ . . ثم جاء دور الرد والمناقشة فيما أعلنوه وما أسروه .

فتراه لايبدأ بمحاورتهم فى دعوى إيمانهم بكتابهم ، بل يتركها مؤقتاً كأنها مسلمة ليس عليهم وجوب الإيمان بغيره من الكتب فيقول : كيف يكون الإيمان بكتابهم باعثاً على الكفر بما هو حق مثله ؟ لا بل هو الحق كله ، وهل يعارض الحق الحق حتى يكون الإيمان بأحدهما موجبا للكفر بالآخر ؟

ثم يترقى فيقول : وليس الأمر بين هذا الكتاب الجديد وبين الكتب السالفة عليه كالأمر بين كل حق وحق ، فقد يكون الشىء حقا وغيره حقاً فلا يتكاذبان ، ولكنهما فى شأنين مختلفين ، فلا يشهد بعضها لبعض ، أما هذا الكتاب فإنه جاء شاهداً ومصدقاً لما بين يديه من الكتب ، فكيف يكذب به من يؤمن بها .

فانظر إلى الإحكام فى صنعة البيان : إنما هى كلمة رفعت وأخرى وضعت فى مكانها عند الحاجة إليها ، فكانت هذه الكلمة حسما لكل عذر ، وسدّاً لكل باب من أبواب الهرب ، بل كانت هذه الكلمة وحدها بمثابة حركة تطويق للخصم تمت خطوة واحدة ، وفى غير ما جلبة ولا طنطنة .

ولما قضى وطر النفس من هذا الجانب المطوى الذى ساقه مساق الاعتراض والاستطراد ، استوى إلى الرد على المقصد الأصلى الذى تبجحوا بإعلانه والافتخار به ، وهو دعواهم الإيمان بما أنزل عليهم ، فأوسعهم إكذاباً وتفنيداً . وبين أن داء الجحود فيهم داء قديم ، قد أشربوه فى قلوبهم ومضت عليه القرون حتى أصبح مرضا مزمناً ، وأن الذى أتوه اليوم من الكفر بما أنزل على محمد ما هو إلا حلقة متصلة بسلسلة كفرهم بما أنزل عليهم ، وساق على ذلك الشواهد التاريخية المفظعة التى لاسبيل لإنكارها فى جهلهم بالله ، وانتهاكهم لحرمة أنبيائه ، وتمردهم على أوامره ﴿ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنبِيَاءَ اللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ .

تأمل كيف أن هذا الانتقال كانت النفس قد استعدت له فى آخر المرحلة السابقة ، إذ يفهم السامع من تكذيبهم لما يصدق كتابهم أنهم صاروا مكذبين لكتابهم نفسه ، وهل الذى يكذب من يصدقك يبقى مصدقاً لك ؟؟

ثم انظر بعد أن سجل القرآن على بنى إسرائيل أفحش الفحش وهو وضعهم البقر الذى هو مثل فى البلادة موضع المعبود الأقدس ، وبعد أن وصف قسوة قلوبهم فى تأبيهم على أوامر الله مع حملهم عليها بالآيات الرهيبة . بعد كل ذلك تراه لايزيد على أن يقول فى أول الأمر : إن هذا « ظلم » ، وفى الثانية(بئسما) صنعتم ، أذلك كل ما تقابل به هذه الشناعات ؟ نعم إنهما كلمتان وافيتان بمقدار الجريمة لو فهمتا على وجههما ، ولكن أين حدة الألم وحرارة الاندفاع فى الانتقام ؟ بل أين الإقذاع والتشنيع ؟ وأين الإسراف والفجور الذى تراه فى كلام الناس ، إذا أحفظوا بالنيل من مقامهم ؟

تالله ما أعف هذه الخصومة وما أعز هذا الجناب ، وأغناه عن شكر الشاكرين وكفر الكافرين ، وتالله إن هذا الكلام لايصدر عن نفس بشر »[1] .

(يتبع)

«تـصحيـح»

نوجه نظر السادة القراء بان المقال الذى نشر فى عدد شهر ذى الحجة سنة ١٤١٨ هـ بعنوان : « الحجاب وحدود الزينة للمراة المسلمة » باسم الدكتور احمد عبد الله الطيار هو للأستاذ الدكتور مبارك حسن حسين .

لذا لزم التنويه ..

---

(١) عن كتاب (النبا العظيم) من ص ١١٤ : ص ١٢٢ لفضيلة الأستاذ الشيخ محمد عبد الله دراز .

كلمة الأستاذ الدكتور

أحمد عمر هاشم

رئيس جامعة الأزهر

بمناسبة منح درجة الدكتوراه الفخرية

لرئيس وزراء ماليزيا

تقديرا للجهود العلمية والعملية ، وللدور الريادى فى خدمة الدعوة والحفاظ على الهوية الإسلامية بالعلم والتطبيق خارج ماليزيا وداخلها قرر مجلس جامعة الأزهر .. « منح درجة الدكتوراه الفخرية لخدمة الإسلام» للسيد محضير بن محمد - رئيس وزراء ماليزيا .

حضرها السيد الأستاذ الدكتور كمال الجنزورى - رئيس الوزراء. وفضيلة الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوى - شيخ الأزهر - والأستاذ الدكتور محمود حمدى زقزوق - وزير الأوقاف ورئيس بعثة الشرف وكوكبة من السادة السفراء والعلماء ورجال الفكر والأدب .

ويسعد « مجلة الأزهر » أن تقدم لقرائها كلمة الأستاذ الدكتور أحمد عمر هاشم رئيس جامعة الأزهر بهذه المناسبة والتى قال فيها :

أيها السادة :

تحتفل جامعة الأزهر اليوم(١) بمناسبة منح واحد من كبار الشخصيات الإسلامية درجة الدكتوراه الفخرية . إنه معالى الدكتور / محضير محمد - رئيس وزراء ماليزيا وهو شخصية جمعت بين العلم والعمل وبين السياسة والدين والاقتصاد فقد عمل عضوا فى البرلمان ورئيسا للمجلس الأعلى للتعليم وعضو بمجلس الشيوخ .

---

(١) الاحد الموافق ١٤ من شهر المحرم سنة ١٤١٩ هـ ١٠ من مايو سنة ١٩٩٨ م .

وأشرف سيادته على العديد من البعثات خارج البلاد ، لتنشيط الاستثمار حيث عمل وزيرا للتجارة والصناعة ، ونائبا لرئيس الوزراء ، ورئيسا للوزراء ابتداء من السادس عشر من يوليو سنة إحدى وثمانين وتسعمائة وألف ، ولسيادته عدة مؤلفات ومحاضرات عن الإسلام والدعوة إليه ، وله جهوده الموفقة فى دعم العلاقات مع مصر فى المجالات الاستثمارية والاقتصادية والعلمية ، وتم فى عهده توقيع عدة اتفاقيات علمية وثقافية بين الجامعات والمؤسسات التعليمية فى ماليزيا وبين جامعة الأزهر .

وفى الجامعات الماليزية عدد من أعضاء هيئة التدريس بجامعة الأزهر ، كما أن جامعة الأزهر تحتضن عدة آلاف من الطلاب الماليزيين عرفوا بالخلق الفاضل وحب العلم والإقبال عليه .

وللعلاقات المصرية الماليزية خصائص متميزة عبر العصور ، وقد كان لماليزيا تعبير دقيق وعميق حين كانت جائزة « تون عبد الرازق » رئيس وزراء ماليزيا الأسبق تمنح لخدمة الإسلام لمؤسسة من خارج ماليزيا كانت جامعة الأزهر هى الجامعة الأولى التى رشحت من قبل ماليزيا وسعدت حين حضرت هذا اللقاء التاريخى العظيم الذى يعبر أبلغ تعبير عن تقدير للدور الريادى لجامعة الأزهر فى نهضتها ونشرها لأشرف تراث فى الوجود .

ولسيادته دور هام أداه فى خدمة الإسلام والدفاع عن كبرى قضاياه فى الداخل والخارج ومؤلفات عميقة وجهود اقتصادية واستثمارية وعلمية واتفاقيات مبرمة مع مصر بصفة عامة ومع جامعة الأزهر بصفة خاصة ، وكلها إسهامات لخدمة العلم والاقتصاد ودعم مسيرة الإصلاح العام ولتأليفه عشرة كتب فى الاقتصاد والحكم وإقامة العدل الاجتماعى بين الفئات العرقية والدينية ، والأجناس المختلفة فى ماليزيا استلهاما لروح الإسلام .

كما نهض سيادته بالدفاع عن الإسلام أمام غيرالمسلمين فى ماليزيا وفى خارجها وقام بإبراز أسس الإسلام وسماحته ، وعدله ووسطيته وإمكان إقامة الدولة الحديثة القائمة على قواعد العلم والإيمان والعمل والعدل والمساواة وإن العلم الحديث لا يتعارض مع الدين .

لهذا كله رأى مجلس جامعة الأزهر منح سيادته درجة الدكتوراه الفخرية لخدمة الإسلام ، تقديرا لجهوده العلمية والعملية ولدوره الريادى فى خدمة الدعوة والحفاظ على الهوية الإسلامية ، بالعلم والتطبيق وبالمحاضرات المتعددة التى ألقاها داخل ماليزيا وخارجها وفى جامعة أكسفورد وغيرها مدافعا عن الإسلام ، ردا للشبه التى أثيرت حوله والتى تحاول الإساءة إليه فكان عنوان إحدى محاضراته فى جامعة أكسفورد (الإسلام الدين الذى أسىء فهمه) .

وواضح أن بعض من فى الغرب فهم الإسلام خطأ وزعم أنه دين متشدد بسبب ممارسات بعض الذين ينتمون إليه ولا يمثلون حقيقته ، كما أن البعض نظر إليه على أنه العدو لهم بعد سقوط الشيوعية ، وكلها دعاوى زائفة فهو دين الرحمة والحق والعدل ، بل ولا خوف على أتباع الأديان فى كل الأرض حين تكون الدولة والحكم للإسلام .

لقد تركزت دعوته العالمية فى الرحمة بالعالمين حيث قال الله تعالى :

﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾

(الأنبياء : ١٠٧)

إن جامعة الأزهر الشريف إذ تقدر فى ضيف مصر الكريم هذه المعانى والإنجازات والجهود والإسهامات ، إنما تعرب بذلك عن حفاوتها البالغة ، وتقديرها الكبير للذين يجاهدون من أجل خدمة الإسلام ، ونشر تعاليمه السمحة ، ورد الشبهات التى لا أساس لها من الصحة ، كما تعرب عن تعميق رسالتها العالمية بمد جسور التواصل العلمى ونشر رسالة الإسلام وثقافته الأصيلة العالمية المستمدة من عالمية الإسلام .

فالأزهر الشريف جامعا وجامعة - بمسيرته الحضارية الكبرى زهاء أكثر من ألف عام كان ولا يزال الحارس الأمين للإسلام عقيدة وشريعة وأخلاقا وحضارة إنسانية كبرى ، واجه كل غزوات الاستعمار بجهاد وجلاد وحافظ على العقيدة واللغة فلم تستطع قوى الاستعمار بكل ما أوتيت أن تؤثر فى أرض الكنانة ولا فى دينها ولا فى لغتها كما حدث فى بعض الدول الأخرى بل استطاع الأزهر أن يصون الهوية الإسلامية والعربية لهذا الأمة ، كما صان تراثها من قبل منذ الحملة التترية الشرسة ولولاه لضاع أشرف تراث فى الوجود لهذه الأمة .

إن الازهر الشريف - جامعا وجامعة - يمثل إرادة إلهية ، وكما أن الكعبة فى أم القرى قبلة الصلاة فالأزهر فى قلب الكنانة قبلة العلوم الإسلامية ومرجعيتها ناشراً دعوة الإسلام بالحكمة والموعظة الحسنة ، مبلغا رسالة السماء مصونة من تحريف الغالين ، وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين .

لقد وصل الأزهر القرون الأولى التى هى خير القرون ، كما أخبر رسول الله - ﷺ - خير القرون قرنى ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم « فأشرق الأزهر إثر عهد أتباع التابعين ليصل مسيرة الوحى الإلهى حيث تلقفتها القلوب الأمينة منذ عهد النبوة إلى أن نهض الأزهر يحمل الأمانة الإلهية فبلغها لكل من فى الأرض ، وقامت حوله أروقة كبرى لدول العالم يقيم أبناء المسلمين فيها ليتعلموا ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم ، حتى أصبحت الآن مدينة كبرى ، هى « مدينة البعوث الإسلامية » التى تضم جميع أبناء العالم الإسلامى . . إنه يمثل كبرى الحضارة العالمية الإسلامية على أرض مصر وكما قال أحد كبار المؤرخين : « من لم يذهب إلى مصر لم ير عز الإسلام ولا مجده ، لأن بها الأزهر » .

والأزهر الشريف اليوم - جامعا وجامعة - يعيش أسعد وأرغد مراحل عمره المديد بما أولاه إياه قائد المسيرة ، وداعية السلام السيد الرئيس القائد / محمد حسنى مبارك رعاه الله وأمده بعون من لدنه .

لقد أصبحت المعاهد الأزهرية فى عهده أكثر من خمسة آلاف معهد بها أكثر من مليون وربع مليون طالب ، وأصبحت الكليات فى جامعة الأزهر أكثر من خمس وخمسين كلية بها أكثر من مائة وخمسين ألف طالب إلى جانب مراكز البحث العلمى والاتفاقيات العلمية ، والمؤتمرات الدولية والندوات العلمية ، إلى جانب جهود علماء الأزهر - جامعا وجامعة - فى سائر وسائل الإعلام المسموعة والمرئية والمقروءة إلى جانب الإنجازات التى لم تتوقف فى المعاهد والكليات والمدن الجامعية وترميم وإصلاح الأزهر وبناء القلعة الإسلامية الجديدة لمشيخة الأزهر الشريف والتى تشرق على

أرض الكنانة من حديقة الخالدين إنها سياسة القائد الحكيم التى يقوم بتنفيذ برنامجها الإصلاحى الرجل المخلص والغيور الذى خفف بحنكته ودقته المعاناة السيد الأستاذ الدكتور / كمال الجنزورى رئيس مجلس الوزراء ووزير شئون الأزهر .

أيها السادة : إن رسالة الأزهر تشمل اليوم نهوضا وتقدما لا يبارى فيه إنسان ومعه عقله ، فلقد أصبح الأزهر الآن فى عهد السيد الرئيس مبارك درة بين الجامعات ومنارة كبرى من أعظم المنارات ، وحسبنا تدفق طلبات معظم الجامعات فى الوطن العربى ، والمجتمع الدولى لعقد اتفاقيات علمية للتعاون مع جامعة الأزهر ولمعادلة الشهادات التى تمنح لديهم بشهادات جامعة الأزهر .

ولقد نفذ الأستاذ الدكتور كمال الجنزورى رئيس مجلس الوزراء مشروعات التجديد وبصدد استكمال الباقى من الكليات الجديدة . . كما أن فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر « عاكف على تقدم الأزهر ونهوضه علميا وحضاريا بإخلاص أكيد وعزم قوى ، والآن يعيش الأزهر جامعا وجامعة العصر الذهبى بفضل الجهود الموفقة التى تذكر فتشكر .

وتواصلا لرسالة جامعة الأزهر العالمية فى مد جسور التعاون العلمى ، وتقديراً لجهود معالى الدكتور / محضير محمد فى خدمة العلم والدفاع عن دعوة الإسلام كان هذا الاحتفال التى يتوج بمنح سيادته درجة الدكتوراه الفخرية ، داعين الله تعالى لسيادته بالتوفيق الدائم لخدمة الإسلام والمسلمين ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

تدعو مجلة « الأزهر » السادة العلماء إلى تزويدها بأبحاثهم القيمة ، وبالمقالات الإسلامية الجادة ، التى تتناول قضايا العصر ، على أن يرفق بالمقالات بيان يوضح الإنتاج الأدبى لهم ، وكذلك رقم الحساب الخاص بهم (إن وجد) ورقم الهاتف والعنوان .. مع مراعاة :

*** تخريج الآيات القرآنية .**

*** تخريج الأحاديث النبوية الشريفة من أحد كتب الصحاح الستة .**

*** ذكر المراجع التى اعتمد عليها الكاتب .**

*** أن يقدم مكتوبا على الآلة الكاتبة أو بخط واضح .**

كلمة السيد رئيس وزراء ماليزيا

الدكتور محضير بن محمد

ألقاها بجامعة الأزهر بالقاهرة

الأحد ١٤ من المحرم ١٤١٩هـ الموافق ١٠ مايو ١٩٩٨ م

التسامح والوسطية في الإسلام

إننى لجد واع بهذا الشرف العظيم الذى خلعته علىّ جامعة الأزهر عن طريق هذه الدعوة الكريمة لأتحدث إليكم فى هذا اليوم وفى تلك القلعة المهيبة والعريقة للعلوم الإسلامية . وإننى لمدرك حقا كذلك أنه بالرغم من محاولاتى الدائبة فى سبيل الإلمام بتعاليم الإسلام ، القولية والعملية ، فإننى أجد نفسى بحضرة علماء مبرزين فى هذه العلوم .

لقد قبلت هذه الدعوة لاعتزازى بدينى وتمسكى به ، وإننى لأعرب عن أسفى العميق لإشاعة تلك المفاهيم الخاطئة التى ألحقت بالإسلام سواء من جانب غير المسلمين أو بعض المسلمين .

إن كل هذه المفاهيم والتصورات والانتقادات الخاطئة والتى أدت بالبعض إلى الانتقاص من الإسلام إنما ترجع إلى التفسيرات غير الصحيحة التى حملها بعض المسلمين وغير المسلمين ـ من ذوى الأهواء والمصالح الشخصية ـ على الإسلام ، وذلك لتبرير الأخطاء التى ارتكبوها أو التى ينوون ارتكابها . إن ديننا كامل ولكننا نحن لسنا كاملين . إن نقائصنا وعدم تمسكنا بالتعاليم الصحيحة للإسلام هو الذى قادنا إلى الظروف السيئة التى يعيشها المسلمون فى جميع أنحاء العالم .

● إننى أود أن أشكر جامعة الأزهر على دعوتها لى لأتحدث فى موضوع « التسامح والوسطية فى الإسلام » ، وهذا الموضوع وثيق الصلة جدا بمجريات الأمور فى وقتنا الراهن آخذين بعين الاعتبار تلك الحقيقة ، وهى أن الإسلام كدين ، والمسلمين كأمة يصورون على أنهم متعصبون ومتطرفون ، ليس فقط من جانب غير المسلمين بل أيضا من جانب بعض المسلمين من ذوى النزعات التحررية .

● إن الإسلام كما دعا إليه رسول الله ـ ﷺ ـ

ونشره ، هو دين التسامح والوسطية . وهذا مؤكد بالأدلة الكثيرة من سنة النبى ، ومن خلال موقفه من الذين لم يعتنقوا الإسلام وكذلك من خلال موقفه ومعاملته لأهل مكة الذين كانوا أعداءه بالأمس ، والذين أعلنوا - آنذاك - الدخول فى طاعته واعتناق الدين الذى جاء به ، لقد أمر النبى - ﷺ - بمنع تعذيب الأسرى أو المساجين .

● لم تتجلَّ سماحة النبى - ﷺ - ورفقه بالناس فى أى وقت من الأوقات أكثر من الوقت الذى أبرم فيه معاهدة الحديبية . نحن نعلم كيف كان عرب الجاهلية فى مكة يضطهدونه هو وأتباعه - ﷺ - كيف أنهم منعوا المسلمين عن المسجد الحرام ومنعوهم حق أداء شعيرة الحج . ونعلم كذلك كيف كان الكفار متعنتين ومتغطرسين مع رسول الله - ﷺ - عند توقيع هذه المعاهدة ، إذ قد رفضوا حتى إدخال عبارة التوحيد للذات الإلهية والإقرار بنبوة محمد - ﷺ - فى نص المعاهدة مما جعل الصحابة - رضوان الله عليهم - يعلنون سخطهم على سلوك كفار مكة الجاهليين ، إلى درجة أنهم كانوا يرغبون فى وقف المفاوضات مع قريش ، وفى إلغاء بنود المعاهدة ولكن النبى - ﷺ - قد تسامى على هذا كله وسيطر على الموقف بإعلانه قبول نص معاهدة الحديبية واعتماده بالشكل الذى انتهت إليه المفاوضات واتفق عليه الطرفان .

لم يكن الرسول - ﷺ - مجرد دبلوماسى وحكيم عندما كان يتصرف بهذه الروح ، ولكنه كان يحقق أعظم مستوى من السماحة أو التسامح والعدل حتى عندما كان يتعامل مع خصومه ومناوئيه الألداء الذين كانوا ينتقصون من قدره ويحولون بينه وبين الناس . ونحن نعلم كذلك ما حدث فى السنة التالية لمعاهدة الحديبية ، فلقد دخل النبى - ﷺ - وأصحابه مكة بدون أى مقاومة تذكر من قبل أهل مكة ودخلوا كلهم أخيرا فى الإسلام ، وكان الرسول نبيلا رحب الصدر معهم ولم تخطىء سماحته هند بنت عتبة التى أكلت كبد سيدنا حمزة فى غزوة أحد وبسلوكه هذا العظيم يوم دخول مكة دخل عرب الجزيرة جميعا فى الإسلام ، وكونوا من ثم أمة واحدة .

وانطلاقاً من هذا التاريخ أصبح انتشار الإسلام كدين وكروح محفزة على بناء امبراطورية أمرا لا يمكن مقاومته كما كان من قبل . ويمثل هذه المواقف اتضح المعنى العميق وظهرت المعجزة الكبرى التى صنعها التسامح والإنصاف للإسلام وللأمة جميعا .

● فى حالة ما إذا كنا لازلنا فى شك من أن الإسلام قد فرض علينا أن نكون منصفين وعدولا ومتسامحين أو كنا نشك فى أن الرسول - ﷺ - قد طبق تعاليم القرآن عمليا عندما وقف هذه المواقف الكريمة عندما كان سمحا ومنصفا فى معاملة أتباعه وأعدائه دعونا ننظر فى كتاب الله لنرى ماذا يقول سبحانه وتعالى عن العدل أو الاعتدال والتسامح فى الإسلام . جاء فى سورة الممتحنة فى الآية الثامنة منها . ﴿ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَـٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَـٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴾ (الممتحنة - ٨) .

وسورة آل عمران الآية ١٥٩ ، منها يقول الله تعالى : ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴾

● لقد شجعت معاهدة المدينة التعاون والتضامن بين المسلمين والنصارى واليهود وغيرهم ولقد ضمنت الوثيقة المكتوبة الحرية بما فى ذلك حرية العبادة والمساواة والعدالة للجميع . وهكذا فقد

أخبر الله - تعالى - الكافرين قائلا :
﴿ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴾ الكافرون ٦ .

● ولقد كانت هذه التعاليم الإسلامية هى نفسها التى وحدت بين المهاجرين والأنصار كأمة واحدة من دون الناس . وقد أشار الرسول - ﷺ - أيضا فى هذه الوثيقة إلى العشائر اليهودية التى تحالفت معه كأمة فى موازاة الأمة الإسلامية وبالرغم من هذا فقد ظلت كل أمة تمارس معتقداتها وشعائرها الخاصة .

● وأن من أهم وأعمق التعاليم التى جاء بها رسول الله - ﷺ - للقبائل العربية التسامح والإخاء والقضاء على الصراعات والعداوات التى لا جدوى منها والتى ظلت تسيطر عليهم حتى مجىء الإسلام . ونحن نعرف أن هذه القبائل كان يحارب بعضها البعض باستمرار قبل الإسلام وذلك لأتفه الأسباب أو لنزاع ربما وقع بينهم فى الماضى البعيد . وقد تنسى هذه القبائل أسباب تقاتل أسلافهم لطول العهد بها ولكنهم مع ذلك يظلون أعداء ويتوارث أبناؤهم هذه العداوة جيلا بعد جيل ، بل ويهاجم بعضهم بعضا إذا تقابلوا فى أى مكان . لقد سيطر على العرب من كل جانب ولاؤهم للقبيلة وعداوتهم بعضهم لبعض واستنفد كل قواهم .

● إن التبنى الأعمى للعادات والتقاليد القبلية وللفكر القبلى عبر الأجيال ماكان له أن يثمر غير الحروب المدمرة والفرقة والضعف . إن الإسلام يدين العصبية القبلية التى تؤدى دائما إلى التطرف وتكون مصحوبة به كما تؤدى إلى قلة أو انعدام التسامح والاعتدال فى معاملة الآخرين . إن من أعظم ما حققه النبى - ﷺ - حقا هو تجميع هذه القبائل العربية فى وحدة واحدة وتأليف قلوبهم على المفهوم الجديد والجامع للولاء أو الانتماء مما ساعد على انتشار الإسلام بقوة فى جميع أنحاء العالم يقول الله تعالى : ﴿ وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا ﴾
(آل عمران ١٠٣)

لم يكن الولاء أو الانتماء للإسلام تعصبا ولا عصبية . وذلك لأنه مبنى على العقل ، وعلى العلم بأن الوحدة التى حققها الإسلام بين أتباعه قد أمدتهم بالقوة التى مكنتهم من تحقيق النجاح المنشود . إنَّ مثل هذا الولاء أو الانتماء للدين هو الذى استوعب جميع صنوف الاختلافات أو الاجتهادات حتى تلك الخاصة بممارسة شعائر الدين الإسلامى ، لم يكن الإسلام قط جامدا .

● فى داخل مجتمعنا الإسلامى ينبغى أن نعترف بأنه يوجد بيننا فى الأمة من انحرفوا عن الطريق السوى وانتهجوا طريق التعصب الدينى والتطرف ، هذا بالرغم من مصادمته لتعاليم الإسلام وكالمعتاد فإن أعداءنا وخصومنا قد طبعوا الإسلام والمسلمين بأعمال العنف والتطرف .

إن غير المسلمين يعتقدون بصفة عامة أن المسلمين والإرهابيين شىء واحد . ويفهمون الإسلام على أنه يعلم أتباعه التعصب الدينى واضطهاد الآخرين بغض النظر عن محاولاتنا المستمرة لتصحيح مفاهيمهم وتحسين صورة الإسلام والمسلمين فى أنظارهم. وهذا الفهم بالطبع ناشىء عن التفسير الخاطىء للنصوص الإسلامية . .

● ونتساءل هل نحن فى حاجة إلى الاهتمام بنظرة الغير . وبالذات خصومنا إلينا وإلى ديننا . إننى أعتقد أنه ينبغى علينا أن نفهم وأن نقلق لما يروجونه عنا . فإنه عندما تلقى النبى - ﷺ - الوحى من الله كان أول من اتبعه هؤلاء الذين رأوا فى الإسلام أسباب الخلاص . أما مجتمع الجاهلية فقد كان متعصبا ووحشيا . فقد كانوا يقتلون

الأطفال ويتزوجون النساء المجهولات النسب . بلا حد أو قيد ، ويعاملون العبيد معاملة قاسية ولا يتورعون أن يعذبوا الأسرى ، والمساجين ، وكان الأغنياء فيهم لا يرعون للفقراء حقا بل على العكس كانوا يضطهدونهم ، وكذلك كان القوى فيهم يحيف على الضعيف . وظل الأمر على هذا الحال حتى جاء الإسلام بالتعاليم التى أرست قواعد الخلاص ورفع المعاناة عن المضطهدين وسن الإسلام التشريعات العادلة فحرم وأد البنات وقتل الأطفال ، وقيد عدد الزوجات واشترط وجوب تحقيق العدل بينهن إن أراد أن يتزوج ، وغير ذلك من مجموعة التعاليم التى جاء بها الإسلام ، والتى ساعدت على خلق بيئة أفضل ، وحس أرقى فى الانتماء إلى هذا الدين وبهذا دخل المضطهدون فى الإسلام . وكان بلال الحبشى من أبرزهم .

● وسواء كنا نريد أن ننشر الإسلام أم لا فإنه ينبغى علينا أن نعرف بالإسلام ، سواء للمسلمين أو لغير المسلمين وأن يكون تعريفنا به بالطريقة الصحيحة بحيث نزيل عنه ماعلق به من مفاهيم خاطئة لصقت به وعرفت عنه فى جميع أنحاء العالم . وإن أحسن الطرق فى عرض الإسلام إنما يكون فى السلوك العملى للمسلمين وفى التمسك الواضح بالتعاليم الخاصة بالتسامح والوسطية .

● إن العدالة الإسلامية تقوم على التسوية بين حجم الجريمة والعقوبة المرصودة لها وهى ممثلة بوضوح فى هذه الحكمة الإلهية ، العين بالعين ، والشىء الذى لا يعرفه الكثير أن الإسلام يؤكد دائما وبشدة على مبادىء التسامح والعفو والتراحم عند تطبيق مبدأ العدل .

● إن الإسلام يوصينا دائما أن نكون حذرين فى مواقفنا تجاه الآخرين وأن نقدر مشاعرهم وأن نكون رحماء فيما بيننا . وأعطى الإسلام للمظلوم الحق فى المطالبة بحقوقه العين بالعين والنفس بالنفس ، وفى نفس الوقت يحض الإسلام على العفو أو قبول الدية . بل وفضل الإسلام الإحسان فى المعاملة والرحمة فى المذنب . إن مبدأ العين بالعين ليس وحده هو الواجب بل الرحمة والعفو أيضا ، وإن القصاص لم يشرع فى الإسلام إلا لمنع الجريمة أو الحد منها .

يقول تعالى : ﴿ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنفَ بِالْأَنفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ (المائدة ٤٥) .

● إنه من الواجب إذن أن ننمى وندعم قوى التسامح والاعتدال التى أوجبتها علينا ديانتنا ، نحن نعرف أن القرآن الكريم يقرر أن النجاح والفشل والخطأ والصواب راجع إلينا ونابع منا . أما النجاح فيأتى من الله تعالى .

● ولكنه مع هذا يوجد من المسلمين من يؤمنون أنهم على الصراط المستقيم ، وذلك لأنهم يطبقون تعاليم الإسلام الصحيحة وهذا القول ناتج ربما عن تمسكهم بالمظاهر الدينية المصطنعة التى تشعرهم بأن ما هم عليه يتسق مع الصورة التى رسموها للإسلام فى أذهانهم . إننى بهذا لا أشك ولا أشكك فى متانة تدينهم أو قوة عقيدتهم ولكننى فقط أود أن أنبه على أن الإسلام ليس عبارة عن شعائر فحسب بل إنه نظام حياة كامل - أيضا - وهو بهذا لا يعنى مجرد حصول التقوى فى القلب فحسب ، بل إنه يعنى - أيضا - التمسك بقيم التسامح والاعتدال فى كل أعمالنا .

● كيف يؤدى أحدنا صلاته ثم يذهب وراء أخيه المسلم ليقتله فى ثأر ؟ إن بعض المسلمين قد يصلى أقل منا ، لكن هل يمكن أن نقول أنهم سوف

يحصلون ثوابا أقل من الثواب الذى نحصله نحن ؟

إن علم الثواب والعقاب وعلم السرائر لا يعلمه إلا الله وحده بالتأكيد . واتهامنا لبعض المسلمين بقلة الدين أو التقصير فيه ، إنما يعكس عدم تسامحنا وتشددنا فى الحكم على الآخرين وهذا بالطبع ضد تعاليم الإسلام . إن الإسلام دين عملى يتعامل مع الإنسان ومشكلاته الحقيقية . وقد أمر الإسلام المسلمين بالقيم الأخلاقية اللازمة لرقيهم فى الحياة الدنيا ونجاتهم فى الآخرة . إن الإسلام حرم على المسلم أن يقتل أخاه المسلم أو يروعه أو يسخر منه يقول الله تعالى فى سورة الحجرات : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ (الآية ١١)

● إن الإسلام دين عملى جاء لمصلحة الناس وليس إكراها لهم . يقول الله تعالى فى سورة البقرة آية (٢٥٦) ﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ﴾ ويقول تعالى فى سورة المائدة (آية ٦): ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ ۚ وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا ۚ وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ ۚ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾

● إن منا نحن المسلمين من يعيش فى مجتمع مسلم كله . ومن المسلمين من يعيشون كأقلية ولا يستطيعون أن يعملوا كل ما يعمله المسلم فى المجتمع الإسلامى ؛ لذا ينبغى علينا أن أى عمل نعمله فى بلادنا ربما أضر بمصالح هذه الأقليات الإسلامية وبخاصة فى هذا العالم الذى انكمشت فيه المسافات . إنه ينبغى علينا أن نعامل الأقليات فى بلادنا بما نحب أن نعامل به الأقليات الإسلامية فى البلاد غير الإسلامية . ومن الملاحظ أننا نعامل الأقليات فى بلادنا أحسن معاملة ولكن المسلمين فى الغرب لا يزالون يعانون من بعض الاضطهاد .

يمثل المسلمون فى ماليزيا الأغلبية ، ويوجد فى بلادنا حوالى ٤٠ فى المائة من غيرالمسلمين نتعامل معهم على أساس التسامح الإسلامى ، وكان قد أسس أول رئيس وزراء لماليزيا تنكو عبد الرحمن ، حزبا سياسيا يضم جميع الجنسيات الموجودة فى ماليزيا . ولكن المتطرفين قد خرجوا على الصف وشكلوا حزبا مستقلا ، إلا أن الأغلبية قد دخلت إلى جانب تنكو عبد الرحمن ، مما ساعده على الفوز فى الانتخابات التى عقدت فى ظل الحكم الإنجليزى فى عام ١٩٦٩ وحدث شغب فى البلاد .

وقد اعتبرنا هذا الشغب مؤشرا إلى أن السياسة وحدها لا يمكن أن تجمع بين القوى الوطنية المختلفة . وفى مدى عام استطاع قادة العمل الإسلامى أن ينظموا جهودهم ويجندوا المسلمين للعمل على إصلاح اقتصاد البلاد .

ومنذ هذا التاريخ لم تحدث أى مشكلات سياسية من هذا النوع فى ماليزيا مع أن المتطرفين من المسلمين وغير المسلمين كانوا يحاولون خلق جو من التعصب والعنف ولكن الحكومة كانت تعالج مثل هذه المواقف بالحكمة وعن طريق القضاء أحيانا .

إن ماليزيا اليوم تعيش فى سلام وأمان وهى تستمد رصيدها من التسامح والاعتدال من كتاب الله وسنة رسوله - ﷺ - إن الماليزيين شعب طيب بطبعه وهو يتعامل بالحكمة مع الآخرين على أساس من التسامح والإخاء ، وهذا نابع من تمسكهم بتعاليم الإسلام .

وقبل أن أختم كلمتى أود أن أقول إن التسامح والاعتدال كليهما يعتبران جذراً رئيسيا من التعاليم الإسلامية .

الإيمان أساس البنيان

وقاعدة العمران

لفضيلة الشيخ
محمد حافظ سليمان

لقد كانت رسالات الله التى أرسل بها النبيون والمرسلون من ربهم تهدف أول ما تهدف إلى إصلاح النفوس وتزكيتها وتهذيبها وبذلك تستقيم الحياة وتطمئن القلوب ، لأن سلوك الإنسان صورة لما تنطوى عليه نيته وتحتويه سريرته . لأن الليل الذى يسوق الناس إلى النوم والراحة والهدوء ـ هو الليل الذى يذهب فى ظلامه ذئاب البشر لاقتناص فريستهم ، لأن مواقف الناس تختلف باختلاف ما فى قلوبهم من خير وشر وما فى وجدانهم وانفعالهم ونية أعمالهم ، فمن الناس من تتجافى جنوبهم عن المضاجع فيقومون الليل لله قانتين .

وذلك لأن الليل الذى يغرى القانتين بالتبتل والعبادة هو الذى يغرى المتسللين تحت ستاره وظلامه ليقضوا مضاجع الآمنين ، ويعيثوا فى الأرض فسادا وينسلخوا من إنسانيتهم إلى وحشية ضارية فاتكة ، وهذه النفوس المعتمة مقفرة من الإيمان بالله .

﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۙ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾

(الآية ٥٣ من سورة الأنفال)

لأن حياة الناس صور واضحة لما فى قلوبهم (إنما الأعمال بالنيات) وما نراه اليوم من أضرار

وأخطار وبما يعده الإنسان لأخيه الإنسان من وسائل الإجرام والانتقام ، ومن طوفان الأحقاد التى تغلى فى صدور محمومة مليئة بالغل بسبب المطامع المتراكمة فى قلوب آثمة جاحدة لا تعرف للحق طريقاً ولا للعدل سبيلا : ولا علاج إلا أن تستنير النفوس بنور الإيمان لترتبط النفوس بربها الذى خلقها فسواها وألهمها فجورها وتقواها وقال :

﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا ﴾

(الآيتان ٩ - ١٠ من سورة الشمس)

ولقد جاء الإسلام فصنع رجالا وكون أبطالاً شادوا ألوية المجد وبنوا أسس البر والهداية والتعاون على البر والتقوى لا على الإثم والعدوان ، لأن الإيمان إذا خالط النفوس وامتزج بالأرواح أيقظ الضمائر وطهر السرائر وأنار البصائر ، لأن الإيمان بالله فى تغييره للنفوس يتم بسرعة مدهشة ويحولها من حال إلى حال من حال الكفر إلى حال الإيمان ، من حال الخضوع للبغى والطغيان إلى حال التوحيد والارتباط بالرحمن : كما كان من سحرة فرعون الذين جمعهم لميقات يوم معلوم وحشدهم لمقاومة معجزة سيدنا موسى عليه السلام

﴿ فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ ۝٤١ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذًا لَّمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴾

(الشعراء ٤١ : ٤٢) .

ولنقرأ هذه القصة فى سورة الشعراء من القرآن الكريم : لنعلم كيف حول الإيمان شخصياتهم تحولا سريعا عجيبا لكنه الإيمان السليم الذى استقر فى القلوب فأزال ركام الضلالة وظلام الجهالة فأذعنت للحق وخضعت للمعجزة التى كانت تأييدا من الله لموسى وتصديقا لرسالته ، والله يقول : ﴿ فَجُمِعَ السَّحَرَةُ لِمِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ۝٣٨ وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنتُم مُّجْتَمِعُونَ ۝٣٩ لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ السَّحَرَةَ إِن كَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ ۝٤٠ فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ ۝٤١ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذًا لَّمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ۝٤٢ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ أَلْقُوا مَا أَنتُم مُّلْقُونَ ۝٤٣ فَأَلْقَوْا حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ ۝٤٤ فَأَلْقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ۝٤٥ فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ ۝٤٦ قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ۝٤٧ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَارُونَ ۝٤٨ قَالَ آمَنتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ۝٤٩ قَالُوا لَا ضَيْرَ إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ۝٥٠ إِنَّا نَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَايَانَا أَن كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ ۝٥١ ۞ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴾

(الشعراء : الآيات ٣٨ : ٥٢)

انتقال مفاجىء وسريع

لقد كان سحرة فرعون قبل هداية الرحمن يقولون : أئن لنا لأجرا إن كنا نحن الغالبين ، فلما خالطت بشاشة الإيمان قلوبهم عرفوا الحق فانجذبوا إليه واقتنعوا به وتلاشى سلطان حب المال والأجر ، وذهبت عزة فرعون التى كانوا يستمدون العون منها وهو هذا المخلوق الضعيف أمام الخالق الكبير المتعال وصاروا يتلمسون المغفرة من الله وحده حيث قالوا بقلوب خاشعة ضارعة :

﴿ إِنَّا نَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَايَانَا أَن كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾

(٥١ : الشعراء)

بعد قولهم بالأمس قبل الإيمان :

﴿ بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ ﴾ (٤٤ : الشعراء)

وهذا هو منطق الحق القوى المتين الذى يزهق الباطل :

﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ ﴾ (الأنبياء ١٨) .

إنه الإيمان الذى لايرهب وعيدا ولا يقبل تهديدا لأنهم أقوياء بقوة الإيمان أعزاء أمام القوة الغاشمة الباغية فإذا بها أمام الإيمان هزيلة ضعيفة إذ قالوا لفرعون :

﴿ قَالُوا لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَٰذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴾ (طه الآية ٧٢) .

لقد اتخذوا الله ملجأ لهم فلا ملجأ من الله إلا إليه ، فعاشوا بالإيمان أحرارا وبالحق أطهارا وباليقين أبرارا ﴿ وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ ﴾

﴿ اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ (البقرة : ٢٥٧)

ولقد قرأنا عن إبراهيم بن أدهم أنه قال « نحن فى لذة لو علمها الملوك لقاتلونا عليها بالسيوف » . لأنه كان موصولا بربه عابدا زاهدا من المقربين .

إن خير ما يورثه الآباء لأبنائهم هو الإيمان السليم والخلق القويم والتقوى خير زاد . . والتقوى تنفع الذرية وتصلح شأن الراعى والرعية .

امرأة تدافع عن إيمانها بالقرآن

إذا آمن المرء بالله واتخذه وكيلا وملاذا يلوذ به عند الملمات والشدائد تولاه الله ورعاه وحفظه ووقاه . ﴿ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِّنكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ذَٰلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا ﴾ (الطلاق ٢/ ٣) .

والمؤمن يتلمس الأسباب المشروعة ولكنه لايذل لها ذل العابد للمعبود فلا تذل الرقاب إلا لله ولا تركع لأحد سواه ، يستمد منه العون والرشد والتوفيق والهداية ﴿ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ ﴾ (هود : ٨٨) ولا يقال لغير الله ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ (الفاتحة - الآية ٥)

ويحكى لنا المؤرخون فى سيرة الفاروق عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - أنه أراد أن يمنع الناس من المغالاة فى المهور إذ أمرهم ألا يزيدوا على أربعمائة درهم ومن زاد على ذلك شيئا وضع الزيادة فى بيت المال ، فعارضته فى ذلك امرأة عجوز وقالت أيعطينا الله ويمنعنا عمر ؟

فقال عمر : وأين أعطاكن الله ؟ فقالت : قال الله تعالى : ﴿ وَإِنْ أَرَدتُّمُ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴾ (النساء : آية ٢٠)

فأذعن عمر - رضى الله عنه - للصواب وقال قولته المشهورة : أخطأ عمر وأصابت امرأة ثم رجع إلى المنبر فقال : « إنى كنت نهيتكم عن أن تزيدوا فى صَدُقات النساء على أربعمائة درهم فمن شاء أن يعطى من ماله ما أحب » .

لأن الإيمان ينير الظلمات ويمحو الجهالات : ولأن العلم نور ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور .

وهذا أبو بكر - رضى الله عنه - حينما بايعه المسلمون على الخلافة فيرى من العرب من ارتد عن دين الله ومن منع الزكاة فلما هم بقتالهم أشفق الفاروق على المسلمين أن يتخطفهم العرب من حولهم . وأن تجتاحهم الفتن فتردد فى أمر القتال ، فقال له الصديق - رضى الله عنه - ثكلتك أمك ياابن الخطاب أجبار فى الجاهلية وخوار فى الإسلام ، والله لو منعونى عقالا أو عناقا كانوا

البقية ص ٢٢٣

قبس من أنوار النبوة

الإسلام يصون الحرمات

للشيخ
على حامد عبد الرحيم

عن أبى هريرة - رضى الله عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم قال : « من اطلع فى بيت قوم من غير إذنهم فقد حل لهم أن يفقأوا عينه » .

« رواه البخارى ومسلم»

إن ديننا الإسلام يحرص كل الحرص على سعادة المسلمين فى دنياهم وأخراهم ، ويحوطهم بالعناية والرعاية من كل جوانبهم ، ولهذا أسدى إلينا شتى النصائح ، وأرشدنا إلى أكمل الآداب وأفضل الأخلاق التى بها تنتظم شئوننا ويصفو عيشنا ، وتتحسن أحوالنا إذا نحن تأدبنا بآدابها ، وتخلقنا بأخلاقها ، وتحلينا بالفضائل والبعد عن الرذائل .

ولهذا كانت تعاليم ديننا سياجا منيعا يقى الإنسان من مزالق الحياة صيانة لعرضه ، ومحافظة على شرفه ، وصونا لكرامته .

وعندما ينهى ديننا عن تتبع عورات الناس ، أو إيذائهم باللسان أو بإشاعة الفاحشة عنهم . وعندما يحرم ذلك عليك فهو كذلك يحرمه على غيرك حتى لا تؤذى غيرك ولا يؤذيك الغير .

ولقد توعد الإسلام أولئك الذين يؤذون الناس بألسنتهم ، أو يتتبعون عوراتهم ، أو يشيعون قالة السوء عنهم - بصنوف العذاب ورد أن النبى - صلى الله عليه وسلم - صعد المنبر ونادى بصوت رفيع : « يامعشر من أسلم بلسانه ولم يُفض الإيمان إلى قلبه لا تؤذوا المسلمين ولا تعيدوهم ولا تتبعوا عوراتهم فإن من تتبع عورة أخيه المسلم تتبع الله عورته ، ومن تتبع الله عورته يفضحه

ولو فى جوف رحله » أخرجه الترمذى .

والله - تبارك وتعالى - يريد للمسلمين أن يكون خلقهم مستقيماً وسلوكهم قويما ، امتثالا لأمر ربهم ، وحفظا لكرامتهم .

وبمراعاة آداب الإسلام والتمسك بهداه فى الاستئذان تحفظ للبيوت حرياتها ، وتصان حرماتها ؛ لأن للناس فى بيوتهم شئونا بهم لا يشاركهم فيها أحد بغير حق :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَىٰ أَهْلِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾
(سورة النور ٢٧)

حيث إن شريعة القرآن جاءت بتعاليم سامية منها سيادة الناس على مساكنهم لكى تحفظ أمنهم ، وتحمى استقلالهم واستقرارهم . فلا تقتحم البيوت .

ورد أن سبب نزول هذه الآية وما بعدها . على رسول الله أن امرأة شكت إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أنها تكون فى بيتها على حالة لا تُحب أن يراها عليها أحد ، لا ولد ولا والد . فيأتيها آتٍ فيدخل عليها فكيف تصنع فنزلت :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَىٰ أَهْلِهَا ﴾ (سورة النور ٢٧)

ورد ان رجلا جاء إلى النبى - صلى الله عليه وسلم - وقال : أأستأذن على أمى قال : نعم .. قال : ليس لها خادم غيرى أأستاذن عليها كلما دخلت ؟ قال النبى أتحب أن تراها عريانة ، قال .. لا ، قال : فاستأذن عليها .

أخرج الطبرانى عن أبى أمامة - رضى الله عنه - أن النبى - صلى الله عليه وسلم ، قال : « من كان يشهد أنى رسول الله فلا يدخل على أهل بيت حتى يستأذن ويسلم ، فإذا نظر فى قعر البيت فقد دخل » .

ولقد أباحت الشريعة الإسلامية الغراء فقء عين من ينتهك حرمات البيوت بالتطلع إلى من فيها بغير إذن وجعلها هدرا فلا دية فيها ولا قصاص بل رفعت الحرج والإثم عن أصحاب تلك البيوت .

ففى الصحيح من حديث أبى هريرة - رضى الله عنه - عن النبى - صلى الله عليه وسلم - قال : « من اطلع فى بيت قوم بغير إذنهم ففقأوا عينه فلا دية له ولا قصاص » .

وفى هذا زجر شديد لذوى النفوس الوضيعة الذين يحاولون إشباع رغباتهم الدنيئة فيدفعهم التطفل إلى التطلع فى بيوت الناس على حين غفلة . وإنما حرم الإسلام النظر إلى العورات حتى لا يقع الإنسان فى الخطر وكيف لا . والنظرة سهم مسموم من سهام إبليس من تركها مخافة الله أعطاه الله إيماناً يشعر بحلاوته فى قلبه .

وكيف لا ، والنظر بريد الزنا ، ورائد الفجور والعصيان . بل هو المثير للشهوات ، والمحرك للمفاسد ، ولهذا أمرنا الشارع الحكيم بتلافى هذا الضرر فى أول أمره قبل أن يستفحل شره . ولله در القائل :

البقية ص ٢٠٧

أضواء حول عالمية الإسلام واستمراريته

بقلم الدكتور
أحمد عبد الرحيم السايح

العقيدة بالدين حاجة روحية ، ضرورية لصلاح البشر فلا يختص بها فريق من الناس دون باقى البشر ، لذلك كانت الحاجة ماسة إلى دين عالمى ، يكون دعوة إلى جميع شعوب الأرض قاطبة ، أبيضها وأسودها وأحمرها عربيها وعجميها . هكذا لابد أن يكون الدين الجديد عقيدة تصلح للبشر ، العامة منهم والخاصة تشعر كلا منهم أن له عقيدة يطمئن إليها ، وأن هذه العقيدة رباطه بالدنيا والآخرة ، بالله والإنسان ، فالناس أمة واحدة فى هذا الدين ، هذا الدين هو دين البشر [١] .

ويكون عالمياً : بعدم اختصاصه بجنس من الأجناس البشرية ، وبعدم انحصار تطبيقه فى إقليم خاص ، أو بيئة معينة . ويكون عالمياً بامتداد هدايته أزماناً طويلة تتجاوز العصر الذى بدأت فيه . بمعنى أن يكون الدين صالحاً لكل جنس ، وكل جيل ولكل زمان ومكان ، وبمعنى آخر : يكون الدين عالمياً : إذا كان شريعة الإنسان من حيث هو إنسان بقطع النظر عن العوامل والفوارق العارضة ، التى لاتدخل فى ماهية الإنسان كإنسان ، وبدون ذلك لايتحقق معنى العالمية فى أى دين [٢] .

ونود أن نتعرف على الخصائص التى يجب أن يشتمل عليها الدين ليكون عالمياً وصالحاً لكل زمان ومكان . ونجمل هذه الخصائص فى ثلاث :

١ ـ وفاؤه بحاجة الإنسان جميعاً ، فيما يصون وحدتها ، ويرعى إنسانيتها ، ويحمى أفرادها فى العاجل والآجل .

٢ ـ تشريعاته التى تضمن قيام الإنسانية كلها فى محيط واحد ، لاتنزع معه إلى عصبية دم ، أو

---

(١) محمد عزت الطهطاوى ، النصرانية والإسلام ، ص : ٣٠٨ ، ط : مكتبة النور بالقاهرة سنة ١٤٠٧ هـ ـ ١٩٨٧ م .

(٢) عطية صقر ، الدين العالمى ومنهج الدعوة إليه ، ص : ١٠ .

اختلاف لون ، أو فرقة جنس .

٣ ـ اتساقه مع حقائق الكون ، وخصائص الوجود ، بحيث لايتعارض مع مايثبت من حقائق العلم ، أو يختلف مع منطق الفكر [٣] .

وكذلك لايكون عالمياً إلا إذا صحب الإنسان فى جميع أزمانه المتطورة ، وعصوره المتلاحقة ، أى : يكون خالداً ، لايعتريه نسخ أو زوال ولاعقم ولاجمود ، موفياً بجميع مطالب الإنسان المتنوعة المتجددة فى كل الميادين التى يزاول فيها الإنسان بعقله الواسع نشاطه الكامل ، ولايوجد دين من الأديان السماوية فيه هذه المواصفات التى تجعله عالمياً ، إلا دين الإسلام [٤] .

والعالمية من القيم التى تنبثق من عقيدة الإسلام ، لأن مجتمع الإسلام هو مجتمع الإنسانية كلها ، مجتمع ليس لجغرافيته حدود ، وليس للعنصرية فيه وجود [٥] .

فالرسالة الإسلامية قد توجهت للناس كافة ، من جميع الأجناس والألوان ، وفى كل العصور . . وبالعالمية التى اتصف بها الإسلام ، يتميز عما سبقه من رسالات سماوية كانت تتوجه إلى أقوام بعينهم ، فى عصر معين [٦] .

ولذلك نرى القرآن الكريم يتحدث عن أقوام بلغتهم رسالات سماوية ، وينسبهم القرآن إلى أنبيائهم ، كما فى الحديث عن قوم نوح ، وهود ، وصالح ، ولوط ، وشعيب ، وموسى ، وغيرهم من الأنبياء والرسل .

قال تعالى :

﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَـٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾

(الأعراف : آية ٥٩)

﴿ ۞ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۗ قَالَ يَـٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾ (الأعراف : آية ٦٥)

﴿ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَـٰلِحًا ۗ قَالَ يَـٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ هَـٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً ۖ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ ۖ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾

(الأعراف : آية ٧٣)

﴿ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَـٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾

(الأعراف : آية ٨٠)

﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۗ قَالَ يَـٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ فَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَـٰحِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾

(الأعراف : آية ٨٥)

﴿ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ بِـَٔايَـٰتِنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦ فَظَلَمُوا۟ بِهَا ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾

(الأعراف : آية ١٠٣)

وقال تعالى فى شأن عيسى ـ عليه السلام :

﴿ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنِّى قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ أَنِّىٓ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ وَأُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِى بُيُوتِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾

(آل عمران : آية ٤٩)

---

(٣) محمد الراوى ، الدعوة الإسلامية دعوة علمية ، ص : ٤٦ ، ط : دار العربية ، ببيروت .

(٤) عطية صقر ، الدين العالمى ومنهج الدعوة إليه ، ص : ١١ .

(٥) د . إبراهيم عوضين ، الإسلام والإنسان ، ص : ٢٨١ ، ط : المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، بالقاهرة ، سنة : ١٣٨٥ هـ ـ ١٩٦٤ م .

(٦) جمال الدين محمود ، أصول المجتمع الإسلامى ، ص : ١٠ ، ط : المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، بالقاهرة ، سنة : ١٤٠٤ هـ ـ ١٩٨٤ م .

فهذه النسبة هى التى تبين وتوضح أن الرسالة مخصوصة بهؤلاء القوم ، فقد أرسل الأنبياء بإصلاح أقوام ، أو مجتمعات بعينها ، وحققت هذه الرسالات أهدافها ، بتصحيح أصل العقيدة ، ومنهاج الحياة ، فيما يحتاج إلى إصلاح (٧) .

وترى فى آيات القرآن الكريم أمثلة كثيرة للإصلاح فى العقيدة ، حينما يتوجه الأنبياء إلى من أرسلوا إليهم بالبعد عن الشرك ، وبعبادة الله وحده .

قال تعالى : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴾

(الأنبياء : آية ٢٥)

كما نرى أن بعض الأنبياء توجه بجانب الدعوة إلى عبادة الله وحده بتوجيهات تتعلق بالسلوك أو المعاملات بين الناس ، مثل عدم ارتكاب الفاحشة : ﴿ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ (الأعراف : آية ٨٠)

أما الإسلام : فهو يهدف إلى رسم إطار المنهاج الإلهى لحياة البشر فى كل زمان ومكان ، ولذلك غطى منهجه العقيدة ، والأخلاق ، والتشريع ، بطريقة تجعله لايقف أمام الاختلافات العارضة والمؤقتة بين بنى الإنسان ، والتى لا صلة لها بفطرة الإنسان ، كما خلقه الله جسداً وروحاً ، وباستعداده الفطرى للاتجاه إلى الملأ الأعلى .

فلا يخفى أن الإنسان بحسب فطرته ينزع إلى البحث فيما وراء ذاته ، أو الموجودات التى تدركها حواسه ، وهى فطرة الإنسان التى يتساوى فيها الإنسان العالم فى المدينة ، مع الإنسان البدائى فى قلب الغابة . . واستجابة لهذا النزوع الذى لايختص به إنسان دون آخر ، ولاجنس دون غيره ، فإن الإسلام يقدم له العقيدة التى تستجيب لكافة تطلعاته ، حين يرتقى الإنسان ، ويستشرف آفاقاً عالية فى علاقاته مع غيره (٨) .

وإن الإنسان وهو يتابع عالمية الإسلام يلحظ بوضوح : أن العالمية فى الإسلام ، قد قامت على عناصر متكاملة :

أولاً : وحدانية الإله ، وإنكار تعدد الآلهة ، ومن هنا كان أساس الإيمان فى شريعة محمد ـ ﷺ ـ أن يكون بالله وحده لاشريك له ، وتنزيهه عن كل صفة يتصف بها خلقه . . واقتضى هذا العنصر :

١ ـ وحدانية الربوبية ، فلا خالق ، ولا متصرف سواه .

٢ ـ ووحدانية الألوهية ، فلا معبود ، ولا مسئول ، ولا مستعان سواه ، وبالوحدانية بشقيها دعا الإسلام (٩) .

فالإيمان بالله معناه : إفراده ـ سبحانه وتعالى ـ بالألوهية والربوبية ، فلا شريك له فى الخلق ، ولاشريك له فى تصريف الأمور ، ولايتدخل فى تصريفه للكون والحياة أحد ، ولايرزق الناس معه أحد ، ولاينفع أو يضر غيره أحد ، ولايتم شىء فى هذا الوجود صغيراً أو كبيراً إلا بإذنه ورضاه (١٠) .

إذن هذا الإيمان الذى جاء به الإسلام : هو الإيمان الشامل الذى يليق بهذه الأمة الوارثة لدين الله ، القائمة على دعوته فى الأرض إلى يوم القيامة الضاربة الجذور فى أعماق الزمان ، السائر فى

(٧) جمال الدين محمود ، أصول المجتمع الإسلامى ، ص : ١٠ .

(٨) جمال الدين محمود ، أصول المجتمع الإسلامى ، ص : ١١ .

(٩) محمد الطهطاوى ، النصرانية والإسلام ، ص : ٣١١ ـ ٣١٢ بتصرف .

موكب الدعوة ، وموكب الرسول - ﷺ - وموكب الإيمان الممتد فى شعاب التاريخ البشرى ، الإيمان الذى يتمثل البشرية كلها منذ نشأتها إلى نهايتها (١١) .

قال تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ۝٢١ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾

(البقرة : الآيتان ٢١ - ٢٢)

ثانياً : الإيمان بكتب الله المنزلة على الأنبياء ، سواء منها ما أنزل على محمد - ﷺ - ، وما أنزل على إخوانه الأنبياء السابقين ، لأن هذا الإيمان عنصر من عناصر الإسلام ، لايتحقق إلا به (١٢) .

قال تعالى : ﴿ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ ۚ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾ (البقرة : آية ٢٨٥)

فالإيمان بالله يقتضى الاعتقاد بصحة كل ما جاء من عند الله - عز وجل (١٣) .

ثالثاً : الإيمان بجميع الرسل الذين أرسلهم الله إلى عباده ، من لدن آدم - عليه السلام - إلى محمد - ﷺ - لأن الله اصطفاهم من عباده وحملهم رسالته عن طريق ملائكته .

قال تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِي إِلَيْهِمْ ۚ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾

(النحل : آية ٤٣)

وقال تعالى :

﴿ ۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ ۖ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ ۚ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ۚ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴾ (الشورى : آية ١٣)

فالإيمان بالله - سبحانه وتعالى - يقتضى صدق كل الرسل ، الذين يبعثهم الله ، ويقتضى الإيمان بوحدة الأصل ، الذى تقوم عليه رسالتهم وتتضمنه الكتب التى نزلت عليهم ، ومن ثم لاتقوم التفرقة بين الرسل فى ضمير المسلم ، فكلهم جاء من عند الله بالإسلام فى صورة من صوره المناسبة لحال القوم الذين أرسل إليهم ، حتى انتهى الأمر إلى خاتم النبيين محمد - ﷺ - فجاء بالصورة - الأخيرة للدين الواحد ، لدعوة البشرية كلها إلى يوم القيامة (١٤) .

فالإيمان بوحدانية الله ، والإيمان بكتبه ، ورسله ، عناصر رئيسية فى العالمية التى جاء بها الإسلام . . . ولكن ألا ترى معى : أن عالمية الإسلام قضية لابد لها من أدلة تدعمها ، وشواهد تثبتها ، ولهذا سأحاول أن أعرض هذه الأدلة لتكون علائم الكمال ، ومعالم الطريق فى عالمية الدين الإسلامى .

المجموعة الأولى : أدلة تعتمد على ماورد فى كتاب الله ، وسنة نبيه محمد - ﷺ - من قوله وفعله . إذن هذه الأدلة تقوم على الكتاب والسنة . . وأدلة الكتاب : جاءت منها آيات

---

(١٠) ، (١١) سيد قطب ، فى ظلال القران ، ج : ١ ، ص : ٣٤٠ ، ٣٤١ بتصرف .

(١٢) محمد الطهطاوى ، النصرانية والإسلام ، ص : ٣١٨ .

(١٣) سيد قطب ، فى ظلال القران ، ج : ١ ، ص : ٣٤٢ .

(١٤) سيد قطب ، فى ظلال القران ، ج : ١ ، ص : ٣٤٢ ، بتصرف .

مكية ، تدل على أن وصف العالمية لازم الدعوة الإسلامية من أيامها الأولى ، ومنذ أشرقت على الناس ، كما جاءت منها آيات مدنية تنبىء عن العالمية واستمراريتها .

ومن الآيات المكية : قوله تعالى :

﴿ وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ﴾ (القلم : آية ٥٢)

وقوله تعالى :

﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ﴾ (التكوير : آية ٢٧)

وقوله تعالى ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ﴾

(يوسف : آية ١٠٤)

و﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَالَمِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾ (الأنعام : آية ٩٠)

وقوله تعالى : ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾

(الأعراف : آية ١٥٨)

وقوله تعالى : ﴿ وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنبَغِي لَهُ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُّبِينٌ ﴿٦٩﴾ لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ (يس : الآيتان ٦٩ - ٧٠)

ومعنى من كان حياً : كل من ثبتت له الحياة [١٥] . وهذه الآية تبين وظيفة القرآن : بأنه نزل على الرسول - ﷺ - لينذر به من به حياة [١٦] .

وقوله تعالى : ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ﴾ (الفرقان : آية ١)

وقوله تعالى : ﴿ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُم بِهِ وَمَن بَلَغَ ۚ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ آلِهَةً أُخْرَىٰ ۚ قُل لَّا أَشْهَدُ ۚ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴾ (الأنعام : آية ١٩)

وقوله : ﴿ ومن بلغ ﴾ : عطف على المخاطبين من أهل مكة ، أى : لأنذركم به ، وأنذر كل من بلغه القرآن من العرب والعجم ، وقيل : من الثقلين ، وقيل : من بلغه القرآن إلى يوم القيامة [١٧] .

وفى تفسير قوله تعالى : ﴿ ومن بلغ ﴾ : قول آخر ، وهو أن يكون بمعنى : احتلم ، وبلغ حد التكليف [١٨] .

وقوله تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾

(سبأ : آية ٢٨)

وقوله تعالى :

﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۚ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ ﴾

(الشورى : آية ٧)

وأم القرى : هى مكة ، وهى قلب الأرض ، بمنزلة الرأس من الجسد لسائر الدنيا [١٩] ، ومن حولها: أهل البدو والحضر [٢٠] . ويشمل كل

---

(١٥) عطية صقر ، الدين العالمى ومنهج الدعوة إليه ، ص : ١٨ .

(١٦) سيد قطب ، فى ظلال القران ، ج : ٥ ، ص ٢٩٧٥ .

(١٧) الفخر الرازى ، التفسير الكبير جـ : ١ ، ص : ١٨٨ .

(١٨) المصدر السابق . ويقول سليمان بن عمر الشهير بالجمل فى تفسيره فى « ومن بلغ » ثلاثة اقوال :

احدها : إنه فى محل نصب عطفاً على المنصوب فى « لانذركم » وتكون « من » موصولة . والعائد عليها من صلتها محذوف ، اى : ولانذر الذى بلغه القران .

والثانى : إن فى « بلغ » ضميراً مرفوعاً يعود على « من » ويكون المفعول وهو منصوب المحل - ايضاً - نسقاً على مفعول « لانذركم » والتقدير ولانذر الذى بلغ الحلم ، فالعائد هنا مستقر فى الفعل .

والثالث : إن « من » مرفوعة المحل ، على الضمير المرفوع فى « لانذركم » وجاز ذلك لان الفصل بالمفعول والجار والمجرور اغنى عن تاكيده . والتقدير : لانذركم به ، ولينذركم الذى بلغه . (الجمل الفتوحات الإلهية ج ١ ، ص ١٤) .

(١٩) عبد القادر احمد عطا ، لماذا بعث الرسول فى مكة ؟ ص : ١٣ .

(٢٠) الفخر الرازى ، التفسير الكبير جـ : ١٤ ، ص : ١٤٨ .

الناس غير المقيمين فيها فكل حى على وجه الأرض مقيم حول مكة ، فهى مركز الدائرة ، وقطرها ممتد بين كل نقطتين على المحيط العالمى [21] .

وقوله تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾

(الأنبياء : آية ١٠٧)

هذه معظم الآيات المكية التى جاء فيها التأكيد الواضح لعالمية الإسلام .

أما الآيات المدنية : فقوله تعالى :

﴿ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَأَسْلَمْتُمْ ۚ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوا ﴾ (آل عمران : آية ٢٠)

وقوله تعالى ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾

(آل عمران : آية ٨٥)

وقوله تعالى : ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا ﴾

(آل عمران : آية ٦٤)

وقوله تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴾

(التوبة : آية ٣٣)

وإذا انتقلنا بعد ماذكرنا من آيات القرآن الكريم ، إلى السنة النبوية وجدناها الصدى المتجاوب مع آيات الله .

يقول رسول الله - ﷺ - : « كان كل نبى يبعث إلى قومه خاصة ، وبعثت إلى كل أحمر وأسود » [22] .

ويقول رسول الله - ﷺ - « إنى رسول الله إليكم خاصة ، وإلى الناس كافة » [23] .

وفى كتاب النبى - ﷺ - إلى « جيفر » و « عياذ » ابنى الجلندى ملكى عمان ، قوله : « فإنى رسول الله إلى الناس كافة ، لأنذر من كان حياً ويحق القول على الكافرين » [24] .

وفى حديث البراء بن عازب - عند حفر الخندق - فى غزوة الأحزاب ، وقد اعترضت المسلمين صخرة ، وهم يحفرون ، جاء قولهم : فاشتكينا ذلك للنبى - ﷺ - فجاء وأخذ المعول فقال : « باسم الله ، ثم ضربه فنشر ثلثها » . وفى رواية : فخرج نور أضاء ما بين لابتى المدينة ، وقال : « الله أكبر ، أعطيت مفاتيح الشام ، والله إنى لأرى قصورها الحمر الساعة من مكانى هذا » . قال : ثم ضرب الثانية ، فقال : « باسم الله » ، فقطع ثلثاً آخر فقال : « الله أكبر ، أعطيت مفاتيح فارس ، والله إنى لأبصر قصر المدائن الأبيض » . ثم ضرب ثالثة ، وقال : « باسم الله » فقطع الحجر وقال : « الله أكبر

---

(٢١) عطية صقر ، الدين العالمى ومنهج الدعوة إليه ، ص : ١٩ .

(٢٢) رواه مسلم فى صحيحه بشرح النووى ، كتاب المساجد ، جـ ٥ ، ص : ٣ .

(٢٣) رواه البخارى فى صحيحه مع فتح البارى ، كتاب الصلاة ، باب جعلت لى الارض مسجداً وطهورا ، جـ ١ ، ص : ٥٣٣ .

(٢٤) القسطلانى ، المواهب اللدنية ، جـ ١ ، ص :٢٢٥ ، طـ : البابى الحلبى ، بمصر .

« أعطيت مفاتيح اليمن ، والله إنى لأبصر باب صنعاء » (٢٥) .

وعن عدى - رضى الله عنه - أن النبى - ﷺ - قال له : « ولئن طالت بك حياة لتفتحن كنوز كسرى » قلت : كنوز كسرى بن هرمز؟ قال : « كنوز كسرى بن هرمز » . وكنت فيمن افتتح كنوز كسرى بن هرمز(٢٦)

وقال : رسول الله - ﷺ - « إنكم ستفتحون مصر وهى : أرض يسمى فيها القيراط ، فإذا فتحتموها ، فأحسنوا إلى أهلها فإن لهم ذمة ورحماً . . . أو قال : ذمة وصهراً » (٢٧) .

وعن جابر - رضى الله عنه - قال : قال رسول الله - ﷺ - : « أعطيت خمساً ، لم يعطهن أحد من الأنبياء من قبلى : نصرت بالرعب مسيرة شهر ، وجعلت لى الأرض مسجداً وطهوراً ، فأيما رجل من أمتى أدركته الصلاة فليصل ، وأحلت لى الغنائم ، ولم تحل لأحد قبلى ، وأعطيت الشفاعة ، وكان النبى يبعث إلى قومه خاصة ، وبعثت إلى الناس كافة » .

هذه الأحاديث وغيرها - مما جرى مجراها فى التبشير بالفتح - ونشر دين الله ، تدل دلالة أكيدة ، لا لبس فيها ولاغموض ، على عالمية الدين الإسلامى ، وأنه سينشر فى هذه الأصقاع والأمصار التى أشارت إليها الأحاديث وغيرها .

المجموعة الثانية :

تقوم أدلتها على العوامل الأساسية ، إذ أن المقومات الأساسية ، الخالدة للإسلام : إنه قائم على العقل والبرهان ، وأن هناك - أصولا أولية يتألف منها دستور علمى ، يوجه إلى ينابيع الحكمة ، وهى تنحصر فى هذه الكليات التى تفيد : دوام النظر ، والتفكير فى الوجود إجمالاً ، وفى الكائنات التى فيه تفصيلاً ، ودرس أحوال الأمم ، والاعتبار بها ، وتنور نواميس الاجتماع من خلالها ، والاستهداء بالأعلام المنصوبة فى الوجود لهداية السالكين إلى الحقائق الخالصة من الشوائب ، والتجرد من جميع الصيغ الوضعية ، ومن الهوى فى الحكم على الأشياء ، والاجتهاد فى تحصيل العلم حيث كان ، واعتبار الفضائل وسائل لبلوغ الكمال ، الذى قدره الخالق للإنسان فى هذا العالم ، واعتبار وحدة الإنسانية ، وأن الناس ما قسموا إلى أمم وشعوب وقبائل ، ليتخالفوا ويتناكروا ، وإنما ليتعارفوا ويتحابوا (٢٨) .

ويضاف إلى ما سبق من عوامل أساسية كدليل على عالمية الإسلام : إن كلمة « الإسلام » لاتدل على اسم شخص بعينه ، أو أمة بعينها ، وإنما تدل على صفة مخصوصة يضمنها معنى الإسلام .

ويظهر من هذا الاسم : أنه ما عنى بإيجاد هذا الدين وتأسيسه رجل من الرجال ، وليس خاصاً بأمة معينة ، دون سائر الأمم ، وإنما غايته أن يحلى

البقية ص ٢٢٩

(٢٥) رواه احمد فى مسنده ج ٤ ، ص : ٣٠٣ بنفس اللفظ ، ورواه النسائى فى سننه ، كتاب الجهاد ، غزوة الترك والحبشة ، جـ٦ ، ص : ٤٣ ، مع اختلاف فى الألفاظ .

(٢٦) رواه البخارى فى صحيحه مع فتح البارى ، كتاب المناقب ، باب علامات النبوة جـ٦ ، ص : ٦١ .

(٢٧) رواه مسلم فى صحيحه ، كتاب فضائل الصحابة ، باب وصية النبى - ﷺ - جـ٤ ، ص : ١٩٧٠ ، رقم الحديث : ٢٢٧ ، ورواه احمد فى مسنده جـ٥ ، ص : ١٧٤ ، جـ٥ ، ص : ٣٧٨ .

(٢٨) عطية صقر ، الدين العالمى ومنهج الدعوة إليه ، ص : ٢٤ - ٢٥ .

مصر تشرفت

بيوسف وموسى

عليهما السلام

لفضيلة الشيخ: السيد عبد المقصود عسكر*

بعض الباحثين ينفى أن موسى عليه السلام قد ولد فى مصر ، ويؤكد أنه لم يعش بها بل ولم يذهب إليها على الإطلاق . كما أن يوسف لم يكن فى مصر هذه .
ونحن لا ندرى حقيقة الهدف الذى جعل هؤلاء يتبنون هذه المزاعم التى تتعارض مع ما جاء فى القرآن الكريم .
نقول ذلك بمناسبة ما كتبه السيد / عبد الصمد الخطيب من دمشق فى صحيفة الهدف الأسبوعية التى تصدر فى الكويت فى عددها رقم ١٤٩٨ بتاريخ ١٩٩٧/٣/١ م
وهو يستنكر ما سبق نشره فى الصحيفة بقلم السيد / أسامة السعداوى من أن موسى ـ عليه السلام ـ قد ولد بمصر وعاش فيها .
وزعم السيد / عبد الصمد الخطيب أن كل ما يدور حول ولادة موسى ـ عليه السلام ـ ونشأته فى مصر وكذلك ما قيل عن فترة زمنية قضاها يوسف ـ عليه السلام ـ فى مصر وما جرى فى تلك الفترة إنما يمثل إسقاطات توراتية وتزويرا للتاريخ .

* الأمين العام المساعد للثقافة الإسلامية

واعتمد السيد / عبد الصمد الخطيب فى هذا الادعاء على أقوال نسبها إلى الدكتور أحمد داود كما جاءت فى برنامج له على القناة الفضائية السورية .

وباطلاعنا على المقال المذكور نحب أن نقول ما يأتى :

١ ـ يقول الكاتب إن مصر سميت بهذا الاسم فى عهد عمرو بن العاص . ويبنى على هذا الزعم الذى لا يستند إلى دليل أن قول الله تعالى فى سورة يوسف على لسان يوسف ـ عليه السلام ـ وهو يخاطب أبويه وأهله

﴿ ٱدْخُلُوا۟ مِصْرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ﴾

(يوسف : ٩٩)

لا يشير إلى البلد المعروف بهذا الاسم فى عصرنا وإنما هى عشيرة عربية تعيش فى شبه الجزيرة العربية .

وهذا كلام ساقط لا يرقى إلى مستوى المعقولية لأنه ليس من المعروف فى التعبير الشائع أن يقال للناس ادخلوا فى العشيرة ، إنما يقال للقادمين من سفر حين يتم الترحيب بهم فى البلد الذى وصلوا إليه : ادخلوا هذا البلد بأمن وسلام على الرحب والسعة . وهذا هو ما حدث مع إخوة يوسف وأبويه لأنهم قدموا من سفر ونزلوا على يوسف ـ عليه السلام ـ بعد أن مكن الله له في أرض مصر وجعله عزيزا لها . وهو لقب يلقب به رئيس وزراء مصر فى ذلك الزمان . يقول الله تعالى :

﴿ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَآءُ ۚ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَآءُ ۖ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾

(يوسف : ٥٦)

وذلك حين اختاره ملك مصر ليكون وزيراً له يتولى أمور الاقتصاد وجعله على خزائن الأرض لأنه حفيظ عليم .

ثم إنه عندما حضر إخوته للقائه بأمر أبيهم للبحث عن مصير أخيهم قالوا له كما جاء فى كتاب الله

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا ٱلضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَٰعَةٍ مُّزْجَىٰةٍ فَأَوْفِ لَنَا ٱلْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَجْزِى ٱلْمُتَصَدِّقِينَ ﴾

(يوسف : ٨٨)

ومن بداية القصة يظهر بوضوح أن قافلة التجار التى انتشلت يوسف من الجب الذى ألقاه فيه إخوته سافروا به إلى وجهتهم وباعوه لعزيز مصر فى ذلك الزمان يقول الله تعالى :

﴿ وَجَآءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا۟ وَارِدَهُمْ فَأَدْلَىٰ دَلْوَهُۥ ۖ قَالَ يَٰبُشْرَىٰ هَٰذَا غُلَٰمٌ ۚ وَأَسَرُّوهُ بِضَٰعَةً ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍۭ بَخْسٍ دَرَٰهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلزَّٰهِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَالَ ٱلَّذِى ٱشْتَرَىٰهُ مِن مِّصْرَ لِٱمْرَأَتِهِۦٓ أَكْرِمِى مَثْوَىٰهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا ۚ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾

(يوسف : ١٩ ـ ٢١)

ثم إنه لو كانت المشار إليها في الآيات المتعددة من سورة يوسف هى غير مصر التى نعرفها لكان من اللازم أن يبينها الله تبارك وتعالى أو يبينها رسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ حتى لا يختلط الأمر على السامعين لو كانت هناك مصر أخرى .

٢ ـ يقول الكاتب : إن قول إخوة يوسف لأبيهم « واسأل القرية التى كنا فيها » أكبر دليل على أنهم كانوا فى قرية مجاورة لأن سيدنا يعقوب كان قادرا على أن يسأل بسهولة . (أى أنها ليست فى مصر) .

وهذا كلام لا يمت إلى العلم بصلة لأننا إذا تأملنا الآيات القرآنية سنجد أنها تشير بوضوح إلى قرية من قرى مصر حدثت عندها حكاية ظهور صواع الملك فى رحل أخى يوسف ، وهو الأمر الذى اعتمد عليه يوسف فى استبقاء أخيه معه وانتزاعه من إخوته . يقول الله تعالى :

﴿ فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ السِّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ ﴾

(يوسف : ٧٠)

والعطف بثم يدل على أنهم قطعوا مسافة ما فى طريق العودة إلى ديارهم حتى كانوا عند هذه القرية وهى من قرى مصر .

ولنتأمل أيضاً هذه الآية

﴿ وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴾

(يوسف : ٨٢)

لنجد أن المعنى واسأل أهل القرية التى انكشف عندها ظهور حادث السرقة واسأل أيضاً رفقاءنا فى رحلة السفر من هناكِ إلى هنا .

ولو فرض أن يعقوب يتعذر عليه الذهاب إلى القرية فلن يتعذر عليه سؤال الرفقاء ثم إن قول الله تعالى :

﴿ وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَن نَّفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾

(يوسف : ٣٠)

يشير بوضوح إلى العاصمة التى يسكنها عزيز مصر الذى نشأ يوسف فى بيته وابتلى بفتنة النساء التى نجاه الله منها .

٣ - يقول الكاتب : وقصة عبور موسى البحر فالبحر هو المقصود به البحيرة الكبيرة وحدث ذلك فى شبه الجزيرة العربية جنوبا من وادى الدواسر .

ونحن نسأل : لماذا لا يكون المراد بالبحر هو البحر ؟ ولماذا العدول عن ظاهر العبارة ؟ ولماذا ينفى الكاتب الحقيقة المتواترة التى تقول إن فرعون كان لقبا لملوك قدماء المصريين وما هو الهدف من ذلك ؟

إن الله تبارك وتعالى أخبر فى كتابه العزيز أنه حين خرج موسى مع قومه مهاجرا بأمر الله اتجه بهم شرقا ، ولما تتبعه فرعون وجنوده أمر الله موسى أن يضرب البحر بعصاه ولما فعل انفلق البحر وعبر موسى ومن معه ، فلما حاول فرعون اللحاق بهم ضمهم البحر وغرقوا وقد ذكر البحر مرات عديدة فى هذه القصة . ومن ذلك قول الله تعالى : ﴿ فَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾ وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ الْآخَرِينَ ﴿٦٤﴾ وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُ أَجْمَعِينَ ﴿٦٥﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ ﴾

(الشعراء : ٦٣ - ٦٦)

٤ - : يقول الكاتب : لا يوجد دليل تاريخى نهائيا على أن موسى دخل مصر (بلاد النيل مجازا) ونحن لا يعنينا أن يوجد دليل تاريخى أو لا يوجد . فمعلوم أن عدم الوجادة لا يدل على عدم الوجود وأيضاً فإن التاريخ لم يسجل كل شيء . وليس من الضرورى أن يكون كل ما سجله التاريخ صادقا ، فقد أثبت التاريخ لبعض ذوى السلطان أعمالا نسبوها لأنفسهم زورا .

وكل الذى يعنينا فى هذا الشأن ما سجله القرآن الكريم لأنه الكتاب الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ولأنه نزل بالحق . يقول الله سبحانه :

﴿ وَبِالْحَقِّ أَنزَلْنَٰهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴾

(الإسراء : ١٠٥)

وقد أكد القرآن الكريم أن موسى ـ عليه السلام ـ من بنى إسرائيل وأنه ولد فى مصر فى عهد أحد الفراعنة الذى كان يذبح أبناء بنى إسرائيل ويستحيى نساءهم وأن أمه حين ولدته وضعته فى تابوت وألقت به فى اليم بإلهام من الله لها . وأن آل فرعون التقطوه ونشأ فى بيت فرعون ثم لما شب عن الطوق اضطر للهجرة من مصر وذهب إلى أرض مدين وتزوج هناك من ابنة رجل صالح . وفى طريق عودته اختاره الله رسولا وعاد إلى مصر ليواجه فرعون بأمر الله وفى حمايته .

ولقد تباهى فرعون بما هو فيه من ملك وجاه ونفوذ وسلطان وحكى القرآن الكريم مقالته عن ذلك فى الآية التالية:

﴿ وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِى قَوْمِهِۦ قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَيْسَ لِى مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ تَجْرِى مِن تَحْتِىٓ ۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ (الزخرف : ٥١)

وهذا ما ينطبق تماما على مصر التى نعرفها والتى حكمها ملوك لقبوا بالفراعنة وهى البلد التى تجرى فيها الأنهار . وذلك لا ينطبق على أى مكان فى شبه جزيرة العرب .

٥ ـ ثم إن رجلا من قوم فرعون آمن بموسى ـ عليه السلام ـ وكان يكتم إيمانه لكنه اضطر إلى إعلانه حين علم بوجود مؤامرة لقتل موسى ـ عليه السلام ـ وتصدى لهذه المؤامرة وراح يدعو فرعون وقومه إلى سبيل الرشاد . وكان مما قال لهم كما جاء فى كتاب الله:

﴿ وَلَقَدْ جَآءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا زِلْتُمْ فِى شَكٍّ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِهِۦ رَسُولًا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ ﴾ (غافر : ٣٤)

والقصة بتمامها مذكورة فى سورة غافر (المؤمن) ومنها يظهر أن موسى ـ عليه السلام ـ كان فى مصر ومن قبله كان يوسف أيضاً فى مصر .

فلماذا ينكر الكاتب هذه الحقائق وما هى فائدة هذا الإنكار ؟

٦ ـ ثم إن القرآن الكريم أخبرنا أن الله تبارك وتعالى كلم موسى واختاره رسولا ، وأن ذلك بالطور من سيناء بالوادى المقدس فى طريق عودته إلى مصر من أرض مدين فى بلاد الشام .

وسيناء والطور أرض مصرية من قديم الزمان . وقد عاد موسى إلى أهله فى مصر والتقى بأخيه هارون وذهبا سويا إلى فرعون ، حيث أمرهما الله بأن يقولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى .

كل ذلك مسجل بوضوح فى القرآن الكريم فى سور طه والشعراء والقصص وغيرها . فلماذا تنكر هذه الحقائق وما هى فائدة هذا الإنكار ؟

يقول الله تعالى مخاطبا محمدا ـ صلى الله عليه وسلم ـ ﴿ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَٰكِن رَّحْمَةً مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ (القصص : ٤٦)

وهو الوادى المقدس المذكور فى سورة طه فى قول الله تعالى ﴿ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ يَٰمُوسَىٰٓ ﴿١١﴾ إِنِّىٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ ۖ إِنَّكَ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ﴾

(طه : ١١ ـ ١٢)

هناك ناداه واجتباه واختاره رسولا وذلك فى طريق عودته ، كما يشير إلى ذلك قول الله تعالى :

﴿ فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا۟ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴾ (القصص : ٢٩)

٧ ـ كل ما سبق يؤكد بما لايدع مجالا للشك أن يوسف ـ عليه السلام ـ بيع فى مصر وتعرض للفتنة فى بيت عزيز مصر ، ودخل السجن مظلوما فى مصر وفسر الرؤيا التى رآها ملك مصر تفسيرا صحيحا وأنه بعد ذلك خرج من السجن بعد أن ثبتت براءته وطهارته ومكن الله له فى أرض مصر وجعله على خزائن الأرض . وأنه صار بعد ذلك كبير وزراء مصر واستقدم أهله إلى مصر وعاشوا بها وبقوا فيها إلى أن كانت ولادة موسى ونشأته فى مصر وكان بينه وبين فرعون مصر ما كان مما سجله القرآن الكريم ، ثم كانت هجرته مع قومه فى مصر ، حيث عبر بهم البحر الذى انفلق بأمر الله فكان كل فرق كالجبل الأشم .

كل هذه الواقعات والحوادث جرت على أرض مصر ، كما يؤكد ذلك القرآن الكريم ولا شأن لنا بما جاء فى التوراة فنحن لانقبلها كمصدر لقصص الأنبياء لأسباب كثيرة تجعلها غير موثوق بها ، كما أنه لا يعنينا إن كان التاريخ قد سجل ذلك أو لم يسجله ، فلدينا المصدر الموثوق به وهو القرآن الكريم ، ولن نحيد عما جاء به حتى لا نضل مع الضالين .

والله يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم .

قبس من أنوار النبوة ـ بقية

كل الحوادث مبداها من النظر
ومعظم النار من مستصغر الشرر
والمرء مادام ذاعين يقلبها
فى أعين الغيد موقوف على الخطر
كم نظرة فعلت فى قلب صاحبها
فعل السهام بلا قوس ولا وتر
يسر مقلته ماضر مهجته
لا مرحبا بسرور جاء بالضرر

إن الإسلام يغلق أبواب الفتنة ويوصد أبواب الشر ، وللشيطان ألاعيب وأساليب تغرى بالإثم ، وتحض على الفتنة .

فهل يتعظ بهذه التعاليم أولئك الذين يرسلون نظراتهم الخبيثة فى وسائل المواصلات والشوارع والطرقات . وهل يغض المؤمنون والمؤمنات البصر عن محارم الله . قال ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « ثلاثة لا ترى أعينهم النار : عين حرست فى سبيل الله ، وعين بكت من خشية الله ، وعين كفت عن محارم الله » « رواه الطبرانى » .

حقوق الإنسان

في الإسلام

للأستاذ الدكتور
محمد شامة

حرية ومساواة :

احتلت حقوق الإنسان منذ الثورة الفرنسية مكان الصدارة ، فى كل منشور عقائدى ، وتحلى كل بيان مذهبى بالدعوة إلى المحافظة عليها ، ومحاربة كل من يعتدى عليها فى أى مكان ، وتحت أى نظام من النظم السائدة فى المجتمعات البشرية ، حتى صارت الآلة التى يضرب على وترها كل من يريد تأييدا جماهيريا ، وأغنية يرددها أنصار كل مذهب ، حتى ولو طفحت تصرفات أتباعه ، بما يتنافى مع أدنى المبادىء التى تحافظ على حقوق الإنسان ، وتؤمن له حريته وما ذاك إلا لأن أغنية حقوق الإنسان أصبحت من النغمات التى تجد قبولا لدى البائسين والمحرومين ، ويسعى المضطهدون فى كل مكان إلى مناشدة أصحاب الضمائر الحية ، لبذل كل ما فى وسعهم لتحويل كلماتها إلى حقائق ، وتجسيم نغماتها فى المجتمع البشرى ، كى تختفى صور الظلم والاضطهاد ، وتنمحى مظاهر ظلم الإنسان لأخيه الإنسان .

ورغم كل هذه الضجة الإعلامية التى تتخذ حقوق الإنسان مادة لها ، فلا زالت صور البؤس والشقاء الأدمى تغطى معظم مناطق الكرة الأرضية ، بل لازال من اشتهروا بالدعوة إليها يأتون من الأعمال ، مايناقضها فى أماكن عديدة ، ينقضون أبسط مبادئها فى أقطار شتى ، حتى ضاعت ثقة الإنسان بفاعلية المؤسسات التى كرست جهودها فى هذا الميدان ، ورصدت الأموال الطائلة تحت بند العمل على محاربة ظواهر ضياع الكرامة الإنسانية .

فلو أدرك المهتمون بهذا الجانب ماقرره الإسلام فى هذا المجال ، منذ أربعة عشر قرنا ، فاهتموا بإبرازه على الساحة الدولية ، والأقاليم العرقية ، لظهرت آثاره بشكل أكثر وضوحا ، مما يمارسه الداعون إلى هذه الحقوق اليوم على أساس مذهبى ، أو عرقى ، أو إقليمى ، ولعُمِّقت جذوره فى ضمير المجتمع ، بحيث لا يقدر على محوها الطغاة والمتكبرون ، مهما كثر أنصارهم ، وقوى عتادهم ، لأن كل مايرتكز على طبيعة الإنسان ، ويستند إلى مصدر إلهى ، تكون فرصته فى سرعة الانتشار أكبر من غيره ، وطبيعته فى الدوام والاستقرار أكثر صلابة مما يقوم على رأى بشرى ، أو يصدر من اتجاه إنسانى .

فقد بين الإسلام أن الله خلق الإنسان ، ومنحه الحرية فى سلوكه وتصرفاته ، فحرى بهذا المخلوق بناء على هذا العطاء الإلهى :

ـ أن يكون حرا فى التعبير عن أفكاره ، وفى اعتناق مايراه صالحا لنفسه ومجتمعه ، وفى الإيمان بما يميل إليه عقله ويقتنع به ، فلا يجوز لأحد أن يصادر حريته فى هذا المجال ، وإلا أعطى لنفسه حقا لم يشأ الله أن يستعمله مع خلقه ، وتصدى لطبيعة خلقها الله فى الإنسان ، وكبت غريزة لا تستقيم حياة الإنسان بها ، ولا تصلح النظم الاجتماعية إلا بظهورها ، ولا تسير حياة الأمم فى مجراها الطبيعى إلا إذا تمتع أفرادها بهذه الحرية .

وحق طبيعى لهذا الإنسان :

ـ أن يحصل على حقه مما سخره الله له ، فلا يجوز لأحد أن يحرمه من هذا الحق ، فليس لأمة أن تستأثر بالموارد الطبيعية دون غيرها ، ولا لشعب الاستحواذ على مايرفع مستوى معيشته ، بينما يحتاج غيره من الشعوب إلى ما تسد به رمقها .

ولا لجنس أن يملأ بطون أفراده بأطايب الأطعمة ولذائذ الأشربة ، بينما شعوب أخرى يقتلعها الجوع بعد أن تمر بطريق طويل تذوق فيها ألوانا من الحرمان ، وصنوفا من آلام تتعرض لها أبدانها العارية وبطونها الخاوية ، وأجسادها التى أصبحت مستعمرة للأمراض ، وموطنا لكل أنواع العلل والأسقام .

أكد الإسلام على هذين الأمرين : الحرية والمساواة فى حقوق الانتفاع بما سخره الله للإنسان ، لأنهما أساس العدل فى المجتمع الإنسانى ، ومصدر تقرير عزة الإنسان وكرامته ، وسياج المحافظة على إنسانية الإنسان ، فلا تهدر ، ولا تهان ، ولا يلحقها مايشينها ، أو يحط من مكانتها التى بوأها الله إياها ، فإذا تقرر هذا لدى ضمير المجتمعات الإنسانية وحافظت عليه الحكومات ، واعترف به دعاة المذاهب والاتجاهات الفكرية ، وآمن به كل فرد إيمانا راسخا ، بحيث يكون مستعدا للدفاع عنه بكل ما أوتى من وسائل ، وما تيسر له من سبل ، لاختفت ظواهر الظلم ، ومعالم الاستغلال من المجتمعات البشرية ، فلا ينال أحد أكثر مما يستحق ،

ولا يحرم إنسان من حق الحياة على نحو يحفظ عليه إنسانيته وكرامته ، ويومئذ يشعر المرء بالأمن والأمـان ، والاطمئنان والاستقـرار ، وذلك ما تهدف التعاليم الإسلامية إلى تحقيقه للإنسان فى الدنيا ، فضلا عن مجازاته فى الآخرة على حسن عمله فى دنياه .

﴿ فَآتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ ﴾

(آل عمران ١٤٨)

إصلاح وسعادة :

رفع الإسلام مكانة الإنسان ، فاعترف بجميع العناصر التى يتكون منها ، سواء كانت مادية أو روحية ، إذ لم يفرض عليه من العبادات مايرفع به نفسه وروحه ، ويهمل بدنه وجسمه كما فى بعض الأديان ، ولم يتركه مطلق العنان فى مجال إشباع الغرائز ، حتى لا يدمر نفسه ، ويصدع بنيان مجتمعه ، بل اعترف بروحه وجسده ، ففرض عليه من العبادات مايصفى هذه الروح من الشوائب ، وينقيها من الأثام ، ويطهرها من الرجس ، ويبعدها عن موطن الأثام ، ويحول بينها وبين الانحدار إلى ما يعكر صفوها ، ويطمس شفافيتها ، ويقضى على بهائها ونقائها ، وفى الوقت نفسه لم يفرض عليه أن يكبت غرائز بدنه ، ويميت متطلبات تكوينه الجسمى ، فلم يحرِّم عليه طيبا ، ولم يمنعه من إشباع غرائزه ، سواء كانت عن طريق الطعام والشراب ، أو بمباشرة الاتصال النوعى ، مادام ذلك فى الإطار العام الذى رسمه لحياة الأفراد والمجتمعات ، يقول تعالى : ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ (الأعراف ٣٢) .

ويقول : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ۝٨٧ وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴾ (المائدة ٨٧ ، ٨٨) .

ويقول : ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (الروم ٢١) .

تعتبر هذه النظرة إلى الإنسان سموا به ، ورفعا لشأنه ، وبيانا بأن الله الذى خلقه فى أحسن صورة ، فرض عليه من الأحكام مافيه صلاحه جسميا ونفسيا ، وما يعود عليه بالسعادة بدنيا وروحيا ، فلم يعذبه بحرمان جسدى ، ولم يثقل كاهله بواجبات دينية ، يقول تعالى :

﴿ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَٰكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ (المائدة ٦) .

ويقول رسول الله ﷺ :

« إن لبدنك عليك حقا ، وإن لزوجك عليك حقا ، وإن لزورك - يعنى زوارك وضيوفك - عليك حقا ، فاعط كل ذى حق حقه » . أخرجه البخارى فى كتاب الصوم وكتاب الأدب .

اعترف الإسلام بالكيان الإسلامى كله : جسمه وروحه ، عقله وقلبه ، إرادته ووجدانه ، ولهذا لم يغفل جانبا من هذه الجوانب فى خطابه له .

ففى الخطاب المادى :

أمره بالسعى فى الأرض ليأكل من طيباتها ويستمتع بما فيها ، وما يمكنه أن يستخرجه منها ، كما حثه على النظافة والتجميل ، بشرط الاعتدال

فى ذلك كله . كما نهاه عما يضره بدنيا ، فحرم عليه المسكرات بجميع أنواعها حتى لا يضر جسمه ، فيعجز عن القيام بما تفرضه عليه حياته .

وفى الجانب الروحى :

أمره بعبادة الله وحده ، ففرض عليه أنواعا من الطاعات كـ : الصلاة ، والصيام ، والزكاة ، والحج ، والعمرة ، وحثه على الالتزام بما يقربه إلى ربه ، مثل : الذكر ، والدعاء ، والتوكل ، والخوف ، والرجاء ، والبر ، والإحسان والجهاد فى سبيل الله ، وغير ذلك مما يقرب العبد إلى ربه ، ويبعده عن وساوس الشيطان وهواجس الأشرار .

وفى مجال العقل :

أمره بالنظر فى ملكوت السموات والأرض وما بينهما من مخلوقات ، كما حثه على التفكير فى مصائر الأمم ، وسنن الله فى المجتمعات ، فلم يحرم عليه العلم ومعرفة الحكمة ، مهما كان مصدرها ، بل أنكر عليه الجمود والتقليد للآباء والكبراء ، وما ذاك إلا ليدفعه إلى ممارسة شئون الحياة على نحو يلبى كل رغبات عناصر تكوينه .

ولم يهمل جانب إحساسه بجمال ما حوله والتفاعل معه نفسيا وروحيا ، فوجهه إلى النظر والتأمل فى جمال الكون : أرضه وسمائه ، ونباته ، وحيوانه ، لاستكشاف مظاهر الحسن والبهجة فيه ، ليشبع حاسة الجمال عنده ، فيشعر بعظمة الله فى أعماق نفسه وفى ثنايا وجدانه ، يقول تعالى : ﴿ أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴾ (ق ٦) .

ويقول : ﴿ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ۝١٧ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ۝١٨ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ۝١٩ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴾ (الغاشية ١٧: ٢٠) .

ويقول : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ ٱلنَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّٰتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ۗ ٱنظُرُوٓا۟ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَيَنْعِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكُمْ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ (الأنعام ٩٩) .

إن خطاب الله للإنسان على هذا النحو يؤكد أن الإسلام ينظر إلى كيان الإنسان كله ، فلم يهمل جانبا لحساب آخر ، وفى ذلك اعتراف بكل عنصر فيه ، وتقدير لمهمته التى خلق من أجلها ، فسبحان من خلق فأحسن الخلق ، وصور فأبدع التصوير ، يقول تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ۝٦ ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ۝٧ فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ﴾ (الانفطار ٦ : ٨) .

أخوة وتعاون

لم تكن الدعوة إلى تقرير حقوق الإنسان فى الإسلام قاصرة على نصوص تتلى ، أو إعلان يذاع على الناس ، بقصد الدعاية للاستحواذ على عقول الجماهير ، واكتساب تأييد دولى ـ كما هو الحال اليوم على الساحة الدولية ، حيث ترفع كل الأنظمة الدولية هذا الشعار ، وتنفخ أبواق دعاية كل الحكومات على وتره ، دون التزام أى منها بالتطبيق العمل فى ميدان المعاملات مع الشعوب ـ

بل كان مبدأ يجب الإيمان به ، وقانونا سماويا يجب الإذعان والخضوع له ، وشرعا ربانيا يتحتم على كل مسلم تنفيذه ، وإلا حقت عليه كلمة العذاب ، فباء بالخسران المبين ، والعقاب الأليم .

التزم المسلمون بما جاء فى القرآن الكريم فطبقوه فى حياتهم ، حيث اتخذوه نبراسا يهتدون به فى نظرتهم إلى الوجود ، وفهمهم لحركات الكون ، وتقييمهم للحياة الإنسانية ، فكان سلوكهم الاجتماعى قائما على أساس العقيدة التى غرست فيهم كل أنواع الفضيلة ، فتكون لديهم الشعور بالعطف على بعضهم البعض وتأصل فيهم احترام الجانب الأدمى فى الإنسان ، فلا يصدر من أحد ما يؤذى أخاه أو يؤلمه ، ولا يباشر عملا يترتب عليه امتهان كرامة الآخرين أو التقليل من إنسانيتهم ، أو الحجر على حريتهم ، أوالحيلولة بينهم وبين ممارسة مافطرهم الله عليه فى حدود التشريع الإلهى ، وبذلك صاروا إخوة متحابين متعاطفين ، يشعر كل بما يشعر به الأخر ، سواء كان ألما أو انبساطا ، حزنا أو ابتهاجا ، كدرا أو سعادة ، يقول الله تعالى : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ (الحجرات ١٠) .

ومن مقتضيات الأخوة :

العطف ، والرحمة ، ومد يد المساعدة والعون ، والمشاركة فى الأحزان والأفراح ، وعدم الاعتداء والظلم ، وإعطاء كل ذى حق حقه . فلا ظلم ، ولا سلب ، ولا نهب ، بل تعاون وتعاطف وتراحم ، يقول رسول الله ﷺ :

« مثل المؤمنين فى توادهم وتعاطفهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد ، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى » البخارى فى كتاب الأدب .

ويقول :

« المسلم أخ المسلم : لا يظلمه ولا يسلمه ، ومن كان فى حاجة أخيه كان الله فى حاجته يوم القيامة ، ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه كربة من كربات يوم القيامة ، ومن ستر مسلما ستره الله يوم القيامة » . مسند الإمام أحمد .

ألزم الإسلام المسلم بأعمال تجاه أخيه ، من شأنها أن تقوى الروابط بين أفراد المجتمع ، وتعمق الشعور بحقوق الإنسان ، وتؤكد على آدميته ، فلا تدع سبيلا لظهور ما يتعارض مع كرامة الإنسان فى الحياة الاجتماعية ، يقول رسول الله ﷺ :

« حق المسلم على المسلم ست ، قيل : ما هن يارسول الله ؟ قال : إذا لقيته فسلم عليه ، وإذا دعاك فأجبه ، وإذا استنصحك فانصح له ، وإذا عطس فحمد الله فشمته ، وإذا مرض فعده ، وإذا مات فاتبعه » . أخرجه مسلم فى صحيحه .

لأن هذه الوصايا من أهم الدعائم التى يقوم عليها مجتمع متماسك ، يحس فيه الأخ بأخيه ، ويحرص على أن يؤدى ما عليه إزاءه ، ولا يفرط أبدا فى قضاء حاجة أخيه ، أو تلبية دعوته ، إن أصابه مكروه أو ألم به ضرر .

سادت روح الأخوة فى المجتمع الإسلامى ، ورسخت فى أعماق ضمائر المسلمين ، وذلك بالالتزام بما أمرهم الله سبحانه وتعالى فى هذا المجال ، وتذكير بعضهم البعض بما وصاهم به الرسول ﷺ بألا يحقر مسلم أخاه ، ولا ينظر إليه نظرة استعلاء واستكبار ، اعتمادا على نسب ، أو جاه ، أو مال . وقد تناقل المسلمون مرويات تؤكد هذا المعنى ، رددوها فى مدارسهم ومجالسهم ، ولقنوها لأبنائهم حتى يظلوا دائما على ذكر بما يجب عليهم نحو إخوانهم ، ومن هذه المرويات ،

ماروواه البخارى أن أبا ذر وبلالا الحبشى رضى الله عنهما ـ وكلاهما من السابقين الأولين ـ تغاضبا وتسابا ، وفى ثورة الغضب قال أبو ذر لبلال : ياابن السوداء . . . فشكا بلال إلى النبى ﷺ فقال النبى لأبى ذر :

« أعيرته بأمه ، إنك امرؤ فيك جاهلية » . أخرجه البخارى فى الإيمان .

وعن أبى ذر أن النبى ﷺ قال :
« انظر . . فإنك لست بخير من أحمر وأسود ، إلا أن تفضله بالتقوى » أورده أحمد فى مسنده .

كما جاء فى كتب التاريخ أن ابن عمرو بن العاص ضرب ابن أحد المصريين ، وافتخر عليه بأنه أفضل منه وأكرم ، لأنه ابن الوالى ، فذهب أبوه إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب فى المدينة ، وشكا له فاستدعى عمرو بن العاص وابنه ، فلما مثلا بين يدى عمر ، قال لابن المصرى : « اضرب ابن الأكرمين » ، ثم التفت إلى عمرو ابن العاص وقال قولته المشهورة :

« متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا »

فهل يوجد فى التاريخ مشهد أوضح من هذا فى تقرير حقوق الإنسان ؟

ـ إنه مشهد عمل بعيد عن الدعايات المضللة ، والشعارات الكاذبة ، كتلك التى ترددها أبواق الإعلام صباح مساء على المسرح الدولى ، بينما الواقع يصرخ مستغيثا ، فلا يسمع له صوت من كثرة الضجيج الإعلامى الكاذب عن حقوق الإنسان وكرامته .

ـ ومبدأ إسلامى عبر عنه عمر بن الخطاب بقولته التى أصبحت وثيقة من الوثائق الإسلامية التى حافظ عليها المسلمون عبر مسيرة التاريخ إلى يومنا هذا ، ولا زالت منارة المسلمين فى تحديد علاقتهم وسلوكهم مع جميع الناس فى كل بقاع الأرض .

تطبيق لاشعارات :

اتخذت وسائل الإعلام فى كل القوى التى تحاول السيطرة على العالم قضية حقوق الإنسان مادة لها لكسب تأييد المجتمع الدولى ، ومحاربة الآخرين والتضييق عليهم ، فالدول الغربية (المتقدمة) تتهم الدول الشرقية بأنها أهدرت حقوق الإنسان فجعلته آلة فى عجلة الحياة ، لاحق له سوى الأكل والشرب بالقدر الذى يحفظ حياته ، فلا حرية له فى التعبير عن أفكاره وفى الإعراب عن طموحاته ، بل لا يستطيع أن يصرخ من الآلام التى يحملها بين طياته ، ولا يشكو من ظلمه فسلبه حريته ، وإلا أرسل إلى أقصى الأرض حيث يعيش فى صحراء قاحلة ، وتحت ظروف مناخية قاسية ، فيبقى فيها إلى أن يموت فيزيائيا ، بعد أن قتل نفسيا ، لضياع إنسانيته وإهدار كرامته .

وتقابل أجهزة الإعلام فى الدول التى أهدرت حقوق الإنسان هجوم الدول الغربية عليها باتهامات مماثلة ، حيث تبين أن النظام الغربى الرأسمالى يعتمد على الاستغلال والاحتكار ، فأصحاب رءوس الأموال يستغلون جهود وطاقات الناس فى سبيل الحصول على أكبر ربح ممكن ، فتتكدس الثروة فى أيدى عدد قليل من الناس يستمتعون بها ، ويستخدمونها سلاحا للسيطرة على مقاليد الحكم ، وإخضاع الدول الفقيرة لسياستهم ، كما تساعدهم على التحكم فى مصائر الشعوب فيخضعونها لرأيهم ، ويجبرونها على السير فى فلكهم ، وبذلك تصير أعنة السياسة

الدولية فى أيديهم يسيرونها إلى الاتجاه الذى يدر عليهم ربحا أكثر فيزداد ثراؤهم يوما بعد يوم ، بينما الشعوب الأخرى تئن من كثرة ما يلم بها من الأزمات الاقتصادية ، وتصرخ طالبة مد يد المساعدة ، فلا يجيبها أحد إلا بمقدار ما يعود عليه بنفع أكبر ، وعائد أوفر .

وحقيقة الأمر أن كلا منهما قد أهدر حقوق الإنسان وأضاع كرامته والخلاف بينهما فى الوسائل ، فالدول الشرقية ذات نظام الحزب الواحد اتخذت السيطرة على وسائل الإنتاج فى الدولة أسلوبا لإخضاع الإنسان لرأى الحاكم ، وإجباره على الاستسلام لنظامه واتجاهاته بالإضافة إلى استعمال القوة المسلحة لإرهاب المعارضين ، وعقاب من يتجرأ فيرفع صوته بالشكوى ، أو يئن بصوت عال .

والدول الغربية ذات النظام الرأسمالى الحر ، فهو وإن أعطى الفرد شيئا من الحرية فى مجال التعبير عن الآراء والاتجاهات ، إلا أن معالمه تؤدى إلى عدم إمكانية ممارسة هذه الحرية فى الواقع العملى بطريقة مرضية ، إذ أن مصالح الإنسان ووسائل حصوله على لقمة العيش متداخلة مع النسيج الرأسمالى ، فلا يستطيع أن يتخلص منه ، ولا يقدر على التعبير عن رأيه بحرية كاملة . وإلا عصفت به مراكز القوى فى المؤسسات الاقتصادية التى تسيطر على مصادر رزقه ، فلا يستطيع الوصول إلى حقه إلا بعد أن تنهك قواه ، وقد تنهار عزيمته قبل الوصول إلى هذا الحق .

وعليه فإن حقوق الإنسان لدى كل منهما غير مكفولة إلا لمن يملك القوة ، ويتمتع بالسلطان ، سواء كان وصوله إلى ذلك الوضع عن طريق السيطرة على مقاليد الحكم ، أو بواسطة نفوذ رأس المال وسيطرته على مصادر رزق الناس ومقدرات حياتهم ، ففى كل مجتمع طبقة مميزة على بقية الطبقات ، تتمتع بخيرات المجتمع ، ولا تسأل عما تقترفه فى سبيل ذلك من آثام فى حق الآخرين ، وبذلك ضاعت حقوق الإنسان ، فلا تسمع إلا فى وسائل الإعلام وأبواق الدعاية ، أما فى الواقع فلا تجد لها أثرا ، ولا ترى لها مثلا .

لم تهتد كل هذه الأنظمة إلى الأسلوب الصحيح فى تقرير حقوق الإنسان نظريا وعمليا ، لأنها من صنع البشر ، فليس لها من الجلال والقدسية على نفوس الناس مثل ما للأوامر الإلهية التى لها قدرة التأثير فى نفوس الناس مما يجعلهم ينفذون ماتدعو إليه دون أدنى معارضة ، ويخضعون لها دون تردد ، أو تمرد ، كذلك لم تنجح الأديان فى تحويل النصوص التى تتعلق بحماية حقوق الإنسان فى كتبها المقدسة إلى واقع عملى مثل ماحدث فى المجتمع الإسلامى ؛ فقد سوى الإسلام بين الناس كلهم فى الحقوق والواجبات ، ونفذ ذلك عمليا بين المسلمين ، يشهد بذلك :

ـ ما روى من أن أسامة بن زيد حين شفع فى المرأة المخزومية التى وجب عليها حد السرقة ، قال رسول الله ﷺ :

« أتشفع فى حد من حدود الله عز وجل ؟ والله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها » . أخرجه البخارى .

ـ وقال أبو بكر فى أول خطبة له : « ألا إن أقواكم عندى الضعيف حتى آخذ الحق له ، وأضعفكم عندى القوى حتى آخذ الحق منه » .

ـ وكتب عمر رضى الله عنه إلى عماله يقول : « اجعلوا الناس عندكم فى الحق سواء ، قريبهم لبعيدهم وبعيدهم لقريبهم ، إياكم والرشا ، والحكم بالهوى » .

بل إن غير المسلمين عاشوا فى المجتمع الإسلامى مكرمين ، لم يسلبهم أحد حقهم ، ولم يعتد على إنسانيتهم حاكم أو محكوم ، بل كان لهم ما للمسلمين وعليهم ما عليهم ، وكان هذا أوضح مثل على تقرير حقوق الإنسان عمليا فى المجتمع الإسلامى ، فلم يكن امتلاك المال والجاه وسيلة لظلم الآخرين ، وسلبهم حقوقهم ، كما هو الحال فى النظام الرأسمالى ، ولم تكن القوة والسلطان طريقا للبطش بالآخرين وإذلالهم وانتقاص حريتهم وكرامتهم كما هو الحال فى النظم الديكتاتورية ، بل لكل حقه حتى ولو كان فى يد الخليفة ، وعلى كل واجب ينبغى عليه القيام به حتى ولو كان الأمير نفسه ، وبذلك شعرت النفوس باستقلالها وعزتها وسيادتها ، وعم العدل كل الطوائف فشعرت بالأمن والأمان والطمأنينة والاستقرار .

فلا تتحقق سعادة الشعوب برفع الشعارات ، وقوة صدى الدعايات ، ولا تنال طمأنينتها وأمنها بالوعود الكاذبة ، والأمانى الخادعة ، ولا تستقر حياتها على أساس تصورات وهمية ، أو تخيلات ذهنية ، وإنما تنال حقها فى الوجود ، وتشعر بذاتيتها وكينونتها فى الحياة ، وتحس ببقائها واستمرارها كلما زاد إحساس أفرادها بالعزة والكرامة ، ولن يتحقق ذلك إلا إذا شعر الجميع بأواصر القربى بينهم ووشائج الصلة التى تربطهم ، فلا يظلمون أحدا لأنه جزء منهم ، ولا يقسون على أحد لأن إيذاءه يؤلمهم ، ولا يستغلون إنسانا مهما كان مركزه الاجتماعى وموطنه الجغرافى ، ولا يصمون آذانهم عن سماع آهات المعذبين وصرخات المحرومين ، بل يقدمون لهم المساعدة ، حتى لو اقتضى الأمر إعطاءهم شطر كسرة الخبز التى بأيديهم ، واقتسام الثوب الذى يقيهم برد الشتاء وحرارة الصيف .

ولن تشيع هذه الروح بين بنى الإنسان ، وتسود فى المجتمع البشرى إلا إذا اختفت الأنانية ، وقضى على التعصب القبلى والعرقى ، وطمرت نوازع تعالى الإنسان على أخيه ، وتوارت عصبية التكتلات ، ونزعة الانتماءات المذهبية المدمرة ، فشعر الناس جميعا بوحدة الرباط الذى يحتم عليهم التعاون والتماسك أمام عواصف الدهر وتقلبات الأزمان .

ولا يوجد فى ساحة الفكر البشرى مايوقظ هذا الجانب ، أو يدعو إلى إزالة الفوارق بين المجتمعات ، ويعمل على إزالة الحواجز بين طبقات المجتمع الواحد ، بحيث يشعر الناس بأن وضعهم فى المجتمع لا يتحدد على أساس كثرة المال ، أو قوة العصبية ، أو اتساع النفوذ والسلطان :

– إذ تميل التكتلات الفكرية والمذهبية إلى احتقار من لا يؤمن بأفكارهم ويسير فى فلكهم ، ويسعى لنشر مبادئهم مما يدفعهم إلى الظلم والبطش بمن يعارضهم أو يناوئهم .

– ويشعر أصحاب المال باستعلائهم على من حرموا منه ، فينظرون إليهم من علٍ ، ويتعاملون معهم على أساس أنهم أقل درجة ، أو درجات ، وأحط شأنا فى المجتمع ، فلا ينبغى أن يتساووا معهم فى الحقوق ، وليس لهم الحق فى معاملة متكافئة فى السلوك الاجتماعى ، لأن درجتهم أقل ومركزهم الاجتماعى أدنى من درجات ومراكز من رفعتهم الثروة ، وانطلق بهم النفوذ المالى إلى أعلى .

– ويعتقد فريق آخر بالتمايز بين الناس على أساس اللون أو الدم ، فيتعالى الأبيض على الأسود ، ويفتخر من له عصبية قبلية تؤازره ، وتشد عضده على من لا عصبية له ، ولا سند له

من هذا النوع يسنده ، فيعيش بين القوم مهانا ذليلا ، ويمشى مطأطأ الرأس مكسور الجناح ، فلا ينال من الثمار إلا سواقطها ، ولا يحصل على شىء من الموائد إلا فتاتها ، ولا يتمتع بالاستمتاع بما سخره الله للإنسان إلا بما يجود به هؤلاء الذين اعتبروا أنفسهم مميزين على أساس اللون أو العصبية ، وليس له من الحرية إلا بما يسمح به أولئك الذين ملكوا السلطة والسلطان عن طريق الادعاء الكاذب بالفضل ، وتحريف سنة الله التى فطر الناس عليها ، ألا وهى أن الناس سواسية ، لافضل لأحد على آخر إلا بالعمل والإنتاج ، لا بالنسب والألوان ، ولا بالدم والأشكال .

وهكذا أصبحت المجتمعات البشرية مكبلة بأوهام المذاهب الفكرية ، وضلالات المادية العمياء ، وأسيرة التقاليد البالية ، والأعراف المجحفة ، والمسلمات الاجتماعية التى تسلب الإنسان حقه فى الحياة ، وتحرمه من أبسط الحقوق الإنسانية ، وتحرم عليه الاستمتاع بما سخره الله له .

ولا يعقل أن يتحول هذا الوضع بكلمات تلقى على مسامع الناس ، أو بمبادىء حزبية يتجمع المظلومون حولها ، ويجاهد الأحرار فى سبيل تحقيقها ، لأن تحول المجتمعات عن :

ـ التقاليد الضاربة بجذورها فى أعماق التاريخ .

ـ والأعراف الثابتة فى الأذهان والعقول ثبوت الجبال الرواسى .

ـ والمسلمات المحصنة داخل الكثرة المؤمنة بها .

ليس بالأمر الهين .

فلا تستطيع مذاهب بشرية تغييرها ، ولا يمكن لسلطة مادية اقتلاعها مهما أوتيت من قوة وعزيمة ، بل لابد من عقيدة تسيطر على أرواح الناس ، وتهيمن على عواطفهم ، فتسيرهم إلى الطريق المستقيم ، حيث تختفى فيه هذه المظاهر اللاإنسانية ، وتتوارى إلى الأبد الممارسات التى تحط من كرامة الإنسان ، وتجعل تقييمه تابعا لموازين مادية ، ومقاييس اعتبارية خارجة عن ذاته ، وليست كل العقائد قادرة على هذا العمل ، فهناك من العقائد مااشتملت مبادئها على التمييز العنصرى ، ومنها ماتعصبت لمبادئها فاحتقرت من لا يؤمن بها ، بل طاردته وسلبته حق الحياة .

وعليه فليس فى تاريخ الفكر البشرى ، ولا فى ساحة العقائد الدينية ما يصلح لمواجهة هذه الظواهر اللاإنسانية فى المجتمعات البشرية ، والقضاء عليها سوى الإسلام .

اختصاص البعض بالمال في الإسلام

ليس امتلاكا وإنما هو أمانة ومسئولية

للدكتور: محمد شوقي الفنجري

١ ـ المالك الحقيقي للمال في الإسلام:

جاء الإسلام منذ أربعة عشر قرنا معلنا أن كل ما في يد البشر من مال هو ملك لله أصلاً:
﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ﴾ النجم ـ الآية ٣١ . وأن البشر مستخلفون فيه:
﴿ وَأَنفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ ﴾ الحديد ـ الآية ٧ . وأنه لا يجوز للبعض دون الآخر أن يستأثر بهذا المال ﴿ وَآتُوهُم مِّن مَّالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ ﴾ النور ـ الآية ٣٣ .كما لا يجوز أن يكون المال متداولا بين فئة قليلة من الناس ﴿ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنكُمْ ﴾ الحشر ـ الآية ٧ .

ولم يكن ذلك إلا تقريرا للواقع، فالله ـ تعالى ـ هو المالك الحقيقي للمال، فهو منشئه وخالقه، وهو واهبه ورازقه ، ولهذا نبه القرآن لهذه الحقيقة المنسية بتأكيد نسبة المال إلى مالكه الحقيقي ، وهو الله ـ تعالى ـ بقوله سبحانه : ﴿ وَآتُوهُم مِّن مَّالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ ﴾ النور ـ الآية ٣٣ . وقوله : ﴿ أَنفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُم ﴾ البقرة ـ الآية ٢٤٥ . وقوله : ﴿ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ ﴾ آل عمران ـ الآية ١٨٠

وعلى الرغم من أن الله ـ تعالى ـ هو صاحب المال الحقيقى ، ومالكه الوحيد ، فقد أضاف المال إلى عباده بقوله تعالى : ﴿ لَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ ﴾ النساء ـ الآية ٢٩ . وقوله : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ ﴾ المنافقون ـ الآية ٩ . وقوله : ﴿ إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ ﴾ التغابن ـ الآية ١٥ . وقوله : ﴿ يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخْلَدَهُۥ ﴾ الهمزة ـ الآية ٣ . وقوله : ﴿ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ﴾ المسد ـ الآية ٢ . وقوله : ﴿ وَفِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴾ الذاريات ـ الآية ١٩ .

فما ذلك إلا فضلا ، وتكريما لعباده ، وابتلاء وامتحانا لهم بما أنعم عليهم ، وليشعروا بمكانتهم عند الله ، وأنهم خلفاؤه فى أرضه ، ويحسوا بمسئوليتهم عما ملكهم إياه وائتمنهم عليه ، كالوالد يمنح ولده جزءا من ماله وملكه ليشعره بشخصيته ويدربه على الاستقلال بالتصرف ويختبره : هل كان عند حسن ظنه فأحسن التصرف ، أم انحرف وأساء السلوك ؟ ولله المثل الأعلى[1] .

بل إن الله ـ تعالى ـ ببالغ لطفه وكرمه ، ليستقرض من هذا المال الذى هو ماله وعطاؤه ويشتريه من عباده وهو صاحبه ، فضلا منه وبرا ، فيقول تعالى : ﴿ مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ﴾ البقرة ـ الآية ٢٥٤ . وقوله : ﴿ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ﴾

المزمل ـ الآية ٢٠

وقوله : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ﴾ التوبة ـ الآية ١١١ .

أى اشترى منهم أنفسا هو الذى خلقها ، وأموالا هو الذى رزقها .

٢ . اختصاص البعض بالمال ليس امتلاكا ، وإنما أمانة ، ومسئولية :

وتوفيقا بين ملكية الله ـ تعالى ـ الحقيقية للمال ، وبين إضافة هذا المال إلى عباده ، واختصاص بعضهم دون غيره ، بالانتفاع به والتصرف فيه ، فقد صور وعبر القرآن الكريم عن ذلك بأدق تصوير وتعبير بأنه (استخلاف) بقوله تعالى : ﴿ وَأَنفِقُوا۟ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ ﴾ الحديد ـ الآية ٧ .

فوضع المكتسب للمال هو وضع المستخلف ، أى : وضع الوكيل أو الأمين أو المستودع .

فالاستخلاف عام لكل البشر ، ولا يحصل الأفراد على حق الملكية الخاصة (الملكية الفردية) إلا مقابل عملهم ، ومن ثم يملكهم الشرع الإسلامى بالشروط التى يحددها . والمقصود بالملكية الفردية ، أو الخاصة ، هو ملكية الفرد ، بالنسبة للأفراد الآخرين ، أو قل ملكية الظاهر ، أو الملكية المجازية ، إذ المالك الحقيقى لكل شىء هو الله ـ تعالى ـ وهذه الملكية الفردية ليست ميزة ، وإنما هى أمانة يلتزم فيها بتعاليم الإسلام : ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ﴾

المؤمنون ـ الآية ٨ .

---

(١) انظر الدكتور يوسف القرضاوى ، فى كتابه (فقه الزكاة) ، الطبعة الثالثة ١٣٩٧/١٩٧٧ م لناشره مؤسسة الرسالة ببيروت ، صفحة ١٢٧ .

وهى مسئولية يحاسب عليها :
﴿ ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ﴾

التكاثر - الآية ٨ .

ولقد أجمع الفقهاء القدامى على فكرة (الاستخلاف) ، وأن الملكية الخاصة أو الفردية هى فى الإسلام (أمانة) أو (وظيفة) . ومن ذلك ما يذكره الإمام الزمخشرى فى تفسيره لقوله تعالى :
﴿ وَأَنفِقُوا۟ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ ﴾ الحديد - الآية ٧ .

فيقول (يعنى : أن الأموال التى فى أيديكم ، إنما هى أموال الله بخلقه وإنشائه ، وإنما مولكم إياها ، وخولكم الاستمتاع بها ، وجعلكم خلفاء فى التصرف فيها ، فليست هى أموالكم فى الحقيقة وما أنتم فيها إلا بمنزلة الوكلاء والنواب ، فأنفقوا منها فى سبيل الله . . وليهن عليكم الإنفاق منها ، كما يهون على الرجل النفقة من مال غيره)[٢] .

ويروى المؤرخ الخطيب فى مؤلفه تاريخ بغداد : « أن أبا حنيفة كان يجمع ربح التجارة عنده من سنة إلى سنة ، ثم يشترى بها حوائج الشيوخ والمحدثين من الكسوة والقوت وغيره ثم يدفع إليهم باقى الدنانير من الأرباح ويقول : أنفقوا فى حوائجكم ولا تحمدوا إلا الله تعالى ، فإنى ما أعطيتكم من مالى شيئا ولكن من فضل الله علىّ » .

٣ - الملكية فى الإسلام مجرد وظيفة شرعية :

وإذا كانت حيازة المال فى الإسلام ليست امتلاكا ، وإنما هى أمانة ، أو وديعة يحاسب عليها المرء . فهى والحال كذلك ، ليست إلا مجرد (وظيفة شرعية) أو هى بلغة اليوم (وظيفة اجتماعية) .

وليس أدل على ذلك من أن الملكية الفردية فى الإسلام ليست ملكية مطلقة ، بل هى ملكية مقيدة ، ليس فحسب من حيث اكتسابها ومجالاتها ، بل أساسا من حيث استعمالها ، مما لا نجد له مثلا فى أى من التشريعات الوضعية ، وبحيث يحيلها بحق إلى أمانة ومسئولية ، ومجرد وظيفة اجتماعية ، ومن قبيل ذلك : إن المسلم لا يستطيع أن يكنز ماله ، أو يحبسه عن التداول ، أو الإنتاج لقوله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ التوبة - الآية ٣٤ .

وهو لا يستطيع أن يصرفه على غير مقتضى العقل وإلا حق الحجر عليه للسفه لقوله تعالى :
﴿ وَلَا تُؤْتُوا۟ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ ٱلَّتِى جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ قِيَٰمًا ﴾

النساء الآية ٥ .

وهو لا يملك أن يعيش عيشة مترفة لقوله تعالى : ﴿ وَٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَآ أُتْرِفُوا۟ فِيهِ وَكَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ﴾ هود - الآية ١١٦ .

وهو مطالب دائما بأن ينفق كل مازاد على حاجته فى سبيل الله سواء فى صورة إنفاق مباشر على المحتاجين أو فى صورة استثمارات تعود بالنفع على المجتمع لقوله تعالى : ﴿ وَأَنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ ﴾ البقرة - الآية ١٩٥ .

البقية ص ٢٥٥

(٢) انظر الإمام الزمخشرى فى تفسيره الكشاف ، جزء ... ص ٤٣٤ .

المسئولية العربية والإسلامية

في ظل التعنت الإسرائيلي

للدكتور / محمد عبد الحكيم محمد *

الوحدة العربية والإسلامية أضحت ضرورة ملحة لمواجهة التحديات التى تواجه أمتنا الإسلامية ، ففيها القوة والعزة والمنعة ، لاسيما ونحن نعيش عصر التكتلات والأحلاف بين الدول غير المنسجمة فى الشرق والغرب ، وآخرها توحيد عملة « اليورو » بين دول الاتحاد الأوروبى بعد أن تكاملت اقتصادياً .

وليس من شك أن المسلمين وقد تجاوزوا المليار مسلم هم الأجدر - بإسلامهم - بهذه الوحدة والتكتل ، ولكننا فى وقت من الأوقات أبينا إلا الافتراق والاختلاف وعدم التجمع على كلمة سواء ، فهاذا جنينا ؟

تقدم غيرنا ، أما نحن فقد تأخرنا على الرغم مما أفاء الله به علينا من مقومات التقدم وأسباب العزة والمنعة ، وهى جميعا بأرضنا ، بل تحت أقدامنا .

وقد كانت هناك نواة فى آخر مؤتمر إسلامى[1] ، وآخر قمة عربية[2] يمكن أن تزيد روابط الأمة العربية والإسلامية حتى النهاية .

* مدرس الصحافة بكلية الآداب - جامعة المنصورة

(١) المؤتمر العلم الثامن للمجلس الاعلى للشئون الإسلامية المنعقد بالقاهرة فى ربيع الأول ١٤١٧ هـ - يوليو ١٩٩٦ م .

(٢) مؤتمر القمة العربية المنعقد بالقاهرة فى صفر ١٤١٧ هـ - يونيو ١٩٩٦ م

وكم كان المؤتمران مهمين من أجل لم الشمل العربى وإزالة الخلافات ، وها هما قد خرجا بالفعل برسالة واضحة إلى العالم تقول : إن الأمة العربية والإسلامية قد شرعت فى إنهاء مرحلة التمزق وعملت على تجميع كلمتها .

كذلك كان من أهم نتائج « القمة العربية » المؤخرة أنها أوقفتنا على حقيقة الوضع الراهن لأحوال العرب والمسلمين ، وفتحت عيوننا على حقيقة التحديات التى تواجه أمتنا بأبعادها المختلفة .

تلك التحديات التى لم تفارق أمتنا فى الماضى متمثلة فى : الحروب الصليبية والغزو المغولى وسقوط الأندلس .

وفى الحـاضر متمثلة فى الاستشراق ، والعلمانية ، والحركات الهدامة داخل الأمـة الإسلامية وخارجها ، وانسلاخ كثير من الشباب عن الصدور عن قوميته ؛ فإذا هو طامح إلى الغرب بكل مافيه من مسوخ الإنسانية .

ولعل ما يزيد من خطر المسئولية هو : إدراك حجم المخططات الساعية لمسخ شخصية الأمة ، وتشويه صورة إسلامها وتبديد طاقتها وثرواتها وتذويب ثقافتها .

حصاد المؤتمر الأخير:

وقد جاء مؤتمر القمة العربية الذى عقد مؤخراً بالقاهرة تلبية للدعوة الكريمة التى وجهتها مصر إلى ملوك ورؤساء الدول العربية ؛ استجابة لآمال وتطلعات الأمة العربية ، وإيمانا بالمصير الواحد ، واستناداً إلى روابط الأخوة العربية .

وفى ضوء دقة المرحلة التى تمر بها عملية السلام فى الشرق الأوسط .

ومن ثم اجتمع القادة العرب لتدارس الأوضاع المستجدة فى المنطقة ، وإحياء العمل العربى المشترك ، وتكثيف التشاور والتنسيق والتعاون العربى وتدعيم فعاليته ، سعيا لاستنهاض الأمة ، ولم شملها ، وبناء التضامن العربى باعتباره السبيل إلى توظيف طاقات الأمة العربية لحماية مصالحها ، واستعادة حقوقها المغتصبة ، وتعزيز الجهود الرامية إلى تحقيق سلام عادل وشامل فى الشرق الأوسط .

وانطلاقا من المسئولية القومية أكد القادة العرب أن تحقيق السلام الشامل والعادل فى الشرق الأوسط يستوجب :

انسحاب إسرائيل الكامل من كافة الأراضى الفلسطينية المحتلة بما فيها القدس العربية ، وتمكين الشعب الفلسطينى من ممارسة حقه فى تقرير مصيره وإقامة دولته المستقلة بعاصمتها « القدس العربية » ، وذلك باعتبار القضية الفلسـطينيـة هى جـوهـر الصراع العـربى الإسرائيلى .

كذلك الانسحاب الإسرائيلى الكامل من الجولان السورى إلى خط الرابع من حزيران (يونيو) ١٩٦٧ ، والانسحاب الإسرائيلى الكامل غير المشروط إلى الحدود المعترف بها دوليا ، وذلك تنفيذاً لقرارات مجلس الأمن ٢٤٢ ، ٣٣٨ ، ٤٢٥ ، ومبدأ الأرض مقابل السلام .

قرارات الشرعية الدولية:

وعلى هذه الأسس تبنت القمة العربية استئناف المفاوضات على كافة المسارات بدون إبطاء ، لتحقيق السلام العادل والشامل فى ظل الشرعية الدولية ، وقد استوجب ذلك التزاما مقابلا تؤكده

إسرائيل بجدية ، وبدون مواربة ، والعمل من أجل استكمال مسيرة السلام ؛ بما يعيد الحقوق والأراضى المحتلة ، ويضمن الأمن المتوازن والمتكافىء لجميع دول المنطقة وفقا للمبادىء التى اتفق عليها فى مؤتمر مدريد .

وأكد القادة العرب أن أى إخلال من جانب إسرائيل بهذه المبادىء والأسس ، التى قامت عليها عملية السلام ، أو تراجع عن الالتزامات والتعهدات والاتفاقات التى تم التوصل إليها فى إطار هذه المسيرة ، أو المماطلة فى تنفيذها من شأنه أن يؤدى إلى انتكاسة عملية السلام بكل مايحمله ذلك من مخاطر وتداعيات تعود بالمنطقة إلى دوامة التوتر ، مما يضطر الدول العربية كافة إلى إعادة النظر فى الخطوات المتخذة تجاه إسرائيل فى إطار عملية السلام ، الأمر الذى تتحمل معه الحكومة الإسرائيلية وحدها المسئولية الكاملة عنه .

كذلك تمسك المؤتمر بقرارات الشرعية الدولية التى تقضى بعدم الاعتراف أو القبول بأية أوضاع تنجم عن النشاط الاستيطانى الإسرائيلى فى الأراضى العربية المحتلة باعتباره إجراء غير مشروع لا يرتب حقا ولا ينشىء التزاما ، واعتبار إقامة المستوطنات واستقدام مستوطنين إليها يشكل خرقا لاتفاقيات « جنيف ومدريد » وتعويقا لعملية السلام ، مما يتطلب وقف كافة الأنشطة الاستيطانية الإسرائيلية فى الجولان السورى المحتل ، والأراضى الفلسطينية المحتلة ، خاصة القدس وإزالة مابها من مستوطنات .

ومما أكده القادة العرب فى هذا المؤتمر رفضهم تغيير معالم القدس العربية ، ووضعها القانونى ، وتشديدهم على أن تحقيق السلام الشامل والعادل فى الشرق الأوسط لا يكون إلا بحل قضية القدس ، وتسوية مشكلة اللاجئين الفلسطينيين ؛ استناداً إلى حقهم فى العودة على أساس الشرعية الدولية ، وقرارات الأمم المتحدة ؛ تلك الشرعية وتلك القرارات التى لا يزال العرب والمسلمون يثقون فى جديتها ؛ رغبة فى تحقيق السلام والأمن المتوازن فى الشرق الأوسط .

الدور المصرى والعربى والإسلامى :

ولا تزال مصر بقيادة الرئيس محمد حسنى مبارك تضطلع برسالتها وتواصل المشاورات المكثفة والاجتماعات مع الدول العربية والإسلامية لمتابعة تنفيذ ما اتخذ من قرارات ، وللتعامل مع المستجدات التى تواجه الأمة العربية والإسلامية فى محاولات جادة ودءوبة من أجل الوصول إلى تسوية سلمية عادلة على أساس الشرعية الدولية .

وفى الجانب الآخر وبعد خمسين عاما من الصراع العربى الإسرائيلى ، فإن من ينظر إلى مسيرة السلام وموقفها المتعثر لابد أن يرد السبب إلى التعنت الإسرائيلى الممتد ، ثم أتى بعد ذلك آخر رئيس لوزراء إسرائيل وهو يصر على نقض المواثيق وعدم الأخذ بقرارات الأمم المتحدة ، متشبثا بموقفه الرافض مهما توسط البعض لتخفيف هذا الموقف ، وأصبحت عملية السلام أشبه بدعوة لقبول الأمر الواقع الذى يفرضه الإسرائيليون . والواقع أنه منذ تولى حكومة « نتانياهو » للسلطة فى إسرائيل منذ عامين أوقفت مسيرة السلام على جميع المسارات الفلسطينية والسورية واللبنانية ، وسارعت بإغراق أراضى الضفة الغربية وغزة بالمستعمرات وعملت على تهويد القدس العربية ، وفصلها عن الضفة الغربية ، ولم تبال بمظاهرات الغضب التى اندلعت

فى الأراضى الفلسطينية ، واستمرت فى بناء مستعمرة جبل أبو غنيم جنوب القدس لفصلها عن بيت لحم والخليل .

كما افتتحت يوم ٢٤ سبتمبر سنة ١٩٩٦ نفق البراق الممتد أسفل الحرم القدسى الشريف مما يهدد المسجد الأقصى ومسجد الصخرة وباقى المبانى الإسلامية هناك دون اكتراث بأى احتجاج عربى أو دولى .

إن الدول العربية والإسلامية ، وهى بصدد الإعداد لعقد قمة عربية ، مطالبة بالتعامل مع جميع القوى العالمية ، على أساس موقف هذه القوى من قضاياها ، وفى مقدمتها : قضية القدس ، وعلى إسرائيل أن تدرك أن « الغضب يولد الانفجار » . . وأن العرب والمسلمين وهم يشاهدون هذه المأساة تدور أمام أعينهم ، وفوق أراضيهم ، لن يقفوا مكتوفى الأيدى إلى الأبد .

ولينصرن الله من ينصره .

الإيمان أساس البنيان « بقية »

يؤدونه لرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ لقاتلتهم عليه حتى يؤدوه إلىّ !!

إن كل ما فى الإنسان من نبل وفضل ومروءة وسخاء وعفة وإباء وتضحية وفداء وصدق وأمانة : وفضائل وشمائل : كل ذلك مستمد من الإيمان بالله رب العالمين القائل فى كتابه الكريم :

﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾ ﴾ (الجمعة : الآية ٢) .

كانوا فى ضلال مبين يوم كانوا يئدون البنات ويعبدون الأصنام والأوثان ويتقاتلون لأتفه الأسباب ويتفاخرون بالأحساب والأنساب ، فلما جاء الإسلام هذبهم بهديه ورباهم وأدبهم ورقاهم فرفع شأنهم وأعلى قدرهم فكانوا أشداء على الكفار رحماء بينهم .

وهذا عمر بن الخطاب ذهب مغاضبا إلى أخته ليقتلها لأنها أسلمت فلما مست الآيات (من سورة طه) قلبه أشرق نور الإيمان فى قلبه فقال : دلونى على محمد فأسلم بين يديه ، فأعز الله به الإسلام وأعزه الله بالإسلام فكان الخليفة العادل القدوة للحاكمين .

عمر هذا يخرج يتفقد أحوال الرعية ليلا والناس نيام فيسمع امرأة تقول لبنتها قومى يابنية فاخلطى اللبن بالماء (لنبيعه) فتقول البنت لأمها أن عمر أمر مناديا ينادى ألا يخلط اللبن بالماء فتقول أمها ، إن عمر نائم لا يرانا ، فتقول البنت المؤمنة : إذا نامت عين عمر فإن عين الله لا تنام !! سمع عمر ذلك وفى الصباح بعث بمن يجىء إليه بها فقال لها : أنت التى كنت تقولين كذا وكذا لأمك ليلا ؟ قالت : نعم ؛ إن الله لا تأخذه سنة ولانوم ، قال لها عمر : ألك بعل . قالت : لا . قال : إنى أريد أن أزوجك بابنى عاصم أفتقبلين . قالت : نعم ، وزوجها بابنه عاصم فكانت جدة سيدنا عمر بن عبد العزيز الذى ملأ الأرض عدلا وأمنا وسلاما .

إن تقوى الله تنفع الذرية وتعمر الديار ، والله يتولى الصالحين .

الضوابط الشرعية

لقضاء الأجازة الصيفية

للأستاذ : مجدى عبد الحميد بشير

تقدمة : - يظل المسلم الحق ثابتاً على مبادئه ، وفياً لدينه وعقيدته ، معتزا بأصالته وشخصيته ، متمسكا بإسلامه مقيماً لشعائره ، فخوراً بشرائعه ، داعياً إلى سبيله . لايحده عن القيام برسالته زمان دون زمان . ولايحول بينه وبين تحقيق عبوديته لربه مكان دون آخر ، فمحياه كله لله ، وأعماله كلها لله ، تقوده نيته الطيبة ، وقصده الخيِّر ، الهدى مطيته ، والرشد غايته ، والصراط المستقيم مسعاه ، قد تسلح بالقيم السليمة ، وادَّرع بالمبادىء والفضائل والمثل ، فهو فى حصن منيع لاتؤثر فيه العواصف ، ولو كانت هوجا ، ويستند إلى دستور قويم ، وسلوك حكيم . يقول الله جل وعلا :

﴿ قُلْ إِنَّنِى هَدَانِى رَبِّىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٦١﴾ قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ (الآيات من ١٦١ إلى ١٦٣ سورة الأنعام)

وسلمان الفارسى يلخص ويختزل ما اختزن من جوهر الإيمان فى قول يضىء على مدى الأيام ، فيقول : « إنى لأحتسب نومتى كما أحتسب قومتى » .

فحيثما كان المسلم وحل ، وأينما وجد وارتحل ، فإنه يجعل التقوى شعاره ، وطاعة الله دثاره فى سره وعلانيته ، وعسره ويسره ، ومنشطه ومكرهه ، وحضره وسفره ، وفراغه

وشغله ، فى الشدة والرخاء ، والبأساء والضراء والأفراح والأتراح . نقول هذا تقدمة لتحليل ظاهرة خطيرة لايلقى لها الكثيرون بالاً ، ألا وهى كيفية قضاء العطلات خصوصاً الطويلة منها . فمن الظواهر الاجتماعية الخطيرة التى تستحق العرض والمساءلة ، والبحث والمناقشة بكل هدوء وموضوعية ، وعلى مستوى التأصيل والمنهجية ، ما يحدث فى هذه الأيام من كل عام حين تشتد حرارة الصيف ، ويلقى بسمومه اللافح على بعض أقطار المعمورة مما يحمل بعض الناس على الهروب إلى المصائف والمتنزهات والفرار إلى الشواطىء والمنتجعات ، والعزم على السفر والسياحة وإيثار الرحلات ، يوافق ذلك فراغ من الشواغل ، وتمتع بإجازة صيفية يقضيها الأولاد بعد عناء عام دراسى كامل . وحيث إن كثيراً من الناس أعد برامج لشغل أجازاتهم ، وقضاء وقت فراغهم وحزم حقائب السفر ، وتوجه بحراً وبراً وجواً ، يحمل أمتعة الترحال إلى هنا وهناك ، يطيب لنا أن نضع هذه القضية على ميزان الشرع ونعرضها على كتاب الله ، وسنة رسوله - ﷺ - مع التركيز على واقع بعض الناس فى ذلك وبيان الآثار السلبية عند غياب الضوابط الشرعية ، وذلك فى النقاط التالية .

أولاً : مهمة الإنسان فى هذه الحياة هى عبادة الله ؛ مستغلاً فى سبيل تحقيقها كل ما أفاء الله عليه ، بعدم الغفلة عن الله طرفة عين . قال تعالى :

﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾

(الآية ٥٦ سورة الذاريات) .

وهى عبادة تشمل الإخلاص فى الفعل والقول ، وقد بين ربنا تباركت أسماؤه الهدف منها بقوله :

﴿ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾

(الآية ٢ الملك) .

ثانيا : إن الوقت هو الحياة ، ومن هنا قال الشاعر :

والوقت أنفس ما عنيت بحفظه
وأراه أسهل ما عليك يضيع

فالواجب استغلاله فى مرضاة الله ، وشغله بطاعته ، سبحانه واستثماره فى النافع من الأمور قدر المستطاع ، إذ لايستوى من يملؤه بالطاعة مع من يدنسه بالمعصية قال تعالى :

﴿ أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ﴾

(القلم ٣٥) .

ويقول أيضاً

﴿ أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ ﴾

(الآية ٢٨ سورة ص) .

لاشك أن البون شاسع بين قوم أحبوا الله فأحيوا أوقاتهم بالعبادة والعمل المثمر ، وآخرين ذهلوا عن الحقيقة فقتلوا أوقاتهم باللهو والملاذ التافهة .

ثالثاً : - الفراغ نعمة جُلَّى من نعم الله ، لاينبغى التوانى عن شغله بكل وسيلة شرعية ؛ من تعلم العلم النافع والعبادة فى مفهومها الواسع أو على الأقل بممارسة الأمور المباحة شرعاً وعدم مزاولة ماحرم من الأنشطة ، ففى

الحلال غنية عن الحرام . عن ابن عباس ـ رضى الله عنه ـ قال : قال رسول الله ـ ﷺ ـ « نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس : الصحة والفراغ » . رواه البخارى . وقال ـ ﷺ ـ « اغتنم خمساً قبل خمس » . وعد منها : « وفراغك قبل شغلك » . وكم كان الفراغ سبباً فى الانحراف والفساد عند عدم استغلاله ، فهو نعمة لاريب فى ذلك ، لكن إذا انكب صاحبه على المعصية ، وانهمك فى الفسوق كان نقمة وبلاءً ، ولذلك يقول الشاعر :

إن الفراغ والشباب والجده
مفسـدة للمـرء أى مفسـده

«ونفسك إن لم تشغلها بالحق شغلتك بالباطل » .

رابعاً : إن الإسلام لايحظر على اتباعه أن يروحوا عن أنفسهم ، أو يدخلوا السرور على أهليهم وأولادهم ، وأن يتمتعوا بالوسائل المباحة فى ذلك شرعاً . فالترفيه البرىء والترويح المباح لا غضاضة على الإنسان فيه ، بل قد يكون مطلوباً أحيانا لأغراض شرعية ، يحكم كل ذلك خصلتان : الإسراف المقيت والكبر والخيلاء . فعن أبى ربعى حنظلة بن الربيع الأسيدى الكاتب ، أحد كتاب رسول الله ـ ﷺ ـ قال : لقينى أبو بكر ـ رضى الله عنه ـ فقال : كيف أنت يا حنظلة ؟ قلت : نافق حنظلة . قال : سبحان الله ما تقول ؟ قلت : نكون عند رسول الله ـ ﷺ ـ يذكرنا بالجنة والنار كأنا رأى عين فإذا خرجنا من عند رسول الله ـ ﷺ ـ عافسنا(*) الأزواج والأولاد والضيعات نسينا كثيراً . قال أبوبكر ـ رضى الله عنه : فوالله إنا لنلقى مثل هذا فانطلقت أنا وأبو بكر حتى دخلنا على رسول الله ـ ﷺ ـ فقلت : نافق حنظلة يارسول الله ، فقال رسول الله ـ ﷺ ـ وما ذاك ؟ قلت : يارسول الله نكون عندك تذكرنا بالنار والجنة كأنا رأى العين ، فإذا خرجنا من عندك عافسنا الأزواج والأولاد والضيعات نسينا كثيراً . فقال رسول الله ـ ﷺ ـ « والذى نفسى بيده أن لو تدومون على ماتكونون عندى وفى الذكر لصافحتكم الملائكة على فروشكم ، وفى طرقكم ولكن ياحنظلة ساعة وساعة ثلاث مرات » رواه مسلم .

وأما إن كان جنى الوقت إضعاف الإيمان وزعزعة العقيدة وخلخلة الثوابت وخدش الفضيلة والوقوع فى الرذيلة ودفن الأخلاق والقيم والمثل فالمسلم مطالب بالبعد عن ذلك كل البعد .

خامساً : إن السفر فى الإسلام لا بأس فيه . بينّ ذلك الشاعر العربى فى بعض أبيات منها قوله :

سافر تجد عوضاً عمن تفارقه
وانصب فإن لذيذ العيش فى النصب
إنى رأيت وقوف الماء يفسـده
إن سال طاب وإن لم يجر لم يطب
والشمس لو وقفت فى الفلك دائمة
لملها الناس من عجم ومن عرب

(*) عافسنا : ـ لاعبنا

لكن للسفر فى الإسلام حدوداً مرعية وضوابط شرعية ، أهمها أن يكون لبلاد تسودها القيم ، أما إن كان إلى بقاع موبوءة ومستنقعات محمومة ، وأماكن مشبوهة فهو مرفوض ، ما لم تكن هناك ضرورة تدعو إلى ذلك . ولم يستثن أهل العلم من ذلك إلا من خرج لعلم لايوجد فى بلاد الإسلام ، أو لضرورة كعلاج ونحوه أو الدعوة إلى الله على بصيرة مع القدرة على المحافظة على شعائر الإسلام والاستمساك بأهداب الشرع الشريف ، إذ هل يعقل أن يلقى الحمل الوديع فى غابات الوحوش الكاسرة والسباع الضارية والذئاب المفترسة ؟!

سادساً : إنه ثبت بما لا يدع مجالاً للشك أن أعداء الإسلام والمسلمين يستهدفون بنى الإسلام من السائحين للإيقاع بهم وسلاحهم المضاء فى ذلك أن يبهروهم عن طريق الغزو الفكرى المتمثل فى الانحلال الخلقى السائد لدى بلاد الغرب ناهيك عن ابتزازهم اقتصادياً واستنزافهم خلقياً وجرهم رويداً رويدا إلى مواطن الخنا والفجور والمخدرات والخمور فيرجع بعضهم ، وقد تنكر لدينه مزدرياً لمجتمعه وبلاده وأمته ، ودليلنا على ذلك إحصاءات تفغر فاها صارخة مولولة عن أعداد كبيرة سقطت فرائس مرضى الهربز والإيدز ، وكانت صيداً سهلاً لعصابات تروج للمسكرات والمخدرات ، والكلمة التى نهمس بها فى أذن كل مسافر هى : قبل أن ترفع قدمك فكر أين تضعها ؟ فلا مانع أن تسافر بقصد الخير والفضيلة والدعوة والإصلاح ، وأن نكون ممثلين لبلادنا الإسلامية ، وسفراء خير يظهرون دينهم ، داعين إلى مبادئه السمحة فى عالم يتخبط بحثاً عن دين يكفل له الحرية والسلام والأمن والاطمئنان ، ولن يجد ذلك إلا فى ظلال الإسلام الوارفة . ولنا هنا أيضاً وقفة مع بعض الممارسات التى تعمد إليها بعض الشركات السياحية من الدعوة إلى السفر لبلاد موبوءة مستغلة فى ذلك « تزويق » إعلاناتها بدعاية مزركشة ، وإعلانات مزخرفة ظاهرها الرحمة ، وباطنها العذاب بقصد الإثراء السريع ، والربح العاجل ، وهو مسلك ملفوظ ، ولهؤلاء نتلو متدبرين قول الله ـ عز وجل : ـ

﴿ قُل لَّا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ ۚ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾

(الآية ١٠٠ سورة المائدة) .

سابعاً : الشباب من الأبناء والبنات هم ثمرات الفؤاد ، وفلذات الأكباد ، فلابد من إحسان تربيتهم ، ويتحقق ذلك : بشغل أوقاتهم بأنشطة متوازنة . فهذه الأشهر التى يمرون بها فى خلو من المشاغل الدراسية النظامية ، يمكن لأولياء أمورهم استثمارها فى برامج حافلة تكسبهم المهارات وتنمى لديهم القدرات وترسخ إيمانهم ، وتصقل مواهبهم وأفكارهم ، وتثرى ثقافاتهم . والبرامج الهادفة كثيرة ـ ولله الفضل والمنة ـ وعلى رأسها حفظ كتاب الله ـ عز وجل ـ واستظهار شىء من سنة رسول الله ـ ﷺ ـ وتعلم العلم وكثرة القراءة فى كتب أعلام الإسلام الموثقين قديماً وحديثاً

والاطلاع على السير والتواريخ والآداب ونحوها وإدخال السرور على الأبناء والبنات بالذهاب بهم إلى بيت الله الحرام فى عمرة ، أو إلى مسجد رسول الله - ﷺ - فى زيارة ، أو إلى أحد المصائف التى يأمن فيها الإنسان على دينه وخلقه وعاداته وتقاليده الإسلامية . يضاف إلى ذلك جانب آخر يمكن أن يسد فراغاً كبيراً ألا وهو تعلم الحرف والمهن المفيدة لهم ، والتحاقهم بالدورات العلمية والتدريبية والمهنية التى يقوم عليها الأكفاء ، ونخص هنا تعلم اللغات المختلفة ، والحاسوب ، والآلة الكاتبة فى عصر انفجار المعلومات ، وثورة المعرفة ، ومما يسر المسلم أن تشغل العطلات والراحات بالزيجات للبنين والبنات ملتزمين فى أفراحنا وأتراحنا منهج الإسلام فى عدم الخروج عن تعاليمه إسرافاً وبذخاً فى الحفلات ، ومغالاة فى المهور ، والتكاليف الباهظة فى كل شىء . كما ينبغى الحظر من منكرات تقع من بعض قليلى الديانة وضعفاء العقيدة هداهم الله .

ثامناً : - إن شغل الوقت بالرياضة أمر مفروغ منه لكن التركيز على جانب واحد هو المرفوض ، فكرة القدم مثلاً يمكن أن تكون ذات خطر شديد على مخ الإنسان وهذا هو الجرم الحقيقى لها ، والذى أثبته الباحثون مؤخراً فى جامعة هلسنكى عاصمة فنلندا ، والذين قاموا بأخذ صور الرنين المغناطيسى لخمسة عشر شخصاً من محترفى لعب كرة القدم ، وقد انهمك كل منهم فى تدريب زاد على خمس مرات فى الأسبوع وامتد لسنين عديدة . وقد اكتشف الباحثون أن أحد عشر لاعباً من المجموعة موضع البحث ، والذين كانوا يفضلون تعمد إصابة الكرة برؤوسهم ، هؤلاء قد نشأت لديهم بقع صغيرة فى المخ بدت أكثر لمعاناً فى صور الرنين المغناطيسى . وقال الباحثون إن هذه البقع تمثل ندوباً فى الأنسجة أو قرحاً وفراغات امتلأت بالسوائل وتتشكل عند انهيار أنسجة المخ الناشىء عن عدوى بالرأس . وأما الطاعنون فى السن ومن هم فى منتصف العمر فقد ارتبطت هذه البقع لديهم بميل قليل إلى ضعف القدرات المعرفية على أقل تقدير ، وينهى الباحثون الفنلنديون كشفهم الخطير بالقول إنهم لايعرفون بشكل محدد النتائج التى تنتظر اليافعين والأشبال من المهووسين بكرة القدم على المدى البعيد ، فهلا كان فى ذلك تحذير ولفت لذوى الطاقات إلى كل أنواع الرياضات ، وألا يركزوا على لعبة بعينها مدَّعين لها شعبية وانتشاراً ليس غير الأوهام موجدها وما سوى الخيال مرسخها فى أذهان من المفترض أن تكون ذخراً للأمة ورصيداً للبلاد .

تاسعاً : أن يعلم العبد أنه مراقب من قبل الله - عز وجل - فى كل ما يأتى ويذر قال تعالى :

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴾ (النساء : آية ١) .

وليعلم العبد أن شدة الحر فى هذه الدنيا يجب أن تذكر بالآخرة ، وشدة الحر من فيح جهنم ، فهل تذكرنا ونحن منهمكون فى أمور دنيانا هذه النار ، فعملنا على الأخذ بأسباب الوقاية منها .

وأخيراً وليس آخرا فإن المسلم المغتبط بإسلامه وإيمانه المرتبط بإخوانه المسلمين يندمج مع إخوانه فى العقيدة ويتذكر أحوالهم ومآسيهم ، لاسيما الذين يعيشون حياة القتل والتشريد والتنكيل والاضطهاد . وسؤال نوجهه إلى كل مسلم ذاق حلاوة الإيمان ، هو : هل من الإحساس بشعور إخوانك إهمال قضاياهم ؟ أين الأحاسيس المرهفة والمشاعر الفياضة ؟ أألناس يفكرون فى أحوال المشردين من المسلمين وتتقطع أكبادهم حسرة على

التفريط فى مقدسات المسلمين وما يمر به المسجد الأقصى المبارك وما تضج به فلسطين السليبة الجريحة - لاسيما فى هذه الأيام - وآخرون انحصرت أفكارهم فى كيفية قضاء إجازاتهم ؟ أبلاد تجرى فيها الدماء أنهاراً ، وبلاد لايتوقف فيها الغناء ليلاً ولا نهاراً ، ولقد هز مسامع الغيورين وأجف مآقى المسلمين ما أقدم عليه الصهاينة المجرمون من استفزاز صارخ وتحد سافر لمشاعر المسلمين ، وذلك عن طريق ما يضع من منشورات مغرضة ، ورسوم ساخرة تنال من الإسلام ونبى الإسلام - عليه الصلاة والسلام - بل ومن دستور المسلمين ، فأين المسلمون وأين قادتهم وزعماؤهم من اتخاذ المواقف الجريئة إزاء هذه الجريمة النكراء ؟ لقد تمادى القوم ولابد لنا معهم من وقفة عمرية ، وغضبة مضرية وزأرة صلاحية ، ونخوة معتصمية : ﴿ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴾ (الحج / ٤٠)

وبعد فإن ما قدمنا من ضوابط هدفه وجوهره التحذير الشديد مما أصيبت به هذه الأمة فى هذا العصر من تفشى الانتماء السلبى ، وغَلَبَة الفكر الهامشى ، الذى طغى على كثير من الجوانب مما أفرز أجيالاً تسىء فهم الإسلام على حقيقته ، وتجعل للوثات الفكر المنحرف رواجاً فى تكوين شخصيتها فى انهزامية ظاهرة وتبعية لبهرج التغريب والتفرنج المنتشر فى بعض صفوف المسلمين مع شديد الأسف لايتواءم أبداً مع عزة المسلم وكرامته .

والخلاصة :

حيثما تستمسك الأمة بالعروة الوثقى تنصلح أمورها فى الدنيا وتسعد فى الدارين ، وتتلاشى عن مجتمعاتها الظواهر المخالفة لدينها .

وإن هى فرطت فى إسلامها وأرخت الزمام لأجيالها يخبطون خبط عشواء فى كل فكر دخيل ، ومنهج هزيل وانفتاح على العالم دون ضوابط لتفشت بينها الظواهر المؤذنة بانهيارها ، وهو أمر فى حاجة ماسة أن يتصدى له الغيورون عليها ، والمهتمون بشئونها وأوضاعها الراهنة .

ومن الله الهدى والهداية

عالمية الإسلام واستمراريته - بقية

الأرض جميعاً بصفة الإسلام ، فكل من اتصف بهذه الصفة من غابر الناس وحاضرهم هو مسلم ، ويكون مسلماً كل من سيتحلى بها فى المستقبل » [٢٩] .

فالكلمة إذن بمدلولها وغايتها عامة شاملة ، تتسع لماضى الناس وحاضرهم ومستقبلهم كما اتسعت نبوات الأنبياء جميعاً ، ولم تتخذ صفة الانتساب لأحدهم دون الآخر .

والإسلام بلغة القرآن : ليس اسما لدين خاص ، إنما هو اسم للدين المشترك الذى هتف به كل الأنبياء ، وانتسب إليه كل أتباع الأنبياء [٣٠] .

« يتبع »

(٢٩) ابو الاعلى المودودى ، مبادىء الإسلام ، ص : ٣ - ٤ ، ط. المكتب الإسلامى ببيروت ، محمد الراوى ، الدعوة الإسلامية دعوة عالمية ، ص : ٧٥ .

(٣٠) محمد الراوى ، الدعوة الإسلامية دعوة عالمية ، ص : ٧٥ .

حدث في شهر صفر

عبر القرون

إعداد الأستاذ : أحمد السيد تقى الدين

هذا الباب محاولة لرصد أحداث هامة فى تاريخ أمتنا الإسلامية وقعت فى أشهر العام الهجرى ، وهى محاولة لن تخلو من قصور لأسباب عدة أهمها : أن المصادر التاريخية فى بعض الأحيان تغفل تماماً تحديد الشهر ، وتكتفى بتحديد السنة التى وقع فيها الحادث وهو أمر ألجأ كثيراً من الباحثين إلى تجاهل تحديد اليوم والشهر الذى وقع فيه الحادث اكتفاء بتحديد سنة وقوعه فقط .

وإذا كانت المصادر القديمة أغفلت تحديد البعض ؛ فإن المصادر التى أرخت لوقائع وأحداث العالم الإسلامى اعتباراً من القرن العاشر الهجرى تكاد تتجاهل كلية تحديد شهر وقوع الحادث مكتفية بتحديد السنة ، اللهم إلا بعض الوقائع هنا وهناك .

لذا نستميح القارىء العذر وندعوه معنا إلى متابعة عملنا وتزويده بما يسد أوجه القصور فيه إن أمكن ، والله المستعان .

● فى صفر من العام الثانى للهجرة ، غزا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ غزوة الأبواء ، وسار حتى بلغ (ودّان) بين مكة والمدينة ، فوادع بنى ضمرة بنَ بكر بن عبد مناة بن كنانة مع سيدهم (مخشى بن عمرو) ثم كر راجعا إلى المدينة ولم يلق حربا ، وكان استخلف عليها سعد ابن عبادة ـ رضى الله عنه ـ[1] .

● وفيه من العام الرابع للهجرة بعث رسول الله

(١) ابن كثير ، الفصول فى اختصار سيرة الرسول ، تحقيق : محمد العيد الخطراوى ، محيى الدين مستو ص ١٠٨ ـ ط مؤسسة علوم القرآن دار القلم ، دمشق ـ بيروت ١٤٠٠ هـ .

ـ صلى الله عليه وسلم ـ إلى (عضل والقارة) بسؤالهم رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ذلك حين قدموا عليه وذكروا أن فيهم إسلاما ، فبعث إليهم نفرا من الصحابة ـ رضوان الله عليهم ، وأمَّر عليهم (مرثد بن أبى مرثد الغنوى) فلما كانوا بالرجيع ـ وهو ماء لهذيل بناحية الحجاز بـ (الهدأة) ـ غدروا بهم ، واستصرخوا عليهم هذيلا ، فجاءوا فأحاطوا بهم ، فقتلوا عامتهم ، واستأسروا منهم خبيب بن عدى ، ورجلا آخر هو (زيد بن الدثِنَّة) فذهبوا بهما فباعوهما بمكة[1] .

● وفيه من العام الرابع للهجرة ، بعث رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ إلى سبعين رجلا من صحابته يعلمون أهل بئر معونة القرآن ، وذلك أن (أبا البراء عامر بن مالك) قدم على رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بالمدينة فدعاه إلى الإسلام ، فلم يسلم ولم يبعد ، ولكنه أشار على رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بأن يرسل إلى أهل نجد من يدعوهم إلى الإسلام ، على أن يكون جارا لهم ، فبعث رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ عددا من صحابته وأمر عليهم (المنذر بن عمرو) فنهضوا فنزلوا بئر معونة وهى بين أرض بنى عامر ، وحرة بنى سليم ، ثم بعثوا منها (حرام بن ملحان) أخا أم سليم بكتب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ إلى عدو الله (عامر بن الطفيل) فلم ينظر فيه ، وأمر به فقتله رجل ضربه بحربة ، فى حين غدر بنو سليم ببقية الصحابة ـ رضى الله عنهم ـ قتلوهم عن آخرهم إلا كعب بن زيد من بنى النجار .[2]

● وفيه من عام ١٢ هـ انتصر خالد بن الوليد ـ رضى الله عنه ـ على الفرس فى معركة (المذار) على الشاطىء الشرقى لنهر دجلة بالعراق ، وقتل من الفرس فى هذه المعركة ثلاثون ألفاً ، فى مقدمتهم (قارن بن قريانس) قائد جيش الفرس ، و (أنوشجان) قائد ميسرتهم ، و (قباذ) قائد الميمنة[3]

● **وفى ٢٢ من صفر عام ١٢ هـ أحرز خالد بن الوليد ـ رضى الله عنه ـ نصرا جديدا على الفرس فكان له دوى هائل ، وذلك فى معركة أليس ، واقتتل الفريقان قتالا شديدا ، حتى شق الأمر على المسلمين ، فنذر خالد بن الوليد ـ رضى الله عنه ـ « اللهم إن لك علىَّ إن منحتنا أكتافهم ألا أستبقى منهم أحدا قدرنا عليه ، حتى أجرى نهرهم بدمائهم ، فلما انهزم الفرس ، نادى خالد فى الناس : « الأسر الأسر . . لا تقتلوا إلا من امتنع » وأقبلت خيل المسلمين تسوق أفواجا من الأسرى ، فجمعهم خالد ، وقد حبس الماء عن النهر ، وضرب أعناق الأسرى فيه ، والنهر لا يجرى دما ، حتى أشار (القعقاع بن عمرو التميمى) على خالد أن يرسل الماء فى النهر على ماجف بأرضه من الدماء ، وحتى يبر بيمينه ، فلما فعل جرى ماء النهر أحمر قانيا ، وبلغ قتلى الفرس ومن حالفهم من العرب فى هذه المعركة سبعين ألفا[4] .**

---

(١) المصدر السابق صـ ١٣٦ .
(٢) المصدر السابق صـ ١٣٧ ، ١٣٨ .
(٣) الطبرى تاريخ الامم والملوك ، ج ٤/ ٧ المطبعة الحسينية ، القاهرة ، ابن كثير ، البداية والنهاية ، ٦/ ٣٨٨ ط دار الفكر العربى بالقاهرة .
(٤) الطبرى ، تاريخ الأمم والملوك ، ٤/ ٩ ، ابن كثير ، البداية والنهاية ، ٦/ ٣٨٩ ، ٣٩٠

● وفيه من عام ١٢ هـ واصل خالد بن الوليد ـ رضى الله عنه ـ انتصاراته بالعراق حيث ألحق بجيوش الفرس هزيمة جديدة فى معركة (أمغيشيا) عقب انتصاره فى (أليس) وعندما بلغ أبو بكر الصديق خبر هذا النصر قال : « . . . يامعشر قريش . . أعجزت النساء أن ينشئوا مثل خالد »[1] .

● وفيه من عام ١٦ هـ سقطت مدينتا (بهرسير) و (المدائن) الفارسيتان فى أيدى جيوش المسلمين بقيادة سعد بن أبى وقاص ـ رضى الله عنه ـ سقطت فى البداية (بهرسير) بعد قتال عنيف استمر عدة أشهر وذلك عقب الانتصا، المدوى، على الفرس فى القادسية ، وكانت (بهر آخر معاقل الفرس قبل (المدائن) ، التى أخلاها الفرس بالفعل بعد أن تأكدوا من حتمية سقوطها ، فتحولت المدائن إلى مدينة مفتوحة أمام جيوش المسلمين ، حيث سار فيها سعد بن أبى وقاص مع جيوشه يجوبون طرقاتها الخاوية لا يعترضهم أحد حتى وصلوا إلى إيوان كسرى درة الديار الفارسية ورمز عزتها ومركز قوتها وسطوتها ، فأقبل سعد يقرأ قوله تبارك وتعالى :

﴿ كَمْ تَرَكُوا مِن جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٢٥﴾ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٢٦﴾ وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ ﴿٢٧﴾ كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ ﴿٢٨﴾ ﴾[2]

● وفيه من عام ٣٧ هـ اجتمع الحكمان : عمرو بن العاص مفوضا عن معاوية بن أبى سفيان ، وأبو موسى الأشعرى مفوضا عن على بن أبى طالب ـ رضى الله عنهم أجمعين ـ وذلك سعيا وراء حل الخلاف الذى دب بين معاوية وعلى وقادهما إلى الحرب فى وقعة صفين ، وكتب الحكمان صحيفة تضمنت قبول الفريقين المتنازعين تحكيم كتاب الله ، وأن يحيى الحكمان ما أحيا القرآن ولا يتبعان الهوى ، ولا يداهنان ، وتحديد مكان اجتماعهما ، وتأمينهما على أنفسهما وأموالهما[3] .

● وفى أول صفر من عام ٧٦ هـ ، خرج الخوارج الصفرية ، وعلى رأسهم (صالح بن مسرح التميمى) من الموصل والجزيرة وانضم إليه (شبيب بن يزيد الشيبانى) مع نفر من أتباعه ، وكان هذا فى عهد الخليفة الأموى (عبد الله بن مروان) فلما بلغ أمير الجزيرة (محمد بن مروان) خروجهم بعث إليه بعض جنده فهزمهم الخوارج ، ثم التقى الفريقان مرة أخرى فى (آمد) على الشاطىء الأيسر من نهر دجلة حيث دار بينهما قتال عنيف ، لم يستطع جند (صالح بن مسرح) احتماله ، فتركوا أرض الجزيرة وتقدموا إلى نواحى الكوفة ، وهناك علم (الحجاج بن يوسف الثقفى أمير العراق) بأمرهم ، فأرسل إليهم جيشا تمكن من إحراز النصر على الخوارج ، وقتل أميرهم (صالح بن مسرح) الذى التف أصحابه حول (شبيب بن زيد الشيبانى) وبايعوه[4] .

● وفى أول صفر سنة ١٢٢ هـ خرج (زيد بن على زين العابدين بن الحسين بن على) على الخليفة الأموى (هشام بن عبد الملك) داعيا

---

(١) الطبرى ، تاريخ الأمم والملوك ـ ٤/ ١١ .
(٢) المصدر السابق حـ ٤ ص ١٦٩ ، ١٧٨ .
(٣) المسعودى مروج الذهب ومعادن الجوهر ١٩٣٨/١ ط القاهرة ٢/ ٢٧٣
(٤) الطبرى ، تاريخ الأمم والملوك ، ٧/ ٢١٧/ ٢٢٢ .

لنفسه بالخلافة ، بعد أن بلغ عدد من بايعه فى الكوفة وحدها أربعين ألفا ، ودعا أصحابه للخروج معه ، فلم يستجب لدعوته سوى مائتين وثمانية عشر رجلا ، واشتبك (زيد) مع جند الشام فى عدة معارك كان النصر حليفه فى بعضها أول الأمر ، لكنه منى أخيراً بالهزيمة وقتل[١] .

● **وفى منتصف صفر من عام ٢٠٤ هـ دخل الخليفة العباسى (المأمون بن هارون الرشيد) بغداد بعد أن بويع بالخلافة وهو بـ (الرى) مدة ست سنوات تقريبا عقب مصرع شقيقه الأمين فى ٢٥ من المحرم سنة ١٩٨ هـ .[٢]**

● وفيه من عام ٢١٠ هـ أرغمت جيوش الخليفة العباسى (المأمون) (نصر من شبث) الذى شق عصا الطاعة على الاستسلام ، وسيق إلى بغداد ، وكان متعصبا للأمين وينقم على المأمون ؛ لاتخاذه الخراسانيين دون العرب أنصارا له ، وتغلب نصر فى البداية على ما جاوره من البلاد ، وشايعه كثير من العرب ، وفشل (طاهر بن الحسين) والى خراسان وقائد جيوش المأمون فى التغلب عليه فعزله المأمون وولى بدلا منه : (عبد الله بن طاهر بن الحسين) الذى قبض فى النهاية على نصر بن شبث .[٣] .

● **وفيه من عام ٣٣٨ هـ وصل إلى قرطبة رسل الامبراطور البيزنطى (قسطنطين السابع) فى عهد الخليفة الأموى (عبد الرحمن الناصر) يحملون هدايا نفيسة بهدف تقوية العلاقات مع الدولة الأموية بالأندلس التى بلغت فى عهد الناصر ذروة الازدهار السياسى والاقتصادى فهابه الملوك فى أوروبا ، ومدوا إليه يد الطاعة وسعوا إلى مهادنته وكسب مرضاته[٤] .**

● وفى ٣ من صفر سنة ٤٨٤ هـ استولى الأمير (سيرى بن أبى بكر اللمتونى) على مدينة قرطبة من صاحبها : (المأمون بن المعتمد بن عباد) وكان (يوسف بن تاشفين) أمير المرابطين بالمغرب قد كلف (سيرى بن أبى بكر) بإخضاع الإمارات الإسلامية فى الأندلس لحكم المرابطين[٥] .

● **وفيه من عام ٥٦٤ هـ دخل الصليبيون بقيادة (عمورى) ملك بيت المقدس مدينة (بلبيس) المصرية ، ولم يبقوا على أحد من أهلها شبانا وشيبا ، ذكورا وإناثا[٦]**

● وفى ٢٧ من صفر سنة ٥٨٩ هـ توفى السلطان صلاح الدين الأيوبى قاهر الصليبيين بدمشق[٧] .

● **وفى ١٥ من صفر سنة ٦٠٩ هـ لقى المسلمون فى الأندلس هزيمة مؤلمة ، حيث ألحق (الفونس) ملك أسبانيا هزيمة مروعة بجيوش المسلمين التى قادها (الناصر لدين الله الموحدى) عند حصن (العقاب) وانسحب الناصر ، تاركا وراءه مئات الآلاف من القتلى ، وتعتبر هذه الموقعة نذيرا بنهاية قوة المسلمين بالمغرب والأندلس على السواء ، بل وسقطت الدولة الموحدية نفسها بعد ذلك سنة ٦٦٧ هـ ولم تقم لها قائمة[٨]**

---

(١) المصدر السابق ٨/٢٧١ ، ٢٧٩ .
(٢) ابن كثير ، البداية والنهاية ١٠/٢٥٠ .
(٣) ابن كثير ، البداية والنهاية ١٠/٢٦٣ ، ٢٦٤
(٤) المقرى ، نفح الطيب فى غصن الاندلس الرطيب ، تحقيق محيى الدين عبد الحميد ، ١/٣٤٣ القاهرة ١٩٤٩ .
(٥) ابن ابى زرع ، ابو الحسن على ، الانيس المطرب بروض القرطاس فى اخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس ٢/٦٩ ، ٧٧ ط ١٩٣٦
(٦) ابن الاثير : الكامل فى التاريخ ١١/١٣٦ - ط القاهرة ، ١٢٩٠هـ
(٧) ابن كثير ، البداية والنهاية ١٣/٢ ، ٣ .
(٨) المراكشى ، عبد الواحد ، كتاب المعجب فى تلخيص اخبار المغرب ٣٢٢ القاهرة ١٩٤٩ .

● وفى ٢١ من صفر سنة ٦٤٧ هـ احتل (لويس التاسع) ملك فرنسا بجيوشه ثغر (دمياط) فى بداية حملته الصليبية على مصر ، بعد أن انسحب منها الجيش المصرى بقيادة الأمير (فخر الدين يوسف بن الشيخ مقدم العسكر) بلا مبرر ، إثر شائعة سرت تؤكد وفاة سلطان مصر نجم الدين أيوب .(١) .

● وفى ١٦ من صفر عام ٩٦٠ هـ شهدت القسطنطينية حاضرة الدولة العثمانية توقيع معاهدة تحالف عسكرى بين السلطان العثمانى (سليمان القانونى) ، و (هنرى الثانى) ملك فرنسا ، ضد شارل الخامس امبراطور أسبانيا وألمانيا ، وكان (هنرى الثانى) قد سعى بقوة نحو توقيع هذه المعاهدة حتى يستفيد من قوة الأسطول العثمانى الضاربة فى مواجهة شارل الخامس ، كما رأى فيها السلطان سليمان القانونى فرصة لمواصلة فتوحاته فى أوروبا وبمعونة أوروبية - أيضاً - حيث نصت المعاهدة صراحة على أن أى مدينة أو قرية تتغلب عليها القوات العثمانية خلال الحرب تكون ملكا للدولة العثمانية(٢) .

● وفى ٢٠ من صفر سنة ٩٧٤ هـ توفى السلطان العثمانى (سليمان القانونى) وخلفه فى الحكم ابنه (سليم الثانى) .(٣)

● وفى ٢٥ من صفر سنة ١٠٤٥ هـ تمكن السلطان العثمانى مراد الرابع من فتح مدينة (أريوان - yere van) شمال غرب إيران(٤) .

● وفى ٢٥ من صفر سنة ١٠٧٤ هـ سقطت قلعة (نوهزل - Nevhäusel) النمساوية فى يد القوات العثمانية فى عهد السلطان العثمانى (محمد الرابع) بعد حصار دام ستة أسابيع فقط ، واضطربت أوروبا بأجمعها لهول هذا الخبر ، حيث ترتب على سقوط هذه القلعة انتشار القوات العثمانية فى عدد من المدن النمساوية فى مقدمتها (مورافيا - Moravie شرق (بوهيميا) و(سيلزيا - Silésie) وسط أوروبا ، واضطر (ليوبولد) امبراطور النمسا لطلب معونة ملك فرنسا لمواجهة الانتصارات العثمانية(٥) .

● وفى ١٢ من صفر سنة ١١٠٧ هـ هاجم السلطان العثمانى (مصطفى الثانى) بلاد المجر ، واستولى على حصن (لبا) وألحق هزيمة هائلة بجيوش المجر فى معركة (لجوس) جنوبى غربى رومانيا ، وقتل فى هذه المعركة ستة آلاف جندى مجرى .(٦)

● وفى ٧ من صفر سنة ١٢١٣ هـ دخل (نابليون بونابرت) قائد الحملة الفرنسية على مصر مدينة القاهرة بعد أن ألحق بالمماليك هزيمة حاسمة فى معركة إمبابة ، وأبدى المماليك شجاعة فائقة فى القتال ، ولكنهم اضطروا فى النهاية إلى الفرار .(٧)

---

(١) المقريزى ، السلوك لمعرفة دول الملوك تعليق الدكتور محمد مصطفى زيادة ، حـ ١ القسم الثانى صـ ٣٣٥ ، دار الكتب المصرية ١٩٤٢ .
(٢) محمد فريد ، تاريخ الدولة العلية العثمانية ، ٢٤٢ ، ٢٤٥ تحقيق : د/إحسان حقى ، ط ١٩٨٣ دار النفائس بيروت .
(٣) المصدر السابق صـ ٢٥١ .
(٤) المصدر السابق صـ ٢٨٤ .
(٥) المصدر السابق صـ ٢٩٤ : ٢٩٦ .
(٦) المصدر السابق صـ ٣٠٨ ، ٣٠٩
(٧) الجبرتى ، تاريخ عجائب الآثار فى التراجم والأخبار ، ١٨٤/٢ ، ١٩٢ ط دار الجيل - بيروت .

● وفيه من عام ١٢١٤ هـ نزلت القوات العثمانية بأبى قير وتمكنت من الاستيلاء على قلعتها ، فسار إليهم (بونابرت) على رأس جيوشه من القاهرة فألحق بهم هزيمة ساحقة وأسر قائد الجيش العثمانى (مصطفى باشا)(١) .

● وفى ١٦ من صفر عام ١٢١٦ هـ تم توقيع اتفاق بين قوات الحملة الفرنسية بمصر ، وبين القوات العثمانية والإنجليزية ، تنسحب بمقتضاه القوات الفرنسية من مصر ، وقام (بليار) الحاكم الفرنسى على القاهرة بإجلاء قوات الحملة بكامل أسلحتها من القاهرة إلى رشيد تحت حراسة قوات إنجليزية وعثمانية .(٢) .

● وفى ٥ من صفر عام ١٢٢٦ هـ أباد (محمد على باشا) والى مصر المماليك فيما يعرف فى التاريخ الحديث باسم (مذبحة القلعة) وفيها أعد محمد على حفلا بمناسبة خروج ابنه (طوسون) إلى الجزيرة العربية لمحاربة الوهابيين ، وما أن دخل قادة المماليك إلى القلعة حتى تم إغلاق أبوابها وأطلقت عليهم البنادق من خلف الأسوار ومن أعلاها ، وتتبع جنود محمد على كل من تخلف عن الحضور بالقتل فى سائر أنحاء البلاد(٣) .

● وفى ٢٨ من صفر عام ١٢٤٢ هـ اضطرت الدولة العثمانية إلى التصديق على معاهدة (آق كرمان) مع روسيا تحت ضغط الدول الأوروبية : انجلترا ، والنمسا ، وبروسيا ، وفرنسا ، وكان الهدف الرئيسى للمعاهدة إيقاف الحرب فى بلاد اليونان والمعروفة باسم (حرب المورة) التى ثار فيها اليونانيون على الحكم العثمانى ، ولم تتدخل الدول الأوروبية إلا عندما وجدت الدولة العثمانية على وشك إخضاع بلاد اليونان ، وكان غريبا ألا تتضمن المعاهدة شيئاً عن اليونان لإتاحة الفرصة لليونانيين مستقبلا ؛ لإعادة الثورة وإنما هدفت المعاهدة إلى تدعيم روسيا فى مواجهة الدولة العثمانية حيث جعلت للسفن الروسية حق الملاحة فى البحر الأسود دون أن يكون للدولة العثمانية أى اعتراض رغم مرور هذه السفن أمام سواحلها ، كذلك جعلت اختيار حكام ولايتى (الأفلاق) و(البغدان) الخاضعتين للحكم العثمانى بموافقة الدولتين معا وعدم جواز عزلهما إلا بموافقتهما معا ، كما انتزعت هذه المعاهدة إقليم (الصرب) من الدولة العثمانية ومنحته حق الاستقلال .(٤)

● فى ٢٦ من صفر سنة ١٢٤٤ هـ بدأت القوات المصرية بقيادة (إبراهيم باشا) ابن (محمد على) والى مصر انسحابها من بلاد اليونان بعد أن كادت تنجح فى القضاء على ثورتها تماما وإخضاعها للحكم العثمانى إلا أن تدخل الدول الأوروبية الكبرى إلى جانب ثوار اليونان حال دون ذلك ، بل وتعرض الأسطول المصرى للتدمير فى معركة نوارين البحرية ٢٨ من ربيع الأول ١٢٤٣ هـ فأصدر محمد على باشا أوامره بانسحاب القوات المصرية من اليونان .(٥)

---

(١) المصدر السابق صـ ٢٩٨/٢ ، ٢٩٩ .
(٢) المصدر السابق صـ ٤٦٦/٢ : ٤٧٨ ، محمد فريد ، تاريخ الدولة العلية ، صـ ٣٧٨ .
(٣) المرجع السابق صـ ٤٠٧ .
(٤) محمد فريد ، تاريخ الدولة العلية ، صـ ٤١٦ ، ٤١٧ .
(٥) المصدر السابق صـ ٤٢٦ ، ٤٢٨ .

● وفى ١٠ من صفر سنة ١٢٤٨ هـ انتصرت القوات المصرية بقيادة (إبراهيم باشا) على قوات السلطان العثمانى (محمود الثانى) فى الشام واستولى على (حلب) بعد أن كان قد استولى على (عكا) فى ٢٧ من ذى الحجة سنة ١٢٤٧ هـ وذلك خلال الصراع الذى نشب بين محمد على باشا والى مصر ، وبين الدولة العثمانية حيث سعى محمد على إلى التوسع على حساب أملاك الدولة العثمانية فى الشام ، الأمر الذى دفع السلطان العثمانى إلى إعلان عصيان محمد على الذى كاد ينجح فى إسقاط الدولة العثمانية نفسها لولا تكتل الدول الأوروبية ضد طموحاته حتى لا تظهر فى العالم الإسلامى دولة قوية تحل محل الدولة العثمانية الضعيفة بل والمنهارة تماما .[١]

● وفى ٢٨ من صفر سنة ١٢٧٠ هـ انقض الأسطول الحربى الروسى على الأسطول الحربى العثمانى فى البحر الأسود ودمره تماما فى معركة (سينوب) على الرغم من سابق التعهد الروسى بعدم الإتيان بأى عمل عدائى فى البحر الأسود .[٢]

● وفى ٨ من صفر سنة ١٣٣٣ هـ كتب (السير آرثر هنرى مكماهون) نائب ملك بريطانيا فى مصر إلى (الشريف حسين) شريف مكة ، فى إطار المراسلات المشهورة فى التاريخ الحديث باسم (مراسلات الحسين / مكماهون) تلك المراسلات التى هدفت بالدرجة الأولى إلى ضمان تأييد العرب لبريطانيا وحلفائها خلال الحرب العالمية الأولى ضد تركيا وألمانيا ، وبوجه عام حملت المراسلات وعودا بريطانية براقة للعرب بشأن استقلالهم فى دولة كبرى يحكمها الشريف حسين ، وجاء فى افتتاح هذه الرسالة : « بسم الله الرحمن الرحيم ، إلى صاحب الأصالة والرفعة ، وشرف المحتد ، سلالة بيت النبوة ، والحسب الطاهر ، والنسب الفاخر ، دولة الشريف المعظم السيد حسين بن على أمير مكة المكرمة قبلة الإسلام والمسلمين أدامه الله فى رفعة وعلاء .. » وجاء فيها أيضاً : « .. تلقيت .. تأكيداتكم أن العرب عازمون على السير بموجب تعاليم الخليفة عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - وغيره من السادة الخلفاء الأولين ، تلك التعاليم التى تضمن حقوق كل الأديان وامتيازاتها على السواء ... » ولم ينس مكماهون فى نهاية رسالته المصاغة بلغة عربية رصينة أن يذيل الرسالة بتاريخ تحريرها الهجرى : « تحريرا فى ٨ صفر ١٣٣٣ هـ »[٣] .

● وفى ٢٥ من صفر سنة ١٣٣٤ هـ كتب (الشريف حسين) شريف مكة رسالة إلى (السير : آرثر هنرى مكماهون) نائب ملك بريطانيا فى مصر يعترض فيها على الوجود الفرنسى فى بيروت وسواحلها ، بشكل قد يؤدى إلى فصلها عن سوريا ، وقال : « ... إن جوارهم لنا سيكون جرثومة للمشاكل والمناقشات التى لا يمكن معها استقرار الحالة ، عدا أن البيروتيين بصورة قطعية لا يقبلون هذا الانفصال .. وعليه يستحيل إمكان أى تساهل يكسب فرنسا أو سواها شبرا من أراضى تلك الجهات ... »[٤] .

---

(١) المصدر السابق صـ٤٤٨ : ٤٥٠ .
(٢) المصدر السابق صـ٤٩٨ .
(٣) دائرة الثقافة / منظمة التحرير الفلسطينية ، وثائق فلسطين ، صـ٥٩ ، ٦٠ ط ١٩٨٧ .
(٤) المصدر السابق صـ ٦١ ، ٦٢ .

● وفيه من عام ١٣٣٦ هـ كتب وزير خارجية بريطانيا (آرثر جيمس بلفور) إلى (اللورد روتشيلد) أحد أقطاب الصهيونية العالمية رسالة هذا نصها :

« وزارة الخارجية

فى الثانى من نوفمبر سنة ١٩١٧

عزيزى اللورد روتشيلد :

يسرنى جداً أن أبلغكم بالنيابة عن حكومة جلالته التصريح التالى الذى ينطوى على العطف على أمانى اليهود والصهيونية ، وقد عُرض على الوزارة وأقرته :

إن حكومة صاحب الجلالة تنظر بعين العطف إلى تأسيس وطن قومى للشعب اليهودى فى فلسطين ، وستبذل غاية جهدها لتسهيل تحقيق هذه الغاية ، على أن يفهم جليا أنه لن يُؤتى بعمل من شأنه أن ينتقص من الحقوق المدنية والدينية التى تتمتع بها الطوائف غير اليهودية المقيمة الآن فى فلسطين ، ولا الحقوق أو الوضع السياسى الذى يتمتع به اليهود فى البلدان الأخرى .

وسأكون ممتنا إذا ما أحطتم الاتحاد الصهيونى علما بهذا التصريح .

المخلص : آرثر بلفور »[1]

وهكذا جعل بلفور من السكان العرب الأصليين مجرد طوائف لها حقوق مدنية ودينية ، وفصلهم تماما عن اليهود الذين صاروا بفضل هذا التصريح ، أو الوعد أصحاب حق فى أرض اغتصبها الإنجليز من العرب ، فكان وعدا ممن لا يملك لمن لا يستحق .

(١) وثائق فلسطين صـ ٨٤ ، ٨٥ ، أما التاريخ الهجرى فهو نقلا عن : حلة ، محمد على ، دكتور ، جهود الأزهر الشريف فى دعم قضية فلسطين والقدس الشريف ، ملحق مجلة الأزهر صـ ٢ ربيع الآخر ١٤١٨ هـ .

فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ

استفتاءات القراء

يجيب عنها لجنة الفتوى بالأزهر الشريف

يقدمها الشيخ السيد العراقى شمس الدين

السؤال مقدم من السيد / محمد أحمد أبو المجد يقول فيه :

ما الحكم فى رجل رمى الجمرات كلها مرة واحدة وهو لا يدرى وكان مغمى عليه ، وإذا كان عليه هدى هل يذبح بمصر أو بالسعودية ؟

الجواب

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد : فنفيد بأن رمى الجمار واجب من واجبات الحج ينجبر بالدم وهو رمى الجمرة الكبرى يوم العيد بسبع حصيات والجمرات الثلاث ثانى يوم وثالث يوم الأضحى وهى أيام التشريق الثلاثة .

﴿ فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ ﴾

(البقرة : ٢٠٣) .

فمن فاته هذا الواجب عليه هدى ومكان ذبح الهدى فى مكة أو منى ، ولا يصح أن يكون فى مصر فيجب على هذا السائل أن يوكل من يذبح له فى العام المقبل ، وإذا لم يجد أحدا فليذهب إلى البنك الأهلى أو بنك مصر ويضع ثمن الهدى فى حساب بنك الراجحى للأضحية ، وهم ينيبون عنه من يقوم بهذه العملية والله ولى التوفيق

سؤال مقدم من السيد / عبد الشكور إسلام من الاتحاد السوفيتى يقول فيه :

ما مدى مشروعية هدم وتفريغ وإعادة تجهيز مقابر المسلمين لتتسع لموتى آخرين ؟

الجواب

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد : فنفيد بأنه يجوز

هدم وإعادة مقابر المسلمين للضرورة أو لمنفعة المقابر نفسها أو المسلمين كأن تكون آيلة للسقوط أو عمتها المياه ، فيجوز هدمها بشرط أن تجمع العظام التى بها وتوضع فى أكياس وتنقل إلى المقبرة الجديدة ، وفى هذه الحالة يجوز هدم وإعادة تجهيز مقابر المسلمين لتتسع لدفن عدد أكبر من الموتى حيث إن الأرض المخصصة للمقابر ضيقة ، مع ملاحظة احترام جثث وعظام الموتى السابقين ووضعها فى أكياس مخصوصة وتدفن مرة أخرى هذا والله أعلم .

السؤال من السيد / أ . ح

سيدة تبلغ من العمر ثمانين عاما وترغب فى بيع ما تملك لأبناء شقيقتها البنات وذلك بغرض حرمان أبناء العم العصب فهل هذا جائز شرعا . وما الحكم ؟

الجواب

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، أما بعد فنفيد بأنه إذا كان الغرض من بيع ممتلكاتها هو حرمان أبناء العم فهذا يعد حراما شرعا . أما إذا كانت تريد بيع ممتلكاتها لحاجتها فلا مانع ويجب على هذه السيدة أن تترك ما لها للتقسيم الإلهى وهذا هو أفضل والله تعالى أعلم.

سؤال مقدم من السيد « محمد غسان محمود أقبيق توفى مسلم عن : زوجة غير مسلمة ، وإخوة وأخوات أشقاء مسلمين فمن يرث وما نصيبه ؟

الجواب

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله - ﷺ - وبعد فنفيد بأن الزوجة غير المسلمة لا ميراث لها فى زوجها المسلم وتؤول تركة المسلم لإخوانه وأخواته الأشقاء تعصيبا لأنهم مسلمون فتقسم عليهم التركة للذكر ضعف الأنثى هذا إذا كان الحال كما ذكر فى السؤال والله أعلم .

سؤال مقدم من السيد / محروس أبوالعينين السيد يقول فيه :

ما الحكم لو قال لزوجته : إذا الموضوع تم تحرمى على مثل أمى وأختى وهو لا يعلم معنى الظهار ؟

الجواب

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين وبعد :

فنفيد بأنه إن تم المحلوف عليه فيقع عليه الظهار ويلزمه الكفارة وهى إطعام ستين مسكينا ، هذا إذا كان الحال كما ذكر فى السؤال والله أعلم .

السؤال من السيد / الحاج عبد العظيم محمد عمر يقول فيه :

رجل يقول فى أثناء الصلاة : - حسبنا الله ونعم الوكيل فما الحكم ؟

الجواب

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، أما بعد : فنفيد بأنه يجب على المسلم ألا يتحدث أثناء الصلاة وإذا تحدث أثناء الصلاة بطلت صلاته . أما إذا كان يتحدث قبل دخوله فى الصلاة فلا يصح حتى لا يشوش على المصلين والله تعالى أعلم .

طرائف ومواقف

للأستاذ/ عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

"جواب مسكت"

قال أبو العيناء قلت لأحمد بن أبي داود : إن قوما تضافروا علىّ ، فقال :

﴿ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ﴾ سورة الفتح آية (١٠)

قلت : إنهم عدد وأنا واحد ، فقال :

﴿ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً ﴾

سورة البقرة آية (٢٤٩)

قلت : إن للقوم مكرا ، فقال :

﴿ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ ﴾

سورة فاطر آية (٤٣)

"ولا يغتب بعضكم بعضاً"

أضاف إبراهيم بن أدهم أناسا فلما جلسوا للطعام أخذوا فى الغيبة فقال لهم إبراهيم : إن من قبلنا كانوا يأكلون الخبز قبل اللحم وأنتم أكلتم اللحم قبل الخبز .

"الدين .. والدنيا"

من نافسك فى دينك فنافسه ، ومن نافسك فى دنياك فألقها فى نحره .

"محدث مرح"

كان أحد المحدثين على دعابة :

خرج إلى طلبته يوما فقال لهم : لولا أن أخرجنى من البيت من هو أبغض إلىّ منكم ما خرجت .

"لحن الأمير فلحنت"

قال الحجاج للشعبى ، وقد دخل عليه : كم عطاءك ياشعبى ؟

فقال الشعبى : ألفين يا أمير المؤمنين .
قال الحجاج : ويحك كم عطاؤك ؟
فقال الشعبى : ألفان يا أمير المؤمنين .
قال الحجاج : فلم لحنت لأول مرة فيا لا يلحن فيه مثلك ؟ فقلت : ألفين ؟
فقال الشعبى : لحن الأمير فلحنت ، وأعرب فأعربت ، ولم أكن ليلحن الأمير فاعرب أنا عليه ؛ فأكون كالمقرع له بلحنه ، والمستطيل عليه بفضل القول قبله .

"الاستدلال بالضمير على الضمير"

كتب حكيم إلى حكيم إذا أردت معرفة ما لك عندى فضع يدك على صدرك فكما تجدنى كذلك أجدك ، وقالوا : إياكم ومن تبغضه قلوبكم فإن القلوب تجازى القلوب وقال ذو الإصبع :

لا أسأل الناس عما فى ضمائرهم
ماقى ضميرى لهم من ذاك يكفينى

وقال محمود الوراق :

لا تسألن المرء عما عنده
واستمل مافى قلبه من قلبكا
إن كان بغضا كان عندك مثله
أو كان حبا فاز منك بحبكا

"فكن أنت"

شهد حسن البصرى جنازة ، فقال لصاحبه وهو يحاوره :
أترى لو رجع للدنيا لعمل صالحا ؟
فقال صاحبه : نعم ، نعم !!
فقال حسن البصرى .
فإن لم يكن هو فكن أنت .

"والموعد القيامة"

حبس الحجاج بن يوسف رجلا ووضعه فى السجن ظلما ، فكتب الرجل إليه رقعة فيها ؛ قد مضى من بأسنا أيام ، ومن نعيمك أيام ؛ والموعد القيامة والسجن جهنم ، والحاكم لا يحتاج إلى بينة . وكتب فى آخرها :

ستعلم ياشئوم إذا التقينا
غدا عند الإله من الظلوم
إلى ديان يوم الدين نمضى
وعند الله تجتمع الخصوم

"ما بال فمك معوجًا"

وقف أعرابى مشوه الفم على أحد الولاة وأنشده قصيدة فى الثناء عليه التماسا للمكافأة ، ولكن الوالى لم يأمر بأى مكافأة ، ولم يكفه هذا فسأله ما بال فمك معوجاً ؟
فقال الأعرابى : لعله عقاب من الله .
فعاد الوالى يسأله : ولأى شىء عاقبك ؟
فقال : لكثرة ما كذبت عليه بالثناء بالباطل على بعض الناس .

"دعـــاء"

نسأل الله بما يقضى الرضى
حسبى الله بما شاء قضى
قد أردنا فأبى الله لنا
وأراد الله شيئا فمضى

من أعلام الأزهر الشريف

الدكتور محمد حسين الذهبى

باحث موسوعى ملتزم ٢

للأستاذ الدكتور
محمد رجب البيومى

من آفة التأليف المعاصر أن بعض الدارسين يضيق ذرعا بفضل سابقه ، فهو يشرب من نبعه ، ويرد مورده صريحاً لامرية فى استقائه ، ثم ينكر أى ذكر له ، وكأنه لم يسمع به ، وما درى أنه لو صح أنه لم يسمع به لعد ذلك قصورا فى بحثه العلمى الذى يستوجب أن يعود الباحث إلى ما قيل من قبل ، وما ضره لو اعترف بما قرأ ونهل ، ورجع بالفضل إلى صاحبه ! هذا ما وجدته لدى بعض من كتب فى تاريخ التفسير وتجاهل كتابا يعد أوفى مرجع فى بابه ! وكأنه لم يعلم عنه شيئاً ! وأشد من هذا نكرا من يقرأ الكتاب ثم يهتدى بأفكاره ويستضىء بمراجعه ، ويذكره فى مصادره المعتمدة ، ولكنه يختلق الاعتراضات اختلاقاً حوله كى يهون من شأنه أمام القارىء ، ويصبح هو صاحب المصدر المعتمد ! فمرة يزعم أن كتابا يشمل تاريخ التفسير من بدء نشأته إلى يومنا هذا لا يمكن أن يكون ذا بحث دقيق ، وقد نسى أن أكثر مؤرخى الأدب من المستشرقين ، وكذلك من سار على منوالهم من كتاب التاريخ السياسى ، يتحدثون عن جميع العصور فتترجم بحوثهم وتصبح أحد المصادر على اتساعها الممتد ، إذ ليس الشأن شأن امتداد الساحة ، ولكنه شأن اليقظة إلى التيارات الهامة فى سير العلم المبحوث ، ولعل أغرب ما وجه لموسوعة الشيخ الذهبى أنها فى حديثها عن التفسير المعاصر لم تذكر الألوان الفنية التى اتجه إليها التفسير الأدبى ، وقد نسى الناقد أن الكتاب رسالة علمية قدمها صاحبها إلى كلية الشريعة ، ولم يتقدم بها إلى كلية اللغة أو كلية الآداب أو دار العلوم ! ثم إن المؤلف انتهى من كتابه سنة ١٩٤٥ ، وهو زمن « لم يشتهر به ما يعنيه الكاتب من وجوب رصد التيارات الفنيّة ، فهل كان على المؤلف أن ينتظر حتى تتمخض الأيام عن آراء فنيّة لها من الخطأ أكثر مما لها من الصواب ، ثم يرسل البوق الصاخب مباركاً كل اتجاه فنى طريف على أن مما يهون الأمر فى ذلك كله أن موسوعة الشيخ الذهبى قد أصبحت لدى الأصلاء من الدارسين المصدر

الأول فى موضوعها وأن تجاهلها يفضح المتجاهل ولاينقص مثقال ذرة من فضل صاحبها الجليل ، ولو كان المجال ذا سعة لأفضت فى تعداد ما اهتدى إليه الذهبى من صائب الآراء فى ميدانه الجديد ، ولكن الكتاب ذائع الصيت منتشر الفضل ، وذيوعه المستفيض دليل الحاجة إليه ، وما بعده من دليل .

فإذا تركنا ما قال الشيخ فى موسوعة (التفسير والمفسرون) فإننا ننتقل إلى حديث قريب من موضوعها أبدع فيه الباحث أحسن إبداع حين تحدث فى بحث مستفيض عن الإسرائيليات فى تفسير القرآن والحديث ، وقد قلت إن هذا الحديث قريب من موضوع الموسوعة القرآنية ، لأنه يصدر عن مشكاتها موضحا ما أبهم مفصلا ما أجمل ، وهو مؤلف دعت إليه الضرورة العلمية إذ جاهر قوم باصطفاء الدخيل المشبوه مما جمعه بعض المفسرين . وعرف لدى الدارسين باسم الإسرائيليات ، ومن أصحاب الفن الروائى من عمد إلى بعض هذه المفتريات فجعل منها قصة أدبية بطلها النبى المرسل ! وكأن ما افتراه أصحاب هذه الأساطير حق لا شك فيه . فوجب أن يسلط الضوء على هذه المفتريات ، وَمَنْ أولى بتوهين عناصرها ، ونسف تهاويلها من باحث درس كتب التفسير ، وكتب فى تحليلها عن ثقة واقتدار . .

لقد دعا المؤتمر الرابع لمجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الدكتور الذهبى لكتابة بحث عن (الإسرائيليات فى الحديث والتفسير) ، فكان عند الظن به حين قدم بحثا شاملا فى أكثر من مائتى صفحة مستوفاة ، وقد طبعه المجمع فى كتاب مستقل ، حيث كشف جديدا من فنون البحث ، وقدم صائبا من الاقتراحات الناجعة .

الدكتور محمد حسين الذهبى

وإذا كانت جلسات الاستماع فى المؤتمر لا تتحمل البحوث الإضافية فقد جرت العادة أن يقوم كل باحث بإلقاء خلاصة شافية لدقائق بحثه ، وهو ما فعله الدكتور الذهبى حين لخص حديثه فى نقاط هامة ، فأبان لنا أن بحثه ينحصر فى مقدمة وخاتمة بينهما ثلاثة فصول ، فالمقدمة توضح علاقة القرآن الكريم بالكتب السماوية والخاتمة بين ما يجب أن يلتزم به المفسر بالنسبة للروايات الإسرائيلية ، أما الفصل الأول فخاص ببيان معنى الإسرائيليات وكيف تسربت إلى التفسير والحديث ومدى خطورتها على عقائد المسلمين ، وأما الفصل الثانى فيفصل أقسام الإسرائيليات وحكم روايتها ، وأشهر رواتها ، وفى الفصل الثالث أمثلة لما تضمنه بعض كتب الحديث والتفسير من هذه الإسرائيليات ، ومن المهم أن نشير إلى بعض الحديث فى هذا البحث فنص على رفضه الحاسم لاعتذار بعض العلماء حين يبررون ما يسرقونه من هذه الأراجيف ، فيقول قائل إن المفسر رجل أمين

يطلع القارىء على كل ما قيل ، وإذا كان من كذب فوزره على المخترع الأول ، وهو قول واضح التهافت ، وقريب منه قول من يزعم أن مثل المفسر فيما يجمع من الإسرائيليات كمثل رجل النيابة حين يسجل أقوال الشهود جميعها ، وهو يعلم أن بينها ما يتسم بالزور الصريح ، ولكنه يترك الحكم للقاضى ، والقاضى هنا القارىء ، وقد نسى صاحب هذا الرأى أن كل قارىء لا يملك أداة الحكم كما يملكها قاض مثقف بصير فإذا احترز القاضى بعلمه ، فماذا يصنع القارىء إذا لم يكن من أولى الاختصاص ، ومن قائل إن سرد هذه الأراجيف يعطى دلالة واضحة لعقلية العصر الذى نشأت به ، فيفيد فى رصد المجال الفكرى للتطور العلمى ، ومعروف أن رصد هذا التطور ليس ميدانه كتب التفسير ، ولكنه يحتاج إلى أفق آخر يطير فيه الباحث بما يملك من أجنحة علمية تهيىء له ارتياد الآفاق !

وقد أوضح الأستاذ أن كتب الحديث وشروحها أهون خطبا من كتب التفسير فى هذا المجال . لأن أحاديث الرسول قد خضعت لميزان دقيق حين تجرد أئمة الحديث لتطبيق ما عرفوه فى علم مصطلح الحديث على ما يروى منسوباً إلى الرسول ، فعملوا على تنقية الحديث وتجريده من الدخيل والعليل فى وقت مبكر ، فكان من أثر ذلك أن عرف الناس الصحيح من العليل ، وإذا كانت بعض الأحاديث الموضوعة تجد لها مجالاً لدى بعض العامة فإن ظهور عوارها يكشف عن باطلها بأدنى البصر الثاقب ، وكتب الصحاح بمنجى عن هذه الأراجيف .

ثم قدم الشيخ اقتراحات سديدة وجدت التنفيذ من القائمين على مجمع البحوث ، إذ وضعوا التفسير الموجز والتفسير الوسيط ، فى هَدْى ما قيل عن خطورة الإسرائيليات . وأصبحت لدينا فى مجال التفسير كتب معتمدة ، بعيدة عن حول الأساطير . . ومراجع للبحث متعددة مستوفاة ، وقد شملت كتبا أخرى تتصل بالموضوع فى غير مجالى التفسير والحديث ، وتلك طبيعة البحث الأصيل . . وقد يرى الدارس أن الدكتور الذهبى كان مرتفع النبرة فى تشدده بإزاء المفسرين الذين تساهلوا فى نقل الإسرائيليات ، لأنه فى كتاب (التفسير والمفسرون) كان أكثر هدوءا ، ولعله لمس من رواج هذه الأساطير بين الناس ما دعاه إلى أن يكون أكثر إزعاجا ، وأعنف لوما ، وهى مسألة لا يكتفى فيها بالقول الهامس فلابد من ارتفاع الصوت ليبلغ المدى البعيد .

وقد يظن بعض الناس أن تخصص الدكتور الدقيق فى علوم التفسير والحديث سنين عدة قد شغله عن البحوث التشريعية ، وقد درسها دراسة مستوفاة فى كليتها المتخصصة طالبا ، ودرّسها بالعراق لطلبته أستاذا ، ولكن هذا الظن يتبدد حين نطالع ما كتبه الشيخ من بحوث ضافية فى مجال التشريع ، ومن أظهرها بحثه الدقيق الذى قدمه لمؤتمر الفقه الإسلامى بالرياض سنة ١٩٧٦ م تحت عنوان (أثر إقامة الحدود فى استقرار المجتمع) والبحث فى إطاره هذا ، يتطلب دراية واعية بالمجتمع الإسلامى فى شتى ربوعه قبل الدراية المسلم بها بقوانين الحدود التشريعية فى الإسلام ، وقد أعجبت بامتداد النظرة الفسيحة لهذا الموضوع ، حين طالعت ما كتب الشيخ ، لأنه لم يهمل القواعد النفسية والاجتماعية حين عالج الموضوع ، بل جعل هذه القواعد ركيزته القوية فى بناء بحثه الدقيق ، وقد ابتدأه بحديث عن العقيدة وأثرها فى السلوك ، لأن أكثر من يعالجون موضوع الحدود يهملون أثر

العقيدة فى كظم الشهوات وكبح العواطف ، وهو إهمال يجعل قوانين الحدود ذات لجاج صاخب عند من يفقدون روح الإيمان ، وفقد الإيمان كارثة الكوارث ، إذ نفقده تصبح قوانين الحدود مظنة للاحتيال ، حين يحسن المجرم إخفاء جريمته لينجو من القانون الجنائى ، وهو بهذا التستر يظن المسألة قد دخلت منطقة الأمان ، وقد يحلو له أن يكرر الجريمة مادام قد أحسن التدبير وأجاد الاختفاء ، أما صاحب العقيدة فإذا نجا من القانون لم ينج من وعيد الله فهو فى خوفٍ هائل يدفعه إلى الندم ، ومن أبرز ما وفق فيه الدكتور إصراره على أن يحيا المجتمع حياة راضية فى ظل تكافل اجتماعى قبل أن تنفذ الحدود ، والذين يستبشعون قوة الحد حينئذ مخطئون ، لأن المجرم ليس جائعا ، أو ليس عاجزا حتى تلتمس له الأعذار ، فالمجتمع الإسلامى قد حفظ كرامته ، ووقاه شر الامتهان ! وهنا تكون الجريمة مستبشعة فى حد ذاتها إذ ليس لها مبرر معقول .

يقول الأستاذ الدكتور الذهبى :

« وتكافل الجماعة فى النظام الإسلامى يفرض مبدئياً أن يتم تبادل كامل فى الحقوق والواجبات بين أفراد المجتمع وفئاته ، وأن يفى كل بما عليه ليصبح من حقه أن يطالب بما له ، فالغنى مثلا يفى للمجتمع بما عليه من حقوق المال زكاة وضريبة وصدقة ، وهنا يصبح من حقه حماية ماله وصيانته بإقامة حق آخر من حقوق المال . هو حد السرقة يقام على من يعتدى على حرمة هذا المال الذى أصبح بأداء هذه الحقوق حقيقا بالقدسية التى أضفيت عليه ، وفى غيبة التكافل الاجتماعى ، وحين تشيع أثرة باغية ، ويصبح المال دولة بين الأغنياء ، وحين يغلق بيت مال المسلمين بابه أمام العاجز والفقير والمضطر ، أو حين يصاب المجتمع كله بمجاعة عامة يكون ثمة ما يمكن أن نسميه ظروفا طارئة من شأنها إعادة النظر فى الموقف فى ضوء الوضع القائم ، فقد أوقف عمر حد السرقة عام الرمادة ، ومتى قام المجتمع بما عليه تجاه الفرد من تربية صحيحة ، وتمكين له من سد حاجته الإنسانية المشروعة مأكلا ومشربا وملبسا ومسكنا فقد أصبح لزاما عليه أن تقام حدود الله دون تهاون »[1] .

وعلى هذا المنوال يتحدث الأستاذ فى الحدود الأخرى مبينا عدالة الإسلام فى تنفيذ قوانينه وإحاطتها بالضويط المانعة للظلم أو الاعتساف .

ومن أجمل ما تعرض له الأستاذ فى بحثه الدقيق هو إجابته عن سؤال خاص بتطور التشريع فى عهد الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ إذا تساءل لماذا لم تطبق الحدود فى مكة فى مبدأ ظهور الإسلام ، ولماذا تم الانتظار حتى تكونت الدولة الإسلامية بالمدينة ؟!

ثم أجاب بما نشير إليه ملخصا حين نقول إن تربية الفرد يجب أن تستكمل قبل أن يواجه بمطالب مجتمعه ، فعليه أن يعرف وضعه من نفسه ومن الناس ، ويمكن أن يتسلح بفضائل الخلق الكريم حتى يدين بها فى تحمس وارتياح ، فإذا تم له ذلك جاءت الحدود لتمنعه من الشر إذا وسوس له الشيطان به ، إذ أن استقرار روح العدالة فى المجتمع الإسلامى تجعل العقاب جزاء طبيعيا لمن يحاول هدم هذا المجتمع وقد قام على العدل والحرية وحماية الحقوق !

ثم نظر الشيخ نظرة واسعة إلى ما يجرى الآن فى الدول جميعها ؟ إنها ترصد ميزانيات ضخمة لمقاومة الجريمة بحيث أنّ وزارة الأمن تستولى على أكثر مما تناله وزارة التربية والتعليم ، أو وزارة

البقية ص ٢٧٥

الدكتور أحمد الشرباصي

حياته العلمية وآراؤه التربوية

للأستاذ : نبيل محمد رشاد *

عالم جليل ، راسخ القدم فى علوم الإسلام الحنيف من التفسير والحديث والفقه ، والأصول والملل والنحل ، والتاريخ الإسلامى وتراجم أعيان رجاله ، وأعلام علمائه ، كما كان راسخ القدم - أيضاً - فى علوم العربية من النحو والصرف ، والنقد والبلاغة ، والأدب العربى شعره ونثره فكان - بحق - أنموذجا لما كان عليه العالم الأزهرى من سعة الأفق ، وغزارة العلم ، وموسوعية الثقافة .

إنه فضيلة الدكتور أحمد الشربينى جمعة الشرباصى الذى ولد فى السابع عشر من شهر نوفمبر عام ١٩١٨ م فى قرية البجلات مركز دكرنس بمحافظة الدقهلية .

الشرباصى فى مرحلة الطلب :

ولقد شب الدكتور أحمد الشرباصى فى قريته ، وتعلم فيها القرآن الكريم ومبادىء الحساب ، ثم التحق بالتعليم الأزهرى - كسائر أترابه - وظل يرتقى من مرحلة إلى مرحلة حتى تخرج فى كلية اللغة العربية عام ١٩٤٣ م وكان أول دفعته ثم

* الكاتب مدرس مساعد بقسم اللغة العربية - كلية التربية - جامعة عين شمس

حصل على إجازة التدريس عام ١٩٤٥ م ، ومارس العمل العلمى والدينى مدرسا بمعهد القاهرة ، وكاتبا بالصحف والمجلات الدينية والأدبية ، ومؤلفا للكتب فى شتى علوم العربية والإسلام ، ومحاضرا فى محافل العلم المختلفة ، ثم دفعه طموحه إلى الحصول على درجة الماجستير فى الدراسات الأدبية فحصل عليها عام ١٩٦٣ م برسالته الجليلة عن أمير البيان شكيب أرسلان ، ثم حصل على درجة الدكتوراة عام ١٩٦٧ م برسالته عن السيد رشيد رضا صاحب المنار .

نبوغه المبكر، وأثره فى بناء شخصيته :

ظهر نبوغ الدكتور الشرباصى مبكرا منذ أن كان طالبا بمعهد الزقازيق الدينى الثانوى حيث أخرج فى تلك الفترة من حياته - ولما يتجاوز العشرين من عمره - كتبه « حركة الكشف » ، و« بين صديقين » ، و« محاولة » .

وأكسبه هذا النبوغ المبكر اعتدادا بنفسه ، واعتزازا بشخصيته ، وترفعا عما لا يليق بأصحاب الفضيلة العلماء ، ومما يدل على هذا أنه رفض - وهو فى ميعة الصبا - أن يتملق أحداً من الكتاب الكبار فى عصره ليضع مقدمة لكتابه « محاولة » حيث آثر أن يقدم الكتاب نفسه بنفسه إلى جمهرة القراء والمهتمين بالأدب ، وفى هذا يقول « والكتاب يقدم نفسه بنفسه ، لا يعتمد على عرض عارض ، ولا يتكل على تقديم مقدم ، وإنما يعتمد قبل كل شىء وبعد كل شىء على صاحبه ومادته ، لأن من الآراء التى اختمرت فى ذهنى أنه لا يجمل بالأديب المحاول أن يعمد إلى مروجى الكتب فيحصل منهم بأثمان - أقلها حلال مرضى ، وأكثرها وضيع حرام - على كلمة تروج لكتابه وتدعو إليه ، ففى ذلك تضليل لجمهور القراء ، وقتل لمواهب الأديب ، وتغيير للحق والواقع ، إذ أنه ما دام الأديب الكبير « فلان » سيقدم كتابه - لعلة أو لسبب أو بثمن ما - فلا عليه بعد إن كان كتابه جديرا بالقراءة ، أو جديرا بالأتون .

لا . . لا . . تلك طريقة الضعيف العاجز ، والواجب علينا معشر أدباء الشباب أن نتقدم إلى الميدان الأدبى بأسلحتنا لا بأسلحة غيرنا ، وبدروعنا لا بدروع سوانا ، ولا نزال نجاهد فنصدر مؤلفا وراء مؤلف ، ونكتب رسالة بعد رسالة حتى يعرف لنا الجمهور قدرنا ، ونثبت فى سجل الأدب أسماءنا[1] » .

كتب الدكتور الشرباصى هذا الكلام وهو فى التاسعة عشرة من عمره ، وظل على هذه السبيل من الاعتداد بنفسه حتى رأيناه وهو فى سن السابعة والعشرين يرفض تقبيل يد الملك فاروق ، وفى هذا يقول : « فى سنة ١٩٤٥ م تخرجت فى الأزهر ، وكنت الأول بين الحاصلين على شهادة العالمية والتخصص فى تلك السنة ، ودعيت إلى الحفل الذى كان يقيمه الملك السابق فاروق لأوائل الخريجين ، وكان الحفل فى قصر رأس التين بالإسكندرية ، وكان المدعوون من الأزهر خمسة أوائل كنت طليعتهم ، وكان الذى سيتولى تقديمنا للملك هو الشيخ الجبالى لأنه حينئذ عميد كلية اللغة العربية التى تخرجت فيها ، ولما كان الأزهر

(١) احمد الشرباصى : محاولة ص ٧ ، ص ٨ .

أقدم الجامعات كان أوائله الخمسة فى طليعة الأوائل ، ومعنى هذا أننى أول من يصافح الملك .

ووقفنا نحن الأوائل فى طابور طويل ، ووقف بجانبى الشيخ الجبالى ليتولى التقديم .

وسألنى : هل تعرف طريقة السلام على الملك ؟

وأجبت بدهشة : طريقة السلام ؟.. وهل هناك طريقة خاصة ؟.. سأسلم عليه طبعا بيدى .

وذهل الشيخ وهتف فى صوت مغيظ مكبوت :

- ياخبر أسود .. يجب أن تقبل يده ..

وكرر العبارة .

فقلت له : لكننى صرت أحد العلماء أصحاب الفضيلة فكيف أقبل يد إنسان ؟

وقال الشيخ فى غيظ يغالبه : لا داعى للفلسفة .

وقدرت أن النقاش قد يحتد ويمتد فقلت له . لا تخف ياسيدى الشيخ ، وأظهرت موافقته .

وهدأ قليلا ولكنه عاد يقول : لا تنس تقبيل يد مولانا .

وعدت أقول : اطمئن يافضيلة الشيخ .

وكان الواقف خلفى فى طابور الأوائل هو الزميل الأستاذ « محمد السيد بكر » ، وانتهز الزميل غفلة من الشيخ وهمس لى من خلفى : ماذا ستصنع ؟

فهمست إليه : لن أقبل يد أحد وعليك أن تتابعنى فيما أصنع .

وعاد الشيخ يقول لى : لا تنس تقبيل يد مولانا .

وجاءت الإشارة بالتقدم إلى مصافحة الملك الذى كان يقف على مرتفع خشبى وإلى جانبه الشيخ المراغى ، وتقدم الشيخ الجبالى بثيابه الفضفاضة ونطق باسمى ودرجتى العلمية ، وببساطة تقدمت مرفوع الرأس وسلمت على الملك يدا بيد ، وقد غرق الشيخ فى ذهوله .

وفى ختام الحفل لقيت الشيخ المراغى فلم يفته أن ينوه بطريقة المصافحة الكريمة ، فقال لى : أرجو أن تكون عالما عزيزا كما كنت طالبا موفقاً[٢] .

أساتذته :

ولقد تلقى الشيخ الشرباصى علومه ومعارفه على عدد من نوابغ الأزهر الشريف فى ذلك الزمان ، منهم الشيخ أحمد على ، والشيخ محمود خليفة ، والشيخ محمود المحمدى ، والشيخ أحمد نصر ، والأستاذ عبد العزيز عبد الحق ، والشيخ أحمد شفيع السيد ، والشيخ أحمد عمارة ، والشيخ كامل حسن ، والشيخ حامد مصطفى ، والأستاذ أحمد يوسف نجاتى .

كما تأثر بأصحاب الدعوات الإصلاحية فى العصر الحديث من أمثال الأستاذ الإمام محمد عبده وتلميذه محمد رشيد رضا ، والإمام محمد مصطفى المراغى ، وأمير البيان شكيب أرسلان .

وفى عام ١٩٧٦ م طلبت مجلة الهلال المصرية من الشيخ أن يكتب مقالا عن أساتذته الذين لهم الفضل فى تكوينه العلمى والأدبى فكتب المقال المطلوب ، ونشر بعدد شهر أغسطس من السنة

---

(٢) احمد الشرباصى : اساتذتى اولهم القرآن ، مقال بمجلة الهلال عدد اغسطس ١٩٧٦ م - ص ١٠٠ ، وجميع الإحالات بعد ذلك على هذا المقال .

نفسها ، وتحدث فيه عن أساتذته الذين أشرنا إليهم فيما سبق كما تحدث عن أساتذة آخرين كالقرآن الكريم ، والرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، والإمام على بن أبي طالب ـ رضى الله عنه ـ وكتابه نهج البلاغة ، والحياة ، وأعدائه ، ومنبر الجمعة .

وبهذا الحديث يكون الدكتور الشرباصى قد وسع دائرة الأستاذية لتشمل ـ إلى جانب الأساتذة الذين تلقى عليهم العلم فى مقاعد الدراسة ـ كل مؤثر عام أو تجربة خاصة يعيشها المفكر أو الداعية أو الأديب فى حياته .

فالقرآن الكريم ـ وهو كتاب العربية الأعلى ـ قد أكسب الشيخ القدرة على نطق « الحرف الصحيح من مخرجه مضبوطا ، والكلمة الفصيحة محكمة ، والبيان العربى فى أبهى حلته »[٣] .

والرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهو الأسوة الحسنة ، والقدوة الصالحة بأحاديثه الشريفة ، وسيرته الطاهرة كان للشيخ قائدا وهاديا وأستاذا حيث كان الشرباصى يغترف من لآلىء أحاديثه ، وعاطر سيرته فى كتاباته وخطبه .

والإمام على بن أبي طالب ـ كرم الله وجهه ـ وكتابه نهج البلاغة قد أمداه بمدد وفير من الآداب والحكم والمواعظ التى استخدمها فى كتاباته ومحاضراته وخطبه ، فهما أستاذان من الأساتذة الذين أسهموا فى تكوينه العلمى .

وأعداؤه الذين حسدوه ، وكادوا له ، ووضعوا العقبات والعراقيل فى طريقه كانوا أساتذته لأنهم مكنوه من التفوق والنبوغ حيث نبهوه ـ دون قصد منهم ـ إلى عيوبه ، وأرشدوه إلى مواطن الضعف عنده فكان يحذرها قدر استطاعته .

ومنبر الجمعة كان له دوره فى تكوين الشيخ العلمى حيث كان معوانا له على توسيع معلوماته الدينية ، وثقافته اللغوية ، وصلاته الجماهيرية .

والحياة بما فيها من خير وشر قد أفادت الشيخ كثيرا ، وعلمته الصبر والحكمة ، والجلد والثبات على المبدأ فكانت من أساتذته .

من آرائه التربوية :

والدكتور الشرباصى ـ وقد عانى أشد المعاناة فى مرحلة الطلب ، ثم مارس التدريس بمعهد القاهرة بعد تخرجه حقبة من الزمن ، وبكلية اللغة العربية بعد ذلك ـ له عدد من الآراء التربوية الهامة التى يجب على المعلمين أن يقفوا عندها طويلا ليستفيدوا منها .

وأول درس تربوى يقدمه لنا الدكتور أحمد الشرباصى هو أنه يجب على المعلم أن ينظر إلى الطالب نظرته إلى ولده فيحنو عليه ، ويترفق به ، ولا يقسو عليه ، لأن للقسوة على التلاميذ ـ ولاسيما الصغار منهم ـ آثارها السيئة فقد تدفع الطالب إلى الهرب ، وقد تجعله يكره التعليم وينفر منه ويزهد فيه ، لذا نرى الشيخ : ـ

١ ـ يرفض ضرب التلاميذ ضربا مبرحا لا غاية من ورائه سوى التشفى والانتقام ، ويرى أن معلم المرحلة الابتدائية ينبغى عليه أن يكون رفيقا بطلابه ، وكذا محفظو القرآن الكريم ينبغى عليهم أن لا يعتمدوا فى تحفيظ الناشئة على التخويف والضرب ، لأن هذا الأسلوب لا يأتى

---

(٣) السابق نفسه ص ٩٤ .

إلا بنتائج عكسية ، ويحكى الشيخ من تجاربه فى صغره ما يؤكد ذلك ، حيث دعى ذات مرة ليقرأ على شيخه ما حفظ يقول : « وكانت العادة أن يسألنا عن أوائل الأرباع ، وكانت الآية من كل ربع واضحة فى أذهاننا ، نتأكد منها دائما ، وكان هناك ربع فى سورة آل عمران يبدأ حسب التقسيم الاصطلاحى هكذا : ﴿ لَيْسُواْ سَوَآءً مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ ﴾ ، ولكن الشيخ قال لى فى غلظة : اقرأ (مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ ..) وأفتش فى ذهنى عن ربع يبدأ بعبارة : (مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ ..) فلا أجد لأنى حفظت الربع مبتدئا بعبارة (لَيْسُواْ سَوَآءً مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ ..) ، ومضت لحظة خلتها دهرا ، والشيخ يحملق فى قسوة ، والعرق يتصبب منى بغزارة ، ولم أشعر إلا بهراوة الشيخ الغليظة على ذراعى وهو يقول : اقرأ ياجاهل ﴿ لَيْسُواْ سَوَآءً مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ .. ﴾ وبمجرد أن أعطانى مفتاح الربع انطلقت أتلو الآيات فى سرعة ، وخوف ، وألم .[(٤)] .

وبعد أن ذكر الشيخ هذه الواقعة صاح فى مقرئى القرآن الكريم قائلاً : « فيا مقرئى القرآن احذروا هذه الطريقة ، ولا تنفروا الناشئة من روضة القرآن الكريم »[(٥)] .

٢ - ويرفض الشيخ إرهاق الطلاب بالواجبات الكثيرة التى لا يستطيعون أداءها ، أو إجبارهم على حفظ نصوص معقدة لا طائل من وراء حفظها ، ويحكى من تجاربه - كذلك - ما يدل على فشل هذا الأسلوب فى اجتذاب التلاميذ وتحبيبهم فى العلم ، فيروى أن أحد شيوخه بمعهد دمياط الابتدائى كان يملى عليهم ملخصا لكتاب « مراقى الفلاح » فى الفقه الحنفى من صنعه ، وكان يفرض عليهم أن يسمعوا منه يوميا عند الصباح كراستين . يقول الشرباصى : « وكنت أضيق بهذا ، وأعجز عن تحقيقه ، فقد كانت تشغلنى قراءة الكتب والمجلات ، وكان نصيبى على عدم الحفظ لكمات يصبها الشيخ على عجزى بعد أن يلوى ذراعى بقسوة ، وهأنذا أقرر مع عميق الأسى أن طريقة الشيخ هذه حملتنى أكثر من مرة على الهروب من الدراسة »[(٦)] .

٣ - ويرفض إهانة الطلاب وسبهم ولعنهم لأن هذا مما يؤذى نفوسهم ، وحتى لا يتعودوا على التفوه بالألفاظ النابية فيما بينهم وبين بعضهم .

وهناك درس تربوى آخر يقدمه لنا الدكتور الشرباصى وهو أنه يجمل بالمعلم أن يقوم بتحضير درسه تحضيرا جيدا بحيث يقوم بترتيب عناصره ترتيبا منطقيا ، وتنظيم أفكاره تنظيما حتى يستطيع الطلاب أن يتابعوه فيما يلقى عليهم ، ويذكر لنا فى هذا المجال أن أحد شيوخه كان غزير العلم ، دفاق المعلومات ، ولكن عيبه أنه يسوق ما عنده إلى طلابه سبهللا بلا ترتيب وبلا نظام فكانت الفائدة التى أرتجيها تنفر منى ، وألقت بى طريقته فى الطوفان »[(٧)] .

هكذا تحدث الدكتور الشرباصى - رحمه الله تعالى - فأجاد وأفاد ، ولعلى أعود - فى قابل الأيام إن شاء الله تعالى - إلى تراثه مرات ومرات لأكتب عن الشرباصى مؤرخا ، ومفسرا ، وفقيها ، وشاعرا ، وكاتبا ، وناقدا ، وداعية من طراز رفيع .

---

(٤) السابق نفسه ص ٩٨ .
(٥) السابق نفسه ص ٩٨ .
(٦) السابق نفسه ص ٩٨ .
(٧) السابق نفسه ص ٩٨ .

من روائع الماضى بمجلة الأزهر

الإسلام.. والسلام

لفضيلة الشيخ : محمد عرفة
عضو جماعة كبار العلماء

إعداد وتقديم :
عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

إن فكرة السلام فى الإسلام تحتل المكانة العليا بين تعاليمه ، وتبرز واضحة جلية بين أهدافه ومقاصده .

وقد وردت كلمة السلام فى القرآن الكريم فى أكثر من أربعين آية ، والآيات التى تحمل هذه الكلمة النبيلة تشير إلى توثيق أواصر القربى بين الناس ، وتدعوهم إلى أن يعيشوا على هذه الأرض إخوة متعاونين لامتعادين ، ومتراحمين لا متزاحمين .

والإسلام مأخوذ من كلمة السلام ومشتق منها ، وأول خطاب من الله لأول رسول هبط على الأرض بعد أن انحسر الطوفان عنها ، كانت دعوة إلى السلام ، وحثا على نشره فى آفاق الدنيا الجديدة :

﴿ قِيلَ يَٰنُوحُ ٱهْبِطْ بِسَلَٰمٍ مِّنَّا وَبَرَكَٰتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ ﴾ (هود : ٤٨) .

كما أن السلام اسم من أسماء الله الحسنى ، ولم يبعث الله نبيا ، ولم يرسل

رسولا إلا ومنحه السلام ، وأفاضه عليه ، ليكون شعاره فى حياته ، وأساسا لتعامله مع الناس

ولمنزلته عند الله ، جعل الليلة التى أنزل فيها القرآن الكريم ليلة مباركة يكتنفها السلام ، من أولها إلى آخرها :

﴿ سَلَٰمٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ ﴾ (القدر : ٥) .

والسلام خلق أصيل من أخلاق الرسول الكريم ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ وقد أمره المولى ـ جل علاه ـ أن يكون شعاره حتى مع أعدائه :

﴿ فَٱصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَٰمٌ ﴾ (الزخرف : ٨٩) .

والسلام تحية المسلمين عند لقائهم وتزاورهم ، فهذه التحية الجليلة من شأنها تأليف القلوب ، وتوثيق الصلات .

وكل هذا يؤكد حب الإسلام للسلام ، وحرصه عليه ، ورغبته فى أن يبسط جناحيه على الكون كله ، ويرتفع لواؤه فى أرجاء الأرض ، والسلام الذى يحرص عليه الإسلام هو السلام العزيز النبيل ، الذى يهدف إلى حقن الدماء ، وإشاعة الأمن والطمأنينة بين الناس ، وليس معناه الضعف والاستسلام ، والتفريط فى الحقوق المغتصبة ، بل هو سلام قوى يقوم على أخذ الأهبة ، وإعداد العدة ، لإرهاب من تسول له نفسه العدوان والبغى .

يقول الكاتب ـ رحمه الله ـ :

إن من الأديان ما يدعو أتباعه إلى المحبة العامة للبشر ، بين تعاون أتباعه وأتباع الديانات الأخرى ، سواء أكانوا يسكنون معهم فى وطن واحد أم كانوا يسكنون أوطانا أخرى من هذا العالم .

وإن منها ما ليس كذلك ، فلا يدعو إلى محبة ولا تعاون ، بل ربما وقف فى سبيل التعاون البشرى والإخاء الإنسانى ، وهذا يكون إما من تحريفه أو بطلانه . وإن مثل هذا الدين يكون شرا تنوء به الحياة لأن الاختلاف بين البشر فى العقائد والأديان واقع ماله من دافع ، وليست هناك قوة يمكنها رفعه ، فإذا جهل الدين هذه الحقيقة ، وأراد محو الأديان الأخرى ماعداه ، فلم يكن فيه عنصر التعاون مع أتباعها ، كان محاولا ما لا يكون ، إنما الذى يكون هو الشقاق والتنابذ والحرب المتأججة التى لا تخمد ، والحكم الحق على هذا الدين أنه لا يصح أن يكون أتباعه مع أتباع دين آخر وطنا واحدا ، ولا يصلحون أن يتعاونوا وسكان هذا العالم ، وهل أسوأ من وطن يتعادى أبناؤه ولا يقدرون على التعاون على جلب مصلحة له أو دفع مفسدة عنه ؟

وهل أسوأ من أمة تكون نشازا فى هذه الدنيا ؟ تعادى الأمم الأخرى وتذكى نار الحرب ، وتكدر السلم وتقف فى طرق الغاية العظمى للإنسانية ،

وهى السلام الدائم على هذه الأرض .

أما الدين الأول فهو نعمة وبركة على معتنقيه وعلى من لا يعتنقونه ، فهو لا يدعو معتنقيه إلى التورط فى حروب تلو حروب ، ولا يكدّر سلام العالم بشن الغارات وحمل السلاح .

والدين الإسلامى أين مكانه ؟ أفيه عنصر تعاون أتباعه مع من يخالفونهم ؟ أم هو من الشق الثانى ؟ فهو حرب على الأديان الأخرى يشن عليها الحروب ويغير عليها كلما واتته فرصة ؟

إن الباحث المحقق يجد الدين الإسلامى من الأديان التى تدعو إلى السلم ، والذى يمكن أن يتعاون أتباعه مع المخالفين فى دولته أو فى دول أخرى ، وذلك يتضح من أمور :

١ - إنه بين فى غير ما آية ، أن الاختلاف فى العقائد والأديان من ضرورات البشر ، والله حكم بذلك ، فهو واقع لابد منه ، ومحاولة تغيير سنن الكون عناء فى عناء ، لا تجدى إلا الكد والنصب فيما لا يكون :

﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾

(هود : ١١٨ ، ١١٩) .

وإذا علم المسلم أن طبيعة البشر تقتضى ذلك وأن هذه مشيئته ، لم يكن ثمة داع للحقد ولا للبغض .

٢ - إنه وضع هذه القاعدة الفاصلة التى لا هوادة فيها :

﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ﴾ (البقرة ٢٥٦) .

فكل امرىء يختار عقيدته ، لا سلطان لكائن ما عليه ، فله أن يتخير عقيدته كما يتخير ثوبه ، وهذه توجب على المسلمين ألا يحاولوا إكراه أحد على الإسلام ، وألا يقاتلوا أمة ليخرجوها من دينها .

٣ - قوله تعالى :

﴿ فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّىٰ إِذَا أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّىٰ تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ﴾ (محمد : ٤) .

أجاز فى الأسرى أن يمن المسلمون عليهم فيطلقوهم ويهبوهم حياتهم بدون عوض ، أو يأخذوا منهم عوضا فيطلقوهم بفداء ، وفى هذا تعليم عملى للمسلمين أن يعطوا مخالفيهم حق الوجود ، وأن يمنحوهم إياه حتى بعد اعتدائهم وحربهم والقدرة عليهم .

٤ - إنه أجاز أن يعقد المسلمون مع من يخالفونهم فى الدين ذمة ، وأن يسكنوا فى وطن واحد .

٥ - إن الرسول بين حقوق أهل الذمة والعهد ، فإذا هى مثل حقوق المسلمين ، لهم مالنا وعليهم ما علينا ، أى لهم مالنا من حقوق ، وعليهم ما علينا من واجبات .

٦ - صرح تصريحا قاطعا لا يقبل الشك ولا التأويل ، إن الاختلاف فى الدين لا يؤدى إلى عدم البر بالمخالفين وتوليهم والعدل فيهم ، إنما الذى يؤدى إلى ذلك هو عدوانهم :

﴿ لَّا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ (الممتحنة : ٨ ، ٩) .

٧ - إن القرآن دعا إلى الرفق والصبر والدعوة إلى الحق بالتى هى أحسن ، وحصر مهمة الرسول فى البلاغ :

﴿ ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ﴾

(النحل : ١٢٥) .

﴿ فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴾

(الغاشية : ٢١ ، ٢٢) .

﴿ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ ﴾ (المؤمنون : ٩٦) .

﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾

(الأعراف : ١٩٩) .

﴿ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ ﴾ (النحل : ٨٢) .

هذه القواطع والأصول التى ينبغى أن تكون محكمة فتجعل أم الكتاب وكل ما خالفها من المتشابه يرد إليها .

ولعل قائلا يقول : إن ما ذكرته من دعوة الإسلام إلى السلم يعارضه ماورد فيه من الدعوة إلى الحرب وقتال المشركين كافة :

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ ﴾

(الأنفال : ٦٥) .

﴿ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴾

(الأنفال : ١٢) .

﴿ فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ ﴾

(محمد : ٥) .

﴿ فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ ﴾

(النساء : ٧٤) .

أليست هذه الآيات تدل على أن الإسلام دين حرب ، وأنه يدعو إلى القتال ، ويطلب أن نقاتل الكافرين لكفرهم والمشركين لشركهم ، ويرى أن الكفر والشرك جريمة عقابها الحرب ، حتى يقلعوا عنها كما ورد ؟

قلنا : إن من المخالفين من ناصبوا المسلمين العداء وحاربوهم ووقفوا فى سبيل الدعوة ، وهؤلاء هم الذين أباح الإسلام قتالهم ، بل حض عليه ، وما كان يطلب أحد من الإسلام أن يغضى عمن ناصبوه العداء ، وأن يطلب من معتنقيه أن يقفوا مكتوفى الأيدى ، وأن يمدوا أعناقهم للذبح ، لا يكلف أحد الإسلام بذلك ، لأنه يخالف طبيعة الوجود والمبدأ القائل : لكل أحد حق الدفاع عن نفسه ، ويكفى الإسلام حبا للسلام أنه يبغيه ويطلبه ، مع من لم يعتدوا عليه ، ولا يقدح فى حبه للسلام ودعوته إليه أنه يأمر أهله بقتال من يعتدون عليهم ، وهذا هو مجمل الآيات والأحاديث التى تدعو إلى الجهاد والقتال ، وهى تارة تأتى مقيدة بالعدوان ، وتارة تأتى مطلقة عن التقييد لعلمه من الحال ، كأن يكون الكلام فى قوم مقاتلين بالفعل ، أو لعلمه من النصوص التى تحرم قتال من لم يعتد ، وماكان الله ليترك هذه المسألة وهى تتعلق بمستقبل البشرية وسلام العالم دون نص قاطع وبيان واضح ، وقد جاء هذا البيان فى قوله تعالى :

﴿ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾ (البقرة : ١٩٠)

﴿ وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ﴾

(الأنفال : ٦١) .

﴿ لَّا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ ﴾

(الممتحنة : ٨) .

أعلم أن من أعداء الإسلام من يتهمون الإسلام بهذه التهم ويلصقونها به ، وهم قوم يكرهونه ، ويكيدون له ، ويريدون محوه من الوجود ، ويرون أن السبيل المعبدة لذلك ، هى تأليب دول العالم عليه ، وإفهامهم أنه حرب للسلام ، وللتعاون البشرى والإخاء الإنسانى ، ليقفوا منه موقف العداء ، ويحاربوه بكل سلاح .

إنهم يجهدون فى أن يفهموا الدول القوية أنه غير صالح للبقاء ، وأنه لا يجارى روح العصر فى الغاية العظمى من نشر السلام ، وأنه شر على أتباعه ، وعلى الإنسانية ، لأنه لو ترك وشأنه ، لورطها فى حرب تلو حرب ، وفى نزاع دائم وخلاف مستمر ، لذلك يجب أن تقلم أظفاره ويحارب كما تحارب الجراثيم الضارة ، والأوبئة المهلكة ، وهذا هو الذى يجعل هذا البحث أعظم جدوى وأجل فائدة ، وأيمن على المسلمين وعلى أهل الأرض من كل بحث سواه ، إنه يدفع هذه التهم الباطلة عن الإسلام ، ويرد هذا السلاح الخطر الذى يكيد به أعداء الإسلام للإسلام ، إنه يعلم المسلمين موقف الإسلام من السلام فيعملوا عليه فلا يضيعوا جهودهم فى جهاد فى غير عدو ، ويعلم أهل الأرض ذلك فلا ينظروا إلى أهل الإسلام نظرهم إلى العدو المتربص الذى يريد أن ينقض ، ونتيجة ذلك التعاون والسلام .

المجلد الرابع والعشرون

اختصاص البعض بالمال فى الإسلام - بقية -

وقوله تعالى : ﴿ لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ ﴾ آل عمران - الآية ٩٢ .

وبذلك يتميز الإسلام فى نظرته وموقفه ، بالنسبة للملكية الفردية ، عن سائر المذاهب ، والأنظمة الوضعية . فهو لا ينكرها شأن المذاهب الجماعية والنظم الاشتراكية . وهو فى نفس الوقت لا يطلقها شأن المذاهب الفردية والنظم الرأسمالية . وإنما هو يعترف بها نتيجة عمل وجهد لقوله تعالى : ﴿ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبُوا۟ ۖ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبْنَ ﴾ النساء - الآية ٣٢ .

وقوله تعالى :

﴿ وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ ﴾

البقرة - الآية ١٨٨ .

ثم هو على النحو السالف الإشارة إليه ، يقيدها بقيود عديدة لاسيما من حيث استعمالها ، مما لا نجد له مثيلا فى أى من التشريعات الوضعية ، وبحيث يحيلها بحق إلى أمانة ، ومسئولية ، ومجرد وظيفة اجتماعية .

نسأله تعالى التوفيق والسداد .

العلوم الكونية

نسبية الزمان والمكان

للأستاذ الدكتور
أحمد فؤاد باشا

إن الحقائق التى يتوصل إليها العلم البشرى ليست سوى احتمالات راجحة ، حتى وإن بدت لنا شبه مؤكدة . أما الحقائق القطعية المطلقة الصدق واليقين فهى كل ما أخبر الوحى به فى مصدرى الإسلام ، القرآن ، والحديث ، وكل ما أودعه الله فى الكون من سنن لا يملكها إلا هو سبحانه بحكم ألوهيته المهيمنة على الكون كله ، وبحكم علمه المحيط غير المقيد بالزمان والمكان ، وبحكم أنه سبحانه هو الأول والآخر والظاهر والباطن ، وهى الصفات اللازمة لعلم الحقيقة القطعية المطلقة . . وهى الحقيقة التى يقص الله منها فى كتابه مايشاء ، ومن ثم لا تحتاج إلى برهان خارج عنها ، أو يطلع عباده على أجزاء منها بقدر مايناسب مقدرتهم على تسخيرها اللازم لأداء أمانة الخلافة وإعمار الحياة على الأرض ، وبما يؤكد فى إدراك المؤمن حقيقة الألوهية وآيات الله فى الآفاق والأنفس ، فتقر فى ضميره الطمأنينة لتلك الحقيقة ، كما تقر فى عقله الراحة والقناعة والاستعانة ، فالله-سبحانه وتعالى-يدع للإدراك البشرى أن يبحث وأن ينقب عن سنن الكون وقوانينه ، وأن يعرف منها ما قدره الله له لينتفع به فى تنمية حياته ، ويستدل من خلاله على حقيقة مكانه فى الوجود[1] .

(١) سيد قطب . «مقومات التصور الإسلامى» دار الشروق ، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م .

معنى النسبية :

شاع استخدام مصطلح النسبية فى الفكر المعاصر على إثر اكتشاف العالم الشهير أينشتين « لنظرية النسبية » فى أوائل القرن الحالى ، وهى تتميز عن غيرها من نظريات العلم الحديث بأنها غيرت كثيرا من تصور الإنسان للكون الذى يعيش فيه ، بل إنها ألزمت العلماء بضرورة إعادة النظر فى القوانين الكونية التى سبق اكتشافها ، وهى القوانين التى بنى عليها بعض الفلاسفة مقولة اقتدار الإنسان عن طريق العلم وحده على تحصيل المعرفة اليقينية ، والتنبؤ الدقيق بالأحداث المقبلة ، وخضوع الكون لحتمية القانون العلمى دون تدخل أى قوى خارجية .

ولما كانت طبيعة المعرفة العلمية تتطلب إجراء البحث والدراسات المكثفة على أجزاء محدودة جدا من الكون وظواهره ، وبمعزل عن بعضها البعض ، دون إلمام بكافة الجوانب المتصلة بموضوع البحث والمؤثرة عليه ، فإن إدراك الحقيقة الكاملة المطلقة يظل دائما هدفا أسمى يسعى إليه العلماء من خلال عملية تصحيح مستمرة لمسيرة العلم ، تتم بتكافل جهودهم وتنافسهم فى السبق إلى كشوف علمية جديدة ، وإلقاء الضوء على حقائق جزئية فى الواقع الكونى الثابت .

والعلم الذى نحصله ليس مستقلا عن ذاتية الإنسان ، كما أنه ليس نهائيا فى أية مرحلة يبلغها من مراحل تطوره ، فالكون يزداد أمام العلماء بمرور الزمن عمقا واتساعا ، والحقيقة التى يتوصلون إليها بالبحث العلمى هى حقيقة نسبية لا مطلقة ، و جزئية لا كاملة ، حتى وإن بدت لنا شبه مؤكدة ، فهى مجرد احتمالات راجحة غير مطلقة الصدق واليقين .

وأول مايجب التسليم به على طريق فهمنا لمصطلح « النسبية » هو أن « الحقيقة » ليست دائما من الوضوح بحيث تقول لنا هأنذا ، ولكنها ـ فيما يقول عبقرى الحضارة الإسلامية الحسن بن الهيثم ـ : دائما منغمسة فى الشبهات ، وهى كثيرا ما تلتوى علينا وتتعقد بشكل فيه تحد وفيه تضليل ، خاصة إذا كان الحكم عليها عن طريق الحواس فقط ، ذلك لأن حواس الإنسان لا يكون حكمها وحدها هو الصواب دائما . فالشىء يبدو لنا صغيرا إذا بعد عنا ، ويكبر كلما اقترب ، مع أنه هو هو لم يتغير ، والأرض التى نعيش عليها نعتقد أنها ساكنة لا تتحرك ، مع أننا نعلم علم اليقين ـ بوسائل العلم الحديث ـ أنها تدور حول نفسها وحول الشمس ، وأننا متحركون معها . وكذلك الحال مع أى شخص آخر يمكن أن يوجد فى أى كوكب آخر غير الأرض ، فإنه يظن خطأ أنه وكوكبه ساكنان ، وأن الأرض والشمس والكواكب الأخرى هى المتحركة .

والإنسان فى بحثه عن الحقائق الكونية يتدرج فى سلم الترقى المعرفى ، فالحقائق العلمية لا تكشف عن نفسها ولا يكتشفها العقل دفعة واحدة ، بل تأتى على سبيل التدرج عندما يأذن الله بكشفها على أيدى من يشاء من عباده ، وإنها لمجلية حتما فى يوم معلوم مصداقا للوعد الإلهى فى قوله تعالى :

﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ﴾

(سورة فصلت ٥٣) .

مستويات المعرفة العلمية :

ولقد عبر أينشتين عن مستويات المعرفة العلمية التى يكتشفها الإنسان بقوله : إن نظريات علم

الطبيعة هى ابتكارات حرة للعقل البشرى ، وليست ـ كما قد يظهر ـ وحيدة ومحدودة تماما بالعالم الخارجى ، ونحن فى محاولتنا فهم الحقيقة نشبه رجلا يحاول فهم تركيب ساعة مغلقة ، وهو يرى من الخارج عقاربها المتحركة ، ويسمع أيضا دقاتها ، ولكنه لا يستطيع فتح صندوقها ، وإذا كان الرجل عبقريا فإنه قد يستطيع أن يكون صورة ما للتركيب تساعد على تفسير مايشاهده ، ولكنه لن يكون بحال من الأحوال متأكدا من أن هذا هو التركيب الوحيد الذى يسبب مشاهداته ، ويستحيل عليه أيضا أن يقارن الصورة التى كونها لنفسه بالتركيب الحقيقى الذى لم يره أصلا ، بل إنه ليتعذر عليه أن يتخيل إمكان أو معنى هذه المقارنة ، ولكن من المؤكد أنه يثق فى أنه كلما زاد من معلوماته أصبحت الصورة التى يكونها عن الواقع بسيطة ، وفسرت هذه الصورة عددا أكبر من مشاهداته(٢) .

ولقد قدمت لنا الرؤية الإسلامية هذا المفهوم العلمى « للنسبية » من خلال الآيات القرآنية التى تشير إلى محدودية العلم البشرى ونسبيته ، مثل قوله تعالى :

﴿ وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾

(سورة الإسراء ٨٥)

وقوله سبحانه :

﴿ وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴾

(سورة يوسف : ٧٦) .

أما الخالق الواحد جل وعلا فهو الحق المطلق ، وهو مصدر كل الحقائق الجزئية التى نعرفها وننتفع بها فى تنمية حياتنا ، فسبحان الذى علم الإنسان مالم يعلم .

وحدة الزمان والمكان :

الزمن شىء ليس له معنى إلا فى وجود أحداث تميزه ، تماما كالألوان التى لا نستطيع أن ندركها ونميزها إلا فى وجود العين المبصرة ، وإن مجرد تصور ماضى وحاضر ومستقبل هو الذى يوحى إلينا بمرور الزمن وكأنه سلسلة من الأحداث المتتابعة . ولولا الذاكرة التى حباها الله للإنسان لكى تعيش فيها الأحداث التى نواجهها لما أحسسنا بمرور الزمن .

ولقد شجعت الظواهر الكونية المتكررة بصورة منتظمة على اكتشاف معنى « الزمن » واستخدامه ، فاليوم الأرضى هو الفترة الزمنية التى تكمل فيها الأرض دورة كاملة حول نفسها ، وهو ينقسم إلى ٢٤ ساعة ، والسنة الأرضية هى الفترة الزمنية التى تكمل فيها الأرض دورة كاملة حول الشمس ، وهى تساوى ٣٦٥ يوما . أما الشهر العربى فهو الفترة التى يتم فيها القمر دورة كاملة حول الأرض . وقد اتخذت شعوب كثيرة من وحدات اليوم والشهر والسنة أساسا لوضع تقاويم خاصة تختلف فى خصائصها الدقيقة عن بعضها البعض ، لكنها تقسم بصورة عامة إلى نوعين رئيسيين : أحدهما قمرى أساسه دوران القمر حول الأرض ، والآخر شمسى أساسه دوران الأرض حول الشمس . ويعتبر التقويمان الهجرى والميلادى خير مثالين لهذين النوعين من التقاويم . ويوضح القرآن الكريم حقيقة أن ٣٠٠ سنة شمسية تعادل ٣٠٩ سنوات قمرية بالنسبة لسكان الأرض ، وذلك فى قوله تعالى عن أصحاب الكهف : ﴿ وَلَبِثُوا۟ فِى كَهْفِهِمْ ثَلَٰثَ مِا۟ئَةٍ سِنِينَ وَٱزْدَادُوا۟ تِسْعًا ﴾ (سورة الكهف : ٢٥)

(٢) دكتور احمد فؤاد باشا : « دراسات إسلامية فى الفكر العلمى » دار الهداية ، ١٤١٨ هـ ـ ١٩٩٧ م .

كما جعل الله الشمس والقمر وغيرهما من الأجرام السماوية يتحرك بحساب دقيق يفيد الناس منه فى معرفة الوقت وقياس الزمن ، فقال تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ وَكُلَّ شَىْءٍ فَصَّلْنَٰهُ تَفْصِيلًا ﴾ (سورة الإسراء : ١٢)

وجعل أهلة القمر واختلاف أوجه نتيجة دورانه حول الأرض على مدار الشهر العربى بيانا لمواقيت الناس فى العبادة والأمور الدنيوية ، فقال سبحانه : ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ ﴾ (سورة البقرة : ١٨٩)

ولقد اكتشف العلماء أن الزمن نسبى لأنه يتوقف على المكان الذى يقاس فيه ، فلكل كوكب يومه وعامه الخاصان به طبقا لسرعة دورانه حول نفسه وحول الشمس ، وبهذا يكون الزمن مرتبطا بالحركة والمكان ـ ولا وجود لأحدهما بدون الآخر . فاليوم على كوكب الزهرة مثلا يعادل ٢٤٢ يوما على الأرض ، والسنة على الزهرة تعادل ٢٢٥ يوما على الأرض ، أى أن الفصول الأربعة على الزهرة تتعاقب جميعا خلال يوم واحد ، لأن يومه يعادل سنته تقريبا .

أما اليوم على كوكب المشترى فيعادل عشر ساعات على الأرض ، والسنة على المشترى تعادل ١٢ سنة أرضية . ولتبسيط ذلك ، تقارن بين عمر طفلين مولودين فى لحظة واحدة ، أحدهما على الأرض والآخر ـ فرضا ـ على المشترى ، فإن الأول يصل إلى سن الستين على الأرض ، بينما يكون عمر الثانى خمس سنوات من سنوات المشترى .

وقد أوضح العلم الحديث أيضا أن المسافات الشاسعة بيننا وبين النجوم تقاس بوحدات « السنة الضوئية » ، وهى المسافة التى يقطعها الضوء فى سنة فأشعة الشمس مثلا تستغرق ثمانى دقائق تقريبا لكى تصل إلى الأرض ، وهناك نجوم فى مجرات تبعد عنا بلايين السنين الضوئية ، وهذا يعنى أن ما يصلنا من ضوء هذه النجوم فى الحاضر والمستقبل بمثابة رسول يحكى لنا على الأرض ما حدث لها هناك فى الماضى البعيد ، وهى حالة تقرب لنا معنى نسبية الزمان والمكان عندما يختلط مفهوم الماضى والحاضر والمستقبل .

وفى القرآن الكريم آيات تشير إلى نسبية الزمان والمكان ، فعند الحديث عن الزمان الأرضى الذى يقيم الإنسان عليه حساباته وتتحدد به الأعمار والآجال وأوقات العبادات ، يقول الله تعالى : ﴿ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴾ (سورة الإسراء : ٧٨)

وعند الحديث عما قبل الزمان الأرضى وما بعده ، حيث يمثل « اليوم » فترة زمنية تختلف عما نتعامل به فى حياتنا ، ولا يعلم حقيقتها إلا الله ، يقول سبحانه : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴾ (سورة ق :٣٨)

ويقول جل شأنه : ﴿ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴾ (سورة السجدة : ٥) .

ويقول عز من قائل : ﴿ وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴾ (سورة الحج : ٤٧)

فتبارك الله المنزه عن أن يحيط به أبدا الزمان والمكان لأنه سبحانه متعال فوق الزمان والمكان ، وخسىء الموسومون بالدهرية ، نسبة إلى الدهر أو الزمان المطلق الذى يهلك ولا يهلك ، وهم الذين عناهم القرآن الكريم بقوله :

﴿ وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴾

(سورة الجاثية : ٢٤)

البصمة

معجزة إلهية أبهرت العقل البشرى

للأستاذ : عبد العليم عبد السميع غزى

تعريف البصمة : إن البصمة هى الخطوط البارزة التى تحيط بها خطوط منخفية تأخذ أشكالا مختلفة على جلد أطراف الأصابع والكفين من الداخل ، وهذه الخطوط تترك أثرها على كل جسم تلمسه ، وعلى الأسطح الملساء بشكل خاص .

شكلها العام : يقول بعض العلماء : إن البصمة تتكون لدى الجنين فيما بين الأسبوع الثالث والأسبوع السادس أو الأسبوع الثالث عشر ، وتبقى إلى أن يموت الإنسان ، وإذا حفظت الجثة بالتحنيط أو فى الأماكن الثلجية تبقى البصمة كما هى لآلاف السنين دون تغيير فى شكلها . . وحتى إذا ما أزيلت جلدة الأصابع لسبب ما ، فإن الصفات نفسها تظهر فى الجلد الجديد ، كما أن البصمة للرجل تختلف عنها فى بصمة المرأة ، ففى الرجل يكون قطر الخطوط أكبر منه عند المرأة ، بينما تتميز بصمة المرأة بالرقة وعدم وجود تشوهات تقاطعية .

الإعجاز الإلهى : قبل التحدث عن البصمات لابد من الإشارة إلى حقيقة ومعجزة أخرى من معجزات الخالق البارىء المصور فى خلقه ، وهى التشابه فى الخلق والاختلاف فى البصمات ، فلقد خلق الله الناس جميعا مشتركين فى وحدة الخلق ، ووحدة البنية والتركيب ، ووحدة وظائف كيمياء الخلايا ، فالناس جميعا من دم ولحم وعظم وروح . . أصلهم جميعا من تراب ، ومع هذا التشابه فى الخلق العام لا يتطابق إنسان مع غيره تطابقا تاما فى كل التفاصيل الجزئية كالطباع

والصوت وشكل العظم والرائحة ، كما انفرد كل منا فى تفاعله الكيماوى مع نفسه لينفرد ببصماته التى يحملها وحده دون سائر البشر والصفات الخاصة ، منها ما هو ظاهر على سطح جسمه ، ومنها ما قد يفرزه الجسم .

للبصمات أنواع : لقد توصل العلماء إلى تقسيم البصمات رغم اختلافها فى التفاصيل فجعلوها أربعة أشكال رئيسة ، وفق مابها من خطوط متمازجة على باقة ، ووفق مابها من أنشوطة مفتوحة ، وأخرى مغلقة ، وهى :

★ على شكل قوس أو دوامات ممتدة المركز .

★ من الخبراء من جعل الأشكال الأصلية ثمانية وقسموها إلى عدة أصناف .. والأقسام الثمانية هى :

١ ـ البصمة ذات الأنشوطة الزندية .
٢ ـ ذات الأنشوطة (الكعبرة) .
٣ ـ ذات الأنشوطة والدوامة البسيطة .
٤ ـ ذات الأنشوطة القوس .
٥ ـ ذات الأنشوطة العريضة .
٦ ـ ذات الأنشوطة الحبيبية المركزية .
٧ ـ ذات الأنشوطة المزدوجة .
٨ ـ ذات الأنشوطة القوس التى لها رأس خيمة .

ويشير بعض العلماء إلى أن البصمات كانت تستخدم قديمة فى التمييز بين الأفراد ، وأن قدماء اليونان قد استخدموا البصمة كعلامة مميزة للإنسان فى القرن الثامن قبل الميلاد ، وورد وصفها لدى بعض علماء التاريخ مثل العالم الإيطالى (مارسيلى مابليجى) حيث وصف أشكال الأصابع وما تحمله من بصمات ، ثم وصف العالم (كريستيان هنتال) خطوط البصمات دون تعمق ودقة .

ومن الذين اهتموا بدراسة البصمات الباحث الألمانى (ج . س . آماير) الذى أعلن بعد ذلك فى عام ١٨٥٦ م أن الخطوط البارزة فى بنان الإنسان تبقى ثابتة لا تتغير ولا تتبدل منذ ولادته وحتى وفاته ، ودلل على قوله هذا بتجربة علمية إذ أخذ طبعة بنانه الأيمن ، ثم عاد بعد مضى أربعين عاماً وأخذ طبعة نفس البنان ثانية ، فوجد أنه لا يزال كما هو لم يطرأ عليه شىء من التعديل أو التغيير .

البصمات والقرآن : إن الإنسان كله بصمات ، فبصماته توجد فى اليد والقدم والشفتين والأذنين والدم واللعاب والصوت والشعر والعيون وغيرها ، وقد وردت الإشارة فى القرآن الكريم فى سورة القيامة :

﴿ أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُ ۝ بَلَىٰ قَادِرِينَ عَلَىٰ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُ ﴾

(القيامة : الآية : ٣ ـ ٤)

والبنان هو أطراف الأصابع ، لقد أنكر الكفار الجاهلون هذه الآية وقالوا : كيف يجمع الله العظام البالية لإعادة بعث الإنسان ، فأجابهم الخالق بقوله :

﴿ بَلَىٰ قَادِرِينَ عَلَىٰ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُ ﴾

(القيامة : الاية : ٤)

أى : بلى نجمعها ونحن قادرون على أن نعيد أطراف أصابعه التى هى أصغر أعضائه وأدقها أجزاء ، فكيف بكبار العظام ؟

ويقول المفسرون : لقد اختار الله الأطراف للأصابع لما فيها من غرابة الصنع ودقته ، وذلك لأن الخطوط والتجاويف الدقيقة فى أطراف الأصابع لا يماثلها خطوط أخرى فى أصابع شخص آخر على وجه الأرض ، ولقد بقيت هذه الآية معجزة فى غيب المولى إلى أن أظهرها للناس فى القرن الماضى .

مكتشفو البصمات : إن أول من ابتدع طريقة وضع البصمة على الورق باستخدام حبر المطابع هو الطبيب الإنجليزى (هنرى فولدز) عام ١٨٧٧م ، وفى عام ١٨٨٠م شرح طريقة أخذ البصمات ، وفى عام ١٨٨٦م قام العالم السير (فرانسيس جالتون) بتقسيم البصمات إلى أربعة أنواع ، وقال إن هناك أربع مميزات رئيسة للبصمة وهى :

- تفرع خط أو خطين .
- انتهاء خط بالاتجاهين .
- وجود جزيرة أو نقطة .
- وجود حلقة .

وتسمى هذه تفصيلات جالتون .

وقد كان الاستخدام العلمى للبصمات عام ١٨٥٢م بمقاطعة البنجاب الهندية بواسطة الحاكم الإنجليزى (وليم هرتشل) عندما أمر بأن يطبع السكان أكفهم فى نهاية العقود والعهود حتى يضمن عدم إنكار أطراف التصادق حين المقاضاة .

استعمالها فى الجريمة : وقبل أن تستعمل الشرطة البصمات لإثبات مرتكبى الجريمة وقعت حوادث مفجعة من القتل والاغتصاب والسرقة ، وكانت الوسيلة لإثبات الجريمة على الجانى هم الشهود ، أو الاعتراف من الجانى نفسه ، وقد يؤخذ الجانى قهرا لاستجوابه تحت وسائل التعذيب المختلفة ، وهنا يمس كرامة الإنسان كإنسان أولا لا كمجرم ، مما جعل البعض ممن لهم ضمائر حية يستنكر هذه الوسائل ، ويندد بها ، ومن هؤلاء (موريس غارسون) الذى يقول فى هذا الصدد : (إن قيود هذه الطريقة تسىء إلى شرف العدالة فى البلاد المتمدنة) .

ولذلك منع وزير الداخلية البريطانى استعمال العقاقير المخدرة فى الاستنطاق عام ١٩٤٨م ، ومنعها أيضا وزير العدل الألمانى عام ١٩٤٩م .

وقبل استعمال البصمات بصفة رسمية كانت شرطة باريس وإيطاليا تأخذ بمقاييس دقيقة للجسم حتى إذا ما عاد المجرم أمكن التعرف عليه ، ولكن هذا النظام أخذت الانتقادات تتجه إليه ، مما جعل المجتمع ينبذه ، أما أول دولة فى العالم أخذت بنظام علم البصمات كشاهد يقينى على كشف الإنسان والدلالة على هويته المتميزة فهى الأرجنتين عام ١٨٩١م ، وقد اختلف فى عدد العلامات اللازمة التى يجب توافرها للمقارنة بين البصمة المطبوعة والحقيقة من بلد إلى آخر إلى أن جاء مؤتمر ١٩٦٧م الدولى فى باريس فى نوفمبر ، حيث تم الاتفاق على توحيد عدد العلامات فى مختلف دول العالم باثنتى عشرة علامة مميزة حتى لا يتاح للهاربين الإفلات لسبب الاختلاف العددى لأخذ البصمات من دولة أخرى .

وقد اهتم العلماء الباحثون بمسألة البصمة فطبقوا نظرية حساب الاحتمالات ليعرفوا النسبة الاحتمالية التى يمكن أن تكون إذا ما بحثنا عن وجود نسختين من بصمتين متشابهتين أو متطابقتين بين البشر جميعهم ، وبعد الحساب المضنى وجدوا ما يلى : أنه إذا بلغ عدد سكان المعمورة ٨٠ مليارا

من البشر فيحتمل أن توجد نسختان متطابقتان لبصمتى شخصين مختلفين ، أى بنسبة ١ : ٨٠ مليارا ، وهذه النسبة ضعيف حدوثها .

بصمة العرق . . نموذج غريب : ونظرا لزيادة الإجرام والمجرمين وتطور طرق القتل والسرقة والاغتصاب فى عصرنا الحاضر ، نجد عددا من العلماء يتابعون البحث عن وسائل أخرى تساعد القضاء الجنائى فى إثبات الجريمة على مقترفيها دون أن يمكنه التهرب من قبضة العدالة مهما حاول تضليلها ، وبخاصة أن مكافحة الإجرام أصبحت علما له رواده ومفكروه ، ووسائله المتطورة جدا ، كما أن القتل يعد مشكلة علمية ، وقد أدى البحث لبعض العلماء إلى اكتشاف عدة بصمات سواء للإنسان أو الحيوان ، فكانت بصمة العرق التى أشار إليها القرآن الكريم فى قوله :

﴿ ٱذْهَبُوا۟ بِقَمِيصِى هَٰذَا فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِى يَأْتِ بَصِيرًا ﴾

(يوسف الآية : ٩٣)

وقوله ﴿ إِنِّى لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ ﴾ (يوسف : ٩٤)

فقد عرف الأب ابنه من رائحة عرقه على القميص ، طبعا بإلهام من الله ، لأن حاسة الشم عند الإنسان ضعيفة إذا ما قورنت ببعض الحيوانات ، واليوم يستخدم جهاز قياس الرائحة وتسجيل مميزاتها بأشكال متباينة ومخططات علمية لكل شخص ، وهى تعتمد على أن لكل شخص رائحته الخاصة التى لا تتفق مع غيره ، والتى تبقى مكانه حتى بعد مغادرته لهذا المكان ، وعليها قامت فكرة (الكلاب البوليسية) المدربة ، فالكلب المدرب يستطيع أن يميز بين رائحة توأمين متطابقين تماما ، ويقول البروفيسور (وولتر نيوهاوس) من جامعة (إيرلانجن) بألمانيا : إن كل خطوة قدم عارية لإنسان بالغ تترك على الأرض كمية من العرق تقدر بحوالى أربعة أجزاء من بليون جزء من الجرام ، ورغم ضآلتها وعجز أية وسيلة متاحة لاكتشافها إلا أنها كافية لأنف الكلب المدرب ليتتبع مسارها !

. . وأخيرا . . نقول صدق الله العظيم حينما قال : ﴿ وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ ، فكلما زاد الإنسان فهما لآياته ازداد إيمانا به وبقدرته عز وجل فى تنظيم هذا الكون ، لقد كانت البصمة ولاتزال سرا من أسرار عظمة الله ـ عز وجل ـ فى خلقه ليثبت قوله :

﴿ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ ﴾

(النمل : ٨٨)

فما أعظمها من آية تؤكد قدرة الخالق !!

اللغة العربية
لغة الإسلام

بقلم الفريق
يحيى بن عبد الله المعلمى*

اللغة : أى لغة هى لسان كل الشعب المعبر عن أفكاره وآرائه ومشاعره وأحاسيسه وآماله وآلامه وتطلعه وطموحه .

كما أن اللغة وما دون من آثارها من شعر ونثر وفكر وأدب هو تاريخ الأمة وتراثها الذى تعتز به وتباهى .

ولذلك فكل أمة تفخر بلغتها . وتعتز بها ، وتحرص على انتشارها ومنع اختلاطها بغيرها من اللغات لتظل نقية صافية .

وأمة العرب تتميز عن جميع الأمم بأن لغتها ليست لغة شعب أو وطن أو إقليم . وإنما هى لغة أمة عظيمة العدد ، متعددة الأوطان ، منتشرة على مساحة كبيرة من رقعة العالم ، فهى لغة الإسلام : الدين الحنيف الذى يدين به مئات الملايين من البشر فى مختلف بقاع المعمورة ، وبها تقام شعائر الإسلام فى كل بلد . فالأذان يرتفع خمس مرات من المآذن فى كل مدينة أو قرية ، فى كل وطن به عدد من المسلمين ، والقرآن الكريم يرتل كل يوم على أفواه المقرئين ، وتنقله الإذاعة المرئية والمسموعة إلى المسلمين فى كل بلد .

* الكاتب : عضو مجمع اللغة العربية ، والرابطة العالمية للأدب الإسلامى .

والقرآن الكريم يتلى أيضاً فى كل بيت فيه مسلم . ومن لايجيد قراءة القرآن باللغة العربية فهو يحفظ على الأقل سورة الفاتحة ، أم الكتاب وسوراً أخرى من قصار السور فى القرآن الكريم يقيم بها صلاته ويؤدى بها مافرض عليه من مشاعر ومناسك .

ولذلك فإن تعلمها وإجادة النطق بها ، وإحسان ترتيل القرآن بها أمر يحتمه الدين قبل أن يكون واجباً وطنياً أو قومياً .

ونحن نرى الأمم من حولنا تعمل الكثير من أجل نشر ثقافتها عن طريق الإذاعات أو الأشرطة المسجلة . أو إنشاء المعاهد فى الدول التى لا تتكلم لغاتها إضافة إلى إنشاء المعاهد العالية والكليات المتخصصة لتعليم اللغة ، وآدابها ، وتاريخها ، ونحوها ، وصرفها ، وما تحويه من معان وأوجه الإبداع فيها .

والدول العربية تبذل فى هذا الاتجاه جهوداً مشكورة ، فالمدارس والمعاهد التى تنشر اللغة العربية وتعلمها لغير الناطقين بها وتجعل الناطقين بها أكثر إجادة لقواعدها وتطبيقاتها ، ومدارس تحفيظ القرآن الكريم منتشرة فى المساجد والزوايا والأحياء ، والمسابقات تنظم للتشجيع على حفظ القرآن الكريم ، والجوائز المغرية تقدم للناجحين فى ذلك على مستوى كل وطن عربى ، وعلى المستوى الدولى الإسلامى ، ولايغيب عنا مسابقات حفظ القرآن الكريم وتجويده التى تقام فى ماليزيا وأندونيسيا وغيرها من الدول الإسلامية ، وترصد لها الجوائز المالية للفائزين ، ويقوم على التحكيم فيها قراء من مختلف الدول العربية ، وبخاصة من الأزهر الشريف الذى يعد حصناً للغة العربية ، ومعقلاً من معاقلها الحصينة التى لها فضل الكفاح والدفاع عن اللغة العربية فى مواجهة الدعوات الاستعمارية ، التى كانت تحاول طمس اللغة العربية وكتابتها بالحروف اللاتينية وتشجيع الكتابة باللغات العامية لتبديد شمل الأمة العربية وتشتيت لغاتها ، وإضاعة تراثها العريق المجيد .

ولكن الله الذى وعد بحفظ القرآن الكريم حمى اللغة العربية ، وسيظل يحميها من كيد الكائدين وعنت المستعمرين الطاغين .

ولكن المشكلة الكبرى التى تواجه اللغة العربية هى عقوق أبنائها وسعيهم فى سبيل حصارها وتحطيمها بالقول والفعل .

ومن أفاعيلهم إهمال اللغة الفصيحة ، واستبدال لهجات محلية بها ، لايقتصر استعمالها على الحديث الشفهى ، وإنما أدخلوها إلى الصحف والمجلات ، وأقاموا المهرجانات الدولية للأزجال العامية ، ورصد بعض الأثرياء العوام جوائز مالية ضخمة ، فتسابق الناس إلى ارتضاخ العامية ، والخوض فى مستنقعاتها ، لم تمنعهم غيرة على عروبتهم ، ولا حمية لدينهم .

ففى بلد عربى كريم تصدر الصحف اليومية ، وفيها صفحات تبلغ نصف عدد صفحات الجريدة كلها ، وهى كلها باللغة العامية من الأزجال ، التى أطلقوا عليها اسما جذابا ، وقالوا : بأنها شعر شعبى ، فخلعوا عليها لقب الشعر ، وهى تخلو من أهم صفة من صفات الشعر ، وهى سلامة اللغة ، ونسبوها إلى الشعب العربى كله ، والشعب ليس طغمة من العوام بل منه العلماء والأدباء والكتاب والصحفيون والطلاب

والموظفون والقضاة والمحامون ورجال الأعمال وكلهم متعلمون يجيدون القراءة والكتابة باللغة العربية الفصيحة ولاتخفى عليهم معانيها .

وزعموا أن اللغة العامية أقرب إلى أفهام الناس ، ونحن نرى الناس كلهم يذهبون إلى صلاة الجمعة كل أسبوع ويستمعون إلى خطبة الجمعة ، ولم يقل أحد منهم : أنه لم يفهم الخطبة ، ونراهم يقرأون القرآن الكريم ولم يقل أحد : إنه عسير الفهم ، وإذا أشكل عليه فهم شيء منه أسرع إلى من يعرف القرآن واللغة فاستوضح منه .

ولم يدع أحد أبداً إلى الخطبة بالعامية لكى يفهم الناس الموعظة .

ولم يدع أحد إلى قراءة القرآن وطبعه باللغة العامية ليكون سهلاً على الجهلاء .

وزعموا ان اللغة العامية أقرب إلى الوجدان فى الغناء وهم يستمعون إلى أغانى أم كلثوم باللغة العربية مثل : ولد الهدى ، ونهج البردة ، وقصة الأمس ، وذكريات ، وحديث الروح ، وإلى عرفات الله ، وإلى أغانى محمد عبد الوهاب مثل : الكرنك ، والجندول ، وكليوباترا ، والنهر الخالد ، وفلسطين ، وغيرها ، فيطربون لها أيما طرب ويستمتعون بألحانها ويتذوقون كلماتها ومعانيها .

وهذه الأغانى هى التى سوف تخلد فن أم كلثوم وعبد الوهاب ، وليست الطقاطيق العامية التى انتشرت ثم اندثرت ، ولما يمض عليها ربع قرن من الزمان .

وزعموا أن اللغة العامية هى التى يتحدث بها الناس ، وأن علينا أن ننزل إلى مستوى العوام وأنا أقول لهم : إن من العار أن يتحدث مثقف باللغة العامية فى منزله أو فى السوق وتتضح شناعته إذا كان المتحدث مدرساً فى فصل أو خطيباً فى محفل أو متحدثاً فى مجلس رفيع يتناول موضوعات الساعة من سياسة واقتصاد ومشكلات دينية أو دنيوية .

ونحن نقول : إن من واجبنا أن نرفع الناس إلى مستوى اللغة العربية الفصحى لا أن ننزل إلى مستواهم ، وكذلك عندما نرى المتحذلقين يخاطبون أتباعهم من الخدم والسائقين الذين استقدمناهم من دول لايتكلم أهلها العربية ، فإننا بدلاً من أن نحملهم على فهم لغتنا والحديث بها نلوى ألسنتنا فنذكر المؤنث ، ونؤنث المذكر ، ونخاطب الفرد والجمع بضمير الغائب المفرد ونظن أننا بذلك نيسر اللغة ، ونحن نعقدها ونجعلها صعبة عسيرة على السامع .

والأدهى أن ينشأ أطفالنا فيألفون لغة الأتباع وينشأ جيل جديد ضيع اللغة العربية ، ولم يتقن لغة أجنبية فكان كالغراب الذى خطر له أن يقلد خطو الحمامة فأصيب بالعرج وسمى أبا مرقال .

وبعد أيها الإخوة الكرام فأنتم ترون أنه إذا تحدث أحدكم مع الآخر بلغته العامية لاتفقه من حديثه شيئاً أما إذا تكلم بالعربية الفصحى فإننا نفهمها جميعاً .

ولذلك فاللغة العربية تربط الشعوب العربية ، وتوحد لغتها وتربط قلوب أفرادها بعضهم إلى بعض ، وقد لقيت من الدفاع عن اللغة العربية ، ومهاجمة العامية عنتاً ولكنى أقول :

أحمى حمى الفصحى وأفخر أنها
لغتى بها جاء الكتاب المنزل
وبها أحاديث النبى المصطفى
وبغيرها القرآن ليس يرتل
وسلمت اللغة العربية ورفع الله شأنها .

خميلة الشعر

إعداد الأستاذ / محمد عبد الوهاب

شاعر قال عنه النبى ﷺ
(يأتى يوم القيامة أمة وحده)

المعجزة الخالدة

إحمنى منى

من شعراء الاسلام

شاعر قال عنه النبى صلى الله عليه وسلم يأتى يوم القيامة أمة وحده *

للأستاذ: محمد عبد الوهاب

كان مثلا رائعا للفطرة السليمة ، إذا التقت بعقل واع ، وقلب سليم ، فقد رفض الخرافة ، التى أحاطت به من كل جانب ، وواجه مجتمعه بهذا الرفض ، ولم يكتف بالرفض وحده ، وهو موقف وإن بدا سلبيا ، إلا أنه موقف عظيم ، يدل على الشجاعة ، وعلى وجوب احترام العقلاء فى مواجهته لكل ما يتعارض مع الفطرة السليمة للإنسانية الحقة ، ولم يقف عند موقفه الرافض فقط ، ولكنه ارتحل ؛ طالبا للعلم والمعرفة ، وحتى تستقر بداخله المعايير الإيجابية للفطرة ، التى خلقها الله ـ سبحانه وتعالى ـ فى الإنسان .

حين وصل إلى بلاد الشام التقى هناك بعلماء المعتقدات المختلفة ، فحاوروه وحاورهم ، وهو يجاهد ويكد فى سبيل الوصول إلى الدين الحق ، والملة الأجدر بالاقتداء حتى استقر على ملة الحنيفية السمحاء ملة سيدنا إبراهيم ـ عليه السلام ـ ولما عاد إلى الوطن ـ مكة ـ استغرب قومه هجرته للأصنام وعبادتها واستهزاءه بها ، فنفوه عن أهله ودياره ، فهجر الأوطان وارتضى النفى ، فى سبيل المبدأ والدين الذى ارتضته فطرته ، وعندما سمع برسالة الإسلام التى نزلت على سيدنا محمد ـ ﷺ ـ شد من فوره الرحال متوجها إلى نبع النور الصافى ؛ ليرتوى من الهدى والحق ، لولا أن عاجلته منيته قتيلا على يد أهل ميفعة[1] وهو فى الطريق إلى مكة .

إنه الشاعر زيد بن عمرو بن نفيل بن

★ انظر من ص ١٢٣ إلى ص ١٢٨ جـ ٣ من كتاب الاغانى

(١) هى قرية من ارض البلقاء من الشام

عبد العزى بن رياح بن عبد الله بن قرط بن رزاح بن عدى بن لؤى بن غالب ، وأمه جيداء بنت خالد بن جابر بن أبي حبيب بن فَهْم . وكانت جيداء عند نُفَيْل بن عبد الْعُزَّى . فولدت له الخطّاب أباعُمَر بن الخطاب - رضى الله عنه - وعبد نُهْم ، ثم مات عنها ، فتزوجها ابنه عمرو - فولدت له زيدا ، وكان معروفا عند أهل الجاهلية .

كان زيد بن عمرو لا يأكل من ذبائح أهل الشرك ، ولا يأكل إلا مما ذكر اسم الله عليه ، وكان يقول :

« يامعشر قريش ، أيرسل الله قطر السماء ، وينبت بَقْل الأرض ، وَيَخْلُقُ السائمة ، فترعى فيه ، وتذبحوها لغيره ! والله ما أعلم على ظهر الأرض أحداً على دين إبراهيم غيرى » .

وكان إذا جاء البيت الحرام قال : « لبيك حقًّا حقًّا ؛ تَعَبُّداً ورِقًّا ؛ البر أرجو لا الخال [(١)] وهل مُهَجِّرٌ [(٢)] كمن قال . ثم يقول :

عذت بما عاذ به إبراهيم ... مستقبل الكعبة ، وهو قائم
يقول : أنفى لك عانٍ راغم ... مهما تجشمنى فإنى جاشم

ثم يسجد ، وكان يقول أيضا :

عزلت الجن والجنان عنى ... كذلك يفعل الجلد الصبور
فلا العزى أدين ولا ابنتيها ... ولا صنمى بنى غنم أزور
ولا هبلاً أدين ، وكان ربا ... لنا فى الدهر إذ حلمى صغير
أربا واحداً ، أم ألف رب ... أدين ، إذا تقسمت الأمور
ألم تعلم بأن الله أفنى ... رجالاً كان شأنهم الفجور
وأبقى آخرين ببر قوم ... فيربو منهم الطفل الصغير
وبينا المرء يعثر ثاب يوماً ... كما يتروح الغصن النضير

فقال له ورقة بن نوفل : [(٣)]

رشدت وأنعمت ابن عمرو ، وإنما ... تجنبت تنوراً من النار حاميا
بدينك ربا ليس رب كمثله ... وتركك جنان الجبال كما هيا
أقول إذا مازرت أرضاً مخوفة ... حنانيك لاتظهر علىَّ الأعاديا
حنانيك إن الجن كانت رجاءهم ... وأنت إلهى ربنا ورجائيا
أدين لرب يستجيب ولا أرى ... أدين لمن لايسمع الدهر داعيا
أقول إذا صليت فى كل بيعة ... تباركت قد أكثرت باسمك داعيا

يقول : خلقت خلقا كثيرا يدعون باسمك .

ومن شعر زيد بن عمرو :

أسلمت وجهى لمن أسلمت ... له المزن تحمل عذبا زلالا
وأسلمت وجهى لمن أسلمت ... له الأرض تحمل صخراً ثقالا
دحاها فلما استوت شدها ... سواء وأرسى عليها الجبالا

قال الزبير : وحدثنى مصعب بن عبد الله عن الضحاك بن عثمان عن عبد الرحمن بن أبي الزناد ، عن هشام بن عروة عن أبيه عن سعيد ابن زيد بن عمرو قال :

سألت أنا وعمر بن الخطاب رسول الله - ﷺ - عن زيد فقال : « يأتى يوم القيامة أمة وحده » .

---

(١) اى الخيلاء
(٢) اى سائر
(٣) هو قرشى جليل القدر ، نافذ البصيرة ، كان قريبا للسيدة خديجة زوج النبى - ﷺ - ترك الوثنية إلى النصرانية ، وكان يقول للنبى - ﷺ - ، ستكون نبيا ، وإن ادركنى يومك ، نصرتك نصرا عظيما ، ولكنه توفى قبل ان يظهر للناس إسلامه .

المعجزة الخالدة

للأستاذ: إبراهيم صالح

إلهى وقفنا هنا خاشعين
بين يدينا الكتابُ المبين
نرتل آياته كل حين
لنحظى بنور الهدى واليقين

* * *

تباركْتَ يارب أنزلتَ نورا
على خيرِ خلقِك سِفْرًا طهورا
ومعجزةً تتحدى الدهورا
وشمسا وبدرا وصبحا منيرا

* * *

بآياتِه كم سبقنا الزمانا
وكم راح فى التيه يَهدى خطانا
وكان السياج لنا والأمانا
ودرعا على الدهر يَحمى حمانا

* * *

كِتَابٌ حملناه للعالمين
فكان سنا الحق للحائرين
وأنشودةَ الصحو للغافلين
وترنيمةَ النصر للزاحفين

* * *

رفعناه سيفاً بوجه العدا
فكان النداء وكنا الصدى
بلغنا به الشُّهْبَ والفرقدا
وصار لأحكامنا سيدا

* * *

أقمنا الممالك شرقا وغربا
وكان من المُلك روحا وقلبا
وسرنا مع النور دربا فدربا
وخضنا المسالكَ سهلا وصعبا

* * *

على هَذْى آياتِه البينات
وفى ظل ما فيهِ من معجزات
وما فيه من حِكم بالغات
ملكنا ذُرا العز والمكرمات

* * *

ولما نسيناه ضلت خطانا
وغامت سمانا وتاهت رؤانا
ورحنا مع التيه نُسقَى الهوانا
وصرنا دُمًى بين أيدى عدانا

* * *

وفى كل درب تئنُّ الرياح
وعزْفُ الأعَاصير لحنٌ مباح
يسيل مع الليل دَمْع الصباح
ويملأ أيامَنا بالجراح

* * *

وركبُ الهدى فى سبات عميق
وتأبى رياحُ الكَرى أن يفيق
وحاديه ضلت خطاه الطريق
وغنَّ مع الغرب لحنَ الشروق

* * *

ولن يَرْجعَ النورُ حتى نعود
ونقرأ آى الهُدَى من جديد
ونسعى على كل دربٍ رشيد
هنا وحدنا سنسود الوجود

احمني منّي

شعر: إبراهيم عيسى

فى قاعِ بئرِ الخوفِ يصرخ كلُّ ذنبٍ كان لى
والذنبُ عندى جحفلٌ يمشى بجانبِ جحفلِ
والحزنُ فى نفسى حزينٌ صارخٌ بتململِ
ويقول لى ذنبى: انْطلِقْ . أو ما بَدا لكَ فافْعَلِ
فعَدَوْتُ فى غاباتِ أيامى كليْلٍ ألْيَلِ
فأُحِسُّ أنفاسَ الظلامِ بعالمى لاتنْجلى
مُسْتَدْفِئاتٍ بالخطايا فى حنايا مَقْتَلى
لكنْ سمعتُ هدايةً تشدو كصوتِ البلبلِ
ورأيتُ فوق جوانح الظُّلمات فَجْراً مِنْ عَلِ
مُتَسَلِّقًا أسْوارَ ظلماتى ليَسْقِى منْهلى
مَن أنتَ يا ألقًا محَا ظُلَمِى فصَفَّقَ جدولى ؟
فَتَبَسَّمَ الْألَقُ الطهورُ .. ولاحَ فَجْرُ تَبَتُّلى
وتَساقَطَ الدمعُ المُكَبَّرُ فوق خَدِّ تَذَلُّلى
وَسَرَتْ بِىَ الْأشواقُ حتى المنتَهَى فى مَعْزِلِ
وعلى المُدَى آنسْتُ ناراً جِئتُها كى أصْطَلى
فَتَفَجَّرَ الْإيمَانُ نوراً ثم أضْحَى مَوْئِلى
وعلى جبالِ البَوْحِ قلتُ .. وقلتُ .. كلَّ تَوَسُّلى
يا نفسُ هذا الذنبُ قَيْدٌ .. حَطِّميهِ وَزَلْزِلى
لِأفِرَّ بِى منّى .. وأحمِلَ فى الليالى مشعلى
وأعودَ طفلًا أبيضَ الصفحاتِ عند تَرَحُّلى
طُوبَى لمن عَرَفَ الصِّراطَ فعاد دون تمَهُّلِ
يا ربَّنا .. الخوفُ يجلدنى فعلتُ أو لم أفعلِ
كُلِّى جِراحٌ .. فَاحْمِنِي مِنِّى .. وخُذْ بتَوَكُّلى
أطْلِقْ حنانَكَ فوق خوفى .. رَبَّنا وَتَقَبَّلِ

من شعراء الإسلام

الربيع الغزالي

بقلم الأستاذ:
أحمد مصطفى حافظ

محمد حسن على غزالة
(الربيع الغزالى)

درج النقاد والباحثون على إطلاق لقب الشاعر الإسلامى(١) عليه ، لتدينه الشديد ، وإيمانه العميق ، بقوله تعالى : ﴿ مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾ (سورة ق الآية ٨٥) . وصدوره ، فى كل ما كتب ونظم ، عن مشاعر الأمة الإسلامية ، فى سمو غايتها ، وتوجهاتها السامقة .

ترجمة حياته :

ولد بقرية قبور الأمراء مركز الدلنجات ، بمحافظة البحيرة ، وكان ميلاده فى مستهل الربيع ، ومن ثم أصبح اسما على مسمى ، فى فجر يوم الأحد فى الثانى والعشرين من شهر ربيع الأول سنة ١٣٣٠ هجرية ـ العاشر من شهر مارس سنة ١٩١٢ م ، وسماه والداه محمداً ، وكان له شقيق أكبر ، يحمل اسم (محمد) أيضاً ، فاتفقا

(١) ويطلق لقب (شاعر الإسلام) على العلامة محمد إقبال ، شاعر الباكستان الكبير .

على مناداته ـ أى شاعرنا ـ باسم شهر المولد النبوى الشريف ، الذى وُلد فيه : (ربيع) ، ولما علم بذلك جده الشيخ على غزال ـ وهو من كبار رجال الأزهر الشريف ـ قال : إذن ، فهو الربيع الغزالى ، ليكون اسمه بين مَنْ يحملون اسم : الربيع ، من العلماء ، من أمثال : الربيع الجيزى ، والربيع بن سليمان ، وأضرابهما ، وإن تضمنت شهادة ميلاده اسم : محمد حسن على غزالة .. وقد نشأ ، فى بيت علم ، وأدب ، ودين ، فقد كان أجداده وأسلافه ، لأبيه وأمه ، من علماء الأزهر البارزين ، وكانت تقام فى دورهم ، بين الحين والحين ، ندوات جامعة ، يدور فيها الحديث سجالاً ، فى الدين والأدب والشعر ، ومن ثم تأثر شاعرنا منذ نعومة أظافره ، بهذه البيئة الطيبة ، التى شب فيها ، ونهل من ينابيعها ، حتى كَظَّ .. وبخاصة أنه نشأ منطوياً على نفسه ، لا يميل إلى اللهو واللعب ، كغيره من الأطفال ..

وكانت عزلته تلك ، فى محيطه الذى ألمحنا الإشارة إليه ، وَبُعْدِه عن الحياة والناس ، سبباً فى أن لسانه استقام على العربية الفصحى ، التى التقطها من أفواه العلماء الأعلام من حوله ، فلا يتحدث إلا بها ، لأنه كان .. لا يعرف العامية قط ، إلى أن اضطرته حركة الحياة ، إلى مخالطة الناس ، فأخذ يروض لسانه على التحدث بالعامية ، على كبرٍ ، حتى مرن عليها ، وهو فى سن الأربعين ! .. وقبل أن يبدأ مرحلة الدراسة الجامعية ، دعاه المرحوم (أحمد حافظ عوض) ـ صاحب جريدة (كوكب الشرق) ـ للعمل فى جريدته ، وكان قد قرأ له ديوانى شعر ، أصدرهما وهو طالب بالمرحلة الثانوية بالإسكندرية .. فبدأ عمله بجريدة : (كوكب الشرق) يوم ١٤ يوليو سنة ١٩٣٣ ، وكانت هذه هى بداية عمله بكثير من الصحف والمجلات ، انتهت إلى عمله ، أخيراً ، بجريدة (الأهرام) ، حتى أحيل إلى المعاش فى العاشر من مارس سنة ١٩٧٢ م .

وتفرغ لإصدار دواوينه الشعرية ، ومؤلفاته الدينية ، وأصدر مجلة تحمل عنوان : (صوت العروبة) سنة ١٩٥٤ ، وتولى رياسة تحريرها حتى عام ١٩٦٥ .

وفى (صوت العروبة) دبَّج الكثير من الموضوعات الأدبية والاجتماعية القيمة ، وكان له باب ثابت بها ، بعنوان : « من شجون الحديث » ، يقوم فيه بجولات نقدية ، بمنهج متميز ، وتحليلات دقيقة ، كما نشر فيها طائفة من قصائده .

نقابة الصحفيين :

كان شاعرنا أول من دعا إلى إنشاء نقابة للصحفيين سنة ١٩٣٦ ، بالكتابة عن ذلك فى الصحف ، والخطابة فى المؤتمرات والاجتماعات الأدبية ، إلى أن تم إنشاء النقابة فى سنة ١٩٤٢ م ، وأصبح من أبرز أعضائها : نشاطاً وإنتاجاً .

ندوات الشعر :

وفى سنة ١٩٥٧ دعى للاشتراك فى الندوات الشعرية ، ومنها ندوات : شعراء العروبة ، ودار الأدباء ، ولواء الإسلام ، وهيئة خريجى الجامعات والرابطة الإسلامية ، ورابطة الأدب الحديث ، فأسهم فيها بقصائده العديدة ، وصار من أبرز

أعضائها ، فكان أمينا عاماً لرابطة الأدب الحديث ، حتى سنة ١٩٦٨ ، حينما اضطر لظروف صحية ، إلى الإخلاد إلى الراحة بمنزله ، والتقاط الأنفاس ، بعد طول الشوط ، ليتفرغ لتفسير آيات الله البينات ، بجريدة النور ، تحت عنوان : (اقرأ فى جامع التفاسير) ، كما قام بكتابة بحوث لغوية ، بذات الجريدة ، بعنوان : « أخطاء لغوية شائعة » .

وقام بإلقاء عدة أحاديث فى الإذاعة والتليفزيون ، فى برنامج (فن وأدب) ، وقد كتب عنه وعن شعره ونثره ، فى الصحف الأدبية والدينية ، العديد من الباحثين والنقاد ، نذكر منهم الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي والدكتور عبد العزيز شرف ، وكاتب هذه السطور ، كما كتب الشاعر الراحل محمود جبر ، بعض القصائد عنه ، التى تم نشرها بكتاب : (الندوة البدرانية) ، وكذلك نظم الشاعر الراحل وديد الزند قصيدة ينوه فيها بنبوغه ، ونشرت بديوانه .

دواوينه التى صدرت :

١ - أزاهير الربيع
٢ - فوح المسك
٣ - رجع الصدى
٤ - روح الأثير
٥ - فيض السنا

ومازالت لديه مجموعات كبيرة من شعره ومؤلفاته ، تنتظر أن تظفر بالنشر ، بعد أن تقدم فى السن (٨٦ عاماً) ، وأصبح لا يقدر على القيام بنفسه ، بطبع ونشر هذه الأعمال ، التى تربض فى أضابيرها ، قلقة متشوقة ، لمن يظهرها إلى عالم النور ، من غياهب الديجور .

نماذج من شعره :

تتسم لغته الشعرية بالرهافة والشفافية ، بما لا نكاد نجدهما عند غيره ، من شعرائنا المعاصرين إلا فى أقل القليل ، فهو يحلق فى سموات الفيوضات الربانية ، التى تملك عليه مشاعره فتجعله يقول ، متضرعا لله - عز وجل - بقصيدة : (الجسم والروح) ، وهى من قصائد دواوينه التى لم تنشر من قبل :

يارب إنى هنا .. والروح ناظرة
إلى رضاك .. فهل يارب .. ألقاه
أنا المحب وحبى ليس يبلغه
إلا الألى نهلوا من عذب سقياه
قلبى هو الكون .. فيه الحب مؤتلق
هو الحياة ، على نهج سلكناه
لقد رقيت به ، حتى تجرد بى
عن كل وهم ، من الأوهام ، أأباه
بالحب قد كانت الأكوان أجمعها
للكاف والنون . سر فى طواياه
.. آيات ربك فى الأكوان ناطقة
وفى النفوس . تعالى الخالق الله

ومن قصائده الوصفية ، قوله تحت عنوان (بهجة الربيع) :

قالوا الربيع .. وأنت فى الشعراء
أنت الربيع فقل مع الشعراء
فنظرت أستوحى الربيع بيانه
لأقول فيه الشعر رجع صداء
ونظرت أستجلى الطبيعة حسنها
ما بين أرض قد زهت وسماء
والشمس تشرق بالضياء ، كأنها
روح الشباب ، بنوره الوضاء

إلى أن يقول :

والماء يجرى فى الغدير كأنه
ذوب اللجين .. كفضة بيضاء

ويستمر ، متدفقاً ، بهذا النسق الرائع ، يعطينا الصور البيانية ، التى تكاد تجسم الربيع ، وتجعلنا نعيش معه بكليتنا ، نستوعب بهجته فى الأكوان ، بشغف وافتتان ..

* * *

وفى قصيدته الطويلة ، بعنوان : (مصر والتاريخ) وهى تمثل قمة شعره الوطنى ، يقول :

هنا وقف التاريخ .. يعنو ويخشع
ويكتب ما نملى عليه .. ويسمع
هنا فى رُبَى مصر ، على شط نيلها
على حقلها الفياح .. والنبت ممرع
هنا فى صحاراها ، وفوق مروجها
سواء خصيب من ثراها وبلقع
على جانب الوادى ، وفوق هضابه
وما تاخمت فيه قفار وأربع

إلى أن يقول عن مصر الحبيبة :

تتلمذت الدنيا عليها ، ولم تزل
تتلمذ ، حتى آخر الدهر ، تبدع

وبعد ، فنرجو أن نكون قد وفينا شاعرنا بعض حقه ، من الدراسة والتنويه ، بعد شوطه الطويل ، وعطائه الجم ، فى شتى ضروب العلم والمعرفة والأدب ، أطال الله بقاءه ، وأجزل ثوابه . وبالله التوفيق .

من أعلام الأزهر الشريف . بقية .

الصحة ، والعلة فى ذلك قصر القوانين الرادعة ، واحتيال المحامين فى المحاكم على تبرئة المتهم ، ولو استند المجتمع إلى إيمانه الأصيل لزالت أكثر هذه الشرور ! إن بعض الآثمين فى عصر النبوة كانوا يعترفون بجرائم سترها الله عليهم ، وهم فى مأمن من إذاعتها ، بل إن الرسول ﷺ كان يحاول أن يرجع بالمتهم عن اعترافه ما دام الله قد ستر أمره ، ولكن ضمير المذنب ـ وهو فى صميمه مؤمن صادق ـ قد دفعه إلى المطالبة بحدّ يصل إلى الإعدام بالرجمة ! ولو استشعر المجتمع الإسلامى الآن ما استشعره رجال الصدر الأول ، لم يكن مجال للجرائم المنتشرة ، والاعتداء المتصل ، بل كان ذلك استثناء قليلا من قاعدة الاستقامة والالتزام .

هذه بضعة سطور ، تُعطى موجزا مقتضبا عن اتجاه الدكتور العلمى ، وقد خففت عن نفسى بعض الشىء بالحديث عنه ، لأن استشهاده المفاجىء قد أثار لواعجى ، وجعلنى ساعتئذ أتقلب على أحرّ من الجمر ، وأنا أردد قول الأستاذ محمد عبد المطلب شاعر البادية فى موقف مماثل :

ألا تبت يد بالغدر راحت
تمد إلى أبى حسن حساما !
جبين زاده بالموت نورا
لقاء الله فائتلق ابتساما !

دوحة الكتب

إعداد: محمود الفشنى

> على الرغم من ثورة المعلومات وانتشار أجهزة استقبال البث الفضائى والتطور المتلاحق فى الشبكات العلمية وعلوم الكمبيوتر يظل الكتاب رافداً من أهم روافد الإشعاع الثقافى ؛ ولذا نقدم ـ دون نقد أو تعليق فى نبذة مختصرة ـ تعريفاً بأحدث ما فى المكتبات من كتب إسلامية وثقافية وعلمية .
>
> المحرر

الهجرة النبوية

للإمام الداعية / محمد متولى الشعراوى

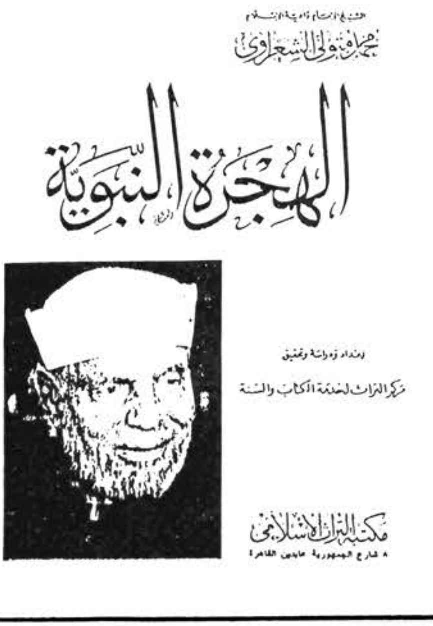

ستظل الهجرة حدثا تاريخيا من أعظم الأحداث التى شهدتها الإنسانية ، فهى نموذج حى متجدد على مر العصور ، قادر على الإلهام بأعظم الأعمال ، مقدم أروع القيم والمثل .

وقد كانت الهجرة المباركة مقدمة من مقدمات الفتح المبين لأم القرى تكريما لسيدنا محمد ـ ﷺ ـ الذى تعلق قلبه بها ، فهى المولد والنشأة ، ومبعثه إلى العالمين هاديا ومبشرا ونذيراً .

والهدف . من الهجرة إلى المدينة القرب من النبى - ﷺ - والانضواء تحت لوائه باعتباره القائد الأعلى للأمة الإسلامية ، وهو فى حاجة إلى كل المسلمين ليكونوا جنودا فى الدفاع عن الإسلام والجهاد فى سبيل الدعوة والتضحية بالنفس والنفيس فى ذلك ، وإلا فلا معنى للإسلام بدون ذلك والهجرة هجرتان : هجرة بالجسد من بلد إلى بلد ، وهذه أحكامها معلومة .

والهجرة الثانية : الهجرة بالقلب إلى الله ورسوله ، وهذه الهجرة هى الهجرة الحقيقية وهى الأصل وهجرة الجسد تابعة لها .

● عزيزى القارىء حول هذه الهجرة المباركة يتحدث كتاب فضيلة الإمام الشعراوى الذى كانت افتتاحيته بقصيدة (موكب النور) قائلا فيها :

ذكّرينا ياهجرة الحق ما قال
وكيف استهل خطو السفار
واملئى الناس عزة وطموحا
وأرينا روائع الآثار
إنما أنت عبرة وتأس
صَيَّرُوها ضربا من الأخبار
أيقظى الشرق من سبات عميق
واحمليه إلى مدار الدرار

● حيث تعرض لكلمة (هاجروا) مأخوذة من الفعل الرباعى « هاجر » والاسم « هجرة » والفعل « هاجر » وهجر غير هاجر . فقد يترك الإنسان مكانا يقيم فيه فيكون هذا معناه « هجر » أى ترك وهو عن قلة وضيق تدفع إلى الهرب ، إنما هاجر لابد أن يكون هناك تفاعل بين اثنين ألجأه إلى أن يهاجر .

● ثم انتقل فضيلته إلى فضل الهجرة والترغيب فيها شارحا معنى التوفى ومعناه القبض فيقال « توفيت دينى » أى قبضته مستوفيا .

أيضا أشار إلى الصراع بين النفس الإيمانية والنفس الشهوانية ذاكراً الصراع بين ابنى آدم قابيل وهابيل وفرق شارحا « مستضعف دعوى ، ومستضعف حقيقى » فهناك مستضعف قد قبل استضعاف غيره له ، وجعل من نفسه ضعيفا.هذا هو « مستضعف دعوى » أما « المستضعف الحقيقى » فهو من هؤلاء الذين يذكرهم الحق سبحانه فى قوله تعالى :

﴿ إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴾

(النساء ٩٨) .

● تعرض أيضا إلى فضل السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار قائلا : « السابق » هو الذى حصل منه الفعل - بصدد ما هو فيه - قبل غيره فتعرض لوجهة الاختلاف حول السابقين فهل كان سبقهم سبق زمان أم سبق اتباع ؟

● تناول أيضا جزاء السابقين الأولين ثم عرض النبى - ﷺ - نفسه على القبائل وبيعتا العقبة الأولى والثانية .

حتى وصل إلى أسباب الهجرة والمؤامرة على الرسول (ﷺ) .

وذكر أن من أوائل المهاجرين ، يتفق موسى بن عقيلة وابن إسحاق على أن أبا سلمة بن

عبد الأسد هو أول من هاجر من مكة إلى المدينة وكذلك فإن مصعب بن عمير وابن أم مكتوم كانا من أوائل المهاجرين ، وقد تتابع المهاجرون فقدم المدينة بلال بن رباح وسعد بن أبي وقاص وعمار ابن ياسر ثم عمر بن الخطاب فى عشرين من الصحابة .

ثم أشار إلى بدء الهجرة النبوية المباركة وشرح صحبة أبي بكر الصديق رضى الله عنه لرسول الله - ﷺ - فى غار ثور وهما فى طريقهما إلى الهجرة وكيف استعان الرسول - ﷺ - فى رحلته بدليل ذى خبرة حتى يتجنب الواحد منهم المفازات والمتاهات .

بعد ذلك انتقل فضيلته إلى قصة أم معبد ووصول موكب الرسول - ﷺ - إلى المدينة وبناء المسجد النبوى الشريف ثم معاهدته - ﷺ - مع اليهود فى المدينة والمؤاخاة بين المهاجرين والأنصار حيث ألف الله بين قلوب المسلمين ، فأصبح الإسلام أقوى رابطة تربط بينهم فأصبحت أخوة الدين أقوى من أخوة النسب ، وحين تتآلف القلوب فهذا أقوى رباط .

ثم أفاض فضيلته بشرح واف لتغيير القبلة وتحويلها إلى المسجد الحرام حتى انتهى إلى باب لا هجرة بعد الفتح ، علينا نحن فى هذا الزمان أن نعلم أنه لا هجرة بعد الفتح ، إلا إن كانت هجرة يقصد بها صاحبها المعونة على طاعة الله .

واختتم فضيلة الإمام محمد متولى الشعراوى هذه الفيوضات بقصيدته الروحانية « موكب النور » .

وبهذا أقدم لك عزيزى القارىء قصة الهجرة النبوية بشرح وتفسير واضح جلى لتحظى مكتبتك بأعظم هجرة فى الوجود : هى هجرة المصطفى - ﷺ -

التخلف

« فى العالم الإسلامى » بين الداء والدواء

تأليف : الدكتور محمد شامة*

استاذ بكلية اللغات والترجمة بجامعة الازهر

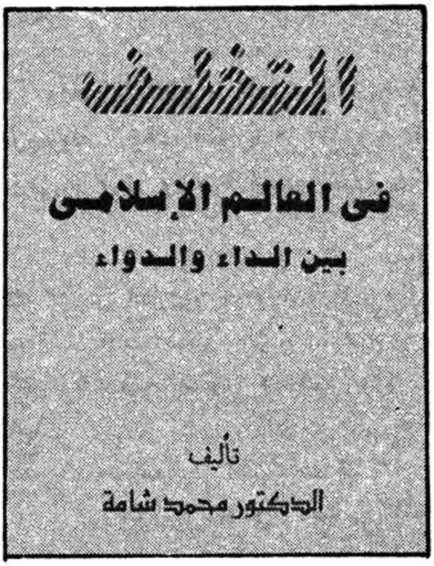

التخلف ظاهرة تصيب النمو فى بعض المجتمعات ، وتعنى بطء الحركة فى تحقيق النمو الذاتى لها وليس اللحاق بغيرها .

وهى تنبع أصلا من تأثيرات تفاعلية خارجية ، تتجسد فى سوء استغلال الطاقات المادية الكامنة ، وضعف التركيب الاجتماعى والإطار

(*) المؤلف : استاذ بكلية اللغات والترجمة بجامعة الازهر.

الثقافى القائمين . وأطلق على بعض المجتمعات بأنها دول متأخرة ويقصد بها الدول التى لم تصل إلى مستوى مرتفع من التقدم الفنى والاقتصادى وهذا لا يعنينا فى عرض كتابنا هذا الآن .

● الكتاب يتحدث عن مظاهر التخلف فى العالم الإسلامى ، وكيفية التعامل معها فى مجال الدعوة وفهم الإسلام الصحيح والعقيدة الراسخة .

● عزيزى القارىء : قسم المؤلف عبد الغنى شامة كتابه هذا إلى سبعة فصول . بدأ الفصل الأول بأسباب التخلف قائلا : ظهرت الكتب والمقالات حول هذا الموضوع ، بعضها يحلل هذه الظاهرة فى المجتمعات الإسلامية ، باحثا عن أسبابها وملابساتها ، متلمسا منافذ التخلص منها برسم مناهج خاصة ، وتوضيح أساليب معينة ينبغى على الفرد ممارستها .

وأهتم البعض الآخر بالجانب الوجدانى اهتماما زائداً ، فأرجع أسباب التخلف إلى الجانب الروحى فى المجتمع ، حيث فرط الفرد فى واجباته الدينية ، وتهاون فى الالتزامات التى فرضها الدين عليه إزاء نفسه وأسرته ومجتمعه .

وفريق ثالث تناول هذه الظاهرة بالشرح والتحليل ، فهم أولئك الذين رفعوا راية التمرد على الدين ، إذ يرجعون أسباب تخلف العالم الإسلامى إلى التمسك بالدين ، فهم يرون أن السلفية تشيع فى المجتمع المتخلف ، فأفراده يرضخون للتقاليد والأعراف ، ويحتمون بالماضى وأمجاده وبعضهم يخفف من لهجته فيرى أن سبب تخلف المسلمين هو تمسكهم بالتراث ، وليس المحافظة على الدين ورفضهم أساليب الحضارة الحديثة - إذ يرفض المتشددون التعامل مع كل مظهر حضارى .

أما الفريق الرابع فقد أشار المؤلف بأنه فريق آتاه الله بصيرة نافذة ، وفكراً سليما ، وفهما واضحا للمتغيرات الدولية ، كما فقه تعاليم الدين ، ففرق بين الثابت منها والمتغير ، ووضح الخطوط التى تفصل بين الواجب برسمه ونصه ، وبين ماتتطلبه الظروف وتحتمه الأعراف والتقاليد الاجتماعية وشرح المؤلف أصحاب الاتجاهات الثلاثة مشيراً إلى الاتجاه الثالث المنادى باسم الإسلام والدفاع عنه وقاموا بالادعاء بأن الإسلام يحرم الديمقراطية .

وتحريم تعدد الأحزاب فى المجال السياسى ، ورفض التعامل مع معطيات العصر الحضارية ثم محاربة الانفتاح على الثقافات الأخرى بحجة الخوف من الغزو الثقافى :

● انتقل المؤلف بعد ذلك إلى الفصل الثانى المواقف والآراء المريضة التى تسىء إليه فهو كمن يستعمل سلاحا يرتد إلى نحره دون أن يدرى ، فيساعد عدوه بذلك على النيل منه . ويهتم هذا الفريق بأمور فرعية واجتهادات فردية ، والصراع والتقاتل بين أفراده والتمسك بمظاهر وسلوكيات لا تعبر عن روح الإسلام . وإعلان الحرب على مؤسسات السلطة التنفيذية .

● ثم انتقل موضحا الفصل الثالث وهو سبيل الخلاص بتوضيح الهدف وتحديده ، بحيث يدركه أكبر نسبة ممكنة من المسلمين وبمحو الأمية الثقافية ، حتى تحرر العقول من سيطرة الخرافات والأساطير التى تسللت إلى الفكر الإسلامى عبر القرون .

ولا يتحقق ذلك إلا بوضع قواعد حق التعبير وعدم تقديس فكر السابقين ، وعدم تغييب العقل ثم عرض المؤلف شعارات المتشددين كالحاكمية لله ، ولا ديمقراطية غربية بل شورى إسلامية ، وحدة لا تفرقها الأحزاب .

● وضح أيضا القتال والجزية فى المجتمع المعاصر حيث قال : وصى الإسلام المسلمين بأهل الكتاب وهم اليهود والنصارى ـ خيراً فجعل لهم الحق فى إقامة شعائرهم المقدسة والحفاظ على هويتهم الدينية وسمح لهم برعاية تراثهم والتمسك بتقاليدهم وعاداتهم ما دام ذلك فى حدود معتقداتهم .

● وتعرض للجزية قائلا أنها ضريبة محددة كانت تدفع فى مقابل عدم اشتراكهم فى الدفاع عن الوطن لأن شئون الدفاع فى العصر الأول كانت خاضعة لمبادىء العقيدة ، إذ كانت النصوص المقدسة هى التى توجه القتال وترسم استراتيجيته . مادام غير المسلم لا يخضع لهذه النصوص بحكم اختلاف عقيدته ، لكن لما كان القتال فى الإسلام للدفاع عن الوطن ، وليس لإجبار الآخرين على الدخول فيه بمن فيهم من مسلمين وغير مسلمين وجب على غير المسلم الإسهام فيه بما يستطيع .

● وضح المؤلف الحوار خير من الصدام قائلا : لقد اختلط الحابل بالنابل فى ساحة العمل الإسلامى ، فنجد جماعات ترفع شعار السنة ، وتتمسك به ، وتدخل فى معارك تصل فى بعض الأحيان إلى حد الاقتتال فى سبيل الالتزام والدعوة إلى إحياء السنة .

● ثم تصدى المؤلف لبعض الجماعات فى مصطلحات يستخدمونها تجلب على المسلمين اليوم ـ إن استخدموها فى تكييف علاقاتهم مع الآخرين ـ مصاعب جمة ، ومشاكل لا يقدرون على مواجهتها فى ظل الظروف الدولية المعاصرة كمصطلح : (دار الكفر . ودار الحرب) أما فى الفصل الرابع فتحدث عن حرية الفكر فى الإسلام : وأن الدين أساس التربية وتحديد المفاهيم ولا يتحقق ذلك إلا إذا صارت حرية التعبير من المقدسات التى لا ينبغى لأحد أن يمسها .

ثم أشار إلى حدود حرية الفكر فى المجتمع الإسلامى وتعرض لقضية « أويجن دريفرمان » أحد القسس الكاثوليك فى ألمانيا ومعارضته لبعض أفكار الكنيسة الكاثوليكية !

وهل يشترك الإسلام مع الأديان الأخرى فى مثل هذه الظاهرة ؟

وتعرض المؤلف لقضايا أخرى منها لا قداسة فى الإسلام لرأى أو جماعة ، وحتمية الحرية الفكرية فى الإسلام ، ومن يحق له أن يتحدث باسم الإسلام .

وبهذا عزيزى القارىء إذا أردت أن تحسم القضايا الهامة التى يختلف فيها الكثيرون والتيارات المتعددة والمتشددون فى الدين ، فعليك بهذا الكتاب كإضافة جديدة لمكتبتك الإسلامية .

« تحرير المقال »
« لابن حجر الهيتمى »

تحقيق وتعليق فضيلة الشيخ/

عبد المعز عبد الحميد الجزار*

● لقد اختلف الباحثون وتعددت الأسباب عن البحث والتنقيب فى التربية ونظرياتها قديما وحديثا لتكون كاملة فى بحث ، غير أنهم وجدوا نظريات تربوية متناثرة لعلماء إسلاميين كالغزالى وابن خلدون وابن مسكويه وغيرهم . إلا أن شيخ الإسلام العلامة : أبو العباس شهاب الدين أحمد بن محمد بن محمد بن على بن حجر الهيتمى أخرج لنا كتابا كاملا فى موضوع التربية والأخلاق والاجتماع .

● قام على تحقيقه ودراسته وتقديمه للقراء الأعزاء فضيلة الشيخ عبد المعز عبد الحميد الجزار وهو من علماء الأزهر الأجلاء فى كتاب شيق ثرى بالمخطوطات والاستدلال بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية والآثار والتراجم والإعلام .

● عزيزى القارىء : هذا الكتاب وضعه الهيتمى إجابة عن أسئلة وجهت إليه من بعض معلمى القرآن ، حول أدب الولد ، وكيفية تأديبه ، والأخلاق والآداب التى ينبغى للمعلم والوالد أن يتحلى بها ، مستمدا كل هذا من أدب النبوة ، وآثار السلف الصالح ، وأقوال الأئمة الأعلام .

● وحول تربية الأولاد : ذكر المحقق بعض المأثورات منها « لقد دخل على أمير المؤمنين عمر

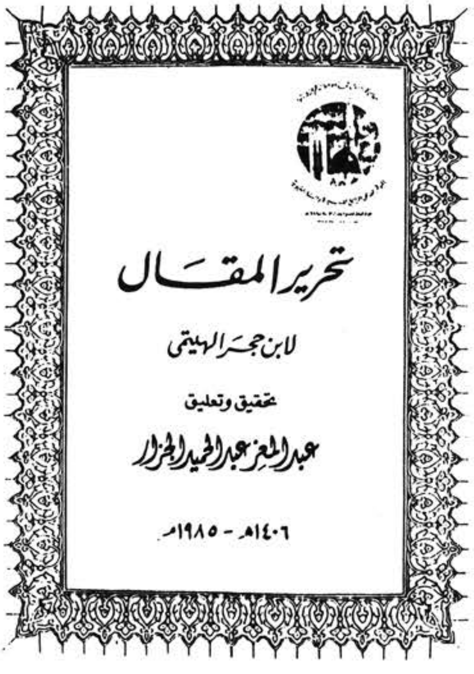

ابن الخطاب - رضى الله عنه - أحد عماله وولاته فوجده مستلقيا على ظهره ، وصبيانه يلعبون حوله ، فأنكر عليه سكوته على لعب الأطفال حوله ، فسأله عمر : « كيف أنت مع أهلك » فأجاب : « إذا دخلت سكت الناطق » .

قال له عمر : « اعتزل عملنا ، فإنك لا ترفق بأهلك وولدك ، فكيف ترفق بأمة محمد - ﷺ - وأيضا عبد الملك بن مروان يقول لمؤدب ولده :

علمهم الصدق كما تعلمهم القرآن ، وجنبهم السفلة فإنهم أسوأ الناس رغة - قلة الورع - وأقلهم أدبا ، وجنبهم الحشم فإنهم لهم مفسدة ، وأحف شعورهم - بالغ فى قصه - تغلظ رقابهم وأطعمهم اللحم يقووا ، وعلمهم الشعر . . يمجدوا وينجدوا ، ومرهم أن يستاكوا عرضا ويمصوا الماء مصا ، لا يعبوه عبا ، وإذا احتجت

---

* المؤلف رئيس تحرير مجلة الأزهر .

إلى أن تتناولهم بأدب فليكن ذلك فى ستر لا يعلم به أحد من الغاشية فيهونوا عليه » .

● وقد قام فضيلته بوصف المخطوطة حيث بين أن هذه المخطوطة تقع فى ثلاث وثلاثين ورقة من القطع المتوسط ، مليئة صفحاتها بالكتابة ، وكل صفحة تضم واحدا وعشرين سطرا ، وكل سطر يحتوى على عشر كلمات .

● وهذه النسخة مكتوبة بخط حفيد المؤلف ، وخطها واضح ، وتوجد بالمكتبة الأزهرية . انتقل المحقق بعد ذلك إلى حياة المؤلف وأنه ولد فى أواخر سنة تسع وتسعمائة من الهجرة وهو شيخ الإسلام أبو العباس شهاب الدين والدنيا أحمد بن محمد بدر الدين بن محمد شمس الدين بن على نور الدين بن حجر الهيتمى المكى السعدى الأنصارى العالم العلامة الرحالة الأزهرى ، الجنيدى طريقة ، الشافعى مذهبا ، المحدث ، الفقيه ، الصوفى ، الباحث ، المحقق المصرى الشهير ولد فى محلة أبى الهيتم ـ بالمثناة الفوقية ـ قرية بالغربية بالقرب من المحلة الكبرى تسمى الآن (الهياتم) .

وسمى بابن حجر نسبة على ماقيل : إن جده كان ملازما للصمت فى جميع أحواله لا ينطق إلا لضرورة ومن هنا شبه بالحجر .

● ثم تطرق المحقق إلى مؤلفات ابن حجر ذاكراً أكثر من ستين مؤلفا ، أما عن وفاة ابن حجر فقد توفى فى شهر رجب عام ثلاث وسبعين وتسعمائة من الهجرة .

● عرض المحقق بعد ذلك بعض المخطوطات ووضعها فى كتابه كما هى .

● ثم انتقل إلى تقسيم أبواب الكتاب : حيث قسمه إلى سبعة مقاصد وخاتمة . ففى المقصد الأول عن الأحاديث الدالة على شرف أهل القرآن ، وذكر فيه عشرة أحاديث .

أما المقصد الثانى فى بعض الأحاديث الواردة فى فضائل معلمى القرآن وتعليمه فقد أشار المحقق إلى عشرة أحاديث أيضا فى هذه الفضائل .

أما المقصد الثالث فقد ذكر أيضا عشرة أحاديث فى جواز أخذ الأجرة على تعليم القرآن والرقية به ونحوها .

أما فى الفصل الرابع فقد أشار إلى الأحاديث الدالة « على امتناع أخذ الأجرة على تعلم القرآن » .

وهكذا فى المقصد الخامس واختلاف العلماء فى الأخذ بالأحاديث السابقة .

● وفى الفصل السادس وضح المحقق تحذير المعلم من نظر المرد الذين يعلمهم وفى بيان حل نظر المعلم إلى الأمرد المتعلم لحاجة التعليم من غير شهوة ولا خوف فتنة .

● حتى وصل إلى الأجوبة المختلف فيها ككيفية إحضار الغائب عن التعليم واستخدام المعلم لليتيم وأيضا الإخطار عن الغائب وتأديب الغائب .

● وأما الجواب عن المسألة الخامسة : هل يجبر المجتهد على تعليم غيره ؟ ثم حكم التصرف فى معلوم الغائب وحكم مايأخذه الفقيه عند ختم السورة وأيضا حكم أجر الفقيه حتى اختتم فضيلة الشيخ عبد المعز الجزار تحقيقه بخاتمة ذكر فيها عشرة أحاديث حاثة ومؤكدة للفقهاء والمعلمين ، على الرحمة بالمتعلمين والمبالغة فى إسداء الإحسان إليهم والقيام بمصالحهم ما أمكن .

عزيزى القارىء لقد جعل المحقق هذه الأسئلة المعجمة واضحة جلية ، وتأليفا لطيفا ونموذجا شريفا ورتبها ترتيبا مفيدا أزاح عنها كل ما هو مبهم ويستطيع كل قارىء أن يفهم ويعى كل هذه المسائل ويدركها جيدا ، والمكتبة الإسلامية فى حاجة ماسة إلى موضوع هذا الكتاب القيم .

بين المجلة والقارئ

إعداد : عادل رفاعى خفاجة

التوكل على الله

فى كتاب الله العزيز الكثير من الآيات ، التى تحث على التوكل على الله ، وتأمرنا به ، لما فى ذلك من حصول الراحة النفسية للعباد . فمهما استنفد الإنسان وسعه ، فى التفكير ، والتخطيط ، والتدبير، تبقى ثغرات منشؤها « النقص البشرى » ، فالله وحده هو الذى وسع كل شىء علما ، وهو الذى ييسر لعبده سبل الهدى ، ويمده بعونه ، يقول الحق تبارك وتعالى :

﴿ وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا ﴾ (الأعراف ٨٩)

إنه نور اليقين ، الذى يملأ قلوب المؤمنين ، الذين أيقنوا بالنقص البشرى ، فلجأوا إلى الكمال الربانى ، وإلى الخالق الذى وسع كل شىء علما . ولذا ينبغى علينا أن نتأمل قول الله تعالى :

﴿ وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا ﴾ (إبراهيم ١٢) .

والتوكل على الله لا يناقض البحث ، والتفكير ، والتدبير ، إنما هو طلب للهداية ، وملتمس لدرء العثرات .

وحول هذا المعنى وردت رسالة القارىء محمد على البلجيهى أويش الحجر ، المنصورة ، يقول فيها :

التوكل بمعناه الحقيقى هو : صدق اعتماد القلب على الله - عز وجل - فى استجلاب المصالح ، ودفع المضار ، من أمور الدنيا والآخرة كلها .

فالعبد المتوكل على الله ، يؤدى واجبه فى الحياة على أكمل وجه ، ويسعى لتحصيل قوته ورزقه ، وعلى هذا فالتوكل على الله لا ينافى السعى .

عن عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - عن النبى - صلى الله عليه وسلم - قال : « لو أنكم توكلتم على الله حق توكله ، لرزقكم كما يرزق الطير ، تغدو خماصاً(1) ، وتروح بطانا » رواه الإمام أحمد ، والترمذى ، والنسائى .

وهذا هو رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لنا فيه الأسوة الحسنة ، كان يتاجر ويعمل ، ويمشى فى الأسواق ، ويعد العدة ، ويخطط للهجرة ، وما فعله - صلى الله عليه وسلم - إعداداً للهجرة خير دليل على أن التوكل على الله لا ينافى السعى .

والتوكل لابد أن يكون مع سكون القلب ،

الصداقة و الصديق

ويرسل الصديق الدائم للمجلة الأستاذ/ إبراهيم عبدالوهاب شرف . . المحامى بالنقض ، ومدير الإدارة القانونية بجامعة المنصورة . . هذه الكلمة عن الصداقة جاء فيها :

« . . . . إنه يؤرقنى كثيراً - هذه الأيام التى نعيشها - عدم وجود الصديق الحق ، وكذلك الصداقة الحقة . . إذ مظاهر الدنيا ومادياتها غلبت على الروحانيات ، ودفعت الناس للجرى وراء المصالح الشخصية ، حتى أصبح الصديق الوفى من الندرة بمكان ، إن ولع الناس بالمادة وعشقهم لها دفعهم إلى الخيانة ، وشهادة الزور ، وليس هناك دليل أكبر مما تغص به صفحات الجرائد يومياً من جرائم ، تقشعر لها الأبدان ، ولابد من التأكيد على قيم الصداقة ، وكيفية تنميتها لدى الأجيال ، فالصديق هو الملاذ الذى نلجأ إليه فى وقت الشدة والضيق ، والصداقة الحقة هى التى تحمى الشباب من الزلل ، من خلال النصائح ، التى يتبادلها الأصدقاء .

والصداقة - أيضاً - تعين الشيخ حيث يهتم به أصدقاؤه ، عندما تتقدم به السن ويضعف البدن ، ومن هذا المنطلق زخرت كتب الأقدمين : من الفلاسفة ورواد علم الاجتماع بالحديث عن الأصدقاء ، وعن الصديق يقول الشاعر :

صاف الكرام إذا أردت إخاءهم
واعلم بأن أخا الحفاظ أخوكا

(1) أى : تغدو بكرة وهى جياع وتروح عشاء وهى ممتلئة الأجواف . والخمصان والخمصان : الجائع الضامر البطن.

المطمئن بالإيمان ، ذلك أن الراضى يقوم بأداء عمله كما ينبغى ، ثم يسلم أمره لله ، وليعلم أن النتائج بيده تعالى ، ويقول ابن عطاء الله السكندرى : « لا يكن تأخر أمد العطاء مع الإلحاح فى الدعاء موجباً ليأسك ، فقد ضمن لك الإجابة ، فيما يختاره لنفسك ، وفى الوقت الذى يريد ، لا فى الوقت الذى تريده » .

فلو حققنا التوكل على الله بقلوبنا ، لساق إلينا أرزاقنا ، مع أدنى سبب ، كما يسوق إلى الطير أرزاقها بمجرد الغدو والرواح .

وعن جابر - عن النبى - صلى الله عليه وسلم - قال : « لن تموت نفس حتى تستكمل رزقها وأجلها ، فاتقوا الله ، وأجملوا فى الطلب ، خذوا ما حلَّ ، ودعوا ما حرِّم » . . رواه ابن ماجه .

فيا أخى المسلم . .

لا تعجلن فليس الرزق بالعجل
الرزق فى اللوح مكتوب مع الأجل
فلو صبرنا لكان الرزق يطلبنا
لكنه خُلِقَ الإنسان من عجلِ

وقال بعض السلف : « توكل تسق إليك الأرزاق بلا تكلف » .

وهذا يذكرنا بالقول المأثور : « رب أخ لك لم تلده أمك » . . والصداقة الحقة تثمر أخوة أكثر من أخوة الدم ، وبخاصة إذا كانت فى إطار من الخوف من الله ، وطمعاً فى رضاه ، وعن الأصدقاء والصداقة الحقة ، يقول الإمام على - كرم الله وجهه - :

وليس كثيراً ألف خلٍ وصاحب
وإن عدواً واحداً لكثير

وفى مصاحبة الصديق يجب الإغضاء عن الهفوات والزلات ، وإلا صارت الأمور إلى العتاب والمقاطعة ، وفى هذا من الجفاء ما فيه ، وعن هذا المعنى يقول بشار بن برد :

إذا كنت فى كل الأمور معاتباً
صديقك لم تلق الذى لا تعاتبه
فعش واحداً ، أو صل أخاك فإنه
مقارف ذنب مرة ومجانبه
إذا أنت لم تشرب مراراً على القذى
ظمئت وأى الناس تصفو مشاربه
ومن ذا الذى ترضى سجاياه كلها
كفى المرء نبلاً أن تعد معايبه

وعن انتقاء الصديق يقول عدى بن زيد :

إذا كنت فى قومٍ فصاحب خيارهم
ولا تصحب الأردى فتردى مع الرَّدى
عن المرء لا تسل وسل عن قرينه
فكل قرين بالمقارن يقتدى

وحينما سئل ابن المقفع : « هل الصديق أحب إليك أم القريب ؟ » أجاب : « القريب - أيضاً - يجب أن يكون صديقاً » .

اللهم أكثر من أصدقاء الخير ، المحبين فى الله ، والمبغضين فى الله ، وجنبنا يا ربنا غدر الأصدقاء ، إنك على ما تشاء قدير وبالإجابة جدير .

الأمن فى القـرآن

كما وردت من القارىء/ خيرى محمد إبراهيم ـ كفر الشيخ . . كلمة عن الأمن فى القرآن ، منها قوله :

الأمن يعنى : التحرر من الخوف أياً كان مصدر هذا الخوف .

والشعور بالأمن شرط ضرورى من شروط الصحة النفسية ، والأمة المكافحة ، التى تضرب فى الأرض تبتغى خيراتها وتأكل من طيبات ما رزقها الله ، هى أمة أفرادها آمنون .

ولقد حدثنا المولى ـ عز وجل ـ عن نعمة الأمن فى القرآن وهى من أجل النعم التى ينعم الله ـ تعالى ـ بها على عباده ، قال تعالى :

﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ ﴾

(الأنعام ٨٢) .

ويشعر الإنسان بالأمن إذا كان مطمئناً على صحته ، وعلى عمله ، وعلى مستقبله ، وعلى أولاده ، وعلى ماله ، وحقوقه ، ومركزه الاجتماعى .

ويؤيد ذلك ما جاء فى الحديث النبوى الشريف : « من أصبح آمناً فى سربه ، معافى فى بدنه ، عنده قوت يومه ، فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها » رواه الترمذى ، وابن ماجه ، فى كتاب « الزهد » ، وتبدو هذه النعمة ـ أيضاً ـ على أهل الجنة ، حيث يظفرون بالأمن الدائم ، الذى لا يعقبه ، ولا يشوبه خوف .

فقد روى الإمام مسلم فى « صحيحه » عن أبى سعيد الخدرى أن النبى ـ صلى الله عليه

من إبداعات القراء

مكانة العقل

وسلم - قال : « إن الله يقول لأهل الجنة ياأهل الجنة ، فيقولون : لبيك ربنا وسعديك ، والخير فى يديك ، فيقول : « هل رضيتم ؟ » فيقولون : « ومالنا لا نرضى يارب ، وقد أعطيتنا مالم تعط أحداً من خلقك . فيقول : ألا أعطيكم أفضل من ذلك فيقولون : يارب وأى شىء أفضل من ذلك ؟ فيقول : أحِل عليكم رضوانى ، فلا أسخط عليكم بعده أبداً » .

اللهم ارزقنا نعمة الأمن ، وأحل علينا رضوانك .

نهاية إقدام العقول كمال
يزول به فى العالمين ضلال
وكم قد أفادت من بحوث وحكمة
روائع قد جاءت بقيل وقالوا
وما القول إلا فتح علم وفكرة
وأصل اكتشاف للعلوم سؤال
وما العقل إلا مستقر لآية
فكيف ادّعوا أن العقول عقال ؟
وما خلقت إلا لتعرف دينها
وتعرف منه الله وهو جمال
وأعظم ما فى الكون وحى منزل
تلاه رسول فى الحياة جلال

محمود الطاهر الصافى
عضو رابطة الادب الإسلامى العالمية
عضو اتحاد الكتاب المصرى
فيكتوريا المنتزه ، الإسكندرية

ردود سريعة

القارى : سعيد عبده الرشيدى
مقترحاتك قيد البحث

القارىء : حمادة منصور قابيل منصور .
قنا - دشنا - أبو دياب .
وصلتنا رسالتك ، ونأمل أن تصلنا منك رسائل أخرى . مع العلم أننا لا نلتفت إلى المقالات ، أو الإسهامات ، التى ترد غير كاملة .

القارئة : عبير محمد نصار - البحيرة .
نرحب بإسهاماتك دائماً ، ولم يمنع نشر كلمتك عن « ذم الدنيا » إلا عدم الإشارة إلى مرجع الحديث النبوى ، من كتب الصحاح الموثوق بها رجاء ملاحظة ذلك مستقبلاً .

القارىء : أحمد محمود عبدالله حسين .
المنيا - دير مواس - نانون :
الاشتراك فى مجلة « الأزهر » قيمته اثنا عشر جنيهاً مصرياً ، لمدة عام ، تشمل هذه القيمة الرسوم البريدية . . ويتم الاشتراك عن طريق قسم الاشتراكات بجريدة الأهرام - شارع الجلاء - القاهرة - مع ضرورة توضيح عنوان المشترك تفصيلياً .

القراء : محمد عبدالفتاح صالح - سيد محمد محمود - محمد على ماهر .
يمكنكم توجيه شكواكم إلى مكتب خدمة المواطنين بإدارة الأزهر الشريف بالحسين بالقاهرة للاختصاص فى مثل هذه الأمور ، ونتمنى لكم التوفيق .

أنباء مكتب شيخ الأزهر الشريف

إعداد الأستاذين
عمر البسطويسى
مصطفى عبد المجيد

الإمام الأكبر فى كلية الشريعة بدمنهور

تحت رعاية وبحضور فضيلة الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر الشريف أقامت كلية الشريعة والقانون بدمنهور مؤتمرا تحت عنوان «الإسلام والتحديات الشبابية المعاصرة».

حضره الدكتور نصر فريد واصل مفتى الجمهورية . والدكتور طه أبو كريشة نائب رئيس جامعة الأزهر ود / مصطفى عرجاوى عميد الكلية وعدد من محافظى الوجه البحرى وعمداء الكليات الأزهرية وطلابها والقيادات السياسية والشعبية.

وأجمع الحاضرون على أن التحديات التى تواجه مجتمعاتنا يجب أن نقابلها بتحديات أكبر لأن هذه هى فطرة الله التى فطر الناس عليها ، ومنذ خلق الإنسان والصراع دائم ويجب ألا نيأس حتى نحقق لأمتنا ماتبغيه من الخير وما أراده الله لها مصداقا لقوله تعالى :

﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾

(آل عمران ١١٠)

وذلك فى ظل شريعة الإسلام التى جاءت لتنظم الحياة على هدى من كتاب الله ومن سنة رسوله ﷺ -

وقد أكد فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر فى كلمته على أن الصراع موجود منذ خلق الله الخلق

فالحياة صراع بين الحق والباطل وبين أصحاب النفوس السوية وأصحاب النفوس المريضة ويفرض علينا الإسلام التسلح بالفضائل المتعددة لمجابهة هذه التحديات .

كما أوضح فضيلته أن حاجة الشباب وكل الناس إلى العقيدة السليمة أشد من الطعام والشراب ، لذلك أمرتنا شريعة الإسلام بغرس العقيدة فى نفوس أبنائنا منذ الصغر فى قوله صلى الله عليه وسلم « مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين واضربوهم عليها لعشر » رواه أبو داود .

وأضاف فضيلته أن شريعة الإسلام اهتمت بالتربية العلمية للشباب كما اهتمت بالتربية البدنية فالعقل السليم فى الجسم السليم .

كما تحدث فضيلته عن أن ظاهرة التطرف لدى بعض الشباب سببها الرئيسى هو الغرور والفتوى بغير علم ، وأكد على أن التحدى فى هذا العصر هو التحدى الاقتصادى ، فلابد أن نعمل بقوة وإخلاص حتى يكون قرارنا من رأسنا ، ولن نكون كذلك إلا إذا كان غذاؤنا من فأسنا كما قال فضيلة الشيخ الشعراوى ، كما أكد على أن كل من يحمل الجنسية المصرية فهو مصرى دون تفرقة بين مسلم ومسيحى فالمسلم إذا أحسن يكافأ على إحسانه وإذا أخطأ يحاسب على خطئه ، وكذلك المسيحى فلا محاباة ولا ظلم فى الوقت نفسه وهذا هو الإسلام وتلك شريعته يريد لأتباعه البعد عن العنصرية البغيضة والتفرقة العمياء . □

فضيلة الإمام الأكبر يستقبل رئيس وزراء ماليزيا

استقبل فضيلة الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر الشريف بمكتبه صباح يوم ١٥ من المحرم ١٤١٩ هـ ١١ من مايو ١٩٩٨ م السيد / محضير محمد رئيس وزراء ماليزيا والوفد المرافق لسيادته .

فى بداية اللقاء رحب فضيلته بالضيف الكبير ومرافقيه فى رحاب مشيخة الأزهر الشريف معربا عن تقديره لدولة ماليزيا حكومة وشعبا ، وعمق الروابط بين جمهورية مصر العربية والأزهر الشريف مشيرا إلى علاقات التعاون والصداقة والأخوة التى تربط بين الأزهر وماليزيا والتى تضرب بجذورها فى أعماق التاريخ قديما وحديثا حيث إن الأزهر الشريف كان وسيظل كعبة العلم والعلماء لأبناء الدول الإسلامية بصفة عامة ولأبناء دولة ماليزيا على وجه الخصوص - وأشار فضيلته إلى الدور الكبير الذى يقوم به معالى الدكتور محضير محمد فى سبيل نشر الدعوة الإسلامية ومساندته لكل دعم ولكل عمل نافع لصالح المسلمين .

وأشار الضيف إلى الدور البارز الذى تقوم به البعثة الأزهرية فى ماليزيا حيث تسهم فى إنجاح ماليزيا وحمايتها من الضغوط الخارجية .

وفى ختام اللقاء وجه الضيف دعوة رسمية لفضيلة الإمام الأكبر لزيارة ماليزيا مؤكداً على أن الأزهر له تقدير خاص فى نفوس الشعب الماليزى وأن الشعب هناك يتطلع باهتمام لتلك الزيارة .

وقد شكر فضيلة الإمام الأكبر الضيف على زيارته للأزهر مؤكدا على أن الأزهر الشريف بكافة هيئاته ومؤسساته العلمية فى خدمة دولة ماليزيا الشقيقة ، وقد أهدى فضيلة الإمام الأكبر الضيف الكبير هدية عبارة عن كتب عن الأزهر الشريف .

حضر اللقاء فضيلة الشيخ فوزى الزفزاف وكيل الأزهر الشريف وفضيلة الشيخ فؤاد البرعى الأمين العام للمجلس الأعلى للأزهر وفضيلة الشيخ عمر البسطويسى المدير العام للعلاقات العامة والإعلام بالأزهر .

فضيلة الإمام الأكبر يستقبل سفير سويسرا بالقاهرة

استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر بمكتبه صباح يوم ٢ من المحرم ١٤١٩ هـ ٢٨/٤/١٩٩٨ م السيد السفير / بليزجودت سفير سويسرا فى القاهرة بمناسبة توليه لعمله كسفير جديد لبلاده بالقاهرة . حيث أعرب عن سعادته للقاء فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الذى رحب به وتمنى له التوفيق فى مهمته الجديدة التى كلف بها ، تناول اللقاء شرح بعض القضايا الإسلامية وعلاقات المسلمين والأزهر بمختلف الديانات الاخرى ، حيث أكد فضيلة الإمام الأكبر على سماحة الدين الإسلامى وحسن معاملته لمختلف الديانات الأخرى ، مشيرا إلى أن الإسلام دين السماحة والبعد عن التعصب والتطرف الأعمى .

حضر اللقاء فضيلة المدير العام للعلاقات العامة والإعلام .

فضيلة الإمام الأكبر يستقبل سفير دولة رومانيا بالقاهرة

استقبل فضيلة الإمام الأكبر السيد السفير دورى كوستا سفير دولة رومانيا بالقاهرة الذى هنأ فضيلة الإمام الأكبر بحلول العام الهجرى الجديد .

وقد سلم الضيف لفضيلة الإمام الأكبر رسالة خطية من فخامة الرئيس الرومانى تتعلق بدعوة فضيلة الإمام الأكبر لزيارة رومانيا لحضور المؤتمر العالمى لرجال الثقافة والسياسة وممثلى الأديان جميعها ، هو عبارة عن سلسلة من المؤتمرات تستضيفه دول مختلفة ، حيث ستتم إقامته فى بوخارست عاصمة رومانيا هذا العام . يبحث المؤتمر عن العلاقة بين الأديان وتوضيح مفاهيم الأديان وسماحتها وروحانيتها كى ينتشر السلام والحب بين بنى البشر .

وأضاف السيد السفير أن هذا المؤتمر يعد من المؤتمرات الهامة لخير بنى البشر خاصة فى الظروف التى يعيشها العالم الآن .

وقد وعد فضيلة الإمام الأكبر بدراسة الدعوة والرد عليها فى أقرب فرصة ، حضر اللقاء فضيلة المدير العام للعلاقات العامة والإعلام بالأزهر .

فضيلة الإمام الأكبر يرأس اجتماع المجلس الأعلى للآباء والمعلمين بالمعاهد الأزهرية

ترأس فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر صباح يوم ١٩/١٢/١٤١٨هـ ٢٦/٤/١٩٩٨م بقاعة الاجتماعات الكبرى بإدارة الأزهر الشريف « اجتماع المجلس الأعلى للآباء والمعلمين بالمعاهد الأزهرية على مستوى الجمهورية ، حيث تمت مناقشة الميزانية الخاصة بالمجلس للعام الدراسى ٩٨/١٩٩٩ ، وقرر المجلس زيادة المكافأة المالية لمسابقة حفظ القرآن الكريم ورفعها بنسبة ٣٠٪ زيادة عن المقرر فى العام الماضى ، كذا زيادة مكافأة حفظ القرآن للطلاب المتفوقين . كذلك وافق المجلس على تقرير اللجنة التى تم تشكيلها لمعاينة مبنى بيت الشباب بالعريش والنتائج التى توصلت إليها هذه اللجنة ومعاينتها على الطبيعة لهذا المشروع الضخم ، وسرعة اتخاذ اللازم لإنجاز هذا المشروع الكبير وزيادة الأنشطة التى يمارسها الطلاب والطالبات من حيث تنوعها .

وأكد فضيلة الإمام الأكبر أننا فى سبيل زيادة المخصصات التى تعود على الأنشطة بزيادة اعتماداتها المالية بما يعود على الطلاب بالفائدة المرجوة ؛ لرفع مستوى هذه المسابقات وإيجاد الحافز المثمر ، حتى يتم تكوين عناصر متميزة من الطلاب ، والحرص على تحسين مستوى مدرسى المعاهد الأزهرية باختيار أفضل العناصر منهم للتدريس حتى يتمكن الطالب الأزهرى من استيعاب دروسه ، وتكوين حصيلة علمية مثمرة ؛ لأننا نحرص على المظهر والمخبر اللائقين فيما يتعلق بالمعلم والطالب والمبنى والوسائل التعليمية والمنهج المناسب حفاظا على أن يستمر لخريجى الأزهر الشريف التفوق والتميز .

حضر اللقاء فضيلة الشيخ فوزى الزفزاف وكيل الأزهر ، وفضيلة الشيخ على فتح الله رئيس قطاع المعاهد الأزهرية ، وفضيلة الشيخ فؤاد البرعى الأمين العام للمجلس الأعلى للأزهر وفضيلة الشيخ عمر البسطويسى مدير عام الإعلام والعلاقات العامة بالأزهر .

فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر يرأس اجتماع المجلس الأعلى للأزهر

برئاسة فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر عقد المجلس الأعلى للأزهر جلسته الشهرية بعد ظهر يوم ٢٢ من ذى الحجة ١٤١٨ هـ الموافق ١٩ أبريل ١٩٩٨ م حيث تمت الموافقة على الآتى :

● منح معالى الدكتور محضير محمد رئيس وزراء ماليزيا درجة الدكتوراه الفخرية من جامعة الأزهر .

● الموافقة على الملتمس المقدم من بعض الطلاب الوافدين من جمهوريات الاتحاد السوفيتى السابق من الحاصلين على مؤهلات دراسية تعادل درجتى البكالوريوس والليسانس والتى تمنحها الجامعات المصرية للالتحاق بالفرقة الأولى بالكليات الدينية للعام الجامعى الحالى .

● الموافقة على إنشاء شعبة للصحافة والإعلام بكلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالقاهرة ويسرى عليها مايسرى على قسم الصحافة والإعلام بكلية اللغة العربية .

● الموافقة على إنشاء وحدة ذات طابع خاص باسم : « مركز الأبحاث وعلاج أمراض الدم والمناعة فى الأطفال مرحلة ما قبل الولادة » .

● الموافقة على إنشاء وحدة ذات طابع خاص باسم « وحدة خدمة المجتمع والتعليم بكلية اللغات والترجمة » .

● الموافقة على إضافة شرطين إلى شروط التعيين فى وظيفة مدرس مساعد بقسم التخدير بالعناية المركزة بكلية طب بنات جامعة الأزهر وهما : أن يكون قد أمضى فترة طبيب مقيم بمستشفى الزهراء الجامعى ، وأن يكون حاصلا على درجة الماجيستير فى التخدير بتقدير جيد جدا على الأقل .

حضر الجلسة فضيلة الدكتور محمود حمدى زقزوق وزير الأوقاف ، وفضيلة الشيخ فوزى الزفزاف وكيل الأزهر وفضيلة الدكتور أحمد عمر هاشم رئيس جامعة الأزهر ، وفضيلة الشيخ فؤاد البرعى الأمين العام للمجلس الأعلى للأزهر ، وفضيلة الشيخ عمر البسطويسى المدير العام للعلاقات العامة بالأزهر .

فضيلة الإمام الأكبر يستقبل وفد طلبة وطالبات جامعة «داغستان» قسم اللغة العربية

استقبل فضيلة الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر الشريف بمكتبه صباح يوم ١٧ من المحرم ١٤١٩ هـ الموافق ١٣ مايو ١٩٩٨ م وفد طلبة وطالبات جامعة داغستان قسم اللغة العربية والتاريخ والحضارة برياسة الدكتور كريم الله جاوجى فتش حيث أمضوا ثلاثة أشهر فى جامعة جنوب الوادى لدراسة اللغة العربية والتاريخ والحضارة الإسلامية بدعوة من جامعة جنوب الوادى وقد رافق الوفد الأستاذ الدكتور فتح الله الشيخ الأستاذ بجامعة جنوب الوادى بسوهاج والأستاذ الدكتور صلاح أبوالهوا من جامعة أسيوط والأستاذ الدكتور عبد الدايم محمد عبد الرحمن عميد كلية العلوم بجامعة الأزهر ، فى بداية اللقاء رحب فضيلة الإمام الأكبر بطلاب وطالبات داغستان فى الأزهر الشريف معربا عن روح المودة والإخاء التى تربط المسلمين جميعا فى مشارق الأرض ومغاربها وبخاصة الدول الإسلامية فى منطقة البلقان .

وقد وجه فضيلة الإمام الأكبر للوفد بعض النصائح والإرشادات حيث طالبهم بأن يتمسكوا بتعاليم الدين الإسلامى الحنيف ، وبحفظ القرآن الكريم ، وأعرب عن استعداد الأزهر الشريف لمساعدتهم وإمدادهم بالكتب الدينية والثقافية والمراجع العلمية ولتلقى طلباتهم الخاصة بالالتحاق به ، وقد أكد الطلبة أنهم متمسكون بدينهم الإسلامى الحنيف ، ويتطلعون إلى الأزهر الشريف منارة العلم فى العالم أجمع وفى نهاية اللقاء وجه رئيس الوفد الشكر لفضيلة الإمام الأكبر وللمسئولين عن التعليم بالأزهر الشريف ، تم اللقاء بحضور فضيلة الشيخ عمر البسطويسى المدير العام للعلاقات العامة والإعلام بالأزهر الشريف .

فضيلة الإمام الأكبر يستقبل سفير دولة قطر بالقاهرة

استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر فى يوم ١٧ من المحرم سنة ١٤١٩ السيد / مانع عبد الهادى الهاجرى سفير قطر بالقاهرة ، حيث قدم الضيف لفضيلته التهنئة بحلول العام الهجرى الجديد ، وسلم فضيلته رسالة خطية من معالى الشيخ أحمد عبد الله المرى وزير الأوقاف والشئون الإسلامية بدولة قطر تتعلق بالتعاون بين الأزهر الشريف ووزارة الشئون الإسلامية والأوقاف فى قطر .

فضيلة الإمام الأكبر يحضر حفل ختام الدورة الأربعين للسادة الأئمة والوعاظ الوافدين من العالم الإسلامى

شهد فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر يوم ٢ من المحرم ١٤١٩ هـ الموافق ١٩٩٨/٤/٢٨ م حفل ختام الدورة الأربعين للسادة الأئمة والوعاظ الوافدين من العالم الإسلامى وعددهم ٣٧ دارسا من الدول الإسلامية ، وقد مثلوا دول السنغال / أريتريا - بنجلاديش - بورما - غينيا كونكرى - غينيا بيساو - الهند - الصومال - تنزانيا - أفغانستان - سيراليون .

وقد ألقى فضيلته كلمة حث فيها الحضور من الدارسين على التمسك بأمور دينهم وأن يكونوا قدوة حسنة لغيرهم ، وأن يعلموا أبناء بلادهم ما تعلموه من الأزهر الشريف ، وأن تكون دعوتهم إلى الله بالحكمة و الموعظة الحسنة مصداقا لقول الحق تبارك وتعالى :

﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ﴾

(النحل ١٢٥)

وأن تكون دعوتهم إلى الله أمرا بالمعروف ونهيا عن المنكر مصداقا لقول الله تعالى :

﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ﴾

(آل عمران ١١٠)

وفى ختام الحفل قام فضيلته بتوزيع شهادات التقدير والجوائز وأهدى كل عالم مكتبة تضم عدداً من أمهات الكتب الإسلامية التى تعينهم على أداء رسالتهم والرد على فتاوى المسلمين واستفساراتهم فى بلادهم .

شهد الحفل لفيف من قيادات الأزهر وأساتذة جامعة الأزهر الذين يقومون بالتدريس لهم

وفضيلة مدير عام الإدارة العامة للإعلام والعلاقات العامة بالأزهر .

فضيلة الإمام الأكبر يستقبل السيد نائب رئيس جمهورية الهند

استقبل فضيلة الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر الشريف بمكتبه بعد ظهر يوم ١٧ من المحرم ١٤١٩هـ الموافق ١٣/٥/١٩٩٨م - السيد كارشان كانت نائب رئيس جمهورية الهند وقد تناول اللقاء العلاقات المتميزة بين دولتى الهند ومصر .

وقد أشاد الضيف بالجوانب الروحية . والأخلاقية التى يتولى الأزهر رعايتها بالتعليم من خلال معاهده وجامعته ، كما أوضح أن النهضة العلمية الحديثة التى وصل إليها الغرب ينقصها الجوانب الروحية والأخلاقية التى تتمتع بها شعوب الشرق ، وتمنى الضيف الكبير ازدهار العلاقات فى مختلف الجوانب بين مصر والهند ، كما كانت فى سابق عهدها ، وفى شتى المناحى العلمية والثقافية والتكنولوجية ، وأن تبرز إلى السطح مرة أخرى لأن حضارة القرن الحادى والعشرين فى أمس الحاجة إلى هذه الدوافع القوية ، الروحية والأخلاقية والتى لم تستطع أن تصنعها آليات التكنولوجيا .

هذا وقد أكد فضيلة الإمام الأكبر عمق أواصر الصلة والمودة والعلاقات المتميزة مع دولة الهند الشقيقة ، والتى تتمثل فى تبادل العلماء والزيارات العلمية وعقد الاتفاقيات الثقافية والتعليمية بين جامعة الأزهر الشريف ، والجامعات الهندية .

حضر اللقاء فضيلة وكيل الأزهر الشريف - وفضيلة رئيس جامعة الأزهر الشريف وفضيلة الأمين العام للمجلس الأعلى للأزهر وفضيلة مدير عام العلاقات العامة والإعلام بالأزهر .

فضيلة الإمام الأكبر يستقبل السيد ألبرت آل جور

نائب الرئيس الأمريكى

استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر بمكتبه مساء يوم ٧ من المحرم ١٤١٩ هـ الموافق ٣ مايو ١٩٩٨ م السيد ألبرت آل جور نائب الرئيس الأمريكى والوفد المرافق لسيادته وترافقه بعثة الشرف الرسمية برياسة السيد الوزير يوسف بطرس غالى وزير التعاون الدولى .

رحب شيخ الأزهر بضيف مصر ومرافقيه بالأزهر الشريف - وقد أوضح فضيلة الإمام الأكبر نظام الدراسة بالأزهر الشريف - مشيراً إلى أن المراحل التعليمية بالأزهر الشريف - والدراسة بها تمتاز بالاعتدال والوسطية والبعد عن التعصب الأعمى والعنصرية البغيضة ، وأن الدراسة بالأزهر تتناول العلوم الدينية إلى جانب العلوم الحديثة ، وأن جامعة الأزهر الشريف بها أكثر من سبعين كلية يدرس بها أكثر من ربع مليون طالب وطالبة بالكليات الدينية والعملية وأكثر من مليون وربع المليون طالب وطالبة بمرحلة ماقبل الجامعة .

كما أن الأزهر الشريف يستقبل أبناء المسلمين من قارة أفريقيا من ٥٦ دولة ومن آسيا ٢٣ دولة على منح دراسية يقدمها لهم ولعدد ثلاثة آلاف طالب ، كما أن بعض الطلاب من هذه الدول ليسوا على منح دراسية ويقوم الأزهر بمساعدتهم ماليا وعددهم ١٢ ألف طالب ، وأوضح فضيلة الإمام الأكبر للضيف أن الأزهر فى خدمة الدين والعلم وأن أبناءه ينتشرون فى العالم كله ينشرون العلم النافع بالحكمة والموعظة الحسنة ، وهم ضد الإرهاب والتطرف ومع الفكر المستنير ، وأن الأزهر يؤدى رسالته منذ أكثر من ألف عام شرحا وتوضيحا ونشرا لمفاهيم الإسلام الصحيحة وأكد فضيلته أن الأزهر الشريف والعرب جميعا يتطلعون إلى موقف أمريكى يؤيد الفلسطينيين ويرفع عنهم الضرر الذى لحق بوطنهم وأراضيهم ، وأننا ضد بناء المستوطنات على الأراضى المحتلة وضد طرد الفلسطينيين من أراضيهم ، وأن الأديان السماوية كلها ضد الظلم وتقف مع المظلوم حتى ينتصر وضد الظالم حتى يعود إلى رشده ، وأن الأزهر مع كل حوار بناء يؤدى إلى إحقاق الحق وإبطال الباطل والأزهر الشريف على استعداد للتعاون فيما يطلب منه وإن الأزهر مع كل حوار هادف بناء .

وقد شكر الضيف شيخ الأزهر على هذه المعلومات ويتطلع إلى أن يظل الأزهر منارا للعلم والدراسة المعتدلة ، وأضاف بأن الإسلام قد خدم البشرية بعلومه وثقافاته فى الفلك والطب والهندسة والفلسفة .

حضر اللقاء فضيلة الشيخ فوزى الزفزاف وكيل الأزهر والدكتور على السمان - والمدير العام للعلاقات العامة والإعلام بالأزهر .

وقد قدم الضيف لفضيلة الإمام الأكبر هدية عبارة عن كتاب : (الأرض فى الميزان) من تأليفه وقدم فضيلة شيخ الأزهر للضيف هدية مجموعة من الكتب عن (الأزهر فى عيده الألفى) .

أخبار العالم الإسلامي

يحررها الدكتور
حسن على محمد

من المحرر :

خمسون عامًا على النكبة

احتفل الصهاينة بمرور خمسين عاما على قيام دولة إسرائيل . . فى الأيام الماضية ، هذه السنوات الخمسون . . تذكرنا بأيام الله . . وقانون الله . . وسنن الله . . إن الله سبحانه وتعالى : قال . . ﴿ وقل اعملوا . . ﴾ (١٠٥ - التوبة) واكتفينا بالأناشيد والخطب النارية . . بينما اجتهد الصهاينة وعملوا وخططوا ونفذوا . . والله سبحانه وتعالى جعل ميراث الأرض لمن يصلح فيها . ونحن تقاعسنا عن تلبية نداء السماء بالمشاركة فى عمران الأرض واكتفينا باستهلاك ما تنتجه العقول غير الإسلامية . !!

• إن الخمسين عاما الماضية منذ قيام إسرائيل وحتى اليوم . . تذكرنا بأوجاع شعب وهزيمة أمة لم تأخذ بالأسباب . . ورضيت بالهوان . . وأعطت الدنية . . والآن . . نحن فى انتظار أن يتفضل (نتانياهو) بمنح الشعب الفلسطينى (١٣٪) أم (١١٪) أم (٩٪) ولا نملك سوى الشجب أو الاستنكار . . يا أمة الإسلام . . لم تقبلون الدنية ؟ وهل هانت القدس زهرة المدائن . . ؟ ومسرى النبى - ﷺ ! ياسادتى إن الحقوق تنتزع ولا تمنح . . وتؤخذ الدنيا غلابا وليست للغلابة !!

القاهرة :

قمة مجموعة الـ١٥ فى القاهرة لحل مشكلات الدول النامية

افتتح الرئيس محمد حسنى مبارك أعمال القمة الثامنة لمجموعة الدول الخمس عشرة النامية، حيث تم بحث سبل حل المشكلات المالية والاقتصادية التى تواجهها دول المجموعة، وكيف تتفادى الهزات المالية العالمية، والجدير بالذكرى أن هذه القمة تستضيفها القاهرة لأول مرة . وقد قام الرئيس مبارك بإلقاء كلمة الافتتاح، حيث استغرقت الجلسة الافتتاحية حوالى الساعة، وقد حدد الرئيس مبارك فى خطابه - بوصفه رئيس القمة الثامنة - أسس تحقيق التعاون بين دول المجموعة وبين بعضها ثم بين المجموعة وحوار الشمال والجنوب، وقال الرئيس مبارك : إن الأزمة الآسيوية ليست سوى مرحلة عابرة فى نمو اقتصاد الدول النامية، وأوضح أن الأزمة كشفت عن ضعف النظام العالمى وخطر التكلفة الاجتماعية التى قد ينطوى عليها الاندماج فى الاقتصاد العالمى .

وفى كلمته نيابة عن المجموعة الآسيوية تكلم الرئيس الأندونيسى محمد سوهارتو عن الظروف المصاحبة لعقد القمة بأنها تأتى فى ظل أوضاع قاسية تمر بها آسيا وتؤثر على التقدم فى المجال الاقتصادى، وأشار إلى أن الاقتصاد الأندونيسى كان قد وصل معدل نموه إلى ٧٪ فى العقدين الماضيين، وأنه من المتوقع أن يتراجع جداً خلال العام الحالى كما تحدث رئيس (بيرو) باسم دول أمريكا اللاتينية مؤكداً على التحديات التى تواجه الدول النامية داعيا إلى البحث عن حل عقلانى وعمل للتغلب على الصعوبات الاقتصادية .

وتحدث الرئيس الجزائرى (زروال) باسم الدول الأفريقية وأكد على أهمية الدروس المستفادة من الأزمة الآسيوية الأخيرة وعلى التعامل بحذر مع المشكلات الاقتصادية، وفى نهاية المؤتمر تم طرح (جامايكا) كمكان لعقد القمة التاسعة لدول المجموعة عام ٢٠٠٠ .

قمم مجموعة الـ ١٥

١ - القمة الأولى فى كوالالمبور فى يونيو ١٩٩٠
٢ - القمة الثانية فى كاركاس نوفمبر ١٩٩١
٣ - القمة الثالثة فى داكار نوفمبر ١٩٩٢
٤ - القمة الرابعة فى نيودلهى مارس ١٩٩٤
٥ - القمة الخامسة فى بيونس إيريس نوفمبر سنة ١٩٩٥
٦ - القمة السادسة فى هرارى - نوفمبر سنة ١٩٩٦
٧ - القمة السابعة فى كوالالمبور - نوفمبر سنة ١٩٩٧
٨ - القمة الثامنة فى القاهرة مايو سنة ١٩٩٨

ومن المنتظر أن تكون التاسعة فى جامايكا عام ٢٠٠٠، وكينيا انضمت فى القاهرة إلى دول المجموعة .

القاهرة : شيخ الأزهر :

التعاون سبيل المسلمين الوحيد ليتجاوزوا المحن .

دعا فضيلة الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوى المسلمين إلى التعاون والتكافل والتراحم ونبذ الشقاق والاختلاف، وقال : إن ذلك هو السبيل الوحيد أمام الأمة الإسلامية والعربية لكى تنهض وتستعيد مكانتها .

جاء ذلك أثناء زيارة الإمام الأكبر لدولة البحرين ، وقد وصف الإمام الأكبر زيارته للبحرين بأنها نموذج للتعاون الصادق بين البلدين لصالح الإسلام والمسلمين .

... ويستنكر العدوان الصربى على كوسوفو

استنكر الإمام الأكبر العدوان الصربى على إقليم كوسوفو ، ودعا المجتمع الدولى إلى مساندة مسلمى كوسوفو ضد العدوان الصربى ، وأن الأزهر الشريف يقدم العون والمساندة لهؤلاء المسلمين .

وقال الإمام الأكبر : إن الأزهر أصدر بيانا استنكر فيه ما يحدث فى كوسوفو ووصف مايحدث من الصرب بأنه جريمة بشعة فى حق الإنسانية . جاء ذلك فى المؤتمر الذى عقدته كلية الشريعة والقانون بدمنهور .

قبول استقالة النائب العام الفلسطينى

غزة أ . ش . أ

قبل ياسر عرفات استقالة فايز أبورحمة النائب العام فى السلطة الوطنية الفلسطينية من منصبه .

ونفى مصدر رسمى فى السلطة الفلسطينية أن تكون استقالة أبورحمة بسبب خلافات مع الأجهزة الأمنية .

إعلان دولة فلسطين العام القادم

أكد الرئيس الفلسطينى ياسر عرفات أنه سوف يعلن قيام دولة فلسطين المستقلة فى قطاع غزة والضفة الغربية المحتلة العام القادم طبقا لاتفاقية السلام الموقعة مع إسرائيل قبل أربعة أعوام مضت .

الشيخ ياسين يدعو إلى الكفاح المسلح

الكويت : وكالات الأنباء

دعا الشيخ أحمد ياسين زعيم حماس إلى الكفاح المسلح وقال : إنه لم يعد أمام الفلسطينيين سوى العودة إلى حمل السلاح بعد أن اتضحت نوايا إسرائيل التى ترفض الانسحاب وترفض قيام دولة فلسطينية وتعرقل عمليات السلام .

بعد تمديد العقوبات على العراق

الصحف العراقية : صبرنا قد نفد

بغداد ـ أ . ش . أ

انتقدت الصحف العراقية استمرار العقوبات الدولية ضد العراق واعتبرت صحيفة الثورة أن مجلس الأمن الدولى مازال بعيداً عن المواقف العادلة قانونا وأخلاقا .

وأشارت الصحف إلى حالة التذمر ونفاد صبر العراقيين من العقوبات وطالبت بإقصاء بتلر المكلف بنزع أسلحة العراق المسماة بأسلحة الدمار الشامل .

العراق يتبادل الأسرى مع إيران

بغداد أ . ف . ب

ذكرت صحيفة المصور العربى العراقية أن العراق وإيران اتفقا على البدء فى عملية جديدة لتبادل الأسرى بهدف إغلاق هذا الملف .

القوات الإسرائيلية تشن حملة اعتقالات واسعة فى الخليل

غزة . أ . ش . أ

ذكرت مصادر فلسطينية أن قوة من الجيش الإسرائيلى قامت بحملة اعتقالات فى بلدة ياطا بالخليل بالضفة الغربية .

وذكر راديو إسرائيل أن هذه الاعتقالات جرت بعد مقتل إسرائيلى من مستوطنة ماعون .

وقد تم اعتقال ٣٨ شخصا على ذمة التحقيق ، وبعد فترة تم الإفراج عن ٢٨ شخصا وبقى رهن التحقيق عشرة أشخاص .

اليمن ينفى ارتباط مشكلة تسوية الحدود مع السعودية بعودة العمالة

الرياض . أ . ش . أ

أكد العقيد حسين عرب وزير الداخلية اليمنى أن السعودية واليمن قطعتا شوطاً كبيراً فى مفاوضات ما تبقى من موضوع الحدود وهناك بعض النقاط لازالت محل البحث .

وأكد الوزير اليمنى أن النوايا الصادقة من الطرفين سوف تعمل على إنهاء هذا الموضوع فى أقرب وقت ، وقال إننا مقتنعون بأن إنهاء موضوع الحدود سيعمل على حل بقية المشكلات بين البلدين .

وزير الداخلية السعودى يطلب من العالم الابتعاد عن وصف المسلمين بالإرهاب

أكد الأمير نايف بن عبد العزيز وزير الداخلية السعودى أهمية التوقيع على الاتفاقية العربية لمكافحة الإرهاب ، وقال إن قضية الإرهاب ليست قضية حكام وحكومات ، ولكنها قضية أمة وشعب وعقيدة ، وأضاف بأننا نرفض أن يلصق بنا كمسلمين الإرهاب ونحن براء منه .

جاء ذلك بعد توقيع الاتفاقية العربية لمكافحة الإرهاب .

ليبيا توافق على محاكمة المتهمين فى لوكيربى بهولندا :

أعلن ممثل عائلات الضحايا فى تفجير الطائرة الأمريكية أن ليبيا وافقت على السماح بمحاكمة المتهمين فى هولندا طبقا لقانون اسكتلندا.

الصراع العربى الإسرائيلى .. خمسون عاما من الدماء

القدس - ر : تحتفل إسرائيل يوم الخميس المقبل بالذكرى الخمسين لقيامها وفقا للتقويم اليهودى ، وقد شهد الصراع العربى الإسرائيلى خلال الخمسين عاما الأخيرة منذ نكبة فلسطين عديدا من الأحداث المخضبة بالدماء فيما يلى أهمها :

■ أبريل عام ١٩٤٨ مقتل عشرات من الرجال والنساء والأطفال الفلسطينيين خلال هجوم شنته حركتا « أرجون ولحى » اليهوديتان السريتان على قرية دير ياسين الفلسطينية الواقعة عند المشارف الغربية للقدس .

■ مايو عام ١٩٤٨ نزوح عشرات الألاف من الفلسطينيين طردتهم الجماعات اليهودية من ديارهم فى فلسطين الخاضعة للانتداب البريطانى أو شجعهم عرب على النزوح وأقيمت دولة إسرائيل على أجزاء من فلسطين .

■ عام ١٩٤٩ أنشئت وكالة الأمم المتحدة لإغاثة وتشغيل اللاجئين « أنروا » لتقديم العون للاجئين الفلسطينيين .

■ عام ١٩٥١ اغتيال الملك عبد الله جد الملك حسين عاهل الأردن بيدى فلسطينى أمام المسجد الأقصى فى القدس .

■ ١٩٥٦ إسرائيل تحتل قطاع غزة خلال حرب السويس التى شنتها مع بريطانيا وفرنسا على مصر ، وتنسحب فى مارس عام ٥٧ .

■ عام ١٩٥٨ ياسر عرفات وتسعة زعماء آخرين يؤسسون فى الكويت حركة فتح كبرى حركات المقاومة الفلسطينية ويعلنون الكفاح المسلح لتحرير الأراضى الفلسطينية .

■ عام ١٩٦٤ إنشاء منظمة التحرير الفلسطينية .

■ عام ١٩٦٥ تنفذ حركة فتح أولى عملياتها المسلحة .

■ يونيو عام ١٩٦٧ إسرائيل تحتل الضفة الغربية بما فى ذلك القدس الشرقية العربية إلى جانب قطاع غزة وسيناء وهضبة الجولان .

■ عام ١٩٦٨ القوات الفلسطينية تخوض أول معركة كبيرة لها ضد القوات الإسرائيلية فى الكرامة وهى قاعدة متقدمة لمنظمة التحرير الفلسطينية فى الأردن ، وتتمكن المقاومة الفلسطينية والقوات الأردنية من صد الهجوم الإسرائيلى .

■ عام ١٩٦٩ انتخاب عرفات رئيسا لمنظمة التحرير الفلسطينية .

■ عام ١٩٧٠ « أيلول الأسود » الجيش الأردنى يهاجم المقاومة الفلسطينية فى الأردن بعد أن خطفت قوات المقاومة أربع طائرات ركاب وأجبرتها على الهبوط فى صحراء المملكة ، القتال يستمر عشرة أيام ويسقط خلاله نحو ألفى شخص معظمهم من الفلسطينيين طرد قوات ومسئولى منظمة التحرير الفلسطينية من الأردن وإقامة مقر قيادة جديد فى لبنان .

■ عام ١٩٧٤ منظمة التحرير الفلسطينية تفوز باعتراف الدول العربية بوصفها الممثل الشرعى الوحيد للشعب الفلسطينى .

■ فى مارس ١٩٧٨ غزت القوات الإسرائيلية جنوب لبنان لمطاردة قوات المقاومة الفلسطينية ، وتنسحب إسرائيل بعد صدور القرار ٤٢٥ من مجلس الأمن الداعى لانسحاب إسرائيل وتشكيل قوة حفظ سلام مؤقتة تابعة للأمم المتحدة .

■ فى سبتمبر ١٩٧٨ وقع السادات وبيجين اتفاقات كامب ديفيد بوساطة جيمى كارتر الرئيس الأمريكى الأسبق .

■ فى ٢٦ مارس ١٩٧٩ وقع السادات وبيجين فى

البيت الأبيض أول معاهدة للسلام بين دوله عربية وإسرائيل .

■ فى ٧ يونيو ١٩٨١ دمر السلاح الجوى الإسرائيلى مفاعلا نوويا عراقيا .

■ فى ٢٥ أبريل ١٩٨٢ أكملت إسرائيل انسحابها من سيناء .

■ فى يونيو ١٩٨٢ غزت إسرائيل لبنان بهدف معلن هو إبعاد المقاومة الفلسطينية عن حدودها . وسحبت منظمة التحرير الفلسطينية قواتها من لبنان فى أغسطس عام ١٩٨٢ ، وسحبت إسرائيل معظم قواتها فى يونيو ١٩٨٥ ، لكنها أبقت شريطا حدوديا فى جنوب لبنان تحت الاحتلال مطلقة عليه « المنطقة الأمنية » .

■ فى ديسمبر ١٩٨٧ اندلعت الانتفاضة الفلسطينية فى الضفة الغربية وغزة ، وتقول جماعات لحقوق الإنسان أن إسرائيل قتلت على مدى ستة أعوام من الانتفاضة نحو ١٥٠٠ فلسطينى ، وأن الفلسطينيين قتلوا نحو ٤٠٠ إسرائيلى .

■ فى يناير ١٩٩١ أطلق العراق ٣٩ صاروخ سكود على إسرائيل خلال حرب الخليج .

■ فى عام ١٩٩١ بدأت موجة هجرة جماعية ليهود الاتحاد السوفيتى . ووصل إسرائيل نحو ٧٠٠ ألف يهودى مع انهيار الاتحاد السوفيتى عام ١٩٩٢ .

■ فى أكتوبر ١٩٩١ انعقد فى مدريد مؤتمر سلام الشرق الأوسط تحت رعاية مشتركة للولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى .

■ فى ١٣ سبتمبر ١٩٩٣ جرت فى حديقة البيت الأبيض الأمريكى مصافحة تاريخية بين الرئيس الفلسطينى ياسر عرفات وإسحق رابين رئيس وزراء إسرائيل الراحل ووقع إعلان مبادىء لقيام حكم ذاتى فلسطينى محدود فى الضفة وغزة .

■ فى ٢٦ اكتوبر ١٩٩٤ وقع الأردن معاهدة سلام مع إسرائيل .

■ فى ٢٨ سبتمبر ١٩٩٥ وقع رابين وعرفات فى واشنطن اتفاقا فلسطينيا إسرائيليا مؤقتا يمهد الطريق لانتخاب المجلس التشريعى الفلسطينى وانسحاب إسرائيل من مراكز التجمعات السكانية الرئيسية .

■ فى ٤ نوفمبر ١٩٩٥ اغتيل رابين بيدى ييجال عامير المتطرف .

■ فى ٢٩ مايو ١٩٩٦ هزم بنيامين نتانياهو زعيم حزب ليكود اليمينى بيريز فى الانتخابات العامة .

■ فى يناير ١٩٩٧ وقعت حكومة نتانياهو اتفاقا مع منظمة التحرير الفلسطينية تتعهد فيه إسرائيل بالانسحاب من معظم مدينة الخليل فى الضفة وتنفيذ إعادة انتشار للقوات الإسرائيلية بمقتضى اتفاقات السلام الموقعة السابقة وحتى الآن لم تنفذ الحكومة الإسرائيلية المرحلتين الثانية والثالثة من إعادة الانتشار . الأهرام : فى ١٩٩٨/٤/٢٧

La sincérité est une preuve de l'affranchissement du serviteur de toute autre servitude, exceptée celle qui est due à Allah. En effet, le mensonge dans les propos n'a autre motif que la peur; il peut être dicté par la crainte d'une personne, ou par la convoitise de ce que possède cette personne. Or, le vrai serviteur est celui qui ne craint que Son Seigneur et ne convoite que Ses grâces.

La sincérité est une preuve de la foi parfaite. Celui qui reconnaît Son Seigneur est sincère dans sa croyance, dans son intention, dans ses propos et ses actes.Il ne craint qu'Allah, et n'a d'espoir qu'en Lui; il se désintéresse de ceux qui lui sont hostiles, car la satisfaction de Son Seigneur est son but, et l'amour d'Allah est son objectif et il n'a pour tout espoir que la joie de regarder Sa Face Sublime.

Voici un autre exemple de sincérité:

L'Imam Al-Bokhary-A.s.l.-partit en voyage pour recueillir un hadith de la bouche d'un homme. Or, une jument appartenant à cet homme s'était échappée; pour la ramener, l'homme lui montra un sac afin de lui faire croire qu'il contenait de l'orge. La bête revint et l'homme s'en saisit.

- Y avait-il de l'orge dans le sac? lui demanda l'Imam.

- Mais non, répondit l'homme, c'était une simple feinte!.

L'Imam Al-Bokhary se leva et dit à l'homme:" Je ne peux pas me fier au hadith de quelqu'un qui ment aux bêtes", et il partit. Ce fut là, un exemple des plus probants pour montrer la valeur de la sincérité.

parmi les croyants des hommes qui ont été sincères au pacte qu'ils avaient conclu avec Allah; certains d'entre eux ont atteint le terme de leur vie, tandis que les autres attendent, mais leur attitude n'a pas changé.]

Surate 33 "Al-Ahzab"(Les Coalisés) V.23.

En revanche, le Coran nous décrit celui qui n'a pas été sincère dans son acte, Il a dit:**[Certains d'entre eux ont fait un pacte avec Allah: "S'il nous accorde une faveur, nous ferons sûrement l'aumône et nous serons au nombre des justes."Mais lorsqu'Allah leur accorde une faveur, ils en deviennent avares et tournent le dos, indifférents. Allah a donc suscité l'hypocrisie, dans leurs coeurs, jusqu'au Jour où ils Le rencontreront, parce qu'ils n'ont pas accompli ce qu'ils avaient promis à Allah et parce qu'ils mentaient.]**

Surate 9 "Al-Tawbah" (L'immunité)V.75, 76 et77.

Voici un exemple probant de sincérité dans l'acte en accord avec l'intention .

Le Prophète-b.s- envoya "Assem Ibn Thabet"-A.s.l.- à la tête d'un escadron composé de neuf personnes. L'escadron tomba dans un piège tendu par des mécréants; ces derniers les enserrèrent, leur ordonnèrent de rendre les armes et leur promirent la sécurité. Quelques-uns se rendirent, mais "Assem"-A.s.l- refusa de se placer sous la protection d'un incroyant. IL a dit à ses amis:"Lorsque je me suis converti à l'Islam, j'ai conclu un pacte avec Allah, de ne jamais toucher un polythéiste ni qu'un polythéiste me touche." Il insista sur sa position et combattit jusqu'à sa mort.

Puis, lorsque les incroyants voulurent porter son cadavre jusqu'à la Mecque[4], un groupe de guêpes ombragea le cadavre, de sorte qu'ils ne purent l'approcher, ils partirent et décidèrent de retourner le lendemain. Lorsqu'ils retournèrent, ils furent surpris de ne pas le trouver: un déluge survint la veille dans la vallée, et emporta au loin le cadavre si bien qu'on ne le retrouva pas. Les ulémas ont dit à son sujet:"Il a été sincère au pacte qu'il a conclu avec Allah et qui Le lui rendit: il ne fut touché par aucun polythéiste ni durant sa vie, ni après sa mort."

Allah -Gloire à Lui- a recommandé à ses serviteurs la sincérité. Il a dit:**[Ô vous qui croyez! Craignez Allah et soyez parmi ceux qui sont sincères.]**

Surate 9 "Al-Tawbah" (L'immunité) V.119.

Allah -Gloire à Lui- fait ainsi l'éloge des Prophètes et des saints qui sont sincères: **[Mentionne Ismaël dans le Livre; il était sincère en sa promesse; ce fut un Messager et un Prophète.]** **Surate 19 "Maryam" V.54.**

Il a dit également:**[Celui qui est venu avec le message sincère et ceux qui y ont cru, ceux-là en vérité, sont les pieux par excellence!. Ils obtiendront auprès de leur Seigneur, tout ce qu'ils voudront: telle est la récompense de ceux qui font le bien. Allah efface ce qu'ils oeuvraient de pire et Il leur paie leur salaire de ce qu'ils oeuvraient de plus beau.]**

Surate 39 "Az-Zomar" (Les Groupes)V.33, 34 et 35.

jalousie et tyrannie; A ce propos, Allah-Gloire à Lui- a dit: **[Ce n'est pas toi qu'ils accusent de mensonge, mais, ce sont les mécréants qui nient les Signes d'Allah.]** **Surate 6 "Al-An'am" (Les Bestiaux)V.33.**

On raconte que, lorsque Hercule s'enquérant au sujet du Prophète-b.s-, demanda à Abu-Sufyan: "L'avez-vous connu comme étant menteur avant cela?". "Non", répondit Abu-Sufyan. "Alors, répondit Hercule, il n'aurait pas évité le mensonge au sujet des hommes et aurait osé mentir sur Allah."

Il est étonnant d'apprendre qu'Ibrahim -paix sur lui- s'interdira d'intercèder en faveur des gens le Jour du Jugement Dernier, en disant:"J'ai menti en trois occasions". Gloire à Toi Ô Allah! seulement trois mensonges, tout au long de sa vie?. C'étaient pourtant des paroles équivoques et c'était dans un but noble et sublime: celui de convaincre son peuple que leurs croyances étaient vaines.

A l'époque ou vécut Ibrahim -paix sur lui- les gens célébraient solennellement -hors de leur ville- une certaine fête. Il était de coutume, que tous les habitants de la ville assistent à cette fête. Ils sortirent donc et invitèrent Ibrahim -paix sur lui- à les accompagner. Lui, ayant décidé de briser leurs idoles, leur dit, comme nous l'apprend le Coran:**[Je suis malade.]**

Surate 37 "As-Safat" (Ceux qui sont placés en rang).V.89.

Ce fut là son premier mensonge. Le deuxième, lorsqu'il brisa toutes les idoles et épargna la plus grande pour réfuter leurs arguments. On lui demanda si c'était lui qui avait brisé les idoles, il leur répondit : **[Non! C'est le plus grand d'entre eux, interrogez-les donc s'ils peuvent parler.]**

Surate 21 "Al-Anbiya" (Les Prophètes) V.63.

Le troisième, lorsqu'il émigra avec sa femme en Egypte. A cette époque, l'Egypte était gouverné par un roi tyrannique et ravisseur de femmes, dont il disposait à sa guise, après avoir tué le mari. Sur ce fait, Ibrahim -paix sur lui- dit à sa femme:"Si on te questionne sur l'identité de ma personne, tu diras que je suis ton frère. En effet, il n'y a pas d'autres croyants sur cette terre que nous deux".(faisant ainsi allusion aux frères de la foi.)

Lorsque le Prophète-b.s-fut questionné sur la sincérité du croyant il dit:***"Le croyant ne ment jamais".*** ***Hadith rapporté par Abu-Al-Dardà.***

Puis il cita ces mots du Coran:**[Ceux qui ne croient pas aux Signes d'Allah sont les seuls à inventer le mensonge.]** **Surate 16 "Al-Nahl" (Les Abeilles) V.105.**

4-La sincérité dans l'acte:

Les actes sont sincères lorsque leurs apparences sont conformes à leurs intentions, de sorte que le fidèle fasse publiquement ce qu'il veut en son for intérieur. Allah-Gloire à Lui-couvre d'éloges ceux qui sont ainsi. Il a dit:**[Il y a,**

[4]"Assem"-A.s.l.-lors de l'éxpédition de "Badr"avait tué 2 fils d'une riche femme incroyante. Cette dernière, jura de boire le vin dans le crâne de "Assem"pour venger ses fils. C'est pour cette raison, que les incroyants voulaient transporter le cadavre à la Mecque pour le vendre à cette femme.

La Sincérité

Traduction de :
Hoda Hussein Chaâraoui.[1]

3. La sincérité dans la parole:

Le musulman ne dit que là vérité aussi bien dans les nouvelles qu'il rapporte que dans le contenu de ces nouvelles. Il dit ce qui est effectivement réel, soit du passé ou du futur et il ne manque jamais à ses promesses. Celui qui préserve sa langue du mensonge est qualifié de sincère. Le Prophète-b.s-a recommandé la sincérité en ces termes: "***Soyez sincères! La sincérité guide vers la bienfaisance qui à son tour mène au Paradis. L'homme qui est toujours sincère finit par être inscrit chez Allah au nombre des véridiques.***

Méfiez-vous du mensonge ! Le mensonge mène à la débauche et la débauche mène au feu. L'homme qui ne cesse de mentir, sera inscrit chez Allah au nombre des menteurs!". **Hadith rapporté par Al-Bokhary.**

La sincérité est une des nobles qualités des croyants, et c'est aussi l'un des attributs d'Allah -Gloire à Lui-, Il a dit:[**Et qui est plus véridique qu'Allah en propos.]** **Surate 4"Al-Nissa" (LesFemmes) V.122.**

Il a dit également:**[Et qui serait plus véridique qu'Allah quand Il parle.]** **Surate " Al-Nissa"(Les Femmes)V.87.**

La sincérité est une des qualités des Prophètes et des Messagers, Il n'y a aucun prophète envoyé par Allah qui n'ait été réputé pour sa sincérité parmi son peuple.

Les prophètes ne furent jamais démenti par ce qu'on doutait de leur conduite ou que leurs paroles renfermaient une incertitude, mais ils furent démentis par

---

[2]Donc, la seule mauvaise intention a rendu égaux l'assassin qui a mérité l'Enfer par son acte et l'assassiné qui aurait pu être au Paradis, s'il n'avait pas eu la mauvaise intention de tuer son frère.
[3]L'ostentation est le désir de faire voir aux gens l'adoration qu'on destine à Allah, pour acquérir leur faveur.

Il existe un Hadith célèbre où Abiy répondit à 'Omar - qu'Allah soit satisfait de lui - qui s'informait au sujet de la piété, par cette question:

"As-tu marché dans un sentier épineux?

- Oui, répondit 'Omar.

- Et qu'as-tu fait alors?

- J'ai retroussé mes vêtements et j'ai pris garde.

- Eh bien! C'est cela la piété", expliqua Abiy.

C'est le fait de prendre ses précautions de crainte que quelque péché ne s'attache à nos actions et ne nous cause du tort vis-à-vis d'Allah.

Que la piété et la crainte révérentielle d'Allah soient donc le sujet de conversation des pélerins avec leurs visiteurs.

Le Pélerinage, dans tous ses rites, exige une soumission absolue à Allah; nous y apprenons qu'en ce qui concerne les ordres et les prescriptions d'Allah, nous ne devons ni discuter ni essayer d'en comprendre les raisons mais les exécuter uniquement, parce qu'ils viennent d'Allah.

L'accomplissement des rites est une soumission aux ordres d'Allah en suivant l'exemple de notre Prophète - à lui bénédiction et salut-. Telle a été également l'attituae du Prophète Ibrahim - qu'Allah le bénisse et le salue - lorsqu'il reçut l'ordre d'abandonner son épouse Hadjir et son fils Ismaïl (encore nourrisson) dans une vallée aride et déserte et qu'il exécuta cet ordre sans hésiter. C'est alors qu'Allah y fit surgir une source (Zam-Zam) autour de laquelle vinrent camper des bédouins et qui est devenue par la suite l'emplacement de l'enceinte sacrée de la Ka'ba à le Mecque vers laquelle se dirigent des milliers de musulmans, non seulement pendant le pélerinage, mais tout au long de l'année, pour accomplir la visite pieuse ou Omra.

Le retour des pélerins et la vraie piété

par Dr. Rokeya Gabr

Ceux qui viennent d'accomplir la Pélerinage à la Mecque et qui sont rentrés dans leur pays ne devraient pas s'imaginer que ceci est la fin de leurs responsabilités en ce qui concerne ce culte sacré prescrit par l'Islam..

Ce culte, tout comme il exige de la part du pélerin des peines, des fatigues et des sacrifies, implique également des responsabilités. Que ces pélerins ne pensent surtout pas qu'ils sont rentrés du Pélerinage lavés de tout péché, comme au jour de leur naissance, pour commettre de nouveaux péchés; car s'ils font cela, ils ont perdu tout le bien visé par ce culte. En effet, les croyants se purifient pour affermir leur foi en étant encore plus pieux et non pour retomber dans les pééchés.

Parmi les responsabilités qu'implique le Pélerinage, il y a le fait de s;en tenir à la piété, car Allah-qu'Il soit glorifié - a demandé aux gens de s'approvisionner pour ce voyage afin de n'avoir pas besoin de demander à autrui et pour qu'ils n'aient d'autre souci que la soumission aux ordres de leur Seigneur. Mais Allah - le Très-Haut- a mentionné que la meilleure des provisions pour le pélerin c'est la piété et la crainte révérentielle d'Allah - aussi bien durant le Hadj qu'à tout autre moment de sa vie - comme le dit la Parole divine dans la Sourate "Al A'raf" (v 26):

[***Approvisionnez - vous, car la meilleure des provisions c'est la piété; et craignez-Moi, Ô vous qui êtes doués de raison***].

Cette piété ou cette crainte révérentielle d'Allah a été mentionnée à maintes reprises dans les Hadiths: on y trouve un portrait de l'homme pieux, une recommandation aux musulmans d'être pieux, ainsi que la promesse d'une merveilleuse rétribution pour ceux qui sont pieux.

En quoi consiste cette piété (Al Taqwa)? Elle consiste à éviter de commettre les péchés et, par là même, à se préserver du châtiment d'Allah en Lui obéissant; de plus, la soumission à Allah exige qu'on prenne garde à ne point faire le mal.

REVUE
AL AZHAR

SAFFAR 1419 H. JUNE 1998 Vol. 71 Part II

Section Francaise

Comité de Rédaction :

Dr. Rokaya GABR, Professeur au Départe ment de Langye Francaise et de Traduction
M.Mohammad OMAR Traducteur en chef au Centre de Recherches Islamiques

It is not permissbie for her to marry another man except after the idda, that is after three monthly (menstrual) periods, or after childbirth; or after three months in the case of those who do not menstruate.

6 - Children who have not reached the age of majority; and, likewise the child in its mothers' womb, follow the religion of other parent, who has entered Islam there is no inheritonce between Muslim and non-Muslim.

7 - He who enters Islam voluntarily, is forbidden to denounce it. If he denounces Islam, it is demanded of him to repent and return to Islam, and if he resists he is to be killed.

8 - Finally, the best way to increase your knowledge of Islam is to read widely and deeply in the various sources of Islamic readings.

«Allah be praised»

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾

«O you who believe with hearts impressed with religions and spiritual virtues: if you intend to direct your minds and thoughts to striving in the cause of God and to make His purpose the heart of your purpose; he will help you defend your final cause and help you take a ftrm position and set your feet firm.» (sura 47:7)

Proceduers of Embracing Islam

1 - It is sufficient for a person to be considered a believer in the sight of Allah so as not to abide in hell fire for ever, to believe in Allah's Oneness and in all the other messages of faith mentioned in the earlier parts of these orticles. Then, after his belief he can practice all the rites.

2 - For him to be treated, in this world, as a Muslim in regard to marriage, inheritance, burial rites and so. on. he must declare his faith by pronouncing out loud the dual testimony, before people, so that they treat him as a Muslim.

3 - It is for him, in order to preserve his rights and the righto of his family, to register this testimony before responsible authority.

4 - If the male convert to Islam is married to either a jew or female christian, his wife remains in wedlock. Islam should not be forced upon her, because Islam makes it lawful for a male Muslim to marry one of the people of the Book.

But if his wife is not one of the people of the book, then Islam should be introduced to her, without compulsion on her. If she becomes a Muslim, she remains in the wedlock with her husband, if however, she refuses Islam, the marriage bonds are declared null and void.

5 - If a woman enters Islam, and she is married to a non Muslim, Islam stipulates that they must separate. Islam is then introduced to the husband, and if the accepts Islam, within the monthly menstruaion period fo the wife, he returns into wedlock. If he refuses Islam, the marriage bonds be come null and void.

﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟
ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ
وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ
خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ﴾

«God has promised those who have conformed to His system of faith and worship and imprinted their deeds with wisdom and piety araward. I shall depute them on earth, and delegate them to keep the scale and commission them with power to maintain the right, and I shall set them in the appropriate social scale just as I deputed those before them in whose hearts reigned piety. And I will confirm for them their religion which I have chosen for them as the appropr?ate system of faith and worship. I will also exchange the fear and the dread which fell upon them for peace of mind and soul provided that they adore Me with appropriate acts and rites and do not incorporate with me other deities.» (sura 24:55)

And by so doing, they are on the side of Truth, as Allah Sanctified has said:

﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ﴾

«You Muslims have been the best people that evolved from mankind for mankind: you enjoin equity and you recourse to general principles of justice, and you forbid all that is wrongful and obscene and you conform your will to God's blessed will.» (sura 3:110).

Muslims today, are in dire need of tightening their bond with Islam, by a basic understanding of its basic principles, and fully applying them. For their guidance. Indeed Islam must not be judged by the condition of the muslims today, for the fault is not with the principles but, rather, in misconceptions and misapplications.

Allah Almighty said:

The prophet (PBUH) lived with all of his wives to the noblest example of honorable life, and they attained from him the most refined married life. Allah graced them, and made them Mothers of the Believers, forbidding their marriage after the prophet, (on whom be peace and blessing of Allah).

Allah Almighty said:

«The prophet is more closely attached to those who conformed to Islam than they are to themselves and his wives are their god-mothers». (sura 33:6)

Allah Almighty also said:

﴿ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَن تَنكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِن بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمًا ﴾

«Nor is it proper to cause annoyance of inconvenience to the Apostle of God nor is it appropriate ever to marry his widows following his death. this is an enormity in the sight of God and a deviation from moral rectitude.» (sura 33:53).

HIS CHILDREN

The prophet (PBUH) did not have children from any of his wives, except khadijah, who bore him two sons, Al-Qasim, and Abdullah who was named «The Good, the pure». She also bore him four daughters, Zainab, Ruqayyah, Ummukulthum and Fâtimah.» Allah also blessed him with Abraham: born to him by Mariah the Coptic. All of these children died during his life-time, except for Fatimah, who died six months after his death.

THE CONCLUSION

This is a short account of Islam, in terms of its faith and laws. The details are to be found in the Qur'an, and sunnah, and in what has been based on them through various kinds of studies in line with that our predecessors carried on in full and with sincerity, based on deep insight, there by fulfilling Allah's promise which saye:

Understanding Islam

Part X

By Dr. Attiyah saqr

The Wives Of The Prophet

The peophet (PBUH) married, after the death of Khadijah, several wives, only one of whom died during his life time. She was Zaynab, daughter of Khozimah. He was survived by nine wives : Sawdah, daughter of Zam'ah, Aishah, daughter of Abu Bakr Al-Siddiq, Hafsah, daughter of Umar Ibnul Khathab, Ommuhabibah, daughter of Abi Suffian, Ommu Salamah, daughter of Abi umayyah, zainab, daughter of jahshi, Maymounah, daughter of Al-Harith Al-Hilaliyah, Jowyriyah, daughter of Al-Harith Al-Mustalqiyah, and safiyah, daughter of Hoyy Bin Ahkhtab.

The prophet's marriages were never because of passion overpowering Him. Had it been so, ho would have married the virgins, and he would not have refused those who offered themselves to Him (in marriage).

Indeed, the marriage had noble humaritarian values or meaning, for by this he honored or graced faithful female believers in the holy struggle, whose familiy supporter either died or separated from them. He sometimes contracted such marriages as a link with his dearest friends, or compromised with it the hearts of his enemies, or nullifed with it the pre-Islamic (ignorant) custom of adoption of children, as well as many other aspects of sublime values.

﴿ النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ ﴾

concluding from the Oneness of harmony that it is one God. A virgin whose son ruled for A long time was documented in their history. then the tyranny forgetting the justice and the mercy and becoming an example of how Allah punishes the tyrants. from this era, the Torah was sent to Moses, (The first of the three books comprising the word of Allah) containng the story of Adam and the tribulations of the first generations. A mercy of Allah and guidance for those who be lifted from darkness to light. A messiah promised to help, and to guide humans to the light, so that?may be saved to be allowed at the right hand of Allah. In the Qur'an there is A great linkage between Adam and jesus in how Allah created both of them. « Truly, the likeness of Jesus with god is as that of Adam, He created him of dust then He said to him, Be, and he was.» (3:59). Family of Imran.

﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾

absolute trust and faith are surrendered to Allah without Questions or suspicions but only with faith, absolute, that the guidance of Allah is the best.

Cursed and ousted from Paradise, humans, who were created for a great potential and for whom the angels were asked to prostrate themselves which they did in faith to Allah, or Adam father of humans and Eve were demoted down and out from heavens to earth to live out their sins and their divisions as earthly mortals. It is understood that being banished from heavens is being banished from an immortal status and acquiring a mortal and earthly body to live on earth as ordained by Allah.

﴿ مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴾

« From earth we created you». (20:25) Taha. «And we made from water

أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا ۖ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ ۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ

every living thing». (21:30) The prophets.

«Omen venerate your Lord Who has created you from a single soul, and from it created its mate, and from the pair of them has spread abroad many men and women.» (4:1) Women.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾

Then Allah took mercy on Adam and his progeney and guided them, «But if there comes to you guidance form me, then whoever shall follow my guidance shall not go perverse nor shall he be miserable.» (20:123) Taha.

﴿ قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًۢا ۖ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴾

The guidance was offered to humans through Messengers from amongst humans. The purpose, being to communicate not to intimidate. That was a long and arduous road, then humans achieved A great civlization and greater knowledge and seeking-like later prophets and humans seeking Allah and searching for him in the skies among the stars, the moon and the sun,

Islam And The Great Qur'an

Part VI

By Ambassador Maha Fahmy

The Story Of Adam, Father of Human, And The Original Sin :

There are 114 suras in the Qur'an, 113 of them start with « In the name of Allah, the beneficient, the merciful.»

Allah has prescribed and has written mercy for himself and for his messengers, and all through the Qur'an the message of mercy is very important. yet the curse inflicted on both Adam and Eve is so great that one could not help but ask was that huge curse proportionate to the sin of eating A fruit, given the many sins that humans are forgiven for by Allah, the most merciful whose mercy encompasses everything, glory be to him. The forbidden tree then has A much greater meaning : A breach of faith, a deviation from the harmonious Oneness that cannot be tolerated in the realm of the holy spirit of Allah Almighty in Paradise and the great resposibitities of running the universe.

A sin that can perhaps be forgiven for an earthly mortal could not be tolerated among the harmonious Oneness. There, in that perfect universe of the Oneness of Allah where everything is run with perfect precision and harmony there is not a place for sin or divisions or lack of faith, where total and

AL-AZHAR MAGAZINE

SAFFAR 1419 H.

ENGLISH SECTION

Vol. 71 Part II

ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ

الأعراف / ٤٣

" Praise be to Allah,
who hath guided us
to this (felicity): never
could we have found
guidance, had it not been
for the guidance of Allah:
Indeed it was the truth."

(AL A'raf 43)

EDITORS: Dr.TRANDIL H.EL RAKHAWY. PH.D.

Depf. of English Language and Translation
AL - Azhar University.

ADEL REFAI KHAFAGA.M.A.
Executive Secretary
Al Azhar Magazine.

الفهرس

الموضوع	الصفحة
● الافتتاحية (الشقيقتان مصر ـ البحرين)	
للشيخ عبد المعز عبد الحميد الجزار	١٦٩
● تفسير سورة البقرة	
لفضيلة الإمام الاكبر شيخ الأزهر	١٧٤
● كلمة الأستاذ الدكتور احمد عمر هاشم رئيس جامعة الأزهر	١٨٢
● كلمة السيد رئيس وزراء ماليزيا (التسامح والإسلام)	١٨٦
● الإيمان اساس البنيان وقاعدة العمران	
لفضيلة الشيخ محمد حافظ سليمان	١٩١
● قبس من انوار النبوة	
للشيخ على حامد	١٩٤
● اضواء حول عالمية الإسلام واستمراريته	
بقلم الدكتور : احمد عبد الرحيم السايح	١٩٦
● حقوق الإنسان فى الإسلام	
للدكتور/ محمد شامة	٢٠٨
● اختصاص البعض بالمال فى الإسلام ليس امتلاكاً وإنما هو امانة ومسئولية	
للدكتور/ محمد شوقى الفنجرى	٢١٧
● المسئولية العربية والإسلامية فى ظل التعنت الإسرائيلى	
للدكتور محمد عبد الحكيم محمد	٢٢٠
● الضوابط الشرعية لقضاء الاجازة الصيفية	
للأستاذ/ مجدى عبد الحميد بشير	٢٢٤
● حدث فى شهر صفر عبر القرون	
إعداد الأستاذ/ احمد السيد تقى الدين	٢٣٠
● استفتاءات القراء يجيب عنها لجنة الفتوى بالأزهر الشريف	
يقدمها الشيخ/ السيد العراقى شمس الدين	٢٣٨
● طرائف ومواقف	
للأستاذ/ عبد الحفيظ محمد عبد الحليم	٢٤٠
● من اعلام الأزهر الشريف	
للدكتور/ محمد رجب البيومى	٢٤٢
● حياته العلمية ، وآراؤه التربوية	
للدكتور/ احمد الشرباصى	٢٤٦
● من روائع الماضى	
إعداد وتقديم/ عبد الحفيظ محمد عبد الحليم	٢٥١
● نسبية الزمان والمكان	
للأستاذ الدكتور/ احمد فؤاد باشا	٢٥٦
● البصمة معجزة إلهية ابهرت العقل البشرى	
للأستاذ/ عبد العليم عبد السميع غزى	٢٦٠
● اللغة العربية لغة الإسلام	
بقلم الفريق/ يحيى بن عبد الله المعلمى	٢٦٤
● شاعر قال عنه النبى صلى الله عليه وسلم ياتى يوم القيامة امة وحده	
للأستاذ/ محمد عبد الوهاب	٢٦٨
● المعجزة الخالدة	
للأستاذ/ إبراهيم صالح	٢٧٠
● احمنى منى	
شعر/ إبراهيم عيسى	٢٧١
● من شعراء الإسلام ـ الربيع الغزالى	
بقلم الأستاذ/ احمد مصطفى حافظ	٢٧٢
● دوحة الكتب	
إعداد/ محمود الفشنى	٢٧٦
● بين المجلة والقارىء	
إعداد/ عادل رفاعى خفاجة	٢٨٣
● انباء مكتب شيخ الأزهر الشريف	
إعداد الأستاذين/ عمر البسطويسى / مصطفى عبد المجيد	٢٨٨
● اخبار العالم الإسلامى	
للدكتور حسن على محمد	٢٩٦
القسم الفرنسى	
● المقالة الثانية	
هدى حسين شرقاوى	٣٠٥
● المقالة الأولى :	
رقية جبر	٣٠٧
القسم الانجليزى	
المقالة الثانية :	
الدكتور/ عطية صقر	٣١٣
● المقالة الاولى	
للسفيرة مها فهمى	٣١٦

بطاقة استبيان

عزيزى قارىء مجلة الأزهر :

رغبة فى توثيق الصلة بين المجلة وقرائها ، وأن تتضمن المجلة ما يود القراء معالجته على صفحاتها .

ومن أجل تبليغ تعاليم الإسلام الوضاءة إلى الناس وما يتفق ومختلف ثقافاتهم ولتحقيق دور أكثر فاعلية ، وللحفاظ على الدور النبيل والمكانة السامقة التى أرادها الله تعالى لهذه المجلة .

ندعوك أيها القارىء للمشاركة الفعالة والمثمرة باستيفاء هذه البطاقة ثم إرسالها على العنوان المدون بعد .

والله ـ تعالى ـ من وراء القصد .

رئيس التحرير
عبد المعز الجزار

الاسم : ....

الوظيفة : ....

السن : ....

العنوان : ....

الأزهــــــر

■ أى أبواب المجلة أقرب إلى طبيعة عملكم وتنال اهتمامكم ؟
١ - الإسلاميات .
٢ - استفتاءات القراء .
٣ - اللغة والأدب والنقد .
٤ - طرائف ومواقف .
٥ - طبقات المحققين والمصححين .
٦ - من أعلام الأزهر .
٧ - من روائع الماضى بمجلة الأزهر .
٨ - خميلة الشعر .
٩ - العلوم الكونية .
١٠ - رحلة مع التراث .
١١ - دوحة الكتب .
١٢ - بين المجلة والقارىء .
١٣ - أنباء العالم الإسلامى .
١٤ - أنباء مكتب فضيلة الإمام الأكبر .
١٥ - القسم الإنجليزى .
١٦ - القسم الفرنسى .
١٧ - ملحق المجلة .

■ ما الأبواب التى ترون إضافتها ؟
المقترحات :

. . . .
. . . .
. . . .
. . . .

ترسل البطاقات إلى السيد صاحب الفضيلة رئيس التحرير .
القاهرة - مدينة نصر - بريد رابعة العدوية - مجمع البحوث الإسلامية - مجلة الأزهر .
ويكتب على المظروف من الجهة اليسرى كلمة « استبيان » .

١٢٣

بسم الله الرحمن الرحيم

الأزهر

مجلة شهرية جامعة

تأسست عام ١٣٤٩هـ - ١٩٣١م

وصدر العدد الأول في المحرم ١٣٤٩هـ

يصدرها

مجمع البحوث الإسلامية

في مطلع كل شهر عربي

• • •

المشرف العام

رئيس التحرير

عبد المعز عبد الحميد الجزار

مدير التحرير

عبد الحفيظ محمد عبد الحليم الخطيب

سكرتير التحرير

عادل رفاعي خفاجة

المراسلات باسم

مدير التحرير / إدارة الأزهر / القاهرة.

ت : ٢٦٣٨٥٩٩ - ٥٩٠٥٤٧٣

الاشتراكات : قسم الاشتراكات بالأهرام

شارع الجلاء - القاهرة

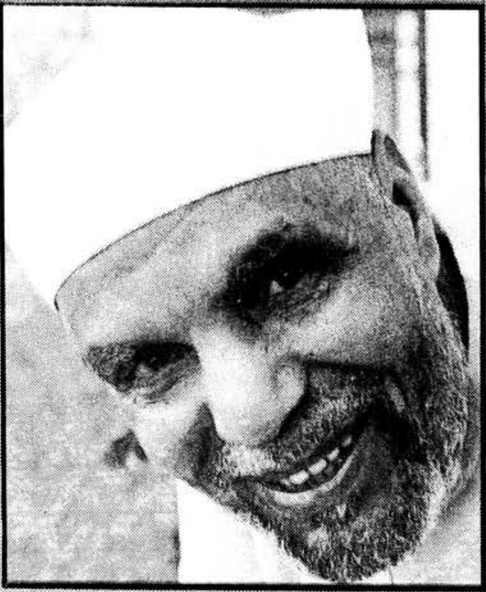

فضيلة الإمام محمد متولي الشعراوي في رحاب الله

ربيع الأول ١٤١٩ هـ يولية ١٩٩٨ م ـ الجزء الثالث ـ السنة الحادية والسبعون

لمحة من تاريخ الإمام الراحل

ولد فى ١٥ أبريل ١٩١١ م بقرية دقادوس مركز ميت غمر بمحافظة الدقهلية ، ودخل الأزهر بعد أن حفظ القرآن فى كُتَّاب القرية حتى حصل على الشهادة العالمية فى كلية اللغة العربية عام ١٩٤١ م ، ثم شهادة العالمية مع إجازة التدريس عام ١٩٤٣ .

عمل مدرسا فى معهد طنطا الدينى ثم نقل إلى معهد الإسكندرية ، ثم معهد الزقازيق . . وأعير للسعودية عام ١٩٥٠ حيث عمل مدرسا بكلية الشريعة بجامعة الملك عبد العزيز بمكة المكرمة .

ثم عاد إلى مصر حيث عين وكيلا بمعهد طنطا عام ١٩٦٠ . . ثم مديرا للدعوة بوزارة الأوقاف عام ١٩٦١ . . ثم مفتشا للعلوم العربية بالأزهر ١٩٦٢ . . ثم مديرا لمكتب شيخ الأزهر عام ١٩٦٤ ثم أستاذا زائرا بجامعة الملك عبد العزيز بمكة .

ثم مديرا عاما لشئون الأزهر عام ١٩٧٥ م

وعين وزيرا للأوقاف وشئون الأزهر عام ١٩٧٦ ومكث بالوزارة عامين ثم عين عضوا بمجمع البحوث الإسلامية . . وعضوا بمجلس الشورى ١٩٨٠ .

واختير عضوا بمجمع اللغة العربية ١٩٨٧ ، واختارته رابطة العالم الإسلامى بمكة المكرمة بالسعودية عضوا بالهيئة التأسيسية لها .

بسم الله الرحمن الرحيم

إنا لله وإنا إليه راجعون

ودعت مصر بالحب والحزن ابنها وابن الأمة العربية والإسلامية ، البار العالم الجليل فضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى ، ورحيل فضيلة الإمام الداعية يعد خسارة فادحة لمصر والعالم الإسلامى ، فهو مجدد لقرن اجتمع على مائدة تفسيره العامة والخاصة ؛ وبجانب ذلك فقد كان نموذجاً يحتذى به العلماء بإخلاصه فى دعوته ، وللأثرياء بإقباله على العمل الخيرى فى الخفاء ؛ مما جعله رمزاً فريداً للدعاة المستنيرين الذين تلتف حولهم قلوب كل الجماهير .

ولعلنا نتخذ منه القدوة حتى نحاول ملء الفراغ الذى تركه على الساحة الإسلامية ؛ فالتحديات التى تواجه أمتنا الآن تجعلها أحوج ما تكون إلى علماء فاقهين مخلصين من أمثال فقيدنا الراحل ـ رحمه الله ـ .

ومما يعزى نفوسنا أن شيخنا ـ رحمه الله وطيب ثراه ـ قد أدى رسالته : أداها بالشعور بالمسئولية أمام الله ـ تعالى ـ وبكل ما تحمله هذه الكلمة من معان سامية ، ومن مقاصد كريمة ، أداها بنظافة لسان ، وبعقل راجح وبعزيمة صادقة ، وهمة عالية ، لا يخشى فى الحق لومة لائم ، أداها بثبات على مبدئه .

والحمد لله مبادىء عالم ثبت ، مبادىء رشيدة ، مبادىء سامية ، مستمدة من كتاب الله ـ سبحانه وتعالى ـ ومن سنة سيدنا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ .

وسيدنا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ هو القائل : « إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث : صدقة جارية ، أو علم ينتفع به ، أو ولد صالح يدعو له » .

وقد اجتمعت هذه الأمور الثلاثة فى شيخنا ـ رحمه الله وطيب ثراه ـ فقد كان سخياً بماله ينفقه على المحتاجين فى السر أكثر مما ينفقه فى العلن ؛ فالصدقة الجارية تحققت فى سخاء يده ـ والحمد لله ـ .

كذلك العلم الذى ينتفع به ؛ لقد ترك علما نافعاً فى أحاديثه وكتبه ، وفى ندواته ، وفى دروسه ، وفيما كتبه فى المجلات ، وفيما كان يلقيه من أحاديث فى الإذاعات المرئية والمسموعة ، ووسائل الإعلام المختلفة ، وفى كل ملتقى يتواجد فيه ، فالعلم الذى ينتفع به قد تحقق فى شيخنا ـ والحمد لله ـ .

أما الذرية الصالحة ؛ فقد ترك من الذرية ما شهد الجميع له بالخير والصلاح .

وحسبنا فى هذا ما لمسناه عن قرب من فضيلة الشيخ سامى الشعراوى ـ الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية ـ ففى هذا خير شاهد ودليل على صدق ما نقول ؛ فالذرية الصالحة قد تحققت فى فضيلته ـ والحمد لله ـ .

إننا نضرع إلى الله ـ سبحانه وتعالى ـ أن يتغمد فقيدنا ، بل فقيد الأمة الإسلامية جمعاء .

أن يتغمده بواسع رحمته وأن يدخله فسيح جناته ، وأن يجعله فى معية النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ، وحسن أولئك رفيقا .

و﴿ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ﴾

« أسرة تحرير
مجلة الأزهر »

ذكـــــرى ميـــــلاد

نبي الرحمة محمد

صلى الله عليه وسلم

فى صبيحة اليوم الأغر ، الثانى عشر من ربيع الأول ، الذى وافق العشرين من شباط عام واحد وسبعين وخمسمائة ، فى عام الفيل زمن كسرى أنوشروان ملك الفرس ، استقبل الزمان محيا طفل وسيم ، يسر مرآه القلوب ، ويؤنس وجهه الأرواح ، ويقر سناه العيون ، ذلك الوليد الذى عنيناه هو محمد رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ .

جاء عن أبى قتادة ـ رضى الله عنه ـ قال : سئل النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ عن صوم يوم الاثنين والخميس ، قال : فيه ولدت وفيه أنزل علىَّ القرآن .(١)

وجاء عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ أنه قال : « ولد رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يوم الاثنين ، واستنبىء يوم الاثنين ، وخرج مهاجرا من مكة إلى المدينة يوم الاثنين ، وتوفى يوم الاثنين ، ورفع الحجر الأسود يوم الاثنين » .(٢)

أيها القارىء العزيز : إن الحديث فى هذه الأيام ، من أيام شهر ربيع عن ميلاد الحبيب الغالى لهو حديث شائق وجميل ، والحديث ذو شجون ، إذ جوانب العظمة فيه متعددة ، وصفات كماله أكثر من أن تحصى ، لأنه بعث رحمة للعالمين ، وصدق الله إذ يقول واصفا له :

﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾ (القلم : ٤) .

وقوله تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴿٤٦﴾ ﴾ (الأحزاب : ٤٦) .

---

(١) البداية والنهاية جـ ٢ صـ ٢٦٠ ـ باب مولد رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ تفرد به احمد ورواه عمرو بن لهيعة .
(٢) مسلم وابو داود .

وإذا كان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قد جمع كل صفات الكمال والجلال والعظمة فلا يمكن أن نستقصى بعضها فى هذه العجالة ، ولكنى سأقف أمام صفة واحدة ، أوضحها ، حتى نتبين بعض جوانب عظمة من بعثه الله رحمة للوجود (كله) ، لنأخذ منها العظة والعبرة والدرس المفيد حتى نسعد فى دنيانا وأخرانا وهذه الصفة هى أن محمدا ـ صلى الله عليه وسلم ـ كان رحمة للعالمين قبل أن يولد ، ورحمة للعالمين بعد مولده .

وهاهى قصة أصحاب الفيل التى كانت من أعظم آيات نبوته شأنا ، وأظهرها برهانا ، وأوضحها دليلا ، وأشهرها عيانا وبيانا ، قد برهنت على أن الله رحم بمحمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ الوجود قبل ولادته ، وقد وقعت هذه القصة قبل مولده بخمس وخمسين ليلة ، وهى أن النجاشى قد أنفذ أبرهة فى جمهور جيشه إلى مكة لهدم الكعبة وقتل رجالها وسبى نسائها ، وذراريها ، ثم توجه الجيش إلى مكة من جهة منى ، والفيل معهم ، ولكنه كان يحجم عندما يبعث نحو الحرم ، وإذا عدل عنه أقدم ثم وقعوا بالمغمس ، وقال بعضهم :

إن آيات ربنا ساطعات ... مايمارى بها إلا الكفور
حبس الفيل بالمغمس حتى ... مر يعوى كأنه معقور

وفى هذه الأثناء أبصر أهل مكة الطير قد أقبلت من ناحية البحر ، وفى مناقيرها وأرجلها حجارة ، ولما أظلت على القوم ألقتها عليهم حتى هلكوا .

وكانت آية الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ من هذه القصة ، أنه كان حملا فى بطن أمه ، حيث أشرق نوره على الوجود بعد حادث الفيل بخمس وخمسين ليلة ، وكانت آيته فى ذلك من وجهين :

أولهما : أن أبرهة وجيشه لو تم لهم ما أرادوا وظفروا ، لسبوا واسترقوا أهل مكة ، ولكن الله لم يمكنهم من تحقيق غرضهم ؛ صيانة لرسوله أن يجرى عليه السبى حملا ووليدا ، ولتعطلت نبوته التى سيختاره الله لها ويصطفيه لها حتى تعم رحمته الوجود .

وثانيهما : أنه لم يكن لقريش من التأله ما يستحقون به رفع أصحاب الفيل عنهم ، ثم إنهم ليسوا أهل كتاب ، حيث كانوا بين عابد لصنم ، أو متدين وثن ، أو قائل بالزندقة ، أو مانع من الرجعة، ولكن لما أراده الله تعالى من ظهور الإسلام ، تأسيسا للنبوة ، وتعظيما للكعبة ، وأن يجعلها قبلة للصلاة ، ومنسكا للحج .

وليكن معلوما أنه على الباغى فى كل عصر وزمان ستدور عليه الدوائر ، وأن منع أصحاب الفيل من تنفيذ خطتهم إنما هو آية لتأسيس النبوة ومجىء الرسالة ، ثم يتجلى لنا صدق رسول الله ـ صلى الله عليه

وسلم ـ فيما أخبر به من الغيبيات ، حيث أخبر بهدم الكعبة ، وقد حدث فى زمن الحجاج ، فكان هذا معجزة .

وبعد هذه الواقعة تأكد للناس تعظيم حرم مكة ، وزادت حرمته فى النفوس ثم دان العرب لقريش بالطاعة ، وزادوهم تشريفا وتعظيما ؛ لأنهم أهل الله ، حيث قاتل عنهم وكفاهم كيد عدوهم ، ثم إنه قد قامت قريش للعرب بالرفادة ، وهو مال كانت تخرجه قريش كل عام ليصنع به طعام يقدم للناس فى أيام منى ، ثم بالسدانة ، والسقاية ، وبعدها صارت قريش أئمة ديانين وقادة متبوعين ، وصار أصحاب الفيل مثلا فى الغابرين ، وكان شأن الفيل رادعا لكل باغٍ ودافعاً لكل طاغ ، وهكذا نرى من سرد قصة أصحاب الفيل وهلاكهم خير برهان على أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ كان رحمة للعالمين قبل أن يولد ، إذ لو انتصر أبرهة ـ والعياذ بالله ـ لسبيت أمه ، ولبيع كما يباع العبيد ، ولتعطلت الرسالة ولساد الوجود ظلام فوق ظلام .

وإذا تأملنا فى مولده ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى الليل قرب الفجر ، فلسوف نجد حكمة عالية ، إذ هذه الساعة يستجاب فيها الدعاء فى كل ليلة ، وهى أوسع وأشرف من الساعة التى فى يوم الجمعة ، وإذا كان يوم الجمعة الذى خلق فيه آدم عليه السلام ، وخص بساعة لا يصادفها مسلم يسأل الله فيها خيراً إلا أعطاه الله تعالى سؤله ، فما بالك بالساعة التى ولد فيها سيد المرسلين ، وحبيب رب العالمين ، وسيد الأولين والآخرين ، خاتم الأنبياء والمرسلين ـ صلى الله عليه وسلم ـ ثم إن منزلة هذه الليلة التى ولد فيها الحبيب ـ صلى الله عليه وسلم ـ يفوق فضلها فضل ليلة القدر التى هى خير من ألف شهر من عدة وجوه .

أولا : لأن ليلة المولد ـ ليلة ظهوره ـ ـ صلى الله عليه وسلم ـ وليلة القدر معطاة له ـ صلى الله عليه وسلم ـ وما شرفت بظهور ذات المشرف من أجله أشرف مما شرفت بسبب ما أعطيه ، ولا نزاع فى ذلك .

ثانيا : أن ليلة القدر قد شرفت بنزول الملائكة فيها ، وليلة المولد قد شرفت بظهوره ـ صلى الله عليه وسلم ـ ومن شرفت به ليلة المولد أفضل ممن شرفت به ليلة القدر على الصحيح المرتضى .

ثالثا : إن ليلة القدر وقع فيها تفضل على أمة محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ وليلة المولد وقع فيها التفضل على جميع الموجودات ، إذ هو الذى بعثه الله ـ تعالى ـ رحمة للعالمين ، فعمت النعمة به جميع الخلائق فليلة المولد أعم نفعا .

ومن جهة أخرى كان مولده ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى فصل الربيع ؛ لأنه أعدل فصول السنة : ليله ونهاره معتدلان ، بين الحر والبرد ، ونسيمه معتدل بين اليبوسة والرطوبة ، وشمسه معتدلة فى العلو والهبوط ، وقمره معتدل فى أول درجة من الليالى البيض .

وخص مولده ـ صلى الله عليه وسلم ـ بشهر ربيع الأول ، ولم يكن فى شهر رمضان ، الذى أنزل فيه القرآن ، وفيه ليلة القدر ، ولم يكن ميلاده فى الأشهر الحرم ، رجب ، شوال ، ذى القعدة ، وذى الحجة ، التى جعل الله لها الحرمة يوم خلق السموات والأرض ، ولم يكن فى ليلة النصف من شعبان ، ولا فى يوم الجمعة ، ولا فى ليلتها ، حيث ورد فى الحديث : « إن الله تعالى خلق الشجر يوم الاثنين » رواه أحمد فى مسنده ، وفيه تنبيه عظيم : هو أن الله خلق فيه الأقوات والأرزاق والفواكه والخيرات التى يمتد بها بنو آدم ويحيون ويتداوون ، وتنشرح صدورهم لرؤيتها ، وتطيب بها نفوسهم ، وتسكن خواطرهم عند رؤيتها لاطمئنان نفوسهم لتحصيل مايبقى حياتهم على ما جرت به حكمة الحكيم سبحانه ، فوجوده فى هذا الشهر ، شهر ربيع الأول فى هذا اليوم يوم الاثنين قرة عين بسبب ما وجد من الخير العظيم والبركة الشاملة لهذه الأمة المحمدية .

كما أن فيه إشارة ظاهرة لمن تفطن لها بالنسبة إلى الاشتقاق لفظة ربيع ، إذ أن فيه تفاؤلا حسنا ، وبشارة لأمته ـ صلى الله عليه وسلم ـ ثم ما فى شريعته ـ صلى الله عليه وسلم ـ من شبه الحال من رفع الإصر والأغلال التى كانت على من قبلنا ، ثم شاء الحكيم سبحانه أنه ـ صلى الله عليه وسلم ـ تتشرف به الأزمنة والأمكنة ، لا هو يتشرف بها ، بل يحصل للزمان والمكان الذى يباشره عليه الصلاة والسلام الفضيلة العظمى ، والمزية على ما سواه من جنسه ، فلو ولد فى الأوقات التى تقدم ذكرها لكان يتوهم أنه يتشرف بها فجعل الحكيم جل جلاله مولده ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى غيرها ؛ ليظهر عظيم عنايته سبحانه وكرامته عليه .

ومن هنا يجب على أولياء أمور الناس أن يعلموا صبيانهم أن محمدا ـ صلى الله عليه وسلم ـ ولد بمكة ، ودفن بالمدينة ، وأن يعلموهم نسبه الطاهر ، وأن اسم محمد هو أشرف أسمائه ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأشهرها بين العالمين ، وألذها سماعا عند جميع المسلمين ، وأشوقها إلى الصلاة والتسليم على سيد الأنام ، وكذلك خصت به كلمة التوحيد .

ويستحب التسمية بهذا الاسم ، محبة فيه ـ صلى الله عليه وسلم ـ ولا يصح إسلام الكافر حتى يتلفظ به ، كما أمرنا أن نكرم من اسمه محمدا ؛ حباً فيه .

وبعد : فاللهم اجعل محمدا أول الشافعين ، وأنجح السائلين ، وأكرم الأولين والآخرين .

اللهم كما آمنا به ولم نره ، وصدقناه ولم نلقه ، فأدخلنا مدخله ، واحشرنا فى زمرته ، وأوردنا حوضه ، واسقنا بكأسه مشربا رويا سائغا هنيئا ، لا نظمأ بعده أبدا ، غير خزايا ولا ناكثين ، ولا مارقين ، ولا جاحدين ، ولا مرتابين ، ولا مغضوبا عليهم ولا ضالين ، واجعلنا من أهل شفاعته .

وعلينا أن نتمثل قول القائل :

الله عظم قدر جاه محمد ... وأناله فضلا عليه عظيما

فى محكم التنزيل قال لخلقه ... صلوا عليه وسلموا تسليما

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ٥٦ ﴾ (الأحزاب/٥٦)

لبيك اللهم ربى وسعديك ، صلوات الله البر الرحيم ، والملائكة المقربين ، والنبيين ، والصديقين ، والشهداء والصالحين ، وما سبح له من شيء يارب العالمين ، على محمد بن عبد الله ، خاتم النبيين ، وسيد المرسلين ، وإمام المتقين ، ورسول رب العالمين ، البشير النذير والسراج المنير وعلى آله وصحبه .

اللهم صلِّ عليه صلاة تكون بإذنك واقية من البلاء ، وبحولك شافية من الأدواء ، وبفضلك محققة للأمل والرجاء .

اللهم صلِّ على نبينا الحبيب صلاة تذكرنا بخلقه الكريم كلما تلوناها ، وتشوقنا إلى جنابه الرحيم ، كلما رددناها ، وتهدينا طريقه المستقيم كلما كررناها .

اللهم صلِّ عليه صلاة يكون من بركاتها صلاح الحال ، ومن نفحاتها حسن المآل ، وأن نرقى بها فى معارج التقى والكمال .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وأستغفر الله العظيم لى ولكم .

عبد المعز عبد الحميد الجزار

تفسير سورة البقرة

﴿ قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ
الْآخِرَةُ عِندَ اللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ
صَادِقِينَ ﴿٩٤﴾ وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٩٥﴾
وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَىٰ حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ
لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ وَاللَّهُ
بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴾

لفضيلة الإمام الأكبر - شيخ الأزهــر

الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوى

ومعنى الآيات الكريمة إجمالاً :

قل - يا محمد - لأولئك اليهود الذين ادعوا أن الجنة لن يدخلها إلا من كان هودا : إن كانت الجنة مختصة بكم ، وسالمة لكم دون غيركم ، وليس لأحد سواكم فيها حق . فتمنوا الموت إن كنتم صادقين فى دعواكم ، لأن من أيقن أنه من أهل الجنة اشتاق إليها وأحب الوصول إليها .

ثم أخبر الله أن هذا التمنى لن يحصل منهم فقال : ﴿ وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا ﴾ أى الموت ﴿ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ﴾ أى بسبب ما ارتكبوه من كفر ومعصية ﴿ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴾ الذين وضعوا الأمور فى غير موضعها ، فادعوا ما ليس لهم ، ونفوه عمن هو لهم .

ثم أخبر القرآن بأن حرصهم على الحياة لا نظير له ولا مثيل فقال : ﴿ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَىٰ حَيَاةٍ ﴾ متطاولة ﴿ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا ﴾ أى : وأحرص عليها - أيضاً - من الذين أشركوا الذين لا يعرفون إلا الحياة الدنيا ﴿ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾ أى : يتمنى الواحد من هؤلاء اليهود أن يعيش السنين الكثيرة ولو تجاوزت الحدود المعقولة لعمر الإنسان ، والحال أنه ما أحد منهم بمزحزحه ومنجيه تعميره من العذاب ﴿ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴾ أى : لا يخفى عليه أعمالهم ، فهو محاسبهم عليها ، ومجازيهم بما يستحقونه من عقاب .

وقوله تعالى : ﴿ قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِندَ اللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾

رد على زعمهم الباطل أن الجنة لا يدخلها إلا من كان هوداً ، والمراد بالدار الآخرة : الجنة ونعيمها ، ومعنى « خالصة » سالمة لكم مختصة بكم ، لا يشارككم فيها أحد من الناس .

قال الإمام ابن جرير : « يقال : خلص لى فلان بمعنى صار لى وحدى وصفا لى ، ويقال : منه خلص هذا الشىء ، فهو يخلص خلوصاً وخالصة ، والخالصة مصدر مثل العافية . . »[1] .

وقوله تعالى : ﴿ فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ ﴾ التمنى هو ارتياح النفس ورغبتها القوية فى الشىء . بحيث توده وتحب المصير إليه ، وهو يستعمل فى المعنى القائم بالقلب كما بينا ، ويستعمل فى اللفظ الدال على هذا المعنى ، كأن يقول الإنسان بلسانه ، ليتنى أحصل على كذا .

والاستعمال الثانى هو المراد بقوله تعالى : ﴿ فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ ﴾ أى اذكروا بألسنتكم لفظاً يدل على أنكم تحبون الموت وترغبون فيه . وإنما قلنا إن ذلك هو المراد من الآية لأن المعنى الكائن بالقلب لا يعرفه أحد سوى الله ـ تعالى ـ والتحدى لا يقع بتحصيل المعانى القائمة بالضمائر والقلوب .

ومعنى الآية الكريمة : قل يا محمد لليهود : إن كانت الجنة خاصة بكم ، ولا منازع لكم فيها ولا مزاحم كما تزعمون ، فتمنوا الموت بألسنتكم لكى تظفروا بنعيمها الدائم ، إن كنتم صادقين فى دعواكم أنها خالصة لكم ، وإلا فإنكم لا تكونون صادقين فى دعواكم ، إذ لا يعقل أن يرغب الإنسان عن السعادة المحضة الدائمة المضمونة له فى الآخرة ، إلى سعادة ممزوجة بالشقاء فى الدنيا .

قال الإمام الرازى : (وبيان هذه الملازمة أن نعم الدنيا قليلة حقيرة بالقياس إلى نعم الآخرة . ثم إن نعم الدنيا على قلتها كانت منغصة عليهم بسبب ظهور محمد ـ ﷺ ـ ومنازعته معهم ، بالجدال والقتال ، ومن كان فى النعم القليلة المنغصة . ثم تيقن أنه بعد الموت لابد أن ينتقل إلى تلك النعم العظيمة ، فإنه لابد أن يكون راغباً فى الموت ، لأن تلك النعم العظيمة مطلوبة ولا سبيل إليها إلا بالموت ، وحيث كان الموت يتوقف عليه المطلوب وجب أن يكون هذا الإنسان راضياً بالموت متمنياً له ، فثبت أن الدار الآخرة لو كانت خالصة لهم ، لوجب أن يتمنوا الموت . ثم إن الله ـ تعالى ـ أخبر أنهم ما تمنوا الموت ، بل لن يتمنوه أبداً ، وحينئذ يلزم قطعاً بطلان ادعائها فى قولهم : « إن الدار الآخرة خالصة لهم من دون الناس »[2] .

وتحديهم بتمنى الموت يكون بأن يقولوا بألسنتهم ليتنا نموت ، أو يقولوا ما فى معنى هذه الكلمة كما أشرنا إلى ذلك سابقاً ، وهذا رأى جمهور المفسرين .

وروى عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ أن ذلك يكون عن طريق المباهلة ، بأن يحضروا مع المؤمنين فى صعيد واحد ، ثم يدعو الفريقان بالموت على الكاذب منهما .

ويبدو لنا أن الرأى الأول أرجح لأنه أقرب إلى موافقة اللفظ الذى نطقت به الآية وأقرب أيضاً إلى معناها . إذ ليس فى الآية إشارة ما إلى طلب المباهلة ، والقرآن حينما دعا إليها نصارى نجران ، جاء اللفظ بها صريحاً فى قوله تعالى : ﴿ فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا۟ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ (آل عمران ـ ٦١)

---

(١) تفسير ابن جرير جـ ١ ص ٤٢٦ .

(٢) تفسير الرازى جـ ١ ص ٤٣٣ .

ثم أخبر ـ سبحانه ـ بأن هؤلاء اليهود لن يتمنوا الموت أبداً بسبب ما فعلوا من شرور فقال تعالى :

﴿ وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴾

أى : لا يتمنى اليهود الموت أبداً بسبب ما قدمت أيديهم من آثام ، والله ـ عز وجل ـ لا تخفى عليه خافية من سيئاتهم واعتداءاتهم بل هو سيسجلها عليهم ، ويجازيهم عليها الجزاء الذى يستحقونه ، والآية الكريمة خبر من الله ـ تعالى ـ عن اليهود بأنهم يكرهون الموت ، ويمتنعون عن الإجابة إلى ما دعوا إليه من تمنيه ، لعلمهم بأنهم إن فعلوا فالموت نازل بهم ، وذلك لأن رسول الله ـ ﷺ ـ لم يخبرهم خبراً إلا كان حقاً كما أخبر فهم يحذرون أن يتمنوا الموت ، خوفاً من أن يحل بهم عقاب الله بما كسبت أيديهم من الذنوب .

وقد صح من عدة طرق عن ابن عباس أنه قال : « لو تمنوا الموت لشرق أحدهم بريقه » .

وقال ابن جرير فى تفسيره : « وبلغنا أن النبى ـ ﷺ ـ قال : « لو أن اليهود تمنوا الموت لماتوا ؛ ولرأوا مقاعدهم من النار ، ولو خرج الذين يباهلون رسول الله ـ ﷺ ـ لرجعوا لا يجدون أهلاً ولا مالاً » قال حدثنا بذلك أبو كريب ، حدثنا زكريا بن عدى ، حدثنا عبيد الله بن عمرو ، عن عبدالكريم عن ابن عباس عن رسول الله ـ ﷺ ـ [(٣)] .

وقال الإمام ابن كثير : ورواه الإمام أحمد عن إسماعيل بن يزيد الرقى حدثنا فرات عن عبدالكريم به » [(٤)] .

وقال صاحب الكشاف : قوله : ﴿ وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا ﴾ من المعجزات لأنه إخبار بالغيب وكان كما أخبر به ، كقوله تعالى : ﴿ ولن تفعلوا ﴾ فإن قلت : ما أدراك أنهم لم يتمنوا الموت : قلت : لو تمنوا لنقل ذلك عنهم كما نقلت سائر الحوادث ، ولكان ناقلوه من أهل الكتاب وغيرهم من أولى المطاعن فى الإسلام أكثر من الذر وليس أحد منهم نقل عنه ذلك » [(٥)] .

ويكفى فى تحقيق هذه المعجزة ، ألا يصدر تمنى الموت عن اليهود الذين تحداهم النبى ـ ﷺ ـ بذلك ، وهم الذين كانوا يضعون العراقيل فى طريق دعوته ، ويصرون على جحود نبوته ؛ فلا يقدح فى هذه المعجزة أن ينطق يهودى بعد العهد النبوى بتمنى الموت وهو حريص على الحياة ، لأن المعنيين بالتحدى هم اليهود المعاصرون للعهد النبوى .

وقوله تعالى : ﴿ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴾ وارد مورد التهديد والوعيد لهم ، وكان اليهود ظالمين بسبب ما قدمت أيديهم وبسبب كونهم قد كذبوا على الله فى دعواهم أن الجنة لا يدخلها إلا من كان منهم .

ثم بين ـ سبحانه ـ بعد ذلك أن هؤلاء اليهود الذين يزعمون أن الجنة خالصة لهم فى غاية الحرص

---

(٣) تفسير ابن جرير جـ ١ ص ٤٢٧ .

(٤) تفسير ابن كثير جـ ١ ص ٤٢٧ .

(٥) تفسير الكشاف جـ ١ ص ٢٢٥ .

على الحياة فقال تعالى : ﴿ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴾

ومعنى الآية الكريمة : ولتجدن ـ يا محمد ـ أولئك اليهود ـ الذين يزعمون أن الدار الآخرة خالصة لهم من دون الناس ـ لتجدنهم أحب الناس للحياة ، وأحرصهم عليها ، وأشدهم كراهية للموت وليس ذلك عندما يكونون متمتعين بالطمأنينة والعافية فقط ، بل هم كذلك حتى ولوزالت عنها كل معانى الراحة والطمأنينة ، فهم أحرص عليها حتى من المشركين الذين لا يؤمنون بالبعث ، والذين يعتبرون نعيمهم الأكبر هو ما يتمتعون به من اللذائذ فى هذه الدنيا ، وهم فى حرصهم على الحياة يتمنون أن تطول أعمارهم دهوراً طويلة ، لا يصل إليها خيال أحد ممن يحرصون عليها كما قال تعالى : ﴿ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾ . وبذلك تكون الآية الكريمة قد كذبتهم فى دعواهم أن الدار الآخرة خالصة لهم من دون الناس ؛ لأن الأمر لو كان كما يزعمون لرحبوا بالانتقال إليها ، ولكنهم لا يحبون الموت ولا يكاد يخطر ببالهم ، ويحرصون كل الحرص على البقاء حتى مع سوء الحالة ورذالة العيش ، كما يشعر بذلك التنكير فى قوله تعالى ﴿ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ ﴾ .

والمراد بالناس جميعهم ، وأفعل التفضيل فى « أحرص » على بابه ؛ لأن الحرص على الحياة غريزة فى البشر إلا أنهم متفاوتون فيه قوة وكيفية وأسباباً ، كما قال الشاعر :

أرى كـلـنـا يهـوى الحيـاة بـسـعـيـه
حـريصـا عليهـا مستهـامـا بهـا صبـا
فـحـب الجبـان الـنـفس أورده الـتـقـى
وحـب الشجـاع الـنـفس أورده الحـربـا

فالناس جميعاً وإن كانوا يشتركون مع اليهود فى الحرص على الحياة ، إلا أن اليهود يزيدون على سائر الناس أنهم أحرصهم ، وأنهم من أجل حرصهم عليها يضحون بدينهم وبكرامتهم وبكل شىء .

ونكر ـ سبحانه ـ الحياة التى يحرصون عليها ، زيادة فى تحقيرهم ، فكأنه ـ سبحانه ـ يقول : إنهم شديدو الحرص على الحياة ، ولو كانت حياة بؤس وشقاء ، وللإشعار بأن مايهمهم هو مطلق حياة كيفما كانت ، بصرف النظر عن العزة والكرامة ، فمن أمثال اليهود المشهورة : « الحياة وكفى » .

ولا شك أن شدة التهالك على الحياة ، تؤدى إلى الجبن ، واحتمال الضيم ، وتجعل الأمة التى تنتشر فيها هذه الرذيلة لا تفرق بين الحياة الكريمة والحياة الذليلة .

وقوله تعالى : ﴿ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا ﴾ عطف على الناس ، لأنه لما كان قوله تعالى : ﴿ أَحْرَصَ النَّاسِ ﴾ فى معنى : أحرص من جميع الناس صح أن يراعى المعنى ، فيكون قوله : ﴿ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا ﴾ معطوف عليه ، فيكون المعنى : أحرص من جميع الناس ، وأحرص من الذين أشركوا على الحياة .

والذين أشركوا ، هم الذين جعلوا الله شركاء وإنما أفردوا بالذكر مع أنهم من الناس ، مبالغة فى

توبيخ اليهود وذمهم ؛ لأنهم إذا زاد حرصهم على الحياة ـ وهم أهل كتاب ـ على المشركين الذين لا كتاب لهم ولا يدينون ببعث أو نشور كان ذلك دليلاً على هوان نفوسهم ، وابتذال كرامتهم وعدم اعتدادهم بوصايا كتبهم التى تنهاهم عن الحرص على الحياة الذليلة .

قال صاحب الكشاف : « وفيه توبيخ عظيم ؛ لأن الذين أشركوا لا يؤمنون بعاقبة ولا يعرفون إلا الحياة الدنيا ، فحرصهم عليها لا يستبعد لأنها جنتهم ، فإذا زاد عليها فى الحرص من له كتاب وهو مقر بالجزاء ، كان حقيقاً بأعظم التوبيخ ، فإن قلت : لم زاد حرصهم على حرص المشركين ؟ قلت : لأنهم علموا أنهم صائرون إلى النار لا محالة والمشركون لا يعلمون ذلك »[٦] .

ثم بين ـ سبحانه ـ مظهراً من مظاهر حرصهم على الحياة فقال تعالى : ﴿ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾ أى يتمنى الواحد منهم أن يعيش دهوراً كثيرة ، ليس من عادة الناس أن يحبوا بلوغها ؛ لأنها تؤدى بهم إلى أرذل العمر ، وعدم طيب العيش .

فالجملة الكريمة مستأنفة لإظهار مغالاتهم فى التهالك على الدنيا ولتحقيق عموم النوعية فى الحياة المنكرة ، ولدفع ما يظنه بعض الناس من أن حرصهم على الحياة مهما اشتد فلن يصل بهم إلى تمنى أن يعيش الواحد منهم ألف عام ، أو أكثر ، فجىء بهذه الجملة الكريمة . لتحقيق أن تعلقهم بالدنيا يشمل حتى هذه السن المتطاولة ، التى لا هناء فيها ولا راحة ، والتى استعاذ من بلوغها المؤمنون .

ثم بين ـ سبحانه ـ أن تعميرهم الطويل لن ينجيهم من العقوبة ؛ لأن الموت لا يتركهم مهما طال عمرهم ، فقال تعالى :

﴿ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِۦ مِنَ ٱلْعَذَابِ ﴾

أى : وماأحد منهم بمبعده تعميره عن العذاب المعد له ، ولا بمنجيه منه .

والجملة الكريمة فيها بيان مصيرهم المحتوم ، وقطع لحبال مطامعهم ؛ لأن الموت سيلحقهم مهما بلغ عمرهم ، وسيلقون جزاءهم على سوء صنيعهم .

وفى التعبير ﴿ بِمُزَحْزِحِهِۦ ﴾ إشارة إلى أن طول عمرهم ، ليس له أى أثر فى تخفيف العذاب عنهم ، وقوله : ﴿ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴾ تهديد ووعيد لهم لأنه ـ سبحانه ـ عليم بأعمالهم ، محيط بما يخفون وما يعلنون ، وسيجازيهم على كل ذلك بما يستحقون .

ومن هذا العرض للآيات الكريمة نرى أنها قد ردت على اليهود فى دعواهم أن الجنة خالصة لهم ، رداً يبطل حجتهم ، ويفضح مزاعمهم ، ويكبت نفوسهم ، ويخرس ألسنتهم ، ويعلن أن الجنة إنما هى لمن أسلم وجهه لله وهو محسن ، وهم ليسوا من هذا النوع من الناس ؛ ولذا حرصوا على الحياة وفزعوا من الموت ، لأنهم يعلمون أن من ورائهم النار وبئس القرار بسبب ما ارتكبوا من سيئات ، واقترفوا من أكاذيب .

« يتبع »

(٦) تفسير الكشاف جـ ١ ص ٢٣٥ .

قبس من أنوار النبوة

بُعث الرَّسُول بالهدى والعلم

للشيخ
علي حامد عبد الرحيم

عن أبي موسى الأشعرى - رضى الله عنه - قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « مثل ما بعثنى الله به من الهدى والعلم ، كمثل الغيث الكثير أصاب أرضا ، فكان منها نقية قبلت الماء فأنبتت الكلأ ، والعشب الكثير . وكان منها أجادب أمسكت الماء ، فنفع الله - تعالى - بها الناس ، فشربوا ، وسقوا وزرعوا .

وأصاب منها طائفة أخرى إنما هى قيعان ، لا تمسك ماء ، ولا تنبت كلأ ، فذلك مثل من فقه فى دين الله ونفعه ما بعثنى الله به فعلم وعلّم ، ومثل من لم يرفع بذلك رأسا ولم يقبل هدى الله الذى أرسلت به».

رواه البخارى ومسلم والنسائى

مفردات : مثل : هنا الصفة العجيبة ـ الهدى : الدلالة الموصلة إلى المطلوب من الخير

الغيث : المطر فى حال الحاجة إليه . . نقية: خصبة طيبة ـ أجادب : الأرض التى لا نبات فيها ـ قيعان : الأرض الملساء ـ من لم يرفع بذلك رأسا : تكبر .

يشير حديث الرسول الكريم إلى حاجة البشرية جمعاء إلى هداية الإسلام ، التى بعث بها الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ : فقد كان فى كل صقع من أصقاع الأرض من يتشوق إلى الهداية ، بعد أن ضلت العقائد ، وغير أتباع الرسل مانزل إليهم من عند ربهم ، وطفح الكيل بالرق ، وعبادة البشر . ضلت الأخلاق طريق الإنسانية الحميدة ، وصارت القلة من البشرية هى صاحبة الحرية فى كل ما تصنع وما تذر ، وصار الأكثرية والعرض والناس سلعة يملكها شرذمة ممن سموا أنفسهم بالنبلاء . وجور وهوى نفس تلعب به الأهواء ، تسلط وتحكم فى رقاب الناس .

بينما كان فى الحياة الإنسانية من يتشوف إلى الحرية والأمن والكرامة فكانت بعثة سيدنا محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ :

ـ لتصحيح العقائد التى زاغ عنها أهلها ـ ولتضع كرامة الإنسان فى رحاب الإيمان بالله ، الذى يضمن لها موازين العدل ، والكرامة ، ولتقيم العلاقات الإنسانية على الرحمة والمودة ، والتعاون ، والبر والمعروف ، ولترفع مكانة العلم والمعرفة ، ولترفع لواء

﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ﴾ (١٠ الحجرات)

ـ هذه الهداية التى جاء بها النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ لتأخذ بيد البشرية ينتفع بها من شرح الله صدره للإسلام ، فيفقه دين الله على أنه انضباط لشئون الحياة فى شتى مجالاتها ، فينتفع بها فى نفسه فقط ، أو ينفع بها نفسه وغيره فيعلم الناس كما تعلم . ويفيد مجتمعه .

ومن هنا كان تشبيه الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ أصناف البشر فى قبولهم للهداية والعلم ، ورفضهم إياها بأصناف الأرض ، وقرر أن نزول الهدى والعلم وحيا من عند الله .

لقد شبه الدين بالغيث العام يأتى الأرض وهى فى أمس الحاجة إليه ، كما يشبه من بعثه الله إليهم بالأرض ، مختلف طبيعتها ، ويتنوع استعدادها فى قبول هذا الغيث .

فمنها أرض نقية طيبة تقبل الماء ، وتنتفع بالمطر ، فتحيا بعد موت ، وتخصب بعد جدب ، وتهتز مخضرة بالنبات والثمر ينتفع بها الأحياء فى كل مكان .

ومنها أرض ينزل عليها الماء ، فلا تنتفع به ، ولا تتغير طبيعتها معه ، ولكنها تحفظه للناس ينتفعون به ، وتمسكه لهم يفيدون منه ، بينما هى للماء مجرد وعاء ومنها أرض ملساء صماء سبخة ، يأتيها الماء فلا تنتفع به ، ولا تمسكه للناس يستفيدون منه ، لا خير فيها نفسها ، ولا نفع منها للناس .

كذلك أحوال الناس مع ما بعث به النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ من دين الله ـ تعالى ـ بما يشتمل عليه من الهدى والعلم . فمن الناس من هداه الله بالإسلام فانتفع ونفع غيره ، فهو عضو عامل فى المجتمع ، الذى يعيش فيه يأخذ

ويعطى ، يفيد ويستفيد آحيا الله بالإسلام قلبه ، وشرح به صدره فألزم نفسه بآدابه ، وأخذها بتعاليمه وعاش بين الناس صورة حية للخير والفضيلة ومثالا يحتذى فى الخلق الكريم مثله فى ذلك كمثل الأرض الطيبة الخصبة ، ينزل عليها الماء فتحيا به ثم ينتفع الناس بما تنبته من الكلأ والعشب الكثير .

وهذا النوع من الناس فى خير دائم فهو كما قال - صلى الله عليه وسلم - : « أفضل الصدقة أن يتعلم المرء علما ثم يعلمه أخاه المسلم » رواه ابن ماجه .

ومن الناس صنف جاءه العلم فلم ينتفع به ، ولكنه جمع نصوصه ، وحفظ أحكامه ، وكان فيه نفع لغيره فهو يدعو إلى الخير ولا يفعله . . ويأمر بالمعروف ولا يفعله ، فهو مثل الأرض الصلبة المجدبة ينزل عليها المطر فلا تلين ولكنها تمسك الماء للناس ينتفعون به ، وهو كما قال - صلى الله عليه وسلم - فيما رواه الطبرانى - « إن أناسا من أهل الجنة ينطلقون إلى أناس من أهل النار فيقولون : بم دخلهم النار ؟ فوالله ما دخلنا الجنة إلا بما تعلمنا منكم ، فيقولون : إنا كنا نقول ولا نفعل .

أما الصنف الثالث : فهو نوع من الناس جاءه الإسلام ، فأعرض عنه ، ودعاه النبى فلم يقبل على دعوته ، ختم الله على سمعه وقلبه ، وجعل على بصره غشاوة ، فلم ينتفع بالدين فى نفسه ولا لغيره . كمثل الأرض التى نزل عليها فلم يتغير حالها معه ، وتظل على موتها كما كانت قبل نزوله . فهى قيعان لا تمسك ماء ، ولا تنبت كلأ .

وهذا الصنف المعرض عن هداية الله . توعده الله بالتعاسة فى الدنيا ، والعذاب الشديد فى الآخرة قال تعالى :

﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ الْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِن بِآيَاتِ رَبِّهِ ۚ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰ ﴾

(سورة طه / ١٢٤ / ١٢٦)

هذه عاقبة من علم الدين ، ولم يعمل به ، ومن أعرض عن قبوله وصد عنه جمع بينهما خسران الدنيا ، وبوار الآخرة . فإن كلا منهما لم يرفع بالدين رأساً ، ولم يقبل هدى الله ، الذى أرسل به الرسول - صلى الله عليه وسلم - .

أما الصنف الأول : فهو الذى استجاب لله ، ولرسوله . إنه انتفع ونفع قولا وعملا ، يظهر أثره على الجوارح ، إيثارا لما عند الله على ماعند الناس ، اعتصم بالحق فعصمه الله من الضلال .

﴿ وَمَن يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾

(آل عمران / ١٠١)

وأعد الله له أرفع المنازل ، وأعلى الدرجات .

جعلنا الله ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه . أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب .

سر عظمة الرسول

صلى الله عليه وسلم

لفضيلة الشيخ
محمد صابر البرديسي

قال (صلى الله عليه وسلم) :

أنا النبى لا كذب أنا ابن عبد المطلب

(رواه الامام أحمد عن البراء « رضى الله تعالى عنه ») .

تمهيد

لو أردنا أن نتحدث عن شخصية محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ لوجدناه قد تفرد بشخصية امتازت بصفات لم تجتمع فى أحد فهو ـ صلى الله عليه وسلم ـ أعظم شخصية عرفها التاريخ وأكمل رجل عرفته الإنسانية على الإطلاق .

العالم قبل بعثته صلى الله عليه وسلم

كان العالم قبل بعثته ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى ظلمات من الزيغ عن الحق والانغماس فى الضلال والجهل ، يستوى فى ذلك الأمة العربية وغير العربية .

أما العرب فكانوا فى ظلمات من العقائد

الزائغة ، كانوا على ملل حائدة عن الصواب ، فمنهم الدهرية الذين لا يؤمنون بإله يدير العالم ، وينكرون البعث والحساب ، ومنهم الثنوية الذين يقولون بإلهية النور والظلمة ، ومنهم عبدة الأصنام . وكانوا فى ظلمات من المزاعم الساقطة . . كالاستقسام بالأزلام ، والتطير ، والتشاؤم بكثير من الأشياء . وكانوا فى ظلمات العادات المستهجنة والأعمال المنكرة ، كطوافهم بالبيت عراة ودسهم البنات فى التراب وهن أحياء ، وارتكاب الفاحشة ، وشن القتال لأتفه الأسباب .

وليس معنى ذلك أن أخلاق العرب كلها كانت مفاسد ، بل كان لهم مع هذه المساوىء مزايا ومفاخر كالكرم ، والشجاعة ، وإباء الضيم ، والوفاء بالوعد ، والطموح إلى المعالى ، بالإضافة إلى بلاغة القول ، وفصاحة اللسان ، وحسن البيان .

هذا شأن الأمة العربية ، أما الأمم غير العربية ، فمنها من كان على المجوسية كالفرس والبربر ، ومنهم من كان على البوذية كالهنود وأهل الصين ، ومنهم من كانوا على النصرانية ، ولكنهم بعدوا بها عن وجهها الصحيح كالروم ، وفى البيئة العربية البعيدة عن العلم ، والمتوغلة فى الضلال والجهل ولد سيدنا محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ .

نشأته ـ صلى الله عليه وسلم ـ

وُلد ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى أشرف بيوت العرب نسباً ، وأرفعها حسباً ، وهو بيت هاشم ابن عبد مناف .

نشأ ـ صلى الله عليه وسلم ـ يتيماً لم يشعر بعطف الأبوة ، فيرى الحنان الذى يفيض به الآباء على الأبناء ، وزاد يتمه بعد أن ماتت أمه بالأبواء [1] .

وقد تعهدت محمداً حياطة الله منذ أول لحظة حظى الوجود فيها بإشراق طلعته ، فكانت حياته منذ ولد إلى أن توفى حياة مشرقة مضيئة مملوءة بالمفاخر ، محفوفة بالمكارم .

نشأ نشأة جمع الله له فيها خصائص الفطرة الإنسانية فى أعلى مراتبها ، وأسمى درجاتها .

أبرز صفاته ـ صلى الله عليه وسلم ـ

سبق فى مشيئة الله تعالى أن يكون محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ رسول الله إلى الناس كافة ، فخصه بصفات تميز بها ، وكان قمة فيها ، وكانت أمثلة حية تحتذى .

(أ) ففى الكرم : كان أجود الناس ، وكان أجود من الريح المرسلة .

(ب) شجاعته : وكان فى شجاعته نموذجاً حياً لا يبارى ، أودع الله فى قلبه أعظم نصيب من الشجاعة فى مواطن الخطوب ، كان إذا اشتد الكرب ، وحمى الوطيس [2] ، واستولى الرعب والضيق على الناس كان ـ صلى الله عليه وسلم ـ مثابة الأمان للمسلمين ، وبطلاً يفوق كل الأبطال .

(١) قرية على بعد نحو ثلاثة عشر ميلاً من يثرب : المدينة المنورة ، .

(٢) الوطيس : حجارة مدورة إذا حميت لم يقدر احد ان يطاها ، وفى حديث (حنين) (الآن حمى الوطيس) ، ولم يسمع هذا الكلام من احد قبل النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهو من فصيح الكلام يعبر به عن اشتباك الحرب وقيامها على ساق

وأن مواقفه الخالدة فى الحروب ، وشجاعته النادرة فى المعارك ، وتصرفاته الحكيمة ، فى أحلك المواقف ، لما يرسم للقادة طريقهم ، ويضع لهم أسس القيادة المثلى .

قال على ـ كرم الله وجهه ـ : (وإنا كنا إذا حمى البأس واحمرت الحدق اتقينا برسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فما يكون أحد أقرب إلى العدو منه) .

(جـ) صدقه ـ صلى الله عليه وسلم ـ : وكان ـ صلى الله عليه وسلم ـ أصدق الناس حديثاً ، عرف بذلك بين أهله وعشيرته ، وكل من خالطه وبهذا اكتسب ثقة الناس به .

وحين أمره الله بالجهر بالدعوة نادى قومه ولما اجتمعوا له قال لهم : « يا معشر قريش : لو قلت لكم أن خيلًا بالوادى تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدقى ؟ قالوا : نعم ، ما جربنا عليك كذبا يا ابن عبدالله ، فقال لهم : إنى لرسول الله إليكم خاصة وإلى الناس كافة . فقال أبو لهب : تبا لك يا محمد ألهذا جمعتنا ، فنزل قوله تعالى :

﴿ تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ﴾

إن من يدعى الرسالة ، فقد ادعى ما لا يمكن للبشرية إدراكه ، ولو أن محمداً ـ صلى الله عليه وسلم ـ ادعى الرسالة بغير صدق لظهر أمره واستبان لمن اتبعه من ذوى العقول الكبيرة شىء مما يُبطل وينقص هذه الدعوى ، وقد استمر محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى دعوته نحواً من ثلاث وعشرين سنة ماضياً فى رسالته ، ولم يستطع أحد أن يقف على أثر يدله على أن محمداً غير صادق .

وخير دليل على صدقه أن الذين سارعوا إلى تصديقه ، وسبقوا إلى الإيمان بدعوته ، هم من لا يكادون يفارقونه كأبى بكر وغيره .

(د) رجاحة عقله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : رجاحة عقل النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ وكمال ذكائه ، وحكمة رأيه ، ليعده بذلك إلى أشرف مقام ، وهو مقام الرسالة ، وليفهم به الرسول مقاصد الوحى ، فيقوم ببيانها ، ويعرف أمور الجماعة فيحسن سياستها ، وقد كان محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ المثل الأعلى فى ذلك ، رجحان عقل ، وثقوب فكر ، وقوة بديهة ، فضلاً عما أفاضه من العلم ، وقرره من الشرع مع أميته ، ودون علم سابق .

يقول الربيع بن خثيم : (كان يتحاكم إلى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى الجاهلية ، ثم اختص بذلك فى الإسلام) .

(هـ) تواضعه ـ صلى الله عليه وسلم ـ : وتراه ـ صلى الله عليه وسلم ـ متواضعاً فى غير تصنع ، يخدم نفسه ، يخيط ثوبه ، وحاله مع المستضعفين يوم بدأ دعوته هو حاله بعد هجرته ، وبعد فتح مكة ، وانتصاره على أعدائه ، وخضوع أهل الشرك له ، ودخول الناس فى دين الله أفواجاً ، كان يجلس حيث ينتهى به المجلس ، ويعطى كل واحد من جلسائه نصيباً حتى لا يحسب جليسه أن أحداً أكرم عليه منه ، ولا يقطع عن أحد حديثه حتى يتجوزه ويخففه ، فيقطعه بانتهاء أو قيام ، وإذا استقبله الرجل فصافحه ، لا ينزع يده من يده حتى يكون الرجل ، هو الذى يصرف وجهه .

قال أنس بن مالك : « كان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أحسن الناس خلقاً ، وإن كان ليخالطنا حتى يقول لأخ صغير لى : « يا أبا عمير ما فعل النغير »[٣] .

(و) زهده ـ صلى الله عليه وسلم ـ : وكان

(٣) تصغير نغر ، اسم لنوع من الطير .

النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ زاهداً فى متاع هذه الحياة ، غير حافل بزينتها وملاذها ، وحين أقبلت عليه الدنيا بعد فتح مكة لم يتحول عن سيرته فى المأكل والمشرب والملبس وأثاث المنزل .

تقول عائشة ـ رضى الله عنها ـ : ما شبع آل محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ منذ قدم المدينة من طعام بُر ثلاث ليال حتى قبض[(٤)] .

وقالت : « كان فراش النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ من أدم حشوه من ليف »[(٥)] .

(ز) توحيده لله : لقد حبب إلى محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ الخلاء ، فكان يخلو « بغار حراء » فيتعبد فيه الليالى ، تاركاً مكة تنغمس فى الضلال ، حتى قالت العرب : (إن محمداً قد عشق ربه) ، وكان يجد فى نفسه ألماً لما عليه أهل مكة من ضلال ، وزيغ وعبادة أوثان كان مسلماً وجهه إلى الله ، مملوء القلب بالخشية ، وبعد أن نزل عليه الوحى كان موصول الهمة بالعبادة لله ، يقوم بالدعوة ، ويتقرب إلى الله بالذكر والصلاة والصيام وتلاوة القرآن .

روى الإمام البخارى عن المغيرة بن شعبة أنه قال : (إن كان النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ ليقوم ليصلى حتى ترم قدماه)[(٦)] فيقال له ، فيقول : « أفلا أكون عبدا شكورا » ؟

(ح) مشاركته فى شئون المجتمع : وقد شارك ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى شئون المجتمع الذى عاش فيه ، وتتطلب مشاركته له ، فقد حضر حرب الفجار ، ورمى فيها بأسهم ، وحضر حلف الفضول ، وقد قال عنه ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « ما أحب أن لى بحلف حضرته فى دار ابن جدعان حُمْرَ النَّعَمَ ، ولو دعيت به فى الإسلام لأجبت وهو حلف الفضول » .

(ط) مرحه ـ صلى الله عليه وسلم ـ :

ومن صفاته ـ صلى الله عليه وسلم ـ « المرح » ، فقد كان مرحاً تحس فى روحه الدعابة الحلوة الحانية .

كان زيد بن ثابت يعمل مع الصحابة فى غزوة الخندق ، ورأى الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ همته ونشاطه فقال : « أما أنه نعم الغلام » وحدث أن زيداً غلبته عيناه فنام فى الخندق ، فأخذ عمارة بن حزم سلاحه منه وهو لا يشعر ، ولما استيقظ زيد ولم يجد سلاحه فزع ، وعلم رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بفزعه فقال له : (يا أبا رقاد ، نمت حتى ذهب سلاحك) . . قال له : (يا أبا رقاد) تلك الدعابة الحلوة تخرج من فى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهو فى أحرج الظروف .

هذا هو بعض خلق رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأدبه الإلهى الذى أدب الله به رسوله ، قال أبو بكر ـ رضى الله عنه ـ وهو يحدث الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ .

لقد طفت العرب وسمعت فصحاءهم ، فما رأيت ، ولا سمعت مثلك أحدا ، فمن أدبك ؟

---

(٤) رواه البخارى .
(٥) رواه البخارى .
(٦) ترم = تنتفخ .

قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « أدبنى ربى فأحسن تأديبى » .

الإصـــلاح الـــذى حققـــه لأمتـــه صلى اللـــــه عليـــــه وسلـــم

ولقد تم على يديه ـ صلى الله عليه وسلم ـ إصلاحات عظيمة ، وحوادث ضخمة تؤكد عظمته ، ومن هذه الإصلاحات :

١ ـ توحيده الأمة العربية ، بعد أن كانت قبائل لا تؤلف بين عناصرها وحدة .

٢ ـ قضاؤه على الوثنية ، وإحلاله محلها (الدين الإسلامى) الذى يرفع الإنسان إلى مراتب السمو والكمال .

٣ ـ إحداثه إصلاحاً حول العرب من الفساد والانغماس فى الشهوات وضياع لحقوق المستضعفين ، إلى الأخلاق الفاضلة ، وعبادة الله وحده ، وتحقيق للعدالة الاجتماعية ، غير مفرق بين الضعفاء والأقوياء ، وجعل أساس التفاضل هو التقوى . . ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾ .

فجدير بنا أن ندرس أخلاق محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ ونتأسى بها ، وندعو إليها ، ونسير على هداها ، والله الهادى ومنه التوفيق .

محمد أشرف الخلق

لفضيلة الشيخ
السيد عبد المقصود عسكر

إن من يتتبع مسار حياة محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ ويتأمل فى مجرياتها ، من بدايتها إلى نهايتها ، يكتشف أن الله ـ تبارك وتعالى ـ حفظه ورعاه فى كل مراحل حياته ، قبل مولده ، وبعد مولده ، وفى شبابه ، وكهولته ، وفى تأديته لرسالة ربه على الوجه الذى كلفه به .

لقد حفظه الله ورعاه جنيناً ، وطفلاً رضيعاً ، ويتيماً فقيراً ، وذكره الله بنعمه عليه ، بعد أن بعثه رسولاً ، ورحمة إلى العالمين ، فقال سبحانه :

﴿ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ ۝٦ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ ۝٧ وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ ۝٨ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ۝٩ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ۝١٠ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ۝١١ ﴾

(الضحى ـ ٦ : ١١)

وأى منصف عاقل مجرد عن الهوى يتأمل حياة محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ يظهر له بوضوح أنه أشرف الخلق ، وأطهرهم ، وأنقاهم ، وأعظمهم ، وأتقاهم .

أما رعاية الله له قبل مولده : فإن الله قد اختار له خير الأصلاب ، وخير الأرحام ، وقد أجمع المؤرخون على أن نسبه الشريف ينتهى إلى سيدنا إسماعيل بن سيدنا إبراهيم ـ خليل الله عليهما السلام .

وقد روى عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ أنه قال : « خير العرب مضر . وخير مضر عبد مناف . وخير عبدمناف بنو هاشم ، وخير بنى هاشم عبدالمطلب والله ما افترقت فرقتان منذ خلق الله آدم إلا كنت فى خيرهما » .

ويشهد لهذا قول رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ « إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل ، واصطفى قريشاً من كنانة ، واصطفى

هـاشماً من قـريش ، واصطفـانى من بنى هاشم[1] » .

كما يشهد له قول رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « بعثت من خير قرون آدم قرناً فقرنا ، حتى بعثت من القرن الذى كنت فيه[2] » .

وكذلك قوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر [3] » .

وكما نجى الله ـ تبارك وتعالى ـ إسماعيل ـ عليه السلام ـ من الذبح ، وهو الجد الأكبر لمحمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ وفداه الله بذبح عظيم ، نجى الله عبد الله بن عبد المطلب ـ والد النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ من الذبح ؛ وفاء بنذر أبيه ، وفداه الله بمائة ناقة ، ذبحها عبدالمطلب ، وذلك لكى يؤدى مهمته ، التى خلق من أجلها ، وهى إنجاب محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ وقد توجه عبدالمطلب بابنه عبدالله إلى دار وهب بن عبد مناف ، وهو سيد بنى زهرة شرفاً ونسباً ، وزوجه من آمنة بنت وهب ، وكانت أفضل امرأة فى قريش نسباً وموضعاً وطهراً وكمالاً ، وما إن دخل بها حتى حملت ، ثم سافر فى قافلة التجارة ، ولم يعد حيث وافته المنية بعد أن وضع البذرة المباركة .

يروى ابن الجوزى ، وابن كثير قصة حمله وولادته ـ صلى الله عليه وسلم ـ كما يلى :

(لما حملت به آمنة بنت وهب كانت تقول : ما شعرت أنى حملت به ، ولا وجدت له ثقلاً ، كما تجد النساء . إلا أننى أنكرت رفع حيضتى . فأتانى آت ، وأنا بين النائم واليقظان ، فقال : هل شعرت أنك حملت ؟ فكأنى أقول ما أدرى . فقال : إنك حملت بسيد هذه الأمة ونبيها . وتقول : ثم أمهلنى حتى إذا دنت ولادتى أتانى ذلك الآتى فقال : قولى أعيذه بالواحد من شر كل حاسد) [4] .

وعند وضعه ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول ابن الجوزى : « قالت آمنة : لقد رأيت ليلة وضع رسول الله نوراً أضاءت له قصور الشام حتى رأيتها » [5] .

وفى رحلته الأولى إلى الشام وهو غلام مرافق لعمه أبى طالب ، فى قافلة تجارة أهل مكة ، مرت القافلة فى طريقها قريباً من صومعة راهب نصرانى يقال له : بحيرا ، وشاهد الراهب بعض الأمارات التى يعرفها ، وحينئذ صنع للقافلة طعاماً ، ودعاهم عنده . فلما حضروا إلى صومعته سألهم : هل تخلف منكم أحد ؟ قالوا : غلام . قال لهم : ادعوه فليحضر هذا الطعام . فلما حضر جعل بحيرا يتأمله ويناقشه ، ويدقق النظر فيه ؛ بحثاً عن علامات يعرفها ، ثم نظر إلى ظهره فرأى خاتم النبوة بين كتفيه الشريفتين . فسأل عمه : ما هذا الغلام ؟ قال : ابنى . قال الراهب : ما ينبغى أن يكون لهذا الغلام والدٌ حَىّ . قال : فإنه ابن أخى . قال بحيرا : فما فعل أبوه ؟ قال : مات وأمه حبلى فيه . قال بحيرا : صدقت . فارجع بابن أخيك إلى بلده ، واحذر عليه اليهود ، فوالله لئن رأوه وعرفوه ليبلغنه شراً . فإنه كائن لابن أخيك هذا شأن عظيم [6] .

---

(1) رواه مسلم .

(2) رواه البخارى فى باب صفة النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ .

(3) متفق عليه .

(4) الوفا بأحوال المصطفى جـ ١ ـ ص ٨٨ ، ٨٩ . والسيرة النبوية لابن كثير جـ ١ ص ٢٠٧ .

(5) الوفا جـ ١ ص ٩٤ .

(6) الكامل فى التاريخ جـ ٢ ص ٣٧ ، وسيرة ابن هشام .

ويروى : أن محمداً حضر سوق بصرى فباع سلعته ، التى خرج بها واشترى فكان بينه وبين رجل اختلاف فى سلعة . فقال له الرجل : أتحلف باللات والعزى ؟

فقال محمد ما حلفت بهما قط . وإنى لأمر بهما فأعرض عنهما . فقال الرجل : القول قولك ، ثم قال لميسرة ـ حين خلا به ـ : يا ميسرة هذا نبى ، والذى نفسى بيده إنه لهو هو . ويجده أحبارنا منعوتا فى كتبهم (٧) .

وروى عن على ـ رضى الله عنه ـ قال : سمعت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول : ما هممت بشىء مما كان فى الجاهلية يعملون به غير مرتين . كل ذلك يحول الله ـ تعالى ـ بينى وبين ما أريد . فإنى قلت مرة لغلام من قريش كان يرعى معى بأعلى مكة : لو أبصرت إلى غنمى حتى أدخل مكة فأسمر بها ما يسمر الشباب ؟ فقال : ادخل . فخرجت أريد ذلك حتى إذا جئت أول دار من دور مكة سمعت عزفاً بالدفوف والمزامير . فقلت : ما هذا ؟ قالوا فلان ابن فلان تزوج فلانة ابنة فلان فجلست أنظر إليهم فضرب الله على أذنى فنمت ، ماأيقظنى إلا مس الشمس ، قال : فجئت صاحبى . فقال : ما فعلت ؟ قلت : ما صنعت شيئا وأخبرته الخبر . قال : ثم قلت له ليلة أخرى مثل ذلك . فقال : افعل . فخرجت فسمعت حين جئت مكة مثل ما سمعت ودخلت مكة تلك الليلة فجلست أنظر . فضرب الله على أذنى فنمت ما أيقظنى إلا مس الشمس . فرجعت إلى صاحبى فأخبرته الخبر ثم ما هممت بعدها بسوء حتى أكرمنى الله بالرسالة (٨) .

ويعلق الإمام الماوردى على هذه الرواية فيقول : فهذه أحوال عصمته قبل الرسالة ، وصده عن دنس الجهالة ، فاقتضى أن يكون بعد الرسالة أعظم .

وهذا أبو سفيان بن حرب ـ قبل أن يسلم ـ لم يمنعه كفره بمحمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن يقول فيه الحق حين سأله عنه هرقل . وكان رسول الله قد أرسل رسالة إلى هرقل يدعوه مع قومه للدخول فى الإسلام . وكان هرقل قد رأى من الشواهد والأمارات ما يدل على ظهور النبى الجديد ، وأراد أن يزداد تثبتاً ويقيناً ، فأمر رجاله أن يأتوه بأحد من قوم محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ ووصلت فى تلك الحالة قافلة تجارة لأهل مكة فيهم أبو سفيان بن حرب .

فلما مثلوا بين يدى هرقل وحوله عظماء الروم سألهم : أيكم أقرب نسباً بهذا الرجل الذى يزعم أنه نبى ؟ فأجاب أبو سفيان : أنا أقربهم نسباً . فأدناه هرقل منه وجعل أصحابه خلفه عند ظهره ، وطلب منهم عن طريق المترجم إذا كذب أبو سفيان فى إجابته عن أسئلة هرقل أن يكذبوه .

قال هرقل لأبى سفيان : كيف نسبه فيكم ؟
فأجاب أبو سفيان قائلاً : هو فينا ذو نسب .
قال : هل قال هذا القول منكم أحد قط قبله ؟
قال أبو سفيان : لا .
قال : هل كان من آبائه ملك ؟ قال أبو سفيان : لا .
قال : فأشراف الناس يتبعونه أم ضعفاؤهم ؟
قال أبو سفيان : بل ضعفاؤهم .

(٧) دلائل النبوة لأبى نعيم جـ ١ ص ٥٤ ، والوفا جـ ١ ص ١٤٣ .

(٨) اعلام النبوة للماوردى ص ١٣٥ ، والسيرة الحلبية جـ ١ ص ١٤٥ ـ ١٤٦ .

قال : أيزيدون أم ينقصون ؟ قال أبو سفيان : بل يزيدون .

قال : فهل يرتد أحد منهم سخطة لدينه بعد أن يدخل فيه ؟ قال أبو سفيان : لا .

قال : هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال ؟ قال أبو سفيان : لا .

قال : فهل يغدر ؟ وهنا يتلوى أبو سفيان فى الإجابة ويقول : لا . ثم يضيف : ونحن فى مدة ـ أى عهد صلح ـ لا ندرى ما هو فاعل فيها .

قال : هل قاتلتموه ؟ قال أبو سفيان : نعم .

قال : فكيف كان قتالكم إياه ؟ فيقول أبو سفيان : الحرب سجال بيننا وبينه ينال منا وننال منه .

قال : بماذا يأمركم ؟ وبرغم أنف أبى سفيان يشرح مبادىء الإسلام ويقول : قال لنا اعبدوا الله وحده ولا تشركوا به شيئاً ، واتركوا ما يقول آباؤكم ، ويأمرنا بالصلاة والصدق والعفاف والصلة .

وبهذا ظهر الحق واضحاً لهرقل ـ وإن كان قد نكص على عقبه بعد أن شعر أن قومه سيتمردون ضده ، ولم يكن فى شجاعة النجاشى ملك الحبشة ولا فى مضاء عزيمته .

وبعدما سمع هرقل مقالة أبى سفيان قال له : سألتك عن نسبه . فذكرت أنه فيكم ذو نسب ، فكذلك الرسل تبعث فى نسب قومها .

وسألتك : هل قال أحد منكم هذا القول ؟ فذكرت أن لا . فقلت لو كان أحد قال هذا القول قبله لقلت رجل يتأسى بقول قيل قبله .

وسألتك : هل كان من آبائه من ملك ؟ فذكرت أن لا . قلت : فلو كان من آبائه من ملك . قلت رجل يطلب ملك أبيه .

وسألتك : هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال ؟ فذكرت أن لا . فقد كنت أعرف أنه لا يترك الكذب على الناس ويكذب على الله .

وسألتك أشراف الناس اتبعوه أم ضعفاؤهم ؟ فذكرت أن ضعفاءهم اتبعوه . وهم أتباع الرسل .

سألتك أيزيدون أم ينقصون ؟ فذكرت أنهم يزيدون . وكذلك أمر الإيمان حتى يتم .

وسألتك : أيرتد أحد سخطة لدينه بعد أن يدخل فيه ؟ فذكرت أن لا ، وكذلك الإيمان حين تخالط بشاشته القلوب .

وسألتك : هل يغدر ؟ فذكرت أن لا . وكذلك الرسل لا تغدر .

وسألتك بم يأمركم ؟ فذكرت أنه يأمركم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً . وينهاكم عن عبادة الأوثان ويأمركم بالصلاة والصدق والعفاف . فإن كان ما يقول حقاً فسيملك موضع قدمى هاتين . وقد كنت أعلم أنه خارج لم أكن أظن أنه منكم فلو أنى أعلم أنى أخلص إليه لتجشمت لقاءه ، ولو كنت عنده لغسلت عن قدمه [٩] .

وها هو رجل من علماء البوذية يقول عن محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ إنى لأجد فى رسول الإسلام خلالا وأخلاقاً جمة لم أرها مجتمعة فى تاريخ العالم الإنسانى لواحد فى آن واحد . فقد كان ملكاً دانت له أوطانه كلها يصرف الأمر كله بيد ربه . وتراه فى غنى عظيم تأتيه الإبل موقورة بالخزائن إلى عاصمته ، ويبقى هو مع ذلك محتاجاً لا يوقد فى بيت من بيوته نار لطعام طوال أيام كثيرة ، وتراه قائداً عظيماً يقود الجند القليل العدة الضعيف العدد فيقاتل بهم ألوفاً من الجند المدجج

(٩) انظر فتح البارى شرح صحيح البخارى جـ١ ص٣٥ ـ ٤١ .

بالأسلحة الكاملة ثم يهزمهم شر هزيمة . وتجده محباً للسلام ؛ مؤثراً للصلح . ويوقع شروط المعاهدة على القرطاس ، بقلب مطمئن ، وجأش هادىء ، ومعه ألوف من أصحابه كل منهم شجاع باسل ، وصاحب حماسة وحمية تملأ جوانحه . وتشاهد بطلاً شجاعاً يصمد وحده لألوف من أعدائه غير مكترث بكثرتهم ، وهو فى ذلك رقيق القلب . رحيم رءوف متعفف عن سفك نقطة دم .

وتراه مشغولاً بجزيرة العرب كلها ، بينما هو لا يفوته أمر من أمور بيته وأزواجه وأولاده ، ولا أمر من أمور الفقراء والمساكين ، ويهتم بأمر العالم كله ، وهو مع هذا متبتل إلى الله منقطع عن الدنيا فهو فيها وليس فيها لأن قلبه لا يتعلق إلا بالله وبما يرضى الله (١٠) .

هذا هو أشرف الخلق محمد - صلى الله عليه وسلم - كما عرفته الدنيا . وهذه أقوال المنصفين فيه ، وأما المغرضون من أصحاب الهوى الذين أعماهم التعصب ولم يروا الحقيقة الناصعة فقد تفننوا فى اختراع الأكاذيب وتلفيق الأباطيل ، وروجوا لها وتناقلتها أجيالهم وتلقفتها أوكارهم . وظنوا أن ترجمتها ونشرها فى لغات متعددة يمكن أن يشوه وجه الحقيقة الناصعة أو يطمس معالمها المشرقة » ، ونحن على ثقة من خذلانهم وكفران سعيهم لأن الله يقول - وقوله الحق :

﴿ يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴾

(التوبة : ٣٢)

وهؤلاء المبطلون يستخفون - غالباً - خلف شعارات الاستشراق ، أو البحث العلمى أو حرية الفكر ، وما هم بعلماء ولا أحرار لأن العلم أمانة يأبى الكذب والخيانة ، ولأن الحرية المسئولة تدعو إلى الإنصاف وتهدى إلى الرشاد . ومن هؤلاء « درمنجم » و« جيبون » و« موير » و« جاستون » ، وقد سار هؤلاء على منهج أستاذهم فى الإفك والافتراء الأب « لامانس » وتباروا فيما بينهم فى نسبة الاتهامات الباطلة إلى أشرف الخلق محمد - صلى الله عليه وسلم - وإلى الدين الذى جاء به .

ومن هؤلاء أيضاً الكاتب الفرنسى « ماكسيم رودنسون » الذى ألف كتاباً تحت اسم « محمد » ملأه بالافتراء والكذب والعدوان على الحقيقة وتلقفت أوكار التآمر على الحق هذا الكتاب فترجموه إلى الإنجليزية ، حتى يزداد انتشارا ثم جاء من ينشره بالإكراه بين الطلبة المسلمين ، فى الجامعة الأمريكية بالقاهرة عاصمة مصر الإسلامية ، مستغلاً نفوذه وسطوته على الطلاب ، لأنه أستاذ فى الجامعة فى هذا الزمن الردىء .

ولما فزع الطلاب مما قرأوه فى هذا الكتاب من كذب وبهتان ، لجأوا إلى إدارة الجامعة ، ولكن الإدارة لم تعر الأمر أى اهتمام ، ولم تتخذ أى إجراء . وبدا كأن الأمر مبيت بليل ، وأن الإدارة شريكة فى الكيد ، ومتواطئة مع الأستاذ ، وأن شعب مصر وحكومته لا يقبلون أن يهان دينهم ونبيهم . وأمارة ذلك أن الأمور لما وصلت إلى هذا الحد من الهجوم على الإسلام ونبى الإسلام فى عقر داره تحرك الناس ، وكتبت الصحافة مطالبة

---

(١٠) الرسالة المحمدية ص ٨٧ وما بعدها ، نقلاً عن بشائر النبوة الخاتمة للدكتور رءوف شلبى ص ١٧ .

باتخاذ موقف مناسب . وسرعان ما تحرك وزير التعليم العالى بغيرته المعهودة وحسه بنبض الجماهير المسلمة ـ فأمر بسحب الكتاب ومنع تدريسه . ونعم ما فعل . إن الشباب هم أعظم ثروة تملكها الأمة وتبديد هذه الثروة أو تدميرها هلاك للأمة كلها .

ونجد من حقنا أن نسأل هذا الأستاذ وإدارة جامعته لماذا اختار هذا الكتاب بالذات ليفرضه على أولادنا بالإكراه معرضاً صفحاً عن أمانة المسئولية وحسن الاختيار ؟

قد يقول أننى أريد أن أعلمهم حرية الفكر والقدرة على البحث والاطلاع على أفكار الأجانب . وحينئذ سنقول له ـ بناء على هذا ـ لماذا لم تكلفهم بدراسة كتاب : دراسة الكتب المقدسة فى ضوء المعارف الحديثة . لموريس بوكاى ، أو كتاب جارودى ، الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية ؟

أما ما ورد فى الكتاب المؤامرة من ترهات وأباطيل فإننا نجد أنفسنا مضطرين للرد عليها ـ وإن كانت تافهة ـ حتى لا نكون مقصرين فى حق ديننا وأمتنا ، وحتى ننتصف للحقيقة ، ونرد السهام إلى نحور المبطلين .

وقد يكون الرد على بعض ماجاء فى هذا الكتاب مما نشرته الصحف كافياً ؛ لبيان فساده ، وتهافت أفكاره ، وتفاهة كاتبه ، ومن تحمس له وفرضه على أولادنا فلذات أكبادنا ، وذلك ريثما تتاح لنا فرصة للرد على كل ما جاء فيه من أباطيل .

يقول الكاتب فى ص ٧٨ : (إن محمداً تزوج من السيدة خديجة كى يخرج من الفقر ، ويضمن مستقبلاً مزدهراً ، وأنه كان يعانى كبتاً ـ عقد نفسية ـ فى طفولته بسبب اليتم والفقر فتعلق بهذه الزوجة على الرغم من أنها لم تشبع نزواته الجنسية) .

إن من المعلوم لجميع المؤرخين والدارسين أن السيدة خديجة ـ رضى الله عنها ـ هى التى رغبت فى الزواج من محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ لما رأت من خلقه وفضله وأمانته ، وقد تقدم لخطبتها كثيرون قبله ، وكانوا من الأغنياء ورفضتهم جميعاً ، وفضلته عليهم ، وسعت إليه إحدى صديقاتها لترغبه فى التقدم إلى خديجة ليخطبها ، وقد كان وتم هذا الزواج المبارك الذى لا مكان فيه لطمع ولا جشع . ومن المعلوم من مسلك محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى حياته ، أنه لم يكن مهتماً بجمع المال ، والحصول عليه ، ولا بطلب الدنيا وزخرفها .

وأما حكاية النزوات الجنسية فلا مكان لها عند محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ بدليل أنه أمضى فترة شبابه كلها مع السيدة خديجة وحدها وهى تكبره سناً ، بما يزيد على خمسة عشر عاماً ، ولم يتزوج غيرها حتى ماتت ، وقد صار له من العمر أكثر من خمسين سنة ، فأين هذه النزوات الجنسية المفتراة ؟

وأما زواجه بعد ذلك بمن تزوج بهن من النساء ، فقد كان لكل زيجة حكمة تشريعية ، أو اجتماعية ، أو سياسية ، وكن فى غالبيتهن من الأرامل والعجائز .

وحكاية العقد النفسية المترسبة من فترة الطفولة بسبب الفقر واليتم ، حكاية لا أصل لها ، بدليل أن مسلكه فى حياته الخاصة والعامة ـ وكله مدون ـ يدل بوضوح على أنه كان مثلاً أعلى فى كل خلق كريم حتى استحق أن يمدحه الله ـ سبحانه ـ بقوله : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ (القلم : ٤)

وكيف يكون معقداً نفسياً من أقام دينا هو دين الحق وأنشأ أمة شهد لها الله بأنها خير أمة أخرجت

للناس ، ووصفه الدارسون المحايدون بأنه أعظم العظماء ؟

هل العلم الذى يدعيه هؤلاء الأفاقون يقول إن كل من نشأ يتيماً وفقيراً لابد أن يكون معقداً نفسياً ؟ أم أن تلك التهمة أعدت خصيصاً فى أوكار التآمر ، ونسبت إلى سيد الخلق محمد - صلى الله عليه وسلم - ؟ إن هذا لبهتان عظيم .

ويحاول الكاتب فى ص ١١٥ وما بعدها تأكيد أن القرآن الكريم من تأليف محمد واختراعه ، وأن آياته تتبع هوى محمد ، فجاءت الآيات تواسيه فى زواجه من خديجة فقالت :

﴿ وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ ﴾
(الضحى : ٤) .

ويمضى الكاتب على هذا النسق فيقول فى ص ١٦٢ : إنه فى آخر الرسالة أصبحت لغة القرآن أقل عصبية وأكثر هدوءا ، ونمضى مع الكاتب على مضض فنجده يقول فى ص ٢٥١ : إن السور التى نزلت فى المدينة تغير مضمونها ، وأصبح القرآن شبه جريدة يومية تنشر فيها التعليمات الخاصة بالقوات والأحكام الخاصة بالنظام الداخلى للدولة .

وفى وصفه للقرآن يقول : إن هذا النثر الذى صيغ به القرآن مملوء بالتكرار والأخطاء اللغوية .

وينسى الكاتب ما قاله فى هذه الفقرة ، ويقع فى التناقض حين يقول فى ص ٣٣٨ : لقد بقى القرآن بعد محمد ، هو نتاج عقله الباطن ، الذى ابتدع نوعاً غريباً من الشعر .

والزعم بأن القرآن من تأليف محمد زعم واضح البطلان . لأنه كتاب عربى مبين والعرب هم أرباب الفصاحة والبلاغة . وكانت لهم محافل يتبارون فيها فى الشعر . ويقوم الحكام باختيار الفائزين ومنحهم الجوائز . ومن بين هذه الجوائز أن تعلق القصيدة الفائزة فوق أستار الكعبة . ولم يؤثر عن محمد قبل البعثة أنه غشى هذه المحافل واشترك فيها أو نظم قصيدة قط ، ولهذا قال الله عن محمد وعن القرآن المنزل عليه من عند الله

﴿ وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنبَغِي لَهُ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُّبِينٌ ﴿٦٩﴾ لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ (يس : ٦٩ ، ٧٠)

وإلى هذا المعنى يشير أيضاً قول الله تعالى :

﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ ۙ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَٰذَا أَوْ بَدِّلْهُ ۚ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِن تِلْقَاءِ نَفْسِي ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ ۖ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾ قُل لَّوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَاكُم بِهِ ۖ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾

(يونس : ١٥ ، ١٦)

ولما تلا محمد عليهم القرآن ودعاهم إلى عبادة الله وحده كذبوه ورفضوا دعوته ، فتحداهم بالقرآن أن يأتوا بمثله أو بعشر سور مثله أو بسورة واحدة من مثله فعجزوا عن ذلك عجزاً تاماً .

وفى هذا يقول الله تعالى :

﴿ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ۖ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴾ (البقرة : ٢٣ ، ٢٤)

ومن أمارات عجزهم هذا القول الذى صدر من أحد زعمائهم « لقد سمعت من محمد كلاماً لا هو من كلام الإنس ولا من كلام الجن . وإن له لحلاوة وإن عليه لطلاوة . وإن أعلاه لمثمر وإن أسفله لمغدق وإنه يعلو وما يُعلى عليه » .

فعجزهم المعترف به منهم دليل على أنه من كلام الله ـ عز وجل ـ وليس من كلام البشر . يقول الله تعالى :

﴿ وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٩٢ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ ١٩٣ عَلَىٰ قَلۡبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُنذِرِينَ ١٩٤ بِلِسَانٍ عَرَبِيّٖ مُّبِينٖ ﴾
(الشعراء : ١٩٢ : ١٩٥)

روى أن الوليد بن المغيرة جاء إلى النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقرأ عليه القرآن ، فكأنه رق له ، فبلغ ذلك أبا جهل بن هشام فأتاه فقال : أى عم إن قومك يريدون أن يجمعوا لك مالاً . قال : لم ؟ قال : يعطونكه فإنك أتيت محمداً تعرض لما قبله . قال : قد علمت قريش أنى أكثرها مالاً . قال : فقل فيه قولاً يعلم قومك أنك منكر لما قال وأنك كاره له ، قال : فماذا أقول فيه ؟ فو الله ما منكم رجل أعلم بالأشعار منى . ولا أعلم برجزه ولا بقصيده ولا بأشعار الجن ، والله ما يشبه الذى يقول شيئاً من هذا . والله إن لقوله الذى يقول لحلاوة وإنه ليحطم ما تحته . وإنه ليعلو وما يعلى ، قال أبو جهل : والله لا يرضى قومك حتى تقول فيه . قال : فدعنى حتى أتفكر فيه . لما فكر . قال : إن هذا إلا سحر يؤثر عن غيره . وفيه نزل قول الله تعالى :

﴿ ذَرۡنِي وَمَنۡ خَلَقۡتُ وَحِيدٗا ١١ وَجَعَلۡتُ لَهُۥ مَالٗا مَّمۡدُودٗا ١٢ وَبَنِينَ شُهُودٗا ١٣ وَمَهَّدتُّ لَهُۥ تَمۡهِيدٗا ١٤ ثُمَّ يَطۡمَعُ أَنۡ أَزِيدَ ١٥ كَلَّآۖ إِنَّهُۥ كَانَ لِأٓيَٰتِنَا عَنِيدٗا ١٦ سَأُرۡهِقُهُۥ صَعُودًا ١٧ إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ١٨ فَقُتِلَ كَيۡفَ قَدَّرَ ١٩ ثُمَّ قُتِلَ كَيۡفَ قَدَّرَ ٢٠ ثُمَّ نَظَرَ ٢١ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ٢٢ ثُمَّ أَدۡبَرَ وَٱسۡتَكۡبَرَ ٢٣ فَقَالَ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا سِحۡرٞ يُؤۡثَرُ ٢٤ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا قَوۡلُ ٱلۡبَشَرِ ٢٥ سَأُصۡلِيهِ سَقَرَ ٢٦ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا سَقَرُ ٢٧ لَا تُبۡقِي وَلَا تَذَرُ ٢٨ لَوَّاحَةٞ لِّلۡبَشَرِ ٢٩ عَلَيۡهَا تِسۡعَةَ عَشَرَ ﴾

(المدثر : ١١ : ٣٠)

هذا هو موقف العرب من القرآن ، وموقف القرآن منهم كذبوه وتحداهم فعجزوا . ومع هذا لم يستطع واحد منهم أن يقول عنه إن فيه أخطاء لغوية ولو وجدوها لكانت فرصتهم التى لا تعوض لكى يشهروا به ، وينتقصوا قدره : فكيف يأتى الأعاجم الذين لا يفهمون لغة العرب ليرددوا هذا اللغو والبهتان . إنه التجنى الواضح ، والكذب الصراح .

ثم إن هذا الكاتب تناقض مع نفسه فهو يصف القرآن فى موضع بأنه نثر ملىء بالأخطاء ، وفى موضع آخر يصفه بأنه نوع غريب من الشعر .

ومن المعروف فى لغة العرب أن هناك فروقاً جوهرية بين النثر والشعر .

ولماذا يواسى القرآن محمداً فى زواجه من خديجة ؟ هل تزوجها مكرها ؟ أم كانت قبيحة الخَلق أو الخُلق ؟ لم يكن هناك شىء من ذلك على الإطلاق ، وقد ظل رسول الله محبا لها ووفيا لها حتى بعد مماتها وبعد أن تزوج بغيرها ، ثم ما هى العلاقة بين زواجه من السيدة خديجة ـ رضى الله عنها ـ وبين الآية التى حشرها الكاتب فى الموضوع حشراً وهى قول الله تعالى :

﴿ وَلَلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لَّكَ مِنَ ٱلۡأُولَىٰ ﴾
(الضحى : ٤) .

مع أن المقصود بهذه الآية كما يقول الإمام ابن كثير فى تفسيره : « أى وللدار الآخرة خير لك من هذه الدار ، ولهذا كان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أزهد الناس فى الدنيا ، وأعظمهم لها إطراحاً كما هو معلوم بالضرورة من سيرته ، ولما خير عليه السلام فى آخر عمره بين الخلد فى الدنيا إلى آخرها ثم الجنة وبين الصيرورة إلى الله

ـ عز وجل ـ اختار ما عند الله على هذه الدنيا الدنية . ثم نقل عن الإمام أحمد أن ابن مسعود ـ رضى الله عنه ـ قال : اضطجع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ على حصير فأثر فى جنبه . فلما استيقظ جعلت أمسح جنبه وقلت : يا رسول الله ألا آذنتنا حتى نبسط لك على الحصير شيئا ؟ فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « ما لى وللدنيا . إنما مثلى ومثل الدنيا كراكب ظل تحت شجرة ثم راح وتركها » (١١) .

ولو كان الكاتب معنياً بالبحث العلمى النزيه لعرف أن السور القرآنية التى نزلت بمكة كانت تتميز بمزايا غير المزايا التى تتميز بها السور التى نزلت بالمدينة المنورة لاختلاف المراحل والظروف التى تمر بها الأمة ، ففى مكة كانت السور تتنزل لتأسيس العقيدة الصحيحة وتثبيتها فى القلوب ، ولتكوين الصفوف المؤمنة الواثقة بوعد الله المتسامية فوق متاع الدنيا والمتطلعة إلى ما عند الله فى الآخرة كما كانت السور معنية ببيان بطلان عبادة الأصنام .

وأما فى المدينة حيث قامت الدولة الإسلامية بعد نجاح التربية فى المرحلة السابقة ، فقد عنيت السور القرآنية التى نزلت بالمدينة ببيان الأحكام المنظمة لشئون الدولة داخلياً وخارجياً . سياسياً واقتصادياً واجتماعياً .

ولم يكن هناك اختلاف أبداً بين سور القرآن كلها من حيث الفصاحة والبلاغة ، ولا من حيث وحدة الأهداف العامة والغايات التى نزل القرآن لتحقيقها . وفى القرآن الكريم بيان شاف لتلك الأهداف والغايات .

يقول الله تعالى :

﴿ الٓر كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ۝١ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَوَيْلٌ لِّلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴾

(إبراهيم : ١ : ٢)

ويقول الله تعالى :

﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ ۚ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ۝١٥ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ (المائدة : ١٥ : ١٦)

ولم تكن سور القرآن الكريم أبداً كالجرائد اليومية أو الأسبوعية أو غيرها . لأن القرآن هو الكتاب الوحيد الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .

ثم إن هذا الكاتب يقول فى ص ١٥١ : إن قصص القرآن ما هى إلا ترديد لما تعلمه محمد وسرقه من الأديان السابقة ، ومن الكتب اليهودية .

ومن جانبنا فنحن نرضى بتحكيم العقلاء من الناس فى بحث هذه الفرية ولا نطالب بأكثر من عقد مقارنة يسيرة بين أى قصة من قصص الأنبياء كما جاءت فى القرآن الكريم وبين ذات القصة كما وردت فى التوراة . وسوف يرى الجميع الفرق واضحاً وجليا بين ما تزعمه التوراة المحرفة من نسبة فعل المعاصى الشنيعة وارتكاب المنكرات القبيحة إلى الأنبياء الكرام حتى يظن القارىء أنهم أحط خلق الله مع أنهم أعظم الخلائق شأناً عند

---

(١١) رواه الترمذى وابن ماجه وقال الترمذى حسن صحيح .

الله . وبين ما جاء عنهم فى القرآن الكريم من الإجلال والتكريم والاحترام بحكم أنهم أئمة الهدى وقيادات الإصلاح حتى لقد وضعهم القرآن الكريم فى موضع القدوة لمحمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ لأنه على دربهم يسير .

فقال الله سبحانه :

﴿ ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ (النحل : ١٢٣)

وبحكم هذا الاتباع والاقتداء بإبراهيم خليل الله جعل الله محمداً ومن آمن بدعوته أولى الناس بإبراهيم من كل الذين زعموا الانتماء إليه . فقال الله سبحانه :

﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوْرَىٰةُ وَٱلْإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٥﴾ هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾ مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٦٧﴾ إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِىُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾

(آل عمران : ٦٥ : ٦٨)

وعندما ذكر القرآن الكريم العديد من أنبياء الله ورسله فى آيات من سورة الأنعام ، وأحاطهم جميعاً بالتقديس والتعظيم عقب على هذا بقول الله تعالى :

﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ۚ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا۟ بِهَا بِكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ۗ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَٰلَمِينَ ﴾

(الأنعام : ٨٩ ، ٩٠)

فأين هذا مما ذكرته التوراة عنهم من أنهم ـ معاذ الله ـ لصوص وزناة وسارقو أعراض المحارم وشاربو خمور وغير ذلك من الجرائم التى نبرأ إلى الله من نسبتها إليهم .

فكيف يأتى من يقول : إن محمداً نقل قصص الأنبياء وسرقها من التوراة وبين التوراة والقرآن هذا التناقض الواضح الصريح ؟

إن البضاعة التى فى التوراة فاسدة ، وما فى القرآن صالح مصلح فكيف يكون هذا مسروقاً من ذلك ؟ ألا يوجد شىء من العقل ؟

ثم إن ما فى القرآن من قصص الأنبياء هو اللائق بمكانتهم ووظيفتهم لأن الله اختارهم واصطفاهم لهداية الناس إلى صراط الله المستقيم وتجريحهم عدوان على الله تبارك وتعالى .

ومن المؤكد أن محمداً النبى الأمى لم يكن له علم بما فى كتب أهل الكتاب من حق أو باطل . وأن الله هو الذى علمه كما قال سبحانه :

﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾

(الشورى : ٥٢)

ومما يؤكد هذا المعنى بالإضافة إلى الواقع المعروف ما جاء فى تعقيب القرآن الكريم على بعض قصص الأنبياء حيث يقول الله تعالى :

﴿ تِلْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَآ إِلَيْكَ ۖ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا ۖ فَٱصْبِرْ ۖ إِنَّ ٱلْعَٰقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ (هود : ٤٩)

وها قد انكشف الغطاء وسقطت الأقنعة . وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون . والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون .

رسول الإسلام

راعى الغنم الذى يفخر به العالم والإنسانية على امتداد عصور التاريخ

للأستاذ الدكتور : محمد عبد المنعم خفاجى

إنها عظمة التاريخ .

إنها عظمة الذات .

إنها عظمة الله يهب جانبا منها لمن اصطفاه من خلقه ـ وخصه برسالته ـ بل بأعظم رسالات السماء إلى الأرض ـ وإلى الدنيا كافة ـ وإلى الخلق أجمعين .

وهل أتاك حديث راعى الغنم الصغير اليتيم ـ محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم ابن عبد مناف ؟ الذى رعى الغنم ـ ثم رعى الإنسانية كلها ، والدنيا بأسرها ، والشعوب كافة منذ بعثه الله برسالته إلى اليوم ، وإلى مابعد اليوم حتى تقوم الساعة .

إنه هذا الراعى المتألق الوجه ، المبتسم الثغر ، المضىء الأسارير ، الذى أورثه نسبه حسبا على حسب ، وشرفا على شرف ، وعزة فوق عزة ، والذى فقد حنان الأب ، ولكنه لم يفقد الشخصية حتى فى يتمه ، وحتى مع صغر سنه ، بل ازداد جلالا فوق جلال ، وعاش رجلا فى ثياب طفل يفخر به الأطفال والرجال جميعا .

هل أتاك حديث هذا الراعى الصغير ، يرعى قطيعا من الغنم فى صحارى مكة ووديانها ، والعصا على كتفيه ، والبشر فى وجهه ، والسماء قبلته ، والله -جل جلاله- فى قلبه وروحه ووجدانه وأعماق مشاعره ، هو نشيده وتسبيحه وابتهالاته ونجواه ؟

الدنيا كلها من حوله ترنو إليه ، والملأ الأعلى يحوطه بالرعاية ، والسماء تضىء شعاب قلبه وروحه .

يالعظمة الراعى ، ويالجلال الطفولة ، ويالروعة الإنسان ، ويالعبقرية الشخصية .

محمد بن عبد الله ، الذى عاش فى ديار بنى سعد نحو أربع سنوات فى بيت مرضعته حليمة السعدية ، ثم عاد إلى مكة ، وإلى والدته السيدة آمنة ، وإلى رعاية جده عبد المطلب تشمله عين الله ، والذكريات والأحساب والعراقة ، بالرعاية والمجد والجلال ، وتحوطه عناية الخالق القادر بالعزة من كل جانب .

وتموت أمه وهو فى السادسة من عمره بالأبواء بين مكة والمدينة ، ولما بلغ الثامنة من عمره توفى جده عبد المطلب نحو عام ٥٧٩م ، وتولى رعايته من بعده عمه أبو طالب ، وحين بلغ العاشرة من عمره كان قد تفتح شبابه ، واستقام عوده ، ولاحت عليه مخايل الرجولة المبكرة الخالدة ، فأخذ يسير فى طريق الجد والعمل ، وحين أراد أقرانه أن يسمروا ذات ليلة ، وأن يأخذوه معهم أخذه سبات طويل .

ويقول صلوات الله عليه : لقد رأيتنى فى غلمان قريش ننقل حجارة لبعض ما يلعب به الغلمان ، كلنا قد تعرى وأخذ إزاره فجعله على رقبته يحمل عليه الحجارة ، فإنى لأقبل معهم كذلك وأدبر ، إذ لكمنى لاكم ماأراه « لكمة شديدة » ، وقال لى : شد عليك إزارك .

إنها تربية السماء ، وعين الله ترعاه .

ويقول ابن الجوزى : كان رسول الله فى زمن الصبا يبغض الأصنام ، ولا يلتفت إليها ، وكان أهله يسألونه أن يخرج معهم إلى ناحيتها ، فلا يفعل ولا يقرب منها -ويعيبها- (الوفا ١/١٣٨) .

وعن ابن عباس[1] عن أم أيمن قالت : كان « بوانة » صنما يحضره قريش يوما فى السنة ، وكان أبو طالب يحضره مع قومه ، وكان يكلم رسول الله أن يحضر ذلك العيد مع قومه - فيأبى - حتى رأيت أبا طالب غضب عليه ، ورأيت عماته غضبن عليه يومئذ أشد الغضب ، وجعلن يقلن يامحمد إنا نخاف عليك مما تصنع من اجتناب آلهتنا ، فلم يزالوا به حتى ذهب ، فغاب عنهم ما شاء الله ، ثم رجع إلينا مرعوبا فزعا ، فقالت عماته : مادهاك ؟! قال : إنى أخشى أن يكون بى لمم ، فقلن : ما كان الله ليبتليك بالشيطان ، وفيك من خصال الخير ما فيك ، ما الذى رأيت ؟ قال : إنى كلما دنوت من صنم منها تمثل لى رجل أبيض طويل يصيح بى : وراءك يامحمد لا تمسه ، قالت : فما عاد إلى عيد لهم .

ويقول الدكتور رءوف شلبى فى كتابه « بشائر النبوة » ص ٢٣٨ نقلا عن كتاب « محمد المثل الكامل » لمحمد جاد المولى ص ١٢ وهو ما ذكره صاحب كتاب « الوفا » « ج ١ ص ١٣٩ » :

« لم يكن محمد فى نشأته جاريا على المألوف فى الصبيان من تأثر عقولهم ونفوسهم بما يرون ،

---

(١) ٢٣٩ بشائر النبوة الخاتمة - د. رءوف شلبى - مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر .

ويسمعون ويحسون فى بيئتهم ، ولكن عناية الله قد تكفلت بتربيته ، فنشأ على أكمل ما تتحلى به النفوس من جميل الصفات » .

كان صلوات الله عليه فى طفولته إنسانا كبير العقل ، رزين الشخصية ، عظيما فى سلوكه ، ينشد الحنيفية دين إبراهيم ـ عليه السلام ـ ويمشى على نهجها ، كان معدا لرسالة عظمى يبلغها قومه والناس أجمعين .

●●●●●

فى هذه السن المبكرة بدأت رحلته مع رعى الأغنام ، ومع التأمل ، ومع جوب الصحراء ، ومع التفكير العميق .

رعى الغنم مهمة يسيرة عسيرة ، وعمل شاق سهل ، ومسئولية كبيرة وغير كبيرة . . ولكنه تربية ومدرسة من مدارس الحياة ، وتهذيب للنفس ، وتعويد لها على تحمل الأمانة ، والنهوض بالمسئولية ، والتفكير بعقل الإنسان المسئول عن حياته ، الذى يحمل على كاهله أعباء الراعى الأمين ، والإنسان المسئول ، ورجل المهمة الصعبة .

هل كان رعى الرسول الأكرم للغنم عن فقر ؟؟ لا أجد سندا لذلك ، ولكنه كان حبا فى استقلال الشخصية ، وتعود المسئولية ، والحياة مع الطبيعة والكون والوجود . . وكان كذلك نشدانا للسعادة الروحية .

يقول رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « مامن نبى من الأنبياء إلا رعى الغنم » فقال له أصحابه : وأنت يارسول الله ؟ قال : « نعم كنت أرعاها على قراريط لأهل مكة »[1] .

ورعى الغنم ليس عمل مهانة وخضوع وفقدان شخصية ، بل إنه بعكس ذلك تماما تربية للشخصية وإعزاز لها .

ويروى ابن الجوزى عن أبى هريرة عن الرسول ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ :

« مابعث الله نبيا إلا رعى الغنم » ـ قال أصحابه : وأنت ؟ قال : نعم ـ كنت أرعاها على قراريط لأهل مكة ـ انفرد بإخراجه البخارى[2] ـ قال السهيلى فى « الروض الأنف » : وإنما جعل الله هذا فى الأنبياء تقدمة لهم ليكونوا رعاة الخلق ـ ولتكون أممهم رعاياهم[3] .

وقال ابن عقيل : لما كان الراعى يحتاج إلى سعة خلق وانشراح صدر ـ وكان الأنبياء معدين لإصلاح الأمم حسن هذا فى حقهم[4]

●●●●●

لقد كان مجتمع مكة آنذاك ـ أى فى الربع الأخير من القرن السادس الميلادى ـ مجتمع الصفوة من الأغنياء والمترفين ، والتجار ، الذين يعملون فى الرحلات التجارية بين مكة والشام واليمن ، ويبيعون ويشترون ، وتتدفق عليهم الأموال والأرباح من كل جانب .

وكانت الحياة فى هذا المجتمع تورث الإنسان السأم والملل ، من الترف ، الذى يعيشه الأبناء ـ ويعيشه معهم الآباء جميعا ؟ وكان الفرار منه إلى

---

(١) ويروى ابو هريرة رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ مابعث الله نبيا إلا رعى الغنم ـ قال له اصحابه : وانت يارسول الله ؟ قال : وانا رعيتها لاهل مكة بالقراريط ، والقراريط : اجزاء من الدراهم او الدنانير ـ وقيل هى لموضع (دلائل النبوة ٥٥ ج ١ ـ والسيرة الحلبية ١/ ١٥٠ ـ وفتح البارى ٣٤٧/٥) ـ والوفا ج ١ ص ١٤٢ .

(٢) راجع : البخارى باب رعى الغنم على قراريط ـ ابن كثير ١ ص ٢٦٥ ـ الوفا ١ : ١٤٢ .

(٣) الروض الانف ١١٢/١ ـ وراجع الطبقات الكبرى لابن سعد ١٢٥/١ .

(٤) الوفا ١٤٢/١ .

الحياة الطلقة الهادئة البسيطة إنقاذا كبيرا للنفس الإنسانية حتى لا تلوثها المادة بكل رغباتها وتطلعاتها الجامحة ـ وكان كذلك طلبا للطمأنينة والسعادة والراحة النفسية العميقة .

وكما رعى رسول الله ـ صلوات الله عليه ـ الغنم فى ديار بنى سعد طفلا صغيرا رعاها فى مكة طفلا كبيرا .

وكان الرسول الأكرم ـ أو قل : كان الطفل الشاب الرجل ـ محمد بن عبد الله يجد فى رعى الغنم متعة وأية متعة ، فهو يصله بالسماء وبالله ، وبالكون العظيم ، وهو يحرر فكره من الجمود ، ويحرر عقله من التقاليد ، ويحرر حياته من التبعية .

وانظروا إلى خبر صغير نشرته « أخبار اليوم » الصادرة فى ١٠ من مايو ١٩٩٧ ، يقول هذا الخبر بعنوان « السعادة فى رعى الغنم » ـ « يلجأ الكثير من الشباب الألمانى إلى عالم الأحلام ـ مديرين ظهورهم لعالم الواقع ـ على أمل العودة إلى الحياة البسيطة فى رعى الأغنام ـ إذا ما أخفق الواحد منهم فى قصة حب ، أو أصابه السأم من السباق المحموم على الدرجات العلمية فى الجامعة ـ وتقول ماريا ايبر سبرجر ، وهى زوجة لراعى غنم يدعى ايبرسبرجر : أنها تتلقى مكالمات هاتفية كثيرة من طلاب أصابتهم الحياة العصرية بالتوتر ـ برغبتهم فى الفرار منها إلى حياة رعاة الغنم البسيطة التى لا تحتاج إلا إلى كلب أمين ، وقطيع من الأغنام .

إن هذا الشعور من الشباب اليوم هو شعور الشباب بالأمس ، شباب مكة الملولين من حياة الترف والمادة التى يعيش فيها إشراف مكة من قريش وأبناؤهم وبيوتهم ـ والراغبون فى الحياة مع الطبيعة ـ ببساطتها وسهولتها ، وقلة حاجاتها واكتفائها بالضروريات من أمور العيش .

ووجد شباب الأنبياء والمرسلين فى رعى الغنم ؛ تجديدا لنفوسهم وأرواحهم ، ولصلتهم بالله الأعلى ، وبالسماء وروحيتها ، وبالكون المملوء بأسرار الله ومعجزاته وجلاله ، وآثار قدرته .

ووجد رسول الله ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ فى رحلته مع قطعان الغنم يرعاها فى شعاب مكة صلة وثيقة له بالله وبالإيمان وبشريعة التوحيد ، شريعة جده الأعلى إبراهيم ، وجده الأوفى إسماعيل .

يالمجد هذه الشعاب الطاهرة التى مشى فيها سيد الأنبياء فى أوائل سن شبابه يرعى الغنم ، يذود عنها الذئاب والكلاب الضالة ، يقودها إلى نبات الكلأ والعشب ، ويحوطها بمنسأته الحنون بالرعاية والتدبير .

الشعاب الجدباء تحولت إلى مراع ترعى فيها قطعان الغنم ، التى يرعاها ابن عبد الله بن هاشم ابن عبد مناف بن قصى ، والأغنام العجاف صارت برعايته لها وحدبه عليها ، سمانا مكتنزة باللحم والشحم ، ونفس محمد تتألق فى جوانبها أضواء الإيمان والطهر والتوحيد ، والطمأنينة والسكينة والابتهال والمناجاة للخالق العظيم .

●●●●●

وحين شب محمد وبلغ من القوة مبلغه ورأيناه وهو فى نحو الثالثة عشرة من عمره يخرج مع عمه أبى طالب فى قوافل قريش التجارية إلى الشام ،

فاتسعت رحلته من شعاب مكة إلى أرض الشام ، ومدن « بصرى » وتبوك وغيرهما ، ثم وهو يعمل فى قوافل التجارة مستقلا يتاجر فى مال خديجة سيدة نساء قريش ، ومحمد فى ذلك - أيضا - يحمل المسئولية - ويتأمل الكون العظيم - ويفكر بعقله : هذا خلق الله فأرونى ماذا خلق الذين من دونه

﴿ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ (لقمان - ١١)

وكان ذلك كله وصلا له بفكر التوحيد ، وإخلاص النفس لله وحده ، لا شريك له ، ولا إله سواه .

لقد أسلم محمد فى كل أطوار حياته وجهه لله عز وجل ، وأيقن أن التوحيد - وهو رسالة جده الأعلى إبراهيم - عليه السلام - يجب أن يعود إلى الأرض ، وإن الإيمان هو سر سعادة الإنسان ، وهو الدواء لكل أمراض الإنسانية ، وهو البلسم الشافى لكل أدواء المجتمعات البدوية ، والمتحضرة معا على السواء .

وفى البيان الأول الذى ألقاه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - على قومه فى مكة برسالته إلى الناس كافة ، بعد أن أمره الله - عز وجل - بأن ينذر قومه ، ويبلغهم رسالة الله ، بقوله - عز وجل -

﴿ قُمْ فَأَنذِرْ ﴾ (٢/المدثر) ،

وقوله تعالى : ﴿ فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ ۝ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾ (٢١٣/ ٢١٤ الشعراء) ،

فخرج - صلوات الله وسلامه عليه - إلى الصفا ونادى عشائر قريش بطنا بطنا ، فلما اجتمعوا بدأهم بالحديث عما يقرون جميعا به ، وأنهم يصفونه أمس واليوم بالصادق الأمين ، فقال لهم : أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلا بالوادى تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدقى ؟ قالوا : نعم .. ما جربنا عليك كذبا ، فقال لهم : إنى نذير لكم بين يدى عذاب عظيم ، فرد عليه عمه عبد العزى

(أبو لهب) : تبا لك ألهذا جمعتنا ؟ وانصرفوا عنه ، فنزلت فى إثر ذلك سورة الفاتحة .

أقول : فى هذا البيان الأول برسالة محمد - صلوات الله وسلامه عليه - نداء لقريش بالإيمان بالله وتوحيده ، وبالكفر بآلهتهم من الأصنام والأوثان التى يعبدونها من دون الله ، والرجوع إلى الله ، والخوف من عذابه الشديد ، وكان - صلوات الله وسلامه عليه - حريصا على إيمان الناس جميعا بالله ، وعلى إقرارهم بتوحيده ، وتنزيهه عن الشريك والصاحبة والولد .

وفى حديثه - صلوات الله وسلامه عليه - مع عمرو بن عنبسة السلمى[1] ما يكشف لنا عن دعوته ورسالته ، وكان عمرو كما يقص علينا صاحب « السيرة الحلبية » قد رغب عن آلهة قومه فى الجاهلية ، فلقى رجلا من أهل تيماء من أهل الكتاب ، فقال له : إنى امرؤ مكروه ممن يعبدون الحجارة - فقال له : يخرج من مكة رجل يرغب عن آلهة قومه ، ويدعو إلى غيرها فاتبعه فإنه يأتى بأفضل الدين .

يقول السلمى : فلم يكن لى همة منذ قال ذلك إلا مكة آتى فأسأل : هل حدث حدث ؟! فيقال

(١) ص ٩٥ بشائر النبوة الخاتمة - د/رءوف شلبى من سلسلة مجمع البحوث الإسلامية ١٩٨٨م .

لى : لا فارجع ، ثم قدمت مرة فسألت ، فقيل لى : حدث ، رجل يرغب عن آلهة قومه ، ويدعو إلى غيرها .

فشددت له راحلتى ، ثم قدمت منزله الذى كنت أنزله بمكة ، فسألت عنه ، فوجدته مستخفيا ، ووجدت قريش عليه أشداء ، فتلطفت له حتى دخلت عليه ، فسألته :

ـ أى شىء أنت ؟

ـ قال : نبى .

قلت : من نبأك ؟

ـ قال : الله .

ـ قلت : وبم أرسلك ؟

ـ قال : بعبادة الله وحده لا شريك له ـ وبكسر الأوثان ـ وصلة الرحم ـ وأمان السبيل .

ـ فقلت : نعم ما أرسلت به ، قد آمنت بك وصدقتك ، أتأمرنى أن أمكث معك أو أنصرف ؟

ـ فقال : ألا ترى كراهة الناس ما جئت به ، فلا تستطيع أن تمكث ، كن فى أهلك ، فإذا سمعت بى قد خرجت مخرجا فاتبعنى .

فكنت فى أهلى حتى خرج رسول الله إلى المدينة فسرت إليه ، فقدمت المدينة ، فقلت : يانبى الله : أتعرفنى ؟

ـ قال : نعم .. أنت السلمى الذى أتيتنى بمكة(١) .

●●●●●

وجاهد رسول الله ـ صوات الله وسلامه عليه ـ فى مكة ثلاث عشرة سنة ، ثم فى المدينة عشر سنوات ، حتى بلغ دين الله ورسالته إلى الناس كافة ، وإلى الأمم جميعا ، وبنى دولة الإسلام فى الجزيرة العربية ، التى امتدت حتى شملت أرجاء الدنيا بعد وفاة الرسول الأعظم بقليل ، وترك رسول الله من ورائه كتاب الله ، وسنة رسوله ، وفيهما كل قيم الإسلام ، وأصول دعوته ، وهذه الأصول تتركز فيما يلى :

١ ـ عبادة الله وحده لا شريك له .

٢ ـ والإقرار برسالة محمد ، وأنها خاتمة الرسالات .

٣ ـ والإيمان بما شرعه الله ـ عز وجل ـ من عبادات وطاعات وفضائل ، ومن معاملات وتشريعات للفرد وللأسرة ، وللمجتمع والأمة بل والإنسانية كافة .

٤ ـ وتقرير حقوق الإنسان كاملة .

٥ ـ تقرير الشورى والعدل والحرية والمساواة لكل بنى البشر .

٦ ـ تحرير المجتمعات الإنسانية من الخوف والاستعباد والظلم ومن كل ألوان الزيف والضلال .

٧ ـ إعلان الأخوة التامة بين الناس والشعوب والأمم والأجناس كافة .

٨ ـ الدعوة إلى العلم والمعرفة وإلى العمل وإلى الخير والبر والإحسان .

---

(١) ص ٩٥ بشائر النبوة الخاتمة ـ رءوف شلبى نقلا عن السيرة الحلبية ٢١٧/١ ـ فى رواية مسلم ٥٦٩/١ وفى رواية السيرة لابن كثير ٤٤٢/١ : عمرو بن عبسة بدلا من عنبسة . ـ وراجع مسند احمد ١١١/٤ ـ والشيخ دحلان فى سيرته : يروى : عمرو بن عبسة .

٩ ـ إحلال العقل منزلته الرفيعة كهادٍ للإنسان فى ظلال وحى السماء .

١٠ ـ كتاب الله هو الدستور الخالد الدائم الصالح لكل زمان ومكان ، ولكل الشعوب والمجتمعات .

١١ ـ تنظيم الأسرة تنظيما كاملا لتكون هى نواة المجتمع الإسلامى الكبير .

١٢ ـ الإيمان بالغيب ، وبالبعث والنشور والحساب والجزاء .

●●●●●

أيها الراعى الكبير .

راعى الغنم العظيم .

لقد جئت بالرسالة ، بالمعجزة ، بالخير العميم لكل بنى البشر .

وجئت بالنور والهداية والكرامة والشرف لكل بنى الإنسان .

وجئت بالذكر الحكيم الذى أنزله الله عليك كتابا منزلا يحوى خير الدنيا والآخرة ، وبنيت دولة لم تكن تغرب عنها الشمس .

وأقمت أسس حضارة استظل بظلها العالم كافة قرونا وأجيالا .

ونشرت السلام والإخاء فى الأرض كافة .

أيها الرسول الأمين .

ياراعى الغنم العظيم .

سلام عليك ، سلام عليك فى الأولين والآخرين ، وسلام عليك إلى يوم الدين .

النسبُ الزكىُّ

لفضيلة الشيخ
أحمد بن محمد طاحون

روى الإمام أحمد : أن العباس ـ رضى الله عنه ـ قال : « بلغه ـ صلى الله عليه وسلم ـ بعض ما يقول الناس ، فصعد المنبر ، فقال : « من أنا ؟ » قالوا : أنت رسول الله ، قال : « أنا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ، إن الله خلق الخلق فجعلنى فى خير خلقه ، وجعلهم فرقتين ، فجعلنى فى خير فرقة ، وخلق القبائل فجعلنى فى خير قبيلة ، وجعلهم بيوتا فجعلنى فى خيرهم بيتا ، فأنا خيركم بيتا ، وخيركم نفسا » ـ صلى الله عليه وسلم ـ .

إن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أشرف ولد آدم حسبا ، وأفضلهم نسبا ، وأطهرهم بيتا ومنشأ ، وقد روى عنه ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه قال : « ما ولدتنى بغى قط منذ كنت فى صلب آدم ، فلم تزل تنازعنى الأمم كابرا عن كابر ، حتى خرجت فى أفضل حيين فى العرب : هاشم وزهرة » .

أى : أنه ـ صلى الله عليه وسلم ـ كريم الأصل ، طاهر النسب ، نقى الأرومة من قبل أبيه وأمه ـ صلى الله عليه وسلم ـ .

وقد كان قادة قريش يعترفون بفضله ونسبه الشريف الزكى ، وطهارة مرباه ومنشئه ، وقد سأل هرقل ملك الروم أبا سفيان بن حرب قبل إسلامه : كيف نسب محمد فيكم ؟ قال : هو فينا ذو نسب ، قال هرقل : هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال ؟ قال : لا .

وجاء فى حديث آخر أخرجه الحاكم ، والبيهقى : أن عائشة قالت : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « قال لى جبريل : قلبت الأرض مشارقها ومغاربها فلم أجد رجلا أفضل من محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ وقلبت الأرض مشارقها ومغاربها فلم أجد بنى أب أفضل من بنى هاشم » .

إنه محمد رسول الله : أبو القاسم ، سيد المرسلين ، وخاتم النبيين ـ صلى الله عليه وسلم ـ أجمعين .

وهو ابن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصى بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان .

وعدنان من ولد إسماعيل بن إبراهيم الخليل - صلى الله عليهما وعلى نبينا وسلم - بإجماع الناس ، أما ما بعد عدنان من آبائه - صلى الله عليه وسلم - إلى إسماعيل فقد اختلفوا فيهم من حيث العدد والأسماء ، فقيل : إن بين عدنان وإسماعيل سبعة آباء ، وقيل تسعة ، وقيل بينهما خمسة عشر أبا ، وروى عن ابن عباس قوله : « بين معد بن عدنان ، وبين إسماعيل ثلاثون أبا » .

ونسبوا إلى ابن مسعود أنه كان إذا انتهى إلى عدنان من النسب الزكى أمسك ، وقال : « كذب النسابون » أى : فى ضبط أسماء أجداده - صلى الله عليه وسلم - فيما بين عدنان وهو الجد العشرون ، وبين إسماعيل - عليه السلام - .

وقد اتفق جميع أهل النسب على أن : مضر وربيعة هم صريح ولد إسماعيل ، وما سوى ذلك يقع الاختلاف فى أسماء من هم فوق ذلك .

روى الإمام أحمد عن واثلة بن الأسقع - رضى الله عنه - أن النبى - صلى الله عليه وسلم - قال : « إن الله اصطفى من ولد إبراهيم إسماعيل ، واصطفى من بنى إسماعيل بنى كنانة ، واصطفى من بنى كنانة قريشا ، واصطفى من قريش بنى هاشم ، واصطفانى من بنى هاشم » - صلى الله عليه وسلم - .

أما قريش فهو لقب لفهر بن مالك الجد العاشر للنبى - صلى الله عليه وسلم - فمن كان من ولده فهو قرشى ، ومن لم يكن من ولده فليس بقرشى .

وإنما سميت قريش قريشا ، لاشتغالهم بالتجارة والاكتساب من التقرش ، وهو التجارة والاكتساب ، ويقال : إنما سميت قريش قريشا ، لتجمعها من بعد تفرقها ، ويقال للتجمع التقرش ، وقد كانوا متفرقين فى غير الحرم ، فجمعهم قصى بن كلاب الجد الرابع للنبى - صلى الله عليه وسلم - فى الحرم حتى اتخذوه مسكنا ، قال الشاعر مشيرا إلى ذلك :

أبونا قصى كان يدعى مجمعا
به جمع الله القبائل من فهر

وقالوا - أيضا - إن قريشا هو لقب النضر بن كنانة الجد الثانى عشر للنبى - صلى الله عليه وسلم - فكل من كان من ولد النضر فهو قرشى ، دون بنى كنانة ، ومن فوقه ، وقد روى عن النبى - صلى الله عليه وسلم - قوله : « أنا ولد النضر بن كنانة لانقفو أمنا ، ولا ننتفى من أبينا » .

أى لانترك النسب إلى الآباء وننتسب إلى الأمهات ، وفى الحديث الصحيح الذى خرجه البخارى ومسلم وغيرهما ، قال - صلى الله عليه وسلم - : « إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل ، واصطفى من بنى كنانة قريشا ، واصطفى من قريش بنى هاشم ، واصطفانى من بنى هاشم » ، فقوله - صلى الله عليه وسلم - : « واصطفى من بنى كنانة قريشا فيه إشارة إلى النضر بن كنانة ، وهو الذى يلقب بقريش على الراجح .

وكما انحدر - صلى الله عليه وسلم - من أصلاب نقية طاهرة ، فقد جاء - أيضا - من أتراب زكية صافية ، وقد كانت أمه أفضل امرأة فى قريش نسبا ومكانة ، وتجتمع مع أبيه عبد الله فى الجد الخامس للنبى - صلى الله عليه وسلم - وهو كلاب ، فهى آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى بن فهر

مولد قائد الخلق

إلى الهدى والحق

لفضيلة الشيخ
محمد حافظ سليمان

﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ (١٢٨) ﴾

(الآية - ١٢٨ - من سورة التوبة)

﴿ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾

(الآية - ٢ - من سورة الجمعة)

﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (١٥٨) ﴾

(الآية - ١٥٨ - من سورة الأعراف)

فى بيت المجد والكرامة والمروءة والشهامة والسقاية والسخاء ، والبذل والعطاء ، وعند بيت الله العتيق ولد صاحب الخلق العظيم المبعوث رحمة للعالمين خاتم رسل الله سيدنا محمد بن عبد الله صلوات الله وسلامه عليه ، فهو الذى بدل الله به ظلام الحياة نورا ، وذل الأميين عزا ، وأسس أمة التوحيد التى قال لها :

﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ (آل عمران : آية ١١٠)

وهو الذى أخرج الله به الناس من الظلمات إلى النور ، ومن الضلالات إلى الهدى ، ومن التنافر إلى التآلف فلقد اعتصموا بحبل الله فلا يعبدون إلا إياه ، فضم الإسلام شملهم وأمن وحدتهم ، فيهم روح الجماعة التى صنعت من الضعف قوة دخل الناس فى دين الله أفراداً وأفواجاً ، ويومئذ انتشر دين الله بالقدوة كما انتشر بالدعوة ، وكان القرآن شرعة لهم ومنهاجاً يضىء قلوبهم بنور الهدى ، وقد هدى نفوسهم للتى هى أقوم فلا غل ولا حقد ،ولا عداء ولا بغضاء لأن المؤمنين إخوة رحماء بينهم والله يقول :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ﴿١٧٤﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱعْتَصَمُوا۟ بِهِۦ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِى رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿١٧٥﴾ ﴾

(الآيتان ـ ١٧٤ ـ ١٧٥ ـ من سورة النساء)

دعوة إبراهيم. عليه السلام

وكان خليل الرحمن سيدنا إبراهيم ـ عليه السلام ـ قد طلب من ربه أن يبعث فى أحفاده من ذرية ابنه إسماعيل رسولا منهم فدعا ربه خاشعا ضارعا قائلا :

﴿ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ﴾

(الآيـة ١٢٩ من سورة البقرة) .

وظلت هذه الدعوة مدخرة فى جوف التاريخ وأحضان الزمن حتى شاءت إرادة الله العليا أن يتحقق الرجاء ، ويستجاب الدعاء حيث كانت الدنيا فى أشد الحاجة إلى رسالته الإسلامية الخالدة والله أعلم حيث يجعل رسالته ؛ وقبيل البعثة المحمدية ظهـرت الإرهاصـات والمقدسـات والتنبؤات بقرب زمانه .

يروى أن قس بن ساعدة الإيادى الذى كان خطيب العرب اشتهر بالمعرفة ، قام خطيبا بين الناس يرشدهم ، ويعظهم ويقول لهم : ـ

إن لله دينا أحب إليه من دينكم الذى أنتم عليه ، ونبيا قد حان حينه ، وأظلكم زمانه فطوبى لمن آمن به فهداه وويل لمن خالفه فعصاه .

وبشرى عيسى ـ عليه السلام

﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ﴾

(من الآية ـ ٦ من سورة الصف)

وكان الله قد أخذ العهد على رسله وأنبيائه أن يؤمنوا به ويصدقوا برسالته فقال تبارك وتعالى :

﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّۦنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨١﴾ ﴾

(الآية ٨١ من سورة آل عمران)

ولقد كان الرسول ﷺ هو الأمل المنتظر والرجاء المدخر فما أعظم خلقك يا رسول الله ، وما أجل شأنك فأنت منقذ البشرية ، وقدوة الأمة الإسلامية فى كل زمان ومكان ، ولقد تحمل أضخم رسالة وأعظم مهمة وأكبر أمانة وجعلك الله راعيا لها أمينا عليها .

الرسالة المحمدية والحقوق الإنسانية

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾ ﴾

(الآيــة ١٣ من ســورة الحجرات)

الناس كلهم جميعا من جهة النسب سواء أبوهم آدم والأم حواء ، ولكن الله جعلهم شعوبا وقبائل ليتعارفوا ويتآلفوا لا ليتنازعوا ، ويتناحروا وأمرهم ربنا بالتعاون على البر والتقوى لا على الإثم والعدوان ، وليس فى الإسلام إنسان أبيض أكرم من إنسان أسود ، ولا غربى أكرم من إنسان شرقى كما تزعم العنصرية التى تتغنى بالحرية اليوم وتدعى العدالة الاجتماعية كذبا وادعاء وزورا وافتراء وغرورا : ـ قالوا : إن امرأة زنجية جلست على مقعد للبيض فى إحدى سيارات الركاب العمومية هناك ؛ فطلب منها الانتقال من مقعدها فأبت . فساقها رجال الشرطة إلى المحاكمة فحكم عليها بالغرامة فقاطع الزنوج فى تلكم الولاية ركوب السيارات العامة احتجاجا على ذلك ، فاعتقل زعماؤهم وحوكموا فى مارس سنة ١٩٥٦ م !!

هذه قصة تبين لنا فضل الله على الناس بنعمة الإسلام الذى يقول :﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾ (الحجرات ـ الآية ١٣) ليشعر أتباعه بأن العزة لله ولرسوله وللمؤمنين فقد سوى الإسلام بين صهيب الرومى وسلمان الفارسى وبلال الحبشى ، سوى بينهم وبين سائر الصحابة المقربين إلى الله رب العالمين فلا تفاضل إلا بالتقوى وصالح العمل : (خيركم من طال عمره وحسن عمله ، وشركم من طال عمره وساء عمله) والمؤمنون إخوة وإن اختلفت الألوان والأوطان وبالسلوك الرضى والخلق المتين والتمسك بالحق المبين والصراط المستقيم يستقر الأمر ويستتب الأمن .

قصة الإسلام يرويها جعفر ابن عبد المطلب لملك الحبشة

لما هاجر جعفر بن أبى طالب مع نفر من المؤمنين بأمر الرسول ـ ﷺ ـ فرارا بدينهم من أذى قريش فى مكة إلى بلد النجاشى ملك الحبشة الذى لا يظلم عنده أحد ، قال جعفر عندما سأله النجاشى عن الدين الجديد الذى فروا به من قسوة الطغاة :

« أيها الملك . .

كنا قوماً أهل جاهلية نعبد الأصنام ، ونأكل الميتة ، ونأتى الفواحش ، ونقطع الأرحام ونسىء إلى الجوار ويأكل القوى منا الضعيف ؛ فكنا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولا نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه ، فدعانا إلى الله لنوحده ونعبده ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباءنا من دونه من الحجارة والأوثان ، وأمرنا بصدق الحديث ، وأداء الأمانة ، وصلة الرحم وحسن الجوار ، والكف عن المحارم والدماء ، ونهانا عن الفواحش وقول الزور ، وأكل مال اليتيم ، وقذف المحصنة ، وأمرنا أن نعبد الله وحده لا نشرك به شيئا ، وأمرنا بالصلاة والزكاة والصوم فصدقناه وآمنا به واتبعناه على ما جاء به من عند الله فعبدنا الله وحده ، ولم نشرك به شيئا ، وحرمنا ما حرم علينا وأحللنا ما أحل لنا ، فعدا علينا قومنا وفتنونا عن ديننا ليردونا عن عبادة الله إلى عبادة الأوثان ، وأن نستحل ما كنا نستحل من الخبائث ، فلما قهرونا وظلمونا وضيقوا علينا وحالوا بيننا وبين ديننا خرجنا إلى بلادك واخترناك على سواك ورغبنا فى جوارك ورجونا ألا نظلم عندك أيها الملك » .

أرأيت كيف كانت المعارك بين الخير والشر والصراع بين الحق والباطل من قديم الزمن ولكن لابد للحق أن ينتصر ولابد للباطل أن ينهار ويندحر ﴿ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾ ﴾ . (الإسراء ٨١)

من أخلاق خاتم الرسل والأنبياء

محمد

صلى الله عليه وسلم

للمستشار : محمد عزت الطهطاوى

نشأ رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بين قومه فى أطهر بيت وفى أعرق الأصول ، **فهو ينتمى إلى بنى هاشم أعلى فرع من أفرع الشجرة الشريفة القرشية ، والتى تنتمى إلى معد بن عدنان من ذرية إسماعيل بن إبراهيم ـ عليهما السلام ـ وإلى هذا يقول ـ عليه الصلاة والسلام ـ : « إن الله اصطفى من ولد إبراهيم إسماعيل واصطفى من ولد إسماعيل بنى كنانة واصطفى من بنى كنانة قريشا واصطفى من قريش بنى هاشم واصطفانى من بنى هاشم »[1] .**

كيف كانت أخلاقه فى صباه وفى شبابه:

شب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ على كريم الأخلاق ، وجميل الصفات ناضج العقل راشد الرجولة ، عظيم الخلق ، عالى الهمة ، بعيدا عن فاحش القول ، عزوفا عن الدنايا ، موصوفا بالصدق والأمانة ، ولأمانته وصدقه عرف بين أهله وقومه بالصادق الأمين ، فلقد كان أمينا على نفسه ، فلم يستسلم إلى شر أو رذيلة ، وأمينا على الناس ، فلم ينتهك عرضا ، ولم يظلم أحدا[2] .

وفيما ذكره المحققون كان مجبولا على ذلك فى أصل خلقته وأول فطرته ، فلم يحصل ذلك له باكتساب ولا رياضة ، بل كان بجود إلهى وخصوصية ربانية[3] .

لذلك لم يحدث أن اشترك فيما تعود عليه شباب

(١) رواه الإمام مسلم .

(٢) كتاب سيرة الرسول للدكتور محمد الطيب النجار .

(٣) كتاب « نهاية الأرب فى فنون الأدب » السفر الثامن عشر لشهاب الدين النويرى صفحة ٢٥٠ .

قريش أن يقوموا به من عبث ومجون كما حفظه الله من عادات الجاهلية التى جاء الإسلام بتجريمها فما شرب الخمر قط رغم شيوع شربها فى قومه ، ولا سجد لصنم أبدا ولا حضر عيدا من أعياد الأوثان .

كما عرف فى شبابه بالنخوة والمروءة ونقاء السيرة وصفاء السريرة والبعد عن سفاسف الأمور ، وفى مخالطته كان أكرم الناس وخيرهم جوارا وأصدقهم حديثا وأكثرهم صبرا وشكرا وأعظمهم تواضعا وعفة وكرما وأقواهم قلبا(٤) .

أخلاقه بعد تكليفه بالرسالة :

ذكرت كتب السيرة النبوية أنه ـ صلى الله عليه وسلم ـ كان نقى الثوب لين الكلام حسن الصوت قويه ، لا يقول هجرا ولا ينطق هذرا ، يخاطب كل إنسان على قدر عقله ، ضحكه التبسم ولا يقهقه ، سهل الخلق لين الجانب دائم البشر ، ليس بفظ ولا غليظ ، ولا صخاب ، ولا فحاش ، ولا عياب ولامزاح ، وعندما يمزح لا يقول إلا حقا يقابل السيئة بالحسنة(٥) .

يعظم النعمة وإن دقت ، ولا يغضب لنفسه ولا ينتصر لها ، وإنما يغضب لله إذا تعرض للحق بشيء ، ويحق الحق وإن عاد ذلك بالضرر عليه وعلى أصحابه(٦) .

لا يقطع على أحد حديثه حتى يكون هو المنصرف عنه ، ولا يتكلم فى غير حاجة ، فإذا تكلم كان أفصح الناس وأعذبهم كلاما ، يحفظه عنه كل من سمعه ، يتفقد أصحابه ، ويسأل عنهم ، فمن كان غائبا دعا له ، ومن كان شاهدا زاره ، ومن كان مريضا عاده ، ومن مات شهد جنازته ، ومن سأله حاجة لم يرده إلا بها(٧) .

وفى صحيح البخارى عن ابن المنكدر قال : « سمعت جابر بن عبد الله يقول ما سئل النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ شيئا فقال لا »(٨) .

وكان ـ صلى الله عليه وسلم ـ إذا انتهى إلى قوم جلس حيث ينتهى به المجلس ، ويجلس معهم كواحد منهم ، ومجلسه هذا مجلس علم وحياء ، لا ترفع فيه الأصوات ، حلمه يسبق غضبه ، ولا تزيده شدة الجهل عليه إلا حلما ، إذا تكلم أطرق جلساؤه كأنما على رؤوسهم الطير ، ولا يتنازعون عنده الحديث ، ويشاور أصحابه فى الأمر ، وعنده الناس فى الحق سواء ، يقبل عذر المعتذر ، ويعرض عمن تكلم بغير جميل(٩) .

يبدأ من لقيه بالسلام ، ويبدأ أصحابه بالمصافحة ويدعوهم ويكنيهم بأحب أسمائهم إليهم وكان ينهاهم عن الوقوف له إذا أقبل عليهم(١٠) .

أخلاقه ـ صلى الله عليه وسلم ـ بعد نجاح دعوة الإسلام :

لما انتشرت دعوة الإسلام ودخل الناس فى دين الله أفواجا ، وكبر سلطان رسول الله ـ صلى الله

---

(٤) كتاب نافذة على الإيمان للشيخ مصطفى محمد الحديدى الطير ـ صفحة ١٩٥ .

(٥) كتاب خاتم المرسلين للدكتور يوسف عبد الهادى الشال من سلسلة البحوث الإسلامية صفحة ٢٧١ .

(٦) جوامع السيرة النبوية لأبى محمد على بن احمد بن حزم الأندلسى صفحة ٧٠ الجزء الأول ملحق مجلة الأزهر ربيع الأول سنة ١٤١٣هـ .

(٧) كتاب خاتم المرسلين المرجع السابق صفحة ٢٧٢ ـ ٢٧٣ .

(٨) كتاب « نهاية الارب فى فنون الادب » المرجع السابق صفحة ٢٥٤ .

(٩) كتاب خاتم المرسلين المرجع السابق صفحة ٢٧٢ ـ ٢٧٣ .

(١٠) موسوعة التاريخ الإسلامى ـ السيرة النبوية العطرة صفحة ٥٣٩ تاليف الدكتور احمد شلبى .

عليه وسلم ـ باعتباره الرئيس الدينى والرئيس السياسى فى دولة الإسلام لم تعرف مظاهر السلطان طريقها إليه ، فقد ظل كما هو أشد الناس خشية لله ، يصلى على الحصير وينام عليه ، وربما أثر فى جسده الشريف كما كان كثير الاستغفار لله[11] .

وإذا دخل بيته كان فى خدمة أهله أو خدمة نفسه ، فما كان يرى فارغا قط ، يشير إلى ذلك ماوراه البخارى عن أم المؤمنين عائشة ـ رضى الله عنها ـ قالت : « كان يكون فى مهنة أهله ، فإذا حضرت الصلاة خرج فصلى[12] .

كان يأكل مع الخادم ، ويطحن معه ، ويحمل بضاعته من السوق ، ما شبع ثلاثة أيام تباعا من خبز البر حتى فارق الدنيا ، وكان يبيت الليالى المتتالية طاويا لا يجمع فى بطنه طعامين ، إن أكل لحما لم يزد عليه ، وأن أكل تمرا لم يزد عليه ، وكان غالب ما يلبس من نسيج القطن ، وربما لبس ما نسج من الصوف والكتان .

وكان يجلس على الأرض والحصير والبساط يكرم من يدخل عليه ، وربما بسط له رداءه وآثره بالوسادة التى تحته ، ويعزم عليه إن أبى ، ويمشى مع الأرملة والمسكين والضعيف فى حوائجهم ، ولا يجلس إليه أحد وهو يصلى إلا خفف صلاته وسأله عن حاجته ، فإذا فرغ عاد إلى صلاته[13] .

أما عن سخائه وجوده فقد كان ـ صلى الله عليه وسلم ـ أسخى الناس ، لا يثبت عنده دينار ولا درهم ، فإن فضل ولم يجد من يعطيه ويجنه الليل لم يأو منزله حتى يتبرأ منه إلى من يحتاج إليه .

ويذكرون عن جوده ما روى عن عبد الله بن عباس ـ رضى الله عنهما ـ قال : « كان النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ أجود الناس بالخير ، وأجود ما كان فى شهر رمضان ، وكان إذا لقيه جبريل ـ عليه السلام ـ أجود بالخير من الريح المرسلة » .

وأما عن شجاعته ونجدته ، فإنه منها بالمكان الذى لا يجهل ، فقد شهد المواقف الصعبة ثابتا لا يبرح ، مقبلا لايدبر ، وإلى هذا يشير ابن عمر فيما قاله عنه : « مارأيت أشجع ولا أنجد ولا أرضى من رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ » .

وقال على بن أبى طالب ـ كرم الله وجهه ـ : « إنا كنا إذا حمى البأس واحمرت الحدق اتقينا برسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فما يكون أحد أقرب إلى العدو منه ، ولقد رأيتنى يوم بدر ونحن نلوذ بالنبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهو أقربنا إلى العدو ، وكان من أشد الناس يومئذ بأسا » .

وقال عمران بن حصين : « مالقى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ كتيبة إلا كان أول من يضرب » ، ولقد فزع أهل المدينة ليلة ، فانطلق ناس قبل الصوت ، فتلقاهم رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ راجعا قد سبقهم إلى الصوت واستبراء الخبر على فرس لأبى طلحة عرى والسيف فى عنقه وهو يقول (لن تراعوا)[14] .

وعرى بضم المهملة وسكون الراء تعنى ليس عليه من سرج ولا أداة .

(11) موسوعة التاريخ الإسلامى ـ السيرة النبوية العطرة ـ المرجع السابق صـ 539 .

(12) كتاب السيرة النبوية للإمام عبد الرحمن بن الجوزى صفحة 110 ـ 111 ملحق مجلة الأزهر ربيع الآخر سنة 1411هـ .

(13) كتاب خاتم المرسلين المرجع السابق صفحة 272 ـ 273 .

(14) كتاب « نهاية الأرب فى فنون الأدب » المرجع السابق صفحة 254 ـ 255 .

وعن عفوه وحلمه وصبره ـ صلى الله عليه وسلم ـ فإنه على الرغم مما أوذى به فى سبيل الدعوة ولاقى من قومه من شدائد ينوء بحملها أشد الناس بأسا وقوة وأعظمهم صبرا وجلادة ، فإنه كان يحلم لهم ويصبر على أذاهم عملا بوصية القرآن الكريم له فى قوله جل وعلا :

﴿ فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ ﴾
(الأحقاف ـ ٣٥) .

ومثال ذلك :

١ ـ فى غزوة أحد عندما انكشف المسلمون وتمكن العدو منهم وناله من أذى كفار قريش ما ناله شق ذلك على أصحابه ، فقالوا يارسول الله لو دعوت عليهم ، فقال : « إنى لم أبعث لعانا ، ولكنى بعثت داعيا ورحمة . اللهم اهد قومى فإنهم لا يعلمون » .

٢ ـ وكما حدث فى فتح مكة المكرمة وقد أمكنه الله من صناديد قريش ، وهم لا يشكون فى استئصال شأفتهم وإبادة خضرائهم لما تقدم من أذاهم له ، فمازاد على أن عفا وصفح ، وقال ما تقولون إنى فاعل بكم ؟ قالوا : أخ كريم وابن أخ كريم ، فقال : « أقول كما قال أخى يوسف :

﴿ قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ ۖ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾
(يوسف ـ ٩٢) .

وعن حيائه فإنه ـ صلى الله عليه وسلم ـ كان أشد الناس حياء وأكثرهم عن العورات إغضاء ، وقد أخبر الله تعالى عن حيائه فى الذكر الحكيم ، فقال :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتَ ٱلنَّبِىِّ إِلَّآ أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيْرَ نَٰظِرِينَ إِنَىٰهُ وَلَٰكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَٱدْخُلُوا۟ فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَٱنتَشِرُوا۟ وَلَا مُسْتَـْٔنِسِينَ لِحَدِيثٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِى ٱلنَّبِىَّ فَيَسْتَحْىِۦ مِنكُمْ ۖ وَٱللَّهُ لَا يَسْتَحْىِۦ مِنَ ٱلْحَقِّ ﴾
(الأحزاب ـ ٥٣) .

وقال أبو سعيد الخدرى : « كان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أشد حياء من العذراء فى خدرها ، وكان إذا كره شيئا عرفناه فى وجهه ولا يشافه أحدا بما يكره حياء وكرم نفس » ، وعن عائشة أم المؤمنين ـ رضى الله عنها قالت ـ : « كان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ إذا بلغه عن أحد ما يكرهه لم يقل ما بال فلان يقول كذا ، ولكن يقول (مابال أقوام يصنعون أو يقولون ـ كذا) ينهى عنه ولا يسمى فاعله[15] .

وعن حسن عشرته وأدبه وبسط خلقه ، فقد كان ـ صلى الله عليه وسلم ـ أكرم الناس عشرة وأكثرهم أدبا وأبسطهم خلقا مع أصناف الخلق ، يؤلف أصحابه ولا ينفرهم ويكرم كريم قومه ويوليه عليهم ، قد وسع الناس بسطه وخلقه ، فصار لهم أبا وصاروا عنده فى الحق سواء .

وفيما يرويه قيس بن سعد قال : زارنا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وذكر قصة فى آخرها ، فلما أراد الانصراف قرب له سعد حمارا ووطأ عليه بقطيفة ، فركب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ثم قال سعد بن عبادة والد قيس : ياقيس اصحب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال قيس : فقال لى رسول الله (اركب) فأبيت ، فقال : « إما أن تركب وإما أن تنصرف) فانصرفت .

---

(١٥) كتاب « نهاية الارب فى فنون الادب » المرجع السابق صفحة ٢٥٦ .

وكان ـ صلى الله عليه وسلم ـ لا يدع أحدا يمشى معه وهو راكب حتى يحمله ، فإن أبى قال : « تقدمنى إلى المكان الذى تريد[16] .

وقد أثنى الله عليه فى قرآنه العظيم فقال جل وعلا : ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ﴾ (آل عمران ـ ١٥٩) .

وعن شفقته ورأفته ورحمته ، فظاهر ذلك فى تخفيفه وتسهيله على أمته وكراهته أشياء مخافة أن تفرض عليهم كقوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « لولا أن أشق على أمتى لأمرتهم بالسواك مع كل وضوء » ، ونهيه عن الوصال فى الصوم ، وأنه دعا ربه وعاهده فقال : « أى رجل سببته أو لعنته فاجعل ذلك له زكاة ورحمة وصلاة وطهورا وقربة تقربه بها إليك يوم القيامة » .

ومن ذلك ما روى أنه ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : « لا يبلغنى أحد منكم عن أحد من أصحابى شيئا ، فإنى أحب أن أخرج إليكم وأنا سليم الصدر) .

وقد أشار القرآن الكريم إلى رأفته ورحمته فى قوله تعالى :

﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ (التوبة ـ ١٢٨) .

وقال ابن مسعود رضى الله عنه : « كان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يتخولنا بالموعظة مخافة السآمة علينا »[17] .

ويتخولنا بالموعظة يعنى يتعهدنا بالموعظة .

وعن وفائه وحسن عهده وصلته للرحم فإنه ـ صلى الله عليه وسلم ـ قد بلغ من ذلك الغاية التى لا يدرك شأوها ولا يبلغ مداها ، جاءت بذلك الأخبار الصريحة والأحاديث الصحيحة ، فعن أنس ـ رضى الله عنه ـ قال : « كان النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ إذا أتى بهدية قال : (اذهبوا بها إلى بيت فلانة فإنها كانت صديقة لخديجة ، إنها كانت تحب خديجة)[18] .

وعن أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها قالت ؛ « ماغرت على امرأة ماغرت على خديجة لما كنت أسمعه ـ صلى الله عليه وسلم ـ يذكرها ، وإن كان ليذبح الشاة فيهديها إلى خلائها ، واستأذنت عليه أختها فارتاح إليها ، ودخلت عليه امرأة فهش لها وأحسن السؤال عنها ، فلما خرجت قال : « إنها كانت تأتينا أيام خديجة ، إن حسن العهد من الإيمان » .

إن حسن العهد : يعنى به الحفاظ عليه ورعاية حرمته .

وعن أبى قتادة قال : وفدَ وفدٌ « للنجاشى » فقام النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ يخدمهم ، فقال له أصحابه : نكفيك ، فقال : (إنهم لأصحابنا مكرمين ، وإنى أحب أن أكافئهم) .

ولما جىء بالشيماء أخته من الرضاعة فى سبايا هوازن ، وتعرفت له بسط لها رداءه ، وأرجعها إلى قومها مع هدايا تنتفع بها ، وكان يبعث إلى ثويبة مولاة أبى لهب التى أرضعته بصلة وكسوة ، فلما ماتت سأل من بقى من قرابتها فقيل لا أحد .

---

(١٦) كتاب « نهاية الارب فى فنون الادب » المرجع السابق صفحة ٢٥٧ .

(١٧) كتاب « نهاية الارب » المرجع السابق صفحة ٢٦٠ .

(١٨) خديجة هى السيدة ام المؤمنين خديجة بنت خويلد اول زوجات النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ وتوفيت فى حياته قبل هجرته إلى المدينة .

وفى حديث خديجة أم المؤمنين - رضى الله عنها - أنها قالت له - صلى الله عليه وسلم - فى ابتداء النبوة : « أبشر فوالله لا يخزيك الله أبدا إنك لتصل الرحم وتحمل الكلّ وتكسب المعدوم وتقرى الضيف وتعين على نوائب الحق »[١٩] .

وعن عدله وعفته فإنه - صلى الله عليه وسلم - كان أعدل الناس وأعف الناس ، فعن ابن خالويه قال : جزأ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - نهاره ثلاثة أجزاء ، جزءا لله ، وجزءا لأهله ، وجزءا لنفسه ، ثم جزأ جزأه بينه وبين الناس ، فكان يستعين بالخاصة على العامة ، ويقول : (أبلغوا حاجة من لا يستطيع إبلاغى فإنه من أبلغ حاجة من لا يستطيع أمنه الله يوم الفزع الأكبر) .

وعن الحسن قال : « كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لا يأخذ أحدا بقرف أحد[٢٠] ولا يصدق أحدا على أحد ، ولم تمس يده امرأة قط لا يملك رقها أو نكاحها ، أو تكون ذات محرم[٢١] » .

وعن طيب ريحه وعرقه ونظافة جسمه ونزاهته من الأقذار ، فهذا مما خصه الله به - صلى الله عليه وسلم - فعن أنس بن مالك - رضى الله عنه - قال : ما شممت عنبرا قط ولامسكا ولا شيئا أطيب من ريح رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وحكى جابر بن سمرة أنه - صلى الله عليه وسلم - مسح خده قال فوجدت ليده بردا وريحا كأنما أخرجها من جونة عطار[٢٢] .

وكان - صلى الله عليه وسلم - يضع يده على رأس الصبى فيعرف من بين الصبيان بريحها ، وذكر الإمام البخارى فى تاريخه الكبير عن جابر أنه - صلى الله عليه وسلم - لم يكن يمر فى طريق فيتبعه أحد إلا عرف أنه سلكه من طيبه .

كما كان يحب الطيب والرائحة الحسنة ويحض عليها ويقول : (حبب إلىَّ من دنياكم النساء والطيب ، وجعلت قرة عينى فى الصلاة)[٢٣] .

كتب الأنبياء السابقة تشير إلى بعض أخلاقه - صلى الله عليه وسلم - :

أخرج الإمام أحمد بسنده عن عطاء بن يسار قال : (لقيت عبد الله بن عمرو بن العاص ، فقلت أخبرنى عن صفة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فى التوراة ، قال : والله إنه لموصوف فى التوراة بصفته فى القرآن :

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴾

(الأحزاب - ٤٥) .

وحرزا للأميين ، أنت عبدى ورسولى سميتك المتوكل لست بفظ ولا غليظ ولا صخاب فى الأسواق ولا يدفع السيئة بالسيئة ، ولكن يعفو ويغفر ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء بأن يقولوا لا إله إلا الله فيفتح به أعينا عميا وآذانا صما وقلوبا غلفا » .

وروى ابن أبى حاتم بسنده عن وهب بن منبه الذى كان يهوديا وأسلم قال وهب بن منبه : (إن

---

(١٩) كتاب « نهاية الأرب » المرجع السابق صفحة ٢٦١ - ٢٦٢ .

(٢٠) بقرف احد اى بسوء ظنه به .

(٢١) نهاية الأرب المرجع السابق صفحة ٢٦٥ .

(٢٢) كتاب نهاية الأرب المرجع السابق صفحة ٢٧٠ - ٢٧١ .

(٢٣) الحديث فى الجامع الصغير ورمز له بالحسن وقال الحافظ العراقى إسناده جيد وقال ابن حجر حسن وكل ذلك ورد فى الجامع الكبير للسيوطى العدد الثانى عشر من الجزء الثانى طبعة مجمع البحوث الإسلامية سنة ١٤٠٣هـ ، ١٩٨٣م .

الله أوحى إلى نبى من أنبياء بنى إسرائيل يقال له شعياء أن قم فى قومك بنى إسرائيل ، فإنى منطق لسانك بوحى ، وأبعث أميا من الأميين أبعثه ليس بفظ ولا غليظ ولاصخاب فى الأسواق ، لو يمر إلى جنب سراج لم يطفئه من سكينته ، ولو يمشى على القصب لم يسمع من تحت قدميه ، أبعثه مبشرا ونذيرا ، لا يقول الخنا[٢٤] ، أفتح به أعينا كمها[٢٥] وآذانا صما وقلوبا غلفا ، أسدده لكل أمر جميل وأهب له كل خلق كريم ، وأجعل السكوت لباسه والبر شعاره والتقوى ضميره والحكمة منطقه والصدق والوفاء طبيعته والعفو والمعروف خلقه والحق شريعته والعدل سيرته والهدى إمامه والإسلام ملته وأحمد اسمه أهدى به بعد الضلالة وأعلم به بعد الجهالة ، وأرفع به بعد الخمالة . . وأجعل أمته خير أمة أخرجت للناس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر . . . الخ[٢٦] .

وبعد . .

فهذه بعض من الأخلاق السامية الكريمة لرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ حباه الله بها وجعلها له سجية وخلقا طبعه الله عليها وأدبه بها ولا يدرك شأوها أحد من الخلق .

وقد أثنى الله جل وعلا عليه فى قرآنه الكريم فقال :

﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾

(القلم ـ ٤) .

وقال ـ صلى الله عليه وسلم ـ عن نفسه : « أدبنى ربى فأحسن تأديبى »[٢٧] .

وفى إيجاز دقيق وأسلوب بلاغى رقيق من جوامع الكلم النبوى لخص رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ مضمون رسالته بقوله : « إنما بعثت لأتمم صالحى الأخلاق »[٢٨] .

---

(٢٤) الخنا يعنى الفحش ورد ذلك فى معجم مختار الصحاح للإمام محمد بن ابى بكر الرازى .

(٢٥) كمها : بضم فسكون جمع الاكمه وهو الاعمى والمراد اعينا عميا .

(٢٦) التفسير الوسيط للقران الكريم ـ المجلد الثالث الحزب الثالث والاربعون الصادر من مجمع البحوث الإسلامية بالازهر الطبعة الاولى سنة ١٤٠٨هـ ، سنة ١٩٨٧م .

(٢٧) الحديث ورد فى الجامع الكبير للسيوطى بالعدد الثالث من الجزء الاول فى السنن القولية وفى الصغير ورمز لصحته .

(٢٨) الادب المفرد للإمام البخارى باب حسن الخلق .

حول الذكرى العطرة

التأسى بإمام الأنبياء وخاتم المرسلين

لفضيلة الشيخ
عبد المنصف محمود عبد الفتاح

قال الله تعالى :

﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾

(الأحزاب : ٢١)

إن من نظر فى حياة نبينا محمد ـ ﷺ ـ الذى ملأ الله به الكون رحمة وعدلا ، والدنيا هدى ونورا ، والقلوب راحة وأمنا ، لوجدها مليئة بعظيم المفاخر ، وجليل المآثر ، وأنه يجب على الناس كافة أن يتخذوا منها نبراسا ومشكاة يضىء لهم طريق العظمة والخلود ؛ ليصلوا إلى سعادتهم ، وفلاحهم ، فى معاشهم ، ومعادهم ..

وما أحوجنا وقد أصبحت حالتنا الخلقية من أشد أمراضنا الاجتماعية ، أن نرجع إلى سيرة العظماء من الرجال ؛ نتعرف أخلاقهم التى كونت عظمتهم وشمائلهم ، التى يرجع إليها الفضل الأكبر فى نجاحهم :

﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ ۖ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ ﴾
(الأنعام : ٩٠)

ورسولنا ـ ﷺ ـ جدير حقا بأن يتخذ مثلا أعلى فى كل ناحية من نواحيه ، فهو الأسوة الحسنة ، والقدوة الصالحة بشهادة الله ، وسيرته من أعظم السير ، ودراستها من أجل العظات ، وهى مع ذلك كثيرة النواحى ، متشعبة المناحى ، وكذلك شأن الأبطال والعظماء تتيه فى بطولتهم وعظمتهم العقول والأفكار .. أستغفر الله . لم يشبه النبى

الأكرم ، والرسول الأعظم أحد فى بطولته وعظمته ، بل إنه فاق كل بطل ، وكل عظيم « وإننى لن أستطيع أن أوفى النبى الكريم حقه من إجلال ، وتعظيم ، وإكبار ، وتفخيم ، وهل يستطيع أحد فى هذا الوجود ، مهما أوتى من فصاحة وبيان ، أن يوفى هذا المقام الشريف قدره ، أو يعبر عن هذه العظمة الرائعة بكلمات وألفاظ ؟ وأنى لضعيف البصر أن يمعن نظره فى ضوء الشمس الباهر ، وشعاعها اللماع ؟ وأنى لقدرة محدودة ، وكلمات معدودة أن تصف نفسا كبيرة لايدرك مداها ، ولا تعرف غايتها ومنتهاها ؟ ولكننا نريد أن ننقّب عن الشرف ؛ لندرك طرفا منه ، ونعرض الكمال ؛ لتتحلى النفوس بحلية منه ، وننثر الدر النفيس بين أيدينا ، لنملأ العيون من جماله وسحره ، ونقلب الطيب ، لنظفر بنفحة من شذاه وعطره .

لقد كان رسول الله - ﷺ - المثل الأعلى : الذى يجب أن يقتدى به فى أقواله ، وأفعاله ، وأحواله ، لأنه لا ينطق ولا يفعل أى شىء عن هوى ، بل عن وحى وتنزيل ، وإلهام :

﴿ وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴿١١٣﴾ ﴾

(النساء : ١١٣)

قال الإمام ابن كثير : أمر الله تعالى الناس بالتأسى بالنبى - ﷺ - فى صبره ، ومصابرته ، ومجاهدته ، ومرابطته ، كيف لا وهو القدوة المثلى لأمته فى حياته الخاصة والعامة ، وفى علاقته بربه ، وعلاقته بالناس . .

وقد اختلف فى هذه الأسوة : هل هى على الإيجاب ، أو على الاستحباب ؟ على قولين أحدهما : أنها على الإيجاب ، حتى يقوم دليل على الاستحباب . . الثانى : أنها على الاستحباب ، حتى يقوم دليل على الإيجاب ، ويحتمل أن تكون على الإيجاب فى أمور الدين ، وعلى الاستحباب فى أمور الدنيا ؛ ولأنه المرسل إلى الناس كافة ، كما قال تعالى :

﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾

(سبأ : ٢٨)

والمعد من ربه ، لتحمل أعباء الرسالة العالمية ، والدين العالمى ، كما قال تعالى :

﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴿١﴾ ﴾

(الفرقان : ١)

وليكون القدوة العملية ، والأسوة الحسنة الواقعية . . فقد صاغ الله تعالى عظمته من هذه القدوة التى توجب الاقتداء ، وذلك بما أودع فيه من روح العظمة . . فعظمة نبينا ﷺ : هى مجموع من القدوة التى خصه الله تعالى بها ، مع الاقتداء من أتباعه المؤمنين بدعوته ، الواثقين برسالته ، فكان مثل النبى - ﷺ - فى عظمته والاقتداء به مع أتباعه المقتفين أثره مثل الأسلاك الكهربية الحاملة للتيار الكهربى ، لكنها متباعدة ، ليس بينها اتصال واجتماع ، حتى وصلت فى أطرافها ، وجمعتها الدعوة المحمدية ، والقدوة العملية على مجمع واحد ، فى نقطة واحدة « بريزة » ثم كان المصطفى - ﷺ - وعمله ودعوته : أشبه بالمفتاح : « الكوبس » وحينما وضع يده على مجمعها ، وضغط على مفتاحها اشتعلت الجزيرة العربية نورا ، شع فى المشارق والمغارب ، إصلاحا وتعميرا ، وعدلا وسلاما ، تلك الموجة العمرانية الإصلاحية التى كهربت

قلب آسيا وأفريقية ، وزلزلت عروش كسرى وقيصر فى فترة وجيزة ، لم يعرف التاريخ لها مثيلا ، ثم قلبت الأمة العربية قلبة حقيقية ، حتى أصبح كل فرد من أفراد الأمة فى حكمة الفيلسوف ؛ عقلا وفكرا ، وفى شجاعة القائد ودربته ، وفى بسالة الجندى وتضحيته ، وعاد كل فرد منها فى عزة الملوك ، وفى طهارة الملائكة ، حتى لو ظهر أحدهم فى حياتنا هذه لكفاها بلسما وشفاء .

وكان لمكارم أخلاقه - ﷺ - وعلو همته الأثر البالغ فى نجاح دعوته ، ونشر رسالته ، فقد استطاع بأخلاقه وحكمته ، وحزمه وكياسته أن يؤسس فى زمن قصير ، ومدة وجيزة دولة قوية ، وأمة فتية ، مرهوبة الجانب ، مسموعة الكلمة ، واسعة السلطان ، نافذة الحكم ، موفورة الكرامة ، فتوافد الناس عليه ، وانقادت إليه قلوبهم ، واطمأنت له نفوسهم ؛ لما رأوا من لين جانبه ، وكرم أخلاقه ، قال تعالى :

﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ ﴾

(التوبة : ١٢٨)

وإن من سرح طرفه فى تاريخ النبى - ﷺ - الحافل بالمكرمات ، الزاخر بالمعالى ليجد أن خفض الجناح ، ورقة الحاشية ، والرحمة الفياضة كانت من أبرز صفات الرسول ، ومن أطيب شمائله ، وكلها طيب وجميل .. ولقد اتسعت رحمته ، وامتدت رحاب نفسه ، وانبسط أفقها ، حتى وسعت الناس جميعا ، وتواضعت وهى النفس الشامخة العالية ، فخالطت الصبيان والأطفال ، تداعبهم ، وتدخل السرور عليهم ، روى أن الحسن بن على - رضى الله عنهما - دخل على جده - ﷺ - فركب ظهره الشريف - وهو ساجد بين يدى ربه - فأبت رحمته أن يشغل الصبى عن لعبته ، وأن يحول بينه وبين لهوه ، فأطال السجود ، حتى قضى الصبى أمره ، ونزل عن ظهره غير معجل ، فسأله بعض الصحابة : نراك قد أطلت سجودك يارسول الله ؟ فقال : « إن ابنى قد ارتحلنى فكرهت أن أعجله حتى يقضى حاجته[1] وليس فى سجل المودة الإنسانية ، ولا فى تاريخ البر والوفاء أجمل ولا أكرم من حنان النبى - ﷺ - على مرضعته السيدة « حليمة السعدية » ومن حفاوته بها ، عندما قدمت عليه ، وقد جاوز الأربعين من عمره ، إنه تلقاها هاشا باشا ، هاتفا بها : أمى .. أمى ، وبسط لها رداءه ، وأجزل لها عطاءه ، وبذل لها كرمه ووفاءه ، فأية عاطفة تتفجر حنانا ، مثل هذه العاطفة ؟ وأى قلب ينبض بالخير مثل هذا القلب النبوى الطاهر ؟ وأية نفس تفيض رحمة مثل هذه النفس الكبيرة التى لم تقتصر رحمتها على معاملة البشر ، بل نراها تنفسح وتمتد ، حتى تبسط رواقها على الحيوانات العجماوات ، فتغمرها وتفيض عليها ؟ ألم يكن رسول الله - ﷺ - يميل الإناء للهرة لتشرب ، ويفتح لها بابه ، حين تطلب عنده مأوى ، ويبسط كفه للشاة ، لتأكل مافيها من الحب والنوى ، فلا يقبضها ، حتى تفرغ الشاة من أكلها ..

---

(١) رواه النسائى من حديث عبد الله بن شداد عن ابيه وقال فيه الحسن او الحسين على الشك ورواه الحاكم وقال : صحيح على شرط الشيخين

كان رسول الله - ﷺ - يصل من قطعه ، ويعطى من حرمه ، ويعفو عمن ظلمه ، ويحسن إلى جاره ، ويأخذ بناصر الضعيف ، ويغيث الملهوف ، ويقرى الضيف ، ويكرم اليتيم ، ويرحم الفقير والمسكين ، ويجود حيث يبخل الناس ، ويعطى عطاء من لا يخشى الفقر . .

كان دائم البشر ، حسن الخلق ، ليس بفظ ولا غليظ ، ولا عياب ولا مداح ، يجيب دعوة من دعاه ولو كان فقيرا ، ويقبل الهدية ، ويكافىء عليها ، ويطعم منها من حضر ، ويدخر نصيب من غاب ، كان يعود المريض ماشيا ، ولو كان فى أقصى المدينة ، كان يؤثر الزائر بالوسادة التى تحته ، وربما بسط له ثوبه ، كان يطعم القوم ويسقيهم اللبن والماء ، ويأكل سؤرهم ، ويشرب آخرهم ويقول : « ساقى القوم آخرهم شربا »(٢) .

هذا جانب من أخلاق رسول الله ، تلك الأخلاق الطيبة المنتقاة والتى صنعها الله بيده ، ومنحها لنبيه ، وأثنى عليه من أجلها ، وسجلها بأحرف من نور فى كتابه المبين ، بقوله جل شأنه :

﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾ (القلم : ٤) . .

هذه الأخلاق الكريمة التى نبعت من مشكاتها ، وامتدت فى طول الدنيا وعرضها ، وآمنت الشرائع بها ، وأيقنت العقول بسموها وخلودها ، فأصبحت حياة للأمم ، ومنارا للخلق ، وقبلة تتجه إليها الأنظار وإن من بدهيات الحكمة أن يجعل الله تعالى نبيه وحبيبه محمدا - ﷺ - فى هذه المرتبة العليا من العظمة الأخلاقية ؛ لأن مكارم الأخلاق الإنسانية هى الثمرة للإيمان بالله ، والإيمان بالبعث ، واليوم الآخر ، وهذا مايفسره قول النبى - ﷺ - « إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق »(٣) . .

لقد عرف نبينا - ﷺ - بالربانية المؤمنة ، فكان عابدا يقف بين يدى مولاه للصلاة ، حتى تتورم قدماه ، وقد سئل : لم تصنع هذا ؟ وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ؟ فقال : « أفلا أكون عبدا شكورا »(٤) ولم تكن عبادته عبادة الرهبان ، وإنما عبادة المؤمن القوى ، المتجهز للقاء العدو ، المراقب لحركاته وسكناته ، الباعث عيونه فى كل مكان لاستكناه أمره . .

كان اجتماعيا ؛ شارك الناس فى سرائهم وضرائهم ، وأحبهم وسهر عليهم ، إخوة وأتباعا ، أزواجا وأولادا ، عبيدا وخدما ، فى إيثار ووفاء . .

وعرف بالتواضع ؛ فكان يركب الحمار ، ويردف خلفه ، كان يجلس ، حيث ينتهى به المجلس ، ويأكل مع خادمه ويزوره ، ويتلطف معه فى القول . .

واتسم بالبساطة واليسر فى لقاء الأمور وتوجيهها ، إذا خير بين أمرين اختار أيسرهما ، ما لم يكن إثما . .

كان يمزح ويتفكر ، ولا يقول إلا حقا « أتت النبى - ﷺ - عجوز ، فقال لها : لن تدخل الجنة عجوز ، فبكت فقال : إنك لست بعجوز يومئذ ، قال الله تعالى :

﴿ إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً ﴿٣٥﴾ فَجَعَلْنَٰهُنَّ أَبْكَارًا ﴿٣٦﴾ عُرُبًا أَتْرَابًا ﴿٣٧﴾ ﴾

(الواقعة : ٣٥ : ٣٧)

﴾

---

(٢) مسند الإمام أحمد ٤/٣٥٤ ، ٣٨٣ ، ٥/٣٠٣

(٣) رواه مالك فى الموطا بلاغا عن النبى - ﷺ

(٤) رواه البخارى . .

كان مثالا للنظافة والتزين والتجمل ، لا يرى إلا فى أكمل مظهر ، ولما سئل عن ذلك ؟ قال : « إن الله يحب من العبد أن يتزين إذا خرج لإخوانه »[٥] وعرف بالزعامة فكان مصلحا ، جمع إلى ضبط النفس قوة التأثير ، وكان فعالا أكثر منه قوالا . .

واتسم بالسياسة فكان مثلا للكياسة دون تكبر أو طغيان ، فعقد المعاهدات ، وبعث البعوث والسرايا ، وعرف عنه الكتمان والتورية ، والحيطة فى الحرب ، كان إذا أراد جهة ورَّى بأخرى . .

كان رسول الله ـ ﷺ ـ أشجع الناس تتسم مواقفه كلها بالشجاعة الفذة ، والبطولة النادرة ، وكان دائما فى المقدمة ، عن على رضى الله عنه قال : « كنا إذا اشتد البأس ، واحمرت الحدق اتقينا برسول الله ـ ﷺ ـ فما يكون أحد أقرب إلى العدو منه » . .

وقد تجلت شجاعته ـ ﷺ ـ فى أوضح صورها فى حروبه وغزواته ، فكانت بحق مضرب الأمثال ، وهو الذى لم يتعلم الفنون الحربية ، ولا الهندسة العسكرية فى معهد أو كلية ، وإنما علمه ربه ، لقد كان يعلم من فنون الحرب بالإلهام ، ما لا يعلمه غيره بالدرس والمران ؛ فكان يختار الموقع الذى يمكنه من النصر ، كما عمل بمشورة الحباب بن المنذر فى غزوة بدر الكبرى ، حيث انتقل بجيشه إلى الموقع الاستراتيجى الذى يمكنه من هزيمة أعدائه ، ويتفنن فى وسائل الدفاع ، كما عمل بمشورة « سلمان الفارسى » وحفر خندقا ، حول القطاع المكشوف من المدينة ، وكان يبعث من يتجسس على الأعداء ، ليعرف قوتهم ، ويبعث السرية بالأوامر المغلقة المختومة . .

لقد كان رسول الله ـ ﷺ ـ رئيس الدولة الإسلامية ، كما كان القائد الأعلى للجيش الإسلامى ، وهو كرئيس دولة كان يكره الحرب ، ويجنح للسلم ، ويؤثر حل مشاكله بالوسائل السياسية ، كما حدث فى صلح الحديبية ، حقنا للدماء ، وتفرغا لنشر الدعوة الإسلامية ، وتركيز قواعدها ، وحتى لا يكون لأعدائه سبيل إلى تشويه دعوته ، وتنفير الناس منها ، فإذا ما استنفد وسائله السياسية لجأ إلى الوسائل العسكرية ، ولم يسعه إلا أن يركب المركب الصعب ، وأن يسلك ذلك الطريق الشائك طريق الجهاد والقتال ، فسلك هذا الطريق مكرها ، وإن كان الخير فيه ، قال الله تعالى :

﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١٦﴾ ﴾

(البقرة : ٢١٦)

كان رسول الله ـ ﷺ ـ فى معاركه كلها يمتاز بصفات القيادة العليا ، فضلا عما كان يمازجها من الرحمة التى لا تعرفها القيادات العسكرية الأخرى ، نلمس ذلك فى موقفه من الأسرى بعد المعركة ، وبخاصة أسرى بدر ، فلقد كان قلبه ينبض بالعفو والرحمة على من كانوا بالأمس يطاردونه ، وينكرون دعوته الإنسانية الكبرى !!

كان رسول الله ـ ﷺ ـ كقائد أعلى للجيش يرسم الخطط ، دون أن يستبد فيها برأيه ، بل

البقية ص ٤٤٥

(٥) رواه ابن عدى فى الكامل .

حديث الفؤاد فى مولد

خير العباد

للأستاذ الدكتور
مبروك عطية أبو زيد

توغل الليل فى الظلام ، ولاح فى الأفق البعيد ضوء نجمة غريبة إلا عن المسافرين ، الذين يضربون الأرض بحثا عن المال ، يهتدون بالنجوم ، فتتعرف أقدامهم إلى أين المسير ، ولم تهتد قلوبهم إلى الله الواحد ؛ حتى يعرفوا إلى أين المصير ، كل شىء ساكن كالموت إلا صرخة مظلوم ، يعوى ؛ فيقطع صراخه كبد كل حى إلا كبد هؤلاء الكافرين ، سكنت الشياطين البيوت واستراحت ، وأكلت وشربت ، وأمرت بكل شىء إلا بمعروف ، ونهت عن كل شىء إلا عن منكر ، فأى لون للأفق غير لون الغضب ، وأى لون للأرض غير لون الفساد !

وقد أذن الله للفجر أن يطلع ، وللنور أن يسطع ببعثة النبى الحبيب - ﷺ -

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴿٤٦﴾ ﴾

(الأحزاب ٤٥ - ٤٦)

وأول ما يأخذ بنفوسنا وأفئدتنا ووجداننا إلى تكريم الله - عز وعلا - لرسوله محمد - ﷺ - هذا النداء : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ ﴾ هنا فى الأحزاب ، وفى أول الطلاق : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ ﴾ :

وأول التحريم : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ ﴾ ، وفى سائر القرآن الكريم ، وفى المائدة : ٦٧

﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ﴾

فى حين تقرأ فى القرآن الكريم ﴿ يَا إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا ﴾ هود : ٧٦ ، وقوله - سبحانه - :

﴿ قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ﴾

وقوله - عز من قائل - :

﴿ يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَىٰ ﴾ مريم : ٧

و ﴿ يَا يَحْيَىٰ خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ ﴾ مريم : ١٢ ،

وقول ربنا - تعالى : ﴿ يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ ﴾ ص : ٢٦ . ومن قبل ذلك كله :

﴿ وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ ﴾

البقرة : ٣٥ . فقوله - عز وجل - لسيدنا محمد - ﷺ - : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ ﴾ بهذا التركيب ، الذى أصبح أسوة وشاهدا فى نداء مافيه « ال » يتوصل إليه بـ « أى » ، أو اسم الإشارة ، و « أى » أبلغ وأعظم لما تراه هنا فى الذكر الحكيم ، هذا التركيب يفيد التكريم ، تكريم من أرسله الله رحمة للعالمين - ﷺ - وهو يرد ويدفع ويزجر ويستقبح مَنْ جرى على ألسنتهم اسمه - ﷺ - مجردا ، فيقولون « جاء محمد ، وبعث محمد ، وكان محمد . . . . » وهذا - وربى - لا يليق من أمة سيدنا محمد - ﷺ - والذى يجعلك تقول باطمئنان إنه تكريم أنك ترى أن الحق - تبارك اسمه - قد كرم سيدنا محمدا - ﷺ - بالفعل ، حيث اصطفاه بخاتمة الرسالات ، وأحبه ، وماقلاه ، ورباه وآواه ، وإلى الحق هداه ، وهدى به وله ، واجتباه :

﴿ وَالضُّحَىٰ ① وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ② مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ③ وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ ④ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ ⑤ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ ⑥ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ ⑦ وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ ⑧ ﴾

الضحى : (١ - ٨)

وعندما بدا فى أفقه - عليه الصلاة والسلام - جفاف أهل الأرض ، ونأيهم عن دعوة الحق ، وقبض من كان له من أهله نصيرا دعاه الحق - جل وعلا - إلى سدرة المنتهى ، عندها جنة المأوى ،

﴿ وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ① مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ② وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ③ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ④ ﴾

(النجم : ١ - ٤)

إلى مالا يحصى من صنوف التكريم ، فإذا ثبت التكريم بالفعل ثبت التكريم باللفظ ، لأنك قد تقول للرجل : « ياأيها الرجل » فيحتمل التكريم والاستهجان ، والفعل يصدق أحدهما ، أو يكذبه ، ألا ترى إلى قول ربنا :

﴿ ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ ⑱ ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ ﴾

(الدخان : ٤٨ ، ٤٩)

فقد قال الكافر : ما بين جبليها أعز منى ولا أكرم ، فلما كان هذا مصيره ، أيظن أنه اعتراف بعزته وكرمه ! أم أن ذلك احتقار له ؛ فإن العزة لله ولرسوله وللمؤمنين .

● ثم تأمل قوله - عز وعلا - : ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ ﴾ وما تشتمل عليه هذه الجملة المضيئة من إيحاءات يظلها اللفظ العربى المبين ، حيث التأكيد الذى يزيل الشك ، ووسيلته « إن » ثم تقف مليا عند « نا » الفاعلين ، التى هى اسم إن على مايقول أهل الإعراب ، مع أن الذى أرسله هو الله وحده ، لا شريك له ، ومع أن ذلك يفيد تعظيم الذات الإلهية - والله أهل لذلك التعظيم - تفيد قوة هذه الرسالة ، وأن الله حاميها ، وناصرها ،

وقد استقرأت القرآن الكريم فلاحظت تكرار ذلك فى مواضع كثيرة ، منها :

قوله - سبحانه - :

﴿ إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ ﴾

(النساء : ١٠٥)

وقوله - عز وعلا - :

﴿ إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَىٰ نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ ﴾

(النساء : ١٦٣)

وقوله - عز وجل - :

﴿ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ﴾ (المائدة : ٤٨)

وقوله - تبارك اسمه - :

﴿ إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ ﴿٩٥﴾ ﴾ (الحجر : ٩٥)

وغير ذلك من الآيات الكثيرة التى تشعرنا بحفظ هذا الدين من لدن قوة القوى .

وقوله - تعالى - : ﴿ أرسلناك ﴾ شهادة من الله - عز وجل - لرسوله - ﷺ - بالنبوة والرسالة ، وقد جاء ذلك صريحا فى قول الحق سبحانه - :

﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴿٢٨﴾ ﴾ (الفتح : ٢٨)

وشهادة الله - تبارك اسمه - لسيدنا محمد - ﷺ - بالرسالة تؤكد أن مَنْ آمن وعمل صالحا فلنفسه ، ومن كفر وأساء فعليها ، فماذا يفيد قوله - سبحانه - : ﴿ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴾ إلا أن الله غنى عن العالمين !

وقوله - تعالى - : ﴿ شَاهِدًا ﴾ فى ظلالها أمران أمام من يتأمل النص بفكر هذا الدين الحنيف :

الأول : ثبوت أن سيدنا محمدا - ﷺ - شاهد علينا ، بأنه دعانا إلى عبادة الله ، وأن رسالته خاتمة ، وأن هذه الرسالة ليس فيها تفريط ، أمرنا بالمعروف ونهانا عن المنكر .

والثانى : أنه - ﷺ - ليس شاهدا قاسيا ، يشهد علينا من أجل عذابنا ، وإنما هو شاهد رحيم ، بكت عيناه عندما قرىء عليه من سورة النساء قول ربنا :

﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾ ﴾

(النساء الآية : ٤١)

روى البخارى فى صحيحه كتاب تفسير القرآن ، سورة النساء من حديث عمرو بن مرة قال : قال لى النبى - ﷺ - : « اقرأ على » ، قلت : أقرأ عليك وعليك أُنزل ؟ قال : « فإنى أحب أن أسمعه من غيرى » ؛ فقرأت عليه سورة النساء ، حتى بلغت ﴿ فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا ﴾ قال : « أمسك » ، فإذا عيناه تذرفان وما ذرفت عيناه - فدا دمعه وعينيه نفسى - إلا من رحمته بأمته - ﷺ - وما أودع الرحمة فى قلبه إلا رحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما - سبحانه وتعالى الذى جعل الرحمة مائة جزء ، فأنزل من المائة جزءا واحداً فى الأرض ، كما جاء فى الصحيح ، ومن ثم كان قوله - تعالى - : ﴿ ومبشرا ﴾ مقدما على قوله - : ﴿ ونذيرا ﴾ فالشاهد - ﷺ - مبشر قبل أن يكون نذيراً ، وهذا ما يتفق مع المشهور من أن رحمة الله - تعالى - سبقت غضبه ، وإذا كان الحبيب المصطفى - ﷺ - يبشر المؤمنين ، وينذر الكافرين فهذا يفيد أن المؤمنين مقدمون على الكافرين بلا شك ، وينبغى أن يكون المؤمنون مقدمين على الكافرين فى الدنيا بالعلم والنهضة والغنى ؛ لأنهم

البقية ص ٤٢١

فى رحاب الذكرى العطرة

للأستاذ : ثروت السيد العراقى

كلما حل شهر ربيع الأول : شهر مولد المصطفى ـ صلى الله عليه وسلم ـ عمت الفرحة فى قلوب المسلمين ، وارتسمت البسمة على شفاههم ، كيف لا وميلاده كان إنقاذا للبشرية جمعاء من التيه والضياع والجهل والتخلف وإرشادا لها إلى طريق النور . ولا تسل عن النور فى حياته ـ صلى الله عليه وسلم ـ وفى دعوته فهو بفضل الله غامر وافر أنى التمسته وجدته[١] .

﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ كَثِيرٗا مِّمَّا كُنتُمۡ تُخۡفُونَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖۚ قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ ١٥ يَهۡدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِهِۦ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴾ **(المائدة : ١٥ ، ١٦)**

بصيص من هذا النور لو أبصرناه ، وأبصرنا على شجاعة حقيقية هذا الدليل ، فوعيناها ثم لم نقف عند حدود الوعى والفهم ، وإنما عملنا ونفذنا ، لأضاءت دنيانا من حولنا ، ولتغير من واقعنا الكثير ، وما أسعدنا حينئذ بل ما أسعد الأرض وأهل الأرض بنا .

ويجول فى الخاطر سؤال : أى جانب من حياته ـ صلى الله عليه وسلم ـ أولى بالدراسة والاقتداء ، وأية مرحلة من مراحلها أحرى بالتأمل والاتباع ، ولا يحتاج الجواب إلى كبير جهد ، فلو استعرضنا حياته ـ صلى الله عليه وسلم ـ لرأينا على المدى صورا تتحرى كل صورة . أغنى من أختها عطاء ودفعا .

ومن غير تكلف نقف قليلا نتأمل المرحلة الأولى من حياته ـ صلى الله عليه وسلم ـ بعد البعثة ، وهذا ما يقتضيه التسلسل التاريخى ، إذ لا حاجة

بنا أن نقفز قفزات بعيدة بحثا عن لقطة منتقاة ، فذلك أمر قد يبدو ملحا فى حق غيره - صلى الله عليه وسلم - فماذا نرى عندما نتأمل ؟ نرى رجلا واحدا قد استقام على مهيع الحق فى جانب والبشرية كلها توزعتها سبل الضلال ، ومزقتها شيعا وأحزابا فى جانب آخر . وإنه لشاق على النفس أن يكون المرء على أمر لا يعينه عليه أحد ، فكيف إذا كان ينكره ولا يرضاه أحد . ومع ذلك سار عليه وآله الصلاة والسلام . على الطريق الذى اختاره الله - تعالى - له لا يضعف من ثقته ، ولا يقلل من عزيمته أنه يسير وحده ليس له من الخلق مؤنس ولا نصير . هل اكتملت الصورة ؟ لا . فلم يلبث - صلى الله عليه وسلم - قليلا حتى جاءه الخطاب الإلهى طالبا منه أن ينذر عشيرته الأقربين ، وتثقل المهمة بسرعة ، فلم تمض سوى مدة يسيرة حتى اتسعت دائرة التكليف اتساعا شمل البشرية بأكملها ، وأصبحت مهمته - صلى الله عليه وسلم - أن يواجه القطيع الشارد كله ، وأن يلمه من السبل الكثيرة ، المتفرقة ليضعه على جادة الطريق .

فلا يكون ثم إلا سبيل واحد هو سبيل الله عز وجل .

ولو أسعف المرء خياله فاستحضر أمامه هذا المشهد ، لأحس بما تنطوى عليه نفس الرسول الشريفة من علو همة ، وشامخ ثقة وإيمان ويقين . رجل واحد على هذه الأرض يخالف أهل الأرض جميعا ، فى فكرهم وسلوكهم ، ولا يقف الأمر عند هذا الحد ، بل عليه ألا يدعهم ، وأن ينقلهم من الظلمات إلى النور . بعبارة موجزة عليه أن يغير واقع العالم تغييرا جذريا ، وقد فعل . فكيف حدث ذلك ؟ وكيف استطاع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أن يغير واقع العالم تغييرا جذريا ؟ من السهل أن نرجع ذلك كله إلى تأييد الله - تعالى - متغاسين عن كل اعتبار آخر مغمضين، أعيننا عن خدمة الأسباب الكبيرة التى تجمعت سببا بعد سبب بمقادير وأزمان ما يخطىء سبب وقته ولا مقداره .

بيد أننا لو فعلنا ذلك فأغمضنا وتغاضينا نكون قد أسأنا إساءة بالغة إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم -

أما الثانية فإننا نكون قد طمسنا حقيقة من أنصع الحقائق ، وسنة إلهية لا أرى من يجهلها قادرا على نصر هذا الدين .

ولعلك تحسست ماذا أريد ؟؟ إنها سنة الأخذ بالأسباب بسنة بذل الجهد ، والعمل على بصيرة ، والتى تضمن التأييد من الله فى كل لحظة وآن .

أما التأييد بلا عمل فليس هو السنة الجارية ، وهيهات أن يمد الله بمدده ، وأن يرعى بتأييده ، وأن يمنح نصره للمتواكلين والكسالى من عباده ، وما ينبغى لدين الله أن يكون تكئة لعشاق الاسترخاء ، وهواة الدعة والخمول ، هذه سنة إلهية نافذة فى أمر الدين ، وفى أمر الدنيا على السواء ، يسمعها القلب ، ويبصرها الوجدان فى حنايا هذه المقاطع من كتاب الله الخالد

﴿ وَقُلِ ٱعْمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾

(التوبة - ١٠٥)

﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ ﴾

(الأنفال - ٦٠)

والآيات فى هذا المعنى كثيرة يكاد بعضها يزحم بعضا فى ذاكرة من يعرفها ، أما الأحاديث الشريفة ذات الصلة بتلك السنة الإلهية فهى لا تقل عن

الآيات الكريمة عددا ، ومع وضوح القصد ، ونصاعة التعبير ، « اعملوا فكل ميسر لما خلق له »[1] .

« ياعباد الله تداووا فإن الله لم ينزل داء إلا أنزل له دواء غير داء واحد الهرم »[2] .

لابد من الأسباب التى قضت حكمة الله - تعالى - بجعلها طريقا مؤدية ، إلى الأهداف ، بكل ما تحمله كلمة الأسباب من معنى ، وإن كانت الأسباب فى حقيقة الأمر عاجزة عن تقرير المصير ، أو المساهمة فى أى تأثير ، إذ التأثير لله سبحانه .

وحرى بمن استسلم لمنطق العجز والكسل أن يدسه اليأس فى كهوف غائرة لا يدرك لها قرارا ، فلا يفيد ولا يستفيد ، هؤلاء بالأموات أشبه منهم بالأحياء ، هذا الصنف من خلق الله الداخلين فى تعداد المسلمين غثاء لا ينتهض لمكرمة ولا يؤمل لنفع ، هذا إن لم يضر الإسلام بخوره وروح التخاذل التى يستعيها كما يضره أعداؤه ومحاربوه .

إن ازدياد الفساد لا يستدعى تقليل العمل ، ولا يواجه بالانزواء والانطواء ، وإنما يقابل بمضاعفة الجهد وتكثيف النشاط فالمعادلة طردية لا عكسية كلما أرغى الفساد وأزبد ، وارتفع عدد ضحاياه ، وجب على أهل الحق إعلان النفير ، وزيادة ساعات العمل ، ولو واصلوا الليل بالنهار تعبا ونصبا من غير كلل ولا ملل ، فلا تبقى لله عليهم تبعة بعد ذلك ، أفلحوا فى بغيتهم أو لم يفلحوا .

ولك أن تقدر ما يكون عليه حال الدنيا لو أن كثيرا من المسلمين الفاهمين لدينهم ، فهموا هذا النهج ، وساروا على هذا الطريق ، متأسين فى ذلك لصاحب هذه الذكرى محمد بن عبد الله صلوات الله وسلامه عليه .

إنه ليس من حق المسلمين أن يستغربوا شرود الناس عن الإسلام اليوم . فلا بالكلام أجدنا عرض هذا الدين ، ولا بالفعال فماذا نرجو ؟ ولا وحى بعد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يتنزل على الناس .

إن كل ما سيقال لتسويغ العقود مردود على قائليه ، فإن قيل مثلا : إن الدعوة تحتاج إلى المال ، قلنا : فى أموال المسلمين ما يكفى ويزيد ، وإن قيل إن خصومنا منظمون تربطهم روابط ، قلنا : نحن أولى بهذا منهم ، وما هو بالأمر المعجز لكننا من غير إكراه نحارب من يجمعنا .

أفلا يعلم المسلمون أنه لم ينته دور الإسلام فى الحياة ، وأن مده آتٍ بعد جزره ، ومن عجيب أمر هذه الأمة أنها تنبعث فجأة انبعاثا يذهل الدنيا ، بعد أن يكون الناس جميعا قد حسبوا أنها ماتت من غير ما رجعة ، وذهبت فلن تعود !!

لقد بشرنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بفتح الشام ، والعراق ، وفارس ، والقسطنطينية . . وقد فتحت، فبشارته - صلى الله عليه وسلم - حق وثمة بلاد أخرى شملتها البشارة ، لكنها لم تفتح بعد ، فلابد أن يتحقق فيها موعود رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ولا تعجب إذا علمت أن من هذه البلاد روما .

---

(١) رواه البخارى .

(٢) اخرجه الترمذى ، كتاب الطب ، باب ما جاء فى الدواء والحث عليه رقم (٢٠٣٨) وقال حسن صحيح .

قال تعالى : ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴾

(الصف - ٩)

أخرج أحمد ، والطبرانى ، عن تميم الدارى - رضى الله عنه - قال : سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول : « ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار ، ولا يترك الله بيت مدر ولا وبر إلا أدخله الله هذا الدين بعز عزيز ، وبذل ذليل ، عز يعز به الإسلام وأهله ، وذل يذل الله به الكفر » .

اذكروا أيها الإخوة : أن الإسلام تناوشته محن سوداء ، فأحال سوادها ببياضها ، ودهمته شعوب بخطوب ماحقة ، لكنه محقها ، وخرج كالسيف قد سل من غمده .

ومازال أمامنا متسع بإذن الله ، والخير فى هذه الأمة لا ينقطع . لا تزال طائفة من أمتى ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم[3] ولنصغ إلى هذا الأداء الرائع من جوامع كلمه - صلى الله عليه وسلم - « أمتى كالمطر لا يدرى أوله خير أم آخره »[4] .

صدقت يارسول الله ، وكل ما كتبناه بعض ما علمتنا ، وبعض ما تلقيه الذكرى من عبر ، وما تفيض به من روح وثاب ، ونحن نرى أن الأرض مازالت قابلة للزرع لكننا لم نعمل المحراث ، ولم نلق البذور ، وأن الينابيع تكاد تتفجر ، ولا تحتاج إلا إلى ضربة معول ينبجس بعدها الماء النمير . وصدق من قال :

مازال قيس والغرام كعهده
وربوع ليلى فى ربيع جمالها
وبلاد نجد فى مراعيها المها
وظباؤها الخفرات ملء جبالها
والعشق فياض وأمة أحمد
يتحفز التاريخ لاستقبالها

أسانيد المقال :

١ - فقه السيرة .
٢ - حياة الصحابة .
٣ - مجلة منار الإسلام الإماراتية - العدد الثالث للسنة الثامنة .
٤ - المجلة العربية السعودية عدد ٨١١ .

(٣) رواه البخارى

(٤) ذكره ابو داود الطيالسى ، وابو عيسى الترمذى .

الجمال

وصف لخلق وخلق الرسول صلى الله عليه وسلم

للأستاذ : محمد عبد العظيم الجوهرى

سُئلت السيدة عائشة - رضى الله عنها - عن أخلاق الرسول - صلى الله عليه وسلم - فقالت : كان خلقه القرآن ، وقال هو عن نفسه : « أدبنى ربى فأحسن تأديبى » ، وشهد له الله - تعالى - فقال : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ (٤ القلم) ثم لخص - صلوات الله وسلامه عليه - سبب بعثته فقال : « إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق » .

تعالوا بنا بعد ذلك . . نستعرض كيف كانت أخلاق الرسول القرآنية وكيف أدبه ربه فأحسن تأديبه حتى استحق بذلك شهادة الله له بالخلق العظيم . . فأتم بذلك مكارم الأخلاق ، وذلك من خلال كلمة « الجمال » فى القرآن الكريم . فكما أن الرسول - صلى الله عليه وسلم - كان يتصف بجمال الخلْق ، كان يتصف - أيضاً - بجمال الخُلُق .

١ - قال تعالى فى سورة المعارج :

﴿ فَٱصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا ﴾ (المعارج : ٥) .

فالصبر الجميل هو الصبر المطمئن الذى لا يصاحبه السخط ولا القلق ولا الشك فى صدق الوعد ، صبر الواثق من العاقبة . الراضى بقدر الله ، الراضى بحكمته من وراء الابتلاء . وهذا اللون من الصبر هو الجدير بصاحب دعوة الحق . . فهى دعوة الله ، وهى دعوة إلى الله .

٢ - وقال تعالى فى سورة المزمل :

﴿ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا ﴾

(المزمل : ١٠) .

فالهجر الجميل الذى يسبقه الصبر ويلزمه . . لا عتاب معه ولا غضب ، أى : كن رفيقاً بهم ، متودداً إليهم ، ولا يحملنك ما يرمونك به عن سفاهة أو جهل على الدعاء عليهم ، بل ارفق بهم والتمس العذر لهم ، فهذا هو شأن العالم مع الجاهل والطبيب مع المريض . لذلك كان الرسول - صلى الله عليه وسلم - يدعو لقومه ويقول : « اللهم اهد قومى فإنهم لا يعلمون » . . وكان هجره لهم فى دار الأرقم بن أبى الأرقم ، وفى شعب أبى طالب ، ثم إلى المدينة المنورة . . كان هجراً جميلاً اتباعاً لأمر الله - تعالى - له فى هذه الآية .

٣ - وقال - تعالى - فى سورة الحجر :

﴿ فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ ﴾

(الآية : ٨٥)

فالصفح الجميل الذى لا ضغينة فيه ولا حقد ، ولا إضمار سوء للمصفوح عنه .

ولقد نزلت هذه السورة المكية فى عام الحزن الذى ماتت فيه السيدة خديجة - رضى الله عنها - وعمه أبو طالب ، وفقد الرسول - صلى الله عليه وسلم - الأنيس والنصير ، فاشتد إيذاء المشركين فسرى عنه الله - تعالى - برحلة الإسراء والمعراج ، ونزول بعض السور مثل سورة يوسف ، وهذه السورة التى تشتمل على قصص الأنبياء من قبله وما لاقوه من إيذاء من أقوامهم مع شىء من التفصيل لقصة لوط - عليه السلام - مع قومه ، فمهما فعلت قريش فلم تفعل معه مثلما فعل قوم لوط مع نبيهم فانتهكوا الحرمات وخالفوا الناموس ، وجاءوا لينتهكوا حرمة بيته وضيوفه :

﴿ قَالَ إِنَّ هَٰؤُلَاءِ ضَيْفِي فَلَا تَفْضَحُونِ ۝ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ ﴾

(الحجر ٦٨ ، ٦٩)

وكان هؤلاء الضيوف من الملائكة فى هيئة الإنسان . . جاءوا بالبشرى للوط - عليه السلام - ومن آمن معه ، وبالهلاك لمن عانده وآذوه .

واتباعاً لهذا التوجيه الإلهى . . عندما جاء ملك الجبال للرسول - صلى الله عليه وسلم - وهو لا يزال فى مكة وقال له : « لو شئت لأطبقت عليهم الأخشبين » . . أى جبلا مكة فما كان من الرسول - صلى الله عليه وسلم - إلا أن قال له : « لا . . لعل الله يُخرج من أصلابهم من يشهد أنه لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله » . . وقد كان فعلاً ما تمناه الرسول - صلى الله عليه وسلم - وخرج من أصلابهم من جاهدوا فى سبيل الله لكى تكون كلمة الله هى العليا ، ففتحوا البلاد ونشروا نور التوحيد الذى بدد ظلمات الشرك والكفر فى أرجاء الأرض ، وكان قمة الصفح الجميل عندما فُتحت مكة فى العام الثامن من الهجرة وقال لأهلها : « ماذا تظنون أنى فاعل بكم »؟ قالوا : خيراً . . أخ كريم وابن أخ كريم . . فقالها مدوية وحفظها له التاريخ فى موقف لا نظير له : « اذهبوا فأنتم الطلقاء » .

٤ - وقال تعالى فى سورة الأحزاب :

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴾

(الآية ٢٨)

والسراح الجميل . . هو مفارقة الزوج لزوجته بالحسنى إذا استحالت المودة والرحمة بينهما . وهذا الأمر عرضه الرسول - صلى الله عليه وسلم - على

أزواجه عندما تغلب عليهن طبع النسوة وطالبنه بزيادة النفقة ورغد العيش ، فأنزل الله عليه هذه الآية .. والآية التى بعدها :

﴿ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾

(الآية ٢٩)

وانتهى الأمر بأزواجه أمهات المؤمنين ـ رضوان الله عليهن ـ أن اخترن الله ورسوله والدار الآخرة فكنَّ من المحسنات اللاتى أعد الله لهن أجراً عظيماً فى الآخرة .. وهكذا ينبغى أن يكون اختيار الزوجة الصالحة .

ولا عجب أن يكون الجمال فى كل خُلُقٍ أدَّبَ اللهُ ـ تعالى ـ به رسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وفى كل أمر أمره به ، فإن كان المأمور .. جميل الخَلْق والخُلُق ، فإن الأمر « جميل يحب الجمال » كما جاء فى الحديث المشهور الذى رواه مسلم عن عبدالله بن مسعود ـ رضى الله عنه ـ .

والعبرة التى ينبغى أن يلتفت إليها كل مسلم يتأسى بالرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن الجمال أمر مقصود فى الخَلْق والخُلُق .. وهو من مطلوبات الدين .. وكل جميل هو من الدين ، وكل قبيح ليس من الدين .

وتعالوا بنا نقرأ آيات بينات من سورة النحل تلفت نظرنا إلى الجمال ، وتؤكد لنا أن الجمال قيمة من قيم الدين ، وليس ـ فقط ـ مبحثاً من مباحث الفلسفة .

﴿ وَٱلْأَنْعَٰمَ خَلَقَهَا ۗ لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَٰفِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ۝٥ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴾

(النحل : ٥ ، ٦) .

﴿ وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً ۚ وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾

(النحل : ٨) .

﴿ وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥٓ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴾

(النحل : ١٣) .

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا۟ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا۟ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى ٱلْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾

(النحل : ١٤) .

فالأنعام فيها جمال ، والخيل والبغال والحمير زينة .. والزينة جمال ، واختلاف ألوان ما يخرج من الأرض وما ينتشر فيها .. واختلاف الألوان جمال ، واستخراج الحلية من البحر ولبسها .. شكل من أشكال الجمال .

وبذلك تكتمل صور الجمال فى الدين :

- فالله جميل يحب الجمال .
- والرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ جميل الخَلْق وجميل الخُلُق .
- والجمال .. أمر مقصود من صنع الله ومن خلق الله .

وماأمر الله به هو الجمال ، وما نهى إلا عن كل قبيح .

فتعالوا بنا ننشد الجمال ، وننبذ القبح .

أضواء حول عالمية الإسلام واستمراريته (٢)

للأستاذ الدكتور
أحمد عبد الرحيم السايح

المجموعة الثالثة :

أدلة واقعية ، وهى كثيرة ، وكلها تشهد لعالمية الإسلام وأنه دين الإنسانية كلها . . وسنحاول أن نشير إلى الحقائق الواقعية التالية :

أولا : كان من السابقين إلى الإسلام أبو بكر العربى ، وبلال الحبشى ، وسلمان الفارسى ، وصهيب الرومى .

وأبو بكر - رضى الله عنه - كان من رؤساء قريش فى الجاهلية محبباً فيهم ، مألفاً لهم وكان إليه الأشناق[1] فى الجاهلية ، كان إذا حمل شيئاً صدقته قريش وأمضوا حمالته ، وحمالة من قام معه ، وإن احتملها غيره خذلوه ولم يصدقوه .

فلما جاء الإسلام سبق إليه ، وأسلم على يده جماعة لمحبتهم له ، وميلهم إليه[2] .

وأما بلال بن رباح : فقد اشتراه أبو بكر رضى الله عنه - وأعتقه لله - عز وجل - وكان عمر ابن الخطاب - رضى الله عنه - يقول : أبوبكر سيدنا ، وأعتق سيدنا ، يعنى بلالاً .

وقال مجاهد : أول من أظهر الإسلام بمكة سبعة : رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأبو بكر ، وخباب ، وصهيب ، وعمار ، وبلال ، وسمية أم عمار[3] .

وأما سلمان الفارسي : فأصله من فارس ، وكان ببلاد فارس مجوسياً ، سادن النار[4] ، فجاء إلى العرب فى قصة طويلة وأسلم .

وأما صهيب الرومى : فكان أبوه وعمه عاملين

(١) الأشناق : هى الديات . ابن الأثير ، أسد الغابة ، جـ ٣ ، ص : ٣١٠ .

(٢) ابن الأثير ، أسد الغابة ، جـ ٣ ، ص : ٣١٠ .

(٣) ابن الأثير ، أسد الغابة ، جـ ٥ ، ص : ٤٨١ .

(٤) ابن الأثير ، أسد الغابة ، جـ ٢ ، ص : ٤١٧ .

لكسرى على الأبلة[٥] ، وكانت منازلهم على دجلة عند الموصل .

ويقال : إن صهيباً لما كبر وعقل هرب وقدم مكة ، فحالف ابن جدعان وأقام معه ، ولما بعث رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أسلم ، وكان من السابقين إلى الإسلام .

قال الواقدى : أسلم صهيب وعمار فى يوم واحد ، وكان إسلامهما بعد بضعة وثلاثين رجلاً[٦] .

فماذا يعنى دخول الرومى ، والأفريقى ، والفارسى ، والعربى فى الإسلام ؟ يعنى وبكل تأكيد : أن الإسلام جاء للإنسانية كلها .

ثانياً : ومن الحقائق الواقعية فى التعامل الإسلامى الدال على عالمية الإسلام : « أنه نادى كل الناس » فكانت العقيدة المذهبية التى وضعها للإسلام ، والمبدأ العام الذى يحسب أن تسير عليه البشرية فى تطورها ، لتصل إلى غايته هو المعبر عنه فى قول الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾

الحجرات : آية ١٣ [٧]

والآية الكريمة ـ كما نرى ـ : خاطبت الناس ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ ﴾ أى : البشر جميعاً ، وتكرر استعمال هذه الكلمة الدالة على الجنس البشرى ، وكلمة الناس استعملت فى القرآن الكريم ، نحواً من أربعين ومائة مرة ، كثير منها ورد خطاباً للبشر عموماً كهذه الآية السابقة ، وكقوله تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ ﴾
(البقرة : آية ٢١) .

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا ﴾
(البقرة : آية ١٦٨) .

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰ أَنفُسِكُم ﴾
يونس : الآية ٢٣) .

وجاءت كلمة الناس فى معرض الحض على تقديم الخير للناس فى كثير من الآيات :

قال تعالى :

﴿ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا ﴾ (البقرة : ٨٣)

﴿ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ ﴾ (آل عمران : ١٣٤)

﴿ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ ﴾ (الشعراء : ١٨٣)

﴿ لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ ﴾ (النساء : ١١٤)

﴿ وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ ﴾
(النساء : ٥٨)

﴿ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ ﴾
(البقرة : ١٦٤ ويونس : ١٩٠)

---

(٥) هى بلدة على شاطىء دجلة ، على بعد اربعة فراسخ من البصرة فى زاوية الخليج الذى يدخل إلى مدينة البصرة ، وهى اقدم من البصرة كان سكانها قوما من الفرس ، يعملون فى البحر ، فلما قرب منهم العرب نقلوا ما خف من متاعهم وعيالهم إلى مدينة سيدان . وهى فى قول ابن سيرين : القرية التى مر بها موسى والخضر ـ عليهما السلام ـ فاستطعما اهلها ، فابوا ان يضيفوهما ، وقد نسب إلى الابلة جماعة من اهل العلم ، منهم : سيبان بن فروخ الابلى ، وحفص بن عمر بن إسماعيل الابلى وغيرهما . ابن قتيبة ، المعارف ، ص ١٥ .

ياقوت الحموى ، معجم البلدان جـ١ ، ص : ٧٦ ـ ٧٨ محمد بن عبدالمنعم الحميرى . الروض المعطار ص : ٨ ـ ٩ .

(٦) ابن الأثير ، أسد الغابة ، جـ٣ ، ص : ٣٦ ـ ٣٩ .

(٧) وانظر : محمد المبارك ، الحج والتوعية الإسلامية ، ص ٩٦ ، ضمن كتاب (استراتيجية العالم الإسلامى) ط : وزارة الحج والاوقاف ، مكة المكرمة ، سنة ١٣٩١ هـ ـ ١٩٧١ م .

بمعنى : الجنس البشرى عموماً ، لا بمعنى المسلمين العرب ، أو العرب ، بدليل قوله تعالى فى الآيات الآتية مما لا يمكن حمله إلا على الناس عموماً .

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ ﴾
(البقرة : ٢٤٣ وغافر : ٦١)

﴿ يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡأَهِلَّةِۖ قُلۡ هِيَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ ﴾
(البقرة : ١٨٩)

﴿ وَتِلۡكَ ٱلۡأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيۡنَ ٱلنَّاسِ ﴾
(آل عمران : ١٤٠)

﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ ﴾ (آل عمران : ١٤)

﴿ قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا ﴾
(الأعراف : ١٥٨)

إن استعمال هذه الألفاظ : (الناس) و(الإنسان) يرسخ معنى الإنسانية العام ، ووحدة الجنس البشرى ، ذلك أن القرآن الكريم ، لا يخاطب قومية معينة ، ولا شعبا معيناً ، بل يخاطب الإنسان بوجه عام(٨) .

فالإسلام - كما يفهم من النصوص القرآنية - جاء ليقيم رابطة الإنسانية القائمة على ارتباط البشر جميعاً بالله الخالق ، فهم جميعاً عباد الله لا ليجعل شعباً معيناً شعبه المختار .

والرسول الذى أمر بتبليغ الإسلام ، خوطب فى القرآن الكريم على هذا الأساس :

﴿ قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا ﴾
(الأعراف : ١٥٨)

ولم يرسل ليكون هادياً إلى قومه وحدهم ، كما أرسل موسى هدى لبنى إسرائيل ، وكما أرسل عيسى - عليه السلام - إلى خراف بنى إسرائيل الضالة(٩) ، إنما أرسل ليكون للناس أجمعين .

ثالثاً : ومن الحقائق الدالة على عالمية الإسلام : الكتب والرسائل التى بعث بها النبى - صلى الله عليه وسلم - إلى ملوك الأمم ، يدعوهم فيها إلى الإسلام .

يقول ابن هشام : بعث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - رسلاً من أصحابه كتب معهم كتباً إلى الملوك ، يدعوهم فيها إلى الإسلام .

- فبعث دحية بن خليفة الكلبى ، إلى قيصر ملك الروم .

- وبعث عبد الله بن حذافة السهمى إلى كسرى ملك الفرس .

- وبعث عمرو بن أمية الضمرى إلى النجاشى ملك الحبشة .

- وبعث حاطب بن أبى بلتعة إلى المقوقس ملك الإسكندرية .

وأشار ابن هشام ، فى سيرة النبى - صلى الله عليه وسلم - إلى كتبه ورسائل أخرى إلى ملوك عمان ، واليمامة ، والبحرين ، وتخوم الشام(١٠) .

ومن أمثلة هذه الكتب : ما أرسله النبى - صلى الله عليه وسلم - إلى النجاشى ، إذ قال له : « بسم الله الرحمن الرحيم . من محمد - رسول الله - إلى النجاشى ملك الحبشة . . أسلم أنت ، فإنى أحمد إليك الله الذى لا إله إلا هو ، الملك القدوس ، السلام المؤمن ، المهيمن ، وأشهد أن عيسى ابن مريم روح الله وكلمته ، ألقاها إلى مريم

(٨) محمد المبارك ، الحج والتوعية الإسلامية ، ص : ٩٧ ، ضمن كتاب : (استراتيجية العالم الإسلامى) .
(٩) المصدر السابق ، ص : ٩٩ .
(١٠) ابن هشام ، السيرة النبوية ، جـ ٤ ، ص : ٢١٧ ، باختصار شديد .

البتول الطيبة الحصينة ، فحملت بعيسى ، خلقه الله من روحه ونفسه ، كما خلق آدم بيده ، وإنى أدعوك إلى الله وحده لا شريك له والموالاة على طاعته ، وأن تتبعنى وتؤمن بالذى جاءنى ، فإنى رسول الله ، وإنى أدعوك وجنودك إلى الله - عز وجل - فقد بلغت ونصحت ، فاقبلوا نصيحتى ، والسلام على من اتبع الهدى »[11] .

وفى هذه الرسالة دعوة ملك الحبشة إلى الإيمان بالإسلام ، والدخول فيه ، وكذلك الرسائل الأخرى ، توجهت بالدعوة إلى دين الإسلام ، فى رسالة هرقل - عظيم الروم - قول الرسول - صلى الله عليه وسلم - : « فإنى أدعوك بدعوة الإسلام ، أسلم تسلم ، يؤتك الله أجرك مرتين »[12] . وفى الرسالة المبعوثة إلى كسرى - ملك الفرس - « أسلم تسلم فإن أبيت فعليك إثم المجوس »[13] ، وكذلك تضمنت الرسالة المرسلة إلى المقوقس عظيم مصر : « فإنى أدعوك للإسلام ، فأسلم تسلم ، وإن يسلم قومك يؤتك الله أجرك مرتين »[14] .

فكتب الرسول - صلى الله عليه وسلم - تؤكد الدعوة الإسلامية ، التى جاءت للناس أجمعين .

والباحث فى عالمية الدين الإسلامى : يجد أن هذه العالمية نطقت بها آيات القرآن الكريم ، وجاءت بها السنة النبوية ، وأكدها واقع الدعوة الإسلامية من سرايا ، وغزوات ، وفتوح ، واستقبال للوفود ، وكتب للملوك فى العالم .

والأدلة على عالمية الإسلام أكثر من أن تذكر ، وتتجلى فى الإسلام وأحكامه وتشريعه وأخلاقه ، وفضائله ، وكل ومضة من ومضاته ، وإشراقة من إشراقاته .

كان من السمات البارزة للدين الإسلامى : أنه جاء لكل الناس ، وقد أكد ذلك الواقع الذى عاشته الدعوة الإسلامية فى بدايتها ومسيرتها فى الحياة ، فأثبتت الدعوة إلى الإسلام : أن الإسلام للناس أجمعين ، ومن ثم كانت العالمية سمة بارزة من سمات الإسلام .

ولا يخفى أن بيان عالمية الإسلام يقتضى : أن نتعرف على الاستمرارية ، لأنها عامل من العوامل الذاتية ، التى دفعت الناس إلى التعرف على هذا الدين ، والدخول فيه .

والاستمرارية تفيد خلود الإسلام ، واستمرار بقائه ، وامتداد رسالته ، مادامت البشرية تواصل حياتها على هذا الكوكب ، وقد شاء الله - سبحانه وتعالى - أن يكون هذا الدين الذى يلازم البشرية فى مسيرتها ، ويستوعب مظاهر التجدد والنمو فى حياتها ، هو دين الإسلام ، لأنه الدين المؤهل لإنارة الطريق أمام الإنسان وقيادته نحو الخير والصلاح .

والآية الكريمة التى عدت الدين عند الله الإسلام :

﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾ (آل عمران : ١٩)

فالإسلام مر بمراحل كبيرة ، عبر أنبياء الله ورسله ، إلى أن انتهى إلى المرحلة التكاملية فى

---

(١١) على الأحمدى ، مكاتيب الرسول ، ص ١٢١ ، الزيلعى ، نصب الراية لأحاديث الهداية ، جـ ٤ ، ص : ٤٢١ .

(١٢) رواه البخارى فى صحيحه ، كتاب بدء الوحى ، جـ ١ ، ص : ٣٢ ، وفى كتاب الجهاد ، جـ ٦ ، ص : ١٠٩ .

(١٣) رواه البخارى فى صحيحه مع فتح البارى ، كتاب الجهاد ، باب دعوة اليهود والنصارى ، وعلى ما يقاتلون عليه ، وما كتب النبى - صلى الله عليه وسلم - إلى كسرى وقيصر ، والدعوة قبل القتال ، جـ ٦ ، ص : ١٠٨ .

(١٤) رواه الزيلعى ، فى نصب الراية ، جـ ٤ ، ص : ٤٢١ .

رسالة محمد - صلى الله عليه وسلم - التى جاءت إلى الإنسانية كلها (١٥) .

فالإسلام يشتمل على امتداد زمانى فى المعتقد الدينى ، يعرض لقضية البشرية من نشأتها إلى غايتها .

ويشتمل على شمول موضوعى يغطى مجالات الحياة جميعاً ، ويشتمل - أيضاً - على شمول يضم الأديان كلها ، ويدعوها إلى تصحيح معتقداتها والانخراط فى سلك الذين أسلموا لله .

وهذا الطابع الشمولى هو الذى جعل من الإسلام الصيغة الوحيدة الباقية المستمرة أبد الدهر (١٦) .

ولقد كان الإسلام فى صورته التى بلغها محمد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - هو الدين الذى ارتضاه الله - سبحانه وتعالى - ديناً أبديا . وكما أن كل شىء مرده فى النهاية إلى إرادة الله - سبحانه وتعالى - واختياره ، فيجب أن نعلم أن اختيار الله لهذا الدين ، واصطفاءه لرسوله قد كان بالحق .

﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴾
(الصف : ٩)

﴿ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ ﴾ (المائدة : ٤٨)

يظهر ذلك فى طابع هذه الرسالة وخصائصها التى تنطق فى جملتها وتفصيلها بأنها خاتمة الرسالات ، وأنها لذلك أبدية ، لا تنسخها شريعة أخرى إلى قيام الساعة (١٧) .

ولذلك كانت تعاليم رسالة الإسلام ، لا تغيب عن الناس ، ولن تغيب وسوف تبقى ثابتة وكل الشواهد تدل على ذلك :

فهى أولاً : مجموعة من الحقائق فى العقيدة ، والشريعة والأخلاق والحقائق لا تتغير مهما تغير المكان ، أو تغير الزمان ، وما هو ثابت فى نفسه ، يستوى فى ضرورة العلم به أن يكون عند بدء الخلق وعند قيام الساعة .

وهى ثانياً : مسجلة فى القرآن الكريم ، الذى نقله جبريل - عليه السلام - عن الله بأمانة تامة ، ونقله كذلك محمد - صلى الله عليه وسلم - عن جبريل ، ونقله الصحابة - رضوان الله عليهم - من رسولهم ، ثم تتابعت الجماهير الغفيرة تنقله عبر القرون ، حتى بلغت به إلينا ، مثلما نزل قبل أربعة عشر قرناً وسنورثه نحن - بإذن الله تعالى - غيرنا ، وهكذا إلى يوم القيامة .

وهى ثالثاً : واقعية ، بمعنى أنها تعايش الإنسان ، وتقدم له الحلول العلمية لمعاشه ومعاده ، وتحيط به فى النواحى التى يتجه إليها ، وبذلك تحقق لدى الناس تذكراً دائماً (١٨) .

واستمرارية الإسلام تشهد لها آيات القرآن الكريم ، وأحاديث الرسول - صلى الله عليه وسلم - ومن ذلك :

قوله تعالى : ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ۗ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴾

(الأحزاب : ٤٠)

يقول ابن كثير : « فهذه الآية نص فى أنه

---

(١٥) د . أحمد السايح ، أضواء على الحضارة الإسلامية ، ص : ١٤٥ .

(١٦) المصدر السابق ، ص : ١٤٤ ، ١٤٦ .

(١٧) د . عبد الفتاح بركة ، الرسول الكريم خاتم النبيين ، ص : ٤٣ .

(١٨) د . أحمد غلوش ، الدعوة الإسلامية ، ص : ٢٠٨ .

لا نبى بعده ، وإذا كان لا نبى بعده ، فلا رسول بطريق الأولى والأحرى ، لأن مقام الرسالة أخص من مقام النبوة فإن كل رسول نبى ولا ينعكس » (١٩) .

ثم إنه - سبحانه وتعالى - أكد ذلك بقوله (وخاتم النبيين) أى : هو آخر نبى بعثناه فى العالم ، ولن يأتى بعده نبى ، فضلاً عن أن يأتى رسول .(٢٠)

وقال تعالى : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ (الحجر : ٩)

وعن أبى هريرة - رضى الله عنه - عن النبى - صلى الله عليه وسلم - قال : « إن مثلى ومثل الأنبياء من قبلى ، كمثل رجل بنى بنياناً ، فأحسنه وأجمله ، إلا موضع لبنة من زاوية ، فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له ، ويقولون : هلا وضعت هذه اللبنة ، فأنا هذه اللبنة ، وأنا خاتم النبيين » (٢١) .

وعن أبى هريرة - رضى الله عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : « فضلت على الأنبياء بست : أعطيت جوامع الكلم ، ونصرت بالرعب وأحلت لى الغنائم ، وجعلت لى الأرض طهوراً ومسجداً ، وأرسلت إلى الخلق كافة وختم بِىَ النبيون » (٢٢) .

وعن أنس بن مالك - رضى الله عنهما - قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « إن الرسالة والنبوة قد انقطعت ، فلا رسول بعدى ، ولا نبى ، قال : فشق ذلك على الناس . قال : قال : ولكن المبشرات » .

قالوا يا رسول الله : وما المبشرات ؟ قال : « رؤيا الرجل المسلم ، وهى جزء من أجزاء النبوة » (٢٣) .

والإمام ابن كثير - بعد أن أورد كثيراً من الأحاديث النبوية التى جاءت فى ختم النبوة - يقول : « والأحاديث فى هذا كثيرة ، فمن رحمة الله بالعباد : إرسال محمد - صلى الله عليه وسلم - إليهم ، ثم من تشريفه له ، ختم الأنبياء والمرسلين به ، وإكمال الدين الحنيف له ، وقد أخبر - تعالى - فى كتابه ، ورسله فى السنة المتواترة عنه : إنه لا نبى بعده » (٢٤) .

ولقد نجد معنى هذا الختم يتغلغل فى كل نواحى الرسالة الإسلامية ، حتى أنه لا يستقيم فهمها إلا فى ضوء هذا المعنى . وآيات القرآن الكريم ، وأحاديث الرسول - صلى الله عليه وسلم - كثرة كاثرة ، من التصريحات والتنبيهات والإشارات تؤكد أن الإسلام خاتم الأديان السماوية ، وأن محمداً رسول الله - صلى الله عليه وسلم - خاتم النبيين والمرسلين (٢٥) .

ومن هنا كانت تعاليم الإسلام لن تقصر عن البشر ، مهما وصل مستواه ، لأن تعاليم الإسلام اتجهت لسائر الدعوات السابقة وصدقتها ، وكملت بما يناسب الرقى الإنسانى .

---

(١٩) ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، جـ ٦ ، ص : ٤٢٣ .

(٢٠) أبو الأعلى المودودى ، ختم النبوة فى ضوء القرآن والسنة ، ص : ٦ ، ترجمة خليل أحمد الحامدى ، طبع ونشر : مكتبة الرشد ، بالرياض ، سنة ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ .

(٢١) رواه مسلم فى صحيحه ، كتاب الفضائل ، باب ذكر كونه - صلى الله عليه وسلم - خاتم النبيين ، جـ ٤ ، ص : ١٧٩١ .

(٢٢) رواه مسلم فى صحيحه ، كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، جـ ١ ، ص : ٣٧١ .

(٢٣) رواه أحمد فى مسنده ، جـ ٣ ، ص : ٢٦٧ ، ورواه الترمذى فى صحيحه باب ذهبت النبوة ، وبقيت المبشرات ، جـ ٩ ، ص : ١٢٦ .

(٢٤) ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، جـ ٦ ، ص : ٤٢٥ .

(٢٥) د . عبدالفتاح بركة ، الرسول الكريم ، ص : ٦ - ٧ ، بتصرف .

فقد راعت تعاليم الإسلام فى هيمنتها : الارتقاء العقلى للإنسانية ، فدعت إلى وحدانية مطلقة لله فى الذات والصفات والأفعال ، واجتثت الوثنية بأشكالها وألفاظها ، وتأثيراتها السيئة على الأفراد وعلى الجماعات ، بحيث لا يخضع الإنسان إلا لخالقه ، ولا يعبد إلا الله ـ سبحانه وتعالى .

وأيقظت هذه التعاليم العقل من نومه ، فعابت على المقلدين ، والأتباع الذين كان شعارهم :

﴿ إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ ﴾
(الزخرف : ٢٣)(٢٦)

وأمرت بالنظر والتدبر ، ووجهت الإنسان إلى الآيات والبراهين : ﴿ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾
(البقرة : ١٦٤) (٢٧)
﴿ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (الحشر : ٢١) (٢٨)

وأتى الإسلام فى كل مجال بتوجيه رائع ، وإصلاح سليم ، ولم يترك مشكلة إلا أزالها ولا عقدة إلا حلها ، ولا خطأ إلا أصلحه (٢٩) .

يقول محمد عبده : « لم يدع الإسلام أصلاً من أصول الفضائل إلا أتى به ، ولا أماً من أمهات الصالحات إلا أحياها ، ولا قاعدة من قواعد النظام إلا قررها ، فاستجمع للإنسان عند بلوغ رشده حرية الفكر ، واستقلال العقل ، وما به صلاح السجايا ، واستقامة الطبع ، وما فيه إنهاض العزائم إلى العمل ، وسوقها فى سبل السعى ومن يتل القرآن حق تلاوته ، يجد فيه من ذلك كنزاً لا ينفد ، وذخيرة لا تفنى . . هل بعد الرشد وصاية وبعد اكتمال العقل ولاية ؟ . . كلا قد تبين الرشد من الغى ، ولم يبق إلا اتباع الهدى ، والانتفاع بما ساقته أيدى الرحمة ، لبلوغ الغاية من السعادتين ، لهذا اختتمت النبوات بنبوة محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ وانتهت الرسالات برسالته » (٣٠) .

وهناك أحاديث جاءت عن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ تعرض لاستمرارية الإسلام حتى تقوم الساعة . . روى المغيرة بن شعبة عن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : « لا يزال طائفة من أمتى ظاهرين ، حتى يأتيهم أمر الله وهم ظاهرون » (٣١) .

وروى معاوية بن أبى سفيان ـ رضى الله عنهما ـ وهو يخطب ، قال : سمعت النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول : « من يرد الله به خيراً يفقهه فى الدين ، وإنما أنا قاسم ، والله ـ عز وجل ـ يعطى ، ولن يزال أمر هذه الأمة مستقيماً ، حتى تقوم الساعة ، أو حتى يأتى أمر الله » (٣٢) .

البقية ص ٤٣٨

---

(٢٦) وفى سورة الزخرف ، اية رقم : ٢٢ يقول فيها رب العزة :
﴿ بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّهْتَدُونَ ﴾
(٢٧) ومادة (عقل) تكررت فى القرآن الكريم فى اكثر من اربعين موضعاً . محمد فؤاد ، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، ص ٤٦٨ و٤٦٩ .

(٢٨) ومادة (فكر) تكررت فى القرآن الكريم فى اكثر من ثمانى عشرة مرة . محمد فؤاد ، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، ص ٥٢٥ .

(٢٩) د . احمد غلوش ، الدعوة الإسلامية ، ص ٢٠٩ ، بتصرف .

(٣٠) محمد عبده ، رسالة التوحيد ، ص ٢٣٧ ـ ٢٣٨ .

(٣١) رواه البخارى فى صحيحه مع فتح البارى ، كتاب الصيام ، باب لا تزال طائفة من امتى ظاهرين على الحق ، جـ ١٣ ، ص : ٢٩٣ .

ورواه مسلم فى صحيحه ، كتاب الإمارة ، باب قوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ لا تزال طائفة من امتى ظاهرين على الحق ، لا يضرهم من خذلهم .

(٣٢) رواه البخارى فى صحيحه مع فتح البارى ، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة باب لا تزال طائفة من امتى ظاهرين على الحق وهم اهل العلم ، جـ ١٣ ، ص ٢٩٣ ، ورواه مسلم فى صحيحه ، كتاب الزكاة ، باب النهى عن المسالة ، جـ ١٠ ، ص ٢٤٢ .

لماذا يخاف الغرب الإسلام؟

للأستاذ الدكتور
محمد إبراهيم الفيومى

يمر المجتمع الإسلامى اليوم ـ شأن بقية المجتمعات ـ بمرحلة انتقال خطيرة ، غير أن الذى يميز هذا المجتمع ، أن أعضاءه يواجهون الحياة العصرية ، بحيرتها ، وفرصها ، بوصفهم ورثة تراث دينى فريد كذلك ، وهذا المجتمع يتميز بخصائص تميزه عن بقية المجتمعات الإنسانية ، فضلا عن اشتراكه فى خصائصها ، هى : إسلام ، إيمان ، ماضٍ عظيم .

فأولى ميزات هذا المجتمع هو أنه « مسلم » ، وهذه الخاصية كما يراها الاستشراق أو الغرب : هى أهم ما يميز عالم الجنوب ، وأنها لتعنى الكثير مما يتصل بالتاريخ الحديث من وحدة ، وإيمان وعقيدة ، وتوجه نحو الارتباط بالماضى ، الذى يشحذ النفوس بالتطلع إلى المستقبل المشرق ، وتلك هى السمات المشتركة ، مهما اختلف العالم الإسلامى فيما بينه وتباينت مراميه .

من هنا يرى الغرب : أن متابعة العالم الإسلامى من خلال التطورات ، التى تحدث فى التاريخ المعاصر ، وهى كثيرة وجوهرية ، لدرجة تجعلها تدق على الفهم ، لهو عظيم الأهمية ، وذلك لا يتم إلا بدراسة الأوضاع القائمة فى الأقطار الإسلامية ، واحدا بعد الآخر ، وهذا هو ما يجرى عليه الآن التوجه الغربى ، وإذا قامت دراسة العالم الإسلامى على هذا المنهج ، لتقطع بأن فهم الأحداث الجارية فيه يؤدى بالضرورة إلى فهم صفتها « الإسلامية » فيما يظنون .

لكننا نرى أنه إذا كان التاريخ من صنع الأفراد ، ومن صنع النشاط الإنسانى ، فهو

ـ أيضا ـ يتأثر بحركة القوة الروحية ، وهى ولا شك تصنع النشاط الإنسانى ، فعقيدة المسلم ، تصنع إيمانه وسلوكه ، وتؤثر فى تصور مجتمعه ، سياسيا ، واقتصاديا ، وذلك ما تعنيه هذه الخاصية المميزة ، وسط ضروب الاختلاف والتباين ، القائمة فى أنحاء العالم الإسلامى ، وهذا هو ما يبرر القول ، ويفزع الغرب ، بأن التاريخ الإسلامى مازال حثيث الخطى نحو ترابط ماضيه بمستقبله .

ذلك الذى يؤرق الغرب من الإسلام ، فى التاريخ الحديث ، ألا وهو : الصفة « الإسلامية » تلك التى تتميز بها الشعوب الإسلامية ، وهذه الصفة على الرغم من أن عمرها خمسة عشر قرنا ، فمازالت تقود حركة التاريخ ، وتقترن بفكرة التطور .

ويظهر لنا من خلال اهتمام الغرب الثقافى بالإسلام ، أنه يهدف إلى توجيه الانتباه إلى أن دور الإسلام فى تحول وبعث « مما كان إلى ما سيكون » غير أن الغرب يرى أنه من الصعب أن يتنبأ بما سيكون عليه الحال فى المستقبل ، ولكن فى الوقت نفسه يستطيع أن يرقب مرحلة التطور المعاصرة ، والتى يتكون فى أضوائها الغد المرتقب .

ومما يلفت النظر فى شأن « الغرب والإسلام » أن فكرة التطور تصدق على كل مراحل التاريخ ، فلماذا يعتبرها شيئا خاصا بالإسلام ، ويجعل تحوله مرحلة تحول خطير ، يسبب قلقا للغرب .

يعرف الغرب وهو بصدد الإجابة عن هذا السؤال ، أنه من المتفق عليه أن كل شىء فى العالم موضوع للتغير المستمر ، إلا أن الذى يميز هذا العصر سمتان :

* الأولى : إن التحول يتم بسرعة كيفا وكما .
* الثانية : إن هذا التحول ، أو التطور يتم على نطاق واسع ، وبشكل واع .

وعلى الإنسان أن يعيش حليف التحول ، سواء أكان إلى أحسن أم إلى أسوأ ، وكما يرى الغرب أن عليه أن يسيطر على ما يطرأ على حياته من تغيير ، على أنه بالإضافة إلى ماسبق أن الإسلام فى أسلوبه الحديث يشترك فى وضوح مع بقية عالم اليوم ، غير أنه يتميز باعتبارات خاصة تخصه وحده ، وهذه العوامل النوعية أو الخاصة يرى الغرب أنها لم تحظ بنصيب ملحوظ من الدراسة ، على حين أنه يجب عرضها بعناية ، وما توليه الأزمة الحالية من اعتبار .

من هنا اشتدت وطأة الغرب على الإسلام ، وانقيادا لازدواجية الغرب الفكرية ، يقدم الإسلام لأهله على أنه إرهاب وبداوة ، وتطرف وعرق وجنس ، وأنه عدو التطور ، وشىء جامد ، ويعوق عن التقدم بتلك الصفات السلبية ، يقدم الإسلام ، فى وقت تشتد وطأة التوجه الإسلامى نحو اليقظة على المسلم الحديث ، ومجتمعه ، كما تشتد دعوات المصلحين إلى تجديد الفكر الإسلامى ، لو كان الأمر كذلك ، كما يصف الغرب الإسلام لما كان بحاجة إلى تلك الدراسة الواسعة عنه .

إنما الغرب وهو يشيع ذلك عن الإسلام ، يرى أنه فى حاجة إلى فهم شامل ، وواضح لماهية الإسلام ، وماهية الحياة العصرية ، التى تعيشها المجتمعات الإسلامية ، فهو كما يرى أن الإسلام قوة ، وفى حركة منذ خمسة عشر قرنا ، وما من

شك أنه فريد فى هذه الناحية ، وتزداد حركة التاريخ الإسلامى فى العصر الحاضر ، حتى ليعتبر أن التطور التاريخى بوجه عام يعتبر خاصا بالنسبة للإسلام .

ووجهة نظر الدارسين للإسلام فى الغرب : أن فى الإسلام قدرات فائقة على التطور ، وهذا يمكن إدراكه فى الدور العملى للإسلام ، فى التاريخ الحديث ، وهى أن القول بأن الإسلام دين ، هذا القول يعنى الكثير ، وأكثر مما قد يستطيع أحد إدراكه ، معناه : أنه يمثل النقطة التى يلتقى عندها المؤمن ، خلال ركام التقاليد والأعراف ، بأبدية الله ، وهو الوسيلة المثلى ، التى بها آمن الإنسان بالله ، ومهما اختلف المسلمون عمقا أو سطحية ، اعوجاجا أو استقامة ، إثما أو غفرانا ، فالإسلام هو الحياة الدينية لكل فرد منهم .

لذلك لا يكفى لمعرفة الإسلام ، الإلمام بنظمه وأنماطه وتاريخه ، بل يجب التعمق والإحاطة بما يعنيه ، هذا كله لدى معتنقيه .

وواضح أن الإسلام ، وإن اشترك مع غيره من الأديان السماوية ، غير أنه تميز بالمرونة ، وملاءمته لظروف الحياة ، وقدرات الأفراد ، وأمانيهم المختلفة .

وهو عقيدة حية تتجدد كل صباح فى قلوب المسلمين ، والإسلام عند المسلم دين الله ، وهذا يعنى أشياء كثيرة ، من بينها : أنه لم يبدأ فى القرن السابع الميلادى ، بل بدأ مع الخليقة نفسها ، أو هو سابق عليها .

نزل الإسلام منذ بدأ دوره النهائى الكامل بين الناس ، فى كتاب ـ القرآن الكريم ـ وتكفل الله بحفظه فى لغة عربية ، فيها جمال وإعجاز ، وكان أول توجيه مثمر ونافع ، فى سبيل بناء الدولة الإسلامية ، وإقامة شأن الجماعة التى عرفت باسم : المسلمين ، وبظهور هذه الجماعة اندفعت فكرة الإسلام « دين الإسلام » فى العالم ، مترجمة إلى عمل منظم مستمر الحركة ، وهكذا ولد عصر جديد فى تاريخ البشرية ، بقيادة محمد رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وامتدت فى موجات متدفقة إلى أقاليم العالم المختلفة ، وأخذت على عاتقها تنظيم حياتها ومجتمعها ، وفق تعاليم الله .

أخذ شكل المجتمع المسلم يتخذ شكل القوة السياسية ، منذ أن هاجر الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ وجماعته القليلة إلى المدينة ، حتى جعلوا من أنفسهم مجتمعا ذا حكم ذاتى ، ومنها بدأ تاريخ الإسلام .

فالقرآن عند المسلم مقدس ، وكذلك مجتمعه وتاريخه ، إذ أن المجتمع الإسلامى مجتمع يسير وفق هداية الله وتعاليمه ، وعلى من يريد أن يصبح مسلما أن ينضم إلى هذا المجتمع ، ويشارك بقية أفراده فى العمل على تحقيق رضوان الله فى هذه الأرض .

وفى هذا الاتجاه يصبح الإنسان قريبا من الله ، ويتم مصير البشرية ، بقدر ما يقرب العمل من الخير ، والخير هنا أسلوب الحياة الذى يتخذه من القرآن وحيه ، ومن المجتمع الإسلامى تعبيره .

إن التاريخ الإسلامى بالنسبة للمسلم يعتبر بمثابة القنطرة التى تصل الإنسان بماضيه ، ذلك النموذج الأمثل ، ويمثل لدى الإنسان فى السلوك الخلقى يلتقى الخالق بالمخلوق .

إن للمجتمع وظيفة ضخمة وعظيمة فى الإسلام ، غير أنها لم تنل أهمية فى دراستها . .

التاريخ الإسلامى هو المجتمع نفسه ، فحركة التاريخ هى حركة المجتمع ، وتلك الحركة تستحق التفكير ، وذلك ما يخوف الغرب ،

فالمجتمع الإسلامى فيه تضامن ملحوظ ، وتماسك أعضائه وولاؤهم شديد ، وليس المجتمع الإسلامى بالوحدة الاجتماعية فحسب ، ولكنه أيضا وحدة دينية تمتزج فيها الدولة بالدين ، ويقوم على العقيدة الفردية ، وهو - أى المجتمع - مظهر المثل الأعلى الدينى ، ومظهر عملى لعقيدة المسلم الشخصية ، فعضوية الفرد المسلم فى مجتمعه ليست بالشىء المضاف أو التابع ، إنما هى مظهر لإسلامه الشخصى .

ومما يميز الإسلام : أن المسلمين قد يختلفون فيما بينهم ، إلا أن هذا الخلاف لم يكن يتصل بأصول الدين ، وإنما فى الغالب كان حول طرق ممارسته ، والمسلم الصالح ، هو الذى يستطيع أن يعبر عن اعتقاده تعبيرا عمليا ، يتفق والقانون أو الشريعة .

وأن نواحى النزاع الأساسية فى الإسلام تنصب أساسا على الاتجاه ، الذى يأخذه التطور التاريخى الإسلامى .

والفكرة الأساسية التى تحكم المجتمع الإسلامى ، فى حركة التطور ، هى : أن الفرد يجب ألا يشذ عن المجموع ، بأن يرتد عن عقيدته .

وأن تكون القيادة فيه مسئولة عن معرفة المجموع ، للطريق القويمة ، واتباعهم إياه ، وفى سبيل هذه « المعرفة » يوجد « العالم » و « المفتى » و « قدوة » الاتباع ، وارتبطت الخلافة بالإمامة ، فالحقيقة الدينية التى هى وليدة الإيمان لدى المسلم متعادلة ، والحقيقة التاريخية .

وتاريخ الإسلام على الأرض يمتاز فى قرونه الأولى بالعظمة والإبداع ، سواء من الناحية الدنيوية ، أو الناحية الروحية ، امتلأ بالغزو والفتح ، وهوت أمامه إمبراطورية الفرس ، وإمبراطورية الرومان ، حتى فاقت فى اتساعها إمبراطورية الرومان .

ولم تكن المسألة مجرد جيوش منتصرة ومعارك وحسب ، وإنما كانت هذه الجيوش تحمل معها مدنية جديدة ، فكان ثمة تقدم فى العلوم ، والفنون أو اللغة والأدب والتشريع والإدارة والتجارة ، إلى غير ذلك من ضروب التقدم والرقى ، لقد كان فتحا وبناء تمخض عن مجتمع عظيم جديد ، اكتملت فيه عناصر القوة والمجد .

وكان من عوامل النجاح ذلك الحوار الثقافى الذى عقده المسلمون مع غيرهم من شعوب الأرض وثقافاتها كالإغريق ، والثقافات السامية المنحدرة من الشرق الأدنى والقديم ، وإيران والهند ، وعمل المسلمون على مزج هذه العناصر الثقافية مزجا متجانسا ، ثم ساروا بها فى تقدمهم ، وقد طبع الإسلام كل نواحى الحياة ، فى هذه العصور بطابعه ، وكان التشريع الدينى مركز القوة الموحدة ، التى تولت تنظيم كل شىء فى الحياة ، فأضفى التشريع بذلك وحدة على العالم الإسلامى من أقصاه إلى أقصاه ، فكانت مهمة الإسلام بناء نوع من النظام الاجتماعى ، يتفق وأوامر الله ، وبذلك يختلف الإسلام عن بقية الأديان السماوية : بأنه نظام دينى ، واجتماعى ، وسياسى ، وثقافى ، واقتصادى من أول مانزل .

المسئولية الاجتماعية للمسجد في المجتمع المصري المعاصر

للأستاذ الدكتور
محمد محمد البادى*

المسجد فى حياة أمة لها تراثها الثقافى الأصيل ، يمثل رمزاً ورسالة . والمسجد كرمز ، ظل منذ قرون طويلة دليلاً على عمق الشعور الدينى فى نفسية المصرى ، ووجدانه ، ولكنه كرسالة ، ارتفعت على أبوابه علامة استفهام كبيرة ، وسط ظروف سياسية ، واجتماعية ، عاشها المجتمع المصرى ، ولا تزال آثارها باقية فيما نسميه : بمشكلة بناء الإنسان المصرى المعاصر .

ولا أحد ينكر أن المسجد يمكن أن يلعب دوراً مباشراً فى علاج هذه المشكلة ، ولقد ظل - بسبب سلبية بعض دعاته - فى أغلب حقب التطور السياسى والاجتماعى للمجتمع المصرى ، جامداً أمام ظروف ومشكلات ، أفقدت الفرد توازنه العقلى والنفسى ، كما أفقدته قدرته على التوافق مع نفسه ومجتمعه وعصره ، وليست الظواهر الاجتماعية غير السوية ، كالجماعات الدينية المتطرفة ، والخروج فى مجالات كثيرة عن الأصول الإسلامية السليمة ، إلا أدلة واقعية على ذلك .

ولئن كانت رسالة المسجد ذات طابع دينى فى مضمونها وأصولها ، تستهدف دعم الدين بنشره وتعميقه فى النفوس ، والعقول والسلوك ، فإن الظروف التى يمر بها المجتمع ، وما يترتب عنها من مشكلات تهز قيم الفرد وتقاليده ومثله ، وأنماط سلوكه ، وتتركه فى صراع داخلى مؤثر إلى حد التدمير أحياناً ، تفرض أن يؤدى المسجد رسالته داخل إطار اجتماعى ، وبمعنى آخر ، أن يؤدى رسالته الدينية داخل إطار من مسئوليته الاجتماعية ، وهذا ما ينبغى أن يكون عليه

(*) الكاتب : رئيس قسم الصحافة والإعلام - كلية الآداب - جامعة المنصورة .

مضمون دوره الجديد فى المجتمع المصرى المعاصر .

وليست صفة الجدَّة هنا منسوبة إلى دور المسجد بقدر ما هى منسوبة إلى تجدد الحاجة إليه وإلحاحها ، فإن هذه الزاوية من النظر إلى دور المسجد فى المجتمع المصرى ، كان من المفروض أن تجد تطبيقها منذ سنوات طويلة حتى لا يكون المسجد فى وادٍ ، والمجتمع بظروفه وتياراته وتغيراته ومشكلاته فى وادٍ آخر ، وبينهما فرد يتمزق ، وبتمزقه تتبدد آمال أمة بأسرها فى التطور الآمن والتقدم المتزن ، فالفرد هو الخلية الأولى فى بناء المجتمع ، وبصلاحه يصلح بناء المجتمع كله ، وهذه مسلمة لا جدال فيها .

ولعل ما يعطى لهذا الدور الجديد أبعاده الحقيقية ، أن الدين الإسلامى لا ينظم الصلة بين الإنسان وخالقه فحسب ، ولكنه ينظم أيضاً صلة الإنسان بمجتمعه ، بكل جوانبها الاجتماعية والسياسية ، فهو ينظم علاقة الفرد بالحاكم ، كما ينظم علاقته بالجماعات ، التى ينتمى إليها داخل المجتمع وتربطه بها مصالح مشتركة ، بالإضافة إلى أنه ينظم علاقته بنفسه ، بل إنه أدخل كل هذه العلاقات داخل إطار دينى ، بحيث إذا صلحت ، كان الفرد أقرب إلى ربه ، وإذا فسدت ، كان الفرد بعيداً عن ربه ، لكن المسجد ، تحت ضغط ظروف معينة ، أسهم بطريقة مباشرة أحياناً ، وبطريقة غير مباشرة أحياناً أخرى ، فى غموض هذه الحقيقة ، وترك الفرد وحده يصارع الحياة بكل مغرياتها ومشكلاتها ومتاعبها ، فكانت النتيجة إسهاماً واضحاً فى بروز مشكلة بناء الإنسان المصرى المعاصر ، كما نسميها ، والأدلة على ذلك كثيرة ومتنوعة وتمتد لتغطى كل المجالات التى تشملها هذه الحقيقة .

من أوجه القصور :

فمثلاً ، هناك مسائل لم يبت فيها الدعاة فى المساجد برأى قاطع ، كالجن وقدراتهم ، ونوعية الصلة التى يمكن أن تنشأ بين الإنسان والجان ، وحدودها إن وجدت ، فكان هذا سبباً فى ظهور المشعوذين والدجالين ، والذين يقف الفرد على أبوابهم بين الشك واليقين ، والإحباط والرجاء .

ومسائل أخرى كثيرة ، وكلها تشير إلى دور المسجد فى إبعاد الفرد عن التفكير العلمى السليم ، الذى يعطيه قدرات خلاقة على تطوير نفسه ومجتمعه .

وعلاقة الفرد بالحاكم مثال آخر . فلقد سعى الحكام منذ عصور الأمويين والعباسيين والفاطميين والأيوبيين والمماليك والأتراك إلى الاعتماد على المسجد ، لكسب تأييد الجماهير لحكمهم ، وضمان ولائهم . وكان الأئمة والدعاة فى المساجد يدعون لهم ، مهما كانت نوعية هذا الحكم وسلامته ونزاهته ، حتى أن الناس أساءت فهم الآية الكريمة :

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ﴾

(سورة النساء ـ ٥٩)

لأن بعض الأئمة والدعاة أساءوا تفسيرها واستخدامها ، مع أن عمر بن الخطاب ـ رضوان الله عليه ـ أبان حدود الطاعة للحاكم عندما أعلن بحزم فى بداية ولايته : « أطيعونى ما أطعت الله فيكم ، وقومونى إذا رأيتم فىَّ اعوجاجاً » . وكذلك فعل أبو بكر الصديق ـ رضى الله عنه ـ

ومن ثم لعب المسجد دوراً رئيسياً طوال تاريخ مصر المعاصر حتى أصبحت هذه العلاقة نوعاً من الخضوع والتسليم والسلبية والعجز . وهى كلها صفات تعكس اهتزاز القدوة الصالحة ، ولا تتفق مع روح الإسلام الحنيف ومضمون تعاليمه .

وتكفى إشارة بسيطة إلى حديث رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ والذى يقول فيه : « المؤمن القوى أحب إلى الله من المؤمن الضعيف . . »[1] لكى ندرك إلى أى حد تبتعد هذه الصفات التى توارثها الإنسان المصرى عن روح الإسلام الحنيف ومضمون رسالته .

فمما لا شك أن القوة هنا فى حديث الرسول الكريم ـ صلى الله عليه وسلم ـ لا تعنى القوة الجسمية فحسب ، وإنما تعنى أيضاً قوة العقيدة والنفس والروح والرأى والسلوك والعقل والقلب معاً ، وهى كلها قدرات تصنع الفرد القوى الحر الأبى الشجاع الذى يرى الحق حقاً فيتبعه ، ويرى الباطل باطلاً فيتجنبه .

ومثال ثالث يتصل بعلاقة الفرد بالجماعات التى ينتمى إليها ، والتى تشكل مضمون علاقته بمجتمعه بصفة عامة ، وسوف نركز هنا على الفترة الأخيرة من تاريخ المجتمع المصرى ، والتى تبدأ مع بداية النصف الثانى من القرن العشرين الميلادى ، فلقد بدأ المجتمع المصرى جهوداً للتنمية ، كانت تتطلب إعداد الفرد القوى القادر على مواجهة متطلباتها ، والقادر على استيعاب مضمونها ، والقادر على التوافق والتكيف مع نتائجها ، ولا ننكر أن الدين أحد العناصر الثقافية المؤثرة على عقلية الإنسان المصرى ونفسيته ، فإذا أدركنا كيف فسرت كثير من أصوله وأسسه بالدرجة التى شكلت شخصية الإنسان وسلوكه بطريقة تخالف التعاليم الأصيلة للدين الإسلامى الحنيف ، لأدركنا كيف كانت هذه التفسيرات الخاطئة أو المشوهة سبباً فى عدم قدرة الفرد على التوافق مع الظروف المتغيرة فى مجتمعه ، لدرجة أن بعض الباحثين الأمريكيين وصف الدين بأنه عقبة فى سبيل التنمية عندما ربط بين الدين وعجز أهله عن مسايرة التقدم العلمى ، وهو اتهام بالطبع ، مبنى على فهم خاطىء ، حتى ولو كانت المشاهدات الواقعية تؤيده .

وصحيح أن غياب الخطة المناسبة على مستوى المجتمع كله ، والتى تحدث تكاملاً بين الفكر والتطبيق والتى تهدف إلى إعداد الفرد إعداداً سليماً ومتوافقاً مع هذه الظروف المتغيرة ، كان سبباً فى غياب المناهج العملية الصحيحة لأدوار كثير من الوسائل التعليمية والتربوية والإعلامية ، إلا أن هذا لا يبرر تماماً عجز المسجد فى هذا المجال ، لأنه حتى فى غياب الخطة ومناهجها العملية ، فإن الدين الإسلامى يكفيه ولا يعفيه ، لأن بيان المفاهيم الصحيحة كان كافياً لدفع الاتهام ، وإن كان وجود الخطة يحقق لدور المسجد فعالية أكبر .

وأخيراً ، نأتى إلى مثال رابع يتصل بعلاقة الفرد بنفسه ، أى يتصل بالكيفية التى يرى بها الفرد عاداته وتقاليده ومُثله وعُرفه وأنماط سلوكه المقبولة ، ولا ننكر هنا أن موجات الاستعمار بشتى جنسياتها وموجات الاحتكاك بالحضارة الأوروبية إلى جانب تهافت وسائل الاتصال الجماهيرى ، كالصحف والمجلات والكتب والأفلام والتليفزيون

(١) اخرجه الإمام مسلم فى صحيحه .

على تعميق الأثار المترتبة على هذه الموجات ، أغرقت الفرد بدوامات فكرية وسلوكية هزت كثيراً من عاداته وتقاليده وقيمه ومثله وأنماط سلوكه ، فأصبح يتغاضى عن كثير مما يخالف التعاليم الأصيلة لدينه . فأين كان المسجد منذ سنوات طويلة والفرد يصارع وحده تيارات جارفة ، ولا يقدر على مقاومتها ، فيطفو أحياناً ، ويغوص فى كثير من الأحايين .

إن هذه الأمثلة وغيرها كثير ، تشير بوضوح إلى أن الفرد عاش حالة من التمزق بين ظروف ومتغيرات يصارعها وتصرعه فى حياته اليومية ، وبين أقوال يسمعها تتردد عندما يزور المسجد أو يلجأ إليه ، فلا هو يجد فى المسجد السبيل إلى نجاته ، ولا هو قادر على تفسير أو استيعاب ما يجرى حوله ، ومن هنا كان تأثير المسجد مباشراً وغير مباشر على بروز مشكلة الإنسان المصرى المعاصر ، ذى الشخصية القلقة والمضطربة وغير المتزنة وغير القادرة على التوافق مع نفسها ومجتمعها وعصرها .

فعالية الأداء لدور المسجد :

وهنا نعود إلى التساؤل عن الكيفية التى يمكن بها أن يمارس المسجد دوره من زاوية جديدة ، لتعود إليه فعاليته وإيجابياته وقدرته على إعادة بناء الإنسان المصرى القوى الذى يستطيع أن يطور نفسه ومجتمعه ، وأن يساير زمانه وعصره بأمان ، وأن يسهم فى حضارة إنسانية أوسع باتزان !!

وبادىء ذى بدء ، لابد من القول أن المسجد إحدى المؤسسات الاجتماعية المهمة فى حياة المجتمع المصرى ، وأن رسالته جزء من رسالة عامة ينبغى أن تتحملها كل المؤسسات الاجتماعية الدينية والتربوية والثقافية والإعلامية ، وأن لكل منها نصيبها منها بحسب طبيعتها وقدراتها ، وأن الدور الجديد للمسجد يمثل نصيبه فى هذه الرسالة العامة داخل إطار من مسئوليته الاجتماعية ، وهذا ، فى تقديرنا ، ما يجسد المسجد كرسالة وسط الظروف والمشكلات والمتغيرات الاجتماعية التى تحيط بالفرد داخل هذا المجتمع .

وبناء على ذلك ، نستطيع أن نحدد المسئولية الاجتماعية للمسجد فى النقاط العامة التالية :

١ ـ ينطلق مفهوم المسئولية الاجتماعية للمسجد من مكانته فى المجتمع ، إنه ليس قارب نجاة يحمل الناس إلى شاطىء الآخرة وتنقطع صلتهم بشاطىء الدنيا ، ولكنه قنطرة ترتكز إحدى دعاماتها على شاطىء الدنيا والأخرى على شاطىء الآخرة ، وهو من هذا الموقع يجمع بين الدنيا والآخرة ويصل بينهما فى توازن وتناسق ، ومن يدخله يعطيه هذا الإحساس بالتوازن والتناسق فى نظرة واحدة وعميقة .

٢ ـ هذا الموقع يفرض على المسجد أن يتحول إلى بوتقة تنصهر داخلها متطلبات الدنيا ومتطلبات الآخرة ، وتتفاعل معاً ليخرج منها مزيج جديد ذو سمات جديدة ، ولكن عناصرها أصيلة . إن هذه السمات الجديدة تحقق المصالحة داخل نفس الفرد وعقله وبينه وبين نفسه وخالقه وحاكمه ومجتمعه وعصره .

٣ ـ لا يمكن أن نتصور تحقيق النقطة السابقة إلا إذا تصورنا تحقيق تناسق بين فلسفة المجتمع

كله وبين هذه السمات الجديدة ، فمن الأخطاء التى نقع فيها كل يوم مثلاً : أن تستبيح وسائل الاتصال الجماهيرى ، كالصحف والمجلات والراديو والتليفزيون والأفلام ، أفكاراً وممارسات تصل إلى التعارض الشديد بينها وبين ما يراه رجال الدين من أصول الإسلام الحنيف ، وهذا فى حد ذاته دليل على وجود تباعد حقيقى بين ما يسير عليه المجتمع فى كثير من جوانبه التى تشكل فكره وسلوكه وبين ما يدعو إليه رجال الدين . وهذا الوضع من شأنه أن يؤدى إلى تمزق أوصال المجتمع وبروز الظواهر السلوكية غير السوية ونموها وتضخمها .

٤ ـ الدعاة فى المساجد قدوة لروادها ، ولا يمكن تصور أن تتحقق فيهم القدوة الصالحة طالما أنهم يعانون مما يعانى منه الإنسان المصرى المعاصر بصفة عامة ، فهم بشر ولهم مصالحهم الأساسية الفسيولوجية والنفسية والاجتماعية ، ولابد أن يتحقق لهم التوازن النفسى والعقلى بتحقيق هذه المصالح الأساسية ، حتى تكون دعوتهم عن اقتناع بالقلب واللسان معاً ، وليست بكلمات لا يدعمها الواقع .

٥ ـ المسجد من موقعه الاجتماعى وسيلة اتصال جماهيرية وتربوية . ويجب أن تجد فيه جماهير المنطقة المحيطة به راحتها النفسية والعقلية ، وهذه النقطة لها وجهان :

فهى تعنى أن يتحقق التفاعل بين المسجد وجماهير مجتمعه المحلى المحيط به ، من ناحية .

وتعنى أيضاً أن ينظر المسجد إلى جماهيره على أنهم كائنات بشرية اجتماعية لا تستطيع أن تنفصل عن حياتها المشتركة بكل ما يجرى فيها من ظروف ومشكلات ومتغيرات ، وهذا من ناحية ثانية ، ومن هنا ، يتكامل الوجهان معاً فى نظرة مشتركة واحدة إلى الإنسان المتردد على المسجد .

وهذا نجد يفرض نفسه على الدور الجديد للمسجد فى المجتمع المصرى .

٦ ـ تفترض المسئولية الاجتماعية هنا تنظيماً للمسجد يغير من المفاهيم السائدة ، ويعيد إليه انتماءه الطبيعى إلى مجتمعه ، كما يعيد إليه صلته العضوية بالمؤسسات الأخرى بكل مستوياتها ، وهذا التنظيم يوفر للمسجد كياناً ذاتياً متفاعلاً ، يأخذ ويعطى ، ويؤثر ويتأثر ، ويربى ويثرى تعاليمه وأساليبه ، وهى كلها عناصر ضرورية وحيوية وأساسية ولا غنى عنها .

إن هذه الأفكار التى تقوم عليها المسئولية الاجتماعية للمسجد ، تعطى تصوراً عاماً للكيفية التى يمكن بها أن يؤدى المسجد دوره من زاوية اجتماعية إنسانية ، ولا شك أن تطبيق هذه الأفكار يتطلب منهجاً عملياً منظماً يعطى للمسجد واقعاً سليماً يوفر له الجلال والاحترام والقدوة الصالحة . فهناك تجاوزات تمثل إخلالاً خطيراً بهذه الصفات الواجبة .

وليكن هذا الواقع السليم هو الأرض الصلبة التى عليها يقف المسجد وهو يؤدى دوره كاملاً فى المجتمع المصرى .

الإيمان وسيلة للسعادة

للدكتور : أحمد عبد الله الطيار

قال تعالى :

﴿ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾ (الرعد : ٢٨)

﴿ هُوَ الَّذِي أَنزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَّعَ إِيمَانِهِمْ ﴾ (الفتح : ٤)

إن أسس الدين الإسلامى التى لا يتحقق إلا بها ، وأصوله التى لا وجود له بسواها - نوعان : علمية وعملية .

والأسس العلمية ثلاثة : الإيمان بالله تعالى ، وبرسله ، وباليوم الآخر ، والإيمان بالرسل يستتبع الإيمان بالكتب المنزلة عليهم ، وبمن نزل بها من الملائكة .

وهذه هى الخمسة المذكورة فى قول الله عز وجل : ﴿ لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ ﴾ (البقرة : ١٧٧)

وفى قوله تعالى : ﴿ وَمَن يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴾ (النساء : ١٣٦)

هذا وقد عرف الإيمان بأنه : إقرار باللسان ، وتصديق بالجنان ، وعمل بالأركان ، كما قال رسول الله - ﷺ - « الإيمان ما وقر فى القلب وصدقه العمل » البخارى ، وبهذا فإن الإيمان لا يكون بالتحلى ولا بالتمنى .

لكننا نجد أن بعض الناس قد بدلوا كلمة « الإيمان » فوضعوها فى غير موضعها ، التى وضعت له ، فأصبحنا نقرأ عن إيمان (بالشيوعية) ، وإيمان (بالوجودية) ، وإيمان (بالقومية) ، وإيمان (بالوطن) ، وإيمان (بالثورة) وإيمان بغير ذلك مما ابتدع البشر لأنفسهم ، مما لم يأذن به الله وليقل الناس ما شاءوا ، فلن يضيرنا ذلك إذا عرفنا نحن الإيمان الذى نريد .

إنه الإيمان الذى لا تدل هذه الكلمة على غيره عند إطلاقها ، الإيمان « الدينى » الذى صحب البشرية منذ طفولتها ، ولم يفارقها فى صباها وشبابها وكهولتها ، ولم يزل سلطانه مهيمنا على الكثير من تصرفاتها وأعمالها[1] ، وهى التى أجاب

(١) الايمان والحياة د / يوسف القرضاوى ص ٢١

بها النبى - ﷺ - حينما جاء جبريل عليه السلام فى صورة أعرابى ، وسأله عن الإيمان فقال : « الإيمان أن تؤمن بالله ، وملائكته وكتبه ، ورسله والبعث بعد الموت ، وتؤمن بالقدر خيره وشره » رواه البخارى ومسلم .

والإيمان بالله

هو التصديق والإقرار : بأنه لا إله إلا هو ، أى : لا معبود بحق إلا الله . وذلك يستدعى التصديق بأنه (موجود) لا أول لوجوده ولا انتهاء له ، فهو متصف (بالقدم والبقاء) : أى : لا يسبقه عدم ولا يلحقه فناء ، بل البقاء ملازم أبدا . فالله تعالى يمتنع ويستحيل لحوق العدم به .

وأنه تعالى (واحد) فى ذاته وصفاته ، ووجوده وأفعاله : ﴿ هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ ﴾ (الحديد - ٣)

﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴾

فذاته - تعالى - ليست مركبة ، ولا تشبه ذوات المخلوقات ، ولا يساويه - سبحانه - فى صفاته موجود من الموجودات ، وليس له شريك فى وجوده ، ولا أفعاله ، فالله سبحانه وتعالى مخالف للحوادث فى كل شىء ، وكل ما سواه من الموجودات : من إنس وجن ، وملك وشيطان ، وسماء وأرض ، وحيوان ونبات ، وجوهر وعرض ، ومدرك ومحسوس ، وسائل وجماد ، مخلوق له ، حادث بفعله : اخترعه بقدرته بعد العدم وأنشأه بعد أن لم يكن ، على أحسن الوجوه وأكملها ، وأتمها وأعدلها . قال تعالى :

﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝١ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾

(سورة الإخلاص)

﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾

(الشورى - ١١)

وأنه (حى قادر قاهر) لا يقع فى ملكه إلا مايريد ، لا يعتريه قصور ولا عجز ، ولا تأخذه سنة ولا نوم ، ذو الملك والعزة ، القوة والغلبة - والخلق والأمر ، الأرض والسموات فى قدرته ، والخلائق جميعا فى قبضته ، خلقهم ، وقدر أرزاقهم وآجالهم . قال تعالى :

﴿ وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ ﴾ (طه - ١١١)

وهو (حكيم) فى أفعاله ، (عادل) فى أحكامه ، لا يقاس عدله بعدل العباد ، إذ العبد يتصور منه الظلم بتصرفه فى ملك غيره ، ولا يتصور الظلم من الله عز وجل ، فإنه لا يصادف لغيره ملكا ، حتى يكون تصرفه فيه ظلما .

وأنه تعالى (عالم) : يحيط علمه بكل شىء لا يعزب عنه مثقال ذرة فى الأرض ولا فى السماء ، بل يعلم دبيب النملة السوداء على الصخرة الصماء ، فى الليلة الظلماء ، ويعلم السر وأخفى ويطلع على هواجس الضمائر ، وحركات الخواطر ، وخفيات السرائر .

قال تعالى :

﴿ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴾

(يونس - ٦١)

وأنه تعالى (مريد) للكائنات ، مدبر للحادثات ، فلا يجرى فى الملك قليل أو كثير ، خير أو شر ، نفع أو ضر ، عرفان أو نكران ، طاعة أو عصيان ، زيادة أو نقصان ، صغير أو كبير ، فوز أو خسران ، إيمان أو كفر ، إلا بقضائه وقدرته ، وحكمته ومشيئته ، فلو اجتمع الإنس والجن والملائكة والشياطين على أن يحركوا فى العالم ذرة أو يسكنوها دون إرادته لعجزوا عن ذلك

قال تعالى :

﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴾

(يس - ٨٢)

هذا والكون كله كتاب مفتوح تقرأ فيه دلائل الإرادة والقدرة ، وتشعر بعد التأمل فيه بالخشوع لله والرهبة من عظمته ، كما تشعر بالسعادة والفرحة كلما أدركت أنك عبد لخالق هذا الكون ومدبره وأن خضوعك لله وحده لا لأحد سواه[٢] .

وأنه تعالى (سميع بصير) :

لا يعزب - لا يبعد ولا يغيب ولا يخفى - عن سمعه مسموع وإن خفى ، ولا يغيب عن رؤيته مرئى وإن دق ، ولا يحجب سمعه بعد ، ولا يدفع رؤيته ظلام ، يبطش بغير جارحة ، ويخلق بغير آلة ، تعالى الله عن صفات المخلوقين علوا كبيرا . قال تعالى لموسى وهارون عليهما السلام :

﴿ لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴾ (طه - ٤٦)

وقال تعالى :

﴿ قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴾ (المجادلة - ١)

وأنه تعالى : [متكلم] : آمر ، ناه ، واعد ، متوعد : بكلام قديم لايشبه كلام الخلق ، فليس بصوت ولا حرف . وطريقة إيصال كلام الله - سبحانه وتعالى - للملك أو للبشر أو لغيرهما بطريقة لا نعلمها لعدم ورود نص صريح يدل عليها أو يشرحها ، والدليل على كلام الله تعالى

قوله : ﴿ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴾ (النساء : ١٦٤)

وقوله تعالى :

﴿ تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ اللَّهُ ﴾

(البقرة : ٢٥٣)

والإيمان بالرسل واليوم الآخر :

يجب التصديق بأن الله - سبحانه وتعالى - فى أزمنة مضت ، وحقب تعاقبت - اصطفى رجالا من بنى آدم ، منحهم مواهب عالية ، وصفات سامية ، وأخلاقا راقية ، وأرسلهم إلى قومهم ؛ ليبصروهم بخالقهم العظيم ، وصفاته الجليلة ، حتى يفردوه بالعبادة ، وأنزل الله عليهم بوساطة الملائكة كتبا ، هذا الكتب المنزلة من عند الله - عز وجل - تتضمن الأوامر والنواهى التى يريد الله تبليغها إياهم ، لتقويم اعوجاجهم ، وإصلاح شأنهم ، والسير بهم فى طريق الخير ، وتنحيتهم عن طريق الشر ، وإفهامهم أن كل إنسان سيجزى بما كسبت يداه ، فى يوم يسمى اليوم الآخر ، وهو يوم يقوم الناس جميعا فيه من قبورهم ، لجزائهم على ما قدموا فى دنياهم من خير أو شر وهو يوم القيامة ويوم الحساب .

قال تعالى : ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴾

(الزلزلة : ٧ - ٨)

فيجب الإيمان بما يكون فى يوم القيامة مما ورد ذكره فى القرآن المجيد ، أو أخبر به النبى - ﷺ - من البعث والصراط - والحساب ، والميزان ، والجنة والنار .

(٢) تبسيط العقائد حسن ايوب ص ٩٠

وما لم يرد به نص صريح فى كتاب الله ـ عز وجل ـ ولا سنة رسوله ـ ﷺ ـ نمسك عنه ، ونكل علمه إلى الله ـ عز وجل ـ لأن أمور الآخرة لا تعرف بالحس ولا بالعقل ، بل بالخبر الصادق عن الله .

خلاصة القول :

إن العقائد التى تحدثنا عنها من الإيمان بالله وصفاته ، والرسل وكتبهم ، والملائكة وسفارتهم ، واليوم الآخر وما يحدث فيه ، وغير ذلك مما جاءت به الحنيفية السمحة ـ طريق الاستقامة والمراد بها الديانة الإسلامية السهلة ـ أساسها كلها ، ومصداقها جميعها التصديق والشهادة بأن لا إله إلا الله ، وأن محمدا رسول الله ، فإن التصديق بهذه الشهادة يستلزم التصديق بشعبها وفروعها كلها ، وجميع أصول الدين وفروعه من شعب هذه الكلمة . ولا يكون العبد مصدقا بها حقيقة حتى يؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله ولقائه ، ولا يكون مؤمنا بالله ، إله العالمين ، حتى يؤمن بصفات جلاله ، ونعوت كماله ، ولا يكون مؤمنا بأن الله ـ تعالى ـ « لا إله إلا هو » حتى يسلب خصائص الألوهية عن كل موجود سواه ، ولا يكون مصدقا بها من نفس الصفات العليا ، ولا من نفس كلامه وتكليمه ، وأنه أرسل الرسل لهداية البشر ، وأنه اجتبى محمدا ـ ﷺ ـ وفضله على جميع خلقه ، وأنزل عليه القرآن : ﴿ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ﴾ (المائدة ـ ٤٨) أى : شاهداً ، وأنه جعل رسالته عامة لجميع الأمم كلها وناسخة وخاتمة لجميع الرسالات السابقة عليها ، وأنه أسرى به ـ ﷺ ـ وأنه يدبر الأمر من السماء إلى الأرض ثم يعرج إليه . إلى سائر ما وصف به نفسه ووصفه به حبيبه ـ ﷺ ـ .

ولا يكون الإنسان مؤمنا بهذه الكلمة ، مصدقا بها حقا إذا نفى عموم خلقه لكل شىء ، وقدرته على كل شىء ، وعلمه بكل شىء ، وبعثه الأجساد من القبور ليوم النشور :

قال تعالى :

﴿ يَوْمَ يَنظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنتُ تُرَابًا ﴾
(النبأ ـ ٤٠)

﴿ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَىٰ وَمَا هُم بِسُكَارَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ﴾ (الحج ـ ٢)

﴿ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾
(الشعراء ـ ٨٨ ـ ٨٩)

ولا يكون الإنسان مصدقا بهذه الكلمة إذا زعم أنه ترك خلقه سدى : أى مهملين لم يأمرهم ولم ينههم على ألسنة رسله .

فالتصديق بها يقتضى الإذعان والإقرار بحقوقها ، وهى شرائع الإسلام ، التى جاء بها سيد الأنام ، والتى هى تفصيل هذه الكلمة العظيمة ، وذلك بتصديق جميع أخباره ، وامتثال أوامره ، واجتناب نواهيه .

فالمصدق بالشهادة هو الذى يأتى بذلك كله ، ولا تنال سعادة الدارين إلا بالتصديق بها والقيام بحقها ، ولا يحق الشقاء فى الدنيا والآخرة إلا على تركها أو ترك حقها ، والإيمان بالمعنى الذى سبقت الإشارة إليه سبب رقى الإنسان وسعادته ، ولولاه ما كان نظام العالم ، ولا عرف معنى الواجب ولا حدوده ، والواجب محور نظام بين الأفراد والجماعات .

وليس للشهوة ما يقهرها ويذللها ، ولا للأهواء ما يمنعها ويزجرها إلا الاعتقاد بأن لهذا العالم

خالقا عالما بمضمرات القلوب ، ومطويات النفوس ، سامى القدرة ، واسع الحول والقوة ، مع الاعتقاد أنه قدر للخير والشر جزاء يوفاه مستحقه فى حياة بعد هذه الحياة التى نعيشها .

وبغير هذين الاعتقادين لا تلبس المدنية سربال الحياة ، ولا يستقيم نظام المعاملات بين الأفراد ، ولا تصفو صلات البشر من شوائب الغل والغش وما إليها .

ومن أشرب فى قلبه هذين الاعتقادين انبعث بحكمها ، وانساق بحاديها إلى إضاءة عقله بالعلوم النافعة ، والمعارف الصافية خشية أن يهبط به الجهل إلى نقص يغضب ربه ،ويستوجب فى الأخرة عقابه ، ثم يتصرف همه إلى إبراز ما أودع فيه من القوى السامية والمدارك العقلية ، والخواص الجليلة باستعمالها فيما خلقها الله ، فالإنسان ينفق ساعاته فى تهذيب نفسه ، ويطهرها من دنس الرذائل ، ولا يقصر فى تقويم أخلاقه ، وينزع إلى كسب المال من الوجوه المشروعة ، متنكبا طريق الخيانة ، ووسائل الكذب والحيلة ، معرضا عن أبواب الرشوة ، مترفعا عن الملق والخداع ، ثم ينفق ماكسب فى الوجه الذى يليق ، وعلى الطريقة التى تنبغى ، وبالقدر المطلوب : لا يأتى فيه باطلا ولا يغفل حقا .

فالإيمان يدعو المرء إلى الاتصاف بالصفات القويمة ، والخلال العظيمة، والأفعال الكريمة ، إذ يحث على ترقية النفس بالعلم ، والجد والسعى ، والمثابرة ، وقوة العزيمة ، والاعتدال ، والإخلاص فى العمل ، والصدق فى القول ، والاتحاد على الخير ، والتعاون على البر والتقوى ، واحترام النفس ، والثقة بها مع التوكل على الله ، والشجاعة ، والعمل للدنيا والآخرة معاً فى غير غلو ، وحسن المعاملة ، والأمانة والوفاء بالعهد ، والحلم ، والعدل ، والأمر بالمعروف ، والنهى عن المنكر ، والتواصى بالحق ، والعفو عند المقدرة ، مع الرضا بقضاء الله وقدره : خيره وشره ، والمحبة ، والمواساة ، والصبر على المكاره ، والرحمة والرفق .

وأعظم باعث على تهذيب النفس : فرائض الإسلام : ففى الصلوات الخمس تذكرة جميلة ، وصلة قوية بين العبد وربه ، ومنهاة للعبد عن ارتكاب مايغضب ربه ، وفى صلاة الجماعة فرصة لعقد أواصر التعارف والتآلف ، وبعث على التواضع ، والمساواة ، والنظام ، وأداء الواجب فى حينه .

وفى الصوم تهذيب للنفس ، وغرس للعطف والشفقة فيها .

وفى الزكاة والصدقة صلة ودية بين الأغنياء والفقراء ، وحل لأعظم مشكلات الحياة الحاضرة ، وقطع لأسباب الفوضى ، وحفظ للأمن من شرور المتعطلين والمتطرفين .

والحج أعظم مؤتمر ، وأكبر فرصة للبحث فى كل مايعود على الأمة بالخير والإسعاد ، فى المعاش والمعاد ، وتوثيق للروابط بين الأمم الإسلامية ، وتطهير للنفس مما دنسها من علل ومرض ، وتذكير باليوم الآخر ، يوم لا أنساب ولا أحساب[3] وإن فى القرآن الكريم لدعوة صريحة إلى تأليف عصبة أمم إسلامية ، لإصلاح ذات بينها ، ونزع الأحقاد من قلوبها ، وعقد الصلات الودية ، والروابط الدينية ، وكف يد

البقية ص ٤٥٥

(٣) الإسلام عقيدة وشريعة د . محمود شلتوت ٧٧ : ١٣٠

قادة الخلفاء

١- أبو بكر الصديق - رضى الله عنه

للأستاذ / أحمد السيد تقى الدين

نشرت مجلة الأزهر على مدار عام ١٤٠٣هـ سلسلة مقالات بعنوان « قادة النبى - صلى الله عليه وسلم - للأستاذ إبراهيم عبد الرحمن أبو الغيط ، مقتصرة فقط على أعمالهم فى عهد النبى - صلى الله عليه وسلم - واليوم ، وتتمة للفائدة نواصل العمل متناولين قادة الخلفاء وإنجازات وأعمال كل قائد فى عهد كل خليفة والله المستعان .

● ابن ذى السهم الخثعمى :

قدم من اليمن على رأس جماعة من خثعم دون الألف وفوق التسعمائة ، ملبيا نداء أبى بكر بجهاد الروم ، فسر به أبو بكر سرورا عظيما وقال له : « ... سر فى حفظ الله وكنفه فإن بالشام أمراء وجهناهم إليها فأيهم أحببت أن تصحب فاصحب

فسار ابن ذى السهم بمن معه حتى لحق بيزيد بن أبى سفيان فانضم إلى جيشه[1] .

● أسامة بن زيد :

أسامة بن زيد بن حارثة من كنانة عوف ، صحابى جليل ، ولد بمكة ، ونشأ على الإسلام ، كان أبوه (زيد بن حارثة) أول الناس إسلاما ،

(١) الازدى ص ٢٥ .

وكان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يحبه حبا جما .

وكان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قد أعد جيشا لغزو الشام ثأرا لشهداء مؤتة ـ رضى الله عنهم أجمعين ـ وجعل على رأس الجيش (أسامة بن زيد) ، ولم يكن قد بلغ العشرين من عمره ، وكان من بين رجال الجيش عمر بن الخطاب ، وأبو بكر الصديق ـ رضى الله عنهما ـ فاستثنى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ منهم الصديق للصلاة .

ولما توفى ـ صلى الله عليه وسلم ـ وارتدت العرب قاطبة بحيث لم يبق للجمعة مقام فى بلد سوى مكة والمدينة ، فأشار كثير من الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ على الصديق بألا ينفذ جيش أسامة للحاجة إليه فيما هو أهم ألا وهو مواجهة ردة العرب ، وكان من بين من أشاروا بذلك عمر بن الخطاب ، فرفض الصديق وأصر على إنفاذ الجيش ، فقال بعض الأنصار لعمر : « قل له فليؤمر علينا غير أسامة » فذكر له ذلك ، فأخذ بلحيته وقال : « ثكلتك أمك ياابن الخطاب ، أؤمر غير أمير رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ثم نهض بنفسه واستعرض جيش أسامة ، وأمرهم بالمسير ، وسار معهم ماشيا وأسامة راكبا ، وعبد الرحمن بن عوف يقود راحلة الصديق ، فقال أسامة : « ياخليفة رسول الله إما أن تركب وإما أن أنزل ؟ » فرفض الصديق واستأذنه فى أن يطلق له عمر بن الخطاب ، فأطلقه له .

وكان لخروج أسامة بالجيش وقع فى نفوس المرتدين ، فمنهم من آثر العودة إلى الإسلام ، وأداء الزكاة بعد أن وقع فى روعه أن هذا الجيش لا يخرج إلا إذا كانت هناك جيوش أخرى بالمدينة لمواجهة المرتدين ، والبعض آثر انتظار نتائج خروج هذا الجيش ، فلما عاد ظافرا ثاب كثير من المرتدين إلى رشدهم .

عاد الجيش إلى المدينة فى جمادى الآخرة من نفس عام خروجه ، فاستخلف الصديق أسامة على المدينة ، وأمره بأن يريح جنوده[٢] .

● أنس بن مالك :

أنس بن مالك بن النضر بن ضمضم البخارى الخزرجى الأنصارى ، صاحب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وخادمه .

حمله الصديق رسالة إلى أهل اليمن يستنفرهم فيها للجهاد والتجهز لحرب الروم ، ويروى أنس ابن مالك ماكان من أمر رسالة أبى بكر إلى شعب اليمن : « أتيت أهل اليمن جناحا جناحا ، وقبيلة قبيلة ، أقرأ عليهم كتاب أبى بكر[٣] .

● ثابت بن قيس :

ثابت بن قيس بن شماس الأنصارى الخزرجى ، أبو محمد ، خطيب الأنصار ، ويقال له أيضا : (خطيب النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ) الذى بشره بالشهادة ، فلما استنفر أبو بكر المسلمين إلى حرب المرتدين ، خرج ثابت مع خالد بن الوليد إلى اليمامة حيث (مسيلمة الكذاب) فعقد له خالد لواء الأنصار ، فلما حمى القتال وانهزم المسلمون فى أوله قال ثابت : « ماهكذا كنا نقاتل مع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وجعل لنفسه حفرة ودخل فيها إلى أنصاف ساقيه بعدما تحنط وتكفن ، فلم يزل ثابتا حتى قتل هناك[٤] .

(٢) البداية والنهاية ٦/ احداث سنة ١١هـ .
(٣) ابن عساكر ٤٤٥/١ ، الأزدى ، تاريخ فتوح الشام ص ٩ ، طبقات ابن سعد ١٠/٧ .
(٤) البداية والنهاية ٣٧٧/٦ ، ٣٧٨ .

● **حبيب بن مسلمة الفهرى :**

حبيب بن مسلمة بن مالك الفهرى القرشى ، وفد على الخليفة أبى بكر الصديق ملبيا نداء الجهاد ضد الروم ، وقت مثول معن بن يزيد وقومه بين يدى الخليفة ، وقال للصديق : « عندى من مثل عدتهم [يقصد رجال معن بن يزيد] رجال من أفناء القبائل ، ولهم رغبة فى الجهاد ، فاجمعنا وهؤلاء جميعا يا خليفة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ثم ابعثنا » . فقال له أبو بكر : « فاخرج بهم جميعا ، فأنت أمير القوم ، حتى تقدم على إخوانك » فعسكر بهم ثم خرج فساروا حتى قدم بهم على يزيد بن أبى سفيان وشهد اليرموك(٥) .

● **حذيفة بن محصن الحميرى :**

بعثه الصديق إلى (عُمان) حيث كان « ذو التاج لقيط بن مالك » الأزدى المسمى فى الجاهلية بـ « الجلندى » قد ارتد وادعى النبوة ، وتابعه الجهلة من أهل عُمان حتى تغلب عليها ، فبعث له الصديق حذيفة ، وألحق به تحت إمرته (عرجفة البارقى) ، و (عكرمة بن أبى جهل) ، ثم سار حذيفة إلى (مهرة) تحت إمرة (عكرمة) حسب ما أمر به الخليفة ، وخضعت مهرة بعد قتال مرير(٦) .

● **حمزة بن مالك :**

حمزة بن مالك الهمذانى العذرى ، سيد همذان ، قدم على أبى بكر الصديق لما نادى بالجهاد ضد الروم فى جمع من همذان يزيد على ألفى رجل ، فلما رأى أبو بكر عددهم وجلدهم سر بهم ، وأمره الصديق بالخروج إلى الشام ، والانضواء تحت لواء أبى عبيدة بن الجراح(٧) .

● **خالد بن سعيد :**

خالد بن سعيد بن العاص ، صحابى جليل ، كان عاملا لرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ على اليمن إلى أن ولى الصديق فاستدعاه ، ليعقد له أول لواء فى الجيوش التى أعدها لفتح الشام ، ثم أمره بعد ذلك بالانضواء تحت لواء أبى عبيدة عامر بن الجراح فامتثل ، وشهد فتح أجنادين ١٣هـ ، ووقعة (مرج الصفر) وفيها استشهد(٨) .

● **خالد بن الوليد :**

خالد بن الوليد بن المغيرة المخزومى ، سيف الله المسلول ، سُرَّ رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بإسلامه ، وولاه على الخيل ، ولما تولى الخلافة أبو بكر الصديق وجهه لقتال طليحة بن خويلد الأسدى وقومه بنى أسد ومن حالفهم من غطفان ، وعبس ، وذبيان ، وجديلة ، والغوث ، وطىء ، فإذا فرغ سار إلى مالك بن نويرة .

ونجح خالد فى إخضاع بنى أسد بعد أن ألحق الهزيمة بطليحة وحليفة : عيينة بن حصن الفزارى فى معركة (بزاخة) ثم سار إلى (مالك بن نويرة اليربوعى) بـ (البطاح) فأسره فى جمع من قومه ، وضربت عنقه .

(٥) تهذيب ابن عساكر ٣٥/٤ .
(٦) الطبرى جـ ٤ ـ احداث سنة ١١هـ .
(٧) الأزدى ، تاريخ فتوح الشام ص ٤٠ ، ٤١ .
(٨) طبقات ابن سعد ٦٧/٤ ، الإصابة ٤٠٦/١ ، البداية والنهاية جـ ٧ احداث ١٣هـ .

وأرسله الخليفة لحرب (مسيلمة الكذاب) وقومه بن حنيفة بأرض اليمامة ، فهزمهم فى معركة (الحديقة) التى شهدت مقتل (الكذاب) .

ولما فرغ خالد من اليمامة بعثه الصديق إلى العراق على رأس جيش لفتحها على أن يبدأ بـ « الأبلة » ويأتى العراق من أعاليها ، وأن يتألف الناس ، ويدعوهم إلى الله عز وجل ، وأحرز خالد انتصارات مدوية فى العراق على الفرس فى (المـذار) ، و (أليس) ، و (أمغيشيـا) ، و (الأنبار) ، و (الحيرة) وسيطر على معظم العراق ، فقال فيه أبو بكر بعد أن علم بتلك الانتصارات : « يامعشر قريش . . عجزت النساء أن ينشئوا مثل خالد .

ورفض الصديق الاستجابة لإلحاح عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ بعزل خالد عندما أدى فريضة الحج وترك الجيش فى العراق فى ٢٥ من ذى القعدة قائلا : « لاأشيم سيفا سله الله على الكفار » ، ولكنه أنبه على عمله .

ثم أمر الخليفة خالد بن الوليد بأن يتجه بجيشه إلى الشام لنجدة جيوش المسلمين بها فى مواجهة الروم ، وقال قولته المشهورة : « والله لأشغلن الروم عن وساوس الشيطان بخالد بن الوليد » .

فخرج خالد من الحيرة إلى العراق فى صفر ١٣هـ ، متجها إلى الشام فى مناورة مذهلة مع تسعة آلاف وخمسمائة رجل ، وحرص على ألا يترك خلفه مواقع قائمة للروم وعملائهم من العرب ، فأغار على حصن (أرك) وفتح (تدمر) و (القريتين) و (حوارين) ، وأوقع الهزيمة بعرب غسان فى (مرج راهط) ، وكل هذا فى شهر صفر ١٣هـ ، ثم فتح بصرى ٢٥ من ربيع الأول ١٣هـ ، وتغلب على الروم فى (مرج الصفر) جنوبى دمشق فى جمادى الآخرة ١٣هـ ، واختتم انتصاره بانتصار مدو على الروم فى اليرموك(٩) .

● **الزبير بن العوام :**

الزبير بن العوام بن خويلد الأسدى القرشى ، صحابى شجاع ، وهو أحد العشرة المبشرين بالجنة ، وأول من سل سيفه فى الإسلام ، وكان أحد أمراء الحرس الذين أقامهم الصديق ـ رضى الله عنه ـ لحراسة أنقاب المدينة لحمايتها من هجمات الأعراب المرتدين عن الإسلام ، وكان على بعض الكراديس فى معركة اليرموك(١٠) .

● **زيد بن الخطاب :**

ابن نفيل القرشى العدوى أبو محمد ، وهو أخو عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنهما ـ لأبيه ، قتل يوم اليمامة ، وكانت راية المهاجرين يومئذ بيده ، فلم يزل يتقدم بها حتى سقط ، وقاتله هو (الرجال بن عنفوه) واسمه (نهار)(١١) .

● **زيد بن ثابت :**

زيد بن ثابت بن الضحـاك الأنصارى الخزرجى ، من كبار الصحابة ، وكان رأسا فى

(٩) تاريخ الأمم والملوك ٤/٧ ، ١١٠٩ البداية والنهاية ٣٨٨/٦ ، ٣٨٩ ، ٣٩٠ ، ٧/ ٥ : ١٧ .

(١٠) صفة الصفوة ١٣٢/١ ، البداية والنهاية ٣٥٠/٦ ، جـ ٧ احداث ١٣هـ .

(١١) البداية والنهاية ٣٧٨/٦ .

القضاء والفتوى والقراءة ، وكان أحد الذين جمعوا القرآن فى عهد النبى - صلى الله عليه وسلم - كلفه الصديق بجمع القرآن فى مصحف ، كان الخليفة قد انزعج من مقتل الحفظة فى حروب الردة ، فأشار عليه عمر بضرورة جمع القرآن وتدوينه حتى لا يضيع إذا ما استمر القتل فى القراء بالمواقع ، فاختار أبو بكر زيدا ؛ لأنه كان يكتب الوحى لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - فأحجم زيد فى البداية خوفا ؛ من أن يعمل عملا لم يفعله النبى - صلى الله عليه وسلم - ولكن الله شرح صدره فى النهاية فكتب آيات القرآن فى صحف ظلت عند أبى بكر حتى وفاته[١٢] .

● **سالم بن عبيد :**

مولى أبى حذيفة بن عتبة بن ربيعة ، كان من سادات المسلمين ، أسلم قديما ، وهاجر إلى المدينة قبل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - خرج مع جيوش المسلمين لحرب المرتدين فى اليمامة ، وحمل راية المهاجرين بعد استشهاد (زيد بن الخطاب) فلما قطعت يده اليمنى أخذ الراية بيسراه ، فقطعت فاحتضنها وهو يقول :

﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ ﴾

(آل عمران - ١٤٤)

﴿ وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ ﴾

(آل عمران - ١٤٦)

وظل حريصا على الراية حتى استشهد[١٣] .

● **سعد بن أبى وقاص :**

سعد بن أبى وقاص مالك بن أهيب بن عبد مناف القرشى الزهرى ، أحد العشرة الذين بشرهم - صلى الله عليه وسلم - بالجنة ، وهو أول من رمى بسهم فى سبيل الله ، كان واحدا من أمراء الحرس الذين أوكل إليهم أبو بكر الصديق - رضى الله عنه - حماية الطرق الموصلة إلى المدينة من هجمات من ارتد من الأعراب[١٤] .

● **سعيد بن زيد :**

سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل العدوى القرشى صحابى جليل وأحد العشرة المبشرين بالجنة ، وكان من ذوى الرأى والبسالة ، كلفه خالد بن الوليد بقيادة قلب الجيش يوم اليرموك[١٥] .

● **سعيد بن عامر :**

سعيد بن عامر بن حذيم الجمحى ، علم أن أبا بكر يريد أن يبعثه مددا إلى جيوش المسلمين بالشام لحرب الروم ، فلما أبطأ عليه ومكث أياما لا يذكر له أبو بكر شيئا قال له : « ياأبا بكر قد بلغنى أنك أردت أن تبعثنى فى هذا الوجه ، ثم رأيتك قد سكت ، فما أدرى ما بدا لك . . » .

فقال له أبو بكر : « اخرج ياسعيد . . فتجهز فإنى مسرح إلى المسلمين جندا مددا لهم ومؤمرك عليهم » .[١٦] .

(١٢) السيوطى ، تاريخ الخلفاء ص ٧٢ .
(١٣) البداية والنهاية ٣٧٩/٦ .
(١٤) صفة الصفوة ١٣٨/١ ، الإصابة ت ٣١٨٧ ، البداية والنهاية ٣٥٠/٦ .
(١٥) تهذيب ابن عساكر ١٢٧/٦ ، صفة الصفوة ١٤١/١ ، البداية والنهاية جـ٧ احداث سنة ١٣هـ .
(١٦) تهذيب التهذيب ٥١/٤ ، ابن عساكر ١٤٥/٦ .

ثم أمر أبو بكر فنادى فى الناس : « ألا انتدبوا أيها المسلمون مع سعيد بن عامر بن حزيم إلى الشام » فاجتمع له سبعمائة رجل فى أيام معدودة ، فخرج فى ٧ من ذى القعدة سنة ١٢هـ.

● شرحبيل ابن حسنة :

شرحبيل بن عبد الله بن المطاع بن الغطريف الكندى ، يعرف بشرحبيل ابن حسنة ، وهى أمه ، صحابى ، بعثه الصديق زمن الردة مددا لعكرمة بن أبى جهل فى مواجهة مسيلمة الكذاب ، على أن يتوجه بعد ذلك لإخضاع المرتدين من بنى قضاعة ، لكنه انكسر فى مواجهة مسيلمة مثل عكرمة ، فمكثا ينتظران مدد الخليفة .

وعندما دعا الصديق المسلمين لجهاد الروم عقد لواء لشرحبيل ، وأوصاه بتقوى الله وطاعته ، وبالصلاة فى وقتها ، والصبر يوم البأس ، وعيادة المرضى ، وحضور الجنائز ، وذكر الله كثيرا ، وسار شرحبيل إلى الشام من طريق تبوك كتعليمات الخليفة ، ثم اتجه إلى الجابية ، امتثالا لأمر الصديق بالاجتماع[١٧] .

● أبو سفيان :

صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف سيد قريش ، من صحابة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ كلفه خالد بن الوليد يوم اليرموك بوعظ الجند وحثهم على القتال ، وقيل عنه : « فقدت الأصوات يوم اليرموك إلا صوت رجل يقول : يانصر الله اقترب فنظرت ، فإذا هو أبو سفيان تحت راية ابنه يزيد»[١٨] .

● ضرار بن الأزور :

ضرار بن مالك الأزور بن أوس بن خزيمة الأسدى ، أحد الأبطال فى الجاهلية والإسلام ، وكان شاعرا مطبوعا ، قتل مالك بن نويرة بأمر خالد بن الوليد ، وقاتل يوم اليمامة أشد القتال ، وحضر وقعة اليرموك ، وكان فى الوفد الذى ذهب للقاء (تذارق) شقيق هرقل ، وقائد جيوش الروم الذى كان قد طلب التفاوض على الصلح ، ولكنه لم يتم[١٩] .

● أبو عبيدة بن الجراح :

عامر بن عبد الله بن الجراح بن هلال الفهرى ، القرشى ، الصحابى ، أحد العشرة الذين بشرهم رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بالجنة ، عقد له الصديق لواء لحرب الروم ، وجعل له نيابة حمص فى أول ١٣هـ .

وسار أبو عبيدة من المدينة حتى مر (بوادى القرى) ثم طلع إلى (مدائن صالح) ثم إلى (ذات المنار) ، ثم إلى (زيزا) ، ومنها سار إلى (مآب) بعمان ، فتصدى له الروم ، الذين اضطروا للفرار ، فطلب أهلها الصلح فأجابهم

(١٧) تهذيب ابن عساكر ٦/٢٩٩ ، البداية والنهاية جـ ٦ احداث ١٢هـ ، جـ٧ احداث ١٣هـ .

(١٨) الإصابة ت ٤٠٤١ ، البداية والنهاية ٧/٩ .

(١٩) تهذيب ابن عساكر ٧/٣٠ ، البداية والنهاية جـ٧ احداث سنة ١٣هـ .

إليه أبو عبيدة ، فكانت أول مدن الشام المفتوحة صلحا ، ثم سار إلى الجابية وظل بها يناوش الروم ، حيث ألحق بهم هزيمتين ، الأولى عند (عربة) جنوبي البحر الميت ، حيث حاول الروم تطويق قوات أبي عبيدة في الجابية ، ولكنه تنبه للأمر ، وألحق بهم الهزيمة ، ثم هاجم تجمعاتهم في (الداثنة) قرب غزة فشتت شملهم .

ولما تولى خالد بن الوليد قيادة الجيوش الإسلامية بالشام جعله على مؤخرة الجيش كله ، حتى إذا رآه المنهزم استحى منه ، ورجع إلى القتال ، فكان يعظ المسلمين بقوله : « ياعباد الله انصروا الله ينصركم ، ويثبت أقدامكم ، يامعشر المسلمين اصبروا ، فإن الصبر منجاة من الكفر ، ومرضاة للرب ومدحضة للعار .. »[٢٠] .

● عكرمة بن أبي جهل :

عكرمة بن أبي جهل : عمرو بن هشام المخزومي القرشي ، من أبطال العرب في الجاهلية والإسلام ، كان وأبوه من أشد الناس عداوة للنبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ والذين معه ، أسلم بعد فتح مكة ، وحسن إسلامه ، فشهد الوقائع ، كلفه الصديق بمحاربة مسيلمة الكذاب ، الذي كان قد ادعى النبوة ، لكن عكرمة تعجل ، وناهض مسيلمة قبل مجيء (شرحبيل ابن حسنة) مددا إليه من قبل الخليفة ؛ ليفوز بالظفر وحده ، فناله من مسيلمة قرح والذين معه ، فتقهقر حتى جاء خالد بن الوليد ، فقهر مسيلمة ، وكتب الصديق إلى عكرمة يلومه قائلا : « لا أرينك ولا أسمعن بك إلا بعد بلاء » وأمره أن يلحق بحذيفة بن محصن الحميري ، وعرجفة البارقي مددا لهما في إخضاع أهل (عُمان) ، فلما تم النصر للمسلمين ، سارت جيوش المسلمين بقيادة عكرمة ـ حسب توجيهات الخليفة ـ لتقتحم (مهرة) حيث انتصر عكرمة على زعيمي الردة بها ، وهما : (المصبح) و (شخريت) .

ولما ندب أبو بكر المسلمين للجهاد ضد الروم في الشام ، وعقد الألوية لأبي عبيدة ، وشرحبيل ، ويزيد ، وعمرو بن العاص ، بعث في أثرهم عكرمة في ستة آلاف ، وأمره أن يقف بهم على أطراف الشام ، ليكون ردءا للمسلمين ، واستشهد يوم اليرموك ، وفي رواية أخرى يوم أجنادين[٢١] .

● العلاء بن الحضرمي :

العلاء بن عبد الله الحضرمي ، صحابي جليل من حضرموت ، ولد بمكة وولاه رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ البحرين ، وأقره أبو بكر ، ثم وجهه لحرب من ارتد من العرب في البحرين ، فأوقع بهم العلاء هزائم مريرة[٢٢] .

● علي بن أبي طالب :

علي بن أبي طالب بن عبد المطلب الهاشمي القرشي ، أحد العشرة المبشرين بالجنة ، وابن عم النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ وصهره وأحد الشجعان الأبطال ، شهد المواطن كلها مع النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ اتخذه الصديق ضمن

(٢٠) صفة الصفوة ١٤٢/١ ، البداية والنهاية ٤/٧ : ١٧ .
(٢١) الإصابة ت ٦٥٤٠ تهذيب الأسماء ٣٣٨/١ ، البداية والنهاية جـ٦ احداث ١٢هـ ، جـ٧ احداث ١٣ هـ .
(٢٢) تهذيب الأسماء ٣٤١/١ ، الإصابة ت ٥٦٤٤ ، البداية والنهاية ، ٦/ ٣٦٩ : ٣٧١ .

الأمراء الذين وضعهم على أنقاب المدينة ؛ لحمايتها من هجمات الأعراب المرتدين ، ولما خرج الصديق إلى (ذى القصة) لعقد الألوية لأمراء الحرب الأحد عشر ، استوى على راحلته يريد الخروج للجهاد ، فحال عليٌّ بينه وبين ذلك قائلا : « إلى أين ياخليفة رسول الله ؟ أقول لك ما قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يوم أحد : لم سيفك ولا تفجعنا بنفسك ، وارجع إلى المدينة ، فوالله لئن فجعنا فيك لا يكون للإسلام نظام أبدا(٢٣) .

● **عمرو بن العاص :**

عمرو بن العاص بن وائل السهمى القرشى ، صحابى جليل ، صاحب رأى وحزم ومكيدة فى الحرب والسياسة ، عقد له الصديق - رضى الله عنه - لواء فى حروب الردة فوجهه إلى قضاعة ، وربيعة ، والحارث ، وعقد له لواء آخر على رأس أحد الجيوش الأربعة التى سيرها لفتح الشام ، وجعل وجهته فلسطين ، ثم انتقل إلى الجابية للاجتماع بسائر جيوش المسلمين حسب تعليمات الصديق ، وعندما انتهت القيادة لجيوش الشام إلى خالد بن الوليد جعله على ميمنة الجيش(٢٤) .

● **أبو الدرداء :**

عويمر بن مالك بن قيس بن أمية الأنصارى الخزرجى ، اشتهر فى الإسلام بالشجاعة والنسك ، شهد اليرموك ، وقلده خالد بن الوليد مهام القضاء فى الجيش(٢٥) .

● **فيروز الديلمى :**

أبو الضحاك ، أمير صحابى يمانى ، فارسى الأصل ، وكان يقال له : (الحميرى) لمحالفته حمير باليمين ، وفد على النبى - صلى الله عليه وسلم - وروى عنه ، قتل الأسود العنسى مدعى النبوة فى اليمن صبيحة يوم وفاة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ولكن أهل اليمن عاودوا ردتهم بزعامة قيس بن مكشوح ، فكتب الصديق إلى الأمراء والرؤساء من أهل اليمن أن يكونوا عونا لفيروز ومن معه على قيس بن مكشوح حتى تأتيهم جنوده ، وتمكن فيروز من الإيقاع بابن مكشوح وجنوده وأسره مع عمرو بن معد يكرب قبل وصول المهاجر بن أبى أمية على رأس جند الخليفة(٢٦) .

● **القعقاع بن عمرو:**

القعقاع بن عمرو التميمى من فرسان العرب وأبطالهم قبل الإسلام وبعده ، كان الساعد الأيمن لخالد بن الوليد فى فتوح العراق ، وانتقل معه إلى الشام حيث شارك فى اليرموك ، وكان الصديق يقول عنه : « صوت القعقاع فى الجيش خير من ألف رجل »(٢٧) .

● **قيس بن هبيرة :**

قيس بن هبيرة الملقب بمكشوح بن هلال البجلى ، صحابى جليل ، بعثه الصديق مع أبى

(٢٣) البداية والنهاية ٦/ ٣٥٠ ، ٣٥٥ .
(٢٤) الإصابة ت ٥٨٨٤ ، البداية والنهاية ، جـ٦ ص ٣٥٥ ، جـ٧ احداث ١٣هـ .
(٢٥) الإصابة ت ٦١١٩ ، البداية والنهاية ٩/٧ .
(٢٦) الإصابة ت ٧٠١٢ ، البداية والنهاية جـ٦ احداث ١٢هـ
(٢٧) الكامل ، احداث سنة ١٦هـ .

عبيده عامر بن الجراح قائد أحد الجيوش التى وجهها لفتح الشام ، وأمر أبا عبيدة أن يسمع منه ، وكانت لقيس صولات وجولات ، وجعله خالد بن الوليد قائد الجيوش فيها بعد على رأس خيل الميسرة(٢٨) .

● المثنى بن حارثة :

المثنى بن حارثة بن سلمة الشيبانى صحابى أسلم سنة ٩هـ ، وغزا بلاد فارس فى عهد الصديق ، حيث اقتحم حدودها مطاردا لفلول المرتدين الهاربة من بطش جيوش المسلمين ، ولم يكن الصديق قد كلفه بشىء ، بل لم يكن يعرف شيئا عنه ، فقال : « من هذا الذى تأتينا وقائعه قبل معرفة نسبه ؟ » فقال له قيس بن عاصم المنقرى حكيم بن تميم خصوم بن شيبان قبل الإسلام : « هذا رجل غير خامل الذكر ولا مجهول النسب ، ولا ذليل العماد ، هذا المثنى بن حارثة الشيبانى » .

وعقب انتهاء حروب الردة سار المثنى إلى المدينة وطلب من الصديق أن يؤمره على حرب العراق ، فوافق الصديق فجمع المثنى قومه من بنى شيبان وحلفائها وأخذ يغير على جنوب العراق ، فلما استبان ضخامة الأمر وعدم استطاعته القيام به وحده ، طلب المدد من الصديق فسير إليه خالد بن الوليد وكلفه بالبدء فى فتوح العراق على أن ينضوى المثنى تحت لوائه ، على أن الصديق مالبث أن سير خالدا لنجدة المسلمين بالشام ، فسار خالد بكامل جيشه الذى فتح به معظم العراق وخلفه المثنى بن حارثة الذى أوقع بالفرس هزيمة كبرى فى معركة (بابل) أواخر ربيع الأول ١٣هـ ، حيث استغل الفرس فرصة خروج خالد بجيشه إلى الشام لمحاولة استرداد ما استولى عليه المسلمون منهم .

ثم اتجه المثنى إلى المدينة يطلب المدد من أبى بكر - رضى الله عنه - وكان فى مرض الموت ، فاستدعى عمر بن الخطاب وأوصاه بأن يندب الناس مع المثنى(٢٩) .

● معاذ بن جبل :

معاذ بن جبل بن عمرو بن أوس الأنصارى الخزرجى ، أعلم الأمة بالحلال والحرام وأحد الستة الذين جمعوا القرآن فى عهد النبى - صلى الله عليه وسلم - عاد إلى المدينة عقب وفاة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من اليمن التى كان يلى قضاءها ، وكان مع أبى عبيدة عامر بن الجراح فى غزو الشام ، وطلب الصديق من أبى عبيدة عند خروجه ألا يقطع أمرا دون مشورة معاذ ، وعندما تجمعت قيادة جيوش الشام فى يد خالد بن الوليد جعله قائدا لفرسان الميمنة(٣٠) .

● معن بن يزيد :

معن بن يزيد بن الأخنس السلمى ، سيد بنى سليم ، قدم على الصديق - رضى الله عنه - ملبيا نداء الجهاد ضد الروم ، مع رجال من قومه بلغوا نحوا من المائة رجل ، فقال أبو بكر : « لو كان

---

(٢٨) النووى ٦٤/٢ .
(٢٩) الإصابة ت ٧٧٢٢ ، الاستيعاب ٤٩٦/٣ ، ٤٩٧ ، الطبرى ٤٢/٤ ، ٤٣ .
(٣٠) الإصابة ت ٨٠٣٩ ، اسد الغابة ٣٧٦/٤ ، البداية والنهاية ٩/٧ .

هؤلاء أكثر مما هم فيه لأمضيناهم إلى إخوانهم » ، فقال له عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - « والله لو كانوا عشرة لرأيت لك أن تمد بهم إخوانهم . . »[٣١] .

● **ملحان بن زياد :**

ملحان بن زياد الطائى شقيق عدى بن حاتم لأمه ، قدم على أبى بكر فى ألف من طىء بعد مسيرة الأمراء الذين وجههم أبو بكر بغزو الروم بالشام ، فقال له الصديق : « . . الحق بأبى عبيدة فقد رضيت لكم صحبته وحمدت لكم إليه . . »[٣٢] .

● **المهاجر بن أبى أمية :**

المهاجر بن أبى أمية سهيل بن المغيرة المخزومى القرشى ، صحابى جليل استعمله - صلى الله عليه وسلم - على كندة ، فتوفى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قبل أن يسير إليها ، فبعثه الصديق إلى اليمن لمعاونة (فيروز الديلمى) قاتل الأسود العنسى مدعى النبوة فى إخضاع من ارتد منها عن الإسلام ، وولاه الصديق إمارة صنعاء سنة ١١هـ ، ثم كلفه بالمسير إلى حضرموت لقتال المرتدين بها سنة ١٢هـ[٣٣] .

● **هاشم بن عتبة :**

هاشم بن عتبة بن أبى وقاص ، فارس خطيب ، كان فى جيوش المسلمين يوم اليرموك كلفه خالد ابن الوليد بقيادة المشاه[٣٤] .

● **يزيد بن أبى سفيان :**

يزيد بن صخر بن حرب الأموى صحابى جليل ، استعمله الصديق - رضى الله عنه - على جيش من جيوش غزو الشام ، وخرج فى رجب ١٢ هـ ، يشيعه أبو بكر راجلا ، وكان يزيد يقول لأبى بكر : « ياخليفة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إما أن تركب ، وإما أن تأذن لى فأمشى معك ، فإنى أكره أن أركب وأنت تمشى » ، فقال له أبو بكر : « ما أنا براكب ، وما أنت بنازل . . » وأوصاه بتقوى الله وطاعته .

وسار يزيد بجيشه من (ذى مرة) ، وهى من أعراض المدينة ، وسلك طريق تبوك ، كأمر أبى بكر ، ثم إلى البلقاء من علياء الشام ، ثم انحاز إلى أبى عبيدة بن الجراح بالجابية كأمر الخليفة ، فلما صارت القيادة العامة لخالد بن الوليد جعله خالد على الميسرة وذلك فى معركة اليرموك[٣٥] .

□

---

(٣١) الإصابة ت ٨١٦٣ .
(٣٢) الأزدى ، تاريخ فتوح الشام ص ٢٩ .
(٣٣) اسد الغابة ٤٢٢/٤ ، البداية والنهاية ٦ احداث ١١ ، ١٢هـ .
(٣٤) البداية والنهاية ٩/٧ .
(٣٥) البداية والنهاية ٧/ احداث ١٣هـ .

فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ

استفتاءات القراء

يجيب عنها لجنة الفتوى بالأزهر الشريف

يقدمها الشيخ السيد العراقى شمس الدين

السؤال من السيد/ عبد التواب حسن .

أرجو معرفة الحكم الشرعى فى قنوت الصبح ومعرفة حكم ختام الصلاة ؟ وهل يجوز الدعاء بغير المأثور ؟

الجواب

الحمد لله ، الصلاة والسلام على سيدنا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ . وبعد :

فنفيد بأن القنوت فى صلاة الصبح من سنن الصلاة ، وبعض المذاهب تقول بالجهر فيه ، والبعض الآخر يقنت بالدعاء سرا ، ولو أتى المصلى به أثيب عليه ، ولو تركه لا يعاقب عليه ، وإن كان الأفضل الإتيان به فى الركعة الثانية بعد الرفع من الركوع ، كما أنه لا مانع شرعا من الإتيان به عند الشدائد فى أية صلاة ، وللقنوت دعاء مأثور يفضل الدعاء به ، وإذا لم يعرف المصلى هذا الدعاء فلا مانع شرعا من القنوت بما يعرفه .

وختام الصلاة من كمالها كما ورد فى السنة المطهرة ، ولا مانع من الجهر به إلا إذا تسبب فى التشويش على المصلين فيسر به ، ولا ينبغى أن تكون هذه الأمور محل خلاف عند جماعة المسلمين لأنها ليست من أركان الدين ، هذا إذا كان الحال كما ذكر فى السؤال .

والله تعالى أعلم .

السؤال من السيد/ محمد ياسر محيى الدين الشاذلى يقول فيه : عندنا مصنع لعمل أنتيكات ومقابض أبواب وغيرها ، وغير مجسمة تجسيما كاملا فى الهيئة وهى مجسمة الرأس فقط ، وذلك كعمل استثمارى للرزق الحلال فما الحكم ؟

الجواب

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد - وعلى آله وصحبه - أجمعين .

أما بعد فنفيد فإن التماثيل التى ليس فيها تجسيم كامل الهيئة ليست حراما ، لأنها لا تؤدى إلى وجود أى أثر للشريك ، وعبادة الأصنام والتجسيم الكامل فى الخلق يقول الله تعالى عنه : ﴿ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ ﴾ (سورة التغابن ٣) وما تنتجه هذه المصانع لا ينطبق عليه قول الله تعالى :

﴿ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ ﴾ ، (سورة الرعد ١٦) فهى رزق حلال ، واستثمار طيب للشاب المكافح ، الذى يأكل من عمل يده شريطة ألا تصنع بغرض العبادة أو التعظيم .

والله تعالى أعلم .

السؤال من السيد/ محمد محمد محمود يقول فيه :

هل الزواج من كتابية سواء أكانت مسيحية أو يهودية مباح ؟ وإذا كان مباحا فما أصل الإباحة فى الكتاب والسنة ؟ وهل هذا الزواج إذا تم يحقر من شأن الزوج المسلم بين أهله وعشيرته أم شأنه كالزواج من مسلمة ؟

الجواب

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

وبعد :

فنفيد بأن الزواج من الكتابية مباح لا شىء فيه ، لأن الزوج المسلم يؤمن بسيدنا موسى وعيسى وجميع الأنبياء فيحترم دينهم بخلاف العكس والدليل على ذلك قول الله تعالى :

﴿ الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ ﴾ (سورة المائدة ٥)

والمراد بالمحصنات هنا : العفيفات فالكتابية مع مخالفتها للمسلم فى بعض أصول الدين قد أبيح التزوج بها ، والدليل من السنة زواج الرسول - صلى الله عليه وسلم - من السيدة مارية القبطية والتى أسلمت بعد ذلك ، أما الزواج بالكتابية فلا يقلل من شأن الرجل ولا يحقره بين أهله وعشيرته .

هذا وبالله التوفيق .

السؤال من ع . ر . ح

نرجو إفادتنا عن حكم الشرع فى هذه الرسالة التى تنتشر بين الحين والحين ومفادها أن خادم الحجرة النبوية رأى فى المنام « سيدنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - » وأوصاه أن يخبر العباد بضرورة الاستغفار والعودة إلى الله تعالى .

ثم تختتم الرسالة بأنه يجب على كل من تصله هذه الرسالة أن ينسخها عشر مرات ثم يوزعها فإنه يناله خير عميم فإذا لم يوزعها يناله الشر والعقاب .
ما حكم الشرع فى ذلك حيث تنتشر هذه الرسالة بين أبناء قريتنا هذه الأيام ؟

الجـواب

هذا العمل المشار إليه فى طلب الاستفتاء الموضح بعاليه من الأمور التى سادت فى المجتمعات الإسلامية ، وهى من البدع التى لا أساس لها فى الدين ، وعلى من تصله رسالة من هذا القبيل ألا يلتفت إليها إطلاقا ولا حرمة فى ذلك ولا إثم عليه ، والاستغفار والعودة إلى الله تعالى مطلوبان من المسلم فى كل وقت .
والله ولى التوفيق

السؤال من الأستاذ مهدى حسن الجميل - المحامى بمنيا القمح .
تم الإمساك على توقيت مكة وحضر إلى القاهرة قبل الإفطار . هل يتم الإفطار على إفطار مكة أم على توقيت القاهرة ؟

الجـواب

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد : فإذا تم الإمساك على توقيت مكة وحضر إلى القاهرة قبل المغرب فعليه أن يتم الصيام ويفطر على توقيت القاهرة لأن القرآن الكريم يقول ﴿ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ ﴾ (سورة البقرة ١٨٧) وذلك فى المكان الذى وصل إليه والله أعلم .

السؤال من السيد/ محمد إبراهيم خلف - دمنهور - بحيرة
أرجو التفضل بالإجابة عن السؤال الآتى :
« ما حكم الدين فى قيام بعض الموظفين بكتابة مأموريات مصلحية لا يقومون بها ، بل يتهربون بها للراحة والدعة والمؤسف أن بعضهم يصرف عنها بدل انتقال ، والآخر يكتفى براحة البال . نرجو الإفادة .

الجـواب

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد :
فيحرم على أى موظف أن يقوم بكتابة مأموريات مصلحية لا يقوم بها لأنه أخذ أموال المسلمين بغير حق وعطل مصالح المسلمين المتعلقة بوظيفته ، والهروب بها من أجل الراحة والدعة ، وبدل الانتقال عنها كل ذلك حرام لأنه بنى على غش للمسلمين وانتفى فيه الإخلاص وفقد إتقان العمل ، والله أعلم .

حديث الفؤاد فى مولد خير العباد
بقية

معتصمون بحبل الله المتين ، ولأنهم إن أخلصوا دينهم لله فلن يهزمهم هازم ، ولن يقصمهم قاصم .

وجاء قوله عز وعلا - : ﴿ وداعيا إلى الله بإذنه ﴾ بمثابة التفسير لما سبق ، ومبينا أنه - ﷺ - مادعا الناس إلى عبادة ، وما دعاهم إلى عقيدة ، وما دعاهم إلى معروف ، وما نهاهم عن منكر إلا بإذن الله - عز وجل - وإرادته وعلمه ، ثم أنظر فى قول ربنا : ﴿ وسراجا منيرا ﴾ لأجد أمامى نور رسول الله - ﷺ - الذى لا ينطفىء ، هذا النور الذى بزغ فى ظلمات الجاهلية ، فجراً فجر فى القلوب نبضات الحياة بعد أن عاشت دهراً طويلا أشد قسوة من صخور الجبال ، تلك الجبال التى كادت تزول بسبب مكر الناس لولا رحمة رب الناس .

﴿ وَقَدْ مَكَرُوا۟ مَكْرَهُمْ وَعِندَ ٱللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ ٱلْجِبَالُ ﴿٤٦﴾ ﴾

(إبراهيم : ٤٦)

هو - ﷺ - السراج المنير الذى يبصر به كل حى طريقه ، فمن آمن به ، واتبع هديه ، ورضى بسنته فقد هدى إلى صراط مستقيم ، ومن كفر وعمى وغوى فقد هدى إلى عذاب الجحيم .

لقد طلع السراج المنير على الليل البهيم ، ليرحم كل ضعيف مقهور ، ويرفع كل ذليل مذثور ، ويرقى بمعيار التفضيل بين الناس فوق الأحساب والأنساب والألوان ، إلى سمو التقوى ودرجات الإيمان ، جاء سيدنا محمد - ﷺ - ليرحم كل قوى مغرور من فتن الدنيا ، وبريق الزهو ، وسوء اللهو ، لكى يرى حقيقة نفسه ، ويدرك أن الدنيا بما فيها قنطرة إلى الآخرة ، استجاب الله دعوة المظلوم ، فغدا منصوراً فى الدنيا والآخرة بفضل دعوته - ﷺ - واستحال صراخ الموءودة ابتسامة مشرقة فى ظل الحياة والأمومة ، وكل حق كريم حظيت به الأنثى ، وهى تُلقى بوجه سعيد ، وثوب جديد ، وأجر مزيد بعد أن كانت تلقى بالوجه الأسود ، والقلب المظلم ، والجفن الأرمد والساعد الأظلم الذى يسلمها للموت بلا رحمة .

وأصبح الليل يغشى الناس ، وهم يذكرون الله ويتلون كتابه ، ينامون على طهور ، ويستيقظون فى البكور ليشهدوا رزق ربهم ، وطردت الشياطين ، فما باتت وماسكنت ، وما أكلت وما شربت ، توسوس فى الصدور فيطردها الذكر ، تقترب من الطعام فيسمها ذكر الله ، وتدنو من الشراب ، فيفحمها ذكر الله ، وإن جاء منها طائف يعبث ذكر الله المؤمنون فأبصروا ، فأى لون للأفق غير لون الرضا ، وأى لون للأرض غير لون الصلاح .

ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب ، وصلِّ اللهم وسلم على سيدنا ومولانا محمد ما أعرب المعربون ، ووزن الصرفيون وقطع العروضيون ، وذكر الله الذاكرون ، وغفل عن ذكره الغافلون إلى يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون .

طرائف ومواقف

للأستاذ: عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

حـقـا

ما أبدع قول البوصيرى عن بشرية الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ وفضله على سائر البشر:

ومبلغ العلم فيه أنه بشر
وأنه خير خلق الله كلهم

الاعتراف بالخطأ

إذا ارتكبت خطأ، ولم تشأ الاعتراف به ارتكبت خطأ ثانياً، وإذا اعترفت مختارا بخطئك وضعت الخطأ فى الماضى، ووضعت العقل فى الحاضر، والحكمة فى المستقبل.

حقيـقـة

إنا لنفرح بالأيام نقطعها
وكل يوم مضى يدنى من الأجل

تكبّرت ،، فأذلّنى

قال بعض الصالحين: رأيت فتى مترفا يطوف بالكعبة المشرفة، وحوله خدم يمنعون الناس من الطواف حتى لا يزاحمه أحد!

ثم مرت سنون، فرأيته بجسر الرصافة يسأل الناس!

فسألته: ماذا جرى عليك؟

فقال: تكبرت فى موضع يتواضع الناس فيه، فأذلنى فى موضع يتكبر الناس فيه!

من هذا يا أمير المؤمنين؟

دخل محمد بن زياد مؤدب الواثق على الواثق ، فأظهر إكرامه ، وأكثر إعظامه ، فقيل له : من هذا ياأمير المؤمنين ؟ قال : هذا أول من فتق لسانى بذكر الله ، وأدنانى من رحمة الله .

كراهية الوقوف على الأبواب

كان الشيخ عز الدين بن عبد السلام ، إذا قرأ عليه الطالب بابا انتهى به الدرس ، يقول : اقرأ سطرا من الباب الذى يليه ؛ فإنى لا أحب الوقوف على الأبواب !!

إن كان شىء

إن كان شىء فوق الحياة فالصحة ، وإن كان شىء مثلها فالغنى ، وإن كان شىء فوق الموت فالمرض ، وإن كان شىء مثله فالفقر .

قالوا :

- اللبيب من الإيماء يكفيه ، والإيحاء يغنيه ، واللفظة تجزيه ، واللمحة تؤثر فيه .
- الصبر على حقوق الثروة أشد من الصبر على ألم الحاجة .
- ثلاثة تدل على عقول أربابها : الهدية والكتاب ، والرسول .
- يابنى لا تضحك من غير عجب ، ولا تمش فى غير أرب ، ولا تسأل عما لا يعنيك .

دعاء

اللهم إنى أستودعك نفسى ودينى ومالى وأهلى وكل نعمة أنعمت بها علىّ ، فاجعلنى اللهم فى كنفك وأمنك وكفايتك وكلاءتك وحفظك ورعايتك ووديعتك ، يامن لا تضيع ودائعه ولا يخيب سائله ، ولا ينفد ما عنده .

من أعلام الأزهر

محمد محمد المدنى الكاتب الفقيه المصلح

للأستاذ الدكتور
محمد رجب البيومى

ظهرت أمارات النبوغ الفائق على الطالب محمد محمد المدنى وهو فى معهد الإسكندرية الثانوى بالسنة الأولى ، إذ أجاز القانون إذ ذاك لجميع الطلاب أن يتقدموا لامتحان الشهادة الثانوية ماداموا يحملون الشهادة الابتدائية فقط ، دون نظر لانقضاء عدد من السنوات ، وهنا دفعت الهمة طالب السنة الأولى أن يتقدم لامتحان الشهادة الثانوية ، وأن يفوز بأعلى الدرجات ثم يلتحق بالقسم العالى ، وكانت هذه نادرة عجيبة تلتها نادرة أخرى هى أن القانون أباح لحامل الثانوية أن يتقدم لامتحان العالمية دون نظر لانقضاء عدد من السنوات ، فتقدم طالب السنة الأولى ليظفر بالدرجة ، ووفقه الله ، فنال الشهادة فى سن العشرين ، وهى سن لم تتهيأ من قبل لعالم أزهرى ، ثم التحق بقسم التخصص فى فرع البلاغة والأدب فخرج مبرزا وعين مدرسا بالمعهد السكندرى ، هذه دلائل واضحة على نبوغ الطالب منذ صغره ، والذى يعرف صعوبة الامتحان الشفوى للسنة النهائية بالقسم العالى ، ومكث الطالب أكثر من خمس ساعات فى نقاش علمى جاد يتناول علوم الشريعة والقانون واللسان ، كما قررت فى كتب مشهورة بالتدقيق ، إن لم يكن بالتعقيد ، والممتحنون من هيئة كبار العلماء ، ومن الذين دوّى لهم صيت رنان فى شرح هذه الكتب والتعليق عليها ، الذى يعرف ذلك كله ، ويعلم معه أن سنة واحدة بالقسم العالى قد هيأته للنجاح فى هذا الامتحان نجاحا عالى الدرجة يدرك ما يتمتع به الطالب النابه منذ نشأته من حدة الذهن وسعة الثقافة وبعد الهمة ، إدراكا لا شبهة فيه ، لأن واقعه التعليمى يقدم الشهادة الصادقة على هذا النبوغ الممتاز .

تخرج الطالب وعين مدرسا بمعهد الإسكندرية الذى كان طالبا فيه ، ولو مضت الأمور السياسية رخاء فى هذا المعهد ، لاستقام له الأمر على وجه مريح ، ولكن أعاصير السياسة قد قذفت بالأزهر إلى متاهات مظلمة ، فوقعت الاضطرابات بين الأساتذة والطلاب ، إذ فصل شيخ الأزهر سبعين عالما ، منهم الأستاذ المدنى ، وحمل الأستاذ قلمه ، كما أطلق لسانه خطيبا فى التنديد بهذا الأمر الظالم ، وسافر إلى مقار المعاهد الأزهرية فى أسيوط وطنطا ودسوق ودمياط والقاهرة ، ليشجع على الإضراب العام ، وكانت غاشية مظلمة أوثر ألا أبسط الحديث عنها ، لأن وزارة صدقى باشا هى التى اضطرت فضيلة شيخ الأزهر حينئذ إلى هذا الموقف الصعب ، ثم انجلت الغاشية بذهاب عهد وإشراق عهد ، حيث رجع الأستاذ الأكبر محمد مصطفى المراغى إلى عرينه كما كان ، فأصدر أمره بإعادة المفصولين ، ولم يعد الأستاذ المدنى إلى معهد الإسكندرية ، فقد اختاره الأستاذ محمود شلتوت وكيل كلية الشريعة مدرسا بها ، والشيخ شلتوت ـ رحمه الله ـ رجل دقيق النظر ، خبير بأبناء الأزهر ، وقد عرف المدنى معرفة الملابسة والنقاش والبحث ، فعلم أن تخصصه الأدبى فى علمى البلاغة والأدب لم ينس الأستاذ تضلعه فى علوم الشريعة من فقه وأصول ، وقد أراد أن يبرز للطلاب صدق نظرته ، فأصدر أمره بإسناد مادة الأصول إلى الأستاذ المدنى ، وهى أعمق مواد الكلية غوصا ، وأدقها موضوعا ، وفى الشيوخ الكبار من أساتذة الكلية من يتنصل منها منتجعا دروس الفقه أو التفسير أو الحديث ، فكلها سهلة هينة بالقياس إلى مادة الأصول ، وكان الأزهرى الشاب عند ظن أستاذه الشيخ شلتوت ، فقد أبدى من التمكن والرسوخ ما تحدث به الطلاب مغتبطين .

كان الأستاذ المدنى فى دعوته الحارة لإعادة الإمام المراغى إلى مشيخة الأزهر متشبعا بآرائه التى أعلنها فى مذكرته الإصلاحية ، ويرى من أسباب الضيق بشيخ الأزهر الأستاذ الظواهرى نكوصه عن تنفيذ ماجاء بهذه المذكرة ، من حيث الجوهر العلمى النافع للطلاب ، إذ نفذت المظاهر العامة من إنشاء الكليات واختيار المدرسين ، ووضع بعض المناهج الجديدة فى الدراسة ، واختيار بعض الأساتذة من خارج الدائرة الأزهرية لقيامهم بتدريس مواد جديدة لم تدرس من قبل ، وعاد الشيخ سنة ١٩٣٥م ، ومضت خمس سنوات دون أن يقوم الإمام المراغى بتنفيذ ما جاء بالمذكرة من ناحية الإصلاح العلمى ، إذ دعت المذكرة المراغية إلى أن تهذب فصول العقائد والعبادات وينفى عنها كل ما لحق بها من البدع ، بحيث تتفق وقواعد الإسلام الصحيحة ، وأن يدرس الفقه الإسلامى دراسة حرة خالية من التعصب لمذهب معين ، وأن تدرس قواعده مرتبطة بأصولها من الأدلة ، وأن تكون الغاية من هذه الدراسة عدم المساس بالأحكام المنصوص عليها فى الكتاب والسنة والأحكام المجمع عليها ، مع النظر فى المسائل الاجتهادية لجعلها ملائمة للعصور والأمكنة والأعراف ، كما تجب دراسة الأديان ليقابل مافيها من عقائد وعبادات وأحكام بما هو موجود فى الدين الإسلامى فيظهر للناس يسره وقداسته وامتيازه عن غيره ، كما يجب أن تدرس أصول المذاهب فى العالم قديمها وحديثها ، وكل المسائل العلمية التى يتوقف عليها فهم كتاب الله ، ولابد من تأليف كتب جديدة قيمة بجانب كتب التراث على الطريقة العلمية الحديثة مع المحافظة على الأسلوب الجيد الذى امتاز به المؤلفون فيما قبل عصر المماليك ، ومع الالتزام كل

الالتزام بما يحافظ على جوهر الدين وكل ماهو قطعى من نصوصه .

هذا الباب ما جاء فى المذكرة ، وقد كانت موضع الاهتمام من شبيبة الأزهر المتطلعة إلى السبق الحضارى على منهج الإسلام ، والأستاذ المدنى فى طليعة هذه الشبيبة يؤازره نفر من شيوخه الأجلاء فى مقدمتهم المفتى الأكبر إذ ذاك فضيلة الأستاذ الشيخ عبد المجيد سليم ، والأستاذ الكبير محمود شلتوت عضو جماعة كبار العلماء ، ولكن ظروفا خاصة بالإمام المراغى دعته إلى التباطؤ فى تنفيذ ما دعا إليه من قبل ، فامتشق الأستاذ المدنى قلمه ليكتب المقالات الضافية بمجلة الرسالة ، وجريدة البلاغ مذكرا الأستاذ الأكبر بلباب دعوته ، ومؤكدا أن الأزهر ما ثار على الأستاذ الظواهرى هذه الثورة العارمة إلا أملا فى تنفيذ الإصلاح الأزهرى على وجه الصحيح ، وقد مضت خمسة أعوام دون أن يبدأ الإمام المراغى فى التنفيذ ، وكان مما قاله المدنى فى مقال تحت عنوان « عهد وعهد »[(١)] .

عاد الأستاذ الأكبر المراغى إلى منصبه بعد الثورة الأزهرية المعروفة ، وترقب الناس جميعا أن يتم من آيات الإصلاح مابدأ ، وأن تعود للأزهر الروح المراغية القوية التى كانوا يعهدونها من قبل ، ولكن هذه الحركة الفكرية فى الأزهر قد سكنت ريحها ، ومازال الأزهر عاكفا على كتبه يدور بها حول نفسه ويفنى فيها زهرة شبابه ، وينقطع بها عن الناس ، فليس له اشتراك ذو قيمة فى التشريع العملى للبلاد ، وليس له صلة بأوساط العلم والثقافة ، وليس له نشاط فى إخراج كتب علمية أو أدبية كما يخرج الناس ، وليس لمجلته أى أثر فى توجيه العقول والخرافات ، وإن كان لها أثر كبير فى تشجيع الخرافات والأوهام ، وهذه الحركة الدراسية فى الأزهر تشكو من تهاون الرؤساء ، وطغيان الطلاب ، وعدم إتمام المقررات ، وضعف المستوى العلمى ضعفا يشغل البال ، ويبلبل الأفكار ، ذكر الكاتب متألما - وكان فى غاية الصراحة أن الإمام المراغى رأى من سياسته فى العودة الثانية أن يرضى العناصر المختلفة فى الأزهر ، وفى هذه العناصر من ألف القديم ، ولم يرض به بديلا ، والمصلح لابد أن يكون جريئا فى تنفيذ خطته ، إذ أن الاستعانة بمن يصرفون عن كل إصلاح حميد تعويق وتثبيط ، وأكثر هؤلاء بحكم السن فقط يتبوءون المناصب الكبرى فى الأزهر ، وهم يكلون عن حمل الأعباء !

هذا مثل واحد لما كتبه الأستاذ المدنى فى الدعوة إلى الإصلاح الحقيقى فى ضوء المذكرة المراغية التى ألمحت إليها من قبل ، وقد امتد النقاش حول ما كتبه المدنى فى الصحف المختلفة ، وقام كثير من الكتاب بمناهضته كل المناهضة ، ووصفه بالغرور والخفة وحماسة الشباب ، كما قام بمناصرته فريق آخر حتى أصبحت مقالات الأستاذ محورا لتجاذب الآراء ، وطبيعى أن يصل الصدى إلى الأستاذ الأكبر ، ولكنه عرف إخلاص نيته ، وربما كان الإمام معذورا فى سيره المتئد لأن ظروفه الأولى فى مشيخته السابقة قد علمته أن يهادن من عارضوه من قبل ، واستجيب لهم عن طوع إذ ذاك .

والحقيقة أن الأستاذ المدنى كان مع ثورته هذه ينتهز كل بادرة إصلاح تصدر من الإمام المراغى فيشيد بها كل الإشادة ، فقد رأس الإمام المراغى إحدى مناقشات الرسائل العلمية المقدمة لمنح

---

(١) مجلة الرسالة العدد - ٤١٥ - ١٦/٦/١٩٤١م .

درجة الأستاذية (الدكتوراه) فى الشريعة الإسلامية ، فنبه الطالب - والحضور أيضا وهم من جلة العلماء - إلى أن الدين فى كتاب اللغة غير الفقه ، وأن من الإسراف فى التعبير أن يقال عن الأحكام التى استنبطها الفقهاء واختلفوا فيها وتمسكوا بها حينا ورجعوا عنها حينا آخر إنها أحكام الدين ، لأن الدين هو الشريعة التى أوصى الله بها الأنبياء جميعا ، وتلك لا خلاف عليها ، أما القوانين المنظمة للتعامل والمحققة للعدل ، والدافعة للحرج ، فهى آراء الفقهاء مستمدة من أصولها الشرعية ، تختلف باختلاف العصور ، ولو جاز أن يكون الدين هو الفقه مع ما نرى من اختلاف الفقهاء بعضهم مع بعض لحقت علينا كلمة الله :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ ﴾

(الأنعام : ١٥٩) .

وفى مجلة الرسالة[٢] خلاصة وافية لما أبداه الأستاذ الأكبر بهذا المجلس العلمى مدونة بقلم الأستاذ المدنى ، فى مقال جيد كثير التأييد والإطراء .

وفى جلسة أخرى للإمام المراغى تصدر فيها لمناقشة رسالة علمية تالية ، وجه الأستاذ الأكبر الأنظار إلى حقائق علمية جديدة بسطها الأستاذ المدنى فى مقال تال محبذا[٣] ومؤيدا ، إذ كانت الرسالة الفقهية تدور « حول النسخ فى القرآن » وقد انتقد الباحث أبا مسلم الأصفهانى انتقادا لم يسلم من التجريح فقال الإمام المراغى - فيما نقله الأستاذ - المدنى - « لقد كنت قاسيا على أبى مسلم الأصفهانى فى غير ذنب جناه ولا شطط صار إليه ، لأن الذين قالوا بالنسخ فى القرآن مثلوا له بآيات بلغت عشرين آية ، فجاء الفخر الرازى وناقشهم فى تسع منها ، وظهر أنها لا تعد من النسخ ، ونقض بقية العشرين بالدليل والبرهان ، فكيف تحرمون على أبى مسلم الأصفهانى ما تبيحون للفخر الرازى ، وكلاهما علم فى بابه ؟

كما أشاد الأستاذ المدنى بمنافسة الإمام المراغى فى اعتبار (البنكوت) من باب الحوالات فى الدين ، فسأل الطالب : هل تحققت فى هذه الأوراق شروط الحوالة بالدين من رضا المحال ، والمحال عليه حتى تكون حوالة صحيحة ؟ ثم أفاض فى شرح اقتصادى تاريخى لنظام التعامل بالورق قديما وحديثا جلّى به المسألة للسامعين وضرب الأمثلة للدراسة الفقهية على وجهها السليم .

وكذلك أفاض الأستاذ الكبير فى تحقيق مسائل خاصة بالطلاق ووقوعه بالثلاث طلقة واحدة فى لفظ واحد ، وكل هذا أيده الأستاذ المدنى مثنيا مادحا ، فدل على أن غيرته الشديدة على التيقظ العلمى للأزهر كانت دافعة إلى استبطاء بدء الإصلاح فى عهد رجل الإصلاح ، وهذا ما شعر به كثير من تلاميذ المراغى ، ولكنهم لم يعلنوه ، كما أعلنه الكاتب الغيور . . وقد مر عامان على مقالات المدنى ولم يسر الإصلاح ، كما ابتغاه من يسمون بجماعة « الشيخ عبد المجيد سليم » فرأى الأستاذ الكبير محمود شلتوت أن يجدد الدعوة إلى الإصلاح وكان وكيلا لكلية الشريعة حينئذ ، فألقى محاضرة تحت عنوان (السياسة التوجيهية فى

(٢) الرسالة - ٣٩٦ - ١٩٤١/٢/٣ .

(٣) الرسالة - ٣٩٨ - ١٩٤١/٢/١٧ .

الأزهر) لم تخرج فى لبابها عن الدعوة إلى تحقيق ما سطره الإمام المراغى فى مذكرته الإصلاحية ، وقد صادفت محاضرة الأستاذ شلتوت ارتياحا كبيرا من جمهرة السامعين ، وهم عدد كبير من الأزهريين ضاق بهم المكان فملأوا رحبة الكلية خارج المحاضرة ، ليصلهم صوت الميكروفون ، وبلغ من تأثر السامعين أن حملوا المحاضر على الأعناق حين هم بالخروج ، وقد بسط الأستاذ المدنى مقالا شافيا عن هذه المحاضرة باعتبارها تأييدا لما يكتب فى طريق الإصلاح ، ومن خلق الإمام المراغى النزيه أنه لم يضق بما قيل ، بل دعا المحاضر وجماعته إلى لقائه ، وقدم لهم ما عمل وما سيعمل ، وخرجوا مرتاحين .

ظل الأستاذ المدنى يجاهد فى سبيل إصلاح الأزهر سنين عددا حتى تهيأ للأزهر أن يرأسه صديقه وأستاذه الإمام محمود شلتوت ، فأتاح له أن يتولى عمادة كلية الشريعة ، وهى الكلية التى ترعى شئون التشريع الإسلامى ، والتى جاهد الأستاذ المدنى فى سبيل تطويرها ، وكانت له آمال فى إصلاح المناهج تحدث عنها كاتبا ومحاضرا ، وجمع من خلفه طائفة من نبهاء التلاميذ يرون رأيه ، ويذهبون مذهبه فى وجوب الإصلاح السريع ، ولما كانت خطة الإصلاح واضحة المعالم فى ذهنه ، فإنه لم يلبث أن وضع المناهج المقررة وفق هذه الخطة ، وأهمها أن تدرس المذاهب الإسلامية المقررة من مالكية وحنيفية وشافعية وحنبلية دراسة مقارنة يترك فيها التعصب المذهبى جانبا ، فالباحث الفقيه يقرر المسألة الفقهية غير متأثر بمذهب خاص ، وليس أمامه إلا قوة الدليل . . تميل به إلى اختيار الحكم الصائب فى رأيه ، هذه الدراسة المقارنة من المذاهب الأربعة كانت تدرس فى كلية الشريعة على نحو موجز إذ وضع فيها الأستاذان الكبيران محمود شلتوت ومحمد على السايس كتابا محدد الصفحات يتضمن شذورا من قضايا فقهية ، اختلفت فيها الأنظار ، ولكن الوضع الجديد الذى اختاره الأستاذ المدنى يحتم أن تكون جميع مسائل الفقه خاضعة لهذا الاتجاه المقارن ، فيختار الرأى الراجح من المذاهب متى صح دليله دون تقيد بإمام خاص ، وفى ذلك يقول الأستاذ المدنى[4] : « إن الفقيه المنصف الذى لا هدف له إلا البحث عن الحق ، لا يسعه أن يغض الطرف عن قول مجتهد ما فى المسألة التى يبحثها ، مادام لايصادم نصا قطعيا من كتاب أو سنة ، ولا يسعه أن يعرض عن دليله ، فقد يكون هذا الدليل سليما ، ولو أن فقيها باحثا ارتضى لنفسه أن يغض النظر عن قول غيره لكان ممن قال الله فيهم :

﴿ أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ ﴾

(هود : ٥)

ومنهجه حينئذ منهج فاسد غير معتد به من العلماء » .

هذا من ناحية الفقه المقارن ، أما الأمران الثانيان فهما دراسة مذهبى الزيدية وجعفر الصادق من أعلام الشيعة المعتدلين ، ودراسة القانون الوضعى المعاصر ، وقد قوبل هذا الاتجاه بعاصفة حادة ممن يكتفون بالنظرة العجلى لأنه امتداد إلى الفضاء الفسيح ، ودراسة المذهب الشيعى المختار تندرج فى درس (الفقه المقارن) ، فإذا عرضت

---

(٤) مجلة الأزهر : جمادى الآخرة سنة ١٣٧٩هـ .

مسألة فقهية تشعبت فيها الآراء فى المذاهب السنية فمن الأجدر أن ننظر إلى هذه المسألة فيما جاء فى الفقه الزيدى أو الفقه الجعفرى لأن أئمة هذين الفقهين يرجعون إلى كتاب الله ، والثابت من سنة رسول الله كما نرجع ، فأى مانع من أن نعتبر أبا حنيفة ومالكا والشافعى وابن حنبل وزيد بن على وجعفر الصادق أئمة من طراز واحد ينهج نهج الإسلام دون حيف ، وقد نص الأستاذ المدنى على أن دراسة الفقه المقارن تقوم على أساس ضرورى ، هو أن يدخل الباحثون فى المسألة الفقهية إلى تكوين الحكم فيها غير متأثرين بحكم سابق ضد هذا المذهب أو ذاك ، ولذلك يجب أن يخلع الباحث ثوبه المذهبى قبل أن يدخل قاعة الدرس ، وإلا كان البحث المقارن غير صحيح ، وكان ادعاؤه حينئذ أشبه بالمظاهر التمثيلية ، وفى تقرير هذا المنحى نقل الكاتب نصوصا قوية لأئمة الإسلام تحارب الاتجاه المتعصب لمذهب معين ، ومنها قول شيخ الإسلام العز بن عبد السلام - رضى الله عنه - : « ومن العجيب العاجب أن الفقهاء المقلدين يقف أحدهم على ضعف مأخذ إمامه . بحيث لا يجد لضعفه موقعا ، وهو مع ذلك يقلده فيه ، ويترك من يشهد الكتاب والسنة له ، ويتأولها بالتأويلات البعيدة الباطلة نضالا عن مقلده » .

أما تدريس القانون الوضعى فأمر ضرورى لأن الدولة جارية عليه ، وتراه وحده أرقى قانون معاصر يتمشى مع دستور الاجتماع المعاصر ، فإذا أردنا أن نثبت كفاءة الفقه الإسلامى وسموه على القانون الوضعى ، فلابد أن ندرس هذا القانون لنبين مالدينا من الرأى المخالف محفوفا بأدلته المدعمة ، فإذا طالبنا بعد ذلك بتنفيذ الشريعة الإسلامية نكون قد أثبتنا رجحانها فى ساحة البحث العلمى بأدلة لا تدفع ، فتسكت ألسنة المعارضين ، كما أن الدراسات القانونية ستكون سلاحا لطلبة الأزهر فى ميدان الحياة ، حيث يستطيعون بها أن يتقدموا إلى مناصب القضاء ومراكز التوجيه القانونى فى الدولة ، وحينئذ لا يقال للأزهريين أنكم لستم أهلا لهذه المناصب المتطورة إذ لم تدرسوا قوانينها ، فدراسة القانون الوضعى إذن ذات نفع مزدوج تقع لإظهار صلاحية التشريع الإسلامى مقارنا بها ، وتقع لاتساع مجال العمل القانونى أمام طلبة كلية الشريعة ، وهم أولى بهذا العمل ، لأنهم هضموا القانون شرعيا ووضعيا .

« يتبع »

من روائع الماضى بمجلة الأزهر

موهبة النبى صلى الله عليه وسلم السياسية

إعداد فضيلة الشيخ
عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

لفضيلة الشيخ
محمد محمد أبو شهبة

على حين فترة من الرسل ، وبعد أن استحكمت الضلالة فى النفوس ، وتناهت الفتن ، وتفاقمت المحن ، وعم الكون فساد ، تقاعست عن إصلاحه اليهودية والمسيحية معا ؛ أشرقت شمس الهداية بطلعة سيد الوجود ، رسول الوحدة والتوحيد ، ونبى الحرية والديمقراطية ، وإمام السياسة والتشريع ، وداعية السلام والوئام والمحبة ـ محمد بن عبد الله ـ صلوات الله وتسليماته عليه ـ والكلام عن الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ تتسع آفاقه ، وتبعد غاياته ، وتمتد نواحيه ، وتقف من دونه الألفاظ والمعانى حاسرة كليلة ؛ وهل فى وسع كاتب ، أو باحث أن يحيط بأكمل شخصية ظهرت على وجه الأرض ، ويكشف عن أصفى نفس ، وأكرم خلق ، ويُجلى للناس عظمة بشر ملأت روعته الأرض والسماء ؟

هيهات لذلك كله أن يحيط به قول قائل :

ولكن تأخذ الأفهام منه على قدر المدارك والعقول

والكاتب فى هذا المقال يحاول إيضاح جانب مما زخرت به السيرة المحمدية ، من ألوان السياسة العبقرية ، التى أخذ بها رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ نفسه ، وساس بها الناس جميعا ، سياسة كنور الله ، لا تعرف الحدود ، ولا الخصوص ، ولا الزمن .

سياسة مبعثها الرحمة ، وغايتها النصر البعيد ، وأساسها المعرفة الشاملة ؛ لتكون الشعاع الهادى ، لكل ضال والنداء الموقظ لكل غافل .

يقول الكاتب ـ رحمه الله ـ :

لايكاد التاريخ يعرف رجلا جمله الله بالكمالات البشرية مثل ما عرف ذلك لنبينا محمد - ﷺ - ولا رجلا تجمعت فى سيرته العبقرية من جميع نواحيها مثل ما عرف ذلك له . وجوانب العظمة فى السيرة المحمدية مشرقة خصبة ، تستولى على القلوب بإشراقها ، وعلى العقول بقوتها وخصوبتها . وما السيرة المحمدية إلا كبستان حافل بشتى الثمار الشهية ، والأزاهير الشذية ، لا يكاد الإنسان يهم بقطف ثمرة أو زهرة حتى تنازعه نفسه إلى الأخرى ، ولا يزال فى حيرة من أمره حتى يقطف أدناها إليه وأيسرها عليه .

هكذا كان شأنى حينما هممت أن أكتب فى ناحية من نواحى العظمة المحمدية ، فقد تسهل لى أن أكتب فى عبقرية من عبقرياته ، ألا وهى سياسته الرشيدة الحكيمة التى أخذ بها نفسه وساس بها الناس جميعا . هذه السياسة التى مبعثها الرحمة والرفق ، ومرماها النظر البعيد العميق ، وأساسها المعرفة الشاملة الدقيقة بطبائع الناس والنفوس البشرية وغرائزها وانفعالاتها ، وصدق الله إذ يقول :

﴿ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴾

(آل عمران ١٥٩)

وإن إنساناً ، بكل ما فى الكلمة من معانى الإنسانية ، اختاره الله من خيار البشر ، وتعهده بالرعاية والعناية من يوم ميلاده إلى وفاته ، وأدبه فأحسن تأديبه ، وامتلأ قلبه بإشراقات الوحى وفيوضاته ، لجدير بهذه السياسة النبوية الرشيدة . وقد تجلت باكورة هذه السياسة الحكيمة يوم أن بنت قريش الكعبة المشرفة من حر مالها وأطهره ، حتى وصلوا إلى موضع الحجر الأسود ، واختلفت القبائل فيمن يكون الواضع له ، وتحركت العصبية ونعرة الجاهلية ، وكادت نيران الحرب تشتعل فتأكل الأخضر واليابس ، لولا أن تداركتهم رحمة الله ، فاتفقوا على أن يحكموا أول داخل من باب بنى شيبة . وشخصت الأبصار ، وتطاولت الأعناق ليروا من الداخل ! فإذا به أمينهم محمد بن عبد الله ، فارتضوه حكما . ورأى السيد الأمين الشرر يتطاير من العيون والأيدى تكاد تأخذ بالسيوف ، فتفتح عقله الكبير عن هذه السياسة الفائقة التى وأدت الفتنة وهى فى مهدها ، فبسط ثوبه ووضع عليه الحجر ، ثم دعا رؤساء القبائل وقال : « ليأخذ كل رئيس بطرفه ، حتى استووا به إلى حيث يوضع ، فأخذه ووضعه موضعه . وبذلك وقاهم شر فتنة لا يعلم مداها إلا الله .

ومن مظاهر هذه السياسة الحازمة ما حدث فى بيعة العقبة الثانية ، فقد دبرت تحت جنح الليل ، وأشار عليهم النبى بالتكتم الشديد ، حتى لا يفسد أعدأؤهم عليهم الخطة ، وكان مما قاله فى هذه الليلة : « ليتكلم متكلمكم ولا يطيل الخطبة ، فإن عليكم من المشركين عيناً » وكان لهذه البيعة آثارها البعيدة فى انتشار الإسلام فى المدينة ، وبالتالى فى تسهيل الهجرة إلى المدينة .

ولما هاجر النبى - صلوات الله وسلامه عليه - وأصحابه إلى المدينة فعل أمراً عجباً ، ذلك أنه آخى بين المهاجرين والأنصار اثنين اثنين ، وكانت

هذه الأخوة الدينية بمنزلة الأخوة فى النسب : بها يتناصرون ويتوارثون ، حتى انتشر الإسلام ، وكثر المسلمون ، فجعل الله الإرث بالقرابة حيث قال :

﴿ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مِنۢ بَعۡدُ وَهَاجَرُوا وَجَٰهَدُوا مَعَكُمۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ مِنكُمۡۚ وَأُوْلُوا ٱلۡأَرۡحَامِ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلَىٰ بِبَعۡضٖ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمُۢ ﴾

(الأنفال : ٧٥)

وكان عمله هذا سياسة بارعة موفقة ، فى توثيق عرى الإخوة والمحبة ، بين المهاجرين والأنصار ، فيتعاونون ويتراحمون ، ويصيرون قوة لا يستهان بها أمام أعدائهم المجاورين لهم من اليهود .

وإن شئت أن تعرف أروع من ذلك فى باب السياسة المحمدية البصيرة ، فهاك ما حدث فى غزوة بنى المصطلق :

بينما الناس على ماء يسقون ، إذ اقتتل أجير للفاروق عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - مع رجل جهنى حليف للأنصار ، واستنصر الجهنى بالأنصار ، والأجير بالمهاجرين ، وكادت تقع فتنة أراد أن يشعلها « ابن أبى » المنافق ، فقال وعنده زيد بن أرقم « غلام يافع » : أو قد فعلوها ! قد كاثرونا ونافرونا فى بلادنا ، ما مثلنا معهم إلا كما قال الأول « سمن كلبك يأكلك » ، والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل ، فنقل ابن أرقم مقالة ابن أبى إلى النبى - ﷺ - فقال عمر : « مر به يارسول الله من يقتله ، فقال السيد الحكيم : « فكيف ياعمر إذا تحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه ، ولكن آذن بالرحيل » .

فرحل رسول الله بالجيش فى وقت لم يكن يرحل فيه ، فسار بهم يومهم ذلك حتى أمسى وليلهم حتى أصبح . وصدر يومهم التالى حتى آذتهم الشمس ، فنزل بالناس ، فلم يلبثوا أن وجدوا مس الأرض حتى وقعوا نياماً ، وكان غرض النبى - ﷺ - أن يشغلهم بالسير عن الحديث فيما وقع ، وبذلك وقى المسلمين من فتنة وخيمة العواقب ، ولما علم عبد الله ابنه[1] - وكان من خيار المسلمين - بما قال أبوه ، جاء إلى النبى وقال : إنه بلغنى أنك تريد قتل عبد الله بن أبى فيما بلغك عنه ، فإن كنت فاعلا فمرنى وأنا آتيك برأسه ، فوالله لقد علمت الخزرج ما كان بها أبر بوالده منى ، وإنى أخشى أن تأمر به غيرى فيقتله فلا تدعنى نفسى أن أنظر إلى قاتل أبى يمشى فى الناس ، فأقتل مؤمناً بكافر فأدخل النار . ترى ماذا يكون جواب النبى ؟ لقد كان جواب الحكيم الرءوف الرحيم بالمؤمنين ، الخبير بطبائع البشر ، فقال - ﷺ - : « بل نترفق به ونحسن صحبته ما دام معنا » . ولقد كان لهذه السياسة أثرها البعيد فصار ابن أبى المنافق كلما أحدث حدثاً أقبل عليه قومه وأهله يعاقبونه ويعنفونه ويأخذونه بما صنع . وقد أراد النبى - ﷺ - أن يبين لعمر - رضى الله عنه - عمق سياسته المتئدة فقال : « كيف ترى ياعمر ؟ أما والله لو قتلته يوم قلت

(١) عبد الله بن ابى بن سلول ، كان راس المنافقين ، وعبد الله بن عبد الله بن ابى كان من خيار المسلمين ، فكن على بينة من ذلك حتى لا يلتبس الامر .

لى ، لأرعدت له أنوف لو أمرتها اليوم بقتله لقتلته » فقال عمر وهو الملهم المحدث : « والله لقد علمت ، لأمر رسول الله أعظم بركة من أمرى » .

ولما قسم النبى - ﷺ - غنائم هوازن ، التى أفاء الله بها عليهم من حنين ، أعطى المهاجرين والمؤلفة قلوبهم ، ولم يعط الأنصار ، فوجدوا فى أنفسهم أن يعطى رسول الله المؤلفة ولا يعطيهم .

فلما بلغ ذلك رسول الله - ﷺ - جمعهم ووقف بينهم خطيباً فقال بعد أن حمد الله ، وأثنى عليه بما هو أهله : « يا معشر الأنصار ألم آتكم ضلالا فهداكم الله بى ، وعالة فأغناكم الله ، وأعداء فألف الله بين قلوبكم ؟ » قالوا : بلى . ثم قال رسول الله - ﷺ - « ألا تجيبون يامعشر الأنصار » ، قالوا : وما نقول يارسول الله ، المن لله ولرسوله . قال : والله لو شئتم لقلتم وصدقتم جئتنا طريداً فآويناك ، وعائلا فآسيناك ، وخائفا فأمناك ، ومخذولا فنصرناك . فقالوا : المن لله ولرسوله ، فقال رسول الله - ﷺ - :

« أوجدتم فى أنفسكم - يامعشر الأنصار - فى لعاعة من الدنيا تألفت بها قوماً أسلموا ، ووكلتكم إلى ما قسم الله لكم من الإسلام ؟ أفلا ترتضون يا معشر الأنصار أن يذهب الناس إلى رحالهم بالشاء والبعير ، وتذهبون برسول الله إلى رحالكم ؟ فو الذى نفسى بيده ، لو أن الناس سلكوا شعباً وسلكت الأنصار شعباً لسلكت شعب الأنصار ، ولولا الهجرة لكنت امرءاً من الأنصار . اللهم ارحم الأنصار ، وأبناء الأنصار ، فبكى القوم حتى أخضلوا لحاهم ، وقالوا : رضينا بالله ربا ، وبرسوله قسما . ثم انصرفوا بعد ما ثلجت صدورهم ورضيت نفوسهم . فهل سمعت فى باب الاسترضاء أروع من هذه الخطبة البليغة الجامعة بين الحق والصراحة والرقة والاستعطاف ، وهى مع ذلك لا التواء فيها ، ولا وعود كاذبة ولا إنكار للجميل ، وهل سمعت فى تهدئة النفوس الثائرة مثل هذه الكلمات الرقاق الصادقة ، التى تضرب على أوتار القلوب وتهز المشاعر ، وتستولى على الوجدان ؟ وأى سياسى - مهما سمت منزلته - يصل به التواضع إلى تقرير الحقيقة التى فيها هضم النفس ، والإقرار بالفضل لتابعيه ، بهذه الصراحة التى لا تملق فيها ولا مداهنة ؟

إلا إن هذه السياسة الحكيمة المؤيدة من الله ، لن تكون إلا من مثل سيدنا محمد ، الذى وهبه الله عقلا كبيراً ، وقلباً رحيما ، وخلقاً رحيباً ، وفطرة سليمة تسمو عن النظير .

هذا قل من كثر ، مما زخرت به السيرة المحمدية من ألوان السياسة العبقرية . وقد كان خريج هذه السياسة المحمدية الرشيدة : السادة البهاليل : أبو بكر ، وعمر ، وعلى ، وخالد ، وأبو عبيدة والمقداد ، وأضرابهم من دهاة الحروب وأساطين السياسة ، الذين رفعوا شأن الإسلام ووسعوا رقعته ، وتركوا ذكراً عاطراً ، لاتزال الدنيا تردده بالإعجاب والإكبار .

□

تـــأثـــر البوصيرى وشوقى بابن الفــارض فى بــردتيهــما

للأستاذ الدكتور
سعد ظـــلام

هذا ابن هانىء[1] نال ما قد نلتُ من حسب نُدَلُّ به على الأحساب

قد كان يسعى للرشيد ببابه فسعى الرشيد إليه وهو ببابى

*****

هذان البيتان مع أبيات أخرى ارتجلها شوقى أمام الخديو عباس ، وكان شوقى قد زين كرمة ابن هانىء بأبهج الزينات ليلة عودة الخديو عباس من الحج ، واتفق أن مر الخديو أمام الكرمة فى « المطرية » ، فألفى شاعره واقفا على باب كرمته ، فقال له : ياشوقى أعجبتنى قصيدتك كما أعجبتنى زينتك ، ونزل حيث الشاعر ، فارتجل شوقى هذه الأبيات التى كان منها هذان البيتان .

(١) الشوقيات المجهولة للدكتور محمد صبرى - جـ ٢ - ص ١١٦ - ١١٧

والقصيدة التى أعجب بها الخديو هى قصيدة « نهج البردة » وقد نُشرت فى « المؤيد » فى ٢٦ يناير سنة ١٩١٠ م .

وفى هذين البيتين تبرز شخصية شوقى وأدبه ، والبيت الأخير وحده قد كشف عن ناحية من نواحى هذه الشخصية الشوقية ، فقد أراد شوقى أن يقول : إن الشعراء قديما كانوا يقفون بأبواب الملوك ، وإن ابن هانىء (أبانواس) كان يسعى للرشيد ببابه ، ولكن الآية انقلبت ، فصار الملوك هم الذين يقفون بأبواب الشعراء ، إشارة إلى أن الخديو يسعى إلى شوقى ببابه ، فصاغ هذا المعنى الرقيق بلباقة وفصاحة .

وسبب هذا الجمال أنه لم يقل أن عباسا جاء إليه يسعى ، وإنما قال الرشيد سعى إلى ابن هانىء ، وهذا تعظيم لعباس « فسعى الرشيد إليه وهو ببابى » ، ولم يقل أنه سعى إلى باب شوقى ، وقد زاد شوقى بهذه الاستدارة البعيدة الرائعة حول شخصه من جلال الموقف دون أن يغض من جلال الساعى »[1] .

وقد أكد على هذا « أنطون الجميل » حين كتب فصلا فى مجلة « الزهور » فى عدد أول مارس سنة ١٩١٠ تكلم فى القسم الأول منه عن « شوقى » و« البوصيرى » ، ووازن بينهما فى « نهج البردة » ، ثم تحدث عن الأمراء والشعراء أمس واليوم ألمح فيه إلى ما ذكرنا .

هذه المقدمة تبين لنا قيمة شوقى وشخصيته التى وضحت من سعى الخديو إلى بابه وأدبه فى عظمة تلك الشخصية التى زعم البعض أن « شوقى » كان غيريا لا ذاتيا ، لا تظهر له صورة فى شعره ، وقد أردت إثباتها فقط لمجرد الرد ، ولتعتبر مدخلا إلى مانحن بصدده من بحث وقول .

وبعد هذه المقدمة أقول : لابد للشاعر فى مراحله الشعرية الأولى من التأثر والاقتداء ، فإذا كبر استأنس بغيره فى شعره ، وأعنى هنا بالمراحل الأولى البدايات الشعرية ، وكذلك الشاعر المقتدر إذا دخل فى تجربة شعرية ، أو نظم فى غرض جديد لا عهد له به لابد له من الاستئناس بتجربة شاعر آخر سبقه إلى نفس الغرض .

وأقرب مثل على ذلك أمير الشعراء « أحمد شوقى » شاعر العربية الأول ، فقد كان شوقى شاعر الخديو ، ولقد سعى إليه الخديو فى كرمته - كما ذكرنا - ولقد أعجب الخديو بقصيدته « نهج البردة » ، ولكن شوقى عندما أراد أن ينظم المديح النبوى ، وهو غرض لم ينظم فيه من قبل ، استأنس بنموذجين شعريين سابقين .

النموذج الأول : قصيدة ابن الفارض .

النموذج الثانى : بردة البوصيرى .

ولقد كانت هناك أمام شوقى نماذج أخرى قريبة منه مثل بردة الشاعرة عائشة التيمورية ، وقصيدة « كشف الغمة فى مدح سيد الأمة » للبارودى ، ولكن شوقى أراد أن يرجع إلى الأصل والنموذج الأول « البوصيرى » المنشىء الأول لهذا النموذج ، أما ابن الفارض فلم يكن ممن اشتهر بنبوياته ، وإنما كان واقفا على باب العشق الإلهى ، ولم يكن له سوى قصيدة واحدة فى المديح النبوى ، فطن إليها البوصيرى نفسه وهو ينظم بردته .

لقد وجد شوقى نفسه فى تجربة جديدة لم يألفها ولم يسبق له النظم فيها ، فوضع أمامه هذين

(١) المصدر السابق

النموذجين ، ولقد تأثر شوقى بابن الفارض ، وإن لم يقل ، كما تأثر به البوصيرى ، وإن لم يقل أيضا .

وقصيدة ابن الفارض التى تأثر بها كلا الشاعرين مطلعها :

هل نار ليلى بدت ليلا بذى سلم
أم بارق لاح فى الزوراء فالقلم

وعدد أبياتها ثمانية عشر بيتا .

وعلى الرغم من أن قصيدة ابن الفارض صغيرة بالنسبة إلى قصيدتى البوصيرى وشوقى ، إلا أنها جذبت الشاعرين إلى ساحتها .

ولشوقى عذره فى الاستئناس بهذا الغرض الشعرى ، الذى يعتبر جديدا عليه ، ولكن فى الوقت نفسه ليس للبوصيرى فى هذا عذر أى عذر ؟

المهم أن الشاعرين تأثرا بقصيدة ابن الفارض ، ووضح تأثر كل منهما بها ، بل لعلى لا أكون مغاليا إذا قلت أنهما نقلاها إلى ساحتيهما الشعرية نقلا .

ومِيمِيّة ابن الفارض التى تأثر بها الشاعران الكبيران أسبق من البردة ونهجها ، وهما على نفس الوزن والقافية لِمِيمِيّة ابن الفارض .

وقد قصدت هنا أن أعرض كيف تأثر كل من الشاعرين بقصيدة ابن الفارض ، وكيف أخذ ؟ وما مقدار هذا الأخذ ؟ لأن هذا الجانب لم يلتفت إليه فيما أعتقد ، أما تأثر شوقى ومن قبله ومن بعده بالبوصيرى فى هذا الغرض فغير خفى ولا منكور ، ومن ذلك :

١ ـ قال ابن الفارض :

ناشدتك الله إن جزت العقيق ضحى
فاقْرِ السلام عليهم غير محتشم

وقل : تركت صريعا فى دياركم
حيا .. كميت يعير السقم للسقم

ويقول البوصيرى :

فكيف تنكر حبا بعدما شهدت
به عليك شهود الدمع والسقم

ويقول شوقى :

من الموائس بانًا كالربى وقنًا
اللاعبات بروحى السافحات دمى

السافرات كأمثال البدور ضحى
يغرن شمس الضحى بالحلى والعصم

القاتلات بأجفان بها سقم
وللمنية أسباب من السقم

فقد تلاقى الشعراء الثلاثة فى المعنى ، فضلا عن اتفاقهم فى التعبير عنه ، وفى الوزن والقافية ، فهم يقولون : إن الحب أحالهم إلى الضنى والنحول ، وشهد بحبهم السقم البادى عليهم الذى يذكرهم بالموت أو يذكر الموت بهم .

٢ ـ وقال ابن الفارض :

وهذه سنة العشاق .. ماعلقوا
بشادن فخلا عضو من الألم

وقال البوصيرى :

نعم .. سرى طيف من أهوى فأرقنى
والحب يعترض اللذات بالألم

وقال شوقى :

جحدتها .. وكتمت السهم فى كبدى
جرح الأحبة عندى غير ذى ألم

فقد كتم شوقى حبه ، وآثر أن تبقى السهام فى كبده ، فجراح الأحبة عنده ليس لها ألم ، فزاد

عليهما أنه تجاهل الألم على الرغم من إحساسه المتألم بالجراح ، لأن ذلك مما يزيده سعادة .

٣ - وقال ابن الفارض :

يالائما .. لامنى فى حبهم سفها
كف الملام . فلو أحببت لم تلم

وقال البوصيرى :

يالائمى فى الهوى العذرى معذرة
منى إليك .. ولو أنصفت لم تلم

وقال شوقى :

يالائمى فى هواه والهوى قدر
لو شفك الوجد لم تعذل .. ولم تلم

فقد أخذ شوقى المعنى وزاد عليه ، إن الهوى قدر ، وليس بيد الإنسان ما أصابه أو يصيبه ، فهو مسلم مستسلم خاضع للقدر ، وهذا فيه مافيه من ضعف المحب .

٤ - وقال ابن الفارض :

وحرمة الوصل والود العتيق
وبالعهد الوثيق ، وماقد كان فى القدم
ماحلت عنهم بسلوان ولابدل
ليس التبدل والسلوى من الشيم

وقال شوقى :

رزقت أسمح ما فى الناس من خلق
إذا رزقت الغدر فى الشيم

٥ - وقال ابن الفارض :

ردوا الرقاد لجفنى علّ طيفكم
بمضجعى زائر فى غفلة الحلم

وقال شوقى :

كم نائم لا يراها .. وهى ساهرة
لولا الأمانى والأحلام لم ينم

٦ - وقال ابن الفارض :

عَنَى إليكم ظباء المنحنى كرما
عبّدت طرفى لم ينظر لغيرهم

وقال شوقى :

وضعت خدى وقسمت الفؤاد رُبًى
يرتعن فى كنس منه وفى أكم

والمعنيان متلاقيان ، وإن زادت براعة شوقى وتفننه ، وفضل ابن الفارض إنما هو لسبقه .

٧ - وقال ابن الفارض :

طوعا لقاض أتى فى حكمه عجبا
أفتى بسفك دمى فى الحل والحرم

وقال شوقى :

ريم على القاع بين البان والعلم
أحل سفك دمى فى الأشهر الحرم

وقد تصرف شوقى فيما أخذ وصوره على هذه الصورة الجميلة ، أما ابن الفارض فلم يسعفه إلا القضاء والفتوى ، وإن كان شوقى قد أخذ منه أجمل تعبيره وأبرزه على الصورة الجميلة .

هذا بعض ما تلاقى فيه الشعراء الثلاثة ، ابن الفارض والبوصيرى وشوقى على مأدبة ابن الفارض الشعرية ، وقدم لهم قصيدته التى لم يقل سواها فى المديح النبوى ، وربما دلهم على الوزن والقافية ، فالبحر البسيط أقرب إلى ذوق العامة ووجداناتهم ، وله قرب من إحساسهم النغمى ، وفيه ينظمون أكثر فنونهم الزجلية .

والشاعران الكبيران لم يتأثرا به فى محاولتيهما الشعريتين : البردة ونهج البردة ، بل كان التلاقى أوسع من هذا وأرحب ، وقد خفى على الكثير من المتأدبين تأثر زعيمى هذا الغرض الشعرى بابن الفارض .

أضواء حول عالمية الإسلام واستمراريته ـ بقية ـ

وروى مسلم مثل ذلك عن جابر بن سمرة ، وعن جابر بن عبدالله ، كما روى عن عقبة بن عامر ، قوله : وأما أنا : فسمعت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول : « لا تزال عصابة من أمتى يقاتلون على أمر الله ، قاهرين لعدوهم ، لا يضرهم من خالفهم ، حتى تأتيهم الساعة وهم على ذلك » (٣٣) .

وروى أبو أمامة الباهلى من خطبة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وتحذيره من الدجال أنه قال : « وأنا آخر الأنبياء ، وأنتم آخر الأمم »(٣٤) .

فهذه الأحاديث النبوية : تعرب فى وضوح عن استمرارية الإسلام وصلاحيته إلى أن تقوم الساعة ، ومادامت أمته ـ صلى الله عليه وسلم ـ آخر الأمم ، فإنه لا يوجد بعده نبى آخر ، حتى لا تكون أمة بعد أمته .

وقد سبق لنا ، ونحن نعرض (عالمية الإسلام) : أن عرفنا أن من أقرب الدلائل على عالمية الإسلام ، نداء القرآن الكريم الإنسان : (ياأيها الناس) فى كثير من الآيات . وهذه الدلائل تفيد فى الوقت نفسه : استمرارية الإسلام الذى جاء لإصلاح حال الإنسان فى الأرض .

كما أن من الأدلة الضرورية على استمرارية الإسلام : أن ختم النبوة يقتضى بقاء الشريعة ، وعلى ذلك فالشريعة الإسلامية باقية ببقاء الإنسان ، لأنه لا ينتظر نبى آخر ، يمكن معه انتظار شريعة أخرى ، فلم يكن بد مادامت النبوة قد ختمت أن تكون شريعتها الخاتمة ، هى : المنهاج الذى يصلح لكل زمان ومكان ، وألا يحتمل النسخ ، ولا التبديل ، ومهما تتجدد الحوادث ، وتظهر المسائل والمشاكل فلابد أن يجد الناس فى هذه الشريعة هدايتهم .

فالله ـ سبحانه وتعالى ـ جعل الشريعة الإسلامية خاتمة الشرائع وجعلها فى متناول الجميع إلى يوم القيامة ، وجعلها هداية كاملة مكتملة ، لا تقبل تغييراً ولا تبديلا ، لا فى مجموعها ، ولا فى باب من أبوابها .

(٣٣) رواه مسلم فى صحيحه ، كتاب الإمارة ، باب قوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : لا تزال طائفة من امتى ظاهرين على الحق ، لا يضرهم من خالفهم ، جـ٣ ، ص : ١٥٢٥ .

(٣٤) رواه ابن ماجة فى سننه ، ابواب الفتن ، جـ٢ ، ص : ٣٩٩ ، رقم الحديث : ٤١٢٨ .

خميلة الشعر

تقديم الأستاذ : محمد عبد الوهاب

تحفل خميلة الشعر فى هذا العدد بالعديد من قصائد الحب ، بمناسبة مولد خير البشر ، محمد ﷺ ، كما تحوى زهرة إعزاز لفضيلة إمام الدعاة ، الشيخ محمد متولى الشعراوى بالإضافة إلى ماتعودتموه منا ، من تقديم قصيدة لأحد شعراء الجاهلية ، وقصيدة اليوم هى معلقة زهير بن أبى سلمى ، والتى تؤكد مبدأ أن الشعر هو ديوان العرب ، فقد حوت هذه القصيدة جزءا من تاريخ العرب ومعاركهم ، وجزءا من حياتهم الاجتماعية ، ثم جزءا آخر من أخلاقهم فى أيام الجاهلية .

ونرجو بعد هذا أن نكون قد حققنا ما تتوقعونه منا ، والله ولى التوفيق .

أيها الحادى بآيات الكتاب

إلى العالم والداعية فضيلة الشيخ

محمد متولى الشعراوى

شعر : محمد فتحى نصار

هذه القصيدة تحية إعزاز ، يتقدم بها الشاعر بين يدى إمام الدعاة إلى دين الله فضيلة مولانا الشيخ محمد متولى الشعراوى معبرا بأبياتها عن حبه العميق وتقديره العظيم للدور الكبير الذى يؤديه الإمام فى سبيل الله .

أيها الحادى بآيات الكتاب ... يانديم الفجر ، علوى الشراب
يارحيق الزمن البكر ، ويا همس ... الوصايا ، والتراتيل العذاب
ياأحاديث التقى ، يانفح روض ... من رياض الخلد ممتد الرحاب
يارواء الروح .. ياأفياء ماض ... يتهادى بين آماد الشباب
يانجى الوحى ، ياساقى سناه ... فى كؤوس لم تخلَّق من تراب
قل ، وحلق فى سماوات المعانى ... بعقول ، وقلوب لا تحابى
رتل الذكر ، وأودعه صدورا ... هائمات النبض فى دنيا اضطراب
غرها العيش ، وأردتها الأمانى ... ثم عادت ظامئات للصواب
صب فيها كأسك المترع صفوا ... والموفى كل سؤل بجواب

صب فيهـا صوتـك المشرق ضـوءا يـذهب الليـل ، ووسـواس الضبـاب
لا تـدعـهـا ، إنها بـالغيـب تـدعـو وادن منهـا بـالـرحيـق المستـطاب
ادن منـهـا ، علهـا تلقى هـداهـا فى زمـان زائـغ الألـوان كـابى
اهـزم الأيـام فى صـبر الـرواسى ثم عـد شيخـا لـه عـزم الشبـاب

******

أيهـا الشيـخ ، وهـذا لفظ حب ووقـار ، وضـيـاء غـيـر خـاب
لم نـزل نرنـو ـ كما العهـد ـ ونصغى لحـديث ملهـم الفـيض ، مهـاب
وأتينـا لـلهـدى ، والنـفس ظمـأى لم تعـد تقـوى عـلى جمـع السراب

******

أيهـا الشيـخ ، ويـاقـدوة جيـل مـطمـع ـ فى كـل آن ـ لـلذئـاب
حـظه ألـقـاه فى مـهـوى مخـوف كـل ركن فيـه يخفى ألف نـاب
إن تغب عنـه يَعُـدْ للغـدر صيـدا أو تكن فيـه يـذب كيـد الصعـاب
ثـم يـأتى النـور هـديـا ، ودليـلا نحـو أفق دون بـاب ، أو حجـاب
فـاحمل المصحف ، وانهض فى سـلام بضيـاء الـرسـل ، أو طهـر الصحـاب
واقـرأ الآيـات ، فـالـدنيـا استـماع وتـدابـيـر الأفـاعـى فى تـبـاب
واحْـدُ ركـب الحق يبلغ مـبتـغـاه فى سبيـل الحق ، ذا فصـل الخطـاب

******

رسول الرحمة

للشاعر: عبد العاطى موسى

رسول الله جئت إلى حماك لأنهل بالمحبة من سناك
يذيب القلب حب والتياع وأطمع ياحبيبى لو أراك

******

رسول الله لا يكفيك دمعى وما تبديه أشواقى وسمعى
واسمك كم يردده لسانى يفيض بذكره قلبى وشرعى

******

رسول الله قد ذبت اشتياقا وجئت اليوم حبا وانطلاقا
رسول الله يامن قد سموت تجوب إلى العلا سبعا طباقا

******

رسول الله قد مرت سنون ونار الشوق تعلنها الجفون
وحبك فى الجوانح فى الحنايا بدونك ياحبيبى من أكون

******

هواك يضىء أيامى ودربى وحبك مسحة من نور ربى
وددت لو أننى أفنيت عمرى جوارك سيدى أهنا بقربى

******

رسول الله تثقلنى ذنوبى وزلات تموج بها دروبى
وقلبى بالسقام أتاك يهفو فدثره بحبك ياحبيبى

******

هرعت لخالقى أخشى عذابه وأدعوه وأطمع فى الإجابه
بروضتك الشريفة ياحبيبى سلام الله كم تحلو الإنابه

في رحاب المولد النبوي الشريف

للشاعر: محمود حسن عوني

يارسول الله، ياخير البشر ... أنت من دنياى كنزى المدخر

ليتنى أحظى بقرب يرتجى ... - يوم حشر الناس - محمود الأثر

إذ أرى إشراق نور باهر ... حل نورا .. دونه نور القمر

ياحبيبا .. حبه فرض على ... مستهام .. فى البوادى والحضر

ليتنى قد كنت فى عصر به ... قمة الآلاء .. فى أزهى الصور

كنت أفديكم بروحى، جاهدا ... أن أرد الكيد إن عاد .. غدر

يارسولا - دون شك - دينه ... خير دين .. للبرايا .. قد ظهر

ياختام الرسل، يامن هم له ... خير أسلاف .. إلى أن حضر

كن شفيعا لى، فذنبى فادح ... يملأ العين بدمع كالمطر

ياشفيعا - يوم أخرانا - بدا ... ملء سمع الخلق طرا وللبشر

بلواء الحمد تغدو هانئا ... لنعيم .. ماعلى قلب .. خطر

يوم ميلادك نبراس لما ... ينبغى أن يذكر، أو تزجى العبر

يارفيع الجاه، فى يوم اللقا ... ليت شعرى .. هل سأحظى بالنظر؟

نور عينى واجتلائى .. إننى ... من تباريحى .. بوجد لا يذر

كل مافى الكون .. ظل زائل ... غير دين الله .. فهو المنتصر

** ** **

ربيع الوجود

محمد صلى الله عليه وسلم

شعر : أسامة كامل الخريبى

جاء الربيع وأنت زهرك ذابل ... وأتى الضياء وأنت نجمك آفل !
فإلام تكتم هزة الشعر التى ... غلبتك واستعصى عليك تحايل ؟
هلا نظمت من الزهور قصائدا ... تغرى بذكر جمالهن ضمائل
وعقدت من غرر الرحيق قلائدا ... أبدا تفوح وغيرهن ذوابل
وبعثت من حجب الظلام كواكبا ... تجرى بها فوق الضياء جداول
هذا الربيع أتى .. ربيع محمد ... وضياؤه المتجدد .. المتواصل
أوقد شموعك ، واحتفل بقدومه ... لا يشغلنك عن حبيبك شاغل
ذكرى حبيب الله .. ناصر دينه ... إن الحبيب هو النبى الكامل
يمضى الزمان فتزدهى بضيائه ... أمم تتيه على الورى وفصائل
ويمر عبر الدهر يحيى أنفسا ... لصق الضلال بطبعها والباطل
أرأيت كيف طوى المتاعب صابرا ... ومشى على جمر العناء يناضل
وتراه بين الناس يتلو آية ... فيصد عنه مكذب .. ومجادل
أرأيت كيف أضير بين بناته ... وهوت عليه جلامد (1) ومعاول
وتحمل الإيذاء من متكبر ... وبغى عليه قريبه المتحامل
وتآمروا يوما عليه فكلهم ... يبغى اقتناص حياته .. ويحاول
حتى أوى بين الجبال بربوة ... كتب الخلود لها .. وعز النازل
حوت الحبيب مع الصديق وأسدلت ... جفن العناية .. والحتوف نوازل

(١) الجلامد : الصخور

كانت هي الميلاد للنور الذي   سدت عليه عشائر وقبائل
قالوا : هنا في الغار كيف دخوله ؟   وكأنما غزلت عليه مغازل
وكأنما حطت عليه .. حمائم   وكأنما ماست عليه سنابل
الكبر منتفش الذرى   والحقد أعمى .. والرماح نواصل
والبغي نار .. والردى حمم   ستأكل من ترى وتنازل
كيف النجاة وقد تشابكت العرى   حتى كأن خيوطهن حبائل ؟
هذا رسول الله بين أكفهم   لكن رب الناس حد فاصل !
الله أكبر في الخفاء إذا سرت   ذعرت نفوس للعدا ومفاصل
الله أكبر قد أجاب محمدا   فانهار صرح قد بناه الباطل
عادوا بخزى الدهر يعلو خطوهم   عار الهزيمة والنكال الماحل
أرأيت كيف إذا السماء تدخلت   نبت السيوف وأخطأتك زلازل
وإذا السماء مع الضعاف تظاهرت   لم تغن عن سحق الطغاة جنادل(٢)
وهناك في قلب (المدينة) ألهبت   نحو المهاجر أنفس ومشاعل
وتلفتت بين التخوم ترومه   كالشمس من حجب الخفاء تزايل
حتى حوته بقلبها .. وضلوعها   سكن الجنان بها .. وَقر النازل
وتنافس الأنصار : من يظفر به ؟   حتى بدت فوق العيون دلائل
من يحو خير الخلق بين جداره   وير الملائك . والفيوض هواطل ؟
شرف (أبو أيوب) كان إمامه   أكرم به . وبمن حوته منازل
وأقام مسجده الفتى معلما   تهفو عليه ملائك وتخايل
بالحب رباهم وألف بينهم   حتى استقام بناؤه المتطاول
واختط جيشا للعقيدة مخلصا   هابت خطاه كتائب وجحافل
ورد الوقائع والرماح نواهل   وأتى المهالك والردى متشاغل
دك المعاقل والمواقع قائدا   يعنو لمقدمه الكمي الباسل
حتى أتم الدين وانقادت له   دول تبشر بالهدى وقبائل
وأتته من كل البقاع وفودها   ترخي لديه أعنة وتناول
من عرش كسرى أو هرقل له بها   مدن تكبر بالهدى وسواحل
الله أكبر بالعراق إذا سرت   هزت بمصر منازل ومحافل
(والدين يسر والخلافة بيعة)   والناس في نهج التقى تتفاضل
هذا النبي .. وذاك بعض جهاده   تثني عليه .. أواخر وأوائل

* * *

(٢) الجُنادل : الشديد العظيم وجمعها : جنادل .

شاعر الشعراء

زهير بن أبى سلمى

قال عنه أمير المؤمنين عمر بن الخطاب : شاعر الشعراء ، لأنه لا يعاظل فى الكلام ، ويتجنب وحشى الشعر ، ولا يمدح أحدا إلا بما فيه ، وقال عنه جرير : زهير أشعر أهل الجاهلية ، ذلك هو زهير بن أبى سلمى ، واسم أبى سلمى : ربيعة ، بن رياح بن قرة بنى الحارث بن مازن بن ثعلبة بن هرمة بن الأصم بن عفان بن عمرو به أد بن طابخة بن الياس بن مضر بن نزار .

اعتبره العرب أحد ثلاثة مقدمين على سائر الشعراء فى الجاهلية ، هم امرو القيس ، وزهير ، والنابغة الذبيانى . وسبب نظمه لمعلقته الشهيرة هو قصة الحرب التى دارت بين قبيلتى عبس وذبيان ، وسبب تلك الحرب ، أن ورد بن حابس العبسى قتل هرم بن ضمضم المرى ، فأقسم أخو هرم ، وهو حصين بن ضمضم ، (بينه وبين نفسه) ، ألا يغسل رأسه حتى يقتل قاتل أخيه ، أو رجلا من بنى عبس ، وحدث أن نزل رجل من بنى عبس على حصين ، وهو لا يعلم بقسمه ، فقال له حصين : من أنت أيها الرجل ؟ قال : عبسى ، فقتله حصين ، فلما بلغ ذلك الحارث بن عوف وهرم بن سنان اشتد عليهما وبلغ بنى عبس ، ركبوا يريدون الحارث بن عوف ، سيد العرب ، فبعث إليهم بمائة من الإبل ومعها ابنه ، وقال للرسول الذى أرسله إليهم : قل لهم : الإبل أحب إليكم أم أنفسكم ؟ فلما أبلغهم الرسول بذلك ، قال لهم الربيع بن زياد : ياقوم إن أخاكم قد أرسل إليكم : (الإبل أحب إليكم أم ابنى تقتلونه مكان قتيلكم) فقالوا نأخذ الإبل ونصالح قومنا . فما هى قصة الحارث بن عوف ؟

قال ذات مرة لصاحبه خارجة بن سنان : أترانى أخطب إلى أحد فيردنى ؟ فقال له صاحبه : نعم . قال ومن ذلك قال : أوس بن الحارثة بن لأم الطائر . فقال الحارث لغلامه : ارحل بنا ، ففعل ، فركبا حتى أتيا أوس بن حارثة فى بلاده

فوجداه فى منزله . فلما رأى الحارث بن عوف قال : مرحبا بك ياحار . قال : وبك . قال : ما جاء بك ياحار . قال : جئتك خاطبا . قال : لست هناك . فانصرف ولم يكلمه . ودخل أوس على امرأته مغضبا ، وكانت من عبس فقالت : من رجل وقف عليك ولم يطل وتكلمه ؟ قال : ذاك سيد العرب ، الحارث بن عوف بن حارثة المرى . قالت : فما بالك لم تستنزله ؟ قال : إنه استحمق . قالت : وكيف ؟ قال : جاءنى خاطبا . قالت : أفتريد أن تزوج بناتك ؟ قال : نعم . قالت : فإذا لم تزوج سيد العرب فمن ؟ قال قد كان ذلك . قالت : فتدارك ما كان منك . قال : بماذا ؟ قالت : تلحقه فترده . قال كيف وقد فرط منى ما فرط إليه ؟ قالت تقول له إنك لقيتنى مغضبا بأمر لم تقدم فيه قولا ، فلم يكن عندى من الجواب إلا ما سمعت ، فانصرف ولك عندى ما أحببت . فإنه سيفعل . فركب فى أثرهما .

قال خارجة بن سنان : فوالله إنى لأسير إذ حانت منى التفاتة فرأيته ، فأقبلت على الحارث وما يكلمنى غما ، فقلت له : هذا أوس بن الحارثة فى أثرنا . فقال وما نصنع به ! امض ! فلما رآنا لا نقف عليه صاح : ياحار اربع علىّ ساعة فوقفنا له فكلمه بذلك الكلام فرجع مسرورا .

لما رجع أوس إلى منزله ، قال لزوجه ادعى لى فلانه (أكبر بناته) فأتته ، فقال : يابنية ، هذا الحارث بن عوف سيد من سادات العرب ، قد جاءنى طالبا خاطبا ، وقد أردت أن أزوجك منه فما تقولين ؟ قالت : لا تفعل . قال : ولم ؟ قالت : لأنى امرأة فى وجهى ردة ، وفى خلقى بعض العهدة ، ولست بابنة عمه فيرعى رحمى ، وليس بجارك فى البلد فيستحى منك ، ولا آمن أن يرى منى ما يكره فيطلقنى فيكون علىّ فى ذلك ما فيه ، قال : قومى بارك الله عليك .

ادعى فلانة (لابنته الوسطى) ، فدعتها ، ثم قال لها مثل قوله لأختها ، فأجابته بمثل جوابها وقالت : إنى خرقاء وليست بيدى صناعة ، ولا آمن أن يرى منى ما يكره فيطلقنى ، فيكون علىّ ما تعلم ، وليس بابن عمى فيرعى حقى ، ولا جارك فى بلدك فيستحييك . قال : قومى بارك الله عليك . ادعى لى بهيسة (يعنى الصغرى) ، فأتى بها فقال لها : كما قال لهما . فقالت : أنت وذاك . فقال لها : إنى عرضت ذلك على أختيك فأبتاه . فقالت : لكنى والله الجميلة وجها ، الصناعة يدا ، الرفيعة خلقا ، الحسيبة أبا ، فإن طلقنى فلا أخلف الله عليه بخير . فقال : بارك الله عليك . ثم خرج إلينا فقال : قد زوجتك ياحارث بهيسة بنت أوس . قال : قد قبلت . فأمر أمها أن تهيئها وتصلح من شأنها ، ثم أمر ببيت فضرب له ، وأنزله إياه .

فلما هيئت بعث بها إليه ، فلما أدخلت إليه لبث هنيهة ثم خرج إلىّ فقلت : أفرغت من شأنك ؟ قال : لا والله . قلت : وكيف ذلك ؟ قال : لما مددت يدى إليها قالت : مه ! أعند أبى وإخوتى !! هذا والله لا يكون . قال : فأمر بالرحلة فارتحلنا ورحلنا بها معنا ، فسرنا ماشاء الله ، ثم قال لى : تقدم فتقدمت ، وعدل بها عن الطريق ، فما لبث أن لحق بى فقلت : أفرغت ؟ قال : لا والله . قلت : ولم ؟ قال : قالت لى : أكما يفعل بالأمة الجليبة أو السبية الأخيذة ! لا والله حتى تنحر الجزر وتذبح الغنم وتدعو العرب ، وتعمل ما يعمل لمثلى . قلت : والله إنى لأرى همة وعقلا ، وأرجو أن تكون المرأة منجبة إن شاء الله . فرحلنا حتى جئنا بلادنا ، فأحضر

الإبل والغنم ، ثم دخل عليها وخرج إلىّ فقلت : أفرغت ؟ قال : لا . قلت : ولم ؟ قال : دخلت عليها أريدها ، وقلت لها قد أحضرنا من المال ما قد ترين ، فقالت : أتفرغ لنكاح النساء ، والعرب تقتل بعضها بعضا ! (وذلك فى أيام حرب عبس وذبيان) ، قلت : فيكون ماذا ؟ قالت : اخرج إلى هؤلاء القوم فأصلح بينهم ، ثم ارجع إلى أهلك فلن يفوتك . فقلت : والله إنى لأرى همة وعقلا ، ولقد قلت قولا ! قال : فاخرج بنا . فخرجنا حتى أتينا القوم فمشينا فيما بينهم بالصلح ، فاصطلحوا على أن يحتسبوا القتلى ، فيؤخذ الفضل ممن هو عليه ، فحملنا عنهم الديات ، فكانت ثلاثة آلاف بعير فى ثلاث سنين ، فانصرفنا بأجمل الذكر . فقال فيه زهير ابن أبى سلمى قصيدته الشهيرة التى يقول فيها :

أمن أم أوفى(١) دمنة لم تكلم ... بحومانة الدراج ، فالمتثلم(٢)
ودار لها بالرقمتين كأنها ... مراجيع وشم فى نواشر معصم(٣)
بها العين والأرام يمشين خلفة ... وأطلاؤها ينهضن من كل مجثم(٤)
وقفت بها من بعد عشرين حجة ... فلأيا عرفت الدار بعد توهم

ثم يقول مادحا الحارث بن عوف وهرم بن سنان لتحملهما سويا ديات القتلى :

فأقسمت بالبيت الذى طاف حوله ... رجال بنوه من قريش وجرهم(٥)
يمينا لنعم السيدان وجدتما ... على كل حال من سحيل ومبرم
تداركتما عبسا وذبيان بعدما ... تفانوا ودقوا بينهم عطر منشم
وقد قلتما إن ندرك السلم واسعا ... بمال ومعروف من القول نسلم
فأصبحتما منها على خير موطن ... بعيدين فيها عن عقوق ومأثم
عظيمين فى عليا معد هديتما ... ومن يستبح كنزا من المجد يعظم(٦)
تعفى الكلوم بالمئين فأصبحت ... ينجمها من ليس فيها بمجرم(٧)
ينجمها قوم لقوم غرامة ... ولم يهريقوا بينهم ملء محجم(٨)

---

(١) أم أوفى : زوج الشاعر ، التى طلبت أن تطلق منه بسبب غيرتها لزواجه من أخرى ، لعدم إنجابها . فلما طلقها ، ندم ندما عظيما لفراقها .
(٢) حومانة الدراج والمتثلم : موضعان .
(٣) نواشر : عروق .
(٤) العين : بقر وحشى واسع العينين ـ الأرام : الظباء الأطلاء : جمع الطلا وهو ابن الظبى .
(٥) جرهم : قبيلة قديمة تزوج فيها إسماعيل عليه السلام ، فغلبوا على الكعبة والحرم بعد وفاته عليه السلام ، ثم استولى عليها بعد جرهم خزاعة ، ثم عادت إلى قريش .
(٦) العليا : تانيث الأعلى ، وجمعها العلى أو العليات ، مثل الكبرى والكبريات وقوله : هديتما ، دعاء لهما .
(٧) الكلوم والكِلام : جمع كَلْم ، وهو الجرح ـ التعفية : التمحية ، من قولهم عفا الشىء يعفو ، إذا انمحى ودرس .
(٨) ينجمها : اى يعطيها نجوما .

فأصبح يجرى فيهم من تلادكم مغانم شتى من إفال مزنم(٩)
ألا أبلغ الأحلاف عنى رسالة وذبيان هل أقسمتم كل مقسم
فلا تكتمن الله مافى نفوسكم ليخفى ومهما يكتم الله يعلم
يؤخر فيوضع فى كتاب فيدخر ليوم الحساب أو يعجل فينقم
وما الحرب إلا ما علمتم وذقتم وما هو عنها بالحديث المرجم(١٠)

ثم يظهر لنا الشاعر حكمته فى أمور الحياة ، بعد أن بلغ الثمانين فيقول :

سئمت تكاليف الحياة ومن يعش ثمانين حولا لا أبا لك يسأم
وأعلم ما فى اليوم والأمس قبله ولكننى عن علم ما فى غد عم
رأيت المنايا خبط عشواء من تصب تمته ومن تخطىء يعمر فيهرم(١١)
ومن لم يصانع فى أمور كثيرة يغرس بأنياب ويوطأ بمنسم(١٢)
ومن يجعل المعروف من دون عرضه يفره ومن لا يتق الشتم يشتم
ومن يك ذا فضل فيبخل بفضله على قومه يستغن عنه ويذمم
ومن يوف لا يذمم ومن يهد قلبه إلى مطمئن البر لا يتجمجم(١٣)
ومن هاب أسباب المنايا ينلنه وإن يرق أسباب السماء بسلم
ومن يجعل المعروف فى غير أهله يكن حمده ذما عليه ويندم
ومن يعص أطراف الزجاج فإنه يطيع العوالى ركبت كل لهذم(١٤)
ومن لم يذد عن حوضه بسلاحه يهدم ومن لا يظلم الناس يظلم
ومن يغترب يحسب عدوا صديقه ومن لا يكرم نفسه لا يكرم
ومهما تكن عند امرىء من خليقة وإن خالها تخفى على الناس تعلم
وكائن ترى من صامت لك معجب زيادته أو نقصه فى التكلم
لسان الفتى نصف ونصف فؤاده فلم يبق إلا صورة اللحم والدم
وإن سفاه الشيخ لا حلم بعده وإن الفتى بعد السفاهة يحلم
سألنا فأعطيتم وعدنا فعدتم ومن أكثر التسآل يوما سيحرم

** **

(٩) التلاد والتليد : المال القديم الموروث ـ الإفال : جمع أفيل وهو الصغير السن من الإبل ـ المزنم : المعلم بزنمة .
(١٠) المرجم : الذى يرجم فيه بالظنون .
(١١) العشواء : تانيث الاعشى ، خبط عشواء : أى ركب راسه فى الضلالة ، كالناقة التى لا تبصر ليلا فتخبط بيديها على عمى ، فربما تردت فى مهواة .
(١٢) الضرس : العض على الشىء بالضرس ، والتضريس مبالغة والمنسم للبعير بمنزلة السنبك للخيل . والجمع مناسم .
(١٣) يقول : من اوفى بعهده لم يلحقه ذم .
(١٤) الزجاج : جمع زج وهو الحديد المركب فى أسفل الرمح ، وإذا قيل زج الرمح ، عنى به ذلك الحديد والسنان . واللهزم : السنان الطويل .

نعى الأمة الإسلامية والعربية لفضيلة الإمام الراحل

رياسة الجمهورية :

نعى الرئيس حسنى مبارك إلى العالم العربى والإسلامى الداعية الإسلامى الكبير والعالم الجليل فضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى فى بيان أصدرته رئاسة الجمهورية قال :

إن الفقيد ـ رحمه الله ـ قدم للإسلام والمسلمين عطاء زاخراً من علمه النافع طوال حياته التى وهبها لإعلاء كلمة الله وشرح مفاهيم الإسلام الصحيحة بأسلوبه المتفرد اجتذب به قلوب مئات الملايين بشتى بقاع الأرض . .

وأضاف البيان أن العالم الجليل الشيخ الشعراوى قد أثرى المكتبة الإسلامية بالعديد من المؤلفات التى كانت وستظل إضافة عظيمة لكل ما يتصل بديننا الحنيف . . كما كانت له مواقفه الوطنية الشجاعة فى إعلاء كلمة الحق والارتقاء بالفكر الإنسانى المستنير . . واختتمت رئاسة الجمهورية بيانها بالابتهال إلى العلى القدير أن يتغمد الفقيد بواسع رحمته وأن يسكنه فسيح جناته وأن يعوض أمتنا فيه خيراً .

مجلس الشعب :

ونعى الدكتور أحمد فتحى سرور رئيس مجلس الشعب فضيلة الإمام والداعية الإسلامى الكبير الشيخ محمد متولى الشعراوى الذى وافته المنية أمس . وأكد الدكتور سرور أن رحيل الشيخ الشعراوى يعد خسارة كبيرة للأمتين العربية والإسلامية كواحد من كبار الدعاة الذين أثروا الحياة الإسلامية بالعديد من المؤلفات ، وساهم بدور فعال فى نشر تعاليم الدين الإسلامى السمحة فى ربوع العالم كله وتصدى بالحكمة والموعظة الحسنة لمحاولات تشويه صورة الإسلام .

مجلس الوزراء :

وقد صدر عن مجلس الوزراء البيان التالى :

« ينعى مجلس الوزراء المصرى إلى الأمة العربية والإسلامية إمام الدعاة ، أكد فيه أن فضيلته قد أدى رسالته على مدى ما يزيد على نصف قرن فى مجال الدعوة الإسلامية ، وقدم إسهاماً جليلاً فى تفسير القرآن الكريم ، كما نعى الدكتور محمود حمدى زقزوق وزير الأوقاف وجميع قيادات الدعوة الإمام الفقيد ، ووصف بيان الوزارة الشيخ الشعراوى بأنه الداعية المجدد والمجاهد الفذ الذى أخلص لله فى علمه وعمله ، وقال السيد/ صفوت الشريف وزير الإعلام فى نعيه للفقيد الراحل أن فضيلته قد قدم للأمة خير ما يفيدها فى دينها ودنياها وأثرى رسالة الإعلام المصرى .

ونعى الأستاذ مكرم محمد أحمد نقيب الصحفيين وأعضاء مجلس النقابة العالم الجليل ، كما نعى الاتحاد العام لنقابات عمال مصر رحيل الشيخ الشعراوى .

عزاء مشيخة الأزهر :

وقد أصدر الأزهر الشريف بياناً إلى الأمة نعى فيه العالم الكبير الإمام الداعية فضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى . . جاء فيه :

ينعى الأزهر الشريف ـ شيخه وعلماءه وطلابه ـ إلى الأمة الإسلامية وإلى الإنسانية عامة علماً من أعلام الإسلام الأفذاذ ، وعالماً من علماء الأزهر الشريف ، قلما يجود الزمان بمثله ، ملأ علمه مشارق الأرض ومغاربها ، ألا وهو العالم الجليل ، والإمام الداعية فضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى ، الذى قضى حياته مجاهداً فى سبيل إعلاء كلمة الله . وشارحاً الإسلام بمفاهيمه الصحيحة ، وتفسير القرآن الكريم بأسلوب فريد جذب قلوب الخاصة والعامة ، بما أنعم الله عليه من نور البصيرة والحكمة . . والأزهر الشريف إذ يحتسب عند الله ابناً من أعز أبنائه ، وعلماً من أجل علمائه يدعو الله تعالى . . أن يسكنه فسيح جناته مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ، وحسن أولئك رفيقاً ، وأن يلهم إخوانه وأبناءه ومريديه وأحبابه الصبر والسلوان . . وستقيم مشيخة الأزهر الشريف سرادق العزاء بميدان الأزهر الشريف .

﴿ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴾ (البقرة : ١٥٦)

د . محمد سيد طنطاوى
شيخ الأزهر

بيان وزارة الأوقاف :

كما أصدرت وزارة الأوقاف بيانا إلى الأمة الإسلامية نعت فيه فقيد الإسلام العالم الكبير فضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى . . جاء فيه :

« بقلوب خاشعة لله ، راضية بقضائه :

نحتسب عند الله عالمنا الأكبر ، وشيخنا الجليل ، وداعية الأمة المجدد رجل الخير والعطاء والبر والإحسان . فضيلة الشيخ الإمام / محمد متولى الشعراوى .

ذلكم المجاهد الفذ الذى أخلص لله فى علمه وعمله فكان مثالاً للمؤمن الحق الذى لا يخشى فى الله لومة لائم ، والذى يتحرى الصدق والموضوعية فيما يعرضه من قضايا الدين والدنيا مستلهماً فى هذا حبه لله وانتماءه لوطنه وأمته العربية والإسلامية .

وإذا كانت الأمة قد خسرت بفقده علماً من أعلام الحق فى كل موقع فإن عزاءها فيه ، ما خلفه من علم نافع وعمل صالح سيظل نبراساً تهتدى به الأجيال فى أمتنا والعالم أجمع .

وإذ ينعى وزير الأوقاف وجميع القيادات والدعاة والعاملين بالوزارة - إمام الدعاة إلى الله فضيلة الشيخ الإمام/ محمد متولى الشعراوى - إلى أنفسهم وإلى الأمة الإسلامية والعالم كله . فإنما يضرعون إلى الله أن يتقبل إمامنا الجليل بواسع رحمته وأن يجعله فى معية النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً .

﴿ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾ (البقرة : ١٥٦)

جامعة الأزهر :

كما صدر البيان التالى عن جامعة الأزهر ينعى الإمام العارف بالله - تعالى - فضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى .. جاء فيه :

د . أحمد عمر هاشم رئيس جامعة الأزهر وأعضاء هيئة التدريس بالجامعة يحتسبون عند الله الشيخ متولى الشعراوى ، تحتسب جامعة الأزهر الشريف عند الله - تعالى - علماً من أكبر الأعلام ، وإماماً من أئمة الإسلام أغنى الفكر الإسلامى بأحاديثه وتفسيره للقرآن الكريم ، ونافح عن الدعوة وجلا حقائق الإسلام واستخرج كنوزه واستطاع بقلبه الموصول بالحق أن يلمس بحديثه شغاف القلوب بأسرها ، وأن يعبر الأجواء والمحيطات فتفاعلت معه الأحاسيس الصادقة والعواطف المؤمنة الجياشة ، كان قدوة للدعاة ، وإماماً للهداة وخلف من ورائه تراثاً من التفسير والبيان والمعرفة واستجابت له القلوب فى مشارق الأرض ومغاربها .. إنه العالم الولى والإمام العارف بالله تعالى صاحب الفضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى .

وأن جامعة الأزهر أساتذة وطلاباً وعاملين لتضرع إلى الله - عز وجل - أن يتقبل فى أكرم جوار أعز أبنائها وأعظم من خرجته بقدر ما اعتز بالإسلام كواحد من أعظم دعاته حيا الله الإسلام الذى أنجبه والأزهر الذى تخرج فيه وأنزله منازل الصديقين والشهداء والعالمين وحسن أولئك رفيقاً وسلام عليه فى الخالدين ..

﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ ۝ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ ﴾ (القمر : ٥٤ - ٥٥) .

بيان دار الإفتاء المصرية :

وفى عزاء دار الإفتاء المصرية قال فضيلة الدكتور نصر فريد واصل مفتى الجمهورية :

تنعى دار الإفتاء المصرية ، فقيد الأمة العربية والإسلامية ، الداعية الإسلامى - شيخ الإسلام فضيلة الإمام محمد متولى الشعراوى إلى العالم الإسلامى ، وتحتسبه عند الله - تعالى - جزاء ما قدم للإسلام والمسلمين من خير وعطاء ، ومدد علمى ، وزاد لكل طالب علم وفقه ، لا ينقطع أبدا ، لاستمرار تبليغ دعوة رسول الله محمد - صلى الله عليه وسلم - ورسالة الإسلام إلى العالم رسالة الخير والأمن والسلام لكل إنسان مع اختلاف الأجناس والعقائد والألوان .

رحم الله الفقيد ، وأسكنه فسيح جناته مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ، وحسن أولئك رفيقا وألهمنا وآله وذويه ومحبيه الصبر والسلوان على فراقه .

وآخر دعوانا لإمامنا العظيم قول مولاه وحبيبه رب العالمين :

﴿ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفۡسُ ٱلۡمُطۡمَئِنَّةُ ٢٧ ٱرۡجِعِيٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةٗ مَّرۡضِيَّةٗ ٢٨ فَٱدۡخُلِي فِي عِبَٰدِي ٢٩ وَٱدۡخُلِي جَنَّتِي ٣٠ ﴾

« صدق الله العظيم » . . (الفجر : ٢٧ - ٣٠)

مجمع البحوث الإسلامية :

وقد نعى مجمع البحوث الإسلامية العالم الجليل الإمام الداعية فضيلة الشيخ/ محمد متولى الشعراوى . . فى بيان أصدرته أمانة المجمع . . هذا نصه :

الأزهر الشريف . . الأمانة العامة لمجمع البحوث الإسلامية وإداراته تنعى إلى العالم الإسلامى علماً من أعلام المسلمين فضيلة الإمام الداعية الشيخ/ محمد متولى الشعراوى . . الذى أنار الحياة الإسلامية بعلمه وفكره المستنير وخلف تراثاً كبيراً من المعارف فقهاً وتفسيراً يروى ظمأ العلماء والمفكرين ويجيب على كل ما يحتاجه المسلم ، والأمانة العامة وهى راضية بقضاء الله وقدره تتقدم لفضيلة الشيخ/ سامى الشعراوى . . الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية ولأسرته وذويه بالعزاء القلبى ونسأل الله تعالى أن يعوضهم والأمة الإسلامية خيراً ويتغمد عالمنا بالرحمة .

وزارة الداخلية :

كما نعت وزارة الداخلية العالم الجليل فضيلة الإمام الداعية الشيخ محمد متولى الشعراوى بمايلى :

حبيب العادلى . . وزير الداخلية . . ومساعدو الوزير وسائر أعضاء هيئة الشرطة ينعون بمزيد من الحزن وبالغ الأسى الداعية الإسلامى الكبير المرحوم فضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى . . الذى انتقلت روحه الطاهرة إلى بارئها بعد حياة حافلة بعطاء غير محدود ، أثرى فيها وجدان ويقين الأمة الإسلامية على مدى سنوات طويلة وقدم الكثير والكثير من جهده وعلمه الغزير حتى لبى نداء ربه الكريم ، تغمد الله الفقيد العزيز بواسع رحمته وأسكنه فسيح جناته مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا .

نقابة عمال مصر :

ونعت نقابة عمال مصر الإمام الراحل الذى حمل لواء الدعوة فى بيانها الذى جاء فيه :

تنعى الحركة النقابية العمالية المصرية إلى الأمة العربية والإسلامية الداعية الإسلامى الكبير فضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى الذى حمل لواء الدعوة إلى الهدى والحق بكل إخلاص وأمانة ، وعمل فضيلته على أن يقدم الصورة الحقيقية لجوهر الإسلام ورسالته السامية ومبادئه وقيمه النبيلة التى يحض عليها الدين الإسلامى الحنيف .

فقد عمل فضيلة الإمام الراحل بدأب وإخلاص على نشر الدعوة الإسلامية الصحيحة ، وتبيان وجهها الحقيقى بما تنطوى عليه من سماحة وحب وإخاء ، وبما تتركه فى نفوس المؤمنين من تساميات فى الخلق وارتقاء فى السلوك والسعى المستديم لفعل الخير والبعد عن الشر ، وقال السيد راشد رئيس اتحاد العمال : إن جماهير عمال مصر إذ يشعرون مع الأمة العربية والإسلامية

بفداحة المصاب .. فإنهم يذكرون للعالم الجليل الراحل جهوده المستنيرة فى إبراز نظرة الإسلام الحقيقية التى تقدس قيمة العمل وتصون كرامة الإنسان .

وزارة الإعــلام :

وفى كلمة وزارة الإعلام نعى السيد/ صفوت الشريف وزير الإعلام فضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى .. قائلاً :

سوف يظل الإعلام المصرى يذكر أنه العالم الكبير والداعية الجليل الذى أثرى رسالة الإعلام المصرى فقدم للشعب والأمة الإسلامية خير ما يفيد الناس فى دنياهم ودينهم متحاملاً على نفسه ليكمل رسالته بتفسير القرآن الكريم ، ويذكر الناس بأمور الدين الحنيف ويفتح أمامهم طريق الهداية من خلال دعوة مستنيرة ورؤية إيمانية .

رحم الله الفقيد وأسكنه فسيح جناته .

نقابة الصحفيين :

وقد أصدرت نقابة الصحفيين بياناً نعت فيه إلى الأمة الإمام الجليل جاء فيه :

ينعى الأستاذ مكرم محمد أحمد نقيب الصحفيين وأعضاء مجلس النقابة إلى الشعب المصرى والأمة الإسلامية عالماً جليلاً وإماماً ورعا كرس حياته لخدمة الدعوة الإسلامية وأصول الدين الحنيف .. فضيلة الشيخ/ محمد متولى الشعراوى .. تغمده الله بواسع رحمته إلى جوار الصديقين والشهداء والأبرار وألهم آله ومحبيه وتلامذته الصبر الجميل ، وليكن عزاؤنا فيه جميعاً الانتفاع بما أشاعه من نور العلم وجلائل الأعمال .

نادى القضاة :

كما نعى نادى القضاة برئاسة المستشار مقبل شاكر وجميع الهيئات القضائية الشيخ الجليل/ محمد متولى الشعراوى لما قدمه للأمة الإسلامية من خدمة الدعوة الإسلامية وعطائه الذى استمر حتى آخر أنفاسه .. تغمده الله بواسع رحمته وأنزله منازل الصديقين والشهداء .

برقيات العــزاء :

عقب وفاة الإمام توافدت برقيات العزاء من مختلف الأقطار الإسلامية والعربية وكان فى مقدمتها برقيات من خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز والأمير عبدالله بن عبدالعزيز ولى العهد ورئيس الحرس الوطنى النائب الأول لرئيس مجلس الوزراء والأمير سلطان بن عبدالعزيز وزير الدفاع والطيران والنائب الثانى لرئيس الوزراء يعبرون فيها عن بالغ الأسى لوفاة الإمام الشعراوى .

كما بعث الشيخ جابر الأحمد الصباح أمير دولة الكويت برقية عزاء ومواساة إلى فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر ، وأرسل برقية مماثلة إلى أسرة الفقيد الشعراوى .

وأعرب الدكتور عبدالله العبيد الأمين العام لرابطة العالم الإسلامى عن أسى الشعوب الإسلامية وحزنها لوفاة العالم الكبير .

إلى غير ذلك من العديد من البرقيات الواردة من الأشخاص والهيئات ولم تتسع لها مساحة النشر .

حول الذكرى العطرة - بقية

كان يناقش أصحابه ويشاورهم ، ويبرم الأمور بعد اقتناعهم ، ليعلم كل مقاتل أنه يقاتل عن اقتناع ، ويدافع عن إيمان ، كما كان يقوم بشئون التعبئة ، وتدبير موارد الجيش وتموينه ، وبث الروح المعنوية فى صفوف جنده ، واختيار الأوقات المناسبة ، والمواقع الملائمة ، كما كان يعلم المقاتلين آداب الحرب ، وأنها قتال المقاتلين ، دون المدنيين ، ودون إسراف أو تمثيل ، فلا يقتل شيخ ، ولا طفل ، ولا امرأة ، ولا عابد فى صومعة ، ولا تقطع شجرة إلا لمصلحة .. وآداب الانتصار ، فكان يطلب إليهم ألا ينتهكوا الأعراض ، ولا ينتهبوا الأموال ، ولا يستبيحوا حرمات المعابد والمقدسات ..

إن نبينا - ﷺ - لم يترك ناحية من نواحى الإصلاح إلا أوضحها فى صورة توقظ الضمير ، وتنير البصيرة الإنسانية ، وتحفز إلى صالح الأعمال ، وتبعث فى النفوس اليقين والأمل ، وتنشر فى المجتمع عوامل المحبة والإخاء ، وإننا لا نكاد نتجه إلى هدف من أهداف الخير إلا وجدنا الرسول الكريم - ﷺ - قد أمرنا فيه بالتوجيه الحكيم ، والإرشاد القويم ، كل ذلك فى أسلوب عملى واقعى ، ينفذ إلى القلوب ، فيشيع الرضا والاطمئنان ، ويكفل للناس حياة راضية آمنة ..

فجدير بنا معشر المسلمين أن نتخذ من سيرته الحكيمة المثل العليا ، والطرق المثلى ، والمناهج الواضحة . حرى بنا أن نترسم خطاه ، ونتأسى به ، ونسير على هديه فى سلمه وحربه ، ونتأدب بآدابه ، فنفوز باتباعه ، ونفلح بفلاحه :

﴿ رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٣﴾ ﴾

(آل عمران : ٥٣)

الإيمان وسيلة السعادة - بقية

الظلم والعدوان بالقوة والسلطان ، قال تعالى :

﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٩﴾ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾

(الحجرات - ٩ - ١٠)

إلى غير ذلك من المزايا الكثيرة التى احتواها الإسلام ، وكل مزية منها عنصر من عناصر السعادة الحقيقية ، مما جعل هذا الدين أحكم مرشد ، وأهدى قائد إلى المدنية المؤسسة على المعارف الصحيحة والأخلاق الفاضلة .

وهذه المزايا الجليلة قد سعد بها المسلمون الأولون ، ورفعتهم إلى قمة الحضارة السامية ، وأنزلتهم معاقل المنعة ، وأحلتهم محل الكرامة ، وأجلستهم على كرسى السعادة ، فسادوا العالم ورفعوا لواء العرفان ، ونشروا نور القرآن فى كل مكان .

والله ولى التوفيق

فقه المصطلحات العلمية

للأستاذ الدكتور
أحمد فؤاد باشا

إن قضية « المصطلحات » بصورة عامة كثيراً ما تثير بعض الإشكاليات التى يطول النقاش والجدل حولها ، بالرغم من شيوع مقولة : « لا مشاحة فى المصطلح » ، أى : لا مجادلة فيما تعارف العلماء عليه لغة وشرعاً وعُرفاً واصطلاحاً ، بوضع اللفظ إزاء المعنى .

ويزيد هذه القضية تعقيداً أصحاب النزعة اللفظية الذين يميلون نحو الصيغ والألفاظ ، دون عناية بالحقيقة والموضوع ، فيسرفون فى تغليب اللفظ على حساب المعنى ، ويصبون اهتمامهم على الاستدلالات اللفظية ، ويوجد فى مقابل هؤلاء من يحملون الألفاظ أكثر من معانيها ، فيسرفون - من ناحية أخرى - فى تشويه الحقيقة ، بعيداً عن لُب الموضوع .

ولا شك أن كلا الاتجاهين يؤثر تأثيراً سلبياً على لغة الحوار وآلياته ، خاصة إذا ماانصرف الذهن إلى المصطلحات حسب دلالاتها فى الثقافة الغربية فقط ، أو اقتصر التفكير على معنى بعينه دون اعتبار باقى المعانى .

ويكفى دليلاً على بعض أوجه اللبس والغموض التى تسببها هذه القضية أن نشير إلى عدد من التساؤلات التى يثيرها فى الذهن استخدام ألفاظ ومصطلحات مثل : « الفقه » و« العلم » و« الحضارة » و« المادة » و« الذرة » وغيرها فى جانب كبير من الأدبيات الحديثة التى تعالج موضوعات الفكر الإسلامى بصورة خاصة .

الفقه لغة واصطلاحا :

إذا بدأنا بالحديث عن كلمة « فقه » نجدها تُطلق فى الأغلب ليراد بها علم الدين ، وهو أشرف العلوم وأفضلها ، ويُقصد بالفقه بمعناه الاصطلاحى الذى حدده الفقهاء : العلم بالأحكام الشرعية الفرعية من أدلتها التفصيلية

والاستدلال عليها بها ، كمعرفة وجوب الطهارة للصلاة ، وحرمة صيام الحائض والنفساء ، وأدلة ذلك من الكتاب والسنة . وقد جاء فى الحديث الشريف : « من يرد الله به خيراً يفقهه فى الدين »[1] .

لكن المعنى اللغوى لكلمة « فقه » ، أعم فى الدلالة من كلمات « علم » و« معرفة » و« فهم » ، لأن الفقه يتناول المعلومات من الذوات والصفات والمعانى على ما هى عليه فى الواقع ، فيدل عليها ويقف على أسرارها ويكشف عن أعماقها وأغراضها البعيدة ، ويدرك ما تهدف إليه ، قال تعالى عن المشركين بعد هزيمتهم فى غزوة بدر :

﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ﴾ (الحشر - ١٣)

وعيب على المنافقين عدم إدراكهم للغرض من الكلام ، حيث قال تعالى فيهم :

﴿ فَمَالِ هَٰؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴾
(النساء - ٧٨)

فهم عرب يفهمون قطعاً مدلول الألفاظ وما تحمله من المعانى ، لكنهم لمرض نفوسهم ، وفساد قلوبهم ، لا يفهمون غرض المخاطب ، وهو الله - سبحانه وتعالى - أو رسوله - صلى الله عليه وسلم - من خطابه الذى يدعوهم فيه إلى ما يسعدهم فى دنياهم وآخرتهم[2] .

المهم أن كلمة « فقه » من الناحية اللغوية لها أبعاد غير ما استقر فى الأذهان محصوراً فى الحكم التشريعى ، فنجد أن هناك فقهاً للفلك ، وفقهاً للنفس ، وفقهاً للأخلاق ، وفقهاً للحضارة ، وهذا ما نلمحه من قوله تعالى :

﴿ فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿٩٦﴾ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٩٧﴾ وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ﴿٩٨﴾ ﴾ (الأنعام - ٩٦ : ٩٨)

ما الفقه هنا إلا معرفة مستقر النفس الإنسانية قبل أن توجد وهى فى الرحم ، لأن القرآن الكريم يقرر :

﴿ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ ﴾

(الحج - ٥)

ومعرفة المستودع ، الذى هو القبر ، وما يصل إليه البدن .. ثم معرفة ما بين المستقر والمستودع من حياة ، إنه فقه واسع المرادات ، وسع القرآن الكريم دائرته لمعنى أوسع بكثير من المعنى الاصطلاحى الفقهى .. إنه فقه العلم والحضارة الذى نستوحيه من تدبر آيات القرآن ، والإفادة من معطيات العلوم والتقنيات وآليات فهمها ، للقيام بمسئوليات الخلافة ، واستئناف مسيرة التقدم التى توقفت من عهد بعيد[3] .

---

(١) رواه البخارى فى صحيحه ، كما رواه مسلم وابو داود والترمذى وابن ماجه .
(٢) الشيخ ابو بكر الجزائرى ، العلم والعلماء ، دار الكتب السلفية ، د . ت .
(٣) محمد الغزالى ، كيف نتعامل مع القرآن ، سلسلة قضايا الفكر الإسلامى ، المعهد العالمى للفكر الإسلامى ، دار الوفاء ، مصر ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م .

هذا هو معنى « الفقه » لغة ، وهو عام فى فهم كل غرض وحكمة من كلام العقلاء والعلماء ، و« الفقيه » من الصفات المشبهة التى تدل على اسم الفاعل وزيادة ، ولا تكون على وزنه ، إذ لا يقال « فاقه » كعالم ، ولكن يقال « فقيه » كسعيد وكريم ، والصفة المشبهة أدل على الفعل من اسم الفاعل ، وأقوى فى الدلالة عليه .

العلم لغة واصطلاحا :

عندما تذكر كلمة « العلم » ينصرف الذهن أول ما ينصرف إلى دلالتها وإيحائها المعروفين فى الثقافة الغربية ، حيث إنها ترجمة غير دقيقة للفظ الأجنبى Science وتعنى تلك المباحث المعرفية التى تعتمد على الملاحظة والتجربة والاستقراء ، وصولاً إلى نظريات وقوانين عامة تفسر الظواهر التى يدرسها الباحثون فيما يسمى بالعلم الطبيعى Natural Science ، وتشمل علوم الفيزياء والكيمياء والفلك والأحياء وغيرها ، ومن ثم فإن الاقتصار على هذا المعنى لكلمة « علم » فى ثقافتنا العربية الإسلامية يؤدى إلى كثير من اللبس والغموض ، وينبغى الوقوف على « فقه » هذا المصطلح فى إطار البيئة التى نشأ فيها ، والثقافة التى رعته واحتضنته .(٤)

فالأصل فى معنى « العلم » عند العرب هو الإدراك الصحيح لحقائق الأشياء ، وهو معنى مطلق يفيد الشمول والتعميم ، ولا يفيد بتخصيص معين ، ويقصد منه فى مفهومه العام أنه لفظ كلى يطلق على كل نشاط إنسانى : عقلى أو عملى ، حين يستخدم بشكل منظم (منهجى) إلى محاولة تفسير وفهم موضوع ما ، فيقال : « علم التفسير» أو « علم اللغة » أو « علم الفلك » ، أو غير ذلك من مباحث علمية ، أما تصنيف المباحث المعرفية إلى نقلية وعقلية ، أو إنسانية وطبيعية ، أو نظرية وعملية ، أو غير ذلك ، فهو تصنيف يعتمد على موضوعات العلم ، أو مصادره ، أو الطرائق (المناهج) المتبعة فى تحصيله بحسب تناسبها وقرب بعضها من بعض .

و« العلم » فى لغة العرب نقيض « الجهل » ، فإذا كان العلم غير مطابق للمعلوم فى الواقع فهو الجهل ، وإذا كان العلم غير جازم المطابقة ، فإنه إما أن يستوى طرفاه : وهو الشك ، وإما أن يرجح أحدهما على الآخر ، فالراجح هو الظن ، والمرجوح هو الوهم ، وعليه ، فالمصطلحات فى هذا الشأن خمسة : أقواها العلم ، فالظن ، فالشك ، فالوهم ، فالجهل (٥) .

و« العلم » الذى نقيضه « الجهل » غير « المعرفة » التى نقيضها « النكرة » فمن الناحية اللغوية يتعدى العلم إلى مفعولين ، بينما تتعدى « المعرفة » إلى مفعول واحد ، ولا يقال : هل عرفت كذا إلا إذا كان يجهله من قبل ، بخلاف العلم ، فليس شرطاً أن يسبقه جهل ، ولذا يوصف الله ـ تعالى ـ بالعلم ، ولم يوصف جل جلاله بالمعرفة لسبقها بالجهل ، ويقال : علم الله ، والله عالم وعليم ، ولا يقال عرف الله ، أو

---

(٤) د . احمد فؤاد باشا ، فى فقه العلم والحضارة ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، ١٩٩٧ م .

(٥) الشيخ ابو بكر الجزائرى ، مرجع سابق .

الله عارف ، لأن الله ـ سبحانه وتعالى ـ علم الأشياء قبل تكوينها ، إذ علمه سابق لكل معلوم ، والدليل على ذلك أن الأفعال المحكمة قد صحت منه ابتداءً ، والأفعال المحكمة لا تصح إلا من عالم ، والدليل على أن الأفعال المحكمة قد صحت منه ابتداءً أنه أوجد هذا العالم الذى نعيش فيه على أعلى درجة من الترتيب والنظام والكمال والجمال ، مما يترتب عليه بالضرورة العقلية والمنطقية جعل وحدانية خالق الكون يقيناً إيمانياً خالصاً ، وقد أخبر الحق جل وعلا عن بالغ حكمته وعظيم قدرته وواسع علمه ، بقوله :

﴿ إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَسِعَ كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ﴿٩٨﴾ ﴾

(طه ـ ٩٨)

والعلم فى الإسلام يتناول كل موجود ، وكل ما يوجد فمن الواجب أن يُعلم ، وخير عبادة لله ـ سبحانه وتعالى ـ أن يهتدى الإنسان إلى سر الله فى خلقه ، وأن يعرف حقائق الوجود فى نفسه ، وفيمن حوله ، فالقرآن الكريم يبين لنا أن الكون كله كتاب للعلم بالله ، ويوضح لنا أن التفكر فى الظواهر الكونية ، والتعرف على نواميسها الإلهية ، يؤدى إلى تعميق الإيمان بالله وزيادة الخشية منه ، قال تعالى :

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَا ۚ وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴿٢٧﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَ ۗ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾ ﴾ (فاطر ـ ٢٧ ـ ٢٨)

على أن « العلم » الذى يحث الإسلام على تحصيله لابد أن يكون علماً نافعاً لا يخلو من فائدة ، فقد ورد تحديد العلم الشامل النافع فى دعائه ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « اللهم إنى أعوذ بك من أربع : من علم لا ينفع وقلب لا يخشع ونفس لا تشبع ودعاء لا يسمع »(٦) .

ومقياس النفع هنا ليس هو ذلك المعيار الفردى « الذرائعى » الذى تقول به الفلسفة « البراجماتية » السائدة لدى الغرب ، وإنما هو صالح مجموع الأمة وإقامة أمر الدين .

كذلك يقتضى فقه العلم فى الإسلام أن نقف على حقيقة ما هو فرض عين وما هو فرض كفاية ، فإذا كان علماء الدين يصنفون العلوم الكونية : النظرية والتجريبية ، ضمن الفروض الكفائية ، فليست الكفاية أن يوجد فقط من يعرف هذه العلوم ، بل فى وجود العدد الكافى لتلبية الاحتياجات اللازمة للأمة ، وتعطيل أداء هذه الفريضة على الوجه الأكمل يؤدى إلى الإخلال بالواجب الأعظم ، وهو عبادة الله حق عبادته وإعلاء كلمته فى الأرض .

سبحانك ربنا . . لا علم لنا إلا ما علمتنا . . بعد أن منحتنا القدرة على معرفة حقائق الأشياء ، ووعدت بالكشف عن آياتك ليعرفها العالمون :

﴿ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ فَتَعْرِفُونَهَا ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾ ﴾

(النمل ـ ٩٣)

« صدق الله العظيم » .

---

(٦) رواه مسلم وابو داود والترمذى والنسائى .

الصحة الإنجابية

بعض مشاكل المراهقة عند الفتيات

للدكتور : أحمد رجائى عبد الحميد

تأخر البلوغ :

إن معظم الفتيات فى مصر يبلغن مابين سن ١٢ و١٤ فى المتوسط ، وحين تتأخر سن البلوغ عن ١٥ ، فإن الوالدات ينتابهن قلق ، والبنت نفسها تجد أن معظم زميلاتها قد حدثت لهن تغييرات لم تحدث لها ، وفى هذه الحالة فإنه لابد لهن من العرض على أخصائى للتعرف على سبب تأخر سن البلوغ والذى قد يكون طبيعيا فى حالات كثيرة .

أسباب تأخر البلوغ :

- عوامل وراثية .
- الضغط العام والأنيميا .
- الأمراض المزمنة مثل أمراض القلب والسكر
- اضطرابات الغدد الصماء .

وعلامات اضطرابات الغدد الصماء قد تكون السبب الرئيسى فى حالة ما إذا كانت الفتاة قصيرة القامة قصرا ملحوظا أو مفرطة الطول أو ذات سمنة واضحة أو سمينة بشكل واضح .

انسداد غشاء البكارة :

وهى حالة خلقية وفيها يكون غشاء البكارة سميكا بدون فتحات . (سوف نقوم بتفصيل أنواع وعيوب غشاء البكارة فى المقال القادم إن شاء الله - تعالى -) وفى هذه الحالة تمر الفتاة بدور البلوغ مرورا طبيعيا وتحيض ، ولكن هذا الحيض ينحبس وراء غشاء البكارة الذى يكون مسدودا .

وتعانى الفتاة من أعراض ومتاعب الدورة كل شهر ، وتزيد من احتباس الحيض خلف الغشاء ، ولذلك فإنها تعانى من آلام أسفل البطن ، وتعانى كذلك من احتباس البول وثقل عند التبرز ، وتتورم بطن الفتاة ويكبر هذا الورم شهرا بعد شهر .

وإذا استمرت الحالة مدة بدون تشخيص ، فإنه يحدث ضمور فى بطانة الرحم مما يؤثر على إمكانية حدوث الحمل فيها بعد .

ويلزم فى هذه الحالة عمل فتحة فى غشاء البكارة لتصريف دم الحيض ويتم إعطاء الفتاة

شهادة معتمدة من المستشفى بذلك ، وتتسبب هذه الحالة فى آلام نفسية وآثار اجتماعية للفتاة وأسرتها .

الإفرازات المهبلية :

نظرا لزيادة الهرمونات الأنثوية للفتاة فى مرحلة البلوغ فإنه تحدث لديها إفرازات مهبلية ، وهذه حالة طبيعية ، ولكنه غريب بالنسبة للفتاة ، وكثيرا ما تجد الفتاة ملابسها الداخلية ملوثة ببقع هذه الإفرازات ، ويجب على الأم توعية الفتاة بهذه التغيرات وعن كيفية النظافة الشخصية .

حب (بثور) الشباب :

توجد فى الجلد قنوات توصيل إفرازات الغدد الدهنية إلى الجلد لترطيبه وزيادة تهويته ، ولكن فى مرحلة المراهقة والبلوغ فإن هذه القنوات قد لا تكون كافية لنقل الإفرازات الدهنية لسطح الجلد أو قد تنسد لسبب أو لآخر ، ويترتب على ذلك تراكم الإفرازات الدهنية مما يؤدى إلى تكوين بثور على سطح الجلد ، وعادة ما توجد هذه البثور على الوجه والصدر والظهر ، وتكثر فى فترات تكون فيها الفتاة عصبية مثل فترة الامتحانات أو وقت الحيض ، وتكثر كذلك عند تناول الأغذية التى تحتوى على كم كبير من المواد الدهنية ، وفى حالة عدم النظافة المستمرة ، وهذه البثور لا تترك أثرا إلا حين محاولة تفريغها باليد فتترك آثارا قد تشوه الوجه .

ومن العوامل التى تقلل من هذه المشكلة :

الغذاء الصحى والتعرض لأشعة الشمس فى أوقات الصباح الباكر ، وممارسة الرياضة والاستحمام بالماء الساخن والصابون ، والبعد عن المأكولات التى تحتوى على كم كبير من الدهون ، وعدم المبالغة فى استخدام مستحضرات التجميل ، وقد تحتاج بعض الحالات إلى علاج طبى مثل أخذ مستحضرات « التتراسكين » لمدة ستة أشهر بجرعات صغيرة نسبيا .

الشعر الزائد بالجسم :

عند وبعد البلوغ يبدأ الشعر الذى يعتمد نموه على الهرمونات فى الظهور ، وهذا الشعر يظهر تحت الإبطين والعانة . وفى بعض الأحيان يظهر الشعر كثيفا فى بعض المناطق الأخرى مثل الفخذين أو الظهر أو الكتف .

عوامل ظهور الشعر الزائد :

ـ عوامل وراثية : وهذا يظهر فى بعض مناطق العالم دون أخرى مثل حوض البحر الأبيض المتوسط حيث تزيد نسبة الشعر فى هذه الأجناس .

ـ خلل هرمونى : وفى هذه الحالات فإن تأثير الهرمونات ومدى استجابة الشعر لها يختل ، وفى أغلب الحالات فإن السبب يكون فى زيادة نسبة هرمون الذكورة فى الدم ، وينتج هرمون الذكورة فى الأنثى عادة بنسبة قليلة من المبيض والغدة الجاركلوية (الغدة الكظرية) .

وحين يحدث خلل فى المبيض (مثل تكيس المبايض) أو حدوث تضخم أو ورم فى الغدة الكظرية .

أسباب أخرى :

مثل تعاطى بعض الأدوية التى تحتوى على هرمونات ذكرية ـ أو بعض العقاقير مثل الكورتيزون .

وتعالج هذه الحالات حسب السبب ، ويتراوح العلاج من مجرد إزالة الشعر بالطرق اليدوية أو الكيماوية إلى صنفرة الوجه . أو ببعض الأدوية المتخصصة مثل عقار (الدانازول أو أسيتات السيبروتيرون) أو بالجراحة فى حالات وجود أورام بالمبيض أو الغدة الجاركلوية .

الأرق وطرق علاجه

بين عبث الماديين وهدى الإسلام

بقلم الأستاذ
مجدى عبد الحميد بشير

يسعى الإسلام سعيا حثيثا لبث روح السكينة والطمأنينة بين الناس ، وأكسيره الساحر فى ذلك ذكر الله ـ تعالى ـ على كل حال قال سبحانه :

﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾ (١)

وهو بذلك يقف وجها لوجه أمام عدو فاتك ، طالما سلب الكثيرين الراحة ، وأقض مضاجع المستكبرين على مدى الأيام . فـ (نابليون بونابرت) لم يستطع التخلص منه ، و (وينستون تشرشل) قاسى منه الأمرين . وأما (ديكنز) و (كافكا) الروائيان الشهيران فطالما أجبرا على تغيير كثير من عاداتهما لينالا شيئا منه ، ولكن هيهات . وقد لا يصدق البعض أن أحد رؤساء الوزارة فى انجلترا اضطر إلى التنحى عن هذا المنصب الكبير لأنه لم ينل قدرا كافيا منه ، مما اختل معه أداؤه الوظيفى ، وحتى (توماس أديسون) المخترع المعروف لم يستطع ذلك الشىء إلا لماما . ترى عم يبحث هؤلاء المشاهير وملايين البشر . إنهم هائمون على وجوههم تلمساً ؟ لأمر صعب إن لم يكن مستحيلا . إنه ببساطة السلوك الطبيعى الذى يتمتع به أصحاب الضمائر والتقى ، وإن كان قليلا ، إن الخلود إلى النوم ليلا ، والراحة . والحرمان من هذه النعمة يوقع الإنسان فريسة للأرق ، وهو نوع من الألم ، قديم قدم التاريخ غير مفهوم الأسباب حتى فى أيامنا هذه وبعد عقود من البحث الدءوب والعنت والمشقة فى طبيعة هذا المرض .

تعريف الأرق :

ويعرف معظم الباحثين الأرق : بأنه عدم القدرة على النوم ليلا ، مما يكون ذا تأثير ضار ينتج عنه قصور فى أداء الوظائف التى لا تؤدى إلا

(١) الرعد : ٢٨

نهارا ، وبمعنى أدق فإن العامل المؤثر هنا ليس المدة التى تقضيها فى الفراش طالت أو قصرت ، ومن ثم يمكن تصنيفك بعد حسابها بأنك من الذين يعانون الأرق ، فهذا لا أهمية له ، فقد وصف الله عباده المخلصين بقوله :

﴿ كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ۝ وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ (١)

ومع هذا فقد كانوا رهبانا بالليل وفرسانا بالنهار . ولكن المهم هو الكيفية ، والكفاءة ، ومدى اليقظة التى تؤدى بها عملك نهارا ، فبعض الناس لديهم من المثابرة ، وحسن الأداء مع أن ساعات نومهم لا تتجاوز ثلاث أو أربع ساعات كل ليلة ، ولربما اشتكى أحدهم حاجة ماسة إلى النوم ، ولا يعدو الأمر أن يكون متأثرا بما اعتدنا ترديده جميعا منذ الصغر من أنه لابد لنا من ساعات نوم لا تقل عن ثمان،وهذه قاعدة لا تنطبق على كل الناس ، فى كل الأحوال ، فالمخترع أديسون والذى نادرا ما كان يحصل على قسط وافر من النوم كل ليلة ، كان ذا أداء ممتاز ، يتخلله إغفاءات قليلة ، خصوصا بعد قيامه بحل بعض المعضلات . لكن الحق أحق أن يتبع ، فكلنا لا يستطيع أن يكون مثل (إديسون) كما أن الأرق المزمن يمكن أن يكون مدمرا ، ولذا يعى الشخص المصاب به تماما السبب الذى يجعل الحرمان من النوم آكد وسائل التعذيب أثرا ، كما يفسر لماذا كانت حبوب النوم بعد (الإسبرين) أكثر العقاقير شيوعا فى الاستعمال فى بلاد كالولايات المتحدة ، والتى يقدر ما يبتلعه سكانها كل ليلة بنحو (ثلاثين مليون شريط) مما كان له أثر عكسى إذ أصبحت هذه الحبوب أحد الأسباب الرئيسية للأرق إضافة إلى مجموعة من العادات السيئة ، من أخطرها تعاطى المخدرات ، والمسكرات .

وسائل العلاج :

ومن المريح أن نعلم أن أحدث الوسائل العلمية لجلب النوم والتخلص من الأرق لا تختلف كثيرا عما تمت تجربته منها ، وثبتت فاعليته . فتوصيات خبراء النوم المحدثين ، والخاصة بتحسين الظروف الصحية لدى التهيؤ للنوم ، فيها بعض المغزى ؛ نظرا لما أدخل عليها من العبث .

خرافة عد الخراف :

خذ مثلا هذا التقليد القديم الذى يعتمد فيه الأرق فى جلب النوم على أسلوب أسموه طريقة عد الخراف ، أو تخيل الغربان تطير فى الهواء وقد تحلق بعضها حول بعض لترى كيف يلعب العبثيون الماديون برؤوس الناس . وحجتهم فى ذلك أن العلم الحديث أثبت أن المخ البشرى ينقسم إلى نصفى كرة ، تختلف وظيفة كل منهما عن الآخر . فالجانب الأيمن من المخ يتعلق أساساً بالصور المرئية ، بينما وظيفة الجانب الأيسر الكلام والعد والإحصاء ، وهذه حقيقة علمية لا غبار عليها ، فمن المسلم به أن العد والتخيل يجعلان جانبى المخ فى عمل مستمر ، ويوفران له موئلا يلجأ إليه ؛ هربا من الهموم والقلق ، والمنغصات الأخرى ، مما يسمح للنوم بالتسلل إلى أجفاننا ، وعقلنا الباطن ، ولكن كل هذا لا يتحقق عن طريق العبث والتخيلات الواهية ، التى امتلأت بها عيادات النوم الحديثة ، إذ من أساليبهم المشابهة لأسلوب (عد الخراف) هذا الحث على

(١) الذاريات : ١٧ ، ١٨

تصور كتابة الأرقام من واحد إلى مائة على سبورة . وخروجا من هذا الهراء الذى لا طائل من ورائه ، نُورد بعض العلاجات النبوية ، والتى هدفها راحة الضمير والعقل معا ، ومن ثم النوم فى هدوء ، والاستعداد ليوم جديد مبارك .

فعن أبى عمارة البراء بن عازب ـ رضى الله عنهما ـ قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « يافلان[1] إذا أويت إلى فراشك فقل : اللهم أسلمت نفسى إليك ووجهت وجهى إليك ، وفوضت أمرى إليك ، وألجأت ظهرى إليك ؛ رغبة ورهبة إليك ، لا ملجأ ، ولا منجى منك ، إلا إليك ، آمنت بكتابك ، الذى أنزلت ، وبنبيك الذى أرسلت ، فإنك إن مت من ليلتك مت على الفطرة ، وإن أصبحت أصبت خيرا » متفق عليه .

وفى رواية فى الصحيحين عن البراء قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « إذا أتيت مضجعك فتوضأ وضوءك للصلاة ثم اضطجع على شقك الأيمن ، وقل : وذكر نحوه ، ثم قال : « واجعلهن آخر ما تقول » والحديث يبين لنا أن أهم وأصح شروط التهيؤ للنوم الهادىء الطهر المعنوى والحسى ، والالتجاء بالكلية إلى خالق القوى والقُدر ، والتسليم له فى كل ما دقّ وجل .
وإذا كان لابد من عد شىء حتى نجلب به النوم فلا ينبغى أن يكون إحصاء لأوهام ، أو تكريسا لترهات ، بل لا بأس من ربطه بعمل صالح يعود على فاعله بالنفع فى الدنيا والآخرة . فالنوم كاليقظة ـ تماما بتمام ـ كلها سلوكيات نبتغى بها الأجر من الله ـ عز وجل ـ وها هى بعض الأذكار المرتبطة بالعد والتى يمكن ممارستها ليلا أو نهارا ، فعن أبى أيوب الأنصارى ـ رضى الله عنه ـ قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « من قال : لا إله إلا الله وحده لاشريك له ، له الملك ، وله الحمد ، وهو على كل شىء قدير ، عشر مرات ، كان كمن أعتق أربعة أنفس ، من ولد إسماعيل » . متفق عليه . وعن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « من قال سبحان الله وبحمده مائة مرة ، حُطت عنه خطاياه ، وإن كانت مثل زبد البحر » متفق عليه . وعن جويرية بنت الحارث ـ رضى الله عنها ـ قالت : قال لى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ لقد قلت بعدك أربع كلمات لو وُزنت بما قلت منذ اليوم لوزنتهن : سبحان الله وبحمده ، عدد خلقه ، ورضا نفسه ، وزنة عرشه ومداد كلماته » أخرجه مسلم . وعن أبى سعيد الخدرى ـ رضى الله عنه ـ قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ « الباقيات الصالحات : لا إله إلا الله ، وسبحان الله ، والله أكبر ، والحمد لله ، ولا حول ولا قوة إلا بالله » أخرجه النسائى ، وصححه ابن حبان ، والحاكم . وعن سمرة بن جندب ـ رضى الله عنه ـ قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : أحب الكلام إلى الله أربع لا يضرك بأيهن بدأت : سبحان الله والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر» أخرجه مسلم .

ووصاياه ـ صلى الله عليه وسلم ـ بكثرة الصلاة عليه معروفة ، ومنها ما أخرجه مسلم من حديث عبد الله بن عمرو ـ رضى الله عنه ـ قال : « قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ من صلى علىَّ صلاة صلى الله عليه بها عشرا » ووصيته لابنته فاطمة الزهراء ـ رضى الله عنها ـ حين مجلت يداها من كثرة جر الرحا ، وتعبث من كثرة حمل قربة الماء ، فطلبت خادما ، فأوصاها بأن تسبح الله ثلاثا وثلاثين ، وتحمده ثلاثا وثلاثين ، وتكبره

ثلاثا وثلاثين ، قبل أن تنام ، وتختم المائة بتوحيد الله ، وأنه خير لها من خادم ، هذه الوصية متواترة ، كما أنه من نافلة القول ذكرنا وصيته - صلى الله عليه وسلم - لفقراء المهاجرين : بالتسبيح والتحميد والتهليل والتكبير دبر كل صلاة . وارتباط هذا الذكر بالعدد ثلاثا وثلاثين ، أمر جوهرى ، حيث أثبت العلم أن عدد فقرات العمود الفقرى بظهر الإنسان تبلغ ثلاثا وثلاثين وكأن الداعى لهذا الذكر يقول : يارب إنك عماد ظهرى . وكل هذه أذكار وأدعية ربطت العدَّ ، والإحصاء بعمل مجد ، وثمرة نافعة فى الدارين ، وهو وحى ربانى ، وإلهام إلهى يضرب العبث المادى فى مقتل ، ويرتفع بالإنسان حتى وهو يعمل عملا لا يقدره الناس حق قدره ، ويحلق به فى سموات من النور السنى المضىء . وأما أن يُترك الإنسان يعد ما شاء ؛ إهدارا للعمر ، وتضييعا للوقت ، فهذا وربك السفه المنبوذ .

المقاصد المتعاندة :

ومعناها أن يقصد الإنسان شيئا ويفعل شيئا غيره ، بهدف استجلاب النوم فإن أولئك الذين يعانون قلة النوم ، كما يقترح أنصار هذا العلاج عليهم البقاء يقظين فى أثناء الليل ، دون استعمال عقاقير أو كفايين ، فقد ثبت فى التجارب المعملية حيث طلب من الأرقين أن يظلوا منتبهين مدة نصف ساعة ثبت أن غالبيتهم نام على الفور .

وعلى العكس من ذلك ، حين استدعى هؤلاء بالهاتف فى نهاية المدة المذكورة وأخبروا أنه بإمكانهم الذهاب للنوم الآن استيقظ الكثيرون منهم ولم يكن من السهل عليهم العودة للنوم مرة ثانية ، هذا وقد استطاع (ريتشارد بوت زن) أحد علماء النفس تطوير علاج أسماه التحكم فى النوم عن طريق الحافز ، وهو يعالج أولئك الذين ارتبط لديهم الأرق بكونهم موجودين فى الفراش ، والعلاج يطلب منهم ترك الفراش طالما لم يداعب النوم أجفانهم ، وهو ما يعنى الامتناع عن فعل أى شىء حين وجود أحدهم فى الفراش ، فلا يُشاهد تلفازا ولا يقرأ كتابا ، ولا يقوم بأى عمل لا يتعلق بالنوم ، واستثنى من ذلك طبعا بعض الأعمال المعروفة فإن استعصى النوم على الإنسان مدة عشر دقائق بعد دخوله فى الفراش فعليه النهوض من فراشه والذهاب إلى حجرة أخرى ، حتى يحس الرغبة فى النوم ، كما أن عليه تكرار ذلك إلى أن ينام ثم عليه بطريقة أو بأخرى الاستيقاظ فى الموعد الذى كان سيستيقظ فيه فى اليوم التالى لو نام مبكرا مع تحاشى إغفاءة الظهيرة ، ولا عبرة بالآثار الجانبية من سهاد وتعب واختلال أداء وظيفى . والإسلام يرى فى كل ذلك تضليلا ، وطمسا للحقائق ، وعقابا للنفس على أمور خارجة عن إرادتها ، فلماذا تكون المقاصد متعاندة ؟ وقد علمنا السلف أنهم كانوا يتعلمون النية للعمل كما نتعلم نحن العمل ، كما يوضع الإسلام أن فى أداء الصلوات المفروضة مع شىء من التهجد ليلا ، وأخذ قسط من الراحة أو القيلولة فى كل ذلك ، علاجا يتواءم مع فطرة الإنسان الذى جُبل على إشباع كل ملكاته ، فهو ليس حيوانا يأكل ويشرب ، ويعمل دون كلل ، ولا هو بالملاك الذى لا يفتر عن العبادة طرفة عين ، وإنما الإنسان مزيج من الجسم والروح ، والعقل والمواهب ، والملكات والمهارات ، وكل ما تعمر به الحياة ، وتذخر ، ودليلنا على عبث الفكر المادى إن صح وصفه بالفكر أن نتائج تجربة ترك الفراش عدة مرات كانت نتائج مروعة مزعجة ، فقد كان

المريض يترك الفراش أكثر من عشر مرات كل ليلة ، وبعد بضعة أسابيع ، أخذ الميل إلى ترك الفراش يضمحل ، كما زعم أنه بعد ستة أسابيع خلد للراحة والنوم من حرم هاتان النعمتان سنين عديدة .

حكاية الميلاتونين :

وهناك علاج آخر اكتسب شهرة وانتشارا وهو تناول كوب من الحليب الدافىء قبل النوم مباشرة فقد اكتشفت العلماء مؤخراً أن باللبن مادة تسمى الـ (تربتوفان) ترتبط كيماويا بمادة فى المخ تسمى (ميلاتونين) واتضح أن هذه المادة تزداد فى أمخاخ الحيوانات المستغرقة فى سبات عميق ، وبعد حقن أمخاخ الحيوانات اليقظة بهذه المادة ، راحت هى الأخرى فى سبات عميق ، بيد أن البعض يختلف مع هذا الرأى قائلاً إن كوبا واحدا من اللبن لا يعطى الكمية الكافية من المادة المذكورة ؛ ويضيف المتشككون أنه لابد من عب ستة أكواب على الأقل للحصول على الجرعة الكافية ، الأمر الذى قد يُحدث أثراً عكسيا يجعل صاحبه يستيقظ بعد الوقت المحدد بعدة ساعات لسبب غير واضح ، وفى اتباع هذا الأسلوب المادى فى معالجة الأمور من الخلل ما لا يخفى ، فكلنا نعلم أن المعدة بيت الداء ، وأن الحمية رأس الدواء ، فهل يعالج العرض بأعراض أشد فتكا وأكثر تهلكة ؟

العلاج بالأعشاب :

وإذا كان استخدام الأعشاب كمشروبات لجلب النوم ، وأهمها نبات البابونج وهو نبات ذو زهر أصفر قيل : إنه وغيره من الأعشاب يأتى بالنوم ويمنع الكوابيس فهل من العقل أو العلم فى شىء تصديق أو حتى قبول فكرة ربط الجذور الجافة لنبات يسمى (فاوونيا) حول العنق لطرد الكابوس الجثّام الذى يسمونه شيطان الأحلام ؟! إنها طبعا لا تخرج عن كونها خزعبلة بلهاء من خزعبلات أحد علماء الأعشاب الإنجليز فى القرن السابع عشر ، ففى أيام الظلام تلك أمسكت بتلابيب العقول أوهام مؤداها أن سبب الكوابيس هو الجن أو العفاريت أو الغول أو ما شابه ، زعموا أنها مخلوقات شريرة كانت تجثم على صدر النائم مهددة إياه بالموت خنقا ، والأدهى من ذلك والأنكى أنهم كانوا يوصون النائم بشم جواربه بعد خلعها ، وقبل دخوله فى الفراش ، ولعمرى إن الإنسان ليفضل الموت خنقا على فعل هذه العادة الذميمة أين هذه التخاريف من حث الإسلام على النظافة ، وتوجيهه للمسلم أن يكون حسن المظهر طيب الرائحة ، ذكى العرف كالشامة بين الناس ؟ اقتداء برسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ الذى يصفه خادمه أنس فيقول : « ما مسست ديباجا ولا حريرا ألين من كف رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ولا شممت رائحة أطيب من رائحته عليه الصلاة والسلام » كيف لا والمسلمون فى الجنة رشحهم الطيب ، وعرقهم المسك ونباتهم (الألوة) عود المسك .

علاقة النوم بالطعام :

وطالما ارتبط الأكل قبل النوم بالأحلام السيئة والنوم المضطرب فإن أولئك الذين يتناولون العشاء فى وقت متأخر ، أو يفرطون فى الطعام قبل النوم تأتيهم الأحلام المزعجة والكوابيس ، وربما ماتوا . ولئن كان فى هذا الكلام بعض الحق ، فإن هذه أيضاً فكرة عبثية ، فالأجل قدره الله ، وما علينا إلا تحاشى ما يؤذينا ، أما أن نؤمن بأن أكلة ما قد تودى بالأجل فهذا لعب بالعقول ، وعلى أية

حال ، فإن الباحثين المحدثين أجمعوا على تفضيل تناول وجبة خفيفة قبل النوم على النوم جوعا ، فالجوع بئس الضجيع ، وقد ثبت أن فئران المعامل التى حرمت الطعام قل نومها كما أن النظام الغذائى الصارم للإنسان يتماشى جنبا إلى جنب مع قلة النوم . وإنك لتسمع من أعاجيبهم فى استجلاب النوم والتغلب على الأرق زعمهم أن أكل البصل المطهى يساعد على النوم ، فأين هذا من الدعوة إلى استعمال السواك ، وأنه مطهرة للفم ، مرضاة للرب ؟ بل أين ذلك السفه من قوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « من أكل ثوما أو بصلا فليعتزلنا أو فليعتزل مسجدنا » كما تدعو الكثير من الآراء إلى اجتناب الكفايين ، وهو أحد المنبهات الموجودة فى البن والشاى والشيكولاتة والمشروبات المثلجة وكثير من مزيلات الألم الشائعة . وقد أثبتت الدراسات أن تناول حبوب مسكنات الألم لها تأثير مزعج على أولئك الذين زعموا القدرة على عدم التأثر بها .

وما قيل عن الكفايين يُقال عن النيكوتين ، فينبغى البعد من كل هذه المضار ، فالله ـ تعالى ـ يقـــول :

﴿ وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ ﴾ (١)

والرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول : « لاضرر ولا ضرار » .

أفرى الفرى :

ثم نأتى إلى أفرى الفرى وأعظم الكذب ، وأم الخبائث ، ألا وهو شرب الخمـر وتعاطى المسكرات ، لندحض ونبطل زعم من زعم أنه يشرب لينسى أو ينام ، وشرب الخمر حرام قل أو كثر ، وأضراره لا تحصى ، فهو يلغى هامش الأحلام من نوم الإنسان ، فإن امتنع الإنسان عن الشرب عادت الأحلام كوابيس مروعة .

النوم ودرجة الحرارة :

وأما القول بازدياد الكوابيس كلما ازدادت درجة برودة حجرة النوم ، فيحتاج إلى دليل ، كما أن الحجرة شديدة الحرارة قد تكون الأخطر ، فالقطة بإمكانها النوم فى غرفة حرارتها (٧٢° فهرنهيت) بينما يدور الإنسان حول نفسه من التعب ولا ينام نوما منعشا إن بلغت الدرجة (٧٥° فهرنهيت) .

الضجيج والضوضاء :

ولقد كرس العلماء الكثير من الدراسات لمعرفة آثار الضوضاء والصخب على إزعاج النائم ، ووجد بشكل عام أن المرأة والطاعنين فى السن سريعو اليقظة . ورغم اختلاف التأثير من شخص لآخر إلا أنه من الشيق معرفة أن أثر الضجيج فى إيقاظ النائم يقل إذا كونت هذه الأمور جزءا لا يتجزأ من أحلام الإنسان . ومن رحمة البارى ـ عز وجل ـ أن الأم التى لا يوقظها قصف الرعود ولا عصف البروق يمكن أن تستيقظ ملهوفة وجعة على صوت طفلها الرضيع ، وقد شرع فى الصراخ حتى ولو كان بكاؤه خافتا ، فسبحان الذى خلق فسوى ، وقدر فهدى . والختام معتقد ربما كان له أصل فى الشرع وهو أن النوم يأتى سريعا إن اتجهت الرأس ناحية الشمال لتتوافق مع المجال المغناطيسى ، وكذلك اعتقاد اتجاه الرأس شرقا

(١) البقرة : ١٩٥

لتساير دوران الأرض ، وقد سبق أن بينا أن النائم ينبغى عليه التوجه جهة القبلة ، لكن العلم لم يثبت جدوى موقع الجسد أو انحناءات العمود الفقرى أو حتى الفراش ، وأن لأى من هذه الأشياء مغزى فى كمية أو نوعية النوم .

وبعد :

فهذه طرفة لا ندرى كيف استساغ العلماء أهميتها فى استجلاب النوم فقد حكوا : أن الكاتب الفرنسى (الكسندر ديماس) مؤلف الروايات المعروف أوصاه طبيبه الخاص بتناول تفاحة تحت قوس النصر بباريس كل صباح عند الساعة السابعة ، تماما ، ومادروا أن مشاكل (ديماس) الحقيقية مع الأرق هى من وخز الضمير أو قل من عقاب الله الذى يمهل ولا يهمل ، فقد كان لهذا الفاجر خمسمائة طفل غير شرعى ، فما أحلم الله عن بنى البشر .

وكذلك ينبغى عدم الإفراط فى التمرينات الرياضية البدنية إذ ليس لها تأثير يُذكر فى جلب النوم .

وتعليقا على قلة النوم قالت (فلورنس نايتنجيل) أم التمريض البريطانى : أن الأرق ناشىء عن الإثارة ، والفرح الشديد ، ولذلك ينبغى تجنب كل أنواع الإثارة العاطفية منها والوجدانية والذهنية والعقلية قبل النوم .

وإذا كانت القراءة مفضلة قبل النوم فلا ينبغى أن تقرأ ما يزيد النبض ويُكثر ضخ الدم ودر (الادرنالين) فلا تراجع - مثلا - حسابات ضرائب الدخل المستحقة عليك ، ولا تكثر التفكير فى المشاكل ، والهموم ، فإن أحسست السأم أو الملل أو الإحباط ، فادع ربك قائلاً : « اللهم رب الشياطين وما أضلت ، والأراضين وما أقلت ، والسموات وما أظلت ، كن لى جارا من شر خلقك » أما أن تنهمك فى أعمال لا تنتهى ، فهذا وربك هو البلاء العظيم ، ولن تستطيع الإفلات من أحلام مزعجة ، إن قلوت دينك وطريقك إلى الحياة السعيدة والنوم العميق المريح طريق واحد ، لا ثانى له ، ألا وهو تقوى الله ، وراحة الضمير ، ويقظته ، والتسليم له ، فى كل أمورك ، فقد قال الشاعر :

دع المقادير تجرى فى أعنتها
ولا تبيتن إلا خالى البال
ما بين طرفة عين وانتباهتها
يبدل الله من حال إلى حال

وفى شعر يُنسب إلى السيدة نفيسة - رضى الله عنها - :

سهرت أعين ونامت عيون
فى أمور تكون أو لا تكون
فانفض الهم ما استطعت عن النفس
فحملانك الهموم جنون
إن ربا كفاك ما كان بالأمس
سيكفيك فى غد ما يكون

دوحة الكتب

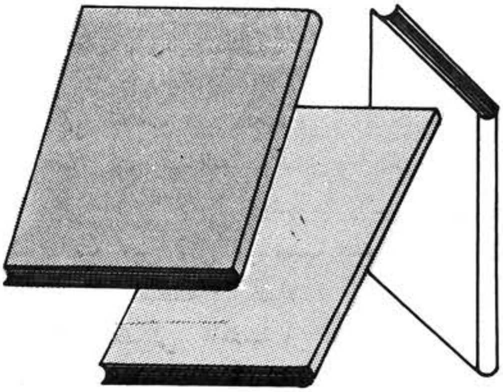

إعداد: محمود الفشنى

على الرغم من ثورة المعلومات وانتشار أجهزة استقبال البث الفضائى والتطور المتلاحق فى الشبكات العلمية وعلوم الكمبيوتر يظل الكتاب رافداً من أهم روافد الإشعاع الثقافى ، ولذا نقدم ـ دون نقد أو تعليق فى نبذة مختصرة ـ تعريفاً بأحدث ما فى المكتبات من كتب إسلامية وثقافية وعلمية .

المحرر

مشتبهات القرآن

حققه وقدم له وعلق عليه دكتور / محمد محمد داود

سيظل القرآن الكريم شعاعا يستنير به جموع المسلمين ، فى شتى بقاع المعمورة ، حتى أن العلماء أصبح همهم الشاغل ، البحث ، والتنقيب ، والتحقيق فى معانى الألفاظ الفريدة ، والمتشابه اللفظى للقرآن الكريم .

والكتاب الذى بين أيدينا يمثل بداية مبكرة لنشأة التأليف فى المتشابه اللفظى ، فى القرن الثانى الهجرى .

ويتميز هذا الكتاب عن غيره من الكتب المناظرة له فى نفس الموضوع ، ببساطة الأسلوب ، وسهولة البحث فيه ، حيث إنه مقسم إلى أبواب ، وكل باب له موضوع محدد ، وهو يجمع متشابه القرآن من الألفاظ .

عزيزى القارىء : كما عرضنا فى عدد سابق من أعداد المجلة الكثير، والكثير من المتشابه فى القرآن الكريم .

إلا أن هذا الكتاب يحمل بين طياته أبواباً

متعددة ، منها : التعريف بالمؤلف ، وحياته العلمية ، وتلاميذه ومؤلفاته ، ثم التعريف بالمخطوطات ، ومنهج التأليف ومنهج التحقيق .

ومؤلف الكتاب هو : الكسائى ، واسمه على ابن حمزة بن عبد الله الأسدى ، الكوفى . والكسائى أصح الأقوال وأشهرها والسبب فى تسميتها أنه حين سئل عن سبب هذه التسمية فقال : لأنى أحرمت فى كساء .

وحياة الكسائى العلمية ، كانت بدايتها بالكوفة ، حيث حفظ القرآن الكريم مشافهة بالتلقى عن قراء الكوفة فى عصره ، وأشهرهم حمزة بن حبيب الزيات ، وشيوخه الذين أخذ عنهم هم ، جعفر الصادق ، والأعمش ، وزائدة ، وسليمان بن أرقم . أما عن تلاميذه فهم : الليث ، والدورى ، أحمد بن حسن ، وإسحاق البغوى وعلى بن حازم . أما مؤلفاته : فهى الآثار فى القراءات ، والعدد ، واختلافهم فيه ، والحروف ، والقراءات ، والمصادر والكثير من المؤلفات التى تجاوزت ستة عشر مؤلفا .

انتقل المحقق دكتور محمد داود إلى مشتبهات القرآن ، حيث قال : إنه يوجد ثلاث مخطوطات لهذا الكتاب ، الأولى : فى باريس بعنوان المشتبه فى القرآن . والثانية : فى الكتب خانة العمومية باستانبول ، بعنوان (مشتبهات القرآن) أما الثالثة ففى مكتبة قولة بدار الكتب المصرية بعنوان « ما تشابه من ألفاظ القرآن . وهذه النسخة كتبت بخط عربى جيد ، تسهل قراءته ، وعدد لوحاته تسع وعشرون لوحة ، وتشتمل اللوحة الواحدة على صفحتين ، كل صفحة ثلاثة عشر سطراً .

أما عن عنوان الكتاب ، ومنهج التأليف فقد أشار المحقق بأن نسخ المخطوط كلها اتفقت على المتشابه ، وإن ورد ذلك بألفاظ مختلفة .

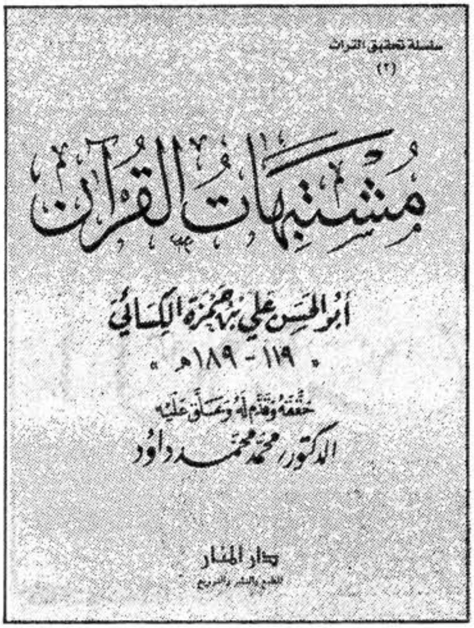

أما منهج التأليف فيذكر المحقق أن المؤلف بدأ كتابه بمقدمة . أشار فيها إلى الدوافع ، التى حملته على التأليف وهى المعونة على حفظ القرآن الكريم وتثبيته .

ثم بدأ المؤلف فى ذكر أبواب الكتاب ، فيذكر عنوان الباب ثم يتناول مواضع المتشابه فى القرآن بترتيب السور فى المصحف ، ولم يخرج المصنف عن هذا الترتيب إلا قليلا .

أما منهج التحقيق فبدأ بتقديم الكتاب ، وضبط النص وتحريره ، الإشارة إلى ما سقط سهواً عن المؤلف من مواضع المتشابهات ، التنبيه على ما وضع فى غير بابه ، توضيح بعض المصطلحات ، تحديد بداية صفحات المخطوط ، التعليق على الإشارات التى تبدو غامضة ، وضع أرقام الآيات التى وردت بجانبها ، وضع أسماء السور ، تصويب الآيات ، عمل فهرس بموضوعات الكتاب ثم أشار إلى بعض النماذج من المخطوطة .

أيضا تعرض المحقق إلى المتشابه فى سور البقرة ، والنساء ، وآل عمران ، والأنعام ، ويونس ، وهود ، ويوسف ، وكثير من سور القرآن الكريم ، وهو المتشابه فى حرف واحد . ثم باب مافى القرآن من ثلاثة أحرف ، وأربعة أحرف وخمسة أحرف ، ثم ستة أحرف ، وسبعة أحرف ، حتى وصل بنا المحقق إلى باب : ما فى القرآن الكريم من عشرين حرفا .

الأول فى سورة البقرة ، والثانى فى آل عمران ، وآخر فى هود ، وآخر فى سورة الحجر ، وخمسة أحرف فى النحل ، وفى سورة العنكبوت ، وهى آية ﴿ إن فى ذلك لآية ﴾ ، ويعد الكتاب موسوعة فى موضوعة ، وعرضه المحقق بأسلوب جذاب مما يسر على القارىء سرعة الفهم . وهو دراسة فريدة لطلاب علوم القرآن ، والمهتمين بعلومه ، ولعامة المسلمين لفهم أمور دينهم ومعانى ألفاظ القرآن الكريم .

حضارة الإسلام

تاليف / جوستاف فون جرونيباوم
ترجمة / عبد العزيز جاويد

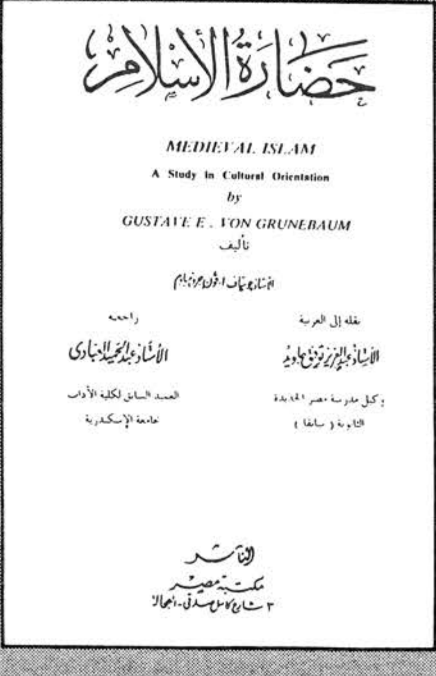

● عزيزى القارىء : لقد حمل العرب الأمانة عندما جاء دورهم فى التاريخ ، ولئن تناولوا المشعل وحملوه ، كما حملته سائر الأمم من قبل ، فإنهم أضافوا إليه أضعاف ما أخذوا منه ، وزادوا عليه من وهج العقول ، وضياء الفكر ما يشهد به هذا الكتاب ، بل يشهد به التاريخ نفسه .

وقدم العرب الحضارة والثقافة ، والعلم إلى أقصى ما وصلت إليه طموحاتهم هدية كريمة رفيعة الشأن ، وهبة سخية جليلة إلى من تلاهم من أمم وأجيال ، جعلت الحضارة هدفها ، والعرفان مدار حياتها ، أجل : لم يضن العرب بعلمهم على أحد .

● والمؤلف ـ عزيزى القارىء ـ وإن سمى كتابه الإسلام فى العصور الوسطى إلا أنه بدأ معه حيث نبت ، فهو يتتبع الإسلام وليدا ، ناشئا ، ويترسمه قرآنا وسنة ، ويدرس أصوله ومذاهبه وفرقه بأسلوب علمى دقيق ، فهو لا يكاد يورد فكرة إلا أورد لها نصا ، وأورد للنص مرجعا .

● المؤلف العلامة جوستاف : أحد أولئك المستشرقين الذين هفت نفوسهم إلى دراسة الإسلام ، فأخذوا يقلبون فيه الفكر ويمعنون فيه النظر ، وإذا انتهى إلى نتيجة ، أعتقد أنها خلاصة لكتابه هذا .

هى أن العرب أعطوا العالم الإسلامى وما ينزله من بلاد الشرق قرآنه ولغته وعقيدته . ثم تناولوا ما بتلك البلاد من ثقافات ، وحضارات قديمة ، فامتصوها وهضموها وأخرجوها للناس فى قالب عربى رائع أخاذ كادت تخفى فى معالمها الأصيلة وأصلها الغريب .

● بدأ الكتاب بمقدمه طويلة شرح فيها المترجم ثقافات المؤلف ، وأبحاثه فى الإسلام وتمجيده وحبه للعربية ، ثم أتبعه بتمهيد شرح فيه استبعاد المؤلف فى خطة الكتاب كل سرد للتاريخ السياسى ، بل الكشف عن مكانة الإسلام الحقة فى العالم الوسيط ، وتحديد أهميتها ، وتؤدى بنا إلى تفسير المجتمع الإسلامى كما صاغته روابط الواجبات الرئيسية التى يعتز بها كل مسلم .

● أشار المؤلف فى الفصل الأول : إلى الإسلام فى العالم الوسيط حيث شرح تاريخ العصور الوسطى ، للأقاليم الواقعة إلى الغرب من بلاد الهند ، حيث الروابط والتماسك بين الوحدات بعضها ببعض ؛ للدفاع عن أراضيها ، وتنظيم مجتمعاتها ؛ وحماية العقيدة انتقل بعدها المؤلف إلى المسيحية والإسلام ومدى العلاقة الوطيدة بينهما .

● وأوضح المؤلف الأساس الدينى حيث الموقف السياسى فى الشرق الأوسط عند مولد الرسول ـ ﷺ ـ حيث الخصومة بين فارس والإمبراطورية البيزنطية والترقب والاستعداد لغزو الجزيرة العربية بما فيها من فوائد ومراكز تجارية عالية . وأشار إلى بعثة الرسول ـ ﷺ ـ فى تلك الفترة بالذات ثم يرد المؤلف على اتهام الغرب للإسلام ، وعدم تفهمهم له .

بعد ذلك انتقل المؤلف إلى الفصل الرابع ، وأشار إلى التقوى حيث يهدف الإسلام إلى تناول الحياة فى جملتها ، وهو يفترض أن هناك مثلا أعلى لحياة لا يجوز أن تقضى منها لحظة واحدة من المهد إلى اللحد إلا فى انسجام تام ، مع قواعد الدين وأصوله ، التى يجب أن تعد لكل لحظة منها عدتها .

وفى الفصل الخامس يوضح المؤلف الكيان السياسى : القانون والدولة قائلا : لقد تكفل سبحانه بتشريع الشرائع ، وربما اختلفت فرائضه مجالا ، ولكنها لا تختلف شدة ولا أهمية ، فكل أمر صادر عنه يحمل طابعا واحدا من الإلزام والإجبار . وليس من حق الإنسان أن يدرج أوامره ونواهيه درجات تتفاوت أهمية وقيمة .

ثم عـرض المؤلف للمبـدأ التشريعى الإسلامى ، ومبدء الاجتهاد ، والمذاهب الفقهية . انتقل بعدها إلى النظام الاجتماعى ، واهتمام الإسلام بالفرد والجماعة ، والمؤمنون سواء عند الله إلا فيما فضل الله به بعضهم على بعض من درجات التقوى .

وكيف أن الرسول ـ ﷺ ـ سمح للنساء بحرية التصرف فى أموالهن . كما أنه حسن مركزهن من ناحية الميراث .

بعدها أشار المؤلف إلى الإنسان الكامل وقضية الأدب والكاتب الذى وصفه المؤلف بأن يكون عارفا بكل نوع من أنواع الوثائق الأدبية العربى منها والفارسى قادراً على تحرير أى نوع من الرسائل

الرسمية على البديهة ، ولا تتهيأ له فرصة النجاح فى هذا الفن ما لم يكن على علم جيد بالنحو والصرف واللغة بل وبالفقه أيضا ولابد له من أن يكون قادراً على الاقتباس من القرآن ومن مخزون وافر من الأمثال والشعر .

ووضح المؤلف فى الفصل الثامن معنى التعبير عن الذات : الأدب والتاريخ فى أكثر من أربعين صفحة ، ثم انتقل إلى الفصل الأخير ، وهو النقل الخلاق عن تطور المجموعة الضخمة من الحكايات والخرافات ، المعروفة بألف ليلة وليلة فى أصقاع مختلفة من العالم الناطق بالعربية بين قرابة ٩٠٠ م ١٥٠٠ م ثم عرض المؤلف مجموعة من القصص المشهورة كالسندباد والأمير سيف الملوك وغيرها من القصص الأثرية التى ورثها العرب حتى وقتنا هذا .

وأخيراً عزيزى القارىء لقد درس المؤلف الإسلام من جميع نواحيه فتناول علاقته بالآخرين وتناول العقيدة فى فصلين ، والشريعة والمجتمع فى فصلين ، وبحث الرجل الكامل ودرس الحضارة الإسلامية والأدب والثقافة العربية دراسة عميقة مستفيضة ، فبين أسبابها ، وأن مطالعة هذا الكتاب الذى يربو على خمسمائة صفحة ، كفيلة بأن تفتق القارىء شعابا فى الأدب العربى ، وأن تبرز له مناحى لم يكن منتبها إليها قبل تلاوته ، وفيه من الدعوة إلى العناية بالأدب المقارن وأسماء المراجع : عربية وأجنبية غير معروفة لبعض محبى الأدب وعندما تقرأ الكتاب ستفهم الأدب العربى فهما جديدا وستعود إلى الكتب الأدبية تقرؤها وقد تفتحت لك فيها نظرات وفجاج وتكونت لك فيها آراء ستجعلك تدهش من نفسك وأن تغير نظرتك إلى لغتك وأدبك .

إعجاز القرآن فى وقاية الإنسان

تاليف د /. محمد سراج الدين زكريا ـ إصلاح إسماعيل امين

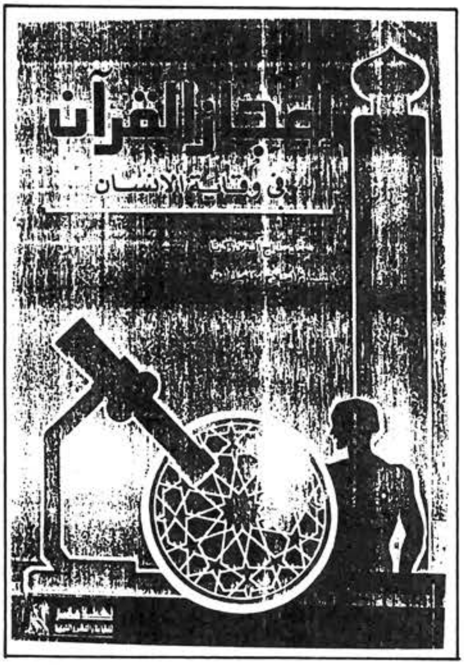

● عزيزى القارىء .. القرآن الكريم .. المعجزة الخالدة .. لم يزل بكراً ـ .. ولا تنقضى عجائبه إلى يوم الدين ومن إحدى هذه العجائب العظيمة فى مجال صحة الإنسان وسلامته كانت مشيئة الله تعالى بفتح آفاق العلم الحديث فى هذا المجال .

والصحة ـ عزيزى القارىء ـ أمانة فى عنق صاحبها لا ينبغى أن يفرط فيها ، فهى من الله ، فوجب علينا المحافظة على ما وهب الله لنا .

● وهذا الكتاب يجمع بين طياته البحث الدقيق سواء فى القرآن الكريم ، أو السنة الشريفة ، أو ماكتبه السابقون من علماء الدين والطب .

● بدأ المؤلف كتابه بعوامل سلامة الإنسان ، حيث أشار إلى أن الطب الوقائى هو كل ما يؤدى إلى سلامة الإنسان ، وذلك باتباع بعض العوامل ، التى توصل إلى ذلك وتجنب كل ما يؤذى الإنسان .

● ثم وضح المؤلف شرحا دقيقا للجسم للأجزاء الخارجية والداخلية وما توصل إليه االعلم الحديث فى استخدام الأجهزة المختلفة لمعرفة الأجزاء الداخلية لهذا الجسم .

لذلك كانت الوقاية من الأمراض العقلية والنفسية ضرورة ملحة ؛ لأن الإنسان الحديث مهدد فى أعصابه وعقله أشد تهديد ، وقد زادت الحروب الحاضرة من خطر هذا التهديد .

● انتقل المؤلف بعد ذلك إلى سلامة النفس ذاكرا الأمراض النفسية وأسبابها ؛ منها بعض الأمراض التى تصيب النفس ، كالانطواء والتشنج العصبى والتبول اللا إرادى ، والخوف والقلق ، الجمود والتأخر والتقمص ، وأمراض الحضارة الحديثة .

● وأشار المؤلف إلى التقرير الذى نشرته اللجنة العلمية التى شكلها الكونجرس الأمريكى لتقصى أسباب العنف الشبابى وهى :

إن ظاهرة العنف بين شباب الجامعات تعود إلى وجود خواء أخلاقى فى حياتهم ، وإلى عدم وجود رسالة إنسانية ، مما يولد لديهم الشعور بضعة الحياة وتفاهتها ، ثم يقول التقرير « لقد أخفقت تربيتنا وجامعاتنا فى إعطائهم هدفا رفيعا يصلح لأن يكون رمزاً أو محورا ينظمون حوله خبراتهم ، ويبنون عليه طموحاتهم الاجتماعية والإنسانية .

● ويشير المؤلف بعد كل هذه البحوث العلمية والتجارب التى توصل إليها العلماء حيث يتبين لنا الإعجاز القرآنى فيما ورد فى كتاب الله ـ تعالى ـ للمحافظة على النفس بالتقوى والهداية ، وصيانة النفس ، ووقايتها ، والمحافظة عليها . وبين كل هذا فى العقيدة الصالحة ، واتباع منهج الله ويتمثل الإحساس بالظلم ـ الإحساس بالذنب والأسى لفقد الأموال أو الإغراء ـ الخوف (الخوف من توقع الاصابة بمكروه ـ الخوف من الفقر) الضوضاء والغوغاء الملوثة للجو .

● ثم وضح المؤلف الإعجاز القرآنى فى وقاية الجسم ، وتعنى الوقاية : سلامة الجسم مما يصيبه من مؤثرات خارجية فى البيئة التى يعيش فيها أو مؤثرات نفسية قد تؤدى إلى علل فى الجسم وتعرض المؤلف لهذه الوقايات ، منها وقاية الجسم من الضعف والهزال ، ووقاية الجسم من أمراض الإفراط فى الطعام ثم وقايته من الأمراض المعدية .

● ثم شرح المؤلف كيفية الوقاية من البلهارسيا والقضاء عليها فى بعض أحاديث الرسول ـ ﷺ ـ .

● انتقل بنا بعد ذلك إلى وقاية الجسم من الدمار كموجات الانتحار المنتشرة فى بعض الدول المتحضرة رغم المخترعات ووسائل العلم الحديثة ووسائل الترفيه المتوافرة لهم .

● أما الباب الثالث : فقد عرض فيه المؤلف سلامة البيئة سواء فى تكوين الأسرة وبناء المجتمع شارحا كيفية المحافظة على الأسرة ، وتكوينها تكوينا صالحا وكيفية المحافظة على المجتمع ووقايته .

● بعد ذلك كانت خاتمة المؤلف التى وضح فيها

الإنسان من بداية تكوينه حتى نهاية حياته كما ذكرها القرآن الكريم .

وتحدث عن صحة الطفل وكيفية المحافظة على صحته .

وشرح أيضا المتغيرات التى تحدث للإنسان وأنه مادام متغيرا ويحيا فى عالم متغير ، فعليه أن يوطن نفسه على وجود الأحداث ، فلا يظل الإنسان أسير مافات من أحداث فيصبح الحدث السابق مثبطا لهمته ويجعل الضعف يتسلل إلى فكره وطاقته .

● وأخيرا - عزيزى القارىء - اخترت لك هذا الكتاب ؛ للمحافظة على نفسك من أمراض الصيف ، والقلق النفسى ، والتوتر الذى يصيب بعض شبابنا فيفزعهم من الحياة ، ويجعل اليأس ملازما لهم ومسيطرا عليهم .

لذلك كان هذا الكتاب المعجز به من القرآن والسنة مايعجز عنه العلم والبحوث والتجارب ، لحماية صحة الإنسان رغم هذه البحوث الكثيرة إلا أنها لم تضف كثيرا لوقاية الجسم إلى ما جاء به القرآن الكريم - ليظل القرآن الكريم معجزة كل عصر ، ووقاية وحماية لكل إنسان ، للمحافظة على نفسه وأسرته ومجتمعه ، فإليك هذا الكتاب لكى تضيفه إلى مكتبتك فهو يجمع بين طياته العلم والدين والحياة .

بين المجلة والقارئ

إعداد: عادل رفاعى خفاجة

ربيع الخير

مثلما يأتى الربيع فى موكب من الجمال والحسن ، معلناً للدنيا نهاية فترة الجدب ، والجفاف ، والقحط ، وبداية فترة أخرى ، يملؤها النماء والخير والزهر .

مثلما يأتى الربيع ، ليعلن بداية فترة من الأمل والرخاء ، جاء ربيع الخير فى عام ٥٧٠ من ميلاد المسيح ـ عليه السلام ـ ليعلن عن ميلاد خير البشر محمد بن عبد الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وليعلن ـ أيضا ـ عن بداية ربيع دائم ، ذلك ربيع الإيمان الذى يمتد من ميلاده ـ صلى الله عليه وسلم ـ وحتى يرث الله ـ تعالى ـ الأرض ومن عليها ، ذلك ربيع الخير الذى يكافح الشر ، وينافح من أجل الحق ، ليمحو ضلالات الشرك ، وليكسو وجه الأرض بنور الإيمان ، كما يكسو الربيع الأرض بالورود والأزهار .

فياليت أمتنا الإسلامية تراجع نفسها حين يجىء ربيع الأول من كل عام : ماذا حققت فى سبيل نشر الحق والعدل ؟

وهل أنجزت ـ ولو بقدر ضئيل ـ خلال عامها شيئاً ؟

نسأل الله العظيم أن يجىء ربيع الأول من كل عام ، وقد تحقق للأمة الإسلامية ما تصبو إليه وإلى بريد القراء :

الحكمة التربوية من نزول القرآن منجمًا

أرسل القارىء : أحمد ناصر أحمد ناصر - المراغة - سوهاج هذه الكلمة عن التدرج فى أوامر الدين ، وأنه الأنسب للنفس البشرية ، والأصلح لاتباعه فى أمور الدنيا - أيضاً - يقول :

« نجم الشىء » ، أى : قسطه أقساطاً .

ولقد نزل القرآن الكريم على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - منجماً فى ثلاث وعشرين سنة منها ثلاث عشرة بمكة - على الرأى الأرجح - وعشر بالمدينة ويدلنا على نزوله منجماً . أى : مفرقاً بحسب الوقائع والأحداث قوله - تعالى - فى سورة (الإسراء : ١٠٦) .

﴿ وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ﴾

صدق الله العظيم .

أى : جعلنا نزوله مفرقاً كي تقرأه على الناس على مهل وتثبت ونزلناه تنزيلاً بحسب الوقائع والأحداث .

والذى استقرىء من الأحاديث الصحيحة أن القرآن كان ينزل بحسب الحاجة خمس آيات أو عشر أو أكثر أو أقل فقد صح نزول قوله - تعالى - ﴿ غَيْرُ أُو۟لِى ٱلضَّرَرِ ﴾ وحدها وهى جزء من آية ٩٥ سورة النساء . .

لكن ما هى الحكمة التربوية من نزوله هكذا منجماً ؟!

تعتمد العملية التعليمية على أمرين أساسيين هما : مراعاة المستوى الذهنى للطلاب ، وتنمية قدراتهم العقلية ، والجسمية ، والنفسية ، وتوجيهها وجهةً سديدةً إلى الخير والرشاد . .

ونحن نلحظ فى نزول القرآن الكريم منجماً ما يفيدنا فى مراعاة هذين الأمرين ، فإن نزول القرآن تدرج فى تنمية الأمة الإسلامية تدرجاً فطرياً لإصلاح النفس البشرية واستقامة سلوكها وبناء شخصيتها حتى استوت على سوقها ، وآتت أكلها الطيب بإذن ربها . .

وكان تنجيم القرآن خير عونٍ لها على حفظه وفهمه ، ومدارسته وتدبر معانيه والعمل بمافيه .

فكما أننا نرى أن العملية التعليمية تبدأ أول ما تبدأ بتعليم القراءة فنجد أول آيات القرآن الكريم نزولاً حثت على ذلك .

قال تعالى فى سورة العلق .

﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ① خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ② ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ③ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ﴾ .

كذلك فى أمر تحريم الخمر ، والربا ، وكذلك فى أمر العبادة لا يبدأ بها جملة ، بل يأمر بها على مراحل ، حتى تستريح إليها النفوس .

فبين بداية التشريع ونهايته مراحل تربوية كثيرة ، لها أساليبها ، التى تتلاءم مع مستوى المجتمع الإسلامى ، فى تدرجه من الضعف إلى القوة .

والمنهج الدراسى الذى لا يُراعى فيه المستوى الذهنى للطلاب فى كل مرحلة من مراحل التعليم ، وبناء جزئيات العلوم على كلياتها ، والانتقال من الإجمال إلى التفصيل ، أو لا يُراعى تنمية جوانب الشخصية العقلية والجسمية والنفسية منهج فاشل ، لا تجنى منه الأمة ثمرةً علمية ، بل تجنى منه الجمود والتخلف .

والهدى الإلهى فى حكمة نزول القرآن الكريم منجماً ، هو الأسوة الحسنة فى صياغة مناهج التعليم والأخذ بأمثل الطرق فى الأساليب التربوية بقاعة الدرس ، وتأليف الكتاب المدرسى . ◆

سلوك المسلم بين القول والعمل

أما القارىء : سامى محمود حسين ـ قرية الشعراء ـ دمياط فيرسل هذه الرسالة التى ورد فيها :

« إن الإسلام يريد من المسلم ، أن يهتم بالفعل قبل القول ، فلا يقول إلا ما يفعل ، إعمالاً لقول الحق تبارك وتعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾ (الصف الأيتان : ٢ ، ٣)

وهناك من يخادع الناس بالقول دون العمل ، ويحاول التباهى عليهم بالعلم ، فيلقى إلى غيره بالنصح والوعظ ، وينسى أن يعظ نفسه ، وقد يكون هو أولى من غيره بذلك النصح وهذا الإرشاد ، ومن كلام الإمام أبى حامد الغزالى : « فاقد النور لا ينير لغيره » . وأيضاً قال الشاعر :

لا تنه عن خلق وتأتى مثله
عار عليك إذا فعلت عظيم
ابدأ بنفسك فانهها عن غيها
فإذا انتهت عنه فأنت حكيم

ثراء مصر المحروسة

القارىء : محمد أحمد مكرم ـ الواسطى ـ أسيوط .

يرسل هذه الكلمة عن مصرنا المحروسة بعناية الله ـ تعالى ـ يقول فيها : جلس موسى بن عيسى ، والى مصر ، بميدان مصر ، فأطال النظر فى النيل ونواحيه ، فقيل له : ما يرى الأمير ؟ فقال : أرى ميدان رهان ، وجنان نخل ، وبستان شجر ، ومنازل سكنى ، ودور خيل ، وجبانة أموات ، ونهراً عجاجا ، وأرض زرع ، ومرعى ماشية ومرتع خيل ، ومصايد بحر ، وقانص وحش ، وملاح سفينة ، وحادى إبل ، ومفازة رمل ، وسهلاً وجبلاً فى أقل من ميل فى ميل !!

حيلة متنبى

أما القارىء : أحمد حمدان أمين ـ سوهاج ـ أخميم فيرسل هذه الطرفة ، يقول :

« تنبأ رجل من زمن المأمون ، فلما مثل بين يديه قال له : من أنت ؟ قال : أحمد النبى .

قال : لقد ادعيت زوراً ، فلما رأى ذلك المتنبى الشرطة أحاطت به ، قال : يا أمير المؤمنين ، أنا أحمد النبى ، فهل تذمه أنت ؟ فضحك المأمون وخلى سبيله » .

وكم من أقوال أرسلتها الأفواه، ووعتها الآذان، ومنع تنفيذها غياب القدوة.

يقول الله - تبارك وتعالى - فى شأن هؤلاء وغيرهم:

﴿ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ ﴾

البقرة / ٤٤

ومن حديث أنس - رضى الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - «رأيت ليلة أسرى بى أقواماً تقرض شفاههم بمقارض من حديد فقلت: «من هؤلاء يا أخى ياجبريل؟» قال: خطباء الفتنة».

رواه ابن حبان فى صحيحه.

وهناك من ينسب لنفسه فضل عمل من الأعمال النافعة، وهو لم ينجزه، ولكنه يريد الظهور فى المجتمع بمظهر لائق، وليثبت لنفسه مكانة لم يقدم لها غير كلام منمق.

وليس هناك ما يبرر للإنسان أن يقول ما لا يفعل، وليس أمقت عن الله - تعالى - من عبد يدعى الصلاح، ولا يحمل بين جنبيه غير الفساد والكفر، والعياذ بالله. فذلك من صدق فيه قول الحق - تبارك وتعالى -: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِى قَلْبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ ۝ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ ﴾ البقرة / ٢٠٤، ٢٠٥.

فالله - تعالى - مطلع على قلوب العباد، لا ينظر إلى أشكالهم وصورهم، إنما ينظر إلى قلوبهم، وما تكنه ضمائرهم.

الداء والدواء

ومن رسالة القارىء: عمر محمد عمر غزال - قبريط - كفر الشيخ - نقتطف ما يلى:

الحمد لله الذى جعل خلق الأضداد من سننه، فكما خلق الحياة خلق الموت، وكما خلق الخير خلق الشر، وكما خلق الجنة خلق النار، وكما خلق الداء خلق الدواء. وذلك حتى ينفرد لنفسه سبحانه بالوحدانية فى كل شىء، وأشهد أن محمداً عبد الله ورسوله أعطى جوامع الكلم.

ثم أما بعد:

فإن حب الصحة والعافية غريزة إنسانية، ومطلب يتمناه كل إنسان، ولكن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يعلمنا أن البلايا من الكفارات وكلنا يحب أن يغفر الله له، والمرض من طرق الغفران.

فقد روى عن عبد الله بن أنس أن النبى - صلى الله عليه وسلم - قال: «أيكم يحب أن يصح جسمه فلا يسقم؟ فقالوا: كلنا يارسول الله، قال: «أتحبون أن تكونوا كالحمير الصوالة، ألا تحبون أن تكونوا أصحاب بلايا وأصحاب كفارات؟ والذى بعثنى بالحق نبيا إن الرجل لتكونن له الدرجة فى الجنة فلا يبلغها بشىء من عمله فيبتليه الله تعالى ليبلغ درجة

لا يبلغها بعمله » وقال ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « ما من مسلم يمرض إلا حط الله من خطاياه كما تحط الشجرة ورقها » وكان يقول : « لاتزال الأوصاب والمصائب بالعبد حتى تتركه كالفضة البيضاء النقية المصفاة » .

وقد أمرنا الحبيب المصطفى بالدواء فقال : « تداووا فإن الذى أنزل الداء أنزل الدواء » . وقال ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « ما أنزل الله داء إلا وله دواء عرفه من عرفه ، وجهله من جهله » . وسئل رسول الله عن الدواء والرقى هل يردان شيئاً من قضاء الله ـ تعالى ـ ؟ قال : « هما من قدر الله تعالى » .

وينبغى على المسلم أن يسلم بأن الشافى والطبيب هو الله سبحانه وتعالى ، فقد ورد أنه لما مرض الربيع بن خيثم قالوا له : ألا ندعو لك الطبيب ، فقال لهم : إن مرضى من الطبيب وأنه متى أراد عافانى ولا حاجة لى بطبيبكم وأنشد :

فأصبحت لا أدعو طبيبا لطبه
ولكننى أدعوك يامنزل القطر

ردود سريعة

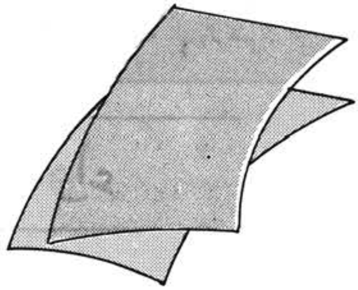

* القارىء : أيمن محمد مرسى خلف الله ـ كفر الشيخ ـ دسوق / جماجمون وصلتنا رسالتك عن « العول » ، وننتظر إسهامات أخرى .

* القارىء : عبد السلام بهجت عبد السلام كفر ربيع ـ تلا ـ منوفية .

سبق أن أوضحنا على صفحات المجلة فى بابى المجلة والقارىء واستفتاءات القراء أن هذه الأمور يجب ألا يعتد بها .

* القارىء : عمر عبد العزيز جودة / معهد دسوق الابتدائى ، وصلتنا رسالتك عن أركان الحج .. ونشكر لك مجهودك .

* القارىء : مدحت سادات المغربى

كنا نود أن نلبى طلبك ، ولكن المجلة تنفد فور صدورها وعليكم مراجعة « إدارة التوريدات بالأزهر » وعنوانها العباسية شارع الفردوس امتداد شارع أحمد سعيد . بجوار نادى مرفق مياه القاهرة .

* القارىء : محمد عبد الفتاح على إبراهيم الحبش / المنافع / الإبراهيمية / شرقية .

أرسلنا رسالتكم إلى لجنة الفتوى ، ويمكنكم متابعة الأعداد القادمة . إن شاء الله ـ تعالى ـ .

تحية الإسلام

القارىء : محمود محمد عبد الرحمن - القاهرة .

من رسالة القارىء نقتطف هذه الكلمات :

« .... إلى كل من يحلو له أن يحيى إخوانه بقوله : « صباح الخير » أو « مساء الخير » أو ما شابه ذلك من التحية أقدم قول الشاعر :

ياذا الذى ترك السلام تعمداً
ليس السلام بضائر من سلما
إن السلام تحية مبرورة
ليست تحمل قائلاً أن يأثما

وصلتنا رسائلكم وشكرًا لكم

القراء :

محمد عبداللطيف حسن دسوقى / بردين شرقية ، محمد أحمد جمعة السحرى - بلقينا - المحلة الكبرى ، أحمد ناصر أحمد ناصر - بهتنا - سوهاج .

أحمد حامد إبراهيم بلتك ، أبو الحسن محمد رمضان - قنا ، عمر عبد العزيز جودة - معهد دسوق ، السيد فخر الدين حسنين كلية الشريعة .

تلقت المجلة العديد من إسهامات السادة الشعراء ، إسهاما منهم فى إحياء ذكرى مولد الرسول الكريم محمد- صلى الله عليه وسلم-.

وتتوجه المجلة بالشكر للجميع ، ونأمل أن تتاح الفرصة فى مناسبات قادمة لنشر ما لم تتسع له مساحة النشر.

أنباء مكتب شيخ الأزهر الشريف

إعداد الأستاذ
عمر البسطويسى

فضيلة الإمام الأكبر يتفقد لجان امتحانات

الإعدادية والثانوية

قام فضيلة الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر الشريف بتفقد لجان امتحانات الشهادة الإعدادية والثانوية الأزهرية الدور الأول حيث بدأت الامتحانات يوم السبت الموافق ١١ صفر ١٤١٩ الموافق ١٩٩٨/٦/٦ ،

حيث قام بالمرور على لجان امتحانات المعاهد النموذجية بمدينة نصر للشهادة الإعدادية للبنين والبنات ، ولجان معهد الدكتور طلعت بمدينة نصر للشهادة الثانوية للبنين ، ولجان معاهد فتيات المنطقة السادسة للشهادة الثانوية ، واطلع فضيلته على ورقة أسئلة امتحانات مادة النحو للشهادة الثانوية الأزهرية .

رافقه فى هذا اليوم فضيلة الشيخ على فتح الله رئيس قطاع المعاهد الأزهرية .

وفى يوم الأحد ١٢ من صفر ١٤١٩هـ الموافق ١٩٩٨/٦/٦ قام فضيلته بتفقد لجان امتحانات الشهادة الإعدادية والثانوية الأزهرية بمعاهد الشيخ خالد للبنين والبنات بشبرا الخيمة ، واطلع فضيلته على أسئلة امتحان الشهادة الإعدادية فى مادة النحو والصرف ، واطلع على أسئلة امتحان الشهادة الثانوية الأزهرية فى مادة الصرف ، وفى اليومين ناقش فضيلته الطلاب والطالبات فى الأسئلة وتأكد أنها من المنهج المقرر ، وفى متناول مستوى الطلاب ، كما أوصى فضيلته رؤساء اللجان والملاحظين والمراقبين بضرورة توفير المناخ الملائم والطيب داخل اللجان حتى يتوفر للطلاب الهدوء والراحة النفسية ليؤدوا امتحاناتهم فى جو هادىء مع توخى الدقة والانضباط حتى يأخذ كل طالب حقه كاملا .

رافق فضيلته رئيس الإدارة المركزية لمنطقة القاهرة الأزهرية الشيخ عبد الفتاح راجح ، وفضيلة الشيخ عمر البسطويسى المدير العام للعلاقات العامة والإعلام .

موافقة مجلس الشعب على قانون الثانوية الأزهرية

وافق مجلس الشعب على قانون الثانوية الأزهرية الجديد الذى يقضى بتخفيض سنوات الدراسة بالمرحلة الثانوية إلى ثلاث سنوات ، وأن يتولى الإمام الأكبر شيخ الأزهر إصدار القرارات المنفذة للقانون دون الرجوع إلى وزارة شئون الأزهر .

وعبر أعضاء مجلس الشعب عن ارتياحهم لحضور فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر جلسة المناقشة للقانون ، والذى تعهد بعدم المساس بالمواد الشرعية واللغوية ، وفند فضيلة الإمام الأكبر مزاعم المعارضين للقانون مؤكدا على عدم المساس بحفظ القرآن الكريم بجميع مراحل التعليم الأزهرى ، وأن الكتاتيب موجودة لم تغلق ، والأزهر يدعمها ويرصد لها ميزانية خاصة بها ، وأن القول بإلغائها نوع من الخيال ، وأكد أن الهدف من القانون هو التخفيف على طلاب الأزهر ومساواتهم بزملائهم فى التربية والتعليم ، بالإضافة إلى وقف الزيادة الكبيرة فى تحويل طلاب الابتدائى والإعدادى من الأزهر إلى التعليم العام ، وأوضح فضيلته أن العدل والرحمة تقتضى حذف السنة الرابعة من المرحلة الثانوية .

وأكد الأستاذ الدكتور أحمد عمر هاشم رئيس جامعة الأزهر الشريف ، وعضو مجلس الشعب ورئيس اللجنة الدينية بالمجلس أنه يشهد الله ويشهد أعضاء مجلس الشعب أن فضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى الداعية الكبير وافق أمامه وأمام الأستاذ الدكتور محمود حمدى زقزوق وزير الأوقاف ، والأستاذ الدكتور إبراهيم بدران وزير الصحة الأسبق وعضو مجمع البحوث الإسلامية على تعديل القانون .

وحضر جلسة مجلس الشعب من علماء الأزهر الشريف فضيلة الشيخ فوزى الزفزاف وكيل الأزهر ، وفضيلة الشيخ على فتح الله رئيس قطاع المعاهد الأزهرية ، وفضيلة الشيخ فؤاد البرعى الأمين العام للمجلس الأعلى للأزهر ، وفضيلة الشيخ على نور الدين الأمين العام المساعد للدعوة والإعلام الدينى ، ورئيس لجنة الفتوى بالأزهر ، ولفيف من العلماء ، والدكتور غنيم الجارحى الأستاذ بكلية الزراعة ، ورئيس مجلس الآباء بالمنطقة الأزهرية .

وكيل الأزهر يتفقد لجان الامتحانات فى محافظات الجمهورية

قام فضيلة الشيخ فوزى الزفزاف وكيل الأزهر الشريف بتفقد لجان امتحانات الطلاب فى محافظة المنوفية ، وناقش الطلاب فى الأسئلة واطمأن على أنها من المنهج المقرر وفى متناول الطلاب ، وأوصى فضيلته بضرورة توفير الجو الملائم للطلاب مع ضرورة الانضباط فى الشهادة الإعدادية الأزهرية والشهادة الثانوية ، كما قام فضيلة الشيخ على فتح الله رئيس قطاع المعاهد الأزهرية بتفقد لجان معهدى المعادى الإعدادى الثانوى للبنين والبنات .

كما قام فضيلة الشيخ فؤاد البرعى الأمين العام للمجلس الأعلى للأزهر بتفقد لجان امتحانات

الشهادة الإعدادية الأزهرية والثانوية الأزهرية بمعهد حلمية الزيتون ومعهد مصر الجديدة العسكرى ، ومعاهد دبلوم المعلمين بمصر الجديدة ، كما قام الشيخ عبد الفتاح راجح رئيس منطقة القاهرة الأزهرية بتفقد لجان الامتحانات فى معهد عقبة بن نافع الإعدادى الثانوى بأغا خان بشبرا ، وأكد الشيخ على فتح الله رئيس قطاع المنطقة الأزهرية أن امتحانات الدور الثانى للشهادات الأزهرية ستبدأ يوم ١٥ أغسطس سنة ١٩٩٨ بجميع المحافظات ، ويلاحظ أن عدد المتقدمين للشهادة الإعدادية الأزهرية ٩٣ ألف طالب وطالبة ، ٤٢ ألف طالب وطالبة تقدموا لامتحان الشهادة الثانوية بشعبها الثلاث أدبى وعلوم ورياضة ، وخمسة آلاف فى شهادات المقررات الثلاث ودبلوم المعلمين ، فيكون إجمالى المتقدمين للشهادات الأزهرية ١٤٠ ألف طالب وطالبة يمثلون ٢٧ منطقة أزهرية ، ويؤدون الامتحان أمام ١٢٠٠ لجنة .

قواعد حق التأليف أو الطبع أو النشر للكتب

اللازمة للأزهر

صدر قرار فضيلة الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر فى ٢١ من المحرم ١٤١٩هـ ، الموافق ١٧ من مايو سنة ١٩٩٨م ، بتشكيل لجنة برئاسة فضيلة الشيخ فوزى الزفزاف وكيل الأزهر وعضوية كل من :

١ ـ الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية .

٢ ـ الأمين العام للمجلس الأعلى للأزهر .

٣ ـ رئيس قطاع المعاهد الأزهرية .

٤ ـ الأمين العام المساعد للشئون المالية .

٥ ـ رئيس الإدارة المركزية للشئون القانونية.

وللجنة أن تستعين بمن تراه من الاخصائيين وذوى الخبرة فى المادة التى يتناولها المؤلف لمعاونتها فى مهامها وتكون مهمة اللجنة :

١ ـ فحص الكتاب المطلوب شراء حق تأليفها أو طبعها أو نشرها أو ترجمتها بالنسبة للكتب اللازمة لقطاع المعاهد الأزهرية ، ومجمع البحوث الإسلامية وغيرها من الكتب التى يقوم الأزهر بطبعها ونشرها .. ومن بينها (كتب الصرف الميسر) لطلاب المرحلة الثانوية الأزهرية التى تم تأليفها .

٢ ـ بيان مدى حاجة الأزهر الشريف لهذه المؤلفات .

٣ ـ اقتراح مقابل حق التأليف أو الطبع أو النشر أو الترجمة للكتب المشار إليها بمراعاة أهمية المادة العلمية وقيمتها الفنية وعدد النسخ المطلوبة ، ومدة الانتفاع بهذا الحق وغيرها من عناصر التقدير الأخرى التى تتلاءم مع موضوع الكتاب مع مراعاة الحد الأقصى لهذا المقابل الوارد بالمادة الثانية من قرار رئيس مجلس الوزراء رقم ٦٧٠ لسنة ١٩٨٨ فى شأن قواعد شراء حق التأليف أو الطبع أو النشر بالنسبة للكتب اللازمة للأزهر المشار إليه .

٤ ـ عرض توصيات ومقترحات اللجنة على فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر إعمالا لأحكام قرار رئيس مجلس الوزراء رقم ٧٦٠ لسنة ١٩٨٨ المشار إليه .

إعداد مشروع اتفاق بين الأزهر

ووزارة الشئون الدينية الباكستانية

صدر قرار فضيلة الإمام الأكبر د. محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر الشريف بتشكيل لجنة من السادة :

فضيلة الشيخ فوزى فاضل الزفزاف وكيل الأزهر رئيسا .

فضيلة الشيخ سامى محمد متولى الشعراوى الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية عضوا .

فضيلة الشيخ فؤاد محمد محمد البرعى الأمين العام للمجلس الأعلى للأزهر عضوا .

السيد/ جمال أبو الحق عبد الله رئيس الإدارة المركزية للشئون القانونية عضوا .

ويتولى سكرتارية اللجنة السيد/ محمد محمد إبراهيم السيد بمكتب فضيلة وكيل الأزهر .

وتكون مهمة هذه اللجنة إعداد مشروع اتفاقية بين الأزهر الشريف ووزارة الشئون الدينية الباكستانية ، تتناول أوضاع بعثة الأزهر فى باكستان والمعهد الأزهرى بإسلام أباد .

قرارات لفضيلة الإمام الأكبر

صدر قرار فضيلة شيخ الأزهر محمد سيد طنطاوى بتعيين فضيلة الشيخ طوسون إبراهيم أحمد هواش فى وظيفة مدير عام مكتب فضيلة الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية ، وذلك فى ٣ صفر سنة ١٤١٩هـ ، ٢٩ مايو ١٩٩٨ ، كما صدر قرار فضيلة الإمام الأكبر بندب الشيخ السيد وفا إبراهيم حسن أبو عجور مدير عام منطقة وعظ الغربية للقيام بعمل مدير عام الدعوة والإعلام الدينى بمجمع البحوث الإسلامية .

وصدر قرار شيخ الأزهر بأن يسند إلى فضيلته القيام بعمل أمين عام اللجنة العليا لشئون الدعوة الإسلامية ، بالإضافة إلى عمله المنتدب إليه ، وذلك فى ١ من صفر ١٤١٩هـ ، ٢٧ من مايو ١٩٩٨ .

كما صدر قرار فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف ، الذى يقضى بأن يسند إلى فضيلة الشيخ على محمود محمد أبو الحسن مدير منطقة وعظ أسيوط القيام بعمل مدير عام شئون مناطق الوعظ بمجمع البحوث الإسلامية ، وذلك فى أول صفر ١٤١٩هـ ، الموافق ٢٧ مايو سنة ١٩٩٨ .

ندوة تطوير المناهج بالمعاهد

الدينية بالكويت

اشترك فضيلة الشيخ / محمد إبراهيم عبد الغنى خفاجى وكيل قطاع المعاهد الأزهرية لشئون التعليم (ندبا) فى ندوة تطوير المناهج بالمعاهد الدينية بالكويت فى الفترة من ٢٤ ، ٢٥ مايو سنة ١٩٨٨ ، وكان قد صدر قرار فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر بالموافقة على سفر فضيلته لدولة الكويت لمدة أربعة أيام ، وذلك بناء على كتاب السيد الدكتور المستشار الثقافى لسفارة دولة الكويت .

الأزهر ينظم الدورة الثانية

والأربعين لدعاة العالم الإسلامي

صدر قرار فضيلة الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر الشريف بالموافقة على إقامة الدورة الثانية والأربعين لتدريب الدعاة الوافدين من العالم الإسلامى إلى الأزهر الشريف ، ولمدة ثلاثة أشهر اعتبارا من ١٩٩٨/٨/١ ، وعددهم ثمانية وعشرون إماما وواعظا من دول زنزبار ، وبورما ، ونيجيريا ، ومالى ، ورواندا ، ويتلقى هؤلاء الدعاة محاضرات فى التفسير واللغة والفقه والاستشراق والتبشير والخطابة ، ويقوم بالتدريس لهم صفوة مختارة من العلماء ، وعلى رأسهم فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف ، ويقيمون مدة الدراسة بمدينة البعوث الإسلامية ، ويقوم الأزهر الشريف باستضافتهم وتتحمل موازنة الأزهر تذاكر السفر ذهابا وإيابا بالإضافة إلى نفقات الإقامة .

اتفاق الأزهر والفاتيكان خير رد على

المتشككين فى صلابة الوحدة الوطنية

أكد فضيلة الشيخ فوزى الزفزاف وكيل الأزهر الشريف ورئيس لجنة الحوار بين الأديان أن الاتفاقية التى تم توقيعها أخيرا بين الأزهر والفاتيكان للحوار بين الأديان هى خير رد على المتشككين فى صلابة الوحدة الوطنية فى مصر .

وقال أن الاتفاقية هدفها تحقيق التعاون بين الطرفين فى تجسيد المبادىء والقيم السماوية والفضائل التى تجمع هذه الأديان مثل العدل ومحاربة الظلم والنهى عن المنكر وحماية حقوق الإنسان ، وأضاف أن الاتفاقية جاءت فى وقت مناسب لترد الهجمة الشرسة ضد الإسلام فى الداخل والخارج ، ولتوضيح صورة ديننا الحنيف خاصة دعوته للمحبة والسلام بين جميع البشر ، وقال : إن العلاقة الأخوية الوطيدة بين الأزهر والكنيسة المصرية لا تحتاج إلى حوار لأن الطرفين جسد واحد ونسيج واحد ، ولهما هدف واحد هو الحفاظ على وحدة الوطن .

فضيلة الإمام الأكبر يستقبل

سفيرة جمهورية التشيك بالقاهرة :

استقبل فضيلة الإمام الأكبر الدكتور/ محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر الشريف بمكتبه صباح يوم ١٥ من صفر سنة ١٤١٩هـ ، الموافق ١٩٩٨/٦/١٠ م ، السيدة/ دانا هوفا نوفا سفيرة جمهورية التشيك فى القاهرة ، وقد أبلغت فضيلة الإمام الأكبر تحيات وشكر رئيس جمهورية التشيك وسلمت فضيلته الدعوة الرسمية التى وجهها رئيس الجمهورية لفضيلة الإمام الأكبر وذلك لحضور مؤتمر رجال الدين والفكر فى شتى أنحاء العالم لإبداء وجهات نظرهم فيما يجب أن تكون عليه البشرية ومستقبل الإنسان فى القرن القادم ، والذى سيعقد فى شهر أكتوبر القادم بدولة التشيك .

وقد شكرها فضيلة الإمام الأكبر على الدعوة ووعدها بدراستها تمهيدا لتلبيتها ، وحملها إبلاغ تحياته وشكره لرئيس جمهورية التشيك .

أشادت السفيرة بدور الأزهر وتقديرهم لآراء فضيلة الإمام الأكبر المستنيرة وأهمية حضور الإمام الأكبر لهذا المؤتمر والفائدة الكبيرة التى ستعود على الإنسانية نتيجة هذا المؤتمر .

حضر اللقاء فضيلة المدير العام للإعلام والعلاقات العامة .

الضوابط والمعايير للترقية الأدبية لوظائف الدعوة بمجمع البحوث الإسلامية

أصدر فضيلة الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر الشريف القرار التالى فى شأن الضوابط والمعايير اللازمة للترقية الأدبية لوظائف الدعوة بمجمع البحوث الإسلامية :

أ ـ الترقية إلى وظيفة واعظ أول :

يرقى إلى وظيفة واعظ أول ـ الواعظ الذى أمضى فى الخدمة ثمانية أعوام على الأقل من تاريخ مباشرته العمل بالمؤهل العالى وبشرط ألا تقل درجة تقاريره السنوية فى العامين الأخيرين عن ٨٠ درجة .

ب ـ الترقية إلى وظيفة مفتش وعظ :

يرقى إلى وظيفة مفتش وعظ ـ الواعظ الأول بشرط أن يكون قد أمضى ستة أعوام على الأقل واعظا أول كمدة بينية وستة عشر عاما كمدة كلية اعتبارا من تاريخ مباشرته العمل بالمؤهل العالى ، وأن تكون تقاريره السنوية فى العامين الأخيرين بدرجة ممتاز .

جـ ـ الترقية إلى وظيفة مفتش أول وعظ :

يرقى إلى وظيفة مفتش أول وعظ ـ مفتش الوعظ بشرط أن يكون قد أمضى ثلاثة أعوام على الأقل مفتشا كمدة بينية ، وعشرين عاما كمدة كلية اعتبارا من تاريخ مباشرته العمل بالمؤهل العالى وأن تكون تقاريره السنوية فى العامين الأخيرين بدرجة ممتاز .

د. الترقية إلى وظيفة مدير تفتيش :

يرقى إلى وظيفة مدير تفتيش ـ مفتش أول وعظ يشترط أن يكون قد أمضى عامين على الأقل مفتشا أول كمدة بينية وأربعة وعشرين عاما كمدة كلية اعتبارا من تاريخ مباشرته العمل بالمؤهل العالى ، وأن تكون تقاريره السنوية فى العامين الأخيرين بدرجة ممتاز .

هـ ـ الترقية إلى وظيفة مدير الدعوة :

يرقى إلى وظيفة مدير الدعوة من يشغل وظيفة مدير التفتيش بشرط أن يكون قد أمضى سنة على الأقل بوظيفة مدير التفتيش كمدة بينية وانقضاء خمسة وعشرين عاما كمدة كلية اعتبارا من تاريخ مباشرته العمل بالمؤهل العالى وأن تكون تقاريره السنوية فى السنتين الأخيرتين بدرجة ممتاز .

وفى جميع الأحوال يشترط للترشيح لشغل وظائف الدعوة بمجمع البحوث الإسلامية المشار إليها استيفاء المرشح لشروط الترقية الأخرى الواردة بهذا القرار مع النجاح فى الاختبار وفق الضوابط المشار إليها بالمادة (٤) منه .

فضيلة الإمام الأكبر يستقبل الأستاذ الدكتور وزير التعليم العالى :

استقبل فضيلة الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر الشريف بمكتبه صبيحة ١٨ من صفر ١٤١٩ هـ . الموافق ١٩٩٨/٦/٣٠ م الأستاذ الدكتور مفيد شهاب وزير التعليم العالى ، وقد دار الحديث بينهما حول أوجه التعاون بين الأزهر الشريف وجامعة الأزهر مع الجامعات المصرية فى مختلف النواحى التعليمية والثقافية والعلمية .

كما بحث فضيلته مع الأستاذ الدكتور الوزير اشتراك أساتذة وطلاب جامعة الأزهر مع أساتذة الجامعات المصرية وطلابها فى مختلف نواحى النشاط الثقافى والعلمى والتعليمى فى العطلة الصيفية ، وكذا المؤتمرات والندوات العلمية والدينية على مدى العام الجامعى .

وقد وعد السيد الدكتور مفيد شهاب وزير التعليم العالى فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر بإفساح المجال لأساتذة جامعة الأزهر وطلابها فى كل مجالات النشاط الثقافى والعلمى والتعليمى والرياضى داخل مصر وخارجها ، والاستعانة بعلماء الأزهر وجامعته فى عقد الندوات الدينية ، وذلك لتبصير الشباب وتوضيح صورة الإسلام الصحيحة .

فضيلة الإمام يستقبل وفد مسلمى جنوب الفلبين :

استقبل فضيلة الإمام الأكبر بمكتبه فى ١٥ من صفر سنة ١٤١٩هـ ، الموافق ١٩٩٨/٦/١٠ م ، وفد مسلمى جنوب الفلبين برئاسة الدكتور/ طاهر سوليك وكيل وزارة الصحة بإقليم ماندناو الإسلامى يرافقهم الدكتور/ جمال أبو السرور مدير المركز الدولى الإسلامى للسكان بالأزهر .

رحب فضيلة الإمام بالوفد فى الأزهر الشريف وحملهم إبلاغ تحياته لإخوانه المسلمين بالفلبين ، أكد فضيلة الإمام الأكبر على استمرار التعاون مع مسلمى الفلبين وتقديم المنح الدراسية لأبنائهم للدراسة بالأزهر الشريف وجامعته العريقة .

كما أجاب فضيلته عن أسئلتهم واستفساراتهم حول السياسة السكانية وتنظيم الأسرة طبقا للشريعة الإسلامية حتى يمكن الاستفادة واتباع الشريعة الإسلامية بأن كل دولة تختلف عن غيرها وظروفها من دولة إلى أخرى ، وأن تنظيم الأسرة لا مانع منه شرعا مادامت هناك ضرورة تدعو إلى ذلك ، وللزوجين أن يتفقا على ذلك للحفاظ على صحة الأم والطفل ، ولها استخدام أى وسيلة يقرها الأطباء حسب الظروف الصحية للأم أو إطالة فترة الحمل بين كل طفل وآخر ، وهذا أمر لا مانع منه شرعا .

قدم رئيس الوفد شكره لفضيلة الإمام الأكبر وأشاد بدور الأزهر الشريف البارز فى العالم أجمع ، ونشر الثقافة الإسلامية من خلال بعثاته وعلمائه ، وخاصة لأبناء الفلبين المسلمين .

حضر اللقاء الدكتور/ جمال أبو السرور مدير المركز الإسلامى للسكان بالأزهر ، والدكتور/ محمد إبراهيم وكيل وزارة الصحة والسكان ، والمدير العام للإعلام والعلاقات العامة بالأزهر . ■

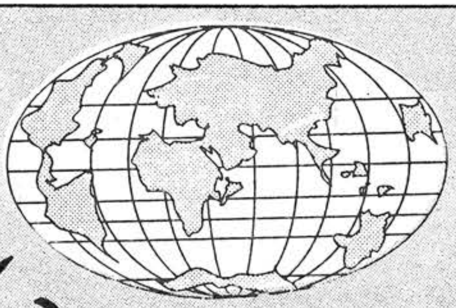

أخبار العالم الإسلامي

يحررها الدكتور
حسن على محمد

من المحرر :

« الدرس الباكستانى »

رحم الله القائل :

أمتى . . هل لك بين الأمم
منبر للسيف أو للقلم ؟!

يا أمة الإسلام . . هذه باكستان ردت الصاع صاعين ، وأثلجت صدورنا . . وقالت ـ عملياً ـ : إنه بإمكان الفقراء والضعفاء أن يكون لهم موضع قدم . . وبأنه لا يفل الحديد إلا الحديد . . وبأن الاستسلام جبن . . وأن الجبن سوء ظن بالله . . وماذا بقى . . من سلام مزعوم مع إسرائيل ؟ ولماذا إسرائيل فى عتوّ وغرور . . ؟ إن لديها ٢٠٠ قنبلة ذرية ، و٨٠ رأساً نووياً ؟ . . فلماذا تترك أرضاً اغتصبتها بقوة السلاح ؟ . . أمن أجل السلام ؟ . . وأى سلام ؟

يا إخوتى يا من تحسنون الظن بالعدو . . ليكن درس باكستان والهند درساً عملياً تحت أعين العقلاء . . إن الهند كانت تخاطب العالم فى خيلاء بعد تفجيراتها ، وخاطبت باكستان فى غرور يشبه الغرور الصهيونى ، حتى إذا فتح الله على باكستان وردت على الهند بستة تفجيرات . . سمعنا لغة أخرى من الهند ، ورأينا كيف ذابت نشوة النصر الهندى ؟ . . وبدأت التحيات والسلامات وبأنهم لا يريدون بالباكستان شراً .

يا أخى المسلم . . لا تنم . . فالعدو لا ينام . . وعدونا غدار . . وليس أمامنا سوى المضى فى طريق باكستان . . فهل يتحقق الحلم ؟!

مجلس الشعب يوافق

على تعديل قانون الأزهر

القاهرة : خاص لـ « الأزهر » :

الدراسة فى الثانوية الأزهرية ٣ سنوات . . بعد التصفيق الحاد الذى قوبل به الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوى عند دخوله القاعة الرئيسية لمجلس الشعب ، عم الهدوء المكان ، وتبارى الأعضاء فى الإدلاء بآرائهم ، فى تعديل قانون الأزهر ، الذى يجعل الدراسة بالثانوى ثلاث سنوات بدلاً من أربع .

وقد لاقى التعديل ترحيباً من الأغلبية ، ونقداً واعتراضاً من البعض ، وقال المؤيدون : إنه يحقق العدالة ، وتكافؤ الفرص بين طلاب الأزهر والتعليم العام ، ولن ينتقص من العلوم الشرعية ، ويتركز التعديل على حذف الحشو من المناهج ، كما يستهدف النهوض بالعملية التعليمية فى الأزهر .

أما المعارضون فقالوا : إن التعديل اجتهاد شخصى ، وليس مقدساً ، وأكد على صعوبة تدريس مناهج ٤ سنوات فى ثلاث سنوات ، وقالوا : إن مبررات التعديل غير كافية .

ومجلس جامعة الأزهر بحضور الإمام الأكبر يوافق على ثانوية الأزهر ٣ سنوات بدلا من أربع

وقبل عرض المشروع على مجلس الشعب ، كان مجلس جامعة الأزهر قد ناقش التعديلات ، ووافق على المشروع بشرط ألا يكون هناك حذف فى العلوم الشرعية والعربية ، وأن تخفض المواد الثقافية وتُزاد العلوم العربية والشرعية . . صرح بهذا الدكتور أحمد عمر هاشم رئيس جامعة الأزهر .

ورئيس مجلس الشعب يصرح : مجلس الشعب لا يملك مساءلة شيخ الأزهر

أكد الدكتور فتحى سرور - رئيس مجلس الشعب - أن شيخ الأزهر فوق الحساب البرلمانى ، رداً على ما أثاره العضو عبدالرحيم الغول بأن شيخ الأزهر ليس وزيراً فى الحكومة ، وبالتالى لا يملك المجلس محاسبته .

وشيخ الأزهر يصرح أمام أعضاء المجلس : أى أزهرى لا يحفظ القرآن لا يجوز أن ينتمى للأزهر

أكد فضيلة الإمام الأكبر : أن مشروع القانون لا يمس أبداً العلوم الشرعية ، وأنه تم الاتفاق على أن يحفظ الطالب ١٨ جزءا فى المرحلة الابتدائية وليس القرآن كله .

وقال الإمام الأكبر : إن الادعاء بأننا أنقصنا الكتاتيب غير صحيح ، بل نحن نشجعها وندعمها ، وتم رصد ١٧ مليون جنيه لدعم الكتَّاب .

وقال الإمام الأكبر : نعاهدكم ونعاهد الله : ألا ننقص أى شىء بالمواد الشرعية .

شيخ الأزهر :

مصر تقف دائما مع الحق والعدل

أكد الإمام الأكبر أن موقف مصر يعتمد على الوضوح .. وأنها تقف مع الحق حتى ينتصر ، وضد الظلم حتى يندحر .

جاء ذلك فى خطبة الجمعة ، التى ألقاها الإمام الأكبر بمسجد المجمع الإسلامى المتكامل بقرية الضهرية بمركز شربين بالدقهلية .

ورسالة من الامام الأكبر لبابا الفاتيكان

الفاتيكان : أ . ش . أ :

استقبل يوحنا بولس بابا الفاتيكان بالمقر البابوى الشيخ فوزى الزفزاف وكيل الأزهر ، ود . على السمان نائب رئيس لجنة الحوار بين الأديان ، والسفير حسين الصدر سفير مصر فى الفاتيكان .

وقد تم عقب اللقاء توقيع اتفاقية للحوار بين الأديان .

تركيا والأردن تفتحان أجواءهما للتدريب العسكرى المشترك

● **أنقرة ـ أ . ش . أ :**

قررت تركيا فتح مجالها الجوى لتدريب الطائرات الأردنية ، كما قررت الأردن فتح مجالها الجوى لتدريب الطائرات التركية ، وذلك على غرار الاتفاق العسكرى التركى ـ الإسرائيلى ، الذى يسمح باستخدام المجال الجوى للبلد الآخر فى عمليات التدريب .

حدث الشهر :

- **باكستان ترد على الهند ، بستة تفجيرات نووية .**
- **ابتهاج فى شوارع إسلام أباد .**
- **ارتباك فى البرلمان الهندى .**
- **غضب فى أمريكا ، وأوروبا ، وإسرائيل .**

إسلام أباد ـ واشنطن ـ نيودلهى : وكالات الأنباء :

أعلن رئيس الوزراء الباكستانى/ نواز شريف أن بلاده أجرت خمسة تفجيرات نووية ، ثم أعقبتها بتفجير سادس رداً على الاستفزاز الهندى ؛ لتتعادل الكفتان .

وقد جاء إعلان رئيس وزراء باكستان بعد ساعات من ورود الأنباء الأولى عن تلك التفجيرات على لسان وزير خارجية باكستان ، وعلى الفور منذ إعلان الأنباء ، أعلن الرئيس الأمريكى فرض عقوبات أمريكية على باكستان فى رد فعل فورى لم يتم مع الجانب الهندى حين أعلنت عن تفجيراتها . . بل كان النقد واهناً .

وقال نواز شريف :

إن بلاده اضطرت لإجراء تلك التجارب بعدما فشل المجتمع الدولى فى فرض عقوبات على الهند لإجرائها تجاربها النووية الخمس بحيث لم يعد أمام باكستان من خيار سوى المضى فى ذات الطريق .

وفى موقف يدعو للفخر والإحساس بالكرامة . . قال نواز شريف فى خطابه للشعب الباكستانى :

إن باكستان مستعدة لتحمل العقوبات الدولية التى قد تفرض عليها ، وقال : نحن مستعدون للعقوبات ، ولسنا مستعدين للتفريط فى أمن شعبنا ، ولا للتفريط فى كرامتنا . وقال : نحن على استعداد لنأكل الحشائش والأعشاب ولا نفرط فى كرامتنا . . !!

والهند تبدى استعدادها للتفاوض مع باكستان

نيودلهى : أ . ش . أ :

أبدى رئيس وزراء الهند أتال بيهارى فاجباى استعداد الهند للتفاوض مع باكستان محذراً باكستان من أى مخططات عسكرية بشأن جامو وكشمير المتنازع عليهما .

وأكد رئيس الوزراء الهندى على أهمية إقامة علاقات طيبة مع جيرانها ، بما فى ذلك الصين ، وأبدى قلق بلاده من التعاون الدفاعى بين الصين وباكستان ، وأنه يتعين على الصين أن تحترم وحدة أراضى الهند وسيادتها .

اتصالات تليفونية بين نواز شريف وقادة دول مجلس التعاون

إسلام أباد : أ . ش . أ :

أجرى رئيس الوزراء الباكستانى نواز شريف اتصالات هاتفية أمس مع عدد من قادة دول مجلس التعاون لدول الخليج العربى تم خلالها بحث الوضع الراهن فى شبه القارة الهندية فى ضوء التفجيرات النووية التى أجرتها باكستان .

و٤٦ دولة تطالب الهند وباكستان بالانضمام لمعاهدة حظر التجارب النووية

جنيف ـ وكالات الأنباء :

دعت ٤٦ دولة أعضاء بالمؤتمر الدولى لنزع السلاح فى جنيف أمس ، الهند وباكستان إلى التخلى عن برنامجيهما النوويين وطالبت الدولتين بالانضمام الفورى إلى معاهدة حظر التجارب النووية .

وفى الوقت نفسه أعلنت وزارة الخارجية الأمريكية أن وزراء خارجية الدول الخمس دائمة العضوية فى مجلس الأمن سيبحثون استراتيجية موحدة لمواجهة التفجيرات الباكستانية .

وباكستان تحذر من اعتداء إسرائيل على منشآتها

حذرت باكستان الولايات المتحدة من قيام إسرائيل بشن هجوم على منشآتها النووية ، وأذاع التليفزيون الإسرائيلى أن مسئولين باكستانيين أجروا اتصالات مع الإدارة الأمريكية والأمين العام للأمم المتحدة أبلغوهم فيها أن طائرات مقاتلة من طراز (F 16) هبطت أخيراً فى الهند لهذا الغرض .

مجلس الأمن يستنكر تجارب باكستان النووية وبريطانيا تدعو إلى اجتماع عاجل للدول الصناعية الكبرى

نيويورك ـ د . ب . أ :

وفى تداعيات القرار الباكستانى بالرد على الهند بإجراء ستة تفجيرات نووية .. أعرب مجلس الأمن الدولى عن استنكاره للتجارب النووية التى قامت بها باكستان ، غير أنه أشار إلى أن تلك التجارب أعقبت التجارب التى قامت بها الهند .

وقد حث المجلس كلا من الهند وباكستان على توقيع معاهدة منع انتشار الأسلحة النووية ومعاهدة الحظر الشامل على التجارب النووية .

ودعت بريطانيا إلى اجتماع طارىء لوزراء خارجية الدول الصناعية الثمانى الكبرى لبحث تطورات الموقف .

اندلاع معارك جديدة بين القوات الإريترية والأثيوبية

أفورقى : سندافع عن سيادتنا

أديس أبابا : الانسحاب أو الحرب الشاملة .

● أديس أبابا - أسمرة : وكالات الأنباء :

ذكرت مصادر رسمية أثيوبية أن معارك جديدة اندلعت بين الطرفين على طول الحدود المشتركة ، وقد تبادل الجانبان القصف المدفعى ، وأكد الرئيس الإريترى بأنه سيدافع عن سيادة بلاده بأى ثمن ، كما حذر وزير خارجية أثيوبيا من حدوث مواجهة عسكرية شاملة ، ما لم تنسحب القوات الإريترية من المناطق التى احتلتها قبل ١٢ مايو الماضى .

قوات التمرد بالجنوب السودانى تهاجم مسجدا وتدمره

إعلان التعبئة فى ولاية كسلا السودانية عقب مهاجمة المسجد

● الخرطوم - وكالات الأنباء :

ذكرت وكالة الأنباء السودانية أن حاكم ولاية كسلا الواقعة شرقى السودان قد أعلن حالة التأهب للحرب ، وأمر بالتعبئة العامة فى الولاية لصد الهجمات التى تشنها القوات المتمردة على مواقع القوات الحكومية .

يذكر أن قوات التمرد تسعى إلى خلع رئيس السودان بالقوة المسلحة لإعادة الديمقراطية للبلاد ، ولمنع تطبيق الشريعة الاسلامية على سكان الجنوب . . !!

الحكومة الأندونيسية تفتح ملفات الفساد

● جاكرتا - وكالات الأنباء :

فى خطوتين تعكسان حرصاً على الوفاء بوعود الإصلاح ، قامت الحكومة الجديدة بفتح ملفات الفساد فى عهد الرئيس السابق سوهارتو ، مع عدم استبعاد التحقيق معه إذا دعت الضرورة إلى ذلك .

وأعلن المدعى العام الأندونيسى أنه لم يمنع سوهارتو وأسرته من السفر ، وإن كان قد تلقى تأكيدات بأنهم لن يغادروا البلاد .

وقد أعلن مركز معلومات الأعمال التجارية الأندونيسى بأن ثروة سوهارتو وأقاربه تصل إلى ١٧,٥ مليار دولار ..!!

أفغانستان :

حركة طالبان ترفض وقف القتال

● كابول - أ . ف . ب :

صرح أمير خان وزير الإعلام الأفغانى أن حركة طالبان التى تسيطر على ثلاثة أرباع أفغانستان ترفض وقف القتال فى المناطق الواقعة شمال شرق البلاد ، والتى تعرضت لزلزال مدمر أسفر عن مصرع حوالى خمسة آلاف شخص .

يأتى هذا فى الوقت الذى واصلت فيه منظمات الإغاثة إرسال المساعدات الإنسانية لمنكوبى الزلازل .

كما قررت حكومة إسرائيل إرسال مجموعة خيام وأدوية لضحايا الزلزال إلى هناك رغم عدم وجود علاقات دبلوماسية بين البلدين .

divinité qu'Allah" et que cela vienne purement de son coeur ou de lui-même". **Hadith rapporté par Al-Bokhary.**

On comprend le fruit de la foi grâce aux paroles d'Allah-Gloire à Lui-qui dit: **[Que la crainte saisisse ceux qui laisseraient après eux une descendance faible (des enfants en bas-âge), et qui seraient inquiets à leur sujet; qu'ils redoutent donc Allah et qu'ils prononcent des paroles justes.]** **Surate 4 "Al-Nissa- (Les Femmes) V.9.**

Le verset nous prouve, que la foi dans les paroles est une assurance pour l'avenir des enfants, en cas du décés de leur tuteur. De plus, la foi amène l'amélioration des conditions et l'absolution des péchés, comme Allah-Gloire à Lui- Le promet en ces termes:**[Ô vous qui croyez! craignez Allah et parlez avec droiture, afin qu'Il améliore vos actions et vous pardonne vos péchés.]** **Surate 33 "Al-Ahzab"(Les Coalisés V.70 et 71.**

Certains des ulémas et des saints hommes de la communauté, sont d'avis que la parfaite pureté réside dans la vigilance même à l'égard de son propre souffle, de sorte, qu'avec chaque expiration l'on sent l'Omniprésence de l'Immuable "Al-Kayyum"-Gloire à Lui- et que c'est par Sa volonté qu'on subsiste, sans avoir d'espoir en la vie d'ici-bas et dans l'attente de la mort à chaque geste et à chaque repos. Certains d'entre eux, lorsqu'ils se réveillent le matin n'espèrent pas vivre jusqu'au soir et quand vient la nuit, ils n'espèrent pas revoir le matin. D'autres, lorsqu'ils inspirent n'espèrent pas expirer le souffle. Ils considèrent que ceci est le summum de la foi. Car selon eux, le serviteur d'Allah doit être entièrement dévoué à Son maître et Seigneur, à chaque moment et à chaque instant de sa vie. Ils se refèrent pour cela aux paroles d'Allah-Gloire à Lui- qui s'adressant au plus parfait dans la foi, le maître des dévoués (mokhliss) et le maître des délivrés (mokhlass) notre Prophète Mohammed-b.s-Il lui dit : **[Dis:"En vérité, mes prières, mes actes de dévotion, ma vie et ma mort sont déstinés à Allah, le Seigneur de l'Univers. A Lui nul associé! Voici ce qui m'a été ordonné, et je suis le premier à me soumettre.]**

Surate 6 "AL-An`am" (Les Bestiaux)V.162 et 163.

Isaac et Jacob qui étaient fermes dans leurs religion, leur vie et leur clairvoyance. Nous avons fait d'eux, l'objet d'une distinction particulière: le rappel de l'au-delà. Ils sont auprès de Nous, certes parmi les meilleurs élus.] **Surate 38 "Sâd" V.45, 46 et 47.**

Allah a dit également: **[Et mentionne dans le Livre Moïse. C'était vraiment un élu (Mokhlas) et c'était un Messager et un Prophète.]** **Surate 19"Mariam"V.51.**

Tous ces élus "Mokhlassoun" Satan n'a absolument aucun pouvoir sur eux comme Allah-Gloire à Lui- l'a signalé en ces termes: **[(Satan) dit:"Par Ta puissance, je les séduirai tous assurément. Sauf Tes serviteurs élus (Mokhlassoun) parmi eux.]** **Surate 38 "Sâd" V.82 et 83.**

Il nous dit également:**[(Satan) dit:"Ô mon Seigneur, parce que Tu m'as induit en erreur, eh bien, je leur enjoliverai la vie sur terre et les égarerai tous, à l'exception de ceux, parmi eux, qui sont Tes serviteurs élus "Mokhlassoun".]** **Surate 15 "Al-Hijr" V.39 et 40.**

D'un autre côté, la sincérité et la foi sont étroitement liées car une des conditions de la vérité de la foi: est la sincérité et une des conditions de la vérité de la sincérité: est la foi. On peut comprendre cela dans les paroles du Prophète-b.s-qui a dit:***"Le conseiller doit être loyal et ne doit jamais dévoiler les secrets d'autrui."*** ***Hadith rapporté par El-Termizie.***

Donc, le conseiller doit être loyal lorsqu'il conseille celui qui le consulte, sincère dans ces paroles et ses exhortations, désintéressé de tout profit ou d'éloges si ce n'est de celui qui connaît les choses cachées: Allah -Gloire à Lui-. Si ses conseils ont été éfficaces pour autrui, qu'il ne rappelle pas à ce dernier son bienfait, ni ne soit infatué de lui-même, mais qu'il attribue plutôt cette inspiration bienfaisante à Son Seigneur.

Ajoutons que la porte du repentir pour les non-purs est grande ouverte, comme Allah-Gloire à Lui- L'a signalé: **[Les hypocrites seront, certes, au fond de l'abîme du feu, et tu ne leur trouveras jamais de secoureur; sauf ceux qui se repentent, s'amendent, s'attachent fermement à Allah, et Lui vouent une foi exclusive. Ceux -là seront avec les croyants. Et Allah donnera aux croyants une énorme récompense.]**

Surate 4 "Al-Nissà" (Les Femmes) V.145 et 146.

La pureté est indispensable dans la foi, dans l'intention, dans les paroles et les actes, tout comme la sincérité. De sorte, que nous pouvons dire :pas de sincérité sans foi et pas de foi sans sincérité.

Cela est évident dans les paroles du Prophète-b.s-qui dit lorsqu'il fut questionné sur l'heureux élu qui aura mérité son intercession le Jour du Jugement Dernier : ***"Le bien heureux qui jouira de mon intercession le Jour du Jugement Dernier, c'est celui qui aura dit:"Il n'y a d'autres***

est purifié de toutes souillures. D'autres, disent que "Al-Ikhlas"c'est le fait de dénuer son intention de s'approcher d'Allah de tout ce qui est susceptible de l'altérer. Bref, "Al-Ikhlas"signifie: que l'acte soit accompli dans le but exclusif d'obtenir l'approbation d'Allah -Gloire à Lui -et cela sans aucune ostentation, ni recherche de renommée, ni salaire, ou de profit en ce monde, ni en vue d'être comblé d'éloges de la part des gens, comme Allah -Gloire à Lui -L'a indiqué en ces termes: **[C'est pour le visage d'Allah que nous vous nourrissons : nous ne voulons de vous ni récompense ni gratitude.]**

Surate 76 "Al-Insan" (L'homme) V . 9

La pureté de l'oeuvre est le fruit de la pureté de la foi . Parmi les modèles exemplaires de la fidèlité de l'oeuvre , citons ce Hadith du Prophète -b.s- qui dit :

" Sept catégories d'hommes seront à l'ombre d'Allah , le jour ou il n'y aura d'autre ombre que la Sienne : 1- Un gouverneur juste . 2- Un jeune homme qui a passé sa vie dans l'adoration d' Allah . 3- Un homme dont le coeur est attaché aux mosquées . 4- Deux personnes, qui s'aiment pour l'amour d'Allah, se réunissent et se séparent pour Lui . 5- Un homme,qui dans la solitude, fond en larmes en invoquant Allah. 6- Un homme qu'une femme noble , belle incite à l'adultère et à laquelle il répond : la crainte d'Allah m'empêche de commettre ce péché . 7- Un homme qui fait l'aumône en secret , si bien que sa main gauche ignore ce qu' a donné sa main droite ".

Hadith rapporté par Al- Bokhary .

Toutes ces oeuvres pies, ont été accomplies uniquement dans un seul but..celui de plaire à Allah ; c'est pourquoi leurs auteurs ont mérité ce que seuls les priviligiés méritent .

Le jour de la Résurrection, le soleil se rapprochera tellement de la terre, que les gens seront noyés dans leur propre sueur qui leur arrivera jusqu'au niveau des talons; certains d'eux, seront noyés jusqu'au niveau des genoux , de la taille ou encore des épaules , des oreilles et ainsi de suite ....

Donc, celui qui aura le privilège d'être abrité sous l'ombre de Son Trône, sera gratifié d'une chance inouie.

La foi est de deux catégories et chacun a sa part selon la place qu'il occupe auprès d'Allah et selon le degré de sa valeur auprès de Lui . Il y a le fidèle "Mokhliss" et le fidèle ".Mokhlass". Le premier "Mokhliss" (ou le dévoué), c'est celui qui a été guidé, par Son Seigneur, vers la pureté et qui s'est appliqué avec assiduité à purifier tous ses actes de toute imperfection, en ne visant par là que l'approbation d'Allah.

Le second est le "Mokhlass" (le délivré), c'est celui qui n'a obtenu cet honneur qu'en vertu du choix de Son Seigneur, qui l'a élu. Ceci, est une faveur et un don qu'Allah octroie à certains de Ses serviteurs, comme nous l'apprend la Parole divine: **[Souviens-toi de Nos serviteurs Abraham,**

La Foi

Traduction de:
Hoda Hussein Chaâraoui[1]

Al-Ikhlas ou la foi .

Le mot "Ikhlas" ou foi dérive du mot "Khulus" qui veut dire pur... Tout ce qui est purifié et débarassé de toute altération est nommé "Khalis". C'est dans ce sens, que nous trouvons les paroles d'Allah-Gloire à Lui-:

[Il y a certes un enseignement pour vous dans les bestiaux: Nous vous abreuvons de ce qui est dans leur ventre: un produit extrait, entre le chyme et le sang: un lait pur, délicieux et facile à absorber.]

Surate 16 "An-Nahl"(Les Abeilles) V.66.

Ce lait est donc pur, il ne contient aucune trace de sang ni d'excréments, ni dans la couleur, ni dans l'odeur, ni par sa densité ou son aspect... Mais, il est d'une blancheur immaculée et il est doué de particularités nettement différentes de tout ce qui l'entoure.

Chaque oeuvre sincère, pure de toute altération est nommée "Ikhlass". Mais, les gens ont pris l'habitude d'appliquer le mot "Ikhlas" aux oeuvres qui sont dépouillées de toutes imperfections et visant l'approbation d'Allah qui dit:**[Ils n'ont été chargés de prescriptions que pour le culte qu'ils vouent à Allah soit exclusif, en toute fidèlité.]**

Surate 98 "Al-Bayyina" (La Preuve évidente) V.5.

Il a dit aussi:**[C'est à Allah qu'appartient la religion pure.]**

Surate 39 "Az-Zumar" (Les Groupes) V.3.

Il a dit également:**[Dis: Il m'a été ordonné d'adorer Allah en Lui vouant exclusivement le culte.]** **Surate 39 "Az-Zumar (Les Groupes)V.11**

Il a dit également:**[Dis: C'est Allah que j'adore, à qui je voue exclusivement mon culte."]**

Surate 39 "Az-Zumar" (Les Groupes)V.14.

Les saints hommes de la communauté ont divergé sur la détermination du mot "Ikhlas". Certains d'entre eux disent, que "Al-Ikhlas": c'est la pureté de l'intention à l'égard d'Allah. D'autre disent, que"Al-Ikhlas": c'est le fait d'oublier de regarder les créatures en regardant continuellement le Créateur.

D'autres, disent que"Al-Ikhlas": c'est ce qui est caché aux créatures et qui

---

[1] Révérend Cheikh:Yassine Rouchdy

Ces premières réalisations sont encore dépourvues des futures caractéristiques typiques de la mosquée, la niche de prière (*mihrab*) ,le minaret et chaire à plusieurs marches (*mimbar*) . Pour le moment est seule obligatoire la direction de prière (*qibla*) vers Mekke .On ne connaisssait de même que le siège bas à deux degrés dont Mohammed(que la bénédiction et le salut de Dieu soient sur lui) se servait pour haranguer l'assistance , et à la place du minaret , d'où allait plus tard retentir l'appel à la prière , le premier muezzin , Bilal l'Abyssin , faisait retentir sa voix du haut d'un pilier , à l'intérieur de la mosquée,ou bien juché sur le toit .

D'autre particularités architecturales , correspondant aux exigences rituelles ou aux diverses fonctions assumées dès l'origine par ce monument à tout Etat musulman organisé y firent successivement leur apparition comme le mihrab , la maksoura, le minaret , le bassin pour ablutions mineures , les latrines et locaux pour ablution majeures , les annexes spécialisées pour les activités d'enseignement et pour le fonctiooement des institutions politiques et judiciaires .

L'exemple du masjid aménagé dans la demeure de Muhammad (que la bénédiction et le salut de Dieu soient sur lui) à Médine abriter tous les aspects de la vie politique et sociale à cette époque commanda l'organisation des premières interprétations architecturales de la grande - mosquée . Les traits propres à l'oratoire accueillant des fidèles pour la prière ne tinrent donc qu'une maigre place dans des programmes de construction qui étaient destinés surtout à mettre en valeur la personne ou l'autorité du souverain, originellement le calife ou ses délégués .

intérieure . Ce type de maison est déterminé par la cour à ciel ouvert entourée de mursde briques crues , sur laquelle donnent les diverses pièces , les appartements des femmes . A fin de pouvoir conduire ses entretienss avec ses ses compagnons à l'arbi du soleil , Mohammed (que la bénédiction et le salut de Dieu soient sur lui) y ajouta sur un côté un partique fait de troncs de palmier et couvert de palmes de terre .

Ainsi était crée le type spécifique de l'édifice sacré musulman , c'est - à - dire de la mosquée à cour . Avec la phase suivante le plan de cette mosquée à cour s'agrandit et se complique sensiblement le côté sud , celui de la direction de Mekke , présentant plusieurs rangées de supports avec toiture , donc une salle de prière nettement délimtée (haram) tandis que des portiques sont aménagés sur les trois autres côtés .

Les plus anciens exemples attestés , et non conservés de ce schéma agrandi de la mosquée à cour sont les mosquées de Basra (665) et de Koufa (670) en Irak , celle de Koufa offrant à la place des troncs de palmier primitifs cinq rangées de colonnes et en plus un système d'arcades doubles sur cour . L'ensemble biarticulé de plan barlong , composé de la cour (sahn) et de l'oratoire (haram) , qui n'obéit pas à une direction donné , mais accueille dans la cadence apparemment infin de ses rangées de supports , sa forêt de colonnes ou de piliers , un multitude de rangées d'orants , est la contribution spécifiquement arabe à la creation artistique du monde musulman .

La Mosquée de l'Islam

Dr . Abdel-Aziz Salem
Maître conférence à la faculté
d'archéologie .Université du Caire

Mosquée forme francisée de l'Arabe " *masjid* " qui désigne le monument cultuel le plus caractéristiqque de l'islam et de sa civilisation , sous les divererse formes architecturales et fonctionnelle que cet édifice put y revêtir , depuis le simple oratoire jusqu'à la grande Mosquée .

Le masjid est étymologiquement le lieu où l'on se prosterne c'est-à-dire le lieu où l'on accomplit la prière rituelle en se tournant vers la Ka'ba de Mekke , et toute mosquée était appellée masjid , cette désignation n'était cependant plus utilisée à partir du X e Siècle, que pour petites maisons de prière ordinaires , les mosquées principales, ou est prononcée l'oraison du vendredi (*Khoutba*) , recevant l'appellation de *masjid- i- djoum'a* (mosquée du vendredi)

Dans le sens littéral de djami ' se trouve déjà révéle le caratére de l'édifice sacré Islamique . A l'origine de la mosquée se situe la maison de Mohammed (que la bénédiction et le salut de Dieu soient sur lui) que celui - ci construisit après sa faite de Mekke à Médine , sur le plan traditionnel de la maison arabe à cour

miséricorde d'Allah transforme les péchés de Son serviteur repentant en actions louables. Ajoutons enfin que les bonnes actions effacent les péchés et que les aumônes que le musulman fait à ses proches et à ceux qui sont dans le besoin sont un moyen de se racheter des mauvaises actions commises.

Abu Saïd Al Khodry - qu' Allah soit satisfait de lui. - a rapporté ces paroles du Prophète - à lui bénédiction et salut -: "*Celui qui dit : j'accepte Allah pour dieu, l'Islam pour religion* et *Mohammad* - à lui bénédiction et salut- *pour Messager, aura mérité le Paradis*".

Dr. Rokeya GABR

intermédiaire entre eux et leur Créateur. Il les invite à revenir à Lui afin qu'Il leur pardonne, les guide et leur fasse rémission. [*Allah veut vous éclairer, vous guider vers les coutumes de ceux qui vous ont précédés et vous absoudre. Allah est omniscient et infiniment sage*]. [*Allah veut soulager vos peines et Il a créé l'être humain faible*].

Vois comment Allah veut guider les hommes et accepter leur repentir tout en affirmant qu'ils sont des êtres faibles!

Bien souvent l'homme oublie qu'il est faible et s'enorgueillit; mais il ne se rend compte de sa vraie faiblesse qu'en cas de maladie, d'infirmité ou de grand désarroi.

C'est alors que l'homme se rend compte à quel point la Parole d'Allah est vraie [*Allah ne connaît-Il pas ce qu'Il a créé; alors qu'Il est le Tout-bon et l'Omniscient?*]

Quand l'être humain tombe dans le plus profond désespoir en ayant la certitude qu'il est à court de moyens, et qu'il se rend compte de son impuissance, alors la miséricorde d'Allah vient à son secours, le sauve et le porte sur ses ailes jusqu'aux rives de la sécurité et de la paix, en le ramenant à l'amour de la vie paisible. Le repentir l'a anobli, a purifié son âme et l'a apaisée. Il regagne sa confiance en lui-même et dans la vie.

Allah ouvre Ses mains durant la nuit afin que les pécheurs de jour se repentent et Il ouvre Ses mains durant le jour afin que les pécheurs de la nuit se repentent.

Allah dit:[*Si mes serviteurs t'interrogent sur Moi, Je suis proche et Je réponds à l'appel de celui qui M'invoque quand il M'invoque. Qu'ils répondent donc à Mon appel et qu'ils croient en Moi; peut-être reviendront-ils à la raison*].

Allah invite donc Ses créatures à se tourner vers Lui en L'invoquant, en se confiant à Lui et en se repentant. Lui, en échange, leur accorde Son pardon et la rémission de leurs péchés. Il leur dit: [*N'aimez-vous pas qu'Allah vous pardonne?*].

Ce n'est point seulement cela; mais la générosité d'Allah va plus loin: puisque le repentir est sincère et qu'on a la ferme résolution de ne plus récidiver, alors la

Le Repentir et la Miséricorde d'Allah

par Dr. Rokeya Gabr

Il ne faudrait pas nous étonuner du fait que l'être humain commet des fautes car ceci est conforme et propre à sa nature même

L'être humain commet la faute afin de pouvoir se repentir à Allah en renconnaissant son péché et en l'avouant à son Créateur. C'est par là que se justifie l'un des plus parfaits attributs d'Allah, celui du Rédempteur.

Tout fils d'Adam est pécheur et les meilleurs pécheurs sont ceux qui ne cessent de se repentir.

Après que l'être humain a commis la faute, se laissant glisser sur la pente du péché si, à la suite de cela, il exprime son regret et son repentir, il trouve que la miséricorde d'Allah lui rend le respect de soi, car Allah dit: [*Ma miséricorde s'étend à toute chose*]. et Il dit également: [*Allah agrée le repentir de Ses serviteurs et pardonne le péchés*].

Tout être humain est susceptible de se tromper, car seuls les Anges sont purs de tout péché, alors qu'il est tout naturel que l'homme fasse des fautes. L'être humain infaillible n'existe point sur cette terre et, si même il existait, il n'aurait point de place sur cette planète parmi les humains.

Nous voulons dire par là aux pécheurs que les péchés qu'ils ont commis ne les poussent pas au désespoir ni au manque de foi en la miséricorde d'Allah, car le désespoir est lui-même un crime: il mène à la ruine de l'individu et de ses rapports avec autrui, avec le monde et avec Allah. [*Seuls les gens incroyants désespèrent du retour vers Allah*].

Les portes de la rédemption sont grandes ouvertes et n'ont point encore été fermées. Les humains sont les créations d'Allah et Ses créatures et il n'y a aucun

REVUE
AL AZHAR

Rabiy EL-Awal - 1419 H., July 1998 Vol. 71 Part III

Section Francaise

Comité de Rédaction :

Dr. Rokaya GABR, Professeur au Départe ment de Langye Francaise et de Traduction M.Mohammad OMAR Traducteur en chef au Centre de Recherches Islamiques

think how to understand natural phenomena in a proper and scientific way. He should learn how to study, analyze and utilize these phenomena for the welfare of the human-being in the way used in non-Muslim countries. Allah Almighty has created all natural resources to serve the human being. In the verse of Holy Qur'an Allah stated that He has made seas, mountains, skies, animals and all on earth and all in skies are for the benefit of the human being. It is an application of such concept that led Abi Hamid Al Ghazali, the gerat Muslim scholar of medieval Islam to state that, «The best and noble job is to be either writer or physician or behind a plough». In other words it is the jobs of intellectual or scientists or farmers. Are n't these jobs and functions the pillars of activities at that time. I have no doubt that If Ghazali is alive today he would speak about science, technology, computer and the revolution in communication and information.

A good Muslim has to engage himself into society. He has to live, to act and to interact. He has to influence and to be influenced by the dynamics of life without any prejudice to the proper Islamic ideals or principles.

It is a shame to say that all inventions have been done by the non-Muslims, either in the east or in the west. While the Muslims mostly use the outcome of the new technologies. They are mostly in the receiving and not in the sending one. It is time that Muslims reconcider their position, open their minds and use their faculties to serve their cause.

It is a crime not only against Islam but also against humanity to close the Muslim mind. It is absolute nonsense to lock the Muslim mind in the way it used to be in the world so many centuries back. Thus upholding the Muslim ummah at ransom, due to inertia in their thinking, in their action and in their parochial approach to life and society, is the fastest way to self-destruction of the Muslim countries.

This is totally contrary to the concept of Islam. It is contrary to what is said in Qur'an or in Sunnah of the Prophet (peace be upon him) and also contrary to the message of Islam which is an eternal message. Such a message cannot be eternal if we close our mind and keep thinking and acting in the way our ancestors used to do, many centuries ago.

The Muslim mind had to be reactivated to build a civilization like it did in the past. It has to be reactivated to work in an investigative way like it used to be in the days of the great Prophet of Islam (peace be upon him). It has to be reactivated to implement the concepts contained in the Holy Qur'an, «In yourselves cann't you see wonders ! in the skies signs for those who believe». It is an eternal call for science and technology. It is an eternal call for research, study and development. It is an eternal call for continuous search for knowledge by every one in society man and women alike. It is time to ponder thoroughly on the true message of Islam. It is time to go deep into the roots of Islam not to live in the fringes of life and society. It is time to contribute in the human civilization not to live on the borrowed inventions by other nations. This is the real spirit of Islam. It is the way to rebuild Muslim society in the 21st century.

veloped. It is even worse that some Muslim thinkers feel that democracy and Islam cannot go together. The status of human rights in the Muslim world in general is far from being satisfactory while Islam from the first day of its advent is advocating the inviolability of the human being and the sanctity of his blood and the protection of his property.

On the occasion of hijjatul widaa, the great Prophet (peace be upon him) has highlighted in his sermon these principles which regrettably are not adhered to by the Muslims of today. Worse of all that some self styled Muslim scholars do not promote the concept of tolerance, harmony and moderation. On the contrary they advocate violence, non-tolerance, hatred, bigotry and prejudice towards other groups who do not share their thinking or who are not member of their school of thought.

Leaving the internal problems aside, if one casts a look at the international level. one finds that some Muslim countries are punished by the international organizations. The UN security council is imposing sanctions on certain Muslim countries. United Nations resolutions pertaining to the rights of the Muslims are not implemented while resolutions against Muslim countries are imposed even by force. The talk about double standard is a very serious one. It reflects «the real poliytque» at international level.

One can ask why this state of affairs ? The simple answer is that the Muslim countries are weak and disunited a matter which others normally take advantage it is a well known fact that International relations are based on three concepts : the national sovereignty, the national interest and the national power. The Muslim countries had to adopt proper approach towards their internal problems as well as towards the external situation. Such an approach is stipulated for in the Holy Book. One of the illuminating verses of Qur'an says that, Allah does not change the condition of people until they change what is in their hearts. (13 : 10) the thunder

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾

In the words of some religious scholars of old good days which say charity starts at home. The Muslim countries had to start at home, searching in their soul, in their practices and in their thinking as well as in their tradition to reshape them to reflect the proper ideals and values based on the golden principles of Islam to face the new challenges at national, regional and international arena.

In the creation of the heavens and the earth; in the alternation of night and day in the ships which sail in the sea with what profits mankind. (2 : 164) the cow

﴿ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ ﴾

A Muslim has to think not in a Beduin way as in the early days of Islam where camel and horse were the main vehicles of transport and war. He has to think as an individual living in the 21st century adhering to Islam. He has to have an approach (Minhaj) to

OBSERVATIONS MADE BY H.E. DR. NOMAN GALAL AMBASSADOR OF THE ARAB REPUBLIC OF EGYPT AT A SEMINAR ARRANGED BY M/R KHALIL UR REHMAN MEMORIAL SOCIETY ON PROBLEMS FACED BY MILLAT -E-ISLAMIA AND THEIR SOLUTION HELD AT ALHAMRA HALL, LAHORE ON MARCH 30, 1998

No doubt that the Muslim world today is not only facing great challenges but also passing through a very diffcult period unprecedented in its long history.

It is needless to say that nations grow and develop if certain pillars existed and played their role in such a process. Among these pillars : the cohesion of the sociery. The elaboration of a sound strategy based on sound ideology and the existing of tactics or ways and means to implement the strategy. In other words a vision is necessary to lay down goals and objectives as well as to elaborate means to achieve these objectives.

A scholar, such as Hamish Mc. Rae in his book, «The world in 2020» published in 1995 by Harper collins. Analyzed the world situation of today. I quote :

«The old motors of growth - land, capital and natural resources, no longer matter. Land matter little because the rise in agriculture yields has made it possible to produce for more food in industrial world than it needs. Capital no longer matter because it is at a price almost infinitely available from the international market for revenue generating projects. And natural resources in recent times have fueled economic growth in only a tiny handful countries mostly in the Middle East. These quantitative assets. Which have traditionally made countries rich, are being replaced by a series of qualitative features which boil down to the quality, organization motivation and self-discipline of the people who live there. The human skills became more important.

If we cast a look at the Islamic Ummah today, unfortunately we find the vision is lacking, the goals are blurred and the means are controversial. That situation led some thinkers to lament the state of the Muslim Ummah and even some go to the extreme to say it neither Ummah, nor Muslim. For a simple reason they are disunited, disintegrated, fighting among themselves and ignoring the principles of Islam which advocates peace, tolerance, non-violence and moderation.

It is a pity that the Muslim countries mostly are non-democratic and underde-

creatures in heavens, jinns, angels and a whole new knowledge not known previously before the Qur'an, as A book, Galileo is A testimony that human's were in the dark concerning space as well as earth.

No greater love than the muslim love of Allah :

In Mecca, where Prophet Muhammad (MPBUH) slept the night of his travel to the Aqsa Mosque and his ascent to the heavens, is also where he was born, it is also the house of Abraham (MPBUH) considered father of religion, which was purified from all symbols of darkness and idolatory by Abraham, and later declared free from idolatory by prophet Muhammad (HPBUH), the inviolable mosque of Mecca is where millions of muslims go for pilgrimmage on certain days of the year and also for visits all year round Millions go there in white cloth symbolizing the light of surrender to Allah, out from the darkness of evil. The white cloth also symbolizes their readiness to die for Allah and for Islam, for all that Allah has Ordained, it sympolizes seeing the light, accepting Allah's wisdom and guidance, accepting that glory to Him is their creator. He created, heavens, earth, humans, and what is in them, and to Him they return. The white cloth is in fact a symbol of the burial cloth with the call of the pilgrimmage which is : «The muslims believe in one Allah, in all the prophets and messengers without distinction and in all three Books comprising the word of Allah. The Muslims are Allah's most loved and blessed people. we the muslims are very thankfull to Allah for His forgiveness and mercy and for allowing us the ascent spiritually to the glory of His light in our prayers, praise To Allah in His Mercy.

what is of more importance is that up of the dead to life, «Because God is the truth, And surely he raises the dead forth to life». (22:6) Pilgrimmage.

﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾

five daily prayers were decreed, the prayers were then to mean that muslims can spiritually ascend to the presence of Allah five times A day.

This is the true meaning of the journey and ascent, human in Islam is finally forgiven and admitted in the presence of the light of Allah in heavens. Prophet Muhammad (MPBUH) speaking for muslims and on their behalf and Allah taking mercy on muslims means that muslim can be elevated to be heard by Allah Almighty. That knowledge now menas the universe with muslims no longer expelled, cursed or confined, but blessed and with the infinite possibilities infinite of Allah's mercy, and help.

In other words :

The journey of man from darkness to light is fulfilled in Islam where the original curse of expulsion from Allah's presence and form heavens down to earth is forgiven in Allah's greatest gesture, inviting Prophet Muhammad (MPBUH) to his presence, in the light of his presence, in the heavens.

That the journey and the ascent of prophet Muhammad (MPBUH) is also a demonstration that man can with the help of Allah travel very long distances incredibly fast. this travel can be on earth, from one place to another which is the first part of prophet Mohamed's journey (MPBUH) taking him first to the Aqsa Mosque. This travel could also have taken place in space : in the heavens which is the ascent. had it not been for prophet Muhammad's (MPBUH) describing in a detailed account not only the Aqsa Mosque which he has not seen before, but also his account of who were there at the mosque and the caravans on the road, All in details. These were later confirmed from the arrival of the caravans and from people travelling from there, had it not been for that, the credebility of the prophet could have been doubted. with the sure verification it became a miracle celebrated in Islam. Furthermore two suras confirm it : the night journey, sura 17, and the star sura 53.

﴿ وَالْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَىٰ ﴾

The prevailing opinion is that spirits and minds can go where bodies cannot. A disengagement of some kind of the intellect or the mind and of the spirit that would have A physical sense in travel and at distances. the prophet did speak of A real and very clear experience which some of the muslim scholars say that Allah is capable of That and of everything else praise and glory to Allah.

The journey of prophet Muhammad (MPBUH) is forgiveness, for being readmitted to the heavens and to Allah's light, is a mercy in that Allah Almighty allowed Muhammad (MPBUH) what he asked for in reducing the number of prayers, and is coming out of darkness to the light, the ultimate light of Allah. This light is also the light of knowledge, no darkness there, the Qur'an as amatter of fact is full of information and very advanced knowledge of the universe with great emphasis on space, planets, orbits, galaxies, constellations, the distances and the different

Islam And The Great Qur'an

Part VIII

by Ambassador Maha Fahmy

The night journey of Prophet Muhammad (MPBUH) :

The Ascent to the Heavens and back, a universe.

When Allah smiled love and forgiveness upon muslims, our world turned to universe. This gesture from Allah to Prophet Muhammad (MPBUH); inviting Him to the ascent to Allah's presence is the greates in signifcance in human religious history. Prophet Muhammad (MPBUH) saw the light, was allowed to ask mercies for the muslims, to negotiate the number of prayers on the muslims behalf. The numer of prayers suggested from Almighty was much greater at first, yet aftar Prophet Muhammad (MPBUH) supplicated Allah, it was Granted from Allah The merciful, and the mumber of prayers became five daily. More was discussed, and Prophet Muhammad (MPBUH) learned Agreat deal more than he could have lmagined. In his ascent, Prophet Muhammad (HPBUH) learned some of Allah's greatest signs, the fact that Allah is One, that all the religions are one despite the diffrences and that all the prophets were muslims to Allah.

Before the ascent to heavens, Prophet Muhammad (MPBUH) visited the aqsa mosque, where he led A muslim prayer with all of the prophets, talking with them and, also meeting them during his ascent. The entire night journey took place in the inviolahle mosque in mecca on the night of the 27, of the Arabic lunar month of rajab. A celebrated event and A great religious occasion for Islam and muslims around the world.

During prophet's Muhammad (MPBUH) presence in the light of Allah, when the

AL-AZHAR MAGAZINE

Rabiy EL-Awal - 1419 H.,

ENGLISH SECTION

Vol. 71 Part III

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ

الأعراف / ٤٣

" Praise be to Allah,
who hath guided us
to this (felicity): never
could we have found
guidance, had it not been
for the guidance of Allah:
Indeed it was the truth."

(AL A'raf 43)

EDITORS; Dr. TRANDIL H.EL RAKHAWY. PH.D.

Dept. of English Language and Translation
AL - Azhar University.

ADEL REFAI KHAFAGA.M.A.
Executive Secretary
Al Azhar Magazine.

الفهـرس

الموضوع	الصفحة
● لمحة من تاريخ الإمام الراحل (محمد متولى الشعراوى)	٣٢١
● الافتتاحية (ذكرى ميلاد) نبى الرحمة محمد ﷺ لفضيلة الشيخ عبد المعز عبد الحميد الجزار	٣٢٥
● تفسير سورة البقرة لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر	٣٣٠
● قبس من انوار النبوة : بعث الرسول بالهدى والعلم لفضيلة الشيخ على حامد عبد الرحيم	٣٣٥
● سر عظمة الرسول « ﷺ » لفضيلة الشيخ محمد صابر البرديسى	٣٣٨
● محمد اشرف الخلق للشيخ السيد عبد المقصود عسكر	٣٤٣
● رسول الإسلام « راعى الغنم الذى يفخر به العالم والإنسانية » للأستاذ الدكتور محمد عبد المنعم خفاجى	٣٥٣
● النسب الزكى لفضيلة الشيخ أحمد بن محمد طاحون	٣٦٠
● مولد قائد الخلق إلى الهدى والحق للشيخ محمد حافظ سليمان	٣٦٢
● من اخلاق خاتم الرسل والأنبياء محمد «ﷺ» للمستشار محمد عزت الطهطاوى	٣٦٥
● حول الذكرى العطرة « التاسى بإمام الأنبياء وخاتم المرسلين للشيخ عبد المنصف محمود عبد الفتاح	٣٧٢
● حديث الفؤاد فى مولد خير العباد للأستاذ الدكتور مبروك عطية أبوزيد	٣٧٧
● فى رحاب الذكرى العطرة للأستاذ ثروت السيد العراقى	٣٨٠
● الجمال وصف لخلق وخلق الرسول للأستاذ محمد عبد العظيم الجوهرى	٣٨٤
● اضواء حول عالمية الإسلام واستمراريته للأستاذ الدكتور أحمد عبد الرحيم السايح	٣٨٧
● لماذا يخاف الغرب الإسلام ؟ للأستاذ الدكتور محمد إبراهيم الفيومى	٣٩٤
● المسئولية الاجتماعية للمسجد فى المجتمع المصرى المعاصر للأستاذ الدكتور/ محمد محمد البادى	٣٩٨
● الإيمان وسيلة للسعادة للدكتور أحمد عبد الله الطيار	٤٠٣
● قادة الخلفاء (ابو بكر الصديق ـ رضى الله عنه) للأستاذ أحمد السيد تقى الدين	٤٠٨
● استفتاءات القراء للشيخ السيد العراقى شمس الدين	٤١٨
● طرائف ومواقف للأستاذ عبد الحفيظ محمد عبد الحليم	٤٢٢
● من اعلام الأزهر : محمد محمد المدنى للأستاذ الدكتور محمد رجب البيومى	٤٢٤
● من روائع الماضى . موهبة النبى ﷺ السياسية للشيخ محمد محمد أبو شهبة	٤٣٠
● تاثر البوصيرى وشوقى بابن الفارض فى بردتيهما للدكتور سعد ظلام	٤٣٤
● خميلة الشعر للأستاذ محمد عبد الوهاب	
● ايها الحادى بآيات الكتاب شعر محمد فتحى نصار	٤٤٠
● رسول الرحمن للشاعر عبد العاطى موسى	٤٤٢
● فى رحاب المولد النبوى الشريف للشاعر محمود حسن عونى	٤٤٣
● ربيع الوجود محمد ﷺ شعر : أسامة كامل الخريبى	٤٤٤
● شاعر الشعراء زهير بن أبى سلمى	٤٤٦
● نعى الأمة الإسلامية والعربية	٤٥٠
● فقه المصطلحات العلمية للأستاذ الدكتور أحمد فؤاد باشا	٤٥٦
● الصحة الإنجابية « بعض مشاكل المراهقة عند الفتيات » د . أحمد رجائى عبد الحميد	٤٦٠
● الارق وطرق علاجه بين عبث الماديين وهدى الإسلام للأستاذ مجدى عبد الحميد بشير	٤٦٢
● دوحة الكتب إعداد : محمود القشنى	٤٦٩
● بين المجلة والقارىء للأستاذ : عادل رفاعى خفاجة	٤٧٦
● انباء مكتب شيخ الأزهر الشريف إعداد الأستاذ : عمر البسطويسى	٤٨٢
● اخبار العالم الإسلامى للدكتور حسن على محمد	٤٨٩
● مقالات القسم الفرنسى	
● المقالة الثالثة د . هدى حسين شعراوى	٤٩٧
● المقالة الثانية عبد العزيز سالم	٥٠٠
● المقالة الأولى د . رقية جبر	٥٠٣
● مقالات القسم الانجليزى	
● المقالة الثانية	٥٠٧
● المقالة الأولى للسفيرة مها فهمى	٥١٠

الأزهر

مجلة شهرية جامعة

تأسست عام ١٣٤٩هـ - ١٩٣١م

وصدر العدد الأول في المحرم ١٣٤٩هـ

يصدرها

مجمع البحوث الإسلامية

في مطلع كل شهر عربي

• • •

المشرف العام

رئيس التحرير

عبدالمعز عبدالحميد الجزار

مدير التحرير

عبدالحفيظ محمد عبدالحليم الخطيب

سكرتير التحرير

عادل رفاعي خفاجة

المراسلات باسم

مدير التحرير / إدارة الأزهر / القاهرة.

ت : ٢٦٣٨٥٩٩ - ٥٩٠٥٤٧٣

الاشتراكات : قسم الاشتراكات بالأهرام

شارع الجلاء - القاهرة

مصر

الأزهر الشريف

الحمد لله ، والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله محمد وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه .

أما بعـــد

ففي عام ١٩٨٩ حينما كنت رئيساً لبعثة الأزهر الشريف في أندونيسيا وجهت إلى من الحاج عبدالملك رئيس معاهد الأسعدية ورئيس إذاعة الأسعدية دعوة لزيارة منطقة سنكان واجو في جزيرة سولاويسي بأندونيسيا ، وانشرح صدري لتلبية هذه الدعوة .

وفعلاً ركبت الطائرة من جاكرتا إلى أوجونج بادانج بسولاويسي ، وماأن وصلت الطائرة إلى المطار حتى فوجئت باستقبال رائع وحشد كبير من الناس كلهم جاءوا لاستقبال رئيس بعثة الأزهر ، وركبنا السيارات في مظاهرات ضخمة تعبر عن مدى حبهم للأزهر ولعلمائه ، وسارت السيارة ساعات حتى وصلنا إلى مدينة باري باري ، ثم اتجهنا جنوباً إلى حيث المنطقة المقصودة .

وبعد مرور سبع ساعات بالسيارة رغبنا فى الاستراحة بعض الوقت ، وفى هذه الأثناء جاء متحدث باللغة العربية الفصيحة وعانقنى بحرارة وشوق وقال : أنا متخرج فى الأزهر الشريف منذ سنوات ، ولا يمكن أن يمر الركب إلا وتنزلون فى ضيافتى ؛ كى أرد لمصر وللأزهر بعض حقوقه علينا ، فشكرته ، واعتذرت لأننى أخبرت أن الطريق طويل ويحتاج إلى عشر ساعات ، واستمر سيرنا إلى أن وصلنا إلى منطقة سنكان واجو ، وما أن أشرفت على مداخل هذه المنطقة النائية إلا وجدت الأعلام واللافتات التى ترحب بالزيارة ، كل ذلك فى مشهد دمعت فيه العيون ، وتعالت الهتافات محيية مرحبة بمقدمنا وكان على رأس المستقبلين حاكم المنطقة وكبار المسئولين فيها ، وهناك وجدت ما لا أستطيع وصفه من روعة الاستقبال كل ذلك لأن الأزهر له مكانة فى قلوب هؤلاء ، وحب جارف لمصر . . الأزهر الشريف . . ثم استمرت الزيارة ثلاثة أيام ، وكانت إقامتى فى فندق أطلقوا عليه اسم الأزهر وقمت بإلقاء عدة محاضرات فى الإذاعة الأسعدية ، وزرت المسجد الكبير فيها فوجدت عالماً من أهل المدينة جالساً فى درس فقهى على المذهب الشافعى ، ويتحدث باللغة العربية الفصحى ويشرح بعض العبارات باللغة الأندونيسية فحييته وسلمت عليه وعلمت أنه تخرج فى الأزهر منذ سنين ويقوم بالتوعية الدينية ، ثم ألقيت فى وقت لاحق محاضرة فى هذا المسجد تحت عنوان اللغة العربية لغة القرآن . . ترجمت على الفور باللغة الأندونيسية بواسطة أحد أبناء الأزهر المرافقين لنا ، ثم قمت بزيارة المؤسسات التعليمية للأسعدية التى منها كلية الشريعة ومعاهد المعلمين والمعلمات . . . إلخ .

وهنا أدركت مكانة الأزهر وأهمية رسالته فى هذه الجزر البعيدة ، ومدى تعلق المسلمين بحب مصر الأزهر الشريف ، وأن كل متعلم يتمنى أن يحظى بالتعليم الأزهرى فى ربوعه ، لأن مصر تعيش فى هذه المناطق بالأزهر ، ولا عجب فإن مصر تنفرد بالأزهر : قلعة الإسلام منذ ألف عام ، قبلة المسلمين العلمية ، محط الآمال ، ومطمح الأنظار ، حافظ القيم وراعيها ، وحفظ الله لنا به ديننا ولغتنا العربية : لغة القرآن الكريم ، لغة أخلد كتاب فى الوجود ، لغة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ لغة أهل الجنة أبقاه الله ورعاه وحماه من كل شر ، ولا غرو فالعلماء هم مصابيح الدجى فى بحر الحياة المتلاطم . وإن تاريخ الأزهر الشريف هو صفوة تاريخ مصر ، وتاريخ مصر هو صفوة تاريخ الأمة العربية ، والشعوب الإسلامية ، القائم على العقيدة الإسلامية ، التى أضاءت بنورها ظلمات الجهل والوثنية .

وحقيقة فإن الأزهر الشريف وإن كان مصرى المواطنة ، فإنه إسلامى الانتماء ، عربى اللسان ، وفوق هذا وذاك فهو معقل حضارة ، وإشعاع فكرى أثرى الإنسانية ، وأسهم فى صرحها العلمى الشامخ عبر القرون والأجيال .

الأزهر : حامل رسالة الحق .

الأزهر : حامل لواء آخر دين نزل من السماء إلى الأرض ، كفل الله حفظه حتى يرث الله الأرض ومن عليها .

الأزهر : معقل حضارة ، ومصدر الإشعاع الفكرى للإنسانية .

الأزهر : حياة مصر الإسلامية ، وقلبها النابض .

مصر العربية : هى الأم للعرب والمسلمين فى كل قطر من أقطارهم ، وفى كل ذرة تراب يقف فوقها عربى ومسلم ، منذ أن دخلها المجاهد عمرو بن العاص وإلى الغد بمشيئة الله .

مصر الأزهر : أرسلت البعوث ودرَّست الشباب وغرست العقيدة فى أفريقية وآسيا وفى كل مكان .

مصر العمالقة : الشعراوى والعقاد ، والرافعى والمنفلوطى والزيات .

مصر التى رفعت رأس أمة العرب فى الحروب الصليبية وفى العاشر من رمضان .
الأزهر كما قال الأستاذ البتشتى : صوت الحق ، نطق به الزمن فدوت له أرجاء الدنيا ، وسيظل بسمة أمل للشعوب الإسلامية تفتح العقول بالعلم والمعرفة ، وتنفذ إلى القلوب بالإيمان والحكمة ، وسيمضى فى صفحات الزمن يذكره كل إنسان عرف ربه واستقامت سريرته ، ونمت فى فؤاده معرفة الله ـ وترعرعت فى قلبه نسمات الحب والفضيلة تسير به فى حياته ، تعزه وتسعده وتعلو به فوق مشقات الزمن وعسر الأيام .

من مكة والمدينة بعثت الدعوة الإسلامية ، وحضارة هتف بها القرآن الكريم فى أنحاء الدنيا ، ثم كان الأزهر بعدهما مناراً لدعوة الإسلام ، تجاوبت فوق مآذنه أصوات الهداية إلى الدين ، ومن أبوابه إشعاعات الإصلاح للعالم الإسلامى فى كل مكان .

فى صحنه اجتمع أبناء المسلمين من شتى بقاع الأرض ، ليربطهم برباط الأخوة ، ويقوى بينهم أواصر المحبة والألفة ، ويملأ قلوبهم بالخير ، ويثقف عقولهم بالحكمة ، ويشعل بصائرهم بالعزم ، ويرشد نفوسهم إلى محبة الله ، ليكونوا خير هداة لأممهم ، وأصلح دعاة يتحقق بهم مجد الإسلام وقوته .

والأزهر منذ أنشيء فى ٢٤ من جمادى الأولى عام ٣٥٩ هـ (٩٧٠) ، وتمت إقامة أول جمعة به فى السابع من رمضان عام ٣٦١ هـ أصبح محط رحال طلاب العلم ، وأنشئت الأروقة التى ضمت الكثير من أبناء العالم الإسلامى الوافدين للدراسة فى الأزهر ، وقد وجد الأزهر من المسئولين كل رعاية وعناية ، واهتمام به وبرسالته ، ودليلنا على هذا مالاقاه الأزهر من ترميم وتجديد كامل له فى وقتنا الحاضر ، فى عهد الرئيس محمد حسنى مبارك ؛ حفظه الله ورعاه وأجرى الله على يديه الخير لمصر وللمصريين .

سائلا المولى - عز وجل - أن يوفقنا لخدمة ديننا ، وعزة أمتنا ، حتى نتبوأ المكانة اللائقة بنا إنه خير مسئول ، وأعظم مأمول وبالله التوفيق والهداية .

عبد المعز عبد الحميد الجزار

احتفال مصر بذكرى

المولد النبوى الشريف

كلمة السيد رئيس الجمهورية

كلمة فضيلة الإمام الأكبر
شيخ الأزهر

١٢ من شهر ربيع الأول سنة ١٤١٩ هـ - ٦ من يوليو ١٩٩٨ م

كلمة السيد رئيس الجمهورية
فى
احتفال مصر بذكرى
المولد النبوى الشريف

فى هذه المناسبة الإسلامية المجيدة ، وفى ليلة الاحتفال بذكرى مولد خاتم الأنبياء الذى أرسله الله رحمة للعالمين ، يسعدنى أن أتوجه إليكم جميعاً باسمى وباسم شعب مصر المؤمن ، بالتهنئة والتحية ، آملاً أن يكون اجتماعنا فى تلك الليلة المباركة مناسبة نستمد فيها القوة ، ونستلهم الهداية من سيرة النبى العظيم ، الذى توج الله ببعثته موكب الهداة المرسلين ، ودعانا إلى أن نترسم خطاه ونتبع منهجه ونستلهم الدرس والعبرة من سيرته الطاهرة ، حين قال سبحانه وتعالى :

﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾

« الأحزاب ـ ٢١ »

ولعلكم ، أيها الإخوة والأخوات تشاركوننى الإيمان بأننا نحتاج اليوم أكثر من أى وقت مضى إلى أن نستلهم من سيرة النبى الكريم جوهر الرسالة التى حملها للإنسانية كلها ، ونتعرف على منهجه القويم فى بناء الفرد الصالح ، وتكوين المجتمع القوى المترابط وإقامة جسور الاتصال والتفاعل مع سائر الأمم والشعوب ، خاصة ونحن نستقبل مع العالم كله قرناً جديداً ، سوف يدق أبوابنا بعد أقل من عشرين شهراً ، حاملاً معه مخاطر جديدة ، وتحديات غير مسبوقة ، وفرصاً للتقدم والرخاء لا يجوز أبدا أن نتركها تفلت من بين أيدينا ، ولا شك أن السنوات الأخيرة من القرن العشرين قد أسقطت ـ بسلطان العلم وتطوراته المذهلة فى شتى الميادين ـ أكثر الحواجز بين الأمم والشعوب ، بحيث لم تعد

العزلة والانكفاء على الذات خياراً ممكناً ولا نافعاً أو مأموناً ، وصار علينا ـ نحن المسلمين ـ أن نتواصل مع شعوب الدنيا كلها ، نعطيها ونأخذ منها ، ونشارك بذلك فى بناء عالم جديد ، تزيد فيه فرص العدل والحرية والمساواة والسلام ، وهو ما يفرض علينا أن نكون فى طليعة القوى الإيجابية الفاعلة ، التى لا تتردد فى اتخاذ المبادرة ومواجهة التحديات بكل إقدام وثقة بالنفس ، معلنين للدنيا بأسرها أننا قادرون على أن نقدم للمسيرة الإنسانية الجديدة أساساً أخلاقياً راسخاً ، نستوحيه من قيم حضارتنا الإسلامية الإنسانية ، ونستلهمه من سيرة النبى العظيم الذى نحتفل الليلة بذكرى مولده وإشراقه على العالمين ، تعالوا إذن أيها الإخوة والأخوات نتعرف على بعض معالم النهج الذى رسمه الله ـ جل شأنه ـ وتركه سيدنا محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ للمؤمنين وأولى الأمر من بعده ، حتى لا يضلوا عن الطريق ولا تتفرق بهم السبل ، خاصة إذا كانوا يسعون إلى تحقيق نهضة حضارية كبرى ، يستردون بها موقعهم فى الريادة والصدارة ، ويحققون بها ما تتطلع إليه الشعوب الإسلامية من أمن ورخاء واستقرار .

إن منهجه ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى بناء الفرد لم يكن منهج إجبار أو إكراه ، ذلك أن المكره ـ فى شريعة الإسلام ـ لا رأى له ولا فضل فى طاعته ، والنبى العظيم قد بعثه الله ميسراً غير معسر ، مذكراً غير مسيطر ، ولذلك كان منهجه فى بناء الفرد منهج تربية وتعليم وإرشاد ، بالكلمة الطيبة والموعظة الحسنة ، وبالقدوة الصالحة التى قدمها النبى لأمته فى حياته ولأجيالها المقبلة من بعده ، ولقد كان الرسول الأمين فى هذا رءوفاً رحيماً لا يعرف العنف سبيلاً إلى قلبه ، ولا تعرف القسوة طريقاً إلى سلوكه ، مصداقاً لقوله تعالى :

﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ﴾

« آل عمران ـ ١٥٩ » .

ويستوقفنا فى نهج القرآن والسنة النبوية العطرة فى بناء الفرد ، أن الإسلام أقام بناء الفرد والمجتمع على أركان ثلاثة ، تحتاج أمتنا إليها اليوم أشد الحاجة هى : العلم ، والعمل والقوة .

أما عن العلم ، فلم يكن من قبيل المصادفة أن تحدثنا أولى آيات الوحى الإلهى عن القراءة والعلم والقلم ، لكى تبين لنا أن الإسلام هو دين علم وحضارة ، وقد أكد لنا الخالق ـ سبحانه وتعالى ـ هذا المعنى فى كتابه الحكيم ، فاعتبر العلماء أكثر الناس خشية لله ، ذلك أنهم مدركون أسرار الخلق وعظمة الخالق ، كما أنه جعل الذين يعلمون أرفع شأناً ومكانة ممن لا يعلمون ، ولذا فقد كان طبيعياً أن يجعل النبى العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة ، وأن يحض المسلمين على طلب العلم ولو فى الصين ، وأن يقول أن العلماء هم ورثة الأنبياء ، وأن مداد العلماء يوزن يوم القيامة بدم الشهداء ، وأن يحرص منذ بداية الدعوة الإسلامية على القضاء على الأمية ، حتى يكون طلب العلم خياراً متاحاً لمن أراد من المؤمنين ، ومن هنا كان ـ صلى الله عليه وسلم ـ يفرج بعد غزوة بدر عن كل أسير يقوم بتعليم عشرة من أبناء المسلمين القراءة والكتابة ، وليس هناك ما هو أبلغ فى الدلالة من هذا على الأهمية التى يوليها الإسلام للعلم والمعرفة .

والعلم فى مفهوم الإسلام ليس مقصوراً على علوم الدين وحدها ، وإنما تدخل فيه كل أنواع

المعرفة التى يسعى فيها الإنسان إلى الوصول للحقيقة وارتياد المجهول ، فأما العلم الدينى فله رجاله المؤهلون الذين تفقهوا فى الدين ، مصداقاً لقوله تعالى :

﴿ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ ﴾

« التوبة ـ ١٢٢ » .

وفيما عدا هذا ، فأبواب العلم مفتوحة أمام الجميع بلا حدود أو قيود ، لينظروا ويدرسوا ، ويكتشفوا القوانين التى تحكم الوجود ، بهدف تعمير الأرض ونشر الخير وبناء الحضارة :

﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (١٣) ﴾

« الجاثية ـ ١٣ » .

ومن الواضح أن أبواب العلم لن تكون مفتوحة إلا لمن يستخدم قواه الفكرية فى البحث والدراسة والتدبر ، ولهذا كان التنبيه فى ختام الآية على أن الطريق ممهد لمن يتفكر ، وأما الذين لا يفكرون فليس لهم نصيب من العلم أو التقدم ، ولا يليق أن يلغى الإنسان ـ الذى استخلفه الله فى الأرض ـ عقله ، وينصرف عن البحث والدراسة ، لأن الله خص الإنسان برسالة إعمار الأرض والارتقاء بالحضارة فيها ، وصنع المجد والتقدم .

ولسنا بحاجة إلى أن نقرر أنه لا يليق بأمة ذات حضارة عريقة مثلنا أن تتخلف عن الركب الحضارى فى هذا العصر ، لأنه إذا كان التقدم بالنسبة لبعض الأمم الأخرى إضافة أو رفاهية ، فهو بالنسبة لنا مسألة حياة أو موت ، ويتوقف عليه أن نكون أو لا نكون ، فليس هناك مكان فى عصر الثورة العلمية للجهلاء والضعفاء .

أما الكد والعمل على طريق الإصلاح والبناء والتعمير ، فهو شعار المسلمين جميعاً فى القرآن الكريم ، نقرأه فى قوله تعالى :

﴿ وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ ﴾

« التوبة ـ ١٠٥ » .

وكأنما كان النبى يرى ما ينتظر أمته من تحديات فى عالم تتنافس فيه الشعوب بما تنتجه وتصنعه وما تجيد تشكيله ، فقال مخاطباً أمته : « إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه » ، فلا قيمة إذن لعمل لا إتقان فيه ، ولا نفع اليوم فى صناعة لا تقدر على منافسة الآخرين .

وأما القوة ، فهى تختلف من عصر إلى آخر ، وقد أصبحت اليوم متعددة الجوانب والأبعاد ، تتداخل فيها العناصر والمكونات ، فلم تعد قوة الأمة تقاس بقدرتها العسكرية وحدها ، وإنما صارت تقاس كذلك بتماسك نسيجها الاجتماعى ، ومتانة نظامها الاقتصادى ، وسلامة توجهاتها السياسية ، وثراء تكوينها الثقافى والحضارى ، حتى أصبحت ثروة الأمم تقاس بقدر ما تعلم لا بحجم ما تملك ، وغدت الموارد البشرية أهم من الموارد الطبيعية ، وأصبحت تلك العناصر مجتمعة أساس الريادة والقيادة ، بها تصان الحقوق ، ويردع العدوان ، ويرد الأذى عن الأمة .

ولم يكن غريباً إذن أن يعلمنا الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن « المؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف » ، وكان يستعيذ بالله من العجز والكسل ، ويطالب المؤمنين بالسعى لحيازة عوامل القوة ، بحيث لا يتعلل أحد

بضعفه ، أو يعتذر عن تخاذله وتقاعسه بأنه لا يستطيع رد القضاء والقدر .

على أن القوة التى أمرنا النبى الكريم أن نتسلح بها ليست قوة البغى والعدوان ، ولا هى قوة الجور على حقوق الآخرين ، وإنما هى القوة التى تحرس الحق ، وتحمى جهود البناء ، وتدافع عن العمل الوطنى كله فى مواجهة المعتدين ، وتنحاز إلى المظلومين والضعفاء والمقهورين .

أما بناء الجماعة ، فقد أسسه النبى - صلى الله عليه وسلم - على أسس ثلاثة :

أولها : التكافل والإحساس بمسئولية الفرد عن مصير أمته .

وثانيها : تمكين الأفراد جميعاً من المشاركة بجدية فى إدارة شئون مجتمعهم .

وثالثها : تواصل الأمة الإسلامية مع غيرها من الأمم تواصلاً يتم به تبادل الخبرات ، والمنافع ، وتقوم به العلاقات الدولية على أساس السلام والتعاون على الخير .

وقد حرص الرسول الأمين - صلى الله عليه وسلم - على أن يعلم المسلمين أن كل ما يفعله الفرد ترتد آثاره ونتائجه على الجماعة كلها ، وأنه ليس لأحد أن يقول أنا وبعدى الطوفان ، وأن الفرد لا يكون مؤمناً فى نظر الإسلام إذا بات متخماً وجاره جائع ، وأن « خير الناس أنفعهم للناس » .

وأما المشاركة فى أمور الجماعة ، فقد عبر عنها النبى - صلى الله عليه وسلم - بقوله : « من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم » ، وقد جاء توفير هذه المشاركة للأمة استجابة لوحى من الحق - سبحانه وتعالى - إلى نبيه الكريم بقوله تعالى :

﴿ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ﴾

« آل عمران - ١٥٩ » .

وتكرر هذا المعنى عندما وصف الخالق المؤمنين بأن أمرهم شورى بينهم ، وضرب النبى - صلى الله عليه وسلم - المثل الأعلى فى ذلك ، حتى قالت عنه عائشة - رضى الله عنها - : ما كان أحد أكثر مشورة من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - .

وأما التواصل مع الغير ، فلا نجد شاهداً عليه أوضح ولا أبلغ من العهد الذى عقده النبى - صلى الله عليه وسلم - حين دخل يثرب مهاجراً ، إذ وضع لها دستوراً تحتكم إليه جميع القبائل التى كانت تقيم فى المدينة من الأوس ، والخزرج ، وقبائل اليهود التى كانت - هى الأخرى - تقيم فى يثرب ، وجميع القبائل التى هاجرت معه - صلى الله عليه وسلم - من مكة ، ووصف ذلك الدستور كلا من تلك القبائل بأنها « أمة مع المؤمنين » .

ثم لم يلبث - صلى الله عليه وسلم - أن بعث برسائله إلى الملوك والحكام فى مشارق الأرض ومغاربها ، يدعوهم فى سماحة وود إلى الإسلام ، وإلى التعاون على البر والتقوى لا على الإثم والعدوان ، ضارباً بذلك المثل الأعلى لما ينبغى أن تكون عليه العلاقات بين الأمم والشعوب .

أيها الإخوة والأخوات :

إن أمتنا المجيدة تقف اليوم على مفترق طرق تاريخى ، وليس أمامنا خيار إلا خيار النهوض والتقدم ، فالشعوب من حولنا تتسابق وتتنافس ، وتندفع بأقصى طاقتها للفوز بمكان الريادة والتفوق فى إطار النظام العالمى الجديد ، الذى لا تزال معالمه تتشكل وتتكون .

والنهضة ليست مجرد أمنية تتمناها الشعوب ، ولا هى شعار يتحقق بالصياح والكلام الكثير ، ولكنها طريق عمل شاق متصل وسبيل جهاد عقلانى هادف ، وهى قبل كل هذا اختبار لصلابة الأمم والشعوب .

ونحن أمة ذات تاريخ عريق ورسالة خالدة ، حملها الله أمانة الدعوة إلى الحق والعدل والسلام ، وحباها بمنظومة قيم إنسانية رفيعة ، قادرة على تحقيق هذه الأهداف الكبرى ، وعلى حراسة مسيرة البشرية من البغضاء والشحناء التى يولدها الجشع ، وتذكيها الأنانية وإغراء استخدام القوة لاستعباد الضعفاء وقهر الفقراء ، ونسيان حقوق المحرومين .

وليس أمامنا خيار سوى توحيد جهودنا ، وتنسيق أسباب قوتنا ، ومصادر مجدنا وعزتنا ، فنحن نعيش عصر التكتلات الدولية والإقليمية الكبرى ، الذى لا يتيح لدولة بمفردها أن تكون عنصراً فاعلاً قادراً على الصمود والدفاع عن حقوقه ومصالحه أمام هذه الكيانات ذات القدرة والإمكانات الهائلة وليس هناك ما يمكن أن يحول دون قيام نوع من التكامل الاقتصادى والتنسيق السياسى والثقافى بين شعوب الأمة العربية ، لا يكون موجهاً ضد أحد ، بل إن الهدف ـ على عكس هذا تماماً ـ هو أن تكون الأمة العربية أقدر على المشاركة بفعالية فى رخاء العالم وأمنه وسلامه ، فليس هناك مكان للانعزال فى عالم اليوم ، وما لم نستطع أن نساعد أنفسنا فلن يساعدنا أحد ، كما أنه لن تنزل علينا معجزات من السماء ، فقد أحال الله الأمر إلينا حين قال :

﴿ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾

« الرعد ـ ١١ » .

أيها الإخوة والأخوات :

إن علينا أن نذكر ذلك كله ونحن نحتفل بذكرى النبى الكريم ، الذى كانت حياته فى هذه الدنيا تعبيراً أميناً عن القيم السامية ، والمثل الرفيعة والمبادىء العليا التى جاء بها الوحى من عند الله ، ولذلك وصفته عائشة ـ رضى الله عنها ـ قائلة : « كان خلقه القرآن » وهى شهادة تنزل بها الوحى من الله بقوله سبحانه :

﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾

« القلم ـ ٤ » .

ولندرك فى كل خطانا أن الإسلام فى جوهره رسالة حضارية ، فلا يجوز أن نجعل منه ديناً جامداً أو فكراً متطرفاً أو عدوانياً ، لأن رسالة الإسلام هى رسالة سلام وتعايش مع كل الأديان والحضارات والثقافات ، لأن الناس جميعاً ـ فى نظر الإسلام ـ قد خلقوا من نفس واحدة ، وهم إخوة فى الإنسانية مهما اختلفت ألسنتهم وألوانهم وأعراقهم ، لا فضل لأحد منهم على غيره إلا بما يقدم من خير للناس ، فلنضرب المثل للآخرين ، ولنكن قدوة صالحة فى ترسيخ قواعد المحبة والمودة والتعاون بيننا كمسلمين أوفياء لعقيدتنا ورسولنا ، وبين المسلمين وغيرهم فى مشارق الأرض ومغاربها ، فالهدف فى النهاية هو مصلحة الإنسان ، الذى جعله الله خليفته فى الأرض وفضله على مخلوقاته أجمعين ، ولنستمد من سيرة الرسول الطاهرة طاقة نجدد بها عزمنا ، ونشحذ بها همتنا ، ونضىء بها طريقنا ، والله يرعانا ، ويسدد على طريق الحق خطانا ، إنه سميع مجيب .

احتفال مصر بذكرى

المولد النبوى الشريف

كلمة فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر

بسم الله الرحمن الرحيم

السيد الرئيس محمد حسنى مبارك رئيس جمهورية مصر العربية وفقه الله وسدد خطاه .

الحفل الكريم : السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

للذكريات قيمتها السامية ، فى تزكية النفوس ، وفى صلاح القلوب ، وفى غرس العبر والعظات فى العقول والمشاعر ، وصدق الله إذ يقول : ﴿ وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَىٰ تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ . (الذاريات - ٥٥) .

وعلى رأس الذكريات الجليلة : ذكرى ميلاد سيدنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الذى أرسله الله - تعالى - رحمة للعالمين ، ليخرج الناس بإذن ربه من ظلمات الجاهلية إلى نور الإسلام .

وجوانب العظمة والفضل فى حياة الرسول - صلى الله عليه وسلم - أكثر من أن تحصى ، ويكفى ان أشير إلى جانب واحد من جوانب عظمته - صلى الله عليه وسلم - ألا وهو جانب تربيته لأتباعه .

لقد ربى النبى - صلى الله عليه وسلم - أتباعه على الصدق .

الصدق مع الله - تعالى - بأن يراقبوه فى السر والعلن ، وبأن يخلصوا له العبادة والطاعة ، الصدق مع أنفسهم ، بأن يكون ما تنطق به ألسنتهم يوافق ما هو مستكن فى قلوبهم ، الصدق مع الغير ، بأن يكون كلامهم مع غيرهم مطابقا للحق والواقع .

رباهم على الصدق ، لأن الصدق من صفات الله - عز وجل - وقد أكد القرآن هذه الحقيقة فى

◄

آيات كثيرة منها قوله - تعالى - ﴿ قُلْ صَدَقَ ٱللَّهُ .... ﴾ (آل عمران -٩٥) ﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا ﴾ (النساء -٨٧) ﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا ﴾ (النساء -١٢٢) .

رباهم على الصدق لأنه صفة الرسل الكرام :

﴿ وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾ ﴾

(الأحزاب -٢٢)

وقال سبحانه ﴿ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ﴿٥١﴾ قَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ۜ ۗ هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴾

(يس -٥١ : ٥٢) .

رباهم على الصدق لأنه يهدى إلى كل بر وخير ، ولذا قال - صلى الله عليه وسلم - « عليكم بالصدق فإن الصدق يهدى إلى البر ، وإن البر يهدى إلى الجنة ، وما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقا .

وإياكم والكذب فإن الكذب يهدى إلى الفجور وإن الفجور يهدى إلى النار ، وما يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابا » .

رباهم على تحمل المسئولية بشجاعة وبشرف وبهمة عالية ، وبعزيمة لا تعرف العجز أو الكسل ، فيقول - صلى الله عليه وسلم - :

« كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته . الأمير راع ومسئول عن رعيته . والرجل راع على أهله ومسئول عن رعيته ، والمرأة راعية على بيت زوجها وولده ومسئولة عن رعيتها . ألا فكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته » .

رباهم على سلامة القلوب من الحقد والغل والحسد ، وسوء الظن فكان عندما يخرج إلى أصحابه يقول لهم : « لا تبلغونى عن أصحابى شيئا أكرهه ، فإنى أحب أن أخرج إليكم وأنا سليم الصدر » .

رباهم على حب السلام والأمان والرخاء والاطمئنان ، وعلى كراهية الظلم والبغى والعدوان وكان يقول لهم : « لا تتمنوا لقاء العدو ، واسألوا الله العافية ، فإذا لقيتموهم فاثبتوا » .

رباهم على هذه الفضائل وكان هو سيد الفضلاء .

رباهم على الصدق وكان هو سيد الصادقين .

رباهم على أن يكون القدوة لهم بأفعاله قبل أقواله .

رباهم على التعاون على البر والتقوى لا على الإثم والعدوان .

فماذا كانت نتيجة هذه التربية الحكيمة ؟

كانت نتيجتها أن أحبوه حبا يفوق حبهم لأنفسهم .

وهذا واحد منهم وهو زيد بن الدثنة ، يقع أسيرا فى أيدى المشركين ، ويعرضونه على القتل ، فيأتيه زعيم من زعماء المشركين فيقول له يازيد : أنت ستقتل بعد قليل ، فهل ترضى أن تكون آمنا

فى بيتك ، ويقتل فى مكانك محمد - صلى الله عليه وسلم - فيقول : والله ما أحب أن أكون فى مكانى آمنا ، ويصاب أنف النبى - صلى الله عليه وسلم - برعاف ، فيقول ذلك الزعيم من المشركين : ما رأيت أحدا يحب أحدا كما يحب أصحاب محمد محمدا ؟

ويتلقف هذا المعنى شاعر حكيم فيقول :

أسرت قريش مسلما فى غزوة
فمضى بلا وجل إلى السياف
سألوه هل يرضيك أنك سالم
ولك النبى فدى من الإتلاف
فأجاب كلا لا سلمت من الردى
ويصاب أنف محمد برعاف

الختام : السيد الرئيس محمد حسنى مبارك رئيس الجمهورية فى هذه الأيام المباركة يتقدم الأزهر الشريف إلى سيادتك وإلى الشعب المصرى الكريم ، بل إلى الشعوب الإسلامية والعربية والعالم أجمع بخالص التهنئة وندعو الله - تعالى - أن يعيد أمثال هذه الأيام على الجميع بالسلامة والإسلام والرخاء والأمان .

وكل عام وأنتم بخير .

■

يوم فى خالد تاريخ الأزهر

الأزهر كلمة من الكلم النوابغ الجوامع ، فى لفظها استيعاب ووعى ، ولمعناها إشعاع ووحى فهى زمان ومكان ودين ودنيا .

يعنى الأزهر فيما يعنى المنار الذى ارتفع فى طريق الدعوة العظمى ، والحصن الذى اعتصمت به اللغة العربية من عدوان الشعوبية والعامية .

يعنى الأزهر فيما يعنى الجامعة العالمية التى يؤمها الطلاب من كل أرض ومن كل جنس ، ومن كل لون ليتفقهوا فى الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لا يبغون من وراء ذلك مالا ولا جاها .

يعنى الأزهر فيما يعنى الصرح الوطنى الذى أجج الثورات على الفساد ، وخرج القيادات للجهاد . وتعبيرا عن الاهتمام بمكانة ودور هذا الصرح الإسلامى التليد رصدت الدولة عشرات الملايين من الجنيهات للترميم والإصلاح والتجديد ولقد أعطى قائد مصر - (الحضارة والإيمان) الرئيس محمد حسنى مبارك للأزهر عناية - خاصة - فأصدر قراره بإنقاذه ليزيح تراكمات الزمن من فوق كاهل كنز غال ظللنا نتباهى به وسنظل - إن شاء الله عبر العصور والأجيال .

وفى يوم الثلاثاء الموافق ١٣ من شهر ربيع الأول سنة ١٤١٩ هـ ـ ٧ من يوليو سنة ١٩٩٨ م كان يوما مشهودا فى تاريخه حين افتتح الرئيس محمد حسنى مبارك الجامع الجامعة بعد عمليات الترميم والتجديد الشاملة التى لم يشهد لها مثيلا على مدى أكثر من ألف عام وقد قام السيد الرئيس بجولة داخل الأروقة استغرقت ساعة ونصف الساعة استمع خلالها إلى شرح حول عملية الترميم التى تكلفت ٣٨ مليون جنيه ، واستغرقت ٢٤ شهرا ، وقد قدم أبناء شعب مصر من خلال الأزهر وثيقة مبايعة ووفاء للرئيس حسنى مبارك جاء فيها : « من قلب كل من نطق بشهادة التوحيد فى مصر وخارجها من أبنائك الذين عاد إليهم الأزهر أزهر مما كان وأبهى على يديك وبفضلك .

من الذين عاشوا عمرهم يحلمون بصلاة فى محرابه ، وعلم فى رحابه ، ونور على بابه تحية عرفان منا إليك ، على ما قدمت يداك للمسلمين من خير .

وعهد إلى الله أن نظل جنود مصر الأوفياء تحت لوائك ، خدمة للوطن والدين وللمبادىء التى أرسيتها حافظين .

جزاك الله عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء .

وقد ألقى فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر بهذه المناسبة كلمة هذا نصها :

كلمة فضيلة الإمام الأكبر

فى افتتاح الأزهر بعد تجديده

١٣ من ربيع الأول سنة ١٤١٩ هـ ٩٨/٧/٧ م

بسم الله الرحمن الرحيم

السيد الرئيس محمد حسنى مبارك وفقه الله وسدد خطاه .

مرحبا بك فى الأزهر الشريف ، وقد حضرت اليوم بعد هذا التجديد الشامل الذى قام به أبناء مصر لأزهرهم الشريف .

مرحبا بك فى الأزهر الشريف الذى أسس على تقوى من الله ورضوان منذ ألف وستين سنة هجرية ، ألف وثلاثين سنة ميلادية تقريبا .

مرحبا بك فى الأزهر الشريف الذى هو الوعاء الأمثل لحفظ القرآن الكريم ، وللدراسات الأصيلة الحكيمة المعتدلة للعلوم الشرعية واللغوية والعلمية .

مرحبا بك فى الأزهر الشريف الذى يشع ضوؤه لا فى آفاق مصر وحدها ، وإنما شع ويشع ضوؤه فى جميع بقاع الأرض فى قارات آسيا وأفريقيا وأوروبا وأمريكا واستراليا .

ففى رحابه يتلقى العلم آلاف من أبناء هذه القارات ، ومن رحابه يتخرج العلماء الذين ينشرون العلم النافع فى مشارق الأرض وفى مغاربها .

ومدينة البعوث الإسلامية التى يسكنها الآلاف من أبناء القارات الخمس ، خير شاهد على ما نقول .

مرحبا بك فى رحاب الأزهر الشريف الذى استطاع ـ بفضل الله وعونه ـ أن يحفظ لمصر ـ مع المعاهد العلمية الأخرى ـ سلامة لغتها العربية من التحريف والتغيير والتبديل ، رغم تباين الدول التى توالت على مصر فى أزمنة متطاولة .

مرحبا بك فى رحاب الأزهر الشريف الذى تمتاز الدراسة فيه بالاعتدال والتوسط

والموضوعية ، وتنبذ فيه العصبية العمياء ، والعنصرية البغيضة ، فعلى مقاعده يجلس المصرى إلى جانب غير المصرى ، والجميع يتلقون العلم النافع دون تفرقة بينهم .

مرحبا بك فى الأزهر الشريف الذى يحرص العلماء فيه على إبراز ما فى شريعة الإسلام من سماحة ويسر ، ومن تعاون بين الناس على البر والتقوى لا على الإثم والعدوان .

كما يحرصون على بيان أن الإرهاب والتطرف والإفساد فى الأرض ، جرائم تفسد العقول والأخلاق ، وتؤدى بالأمم إلى الضعف والزوال .

مرحبا بك فى الأزهر الشريف ، الذى تبلغ الآن معاهده الابتدائية والإعدادية والثانوية للذكور وللإناث أكثر من خمسة آلاف معهد .

علومها الأساسية : حفظ القرآن الكريم وتفسيره ، ودراسة السنة النبوية ، والمذاهب الفقهية ، واللغة العربية بفروعها المتنوعة .

وهذا كله إلى جانب المواد الثقافية الأخرى التى لا غنى عنها للطالب أو الطالبة .

أما جامعة الأزهر ففى عهد سيادتك تبلغ الكليات التى تتبعها أكثر من خمسين كلية ، منها كليات : أصول الدين ـ واللغة العربية ـ والشريعة والقانون ـ والدراسات الإسلامية والعربية .

إلى جانب الكليات الحديثة كالطب والهندسة والزراعة والتجارة والعلوم والصيدلة .

مرحبا بك ياسيادة الرئيس ، وأنت تفتتح الجامع الأزهر الشريف بعد تجديده تجديدا لم يظفر به منذ مئات السنين .

وسيستمر هذا التجديد الشامل المتين الجميل الأصيل مئات السنين متى حافظنا عليه وائذن لى ياسيادة الرئيس باسم الأزهر ، أن أقدم جزيل الشكر لأبناء مصر الذين استجابوا لتوجيهاتك ونفذوها بكل دقة من أجل خدمة الجامع الأزهر الشريف .

ففى عهدك ياسيادة الرئيس ـ والحمد لله ـ صارت المؤسسات والوزارات تتعاون ولا تتصارع .. ائذن لى ياسيادة الرئيس أن أقدم الشكر لوزارة الإسكان والمرافق والمجتمعات العمرانية ولوزارة الثقافة وهيئة الآثار ، ولشركة المقاولون العرب التى نفذت هذا التجديد الشامل ولمحافظة القاهرة ، ولجميع الوزارات والمؤسسات التى قدمت خدماتها للجامع الأزهر الشريف ، الذى سيبقى ـ بإذن الله ـ خادما لدينه ، وخادما لمصر ، وخادما لأمته العربية والإسلامية ، ومتعاونا مع كل من يقف إلى جانب الحق والفضائل ، ونابذا للظلم والبغى والعدوان .

وشكرا ثم شكرا ياسيادة الرئيس .

وكل عام وأنتم بخير .

تفسير سورة البقرة

قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٩٧﴾ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٩٨﴾

لفضيلة الإمام الأكبر - شيخ الأزهـــر

الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوى

هاتان الآيتان تكشفان عن رذيلة غريبة حقاً من رذائل اليهود وهى عداوتهم لملك من ملائكة الله ، لا يأكل مما يأكلون ، ولا يشرب مما يشربون وإنما هو من الملائكة المقربين ، الذين لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ، وإذاً فليس هناك مقتض لعداوته ، فلماذا هذا التصريح منهم ببغضه وكراهيته ؟

لقد سمعوا أن جبريل - عليه السلام - ينزل بالوحى من عند الله على محمد ﷺ وهم يحسدونه على النبوة ، فلج بهم الحقد والغيظ إلى أن أعلنوا عن عدائهم لجبريل - أيضاً - وهذه حماقة وجهالة منهم ، لأن جبريل - عليه السلام - نزل بالخير لهم فى دينهم وفى دنياهم . ولكن الحقد والحسد إذا استوليا على النفوس جعلاها لا تفرق بين الخير والشر .

ومعنى الآيتين الكريمتين ، قل - يا محمد - لهؤلاء اليهود الذين أعلنوا عداءهم لجبريل أنه لا وجه لعداوته ؛ لأنه لم ينزل بالقرآن من تلقاء نفسه وإنما نزل على قلبك بأمر الله ليكون مؤيداً لما نزل قبله من الكتب السماوية وليكون هداية إلى طريق السعادة وبشارة للمؤمنين بالجنة ، وقل لهم كذلك من كان معادياً لله أو لملك من ملائكته أو لرسول من رسله ، فقد كفر وباء بغضب من الله ، ومن غضب الله عليه ، فجزاؤه الخزى وسوء المصير .

قال الإمام ابن جرير : (أجمع أهل العلم بالتأويل جميعاً ، على أن هذه الآية نزلت جواباً لليهود من بنى إسرائيل ، إذ زعموا أن جبريل عدو لهم ، وميكائيل ولى لهم) [1] .

(١) تفسير ابن جرير جـ ١ ص ٤٣١ .

وروى البخارى فى صحيحه ـ عن أنس بن مالك ـ رضى الله عنه ـ قال : سمع عبد الله بن سلام بقدوم النبى ﷺ وهو فى أرض يخترف ـ أى يجنى ثمارها ـ فأتى النبى ﷺ فقال له : إنى سائلك عن ثلاث لا يعلمهن إلا نبى ، فيم أول أشراط الساعة ؟ وما أول طعام أهل الجنة ، وما ينزع الولد إلى أبيه أو إلى أمه ؟ قال : أخبرنى بهن جبريل آنفاً قال : جبريل ؟ قال : نعم . قال ذلك عدو اليهود من الملائكة ـ فقرأ النبى ﷺ هذه الآية : ﴿ قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ . . ﴾ الآية ثم قال : أما أول أشراط الساعة ، فنار تحشر الناس من المشرق إلى المغرب ! وأما أول طعام أهل الجنة فزيادة كبد الحوت ، وإذا سبق ماء الرجل ماء المرأة نزع الولد ، وإذا سبق ماء المرأة نزعت فقال : أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أنك رسول الله . يا رسول الله : إن اليهود قوم بهت ، وإنهم إن يعلموا بإسلامى قبل أن تسألهم يبهتونى ، فجاءت اليهود فقال النبى ﷺ : أى رجل فيكم عبد الله ؟ قالوا : حبرنا وابن حبرنا ، وسيدنا وابن سيدنا . قال : « أرأيتم إن أسلم عبد الله بن سلام ؟ فقالوا : أعاذه الله من ذلك ؟ فخرج عبد الله فقال : « أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله » ، فقالوا : شرنا وابن شرنا ، وانتقصوه ، قال : فهذا الذى كنت أخاف يارسول الله (١) .

وأخرج الإمام أحمد عن ابن عباس : « أن اليهود بعد أن سألوا النبى ﷺ أسئلة أجابهم عنها ، قالوا صدقت فحدثنا من وليك من الملائكة فعندها نجامعك أو نفارقك . قال : وليى جبريل ، لم يبعث الله نبياً قط إلا وهو وليه ، قالوا : فعندها نفارقك ، ولو كان وليك سواه من الملائكة لتابعناك وصدقناك ، قال : فما يمنعكم أن تصدقوه ؟ قالوا : إنه عدونا ، فأنزل الله ـ تعالى ـ قوله :

﴿ قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾

وفى حديث للإمام أحمد والترمذى والنسائى:قال اليهود للنبى ﷺ بعد أن سألوه عن أشياء أجابهم عنها إنما بقيت واحدة وهى التى نتابعك إن أخبرتنا بها ، إنه ليس من نبى إلا وله ملك يأتيه بالخبر ، فأخبرنا من صاحبك ؟ قال : جبريل ـ عليه السلام ـ قالوا : جبريل ذلك الذى ينزل بالحرب والقتال والعذاب عدونا ، لو قلت ميكائيل الذى ينزل بالرحمة والقطر والنبات لكان . فأنزل الله ـ تعالى ـ : ﴿ قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ ﴾ الآية (٢) .

فيؤخذ من هذه الأحاديث وما فى معناها أن اليهود فى عهد النبى ﷺ كانوا يجاهرون بعداوتهم لجبريل ـ عليه السلام ـ وأن هذه المجاهرة بالعداوة ، قد تكررت منهم فى مواقف متعددة بينهم وبين النبى ﷺ وأن الذى حملهم على ذلك هو حسدهم له ، وغيظهم من جبريل ، لأنه ينزل بالوحى عليه .

قال الشيخ محمد الطاهر بن عاشور : « ومن عجيب تهافت اعتقادهم أنهم يثبتون أنه ملك مرسل من عند الله ، ومع ذلك يبغضونه ، وهذا أحط درجات الانحطاط فى العقل والعقيدة ،

(١) صحيح البخارى كتاب التفسير باب قوله تعالى : ﴿ قل من كان عدوا لجبريل ﴾ جـ ٦ ص ٢٣ .

(٢) تفسير ابن كثير جـ ١ ص ١٢٩ .

ولا شك أن اضطراب العقيدة من أكبر مظاهر انحطاط الأمة لأنه ينبىء عن تضافر آرائهم على الخطأ والأوهام »[1].

وفى أمر الرسول ﷺ بلفظ (قل) كى يرد على اليهود ، تثبيت له ، وتطمين لنفسه وتوبيخ لهم على معاداتهم لأمين الوحى ، وهو جبريل ـ عليه السلام ـ .

وقوله تعالى : ﴿ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ ﴾ ، شرط عام قصد الإتيان به ليعلموا أن الله ـ تعالى ـ لا يعبأ بهم ولا بغيرهم ممن يعادى جبريل ، إن وجد معاد آخر له سواهم .

وقوله تعالى : ﴿ عَلَىٰ قَلْبِكَ ﴾ زيادة تقرير للتنزيل ، ببيان محل الوحى ، وإشارة إلى أن السبب فى تمكنه ﷺ من تلاوة القرآن الكريم ، وإبلاغه للناس ، ثباته فى قلبه .

وقوله تعالى : ﴿ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾ معناه : فلا موجب لعداوته ، لأنه نزل القرآن على قلبك يا محمد بإذن الله وأمره ، وإذاً فعداوته عداوة لله فى الحقيقة والواقع ، ومن هنا يتبين أن هذه الجملة تعليل لجواب الشرط وقائمة مقامه .

قال صاحب الكشاف : فإن قلت : كيف استقام قوله تعالى : ﴿ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ ﴾ جزاء للشرط ؟ قلت : فيه وجهان :

أحدهما : إن عادى جبريل أحدٌ من أهل الكتاب فلا وجه لمعاداته ، حيث نزل كتابا مصدقاً للكتب التى بين يديه ، فلو أنصفوا لأحبوه ، وشكروا له صنيعه فى إنزاله ما ينفعهم ويصحح المنزل عليهم .

والثانى : إن عاداه أحد فالسبب فى عداوته أنه نزل عليك القرآن مصدقاً لكتابهم ، وموافقاً له ، وهم كارهون للقرآن ولموافقته لكتابهم ، ولذلك يحرفونه ويجحدون موافقته له . كقولك : « إن عاداك فلان فقد آذيته وأسأت إليه »[2] .

وقوله ـ تعالى ـ : ﴿ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾ أى بأمره ، وهو توبيخ لهم على عداوتهم لجبريل ، الذى أنزل بالقرآن بإذن الله ، لا من تلقاء نفسه ، وهذه حجة أولى عليهم .

وقوله ـ تعالى ـ : ﴿ مُصَدِّقًا ﴾ حال من الضمير العائد على القرآن الكريم ، فى قوله ﴿ نَزَّلَهُۥ ﴾ أى أنزله حالة كونه مؤيداً للكتب السماوية التى قبله ومن بينها التوراة ، وهذه حجة ثانية عليهم .

ثم عززها بثالثة ورابعة ـ فقال ـ تعالى ـ : ﴿ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ أى هذا القرآن الذى نزل مصدقا لكتبكم ، هو هاد إلى طريق الفلاح والنجاح ، والعاقل لا يرفض الهداية التى تأتيه وتنقذه مما هو فيه من ضلالات ولو كان الواسطة فى مجيئها عدواً له ، وهو ـ أيضاً ـ مبشر للمؤمنين برضا الله تعالى ـ عنهم فى الدنيا والآخرة ، أما الضالون فقد أنذرهم بسوء العقبى فعليكم أن تتبعوا طريق الإيمان لتكونوا من المفلحين ، وبذلك يكون القرآن قد أقام حججاً متعددة على حماقتهم وعنادهم وجحودهم للحق بعد ما تبين . وتكون الآية الكريمة قد مدحت القرآن بخمس صفات .

(١) تفسير التحرير والتنوير جـ ١ ص ٢٢٦ .

(٢) تفسير الكشاف جـ ١ ص ٢٢٦ .

أولها : أنه منزل من عند الله وبإذنه .

وثانيها : أنه منزل على قلب النبى ﷺ .

وثالثها : أنه مصدق لما نزل قبله من الكتب السماوية .

ورابعها : أنه هاد إلى الخير أبلغ هدى وأقواه .

وخامسها : أنه بشارة سارة للمؤمنين .

ثم بين - تعالى - حقيقة الأمر فيمن يعادى جبريل وأن عداوته عداوة لله - تعالى - فإنه أمين وحيه إلى رسله ليس له فى ذلك شىء إلا أن يبلغ ما أمر به فقال - تعالى - :

﴿ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ ﴾ .

والمعنى : أن عداوة جبريل عداوة لله ، وأن عداوة محمد ﷺ عداوة لله - أيضاً - فالإيمان بالله وملائكته ورسله وحدة لا تتجزأ فمن كفر بواحد منهم فهو كافر بالجميع .

ومعنى عداوة العبد لله : كفره به ومخالفته لأوامره ونواهيه ومعنى عداوته لملائكته : إنكار فضلهم ووصفهم بما ينافى عصمتهم ورفعة منزلتهم . ومعنى عداوته لرسله : تكذيبه لهم وتعمده إلحاق الأذى بهم ومعنى عداوة الله لعبده : غضبه - سبحانه - عليه ، ومجازاته له على كفره ، وصدر - سبحانه - الكلام باسمه الجليل تفخيماً لشأن ملائكته ورسله وإشعاراً بأن عداوتهم إنما هى عداوة له - تعالى - .

وأفرد - سبحانه - جبريل وميكال بالذكر ، مع اندراجهما تحت عموم ملائكته ، لتصريح اليهود بعداوة جبريل وتعظيم ميكائيل ، فأفردهما بالذكر للتنبيه على أن المعاداة لأحدهما معاداة للجميع ، وأن الكفر بأحدهما كفر بالآخر .

قال ابن جرير : « فإن قال قائل : أو ليس جبريل وميكائيل من الملائكة ؟ قيل : بلى ، فإن قال : فما معنى تكرير ذكرهما بأسمائهما فى الآية فى جملة أسماء الملائكة ؟ قيل : معنى إفراد ذكرهما بأسمائهما أن اليهود لما قالت جبريل عدونا وميكائيل ولينا ، وزعمت أنها كفرت بمحمد ﷺ من أجل أن جبريل صاحبه ، أعلمهم الله - تعالى - أن من كان لجبريل عدواً فإن الله عدو له وأنه من الكافرين ، فنص عليه باسمه وعلى ميكائيل باسمه ، لئلا يقول منهم قائل : إنما قال الله : من كان عدواً لله وملائكته ورسله ، ولسنا لله ولا لملائكته ولا لرسله أعداء ، لأن الملائكة اسم عام محتمل خاصاً ، وجبريل وميكائيل غير داخلين فيه ، وكذلك قوله ورسله فلست يا محمد داخلا فيهم ، فنص الله - تعالى - على أسماء من زعموا أنهم أعداؤه بأعيانهم ليقلع بذلك تلبيسهم على أهل الضعف منهم ، ويحسم تمويههم أمورهم على ضعاف الإيمان »(1) .

وقال - سبحانه - فى ختام الآية الكريمة : ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ ﴾ ولم يقل فإن الله عدو له أو لهم ، ليدل على أن عداوة كل واحد ممن

(1) تفسير ابن جرير جـ ١ ص ٤٤٩ .

اشتملت الآية الكريمة على ذكرهم كفر وجحود ، وليكون اندراجهم تحت هذا الحكم العام من باب إثبات الحكم بالدليل ، وللإشعار بأن عداوة الله - تعالى - لهم سببها كفرهم فإن الله لن يعادى قوماً لذواتهم ولا لأنسابهم ، وإنما يكره لهم الكفر ويعاقبهم عليه معاقبة العدو للعدو .

قال صاحب المنار : « فهذه الآية الكريمة وعيد لهم بعد بيان فساد العلة التى جاءوا بها ، فهم لم يدعوا عداوة هؤلاء كلهم ، لكنهم كذلك فى نفس الأمر ، فأراد أن يبين حقيقة حالهم فى الواقع ، وهى أنهم أعداء الحق ، وأعداء كل من يمثله ويدعو إليه ، فالتصريح بعداوة جبريل كالتصريح بعداوة ميكائيل الذى يزعمون أنهم يحبونه ، وأنهم كانوا يؤمنون بالنبى ﷺ لو كان هو الذى ينزل بالوحى عليه ، ومعاداة القرآن الكريم كمعاداة سائر الكتب الإلهية ؛ لأن المقصود من الجميع واحد ، فقولهم السابق وحالهم يدلان على معاداة كل من ذكر ، وهذا من ضروب إيجاز القرآن الكريم التى انفرد بها »[1] .

وبهذا تكون الآيتان الكريمتان قد دمغتا اليهود بالكفر والجهالة ، لمعاداتهم لجبريل وتكذيبهم لمحمد ﷺ وبينتا ما عليه أمرهم من خزى وهوان بسبب هذه العداوة التى لا باعث عليها إلا الحسد ، وكراهية أن ينزل الله من فضله على من يشاء من عباده .

« يتبع »

(١) تفسير المنار جـ ١ ص ٣٦٤ .

قبس من أنوار النبوة :

إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق

للشيخ : على حامد عبد الرحيم

عن عطاء بن يسار قال : لقيت عبد الله بن عمرو بن العاص فقلت : أخبرنى عن صفة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ، قال أجل : والله إنه لموصوف فى التوراة ببعض صفته فى القرآن : « يأأيها النبى إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا ، وحرزا للأميين ، أنت عبدى ورسولى ، سميتك المتوكل ، ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب فى الأسواق ، ولا يجزى بالسيئة السيئة ، ولكن يعفو ويصفح ، ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء ، بأن يقولوا لا إله إلا الله ، ويفتح به أعينا عميا ، وآذاناً صما ، وقلوبا غلفا » ـ رواه البخارى ـ .

البيان

لقد جعل الله سبحانه وتعالى ـ حياة رسول الله محمد ـ صلى الله عليه وسلم نموذجاً فريدا لدينه القويم ، ونظاما شاملا لجوانب العظمة فى حياة البشر ، وواقعا عمليا ، وترجمة صادقة لكل ما جاء به القرآن من عقيدة وشريعة ومبادىء وأخلاق .

يقول ابن إسحاق ـ فى السيرة العطرة ـ فى وصف رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ « ليس بفظ ولا غليظ ، ولا صخاب فى الأسواق ، ولا متزين بالفحش ولا قوال للخنا ، أسدده بكل جميل ، وأهب له كل خلق كريم ، ثم اجعل السكينة لباسه ، والبر شعاره ، والتقوى ضميره ، والحكمة معقولته والصدق والوفاء طبيعته والعفو

والمعروف خلقه ، والعدل سيرتـه ، والحق شريعته ، والهدى إمامه ، والإسلام ملته ، وأحمد اسمه ، أهدى به بعد الضلالة ، وأعلم به بعد الجهالة ، وأرفع به بعد الخمالة ، وأسمى به بعد النكرة ، وأكثر به بعد القلة ، وأغنى به بعد العيلة ، وأجمع به الفرقة ، وأؤلف به بين قلوب مختلفة ، وأهواء متشتتة ، وأمم متفرقة ، وأجعل منه خير أمة أخرجت للناس » .

وصف جعفر بن أبي طالب وهو يحدث نجاشي الحبشة - في مواجهة رسولي قريش إليه وقد جاءا إليه ليسلمهما المهاجرين من المسلمين عنده ، يقول جعفر : أيها الملك كنا قوما أهل جاهلية نعبد الأصنام ونأكل الميتة ، ونأتي بالفواحش ، ونقطع الأرحام ، ونسيء الجوار ، ويأكل القوى منا الضعيف ، فكنا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولا منا نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه ، فدعانا إلى الله وحده لنوحده ونعبده ، ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان ، وأمرنا بصدق الحديث ، وأداء الأمانة ، وصلة الرحم ، وحسن الجوار ، والكف عن المحارم والدماء ، ونهانا عن الفواحش وقول الزور وأكل مال اليتيم وقذف المحصنات ، وأمرنا أن نعبد الله - تعالى - ولا نشرك به شيئاً ، وأمرنا بالصلاة والصيام والزكاة » .

لقد كان - صلى الله عليه وسلم - مثلاً أعلى في هديه ، وجهه الله لخير البشرية وهداية الإنسانية .

وهاهو الإمام الحسين بن على - رضى الله عنهما - يقول : سألت أبي عن سيرة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في جلسائه فقال : كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - دائم البشر ، سهل الخلق ، لين الجانب ، ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب ولا فحاش ولا عياب ، يتغافل عما لا يشتهى ، ولا يؤيِّس منه ، ولا يخيب فيه . فقد ترك نفسه من ثلاث : المراء والإكبار وما لا يعنيه . وترك الناس من ثلاث كان لا يذم أحدا ، ولا يعيبه ولا يطلب عورته ، ولا يتكلم إلا فيما رجا ثوابه ، وإذا تكلم أطرق جلساؤه كأنما على رؤوسهم الطير ، فإذا سكت تكلموا ، لا يتنازعون عنده الحديث ، ومن تكلم عنده أنصتوا إليه حتى يفرغ ، يضحك مما يضحكون منه ، ويتعجب مما يتعجبون منه ، ويصبر للغريب على الجفوة في منطقه ومسألته حتى كان أصحابه ليستجلبونهم .

وعن أبي الدرداء - رضى الله عنه - قال : سألت عائشة - رضى الله عنها - عن خلق رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقالت : كان خلقه القرآن يرضى لرضاه ويسخط لسخطه .

وأخرج البيهقى عن زيد بن بابنوس قال : قلنا لعائشة - رضى الله عنها ياأم المؤمنين كيف كان خلق رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فذكره - أى الحديث - وزاد النسائى - ثم قالت : أتقرأ سورة المؤمنون . اقرأ ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ إلى العشر ، قالت : هكذا كان خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم .

روى الإمام أحمد عن عائشة - رضى الله عنها - قالت : ما ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده خادما له قط ، ولا امرأة ، ولا ضرب بيده شيئا إلا أن يجاهد في سبيل الله . ولا خير بين شيئين قط إلا كان أحبهما أيسرهما إلا أن يكون

إثما ، فإذا كان إثما كان أبعد الناس من الإثم ، ولا انتقم لنفسه من شىء يؤتى إليه حتى تنتهك حرمات الله فيكون هو ينتقم لله ـ عز وجل ـ يرشد إلى الخير ويوجه أمته إليه ، ويحذرها من الشر وينفرها فيه . فيقول ـ صلى الله عليه وسلم ـ فيما ـ رواه أبو دواد ـ عن أبى إمامة الباهلى ـ رضى الله عنه ـ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : أنا زعيم[1] ببيت فى مربض الجنة[2] ـ لمن ترك المراء[3] ـ وإن كان محقا ، وببيت فى وسط الجنة لمن ترك الكذب ، وإن كان مازحا . وببيت فى أعلى الجنة لمن حسّن خلقه » .

فهل نأخذ منهج حياتنا من منهج رسول الله الذى أمرنا ربنا أن نأخذ منه القدوة الحسنة والأسوة الطيبة .

وهل نطبق سلوكه ووصاياه التى أوصانا بها حيث يقول عليه الصلاة والسلام ـ فيما رواه رزين ـ أوصانى ربى بتسع أوصيكم بها : أوصانى بالإخلاص فى السر والعلانية ، والعدل فى الرضا والغضب ، والقصد فى الغنى والفقر ، وأن أعفو عمن ظلمنى ، وأعطى من حرمنى ، وأصل من قطعنى ، وأن يكون صمتى فكرا ، ونطقى ذكرا ، ونظرى عبرا » .

وقال ـ عليه الصلاة والسلام ـ فيما رواه الأصبهانى ـ إذا جمع الله الخلائق يوم القيامة نادى مناد أين أهل الفضل ؛ فيقوم أناس ـ وهم يسير ـ فينطلقون سراعا إلى الجنة فتتلقاهم الملائكة فيقولون لهم : « إنا نراكم سراعا إلى الجنة فيقولون : نحن أهل الفضل ـ فيقولون لهم : ما كان فضلكم ؛ فيقولون : كنا إذا ظلمنا صبرنا ، وإذا أسىء إلينا غفرنا وإذا جهل علينا حلمنا . فيقال لهم : ادخلوا الجنة فنعم أجر العاملين » .

أسأل الله ـ عز وجل ـ أن يهدينا سواء السبيل ، وأن يجعلنا ممن تخلق بخلق رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ إنه على كل شىء قدير . وبالإجابة جدير .

---

(١) أى : ضامن
(٢) ملحول الجنة
(٣) الجدال .

يسألونك عن الخمر

لفضيلة الشيخ
السيد عبد المقصود عسكر

لقد وصف الله نبيه محمدا - صلى الله عليه وسلم - بأوصاف كثيرة ، ميزه بها ، وشاع ذكر هذه الأوصاف فى الكتب المنزلة كلها .

وذلك لكى تقوم به حجة الله على الخلق جميعا ، وأنه الرحمة المهداة إلى العالمين . مصداقا لقول الله تبارك وتعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾

(الأنبياء - ١٠٧)

ومما جاء فى القرآن من أوصافه - صلى الله عليه وسلم - قول الله تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴿٤٦﴾ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ﴿٤٧﴾ ﴾ (الأحزاب - ٤٥ : ٤٧) .

ومما جاء من أوصافه فى التوراة والإنجيل ما أكده القرآن الكريم فى قول الله تعالى :

﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ ۙ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾

(الأعراف - ١٥٧) .

ويتضح من تلك الأوصاف أن شريعة محمد - صلى الله عليه وسلم - أحلت للناس كل ما كان طيبا ، وحرمت على الناس كل ما كان خبيثا .

ولايشك عاقل فى خبث الخمر وأضرارها الكثيرة ، التى تصيب الفرد والمجتمع ، ولهذا حرمها الإسلام تحريما قاطعا باتا ، وشمل هذا التحريم كل أشكالها وصورها ، وعلى أى نحو تم تعاطيها هى أو ما اشتق منها ، واستعمل القرآن الكريم أقوى العبارات الدالة على هذا ، فقال الله سبحانه :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۝٩٠ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ ﴾

(المائدة ـ ٩٠ ، ٩١) .

واستجاب المؤمنون الصادقون لهذا الأمر الإلهى بطريقة رائعة ، حيث قالوا : انتهينا يارب وأتبعوا القول بالعمل . وأصبح هذا الحكم مستقرا وشائعا حتى دخل دائرة ما هو معلوم من الدين بالضرورة .

ولكنه بالرغم من هذا فإن بعض الناس فى زماننا مازالوا يطرحون بعض التساؤلات ويثيرون بعض المشكلات التى تفتح باب التشكيك الذى يؤدى إلى الجرأة على محارم الله .

وراح هؤلاء يتحدثون عن الأصناف التى تصنع منها الخمر . ويتساءلون عما إذا كانت كل أنواعها محرمة أم أن بعضها هو المحرم والبعض الآخر غير محرم ؟!

وذكروا أن أبا حنيفة ـ رضى الله عنه ـ يرى أن اسم الخمر يطلق فقط على المتخذ من عصير العنب أو البلح . وأن هذا الذى يحرم تناوله وما عداه لا يكون حراما إلا إذا أسكر . وقالوا : إنه لو شرب شخص ثلاثة أقداح من هذه الأنواع ولم يسكر فلا عقاب عليه ، وإذا شرب الرابع وسكر فهذا هو المحرم .

وعند النظر فى هذا الكلام يتبين أنه غير دقيق .

وبداية ينبغى أن نقرر أن العقل من أعظم النعم التى أنعم الله بها على عباده .

وأنه بالعقل يصير الإنسان مكلفا . ولهذا وجب الحفاظ على هذه النعمة ، وعدم تعاطى أى شىء يفسدها ، ولأجل هذا وغيره حرم الإسلام الخمر بكل أصنافها وأنواعها .

ولقد سمى العقل عقلا ، لأنه يعقل صاحبه ويمنعه من ارتكاب القبائح ، وفعل المنكرات .

وعندما يشرب الإنسان الخمر يزول ذلك العقل المانع ، ويفقد الإنسان أشرف مميزاته ويصبح كالحيوان لا يدرى ماذا يفعل وهل يضره ذلك أم ينفعه .

وقد سميت الخمر خمرا ؛ لأنها تخمر العقل أى تستره وتغطيه . ومنه خمار المرأة لأنه يغطى رأسها وجيبها ويسترهما .

وقيل : إن الخمر سميت خمراً ؛ لأنها تخامر العقل ، أى : تخالطه وتفسده ، كقولنا : خامر فلان الداء أى : خالط بدنه .

وقد نقل عن أبى حنيفة ـ رضى الله عنه ـ أنه يحرم الخمر المتخذة من العنب ، قليلها وكثيرها إلا أن تطبخ على النار حتى ينقص ثلثاها ، كما نقل أنه يحرم عصير الرطب إن كان نيئا ، ولكنه يحل إذا مسته النار ولو لفترة وجيزة .

ولعل أبا حنيفة يرى أن النار تقضى على المادة المسكرة فى الخمر المتخذة من عصير العنب ، أو

الرطب بالشكل الذى وصفه وقدره ، ولا يعنى ذلك بحال أن أبا حنيفة يحل شرب الخمر .

كما يرى أبو حنيفة أن ما كان من غير العنب والتمر لا يسمى خمرا ، وليس بحرام إلا إذا أسكر بالفعل . ويكون القدر المسكر هو الحرام .

وقد استدل أبو حنيفة ، وأصحابه بقول الله تعالى :

﴿ وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلْأَعْنَٰبِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾

(النحل - ٦٧) .

كما استدلوا بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم « حرم الله الخمر بعينها والسكر من غيرها » .

وقالوا فى معنى الآية : لقد امتن الله على عباده بما خلق من ذلك ، ولا يمتن الله على عباده إلا بما كان حلالا ، فدل ذلك على جواز شرب ما دون المسكر من النبيذ ، فإذا أسكر فقد حرم .

وهذا الذى نقل عن الأحناف مردود عليه بما يأتى .

أولا : لا مستند لهم فى الآية المذكورة لأنها نزلت قبل تحريم الخمر .

ثانيا : لا مستند لهم أيضا - فى الحديث المذكور ؛ لأنه حديث ضعيف كما ذكره الإمام القرطبى عند تفسيره للآية المشار إليها .

ولهذا فقد خالف جمهور العلماء ما ذهب إليه الحنفية ، واستدلوا بالأدلة القاطعة من كتاب الله ، وسنة رسوله - صلى الله عليه وسلم - .

أما الكتاب . فذلك قول الله تعالى :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۝٩٠ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴾ (المائدة - ٩٠ ، ٩١) .

وأما السنة فقد جاءت الأحاديث الصحيحة وفيها تعداد لبعض أصنافها ، التى كانت موجودة بالفعل عند نزول هذه الآية مما يدل على تحريم كل الأصناف ، ومن تلك الأحاديث ما يأتى :

١ - ماارواه أبو داود « نزل تحريم الخمر يوم نزل ، وهى من خمسة . من العنب والتمر والحنطة والشعير والذرة » .

٢ - خطب عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - على منبر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال : ألا إن الخمر قد حرمت وهى من خمسة . من العنب والتمر والعسل والحنطة والشعير ، والخمر ما خامر العقل »[1] .

وحين يقول عمر : « والخمر ما خامر العقل » فإنه يعرفها ويفسرها على نحو ما يفهمه العرب من معنى هذه الكلمة .

وعدد الأصناف الخمسة أبو السبعة ، كما ورد فى الحديثين المذكورين لا مفهوم له ، فلا يدل على انحصار الخمر فى هذه الأصناف ، وأن هذه الأحاديث إنما تشير فقط إلى ما كان موجودا فى ذلك الزمان عند نزول آية التحريم مما يسميه العرب خمرا .

وعليه فإن كل ما خامر العقل فهو خمر ، حتى لو وجد بعد نزول آية التحريم .

(١) رواه البخارى ومسلم .

ومن ذلك يتضح أن الخمر ليست محصورة فى هذه الأصناف فضلا عن أن تكون محصورة فى المتخذة من عصير العنب أو التمر فقط ، كما يقول الحنفية .

٣ ـ ويؤكد ذلك حديث رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ « كل مسكر خمر وكل مسكر حرام »(٢) .

٤ ـ وكذلك حديث رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ « كل مسكر خمر وكل خمر حرام »(٣) .

والمقصود كل مسكر فى ذاته سواء أسكر بالفعل ، أم لم يسكر فهو خمر حرام ، ولا وجه للتفرقة بين القليل والكثير ، لأن القول بالتفرقة معارض بالحديث المروى عن عائشة ـ رضى الله عنها ـ أنها قالت : « **إن الله لم يحرم الخمر لاسمها وإنما حرمها لعاقبتها** » (٤) .

فكل شراب تكون عاقبته كعاقبة الخمر فهو حرام كحرمة الخمر .

كما أنه معارض بحديث رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ « ما أسكر كثيره فقليله حرام »(٥) .

ومعارض كذلك بحديث عائشة ـ رضى الله عنها ـ أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : « ما أسكر منه الفرق فملء الكف منه حرام »(٦) .

وقد شدد الإسلام فى محاربة الخمر وتحريمها ؛ لأنها تزيل العقل ، وبزواله يرتكب الإنسان كل الخبائث ولا يرى فى ذلك حرجا . ويؤكد هذه الوجهة قول رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم : « اجتنبوا الخمر فإنها مفتاح كل شر »(٧) .

وتأكيداً لهذا التشدد فى تحريمها ، واتساقا مع التعبير القرآنى ، الذى استعمل لفظ « الاجتناب » وهو أشد من التحريم جاء قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أتانى جبريل عليه السلام فقال : « يامحمد إن الله لعن الخمر ، وعاصرها ، ومعتصرها ، وشاربها ، وحاملها ، والمحمولة إليه ، وبائعها ، ومبتاعها وساقيها ومسقاها »(٨) .

وقد روى أن عثمان بن عفان ـ رضى الله عنه ـ قال : « اجتنبوا الخمر ، فإنها أم الخبائث » . وأنها لا تجتمع هى والإيمان أبدا ، إلا أوشك أحدهما أن يخرج صاحبه »(٩) .

وقد كان العقلاء والحكماء فى الجاهلية يمتنعون عن شرب الخمر ؛ حفاظا على المروءة والكرامة . فيجب على المؤمنين أن يمتنعوا عن شربها ؛ مرضاة لله ، وحفاظا على مروءتهم وكرامتهم .

قيل للعباس بن مرداس : « لم لا تشرب الخمر فإنها تزيد فى حرارتك ؟ فقال : ما أنا بآخذ جهلى بيدى ، فأدخله فى جوفى ولا أرضى أن أصبح سيد قومى ، وأمسى سفيههم » .

نسأل الله الهداية والتوفيق لعمل الصالحات ، والبعد عن المنكرات إنه على كل شىء قدير والهادي إلى سواء السبيل .

---

(٢) رواه البخارى ومسلم وغيرهما .
(٣) رواه ابو داود .
(٤) رواه الدار قطنى فى سننه .
(٥) رواه الإمام احمد وابو داود والترمذى والنسائى .
(٦) رواه الإمام احمد . والفرق بفتح الفاء والراء . كيل يسع ستة عشر رطلا .
(٧) رواه الطبرانى والحاكم وصححاه .
(٨) رواه البيهقى بإسناد صحيح .
(٩) رواه الإمام احمد وابن حبان والحاكم .

حرف فى كتاب الله

لفضيلة الأستاذ الدكتور
على العمارى

عنى أسلافنا ـ جزاهم الله خيرا ـ أتم العناية باللغة ، فحرصوا على النقل الصحيح ، ودأبوا على التمحيص والتدقيق ، ولا ريب أن خدمة كتاب الله كانت الحافز الأكبر لهم على بذل هذه الجهود المضنية .

وكانوا ـ رحمهم الله ـ يتهيبون القول فى القرآن ، مالم يسندهم الشاهد من كلام العرب ، أو يسعفهم النقل الصحيح فى معنى الآية عمن يثقون فيهم ممن تقدمهم ، بل كان منهم من يتوقى أن يفسر شيئا من القرآن كعبد الملك بن قريب المشهور بالأصمعى .

والاختلاف فى معانى الكلمات أمر طبيعى مادامت اللغة ليست لغة قبيلة واحدة ، فلا جرم كان اختلاف العلماء فى تأويل القرآن أمرا طبيعيا أيضا .

ولكن الذى يدعو إلى التساؤل أن يختلف معنى الكلمة نفيا وإثباتا ، ولا يرجع المدار فى ذلك إلى النقل عن العرب ، وإنما يرجع إلى تحكيم الرأى ، ثم إسناده بعد ذلك إلى اللغة .

ويزداد التساؤل حين يرتب على هذا الفهم أو ذاك حكم شرعى يراه عالم من العلماء ، ويخالفه فيه الكثير .

كل هذا مر بخاطرى عندما كنت أبحث عن تأويل هذه الآية فى كتاب الله تعالى :

﴿ إِذَآ أَخۡرَجَ يَدَهُۥ لَمۡ يَكَدۡ يَرَىٰهَا ﴾ (النور ـ ٤٠) .

ورأيت اختلافا غريبا ، فقائل بأنه لا يراها وذكر « يكد » للمبالغة فى نفى الرؤية ، وثان يقول : أنه يراها بعد إبطاء وعسر لتكاثف الظلمة

وترادف الموانع من الرؤية ، وثالث يقول : معناه إذا أخرج يده لم يرد أن يراها لأن ما شاهده من تكاثف الظلمات أيسر من تأمل يده ، وقرر فى نفسه أنه لايدركها ببصره ، وحكى عن العرب : أولئك أصحابى الذين أكاد أنزل عليهم ، أى أريد أن أنزل عليهم ، وقال الشاعر :

كادت وكدت وتلك خير إرادة
لو عاد من لهو الصبابة مامضى

إنما أرادت ، وأردت ، وقال الأفوه الأودى :

فإن تجمع أوتاد وأعمدة
وساكن بلغوا الأمر الذى كادوا

أى : أرادوا ، وقال بعضهم فى معنى قوله تعالى : ﴿ كَذَٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ ﴾ (يوسف - ٧٦)

أى : أردنا ، ومنهم من يجعل « يكد » صلة ، وهذا مبنى على اختلافهم فى مؤدى الحرف : « كاد » .

رأى اللغويين :

قال ابن الأنبارى : (قال اللغويون : كدت أفعل معناه عند العرب قاربت ولم أفعل ، وماكدت أفعل معناه : فعلت بعد إبطاء ، وشاهده قوله تعالى :

﴿ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ ﴾ (البقرة - ٧١) .

(معناه فذبحوها بعد إبطاء لتعذر وجود البقرة عليهم)

ولا شك أن ابن الأنبارى اعتمد على ما نقله علماء اللغة ، والتعميم فى كلامه يدل على أنه رأى جميع اللغويين ، ويؤيده ماروى عن الفراء أنه قال : العرب تقول : ماكدت أبلغ إليك وأنت قد بلغت ، قال : وهذا هو وجه العربية ، وقال فى موضع آخر ، وهو يفسر الآية السالفة الذكر ، كلما أخرج يده لم يكد يراها من شدة الظلمة لأن أقل من هذه الظلمة لا نرى اليد فيه ، وأما لم يكد يقوم فقد قام هذا أكثر اللغة ، وعلى هذا فالفراء يؤول الآية على خلاف الأكثر .

ويؤيده أيضا ما نقل عن أبى بكر أنه قال : فى قولهم قد كاد فلان يهلك ، معناه قد قارب على الهلاك ، فإذا قلت : ما كاد فلان يقوم فمعناه قام بعد إبطاء ، وكذلك كاد يقوم معناه قارب ولم يقم ، قال : وهذا هو وجه الكلام .

وكتب اللغة أيدت هذه النقول ، وآمنت بها ، ففى لسان العرب : (كاد وضعت لمقاربة الشىء فعل أو لم يفعل ، فمجردة تنبىء عن نفى الفعل ، ومقرونه بالجحد تنبىء عن وقوع الفعل) ، ومثل هذه العبارة فى القاموس والمصباح والصحاح .

وقد ذاع هذا المعنى لكاد ، وأصبح أمرا لا جدال فيه حتى ألغز فيه الشاعر اللغوى أبو العلاء المعرى :

أنحوى هذا العصر ماهى لفظة
جرت فى لسانى جرهم وثمود
إذا استعملت فى جانب النفى أثبتت
وإن أثبتت قامت مقام جحود

وقالوا أنه يقصد الفعل كاد ، وبهذا أجابه الشهاب الحجازى بقوله :

لقد كاد هذا اللغز يصدىء فكرتى
وماكدت منه أشتفى بورود
فهذا جواب يرتضيه أولو النهى
وممتنع عن فهم كل بليد

هذا رأى اللغويين ، وخلاصته أن كاد فى الإثبات تدل على مقاربة الفعل ، ولا تدل على وقوعه ، وفى النفى تدل على الوقوع ، أعم من أن يكون مع إبطاء أو عسر أولا يصحب واحدا منهما .

قالوا : وهكذا جميع الاستعمالات .

وقد جرى على ذلك الشيخ العراقى فى فرع من فروع الفقه ، فقال فى فتاواه : لو قال لامرأته : ماكدت أطلقك يكون إقراراً بالطلاق ، فيحكم عليه بالوقوع ، نقله ابن السبكى فى نظائره .

ونرتب عليه أن كلام كتاب الصحف اليوم من مثل قولهم : ماكاد يرانى حتى هرع إلى ، وماكدت أجلس حتى ابتدرنى قائلا .. صحيح .

رأى النحاة

فإذا ذهبنا نستفتى النحاة فى هذا الذى قاله اللغويون وجدنا منهم تنديدا به ، وتخطيئا له ، ووجدناهم يقيمون الشواهد على أن الأمر غير ما يقول أصحاب اللغة .

قال شارح الكافية : (من زعم هذا ـ يعنى قولهم أنها فى النفى للإثبات ـ فليس بمصيب ، بل حكم كاد حكم سائر الأفعال ، وأن معناها منفى إذا صاحبها حرف نفى ، وثابت إذا لم يصحبها ، فإذا قال قائل : كاد زيد يبكى ، فمعناه : قارب زيد البكاء ، فمقاربة البكاء ثابتة ، ونفس البكاء منتف ، وإذا قال : لم يكد يبكى ، فمعناه : لم يقارب البكاء ، فمقاربة البكاء منتفية ، ونفس البكاء منتف انتفاء أبعد من انتفائه عند ثبوت المقاربة ، ولهذا كان قول ذى الرمة :

إذا غير النأى المحبين لم يكد
رسيس الهوى من حب مية يبرح

صحيحا بليغا ، لأن معناه : إذا تغير حب كل محب لم يقارب حبى التغير ، وإذا لم يقاربه فهو بعيد منه .

فهذا أبلغ من أن يقول : لم يبرح ، لأنه قد يكون غير بارح ، وهو قريب من البراح ، بخلاف المخبر عنه بنفى مقاربة البراح .

وقد ذكر الشيخ عبد القاهر فى دلائل الإعجاز قصة وقعت لذى الرمة ، وعلق عليها بقوله ـ مع شىء من الاختصار ـ : وقف ذو الرمة ينشد الناس بالكناسة فى الكوفة قصيدته الحائية التى منها :

هى البرء والأسقام والهم والمنى
وموت الهوى بالقلب منى المبرح
وكان الهوى بالنأى يمحى فيمحى
وحبك عندى يستجد ويربح
إذا غير النأى المحبين لم يكد
رسيس الهوى من حب مية يبرح

فناداه ابن شبرمة : ياغيلان . أراه قد برح .

ففكر ذو الرمة ثم قال :

إذا غير النأى المحبين لم أجد
. . . .

قال عنبثة الفيل ـ وهو راوى القصة ـ فحدثت أبى فقال :

أخطأ ابن شبرمة حين أنكر على ذى الرمة حين غير شعره لقول ابن شبرمة ، إنما هذا كقول الله تعالى :

﴿ ظُلُمَٰتٌۢ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَآ أَخْرَجَ يَدَهُۥ لَمْ يَكَدْ يَرَىٰهَا ﴾ (النور ـ ٤٠) .

وإنما هو لم يرها ، ولم يكد .

ثم ذكر الشيخ سبب الشبهة فى ذلك فقال إنه ما جرى به العرف من قولهم : ما كاد يفعل ، ولم يكد يفعل فى فعل قد فعل ، على معنى أنه لم يفعل إلا بعد الجهد ، وبعد أن كان بعيدا فى الظن أن يفعله كقوله تعالى :

﴿ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴾ (البقرة ـ ٧١) .

فلما كان مجىء النفى فى كاد على هذا السبيل توهم ابن شبرمة أنه إذا قال لم يكد رسيس الهوى من حب مية يبرح ، فقد زعم أن الهوى قد برح ، ووقع لذى الرمة مثل هذا الظن ، وليس الأمر

كالذى ظناه ، فإن الذى يقتضيه اللفظ إذا قيل لم يكد يفعل ، وماكاد يفعل أن يكون المراد أن الفعل لم يكن من أصله ، ولا قارب أن يكون ولا ظن أنه يكون .

وساق الشيخ أدلة على فهمه هذا :

أولا : أن كاد موضوع لأن يدل على شدة قرب الفعل من الوقوع ، وعلى أنه قد شارف الوجود ، فمحال أن يوجب نفيه وجود الفعل لأنه يؤدى إلى أن يوجب نفى مقاربة الفعل للوجود أن يوجد الفعل ، وأن يكون قولك : ما قارب أن يفعل مقتضيا على البت أنه قد فعل .

ثانيا : فرق بين قولهم : لم يرها : ولم يكد ، وبين قول الله تعالى :

﴿ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ ﴾ (البقرة - ٧١) .

فإنهم - فى الأول - بدأوا فنفوا الرؤية ثم عطفوا لم يكد عليه ، على معنى أن رؤيتها لا تقارب أن تكون فضلا عن أن تكون ، ولو كان (لم يكد) يوجب وجود الفعل لكان هذا الكلام منهم جاريا مجرى أن تقول : لم يرها ورآها .

ثالثا : أن (لم يكد) فى الآية والبيت واقع فى جواب (إذا) والماضى إذا وقع فى جواب الشرط على هذا السبيل كان مستقبلا فى المعنى ، فإذا قلت : إذا خرجت لم أخرج ، كنت قد نفيت خروجا فيما يستقبل فيستحيل ان يكون المعنى فى الآية والبيت على أن الفعل قد كان لأنه يؤدى إلى أن يجىء بلم أفعل ماضيا صريحا فى جواب الشرط فتقول : إذا خرجت لم أخرج أمس ، وذلك محال .

وأجاب صاحب الكافية عن قوله تعالى :

﴿ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ ﴾ (البقرة - ٧١) .

بأنه كلام تضمن كلامين ، مضمون كل واحد منهما فى وقت غير الآخر ، والتقدير فذبحوها بعد أن كانوا بعداء من ذبحها غير مقاربين له .

ومن قبل قال الأخفش : لم يكد يراها ، حمل على المعنى وذلك أنه لا يراها ، وذلك أنك إذا قلت كاد يفعل إنما تعنى قارب الفعل ولم يفعل على صحة الكلام ، وهكذا معنى هذه الآية ، إلا أن اللغة قد أجازت لم يكد يفعل وقد فعل بعد شدة ، وليس هذا صحة الكلام .

ويفهم من قول المبرد ما يؤيد رأى النحاة ، فقد قال : لم يكد يراها ، أى لم يقرب من رؤيتها ، وإيضاحه لم يرها ولم يكد .

رأى المفسرين :

المفسرون مقتنعون برأى النحاة ، فقد جاء فى الكشاف فى تفسير قوله تعالى على لسان فرعون :

﴿ أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِّنْ هَٰذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴾

(الزخرف - ٥٢) .

يريد أنه ليس معه من العدد وآلات الملك والسياسة ما يعتضد به ، وهو فى نفسه مخل بما ينعت به الرجال من اللسن والفصاحة ، وكانت الأنبياء كلهم أنبياء فصحاء .

وفى الجلالين :

﴿ فَمَالِ هَٰؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴾

(النساء - ٧٨) .

أى : لا يقاربون أن يفهموا حديثا يلقى إليهم ، ونفى مقاربة الفعل أشد من نفيه .

وفى أبى السعود : أو هو استئناف مبنى على سؤال نشأ من الاستفهام كأنه قيل : مابالهم ، وماذا يصنعون حتى يتعجب منهم وحتى يسأل عن سببه ؟

فقيل : لا يكادون يفقهون حديثا من ◆

الأحاديث أصلا فيقولون كما يقولون ، إذ لو فهموا شيئا لفهموا هذا النص ، وما فى معناه وماهو أوضح منه من النصوص الناطقة بأن الكل من عند الله .

وفى البيضاوى عند قوله تعالى :

﴿ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ ﴾ (البقرة - ٧١) .

قريب من ذكر شارح الكافية .

وقد تعرض ابن قتيبة فى مشكل القرآن لكاد فقال : كاد بمعنى هم ولم يفعل .

ربع عفا من بعد ما قد امحى
قد كاد من طول البلى أن يمحا

وأنشد الأصمعى :

كادت النفس أن تغيظ عليه
إذ ثوى حشور بطة وبرود

وقال بعضهم : قد جاءت كاد بمعنى فعل ، وأنشد قول الأعشى :

ولو أن نعمان الحكيم تعرضت
لعينيه مى سافرا كاد يبرق

أى لو عرضت له لبرق أى دهش وتحير .

وقصارى القول أن الجميع متفقون على أن (كاد) فى الإثبات تفيد نفى خبرها ويساعدهم قول ابن عباس رضى الله عنهما : كل شىء فى القرآن كاد وأكاد ويكاد فإنه لا يكون أبدا ، وتساعدهم الشواهد الكثيرة ، ففى الحديث الشريف من تأنى أصاب أو كاد ، ومن عجل أخطأ أو كاد .

وفى القرآن شواهد تقدم بعضها ، ومنها قوله تعالى : ﴿ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا ﴾ (الإسراء - ٧٤)

مع أنه - صلى الله عليه وسلم - لن يركن إليهم قليلا وكثيرا .

ومن الشواهد الشعرية قول قيس بن الخطيم :

أتعرف رسما كالفراز المذهب
لعمرة وحشا غير موقف راكب
ديار التى كادت ونحن على منى
تحل بنا لولا نجاء الركائب

وقول نصيب :

وقد كدت يوم الحزن لما ترنمت
هتوف الضحى محزونة بالترنم
أموت لمبكاها أسى ، إن لوعتى
ووجدى بسعدى شجوه غير منجم

معنى : المنجم : المقلع .

وأما قول حسان بن ثابت :

وتكاد تكسل أن تجىء فراشها
فى جسم خرعبة وحسن قوام

فقد قالوا أن المعنى هنا : وتكسل أن تجىء فراشها .

وهذا البيت إلى ما رواه ابن قتيبة عن بعضهم واحتجاجه بقول الشاعر (قد كان يسمو) وقول ذى الرمة (كاد يبرق) هى التى أباحت لبعضهم أن يقول بوقوع خبرها ، أما معنى كاد نفسها فهو ثابت .

ويرد قول الله تعالى :

﴿ إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا ﴾ (طه - ١٥) .

فقال بعض : أريد أخفيها ، وكاد تأتى بمعنى أراد ، ومن شواهدها قول الأفوة الأودى :

فإن تجمع أوتاد وأعمدة
وساكن بلغوا الأمر الذى كادوا

وقد سبق بعض الأدلة على أن كاد تأتى بمعنى أراد ، عند تفسير قوله تعالى :

﴿ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا ﴾ (النور - ٤٠) .

وقال الأخفش (كاد) صلة ، وقد علق بعض العلماء على هذا الرأى بقوله : كدت كاد صلة لا قائل به إلا ماورد عن ضعفه المفسرين .

والزمخشرى يقول : لا أقول إنها آتية :

وخرجها بعض آخر على أن أخفى تأتى بمعنى أظهر .

«رأى»

وبعد طول النظر فى هذا الحرف وشواهده التى ألمت بها عجبت لموقف اللغويين وكيف يتمسكون إلى هذا الحد بمعنى لم تسعفهم فيه الشواهد ، ولا ساندهم فيه نقل عن أصحاب اللغة ، بل إن الشيخ عبد القاهر - وهو من هو - يقول وأن الذين يظنون لكاد هذا المعنى خدعهم العرف ، أى أن التعبير يكاد يفعل فى فعل قد فعل ليس من صحيح اللغة ، وإنما هو من السنة العامة كما فسره ابن هشام[1] ، مالم ينص أولا على وقوع الفعل ، ولا أعرف للغويين نظيرا لهذا الرأى واحتجاجهم بقوله تعالى :

﴿ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ ﴾ (البقرة - ٧١) .

بأنه يدل على أن كاد فى النفى للإثبات ليس سائغا ولا مقبولا بل إن دلالة الآية على العكس هى الصحيحة ، وذلك أن المعنى على قولهم يؤول إلى فذبحوها وقد ذبحوها ، فى حين أن المعنى فذبحوها بعد أن كانوا بعداء من ذبحها .

وقول صاحب الكافية أنه كلام تضمن كلامين فى وقتين مختلفين له وجه لولا وقوع جملة وما كادوا حالا ، والمعنى فذبحوها فى حال كونهم بعداء عن ذبحها ، غير مقاربين له ، وكذلك قول تأبط شرا :

فأبت إلى فهم وماكدت آبيا
وكم مثلها فارقتها وهى تصفر

معناه ، أبت فى حال كونى غير مقارب للإياب ، أى أن اليأس استحكم ، واشتدت بى الحال ، وضاقت حلقاتها ، ثم أتى الفرج فجأة فخلصت منها ، وكم حالة مثلها نجوت منها :

ويبدو - والله أعلم - أن كاد كلمة فيها معنى التخييل ، أو قل التشبيه ، وليست بمعنى القرب الخالص فلا تصلح (قرب) مكانها .

يقول العرب كاد البخيل يكون كلبا ، وكاد المنتعل يكون راكبا ، ففى البخيل شبه كبير من الكلب ، فكذلك فى المنتعل شبه كبير من الراكب فكأنه هو ، ولو قلت قرب البخيل يكون كلبا لم تؤد المعنى المقصود فى العبارة الأولى .

ويقول الشاعر :

وأسقيه حتى كاد مما أبثه
تكلمنى أحجاره وملاعبه

يريد أن أحجاره وملاعبه تمثلت له كأنها تريد أن تنطق وتهيأت له كذلك ولا يفيد هذا المعنى إلا كاد أو كلمة (يخيل إلى) أو أداة تشبيه ، وكذلك قول الآخر :

يكاد إذا ما أبصر الضيف مقبلا
يكلمه من حبه وهو أعجم

يصف كلبا فيقول ، إن هذا الكلب لشدة حفاوته بالضيف وأنسه به وفرحه بقدومه كأنه يريد أن يكلمه .

وكذلك قول أبى صخر الهذلى :

تكاد يدى تندى إذا ما لمستها
وينبت فى أطرافها الورق النضر

وقول ضابىء البرجمى :

هممت ولم أفعل وكدت وليتنى
تركت على عثمان تبكى حلائله .

وقول عويف العراقى فى الرثاء :

خبر أتانى عن عيينه موجع
كادت عليه تصدع الأكباد

ويمكن - والعلم عند الله - أن تخرج الآية ◄ .

---

(١) فسر العرف ابن هشام فى المغنى فقال : بعد فذبحوها وما كادوا يفعلون ولما كثر استعمال مثل هذا فيمن انتفت عنه مقارنة الفعل اولا ثم فصله بعد ذلك توهم من وهم أن هذا الفعل بعينه هو الدال على حصول ذلك الفعل بعينه وليس كذلك وإنما فهم حصول الفعل من دليل آخر كما فهم فى الآية من قوله تعالى فذبحوها . جـ ٢ ص ١٨٣ .

﴿ أَكَادُ أُخْفِيهَا ﴾ (طه- ١٥) على هذا الفهم فيكون المراد أن حال الساعة بين الإخفاء والإظهار فهى لعدم تحديد زمنها خفية ، وهى لما ذكر من أشراطها وعلاماتها مظهرة ، والتعبير فى غاية الدقة ، وفى أعلى درجات الحسن ، كأن الله تعالى يقول : إن ما عندكم من علاماتها يكاد ينبئكم بأنها ظاهرة واضحة جلية .

ولست مستريحا لشىء مما قاله المفسرون فى هذه الآية ، فأريد أخفيها كلام لا يشعر بالقوة فى هذا السياق ، وكذلك وضع هذه الكلمة المتشابهة على القول بأن الإخفاء بمعنى الإظهار فى هذا الموضع يحتاج إلى الإظهار ، وليس من الإعجاز أن يعبر بكلمة على ضد المراد - فى الظاهر - فى مقام يراد فيه أن يقطع على المخاطبين الأمل فى معرفة وقتها وإن استند أصحاب هذا الرأى على ماروى أهل العربية من أن أخفى تأتى بمعنى الإخفاء وبمعنى الإظهار ، وشواهدهم قول عبده بن الطبيب يصف ثورا :

يخفى التراب بأظلاف ثمانية
في أربع مسهن الأرض تحليل

أراد أن يظهر التراب ، ويستخرجه بأظلافه ، وقول امرىء القيس :

فإن تفنوا الداء لا يخفه
وإن تبعثوا الحرب لا نقعد

أى لانظهره ، وقول النابغة :

تخفى بأظلافها حتى إذا بلغت
يبس الكثيب تداعى التـرب فانهدما

ويقولون أن قراءة الفتح فى قوله تعالى ﴿ أَخْفِيهَا ﴾ (طه- ١٥)لا تحتمل غير معنى الإظهار ، أما القراءة بضم الهمزة فتحمل الإظهار والستر .

وكذلك قوله تعالى : ﴿ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴾ (الزخرف-٥٢) معناه أنه للثقة ولكنه يشبه من لايبين وإن حاول ذلك وكان يبين بعض الإبانة ، ويقال مثل ذلك فى شواهد كثيرة .

وأما الشواهد التى وردت فيها (كاد) لإثبات الخبر فتخريجها واضح على زيادة (كاد) ولا مانع من زيادة كلمة فى الكلام ، فتكاد تكسل ، معناها تكسل ، وتكاد زائدة (وكاد يسمو) معناها يسمو وكاد زائدة ، وكذلك قول ذى الرمة (يكاد يبرح) وإن احتمل المعنى بقاء كاد ، ويكون أراد أنه قرب أن يدهش .

بقى قول كثير عزة :

أموت أسى يوم الرجام وأننى
يمينا لرهن بالذى أنا كائـد

والإنسان يكون رهنا بما يباعده لا بما يقاربه ، والذى أرجحه أن الرواية كابد بالباء الموحدة .

وقد سبق ما نقلته عن ابن هشام من أن سبب الشبهة عند اللغويين - فى النفى خاصة - أن الشواهد التى ذكرت جاء فيها نفى الفعل بعد إثباته :

﴿ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ ﴾ (البقرة - ٧١) .

(فأبت إلى فهم وما كنت آيبا)

كأنهم التزموا (فعلت وما كدت أفعل) ولست أحفظ شاهدا فى نفسى كاد لم يتقدمه إثبات لخبرها ، ومن هنا فرق بعض اللغويين بين نفى الماضى ونفى المضارع ، فجعلوا نفى الماضى إثباتا ونفى المضارع نفيا ، وقد تبين - بما ذكره ابن هشام ، وهى حق - أن الإثبات لم يجىء عن نفى كاد - وإنما جاء من صيغة الإثبات قبلها ، وإن كان هذا ملتزما .

أما بناء الأحكام الفقهية على مثل هذا فأظنه بعيدا عن التحقيق ، لأن الأيمان تبنى على العرف ، ويجب ألا تخضع لهذه الدقائق اللغوية التى تخفى على الجهابذة من علماء العربية وشعرائها أمثال ابن شبرمة ، وذى الرمة .

والله أعلم بالصواب .

الإنسان المكلف المستخلف

لفضيلة الشيخ
معوض عوض إبراهيم

إن الله تعالى خلق وحده الكون علوا وسفلا بكل مكوناته وشتى أقطاره ، على الاستقامة والصلاح واستخلفنا ـ سبحانه ـ فيه ، ليبلغ به مراد الله من عرفوا الحق فآثروه ، وتحاموا مشارع الفساد ، ونأوا بأنفسهم عن الخلاف عن أمر الله ، وهو تعالى يقول :

﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ ۗ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٥٤﴾ ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ۚ إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (الأعراف ـ ٥٤ : ٥٦)

وقد كان النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ يعمل مع صحابته فى بناء المسجد النبوى فى أكثر من ميدان ، فهو يضع أصحابه كلا فيما يحسن عمله ، ويشرف عليهم ، ويحفز هممهم ، ويزكى نشاطهم بعمله ، وهو يقول : « اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة فارحم الأنصار والمهاجرة .

ويحمل اللبن على صدره الشريف من مكان ضربه إلى حيث العمارة والبناء ، ولقد وسد ضرب اللّبن إلى أحد صحابته ظنا منه ـ صلوات الله عليه ـ أنه أعرف بذلك من غيره ، فلما مر فى لحظة فلم يجد الرجل ووجد غيره يؤدى المهمة بإتقان وإحسان أكثر من سابقه لم يلمه ، ولم ينكر فيه أنه أتى عملا لم يسنده إليه ، وتهلل له وجهه ، فهو الذى أخرج أبو نعيم عن عائشة ـ رضى الله عنها ـ قوله : « إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه ، ولله الفضل والمنة ، فقد جعل الأرض كما قال نوح لقومه :

﴿ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطًا ﴿١٩﴾ لِّتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ﴾

(نوح ـ ١٩ ـ ٢٠)

بعد أن ذكرهم بوحدة النشأة والمصير ، فقال :

﴿ وَاللَّهُ أَنبَتَكُم مِّنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴾

(نوح - ١٧ : ١٨)

وترى ذلك فى الحوار الذى دار بين كليم الله موسى ، وبين فرعون ، قال تعالى :

﴿ قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَا مُوسَىٰ ﴿٤٩﴾ قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ ﴾

(طه - ٤٩ : ٥٠)

حتى قال :

﴿ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ ﴾

(طه - ٥٣)

ويعرض القرآن ذلك وأكثر منه فى خطاب الله لنبيه الخاتم ، فيقول :

﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ ﴾

(الملك - ١٥)

ويقول :

﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ﴿٩﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠﴾ وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَنشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا كَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴾

(الزخرف - ٩ : ١١)

واستوجب الله عبادة الناس له بما أفاء عليهم من أنعمه ، قال تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾

(البقرة - ٢١ : ٢٢)

لقد خلق الله الأرض فى يومين وجعل لها رواسى من فوقها ، وبارك فيها وقدر فيها أقواتا فى يومين ، إتمام أربعة أيام ، وخلق السموات سبعا ، وأوحى فى كل سماء أمرها ، وزين السماء الدنيا بمصابيح ، كل ذلك فى يومين ، ولو شاء لقال لها كونى فكانت ، كما خاطب السموات والأرض جميعا قبل أن يخاطب الإنسان ، إذ كان الله وحده ولا شىء معه ، وكان عرشه على الماء ، فقال لها :

﴿ ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴾

(فصلت - ١١)

وجل الله الذى يقول :

﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ﴿٣٣﴾ وَآتَاكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴾

(إبراهيم - ٣٢ : ٣٤)

وأى شىء من المهانة وراء الظلم والكفر يستوجبه الذين تأخذهم هبات الله وعطاياه من شىء جهاتهم ، فلا يزيدهم ذلك إلا صدودا

وإعراضا عن الله وهداياته وموجبات طاعة فى كل ما تراه عين ، وتسمعه أذن فى الكون الرتيب الذى يتعاقب فينا ليله ونهاره ، وكواكبه وأقماره ، فتضىء الدياجى ، ونرى الصبح معها وقد تنفس والليل وقد عسعس ، وصار سكنه بعد حركة النهار ، دون أن تتأخر عن شروقها شمس أو يبطىء قمر :

﴿ وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ ۝٣٧ وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ۝٣٨ وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ۝٣٩ لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾

(يس : ٣٧ : ٤٠)

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا ۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾ (فاطر - ٤١)

وتبارك الله ، فما يرى أحد بما استحدثوا من مجاهر ومكبرات وأشعة شيئا من فطور فى السموات ، ما كان ولن يكون ، وكم تألق البشر وتأنقوا وأثاروا العجب العجاب ، بما بنوا من بروج وأقاموا من صروح ، ثم لم يمض إلا يسير زمن ، بدا بعده شقوق وتصدع وانهيار ، وأين صنع الإنسان من تقدير العزيز العليم ؟!

﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ۖ مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ ۖ فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ۝٣ ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ﴾

(الملك - ٣ : ٤)

هذا الكون كله ، خلقه الله لك أيها الإنسان على الصلاح والاستقامة ، وخلقك :

﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴾ (التين - ٤)

﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾

(غافر - ٦٤)

﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُصَوِّرُكُمْ فِى ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾

(آل عمران - ٦)

فكيف عدلت عن مقتضيات فطرة الله فيك إلى هدى نفسك الأمارة بالسوء ؟! وكيف لم ترتفع بها إلى مستوى النفس اللوامة أن عجزت عن الاستعانة بالله على أن تكون ذا النفس المطمئنة إلى جميل العقبى بعد حياة اطمأن فيها قلبك بذكر الله الذى يذكر من يذكره ، ويتولى الصالحين ؟!

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ۝٦ ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ۝٧ فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ﴾

(الانفطار - ٦ : ٨)

ولقد كرم الله الإنسان بعقله المدرك ، ونظره الفاحص لدى الأشياء على حقيقتها ، ويمضى فى الحياة على نور من ربه ، متزامن على أبيه آدم فخلقه من طين ، بيده القادرة فجعله على صورته البشرية الباهرة ، مستقيم القامة مرتفع الهامة ،

وعلمه مالم يكن يعلم ، فأسجد له بالعلم ملائكته ، وكلفه واستخلفه ، وجعل ذريته خلفاء الأرض واستعمرهم فيها ، وفاوت بينهم بالإيمان والإحسان لا بما اصطنعوا من أحساب وأنساب ، وظواهر كذاب ، فكلهم لآدم وآدم من تراب ، وإلى التراب يعودون حتى يجمعهم سبحانه ليوم الجمع ، ويجزى كل نفس بما كسبت !

ويوم عرف الناس الحياة مبدأ ومصيرا وكانوا بين البدء والنهاية على الصلاح والاستقامة ، كانوا فى حياة طيبة علا فيها سلطان الحق ورفرفت ألوية العدل وسيطر فيها دين الله ، وسلمت من أيسر ما تموج به الحياة بعضها فى بعض فى ديار وأقطار .

وفى غيبة الدين تغلى مراجل المجتمعات وتخفى معالم الصواب على الأفراد والشعوب ، وتأخذ الأشياء غير أسمائها ، ويجعل الناس وراء ظهورهم واجب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وهما بمكانهما الملتمع فى دين الله :

﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (التوبة - ٧١)

﴿ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾ (التوبة - ٦٧)

ومااربح الفاسقون :

﴿ ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٢٧﴾ (البقرة : ٢٧)

وطوبى للآمرين بالمعروف الناهين عن المنكر الحافظين لحدود الله عقيدة وسلوكا وبشر المؤمنين .

■

من تراث الشيخ الطير

مَنِ المرأة التي جادلت النبي في زوجها؟

أحكام الظهّار

لفضيلة الشيخ
مصطفى محمد الطير

قال الله تعالى : ﴿ قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴾

الآيات من أول سورة المجادلة .

هذه المرأة هى خولة بنت ثعلبة ، وزوجها هو أوس بن الصامت ، أخو عبادة بن الصامت - رضى الله عنه - وهذان الزوجان هما اللذان نزل بسببهما صدر سورة المجادلة .

ويحكى لنا قصتها ابن ماجة فى السنن بسنده عن عائشة - رضى الله عنها - قالت : « تبارك الذى وسع سمعه كل شىء ، إنى لأسمع كلام خولة بنت ثعلبة ويخفى علىَّ بعضه ، وهى تشتكى زوجها إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهى تقول : يارسول الله : أكل شبابى ، ونثرت له بطنى ، حتى إذا كبر سنى وانقطع ولدى ، ظاهر منى ، اللهم إنى أشكو إليك ، فما برحت حتى نزل جبريل بهذه الآية :

﴿ قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ .

وفى معناه مارواه البخارى فى صحيحه عن عائشة ـ رضى الله عنها ـ قالت : « الحمد لله الذى وسع سمعه الأصوات ، لقد جاءت المجادلة تشكو إلى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأنا فى ناحية البيت ما أسمع ما تقول ، فأنزل الله ـ عز وجل ـ : ﴿ قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا ﴾ .

وكما يقال لها : خولة بنت ثعلبة ، يقال لها : خولة بنت خويلد ، قال الماوردى : وليس هذا بمختلف ، لأن أحدهما أبوها والآخر جدها ، فنسبت إلى كل واحد منهما ، وسبب جدالها وشكواها ، كما يرويه الثعلبى عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ (أنها كانت امرأة حسنة ، وكانت تصلى ، فلما فرغت من صلاتها طلبها زوجها أوس بن الصامت إلى فراشه ، فأبت ، فقال لها أنت علىَّ كظهر أمى ، وكان رجلا عجولا ، وكان الظهار والإيلاء طلاقا فى الجاهلية ، ولم ينزل على النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ ما ينسخ ماعليه الجاهلية ، فلما سألت النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال لها « حرمت عليه » فقالت : والله ما ذكر طلاقا ، ثم قالت : أشكو إلى الله فاقتى ووحدتى ووحشتى وفراق زوجى وابن عمى ، وقد نفضت له بطنى ، فقال : « حرمت عليه » فمازالت تراجعه ويراجعها حتى نزلت عليه الآيات) انتهى باختصار يسير .

وروى الحسن أنها قالت : « يارسول الله ، قد نسخ الله سنن الجاهلية ، وإن زوجى ظاهر منى ، فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ « ما أوحى إلى فى هذا شىء » فقالت يارسول الله : أوحى إليك فى كل شىء وطوى عنك هذا ، فقال : « هو ما قلت لك » فقالت : إلى الله أشكو لا إلى رسوله ، فأنزل الله :

﴿ قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴾

الآيات .

وجاء فى رواية الدارقطنى بسنده عن أنس مالك : « أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال لأوس « أعتق رقبة » قال : مالى بذاك يدان ، قال « فصم شهرين متتابعين » قال : أما إنى إذا أخطأ أن آكل فى كل يوم ثلاث مرات يكل بصرى » قال : « فأطعم ستين مسكينا » قال : ما أجد إلا أن تعيننى منك بعون وصلة ، قال : فأعانه رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بخمسة عشر صاعا » الحديث .

وعظها لعمر واحترامه لها :

مر عمر بن الخطاب بخولة فى خلافته وهو يركب حمارا والناس معه ، فاستوقفته طويلا ووعظته وقالت : ياعمر قد كنت تدعى عميرا ، ثم قيل لك عمر ، ثم قيل لك أمير المؤمنين ، فاتق الله ياعمر ، فإنه من أيقن بالموت خاف الفوت ، ومن أيقن بالحساب خاف العذاب ـ وهو واقف يسمع كلامها ـ فقيل له ياأمير المؤمنين أتقف لهذه العجوز هذا الوقوف ، فقال : والله لو حبستنى من أول النهار إلى آخره ، لازلت إلا للصلاة المكتوبة ، أتدرون من هذه العجوز ؟ هى خولة بنت ثعلبة ، سمع الله قولها من فوق سبع سموات ، أيسمع رب العالمين قولها ولا يسمعه عمر[1] .

---

(١) انظر القرطبى .

ما معنى السمع والبصر فى حق الله ؟ :

السمع والسماع مصدران لسمع يسمع كعلم يعلم ، ومعنى كليهما لغة إدراك المسموع بآلة السمع ويطلق على من يسمع سامع وسميع .

والبصر يطلق لغة على إدراك المبصرات بحاسة البصر ، كما يطلق على حاسة البصر نفسها ، وعلى هذا فالسامع ضد الأصم ، والبصير ضد الضرير - أى ضد الأعمى ، وقد وصف الله - سبحانه - نفسه فى الآية بأنه (سميع بصير) ومعنى السميع فى حقه - تعالى - كما قال الحاكم أبو عبد الله - المدرك للأصوات التى يدركها المخلوقات بآذانهم من غير أن يكون له أذن ، بخلاف المخلوقات فإنهم لا يسمعون بدونها ، وبدون الحاسة المركبة فى داخلها .

ومعنى البصير فى حقه - تعالى - المدرك للمبصرات من غير أن يكون له هذا التركيب البصرى الذى يدرك به المخلوقات ما يبصرون ، وصدق الله - تعالى - إذ يقول :

﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾

(الشورى - ١١) .

وبالجملة فالسمع والبصر صفتان من صفات ذات الله ، كالعلم والقدرة والحياة .

الظهار وحكمه فى الإسلام :

الظهار هو قول الرجل لزوجته : أنت على كظهر أمى ، يريد أنه حرم على نفسه جماع زوجته كحرمة جماعه لأمه ، فى حين أنه ممسك لزوجته لم يطلقها ، فإذا حدث هذا الظهار من الزوج ، حرم عليه جماع زوجته حتى يكفّر ، مع بقاء زوجيتها له ، ونتحدث عن الكفارة بعد استيفاء الكلام عن الظهار - إن شاء الله تعالى - .

ومثل ذلك قول الزوج لزوجته أنت على كظهر ابنتى أو أختى أو غيرهما من المحارم كالعمة والخالة .

ويكون مظاهرا - أيضا - لو قال لها : أنت على كبطن أمى أو غيرها من المحارم .

ومن قال لزوجته أنت على كأمى أو مثل أمى ولم يذكر كلمة (الظهر أو البطن أو نحوهما) فإن أراد الظهار فله نيته ، وإن أراد الطلاق كان مطلقا البتة عند الإمام مالك ، وإن لم يكن له نية فى طلاق ولا ظهار ، كان مظاهرا » .

فإن قال : أردت أنها مثل أمى فى الاحترام مثلا ، لم يؤخذ بقوله قضاء أو إفتاء إن كانت العبارة أثناء جدال وخصام ، فإن لم يرفع الأمر إلى القاضى أو المفتى فله أن يرجع إلى نيته فيما بينه وبين الله تعالى ، فربما كان يقصد إزعاجها بالعبارة ، ولا يقصد الظهار ولا الطلاق ، وحسابه على الله ، وللزوجة حينئذ أن تصدقه فيما ادعى وأن تكذبه .

ولا ينصرف صريح الظهار بالنية إلى الطلاق ، بخلاف كنايته (أنت على مثل أمى) فإنه يصح صرفه إلى الطلاق ، لأنه لم يصرح فيه بلفظ الظهار ، أما الطلاق الصريح وكنايته فلا ينصرفان إلى الظهار مطلقا .

والعرب تكنى بظهر الأم وبطنها ونحوهما عن الفرج ، فمن قال لزوجته أنت علىَّ كظهر أمى أو كبطنها ، فالمراد منه عندهم أن جماعها محرم على الزوج كحرمة جماع الأم ، وقد أقر الإسلام عبارتهم ، ولكنه لم يحملها على الطلاق كما كانوا يفعلون بل حملها على تحريمه جماعها كحرمة جماع

أمه مع بقاء الزوجية ، وله أن يطلقها بعد الظهار كما تقدم .

الظهار قبل الدخول :

لو ظاهر من زوجته قبل الدخول بها كان له حكم الظهار بعد الدخول تماما .

ليس على النساء ظهار :

الظهار خاص بالرجال كالطلاق ، لقوله تعالى :

﴿ الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَائِهِم ﴾ (المجادلة - ٢) .

ولم يقل واللائى يظاهرن منكن من أزواجهن ، وهذا هو رأى الجمهور - كما قال أبو عمر - وقال الحسن بن زياد : للمرأة أن تظاهر من زوجها ، والصواب الأول ، لأن الحل والعقد والتحليل والتحريم فى النكاح بيد الرجال ، وليس بيد النساء من ذلك شىء وقال الأوزاعى : إذا قالت المرأة لزوجها أنت على كظهر أمى فلانة ، فهو يمين تكفرها وليس ظهارا .

ظهار الغضبان والسكران :

يقع الطلاق والظهار من الغضبان والسكران فى حال سكره إن عقل قوله ، لقوله تعالى فى سورة النساء : ﴿ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ ﴾ (النساء - ٤٣) .

ماذا يجب على المظاهر قبل الكفارة :

يجب على المظاهر أن لا يقرب زوجته ولا يباشرها ولا يتلذذ منها بشىء حتى يكفر ، لأن قوله : أنت علىَّ كظهر أمى يقتضى تحريم كل استمتاع بها حتى يكفر ، خلافا للشافعى الذى أجاز له الاستمتاع بها فيها عدا الوطء ، فإنه حرمه قبل الكفارة .

حكم الوطء قبل الكفارة :

إذا وطىء المظاهر زوجته قبل أن يكفر كان آثما ، وعليه أن يستغفر ربه ، وأن لا يعود إلى وطئها مرة أخرى حتى يكفر ، وتكفيه كفارة واحدة عن الظهار وعن الوطء ، روى جماعة من الأئمة منهم ابن ماجه والنسائى عن ابن عباس (أن رجلا ظاهر من امرأته فغشيها قبل أن يكفر ، فأتى النبى - صلى الله عليه وسلم - فذكر ذلك له فقال : « ما حملك على ذلك » ؟ فقال : رسول الله ، رأيت بياض خلخالها فى ضوء القمر ، فلم أملك نفسى أن وقعت عليها ، فضحك النبى - صلى الله عليه وسلم - وأمره ألا يقربها حتى يكفر » .

وروى ابن ماجه والدارقطنى عن سليمان بن يسار ، عن سلمة بن صخر (أنه ظاهر فى زمان النبى - صلى الله عليه وسلم - ثم وقع بامرأته قبل أن يكفر ، فأتى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فذكر ذلك له ، فأمره أن يكفر تكفيرا واحدا » .

ومن العلماء من قال : عليه كفارتان ، وهو مروى عن عمرو بن العاص ، والراجح أن عليه كفارة واحدة لما تقدم .

الظهار من أربع زيجات :

إذا ظاهر الزوج من زوجاته الأربع فى كلمة واحدة ، كقوله : أنتن علىَّ كظهر أمى ، لم يجز له

وطء إحداهن حتى يكفر كفارة واحدة عن الجميع ، روى الدارقطنى عن ابن عباس قال : كان عمر بن الخطاب يقول : « إذا كان تحت الرجل أربع نسوة فظاهر منهن تجزئه كفارة واحدة ، فإن ظاهر من واحدة بعد أخرى ، لزمه فى كل واحدة منهن كفارة ، قال القرطبى : وهذا إجماع .

وإذا قال لامرأته أنت على كظهر أمى وأنت طالق البتة ، لزمه الطلاق البائن والظهار معا ، ولا يكفر حتى يتزوجها بعد زوج آخر طلقها وانتهت عدتها منه ، ولا يطؤها قبل أن يكفر كفارة ظهاره السابق .

فإذا قال : أنت طالق البتة وأنت على كظهر أمى ، لزمه الطلاق ولم يلزمه الظهار ، لأن المبتوتة لا يلحقها ظهار .

ولقد وصف الله ظهار الرجل لامرأته بقوله :

﴿ مَّا هُنَّ أُمَّهَٰتِهِمْ إِنْ أُمَّهَٰتُهُمْ إِلَّا ٱلَّٰٓـِٔى وَلَدْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِّنَ ٱلْقَوْلِ وَزُورًا وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ﴾ (المجادلة ـ ٢) .

حيث جعل الكفارة عليهم مخلصة من هذا القول المنكر .

العود فى الظهار وكفارته :

يجب على المظاهر من زوجته أن يكفر عن ظهاره إذا عاد عما قاله لزوجته من تحريمها كظهر أمه ، لقوله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا۟ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا ۚ ذَٰلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِۦ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ۝٣ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا ۖ فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ۚ ذَٰلِكَ لِتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۗ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾

(الأيتان ٣ ، ٤ من سورة المجادلة) .

واختلف فى تفسير العود على سبعة أقوال ، أقربها إلى معنى الآية أن يعود المظاهر عن تحريم زوجته ، ويعزم على الرجوع إلى وطئها والاستمتاع بها ، فإذا حدث منه ذلك لم يحل له وطؤها قبل أن يكفر عن هذا العود الذى عزم عليه ، وخالف به تحريمه لها ، فإن طلقها بعد ظهاره منها ، ولم يعزم على إمساكها ونية وطئها فلا كفارة عليه ، فإن تزوجها بعد طلاقها منه ، فلا يحل له أن يمسها قبل أن يكفر ، وبهذا قال الإمام مالك .

أنواع الكفارة :

وهذه الكفارة هى عتق رقبة مسلمة ـ كما قال مالك والشافعى ـ وقال أبو حنيفة وأصحابه : يجزئه عتق الرقبة الكافرة .

فمن لم يجد الرقبة أو وجدها ولم يجد ثمنها فعليه صوم شهرين متتابعين ، فإن أفطر يوما لغير عذر استأنف صيام الشهرين ، فإن كان فطره لعذر كسفر ومرض بنى على ما صامه عند زوال عذره على الأرجح .

فإن عجز عن صيام شهرين متتابعين أطعم ستين مسكينا لكل مسكين مد من الطعام من غالب قوت البلد ، وهذا هو مذهب الشافعية ، أما المالكية فيوجبون مدين لكل مسكين ، وفى ذلك يقول الله تعالى :

﴿ وَٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا۟ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا ۚ ذَٰلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِۦ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ۝٣ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا ۖ فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ۚ ذَٰلِكَ لِتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۗ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾

(المجادلة ـ ٣ ، ٤) . والله تعالى أعلم .

المخدرات والسموم البيضاء

أضرارها العظيمة وأخطارها الجسيمة

لفضيلة الشيخ
عبد المنصف محمود عبد الفتاح

قال الله تعالى : ﴿ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَٰٓئِثَ ﴾ (الأعراف - ١٥٧) .. أحل الله لنا الطيبات من مأكولات ومشروبات ، وحثنا على تناولها ، وتغذية الجسم بها ، وحرم علينا الخبائث المضرة التى تفتك بصحتنا ، وتضر بعقولنا ، وتودى بحياتنا .. فالطيب : كل ما نفع الجسم والعقل ، والخبيث : كل ما أضر بهما . فيدخل تحته : الحشيش والأفيون ، وما كان على شاكلتهما .

إن أعداء الإسلام يتربصون به الدوائر ، فى كل مكان !! وهم عندما يحاربون الإسلام إنما يحاربونه بكل وسيلة ، لا يألون فى ذلك جهداً !!

فعلى الأمة الإسلامية أن تجمع شتاتها ، وتتدبر أمرها ، وتأخذ بهدى نبيها ، وإلا فإن ما ينتظرها لا يخطر لها على بال !! فقد اتحدت قوى الظلام كلها ضدها !! ولعل آخر مخترعات أعداء الإسلام هو ما يصدرونه إلى الشعوب الإسلامية فى كل مكان من الكوكايين ، والكورايين ، والمبتولين ، والمورفين ، والهيروين ، والماكستون فورت والبانجو ، وكلها أدوات فعالة ، لتدمير شباب هذه الأمة ، وإغراقهم فى بحور النسيان ؛ لأنهم يعتقدون أن الشباب هم درع الأمة الواقى ، وحصنها الحصين ، ولهم ماض مجيد ، فهم الذين وقفوا وقفة شامخة ضد جحافل التتار ، والصليبيين ، ثم الصهيونية العالمية .. والنفاذ إلى الشباب من أجل إضعافهم لا يتأتى إلا من بابين خطيرين للغاية لابد من إغلاقهما بكل الوسائل الممكنة الأول : باب أفلام الجنس : عن طريق الفيديو الذى بدأ ينتشر ، حتى فى الحوارى والأزقة من القرى والبلدان ، وهذه ظاهرة خطيرة جداً !!

الثانى : باب المخدرات الجديدة البيضاء التى تسحق الشباب ، وتحوله إلى حطام لا يقوى على شىء !!

ولا ريب أن تناول المخدرات قتل تدريجى للنفس ، وإلقاء بها إلى مهاوى الخسران والهلاك . . وقد حذرنا الله تعالى من ذلك فقال :

﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٢٩﴾ ﴾

(النساء - ٢٩)

وقال جل شأنه :

﴿ وَلَا تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ ۛ وَأَحْسِنُوٓاْ ۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٩٥﴾ ﴾

(البقرة - ١٩٥)

وعن ثابت بن الضحاك - رضى الله عنه - فى حديث عن النبى - ﷺ - : « ومن قتل نفسه بشىء فى الدنيا عذب به يوم القيامة »[١] .

الحشيش : تيار من الخراب جارف ، وبلاء من الهوان ماحق ، وجنون لا شك لاحق . . فهذه السجون مملوءة بضحاياه ، والمستشفيات مكتظة بصرعاه !! . . والأفيون : سوس الأبدان ، بل منشارها الذى يهلكها إهلاكاً ؛ فإن القطعة إذا ابتلعها متعاطيه : تنزل على الكبد ، فتفعل به ما تفعل . . وقد أثبت علم التشريح أن أكباد المتعاطين لهذه المادة أشبه ما تكون بإسفنجة ، متخرقة من كل نواحيها !!

فالمخدرات على اختلاف أنواعها ما هى إلا سلاح لإذلال الشعوب وإضعافها . . وقد قامت إسرائيل بزراعة القنب الهندى وهو نبات الحشيش فى الأرض المحتلة بفلسطين ، ثم تصديره إلى مصر والدول المجاورة لها خلسة ، ولكن شاء الله تعالى أن تبوء محاولات التصدير بالفشل ؛ لعدم ملاءمة المناخ ، فما كان منها إلا أن فتحت أبوابها للمهربين الخونة : الذين غامروا بأوطانهم على مائدة المطامع الصهيونية ، واتخذت إسرائيل من الأرض التى تحتلها جسراً ؛ لتهريب المخدرات بجميع أنواعها .

رأى مروجيها :

كثيراً ما يردد تجار المخدرات ، والمروجين لها الشائعات الكاذبة على سبيل الإغراء ، لأجل ترويجها ، وسرعة تفشيها بين أبناء الأمة منها :

(١) أنها تساعد على الشعور بإزالة التعب ، وتشيع فى الجسم الراحة والهدوء .
(٢) أنها تضاعف من المتعة الجنسية .
(٣) تشيع فى النفوس الشعور بالبهجة والسرور .
(٤) تساعد على إجادة النكتة .
(٥) تفتح الشهية للأكل .

ونضع بين أيديهم هذه الحقائق :

أما أنها تزيل التعب فهذا ادعاء كاذب فيه مغالطة ؛ لأنه يخالف أبسط القواعد الطبية ، فمن البدهى أن الشعور بالتعب يحتم على الإنسان أن ينال قسطاً من الراحة ؛ حتى لا يقع فريسة للأمراض ، أما المخدرات فهى لا شك تحطم قواه فجأة .

وأما أنها تضاعف المتعة الجنسية ، بإطالة فترة الجماع فهو زعم كاذب ، دفعهم إليه ما تصيبهم به المخدرات ؛ من بلادة الحس ، فيفقدون القدرة على التمييز ، وعلى النقيض من ذلك .

---

(١) اخرجه البخارى فى صحيحه .

فقد أثبتت التجارب العديدة ما آل إليه مصير مدمنى المخدرات من العجز الجنسى فى سن مبكرة ، وفى مقتبل العمر ، ومن المعروف : أن القدرة الجنسية لا تتطلب غير مراعاة القواعد الصحية ، وعلى رأسها تجنب عوامل الإجهاد الجسمانى ، وعدم الانهماك فى إشباع الشهوات ، والانغماس فى الملذات .

وأما أنها تبعث البهجة والسرور فهو إدعاء كاذب ، يرجع إلى أثر المخدرات فى كبت الوعى ، وتضليل المشاعر ، فيفقد المرء إحساسه بما يحيط به من مشاكل الحياة التى تتطلب المواجهة بكل صراحة وشجاعة وحزم .

وأما أنها تساعد على إجادة النكتة فالواقع أن النكات والفكاهات التى يرددها المدمنون من السخف والبلاهة ، بحيث لا تثير إلا ضحكهم ، فنوادر الحشاشين لا تدور حول بطولاتهم ، وإنما تدور حول سخافاتهم وحماقتهم .

ثم إن هذه المخدرات ، وإن عجزت عن تحقيق هذه الفوائد الوهمية ؛ فإنها لم تعجز عن إلحاق أسوأ المضار بمتعاطيها !!

مضارها الصحية :

مما لا شك فيه أنها تسلم صاحبها إلى مصير ، يدفع ثمنه غالياً من ماله وصحته وسمعته . . ومن أبرز الأعراض المرضية التى تنتاب متعاطى المخدرات ، كما يقرره الأطباء :

(١) هبوط درجة الحرارة عن المعدل الطبيعى .

(٢) جفاف الحلق .

(٣) التهاب اللثة .

(٤) اضطراب الهضم ، والميل إلى القىء .

(٥) اضطراب النبض .

(٦) اصفرار الوجه .

(٧) التعجيل بالشيخوخة ، من فرط ما تصاب به أكبادهم من الضعف والإرهاق .

(٨) إضعاف مناعة الجسم ، والإقلال من قدرته على مقاومة الأمراض ، لا سيما الأمراض الصدرية .

(٩) معظم المصابين بالأمراض السرية كالزهرى والسيلان من مدمنى المخدرات .

(١٠) تعاطيها بطريق ما يعرف بالجوزة ، أو الشيشة ، أو البورى يساعد على انتشار العدوى التى تنتقل جراثيمها وميكروباتها عن طريق الفم .

الأمراض العصبية :

كثيراً ما يسقط مدمنو المخدرات : فريسة للأمراض العصبية ، يساورهم الشك فى أقرب الناس إليهم ، فتؤثر المخدرات على المراكز العليا فى سطح المخ ، وترسل المئات من مدمنيها إلى مستشفيات الأمراض العقلية .

عدم الغيرة على الأعراض :

تتلاشى من مدمنى المخدرات نزعة الغيرة على العرض ، فلا يأبه بسلوك زوجته أو ابنته أو أخته !! وفى هذا يقول رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « لن يدخل الجنة ديوث ، قالوا : وما الديوث يارسول الله ؟ قال : الذى لا يغار على أهله » ، وفى رواية أخرى : « الذى يقر الخبث فى أهله » .

ارتكاب الجرائم :

يرتكب مدمنو المخدرات كثيراً من الجرائم الخلقية كالتزوير ، والرشوة ، والدعارة ، وخيانة الأمة عن طريق التجسس ، لصالح الأعداء .

حوادث المرور :

وكثيراً ما ترجع حوادث المرور إلى افتقاد السائقين والمارة من المدمنين وعيهم ، كما تنتشر جرائم الشذوذ الجنسى بين هؤلاء البائسين المستهترين بكافة القيم ، وإهمال المتعاطى لأسرته ، إلى تخليه عن مراقبة أفرادها ، وعدم اهتمامه بسلوكهم ، ولهذا فإن الفتيات اللاتى يعشن فى كنف رجل غارق فى تعاطى المخدرات يكن أكثر عرضة للانزلاق فى هاوية الرذيلة ، لفقد القدوة الصالحة فى عائلهن .

أثر المخدرات فى الاقتصاد القومى :

يلحق انتشار المخدرات أسوأ الأثر فى اقتصاد الأمة ؛ لأنه يقلل من القوة الإنتاجية للمتعاطين المحطمين صحياً ونفسياً ، وعصبياً وخلقياً .

البطالـة :

تنتشر البطالة بينهم فيقل الإنتاج ، ويروج التسول ، وتكثر حوادث السرقة .

ولا شك أن المجتمع يخسر كثيراً ، بفقد أعضائه الذين تشردوا ، ويزج بهم فى السجون ، ويتحمل كثيراً من الأعباء المالية التى تتطلب كثيراً من نفقات إيوائهم وتغذيتهم ، وعلاجهم ، ويتكبد الاقتصاد القومى ملايين الجنيهات سنوياً ، لعشرات الألوف من الكيلو جرامات من المخدرات التى تتسرب إلينا عبر الحدود الشرقية .

أضرارها المالية على الفرد :

المخدرات بالوعة أموال ، تحمل صاحبها على ذل التسول ، وعار السؤال ، كم فصلت موظفاً من وظيفته ، وطردت عاملاً من عمله ، وضيعته فشقى بعد عز ، وهان بعد كرامة ، وشقى به أهله ، وذل بسببه ولده !!

رأى الإســلام :

إن ديننا الحنيف الذى حرم لحم الخنزير ؛ لما فيه من ضرر ، وبخاصة أنه يذهب الغيرة من نفوس آكليه يحرم السموم البيضاء ؛ لما فيها من خطر !! والذى حرم المسكرات بجميع أنواعها ، لما فيها من أضرار عظيمة صحية واقتصادية واجتماعية .. الدين الذى نهى عن الحلال ، إذا زاد على الحاجة ، نهى عن كل ما يذهب بالصحة والشرف نهى عن الإسراف والتبذير ، وأباح الطيبات من مآكل ومطاعم ، ومشروبات ، ومشمومات ، فقال ـ تعالى ـ :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١٧٢﴾ ﴾ (البقرة ـ ١٧٢)

هذا الدين الذى ينهى عن الإسراف ، وضياع الأموال فى الملذات والشهوات ، فقال ـ تعالى ـ :

﴿ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾ ﴾

(الأعراف ـ ٣١)

وقال ـ جل شأنه ـ : ﴿ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا ﴿٢٧﴾ ﴾

(الإسراء ـ ٢٦ : ٢٧)

وصرف الأموال فى هذه السموم تبذير .. الدين الذى حرم الإفساد فى الأرض يُحرم المخدرات ؛ لأنها أس ، وأصل كل فساد خلقى واجتماعى .. الدين الذى حرم الإيذاء بقول الله ـ تعالى ـ :

﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٨﴾ ﴾

(الأحزاب - ٥٨)

يُحرم المخدرات ؛ لأنها تؤذى الأفراد والجماعات ، والأمم والشعوب ، بفقد هيبتها ، وذهاب سمعتها ، وإضعاف قوتها ، والنبى - صلى الله عليه وسلم - يقول فى الحديث الصحيح الذى رواه أبو هريرة : « المؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف »[٢] المؤمن القوى خير وبركة ، وقوته المادية تستند إلى سلامة البدن والعقل والمجتمع ، وقوته النفسية : تستند إلى سلامة الروح الربانية التى تسلكه فى جند الله المخلصين .

وإذا مرضت الأبدان ضعفت العقول ، ووهن المجتمع ، وصار الناس غثاءً كغثاء السيل لايقدرون على شىء من رسالة الخير ، ونصرة الحق .

البقـاء للأصلـح :

ومن سنن الله - تعالى - أن البقاء فى الكون للأصحاء الأقوياء ، والشجعان الأشداء فهم الذين يستخلفهم الله فى الأرض فيعمرونها ، ويصلون إلى خباياها وأسرارها ، ويكشفون عن خيراتها وكنوزها .

وإنه ما توجت أمة بتاج الشرف ، ولا ارتقت ذروة المجد ، ولا قهرت أعداءها ، ولا حافظت على عقيدتها وحريتها إلا بقوة أبنائها ، وصحة أبدانهم ، وقوة أجسامهم ؛ لأن ذلك وسيلة إلى سلامة عقولهم ، ونضج تفكيرهم ، ومضاء عزائمهم ، وسداد أعمالهم . . ومن الحكم اليونانية الشهيرة : « العقل السليم فى الجسم السليم » وقد ثبت فى علم النفس : « أن هناك صلة كبيرة بين الجسم والعقل ، فما يؤثر فى الجسم يؤثر فى العقل ، وما يؤثر فى العقل يؤثر فى الجسم ، فلكى يستطيع الإنسان القيام بأعباء الحياة : يجب أن يكون قوياً فى جسمه سليماً فى عقله » .

وقد عنى الاسبرطيون قديماً بالناحية البدنية ، والقوة الجسمية كل العناية ، قال أحد الحكماء : « إن الحياة عدو لا يستطيع التغلب عليه إلا من كان قوياً فى جسمه ، شديداً فى بأسه » .

والمؤمن إذا أعطى عقلاً سليماً ، فى جسم سليم طابت حياته ، وعاش سعيداً هانئاً ، يقبل على عمله ، وهو مغتبط ، ويزيد فى إنتاجه ، وهو أتم مايكون تفاؤلاً وانشراحاً .

وقديماً أثنت ابنة شعيب على نبى الله موسى - عليه السلام - فقالت لأبيها ، مبدية له إعجابها بقوته وفتوته ، وأمانته وعفته :

﴿ يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ ۖ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ ﴾

(القصص - ٢٦)

وفى سورة النمل : يعتز جند الملكة بلقيس : بقوتهم وشدة بأسهم

﴿ قَالُوا۟ نَحْنُ أُو۟لُوا۟ قُوَّةٍ وَأُو۟لُوا۟ بَأْسٍ شَدِيدٍ ﴾

(النمل - ٣٣)

وفى سورة الفتح ثناء من الله - تعالى - على النبى وصحابته ، وتنويه ببطولتهم وشجاعتهم :

﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ﴾

(الفتح - ٢٩)

ومن كان قوياً : عاش عزيزاً ، يهابه العدو ، ويخشى بأسه الحاقد .

(٢) اخرجه مسلم فى صحيحه .

أما الضعاف المهازيل فإنهم يعيشون على هامش الحياة ، يطمع فيهم الطامعون ، وينال منهم الأعداء تلك سنة الحياة .

من هذا كله تتضح لنا الحكمة فى تحريم المخدرات . . هذا فضلاً عما روى فى الصحيح : عن أم سلمة زوج النبى - صلى الله عليه وسلم - أنها قالت : « نهى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عن كل مسكر ومفتر » (٣)

والأمة الإسلامية كلها من خليجها إلى محيطها فى حاجة شديدة إلى المصانع . . إلى العمال . . إلى المال . . إلى السواعد القوية ، والأيدى العاملة المنتجة ، والنفوس الأبية ، والقلوب الفتية ، وذلك يكون بمحاربة المخدرات والمسكرات ، وعدم تسرب سمومها إلينا ، والضرب بيد من حديد على أيدى تجارها ، ومروجيها ، ومدمنيها المصرين على مداومة تعاطيها ، حتى نبنى جيلاً قوياً فتياً .

الوسائل العملية لمكافحة المخدرات :

يمكن تلخيص هذه الوسائل ، حسب علمى أو ما وصلت إليه من علم فى ست نقاط :

الأولى : تخصيص أسبوع من كل عام تجند فيه جميع وسائل الإعلام المختلفة على أن يقوم الوعاظ وأئمة المساجد ، والأطباء ، وعلماء الاجتماع بالتحذير من الوقوع فى براثن هذه السموم الفتاكة .

الثانية : إيجاد وحدة صحية فى كل محافظة ، لعلاج المدمنين ، على أن يتردد عليهم : أثناء فترة العلاج بعض الدعاة ، لبيان أضرار تعاطى المخدرات دينياً وصحياً واقتصادياً واجتماعياً ، حتى لا يفكروا فى العودة إليها بعد تمام شفائهم .

الثالثة : يقوم الوعاظ والأئمة بالتوعية الدينية ، بين وقت وآخر فى التجمعات الكبيرة الموالد ، والأندية ، ومراكز الشباب ، ومراحل التعليم المختلفة ، لتبصير المواطنين بمدى خطورة تعاطيها .

الرابعة : تطبع كتيبات بأسلوب سهل مبسط ، للتنفير منها فى ضوء تعاليم الإسلام ، وتوزع بأثمان رمزية على أوسع نطاق ، تعميماً للفائدة .

الخامسة : يقضى الحاكم بالتعزير على متعاطى المخدرات ، متى ثبت ذلك بشهادة الشهود ؛ بأن يحبس أو يجلد دون الحد .

السادسة : التعاون مع رجال الأمن فى محاربة هذه السموم ، التى تضر بالمجتمع ، ولا نلقى العبء على المسئولين من رجال الحكومة وحدهم ؛ فإن هذه الروح إذا سرت فى أمة صيرتها إلى الفناء ، وذابت شخصيتها سريعاً ، من بين الأمم الحية الناهضة . . فإن رجال الحكومة لا يعلمون الغيب ، ولا يعرفون ما يجرى من وراء حجاب ، والأمة يعلم بعضها بعضا أكثر من الحكام الذين تولوا من الناس ما يقع تحت حسهم (وإن كانت لهم أساليبهم ووسائلهم الناجحة فى هذا المجال) فإن لم نتعاون معهم كنا آثمين ، وعندئذ يعم الشقاء ، ويشيع الفساد ، والله تعالى يقول :

﴿ وَٱتَّقُوا۟ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنكُمْ خَآصَّةً وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾ (٢٥)

(الأنفال - ٢٥)

---

(٣) أخرجه مسلم فى صحيحه .

طُغْيَانُ المَالِ

وعبرة المآل فى محكم القرآن

لفضيلة الشـيخ
عبد الرحمن صان الدين

المال ـ بمختلف أعيانه وأنواعه ، فى كل زمان ومكان ـ له على الإنسان سلطان قاهر ، وحكم نافذ ، وللإنسان به سطوة وصولة فى كل دولة ؛ فهو يخطف الأبصار ، ويعصف بالألباب ، ويستحوذ على المشاعر ، بمظاهره الساحرة ، وفاعليته القادرة ، فيستسلم الإنسان لدواعيه ، ويصير أسيرا له بحركة فى الحياة كيف يشاء ، لايحس إلا به ، ولايفكر إلا له ، ولايرى إلا من خلاله ، وتلك هى آفة البشر فى كل عصر ، إلا من عصم الله ، وإنهم لقليل لايسمع لهم صوت ، ولايُطاع لهم أمر ، وذلك هو الذى جعل لليهود ـ وهم شتات غير متجانس ـ صولة ودولة ، ونفوذا وإرادة ، فهم دهاقنة المال وشياطينه ، ودهاته وسدنته ، به يتكلمون وله يفكرون ويعملون فى دأب ، بلا يأس أو ملل لأنه سلاحهم الماضى ، وسلطانهم الطاغى ، وما الواقع الحاضر إلا صدى للغابر ، فما مكن اليهود من أرض فلسطين المباركة إلا سلاح المال .

ولكن هل المال وحده بكل جبروته وسحره ، يكفل للإنسان فى الحياة سكينة النفس واطمئنان القلب وسلامة المنقلب ؟ التاريخ والحاضر المشاهد يقولان : كلا . . فاليهودى على مر الزمان ، وتعاقب الأجيال ، ومختلف الأصقاع والأوطان عاش قلقا متشردا مُرَوَّعا ، يعانى من وحشة الاغتراب ، ويتوجس خيفة حتى فى مأمنه ، ويرتاب حتى فى نفسه ذلك على الرغم من دهائه ومكره ، وحيلة وخدعه التى لاتلبث حتى تنكشف فتكون القارعة عليه ، ومع ذلك لايرعوى ولايزدجر ، فيسير فى خط مستقيم مسالما موادعا. متصالحا مع الإنسانية التى طالما ناصبها العداء ،

وننغص عيشها بالحقد الأسود الذى نَغِرَتْ به نفسه العليلة ، والذى ورثه من آبائه وأجداده الذين قتلوا الأنبياء ، ورموا بالإفك والبهتان الأبرياء الأطهار .

تلك حقائق أظهر وأثبت من أن يمارى فيها ممار أو مشاحن أوردتها حين ابتدرت خاطرى ، وأنا أدلف إلى قصة المال التى جاءت فى القرآن .
وقصة المال فى سطوته وجبروته ، وأبهته وهيلمانه ، يسوقها لنا القرآن الكريم فى قصة (قارون [1]) . بإيجاز معجز ، ونسج محكم مشتملة على ظلال وأصداء معبرة عن طباع الإنسان ، ومواطن الضعف فيه ، كما تقرر أن فى كل ملة وحال عقلاء مبصرين ، يرون الأشياء والوقائع فى حجمها الحقيقى ، ولونها الطبيعى ، ينصحون وإن لم يسمع لهم نصح ، ويجهرون بكلمة الحق وإن تجاهلها المبطل وشاح عنها المغرور ، حتى إذا بلغت الفتنة مداها جاءت النهاية الرهيبة المروعة التى لم تكن تخطر على بال ، ولايبلغها الخيال ويصحو الغافل ، وينيب المفتون ويعتبر المعتبر .

وإليك أيها القارىء لمحات من وقائع تلك القصة المعبرة فى صدق الزاجرة فى رفق ، والتى وقعت فى غابر بنى إسرائيل ، والتى يتكرر أبطالها وفصولها فى كل زمان ومكان ، وإن اختلفت المظاهر والصور ، إنها قصة الفتنة الشعواء ، والبَطَر والخُيَلاء ، والجحود والنكران ، وكل الخصال الكامنة فى جبلة الإنسان المجرد من الإيمان .
﴿ إِنَّ قَـٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ ﴾ذلك أصله ونسبه ، وتلك عترته من قوم موسى ، وقوم موسى تاريخهم حافل بالمكر والكبر والبغى ، ومخالفة كل شرع ومنطق ، وكأنهم خلقوا من عنصر غير عنصر البشر ﴿ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ﴾ اعتدى على قومه ، وأفرط فى العدوان ، ولم تردعه وتكف عدوانه آصرة القربى ، ووحدة الدم ، ومن هذا البغى والعدوان جمع ثروته الطائلة التى أتاحها الله له ، لحكمة بالغة ، والله يعطى الدنيا من يحب ومن لايحب ، ولكنه لايعطى الآخرة إلا لمن يحب ، وقد بلغت تلك الثروة من الاتساع والضخامة إلى حد أن مفاتيح خزائنها يعجز عن حملها العصبة من الرجال الأشداء ، فما بالك بالثروة نفسها التى سماها القرآن كنوزا لدنسها وخبث مصادرها وأسبابها ، وهل ثم أقبح وأخبث من البغى ، وكل مال يجمع ويكدس من سحت أو يغفل حق الله فيه فهو كنز دنس ، وهو مال مهدر لابركة فيه ، مهما اغتر به صاحبه ، وافتتن به قصير النظر سقيم الوجدان .

ولما نفخ الغرور أوداج قارون ، وراح يشمخ بأنفه ، وقد استطار شره ـ وتلك هى لازمة المال الحرام عند أكثر الناس ـ تقدم له قومه بالنصح الخالص الصائب الذى يتضمن النهى عن الفرح ، والبطر لأن ذلك لايحبه الله خالقه ورازقه ، ويتضمن الأمر بتوظيف المال واستخدامه فى وجوه الخير والإحسان التى تؤدى إلى النجاة والسلامة فى الآخرة ، ومع هذا له أن يستمتع وينعم بطيبات الرزق من غير شطط أومباهاة ومراءاة ، وتلك هى عناصر الحياة السعيدة

(١) اية ٧٦ وما بعدها إلى اخر اية ٨٢ من سورة القصص

الرشيدة ، وذلك هو سلوك العقلاء ، وهذا هو الهدف من المال فى الحياة عند من وعى وأبصر ، ولكن قارون يجيب الناصحين قائلا : ﴿ قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِيٓ ﴾ بعلمى أنا ، وخبرتى ومهارتى أنا وحدى ! إجابة تجسم الغرور والصلف اللذين يستحوذان على مشاعر وفكر أكثر أصحاب المال ، وكانزى الذهب .

والسؤال المطروح من قديم الزمان ، والذى يتبادر إلى الأذهان هو أى علم ذلك الذى مكن قارون من جمع وتكديس تلك الكنوز الهائلة ، أهو العلم الكيميائى الذى يحول المعادن الخسيسة إلى معادن نفيسة - كما قيل - وهذا أمر لاحقيقة له فى الواقع ، ولكنه حلم طالما داعب أحلام الباحثين والعلماء فى مختلف العصور ، أم أن علم قارون كان ينحصر فى مهارته وخبرته فى البغى والعدوان والاستغلال ، واستدعاء المال بكل وسيلة لاتعرف المعانى الإنسانية ، ولاتقيم للقيم العالية والنبل والشرف وزنا - كما هو شأن اليهود - وما أحسبه إلا كذلك ، والمال شغوف بالتباهى والتظاهر ، فلابد لصاحبه من إبراز وعرض إمكاناته وقدراته أمام الجماهير ، ليطرب هو وينتشى ، ولو كان فى ذلك الحسرة والأسى لغيره من الناس ولو كانوا أقرباءه وعشيرته ، وهاهو قارون يلبى داعى النفس الخبيثة العليلة ﴿ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦ ﴾ هكذا . . انظر إلى هذه الجملة التى لاتتألف إلا من ثلاث كلمات وحرفين ، ولكنها تنقل إلينا من الغابر مشهدا حافلا بالصور زاخرا بالمشاعر والأحاسيس ، فكل كلمة فيها ، وكل حرف يرسم جانبا من جوانب المشهد الهائل ، ويلقى فى حواس القارىء الظلال والألوان التى تجعله شاهدا يرى ويسمع ذلك الذى وقع فى غابر الأزمان ، وكأنه واقع الآن يشهده (فخرج) إنه خروج بتخطيط وتدبير وإعداد لهدف ، فهو - أى قارون - محجب خلف أسوار قصره فى متعه ولهوه ولذاته ، فلا تراه العيون إلا لماما ، وفى هيئة خاصة ، وهالة مبهرة ، وهاهو ذا يلوح للناظرين المتجمعين فى طريق موكبه فى صلفه وتكبره شامخا بأنفه ، وعلى مَنْ ؟! على قومه ، وهذا المعنى يوحى به الحرف (على) فى الآية ، فلو جاء بدله الحرف (إلى) لكان المعنى مستقيما أيضا ، ولكنه لايعطى الصورة المراد إبرازها فى المشهد ، صورة العجرفة والتعالى ، ثم تأمل الحرف (فى) قبل كلمة (زينته) إنه يجعلك ترى قارون غارقا فى الحلية والزينة ، وليست هى ككل زينة ، ولكنها زينة خاصة به لايشاركه فيها ، ولا يقدر على التزين بها غيره ، وهذا هو مفهوم إضافة الزينة إلى الضمير العائد إليه فى كلمة (زينته) بخلاف لو جاءت بدلها كلمة متزينا أو زينة بالتنكير ، ولكنه القرآن . . . . ولكنه القرآن . . . . كل حرف فيه ، وكل إسناد ، وكل تعريف أو تنكير تكمن فى طياته المعانى الباهرة المذخورة لحينها المقدر فى علم الله أزلا .

وإزاء هذا المشهد الباهر ، مشهد الأبهة والعظمة ، وبريق الحُلى من الذهب والدر والجواهر ، وبين الحاشية والحجاب والحراس ، إزاء هذا الموكب الساحر الأخاذ انقسم الناس إلى فريقين :

الفريق الأول - وهو الأعم الأغلب ، كما هو الشأن فى كل مجتمع - وقف مبهورا مأخوذا مفتونا بما شاهد لأنه لايرى إلا ظاهرا مُبَهْرَجًا ، ولايلمس إلا قشرا مُزَخْرَفًا ، فلا يعمق بفكره إلى جوهر الحياة ، وحقيقتها الخالدة ، ولايعنية ولايستقطبه إلا متاع الحياة الدنيا المشاهد والمنظور ، فراح فى أسى وتحسر يتمنى مثل ما أوتى قارون ، ويغبطه

على ماهو فيه من نعيم ومتاع ﴿ يَٰلَيۡتَ لَنَا مِثۡلَ مَآ أُوتِيَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٖ ﴾ .

والفريق الثانى ، وهو القليل المبصر الواعى العليم ببواطن الأمور ، وحقيقة الحياة وأبعادها ، راح ينعى ويستنكر ، ويحذر ، ويرشد ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ وَيۡلَكُمۡ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيۡرٞ لِّمَنۡ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ ﴾ إذا ثواب الله ، والخير الدائم الخالص المقيم الذى لا شائبة فيه لايناله إلا صاحب المواصفات الخاصة ، التى هى الإيمان والعمل الصالح ، والصبر ، الصبر على الحرمان من متع الحياة ولذائذها المحرمة ، وكبح جماح النفس ، والقدرة على صرف النظر عن مباهج العيش البراقة الآثمة ، وهل الحياة الدنيا إلا ساعات وأيام سرعان ما تنقضى وتتلاشى بما يتراءى فيها من بروق وظواهر ، ولا يبقى إلا الحق ، والعمل يصحب صاحبه إلى حيث البقاء والخلود ، فالبهرج يصدأ ، وبريق الفجر الكاذب لايلبث حتى يختفى ، ويعقبه الظلام الدامس ، والله الحكيم الخبير أرحم بعباده من أن يدعهم لسطوة الغرائز والميول ، وفتنة الزخارف والزينة تستبد بعقولهم وعواطفهم ، فتهوى بهم فى مكان سحيق من الارتكاس فى وهدة المادية المحضة ، فما أن بلغ الزخرف مداه ، والغرور منتهاه ، وافتتن من افتتن أو كاد ، وصبر من صبر ، حتى تداركت رحمة الله البسطاء الأغرار الذين كادوا أن يفتتنوا ، فجاء الحسم ، ونزل القضاء المبرم ، والجزاء العادل ، وعلى حين غرة ، ومن غير توقع ، تلفت الناس فى ذهول إلى قصر قارون الباذخ المنيف ، فلم يجدوا له ظلا أو أثرا لقد ابتلعته الأرض ، واختفى بمن وما فيه فى طرفة عين ، ﴿ فَخَسَفۡنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلۡأَرۡضَ ﴾ وكلمة (خسفنا) فيها معنى الانتقام والتنكيل ، بكل باغ مغرور مهما بلغ من القوة والتمكن ، ومهما أمد الله له فى الإمهال ، ذلك فضلا عن معناها الأصلى وهو الغور والذهاب فى باطن الأرض ، فهل نفع المال والجاه والحراس والحاشية قارون ؟

وهل حماه كل ذلك من بطش الله ونقمته ؟ كلا . . ﴿ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٖ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُنتَصِرِينَ ﴾ ولكن الإنسان فى نشوة الثراء والسلطان والجاه يعمى فلا يبصر إلا المتاع الموقوت ، ويصُم فلا يسمع إلا نداء النفس الأمارة بالسوء .

وأمام ذلك المشهد الرهيب الصاعق ، استيقظ النائم ، وعلم الجاهل أن العبرة فى الحياة والمدار ليس بوفرة المال ، ولا برفاهة العيش وألوان النعيم ، وأن الإنسان مع صلفه وغروره وقوته لايملك لنفسه نفعا ولا ضرا ، ولايرد جائحة أو قارعة ، وأن الأمر كله ، أوله وآخره بيد الله وحده يعطى ما يشاء لمن يشاء ، ويمنع مايريد عمّن يريد فضلا منه وكرما أو إملاء ومكرا .

عاد إلى المفتونين صوابهم الشارد إزاء ذلك المشهد الرهيب فوقفوا يضربون كفا بكف فى ذهول وعجب بالغين ، وغيرت الفجاءة المأساوية المشاعر من الانبهار ، والإعجاب ، والتمنى إلى النقيض ﴿ وَأَصۡبَحَ ٱلَّذِينَ تَمَنَّوۡاْ مَكَانَهُۥ بِٱلۡأَمۡسِ يَقُولُونَ وَيۡكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ وَيَقۡدِرُۖ لَوۡلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡنَا لَخَسَفَ بِنَاۖ وَيۡكَأَنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴾ إن الحقائق لابد وأن تسفر مهما توارت حينا خلف بريق الزيف أو ضباب الخداع والوهم مما يُلَبِّس على الإنسان الطريق المستقيم ، ويستهويه فى غفلة العقل وخَدَر الشعور .

البقية ص ٦٢٠

فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ

استفتاءات القراء

يجيب عنها لجنة الفتوى بالأزهر الشريف

يقدمها الشيخ السيد العراقى شمس الدين

السؤال مقدم من السيد/ سعيد كمال محمد

قلت لزوجتى على إثر مشادة : أنت طالق ، وراجعتها فى نفس اليوم ، ومرة ثانية قلت لها : لو رفعتِ الطرحة من على صدرك تكونى طالقا ، وكان ذلك على سبيل التهديد فقط ، ولم أقصد به طلاق الزوجة

ومرة ثالثة على إثر مشادة كلامية قلت لها : أنت طالق ، وكان ذلك منذ خمسة عشر يوما ، وأريد مراجعتها ؟

الجواب :

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وبعد .

فنفيد بأن الطلاق وقع ، وحسب به طلقة أولى رجعية ، وقد راجع الزوج زوجته فى عدتها فتكون الرجعة صحيحة .

واليمين الثانية معلق على شرط لم يقصد به الحالف طلاق زوجته فلا يحسب يمين طلاق ، ويلزم الحالف كفارة يمين ، وهى إطعام عشرة مساكين ، فإن لم يجد فصيام ثلاثة أيام !

واليمين الثالثة يمين طلاق حسب به طلقة ثانية رجعية ، ومازالت الزوجة فى عدتها ، وقد راجعها الزوج اليوم أمام اللجنة ، وتبقى الزوجة فى عصمة زوجها على طلقة واحدة أخيرة ، والله تعالى أعلم .

•••

السؤال من السيد/ محمود على محمود يقول فيه :

عقد شاب على فتاة عقدا رسميا وكتب لها قائمة منقولات حسب المتفق عليه نظير مقدم

المهر ، وذكر لها مؤخر صداق فى وثيقة الزواج ، وسافر إلى السعودية ، ثم بعد فترة توفى إلى رحمة الله تاركا الزوجة المذكورة ، وأما ، وأبا ، وأخوة ، فمن يرث وما نصيبه علما بأنه لم يدخل على الزوجة ؟

الجواب :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، أما بعد فنفيد بأنه بموت الزوج قبل الدخول حل للزوجة المهر جميعه مقدمه ومؤخره مثلها مثل المدخول بها ، فإنها تستحق مؤخر الصداق ، وكذلك قائمة المنقولات أو قيمتها تخرج من تركته وترث فيه الربع فرضا إذا لم يكن له ولد ، ولأمه ثلث الباقى ، والباقى للأب تعصيبا ، ولا شىء للأخوة لحجبهم بالأب ، والله تعالى أعلم .

●●●

السؤال من السيد/ جمال مهران :

يريد نجلى الزواج من نجلة شقيقى .. واتضح أن والدتى (جدة ابنى) أرضعت نجلى شهرين ؟ فهل يجوز الزواج .

وهل بهذا الرضاع تكون شقيقتى شقيقة لنجلى من الرضاع فيحرم الزواج ؟

الجواب :

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه .. أما بعد :

فنفيد : صاحب السؤال والراضع من جدته صارت جدته أما له فهو أخ لأبيه وعمه وعمته ، فلا يجوز له أن يتزوج من ابنة عمته لأنها ابنة أخته من الرضاع ، وتحرم عليه حيث إنه يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب .. والله تعالى أعلم .

●●●

السؤال من/ سامى السيد على نصار ـ قرية روينة ـ محافظة كفر الشيخ .

أرجو إفادتى عن السؤال التالى ولكم خالص التحية .

يقول الله ـ تعالى ـ :

﴿ وَلَا تَرْكَنُوٓا۟ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ ﴾

(١١٣ ـ هود) .

(أ) مامعنى هذه الآية الكريمة ؟

(ب) وما معنى قول الرسول ـ ﷺ ـ « من قال لا إله إلا الله دخل الجنة وإن زنى وإن سرق رغم أنف أبى ذر » الحديث .

(جـ)وما هى شروط تقبل الصلاة ؟

وهل يجوز أن يكون المأذون امرأة ؟

أرجو الإفادة ولكم خالص الشكر .

الجواب :

(أ) الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد :

فالمعنى فى قوله تعالى :

﴿ وَلَا تَرْكَنُوٓا۟ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ ﴾ .

(١١٣ ـ هود)

أى لا تستندوا إليهم وتطلبوا معونتهم على ظلم أحد ، ولاتتعاونوا معهم على الظلم تصديقا لقول النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ « اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة ، ومن المعلوم أن من أعان ظالما على ظلمه سلطه الله عليه .

ويقول النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ « اتقوا دعوة المظلوم فإنها ليس بينها وبين الله حجاب » ، لأن الظلم يؤدى إلى الدمار فى الدنيا والعذاب فى الآخرة .

(ب) حديث : « من قال لا إله إلا الله دخل الجنة . . إلخ حديث صحيح ، ولا إله إلا الله له حق وحقها إقامة الصلاة ، وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت الحرام لمن استطاع إليه سبيلا ، وتطبيق منهج الله تعالى .

(ج)وأما شروط تقبل الصلاة ففيها حديث قدسى : « إنما أتقبل الصلاة ممن تواضع بها لعظمتى ، وقطع نهاره فى ذكرى ، ولم يبت مصرا علــى معصيتى ، ورحم الأرملة والمسكـين والمصاب » .

ولا يجوز أن يكون المأذون امرأة ، لأن المأذونية تشبه القضاء ، وفيها يجتمع الرجال لعقد القران ، وحضور بالمساجد وحتى لا تختلط المرأة بالرجال الأجانب .

***

أرجـو من سيادتكم التفضـل بالإجـابة ولسيادتكم جزيل الشكر ووافر التحية مع رجاء التوضيح جزئية من السؤال :

١ ـ أعمل مدرسا بمدرسة حكومية وبعد انتهاء الدراسة وبدء الأجازات بالنسبة للطلبة نقوم بتقسيم الحضـور للمدرسـة بـين العـاملين بالمدرسة ، ونتناوب الإمضاء فى دفتر الحضور والانصراف بالمدرسة بالحضـور والانصراف للغائبين عن العمل والحاضرين الكل حضور ، فما حكم الإسلام فى عملنا هذا ، وحكم الأموال التى نقبضها (المرتب) وإن كانت حراما كيف نستطيع التكفير عنها ؟

٢ ـ أعمل ضابطا بالقوات المسلحة ، وأصرف بدل تعيين مع المرتب ، ومع ذلك قمت بصرف تعيين لى من طعام الجنود أيام مضطرا وأيام أخرى غير مضطر ، فكيف يمكننى التكفير عنها ؟

٣ ـ هل مدير المدرسة يعتبر ولى أمر يجب طاعته على العاملين تحت قيادته ، وله أن يسيطر على حضور وغياب وانصراف العاملين يمضى لمن شاء ويصرف من يشاء قبل ميعاده بدون محاسبتهم إداريا وماليا عن ذلك طالما أن العمل لن يتأثر ونتائج المدرسة لن تتأثر بعدم الالتزام ، بالميعاد المقرر ومدة العمل وإنه المسئول والمحاسب الوحيد من قبل الوزارة .

٤ ـ قمت بصرف أموال من البحث الاجتماعى أثناء دراستى بالجامعة بدون وجه حق ، وكذلك قمت بتصوير كتب للأساتذة بالجامعة ؟ فكيف يمكننى التفكير عنها ؟

الإجابة :

ردا على رسالة السيد/ سعيد محمد ـ بلبيس شرقية ـ نقول :

جـ ١ : مادام الحضور للعاملين بالمدرسة من صلب العمل ولابد منه ، فلابد من الحضور بالفعل والتوقيع بالحضور والانصراف بالفعل والتوقيع للغائبين يعتبر كذبا وتزويرا وغشا فى العمل ينهى عنه الإسلام ، ولكن إذا أقرت وزارة التربية هذا العمل ورضيت به بدون أن يترتب على ذلك ضياع لحقوق الطلاب والعمل الدراسى ، باعتبارها أنها المسئولة عن هذا العمل فلا حرمة فى ذلك ، وفى هذه الحالة يكون المرتب حلالا إذا اعتبرت هذا الوقت من الأجازة الصيفية حقا للمدرسين والعاملين بالمدرسة ، وعلى من يقع فى هذا الخطأ أن يستغفر الله ويتوب ويتصدق ويصلى ويؤدى العمل كما هو مطلوب .

جـ ٢ : لا يجوز شرعا لمن يأخذ بدل تعيين مع المرتب أن يصرف شيئا من طعام الجنود ، لأنه ليس حقا له إلا برضا الجنود عن طيب خاطر بدون إكراه لهم ولا حياء منهم ، وإذا كنت مضطرا لهذا الطعام فلك أن تأكل وتدفع قيمته من مرتبك لأصحابه المستحقين له والمصروف باسمهم ، إلا إذا اعتبروك ضيفا عليهم برضاهم ، ففى هذه الحالة لا حرمة عليك .

جـ ٣ : مدير المدرسة مسئول عن المدرسة فى حدود اختصاصاته ، وكل مدرس وكل عامل مسئول عن عمله فى حدود عمله ، قال صلى الله عليه وسلم « كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته » من غير ظلم ولا مجاملة لأحد ، ولا بد من طاعته شرعا وقانونا قال ـ صلى الله عليه وسلم ـ « عليكم بالأمر والطاعة ولو ولى عليكم عبد حبشى » الحديث ، إلا إذا أمر بمعصية فإنه لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق ، فالطاعة واجبة مادامت لله ورسوله وصالح المؤمنين ، وصالح العمل المطلوب .

جـ ٤ : صرف أموال البحث الاجتماعى أثناء الدراسة خاصة لفقراء المسلمين وغير المستطيعين منهم على مصاريف الدراسة ، وأخذه بغير حق يعتبر أكلا لأموال الناس بالباطل ، قال صلى الله عليه وسلم : من أخذ أموال المسلمين يريد أداءها أدى الله تعالى عنه ، ومن أخذها يريد إتلافها أتلفه الله تعالى ، وعليك أن ترد ما أخذته إلى مصدر أموال البحث الاجتماعى أو إلى مجلس الأباء ليصرف بعد ذلك لمستحقيه ، وليس عليك شىء فى تصوير كتب الأساتذة بعد إذنهم لك بذلك ، أو لم تكن مستطيعا لشراء مثل هذه الكتب الغالية بالجامعة ، فلك أن تصور مالم يترتب على ذلك ضرر للغير .

●●●

أعمل فى محل رخام ، وأقوم بحفر الكتابة والرسومات وأحيانا يطلب منى حفر صليب ، وبجوارنا مسجد ، وأفتانا بعض شبابه بأن هذا العمل حرام ، ولا يجوز العمل به ، فهل فعلا رسم الصليب وحفره على الرخام حرام ؟

وهل إذا كان حراما فعلى من تقع الحرمة على صاحب المحل أم على العامل الذى يحفر أم على الكاتب الذى يكتب أم عليهم جميعا مثل الخمر ؟

علما بأن هذا عملنا الذى نعيش منه ؟

الإجابة :

ردا على سؤال السيد/ محمود محمد على ـ الإسكندرية :

الأعمال الفنية كالكتابة والحفر على الرخام فى حد ذاته ليست فيه حرمة مالم يؤد إلى شرك أو يدعو إليه أو يؤدى إلى شىء يتنافى مع تعاليم الإسلام إلا أن الصليب رمز اتخذه المسيحيون للدلالة على أن المسيح قد صلبه اليهود أو رمز على التثليث عند بعض طوائفهم ، والقرآن الكريم صريح فى قوله تعالى :

﴿ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ﴾

(النساء ـ ١٥٧) .

فمثل هذا العمل يعتبر تأييدا أو تشجيعا على هذا الاعتقاد الذى يتنافى مع صريح القرآن أو على أقل تقدير فيه شبهة ، والأفضل البعد عن الشبهات .

وعليكم جميعا أن تبحثوا عن أعمال فنية من كتابة ورسومات كثيرة بعيدة عن كل ما يتعارض مع تعاليم الإسلام ، وعملكم هذا الذى تعيشون منه يجب أن يكون فى عمل حلال لاشبهة فيه ولا حرمة والغاية لا تبرر الوسيلة ، فالرزق غاية والعمل وسيلة ، والنبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول : « اللهم ارزقنا رزقا حلالا » والله أعلم .

●●●

السؤال من السيد ؛ س . أ . س :

نرجو معرفة حكم الدين فى المسائل الآتية :

١ ـ شخص مارس مع غلام صغير مقدمات اللواط ، ولكنه لم يطأه فى دبره ، فهل يعد هذا الشخص لائطا ، وهل أخت هذا الغلام الصغير أصبحت لا تحل لهذا الشخص إذا أراد الزواج منها ، وكيف يتوب هذا الشخص ؟

ملحوظة : ما فعله هذا الشخص بالتحديد هو الآتى ـ وهذا بالطبع ياسيدى لن ينشر فى المجلة ، ولكنى آثرت أن أذكره حتى تكون الصورة واضحة أمام من سيقوم بالإفتاء ولن أستحى فى طلب العلم ـ بعض المداعبات باليد ـ تلاقى الأعضاء الذكرية مع بعضها البعض ـ قبلات ـ لامس ذكر الشخص دبر الغلام ولكن كان بينهما حائل يتكون من بعض الملابس ولم يحدث أى إيلاج .

٢ ـ المسألة الثانية : شخص نظر إلى امرأة واشتهاها فى نفسه ونظر إلى بعض محاسنها فهل يحل له أن يتزوج من ابنة هذه المرأة ؟

ملحوظة : هذه المحاسن هى : (أعلى الصدر ـ أعلى الفخذين ـ ولكنه لم ير فرجها) . وهذه الملحوظة بالطبع لن تنشر .

أرجو سرعة النشر ، وجزاكم الله خيرا .

الإجابة :

ردا على رسالة/ س . أ . س فى السؤال الأول . . نقول :

جـ ١ : اللواط حرام بنص القرآن الكريم ، قال تعالى فى قوم لوط ﴿ أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ ﴾ الآيات . . ورجمهم الله من فوق سبع سموات ، وجعل عالى الأرض سافلها وأمطرهم بحجارة من سجيل ، وحرام بنص قوله

تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ﴾

(المؤمنون ـ ٥)

إلى قوله تعالى :

﴿ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ﴿٧﴾ ﴾

(المؤمنون ـ ٧)

المعتدون على حدود الله ، وعلى من وقع فى هذا الإثم أن يتوب إلى الله توبة نصوحا ، وأما عن أخت هذا الشخص الذى وقع معه اللواط فإنها لا تحرم عليه ، فيحل له أن يتزوج بها ، لأن الحرام لا يحرم الحلال .

جـ ٢ : النظر إلى المرأة الأجنبية بشهوة حرام ، لقوله تعالى :

﴿ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ ﴾

(النور ـ ٣٠)

والنظر الحلال هو نظر الخاطب إلى مخطوبته عند الخطبة لقوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « انظر إليها فإنه أحرى أن يؤدم بينكما » ، ونظر الرجل إلى زوجته حلال ، وللإنسان بالنسبة للنظر إلى الأجنبية النظرة الأولى له والثانية عليه .

ويجوز للرجل الذى نظر إلى امرة نظرة محرمة أن يتزوج من ابنتها .

الجانب الآخـــر من الوعى الحضارى

للأستاذ الدكتور
محمد إبراهيم الفيومى

تميزت الحضارة المعاصرة ، عما سبقها من حضارات أحصاها المؤرخ الإنجليزى توينبى فى كتابه الضخم « دراسات فى التاريخ » فى عشرين حضارة ، تميزت بتقدمها التكنولوجى ، الذى بات يسيطر على كل مظاهر الحياة المعاصرة ، وانشغل الإنسان بها ، وغاب عنه البعد الدينى والأخلاقى ، ولا شك أن كل كيان حضارى ، لا يمكن أن يحتفظ بحضارته إلا إذا كانت قيمه الخلقية ثابتة مستقرة ، وفى مأمن من التساؤل الفلسفى ، وبذلك يصبح التطور الحضارى فى ظل الصلة الوثيقة بين الدين والأخلاق ، فى مأمن من الانهيار كما تصبح القيم الأخلاقية مشتملة على عنصر الثبات والدوام ، الذى تتميز به الأخلاق الدينية .

ولما كان الوعى الأخلاقى المعاصر لا يرى فى الأخلاق إلا جانب المنفعة ، وسيطرة الرغبات المادية ، فكان على المرء أن يصنع أخلاقه بنفسه ، وفق متغيراته ، لا وفق مبادئه الأخلاقية ، وعليه أن يختار بين الفردية والعزلة ، مقابل التكافل والتضامن ، كما أصبح يهتم بالأشياء أكثر من اهتمامه بالدين .

من هنا عرض صاحب كتاب عصر المسئولية : حوارات حول الأخلاق . وهو مجموعة حوارات مع أعلام المفكرين الفرنسيين أعدها فردريك لونوار ، وفيه يتساءل عن سر الأزمة الأخلاقية للعالم المعاصر ، وكانت الإجابة تختلف باختلاف زوايا المشكلة الأخلاقية ، ونوع التخصص والثقافة فى تناولها ، وعرض المشكلة والإجابة عنها ، وكان أهم مالفت نظرى : اتفاقهم على أن ثمة مشكلة أخلاقية ، وتشكل أزمة فى مسيرة الحضارة المعاصرة ، وقد تؤدى إلى انهيارها ، وكان عرضهم للمشكلة يجذب الانتباه إلى قراءته

وتعمقه ، ويثرى التأمل ، كلما ازداد سبر أغواره ، فمنهم من يرى : أن أهم أسباب تشوش الوعى الأخلاقى المعاصر يكمن فى كون التكنولوجيا قد أصبحت تسيطر على كل مظاهر الحياة البشرية ، فقديما كانت الآية عكس ذلك .

فكانت المعتقدات تتحكم فى التكنولوجيا المستخدمة ، من ناحية كونها فنونا إنتاجية . أما العصر الحالى ، ففيه أصبحت التكنولوجيا هى التى تسيطر على المعتقدات ، والتشريعات ، وحتى على اللغات ، فكثير من اللغات تبدو هزيلة جدا ، أما التطورات المذهلة للتكنولوجيا ، وهكذا لا يستطيع الوعى البشرى أن يفهم فهما واعيا سطوة التكنولوجيا عليه ، فهى قد خرجت من نطاق فهمه ولغته .

إن هناك العديد من المزايا الإيجابية للتكنولوجيا ، لكن الجانب السلبى لها هو الذى يهدد بالسيطرة ، ففى الجانب السياسى والعلاقات بين الدول ، قضى التقدم التكنولوجى ، فى إنتاج السلاح ، على الحوار بين الدول ، وعلى لغة التفاوض ، وهدد قيم العلاقات القائمة على قيم الإخاء الإنسانى فمن الممكن تحت تأثير القوة أن يتسبب خلاف تافه بين دولتين ، فى مقتل مئات الآلاف من البشر ، فى أقل من يوم واحد . . . وهذا نتيجة تقدم تكنولوجيا السلاح . . مع أن القوة غير قادرة على أن تمنحه الحكمة ، ويأخذون المرأة مثالا على الانتصار لقضاياها أمام الرجل ، لكونها ضعيفة جسمانيا ، واقتصاديا عنه ، فإن المرأة على الرغم من ذلك ، قد تمكنت من أن تكتسب مكان المساواة ـ ليس عن طريق القوة ـ بل عن طريق المودة والرحمة . . فعلى الرجل أن يتعلم تلك القيم لفض منازعاته . بيد أن التعقيد التكنولوجى ، وما اخترعه من أجهزة « الكمبيوتر » جعل العقل البشرى يستسلم أمامه ، وكف وعيه الذى أصبح مشوشا عن تأمل فى الخالق ، وأصبح مشغولا بالأشياء الحضارية ، وهى كثيرة ومتنوعة ، ولم تعد لديه فكرة عن الله ، إلا فيما يرتبط بالعقاب أو الكوارث ، فبعد ما كان الإنسان يتدبر الله ، كمدبر لنظام الكون ، فإن الله لدى الإنسان المعاصر يرتبط بمظاهر اختلال الكون ، كحدوث زلازل وبراكين ، ومرض الإيدز ، والفارق بين إنسان يرى الله فى كل شىء ، وإنسان يرى الله من خلال المصائب والكوارث ، هو أن هذا الإنسان المعاصر يعيش فى بيئة صنعها الإنسان وشوهها ، فكل مايراه حوله : ناطحات سحاب ، وسائل مواصلات . . الخ بينما يختفى ماعدا ذلك من مخلوقات الله ، من ثمار ، وحيوانات . . وهذا يعنى : أن البيئة التى يعيش فيها الإنسان المعاصر لم تعد بيئة طبيعية ، بل تدخل فيها بالتغيير والتشكيل ، واختفت تلك البيئة ، التى تمتلىء بدلائل قدرة الله .

ولذلك يزداد الإنسان المعاصر بعداً عن الدين ، وعن الله ، ولهذا يمكننا القول : إن وعى الإنسان قد أصبح يتأمل أفعال نفسه ، فى كبرياء وغطرسة . وأصبح يبحث عما يبرر الأخلاق خارج الدين ، وعما يبرر الخير بعيدا عن الله ، وعما يبرر الفعل بعيدا عن النية . وذلك هو سر تشوش الوعى الأخلاقى لدى الإنسان المعاصر ، فلم تعد لديه قيم ثابتة تكون مرجعيته فى سلوكه وفعله ، بل عليه فى كل لحظة أن يتخذ قراراته الأخلاقية ، بينما لو أعاد إلى الدين مرجعيته لوجد فيه الإجابات على المشكلات الأخلاقية التى تواجهه ، باعتباره المصدر الوحيد لهذه الإجابات .

من روائع الماضي بمجلة الأزهر

أين المسلمون اليوم من الإسلام؟

للأستاذ/ أحمد حسن الزيات

إعـداد وتقـديـم:
عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

الإسلام دين ودولة ، عقيدة وشريعة ، مبادىء ومثل ، فهو الصورة الكاملة لإقامة مجتمع صالح ، لا يشيع الطغيان فى أغنيائه ، ولا تسيطر المهانة على فقرائه ، فالقوى فيه قوى له ، والضعيف فيه قوى به .

دين أكمله الله ـ سبحانه وتعالى ـ لنبيه ـ صلى الله عليه وسلم ـ ورضيه لخلقه ، ونسبه إلى نفسه ؛ والإسلام هو الإسلام لا يغيره زمن ، ولا يعاديه علم ، ولا تجافيه طبيعة ، ففى مبادئه وفى رجاله ما شهد به العدو قبل الصديق ، وما تحدث به الركبان فى كل زمان ومكان .

ولكن للأسف نرى الآن تدهوراً فى المسلمين ، وأصبحوا أذلاء ضعفاء ولعل السر فى ذلك

فقدان العقيدة السليمة ، التى سار عليها سلفهم حيث كانوا علماء للدين والدنيا ، وورثة الأولى والآخرة ، وبفقدها فقدوا النظام فى كل مرافق حياتهم ، كعقد انفرطت حباته فتتابع وتلاحق ؛ حيث ولوا وجوههم نحو مبادىء مستوردة ، حسبوها خيراً من دينهم وأقوم ، فاشتروا الضلالة بالهدى والعذاب بالمغفرة ، والباطل بالحق ، طغى عليهم الجهل حتى خيل إليهم أنه العلم ، وقول الزور حتى اعتقدوه أنه الحق ، وفعل المنكر حتى ظنوه أنه المعروف ، ولو أن المسلمين رجعوا إلى دينهم ، واتبعوا سنة نبيهم بصدق وإخلاص ، لما أصبح هذا الحال ، الذى تنبأ به خير الأنام ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ ولمزيد من الإيضاح يقول الكاتب ـ رحمه الله ـ :

أصبح من المعلوم فى بدائه العقل الحر أن الدين الإسلامى هو الصورة الكاملة لشرائع الله ، والقوة المهذبة لقوانين الطبيعة . وضع فيه شارعه الأعظم وهو فاطر الأرض ، وواهب الحياة ، ومنزل الوحى ، أسس القواعد التى تكفل للعالم نظامه وسلامه ، وللمجتمع وحدته وقوته ، وللفرد سعادته وكرامته ، مهما يتطاول الأمد وتتغير الحال . ومن غير الله جلت قدرته يفجر نور الهدى للأرض من غار مظلم موحش ، ويبجس نبع الحياة للناس من جبل مجدب وعر ؟ وهل كان لولا وحى الله فى غار حراء من جبل النور فى مقدور أمى نشأ ربيب اليُتم والعُدم فى قرية جاهلة من قرى الحجاز المقفر ، أن يعلن فى أوائل القرن السابع حقوق الإنسان وحرياته ، وهى الحقوق التى أعلنت بعضها فرنسا فى أواخر القرن الثامن عشر بعد الثورة ، وأعلنت بعضها أمريكا فى أواسط هذا القرن بعد الحرب ؟

وما كان لبشر سليم الفطرة أن يستريب فى أن الدين الذى أكمله الله لنبيه ، ورضيه لخلقه ، ونسبه إلى نفسه ، هو وحده مصدر الخير المحض ، ومظهر الكمال المطلق ، وسبيل الغاية التى يجد عندها ابن آدم المكدود المجهود نفسا من كربه ، وراحة من تعبه ، وسكينة من اضطرابه ؛ تلك الغاية التى كان يراها ، منذ هبط العاصى من الجنة ، حداً لشقائه ونهاية لألمه ، فكان يتشوف إليها من وراء الغيوب ، ومن خلال القرون ، فلا يراها ، لا فى الحروب التى شن ، ولا فى النظم التى سن ، ولا فى الشرائع التى اعتقد ، حتى أراد الله للأغب الضال أن يهتدى ويسترفه ، فكان محمد هو المنار ، وكان الإسلام هو المرفأ !

إن من المبادىء التى ميزت الإسلام التوحيد وهو سبيل القوة ، والإخاء وهو سبيل التعاون ، والمساواة وهى سبيل العدل ، والحرية وهى سبيل الكرامة ، والبر وهو سبيل المحبة ، والسلام وهو سبيل الرخاء ، وكل هذه المبادىء معلومة من القرآن بالنصوص الصريحة ، فلا موضع فيها لتأويل أو تحميل أو تعسف . وهى كما ترى تضمن أفضل ما فى الديمقراطية ، وأعدل ما فى الاشتراكية ، وأجمل ما فى المدنية ، فهى حرية أن تصلح ما فسد من أمور الناس ، وأن تقيم ما اعوج من نظام الدنيا ، وقد كانت كذلك يوم كان لحماتها دولة ، ولدعاتها صوت ، ولمعتقديها يقين ، فلما دالت الدولة ، وخشع الصوت ، وأراب اليقين ، تمزق المسلمون قطعانا فى فدافد

الأرض ، لا مرعى يجود ، ولا راع يذود ، ولا حظيرة تؤوى ، ثم كانوا بتخلفهم عن ركب الحياة حجة على الإسلام فى رأى السفهاء من مرضى الهوى أو الجهل ، فصموا عن دعائه ، وعموا عن ضيائه .

أين المسلمون اليوم من إسلام عمر وخالد ، والرشيد والمأمون ، والناصر والحكم ، والعزيز والحاكم ؟ ألم يبلغ هؤلاء بفتوح الجيش وفتوح الدين وفتوح العلم وفتوح الخلق من السلطان والعمران ما لم تبلغه أمة من قبل ، فنزل على حكمهم الدهر ، ودخل فى ملكهم العالم ؟

إن الدين الذى رفع هؤلاء السادة والقادة إلى الذروة ، وضمن للخلافة فى عهودهم العزة والمنعة والقوة ، لا يزال هو الدين ، لا يغيره الزمن ، ولا تجافيه الطبيعة ، ولا يعاديه العلم ، ولا تنسخه المذاهب ؛ وإنما الأمر فيه كما قال الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « مثل ما بعثنى به الله من الهدى والعلم كمثل غيث أصاب أرضا ، كان منها طائفة طيبة قبلت الماء وأنبتت الكلأ والعشب الكثير . وكان منها أجادب أمسكت الماء فنفع الله به الناس ، فشربوا منها وسقوا وزرعوا . وأصاب طائفة منها أخرى ؛ إنما هى قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ » .

والمسلمون اليوم هم هذه القيعان ، تحدرت إلى ماركد فيها من سلسل الوحى عكارات المذاهب الطارئة ، ورواسب العقائد الخاطئة ، فكان منها ذلك الخلط العجيب الذى يعوق عن السعى ويمنع من النظر ويصد عن الفكر ؛ ثم كان من أثره أن نرى اليوم مواطن العروبة والإسلام : مراكش والجزائر وتونس وليبيا ومصر وفلسطين وسورية والعراق وإيران وباكستان والصين وأندونيسيا وسائر جزر الهند الشرقية ، قد أصبحت نهباً مقسماً بين دول الاستعمار يتنازعون فيه ، ويتقاتلون عليه ، وليس من أهلها من يقول فيسمع قوله ، أو من يفعل فيخشى فعله ، وإنما هم أشياء كثروة الأرض ، خسارة على المغلوب وربح للغالب .

لقد تغيرت عقائد الإسلام الحرة النقية فى نفوس الكثرة من المسلمين كما يتغير الشراب الخالص فى الإناء القذر ! انحلت الأخلاق فلا تماسك فى قول ولا فعل ، وتقاطعت القلوب فلا تواصل فى دين ولا وطن ، واستأثرت النفوس فلا تتعفف فى صداقة ولا نسب ، واستبهمت المذاهب فلا تستبين بنجم ولا شمس ؛ وأصبحت غاية الدين فى رأيهم مظاهر من العبادة لا تخدع ، وظواهر من البدع لا تنفع ، وأقاويل من الوعظ لا تدل .

من يصدق أن المسلمين اليوم يفقهون القرآن حق الفقه ، وهو الكتاب المبين الذى يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويهديهم إلى صراط مستقيم ، وكل انتفاعهم منه أن يحملوه للحفظ كما تحمل التمائم ، وأن يقرءوه للبركة كما تقرأ الأوراد ، وأن ينشدوه للطرب كما تنشد الأغانى ؟

من يصدق أن المسلمين اليوم يقدرون الرسول حق القدر ، وهو الذى قال فيه أصدق القائلين :

وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ « سورة القلم ٤ »

وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا « سورة النساء ١١٣ »

وكل ما يمدحونه به أن يرفع المؤذن عقيرته فى الأذان بالصلاة على « مليح الوجه » وأن يتغنى منشد سيرته المطهرة بحمرة خديه وسواد عينيه ، كأن الصباحة والوسامة والرواء هى كل ما يمتاز به محمد نبى التوحيد والوحدة ، ورسول السلام والمحبة ، وداعى الحرية والكرامة ! لقد أنف عبد الملك بن مروان أن يمدحه ابن قيس الرقيات بقوله :

يـأتلق التـاج فـوق مفـرقـه
عـلى جبين كـأنـه الـذهب

فقال له : وماذا من الفضل فى تألق التاج ونصاعة الجبين ؟ هلا مدحتنى بمثل ما مدحت به مصعب بن الزبير إذ تقول فيه :

إنما مصعب شهـاب من الله
تجلت عـن وجـهـه الـظلماء
ملكـه ملك عـزة ليس فيـه
جـبروت مـنـه ولا كـبريـاء

ثم حرمه عطاءه العمر كله . والفرق بين فضل الرسول وفضل الخليفة كالفرق بين الجبل والذرة ، أو بين الشمس والشرارة !

من يصدق أن المسلمين اليوم يؤمنون بالإسلام وفيهم من يؤمن بالشيوعية وأهلها يزعمون أنهم أعلم من الله بأحوال خلقه ، وأعدل منه فى تقسيم رزقه .

ثم يقولون بكل وسيلة من وسائل القول : كل شىء مشاع ، وكل أمر مباح ، وكل إرادة طليقة ! والمسلمون يسمعون هذه الأضاليل تبث فى الإذاعة ، وتنشر فى الكتب ، وتردد فى المجالس ، فيرهفون لها سمع الغبى ، وتدفعهم شهوة الإباحية إلى أن يشتروا الضلال بالهدى ، ويستبدلوا الخبيث بالطيب ، ويؤثروا أن يكونوا كالذين كفروا يتمتعون ويأكلون كما تأكل الأنعام والنار مثوى لهم .

والعلة فى كل أولئك هى الجهل التام والعلم الناقص ، فلو أن المسلمين اعتقدوا ربهم اعتقاد المؤمن ، وفقهوا دينهم فقه المقتنع ، واتبعوا رسولهم اتباع المصدق ، لما أصبحوا فى الحال التى تنبأ بها الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ إذ قال : « يوشك أن تتداعى عليكم الأمم كما تتداعى الأكلة إلى قصعتها ، ولينزعن الله من قلوب أعدائكم المهابة منكم ، وليقذفن فى قلوبكم الوهن ، فقال قائل : أومن قلة نحن يا رسول الله يومئذ ؟ قال : لا إنكم حينئذ لكثير ؛ ولكنكم غثاء كغثاء السيل ! فقال قائل : وما الوهن يا رسول الله ؟ قال : حب الدنيا وكراهة الموت » .

* * *

﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴾

« سورة الحديد ١٦ » .

بلى ، والحمد لله قد آن للمؤمنين أن يكشفوا عن العيون غشاوة الباطل ، ويجلوا عن القلوب صدأ الغفلة ، فيبصروا الطريق ويستبينوا الغاية . وإن فى يقظة الوعى الإسلامى التى بدت فى تعاطف المسلمين على البعد ، وتناصفهم فى القرب ، وتحالفهم على الأحداث ، لأشعة من تباشير الصباح ، قبلها الليل المظلم ، وبعدها النهار المشرق ، ولعل الأزهر وحده هو الذى يملك أن يقوى هذا الوعى ويوجه هذا الشعور . إذا عمر الصدور بالإيمان الخالص عن طريق التعليم فى المدارس ، والوعظ فى المساجد ، والنشر فى الصحف ، والحديث فى الإذاعة ، والنظر قبل ذلك كله فيما يقرأ المسلمون من كتب ، وفيما يدرس المتعلمون من مناهج ، وفيما يقمش المموهون من بدع ؛ فإن تنقية الدين مما علق به ودس فيه تكشف للناس عن جوهره وتصلهم بروحه . والقتام يحجب الشمس ، والقذى يفسد الشراب . وإن الماء إذا راق ساغ ، وإذا ساغ روى . وعما قريب نبشر المسلمين والأزهريين بما رأى الشيخ الأكبر ـ آن ذاك ـ من إصلاح ، وبما عزم من عمل . جدد الله بسعيه حبل الإسلام ، وحقق فى عهده صلاح الأزهر .

كونوا كالشامة بين الناس

للدكتور: عزت عبد الرحمن عبد العال

الإسلام دين النظافة بأوسع معانيها، نظافة معنوية فى عقائده وأخلاقياته ونظافة الطريق والمسجد والبيت ونظافة المسلم الشخصية، نظافته التى ينبغى أن يتميز بها بين الناس. وهذه كلمات يسيرة حول النظافة الشخصية للمسلم حتى يبدو كالشامة بين الناس.

كونوا كالشامة: عن خزيم الأسدى - رضى الله عنه - قال: كنا مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال لنا: «إنكم قادمون على إخوانكم فأصلحوا رحالكم ولباسكم حتى تكونوا فى الناس كأنكم شامة فإن الله - عز وجل - لا يحب الفُحش ولا التفحش»[1]، وفى لفظ: «حتى تكونوا كالشامة فى الناس». دعوة من النبى - صلى الله عليه وسلم - للمسلم أن يمتاز بسمته الحسن، وهيئته الحسنة لأنه ممثل للأمة.

نظافة الملابس: لا يعيب المرء أن تكون ثيابه قديمة أو مرقعة ولكن يعيبه أن يكون وسخ الثياب كريه الرائحة مما يُنفر الناس منه، وقد رأى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - رجلا عليه ثياب وسخة فقال: «أما كان هذا يجد ماء يغسل به ثوبه؟»[2].

ولعلنا ندرك بعض الحكمة فى قول النبى - صلى الله عليه وسلم -: «البسوا البياض فإنها أطهر وأطيب وكفنوا فيها موتاكم»[3] إذ أنها أيسر فى التنظيف، وأقل قذر يظهر فيها فيكون أدعى لإزالته. وقد قالت الحكماء: من نظف ثوبه قل همه، ومن طاب ريحه زاد عقله.[4]

نظافة البدن: ثبت فى الحديث الشريف:

---

(١) رواه الإمام احمد فى مسنده (٤/١٨٠) وابو داود فى سننه فى كتاب اللباس - باب ما جاء فى إسبال الإزار بلفظ: «حتى تكونوا كالشامة فى الناس» وفى لفظ له: «حتى تكونوا كانكم شامة فى الناس».

(٢) سنن ابى داود - كتاب اللباس - باب فى غسل الثوب والخلقان، ورواه بنحو هذا اللفظ احمد وابن حبان والحاكم من حديث جابر - رضى الله عنه - وصححه الشيخ الالبانى فى سلسلة الاحاديث الصحيحة تحت رقم ٤٩٣.

(٣) رواه النسائى والحاكم وقال: حديث صحيح، ووافقه على تصحيحه النووى والالبانى.

(٤) صيد الخاطر ص ١٠١ طبعة دار الفكر.

« طهروا هذه الأجساد طهركم الله . . » [٥] يقول الإمام ابن الجوزى ـ رحمه الله تعالى ـ : « أما فى البدن فليست الصورة داخلة تحت كسب الآدمى بل يدخل تحت كسبه تحسينها وتزيينها فقبيح بالعاقل إهمال نفسه ، وقد نبه الشرع على الكل بالبعض ، فأمر بقص الأظفار ونتف الإبط وحلق العانة ، ونهى عن أكل الثوم والبصل النيىء لأجل الرائحة ، وينبغى له أن يقيس على ذلك ويطلب غاية النظافة والنزاهة ، ولست آمرا بزيادة التقشف الذى يستعمله الموسوسون أو المُترفون ولكن التوسط هو المحمود » أ . هـ . [٦]

وقد جعل النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ الغُسل فى كل أسبوع مرة حقاً على كل مسلم فقال : « حق على كل مسلم أن يغتسل فى كل سبعة أيام يوماً يغسل فيه رأسه وجسده » [٧].

وعن عائشة ـ رضى الله عنها ـ قالت : كان الناس ينتابون يوم الجمعة من منازلهم والعوالى فيأتون فى الغبار يصيبهم الغبار والعرق ، فيخرج منهم العرق ، فأتى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ إنسان منهم وهو عندى ، فقال النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « لو أنكم تطهرتم ليومكم هذا » [٨].

وحث رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ على الوضوء لكل صلاة فقال : « لولا أن أشق على أمتى لأمرتهم عند كل صلاة بوضوء ومع كل وضوء بسواك » (رواه النسائى وابن خزيمة . وعن عثمان ـ رضى الله عنه ـ قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « من توضأ فأحسن الوضوء خرجت خطاياه من جسده حتى تخرج من تحت أظفاره » [٩] .

إكرام الشعر : عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ أن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : « من كان له شعر فليكرمه » [١٠] قال الإمام الشوكانى : (وفيه دلالة على استحباب إكرام الشعر بالدهن والتسريح وإعفائه عن الحلق لأنه يخالف الإكرام إلا أن يطول . .) [١١] .

وقد رأى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ رجلًا شعثاً قد تفرق شعره فقال : « أما كان يجد هذا ما يسكن به شعره ؟ » [١٢] وفى رواية : « ما يسكن به رأسه » [١٣] .

فعلى المسلم أن يكرم شعره اتباعاً للمعصوم ـ صلى الله عليه وسلم ـ فلا يترك شعر رأسه أو لحيته ثائراً متفرقاً بل يرجله ويدهنه ويطيبه ، ولا يعنى هذا أن يفرط فى العناية بشعره حتى يصير عبداً للمرآة ، بل دين الله وسط بين الغالى والجافى .

---

(٥) رواه الطبرانى فى المعجم الكبير بسند حسن من حديث ابن عمر ، وهو فى صحيح الجامع الصغير برقم ٣٩٣٦ .
(٦) صيد الخاطر ص ١٥٢ .
(٧) متفق عليه .
(٨) رواه البخارى فى صحيحه ـ كتاب الجمعة ـ باب من اين تؤتى الجمعة ......
(٩) رواه مسلم .
(١٠) رواه ابو داود وحسنه الحافظ فى الفتح ، وصححه الالبانى فى صحيح الجامع الصغير برقم ٦٤٩٣ .
(١١) نيل الاوطار (١٦٩/١) ط . الكليات الازهرية .
(١٢) جزء من الحديث رقم (٢) فراجع تخريجه .
(١٣) انظر السلسلة الصحيحة رقم ٤٩٣ ، وصحيح الجامع الصغير رقم ١٣٣٣ .

نظافة الفم : وقد نال الفم عناية خاصة لأنه مكان شريف يخرج منه كلام الله تعالى وذكره ، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، فينبغى أن يطيب ويطهر ، فالمضمضة من سنن الوضوء (بل قال بعض العلماء بفرضيتها فى الوضوء لأن الفم من الوجه) ، والسواك من سنن الوضوء ، وهو أيضاً سنة مستقلة وعبادة فى حد ذاته .

فعن عائشة ـ رضى الله عنها ـ أن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : « السواك مطهرة للفم ، مرضات للرب »(١٤) .

والسواك معروف (وهو فى اصطلاح العلماء : استعمال عود أو نحوه فى الأسنان ليذهب الصفرة وغيرها . . . . وبأى شىء استاك مما يزيل التغير حصل السواك)(١٥) .

فانظر إلى هؤلاء الذين يؤذون الناس بل والملائكة برائحة أفواههم ـ وخاصة المدخنين ـ فإذا دنا أحدهم منك ليكلمك لم تحتمل قربه منك إلا مع ضيق شديد ، وإيذاء الزوجة بريح الفم مما قد يسبب نفورها وإن لم تستحسن ذكر ذلك للرجل ، وكذلك الرجل قد ينفر من زوجته بسبب ريح فمها .

ـ وفى الحديث : « من أكل البصل والثوم والكرات فلا يقربن مسجدنا فإن الملائكة تتأذى مما يتأذى منه بنو آدم »(١٦) قال عمر ـ رضى الله عنه ـ : « . . . . فمن أكلهما ـ يعنى البصل والثوم ـ فليمتهما طبخاً »(١٧) .

(**فائدة طبية**) رائحة الفم الكريهة قد تكون نتيجة عدم النظافة والعناية بالأسنان أو بسبب التدخين أو بعض الأطعمة ، لكنها أحياناً تكون ناتجة عن التهاب باللثة أو اللوزتين والحلق وربما كانت ناتجة عن مرض بالرئة أو الكلى أو الكبد ، فينبغى عدم إهمالها إذا لم يكن لها سبب معروف عند الشخص المصاب بها .

نظافة الأيدى : الأيدى بها يتناول الإنسان طعامه وشرابه ، وبها يمسك المصحف وكتب العلم ، وبها يصافح الناس فالعناية بها أمر لازم ، وقد وردت فى الشرع المطهر إشارات تكفى اللبيب ، فلم يكتف الشرع بغسل اليدين فى الوضوء ، بل حث على أمور أخر زيادة فى العناية باليدين .

فمن ذلك ما ورد فى الحديث : « إن الشيطان حساس لحاس فاحذروه على أنفسكم ، من بات وفى يده غمر فأصابه شىء فلا يلومن إلا نفسه »(١٨) .

والغمر : رائحة الطعام ، ففى هذا الحديث حث على غسل اليدين وتنظيفهما من أثر الطعام . ومن نظافة الأيدى غسل البراجم ـ عقد الأصابع ومعاطفها ـ وقص الأظفار وهما من خصال الفطرة كما سيأتى الحديث .

(قال العلماء : ويلحق بالبراجم ما يجتمع من الوسخ فى معاطف الأذن وقعر الصماخ فيزيله بالمسح ونحوه) .

---

(١٤) رواه أحمد والنسائى وابن خزيمة وغيرهم وعلقه ـ رواه معلقاً ـ البخارى فى صحيحه ، وصححه الألبانى فى (إرواء الغليل) برقم ٦٦ .

(١٥) نيل الأوطار ١٤٤/١ .

(١٦) رواه البخارى ومسلم واللفظ له .

(١٧) رواه مسلم .

(١٨) رواه الترمذى وأبو داود وابن حبان .

من خصال الفطرة : إزالة القذر : عن أبي هريرة - رضى الله عنه - قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « خمس من الفطرة الاستحداد والختان وقص الشارب ونتف الإبط وتقليم الأظفار » .[٢٠] وعن عائشة - رضى الله عنها - قالت : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « عشر من الفطرة : قص الشارب ، وإعفاء اللحية والسواك واستنشاق الماء وقص الأظفار وغسل البراجم ونتف الإبط وحلق العانة وانتقاص الماء يعنى الاستنجاء » ، قال زكريا [٢١] : قال مصعب [٢١] : ونسيت العاشرة إلا أن تكون المضمضة [٢٢] (قوله : ونسيت العاشرة إلا أن تكون المضمضة ، هذا شك منه ، قال القاضى عياض : ولعلها الختان المذكور مع الخمس الأولى ، قال النووى : وهو أولى) أ . هـ [٢٣] .

ونتف الإبط إن لم يقدر عليه المرء فله حلقه ، قال الشوكانى : (نتف الإبط : هو سنة بالاتفاق أيضاً ، قال النووى : والأفضل فيه النتف إن قوى عليه ويحصل أيضاً بالحلق والنورة) [٢٤] والاستحداد هو حلق شعر العانة .

فهذه مجموعة خصال الغاية منها النظافة والمظهر الحسن فينبغى على المسلم إزالة هذا الدرن عنه ولا يتركه أكثر من أربعين يوماً ، فعن أنس بن مالك - رضى الله عنه - قال : (وقت لنا فى قص الشارب وتقليم الأظفار ونتف الإبط وحلق العانة أن لا نترك أكثر من أربعين ليلة) [٢٥] .

قال النووى : معناه تركاً نتجاوز به أربعين لا أنه وقت لهم الترك أربعين ، قال : والمختار أن يضبط بالحاجة والطول ، فإذا طال حلق) [٢٦] .

(فائدة) : من الروائح الكريهة التى يعانى منها كثير من الناس وتؤذى من حولهم رائحة الإبط ورائحة القدمين عند البعض .

أما رائحة الإبط فننصح باستعمال مزيلات رائحة العرق التى تحتوى على مواد قاتلة للبكتريا ، ومن أفضلها « كريم » يسمى (فيبكس) لأنه فعال ويستخدم مرة واحدة كل أسبوع ، وأما رائحة القدمين الكريهة فهى تنتج عن إصابات فطرية بين الأصابع ، فننصح بتخليل الأصابع فى الوضوء مع تجفيف القدمين جيداً واستعمال المواد القاتلة للفطريات وهى كثيرة فى صورة مسحوق أو (مس) - محلول - أو مراهم وكريمات ومنها (كاندستان) و(كانستن) و(تينياكيور) ، وإذا لم تفلح هذه الأدوية فيمكن مراجعة طبيب الأمراض الجلدية .

هل ترك النظافة يعد زهداً مشروعاً ؟

ترك النظافة يعد عند غير المسلمين من الزهد ، حتى إن بعض الطوائف النصرانية تفخر بأن الراهب فلاناً لم يغتسل طوال حياته ، وانتقلت هذه الأفكار إلى بعض المسلمين ممن يدعون بالصوفية فعدوا كل مجنون قذر الثياب ولياً من أولياء الله تعالى ، ودين الله برىء من ذلك .

---

(٢٠) رواه الجماعة .
(٢١) احد رواة الحديث .
(٢٢) رواه احمد ومسلم والنسائى والترمذى .
(٢٣) نيل الاوطار ١٥٣/١ .
(٢٤) نيل الاوطار ١٥١/١ .
(٢٥) رواه مسلم ، ورواه احمد واصحاب السنن بلفظ : وقت لنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - .
(٢٦) نقله فى نيل الاوطار ١٥٢/١ .

وعن هؤلاء يقول الإمام ابن الجوزى ـ رحمه الله تعالى ـ : « ومن الزهاد من يلبس الثوب المخرق ولا يخيطه ويترك إصلاح عمامته وتسريح لحيته ليرى أنه ما عنده من الدنيا خبر وهذا من أبواب الرياء ، فإن كان صادقاً فى إعراضه عن أغراضه ـ كما قيل لداود الطائى ألا تسرح لحيتك ؟

فقال : إنى عنها لمشغول ـ فليعلم أنه سلك غير الجادة ، إذ ليست هذه طريقة الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ ولا أصحابه ، فإنه كان يسرح شعره وينظر فى المرآة ويدهن ويتطيب وهو أشغل الخلق بالآخرة .

وكان أبو بكر وعمر ـ رضى الله عنهما ـ يخضبان بالحناء والكتم ، وهما أخوف الصحابة وأزهدهم ، فمن ادعى رتبة تزيد على السنة وأفعال الأكابر لم يلتفت إليه) أ هـ (٢٧) .

وليست النظافة والسمت الحسن من الكبر كما قد يتخيله البعض ، فعن ابن مسعود ـ رضى الله عنه ـ قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « لا يدخل الجنة من كان فى قلبه مثقال ذرة من كبر » ، فقال رجل : إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسناً ونعله حسناً ، قال : « إن الله جميل يحب الجمال ، الكبر بطر الحق وغمط الناس » رواه مسلم فى صحيحه وبطر الحق : رده وغمط الناس : احتقارهم .

قال الشوكانى ـ رحمه الله ـ : والحديث أيضاً يدل على أن محبة لبس الثوب الحسن والنعل الحسن وتخير اللباس الجميل ليس من الكبر فى شىء ، وهذا مما لا خلاف فيه فيما أعلم . أ . هـ (٢٨) .

فعلى المسلم أن يحافظ على هذه الآداب ، مع استعمال الطيب الذى جعله رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ مما حُبب إليه من دنيانا ، وتكتمل النظافة بالنظافة المعنوية نظافة القلب واللسان وسائر الحواس وبهذا نفهم معنى قول النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « الطهور شطر الإيمان » (٢٩) .

وبهذا يبدو المسلم كالشامة بين الناس كما أراده الله ورسوله ، وبالله التوفيق .

---

(٢٧) تلبيس إبليس ط المدنى ص ٢٢٣ .
(٢٨) نيل الأوطار ٢/١٧١ .
(٢٩) رواه مسلم فى صحيحه عن ابى مالك الاشعرى ـ رضى الله عنه ـ .

الرسالة النبوية
إلى إمبراطور الروم هرقل

للأستاذ الدكتور
محمد عبد المنعم خفاجى

هرقل [هيركيوليس - هيراكليس] ينتصر على كسرى فارس انتصارا ساحقا ، يسترد به البلاد التى أخذتها منه فارس ؛ ويسير هرقل بعد الفتح فى طريقه إلى بيت المقدس عام ٧ هـ - ٦٢٩ م حتى يبلغ حمص ، وفى هذه الأيام الحافلة بعث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - برسائله إلى الملوك والأمراء يدعوهم فيها إلى الدخول فى دين الله ، وكان دحية بن خليفة الكلبى هو الذى حمل رسالة النبى الكريم إلى امبراطور الروم هرقل ، وأسلم دحية الرسالة إلى عامل الامبراطور على الشام فى بصرى فى رواية فبعث بها العامل إلى هرقل فى حمص ؛ وفى رواية أخرى أن دحية قدم إليه الكتاب بنفسه ، وفى رواية ثالثة أن الرسالة قدمت إليه فى بيت المقدس نفسه .

وقرئت الرسالة على هرقل مترجمة ، ونصها : [بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد عبد الله ورسوله ، إلى هرقل عظيم الروم - سلام على من اتبع الهدى ، أما بعد فإنى أدعوك بدعاية الإسلام ؛ أسلم تسلم ،

يؤتك الله أجرك مرتين ، فإن توليت فإن عليك إثم الأريسيين - أى عامة طبقات الشعب - وياأهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ، ولا نشرك به شيئا ، ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله ، فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون] - الطبرى ٢/٢١٩ .

رسالة جليلة حمل فيها رسول الله هذا الإنسان الكبير مسئوليته ، تجاه نفسه وشعبه والإنسانية عامة ، ولم يسجل المؤرخون الرومان رد فعل الامبراطور على الرسالة الكريمة ، والمصادر العربية تذكر أنه رد عليها ردا حسنا .

وكانت تلك الرسالة أول لقاء سياسى بين الإسلام وامبراطورية الروم القوية الواسعة الأرجاء آنذاك .

- ٢ -

إن من هذه الرسالة النبوية ثلاث نسخ خطية :

الأولى : وثيقة محفوظة فى صندوق ذهبى فى متحف طوب كاى سراى باستانبول .

الثانية : وثيقة دخلت فى ملك وزير خارجية لبنان الأسبق الهاوى للآثار النادرة د . هنرى فرعون حيث اشتراها من هاو لبنانى بأكثر من مليون دولار .

ولم يؤكد الفحص العلمى صحة نسبة هاتين الوثيقتين إلى عصر الرسالة المحمدية .

الثالثة : محفوظة اليوم فى قصر رئيس دولة الإمارات العربية الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان ، وهى الوثيقة الحقيقية التى أكد البحث العلمى صحتها ، وأنها هى التى تسلمها هرقل من مبعوث الرسول الأكرم دحية الكلبى ، حيث ظلت متوارثة فى أسرة هرقل ، وكان منهم حكام فى الأندلس ، وكان آخر العهد بها وبوجودها فى ملك أمير طليطلة [العاصمة الأندلسية القديمة] (الأذفونشى) . ثم انقطعت أخبارها بعد ذلك ، إلى أن ظهرت فى حوزة الأمير (الملك) عبد الله ملك الأردن ، وأوصى بها زوجته الملكة « نهجة » بعد وفاته ، ولما توفى الملك عبد الله حفظتها زوجته فى إحدى الخزائن فى بنوك سويسرا ، وحين احتاجت إلى المال سحبتها من الخزينة بنفسها وعرضتها للبيع فى لندن .

وأخذ الخبراء فى فحصها فحصا علميا ، دقيقا حتى لا تكون هناك شبهة من أى نوع فى أنها الوثيقة التاريخية الصحيحة ، التى لم يشبها تزوير بأى لون من الألوان واستغرقت عملية الفحص هذه عاما كاملا بمعرفة خبراء من العلماء الإسلاميين والأوروبيين ، منهم :

- العالم الهندى محمد حميد الله الأستاذ بالسوربون .

- والدكتور هنرى فرعون

- والمؤرخ د . عزالدين إبراهيم

- وخبراء متحف « طوب كاى سراى » .

وجرى الفحص الميكروسكوبى بالأشعة فوق البنفسجية وبواسطة الإمكانات المتاحة لدى المتحف البريطانى بلندن ، ومختبرات جامعة ليدز البريطانية .

وكانت النتيجة ترجيح صحة هذه الوثيقة ونسبتها إلى الرسول الأعظم باعتبارها الرسالة الحقيقية التى سلمت إلى هرقل من مبعوث الرسول الكريم ؛ وخلصت أعمال الفحص إلى النتائج التالية :

١ ـ الرسالة صحيحة أو هى على الأقل نسخة صحيحة من الأصل ، حيث كانت الرسائل النبوية يحتفظ بنسخ منها فى ديوان الخليفة عمر ابن الخطاب .

٢ ـ عمر الرسالة يزيد على ألف عام ، وهو أقصى مدى يمكن للمعامل الحديثة الوصول لمعرفته .

- ٣ -

وأخيراً وفى عام ١٩٧٥ م اشترى هذه الوثيقة ـ المكتوبة على جلد غزال ، والمؤلفة من ثمانية سطور ـ الشيخ زايد بن سلطان أمير دولة الإمارات وحاكم أبو ظبى بمبلغ اثنين ونصف مليون دولار ، لتستقر فى المركز الثقافى الجديد ، الذى أقامه فى قصره .

وبحفظ الله العلى العظيم ، استقرت هذه الوثيقة الصحيحة فى خزينة أمير عربى مسلم ، بعد عمر طويل بلغ مداه ١٣٧٠ عاما ميلاديا أو ١٤١٢ عاما هجريا ، لتذكر المسلمين بعظمة دينهم ورسولهم الصادق الأمين ، صلى الله عليه وسلم ـ إلى يوم الدين .

ملاحظة :

وردت كلمة الأريسيين فى مؤلف تراثى قديم للراهب أثناسيوس عضو مجمع نيقية (٣٢٥ م) وعنوانه « الرد على الأريوسيين » ، وهذا المؤلف هو الركيزة لكل ما كتبه جميع اللاهوتيين .

قنواتنا الإقليمية والفضائية

ودورها فى بنـــاء الإنســـان وحفظ الهويـة

للدكتور : محمد عبد الحكيم محمد •

تتزايد الثقافات ، وتختلط الحضارات فى ظل التيار الاتصالى الثقافى القادم من الإعلام المفتوح ، والسماء المفتوحة ، وهو تيار ثقافى يستهدف فى جوانب منه التأثير على عادات المجتمع وقيمه الأخلاقية والدينية ، وإن شئت فقل : يستهدف تغريب الثقافة العربية والإسلامية وقطعها عن جذورها الدينية والأخلاقية ، فكان لابد من مواجهة هذا التيار الثقافى المتدفق ، وتحقيق التوازن بينه وبين تراثنا ـ العربى والإسلامى ـ وروحه وقيمه .

ونحن نتفق بادىء ذى بدء على أن قضية بناء الإنسان المصرى والعربى ، وحفظ هويته لا يمكن أن تترك على عاتق التلفاز المصرى ـ وحده ـ بقنواته الإقليمية والفضائية ، ولا حتى على عاتق وسائل الإعلام ـ وحدها ـ بكل صورها وأشكالها ، لأنها قضية قومية ينبغى أن تتحمل الأسرة والمؤسسات التربوية والاجتماعية فى الدولة نصيبها من هذا الالتزام القومى ، إلى جانب وسائل الإعلام ، فى تلاحم وتضافر يحفظ على أبنائنا دينهم وشخصيتهم .

إنما يهمنا فى هذه المقالة التوقف عند وسيلة « التلفاز » لقدرتها على أن تلعب دورا بارزا فى هذه القضية إيجابا أو سلبا ، إيجابا : فى جودة الإنتاج الذى يحفظ على أبنائنا دينهم وشخصيتهم ، ويقيهم شر ادراما والأغانى والأفلام والمسلسلات الوافدة التى تؤثر على عادات المجتمع وهويته ، وسلبا : فى قدرتها الفائقة على الإخلال بالتوازن الأخلاقى والاجتماعى فى المجتمع .

(•) الكاتب : مدرس الصحافة بكلية الآداب ـ جامعة المنصورة

ظاهرة الأطباق وأثر الصورة المرئية :

ويرجع خطر وسيلة التلفاز إلى اتساع دائرة بثها التى تتخطى بها حدود الدول الجغرافية ، ففى نهاية القرن العشرين أصبح نقل برامج « التلفاز » عن طريق الأقمار الصناعية حافزا لمحطات تليفزيونية عديدة لأن تبث إرسالها عالميا وفضائيا .

ويستطيع المشاهد العادى أن يلتقط هذه البرامج العديدة بإضافة « دش » أو « إيريال قصعى » - هوائى على شكل طبق - وصارت هذه الظاهرة حديث الناس والآباء والخبراء فى المجتمع ، لأن بعض المحطات الأجنبية تبث برامج مخلة بالآداب والذوق ، وتبث أفلاما ومسلسلات أخرى تقوم على سياسة وضع السم فى العسل .

فتسرد لنا جرائم القتل والاختلاس والاغتصاب والانحلال والعهر والتبذل بأسلوب لامع ومتألق وجذاب يسيل له لعاب المتلقى الساذج ، فيبتلع المضمون بما فيه من سموم ويتقمص فى حب وعشق تلك الشخصية الإجرامية ، فيظهر عليه ذلك فى أنماط سلوكه ، مما يعكس لنا المردود السيىء لهذه الأفلام والمسلسلات .

والحقيقة : أنه وإن كان الذى يتعرض لهذا البث التليفزيونى الوافد جمهورا محدودا ، إلا أن ظاهرة « الأطباق » فى سبيلها للانتشار ، ومن المنتظر أن تقدم تكنولوجيا « البث » ابتكارات جديدة تجعل هذا الأمر سهلا ميسورا فى الأيام المقبلة ، حتى يكون فى متناول الجميع .

ولعل مصر هى أول دولة سمحت باستقبال القمر الصناعى فى الوطن العربى ، ومن ثم انتشرت آلاف الأطباق على أسطح المنازل ، مما أثار استياء البعض فى أول الأمر ، وأعتقد أنها أصابت فى ذلك القرار ، فلأن تسمح به جهرا ثم تتعامل بوعى مع نتاج السماوات المفتوحة ، خير من أن تمنعه وتتجاهله ، فيستخدمه المشاهد سرا دون أن تكون لديه المناعة الثقافية التى تحميه وتحمى ذويه من عوامل التغريب .

أهمية القنوات الإقليمية والفضائية :

ومن ثم كان لابد من تخطيط إعلامى فى هذا المجال يحقق التوازن بين العالمية والوطنية ، فالإعلام العالمى يحمل مضمونا ثقافيا يعمل على تغريب المواطن العربى المسلم على أرضه ، بينما ينبغى لهذا المواطن أن تقدم له يد العون فى الحفاظ على جذوره وهويته ، كهامش أساسى فى عصر السماوات المفتوحة ، وعصر الفضاء والإنترنت ، وما يمكن أن نسميه بظاهرة « العولمة » بشكل عام .

فكان التوسع فى القنوات الإقليمية المصرية ، حتى أصبح لدينا ثمانى قنوات إقليمية ، ثم الدخول بقناة فضائية مصرية أولى استأجرتها على القمر الصناعى العربى (عربسات) بموجب عقد وقع فى ١٩٩٠/٦/١٢ بين اتحاد الإذاعة والتليفزيون ، وبين المؤسسة العربية لاتصالات الفضاء ، فضلا عن الدخول بقناة النيل الدولية ، وقناة النيل للدراما وغيرها .

ثم توجت هذه الإنجازات بدخول مصر نادى الفضاء العالمى بإطلاق أول قمر صناعى مصرى « نايل سات » ، فتكون مصر بذلك دولة حضارية ، مثلها مثل الدول التى أطلقت أقمارا

صناعية ، وتستطيع من خلاله بالكوادر المدربة أن تكون مصدرة للثقافة الخاصة بها بعد أن كانت جالبة لثقافات أمريكية وأوروبية ، فى شكل دراما وأفلام ومسلسلات تؤثر بالقطع على الهوية والعادات المصرية والعربية والإسلامية ، تلك الثقافات التى كانت تفرض نفسها بغزارة الإنتاج وقلة التكلفة المادية .

نايل سات مصر أو قمر النيل :

ففى صباح الخميس الموافق (٢٦ من ذى الحجة ١٤١٨هـ - ٢٣ من أبريل ١٩٩٨م) تم تركيب القمر الصناعى المصرى « النايل سات ١٠١ » داخل الصاروخ « أريان ٤ » فى قاعدة « كورو » الفضائية بمنطقة جيانا الفرنسية استعدادا للحظة الانطلاق التى تمت يوم الثلاثاء الموافق يوم (٢٨ من أبريل ١٩٩٨) فى تمام الساعة السابعة والنصف مساء بتوقيت « كورو » ، والواحدة والنصف مساء بتوقيت القاهرة ، والذى تم ضبطه فى مداره بالسماء فى عيد الإعلاميين الذى وافق ٣١ من مايو ١٩٩٨ ، هذا اليوم الذى أعطى فيه الرئيس محمد حسنى مبارك إشارة البدء لعمل « النايل سات » ، وافتتح أول أكبر محطة فضائية فى مدينة الإنتاج الإعلامى بالسادس من أكتوبر ، لتوجيه القمر الصناعى المصرى وبأحدث التكنولوجيا .

فمن المقرر أن تتولى مراقبة « النايل سات » بعد أن يدخل مداره المحدد له ثلاث محطات للتحكم الأرضى :
- فى استراليا .
- فى مدينة السادس من أكتوبر .
- فى مدينة الحمام بمرسى مطروح والإسكندرية .

كيفية عمله واستقباله :

يعمل القمر الصناعى المصرى « نايل سات » بنظام الرقم المضغوط « الديجتيال » وهو من أحدث النظم التكنولوجية المتقدمة فى مجال علوم الاتصال ، ولابد من أجل استقبال قنواته أن يشترى المشاهد طبقا صغيرا يصل قطره إلى خمسين سنتيمترا ، ومعه جهاز استقبال رقمى « ديكودر » ، سوف يوفره القطاع الخاص حتى يتمكن كل من يعيش على أرض مصر أو خارجها من استقبال قنواته التى تغطى جمهورية مصر العربية ، وكل منطقة المغرب حتى الخليج العربى ، وجنوب القارة الأوروبية .

عدد قنوات النايل سات :

ومن المعروف أن عدد القنوات القمرية « للنايل سات » هى (١٢) قناة ، تحمل كل منها (٧) قنوات تليفزيونية مضغوطة ، أى : أن المجموع النهائى لقنواته يصل إلى (٨٤) قناة تليفزيونية ، علاوة على وجود قنوات صوتية يمكن للإذاعة أن تبث إرسالها من خلالها ، وبذلك تنتهى مشاكل ضعف الإرسال الإذاعى ، فى بعض المناطق داخل وخارج مصر .

والقنوات التليفزيونية التى يمكن مشاهدتها من خلال القمر الصناعى « نايل سات » تضم (٢٠) قناة تليفزيونية مصرية وعربية مفتوحة بدون أجر أو أية اشتراكات ، وهى القنوات المتخصصة الجديدة التى يعدها اتحاد الإذاعة والتليفزيون حاليا ، والمكونة من قنوات للأخبار ، والرياضة ، والتعليم ، والثقافة ، والمنوعات ، والأسرة ، والطفل ، إلى جانب مجموعة من القنوات العربية

من سورية والأردن والبحرين ولبنان واليمن وليبيا والعراق ، وقناة (A.N.N) الإخبارية العربية الخاصة ، إضافة إلى القنوات الفضائية والنيل الدولية .

كما يبث « النايل سات » (٢٣) قناة مشفرة بالأجر ، من بينها قنوات الأوائل (١٤) قناة لراديو وتليفزيون العرب ، وقنوات « الشوتاين » الأجنبية والتى تبث منوعات وأفلاما وبرامج علمية .

وقد طالب الرئيس مبارك فى اجتماعه الذى عقد من أجل مناقشة « الإرسال التليفزيونى للقمر الصناعى المصرى » مع وزراء الإعلام والثقافة والتعليم والتعليم العالى والصحة ـ حيث تقرر لهم بعض القنوات المتخصصة على هذا القمر ـ بضرورة الالتزام فى البث التليفزيونى على قنوات القمر الصناعى المصر ، بالمستوى العالى الذى يتناسب مع صورة وحضارة وقيم مصر ، مع الوضع فى الاعتبار أنها تخاطب المجتمعات العربية والإسلامية والأفريقية والأجنبية .

ومن ثم فإن الأمل معقود على هذه القنوات المصرية ـ الإقليمية والفضائية فى أن تسهم بدور خلاق فى تحقيق التوازن بين الإعلام العالمى المتدفق ، وبين الإعلام المصرى العربى والإسلامى ، فنحن نريد إنسانا يعيش عصره بكل معطياته ، منفتحا على كل ثقافاته لكن جذوره ثابتة .

إننا نأمل من هذه القنوات والقائمين بالاتصال عليها تقديم برامج متميزة فى الشكل والمضمون ، برامج قادرة على المنافسة وعلى حفظ الشخصية الذاتية والقيم والعادات والتقاليد العربية والإسلامية .

ففى ظل ثورة الاتصالات والفضاء والسماء المفتوحة تكون الهيمنة الثقافية لصانعى هذه الثورة التكنولوجية ، حيث إنهم ـ وحدهم ـ هم القادرون على التسلل والوصول إلى غير القادرين « المتلقين » لهذه الثورة التكنولوجية عبر القنوات الفضائية ، والآن فقد أصبحت مصر بقمرها الصناعى وقنواتها الفضائية قادرة على إثبات ذاتها وثقافتها وحفظ هويتها أمام تيار العولمة ، بل ومشاركة فى توجيهه لصالح الأمة المصرية والعربية والإسلامية .

الأزهر يتطلع إلى قناة فضائية !!

على أن ذلك يستوجب فى المقابل أن يكون المضمون الذى ستخرج به هذه القنوات المصرية الإقليمية والفضائية قويا وجذابا ومقنعا ومشوقا ، وليس بكثير على مصر الأزهر بدينها وحضارتها ومفكريها ومثقفيها أن تضطلع بأداء هذه الرسالة على الوجه اللائق بها .

والحق أنى لا أعرف كيف يفوت مصر بوزنها الحضارى الذى يضرب بجذوره فى التاريخ إلى سبعة آلاف سنة ، وبأزهرها الشامخ منذ ما يربو على الألف سنة ، شاهدا على كفاح الجامع الأزهر فى ميادين العلم والمعرفة والثقافة خدمة للإنسانية وللأمة الإسلامية .

كيف يفوت مصر أن تخصص قناة متخصصة باسم الأزهر ، مثلما خصصت القنوات المتخصصة لوزارات الإعلام والتعليم ، والتعليم العالى والثقافة والصحة فما أحوج الأزهر والعالم الإسلامى بأسره إلى قناة فضائية باسمه تكون لمصر والأمة الإسلامية نوراً هادياً ومرشدا أميناً ، ومنارة ثقافية تستمد منها علومها على تنوعها وكثرتها ، وهو بقادته وعلمائه ومفكريه كفيل بحمل هذه الأمانة ، فقد سبق أن حفظ الأزهر للعالم المعارف الإنسانية فى حقبة تاريخية طويلة ، وأسهم فى حضارته إسهاماً لم يغفله التاريخ فى جميع مجالات الحياة .

من قادة الخلفاء الراشدين

الفاروق عمر بن الخطاب رضى الله عنه

للأستاذ/ أحمد السيد تقى الدين

كنا قد اعتمدنا فى العدد السابق عند حديثنا عن قادة الصديق ـ رضى الله عنه ـ الأسلوب المعجمى فى الحديث عن كل قائد ، على أن طول مدة حكم الخليفة الراشد عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ من ١٣ هـ إلى ٢٣ هـ ، وما تضمنته من أحداث هامة ، جعلنا نرى مراعاة التسلسل التاريخى للأحداث بتناول القادة وأدوارهم وفق التسلسل التاريخى بادئين أولا بقادة فتوح فارس ثم الشام ثم مصر .

● **عبيد الله بن مسعود الثقفى :**

ما إن فرغ عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ من دفن أبى بكر الصديق ـ رضى الله عنه ـ ، حتى دعا الناس إلى التطوع لحرب الفرس ، مع المثنى بن حارثة الشيبانى ، الذى كان قد بلغ المدينة ، وأبو بكر مريض مرض الموت ، وجلس المثنى إلى أبى بكر ، وأخبره بأنه لا يستطيع أن يحتفظ بما فتحه المسلمون من أرض العراق ، بتسعة آلاف رجل فقط ، واستأذنه فى الاستعانة بمن ظهرت توبته وندمه من أهل الردة ـ وقد كانوا ممنوعين من المشاركة فى الفتوح ـ فقال أبو بكر لمن حوله : « علىَّ بعمر » فجاء ، فقال له الصديق : « . . . إن أنا مت فلا تمسين حتى تندب الناس مع المثنى » (١).

ونادى عمر فى آخر الليلة التى توفى فيها

(١) الطبرى ، تاريخ الأمم ، والملوك ٤/٤٣ .

الصديق : « الصلاة جامعة » فاجتمع الناس ، فدعاهم إلى حرب الفرس ، ولكنهم لم يجيبوه ، ثم صلى عمر ، والمسلمون الفجر ، وبايع الناس عمر على الخلافة ، وعاد الفاروق يطلب الناس للتطوع ثلاثة أيام فلا يجيبه أحد ، فلما كان اليوم الرابع قام المثنى فى المسجد قائلاً : « أيها الناس لا يعظمن عليكم هذا الوجه . . فإنا قد تبحبحنا فى ريف فارس وغلبناهم على خير شقى السواد ، وشاطرناهم ونلنا منهم ، واجترأ من قبلنا عليهم ، ولها إن شاء الله ما بعدها .

ثم قام عمر خطيباً فى المسلمين قائلاً : « إن الحجاز ليس لكم بدار إلا على النُجعة ، ولا يقوى عليه أهله إلا بذلك ، أين الطراء المهاجرون عن موعود الله ؟ سيروا فى الأرض التى وعدكم الله فى الكتاب أن يورثكموها ، فإنه قال : ﴿ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ ﴾ والله مظهر دينه ومعز ناصره ومولى أهله مواريث الأمم ، أين عباد الله الصالحون ؟ » .

فقام أبو عبيد بن مسعود الثقفى قائلاً : أنا لها ، وتبعه سعد بن عبيد الله الأنصارى ، ثم سليط بن قيس ، وتتابع الناس حتى بلغوا ألفا(1)

وكافأ عمر أبا عبيد بن مسعود بأن ولاه على حرب الفرس ، ورفض قول من قال : « أمر عليهم رجلا له صحبة من السابقين من المهاجرين والأنصار » ، ورد عليه قائلاً : « والله لا أفعل . . يا أصحاب النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ . . لا أندبكم فتنكلون وينتدب غيركم فأؤمركم عليهم . . إن الله إنما رفعكم بسبقكم وسرعتكم إلى العدو فإذا حببتم وكرهتم اللقاء فأولى بالرياسة منكم من سبق إلى الدفع وأجاب إلى الدعاء ، فإذا فعل فعلهم قوم واثاقلوا ، كان الذين ينفرون خفافا وثقالا أولى بها منهم ، والله لا أؤمر عليهم إلا أولهم انتداباً » .

فأمَّر أبا عبيد على الجيش وقال له : « اسمع من أصحاب النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأشركهم فى الأمر ولا تجتهد مسرعاً حتى تتبين » (2) .

وأرسل عمر المثنى إلى العراق حتى لا يغيب عن رجاله بها ، وقال له : « النجاء حتى يقدم عليك أصحابك » (3)

وراح عمر يحشد الناس للحرب ، حتى اجتمع له خمسة آلاف رجل ، فسار بهم أبو عبيد نحو الحيرة ، وجعل لا يمر بحى من أحياء العرب إلا استنفرهم فتبعه منهم طوائف حتى انتهى إلى (قس الناطف) قرب الكوفة على شاطىء الفرات الشرقى فاستقبله المثنى بها فيمن معه . (4) .

وكان الفرس قد حشدوا جيوشهم بقيادة (جابان) فى موقع بين الحيرة والقادسية يسمى (النمارق) فسار إليهم أبو عبيد ومعه المثنى فى قلب الجيش ، وكان على الميمنة (والق بن جيدارة) ، وعلى الميسرة (عمرو بن الهيثم بن الصلت بن حبيب السلمى) .

---

(1) المصدر السابق ٦١/٤ ، الاستيعاب ٣٨/٢ ، ابن حجر ، الإصابة فى تمييز الصحابة ت ٣١٧٦ ، ٣٤٢٥ ، ٧٢٢٨ ط المطبعة التجارية بالقاهرة .

(2) الطبرى ، ٦١/٤ ، الدينورى ، الأخبار الطوال ، تحقيق عبدالمنعم عامر ص ١١٣ ط ١٩٦٠ القاهرة .

(3) الطبرى ، ٦٦/٤ .

(4) الدينورى ، ص ١١٣ .

واقتتل الفريقان فى ٨ من شعبان سنة ١٣ هـ فى قتال مرير دارت فيه الدائرة على الفرس ، وسقط (جابان) فى الأسر ، أسره (مطر بن فضة) و(أبو برجل) دون أن يعلموا حقيقته ، وكان شيخاً كبيراً ، ووقع سلبه (لأبى برجل) ، وفداءه (لمطر) الذى قال له (جابان) : « إنكم معاشر العرب أهل وفاء ، فهل لك أن تؤمننى ، وأعطيك غلامين خفيفين فى عملك » فقال له مطر : « نعم » فقال (جابان) : « فأدخلنى على ملككم حتى يكون ذلك بمشهد منه ، فأدخله على أبى عبيد ، فأجاز الأمر ، على أن قوماً من بنى ربيعة تعرفوا على (جابان) وقالوا لأبى عبيد : « هذا الملك جابان » ، وهو الذى لقينا بهذا الجمع » ، وأشاروا بقتله ، وقال أبو برجل : « أسرته أنا وهو على غير أمان » ؛ ولكن أبا عبيد قال : « أيؤمنه صاحبكم وأقتله أنا ؟ معاذ الله من ذلك ، إنى أخاف أن أقتله وقد أمنه رجل مسلم ، المسلمون فى التواد والتناصر كالجسد مالزم بعضهم فقد لزم كلهم » ، فقالوا : « إنه الملك » فرد عليهم : « وإن كان لا أغدر » (١).

وسار أبو عبيد مطارداً فلول الفرس المنهزمة ، والتى تجمعت فى (السقاطية) جنوب (كسكر) واقتتل الفريقان فى ١٧ من شعبان عام ١٣ هـ . وكان النصر فى النهاية حليفاً للمسلمين ، وبعث أبو عبيد بخمس الغنائم إلى عمر بن الخطاب مع رسالة قال فيها : « إن الله أطعمنا مطاعم كانت الأكاسرة يحمونها وأحببنا أن تروها ولتذكروا أنعام الله وأفضاله » .

وأقام أبو عبيد (بكسكر) بعد المعركة وبعث السرايا تطارد الفلول الفارسية المنهزمة ، وتغير على المناطق التى كانت قد صالحت خالد بن الوليد ثم تمردت ، فأرسل المثنى إلى (باروسما) و (والق بن جيدارة) إلى (الزوابى) و(عاصم بن عمرو التميمى العمرى) إلى نهر (جوبر) وخرج اثنان من الدهاقين إلى المثنى يطلبان أداء الجزية ، والدخول فى ذمة المسلمين أحدهما عن أهل : (باروسما) ، والثانى عن أهل (نهر جوبر) ، فصالحاه عن كل رأس أربعة دراهم ، وأراد أهل البلدين التقرب إلى أبى عبيد ، فقدم مندوباهما ألوانا من الأطعمة الفارسية غالية الثمن إليه ، وقالوا : « هذه كرامة أكرمناك بها وقرى لك » فقال لهما : « أأكرمتم الجند وقريتموهم مثله ؟ » فقالوا : « لم يتيسر . . » فرفض أبو عبيد الطعام قائلاً : « لا حاجة لنا فيها لا يسع الجند » ورفض أن يتناول طعاماً لا يتناوله سائر الجند (٢) .

وخرج أبو عبيد من السقاطية نحو (باروسما) والتى تجمعت بها حشود الفرس بقيادة (جالنوس) ودارت بين الفريقين معركة حامية فى (باقسياثا) انتصر فيها المسلمون فى ١٧ من شعبان سنة ١٣ هـ ، واضطر (جالنوس) للفرار . (٣)

ثم رحل أبو عبيد عائداً للحيرة ، وكان الفرس قد حشدوا الجيوش فى المدائن استعداداً للهجوم على المسلمين ، وخرج (بهمن جاذويه) على رأس جيش جرار قاصدا الحيرة ، وعلم أبو عبيد بذلك ، فخرج من الحيرة حتى بلغ نهر الفرات فى

---

(١) الطبرى ، ٤/٦٣ ، ٦٤ .

(٢) الطبرى ، ٤/٦٤ ، ٦٦ .

(٣) المصدر السابق ٤/٦٥ ، ٦٦ .

حين وقفت جيوش الفرس على الجانب الآخر من النهر بـ (قس الناطف) وأرسل (بهمن جاذويه) أحد رجاله إلى أبى عبيد يقول له : « إما أن تعبروا إلينا وندعكم والعبور ، وإما أن تدعونا نعبر إليكم » ؛ وألح (سليط بن قيس) و(المثنى بن حارثة) والعديد من قادة الجند على أبى عبيد بأن يدع الفرس يعبرون أولا ، ولكن أباعبيد رفض رأيهم ، بل ورمى سليطاً والمثنى بالجبن ، فقال له سليط : « أنا والله أجرأ منك نفسا وقد أشرنا عليك بالرأى فستعلم » .

ونسى أبو عبيد وصية عمر بن الخطاب له عندما نصحه بالشورى قبل أن يُقدم ، وكان قد قال له عن سليط : « قد بعثت معك رجلا هو أفضل منك إسلاماً فاقبل مشورته » لكن أبا عبيد تمسك برأيه خاصة بعد أن استفزه (الخصى مردانشاه) رسول (بهمن جاذويه) عندما قال له : « إن أهل فارس قد عيروكم بالجبن » .

وكان الجسر الذى سيعبر عليه المسلمون والذى أقامه الفرس قديماً متهالكاً ضيقا لا يسمح بحرية الحركة لجيش زاحف ، فانقض الفرس على المسلمين يمطرونهم بوابل من السهام قبل أن يكتمل عبور جيشهم للجسر ، وأثارت الفيلة ، والخيل الفارسية المغطاة بالدروع فزع خيل المسلمين التى لم تكن قد ألفت هذه الأمور من قبل ، فأجفلت وولت هاربة ، فقرر أبو عبيد التخلى عن الخيل ، ونزل عن جواده وترجل جميع المسلمين ، ومشوا إلى الفرس فى شجاعة نادرة ، ونادى أبو عبيد فى الجيش : « احتوشوا الفيلة وقطعوا بُطُنها واقلبوا عنها أهلها » .

وواثبَ أبو عبيد فيل المقدمة الأبيض فتعلق بجزامه وقطعه ، فسقط من كانوا على هودجه ، وأراد أبو عبيد أن يقتل الفيل ، ورأى أصحابه جرأته البالغة فقالوا له : « إنا نخاف عليك » فقال لهم : « إن ربى ينصرنى ، ولكن أخبرونى هل لهذا الفيل من مقتل » فأجابه بعضهم : « إذا قطع خرطومه فهو يموت » فقال : « يا معشر الناس إنى حامل على هذا فانظروا إن قتلته وهزمت من حوله فأنا أميركم ، وإن قُتلت فأخى الحكم أميركم ، فإن قُتل فولدى وهب ، فإن قُتل فولدى مالك ، فإن قُتل فولدى جبر ، فإن قُتل فأبو القاسم ، فإن قُتل أبو القاسم فعليكم المثنى » .

وسقط أبو عبيد شهيداً بعد أن وطئه الفيل ، فحمل اللواء أخوه الحكم فقاتل الفيل حتى استخلص أخاه من تحت أقدامه جثة ممزقة ، ثم حاول أن يقتل الفيل لكنه سقط تحت أقدامه ، فحمل اللواء وهب بن أبى عبيد فقاتل حتى قُتل فانتقل اللواء إلى جبر بن أبى عبيد فقاتل بدوره حتى قُتل .(١)

● المثنى بن حارثة الشيبانى :

وانتهى اللواء إلى المثنى بن حارثة الشيبانى الذى بدأ فى الانسحاب بالجيش لحمايته من الإبادة إلا أن (عبدالله بن مرثد الثقفى) بادر إلى الجسر فقطعه وحال بين الناس وبين عبور الجسر قائلاً : « موتوا على مامات عليه أمراؤكم أو تظفروا » فتواثب جند المسلمين فى النهر ، فأسرع المثنى بإصلاح الجسر

(١) الطبرى ٤/٦٧ ، البلاذرى ، فتوح البلدان ص ٦٢٥ ، ٦٢٦ نشر د . صلاح الدين المنجد ، الدينورى ، الأخبار الطوال ص ١١٣ .

ونادى فى الناس : « أيها الناس أنا دونكم فاعبروا على هينتكم ولا تدهشوا فإنا لن نزايل حتى نراكم من ذلك الجانب ولا تغرقوا أنفسكم » ، ووقف المثنى مع (عاصم بن عمرو التميمى) و(مذعور ابن عدى العجلى) و(الكلج الضبى) و(عروة بن زيد الخيل الطائى) و(سليط بن قيس الأنصارى) ونفر من وجوه الصحابة يحمون انسحاب المسلمين ويقاتلون الفرس بضراوة وبسالة نادرة ، وكان (سليط بن قيس) آخر شهداء المسلمين فى حين كان المثنى قائد الجيش هو آخر من انسحب بظهره إلى الجسر يقاتل الفرس وجهاً لوجه وجرح جرحا بليغاً ، وانغرس حلق درعه فى لحم جسده بفعل ضربة رمح .

وبعث المثنى إلى المدينة (عبد الله بن زيد بن الحصين الخطمى الأنصارى) بالخبر ، فأصيب المسلمون بالحزن والغم باستشهاد أربعة آلاف ، وجزعوا من هول الكارثة ، وتأثر عمر أبلغ التأثر ، لكنه قام خطيباً فى الناس : « عِبَّاد الله لا تجزعوا اللهم إن كل مسلم فى حل منى ، أنا فئة كل مسلم ، من لقى العدو ففُظع بشىء من أمره فأنا له فئة ، يرحم الله أبا عبيد لو كان عبر فاعتصم بالخيف أو تحيز إلينا ولم يستقتل لكنا له فئة » [1] .

أما المثنى فسرعان ما تماسك فأوقع الهزيمة بالفرس فى (أليس) ٢٤ من شعبان سنة ١٣ هـ ، وقتل فيها (مردانشاه) و(جابان) وعدد غير قليل من الفرس .

وندب الخليفة المسلمين لنجدة المثنى بن حارثة ، فقدم على الفاروق جموع العرب من أنحاء جزيرة العرب ، فقدم عليه : جرير بن عبد الله البجلى ، وعصمة بن عبدالله الضبى ، وعرفجة بن هرثمة البارقى ، وغالب بن فلان الليثى ، وهلال بن عُلفة التيمى ، وابن المثنى الجُشمى ، وعبد الله بن ذى السهمين الخثعمى ، وربعى بن عامر ، وابن هوبر الضبى ، والمنذر ابن حسان الضبى ، وقرط بن جماح ؛ كل فى قومه ، ففرح بهم عمر ، ودعا لهم ووجههم فى كتائب متتابعة إلى المثنى ، ولم يترك عمر أحدا وفد عليه فى المدينة إلا وأرسله مددا للمثنى . [2] .

أما الفرس فقد فزعوا من توالى وصول الإمدادات إذ أنها تعنى أن المسلمين لن يستسلموا للهزيمة ، ويعدون لجولة جديدة ، فخرج (مهران ابن باذان الهمذانى) على رأس جيوش الفرس من المدائن قاصداً الحيرة معقل المثنى الذى أسرع بالخروج لملاقاته عند البويب حيث كان مهران قد بلغ الضفة المقابلة من الفرات فى موضع يُقال له : « بسوسيا » ووقف المثنى مكانه حتى كتب إليه (مهران) : « إما أن تعبروا إلينا وإما أن نعبر إليكم ، فقال لى المثنى : « اعبروا » .

وجعل المثنى على ميمنة جيشه (بشير بن الخصاصية) وعلى ميسرته (بُسر بن أبى رُهم الجهنى) ، وعلى الخيل أخاه (المعنى بن حارثة الشيبانى) وعلى المشاة أخاه (مسعود بن حارثة الشيبانى) .

---

(١) الطبرى ٦٧/٤ ، فتوح البلدان ٦٢٥ ، ٦٢٦ .

(٢) الطبرى ، ٧٣/٤ .

وكان هذا اللقاء فى رمضان من عام ١٣ هـ ، فقام المثنى خطيباً فى المجاهدين فقال : « إنكم صُوام ، والصوم مُرقة ومضعفة ، وإنى أرى من الرأى أن تفطروا ثم تقووا بالطعام على قتال عدوكم » .

وسار المثنى بين صفوف الجيش يستعرضها ، ووقف على الرايات راية راية يحضهم ويحرضهم على القتال يقول لكل منهم : « إنى لأرجو أن لا تؤتى العرب اليوم من قبلكم ، والله ما يسرنى اليوم لنفسى شىء إلا وهو يسرنى لعامتكم » .

وعبر الفرس الجسر الذى أقاموه بأنفسهم تتقدمهم أفيالهم ، والتحم الجيشان فى معركة رهيبة اهتزت صفوف المسلمين فى بدايتها فصاح المثنى فى الجيش « أيها الناس إلىَّ إلىَّ أنا المثنى » فثاب المسلمون وانتظمت صفوفهم من جديد ، وانقض المثنى على قلب جيش الفرس ، وكان فيه مهران قائدهم ، وأُصيب (مسعود بن حارثة الشيبانى) قائد مشاة المسلمين فتضعضع من ذلك جنده فصاح فيهم مسعود : « لا تدعوا ما أنتم فيه . . الزموا مصافكم . . يا معشر بكر بن وائل ارفعوا راياتكم رفعكم الله ، لا يهولنكم مصرعى » ، وظل يحرض جنوده على القتال حتى استشهد فلما علم المثنى أسرع نحو جنود أخيه الشهيد وصاح فيهم : « يا معشر المسلمين هكذا مصرع خياركم ، ارفعوا راياتكم » . . ووقف (عدى بن حاتم يحرض ميسرة الجيش على القتال بعد أن لمس منها تخاذلا ، وصاح (جرير بن عبدالله البجلى) فى قومه بجيلة : « يا معشر بجيلة لا يكونن أحد أسرع إلى هذا العدو منكم فإن لكم فى هذه البلاد - إن فتحها الله عليكم - حظوة ليست لأحد من العرب فقاتلوهم التماس إحدى الحسنيين » .

وقتل (مهران) بسيف المثنى فلما عاين الفرس مقتل قائدهم أيقنوا من وقوع الهزيمة بهم فاستداروا يريدون الجسر التماساً للفرار فسابقهم المثنى فيمن معه من الجسر فقطعه ليمنعهم ، عندها استبسل الفرس فى القتال دفاعاً عن حياتهم فلما انهارت قواهم ألقوا بأنفسهم فى النهر فجازه بعضهم سباحة وعثر آخرون على مخاضة فعبروا منها ، وانتهت المعركة بانتصار كبير للمسلمين الذين عبروا الفرات - بعد أن أصلح المثنى الجسر - يطاردون فلول الفرس المنهزمة حتى (السيب) على نهر دجلة .

ووقف المثنى بعد النصر فخطب فى جنوده قائلاً : « . . . قاتلت العرب والعجم فى الجاهلية والإسلام ، والله لمائة من العجم فى الجاهلية أشد علىَّ من ألف من العرب ، ولمائة اليوم من العرب أشد علىَّ من ألف من العجم ، إن الله أذهب مصدوقتهم ووهن كيدهم ، فلا يروعنكم زهاء ترونه ولا سواد ولاقسى فُج ولا نبال طوال ، فإنهم إذا أعجلوا عنها أو فقدوها كالبهائم أينما وجهتموها اتجهت » .

ولم ينس المثنى أن يؤنب نفسه علنا أمام جنوده ؛ لقطعه خط الرجعة على الفرس ، فقال : « لقد عجزت عجزة وقى الله شرها بمسابقتى إياهم إلى الجسر ، وقطعه حتى أحرجتهم ، فإنى غير عائد فلا تعودوا ولا تقتدوا بى أيها الناس فإنها كانت منى زلة ، لا ينبغى إحراج أحد إلا من لا يقوى على امتناع » (١) .

---

(١) الطبرى ، ٧١/٤ : ٧٦ ، فتوح البلدان ص ٦١٠ .

ثم خرج المثنى فى بنى شيبان وبنى عجل ، يغير على الفرس ومن حالفهم من الأعراب فى سائر أنحاء العراق ، فهاجم (سوق الخنافس) و(سوق بغداد) وصفين وأوغل برجاله فى تخوم العراق يهاجم تجمعات الفرس أينما كانوا ، وكان يقول لجنوده عندما يحس فيهم خوفاً من كثرة إيغالهم وسط الفرس : « . . إن للغارات روعات تنتشر عليهم يوماً إلى الليل ، ولو طلبكم المحامون من رأى العين ما أدركوا ، وأنتم على الجياد العراب ، وهم على المقاريف البطاء . . فثقوا بالله وأحسنوا به الظن فقد نصركم الله فى مواطن كثيرة وهم أعد منكم . . »(١) .

أما الفرس فقد خلعوا ملكتهم (بوران) وولوا عليهم (يزد جرد الثالث) الذى أعاد تنظيم الجيش ، وحصن الثغور وسلحها استعداداً للانقضاض على المسلمين ، ولما أحس المثنى بهذه الأمور أرسل إلى الفاروق عمر يستمده ، ولكن أهل السواد فى العراق كانوا أسرع إذ نقضوا العهود والمواثيق ، وتنكروا للمسلمين ، فانتهز الفرس الفرصة للانقضاض على المثنى الذى لم يجد أمامه من حل سوى الانسحاب وتجنب الاشتباك مع الفرس حفظاً لجيشه من مواجهة غير متكافئة .

وجاء كتاب عمر موافقاً لما ذهب إليه المثنى حيث حذره من الاشتباك مع الفرس ، وجاء فيه : « اخرجوا من بين ظهرى الأعاجم ، وتنحوا إلى البر ، وتفرقوا فى المياه التى تلى الأعاجم على حدود أرضكم وأرضهم ، وادع من يليك ولا تدعوا فى ربيعة أحدا ، ولا مضر ولا حلفائهم أحدا من أهل النجدات ولا فارسا إلا اجتلبتموه . . » .

فنزل المثنى بـ (ذى قار) ووزع المسلمين فى المياه من أول صحراء العراق إلى آخرها فى مسالح ينظر بعضها بعضا ويغيث بعضها بعضا إذا هوجموا .

ودعا عمر المسلمين لنجدة المثنى ، فتوافد عليه الناس من أنحاء شبه الجزيرة العربية ، فأنزلهم عمر على ماء قرب المدينة يسمى (صرار) وبلغ عدد من تطوع نحو أربعة آلاف رجل ، فجعل عمر عليهم سعد بن أبى وقاص - رضى الله عنه - أحد العشرة الذين بشرهم الرسول - صلى الله عليه وسلم - بالجنة ، فخرج بالجيش فى ١٣ من شعبان سنة ١٤ هـ قاصداً (زرود) حيث أمره الفاروق بأن يعسكر بالجيش هناك إلى أن يأتيه أمره ، فوصلها فى نهاية شعبان ١٤ هـ ، وتجمعت له سبعة آلاف من عرب تميم والرباب وأسد ، وأمده عمر بأربعة آلاف أخرى(٢) .

● سعد بن أبى وقاص :

وأثناء ذلك جاء الخبر بوفاة المثنى ، فأمر عمر سعدا بأن يتوجه إلى شراف حيث كان المثنى يعسكر بقواته فوصلها فى ذى الحجة عام ١٤ هـ ليجد وصية المثنى فى انتظاره فقد أبى الفارس الشجاع أن يموت إلا بعد أن يسدى النصح للقائد الجديد ونصحه بـ « ألا يقاتل عدوه وعدو المسلمين من أهل فارس إذا استجمع أمرهم وملؤهم فى عقر دارهم ، وإنما يقاتلهم على حدود أرضهم على

(١) الطبرى ، ٧٨/٤ ، فتوح البلدان ص ٦٢١ ، ٦٢٢ .
(٢) الطبرى ، ٤٨٤/٣ .

أدنى حجر من أرض العرب ، وأدنى مدرة من أرض العجم » [١] .

فأخذ سعد يغير على تخوم الفرس وأطراف أراضيهم حتى وصله كتاب الفاروق ، وجاء فيه : « إذا جاءك كتابى هذا فعشر الناس وعرف عليهم وأمر على أجنادهم وعبهم ومر رؤساء المسلمين فليشهدوا وقدرهم وهم شهود ، ثم وجههم إلى أصحابهم وواعدهم القادسية واضمم إليك المغيرة بن شعبة فى فيلة واكتب إلىَّ بالذى يستقر عليه أمرهم » .

فسار سعد بن أبى وقاص تجاه القادسية فاستولى على حصن (العذيب) وأنزل به نساء المسلمين ووضع خيلا لرعايتهن وحمايتهن ثم ارتحل حتى نزل القادسية فنزل حصن (قديس) ومضى سعد يبث السرايا ويغير على ما حوله من أراض ، وأقام زمناً ينتظر الفرس أن يوجهوا إليه جيوشهم وهم لا يفعلون .

فكتب إليه عمر بن الخطاب كتابا جاء فيه : « أما بعد ، فتعاهد قلبك وحادث جندك بالموعظة والنية والحسبة ، ومن غفل فليحدثهما ، والصبر الصبر فإن المعونة تأتى من الله على قدر النية والأجر على قدر الحسبة ، والحذر الحذر على ما أنت عليه وما أنت بسبيله ، واسألوا الله العافية وأكثروا من قول لا حول ولا قوة إلا بالله ، واكتب إلىَّ أين بلغك جمعهم ، ومن رأسهم الذى يلى مصادمتكم ، فإنه قد منعنى من بعض ما أردت الكتاب به قلة علمى بما هجمتم عليه ، والذى استقر عليه أمر عدوكم ، فصف لنا منازل المسلمين ، والبلد الذى بينكم وبين المدائن صفة كأنى أنظر إليها ، واجعلنى من أمركم على الجلية ، وخف الله وارجه ، ولا تدل بشىء ، واعلم أن الله قد وعدكم وتوكل لهذا الأمر بما لا خلف له ، فاحذر أن تصرفه عنك ويستبدل بكم غيركم » [٢] .

ثم كتب عمر لسعد كتاباً ثانياً يأمره بأن يوجه إلى الفرس من يدعوهم إلى الإسلام ، وأوصاه بأن يحسن اختياره . فأعد سعد أربعة عشر رجلا لذلك وهم : (النعمان بن مقرن) و(بسر بن أبى رهم) ، و(حملة بن جوية) و(حنظلة بن الربيع) ، و(فرات بن حيان) ، و(عدى بن سهيل) ، و(المغيرة بن زرارة بن النباش بن حبيب الأسيدى) ، و(عطارد بن حاجب) ، و(الأشعث بن قيس) ، و(الحارث بن حسان) ، و(عاصم بن عمرو) ، و(عمرو بن معدى كرب) ، و(المغيرة بن شعبة) ، و(المعنى ابن حارثة) ، وبعثهم سعد إلى كسرى يزد جرد الثالث فى المدائن [٣] .

فلما وصل الوفد إلى المدائن استقبلهم يزد جرد استقبالاً سيئاً ورفض ما عرضه عليه الوفد من الإسلام أو الجزية واختار الحرب وأتى فعلاً تفاءل به المسلمون وسروا به سروراً عظيماً ، فقد أصر يزد جرد على أن يُحمل أشرف أفراد الوفد التراب ليعود به إلى سعد بن أبى وقاص فطلب عاصم بن عمرو أن يحمله ، ودخل به على سعد بن أبى وقاص يبشره بالظفر بعد أن منحهم يزد جرد تراب بلاده ، ولما علم أهل فارس بما فعل ملكهم اغتموا غما شديداً وخاصة (رستم) قائد الجيش الذى

(١) الطبرى ٣/٤٩٠ .

(٢) الطبرى ، ٣/٤٨٤ : ٤٩١ ، فتوح البلدان ص ٦٣٣ .

(٣) الطبرى ، ٣/٤٩٦ .

حاول اللحاق بالوفد ليستعيد التراب ولكنه فشل فقال رستم : « ذهب القوم بأرضكم . . » (١) .

وعلم سعد بن أبى وقاص بخروج رستم على رأس جيش كثيف فبعث سعد (طليحة بن خويلد الأسدى) ، و(عمرو بن معدى كرب الزبيدى) لاستطلاع خبر الفرس فعاد طليحة بأسير من معسكر الفرس عرف منه سعد كل ما يريد عن جيوش الفرس استعداداً للمعركة .

على أن رستم قائد جيوش الفرس طلب أن يحاور رجلاً من المسلمين فأرسل له سعد بن أبى وقاص بـ (ربعى بن عامر) ثم (حذيفة بن محصن الأزدى) ثم (المغيرة بن شعبة) ، فعرضوا على الفرس الإسلام أو الجزية أو الحرب وأمهلوهم ثلاثة أيام كان الفرس خلالها يتحرشون بالمسلمين والمسلمون يمسكون عنهم ولكن يصدونهم (٢) .

ولما انتهت المهلة لم يكن هناك مفر من القتال فوقع الصدام بين المسلمين والفرس فى اليوم الأول ، وكان سعد بن أبى وقاص قد أصابه مرض منعه من الركوب والجلوس فاعتلى حصن قديس يرقب المعركة من أعلى أسواره وأصيب المسلمون فى اليوم الأول بخسائر جسيمة بسبب الفيلة التى تقدمت جيوش الفرس ، فاغتم سعد حيث سقط من المسلمين فى هذا اليوم خمسمائة قتيل ، وسمى بيوم أرماث ، ولكن اليوم الثانى حمل لسعد بشرى عظيمة إذ وصلت إمدادات من الشام والتى حملت للمسلمين بالقادسية الجيش الذى فتح العراق أول مرة مع خالد بن الوليد ، وكان على رأس المدد (القعقاع بن عمرو التميمى) الذى قتل القائد الفارسى (بهمن جاذويه) وألبس القعقاع إبل المسلمين البراقع ففزعت منها خيل الفرس فولت وهاربة بفرسانها وسمى هذا اليوم بيوم أغواث لأن المسلمين أغيثوا بالقعقاع ورفاقه ، وفى اليوم الثالث اشتدت وطأة الأفيال فأرسل سعد إلى (القعقاع) و(عاصم) ابنى عمرو ، و(حمال بن مالك) و(الربيل بن عمرو) وأوضح لهم مقاتل الأفيال وعين لهما فيلين هما الأبيض والأجرب فضرب القعقاع وعاصم الفيل الأبيض ونجح حمال والربيل فى إصابة الفيل الأجرب فدبت الفوضى فى صفوف الفرس وفزعت الأفيال فولت هاربة .

فلما كان اليوم الرابع بعث سعد إلى (جرير بن عبد الله البجلى) ، وكان معه لواء بجيلة وإلى الأشعث بن قيس ومعه لواء كندة ، وإلى رؤساء القبائل أن احملوا على القوم من ناحية الميمنة على القلب فحمل الناس عليهم من كل وجه وقتل رستم فهرب الفرس وولوا منهزمين ، وكتب سعد إلى عمر يعلمه بالنصر الذى تم فى ١٦ من شعبان سنة ١٥ هـ (٣) .

ومضى سعد يدخل الأقاليم الفارسية بلا مقاومة حقيقية بعد أن انهار الفرس تماماً فى القادسية فاستولى على (برس) و(بابل) و(بهرسير) وأخيراً دخل المدائن وسار فيها مع جيشه حتى انتهى إلى إيوان كسرى درة بلاد فارس فأقبل يقرأ قول الله ـ عز وجل ـ . ﴿ كَمْ تَرَكُوا مِن جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٢٥﴾ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٢٦﴾ وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ ﴿٢٧﴾ كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ ﴾ (الدخان ـ ٢٥ : ٢٨)

ووجد سعد فى المدائن بقية من الفرس فعرض عليهم الإسلام أو الجزية أو الحرب فاختاروا الجزية (٤) .

(يتبـع)

---

(١) الطبرى ٣/٤٩٦ : ٤٩٨ .
(٢) الطبرى ٣/٥٠٢ : ٥٢٨ .
(٣) فتوح البلدان ٦٣٥ : ٧٠٩ ، الطبرى ٣/٥٢٩ : ٥٨٤ .
(٤) الطبرى ٣/٦١٩ : ٦٢٢ ، ٤/٥ : ٢٣ .

من أعلام الأزهر

محمد محمد المدنى

الكاتب الفقيه المصلح (٢)

للدكتور : محمد رجب البيومى

نعرف كثيراً من الدعاة إلى الإصلاح الدينى ، والتجديد التشريعى يملأون الصحف فى الدعوة إلى الإصلاح ، ويكتفون بهذه الصيحات التى تتردد فى المناسبات العامة ، ثم يقفون عند هذا الهتاف المتصل بضرورة تطبيق الشريعة الإسلامية ، وتجديد تراثها المتشعب فى كتب المقدمين ، ولكن الأستاذ المدنى لم يكن من هذا الطراز المتحمس الواقف عند الأقوال دون الأعمال . حيث شارك فى التأليف الفقهى مشاركة جادة مستنيرة فوضع كتباً خاصة بدعائم الاستقرار فى التشريع الإسلامى وبتعدد الزوجات فى الإسلام ، وبالسلطة التشريعية فى الإسلام ، وبمناهج التفكير فى الشريعة الإسلامية ، وبالزواج والطلاق فى الإسلام وبفقه عمر بن الخطاب ؛ وضع هذه الكتب لتؤلف شرائح متعددة ، كل شريحة تستقل بموضوع خاص ، فإذا انضم بعضها إلى بعض سدت مسدًّا كبيراً فى مسائل الفقه الإسلامى ، وهذا أهدى طريق

للتأليف الفقهى ، لأن الذين يجمعون أبواب الفقه فى كتاب خاص يبتدىء بالعبادات ، فالمعاملات فالحدود فيما يُعرف بالأحوال الشخصية ،

لا يزيدون عن كونهم نقلة ، إذ يجمعون ما تعورف فى كتب الفقه ، فينقلون الأبواب بيعض الترتيب من الورق الأصفر إلى الورق الأبيض ويحسبون أنهم على شيء ! ولكن اختصاص كل باب بكتاب خاص يُتيح للكتاب أن يبسط الموضوع بسطا شافيا متتبعاً عناصره فى كتب التراث ومضيفاً إليه ما جدت به الأحداث من أعراف وعادات ومسائل تتطلب الحل السريع ، وبحمد الله أصبحت هذه الطريقة هى المتبعة الآن فى التأليف الفقهى جامعياً ومستقلاً ، والفضل لمن اختطوا هذا النهج الحميد من كبار أساتذة الشريعة فى الأزهر وكليات الحقوق وفى مقدمتهم الأستاذ محمد محمد المدنى .

على أن المتبع لصيحات المدنى الداعية إلى تنفيذ أحكام الشريعة يُجدها قد لزمت سنة التدرج الطبيعى فى المطالبة بهذا التنفيذ فهو يعلم أن الصلابة فى وجوه قوم أكثرهم ممن يعارض هذا الاتجاه لا تجدى غير تمسكهم بالشبه التى يعتلون بها ، لذلك نجده يحاضر فى جمعية الشبان المسلمين فى مسألة التطبيق فيقول للقوم ما ملخصه إن الرسالة المحمدية فى مبتدئها بمكة قد مكثت عشرين عاماً تحتفل بأمور العقيدة وحدها ، ولا تهتم إلا بالقليل الضئيل من مسائل التشريع ، لأن بناء العقيدة على أساس صحيح هو الهدف الأول من أهداف الرسالة . وإذا سلمت العقيدة فإن ما يتبع ذلك من فرائض الشرع الحنيف سريع التنفيذ ، فالمسلم متى اعتقد فى إسلامه بادر بإطاعة أوامره واجتناب نواهيه ، ثم لما هاجر الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ من مكة إلى المدينة بدأ التشريع يتجه وجهة المجتمع فى معاملاته وحدوده ومواريثه ، وفى تنظيم الأسرة وتحديد وظيفة الحاكم فى الإسلام ، وآداب الجهاد ، حتى وضحت هذه الأمور وضوحاً تاماً فى مدى عشر سنوات عاشها الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ بالمدينة .

يقول المدنى ما ملخصه : فإذا جاز لرسول الله أن يترك التشريع التجارى والجنائى والأسرى بمكة عشرين عاماً حتى سيطر على الموقف ، فاتجه إليه فإننا يجوز لنا أمام المعترضين اليوم على تنفيذ الحدود فى الشريعة الإسلامية . ويجعلونها العقبة الأولى فى سيل نفاذ هذا التشريع الحكيم ، يجوز لنا أن نقول لهم لنترك مسألة الحدود حتى تتضح جدواها فى أذهانكم بعد حين ، ثم نعجل بتنفيذ أحكام الشريعة فى الأحوال التجارية والمدنية بحيث يكون القانون المدنى مأخوذا من كتاب الله على نهجه القويم ، وهنا نكون قد قطعنا نصف الطريق ، مقتدين برسول الله حين أرجأ هذه القوانين بمكة إلى ميعادها المدخر فى المدينة ، وقد قُوبلت محاضرة الأستاذ بتعليقات تتقارب وتتباعد ، ولكنها فتحت طريقاً للبحث ، وقطعت الحجة على من يتمحلون بتطبيق مسائل الحدود ، وكأنها خطر فادح ، ولا يظن ظان أن المدنى كان يمانع فى تنفيذ هذه الحدود الصريحة العادلة ، القاطعة للجريمة ، كما جاءت فى كتاب الله وسنة رسوله الكريم ، ولكنه يقطع الطريق على قوم يهرفون بما لا يعرفون ، بل ربما عرفوا الحق وأنكروه ، لأن تطبيق الحدود سيغلهم عن الشهوات الآثمة وهم آثمون .

﴿ بَلْ يُرِيدُ الْإِنسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ ۝٥ ﴾

« القيامة ٥ »

كذلك وقف الأستاذ المدنى وقفات حاسمة أمام من يدعون أن باب الاجتهاد قد أقفل ، فكتب

بحثاً [1] شافياً يسأل فيه من حرموا الاجتهاد الحق فى هذا الزمن المعاصر ؛ ووضعوا شروطاً للاجتهاد ومتعسرة التحقيق ، يسألهم : أكان المجتهدون فى العصر الذهبى من أمثال الأئمة الأربعة والأوزاعى وابن حزم والشاطبى من طراز خاص من البشر فى عقولهم بحيث يكون اجتهادهم وحده هو المتبع ، ثم لا يفتح الله لأحد من كبار المعاصرين بمثل ما فتح عليهم من التفكير؟ وهم علماء مثلهم ذوو غيرة على شرع الله وكتابه ، بحيث نقول لكل عالم يحاول أن يأتى بحكم معاصر فى مسألة معاصرة معتمداً على القياس الأصولى ، لست أهلاً للاجتهاد !! ثم ما هى شروط الاجتهاد التى قرروها ، إن القارىء يتلوها بادىء ذى بدء فيتعاظمه أمرها ، فإذا رجع إلى ما كتب حولها من الشروح والتقارير وجد الأمر أيسر مما يتوهم ، فقد قالوا[1] إن أول شروط الاجتهاد أن يكون المرء عالماً بكتاب الله وسنة رسوله ، ثم جعلوا يضخمون هذا المطلب . فقال بعضهم نحفظ من السنة مائة ألف حديث ، وزادها بعضهم إلى ثلاثمائة ألف ! هكذا يضخمون الأمر فإذا رجعت إلى ما كتبه الإمام أبوحامد الغزالى فى هذه المسألة وجدته يقول فى المستصفى[2] ، لا يشترط معرفة جميع ما فى الكتاب ، بل ما يتعلق بالأحكام ولا يشترط حفظها عن ظهر قلب ، بل أن يكون المجتهد عالماً بمواضعها بحيث يطلب منها الآية المرادة ، ولا يلزم حفظ السنة ، بل يكون عنده أصل مصحح لجميع الأحاديث المتعلقة بالأحكام !

وقد قالوا بادىء ذى بدء أيضاً ـ لابد أن يكون المجتهد قادراً على التمييز بين الصحاح والحسان والضعاف من الأحاديث بحيث يعرف رجال الإسناد معرفة يتمكن بها من الحكم على الحديث بأحد هذه الأوصاف » ، وجاء[3] الشوكانى فسهل الأمر قائلاً : « ليس من شرط ذلك أن يكون حافظاً لحال الرجال عن ظهر قلب ، بل المعتبر أن يتمكن بالبحث فى كتب الجرح والتعديل من معرفة أحوال الرجال » .

وقد قالوا : « لابد أن يكون عالماً بمسائل الإجماع ، وبالناسخ والمنسوخ » .. فقال[4] الغزالى تعقيباً على ذلك ، ليس يلزمه أن يحفظ جميع مواقع الإجماع والخلاف ، بل يعلم ذلك فى كل مسألة يفتى فيها ، إذ ينبغى أن يعرف أن الفتوى ليست مخالفة للإجماع ، إما بأن يعلم أنه موافق مذهباً من مذاهب العلماء أيهم كان ، أو يعلم أن هذه واقعة متولدة فى العصر ، ولم يكن لأهل الإجماع فيها خوض .

أشرت إلى مؤلفات الأستاذ المدنى فى الحقل التشريعى ، لأنه الباب الأول من نتاجه الحفيل ، أما دراساته لبعض السور القرآنية التى جاءت فى كتبه مثل (سورة الأنعام والأهداف الأولى للقرآن) (والقصص الهادف للقرآن الكريم كما نراه فى سورة الكهف) (المجتمع الإسلامى كما تنظمه سورة النساء) و (محاضرات فى التعريف بالقرآن) فهذه الدراسات تتصل بالحقل التشريعى ، وليست بمنأى عنه ، لأن دروس التفسير القرآنية فى منهجها الجديد الذى اختاره الأستاذ المدنى قد اتجهت إلى آيات التشريع لتجلو مراميها فى السور الكريمة ، مع استثناء كتاب

(١) الرسالة ـ العدد ٤٤٩ ـ ١٩٤٢/٢/٩
(٢) المستصفى للغزالى ج (٢) ص ٣٥١ .
(٣) إرشاد الفحول للشوكانى ص ٢٤٣ .
(٤) المستصفى للغزالى ج (٢) ٣٥١ .

القصص الهادف كما نراه فى سورة الكهف) لأنه فى مضمونه الخلقى الكبير يعتبر رداً على شبه ظالمة أثارها حول القصص القرآنى من جروا وراء الخيالات الموهومة ، دون تعمق فى البحث ، ولهم شيعتهم التى تتبع كل ناعق ، وقد قرأت ما تيسرت لى قراءته من كتب الدراسات القرآنية فاهتديت إلى خير كثير ، إذ رأيت المؤلف البحاثة من الذين يذهبون إلى الحكم بالوحدة المتناسقة بين أجزاء السورة القرآنية ، وحديثه عن سورة النساء يكشف ما يعنى بالوحدة المتناسقة فقد قال المؤلف(٥) : « إن لكل سورة روحاً يسرى فى آياتها ويسيطر على مبادئها » ومضى يعرض عناصر السورة فى ضوء ماارتآه من هذه الوحدة ، وهى فى سورة النساء (تلتف) حول عناصر متقاربة مثل حقوق النساء واليتامى والسفهاء وأحكام المواريث ، وأحكام الزوجية وما يتصل بها .

والصلة بين هذه العناصر واضحة لامراء فيها ، ولكن العناصر الأخرى مثل أساس الحكومة الإسلامية ، والتضامن الأجتماعى فى ظل التوحيد ، والتحذير من أهل النفاق والكفر ، وإرسال الرسل ، وإقامة الحجة على من يزعمون التثليث ، وعموم الرسالة المحمدية ، هذه العناصر التى حددها الأستاذ المدنى كانت فى حاجة إلى إيضاح شاف للربط المتماسك الدال على هذه الوحدة ! وأحسن ما يقال فى هذا الاتجاه ، أن للقرآن روحاً أسلوبياً خاصاً به ، تلمحه فى كل ما نزل من كتاب الله ، وهذا الروح الإلهى بقوته التأثيرية ، وشفافيته الروحية وتماسكه التعبيرى هو عنوان الوحدة التى تشمل المعانى متقاربة ومتباعدة

ولعل البحاثة الأستاذ محمد فريد وجدى ـ رحمه الله ـ قد كتب فى دائرة المعارف التى أصدرها فى عشرة أجزاء كبار ما يؤكد هذا المعنى تماماً ، وقد فصلت هذه المسألة فى كتابى (البيان القرآنى(٦) بما يوضحها تمام التوضيح .

وهناك جهد علمى بارز للأستاذ المدنى قد أغفل الحديث عنه ، ولم يشأ أن يجمعه فى كتاب خاص بعد أن نشره شافياً مستفيضاً فى المجلدين الحادى عشر والثانى عشر من مجلة الأزهر فى سنتى ١٣٥٩ ـ ١٣٦٠ هـ ، وهو ما كتبه فى قوة وإبداع تحت عنوان (الفقه الإسلامى فى مصر) ابتداء من العدد الثالث سنة ١٣٥٩ إلى العدد الثالث سنة ١٣٦٠ هـ وإذا كانت هذه البحوث النفيسة لم تنشر فى كتاب مستقل ، وقد بعد عهد القراء بها ، فإنى أذكر بعض ما جذبنى إليه منها ، حيث أعلن الأستاذ ـ صادقاً ـ أن نصيب مصر من المذاهب الفقهية ، ومدى تأثرها فى الصدر الأول بفقه الحجاز والعراق لم يتضح بعد فى الكتب التى ألفت فى تاريخ التشريع الإسلامى ، بل تناولت هذه الكتب شذوراً متفرقة عن الفقه فى مصر ، وعلمائها السابقين ، وكان من الممكن أن تشغل حيزاً كبيراً فى كتاب مستقل ، وهو بسبيل إيضاح هذه الفكرة فيما يتناول من الأبواب ، ثم جاء المقال التالى مع ما تبعه من البحوث لتتحدث عن : كيف دخل الفقه الإسلامى مصر ، ومَنْ من الصحابة قاموا بالفتيا والتشريع ، والأثر الكبير لعقبة بن عامر الجهنى ، ولعبد الله بن عمرو بن العاص ، والحق أن عبد الله بن عمرو جدير بكتاب خاص لأن أثره فى الفترة الأولى من السعة

---

(٥) المجتمع الإسلامى كما تنظمه سورة النساء ص ٥ .

(٦) البيان القرآنى للدكتور محمد رجب البيومى ص ٢٤٨ وما بعدها .

والشمول بحيث لا يقاس به أثر صحابى آخر ، وقد وفق المؤلف حين أعلن أن الفقه فى هذا العهد لم يكن منتشراً كعلم خاص له أبوابه ، ولكنه اندرج فيما يروى الصحابة من الحديث ، وأقول لم يكن هذا الشأن فى مصر وحدها ، على هذا العهد ، بل كان فى كل البلاد الإسلامية باستثناء المدينة لوجود مجتهدين كبار من أمثال عمر بن الخطاب ، وعلى بن أبى طالب ، وهما من هما فى تعرف سبل الأحكام ، وإذا كان القضاء ملتزماً بأحكام الشريعة ، فإن القاضى فقيه ملتزم ، لذلك تحدث الأستاذ المدنى عن القضاء فى هذه الحقبة وخصه بفصل خاص ، أعقبه بحديث قال عن فقهاء المدرسة التى تلت عبدالله بن عمرو ،

والتى كان من أساتذتها ، يزيد بن حبيب ، وابن لهيعة ، وابن وهب ، والليث بن سعد ! ومثل الليث بن سعد لا يندرج فى فصل عام ، لأنه باجتهاده وروايته وتأثيره فى البيئة الفقهية بمصر ـ وفى غير مصر ـ كان علماً من أعلام التشريع ، وقد دارت بينه وبين الإمام مالك فقيه المدينة وعالمها مناظرة علمية ، ومساجلة فقيه أحسن الأستاذ المدنى عرضها ، وحدد مناط الخلاف ـ كما يقول الأزهريون وتتابع الحديث عن ابن القاسم وأشهب وابن وهب وجميعهم من تلاميذ مالك ، حتى انتهى القول إلى وصول الشافعى ـ رضى الله عنه ـ إلى الفسطاط وانتشار البحث الفقهى المستوعب على يده ، وقد أجاد الأستاذ فى حديثه عن الإمام الشافعى ، ولكنه أطال الجدال فى مسألة تأثر الشافعى بالبيئة المصرية محاولاً أن ينفى هذا التأثر ، ومعارضاً مااتجه إليه الأستاذ أحمد أمين فى « ضحى الإسلام » إذ كشف عن هذا التأثر بما لم يستطع الأستاذ المدنى دحضه على وجه يفيد القارىء المحايد ، ولكنه فتح باباً للنقاش يستطيع أحد الدارسين أن يلجه ، فيوازن بين الرأيين مقرراً ما ينتهى إليه بدليل مبين ، لقد أطلت فى عرض مسائل هذا البحث ، لأن مؤلفه لم يجمعه فى كتاب خاص ، ولأنى لم أر أحداً أشار إليه ممن كتبوا فى هذه الناحية ، إذ توالت كتب شتى تبحث عن الفقه الإسلامى فى مصر فى عهد الفتح وما بعده ولن تشر إلى بحوث الأستاذ الضافية ، وهى ذات صيد ثمين ، وقد سبقت هؤلاء .

وأخيراً . . ليس لى أن أغفل الحديث عن جهاد الأستاذ المدنى فى جماعة التقريب الإسلامية حيث رأس تحرير مجلتها التى صدرت فى أعداد علمية ممتازة جاوزت الخمسين ، وكلها بأقلام الصفوة الممتازة من الباحثين ، إن كل مسلم غيور على لم الشمل ورأب الصدع ، وقد أفلح المستعمرون فى إذكاء نار البغضاء بين طائفتى الأمة الإسلامية من سنة وشيعة ، وإذا جاز أن يحدث هذا الخلاف فى عصور سابقة لأسباب سياسية تتخذ من نصوص الشريعة ستاراً للتأييد والتفنيد فإن هذا العصر الذى تكالب فيه الأعداء الأقوياء على توهين شوكة الإسلام فى جميع أقطاره ، فى حاجة إلى أن يقف المسلمون جميعاً فى صف واحد .

ولهذا الهدف السامى قامت جماعة التقريب برعاية إمام جليل لا يتطرق الشك فى صلابة يقينه ، وصفاء سريرته ، ووضوح نظرته ، هو الإمام الأكبر الشيخ عبدالمجيد سليم ـ رحمه الله ـ ومن حوله شيعته وحواريوه من أمثال الإمام الأكبر الأستاذ محمود شلتوت ، وتلاميذهما الأزهريين وفى طليعتهم الأستاذ محمد المدنى ، ولما يعلم عن الأستاذ المدنى من قوة التعبير ، وسعة الاطلاع

ونصوع الحجة ، فقد عهدت الجماعة إليه بالقيام على رئاسة تحرير المجلة ، هى مهمة ليست من السهولة بحيث يتصورها القارىء مجلة علمية تنشر بحوثاً بأقلام طائفة من العلماء ، لأن رئيس التحرير يواجه بسيل من الخطابات التى تعترض على وجوه شتى من وجوه التفكير ، وهو مضطر إلى نشر الاعتراضات ، لأنها بأقلام شيوخ كبار ، ثم إلى التعقيب على كل اعتراض بما يوضح وجه الحق فيه ، والحقيقة أن هذا الموقف يتطلب نضالاً تضيق به الصدور ، فقد كتب ـ مثلاً ـ شيخ فاضل يعلن أن التقريب(٧) الإسلامى مستحيل بين المسلمين ، لأن طائفة تذهب إلى كون الله تعالى ليس جسماً ، وطائفة أخرى تقول بالتجسيم ، وطائفة مسلمة تعتقد أن صفات الله الكمالية عين ذاته ، وطائفة تفصل الصفات عن الذات ، وطائفة تقول بصدور الظلم عن الله ، وطائفة تنفى ذلك عليه ، ولعل القارىء قد ضاق صدره بهذه الاعتراضات المتقيدة من كتب كلامية تشتغل بالنظريات الجدلية أكثر مما تشتغل بنصوص القرآن ، ولكن الأستاذ المدنى قد بسط مجال الرد عليها فى عددين متواليين مؤيدين بالأدلة الناصعة التى لا تقبل اللجاج ، وقد قال فى مقدمة بحثه(٨) ، هذه العبارات الرائعة :

« إن العالم قد تغير وقد أصبحت تسيطر عليه مبادىء أخرى غير مبادىء الخلاف الذى لا طائل تحته فى ألوان المعارف والنظريات الكلامية ، ولا ينبغى أن يظل المسلمون وحدهم فى معزل عن الناس ، يشتغلون بالآراء التى ليست لها فوائد عملية ، وليست تثمر إلا المتاعب وكد الأذهان ، وتوسيع شقة الخلاف ، وتعميق هوته وحسبهم أن يكونوا كأصحاب رسول الله فى عقيدتهم الدينية ، وأن يتجنبوا ماكانوا يتجنبون من الخوض فى الشئون الغيبية ، والمسائل الخلافية ، ذلك هو منهج التقريب وصراطه المستقيم » .

هذا بعض ماعاناه الرجل فى قيامه على رئاسة تحرير مجلة رسالة الإسلام ، وإذا كنت قد اهتممت بفكره العلمى أكثر من اهتمامى بتاريخ حياته كعادتى فى هذه الفصول ، فإنى أعلن أن الرجل وقد ولد فى سنة ١٩٠٧ بمحافظة البحيرة وتنقل فى التعليم على النحو الذى أشرت إليه حتى صار عميداً لكلية الشريعة سنة ١٩٥٩ ، فبذل جهده فى تطويرها ثم انتقل إلى جامعة القاهرة أستاذاً للشريعة بدار العلوم ، وفى الفترة الأخيرة من حياته سافر إلى الكويت ليكون أحد بناة جامعتها الحديثة ، أستاذاً بكلية الحقوق ولكن القدر عاجله بعد ثلاثة أشهر من بعثته ، فلقى وجه ربه فى مايو سنة ١٩٦٨ ، ورجع جسدا محمولاً على الأعناق ، تاركاً صفحة جهاده ناصعة ، تقدم المثل الرائع للكاتب الفقيه المصلح ، وقد أجمع من قاموا برثائه فى حفلة تأبينية بجمعية الشبان المسلمين على أنه كان مثلاً يحتذى بين العلماء ، وأن بحوثه الباقية جديرة بالانتشار والذيوع .

---

(٧) رسالة الإسلام ـ رمضان سنة ١٣٦٨ هـ ص ٣٢١ .

(٨) رسالة الإسلام ـ رمضان سنة ١٣٦٨ هـ ص ٣١٩ .

نظرات حول التصوف

بقلم : بدوى طه بدوى*

الحمد لله حمداً كثيرا طيبا طاهرا مباركا يزيد على حمد الحامدين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين وخاتم النبيين وعلى آله وصحبه ومن سار على نهجه إلى يوم الدين . . . أما بعد

فهذه دراسة مختصرة حول التصوف الإسلامى ونشأته وتطوره وأصوله ومعناه وأشهر علمائه وبيان الأزهر الشريف حول التصوف والطرق الصوفية .

(١) تعريف التصوف :

نذكر لمحة سريعة ونبذة عن تعريف التصوف فيقول العلامة ابن صدر الدين : التصوف هو علم يعرف به كيفية ترقى أهل الكمال من النوع الإنسانى فى مدارج سعاداتهم والأمور العارضة لهم فى درجاتهم بقدر الطاقة البشرية ، وأما التعبير عن هذه الدرجات والمقامات كما هو حقه فغير ممكن لأن العبارات إنما وضعت للمعانى التى وصل إليها فهم أهل اللغات ، وأما المعانى التى لايصل إليها إلا غائب عن ذاته فضلا عن قوى بدنه فليس بممكن أن توضع لها الألفاظ ، فضلا عن أن يعبر عنها بالألفاظ ، فكما أن المعقولات لاتدرك بالأوهام ، والموهومات لا تدرك بالخيالات والتخيلات لا تدرك بالحواس ، كذلك ما من شأنه أن يعاين بعين اليقين لا يمكن أن يدرك بعلم اليقين .

فالواجب على من يريد ذلك أن يجتهد فى الوصول إليه بالعيان دون أن يطلبه بالبيان ، فإنه طور وراء طور العقل .

علم التصوف علم ليس يعرفه
إلا أخو فطنة بالحق معروف
وليس يعرفه من ليس يشهده
وكيف يشهد ضوء الشمس مكفوف (١)

* باحث إسلامى

(١) انظر كشف الظنون لحاجى خليفة ٤١٣/١ .

(٢) آراء حول أول من سمى بالصوفى وسبب ذلك :

يقول الإمام القشيرى : اعلموا أن المسلمين بعد رسول الله - ﷺ - لم يتسم أفاضلهم فى عصرهم بتسمية علم سوى صحبة الرسول - ﷺ - إذ لا أفضلية فوقها فقيل لهم الصحابة ، ولما أدركهم أهل العصر الثانى سمى من صحب الصحابة بالتابعين ثم اختلف الناس وتباينت المراتب فقيل لخواص الناس ممن لهم شدة عناية بأمر الدين : الزهاد والعباد ، ثم ظهرت البدعة وحصل التداعى بين الفرق فكل فريق ادعوا أن فيهم زهاداً فانفرد خواص أهل السنة المراعون أنفسهم مع الله سبحانه وتعالى الحافظون قلوبهم عن طوارق الغفلة باسم التصوف ، واشتهر هذا الاسم لهؤلاء الأكابر قبل المائتين من الهجرة ، وأول من سمى بالصوفى أبو هاشم الصوفى المتوفى سنة خمس ومائة (١) .

(٣) تعريف العلماء القدامى للتصوف :

* يقول العلامة الجرجانى :

التصوف مذهب كله جد فلا يخلطونه بشىء من الهزل ، وقيل تصفية القلب عن موافقة البرية ، ومفارقة الأخلاق الطبعية وإخماد صفات البشرية ومجانبة الدعاوى النفسانية ومنازلة الصفات الروحانية ، والتعلق بعلوم الحقيقة واستعمال ماهو أولى على السرمدية والنصح لجميع الأمة والوفاء لله تعالى على الحقيقة ، واتباع رسول الله - ﷺ - فى الشريعة ، وقيل ترك الاختيار ، وقيل بذل المجهود والأنس بالمعبود وقيل حفظ حواسك من مراعاة أنفاسك ، وقيل الإعراض عن الاعتراض ، وقيل هو صفاء المعاملة مع الله تعالى ، وأصله التفرغ عن الدنيا وقيل الصبر تحت الأمر والنهى ، وقيل خدمة التشرف وترك التكلف واستعمال التظرف ، وقيل الأخذ بالحقائق والكلام بالدقائق والإياس مما فى أيدى الخلائق (٢) .

* ويقول الحافظ الإمام السيوطى :

التصوف تجريد القلب لله تعالى ، واحتقار ما سواه .

* يقول حاجى خليفة :

علم التصوف علم يعرف به كيفية ترقى أهل الكمال من النوع الإنسانى فى مدارج سعادتهم ، والأمور العارضة لهم فى درجاتهم بقدر الطاقة البشرية (٣) .

(٤) معنى الصوفية والصوفى :

قال بعض العلماء إن الصوفية مشتق من الصَّفا ، أو من الصِّفة ، أو من الصُّفة ، أو من الصوف لأنهم كانوا فى مبدأ أمرهم يلبسون الصوف ، ويختصون به لمخالفة سائر الناس فى لبس فاخر الثياب ، وإقبال المتصوفة إلى الزهد والانفراد عن الخلق ، والظاهر أن هذا الاشتقاق بعيد ؛ لذلك قال الإمام القشيرى :

ولايشهد لهذا الاسم اشتقاق من جهة العربية ولا قياس .

(١) السابق ١/٤١٤ ، ابجد العلوم لصديق بن حسن القنوجى إعداد عبد الجبار ركاز ٢/١٩٦ .

(٢) التعريفات للجرجانى تحقيق د. عبد الرحمن عميرة ص ٨٨ .

(٣) تعريف علم بالعلوم الشرعية للدكتور محمد الزحيلى ص ١٨٩ .

وعن لفظ الصوفى ، يقول الإمام أبو العباس المرسى :

صوفى مركبة من حروف أربعة : ص ، و ، ف ، ى .

الصاد : صبره وصدقه وصفاؤه .

الواو : وجده ووده ووفاؤه

الفاء : فقده وفقره وفناؤه

والياء : ياء النسبة .

فإذا تكمل فيه ذلك فقد أضيف إلى حضرة مولاه .

وأورد قول الشاعر :

تنازع الناس فى الصوفى واختلفوا
قدما وظنوه مشتقا من الصوف
ولست أنحل هذا الاسم غير فتى
صافى فصوفى حتى سمى الصوفى [١]

(٥) أصول التصوف :

حدد الإمام النووى - رحمه - الله - أصول التصوف فقال : أصول طريق التصوف خمسة :

١ - تقوى الله فى السر والعلانية .

٢ - اتباع السنة فى الأقوال والأفعال والأحوال .

٣ - الإعراض عن الخلق فى الإقبال والإدبار .

٤ - الرضى من الله تعالى فى القليل والكثير .

٥ - الرجوع إلى الله تعالى فى السراء والضراء .

فتحقيق التقوى بالورع والاستقامة .

وتحقيق اتباع السنة بالتحفظ وحسن الخلق .

وتحقيق الإعراض عن الخلق بالصبر والتوكل .

وتحقيق الرضا عن الله بالقناعة والتفويض .

وتحقيق الرجوع إلى الله بالشكر له فى السراء والالتجاء إليه فى الضراء .. وأصول ذلك كله خمسة :

١ - علو الهمة .

٢ - حفظ الحرمة .

٣ - حسن الخدمة .

٤ - نفوذ العزيمة .

٥ - تعظيم النعمة .

فمن علت همته ارتفعت رتبته ، ومن حفظ حرمة الله حفظ الله حرمته ، ومن حسنت خدمته وجبت كرامته ، ومن نفذت عزيمته دامت هدايته ، ومن عظم النعمة شكرها ، ومن شكرها استوجب المزيد كما قال تعالى :

﴿ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾

(إبراهيم : ٧) .

وأصول المعاملات خمسة :

١ - طلب العلم للقيام بالأمر .

٢ - صحبة المشايخ للتبصر .

٣ - ترك الرخص والتأويلات للتحفظ .

٤ - ضبط الأوقات بالأوراد للحضور (الأوراد : الأذكار) .

٥ - اتهام النفس فى كل شيء للخروج من الهوى والسلامة من العطب .

فطلب العلم آفته صحبة الأحداث سناً وعقلا ودينا مما لايرجع إلى أصل ولا قاعدة ، وآفة الصحبة الاغترار والفضول بكثرة الكلام ، وآفة ترك الرخص والتأويلات الشفقة على النفس ،

(١) السابق ص ١٩٠ ، الإمام ابو العباس المرسى تاليف احمد حسين الدسيلوى ص ٢٨ .

وآفة اتهام النفس الأنس بحسن أحوالها واستقامتها ، وقد قال الله تعالى :

﴿ وَإِن تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لَّا يُؤْخَذْ مِنْهَآ ﴾

(الأنعام : ٧٠) .

وأصول ما تداوى به علل النفوس خمسة :

١ ـ تخفيف المعدة بقلة الطعام والشراب .

٢ ـ الالتجاء إلى الله تعالى مما يعرض عند عروضه .

٣ ـ الفرار من مواقف ما يخشى الوقوع فيها .

٤ ـ دوام الاستغفار مع الصلاة على النبى ـ ﷺ ـ آناء الليل وأطراف النهار باجتماع الخاطر .

٥ ـ صحبة من يدلك على الله [1] .

(٦) نشأة التصوف :

يقول فضيلة الشيخ محمد أبو زهرة ـ رحمه الله ـ عن نشأة التصوف :

نشأ التصوف روحيا ، وإن كان عند بعض الناس أخذ مسلكاً شكلياً ، ولقد نشأ من ينبوعين صافيين :

أولهما : انصراف بعض العباد المسلمين إلى الزهد فى الدنيا والانقطاع للعبادة ، وقد ابتدأ ذلك فى عصر النبى ـ ﷺ ـ فكان من الصحابة من اعتزم أن يقوم الليل متهجداً ولا ينام ، ومنهم من يصوم ولا يفطر ، ومنهم من انقطع عن النساء ، فلما بلغ أمرهم النبى ـ ﷺ ـ قال : « ما بال أقوام يقولون كذا وكذا لكنى أصوم وأفطر وأصلى وأنام وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتى فليس منى » .

وبذلك بين النبى ـ ﷺ ـ معنى الزهد ، وهو طلب الحلال ، وألا يحرم ما أحل الله ، ولكن بعد أن انتقل النبى ـ ﷺ ـ إلى الرفيق الأعلى ومضى عصر الصحابة والتابعين ، دخل فى الإسلام من كان فى نفوسهم أثر من المذاهب القديمة ، الذين كانوا يحسبون تعذيب الجسم لتقوية الروح نوعاً من العبادة .

ولكن مع شيوع هذه الأفكار لفظتها المبادىء الإسلامية ، وبقى معنى الزهد الذى قدره الإمام أحمد : الاقتصار على الحلال .

وبالجمع بين هدى النبى ـ ﷺ ـ وما جاء من منازع تحارب الحلال كان التصوف الإسلامى الذى لايقطع عن الحياة ويربى الروح والقلب ، ويوجهها إلى الله تعالى ، وكان المزج الكامل بين متعة الحلال ، وقطع النفس عن الشهوات .. هذا الينبوع إسلامى خالص ، وما خالطه من منازع أخرى ، قد رخصها الإسلام ، وأبعده العلماء ، فكان فى دائرته المعقولة .

والينبوع الثانى للتصوف وهو ليس إسلامياً وإن تلاقى فى بعض نواحيه مع الأخلاق الإسلامية التى دل عليها القرآن والسنة ، وما كان عليه الصحابة رضوان الله تبارك وتعالى عليهم وذلك الينبوع هو ماسرى إلى المسلمين من فكرتين : الأولى : فلسفية ، والثانية : من الأديان القديمة ممن انتحلوا نحلا باطلة .

ولذا نرى أن صوفية الإسلام يلتقى فيها أمران :

أحدهما: الإشراق ، والثانى: الشوق إلى الله تعالى ومحبته ، والمحبة قدر مشترك بين الصوفية المسلمين

(١) المقاصد فى بيان ما يجب معرفته من الدين من العقيدة والعبادة وأصول التصوف للإمام النووى ص ٨٤ ـ ٨٧ .

أجمعين ، كالإشراف وقد راض بعضهم نفسه على المحبة ، واتخذ منها سبيلا للاتصال بالله تعالى ، وذلك منزع .ليس فيه حلول وليس فيه ما يسمى بوحدة الوجود ، بل هو إشراق النفس بنور الإيمان ، وامتلاؤها بمحبة الله ورياضة النفس على محبة الله حتى يكون كل شىء فى نفسه ، فلا يتحرك حركة عن حركة إلا فى سبيل رضاه ومحبته وحتى يحب الشىء لا يحبه إلا بحبه لله .

ثم يختتم الإمام محمد أبو زهرة كلامه عن الصوفية بعبارات بليغة قيمة موضوعية فيقول :

ومن العامة من لايعرف من التصوف إلا مظاهره ، ومن حقائقه إلا أشكالها ، ونحن إذا قلنا أن التصوف حمل الدعوة الإسلامية أو كان منهم من حملوها لا نقصد العامة ، ولا الذين اتخذوها شكلا ومظاهر ومواكب تخترق الطرقات ، إنما نقصد الصفوة المختارة منهم ، التى صفت نفوسها وربت مريديهم وتلاميذهم على الخير والعمل كالشيخ عبد القادر الجيلانى وأبى الحسن الشاذلى ، والمرسى أبى العباس ، وابن عطاء الله السكندرى والشيخ أحمد التيجانى ، وابن على السنوسى ، فأولئك كان لهم مقام فى الدعوة إلى الإسلام [1] .

* وعن نشأة التصوف وتطوره أيضا يقول الدكتور الزحيلى :

كان الزهد هو البذرة الأولى للتصوف ، وظهر الزهد منذ مطلع القرن الثانى الهجرى ، وصنف فيه كبار العلماء ، وعد المتصوفة هذه الكتب أصولا ومنطلقات لهم .

ويعتبر الحسن البصرى (١١٠ هـ) أهم رواد المتصوفة ، كما تعتبر كتبه من أوائل المصنفات التى تتضمن عبارات كثيرة وصيغا متعددة تحث على الزهد والتصوف ، وقد يطلق الزهد ويراد به التصوف والعكس بالعكس . كما كانت مبادىء التصوف ترد أيضاً تحت عنوان المواعظ والخطب والقصص والوصايا والمسائل . ثم جاءت كتب الزهد التى وصلت إلينا وأقدمها كتاب الزهد لثابت بن دينار الكوفى (١٥٠ هـ) ثم كتاب الزهد لعبد الله بن المبارك (١٨١ هـ) وكتاب الزهد للإمام أحمد بن حنبل (٢٤١ هـ) ثم جمعت أكثر الأقوال فى الزهد فى كتاب « حلية الأولياء » لأبى نعيم الأصفهانى (٤٣٠ هـ) [2] .

(٧) أشهر علماء الصوفية الزهاد :

ظهر فى أوائل القرن الثانى للهجرة كبار الزهاد الأوائل من أقطاب الصوفية المخلصين والأئمة الورعين منهم :

محمد بن سيرين (١١٠ هـ) وأبو حازم سلمة ابن دينار المخزومى (١٤٠ هـ) والحسن البصرى (١١٠ هـ) وسابق بن عبد الله البربرى (حوالى ١٢٠ هـ) وعبد الله بن المبارك (١٨١ هـ) والمعافى بن عمران (١٨٥ هـ) والفضيل بن عياض (١٨٧ هـ) ومعروف الكرخى

---

(١) الدعوة إلى الإسلام لفضيلة الشيخ الإمام محمد ابوزهرة طـ مجمع البحوث الإسلامية ص ١٠٣ ـ ١٠٨ .

(٢) تعريف علم بالعلوم الشرعية للدكتور محمد الزحيلى ص ١٩٤ .

(٢٠٠هـ)وبشر بن الحارث الحافى (٢٢٧ هـ) والحارث المحاسبى (٢٤٣ هـ) وهو من أشهر أعلام التصوف ، وأبواليزيد البسطامى (٢٦١ هـ) وأبوبكر الوراق (٢٨٠ هـ) وغيرهم كثير وكتب كثير منهم مصنفات وكتبا ورسائل فى الزهد ، ولهم عبارات مأثورة ، وكانوا يمارسون التربية الروحية ويوجهون الناس إلى الورع والتقوى ، وتصدر عنهم المواعظ والحكم التى تنبع من الإسلام وتتفق مع مقاصده وتوجيهاته [١] .

(٨) الصوفية فى مصر :

يقول العلامة ابن النفيس : إن الصوفية التى انتشرت فى مصر ابتعدت عن العناصر غير الإسلامية التى اختلطت بالتصوف فى البلاد الإسلامية الأخرى ، فلم تنتشر فيها نظرية وحدة الوجود ولا مبدأ الحلول والاتحاد ، فقد عنى التصوف المصرى بالجانب العملى الخلقى ، ولم يرض المصريون عن المتصوفين الذين غالوا فى تصوفهم وأسرفوا فى الدعوة لنظريات أثير حولها بعض الشبهات ؛ ولذلك أعرضوا عن محيى الدين ابن عربى ، وعن عفيف الدين سليمان التلمسانى ، والذى دعا إلى طريقة شيخه جلال الدين قونوى المشهور باسم جلال الدين الرومى (٦٧٢ هـ) [٢] .

وبسبب انتشار التصوف فى مصر فى عصر السلاطين المماليك وفد على مصر فى القرن الثالث عشر الميلادى كثير من مشايخ الصوفية المشهورين مثل السيد أحمد البدوى ، وأبى الحسن الشاذلى وأبى العباس المرسى ، ووجد هؤلاء وغيرهم رغبة من أهل مصر فى التصوف والانقطاع للعبادة بسبب ما كانوا يعانونه من ضيق بسبب سطوة المماليك وعدم استقرار أحوال البلاد فضلا عن كثرة المجاعات والأزمات الاقتصادية ، وقد شيدت الخوانق والروابط والزوايا التى يقيم فيها شيوخ الصوفية مع المريدين والأتباع [٣] .

(٩) بيان للناس من الأزهر الشريف حول التصوف والطرق الصوفية :

لقد أصدر الأزهر الشريف بيانا منذ أكثر من عشر سنين متمثلا فى شيخ الأزهر فضيلة الإمام الأكبر الراحل الشيخ جاد الحق على جاد الحق وعلماء من كبار الفقهاء بمجمع البحوث الإسلامية . جاء فيه :

إن التصوف والطرق الصوفية أمر قديم ، وقد كثر الكلام حوله تارة بالتأييد وتارة بالتجريح ، لكن المقياس الصحيح الذى يجب أن تقاس به الأفكار والسلوك وتوزن به هذه الطرق وكل التشكيلات المنسوبة إلى الدين هو :

قوله تعالى :

﴿ أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٤﴾ ﴾

(يونس : ٦٢ - ٦٤) .

---

(١) السابق ص ١٩٥ بتصرف .

(٢) الرسالة الكاملية فى السيرة النبوية لابن النفيس تحقيق عبد المنعم محمد عمر طـ المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ص ٣٨ .

(٣) صفحات من تاريخ مصر فى عصر السيوطى لعبد الوهاب حمودة ص ٢٠ .

وقوله تعالى : ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ ﴾ (الأنعام : ١٥٣) .

وقول النبى - ﷺ - (من أحدث فى أمرنا هذا ماليس منه فهو رد) (رواه البخارى ومسلم) .

فإن كانت الطرق الصوفية ملتزمة للدين عقيدة وشريعة فهى محمودة ، وينبغى تشجيعها ، وإن انحرفت فهى مذمومة ويجب تقويمها ، والتقويم يكون على المنهج الذى رسمه الله لنبيه - ﷺ - بقوله تعالى :

﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ ﴾ (النحل : ١٢٥) .

وذلك لنحول هذه الطاقات الهائلة إلى الإنتاج المثمر فى كل مجال .

إن الطرق الصوفية أشبه بالمدارس التربوية التى تضم إلى العلم والثقافة ممارسة عملية تطبيقية ، فهى تنطلق فى نشاطها على ضوء الفكر والوجدان ؛ لأن علاقة المريدين « التلاميذ والطلاب » بشيخهم علاقة حب واحترام لا نجدها فى كثير من المؤسسات التربوية الأخرى ، وبهذا الرباط الروحى يمكن توجيههم بيسر وسهولة ، وكانت لهم وقفات صامدة على مدى التاريخ فى مقاومة الاستعمار وفى إقامة المنشآت الدينية .

وبتوالى الأجيال واختلاف المؤثرات شاب نقاءها شوائب ، حاول بعض شيوخها تنقيتها ، ولم يحاول بعضهم الأخر ، ومن هنا كثرت التعليقات عليها ، ووجدت مؤلفات فيها أمور غريبة ، فى ظاهرها مخالفة للشريعة ، يلتمس بعض المتعصبين لها الأعذار ، إما بأنها مدسوسة ، وإما بأنها تعلو على أفهام العامة لا يعرفها إلا من عايشوها ، وهناك توجيهات من العقلاء بالحذر من شطحات الصوفية ، وبعض الألفاظ التى تجرى على ألسنتهم أو تنقل عنهم قد تكون محاولة للتعبير عن الأحاسيس التى يحسونها ، والألفاظ قاصرة عن الدقة فى التعبير عنها .

واختتم البيان رأى علماء الأزهر قائلا :

المهم أن نتريث فى الحكم على أى شىء ، وأن نوازن بين الإيجابيات والسلبيات فكرا وسلوكا ، وأن نحاول الإصلاح بالحكمة دون العمل على الهدم من أجل الهدم [1] .

وختاماً .. فإن من علماء الصوفية أئمة ومفكرين وعلماء عاملين حملوا مشاعل الفكر والنور ، وتصدوا للوعظ والإرشاد ، ودعوا إلى الله على بصيرة ، ونشروا الإسلام فى ربوع الأرض ، فهؤلاء متصوفة صادقون ملئت قلوبهم محبة لله وحبا للخير ، وكانوا نماذج مشرفة فى المعاملة الحسنة والأخلاق الحميدة .

إن كثيرا من أئمة التصوف كالإمام أبى الحسن الشاذلى والمرسى أبى العباس وابن عطاء الله السكندرى وغيرهم من الأئمة المجتهدين كانوا مثلا للأخلاق الإسلامية السامية فالتف الناس حولهم وجذبت القلوب إليهم .

ما أحوجنا إلى العودة إلى طريق الله واتباع منهاج حبيبه ومصطفاه - ﷺ - والاقتداء بالصحابة والتابعين والسلف الصالح والأئمة الزاهدين من علماء الصوفية المستنيرين فهذا هو التصوف الحقيقى الذى لا تشوبه شائبة .

أسأل الله العظيم رب العرش الكريم أن يتقبل منا صالح أعمالنا ويؤمنا يوم الفزع الأكبر ويشفع فينا حبيبه - ﷺ - إنه نعم المولى ونعم النصير .

---

(١) بيان للناس من الأزهر الشريف ٢/٣٨ - ٤٠ .

شريعتنا الإسلامية

وزائرونا من الأجانب

بقلم : أحمد إبراهيم هلال

تزايدت أفواج الزائرين والقاصدين ديارنا الإسلامية ـ من الشعوب غير الإسلامية ـ تزايداً مضطرداً فى السنوات الأخيرة ، ووراء كل منهم قصد مختلف ، فنجد منهم الباحثين العلميين المهتمين بدراسة مشرقنا الإسلامى ، وجوانبه التاريخية ، والاجتماعية ، والجغرافية ، ومنهم رجال الأعمال الباحثين عن فرص الاستثمار الاقتصادى والتجارى ، واكتشاف آفاق التسويق والأسواق فى ديارنا ، ومنهم من جاء تلبية لدعوات من جهات حكومية ، أو غير حكومية ، فهم أشخاص رسميون يمثلون دولهم ، أو منظمات دولية ، أو إقليمية ، أو خاصة ، ومنهم من جاء ساعياً للاستمتاع بشواطئنا الجميلة ، ومياهنا الدفيئة ، وشمسنا الساطعة ، ومناخنا المعتدل ، ورؤية الآثار البديعة ، والرائعة لحضارتنا الحديثة والقديمة ، التى تزدهر فى ربوع ديارنا . وما أعظمها من فرصة ؛ لكى نقدم لذلك الحشد القاصد ديارنا الصورة الحقيقية والنقية الوضاءة لإسلامنا الحنيف ، وذلك عوضاً عن التشويه المتعمد ، الذى تقوم به أجهزة الإعلام الغربى والصهيونى ، التى تبث سمومها ، وحقدها على الإسلام فى خبث ودهاء ليل نهار .

● باحث إسلامى متفرغ حاصل على درجة الماجستير فى العلوم الإسلامية .

وإن لم نفعل تكن فتنة فى الأرض وفساد كبير ، ونكون قد أهدرنا فرصة عظيمة ، للتجارة مع الله سعت إلينا ، وكان من الواجب أن نسعى نحن إليها ، ولكن الله قد علم أن فينا ضعفاً ، فيسر لنا بعضاً من سبل الدعوة إليه .

وها هو نبى الإسلام - صلى الله عليه وسلم - قد قالها واضحة صريحة لا تحتمل اللبس : « إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرىء ما نوى » (رواه البخارى) . وهو بذلك إنما يركز على الجانب الخفى من العبد ، والذى لا يطلع عليه إلا الله ، ويؤكد أهمية سلامة القصد ، وصدق التوجه ، ونقاء الطوية ، فذلك مناط المسألة الإلهية ، ورغم ذلك فإن الحياة اليومية للمسلم من خلق ، وأعمال ، ومعاملات ، ما هى إلا مرآة صادقة لما انطوت عليه سريرته ، وهى التطبيق العملى لما يؤمن به من مُثل ، وهى المقياس الحقيقى لمدى تمسكه بتعاليم الإسلام القويمة ، وأخيرًا هى مناط ضبط الفرد المسلم واعتداله ، ومباشرة المجتمع لحق الولاية عليه ، وكل ذلك يوجزه القول الفصل للنبى الخاتم - صلى الله عليه وسلم - « الإيمان ما وقر فى القلب ، وصدقه العمل » (رواه البخارى) .

والصورة الإسلامية التى يجب علينا - أفراداً وجماعات ، حكومات وشعوباً - أن نظهرها ونجليها لزائرينا هى الجانب العملى لما وقر فى القلب وصدق العمل .

وأول جوانب تلك الصورة هى استمساكنا بهويتنا ، واحترامنا لها ، وعدم تخلينا عنها ، عند أول منعطف من التعامل معهم ، وعلينا أن نؤمن بيقين أن أى تفريط فى متابعة شريعتنا لن يزيدنا احتراماً فى نظرهم ، ولن يزيدنا قرباً منهم ، ولن يجعل لنا الحظوة لديهم ، بل على العكس من ذلك تماماً ، فهم يعلمون - ونحن أيضاً - أن من يتهاون فى هويته ، ويهون من شريعته - وهى الأصل بالنسبة له - من السهل عليه تماماً أن يهون أو يتهاون فيما هو فرع ، وقد يبدو من ظاهرهم الترحاب بتخلى المسلم عن تراثه ، والتحلى بما هو وافد معهم ، فالحقيقة أنهم لا يحترمونه فى قرارة أنفسهم ، ولا يمنحونه ثقتهم الحقيقية ، وهذا أمر طبيعى ، فعزة المسلم تزداد اضطرادا مع الاستمساك بنهج الله ، وذله أيضاً - يزداد اضطراداً مع التهاون فى نهج الله .

وليس معنى ذلك أن نسىء معاملة زائرينا ، وأن نعرض عنهم ، وأين ذلك من كرم الضيافة ، وحسن الوفادة التى هى من صميم شيم المسلم الحقيقى .

فمن الواجب علينا أن نحسن معاملتهم ، ونمد لهم يد العون والمشورة ، وفى سبيل ذلك نسعى - كل حسب موقعه من التعامل معهم - فى تعلم لغتهم ، والعمل على إجادتها ، فهى المدخل الطبيعى لكى نوضح لهم - عند طلبهم ذلك - ما خفى عليهم من شريعتنا ، ونبل غايتنا ، وقدم

منهجنا ، ونزيل عنهم وعن وجدانهم ما علق فى أذهانهم من سوء عن الإسلام والمسلمين .

ومن الأمور الهامة التى تفتح قلوب زائرينا وتزيل عنهم حجب الشك والريبة ، هو صدقنا معهم فى القول ، وعدم المبالغة والتكلف ، ووفاؤنا الكامل بوعودنا لهم ، ومواعيدنا معهم ، وعدم تصدينا لما لا نعرف ، أما أسلوب ما يسمى (بالفهلوة) فتلك سلبيات تضيف عراقيل فى قنوات اتصالنا بهم .

ومن الأمور التى تسىء إلينا وإليهم كثيراً هو : ما يلجأ إليه بعض ضعاف الدين عندما يغشهم أو يدلس عليهم ويظلمهم ، وأسوأ من ذلك أن نعتبر أموالهم وممتلكاتهم غنيمة ، ونهيبة ، نسلب منها مانستطيع بغير حق وبغير عدل ، فنغالى فيما نطلبه منهم ، مقابل ما نقدمه لهم من خدمات ، وسلع ، وبيعهم بعضنا إلى بعض، ويسلمهم بعضنا إلى بعض كأنهم مناطق نفوذ ، وسبايا مما لا يرتضيه خلق ولا دين .

وعلينا : أن نتعلم منهم ما ينفعنا فى ديننا ودنيانا ، من علم وتقنية وأسلوبهم العلمى المنظم ، وأخذهم بالأسباب والقوانين التى أودعها الله فى كونه ، ونأخذ عنهم احترامهم لقيمة الوقت ، والعمل ، والسعى الجاد ، وربطهم المقدمات بالنتائج ، واحترامهم للرأى الآخر ، ويأتى على قمة ما نتعلمه منهم احترامهم للإنسان ؛ لخلقه ، وعلمه ، وعمله ، لا لنسبه وقرابته وجاهه ، وذلك كله فى حقيقة الأمر من صميم خلق الإسلام القويم .

ولسنا فى حاجة لأن نقول : إن لهم سلوكيات وعادات لا تتماشى مع الإسلام فى شىء ولا مع موروثنا العقائدى والثقافى والاجتماعى ، فهذا أمر لا خلاف عليه . . ولكن ماذا علينا حيال ذلكَ ؟؟

بالطبع هم أحرار فى أوطانهم ، وديارهم ، فى ممارسة ما يرتضونه من سلوكيات وعادات ، ولكن الأمر جد مختلف عندما ينتقلون إلى ديار وأوطان لا ترتضى مثل تلك السلوكيات ، فمن واجب الإنسان المتحضر - عندما يحل ضيفاً على آخرين - أن يراعى أعرافهم ونمط حياتهم ، وأن يحترم فلسفاتهم ومعتقداتهم - حتى وإن اختلف معها - فهو أولاً وأخيراً ضيف - إن طالت فترة إقامته أو قصرت - سيترك تلك الديار عائداً إلى بيئته الأصلية .

ويأتى بعد ذلك دور الجهات الرسمية ومكاتبنا السياحية فى أرجاء العالم ، وأجهزتنا الدبلوماسية وغيرها ، وجميع قنوات الاتصال المختلفة ، والجهات المستضيفة لزائرينا ، يأتى دورهم جميعاً فى إعلام زائرينا وقاصدينا وضيوفنا - بالتوجه المدروس وبما يلائم كل بيئة - بما يجب عليهم مراعاته فى سلوكهم ، وملبسهم ، ومأكلهم ، ومشربهم ، وأفعالهم خاصة فى الأماكن ، والمحال

العامة ، وهذا ليس من قبيل فرض القيود عليهم ، أو تضييق الخناق على حرياتهم ، ولكنه بالدرجة الأولى ؛ احتراماً لمشاعرنا ، وغلق أبواب من الشرور قد تصيب بعضاً من أبنائنا ، ومنعاً لردود أفعال غاضبة لبعض شبابنا المستمسك بهويته والتى قد تأخذه إلى الإساءة إلينا وإلى زائرينا ، وهذا كله يزيدنا احتراماً فى أعين وأفهام زائرينا ، وتلك الإجراءات قد يترتب عليها إعراض بعض زائرينا عنا ، وانصرافهم إلى أقطار أخرى تطلق لهم العنان فى ممارسة ما يرغبون ، ورغم ذلك فإن مكاسبنا أكثر من خسارتنا على المدى القريب والبعيد ، فالحساب والإحصاء لا يتوقف على حجم العملات الداخلة والخارجة فقط ، ولكن يتعداه إلى مكاسب المحافظة على شبابنا ، ومكاسب تآلف ، وانسجام أمتنا ، وعدم إهدار طاقة البعض فى الرفض والبعض الآخر فى رفض الرفض .

وحقاً على المضيف المسلم أن يكرم زائريه ، ويبسط لهم الوجه ، ويؤثرهم على نفسه ، ويدافع عنهم ما داموا فى جواره ودياره ، حتى وإن صدر منهم ما لا يرضاه ، فكثير منهم لا يعلمون ، وإن علموا فكثير منهم لا يستطيعون ؛ ولنكن جميعاً مثلاً وقدوة إسلاماً عملياً ، يتحرك على قدمين ، ويتكلم بالأفعال ، ويدعو إلى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة .

طرائف ومواقف

للأستاذ : عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

"للحواريين"

لسيدنا عيسى ـ عليه السلام ـ فى كتبنا حكم كثيرة منها قوله للحواريين :

اتخذوا المساجد والبيوت منازل ، وكلوا بقل البرية ، واشربوا الماء القراح ، وانجوا من الدنيا سالمين .

وقال عليه السلام : لا تنظروا فى أعمال الناس كأنكم أرباب ، وانظروا فى أعمالكم كأنكم عبيد ، فإنما الناس رجلان مبتلى ومعافى ، فارحموا أهل البلاء ، واحمدوا الله على العافية .

"حـــقا"

فلئن بكيناه يحق لنا

ولئن تركنا ذاك للصبر

فلمثله جرت العيون دما

ولمثله جمدت فلم تجر

"أصعب من ذلك"

قال رجل لحكيم : أعلم أن أصعب الأشياء أن ينال المرء مالا يشتهيه ، فأجابه الحكيم : واعلم أنت أن أصعب من ذلك أن يشتهى المرء مالا يناله .

"لا أجد لى صبرًا"

تقدم رجل إلى أرسطو وقال له : إنى لا أجد لى صبرا على تعب العلم ، فأجابه أرسطو : إذًا فاصبر على شقاء الجهل .

"أقرب إلىّ"

جاء رجل إلى موسى بن جعفر وهو قائم يصلى ، وقال له : إن الناس أفسدوا عليك الصلاة بمرورهم بين يديك ، فقال له موسى : إن الذى أصلى له أقرب إلىّ من الذى يمشى بين يدىّ ، فسكت .

"عُدَّ لنا المجانين"

قيل لحكيم عُدَّ لَنا المجانين ، فقال : هذا يطول ، ولكنى أعد العقلاء ونظر إلى هذا المعنى بعض الشعراء فقال وأجاد :

ومــابقيت من الـلذات إلا
محادثة الرجال ذوى العقول
وقد كانوا إذا ذكروا قليلا
فقد صاروا أقل من القليل

"الحــاجــة"

دخل محمد بن واسع على بعض الأمراء فقال : « أتيتك فى حاجة ، فإن شئت قضيتها وكنا كريمين ، وإن شئت لم تقضها وكنا لئيمين . « أراد إن قضيتها كنت أنت كريما بقضائها ، وكنت أنا كريما بسؤالك إياها ، لأنى وضعت الطلبة فى موضعها ، فإن لم تقضها كنت أنت لئيما بمنعك ، وكنت أنا لئيما بسوء اختيارى لك » ، فأخذ أبو تمام هذا المعنى وقال :

عبــاس إنــك للئيم وإنــى
مذ صرت موضع مطلبى للئيم

قال : ماحاجتك أبا عبد الله ؟ قال : أن يكتب إلى أبى موسى بن عبد الملك فى تعجيل أرزاقه : فأجابه إلى طلبه . فأنشد سوار يقول :

فــبــابــك أيمـن أبــوابهــم
ودارك مــأهــولــة عــامــره
وكفـك حين تـرى المجتديـ
ـن أندى من الليلة الماطره

"لاتغرق فىَّ سبًّا"

سب رجل أعرابيا وقال له : ياأعرابى هاأنا أسبك وأشتمك .

فقال له الأعرابى : ياهذا لا تغرق فىَّ سباً ودع للصلح موضعا ، فإنى أبيت مشاتمة الرجال صغيرا ، فلن أجيئها كبيرا ، وإنى لا أكافىء من عصى الله فىَّ بأكثر من أن أطيع الله فيه فأسكته .

"الدهر تارات فكن على حذر"

قال الزهرى : ما سمعت بأحسن من كلام تكلم به رجل عند سليمان بن عبد الملك ، فقال : ياأمير المؤمنين : اسمع منى أربع كلمات فيهن صلاح دينك وآخرتك ودنياك ، قال : لا تعد أحدا عدة ، وأنت لا تريد إنجازها ، ولا يغرنك مرتقى سهل إذا كان المنحدر صعبا ، واعلم أن الأعمال جزاء فاحذر العواقب ، والدهر تارات فكن على حذر .

"دُعــاء"

اللهم ارحم غربتى فى الدنيا ، ومصرعى عند الموت ، ووحدتى فى القبر ، ومقامى بين يديك .

طغيان المال وعبرة المآل فى محكم القرآن - بقية

وانتهت فصول قصة الوقعة ، وقد تفتحت العيون ، وأفاقت العقول ، وتهيأت النفوس لتلقى الإشارات الصادرة من رب الوجود ليلفت بها الأنظار والمدارك إلى النعيم الحق الخالد ، الخالى من الشوائب والمنغصات ، وإلى الدار الآمنة الباقية ﴿ تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ ﴾ المراد بالدار الآخرة هنا الجنة ، وهى ليست لكل الناس ، ولكنها لمن يقدم المهر ، ويسلك الطريق المؤدى إليها ، وتتوافر فيهم المواصفات ﴿ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ﴾ وهما آفة البشر ، ومصدر شقاء الإنسانية . ﴿ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ العاقبة الجميلة السعيدة التى تهفو لها النفوس ، وتطير الخواطر ، وإن قصرت عن تصورها على حقيقتها التى هى عليها ﴿ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ ذوى الإحساس المرهف ، والإرادة القوية العاصمة ، والهمم العالية ، والنظر الكاشف ، وما أقلهم ! وأبهظ حملهم فى صخب السفه ، وعجيج الباطل ، وهدير الأنواء !! وهكذا يبث القرآن الحكيم الموعظة فى العقول والمشاعر من قصص الأولين ، ويوجه الإنسان فى حكمة وأناة ورفق إلى طريق السلامة والسعادة فى الدنيا ، والنعيم الخالص المقيم فى الآخرة ، إنه وحى الحكيم الخبير ، ومنحة الرءوف الرحيم بعباده ، ومن أصدق من الله حديثا ؟

خميلة الشعر

للأستاذ/ محمد عبد الوهاب

تقدم الخميلة فى هذا العدد الجميل قصيدة وطنية نبيلة تبرز وحدة أهل مصر من مسلمين ومسيحيين ، وترد على دعاوى أهل الغرب ، وتقدم أيضا قصيدة جميلة يمدد فيها ناظمها مآثر الأزهر الشريف حفظه الله ، وبعد ذلك تقدم الخميلة نصا شعريا من العصر الجاهلى ، خدمة للأدب العربى وللغة القرآن الكريم ، وقد اخترنا اليوم معلقة النابغة الذبيانى ، ونسأل الله ـ سبحانه ـ أن يمن علينا بالسداد والتوفيق .

نتوجه إلى قيادة مصر وعلى رأسها الرئيس المحبوب محمد حسنى مبارك ، بكل آيات التحية والتقدير ، بمناسبة ماتم فى عهده المبارك من تجديدات عظيمة بالجامع الأزهر الشريف ، والشاعر هنا يشيد بالأزهر الشريف وتاريخه الحافل ، وأيضا بدوره العظيم والرائد فى خدمة الدين الإسلامى ولغته الشريفة .

تحية إلى الأزهر المعمور

شعر/ محمد إبراهيم العشماوى

قم واحن رأسك إجلالا وإكبارا .. واستلهم الشعر حسانا وبشارا
وغص ببحر المعانى زاخراً ألقاً .. واستخرج الدر وانظم منه أشعارا
وما أراك توفى الحق صاحبه .. إن المدائح لا توفيه أقدارا

***

صرح الحنيفة قد باتت دعائمه .. تفنى القرون وتحصى الناس أعمارا
قد أمه الخلق من بدو وحاضرة .. وعشش الحق فيه وابتنى دارا

***

يجابه الشر فى عزم ، يصيح به .. إن كنت ريحا فقد لاقيت إعصارا
تحفه بركات الله ، تشهده .. ملائك العرش عمارا وزوارا

***

ياموئل العلم ، يامثوى معلمه .. وكعبة الجود إكراما وإيثارا
هذى أياديك فى الدنيا تباركها .. كم جاد قطرك أقطارا وأقطارا !!
ياباعث الرسل فى الآفاق هادية .. وحامل الوحى تبشيرا وإنذارا
إن أقبل الرسل ، أو إن أدبروا نفعوا .. لله درك إقبالا وإدبارا !!
هم الرجال .. فلا تعدل بهم أحداً .. فإن فى ساحة الرحمن أبرارا
مهاجروك لنيل العلم قد وفدوا .. ومن يهاجر يجد لله أنصارا

***

ياأيها الشامخ الراسى دعائمه .. تفنى الديار ، وتبقى للهدى دارا !!

على درب الوحدة الوطنية التى تضم أبناء الوطن الواحد ، نظم الشاعر هذه القصيدة ليعبر من خلالها عن شعور كل مسلم تجاه إخوانه فى الوطن ، مؤكدا سماحة الإسلام ، وبأنه دين المحبة والسلام والرحمة ، وكذلك فإن الشاعر يرد على أهل الغرب دعاواهم الباطلة ، بأن أهل مصر جميعا مسلمين ومسيحيين هم يد واحدة ، وكلنا مصر مصريون .

أرضُ الكنانة

أرض الكنانة مهد كل سماحة | تهب القلوب نضارة وبريقا
رايات مصر فوق آفاق العلا | تزداد رغم الحاقدين خفوقا
الدين والتاريخ هم أبناؤها | والفضل ما اعتادت لهن عقوقا
والشمس لم تعرف طلوعا قبلها | فوق الأنام ومغربا وشروقا
نبتت أصول العلم فوق ترابها | والأرض كانت صفصفا وشقوقا
أيدى العناية ظللت أركانها | فمضى العدا عن نيلها محوقا
إن جاءها عاد يبيت نية | للشر أصبح بالفناء خليقا

*****

تمضى القوافل ما افتراء لسانهم | إلا نباحا يائسا ونعيقا
ما للمسيحى الذى يحيا بها | هم سواها فاحذروا التلفيقا
قد كان عهدا بيننا لما يزل | فى كل درب للكفاح وثيقا
كفوا عن التجريح هم إخواننا | من يستعين على أخيه صفيقا
ذاقوا من استعماركم وتحرروا | أيعود من فك القيود رقيقا
لم يطلبوا منكم ولاية أمرهم | أو يفتحوا ـ للمرجفين ـ طريقا
هم فوق هذا الافك أنى تدعوا | حقا يضيع ومكسبا مسروقا
ويل لكم أتجور فى أولادها | وتبارك التمييز والتفريقا ؟
هذا بحق الله منطق حاسد | كى يستميل عن الصراط فريقا
نحيا عليها فى رباط دائم | ماكان فى عرف الورى مسبوقا
عشنا معا ودماؤنا من نيلها | وقلوبنا للخير صرن عروقا
لكنما أهل الهوى قد ألبسوا | ثوب الصفاء مثالبا وفتوقا
وأشد ما يدمى فؤادك أن ترى | فريا بمن شرع الحقوق لصيقا
والظالم المغرور فى محرابه | يلقى الخطاب ويطلب التصفيقا
أين الهنود الحمر؟ أين حقوقهم ؟ | يامن طلبتم للعباد حقوقا
كان المهات عقاب كل مجازف | رغب الحياة محررا وطليقا
لا يلتقى عمدا بأيدى ظلمكم | إلا فناء مرعبا ونفوقا
لابد أن يبقى على أغلالكم | تحت الهوان لكى يعيش صديقا
إن كان هذا شرعكم فى داركم | فدعوا العتاب وودعوا التلفيقا

للأستاذ : عبد الحكيم عثمان

من أمراء الشعر

النابغة الذبيانى

الشعر هو ذلك المزيج الرائع بين الوعى واللاوعى ، من حيث تمكنه من استخراج مافى العقل الباطن من أسرار شعورية وفكرية ، لتطفو على سطح الوعى ، فيشكلها ويصوغها ، لتخرج إلى عالم الإدراك كائنا بديعا حيا ، يعرضه الشاعر بأسلوبه الخاص به ، ليؤثر به علينا تأثيرا إيجابيا خلاقا ، فيسمو بنا إلى آفاق عالية ، من السمو الإنسانى ، والخلق الكريم ، والحس النبيل .

والشعر هو الدافع القوى نحو التجديد ، لما فيه من عوامل الانفعال والمغامرة ، والرحيل الدائم إلى عوالم مجهولة ، لذا فإنه ثورة حقيقية ضد كل ماهو عادى أو مبتذل ، ومغامرة جسورة لكشف كنه ماهو غريب أو مستحيل أو بعيد ، وهو الجوهر الكامن فى ضمير البشرية ، ليرتفع بها ومعها لتحقيق آمالها السامية ، وأحلامها اللا محدودة .

والشعر يحتوى على النظام فى مواجهة العشوائية ، وهو بإيقاعاته الواعية ، يمتلك القدرة على التوغل فى مجاهل الحياة وأسرارها ، والغوص فى أغوارها لاستخراج المكنون من جوهرها ، وهو وإن كان موسوما بالعفوية وبراءة القلب ، إلا أنه يمتلك البصيرة التامة ، المغلفة برهافة الشعور ، وكيف لا ، وغايته دائما هى : الحق والخير والجمال .

ولا يزال الشعر عند كل البشر ترنيمة حياة ، وهو عند العرب ـ بصفة خاصة ـ ديوان حياة ونبض وجود ، وشاعرنا العربى فى هذا العدد ، هو واحد من أمراء الشعر العربى ، وهو من الطبقة الأولى المقدمين على سائر الشعراء ، إنه زياد بن معاوية بن ضباب بن خباب بن يربوع بن غيظ بن مرة بن عوف بن سعد بن ذبيان بن بغيض بن ريث بن غطفان بن سعد بن قيس بن عيلان بن مضر ، وقد لقب بالنابغة لقوله : فقد نبغت لهم منا شئون ، وأيضا لأنه نبغ فى الشعر بعدما احتنك .

خرج أمير المؤمنين عمر بن الخطاب وببابه وفد غطفان ، فقال : أى شعرائكم الذى يقول :

أتيتك عاريا خلقا ثيابى ... على خوف تظن بى الظنون
فألفيت الأمانة لم تخنها ... كذلك كان نوح لا يخون

قالوا : النابغة . قال : فأى شعرائكم الذى يقول :

حلفت فلم أترك لنفسك ريبة ... وليس وراء الله للمرء مذهب

قالوا : النابغة . قال : فأى شعرائكم الذى يقول :

فإنك كالليل الذى هو مدركى ... وإن خلت أن المنتأى عنك واسع

قالوا : النابغة . قال (رضى الله عنه) : هذا أشعر شعرائكم .

هذا ومما يؤثر عن النابغة أنه مكث زمانا لا يقول الشعر ، فأمر يوما بغسل ثيابه ، وعصب حاجبيه على عينيه ، فلما نظر إلى الناس قال :

المرء يأمل أن يعيش ، وطول عيش ما يضره
تفنى بشاشته ، ويبقى بعد حلو العيش مره
وتخونه الأيام حتى لا يرى شيئا يسره
كم شامت بى إن هلكت ، وقائل : لله دره

ومما يتمثل به من شعر النابغة قوله :

فحملتنى ذنب امرىءٍ وتركته كذى العرِّ يكوى غيره وهو راتع[1]

وقد نشأ النابغة فى قومه ذبيان ، بين الحجاز وتيماء ، ولم يرو الشعر إلا بعد أن اكتهل ، فجاء شعره كريم اللفظ والمعنى . فتطايرت سمعته بين القبائل ، حتى أن العرب كانوا ينصبون له قبة من أدم فى سوق عكاظ ، فيحتكم إليها الشعراء ، فيقضى بينهم ، ثم يصل به الأمر أن ينال الحظوة عند النعمان ملك الحيرة ليصبح النابغة شاعره الخاص ، ونديمه المقرب ، فحسده لداته من حاشية النعمان ، فدسوا له عند الملك ، حتى أثاروا عليه غضبه ، فهرب إلى قومه ، ثم انتقل إلى غسان بمشارف الشام ، وكان ذلك فى عهد الحارث بن عمرو الغسانى ، فطابت للنابغة عنده الحياة ، وتقلب فى أفياء النعمة ، ثم ناله ما ينال مصاحب السلطان ، فلم يكد يموت الحارث بن عمرو ، حتى تنكر له من خلفه ، مما دفع النابغة للعودة إلى قومه .

ثم تذكر النابغة مليكه النعمان ، وماكان له عنده من منزلة التكريم فحن إليه ، وأرسل إليه القصائد فى المدح والاعتذار ، وتنصل فيها مما أشاعه عنه خصومه وحساده ، وتشفع عنده ببعض أصحابه من فزارة ، فقبل النعمان شفاعتهم ، وأعاد النابغة إلى سابق منزلته عنده ، ومنحه ما تعود عليه من الهبات .

والقصيدة (المعلقة) التى نقدمها اليوم ، قالها النابغة ليمدح النعمان بن المنذر ملك الحيرة ، ويتبرأ فيها من وشايات بنى قريع فى أمر المتجردة زوج النعمان .

والنابغة يستهل قصيدته بالوقوف على رسوم الديار التى خلت بعد هجر أحبابه لها ، فنراه يصفها وصفا دقيقا ، مؤكدا ما للمكان من تأثير عظيم على النفوس والمشاعر ، وخاصة. إذا كان مفعما بالذكريات العزيزة على نفس الشاعر ، فيذرف الدمع بعد أن خلت تلك الديار من الأحباب .

ثم نرى الشاعر يصف راحلته ويصف الحيوانات فى بيئته ، ثم يصل إلى هدف قصيدته وهو النعمان ، والقصيدة حاشدة بالصور والمعانى والبلاغة والأفكار ، وكذلك الأخبار من مثل ذكره لسليمان بن داود عليهما السلام وكيف أن الله سخر له الجن كى يبنوا له مدينة تدمر ببلاد الشام ، إلى غير ذلك مما جاء فى هذه القصيدة المعلقة العجيبة .

---

(١) العر ، بضم العين : قروح مثل القوباء تصيب الإبل فى مشافرها وقوائمها يسيل منها سائل أصفر ، فكانوا يكوون الإبل الصحيحة لئلا تعديها الإبل المريضة ! والعر ، بالفتح : هو الجرب ، والجرب لا يكوى منه .

المُعلّقة

يــادار ميــة بــالعليــاء فــالســنــد … أقوت وطـال عليهـا سـالف الأبـد[١]

وقـفت بهـا أصيـلا كى أسـائلهـا … علت جوابا وما بـالـربـع من أحـد

إلا أوارى لأيـا مـا أبـيـنهـا … والنـوى كـالحوض بـالمظلومـة الجلد[٢]

ردت عـليـه أقـاصـيـه ولـبـده … ضرب الـوليـدة بـالمسحـاة فى الثـأد[٣]

خلت سبـيـل أتىٍّ كـان يحبسـه … ورفعتـه إلى السحفـين فـالنضـد[٤]

أضحت خـلاء واضحى أهلها احتملوا … أخنى عليهـا الذى أخنى على لبد[٥]

فعـد عـما تـرى إذ لا ارتجاع لـه … وانم القتـود عـلى عـيرانـة أجـد[٦]

مقـذوفـة بـدخيس النحض بـازلهـا … لـه صريف صريف القعو بـالمسد[٧]

كـأن رحـلى وقـد زال النهـار بنـا … بـذى الجليل على مستأنس وحـد[٨]

مـن وحش وجـرة مـوشى أكـارعـه … طـاوى المصير كسيف الصيقـل الفرد[٩]

سرت عـليـه مـن الجـوزاء سـاريـة … تـزجى الشـمال عليـه جـامـد البـرد[١٠]

فـارتاع من صـوت كـلاَّب فبـات لـه … طوع الشوامت من خوف ومن صرد[١١]

---

(١) اقوت : خلت من اهلها .

(٢) اللاى : البطء ـ النؤى : حاجز من تراب يعمل حول البيت والخيمة .

المظلومة : الارض التى قد حفر فيها فى غير موضع الحفر .

الجلد : الأرض الغليظة الصلبة بغير حجارة .

(٣) اقاصيه : ماشذ منه ـ لبده : سكنه ، اى سكنه حفرة الوليدة ـ والثاد : الموضع الندى التراب .

(٤) الاتى : النهر الصغير ـ السجفان : ستران رقيقان يكونان فى مقدمة البيت .

(٥) اخنى عليها : اى افسد عليها ـ لبد : هو النسر السابع والاخير من نسور لقمان بن عاد ، وكان قد عمر اربعمائة عام ، ويضرب به المثل فى طول العمر ، فيقال : « اتى ابد على لبد » .

(٦) القتود : عيدان الرحل ـ العيرانة : ناقة قوية ونشيطة .

الاجد : الموثقة الخلق ـ وانم القتود : اى عالها وارفعها على هذه الناقة لتسلو عما انت فيه .

(٧) مقذوفة : كانها قد قذفت باللحم قذفا ـ النحض : اللحم ـ القعو : الذى فيه البكرة إذا كان من الخشب ، وإن كان الحديد فهو خطاف ـ بازلها : نابها حين شق اللحم وخرج ـ الصريف : صوته ـ المسد : الحبل .

(٨) الجليل : هو شجر الثمام ـ المستانس : ثور يخاف الانيس ـ زال النهار : اى انتصف .

(٩) وحش وجرة : اى وحش الفلاة ـ موشى اكارعه : يقوائمه نقط وخطوط سود ـ الفرد : المنقطع الشبيه ـ طاوى المصير : اى ضامر المعى .

(١٠) السارية : سحابة تسير ليلا وتمطر .

(١١) فارتاع : اى فزع ـ طوع الشوامت : اى بات الثور مبيت سوء من برد وجوع ـ الصرد : شدة البرد .

فبثهن عليه واستمر به ... صمع الكعوب بريئات من الحرد(١٢)
فهاب ضمران منه حيث يوزعه ... طعن المعارك عند المحجر النجد(١٣)
شك الفريصة بالمدرى فأنفذها ... شك المبيطر إذ يشفى من العضد(١٤)
كأنه خارجا من جنب صفحته ... سفود شرب لسوه عند مفتأد(١٥)
فظل يعجم أعلى الروق منقبضا ... فى حالك اللون صدق غير ذى أود(١٦)
لما رأى واشق إقعاص صاحبه ... ولا سبيل إلى عقل ولا قود(١٧)
قالت له النفس إنى لا أرى طمعا ... وإن مولاك لم يسلم ولم يصد
فتلك تبلغنى النعمان إن له ... فضلا على الناس فى الأدنى وفى البعد(١٨)
ولا أرى فاعلا فى الناس يشبهه ... وما أحاشى من الأقوام من أحد
إلا سليمان إذ قال الإله له ... قم فى البرية فاحددها عن الفند(١٩)
وخيس الجن إنى قد أذنت لهم ... يبنون تدمر بالصفاح والعمد(٢٠)
فمن أطاع فأعقبه بطاعته ... كما أطاعك وادلله على الرشد
ومن عصاك فعاقبه معاقبة ... تنهى الظلوم ولا تقعد على ضمد(٢١)
إلا لمثلك أو من أنت سابقه ... سبق الجواد إذا استولى على الأمد
واحكم كحكم فتاة الحى إذ نظرت ... إلى حمام سراع وارد الثمد(٢٢)
قالت: ألا ليتما هذا الحمام لنا ... إلى حمامتنا ونصفه فقد
يحفه جانبا نيق وتتبعه ... مثل الزجاجة لم تكحل من الرمد(٢٣)
فحسبوه فألفوه كما حسبت ... تسعا وتسعين لم تنقص ولم تزد(٢٤)
فكملت مائة فيها حمامتها ... وأسرعت حسبة فى ذلك العدد

---

(١٢) صمع الكعوب : سمر الكعوب والصمع اللصوق والحدة واللطافة ـ الجرد : استرخاء عصب البعير من شدة الفعال فاستعاره للثور ، والمعنى اى ليس لقوائمه عيب ، ولم يرد الخرد بعينه .
(١٣) ضمران : اسم كلب ـ يوزعه : يغريه بالثور ـ المحجر : الملجا المدرك ـ النجد : الشجاع .
(١٤) شك الثور فريصة الكلب بالمدرى : اى طعنه بقرنه ، والفريصة هى بضعة فى مرجع الكتف ـ المبيطر : البيطار .
(١٥) المفتاد : المشتوى .
(١٦) يعجم : يمضغ ـ الروق : القرن ـ الصدق : الصلب ـ الاود : العرج .
(١٧) واشق : اسم كلب ـ العقل : غرم الدية ـ القود : قتل النفس بالنفس .
(١٨) فتلك : يعنى ناقته التى شبهها بالثور .
(١٩) (إلا سليمان) فى موضع النصب على البدل من موضع احد ، وإن شئت على الاستثناء ـ الحد : المنع ـ الفند : الخطا .
(٢٠) خيس : اى ذلل ـ الصفاح : جمع صفلحة وهى حجارة رقاق عراض .
(٢١) الضمد : الحقد .
(٢٢) اى كن حكيما كفتاة الحى إذ قالت قولا فاصابت فيه ، اى كن فى امرى حكيما ولا تقبل ممن وشى بى ـ الثمد : الماء القليل .
(٢٣) النيق : أعلى الجبل ـ مثل الزجاجة : يعنى عينها لم تكحل من الرمد : اى لم ترق فتكحل .
(٢٤) القوه : وجدوه ـ وكان الحمام الذى راته ستة وستين ، ولها حمامة فى بيتها ، وقولها إلى حمامتيه ، اى مع حمامتيه فيكون سبعة وستين ، ونصف ما راته ثلاثة وثلاثون ، فيكون مائة كما قالت .

أعطى لفارهة حلو توابعها ... من المواهب لا تعطى على نكد(٢٥)
الواهب المائة المعكاء زينها ... سعدان توضح فى أوبارها اللبد(٢٦)
والساحبات ذيول المرط فنقها ... برد الهواجر كالغزلان بالجرد
والخيل تمزع غربا فى أعنتها ... كالطير تنجو من الشؤبوب ذى البرد
والأدم قد خيست فتلا مرافقها ... مشدودة برحال الحيرة الجدد(٢٧)
فلا لعمر الذى قد زرته حججا ... وما هريق على الأنصاب من جسد(٢٨)
والمؤمن العائذات الطير يمسحها ... ركبان مكة بين الغيل والسند(٢٩)
ما إن أتيت بشىء أنت تكرهه ... إذا فلا رفعت سوطى إلىّ يدى
إذا فعاقبنى ربى معاقبة ... قرت بها عين من يأتيك بالحسد
هذا لأبرأ من قول قذفت به ... طارت نوافذه حرا على كبدى
مهلا فداء لك الأقوام كلهم ... وما أثمر من مال ومن ولد
لا تقذفنى بركن لاكفاء له ... ولو تأتفك الأعداء بالرفد(٣٠)
فما الفرات إذا جاشت غواربه ... ترمى أواذيُّه العبرين بالزبد(٣١)
يمده كل واد مترع لجب ... فيه حطام من الينبوت والخضد(٣٢)
تظل من خوفه الملاح معتصما ... بالخيزرانة بعد الأين والنجد
يوما بأجود منه سيب نافلة ... ولا يحول عطاء اليوم دون غد
أنبئت أن أبا قابوس أوعدنى ... ولا قرار على زأر من الأسد(٣٣)
هذا الثناء فإن تسمع لقائله ... فما عرضت ـ أبيت اللعن ـ بالصفد(٣٤)
ها إن تا عذرة إلا تكن نفعت ... فإن صاحبها قد تاه فى البلد(٣٥)

---

(٢٥) الفارهة : الناقة الكريمة او العطية الحسنة ـ توابعها : ماتبعها من المطايا ـ حلو توابعها : اى متيسرة هيئة ـ النكد : العسر والضيق .

(٢٦) المعكاء : الغلاظ السمان الشداد ، وهو اسم لا يثنى ولا يجمع ـ السعدان : نبت من انجع ماتشرعاه الإبل ـ توضح : موضع بالحمى ـ اللبدة : جمع لبدة ، يريد اوبارها ذات اللبد .

(٢٧) الادم من الابل البيض ، ومن النساء السمر ـ الفتل : التى بانت مرافقها عن اباطها .

(٢٨) هريق واريق واحد ـ الانصاب : حجارة كانت الجاهلية تنصبها وتتربح عندها ـ الجسد هنا : الدم ، والجسد والجساد : منبع .

(٢٩) العائذات · ماعاذ بالبيت من الطير ـ الغيل والسعد : اجمتان كانتا بين مكة ومنى ، وانكر الاصمعى هذه الرواية وقال : إنما الغيل بكسر الغين الغيضة ، والعيل بفتح العين : الماء .

(٣٠) الكفاء : المثل ـ تاتفك الاعداء : احتوشوك فصاروا منك موضع الاثافى من القدر ـ بالرفد : اى يتعاونون علىّ .

(٣١) جاشت : فارت ـ الغوارب : ماعلا منه : الواحد غارب ـ الاواذى : الامواج ـ العبران : الشطان .

(٣٢) اللجب : ذو الصوت ـ الركام : المتكاثف ـ الينبوت : نوع من النبت ـ الخضد : ماتثنى وكسر من النبت .

(٣٣) ابو قابوس : هو النعمان بن المنذر .

(٣٤) الصفد : العطاء ـ ابيت اللعن : اى ابيت ان تاتى شيئا تلعن عليه .

(٣٥) يقول بان هذه القصيدة هى بمثابة الاعتذار إليك .

العُلوم الكونيّة

فقه المصطلحات العلمية

للأستاذ الدكتور
أحمد فؤاد باشا

إيثار أم أثرة فى دنيا الطيور؟

للأستاذ / مجدى عبد الحميد بشير

موقف الإسلام من الريّاضات البدنية

للدكتور / عبد العزيز صلاح سالم

فقه المصطلحات العلمية

للأستاذ الدكتور
أحمد فؤاد باشا

التقنية لغة واصطلاحا :

مصطلح « التقنية » لفظة محدثة فى اللغة العربية ، جاءت بصيغة المصدر الصناعى لإفادة المعنى الذى يستفاد من المقابل الأجنبى « تكنولوجيا » Technology ، وهما يلتقيان فى الدلالة على « العلم التطبيقى » ووسائله الفنية المستخدمة لتوفير كل ماهو ضرورى لمعيشة الناس ورفاهيتهم وتطوير ظروف حياتهم .

وربما يعتقد البعض خطأ أن « التقنية » هى المخترعات الحديثة الراقية التى غيرت معالم البشرية فى العصر الحديث ، وخاصة فى القرن العشرين . لكن واقع الأمر يقضى بأن شيوع اللفظ ذاته هو الحديث ، أما الظاهرة نفسها ، ظاهرة استحداث المخترعات المناسبة وتطويرها ، فهى قديمة منذ بدأ الإنسان يستعين بأدوات تساعده فى عمله اليومى ، وهى أدوات تستحق اسم « التقنية » فتهذيب قطعة من الحجر أو المعدن ، وربطها بقطعة خشبية من جذع شجرة ، واستخدامها فأساً لقطع الأشجار ، أو لتقليب الأرض ، هو نوع من التقنية . واختراع العجلة لتيسير عملية نقل البضائع أو انتقال الأشخاص ، كان فى حينه ثورة تقنية لا تقل أهمية عن اختراع الطائرات فى القرن العشرين . كل ما فى الأمر هو أن التقنية ظهرت فى حياة الإنسان ليستعين بها فى تكملة ما ينقصه من القوى والقدرات ، أو لتعزيز مالديه من إمكانات . ولما كان هذا التعزيز يتغير فى طبيعته ومداه تبعا لظروف كل عصر ، فإن « مستوى التقنية » هو الذى يتغير تبعا لحالة

المجتمع فى مرحلة معينة من مراحل تطوره ، وتبعا لتطور « مستوى المعرفة العلمية » التى قامت التقنية على أساسها .

ويمكن ملاحظة هذه المراحل التى تتعاقب فيها الأجيال المختلفة من الاكتشافات والاختراعات ، والتى يطلق عليها اسم « موجات التقنية » Waves of technology فى العديد من التقنيات السائدة حاليا ، مثل الراديو والتليفزيون والسيارة والطائرة والصاروخ والمجهر (الميكروسكوب) والمقراب (التلسكوب) والحاسب الآلى (الكومبيوتر) وغير ذلك . فمن المتعارف عليه حاليا أن كل إنجاز تقنى يمر فى دورة حياته ـ منذ ولادته واختبار صلاحيته على أيدى الباحثين والمخترعين ـ بعمليات تطوير متلاحقة يصبح بعدها صالحا للاستخدام على نطاق واسع ، حيث يأخذ فى الانتشار تدريجيا إلى أن يشكل ظاهرة عامة يتفاعل معها أفراد المجتمع بصورة مباشرة ثم يأخذ هذا الإنجاز التقنى بعد ذلك فى التراجع والانحسار حتى يتقادم ويندثر ، بعد أن تكون هناك تقنية جديدة أرقى وأفضل قد حلت محله .

وإذا كانت أجيال التقنيات الحديثة والمعاصرة قد أحدثت أثراً قويا فى بنية المجتمع البشرى بأسره ، فإن أجيال التقنيات القديمة قد أحدثت هى الأخرى فى حينها ثورة هائلة وتغييرا جوهريا فى مظاهر الحياة البشرية المختلفة .

من ناحية أخرى ، إذا كانت الثقافة الغربية تروج لمقولة أن التقنية لا يمكن إلا أن تكون إبداعا غربيا ، فإن « فقه مصطلح التقنية » يقتضى التأصيل لها بإظهار إسهامات علماء الحضارة الإسلامية فى تطوير واستحداث تقنيات عديدة ، شملت الآلات والتجهيزات الميكانيكية التى تعتمد على حركة الهواء ، أو حركة السوائل واتزانها ، والصمامات الآلية ذات التشغيل المتباطىء ، والأنظمة التى تعمل عن بعد بطريقة التحكم الآلى ، والأجهزة والأدوات العلمية ، والجسور والقناطر المائية ، والهندسات والزخارف المعمارية ، وغيرها .

والحق ـ فيما نرى ـ أن العلوم التقنية عند المسلمين الأوائل لم تكن أقل تقدما من علوم الفلك والطب التى حظيت بالاهتمام الأكبر من جانب المؤرخين والمستشرقين ، ولكنها تحتاج إلى من يتناولها بالتحليل الدقيق ، والدراسة المتأنية للتعريف بها ، وكشف أصولها فى التراث الإسلامى على ضوء معطيات العلوم الحديثة والمعاصرة .

الحضارة لغة واصطلاحا :

كلمة « حضارة » من المصطلحات التى يتعذر الحصول على تعريف جامع مانع لها ، حيث نجد تداخلا كبيراً فى تناول مفهومها باللغات المختلفة ، مع ملاحظة أن لكل لغة عقلها وإطارها الفكرى الذى يعطى لمفاهيمها دلالات وظلالا لا يمكن أن تتطابق مع لغة أخرى . فهناك من جعل مفهوم « الحضارة » مرادفا لمفهوم « الثقافة » وهناك من جعله قاصراً على نواحى التقدم المادى من مخترعات وآلات وتقنيات ومؤسسات ، وغير ذلك ، وهناك من جعله شاملا لكل أبعاد التقدم ، دون الاتفاق على معايير هذا التقدم

وعناصره التى تختلف بحسب اختلاف الثقافات التى قد تختلف بدورها بين فرد وفرد ، أو شعب وشعب . لكن أكثر الآراء قبولا يقضى بجعل المفهوم عالميا ، أى أن هناك دائما « حضارة » بشرية أو إنسانية واحدة ، تسهم كل المجتمعات بنصيب ما ،فى بنائها وتطويرها .

والأصل العربى لكلمة « حضارة » تورده بعض المعاجم مشتقا من « حضر » ، وهى الإقامة فى الحضر بخلاف البادية ، ثم تنتقل إلى المعنى الحديث متمثلا فى مظاهر التقدم المادى والتقنى والعلمى والفنى .. إلى آخـره . وتكـون « الحضارة » بهذا المعنى مرادفة لكلمة « مدنية » التى تمثل المرحلة الراقية فى التطور الإنسانى ، والتى عبر رفاعة الطهطاوى عن مفهومها بقوله : « ... ويفهم مما قلناه أن للتمدن أصلين : معنوى ، وهو التمدن فى الأخلاق والعوائد والآداب ، ويعنى التمدن فى الدين والشريعة ، وبهذا القسم قوام الملة المتمدنة التى تسمى باسم دينها وجنسها للتميز عن غيرها . والقسم الثانى . تمدن مادى وهو التقدم فى المنافع العمومية » .

ويقتضى « فقه الحضارة » أن نقف على حقيقة المعادلة التى تبلورت من خلال الدراسات الموضوعية الجادة للتاريخ الإنسانى ، وهى المعادلة التى تحكم العلاقة بين الثقافات العالمية الكبرى على أساس التفاعل المتبادل بين الحضارات من جهة ، مع الاحتفاظ بالهوية والخصوصيات المميزة من جهة أخرى .

أما التفاعل المتبادل بين الأمم فيعنى أن الحضارة الإنسانية ذات موارد متعددة ، بين شرقية وغربية ، يغذى بعضها بعضا ، دون أن تقام بينها حواجز منيعة لا تسمح باتصال أو تبادل . وأن حضارات العصور القديمة والوسطى والحديثة قد أخذت وأعطت مثلما نأخذ نحن اليوم ونعطى ، لتبقى شجرة المعرفة خضراء يانعة ، وارفة الظل وغزيرة الثمار . وأما الطرف الآخر لمعادلة التفاعل الحضارى ، فيعنى احتفاظ كل ثقافة بخصوصياتها المميزة ، وإبقاء كل حضارة على طابعها ومقوماتها التى تتفرد بها ، بحيث لا تنطمس معالم هويتها وقسمات شخصيتها .

والعامل المساعد لحدوث التفاعل الحضارى الذى يلعب دوراً أساسيا فى تقدم الشعوب ، هى مجموعة المثل القيمية والمبادىء العقائدية والقوى الذاتية الخاصة بقدرات ودوافع كل أمة على إحداث التغيير ، وهى أبعد ما تكون عن تلك الصفات القائمة على التعصب للجنس أو الدين أو البيئة الجغرافية فالفكر والإبداع لم يكونا أبداً قاصرين على شعب دون شعب ، أو مكان دون مكان ، أو زمان دون زمان ، بحيث يقال عن جنس معين من البشر أنه أذكى بنى الإنسان ، أو تميز منطقة معينة من الأرض بأنها الأصلح دون سواها لاحتضان الفكر الإبداعى وتشييد البناء الحضارى . ومهما روجت الأقوام المنسوبة إلى الجنس الآرى لمقولة تفوقها على غيرها من الأجناس ، أو بالغ الأوروبيون فى سرد مزايا إقليمهم وموقعه الجغرافى بالقياس إلى القارات الأخرى ، فإنهم لو عاشوا منعزلين عن باقى شعوب العالم لظلوا على حالتهم البدائية حتى يومنا هذا .

ولقد فطن المسلمون الأوائل لمعنى الحضارة بشقيه الروحى والمادى ، فازدهرت حضارتهم فى جوانبها المادية نتيجة التقائها بثقافات الحضارات

المجاورة ، وتكونت لديهم خبرات واسعة فى شتى المجالات الصناعية والتجارية والزراعية والعمرانية والعلمية ، وصهروا هذه الخبرات والمعارف التى أخذوها واستفادوا منها فى بوتقة الإسلام ، فجاءت الحضارة الإسلامية فيما بعد مطبوعة بطابعه ، وممهورة بخاتمه ، وقدمت نموذجا إنسانيا فريدا يستبطن قيم التوحيد والربوبية ، ويحسن التعامل مع المسخرات الكونية ، ويدعو إلى تحقيق الخير للناس أجمعين .

على أننا نرغب أيضا فى نقل مفهوم جديد للحضارة ، ينطبق على خبرة الإسلام ، ويستند إلى أحد الاستخدامات التى ذكرها ابن منظور فى « لسان العرب » لمادة « حضر » بمعنى « شهد » ، أى الحضور كنقيض للمغيب والغيبة ، والحضارة بمعنى الشهادة ، ويقتضى هذا المفهوم الجديد أن تكون الحضارة هى الحضور والشهادة بجميع معانيها التى ينتج عنها نموذج إنسانى يستبطن قيم التوحيد والربوبية ، وينطلق منها كبعد غيبى يتعلق بوحدانية خالق الكون وواضع نواميسه وسننه والمتحكم فى تسييره ومصيره ، ومن ثم فإن دور الإنسان ورسالته هو تحقيق الخلافة عن خالق هذا الكون بتعمير الأرض وتحسينها وترقية الحياة عليها وتزجية معاش الناس فيها ، وتحقيق تمام التمكين عليها والانتفاع بخيراتها وحسن التعامل مع المسخرات فى الكون وبناء علاقة سلام معها لأنها مخلوقات تسبح بحمد الله ، أو رزق لابد من حفظه وصيانته . كذلك إقامة علاقة مع بنى الإنسان فى كل مكان على ظهر الأرض ، أساسها الأخوة والألفة وحب الخير والدعوة إلى كل مايحقق سعادة الدنيا والآخرة[1] .

---

(١) عن : نصر محمد عارف ، الحضارة . الثقافة . المدنية : دراسة لسيرة المصطلح ودلالة المفهوم ، سلسلة المفاهيم والمصطلحات ، المعهد العالمى للفكر الإسلامى ، هيرندن ، فيرجينيا ، الولايات المتحدة الامريكية ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م .

في دنيا الطيور إيثار أم أثرة

للأستاذ : مجدى عبد الحميد بشير

حب الغير والأنانية صفتان متضادتان ، وخلقان متناقضان ، إن تحكم أحدهما فى مجتمع فعل به فعله ، ترى ما موقع هاتين الخلتين من عالم الطيور ؟ وكيف وظفتا فى خدمة أغراضها ، وتحقيق مصالحها ؟ وبداية نقول : إن الطيور دائما ماكانت رمزا للحرية ، وطالما ألهمت أغاريدها الشعراء ، ومع هذا فهل ينبىء مظهرها عن مخبرها ؟

والأسطر التالية توضح أن سلوك بعض الطيور على الأقل يكسو الوجوه وجوما إن رأته ، ولربما وصفت الألسنة تلك التصرفات باللاشرعية لو حدث مثلها بين الناس ، مما يجعل من الصعب علينا تصور أكثر علماء الاجتماع تحضرا يثنى على القيم الأسرية لدى الطيور ، والمشكلة معنا بنى البشر ، أننا دائما ما نضفى على الطيور ثوبا من المثالية والأخلاق ، وربما كانت غير جديرة بهذه السمعة الطيبة ، التى نالتها عبر العصور ، وماأناشيدها التى ألفناها ، وأهازيجها التى عشقناها إلا إشارات عدوانية لإبعاد الخصم ، وشل المنافس ، أو ماهى إلا نداءات للتزاوج ، ولو كانت الطيور حيوانات أكبر ، لكانت أغانيها شيئا يهدد الغير ، ويخيفه كزئير الأسد ، أو عواء الذئب ، أو قل هى نوع من التسبيح الوارد فى قوله تعالى :

﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ﴾

(الإسراء - ٤٤)

وقبل الدخول فى الموضوع نورد هذه القصة ، التى رواها واحد من المولعين بتربية الطيور ، والتى توضح بعضا من السلوكيات المشينة لبعض الطيور ، يقول : قمت هذا الشتاء بتحديد موقع أحد مآكل الطيور فى حديقتى ، حيث استطعت أن أشاهد عن كثب الطير دون تنفيرها ، وكان معظم من يرتاد مكان الطعام هذا نوع من الطيور فى حجم العصفور يحط على الشجر ، ليمكث فى نيويورك طيلة الشتاء ، وهذه الطيور مخلوقات جذابة ، تسربل نصفها العلوى بمساطر من ريش رمادى ، أخفى تحته جسما مرح الألوان أضيف إليه ذيل ذو ريش طويل أبيض وحشى يومض عندما يشرع الطائر فى التحليق فى الهواء ، وبرغم

هذا المنظر البديع فقد كانت تصرفات هذه الطيور لا تروقنى على الإطلاق ، فلديها نظام شديد الصرامة ، يعتمد على التدرجية الشديدة ، والسُلمية الحادة رغم أن عددها لم يزد على عشرة أطيار ، فأعلاها يستأثر بمكان الطعام ، وعلى مهل يزدرد عشرات من الحب فى المرة الواحدة ، فإن اقترب طائر آخر فسرعان مايتم تعقبه بعيدا بأصوات عالية مزعجة ، فإن حاول طائر آخر الدنو من الوليمة وهو لا يدرى بوجود طائر أكبر منه ، فإنه ينقلب على عقبيه فزعا لمجرد مرآه ، والمسكين يحس أنه سيهاجمه إن لم يسرع بالطيران ، وحتى فى حالة عدم وجود طير يلتقط حبا فإن الطيور المُروعة تخشى الاقتراب من المأكل ، فقد شاهدت طائرا وحيدا جثم على سور المأكل محملقا بلهفة إلى الطعام ، ثم أخذ يتلفت حوله بعصبية كل الوقت خائفا ، واستمر يتململ متضجرا ناقلا مخلبا فى إثر مخلب ، منحنيا إلى الأمام مرارا ، مستعدا للسباحة فى الهواء ، ليلتهم الحب اللذيذ ، لكنه لا يطير أبدا إلى الطعام .

وأحيانا كان الجوع يدفع بأحد الطيور الخائفة إلى مغادرة السور ، ليحط مرتجفا عند المأكل المذكور ، وقد أمسك حبة واحدة فقط ، وطار بها على الفور ، وساعتها يغمرك إحساس بالأسى لهذه الطيور المظلومة من ناحية ، وبالازدراء للطيور المعتدية ، وقد حطت بكل ثقة فوق الطعام ، وأخذت أجسامها تزداد سمنة ، فى الوقت الذى تتضور أخواتها جوعا .

وينهى الصديق ملاحظته قائلا : إنه رغم أن الصراع بين هذه الطيور لا يدوم طويلا ، ولا يكون فتاكا ، فإن احتمال نجاة طائر خائف من قسوة الشتاء وقلة الزاد يتضاءل كثيرا ، لعدم قدرته على الأكل فى اطمئنان وأمان ، ومع هذا فمن الخطأ تطبيق القيم الإنسانية على عالم الطيور أو العكس ، إلا قيمة واحدة استمسك بها دِيننا الحنيف ، وحثنا عليها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فيما رواه عنه عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - قال : (قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا »)[1] .

قال فضيلة الشيخ الشعراوى - رحمه الله - وتوكلها لم يمنعها لها غدو ورواح تلمسا للرزق ، فعلينا أن نتأسى بها ، فقد وجدت على الأرض منذ ملايين السنين ، رغم أننا قد لا تروقنا بعض سلوكياتها فنستهجنها ، وعلينا كذلك أن نسلم بأن الله - عز وجل - أعطى كل شىء خلقه ثم هدى ، ومن الصعب علينا الإلمام التام بكل حكمته - سبحانه - مما يزيد العالم المحيط بنا فتنة ، وسحرا يملؤها بهاء وجمالا .

الأب يحض ابنه على ترك زوجته والعودة للعش:

فى دنيا الناس عندما يقوم الحمى أو الحماة بزيارة للعريس أو العروس ، فلربما تسببت هذه الزيارة فى إحداث بعض تكدير الصفو ، وقد لا يحدث شىء من ذلك على الإطلاق ، بل ربما ازداد القرينان ألفة ومودة أما مع الطائر ذى الصدر الأبيض المعروف بآكل النحل ، والموجود

(١) رواه أحمد فى مسنده ١/ ٣٠ ط- بيروت .

فى كينيا فالأمر مختلف تماما ، الأسرية لهذه الطيور علاقات شديدة التوتر والتعقيد ، لدرجة أنه بمجرد انتقال أنثى حديثة الزواج إلى عش زوجها ، الذى أخذت تتهيأ فيه لوضع البيض وتكوين أسرة جديدة ، فإن أبا زوجها وأمه ـ أى حماها وحماتها ـ يبذلان قصارى جهدهما لبذر بذور الشقاق بين العروسين السعيدين ، وهما يفعلان ذلك الفعل الشنيع بفن ومهارة ومكر ودهاء وحرص وعناية ، تجعل ابنهما المسكين يهجر عروسه طائعا مختارا ، وذلك ليعود لملازمة أمه وأبيه ، مكرسا كل حياته لرعاية وإطعام أحدث الأفراخ التى وضعها أبواه الكبيران إذ كيف يسوغ له أن يهجر أخواته الصغار !

وبعد دراسة سببين كبيرين من الطيور الأفريقية المعروفة بآكلات النحل ، فإن الأستاذين (إملين) و (ريج) بجامعة كورنيل الأمريكية اكتشفا أن الطيور الكبار فى هذه المستعمرات تحاول بدأب احتكار واستغلال ومصانعة ، بل حتى إلهاء أقاربها الصغار بالغناء الجميل ، والشدو العذب ، بغية تنازل تلك الطيور قليلة الخبرة عن استقلالها بشئون حياتها ، مفضلة البقاء فى خدمة آبائها وأمهاتها .

كما بينت نتائج الدراسة التى نشرتها مجلة (الطبيعة NATURE) تغيرا جديدا ، وانعطافا شديدا فى النسيج الدقيق للحياة الأسرية بين هذه المخلوقات الاجتماعية ، كما قدمت هذه النتائج وأمثالها رؤى جديدة فى تطور السلوكيات التعاونية فى هذه العوالم ، وهى إحدى القضايا المؤثرة التى يهتم بدراستها علماء الأحياء ، ففى حياة الطيور آكلات النحل نرى الأب يغرى ابنه البالغ بالعودة للعش الأبوى ، حيث ينتظر من الابن أن يتعاون فى جمع الحشرات اللازمة لتغذية أحدث إخوة له ، والغريب أن الأب فى سبيل تحقيق مآربه لا يسلك سبيل العنف والشدة مع ابنه أو زوجة ابنه ،

فالطيور آكلات النحل لا يزيد حجم الواحد منها على حجم طائر السمان ، ومن الصعب على أحدها أن يدفع الآخر ويصارعه ، كذلك لا ينخرط الأب فى استعراض القوة والهيمنة ، أو يلوح متفاخرا بذكورته البادية للعيان ، فهذه الطيور طيور مزدردة ؛ ذات أكراش لبنية اللون ،

وظهور زمردية الشكل وذيول زرق ، ومساحات بالجسم ازدهت بألوان جميلة ، مَن حمراء وسوداء ، ولكن الذكور والإناث كبارا وصغارا كلها تخضع لنفس القانون ، ولذا يتحول الأب إلى آفة جمعت مع البشاشة شدة الإلحاح والإلحاف ، فهو يقوم بزيارة العروسين المتزوجين حديثا مرات عديدة فى اليوم الواحد ، ويعرقل مجهوداتهما التى يبذلانها فى سبيل تدبير أمور بيتهما الجديد ، إنه يختفى متكورا خارج العش ويسد عليهما طريق الرجعة والدخول إلى العش ، وعندما يحاول الابن إطعام عروسه استعداداً لوضع البيض ، فإن الأب يكزه منبها ومستجديا ومدعيا المسكنة ، ومستثيرا للشفقة فى طلب الطعام لنفسه ، إنه يغلف تصرفاته تلك بأمارات الود ، وإيماءات الحب والألفة ، التى امتزجت بالصلابة أحيانا ، كرجفة ذيل ، وفتح منقار بشكل مريع ، أو حتى الصدح بغناء عذب ، وتغريد مستساغ ، وأما الابن فإنه بعد مرور حوالى ثلثى المدة المحددة من قبل الأب لانتهاء مهمته ،

فإنه يقوم بترك عشه مطلقا تنهيدة مختنقة توحى بقبوله للهزيمة فيعود لبيت والديه ليساعد فى تربية أخواته الصغار ، أما الأنثى المهجورة ، فإنها تترك متكاسلة فى عشها لا حول لها ولا قوة ، ولربما

تكون قد وضعت قليلا من البيض الذى سرعان ما يموت ما بداخله من الصغار ، لفقدان الأم مساعدة عشيرها فى رعاية الصغار .

ويقدم التقرير الجديد أكثر الأدلة إثارة فيما أسماه الدكتور (إملين) الجانب الأشد ظلمة فى هذه المجتمعات ، وهو ما تبذله بعض الحيوانات الاجتماعية ، عالية الرتبة من مجهودات لتفوز من أقاربها بدرجة من المساعدة والتضحية ، تتعدى الواجب ، هذا وقد وجد العلماء أنه فى كثير من أجناس الطيور ، وقليل من الثدييات الأليفة مثل : (نمس منجوس) ، و (الكلاب البرية) حيث الوالدان والأجداد والعمات والجميع يتربون ، ويتغذون معا فى مجتمعات مختلفة ، أقول : وجد العلماء فى بعض التصرفات ما يوحى مظهرها بالتعاون بين جميع الأقارب ، وماهى فى الحقيقة إلا أشكال خادعة من الاستغلال والابتزاز والأثرة والأنانية ، التى تصدرت هذا البحث ، لكن الأقارب الصغار ليست فاسدة على طول الخط ، ففى حالة الطيور آكلات النحل يحتفظ الابن بميراثه حيا بطريقة غير مباشرة من خلال المورثات الكثيرة التى يشارك فيها إخوته الصغار ، لكن الصائد الصغير كان سيكسب ماهو أجدى له من مستوى المورثات لو قدر له تربية أفراخه هو ولكان بإمكانه فعل الكثير لنفسه لولا إلحاح الكبار عليه .

ويعرف الباحثون الأحوال الاجتماعية والبيئية التى تيسر للكبار احتكار الصغار وتشجيع هذه المخلوقات المقهورة على التعاون ، تشجعها على التمرد وتدفع بها لرفض الأمر الواقع ، وقالوا : إن كثيرا من أنواع الطيور والثدييات تنهمك فيما يسمى : (التربية التعاونية) حيث يقوم زوج محظوظ من الطيور أو الحيوانات فى مجموعة ما بالتوالد والتناسل ، دون ضوابط ، بينما يقوم الآخرون فى نفس المجموعة بالتنازل عما منحوا من قدرة على الإنجاب مكرسين حياتهم كلها للعناية بصغار أقاربهم وإطعامهم ، ويلاحظ أن ذلك السلوك الذى ظاهره الإيثار يتحدى كل ترهات نظرية (النشوء والارتقاء) .

وبالدراسة اكتشف أن شهداء التضحية هؤلاء يكونون وثيقى صلة القرابة بمن اعتنوا بهم ، بمعنى أنهم لن يضعوا فى سبيل الأباعد أبدا ، ويبرر الدكتور (ولفندن) أحد علماء الأحياء بجنوب فلوريدا بأمريكا يبرر ذلك السلوك بقوله : « إن ذلك الطائر أو الحيوان المضحى ينمى قدرته على العمل » ، ووجد الباحثون أن التفاسير غير المباشرة لا تكفى وحدها ، وأضافوا إليها عوامل أخرى تدفع بالمضحى للتخلى عن الإنجاب ، كما بدأوا يرون أن لهذه الحيوانات خططا جانبية ، يتوقف عليها اختيارها مساعدة الغير ، ألا وهو أنها تمت لها بصلة قرابة .

وعادة ما تكون الطيور المساعدة صغيرة نسبيا كما ينظر بعضها إلى الموسم الذى تقضيه فى الخدمة فى بيت أحد أقاربها على اعتباره مدة تلمذة وفترة تدريب تتعلم فيها الطيور العناية بالصغار تحت أكثر الظروف أمنا وملاءمة ، وأن الحيوانات تفضل المساعدة عندما لا تجد مناطق لإقامة أعشاشها الخاصة بها إما لشدة الازدحام بالأفراد المنافسة من أجناس أخرى أو لأن معظم الأماكن الضرورية ليست فى مأمن من الحيوانات المفترسة فهى لعبة انتظار ليس إلا ، يقضيها الصغار فى مساعدة

الكبار أملا فى موت عاجل يأخذ هؤلاء الأقارب تاركين لهم أماكنهم ليرثوها ، ولقد شاهد الأستاذ الدكتور (استرال) نوعا من الطيور يستخدم أسلوب التربية التعاونية ، وهو طائر غريب بطىء الحركة موطنه أمريكا اللاتينية يأكل الأوراق الخضراء ويهضمها هضما جيدا فى بطن تشبه بطن البقرة ، ويأخذ فى التسلق من نبات إلى آخر عن طريق مخالب مؤقتة فريدة من نوعها تبرز من أطراف أجنحته وتتوافر مآوى هذه الطيور فى جزر صغيرة توافرت لها سبل الحماية الجيدة فى الأماكن المعشوشبة والمستنقعات ، وقد أخذت هذه الطيور تتعارك وتتشاحن وتتخاصم .

كما تواجه الطيور قليلة الدربة من هذه النوعية أوقات عصيبة فى الاعتماد على نفسها ، يقول الدكتور (استراك) إن الأساس فى ذلك أن كل الطيور تضطر للانتظار عامين قبل أن تتحمل مسئولية التربية ، وأما إناث هذه الطيور ـ طبقا للنظام السائد ـ فتضطر لترك مسقط رأسها وتقضى أشهرا فى الطيران من مكان إلى آخر باحثة فى يأس عن فرجة فى فصيل أجنبى آخر .

أما فى أجناس أخرى فيقرر الصغار المساعدة فى العناية بالأقارب بغية أن يكون أولئك المواليد الجدد خدمهم وسدنتهم واللصقاء بهم عندما يتهيأ هؤلاء للتناسل ، ولقد قرر « د. ولفندن » الذى قضى ٢٣ عاما فى مراقبة عصفور من الأنواع الدنا أن الطيور تبذل ما فى وسعها فى الخدمة خصوصا عندما تكون أماكن التعشيش الأولية المجاورة غير مناسبة ، فعندما تكبر العصافير فى السن تحاول استخدام من ساعدتهم من الأقارب كجنود لشن حرب على الطيور الأخرى والاستيلاء على أوطانها ، ويضيف : أن الفكرة هى أن تربى وتنشىء جيشا لتنتفع بميزة هذا الجيش ، لكن الحال مع نوعيات أخر مختلف ، فالأستاذ « وزر » أستاذ علم الأحياء بجامعة « يوردو » قام ببحث التربية التعاونية بين أنواع من « النمس القزم » ، وهو أحد الثدييات الأفريقية فى حجم الفأر ، ويعود فى أصوله البعيدة إلى « ابن عرس » ويعيش فى مكامن النمل الأبيض المهجورة فى مجموعات يتكون كل منها من عشرين أو أكثر من الأقارب ، حيث يقوم زوج من البالغين بمهام التربية ، بينما يقوم الباقون بالأعمال الأخرى : كحراسة الجحور ، وإطعام الصغار وحماية الجراء ، والجدير بالملاحظة أن هذه الأمهات البديلات يقمن بدور المربيات ، فأثداؤهن تدر اللبن ، لإطعام الرضع ويقول « د. وزر » : إنه استثمار عادى للموارد .

فما أعجب مخلوقات الله ، وما أغرب تصرفاتها التى يظنها البعض منا خلقا ذميما بينما هى فى الحقيقة فطرة فطرها الله عليها توائم ظروفها ، وتناسب معيشتها .

■

موقف الإسلام

من الرياضات البدنية

للدكتور: عبد العزيز صلاح سالم•

لقد كان للإسلام وتعاليمه التى وضحها النبى - ﷺ - أكبر الأثر فى أن تتبوأ الألعاب الرياضية مكانة كبيرة عبر العصور الإسلامية، فقد ثبت أنه - ﷺ - مارس أنواعا مختلفة من الألعاب الرياضية، كما شجع، وحث أصحابه على ممارسة شتى أنواع الرياضات بحيث صار - ﷺ - المثل الأول والأعظم فى تاريخ الرياضة الإسلامية، ويعتبر الرياضى الأول فى الإسلام، حيث ثبت أنه - ﷺ - مارس رياضات العدو، والمصارعة، وسباقات الخيل والإبل، والرماية والسباحة، والمبارزة بالسيف والرمح، وغيرها من الرياضات، حتى صارت ممارسة الرياضة من الأمور الهامة فى كل مراحل عمر الإنسان، لدرجة أنها احتلت مكانا رفيعا لدى معظم الناس فى أوقات فراغهم وكانت مصدرا للصحة والنشاط والاستعداد للحروب.

١ - موقف الإسلام من رياضة السباق (العدو):

لم تكن رياضة السباق (العدو) جديدة على الإسلام، فقد ثبت أن النبى - ﷺ - سابق بنفسه على الأقدام، ومارس أصحابه أنواعا من هذا السباق بين يديه، وبتوجيه منه.

فقد روت السيدة عائشة أن النبى - ﷺ - كان يسابقها مباسطة لها، وتطييبا لنفسها، فقالت:

(سابقنى رسول الله - ﷺ - فسبقته، فلبثت إذ أرهقنى اللحم - أى سمنت - سابقنى فسبقنى، فقال: هذه بتلك)[1].

● مدرس الآثار والفنون الإسلامية بكلية الآثار - جامعة القاهرة.

(١) القرضاوى (الشيخ يوسف)، الحلال والحرام فى الإسلام، الطبعة الثالثة عشرة، المكتبة الإسلامية، ١٩٨٤ م، ص ٢٨٤.

وعن ممارسة الصحابة لتلك الرياضة فقد روى (سلمة بن الأكوع) قال : (أردفنى رسول الله ـ ﷺ ـ وراءه على العضباء راجعين إلى المدينة فبينما نحن نسير ، وكان معنا رجل من الأنصار لا يسبق فجعل يقول : ألا من مسابق إلى المدينة ؟ وأخذ يعيد ذلك فلما سمعت كلامه قلت : أما تكرم كريما ، ولا تهاب شريفا ، قال : لا إلا أن يكون رسول الله ـ ﷺ ـ قلت : يا رسول الله بأبى وأمى ذرنى أسابقه قال : إن شئت ، فذهبت إليه وسابقته وسبقته إلى المدينة)[٢] ، وكان الصحابة ـ رضى الله عنهم ـ يتسابقون على الأقدام والنبى ـ ﷺ ـ يقرهم عليه ويعدو معهم ، فقد روى أن النبى ـ ﷺ ـ يعجبه عدو أصحابه[٣] .

ومن أمثلة مسابقة الصحابة لبعضهم : يروى أن عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ سابق الزبير ابن العوام فسبقه الزبير ثم سابقه عمر مرة أخرى فسبقه عمر ، وقد حدث فى وقت الراحة فى موقعة اليرموك أن قال : القائد المسلم أبو عبيدة بن الجراح : من يسابقنى ؟ فقال له أحد الشباب المشتركين فى الموقعة : أنا إن لم تغضب ، وعندها فطن القائد المسلم لدور الرياضة فى رفع الروح المعنوية لدى جنوده[٤] .

ولقد بلغ من حب النبى ـ ﷺ ـ لرياضة العدو أن شجع وحث أصحابه على كل الوسائل التى تساعد على العدو فقد نصح ـ ﷺ ـ أصحابه بالمشى فى كثير من الحالات فيروى أنه قال : عندما شكا ناس إليه ـ ﷺ ـ فدعى لهم وقال : عليكم بالنسلان)[٥] .

ويمكن القول بأن رياضة العدو لم تكن حكرا على الرجال دون النساء ، بل أباحه النبى ـ ﷺ ـ للنساء شريطة فصل النساء عن الرجال كما تبين من الحديث الذى رواه الترمذى وأحمد وأبو داود[٦] .

أما عن رأى العلماء فى رياضة السباق (العدو) فقد اتفق العلماء على جواز المسابقة على الأقدام بأنه إذا كانت المسابقة بالخيل تدريبا على الفروسية ، والشجاعة فإن المسابقة على الأقدام فيها تمرين للبدن على الحركة والخفة والإسراع ، والنشاط وهو مطلوب فى الجهاد والحروب[٧] .

---

(٢) مسلم (ابى الحسن مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيرى) ، صحيح مسلم ، شرح محيى الدين ابى زكريا يحيى النووى ، القاهرة مطبعة حجازى ، بدون تاريخ ، جـ ٢ ، ص ١٨٢ ، ١٨٣ وابن حنبل (الإمام احمد) المسند ، شرح احمد محمد شاكر ، دار المعارف للطباعة والنشر سنة ١٣٦٥ هـ / ١٩٤٦ م ، جـ ٤ ، ص ٥٣ ، ص ٥٤ .

(٣) الفاكهى (زين الدين عبد القادر بن احمد بن على) مناهج السرور والرشاد فى الرمى ، والسباق ، والصيد ، والجهاد ، مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ٩٤ فروسية تيمور ، ورقة ٥١ .

(٤) امين انور ، مكانة التربية البدنية والرياضية فى الفكر التربوى الإسلامى ، كتاب غير دورى للدراسات والابحاث التربوية ، نوفمبر ١٩٨٥ م ، جـ ١ ، ص ١١ .

(٥) النسلان هو الإسراع فى المشى (راجع النهيشى نور الدين على ابن احمد بن ابى بكر ، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ، القاهرة ، مكتبة القدسى ، بدون تاريخ ، جـ ٥ ص ٢٦٧) .

(٦) هو الحديث الذى روته ام المؤمنين السيدة عائشة حيث امر رسول الله اصحابه بالتقدم إلى الامام.عندما تمت المسابقة بينها وبين النبى) (ابن حجر ، فتح البارى ، جـ ٦ ، ص ٨٥ ، ٨٦) .

(٧)ابن حجر (الإمام احمد بن على بن حجر العسقلانى) فتح البارى بشرح صحيح البخارى ، راجعه قطب محب الدين الخطيب ، دار الريان للتراث ، القاهرة ، الطبعة الاولى ١٤٠٧ هـ/ ١٩٨٦ م ، جـ ٦ ، ص ٨٥ .

ـ مؤلف مجهول ، مخطوط رمى القوس والنشاب وسبب رميه

٢ ـ موقف الإسلام من المصارعة :

لقد ثبت أن النبى ـ ﷺ ـ مارس بنفسه رياضة المصارعة فمن بين الأشخاص الذين صارعهم وصرعهم كان (ركانة)[٨] وأبو الأشدين[٩] فقد كان ركانة أشد رجال قريش ، خلا يوما برسول الله ـ ﷺ ـ فى بعض شعاب مكة فقال رسول الله ـ ﷺ ـ ياركانة ألا تتقى الله وتقبل ما أدعوك إليه ؟ قال : إنى لو أعلم أن الذى تقوله حق لاتبعتك ، فقال له رسول الله ـ ﷺ ـ : أفرأيت إن صرعتك أتعلم أن ما أقوله حق ، قال : نعم ، قال : فقم حتى أصارعك ، فقام إليه ركانة يصارعه فصرعه رسول الله ـ ﷺ ـ أكثر من مرة[١٠] .

ومن الأمثلة التى توضح ممارسة رياضة المصارعة بين يد رسول الله ـ ﷺ ـ ما روى عن عبد الحميد بن جعفر عن أبيه أن أم سمرة مات عنها زوجها ، وكانت امرأة جميلة فقدمت المدينة ، وعندما كانت تخطب كانت تقول : لا أتزوج إلا رجلا يتكفل لى بنفقة ابنى حتى يبلغ ، فتزوجها رجل من الأنصار وكان من عادة النبى ـ ﷺ ـ أن يعرض غلمان الأنصار فى كل عام فمن بلغ منهم بعثه ، وذات يوم عند عرض هؤلاء الغلمان عليه ـ ﷺ ـ مر عليه غلام فبعثه فى البعث ثم عرض عليه سمرة بعده فرده ، فقال له سمرة : يا رسول الله أجزت غلاما ورددتنى ! ولو صارعنى لصرعته ، قال ـ ﷺ ـ : فدونك فصرعته فأجازنى فى البعث[١١] ويمكن القول بأن رياضة المصارعة أصبحت دليلا على اختبار القوة زمن الرسول ـ ﷺ ـ .

وكذلك فمن الأمثلة التى توضح ممارسة صحابة الرسول ـ ﷺ ـ لرياضة المصارعة ما يروى عن فتى كان بالسوق ، وتميز هذا الفتى بالقوة ، وتحدث الناس عن قوته فى وجود عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ فما كان من عمر إلا أن قال : (أبهذا الفتى تخوفوننى ، ليس للخطاب ابن إن لم أصرعه لأول ما ألقاه) ، وعندما بدأت بينهم مباراة حامية التف حولها كل من فى السوق ، وترك عمر ذلك الفتى يحاوره ، ويحتال ليصرعه ، وهو لا يزال فى

= وسبب تعليمه وفيه من الكتاب والسنة ، مخطوط غير مؤرخ بدار الكتب المصرية رقم ١ فنون حربية م ، ورقة ٣٧ .
ــ اختلف الائمة فى جواز السباق بعوض فى قولين ، احدهما : لا يجوز وهو مذهب احمد ومالك ونص عليه الشافعى ، والثانى : يجوز وهو مذهب ابى حنيفة والشافعى ، وإن كان للشافعية فيها وجهان فحجة من منعه هو حديث ابى هريرة (لا يسبق إلا فى خف او حافر او نصل) وهذا يتعين حمله على احد معنيين إما ان يردن نفى السباق اى لا يجوز السباق إلا فى هذه الثلاث فيكون نفيا فى معنى النهى عن السباق فى غيرها إلا فى نفس السباق ، وإما ان يردن انه لا تجوز المسابقة على غيره بعوض فيكون نهيا عن المسابقة بالعوض فى غير الثلاث (الدمشقى الفروسية المحمدية ـ مخطوط ـ ورقة ٨) .

(٨) ركانة بن عبد يزيد بن هشام بن عبد المطلب بن عبد مناف ابن قصى بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب القريشى المطلبى (الدمشقى ، الفروسية المحمدية ، مخطوط ، ورقة ٩ ، ١٠) .

(٩) ابو الأشدين كليدة بن اسيد بن خلف الجمحى (الدمشقى ، الفروسية المحمدية ، مخطوط ، ورقة ١٠) .

(١٠) ابن هشام (ابى محمد بن عبد الملك بن هشام المعافرى) السيرة النبوية ، تحقيق د . محمد فهمى السرجانى ، دار التوفيق للطباعة بالأزهر ص ٢٥٩ ، وفى رواية اخرى تشير إلى ان ركانة اسلم وحسن إسلامه بعد هذه الواقعة (القرضاوى ، الحلال والحرام ، ص ٢٨٤) .

(١١) الدمشقى ، الفروسية المحمدية ، مخطوط ، ورقة ١٠ .

موقف المدافع حتى أحس أن قوى الفتى قد خارت ، فانقض عليه وركب أكتافه وألقاه أرضا ، ولا تزال هذه الطريقة معمول بها إلى الآن ، كما تعد من الطرق الناجحة التى تحقق لصاحبها التغلب على خصمه بعد استنزاف قواه ، وبذلك يعود فضل اختراع هذه الطريقة للمسلمين وليس للأوروبيين ، فقد كان عمر بن الخطاب مصارعا قويا ، ولكن لم تغن عنه قوته فى مصارعة سيف الله المسلول (خالد بن الوليد) حيث تغلب عليه فى منافسة شديدة أصيب فيها عمر بن الخطاب بكسر فى قدمه[١٢] .

٣ ـ موقف الإسلام من رياضة سباقات الخيل :

لقد كان للنبى ـ ﷺ ـ موقف واضح تجاه رياضة الخيل وهذا الموقف من جانب رسول الله ـ ﷺ ـ دفع بتلك الرياضة نحو الأمام ، فقد كان ـ ﷺ ـ يحب الخيل كثيرا ، ويسابق بها ويعطى السابق من الجوائز والهبات الكثير ، فيروى عن أنس بن مالك أنه قال : (لم يكن شيئا أحب إلى رسول الله ـ ﷺ ـ بعد النساء من الخيل)[١٣] ، ولقد ورد عن النبى ـ ﷺ ـ أنه قال : (الخيل معقود فى نواصيها الخير إلى يوم القيامة) وروى يحيى بن سعيد قال : كان رسول الله ـ ﷺ ـ يمسح وجه فرسه بردائه ، فقيل له فى ذلك ، فقال : إنى عوتبت فى الخيل[١٤] .

وعن مسابقة الرسول ـ ﷺ ـ بالخيل فعن ابن عمر ـ رضى الله عنهما ـ قال : (أجرى النبى ـ ﷺ ـ ما ضمر[١٥] من الخيل من الحفياء[١٦] إلى ثنية الوداع ، وأجرى ما لم يضمر من الثنية إلى مسجد بنى زريق ، وقال ابن عمر : وكنت فيمن أجرى[١٧] ويروى ـ أيضا ـ عن ابن عمر ـ رضى الله عنهما ـ أن النبى ـ ﷺ ـ سابق بين الخيل وراهن[١٨] وأعطى السابق[١٩] ، ويروى عن يعقوب بن زيد بن طلحة عن أبيه أنه قال : سابق النبى ـ ﷺ ـ بين الخيل اثنى عشرة أوقية فسبق فرس أبى بكر ـ رضى الله عنه ـ فأخذ أربعمائة وثمانين درهما[٢٠] ، وقد ورد عن أنس بن مالك ـ رضى الله عنه ـ قال : (قيل له هل كنتم تراهنون

(١٢) امين الخولى ، مكانة التربية البدنية ، ص ١١ .

(١٣) ابن رسلان (سراج الدين عمر بن رسلان البلقينى) قطر السيل فى امر الخيل ، مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ٩ فروسية تيمور ، ورقة ٢٢ .

(١٤) جاء فى رواية اخرى انها : إن جبريل بات يعاتبنى الليلة فى آداب الخيل ، الدمشقى ، الفروسية المحمدية ، مخطوط ، ورقة ١٥ ، ١٦ .

(١٥) ضمر : بسكون الضاد المعجمة ومعناها معالجة الخيل عن طريق تقليل علفها ثم تدريبها تدريبا شاقا حتى يجف عرقها ويخف لحمها وتقوى على الجرى (ابن منظور ، لسان العرب ، مادة ضمر) .

(١٦) الحفياء : بفتح الحاء المهملة وسكون الفاء وما بعدها وهو مكان يقع خارج المدينة (ابن رسلان ، قطر السيل ، مخطوط ، ورقة ٢٣) .

(١٧) ابن حجر ، فتح البارى ، جـ ٦ ، ص ٨٤ .

(١٨) السيوطى ، سنن النسائى ، مكتبة النهضة ، بدون تاريخ ، جـ ٦ ، ص ٢٢٥ .

(١٩) ابن حنبل ، المسند ، جـ ٨ ، ص ٥٦٦ .

(٢٠) ابن هذيل (على بن عبد الرحمن) حلية الفرسان وشعار الشجعان مخطوط ، بدار الكتب المصرية رقم ٧٠ فروسية تيمور ، ورقة ٤٥ .

على عهد رسول الله ـ ﷺ ـ ؟ قال : نعم ، والله لقد راهن على فرس يقال له سبحة ، فسبق الناس فبش ـ ﷺ ـ بذلك وأعجبه) ويروى كذلك عنه أنه سابق بين الخيل وفضل القرح[٢١] فى الغاية [٢٢] وبذلك يمكن القول بأن النبى ﷺ سابق بين الخيل وجعل بينها سبقا وجعل للسابق على سبقه[٢٣] كما أنه سابق بين الخيل على حلل من اليمن فأعطى السابق ثلاث حلل والمصلى حلتين والثالث حلة والرابع ديناراً والخامس درهما والسادس قصبة وقال ـ ﷺ ـ : بارك الله فيك وفى كلكم وفى السابق والفسكل[٢٤] ، ومن الأدلة على أن رسول الله ـ ﷺ ـ سابق بنفسه وفاز فى السباق ما يروى عن سعادة وسرور أن النبى ـ ﷺ ـ عندما فاز فرسه فى السباق ، فعن مكحول أن رسول الله أجرى الخيل يوما فجاء فرس له (أدهم) سابقا ، وأشرف على الناس ، فقالوا : الأدهم ، وجثا رسول الله على ركبته ، ومر به ، وقد انتشر ذنبه ، وكان معقودا ، فقال رسول الله ـ ﷺ ـ (إنه لبحر)[٢٥] وفى رواية أخرى (إنه لسابق)[٢٦] .

أما عن طريقة ممارسة سباقات الخيل زمن رسول الله ـ ﷺ ـ فقد كانت تحدث كالآتى : كان يكلف الرسول علىّ بن أبى طالب كرم الله وجهه بتنظيم (السبقة) وهو سباق الخيل ، ويختار علىٌّ سراقة بن مالك ليكون مديرا لحلبة السباق والآذن بالبدء ، ثم يشرح له كيف يتيح لكل فارس أن يصلح لجامه ، وكيف يعد ثلاث تكبيرات لتكون إشارة للبدء ، ويكون على ـ كرم الله وجهه ـ فى نهاية السباق حيث يخط خطًا لتحديد نهاية السباق ، كما يعين حكمين متقابلين زيادة فى الحيطة والحيدة ، بحيث يجعل الخط طرفه بين إبهامهما ، فإذا مرت الخيل بالرجلين استطاعا تحديد الفائز[٢٧] بدقة فإذا تساوى فارسان قسمت الجائزة مناصفة بينهما ، كما نهى عن الصخب والجلبة[٢٨] والألفاظ الجارحة فى السباق[٢٩] وعن جواز المسابقة بين الخيل فهى جائزة بشرط وجود فرس محايد ضمن خيول السباق ، ويسمى هذا الفرس (محللا) فيروى عن أبى هريرة أن النبى ﷺ قال : (من أدخل فرسا بين فرسين ـ يعنى وهو لا يؤمن أن يسبق فليس بقمار ، ومن أدخل

(٢١) القرح : جمع قارح وهو ما دخل من السنة الخامسة من الخيل (ابن منظور ، لسان العرب ، مادة قرح) .
(٢٢) الدمشقى ، الفروسية المحمدية ، مخطوط ، ورقة ٢٥ .
(٢٣)الفاكهى ، مناهج السرور والرشاد ، مخطوط ، ورقة ٥٣ .
(٢٤) الفسكل : الفسكل ، والفسكول ، والفسكول : هو الذى يجىء فى اخر الحلبة ويكون اخر الخيل وصولا إلى خط النهاية (ابن منظور ، لسان العرب ، مادة فسكل ، ابن رسلان ، قطر السيل مخطوط ، ورقة ٢٣) .
(٢٥) ابن هذيل ، حلبة الفرسان ، مخطوط ، ورقة ٤٥ .
(٢٦) البجيرمى (الشيخ البجيرمى الشافعى الأزهرى) ، رسالة فى أوصاف الخيل ، مخطوط محفوظ بدار الكتب المصرية رقم ١٥ فروسية تيمور .
(٢٧) كان يقال للفائز حاز قصب السبق : وذلك لانهم كانوا يضعون هذه الجائزة على طرف الغاية ، نهاية السباق ، التى يتسابقون إليها ، وكانت توضع على راس قصبة من قصب الرماح (امين الخولى ، مكانة التربية ، ص ٤ ، ٥) .
(٢٨) امين الخولى ، مكانة التربية البدنية ، ص ١٣ .
(٢٩) والجدير بالذكر ان مثل هذه الامور ما يزال معمول بها فى المسابقات الدولية الآن .

فرسا بين فرسين ، وقد أمن أن يسبق فهو قمار)[٣٠] .

٤ ـ السباق بين الإبل :

لقد ثبت أن النبى ﷺ كان يسابق بين الإبل ، فعن أنس ـ رضى الله عنه ـ قال : (كان للنبى ناقة تسمى العضباء لا تسبق أو لا تكاد تسبق ، فجاء أعرابى على قاعود فسبقها ، فشق ذلك على المسلمين ، حتى عرفه النبى فقال : (حق على الله أن لا يرتفع شىء من الدنيا إلا وضعه) .

وبذلك يمكن القول أن المسابقة بين الإبل جائزة لأن فيها تمرين على الفروسية والشجاعة[٣١] .

---

(٣٠) ابو داود (سليمان بن الاشعث السجستانى الأزدى) سنن ابى داود ، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد ، القاهرة ، المكتبة التجارية ، سنة ١٩٥٤ م ، ١٩٣٥ م ، جـ ٣ ـ ص ٣٠ .
ـ وقد انحسر رأى الفقهاء بين الجواز والمنع ، ففى حالة الجواز هو ان يسبق الوالى سبقا يجعله للسابق ولا يكون له فرس فى الحلبة فمن سبق فهو لهم وكذلك لو اخرج اسباقا اخذها للسابق والثانى للمصلى والثالث للتالى وهذا جائز ، اما حالة المنع فهو ان يخرج كل واحد من المتسابقين سبقا ومن سبق منهم اخذ سبقه وسبق صاحبه وامسك الذى له وهذا قمار عند مالك والشافعى (راجع : ابن حجر ، فتح البارى ، الجزء السادس ، ص ٨٥ ؛ السيوطى ، سنن النسائى ، جـ ٦ ، ص ٢٢٦ ؛ الدمشقى ، الفروسية المحمدية ، ورقة ١١) .

(٣١) ابن حجر ، فتح البارى ، جـ ٦ ، ص ٨٦ ، ابن رسلان ، قطر السيل ، مخطوط ، ورقة ٢٥ ، ٢٦ .

اللغة والأدب والنقد

من طبقات المحققين

على عبد العظيم

لفضيلة الشيخ: السيد إبراهيم الجميلى

علماء من مصر

لفضيلة الشيخ
عبد الحفيظ فرغلى على

دوحة الكتب

للأستاذ: محمود الفشنى

طبقات المحققين والمصححين
الأستاذ البحّاثة
على عبد العظيم
"رحمه الله - ١٩٠٩-١٩٨٤م"

أ . د السيد إبراهيم الجميلى

لا ريب أن التأليف والتصنيف والتحقيق من أشق وأعصى وأعنف الفنون الفكرية ، وأعقدها على الإطلاق .

لذلك فنحن مطمئنون تماما إلى أن الإنسان أو المرء بخير وعافية ، ما لم يؤلف كتابا ، أو يحرر مقالا .

قال ابن العماد الأصفهانى الحنبلى (صاحب شذرات الذهب) : « إنى رأيت أنه لا يكتب أحد كتابا فى يومه إلا قال فى غده : لو غير هذا لكان أحسن ، ولو زيد هذا لكان يستحسن ولو قدم هذا لكان أفضل ، ولو ترك هذا لكان أجمل ، وهذا من أعظم العبر . . . وهو دليل على استيلاء النقص على جملة البشر » أهـ .

هذه الخواطر تحضرنا عندما تتراوحنا المشاق والمصاعب والجهد والعنت فى تأليف الكتب وتحقيق النصوص ، وتصحيح تجارب الطباعة . . . ومهما قيل وزيد فإن أحدا لا يمكن أن يتصور على الحقيقة الجهود المضنية المبذولة فى هذا الصدد .

من ثم كان التأليف والتحقيق أمرا شديد التوعر والتعذر ، ما لم يكن المؤلف ، أو المحقق مطويا على رغبة فطرية على ذلك ، فإن الحب يسرى عن المحب الولهان مما يجعل الشعور بالإرهاق والضنى مستطابا . . . كما أن العمل ذاته يكون بريئا من الاستكراه والاستدعاء والتعقيد الشائه المشين .

ο ο ο

هذا رجل اهتلكت عليه ، وانثالت على رحابه

كل مناقب الإنسانية فى أرقى وأمثل صورها . . . فقد كان مثلا حيا مضروبا للمثالية ، التى قعدت إزاءها كل صفات الحسن والمروءة .

إنه الشيخ البحاثة ، العالم ، المؤلف ، الأديب الشاعر ، المحقق ، المرحوم / على محمد عبد العظيم . . . ولد - رحمه الله - سنة تسع وتسعمائة وألف من الميلاد فى قرية تابعة لمدينة دسوق بكفر الشيخ بمصر العربية المحروسة .

حفظ على عبد العظيم القرآن الكريم فى صباه الباكر ، فى الريف الطيب ، ثم التحق بالأزهر الشريف الذى انطوى له على حب عارم - كما حكى لى رحمه الله فى بيته فى مناسبات عديدة متفرقة - إذ ذكر أن أباه وجده - رحمهما الله - كانا أزهريين ، وقد نهل كلا الرجلين من الينابيع السائغة للأزهر .

كان طبيعيا أن يرى على وهو صغير ألفية ابن مالك مع شرح الأشمونى على الألفية ، وكتب ابن هشام ومتفرقات عديدة شتى من كتب الفقه والأصول واللغة ، ودواوين الشعراء القدامى على مختلف هوياتهم ومشاربهم .

بعد أن فرغ من حفظ القرآن الكريم واستظهاره صبيا ، وبعد أن رأى السبيل ذلولا أمامه إذ أن نشأته فى بيت علم وفضل مع وجود مختلف الكتب والمراجع فى متناول يديه - نهل من الثقافة العامة بغير حدود ، مع استظهار القرآن وتجويده .

بيد أن عليا - رحمه الله - لما آنس من نفسه قدرة استيعابية فائقة ، فضلا عن ميل شديد للعلوم العصرية من رياضية وعلمية رأى أن ينتهج ويسلك طريقا علمية ولذلك السبب اجتذبته دار العلوم ، فإنه فضلا عن إشباع رغبته فى التزود من العلوم العصرية من رياضة وكيمياء وفيزياء وأحياء وغيرها لن يبعد عن الأزهر فى نفس الوقت إذ أن الأزهر والأزهريين إذا دخل قلب المخلص الوامق المحب فلا يمكن أن يخرج منه بحال . . . وكيف ذلك وأساتذة دار العلوم كانوا أزهريين من علماء الأزهر ومدرسة القضاء الشرعى .

لذلك التحق على بالقسم الثانوى بمدرسة دار العلوم القديمة ، التى كانت فى أول شارع المبتديان ، وفيها درس العلوم الدينية ، واللغوية ، والعلوم ، والرياضة الحديثة ، والاقتصاد السياسى ، ومبادىء اللغة الإنجليزية .

أما فى القسم العالى بدار العلوم ، فدرس فيه علوم التفسير ، والحديث ، وسائر العلوم الدينية ، فضلا عن علم النحو والصرف ، والأدب ، وفقه اللغة ، والنقد الأدبى ، والتاريخ الإسلامى ، ومبادىء اللغتين العبرية والسريانية .

وفى دار العلوم تبلورت شخصية على

عبد العظيم إذ ظل ينهل بشغف ولهفة من العلوم والآداب مشغوفا ومنهوما لا يشبع ، لا ينقع له غليل ، ولا تشبع له نهمة حتى تخرج فيها حاصلا على إجازتها العالية وعمل مديرا لإدارة الوثائق والمكتبات بوزارة الأوقاف ثم رئيسا للقسم الأدبى بدار الكتب المصرية ، ورئيسا لقسم المخطوطات بها .

ثم خبيراً فنيا ومستشاراً للأزهر بمجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف .

أحيل على عبد العظيم إلى المعاش فى الثلاثين من شهر مارس سنة تسع وستين وتسعمائة وألف للميلاد عن عمر يناهز ستين عاما .

بلغ معاشه الشهرى فى ذلك الوقت ١٤٦,٠٩٨ (مائة وستة وأربعين جنيها وثمانية وتسعين مليما لا غير) رقم ملف معاشه ١٣/٢٠٢٦٧ تقاعد .

تزوج رحمه الله تعالى مرتين ، ولم يعقب .

○ ○ ○

فى منزله الكائن بناحية مصر القديمة (رقم ٩٥٥ شارع كورنيش النيل) كان مستقر ومنتجع هذا العالم الجليل ، ومكتبته العامرة المأهولة . . .

كانت أهم سماته ، ومخايل شخصيته ، الهدوء والوقار ، وخلوص النية ، وسلامة الصدر ، وطهارة الطوية ، من أرجاس الهوى ولم تكن خلاله الطيبة تخفى على أحد من عارفيه ومريديه .

كان ـ رحمه الله ـ سرى الأخلاق ، أريحى الشمائل ، كريم المخبر والمسبر ، صدوق المعجم ، يجول فى غرته ماء الكرم ، ويفوح من أردائه وأعطافه عرف السخاء والجود والندى ، هكذا عرفته سنين طوالا مديدة .

كان مصوغا من معدن العتق والنفاسة ، بقية الكرام الأشاوس ، وتلية الأحرار ، وخلاصة الحسب سجيح الأخلاق ، خافض الجناح ، سبط اليدين ، سمح الكفين ، سبط الأنامل ، ندى الراحة ، رحيب الصدر ، فسيح البال ، طويل الباع ، بسيط الكف ، خصيب المنادح ، مخضوضل المسارح ، غمر النقيبة ضافى النوال ، كثير التطول والإفضال ، جم المبرات كثير الصلات ، كريم المعتصر سمح المقادة . كان ساكن الريح والقطاة ، واقع الطائر ، لا يستخفه غضب ، ولا يروعه ويصدع صفاته وحلمه رائع .

هذا الطود الراسخ لا تقلقله العواصف ، والبحر لا تكدره الدلاء .

أنفقت معه ساعات طوالا فى مكتبته العامرة المأهولة كنا نبحث ونصول ونجول من مصدر إلى مصدر ، ومن مرجع إلى مرجع دون أدنى ملل أو كلل أو سآمة .

كنت أعتبره بقية السلف الصالح . . . إذ كان ورعه وتقواه وتواضعه وعلمه ليس محتاجا إلى دليل . . . وكان الجميع يعرف له فضله ومنزلته اعتبارا من رئيس الجمهورية والإمام الأكبر شيخ الأزهر وآحاد أبنائه من الباحثين والدارسين معلمين كانوا أم متعلمين .

كنت أصحبه فى زياراته لشيخ الأزهر السابق رحمه الله وأرى احترامه له وتقديره الفائق وذات مرة قال لى الشيخ جاد الحق فى مكتبه : إن الأستاذ على عبد العظيم ليس أستاذا لنا فحسب ، ولكنه بمثابة والد لنا جميعا .

لقد دفعت به الهمة إلى القمة ، وإلى مقام سنى رفيع بين جيله ومعاصريه .

حقق وألف كثيرا من الكتب ، بل إن رسالته للماجستير كانت فى تحقيق ديوان ابن زيدون ، كما صنف كتابا عن محبوبته ولادة بنت المستكفى

وقد وضع كتاب : « ابن زيدون ، عصره وحياته وأدبه » وقد أشار إليه الزركلى فى الأعلام ، عند ترجمته لابن زيدون (أحمد بن عبد الله) انظر الأعلام ١٥٨/١ الطبعة السابعة مايو ١٩٨٦ .

ولكونه محبا للأزهر عاشقا له ، فقد صنف أجل وأهم كتاب وهو مشيخة الأزهر ، منذ إنشائها حتى الآن فى جزءين ، ترجم فيه لمشايخ الأزهر تراجم وافية دقيقة وقد عانى رحمه الله فى سبيل ذلك الجهد المشكور ماعاناه ، ولاقى ما لاقاه فى جمع المادة العلمية .

ο ο ο

كان على عبد العظيم شديد الولوع والنهم بالقراءة ، وكان أديبا شاعراً ، فكان ينظم شعر السليقة بفطرية جميلة مليحة ، لا صناعة ولا استكراه فيها ، فإنك لتقرأ أشعاراً رصينة لا هى مستكرهة ، ولا مستدعاة ، ولا هى سطحية المعنى لكن ألفاظها منتقاة ، ومعانيها مبتكرة عميقة الأفكار قوية البناء متماسكة اللبنات شاعرية رقيقة مطبوعة ...

وقد تفضل - رحمه الله - بكتابة ثلاث مقدمات لثلاثة كتب من تأليفى وتحقيقى ، أشاد فى كل منها بأعمال وصنيع تلميذه ومحبه .

لم يكن يكاد يمر يوم أو يومان إلا وأشعر أنا وأولادى بالاستيحاش ، فقد مرت أربع وعشرون ساعة أو ثمان وأربعون ساعة لم نر فيها شيخنا الجليل وأهله ، فلقد كان بالنسبة لنا نبراسا لا يستغنى عنه .

أذكر أنه دهمتنى بلية ، وكارثة فوق الاحتمال ، وكنت مشفقا عليه من سماع هذا الخبر المفجع لأنى أعرف عنه شيئين : الأول : رقة الشعور ورهافة الحس من ناحية ، والثانى : مدى تعلقه بى وارتباطه النفسى والوجدانى بتلميذه ...

أخذتنى حيرة شديدة ... إذ أنه لابد أن يعرف جلية الأمر ... بل إن الأمر كان شديد الخطورة فلو أننى كتمته عنه ، فإنه سيعرفه من غيرى ، أو من وسائل الإعلام فى ذلك الوقت ... فعمدت إلى التمهيد لذلك مقدما التبريرات والتسويغات التى تجعل أى إنسان مستهدفا من قسوة الأيام وغرضا وهدفا للسهام من أعدائه ... ففى صباح يوم من تلك الأيام قرأت أمامه من شعر عبيد بن أيوب :

كأن بلاد الله وهى عريضة
على الخائف المذعور كفة حابل
يؤدى إليه أن كل ثنية
تيممها ترمى إليه بقاتل

فنظر متأملا ثم قال :

إن هناك رواية أخرى تقول : (الخائف المطلوب) ؛ فيكون البيت الأول لذلك :

كأن بلاد الله وهى عريضة
على الخائف المطلوب كفة حابل

وسألتنى زوجتى : هل عرف الشيخ « على » ماحدث ؟

فقلت : لا . ثم بعد برهة ذكرت له قول الشاعر :

قد ينعم الله بالبلوى وإن عظمت
ويبتلى الله بعض الناس بالنعم

فقال : الله ... الله ... وفى هدوء معهود أمسك بالقلم وسطر هذا البيت .

فأردت أن أبعث إليه برسالة ثالثة فى مواجهته فقلت قول الشاعر :

وهبك اتقيت السهم من حيث يتقى
فكيف بمن يرميك من حيث لا تدرى

ثم عقبت بقول الشاعر الآخر :

وحذرت من أمر فمر بجانبى
لم ينكنى ولقيت ما لم أحذر

الآن قال لى متسائلا : ما الذى حدث ياسيد ؟ لم يكد يسأل عن الأمر حتى حكيت له كل شىء من غير مواربة . . . وإذا به ينظر ذاهلا مروعا مأخوذاً مكسوراً فى ذرعه ، مأتيا عليه من هول ما تساقط إلى سمعه . . .

وأردت أن أدفع عنه هذا الهول أو الاستهوال الشنيع حتى أكسر من حدة الروع الذى انتابه ، فقلت له على سبيل التأكيد على جلادتى وسعة صدرى ، واتساع صبرى واحتمالا لكل مرقوب ، ولأى متوقع ، فقلت له وأنا أبتسم ابتسامة شاحبة باهتة مصنوعة ، يقول الطرماح بن حكيم :

لقد زادنى حبا لنفسى أننى
بغيض إلى كل امرىء غير طائل .

فقال - رحمه الله - : لقد أصعقتنى ياسيد ، ولكن ثق تماما أن الله سبحانه وتعالى سيكشف عنك الضر ، وسأدعو لك فى كل صلاة . . .

○ ○ ○

الليلة الأخيرة ، كانت ليلة ليلاء ، إذ أنه كان قد عانى من تدهور مفاجىء فى صحته ، تلاحقت مع الأيام القلائل التى سبقت الرحيل ، فقد كان مريضا بالسكر ، ولم يكن مستطاعا دفع المقدور إذا حانت ساعة الرحيل . . . وقد شعرت بدنو أجله ، وكان شيخ الأزهر رحمه الله - قد أمر بنقله فورا إلى مستشفى الحسين الجامعى . . . وشعرت أن النهاية المحتومة صارت وشيكة ، ففى تلك الليلة ذهبت وأهلى لزيارته فى المستشفى ، وكانت صحوة ما قبل الموت . . . إذ تكلم معنا ، وأشار إلى ابنتى « دعاء » وكانت صغيرة آنذاك ، ومسح جبينها بيده وقال : « اللهم بارك فيها ، واحفظها واجعلها من الصالحين » .

سألته عما يريد ، فقال : الحمد لله ، ربنا يوفقك . . .

وانصرفنا فى تلك الليلة وهى ليلة الحادى والعشرين من نوفمبر سنة أربع وثمانين وتسعمائة وألف للميلاد .

بيد أننا أخبرنا فجأة فى اليوم التالى بوفاته ، ودفنه ، ويبدو أن الحالة دهمت الحضور وأهله ، فلم يتمكنوا من الاتصال بنا فلم نحضر الوفاة ، ولا الدفن .

وهرعت إلى بيته فوجدت كوكبة من علماء الأزهر على رأسهم المرحوم الدكتور الحسينى هاشم وكيل الأزهر الأسبق ، والمرحوم الشيخ مهدى عبد الحميد مدير الإعلام ، والشيخ عبد الهادى السيد العجيل والدكتور إبراهيم البطاوى وغيرهم وغيرهم . . . وصلينا عليه صلاة الغائب فى مسجد مصر القديمة بالقرب من بيته .

وما تنفع الآداب والعلم والحجى
وصاحبها عند الكمال يموت

كان على عبد العظيم يحتوى فى داخله قلب طفل برىء ، وعقل فهامة أريب ، وهذا هو طبعه ، وهذه هى سجيته المجبول عليها . رحم الله على عبد العظيم .

وليس بأوسعهم فى الغنى
ولكن معروفه أوسع
يروم الملوك مدى فضله
ولا يصنعون كما يصنع

○ ○ ○

فى ضوء القمر ، فى شرفة بيته المطلة على النيل ، جلست أستمع إليه يحكى لى عن ذكرياته البعيدة والقريبة ، وكان مما ذكره على خطورته

وشناعته يدل بلاريب على توفيق الله تعالى له وحفظه إياه .

ومن اللافت للنظر أنه كان يستمتع بذاكرة رهيبة إذ يذكر تفاصيل الوقائع من عشرات السنين بكل دقائقها ، وكأنها ماثلة بين عينيه .

من الكثير المثير الذى حدثنى عنه فى تلك الليلة أن هناك مؤامرة حيكت فى الظلام لنفر من الأبرياء للنكاية بهم ، والتنكيل بأشخاصهم ، فاتهموا بأنهم يخططون لمؤامرة القيام بانقلاب عسكرى للنظام القائم وقتذاك ، وكان من ضمن قائمة المتهمين نفر كبير من الشيوعيين .

ما إن عرض موضوع المؤامرة على الرئيس الراحل محمد أنور السادات ـ رحمه الله ـ حتى أمر فوراً بعرض جميع الوثائق والتحريات عليه شخصيا ؛ لينظر فيها بنفسه قبل كل شيء ؛ فإن شيئا كهذا لا تهاون ولا تقاعس فى النظر إليه بمنتهى الحزم والصرامة .

وكان بدهيا أن تكون أول المستندات والوثائق بادى الرأى قائمة أسماء المتهمين ، وبينما أخذ الرئيس يقرأها حتى وقع بصره على اسم المتهم « على عبد العظيم » وإذا به (أى : الرئيس) يستغرق فى الضحك بصوت مرتفع ، ثم يقول : عـلى عـبـد الـعـظيـم . . . عـلى عبد العظيم . . . !!! . .

ثم جمع كل الأوراق وطوح بها وهو يقول : إن أكبر دليل على تزييف القضية وافتعالها ، وتلفيقها هو إدراج اسم على عبد العظيم متهما فيها . . . ثم قال : إن على عبد العظيم ليس شيوعيا ، ولا يمكن أن يكون كذلك ، وأمر فورا بحفظ الأوراق وقرر أن الموضـوع بذلـك أصبح منتهيا . . .

رحم الله على عبد العظيم رحمة واسعة وسقى قبره بشآبيب الرحمة والرضوان ، وأسكنه الفردوس الأعلى من جنات النعيم ، وسلام عليه فى الصالحين ، والحمد لله رب العالمين .

من مؤلفات وتحقيقات على عبد العظيم :

ـ « إن الدين عند الله الإسلام » .
ـ « مشيخة الأزهر منذ إنشائها حتى الآن » مجلدان .
ـ « الأزهر تاريخه وتطوره » سنة ١٩٦٤ م الباب الخامس بالاشتراك مع الأستاذ سيد أبو المجد .
ـ « فلسفة المعرفة فى القرآن الكريم » .
ـ « فى ملكوت السموات والأرض » .
ـ « الإيمان بالغيب » .
ـ « ابن زيدون ، عصره وحياته وأدبه » .
ـ « ديوان ابن زيدون » .
ـ مقالات وبحوث ، ودراسات بمجمع البحوث الإسلاميةوتحقيقات لم نقف على كثير منها أو أصوله .

إليك أيها الشيخ الجليل فى حياتك البرزخية أعتذر لك عن تقصيرى ، فهذا جهد المقل . . .

لقد كتبت عن مشايخ الأزهر بعلمك الواسع ، وقلمك المشحوذ ، عساى أن أكون بما كتبت عنك فى هذه الدراسة اليسيرة ـ قد أديت شيئا مما هو واجب على ، وحق لك !!

هذا مع اعترافى بالتقصير ، وقلة البضاعة ، والحيلة إذا ما قورنت بعملاق ترك بصماته ، وآثاره الجليلة الخالدة ، على مر الأيام ، نسأل الله أن يجعله مرضيا فى الآخرة كما كان مرضيا فى الدنيا ، وسلام على الصادقين وسبحان ربك رب العزة عما يصفون ، وسلام على المرسلين ، والحمد لله رب العالمين .

علماء من مصر

لفضيلة الشيخ / عبد الحفيظ فرغلى على القرنى (١)

منزلة مصر العلمية :

لا يجهل أحد منزلة مصر العلمية ، وقد قيضها الله ـ تعالى ـ لحمل رسالة الإسلام السامية منذ فتحت مصر فى عهد عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ سنة عشرين من الهجرة على يد الفاتح العربى عمرو بن العاص ، ومعه نخبة ممتازة من أجلاء الصحابة . . ـ رضوان الله عليهم ـ .

منذ ذلك الوقت نهضت مصر لرسالتها العظيمة ، وكان لمسجدها العتيق الذى أنشأه الفاتح العظيم فى الفسطاط دور كبير فى نشر العلم والثقافة الإسلامية ، وتخريج المئات من العلماء الأجلاء الذين أناروا الزمن ، وأضاءوا الآفاق عبر القرون التى تلت الفتح ، حتى تم إنشاء الأزهر المعمور الذى تلقف الراية ، وحمل المشعل ، واضطلع بالمهمة الجليلة التى اختاره الله لها ، ووفقه فيها ، وتخرج فى أروقته آلاف العلماء الذين ملأوا المشرق والمغرب نوراً وهداية ومعرفة ، وكانوا إلى جانب ذلك « أبطالاً فى الجهاد ، وأسودا فى الكفاح والنضال والجهر بكلمة الحق ودفع الظلم .

وقد أشار إلى ذلك أمير الشعراء أحمد شوقى فى قصيدته التى قالها بمناسبة إصلاح الأزهر الشريف سنة ١٩٢٤م ، وجاء فيها :

واخشع مليا واقض حق أئمة
طلعوا به زُهرا وماجوا أبحرا
كانوا أجل من الملوك جلالة
وأعز سلطانا ، وأفخم مظهرا
من كل بحر فى الشريعة زاخر
ويريكه الخلق العظيم غضنفرا

يا معهداً أفنى القرون جداره
وطوى الليالى ركنه والأعصرا
ومشى على يبس المشارق نوره
وأضاء أبيض لجها والأحمرا
وأتى الزمان عليه يحمى سنة
ويذود عن نسك ويمنع مشعرا
الصارخون إذا أسيء إلى الحمى
والزائرون إذا أغير على الشرى
لا العاجزون الجاهلون ولا الألى
يمشون فى ذهب القيود تبخترا

علماء فى كل فن:

ولو أردنا أن نحصى العلماء الذين نبغوا فى مختلف الفنون ، وتخرجوا فى رحاب المسجد العتيق أو رحاب الجامع الأزهر لطال بنا المقام وأعيانا الحصر ، ولكن حسبنا أن نشير إلى بعض هؤلاء الأعلام الأجلاء من أبناء مصر الإسلامية العربية العريقة ، الذين سعد بهم الإسلام ، ونهض بهم العلم ، واتسع بهم أفق الحضارة الإسلامية والعربية المجيدة . ومنهم من ظل لامعاً فى أفق التاريخ ، ومنهم من أفاء عليهم الأمد ظله دون أن ينسى فضله أو يجحد جهده ، وواجبنا ننقب عن هؤلاء لنعيد ذكراهم إلى الأذهان وليعلم عنهم الناس فى عصرنا ما جهلوه ويشكروا لهم ما فعلوه .

رواد العلم فى مصر:

ولا ينبغى أن ننسى أن رواد العلم فى مصر كانوا صحابة فضلاء ، ارتووا من معين النبوة الصافى ، من أمثال : عبدالله بن عمرو بن العاص صاحب الصحيفة الصادقة ، وهى أول صحيفة دُون فيها حديث النبى - صلى الله عليه وسلم - بموافقة منه ، جاء فى مسند الإمام أحمد جـ ٣ ص ١٦٢ عن عبدالله بن عمرو قال : قلت يا رسول الله : أكتب ما أسمع منك فى الرضا والغضب ؟ قال : « نعم فإنى لا أقول إلا حقاً » ، وذكر ذلك ابن الأثير فى أسد الغابة فى ترجمة عبدالله بن عمرو بن العاص جـ ٣ ص ٣٤٩ .

وقد ذكر الإمام السيوطى فى كتابه : « در السحابة فيمن دخل مصر من الصحابة » مئات من هؤلاء الأجلاء ، منهم من أقام بمصر إقامة دائمة حتى وافاه الأجل فيها ، ومنهم من أقام بها ردحاً من الزمن ثم رحل عنها بعد أن روى عنه الناس ماكان يحفظه من حديث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - .

ويعد السيوطى أول من وضع معجماً دقيقاً لهؤلاء الصحابة الذين وفدوا على مصر مرتباً على حروف المعجم ، وإن كان غيره ممن ترجم للصحابة أشار إلى ذلك فى معجمه إشارة عابرة ، كما فعل ابن الأثير فى أسد الغابة ، وابن عبدالبر فى الاستيعاب ، والحافظ بن حجر فى الإصابة . . وقد ترجم ابن سعد فى طبقاته الكبرى فى المجلد السابع لاثنين وثلاثين صحابياً كانوا فى مصر .

وممن توفى من الصحافة فى مصر عمرو بن العاص القائد الفاتح ، والذى تولى إمرتها فى عهد عمر بن الخطاب ، ثم فى عهد معاوية بن أبى سفيان ، وقد توفى فى مصر سنة ٤٣ هـ .

وبعده ابنه عبد الله بن عمرو الذى توفى فى مصر سنة ٧٧ هـ كما يقول ابن سعد فى طبقاته .

وعقبة بن عامر الجهنى الذى توفى سنة ٥٨ هـ وغيرهم كثير .

ومن جاء إلى مصر من الصحابة عبدالله بن عمر بن الخطاب وعبدالرحمن بن أبى بكر الصديق ، وعبدالرحمن بن العباس بن عبدالمطلب وأخوه عبدالله بن العباس حبر هذه الأمة ، والملقب بالبحر لسعة علمه ، وعبدالله بن أبى سرح الذى كتب الوحى لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - ثم تعرض لفتنة تاب منها وأناب ، ورضى عنه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ثم تولى إمرة مصر فى عهد عثمان - رضى الله عنه - وكثرت فتوحاته فى أفريقيا ، ثم وافاه الأجل فى أثناء الصلاة استجابة لدعوة دعاها ، فكان هذا من علامات حسن الختام .

ومن الذين وفدوا إليها أيضاً الزبير بن العوام أحد العشرة المبشرين بالجنة ، والملقب بحوارى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهو ابن عمته صفية بنت عبدالمطلب - رضى الله عنهما - .

وأبو ذر الغفارى ، ونبهة بن صواب ، ومحشمة ابن حمزة ، وأبو بصرة ، وهؤلاء الأربعة قاموا بمهمة الإشراف على بناء المسجد الجامع ومدينة الفسطاط عقب الفتح الإسلامى وغير هؤلاء كثير .

ولا شك أن هؤلاء الصحابة ورثوا عن النبى - صلى الله عليه وسلم - علماً غزيراً ورثوه لغيرهم من التابعين .

جيل التابعين :

وجاء بعد الصحابة جيل التابعين طبقة بعد طبقة من أبناء هؤلاء الصحابة وغيرهم .

ومن هؤلاء التابعين والعلماء المجتهدين فى مصر يزيد بن أبى حبيب فقيه مصر وشيخها ومفتيها ، لقى عبدالله بن الحارث الصحابى نزيل مصر ، وروى عن سالم ونافع وعكرمة وعطاء بن أبى رباح وغيرهم ، وروى عنه كثير من الرواة من أمثال الليث بن سعد فقيه مصر وإمامها ، وابن لهيعة وهو عبدالله بن عقبة الحضرمى المتوفى سنة ١٧٤ هـ ، قال عنه ابن سعد : كان يزيد بن أبى حبيب ثقة كثير الحديث ، وقال عنه ابن يونس : كان مفتى أهل مصر ، وهو أول من أظهر العلم بها ، وتكلم فى المسائل من الحلال والحرام ، وقبل ذلك كانوا يتحدثون فى الترغيب والترهيب والملاحم والفتن ، وهو أحد ثلاثة جعل إليهم عمر بن عبدالعزيز أمر الفتيا فى مصر ، وقال عنه الليث بن سعد : هو سيدنا وعالمنا . توفى يزيد بن أبى حبيب سنة ١٢٨ هـ .

وإذا كان يزيد قد نبغ فى الرواية والفتيا فهناك من نبغ فى غير ذلك .

من أئمة القراءة فى مصر :

من أئمة القراءات فى مصر عثمان بن سعيد بن عدى المعروف بورش - وهو مصرى صميم ، أصل أجداده من أقباط مصر من موالى آل الزبير ابن العوام ، ولد سنة ١١٥ هـ ، ورحل إلى المدينة فقرأ على نافع سنة ١٥٥ هـ وهو الذى لقبه بورش لشدة بياضه .

ويقص علينا الدميرى فى كتابه « حياة الحيوان » قصة هذه التسمية فيقول :

كان عثمان بن سعيد أبو سعد المقرىء المصرى المعروف بورش قصيراً سميناً أشقر ، أزرق العينين ، شديد البياض ، حسن الصوت بالقراءة ، ولذلك لقبه شيخه نافع بالورشان .

الورشان طائر يطلق عليه « ساق حر » وهو ذكر القمارى ، وهو الذى يقول فيه الشاعر :

وما هاج هذا الشوق إلا حمامة
دعت ساق حر نزهة وترنما

وفيه يقول الكميت :

تغريد ساق على ساق يجاوبها
من الهواتف ذات الطوق والعطل

وسمى « ساق حر » لحكاية صوته ، فإنه يقول فى تغريده : ساق حر ـ ساق حر ، ولذلك لم يُعرب ولو أُعْرب لصرف . قال ذلك ابن سيده فى المخصص ، وحكاه عنه الدميرى فى حياة الحيوان .

فكان نافع يقول لعثمان بن سعيد : اقرأ يا ورشان ، افعل ياورشان .

وكان عثمان لا يكره هذا اللقب ، بل يعجبه ، ويقول : سمانى به أستاذى نافع ، فغلب عليه ، ثم حذف بعض الاسم فقيل له ورش بعد حذف الألف والنون .

قال ورش : خرجت من مصر لأقرأ على نافع ، فلما دخلت المدينة إذا به لا يطيق أحد القراءة عليه لكثرة الطلبة ، وكان لا يقرىء أحداً إلا ثلاثين آية .

قال : فتوسلت إليه ببعض أصحابه فجئت إليه معه ، فقال : هذا رجل جاء من مصر ليقرأ عليك خاصة ، لم يجىء تاجراً ولا حاجاً .

فقال له نافع : أنت ترى ماألقى من أبناء المهاجرين والأنصار .

فقال له : أريد أن تحتال له فى وقت .

قال ورش : فقال لى نافع : ياأخى أيمكنك أن تبيت فى المسجد ؟

قلت : نعم . .

فبت فى المسجد ، فلما كان الفجر جاء نافع فقال : ما فعل الغريب ؟

فقلت : نعم ، هأنذا يرحمك الله .

فقال : اقرأ .

فقرأت وكنت حسن الصوت بالقراءة ، فاستفتحت أقرأ ، فملأ صوتى مسجد رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فلما انتهيت إلى رأس الثلاثين آية ، أشار إلى أن أسكت ، فسكت .

فقام إليه شاب من الحلقة فقال : يا معلم الخير ، نحن معك بالمدينة ، وهذا هاجر إليك ليقرأ عليك ، وقد وهبته من نوبتى عشر آيات ، وأنا أقتصر على عشرين .

فقال : اقرأ فقرأتها .

ثم قام فتى آخر فقال كقول صاحبه ، فقرأت عشر آيات وقعدت .

حتى إذا لم يبق أحد ممن له قراءة قال لى : اقرأ ، فقرأت خمسين آية ، حتى قرأت عليه ختمات قبل أن أخرج من المدينة .

قال السيوطى فى حسن المحاضرة : وتوفى ورش بمصر سنة ١٩٧ هـ بعد أن طبق علمه الآفاق ، وأصبح له تلاميذ لا يحصون ، وكانت له رئاسة الإقراء بمصر ، وصار صاحب مدرسة فى القراءة لم ينازعه فيها منازع ، وكان إلى جانب براعته فى القراءة بارعاً فى العربية وعارفاً بالتجويد ، لا يمل سامعه من الإصغاء إليه والاستطابة لصوته ، ذكر ذلك « الدكتور محمد صالح البنداق فى كتابه « فى صحبة النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ ص ١٧٨ » .

من تلاميذ ورش :

ومن تلاميذ ورش الكثيرين أبو يعقوب الأزرق ، وهو يوسف بن عمرو بن يسار المدنى ثم المصرى ، لزم ورشا مدة طويلة وأتقن عنه الأداء ، وخلفه فى الإقراء بمصر ، وتوفى سنة ٢٤٠ هـ .

ومنهم عبد الصمد بن عبدالرحمن بن القاسم المصرى ويكنى أبا الأزهر ، وهو أحد الأعلام ، وكان والده كذلك ، أخذ عن أبيه وسمع من سفيان بن عيينة وابن وهب ، وقرأ القرآن على ورش ، واتسعت شهرته حتى وصلت إلى الأندلس واعتمد أهلها عليه فى قراءتهم ، وقد أخذوا عنه ، وكان له أخ فقيه اسمه موسى بن عبدالرحمن ، وتوفى عبدالصمد سنة ٢٣١ هـ .

ومنهم داود بن أبى طيبة بن هارون بن يزيد ، ويكنى أبا سليم المصرى ، وكان مولى آل عمر بن الخطاب ، قرأ على ورش ، وعليه قرأ ابنه عبدالرحمن بن داود ، وتوفى داود سنة ٢٢٠ هـ .

وغير هؤلاء كثير من التلاميذ الذين ورثوا علمهم لمن جاء بعدهم ، وقد أحصاهم السيوطى فى كتابه « حسن المحاضرة » جيلاً بعد جيل ، حتى وصل بهم إلى القرن الذى ولد فيه وهو القرن التاسع الهجرى .

فى علم الحديث :

ولابد أن يظهر علماء أجلاء فى الحديث وروايته ، وبخاصة بعد أن علمنا أن هناك صحابة أجلاء عاشوا فى مصر وبثوا فيها حديث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - .

ومما يشير إلى حرص الصحابة على بث حديث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ما يقصه علينا السيوطى فى حسن المحاضرة تحت عنوان : ذكر الحديث الذى رحل فيه جابر بن عبدالله إلى مصر .

قال : قال ابن عبدالحكم : حدثنا عبدالله بن يوسف ، حدثنا سعيد بن عبدالعزيز التنوخى قال : قدم جابر بن عبدالله على مسلمة بن مخلد وهو أمير مصر فقال له : « أرسل إلى عقبة بن عامر الجهنى حتى أسأله عن حديث سمعه من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فأرسل إليه .

وذكر السيوطى رواية أخرى لهذا الحديث ، هى :

عن جابر قال : كان عند عبدالله بن أنيس الجهنى يحدث عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حديثاً فى القصاص . . قال : فخرجت إليه على بعيرى ، فسرت شهراً ، فلما قدمت إلى مصر سألت عنه حتى وقفت على بابه ، فسلمت ، فخرج على غلام أسود فقال : من أنت ؟ قلت : جابر بن عبدالله فدخل عليه فذكر ذلك ، فقال : قل له : أصاحب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ؟

فخرج الغلام فقال ذلك . فقلت : نعم .

قال : فخرج إلىّ والتزمنى والتزمته ، فقال : ما جاء بك ياأخى ؟

قلت : حديث عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فى القصاص ، لم يبق أحد يحدث به غيرك ، أردت أن أسمعه منك ، قبل أن تموت أو أموت .

قال : نعم . وأفضى إليه بالحديث ، ومضمونه القصاص من الخلائق يوم القيامة .

والحديث رواه الإمام أحمد فى مسنده جـ ٣ ص ٤٩٥ ، وهو فى كتاب « جامع الأحاديث القدسية » للضبابطى جـ ٢ ص ٣٣٢ برقم ٦٠٢ .

فهذا الخبر يشير إلى حرص الصحابة على حفظ حديث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ونشره حتى لا يندرس ، وعن الصحابة فى مصر تلقى كثير من أهلها علوم الحديث ، ونبغ منهم أئمة رواة حفاظاً ثقات منهم عبدالرحمن بن داود الملقب بالأعرج ، صاحب أبى هريرة ، قال فى حقه البخارى : أصح أسانيد أبى هريرة أبو الزناد عن الأعرج عن أبى هريرة ، وقال عنه الذهبى فى طبقات القراء : كان الأعرج أول من وضع العربية بالمدينة أخذ عن أبى الأسود الدؤلى ، خرج إلى الإسكندرية فأقام بها ، ومات فيها سنة ١٢٧ هـ .

ابن وهب جامع الأحاديث :

وكان أول جامع للأحاديث بمصر عبدالله بن وهب المولود بمصر سنة ١٣٤ هـ والمتوفى بها سنة ١٩٧ هـ ، وألف كتابه الجامع فى الحديث ، قال الأستاذ مصطفى فى كتابه الأدب العربى فى مصر : وظل هذا الكتاب - أى كتاب الجامع فى الحديث - مفقوداً حتى عثر عليه أخيراً بمدينة « ادفو » مكتوباً على ورق البردى ، ويعد من أقدم المخطوطات العربية فى العالم ، وترجع كتابته إلى القرن الثالث الهجرى .

وهو أحد الذين عرض عليهم القضاء فرفضوا ، ومات شهيد ورعه وخوفه من الله ، قال ابن خلكان عنه فى « وفيات الأعيان » : كان سبب موته أنه قرىء عليه كتاب الأهوال من جامعه فأخذه شىء كالغشى فحمل إلى داره فلم يزل كذلك حتى قضى نحبه - رحمه الله تعالى - .

وهناك علماء آخرون فى فنون أخرى نرجو بتوفيق الله - تعالى - أن نعرض لهم فى أحاديث أخرى .

دوحة الكتب

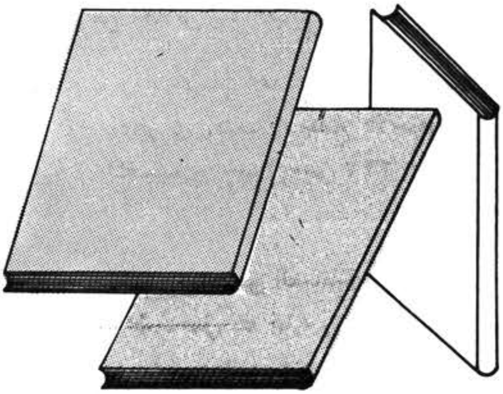

إعــداد: محمــود الفشــــنى

على الرغم من ثورة المعلومات وانتشار أجهزة استقبال البث الفضائى والتطور المتلاحق فى الشبكات العلمية وعلوم الكمبيوتر يظل الكتاب رافداً من أهم روافد الإشعاع الثقافى ؛ ولذا نقدم ـ دون نقد أو تعليق فى نبذة مختصرة ـ تعريفاً بأحدث ما فى المكتبات من كتب إسلامية وثقافية وعلمية .

المحرر

مفاهيم قرانية حول حقيقة الإنسان

تأليف الدكتور فاروق الدسوقى .

عزيزى القارىء : يقوم هذا المؤلف بالبحث والتنقيب ، والتبحر فى العلوم ، وحقيقة الإنسان ونجاحه فى معرفة الأشياء المادية .

ورغم التقدم فى العلوم التجريبية ، إلا أن هناك تسليما بينهم ، وبين علماء المنطق ، ومناهج البحث بأن الإنسان عاجز عن معرفة حقيقة الشىء ، سواء كان ماديا أو غير مادى ، وأن الذى يجنيه الإنسان من المعرفة والعلم ، إنما هو إدراك خصائص الشىء ، وأحواله ، وليس حقيقته .

ويحاول المؤلف جاهداً معرفة خصائص الإنسانية وبالذات الخاصية الجوهرية ، التى يتميز بها الإنسان عن سائر المخلوقات الأخرى .

وبما أن هذه المفاهيم إسلامية فهو يرجع إلى مصدرى الإسلام : القرآن الكريم ، والسنة الصحيحة . فى هذا الكتاب يوضح المؤلف علاقة الإنسان بالزمان ومعرفة طبيعة الإنسان الأولى ، وعلاقته بغيره من الكائنات الوجودية .

وقد قسم المؤلف كتابه هذا إلى خمس محاضرات ، أو خمسة أبواب .

ففى المحاضرة الأولى ـ أشار إلى بداية وجود الإنسان ، ونهاية هذا الوجود والفرق بين الأديان السماوية بعامة ، والدين الإسلامى بخاصة من جهة ، وبين العقائد والاتجاهات المادية من جهة أخرى ، واختلافهم حول الغيب ، والخلود ، واليوم الآخر . ثم تعرض المؤلف للوجود ، والعدم ، والحياة والموت ، حيث وضح أن الوجود هو نقيض العدم ، وليس الوجود نقيض الموت ، كما أن الموت نقيض الحياة ، ولا يعتبر العدم نقيضها .

ثم تناول أيضا أثر عقيدة الإيمان باليوم الآخر فى الحياة الإنسانية . وذلك لأن لعقيدة اليوم الآخر على حياة الفرد والجماعة والمجتمع آثاراً خطيرة ، أهمها الأثر الفكرى أو الأيديولوجى ، ثم الأثر النفسى ، والأثر الخلقى .

أما فى بابه الثانى أو محاضرته الثانية فقد طرح قضية الإنسان والمكان . واختلاف تصور العالم فى الإسلام عن تصور العالم عند الماديين اختلافا جذريا ومصير المشركين ، الذين لم تبلغهم رسالة الإسلام كانت قضية بل محاضرته الثالثة التى تناول فيها شرحا وافيا لمعنى الفطرة ، والتغيير الإرادى ، الذى يحدثه الإنسان فى فطرته .

ثم قضية الخلافة أو مكانة الإنسان الوجودية ، كانت له وقفة فى محاضرته الرابعة فأشار إلى أن الخلافة هى تحديد القرآن الكريم لمركز الإنسان الوجودى ، ووظيفته الكونية ، ودرجته بين المخلوقات جميعا . كما أنها التعبير القرآنى عن رسالة الإنسان فى حياته الدنيا .

ثم طرح الخلافة وبينها (لغة واصطلاحا) وبين عناصر هامة يجب أن تتوافر فيها هى الموكل ، والوكيل ، والموكل فيه أو عليه ، وشروط الوكالة ، ومدتها ، والحساب فى نهايتها ، وبالقيأس كما يشير المؤلف فإن الأطراف والعلاقات القائمة بينها موجودة بكاملها فى حقيقة الخلافة . . فالمستخلِف (بكسر اللام) وهو الله عز وجل (والمستخلَف (بفتح اللام) هو الإنسان والمستخلَف فيه (بفتح اللام) وهو الأرض ومافيها وما عليها أما شروطها فهى التكليف أو الرسالة

السماوية . أو الشريعة أما مدة الخلافة ، الحياة الدنيا منذ آدم إلى يوم القيامة . الحساب هو يوم الدين .

ثم تناول كيف يحقق الإنسان الخلافة ؟ وطرح الإجابة عنها طرحاً وافيا .

ثم تناول الصراع الحضارى قائلا : إن أمة الإسلام تجتاز صراعا حضاريا ضاريا ضد الحضارة الغربية الصليبية المادية بدفع وتوجيه وقيادة من الصهيونية .

أما الموضوع الأخير فى هذا الكتاب فهو الأمانة ، أو جوهر الإنسانية وأشار أنه أبرز ماقيل فيها قديما أنها الصلاة ـ العبادة ـ الطاعة ـ التكليف الرسالة السماوية .

وفى العصر الحديث نجد اتجاها جديدا ينحو إلى تفسير الأمانة بالحرية والاختيار والمسئولية وكلها خصائص متلازمة ، فقد خلق الله الإنسان ، لابتلائه ومن ثم جعله حراً مختاراً ، وهذا يترتب عليه المسئولية والجزاء فى الآخرة .

ثم ذكر المؤلف الفرق بين الإنسانية والبشرية كمصطلحين قرآنيين ، فأشار فيهما عن معنى الروح فى القرآن الكريم ، ولمن تنسب ، واستدل بآيات من القرآن الكريم .

عزيزى القارىء إذا أردت أن تعرف حقيقة نفسك وطبيعتك ، وعلاقتك بالمخلوقات الأخرى ، وأشياء كثيرة تفتقدها ، وحائر فى معانيها وكيفية الإجابة عنها فعليك بهذا الكتاب فإنه يحمل بين طياته معظم مايجول بخاطرك وتبحث عنه .

لعل المؤلف قد توغل داخل هذه النفس الإنسانية ، ليبين لنا كل ما هو غامض ومستتر . لك هذا الكتاب لعله يضيف إليك أشياء تنفعك فى دينك ودنياك .

أخبار جحا

دراسة وتحقيق عبدالستار أحمد فراج

عزيزى القارىء : إن نوادر جحا وسيرته من التراث الذى ينبغى أن نحافظ عليه ، ونستفيد منه ، ففيه من الحكم ، والمواعظ ، والمأثورات ، ماينفعنا فى هذا الزمان ، إذ هو من التراث العربى .

وقد اختلفت الآراء فى سيرته ، فالبعض يرى أنه كان فى القرن الثانى عشر ، والبعض الآخر يرى أنه فى القرن الثالث عشر ، ومنهم من يرى أنه عاش فى القرنين الرابع والخامس عشر ، وبعضهم : يذكر أنه رجل مثقف كان فى أيام هارون الرشيد ، وبعضهم يتساءل عن جحا : أكان شخصية معروفة حقا ، وموجودة على قيد

الحياة أم أنه شخص وهمى نسبت إليه النوادر والفكاهات . ولكن معظم الطبعات والكتب ، التى ألفت فى مصر ، والبلاد العربية كلها تنص على أنه هو « نصر الدين الرومى » الملقب : بجحا ، ويقال : إنه ولد فى قرية (خورتو) بناحية « سيورى حصار » من ولاية الأناضول سنة ٦٠٥ هـ سنة ١٢٠٨ م وتوفى سنة ٦٨٣ هـ سنة ١٢٨٤ ، سنة ١٢٨٥ م والمورد الرئيسى بوجه عام ، لأغلب نوادر نصرالدين ، هو الآداب العربية الغنية بالطرائف والفكاهات ، كسب جحا بطولتها ثم صار الخواجة نصر الدين الرومى هو الطراز الأخير ، ومن الممكن عزيزى القارىء أن تكون نوادر جحا قد نقلت إلى التركية من الأدب الفارسى ، لقد ترجمت نوادر جحا من التركية بما اعتراها من تحوير وتغيير إلى اللغة العربية ، إلا أن هناك الكثير ، والكثير من المخطوطات تتحدث عن مولد ووفاة جحا ، والعصر الذى عاش فيه واختلفت فيه الأقوال والكتابات ، وكل هذا وضعه المحقق فى هذا الكتاب ، ووضح كل رأى ، والعصر الذى قيل فيه.أيها القارىء كل زمان ومكان يشتهر أناس بالظرف والفكاهة ، ويعجب بهم الناس ،ويتتبعون أخبارهم ويتشوقون إلى سماع ماقيل عنهم ، ثم ينسبون إليهم كل ما يسمعون من طرف ـ وقد يؤلف بعض الأدباء من عند أنفسهم أو تقع لهم ـ نوادر ، ويهمهم ذيوعها وانتشارها ، فيلصقونها بالمشهورين ، ويتقبلها الآخرون معجبين بها .

ومن نوادر جحا التى ذكرها المحقق : نزل جحا من القطار ووضع الحقيبة بالقرب منه ، وانتظر حضور الشيال ، فجاء لص وحملها ، ومشى فتتبعه جحا ، وهو فرحان ، فلما اقترب من منزله أخذ الحقيبة من اللص ، وقال له : أشكرك ياسيدى فقد حملت حقيبتى من غير أجر .

ومن نوادره أيضا :

كان جحا قاضيا فحضرت أمامه امرأة عجوز شاهدة فى قضية ، فأمرها جحا أن تقسم اليمين فأقسمت ، فسألها : كم سنة عمرك ؟ فقالت العجوز : إذا كنت ستسألنى عن عمرى فلم تأمر بأن أقسم بالله العظيم .

أما نوادر جحا وأصلها الأدب العربى : منها دخل جحا على المهدى يوما فقال له : كم عيالك ؟ قال ثمانية . فأمر له بثمانية آلاف درهم فأخذها وخرج فلما بلغ الباب رجع وقال : نسيت واحداً من عيالى . قال : من هو؟ فقال : أنا . فضحك المهدى ، وأمر له بمثل ذلك .

أما النوادر التى لم يصادفها المحقق فى مصادر عربية قديمة ذكر منها : انطفأ السراج فى إحدى الليالى فقالت له زوجته : هات الكبريت فى جانبك الأيمن فقال . لها جحا : ياامرأة هل أنت مجنونة ؟ كيف أعرف يمينى من شمالى فى ظلمة الليل ؟

بالإضافة إلى أكثر من مائة نادرة فى هذا القسم ذكرها المحقق حتى وصل بنا المحقق إلى نوادر نسبت للرمز التركى ، فى عهد تيمورلنك ، فى القرن الثامن الهجرى ـ والرابع عشر الميلادى .

كان الحديث يدور فى مجلس تيمورلنك عن عذاب يوم القيامة ، وما يلقى فيه الكفار من شقاء وأهوال ، وكان جحا حاضراً فتاوه تيمورلنك ، وقال لجحا : أين يكون مقامنا فى الآخرة ياترى ؟ فقال جحا : ستكون مع الملوك والعظماء ، الذين خلدوا اسمهم فى التاريخ ، فسر تيمورلنك

وقال : مثل مَنْ مِنَ الملوك ياجحا ؟ فقال : مثل فرعون موسى ، والنمرود ، والإسكندر ، وجنكيز خان .

أما القسم الرابع والأخير فقد ذكر المحقق النوادر التى اعتمدت على المصطلحات التركية .

فكلمة (صوص) SUS فى التركية معناها : اصمت أواسكت ، تقارب كلمة هس Silent, quiet .

فكلمة أكثر وأكسر نطقها فى التركية واحد ekser ويراد بالأولى عندهم المعنى العربى المعروف : ضد أقل . ويراد بالثانية المسمار . وكلمة كل Kyul فى التركية معناها الرماد وكل فى العربية هى بمعنى المجموع أو الجميع .

طلبت امرأة جحا منه أن يأتيها بمسحوق الفحم لتصبغ به ، وأعطته كيسا ، فذهب ولما لم يجد مسحوق فحم ، وضع فى الكيس بعض المسامير ، وعاد إلى البيت ، فلما رأت زوجته المسامير تعجبت ، وقالت له : ما هذا ؟ فقال لها : تعلمين أيتها المرأة أن حكم الأكثر والكل سواء عند العلماء ! فالمسامير أكثر يقوم مقام الرماد (كل) .

عزيزى القارىء كانت النادرة ولا تزال ، وستبقى أداة للتسلية والتسرية عن الناس ، سواء زاحتهم هموم الحياة ، وكربات العيش ، أو ضيقت عليهم حدود الأحكام وسدود القوانين ، ولم يمر زمان إلا وكانت النوادر فيه شيئا أساسيا ، لخروج الناس من مشقات الحياة وأحزانها ، ومازال المحققون والدارسون يبحثون وينقبون فى هذا المجال ، وهذا الكتاب يعد من تلك الكتب النادرة التى تتحدث فى هذا التخصص فاجعله من كتب التراث التى تقتنيها فى مكتبتك .

نحو توجيه إسلامى لمناهج علم الاجتماع

تأليف /دكتور نبيل السمالوطى

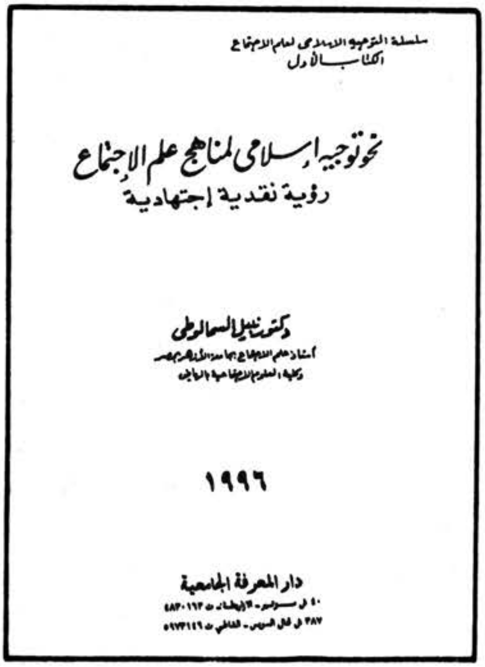

عزيزى القارىء : يعانى علم الاجتماع من العديد من الإشكاليات المنهجية والنظرية يقوم المؤلف بتوضيحها ، وإبرازها لكى يدرك القارىء أهمية هذا العلم ، وطرق المعرفة لبيان هذا العلم .

ومن أهم خصائص التوجيه الإسلامى للمنهج .

أولاً : الانطلاق من الوحى الصادر من الله كمصدر حاكم للمعرفة مع توظيف المصادر الأخرى كالحس والعقل ، والحدس ، أو الملاحظة

والتجربة ، والمقارنة ، والاستنباط والتعميم ، والفهم .

ثانيا : التحرر من النزعات الذاتية والمصلحية والعرقية والطبقية والقومية والسياسية .

ثالثا : هذا الانطلاق من الوحى فى علم الاجتماع يقتضى الدراسة الموضوعية المجردة للواقع للكشف عن مكوناته والعوامل المشكلة له .

رابعاً : التوجيه الإسلامى لعلم الاجتماع لايحجر على حرية الفكر ، وحرية التفسير وحرية الدراسة الميدانية .

خامسا : لاتعارض بين الواقعية والمعيارية . فعلماء اجتماع الغرب يؤكدون دور علم الاجتماع فى الإصلاح الاجتماعى .

سادسا : يرتكز علم الاجتماع الموجه إسلاميا على إطار تصورى يطلق عليه (إلياس بايونس) وفريد أحمد الجانب النظرى لعلم الاجتماع الإسلامى .

سابعا : المنهج الإسلامى فى دراسة الواقع الاجتماعى لايرفض الأفكار ، والأساليب والمداخل والنظريات والمفاهيم والتقنيات ، والأدوات الجديدة التى يطرحها علم الاجتماع العالمى .

ثامنا : إن التوجيه الإسلامى لمناهج علم الاجتماع لا ترفض كل الأساليب المنهجية المطروحة فى أدبيات علم الاجتماع .

تاسعا : يذهب (صينى) إلى : أن (جهود الأسلمة ، أو التأصيل لاينبغى أن تقتصر على نطاق الاستنباط من الأدلة النقلية دون ربط نتائج ذلك الاستنباط بالواقع ، لاختبار صلاحية الاستنباط .

عاشرا : إن العديد من دراسات علم الاجتماع تقع فى مجال القضايا الاجتهادية (الصناعة - الإدارة - التحضر - التنمية - التخطيط - التنظيم) .

حادى عشر : الحرص على دقة الاستشهاد بالقرآن والسنة استناداً إلى فهم التفسير ، وأسباب النزول وما تتضمنه من أحكام ودلالات .

ثانى عشر : ضرورة التمييز بين الثابت والمتغير ، والثوابت الشرعية (العقيدة والأخلاق والكليات وبعض المعاملات التفصيلية) لا مجال فيها للبحث فى علم الاجتماع .

ثالث عشر : أخذ مختلف جوانب الموضوع المطلوب تفسيره فى الاعتبار ودراسته فى إطار الكليات الشرعية ، وفى مقدمتها وحدة الخالق ، وعدم وجود عبثية فى الكون والمخلوقات .

بدأ المؤلف كتابه بإشكاليات علم الاجتماع المنهجية والنظرية والحاجة إلى الهوية الإسلامية وقال :

إن الانطلاق من الثوابت الإسلامية يحقق أمرين أساسيين :

أولهما : تحقيق الأهداف النهائية لعلم الاجتماع ، والمتمثلة فى بناء مجتمع قوى مادياً واجتماعياً ، (سياسيا ، واقتصاديا ، وتقنيا ، وتربويا) تقل فيه المشاكل والانحرافات إلى أدنى مستوى ممكن ، ويؤكد المؤلف فى هذا الصدد عدة حقائق .

أهمها - أن علوم المجتمع ليست إفراز الفكر والعقل الغربى كما يدعى بعض مؤرخى العلم غير المنصفين ، ولكنها إفراز الفكر المسلم وتحت تأثير وتوجيه القرآن الكريم والسنة ، وهذا ما يقر به بعض علماء الاجتماع المنصفين مثل (جورج جيرفتش) عالم الاجتماع الفرنسى بالإضافة إلى عدة حقائق أخرى ذكرها المؤلف فى هذا المجال .

البقية ص ٦٦٩

بين المجلة والقارئ

إعداد : عادل رفاعى خفاجة

إمام الدعاة فى رحاب الله

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ ﴾ صدق الله العظيم .. لقد رحل إمام الدعاة ، بعد أن ترك تراثاً ثريا قوامه : تفسيرٌ للقرآن الكريم ، وقدر كبير من المؤلفات التى تناولت شتى الموضوعات التى تهم المسلم ، فهذه « الخواطر الإيمانية » التى جمعت المسلمين حوله فى المساجد ومازالت تجمعهم حول شاشات التلفاز ؛ لينهلوا من معينه الرقراق .

إن حبنا لفضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى سيبقى ينبض مع نبض قلوبنا نعم .. لقد رحل الرجل ، ولكنه أبداً لم يرحل ، وهو معنا دائماً نستفيد من علمه ، وصدق رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ حيث قال : « إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث : صدقة جارية ، أو علم ينتفع به ، أو ولد صالح يدعو له » وها هو ـ يرحمه الله ـ قد جمع ـ بفضل الله ـ كل هذه الخلال الثلاث ـ ورحم الله أمة جعلت من علم عالمها الفذ مناراً . وبفضل علم هذا الإمام الذى التفت حوله القلوب وأحبته ، اعتبر من أولياء الله المخلصين الذين قال الله فيهم :

﴿ أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾

فطوبى لمن أمضى عمره فى الدعوة إلى الله.

وهنيئا له ـ أيضاً ـ تكريم الدولة الذى تمثل فى منح الرئيس مبارك لاسمه قلادة النيل ، نيل مصر ، التى طالما أحب الشيخ أن يردد اسمها عند تفسيره القيم للقرآن الكريم .

وبعد ..

فقد ورد إلى المجلة العديد من رسائل القراء ينعون فضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى .

والمجلة تتوجه إليهم جميعاً بخالص الشكر والتقدير ،

ومما ورد فى هذا الشأن : بقلم القارىء/ ياسر فكرى السيد سالم تحت عنوان :

أنين العلم والقلم

« من الناس من يعيش فى هذه الدنيا ، ثم يرحل فلا يشعر به أحد ، ولا يتأثر به إنسان ، ومن الناس من يكتب لنفسه البقاء فى هذه الدنيا حتى بعد وفاته ، بما خلف للناس من علم نافع مفيد ، يقول الشاعر :

« فارفع لنفسك بعد موتك ذكرها
فالذكر للإنسان عمر ثان »

وعلى رأس هؤلاء يأتى فضيلة الشيخ الإمام/ محمد متولى الشعراوى ، هذا العالم الجليل الذى رحل عنا بجسده ، وبقى بعلمه الغزير ، وكتب عنه الكثير فى شتى مناحى الدين ، وأنا حينما أكتب هذه الكلمات أشعر بالحزن ، يعتصر قلبى ؛ لأننى مثل الملايين التى أحبت الشيخ من شتى طوائف الشعب هذا الرجل الذى كان يفسر القرآن بأسلوب بهر عقول الخاصة والعامة ، واستطاع أن يرد هجمات المستشرقين بحكمة ، وإقناع ، وسلاسة ، أدهشت الجميع ، وكان ـ رحمه الله ـ يقول الحق ، ولا يخشى لومة لائم .

وأنا فى هذه السطور القليلة إن كنت أنعى الإمام الراحل ، فحسبنا ما تركه لنا من العلم ، الذى سيظل نبراساً ، ومصباحاً ينير لنا الطريق .

ويكفى الإمام من الفضل ماأخبر به رسولنا الكريم ـ صلى الله عليه وسلم ـ « يوزن مداد العلماء ، بدماء الشهداء يوم القيامة ، فلا يفضل أحدهما على الآخر » .

وأقول فى نهاية كلمتى ـ رحم الله ـ الشيخ رحمة واسعة ، وأنار الله قبره قدر ما قدم للإسلام والمسلمين « اللهم لا تفتنا بعده ولا تحرمنا أجره » واغفر لنا وله .

ونسأل الله تعالى أن يجمعنا وإياه فى دار كرامته ومستقر رحمته إنه على كل شىء قدير .

رحم الله درة الزمان

ومما ورد فى هذا الشأن ـ أيضاً ـ من القارىء : ياسر محمد زايد الشبيني ـ الباجور ـ منوفية . . قوله :

« . . رحم الله إمام العصر ، وأعظم مفكرى القرن ، الذى طالما أفادنا بتفسيره السلس للقرآن العظيم ، والذى تميز بمخاطبة الصفوة والعامة سواء بسواء فكان لديه من عذب الحديث ما يجذب العامة إليه ، وكان لديه من فيض العلم وقوة الحجة ما يلف الصفوة حوله . كان أسلوبه فى التفسير هو « السهل الممتنع » .

ـ رحم الله درة الزمان ، وشيخ شيوخ الإسلام ، الذى كان يتمتع ـ ومازال ـ بحب غير مسبوق فى قلوب شعوب الأمة الإسلامية جميعها .

ولقد رأينا هذا فى مشهد رائع غير مسبوق . . مشهد تشييع جسمانه الطاهر ، رأينا عدداً من التابعين للجنازة يقدر بنحو مليونين من الناس .

ـ رحم الله ـ الشيخ الجليل والعالم الكبير ، الذى ملأ الدنيا بنور علمه وضياء معرفته فكان التواضع صفته وعلو الشأن سمته .

وكأنه كان يقول عن نفسه :

تجتلى عندك البصائر معنى
فوق طوق العيون والأبصار

- رحم الله أمير الدعاة إلى الله ونسأل المولى - جل شأنه - أن يسكنه فسيح جناته مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً .

●●●

ومما ورد فى رسالة القارىء فتوح السيد الأنصارى / رونية / كفر الشيخ .
« .. ولله در القائل :

مات الذين نحبهم
فعليك يا دنيا السلام
إنى رضيع أصوله
والطفل يؤلمه الفطام

نسأل الله - تعالى - أن يمن علينا بمن يغلق هذه الفرجة التى فتحت بموت هذا العالم الجليل .
فوداعاً أيها الشيخ الذى قال فيك المحبون :

يا شيخنا نهديك رد
على الذى منك ورد
يا صاحب العلم الرفيع
وصاحب الرأى الأسد
يا شارح الآى الكريم
تفسير ما مثله اتوجد

ولا نملك إلا أن نحتسبك عند مولانا - جل شأنه - ولا نقول إلا ما يرضى الله تعالى : « إن القلب ليخشع وإن العين لتدمع ، وإنا لفراقك يا شيخنا الشعراوى لمحزونون »

﴿ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾

●●●

ونشكر القارىء : محسن عبد المعطى محمد عبد ربه - المحلة الكبرى - محلة زياد - الذى أرسل قصيدة فى رثاء فضيلة الشيخ الشعراوى جاء فيها :

إعجاز القرآن أبان
ما أحلى آى القرآن
قد كان الشيخ الإنسان
علماً بتواضعه ازدان

●●●

ثم أما بعد .. فإننا نعتذر للقراء عن عدم النشر لبقية الرسائل لكثرة ما ورد إلينا ونقدم شكرنا وتقديرنا لكل القراء الذين أسهموا فى هذه المناسبة الجليلة ومنهم :

- مصدق مطاوع عيسى / دمياط - الزرقا - كفر المياسرة
- محمود محمد عبدالسلام / البحيرة - أبو المطامير
- مصطفى عبد الغنى / أبو كبير - شرقية
- محمد الطاهر أبوزيد / القناطر الخيرية - قليوبية
- صلاح محمد ويش محمد / معهد الحرانية الأزهرى
- خيرى محمد إبراهيم أبو الروس / كفر الجرايرة / بيلا

وإلى كل من لم تتسع المساحة لنشر أسمائهم لهم جميعاً خالص التقدير ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

احتفال مصر بالأزهر

وكأنى بشيخنا الكريم الراحل يقول : إلى احتفال مصر بأزهرها .

وقد حمل إلينا البريد العديد من الرسائل التى تفيض بحب الأزهر الشريف منها ماأرسله القارىء : خالد على الطبلاوى / طملاى /منوف/ تحت عنوان :

أمجاد الأزهر

يا طالب الأمجاد فى أعلى الذرى
انهض فما الأمجاد تهوى للثرى
وانظر إلى الأفق البعيد فلن ترى
للمجد بابا إن تركت الأزهرا
فالعلم كالأنهار فى ساحاته
يهدى السراة الباحثين إذا جرى
ويجوب فى البلدان يمحو موتها
ويضىء بالإسلام ألباب الورى
من جاهد المستشرقين ومكرهم
بالحق والبرهان حتى أظهرا
للعالمين سمومهم وجحودهم
وأبان للإنسان دربا أنورا
ابنوا له صرحاً عظيماً شامخاً
حقٌ لمن يدعى له أن يفخرا

●●●

ونختتم برسالة القارىء : راشد النوفلى من سلطنة عمان التى نشكره عليها، لما حوت من رقة المشاعر ، ونبل الأحاسيس ، وسمو العاطفة ، ونعتذر عن عدم نشر قصيدته كاملة ، ونكتفى بما سمحت به المساحة ، ونبدأ بالرسالة التى صدرها بقوله : بسم الله الرحمن الرحيم .. إذا كانت سعادتنا ونحن نلملم أوراقنا استعداداً للرحيل يصعب وصفها فإن حزننا العميق على فراق هذا البلد الطيب ليصعب وصفه أيضاً .

إننا لم نتعلم فى هذا البلد ماجئنا من أجله وهو علم القراءات فحسب ، بل تعلمنا إلى جانب ذلك مواد أخرى كثيرة ليست فى المعهد ذاته بل فى معهد الحياة هذا الصرح الكبير الذى تكاد توقن أن كل من فيه أساتذة فالكل يحاول أن يمليك سطراً كى تخرج فى النهاية بكتاب كبير هو كتاب الحياة أو شهادة عالية هى شهادة الدنيا من أم الدنيا هذا البلد العريق المتعدد الحضارات الممتزج الثقافات . فبالرغم من صعوبة الحياة وازدحام السكان وما ينتج عنه وكفاح الشعب المصرى من أجل توفير لقمة العيش الهنيئة لنفسه إلا أنك لا تكاد تجد المصرى إلا مبتسماً بشوش الوجه منشرح الصدر يلقاك بابتسامة ويودعك بابتسامة وبين ذلك وذلك ابتسامات وابتسامات . . إنه الشعب المصرى وإنها مصر وقد صدق من قال عنها أنها أم الدنيا ومهد الحضارات .

وبينما كنت أقلب صفحات الماضى لأنتقل منها إلى كتابة صفحات الحاضر هزرت إلى بجذع قريحتى فتساقطت هذه الأبيات الآتى ذكرها فيما بعد ، وعلى الرغم من أنها غضة لم تنضج بعد إلا أننى آمل أن تستوى فى ذهن القارىء فيجد لها مذاقاً مستساغاً . وقد تعمدت أن آخذ لها بعض أبيات من الشاطبية ؛ لتكون بمثابة العقد الحسن لها تخفى ركاكتها خلفه .

ورغم أننى قد كتبت قصيدتين فى هذا الشأن إلا أننى أحببت أن أقفى على آثارها بهذه القصيدة علها تلتقط بمنقار حرصها بعض حبيبات ربما تكون قد تساقطت من رحل أختيها لتصب جميعاً فى معين الشكر والتقدير لمصر بصفة عامة وللأزهر الشريف بصفة خاصة .

شكر وعرفان

(راشد النوفلي - سلطنة عمان)
طالب بدورة القراءات فى الأزهر الشريف

بـدأت ببسم الله والحمـد أولاً
تبارك رحمـانـا رحيما وموئـلا[1]
وبعـد فـإن الحب مـازال غـالبـاً
على كل ضرغام وإن شأنه علا
وبت سهير الليل أهـذى كـأننى
مصاب بسهم فى الحشا قد توغلا
يقول لى الصُحب الكرام أعاشق ؟
أقول لهم كلا وحاشا وألف لا
تجلدت حتى انقـد حبـل تجلدى
وجاهدت حتى انهد جهدى وحوقلا
كتمت دموع الذل حتى تحـدرت
وأظهرت وجه العز حتى تسربلا
فلما رآنى الصحب قالوا ألم نقل ؟
وأظهرت عزا كاذبا ويك (نوفلا)
ألا فاعترف هيا وقل أنت عاشق
فأنكست رأسى ثم قلت بلى بلى
رمتنى بسهم شـك لبى وأدبـرت
فجن جنون القلب والعقل حسبلا[2]
فيا مصر يا مصر السلام تفاخراً
إليك أقرت أذرع المجد بالـولا
ويـا أزهـر العلم الشريف تحية
إليك وشكراً لم يزل بك موئلا
حملت لـواء الـدين حتى رفعتـه
وأصبح نـبراسـا كـما كـان أولا
رشقت صروح الكفر حتى تهدمت
وأخضعت أنف الشرك حتى تذللا
فإن ثم أفواه على الدين سلطت
بـترت ولم تـرقب لهـا متحفـلا
فلله رهبـانـا تـولـوك واعتلوا
بك المجد والعليا رضوا لك منزلا
وكل هزبـر منهـمو روض رحمة
وغيـث علـوم أينـما حل أوبـل
قضينـا بمصر الخير أمتـع رحلة
لعلم وتفـريـج غدت لنـا منهـلا
فلما أتى وقت الـرحيل تناثـرت
دموع الأسى من مقلة النيل هطلا
بكت مصـر أبناءً بها قد تعلموا
قـراءات قـرآن المهيمـن مجمـلاً
بكتهم وضمتهم إلى صـدر ودها
وقالت وصوت الحزن من قلبها علا
رأيـت كثيـراً واستمعت لأكـثر
فما خلت أهدى منكمو قط قد تلا
تعجبت من أخلاقكـم ثم إننـى
تـذكرت قـولا قالـه أفضل الملا
فلو أهل (ما جان) أتيت . . . حديثه[3]
يرينـى خيراً فيكمو قد تسلسلا
فإن أنس مصر الخير لن أنسى نيلها
ولن أنسى أياماً بها الأنس قد حلا

---

(١) البيت من الشاطبية وهى الفية فى القراءات للإمام ابى القاسم الشاطبى .
(٢) حسبلا : اى قال حسبى الله ونعم الوكيل .
(٣) ما جان اسم قديم لعمان .
والحديث (لو اهل عمان اتيت ما سَبوك ولا ضربوك) وهو خطاب لاحد اصحابه - صلى الله عليه وسلم - كان قد ارسله إلى إحدى القبائل العربية فسبوه واساءوا إليه ، وفى حديث الرسول - صلى الله عليه وسلم - تقديم ، اى : لو اتيت اهل عمان (ماجان) ما سبوك ولا ضربوك .

دوحــة الكتب - بقية

انتقل المؤلف بعد ذلك إلى الإشكاليات المنهجية والحاجة للتوجيه الإسلامى ، وفيه يربط الباحثون بين المنهج العلمى وبين نوع محدد من المعرفة ، وهى المعرفة العلمية ، فهناك من يقسم المعرفة إلى ثلاثة أنواع ـ المعرفة الحسية التجريبية البسيطة والمعرفة العقلية ، والمعرفة العلمية .

أشار المؤلف بعد ذلك إلى المنهج العلمى ، وأهمية توجيهه إسلاميا ، طرح فيها عدة أمور هامة :

أولاً : يعالج علماء الغرب العلم فى إطار التصورات المادية .

ثانيا : يختلف الباحثون فى تحديد المقصود بالمنهج . فإذا كان المنهج لغة هو الطريق الواضح المستقيم ، فإن المعنى الاصطلاحى عند علماء المناهج ، غيره عند بعض الكتاب والفلاسفة والمفكرين .

ثالثا : إذا كان أغلب كتاب وفلاسفة المناهج فى الغرب يقرنون المنهج بمنطق الكشف العلمي فإننا لانستبعد هذا التصور ولكننا نراه قاصراً على العلوم الكونية والواقعية فقط .

رابعا : تتنوع الأساليب والمناهج العلمية بتغير تصور المقصود بالعلم ، بالإضافة إلى أمور كثيرة ذكرها المؤلف وصلت إلى عشرة أمور هامة .

أما موقف الإسلام من المناهج أو طرق التفكير والبحث فقد أشار المؤلف إلى أن المنهج هو مجموعة العمليات العقلية (استقراء ـ استنباط أو مقارنة أو رجوع إلى نص) التى تستهدف من ورائها الوصول إلى حقائق أو أحكام ـ سواء فى أمور الدين أو أمور الدنيا ثم الإجابة عن كل التساؤلات .

عزيزى القارىء وفى نهاية الكتاب يعرض المؤلف إلى مسائل كثيرة تهم المسلمين ومناهج وطرق اهتم الإسلام ببيان فسادها وضرورة التخلى عنها منها ، الفهم السحرى والخرافى ، وتعطيل وسائل الفهم الصحيح والاستدلال ثم استخدام طرق بحث وتفكير أو مناهج باطلة .

ثم يوضح معالم المنهج الإسلامى القويم فى الوصول إلى الحقائق والمعارف إعلاء الإسلام من قيمة العلم ، وتنبيهه إلى كل مصادر المعرفة ثم التأكيد على انتظام حركة الكون وحركة المجتمعات وحركة التاريخ ، وأخيراً كان تحديد المنطلقات الإسلامية النظرية والمنهجية فى علم الاجتماع ، منها استخلاص الأسس العامة للإسلام ، ثم استخلاص موقف الإسلام من القضايا التى يدرسها علم الاجتماع ، تحليل دراسات العلماء المسلمين وغيرها من المسائل الهامة العلمية والاجتهادية التى تهم كل مسلم ، فالحرص على أن تجعل هذا الكتاب من سلسلة الكتب العلمية سيضيف إليك الكثير والكثير .

أنباء مكتب شيخ الأزهر

إعداد الأستاذ
عمر البسطويسى

صدر قرار السيد رئيس الوزراء بناء على ما عرضه فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف : يعتمد عضواً بمجلس مجمع البحوث الإسلامية كل من :

الأستاذ الدكتور/ صوفى حسن حسين أبو طالب رئيس مجلس الشعب الأسبق ورئيس لجنة الفقه المقارن بالمجلس الأعلى للشئون الإسلامية .

الأستاذ الدكتور/ أحمد عبد المقصود هيكل وزير الثقافة الأسبق والأستاذ المتفرغ بكلية دار العلوم بجامعة القاهرة .

الأستاذ الدكتور/ محمد أحمد الدهمى الأستاذ المتفرغ بكلية الشريعة والقانون جامعة الأزهر الشريف فى ٨ من ربيع الأول ١٤١٩ هـ الموافق ٢ من يوليو ١٩٩٨ م .

●●

صدر قرار فضيلة الإمام الأكبر الدكتور/ محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر الشريف بأن يسند إلى السيد محمد جلال عبد ربه عبدالمقصود الأمين المساعد للشئون المالية بالأمانة العامة للمجلس الأعلى للأزهر ، القيام بعمل وظيفة الأمين العام للمجلس الأعلى للأزهر اعتباراً من يوم ١٩٩٨/٦/٢٦ ، بالإضافة إلى عمله الأصلى نظراً لخلو وظيفة الأمين العام للمجلس الأعلى للأزهر بإحالة شاغلها فضيلة الشيخ فؤاد محمد محمد البرعى إلى المعاش اعتباراً من ١٩٩٨/٦/٢٥ م .

●●

كما صدر قرار شيخ الأزهر الشريف . . بأن يسند إلى الشيخ/ عبد المغنى عبدالقادر العجمى مستشار مادة « أ » بقطاع المعاهد الأزهرية بدرجة مدير عام القيام بوظيفة رئيس الإدارة المركزية لمنطقة الغربية الأزهرية لحين شغلها بصفة أصلية ممن توافرت فيه شروط شغلها حسب بطاقة وصفها . . ١٠ من ربيع الأول ١٤١٩ هـ ٤ من يوليو ١٩٩٨ م .

●●

صدر قرار شيخ الأزهر الشريف بأن يسند إلى فضيلة الشيخ/ متولى معوض مليجى مهدى مدير

عام التعليم الإعدادى الأزهرى القيام بعمل وظيفة وكيل قطاع المعاهد الأزهرية لشئون التعليم لحين شغلها بصفة أصلية ممن توافرت فيه شروط شغلها حسب بطاقة وصفها. ويسند إلى فضيلة الشيخ / عبدالعزيز أحمد إبراهيم ندا المدير العام للمكتبات والكتب الدراسية القيام بعمل وظيفة وكيل قطاع المعاهد الأزهرية للخدمات لحين شغلها بصفة أصلية ممن توافرت فيه شروط شغلها حسب بطاقة وصفها . . ٥ من ربيع الأول ١٤١٩ هـ - ٢٩ يونية ١٩٩٨ .

●●

صدر قرار شيخ الأزهر يسند إلى كل من السادة الآتية أسماؤهم بعد ، القيام بعمل الوظيفة المبينة قرين اسم كل منهم ، وذلك اعتباراً من ٩٨/٧/١ ، ولحين شغل هذه الوظائف بصفة أصلية ، ممن توافرت فيهم شروط شغلها حسب بطاقات وصفها . . وهم :

١ - الشيخ / محمد كمال أحمد محمد على وكيل منطقة أسيوط الأزهرية للعلوم العربية والدينية إلى رئيس إدارة مركزية لمنطقة أسيوط الأزهرية ندباً .

٢ - الشيخ / محمد أمين المنزلاوى مستشار علوم عربية (ب) إلى مدير عام التعليم الإعدادى ندباً .

٣ - الشيخ / أحمد على صالح حسوب مستشار علوم شرعية (ب) إلى مدير عام التعليم الابتدائى ندباً .

٤ - الشيخ / محمد عبدالسميع عويضة قائم بعمل مدير عام منطقة دمياط إلى وكيل منطقة المنصورة الأزهرية للعلوم الدينية والعربية ندباً .

٥ - الشيخ / أبو الحمد حسين أحمد ربيع مدير التعليم الثانوى بسوهاج إلى وكيل منطقة سوهاج الأزهرية للعلوم الدينية والعربية ندباً .

٦ - الشيخ / محمد على أحمد خليل قائم بعمل وكيل منطقة طنطا الأزهرية للعلوم الدينية والعربية إلى مدير عام منطقة كفر الشيخ الأزهرية ندباً .

٧ - الشيخ / قاسم عبد الصمد السيد الدسوقى وكيل منطقة دمياط الأزهرية إلى مدير عام منطقة دمياط الأزهرية ندباً .

٨ - الشيخ / إسماعيل السيد عيد مدير التعليم الثانوى بمنطقة المنوفية الأزهرية إلى وكيل منطقة المنوفية الأزهرية ندباً .

٩ - الشيخ / محمود إبراهيم جمعة قاسم مدير إدارة التنسيق بمنطقة المنصورة إلى مدير عام معهد المنصورة الأزهرى ندباً .

١٠ - السيد / أحمد محب منصور مستشار المواد الثقافية (ب) إلى مدير عام المكتبات والكتب ندباً .

١١ - الشيخ / السيد محمود سالم دراز مدير التعليم الثانوى بمنطقة الغربية الأزهرية إلى وكيل منطقة الغربية الأزهرية ندباً .

●●

صدر قرار شيخ الأزهر الشريف : تشكل لجنة برئاسة فضيلة وكيل الأزهر الشريف وعضوية كل من :

فضيلة الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية ، فضيلة الأمين العام للمجلس الأعلى للأزهر ، وفضيلة رئيس قطاع المعاهد الأزهرية ، وفضيلة الأمين المساعد للدعوة ، والسيد رئيس الإدارة المركزية للشئون القانونية ، وتكون مهمة هذه اللجنة مايلى :

وضع تصور لمشروع لائحة خاصة بنظام اختيار الوعاظ الذين يندبون للقيام بأعمال التحكيم فى القضايا الشرعية أمام محاكم الأحوال الشخصية ، وضع مشروع لائحة داخلية بنظام العمل فى

الأمانة العامة المساعدة للدعوة والإعلام الديني ، وللجنة أن تستعين بمن تراه لتنفيذ مهمتها . . ٢٢ صفر ١٤١٩ هـ - ١٧ يونية ١٩٩٨ .

●●

صدر قرار فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر بالموافقة على سفر فضيلة الشيخ فوزى فاضل الزفزاف وكيل الأزهر عضواً فى وفد جمهورية مصر العربية المسافر إلى الجماهيرية الليبية الشعبية فى مهمة رسمية للاحتفال بالمولد النبوى الشريف لمدة ثلاثة أيام فى المدة من ١٢ ربيع الأول ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨/٧/٦ م .

●●

كما صدر قرار شيخ الأزهر الشريف تشكل لجنة برئاسة فضيلة الشيخ/ فوزى فاضل الزفزاف وكيل الأزهر الشريف وعضوية :

١ - فضيلة الأستاذ الدكتور نصر فريد واصل مفتى الجمهورية .

٢ - فضيلة الأستاذ الدكتور أحمد عمر هاشم رئيس جامعة الأزهر .

٣ - فضيلة الأستاذ الدكتور عبد الصبور مرزوق نائب رئيس المجلس الأعلى للشئون الإسلامية .

٤ - فضيلة الأستاذ الدكتور طه أبو كريشة نائب رئيس جامعة الأزهر .

٥ - فضيلة الأستاذ الدكتور عبدالرشيد سالم وكيل أول وزارة الأوقاف .

٦ - فضيلة الشيخ/ سامى محمد متولى الشعراوى الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية .

٧ - فضيلة الأستاذ الدكتور عبدالرحمن عبد النبى العدوى عضو مجمع البحوث الإسلامية .

٨ - فضيلة الشيخ/ محمد محمد عبدالرحمن الراوى عضو مجمع البحوث الإسلامية .

٩ - فضيلة الشيخ/ جمال الدين محمد قطب أمين لجنة الفتوى بمشيخة الأزهر مقرر اللجنة ، وتكون مهمة هذه اللجنة دراسة ومناقشة ومتابعة ما ينشر على شبكة الإنترنت من معلومات تسىء إلى الإسلام وتعاليمه وإعداد المادة العلمية الصحيحة رداً على ما ينشر ، وإعداد المادة العلمية الصالحة للبث على شبكة الإنترنت للتعريف الصحيح للإسلام ، وشرح تعاليمه السامية ، وتفسير القرآن والأحاديث النبوية الصحيحة ، تعرض اللجنة تقريراً عما يتم إنجازه أولاً بأول كل خمسة عشر يوماً على شيخ الأزهر ويعاونه فضيلة الأستاذ الدكتور وزير الأوقاف . . ٨ ربيع الأول ١٤١٩ هـ - ٢ يوليو ١٩٩٨ م .

●●

اعتمد فضيلة الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر الشريف نتيجة امتحان الشهادة الإعدادية الأزهرية .

الدور الأول للعام الدراسى ٩٨/٩٧ بلغت نسبة النجاح ٣٦,٧٪ حيث تقدم للامتحان ٩١٨٦٩ نجح منهم ٣٣٦١٧ تلميذاً وتلميذة والعشرة الأوائل على مستوى الجمهورية هم :

الأول : أحمد عبد السميع عبدالسميع . . معهد دسوق كفر الشيخ ٩٥,٤٪

الثانى : أحمد محمد الصادق صديق أحمد . . معهد الأقصر بالأقصر ٩٥,٢٪

الثالث : محمود أحمد محمد مصطفى صالح . . معهد شابور البحيرة ٩٥٪

الثالث مكرر: لقبة أحمد رزق سنيد . . معهد صفط تراب الغربية ٩٥٪

الخامس : محمد حسن سعد الشافعى . . معهد الجمايلة كفر الشيخ ٩٤,٨٪

الخامس مكرر : ياسمين مسعد أبو الفتوح محمد . . سمنود الغربية ٩٤,٨٪
السابع : محمد عزت عبدالسلام أبو منديل . . محلة أبو على كفر الشيخ ٩٤,٦٪
الثامن : الشيماء محمد رقاعى محمد حسن . . طحانوب القليوبية ٩٤,١٪
الثامن مكرر : نهى سعد متولى عبدالمقصود . . العاشر من رمضان شرقية ٩٤,١٪
العاشر : عبد الله على حسن إسماعيل . . السنبلاوين الدقهلية .

كما اعتمد فضيلته نتيجة امتحان شهادات معاهد القراءات التجويد - التخصص - العالية للدور الأول للعام الدراسى ٩٨/٩٧ . . وكانت كالتالى :

إجازة التجويد : بلغت النسبة المئوية ٤٢,٣٪ حيث تقدم للامتحان ١٣٧٧ نجح منهم ٥٠٧ ، والخمسة الأوائل من المبصرين :

١ - صلاح الدين عبدالعزيز على - معهد شبين الكوم .
٢ - إيهاب حسن على حسن - معهد بنها .
٣ - سامى شحاتة عبد الباقى - معهد بنى سويف .
٤ - قاسم عبد الغفار مصطفى - معهد إسكندرية .
٥ - محمد أحمد عبده الأقرع - معهد طنطا .

والخمسة الأوائل من المكفوفين :
١ - ناصر سلمى مصلح جرير - معهد العريش .
٢ - سعيد فوزى محمد أحمد - معهد شبرا .
٣ - فتحى رمضان امبارك - معهد طنطا .
٤ - نادى حمودة نادى حميدة - معهد دمنهور
٥ - عماد حسين عبدالحكيم منصور معهد الزقازيق

٢ - التخصص : بلغت النسبة المئوية ٤٨,٢٪ حيث تقدم للامتحان ٢٧٠ نجح منهم ١٢٣ ، وترتيب الخمسة الأوائل من المبصرين :
١ - على محمد السيد على - معهد دمنهور .
٢ - محمد أحمد محمد إسماعيل - معهد دمنهور .
٣ - خالد محمد جمعة مصطفى - معهد المنصورة .
٤ - محمود مصطفى عبدالعليم - معهد ملوى
٥ - عبدالسلام إسماعيل محمد - معهد الأقصر .

وترتيب الأوائل من المكفوفين :
١ - سليمان محمد العزب - معهد شبرا .
٢ - صبحى سيد محمود أبو العلا - معهد بنى عدى .
٣ - أحمد محمد الديساوى - معهد شبراباخوم .

٣ - عالية القراءات : بلغت النسبة المئوية ٤٥٪ حيث تقدم للامتحان ٥٦٢ نجح منهم ٢٣١ . . وترتيب الخمسة الأوائل من المبصرين :
١ - عادل عبدالرحمن - الفيوم .
٢ - كمال محمد على - سوهاج .
٣ - حسن محمد عبدالقادر - المنصورة .
٤ - هانى إبراهيم طه البسيونى دمياط .
٥ - سعيد دردير أحمد إبراهيم - بنى عدى .

وأوائل الطلاب المكفوفين :
١ - محمد الأمير أحمد عبدالبديع - ملوى .
٢ - أحمد محمد حسين - بنها .
٣ محمد الأمير خليفة عمران - سوهاج .
٤ - وائل سعد رمضان جبريل - الإسكندرية .
٥ - إبراهيم شحاتة عبدالتواب - كفر الشيخ .

كما اعتمد فضيلته امتحان الشهادة الابتدائية الأزهرية للدور الأول للعام الدراسى ٩٨/٩٧ ، وبلغت نسبة النجاح ٥٦,٠٧٪ ، حيث تقدم

للامتحان ١١٨٦١٢ تلميذاً وتلميذة . . والطلاب العشرة الأوائل :

الأول : منى أحمد راشد محمد . . كوم حمادة بحيرة .

الثانى : مدحت حامد على صابون ـ صفط العنب بحيرة .

الثالث : أسماء دياب عبدالرحمن عبدالله نور الإسلام ـ أسيوط .

الرابع : أحمد محمد محمد عبدالكريم ـ العاشر من رمضان النموذجي الشرقية .

الرابع مكرر : إسراء إبراهيم عبده إبراهيم بلقان القليوبية .

السادس : مروة حسن سديرة محمد . . عمر ابن الخطاب أسيوط .

السابع : ريهام عبدالتواب محمد فنجرى . . نور الإسلام أسيوط

الثامن : راجيا حسنين إحسان محمد . . ١٥ مايو فتيات النموذجى القاهرة .

الثامن مكرر : شاهندا نصر أحمد محمد حجازى . . ١٥ مايو الفتيات النموذجى القاهرة .

العاشر : مى السيد عبد الغنى محمد ـ العاشر من رمضان النموذجى .

كما اعتمد فضيلته نتيجة الشهادة الإعدادية للبعوث الإسلامية الدور الأول للعام الدراسى ٩٨/٩٧ ، وبلغت نسبة النجاح ٢٥,٦٪ ، حيث تقدم للامتحان ٦٤٩ ، حضر الامتحان ٦٣٠ ، نجح منهم ١٦١ طالباً ، والعشرة الأوائل هم :

الأول : محمد المهدى أحمد ـ من تشاد معهد الإسكندرية .

الثانى : محمد إدريس . . الكاميرون معهد القاهرة .

الثالث : أوارى موسى سالم مدغشقر معهد الإسكندرية .

الرابع : غياروف عبدالبصير . . معهد القاهرة .

الخامس : حسين إسحاق . . بنين معهد القاهرة .

السادس : جميلا توف محمد داغستان معهد القاهرة .

السابع : مقويم ناصر ـ الكاميرون معهد القاهرة .

الثامن : على عبدالله نيالى ـ سيراليون معهد القاهرة .

التاسع : حستوف إسماعيل ـ أذربيجان معهد القاهرة .

العاشر : جمال إدريس . . زائير معهد القاهرة .

●●

تحت عنوان (العلوم الاجتماعية ودورها فى مكافحة العنف فى المجتمعات الإسلامية) عقدت جامعة الأزهر مؤتمراً تحت رعاية فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف فى الفترة من ٢٨ ـ ٣٠ يونيو ٩٨ بمركز الشيخ صالح كامل للاقتصاد الإسلامى ، وناقش المؤتمر جذور العنف والتطرف وكيفية مواجهتها والجوانب الاقتصادية والسكانية للعنف والتطرف ودور الخدمة الاجتماعية وعلم النفس والجوانب الشرعية والدعوية لمواجهة العنف والتطرف ، والهدف من المؤتمر هو بيان كيفية توظيف العلوم الاجتماعية فى خدمة وتنمية المجتمعات العربية ، والإسلامية ، ومواجهة أزماتها ومحاولة الوصول إلى استراتيجية شاملة ومتكاملة لمواجهة الظواهر المرضية ، وقد وجه شيخ الأزهر فى كلمته إلى غرس الفضائل كالصدق والأمانة فى الأطفال منذ الصغر حتى ينشأ جيل

صالح سليم قوى ينفع نفسه ووطنه بعيدا عن التطرف والعنف ، كما وجه العلماء كل فى مجال تخصصه أن يكون قدوة صالحة طيبة ، ويشترك الجميع فى نشر الفضائل ومكارم الأخلاق ، وبذلك يقل العنف بل ويتلاشى من المجتمع ويشيع الحب والوئام .

وقد أوصى المؤتمر فى ختام جلساته بضرورة بناء سياسة بحثية تركز على الدراسة المنهجية لمشاكل المجتمع ومواجهة أزماتها وعلى رأسها ظاهرتا التطرف والعنف باعتبارهما ظاهرتين وافدتين على الأمة .

كما طالب المؤتمر بإحكام الرقابة على العشوائيات والمناطق المتخلفة داخل المدن العربية الإسلامية ضماناً لعدم ظهور منحرفين .

●●

استقبل فضيلة الإمام الأكبر طلاب المرحلة المتوسطة بالجالية الإسلامية بولاية نيوجرسى بالولايات المتحدة الأمريكية فى إطار زيارتهم لجمهورية مصر العربية والتى ينظمها المركز الثقافى الإسلامى بالولاية برئاسة الدكتور/ كمال أحمد الجاريج نائب رئيس المركز .

وقد دار الحديث خلال اللقاء حول التعريف بالأزهر الشريف ودوره فى نشر الدعوة والثقافة الإسلامية فى العالم أجمع ونوعية الدراسة التى تمتاز بالاعتدال والتوسط والبعد عن التطرف .

وقد أجاب فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر عن أسئلتهم واستفساراتهم .

وقد وجههم فضيلته إلى المحافظة على هويتهم الإسلامية ، وتعلم اللغة العربية إلى جانب لغتهم التى يجيدونها ، كما وجههم إلى المحافظة على الآداب الإسلامية والتكاليف الشرعية من صلاة وصيام وزكاة وحج لمن استطاع إليه سبيلاً ، كما حثهم على المحافظة على حفظ القرآن الكريم ، والأحاديث النبوية الشريفة .

وقد شكر رئيس الوفد فضيلة الإمام الأكبر على حُسن اللقاء ، وعلى إتاحة الفرصة لاستقبالهم وتعريفهم بأمور دينهم ، لأن الهدف من هذه الزيارة هو ربط هؤلاء الطلاب بجذورهم العربية والإسلامية وتعريفهم بدور العلماء فى نشر الإسلام فى العالم أجمع واتصالهم بهم حتى يشعروا بأنهم جزء لا يتجزأ من العالم العربى والإسلامى ، كما قدم الشكر لفضيلة الإمام الأكبر على نصائحه وتوجيهاته لهم ، والتى تركت أثراً كبيراً فى نفوسهم سيظلون يحتفظون به لحين عودتهم إلى بلادهم وسيعملون بما سمعوه وماااستمعوا إليه من شيخ الأزهر .

كما قام الوفد بزيارة الجامع الأزهر الشريف بعد تجديده وافتتاحه واستمعوا إلى شرح لنشأته وبنائه وتطور مراحله وطريقة التعليم به ونوعية الدراسة به وتطورها منذ نشأته حتى الآن ، كما قاموا بزيارة المناطق الأثرية الأخرى بالقاهرة الفاطمية ، حضر اللقاء عمر البسطويسى المدير العام للعلاقات العامة والإعلام بالأزهر الشريف . . ١٧ ربيع الأول ١٤١٩ هـ ـ ١٩٩٨/٧/١١ م .

●●

كما استقبل فضيلته معالى وزير العدل والشئون الإسلامية محمد بن نخيرة الظاهرى بدولة الإمارات والوفد المرافق لسيادته ، حيث أبلغ معالى الوزير تحيات صاحب السمو الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان رئيس دولة الإمارات العربية لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر ، وتناول اللقاء الجهود المبذولة لجمع شمل العالم الإسلامى ودور مصر ودولة الإمارات العربية فى هذا المجال ،

وأشاد معالى الوزير بدور الأزهر البارز فى العالم أجمع من خلال علمائه وبعثاته فى نشر الإسلام والدعوة والثقافة الإسلامية فى العالم أجمع والمنح الدراسية التى يقدمها الأزهر لأبناء المسلمين للدراسة بالأزهر وجامعته العريقة ، حيث إن خريجى الأزهر يمثلون الآن فى دول العالم مراكز قيادية . وقال : إننا نفخر بسمعة الأزهر لتأثيره فى العالم أجمع . وقد شكره فضيلة الإمام الأكبر على زيارته وحمله إبلاغ تحياته لصاحب السمو الشيخ زايد آل نهيان أمير دولة الإمارات العربية المتحدة ، وأكد شيخ الأزهر أن مصر بقيادة السيد الرئيس محمد حسنى مبارك وسمو الشيخ زايد رئيس دولة الإمارات العربية يتعاونان لصالح لم الشمل العربى والإسلامى على كلمة سواء ، حضر اللقاء المدير العام للعلاقات العامة والإعلام . . ١١ ربيع الأول ١٤١٢ هـ ـ ١٩٩٨/٧/٥ م .

●●

كما استقبل فضيلة الإمام الأكبر سعادة الدكتور/ عبدالله العبيد أمين عام رابطة العالم الإسلامى فى إطار مشاركته فى المؤتمر العاشر للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية المنعقد بالقاهرة ، وقد هنأ سيادة فضيلة شيخ الأزهر بنجاح أعمال المؤتمر والجهد الذى بذل لإنجاح هذا المؤتمر والموضوعات التى طرحت والأبحاث التى قدمت .

وقد شكره شيخ الأزهر على حضوره المؤتمر وزيارته للأزهر الشريف مشيداً بالدور الهام الذى تقوم به الرابطة .

●●

كما استقبل فضيلة الإمام الأكبر الدكتور/ عبدالحميد فوزى وزير النقل والمواصلات بدولة سيرلانكا . وقد أشاد الضيف بدور الأزهر الشريف فى نشر الدعوة والثقافة الإسلامية والمنح الدراسية التى يقدمها الأزهر لتعليم أبناء سيرلانكا للدراسة فى الأزهر الشريف وجامعته العريقة حيث يوجد عدد كبير من طلاب سيرلانكا بمعاهد وكليات الأزهر ، وقد طلب الضيف زيادة المنح الدراسية لأبناء سيرلانكا ، وقد وعد فضيلته بتلبية طلبه ، كما شكر الأزهر على نجاح المؤتمر العاشر للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية .

●●

كما استقبل فضيلة شيخ الأزهر معالى الوزير/ عبدالمنعم أحمد صالح وزير الأوقاف العراقى فى إطار مشاركته لأعمال المؤتمر العاشر للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، وأشاد الوزير بنجاح المؤتمر ودور الأزهر الشريف فى نشر الدعوة والثقافة الإسلامية فى شتى أنحاء العالم ، وقد شكره شيخ الأزهر على هذه الزيارة .

وقد حضر اللقاء السفير/ نبيل نجم مندوب العراق بجامعة الدول العربية والمدير العام للعلاقات العامة والإعلام . . ١١ من ربيع الأول ١٤١٩ هـ ـ ١٩٩٨/٧/٥ م .

●●

عقد بالقاهرة المؤتمر العام العاشر للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية بعنوان : (الإسلام والقرن الحادى والعشرون) فى المدة من ٨ ـ ١١ ربيع الأول ١٤١٩ هـ ـ ٢ ـ ٥ يوليو ١٩٩٨ م . . بفندق ماريوت تحت رعاية السيد الرئيس محمد حسنى مبارك رئيس جمهورية مصر العربية ، ورئيس شرف المؤتمر فضيلة الإمام الأكبر د . محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر ورئيس المؤتمر الأستاذ الدكتور محمود حمدى زقزوق وزير الأوقاف ورئيس المجلس الأعلى للشئون الإسلامية .

ويدور المؤتمر حول أربعة محاور رئيسية .

الأول : الإسلام والتطور الحضارى .

الثانى : موقف الإسلام من العولمة فى المجال السياسى .

الثالث : موقف الإسلام من العولمة فى المجال الاقتصادى .

الرابع : موقف الإسلام من العولمة فى مجال التقدم العلمى .

وقد حضر المؤتمر أكثر من مائتى شخصية إسلامية عالمية من حوالى سبعين دولة عربية وإسلامية وأجنبية فى مقدمتهم وزراء الأوقاف والعدل والشئون الإسلامية ورؤساء الهيئات الإسلامية فى العالم وممثلون للجاليات والأقليات المسلمة بالدول الأجنبية ومن كبار المفكرين فى أوروبا وأمريكا .

وتحدث السيد الرئيس فى كلمة ألقاها نيابة عنه وزير الأوقاف المصرى الأستاذ الدكتور محمود حمدى زقزوق حيث قال : « إن الإسلام حضارة وعلينا مواجهة إساءة فهمه فى الداخل والخارج ، وإن بقاء الأمة مرتبط بالأخذ بالعلم ونبذ الخلافات ، وقال : إن على المسلمين إعادة النظر فى مواقفهم وبذل الجهود للوصول إلى المكان اللائق . وقال : إن التمزق والتفرقة يفتت طاقات الأمة ويشل حركتها ويسلب إرادتها . وقال : إن الدين ليس مسئولاً عما يرتكبه بعض الحمقى من أبنائه . وقال : إن القوة الحقيقية اليوم ليست فى القوة العسكرية والتسلح العسكرى ، ولكنها قوة العلم والتخطيط ومحاولة امتلاك أحدث وأقوى ما أنتجته عبقريات العلماء والباحثين المبدعين فى شتى أنحاء العالم » .

وقال شيخ الأزهر أمام المؤتمر : « نحن نرحب بكل تقدم علمى وتكنولوجى بشرط نفعه للبشرية ، وقال : إن قوة الدولة تعكسها أخلاقها وقيمها وليس ثروتها وتقدمها . وقال : إن شريعة الإسلام لم تأت بشىء يخالف العقل السليم أو يعرقل مسيرة الإنسان نحو التقدم فى الحياة لأن الإسلام دين صالح لكل زمان ومكان » .

وقال الدكتور محمود حمدى زقزوق وزير الأوقاف فى كلمته : « إن النزاعات والانقسامات هى أهم التحديات ، والفهم المستنير للإسلام يكشف الوجه الحضارى لهذا الدين . وقال : إن هذا الدين تتماشى تعاليمه مع كل زمان ومكان ويؤكد قدرته على الصمود أمام كل التحديات » .

وفى ختام المؤتمر أوصى بدعم التعاون للقضاء على الإرهاب ، وإنشاء محكمة جنائية دولية لمعاقبة الإرهابيين ، وحث الدول الإسلامية لمساعدة الفلسطينيين لإقامة دولتهم ، ودعم المسلمين فى كوسوفا ، وأهمية القضاء على أسلحة الدمار الشامل ، الالتزام بأحكام الإسلام فى تنظيم حياة الأمة الإسلامية واحترام حقوق الإنسان السياسية والمدنية والاقتصادية والاجتماعية ، تكثيف الجهود المبذولة فى مجال الإعلام من جانب العالم الإسلامى حتى يكون للإسلام صوت مسموع فى كافة وسائل الإعلام الدولية ، الدفاع عن كيان الأمة الإسلامية ، ردع العدوان على الدول الشقيقة فى إطار الشرعية الدولية .

وفى ختام المؤتمر أرسل رؤساء وأعضاء الوفود المشاركة برقية شكر وتقدير للسيد الرئيس محمد حسنى مبارك رئيس الجمهورية على ما قدمه للمؤتمر من رعاية ، وما أولاه لعلماء المسلمين من موفور التقدير ، وأن المؤتمر يؤيد خطوات سيادته المباركة وسياسته الحكيمة التى يتبعها لإعلاء قيم الحق والعدل والخير ونصرة قضايا الإسلام والمسلمين وحل المشكلات التى تواجه شعوب أمتنا فى الحاضر والمستقبل .

شهد الرئيس محمد حسنى مبارك الاحتفال بالمولد النبوى الشريف ، وقد أكد فى كلمته على ضرورة أن يستلهم المسلمون منهج النبى الكريم - صلى الله عليه وسلم - فى بناء الفرد والمجتمع ، وفى إقامة جسور الاتصال بين شعوبهم ، وأعلن أن القرن القادم يدق أبوابنا بعد أقل من عشرين شهراً حاملاً معه مخاطر جديدة وتحديات غير مسبوقة وفرصاً للتقدم والرخاء لا يجب أبدا أن تفلت من أيدينا ، وأكد على أن ثروات الأمم أصبحت تقاس الآن بما تعلم ، وليس بما تملك بعد كل ما تحقق من تقدم فى العلوم والتكنولوجيا فى العصر الحديث وليس أمام المسلمين سوى النهوض والتقدم وتحقيق القفـزة الحضاريـة الكبرى ، وقال : إن منهج الرسول - صلى الله عليه وسلم - ذخيرة هامة للشعوب الإسلامية وهى تسعى لتحقيق النهضة الحضارية واسترداد مواقع الصدارة ، وأوضح أن الإسلام أكد على ضرورة الحرص على العلم والعمل والقوة كأسس هامة لبناء الفرد والمجتمع ، وأشار إلى أن القوة فى الإسلام تستهدف حراسة الحق وحماية البناء وردع العدوان .

وقد كرم السيد الرئيس ثمانية من علماء الإسلام ومفكريه من بينهم عالمان من خارج مصر ، كما منح قلادة الجمهورية لاسم الإمام الراحل فضيلة الشيخ الشعراوى الداعية الإسلامى تقديراً لما أداه من خدمات للبلاد وقد تسلمها نجله فضيلة الشيخ سامى الشعراوى الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية ، كما سلم جوائز الحج والعمرة للفائزين فى مسابقة المولد النبوى الشريف .

كما تحدث شيخ الأزهر عن أن الرسول الكريم - صلى الله عليه وسلم - خير قدوة للبشرية جمعاء ، وعلينا جميعاً أن نقتدى به ونسير على نهجه سلوكاً وقولاً وعملاً امتثالاً لقول الله - تعالى - :

﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾

(الأحزاب - ٢١) وعلينا أن نتذكر خلقه وصبره وحلمه وعبادته ، وبذلك نذكر الناس بأن الله أرسله رحمة للعالمين لكى يخرج الناس من الظلمات إلى النور .

● ●

اعتمد فضيلة الإمام الأكبر أ.د محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر الشريف نتيجة امتحان الدور الأول للشهادة الثانوية الأزهرية بقسميها (العلمى والأدبى) للعام الدراسى ٩٨/٩٧ .

وقد بلغت النسبة العامة للنجاح ٤٦,٧٪ ، علما بأن نتيجة القسم الأدبى بلغت ٤٠,١٪ ، حيث تقدم للامتحان ٢٤٣١٦ نجح منهم ٩٧٢٢ طالبا وطالبة .

وبلغت نسبة النجاح بالقسم العلمى (علوم) ٦٢,٦٪ حيث تقدم للامتحان ٩٥٩١ نجح منهم ٥٩٠٨ طلاب وطالبات ، وبلغت نسبة النجاح فى قسم الرياضيات ٦٣,٦٪ ، حيث تقدم للامتحان ٥٥٩ نجح منهم ٣٥٣ طالبا وطالبة .

وجاء ترتيب العشرة الأوائل من القسم الأدبى على النحو التالى :

الترتيب	الاسم	المعهد	المجموع	النسبة المئوية
الأول	محمد فوزى حسن عبد الحى	الدلنجات	٥٢٩	٩٢,٨٪
الثانى	رشا عبد السلام محمود مكى	ف . زرقان	٥٢٢	٩١,٥٪
الثالث	نجوى إبراهيم سعد حجاج	ف . دمنهور	٥١٩	٩١,١
الرابع	عزة عبد الرحيم محمد سليمان	ف . محمد رجب	٥١٦	٩٠,٥٪
الخامس	سهام أحمد بدوى بدوى جاب الله	ف . طنطا	٥١٥	٩٠,٤٪
السادس	حمدى حسن أيوب عبد الرازق	بسيون	٥١٤	٩٠,٢٪
السادس مكرر	محمود محمد عبد الفتاح	دكرنس	٥١٤	٩٠,٢٪
السابع	نجلاء المتولى الشحات	ف . أجا	٥١٣	٩٠٪
الثامن	أحمد إمام عبد العزيز عيد	كفر الشيخ	٥١٢	٨٩,٨٪
الثامن مكرر	سمية عبد السلام عبده الشيخ	ف . طنطا	٥١٢	٨٩,٨٪

وقد احتل المراكز الخمسة الأول كل من :

الترتيب	الاسم	المعهد	المجموع	النسبة المئوية
الأول	أحمد فاروق إبراهيم مصطفى	د. طلعت النموذجى	٦٢٢	٩١,٥٪
الثانى	محمد عبد الصمد عبد ربه محمد	حسن أبو بكر	٦٢٠	٩١,٢٪
الثالث	حسين العليمى حسن علام	المنصورة	٦١٩	٩١٪
الثالث مكرر	محمد أمين عبد الهادى أحمد	طوخ	٦١٩	٩١٪
الخامس	عمر محمد محمد عبد العزيز	د. طلعت النموذجى	٦١٨	٩٠,٩٪

ومجلة الأزهر تهنىء جميع الناجحين ، وتتمنى التوفيق لبقية الطلبة .

وكان الخمسة الأوائل من القسم الأدبى (مكفوفون) هم :

الترتيب	الاسم	المعهد	المجموع	النسبة المئوية
الأول	وليد السيد مصطفى فرج	شربين	٤٧٩	٨٤٪
الثانى	صباح عمر عمر أبو زيد	ف. سيدى سالم	٤٢٧	٧٤,٩٪
الثالث	عمر أحمد عبد المغيث	نزلة القاضى	٤١٩	٧٣,٥٪
الرابع	هانى سعد مصطفى المنير	دمياط	٤١٦	٧٣٪
الخامس	عطية محمود محمد حسانين	سنهور المدينة	٤١٤	٧٢,٦٪

أما القسم العلمى (شعبة علوم) فكان ترتيب العشرة الأوائل كما يلى :

الترتيب	الاسم	المعهد	المجموع	النسبة المئوية
الأول	هبة محمد عبد الجليل السيد	ف. مدينة نصر	٦٣٥	٩٧,٧٪
الثانى	محمد سرحان السيد أبو المجد	دكرنس	٦٣٣	٩٧,٤٪
الثالث	محمد ممدوح أحمد عبد الوهاب	كفر الشيخ	٦٣١	٩٧,١٪
الرابع	بشير أبو الفتوح السيد الطنطاوى	دمياط	٦٣٠	٩٦,٩٪
الخامس	فاطمة محمود محمد السعيد	ف . المنصورة	٦٢٨	٩٦,٦٪

الترتيب	الاســـم	المعهـــد	المجموع	النسبة المئوية
السادس	عمرو مصطفى نبيل أحمد محمد	د. طلعت النموذجى	٦٢٦	٪٩٦,٣
السابع	أحمد أمين عبد العزيز عاشور	د. طلعت النموذجى	٦٢٥	٪٩٦,٢
السابع مكرر	أحمد محمد لبيب محمد السباعى	كشك بزفتى	٦٢٥	٪٩٦,٢
السابع مكرر	محمود جابر عبد العظيم الطبال	كشك بزفتى	٦٢٥	٪٩٦,٢
السابع مكرر	نيفين نبيه أبو الفتوح عبد المطلب	ف . المنصورة	٦٢٥	٪٩٦,٢

أخبار العالم الإسلامى

يحررها الدكتور
حسن علي محمد

كرامة الشعوب وأمنها .. لا تباع ولا تشترى

السيد الأمريكى لم يع الدرس الباكستانى ، ولا أعلم سياسة تتمتع بقدر وافر من الجهل ، مثل السياسة الأمريكية ، فى المنطقة العربية ، والإسلامية .. ربما كان هذا الجهل نابعاً من استخفاف .. وربما كان نابعاً من غرور مكذوب .. كذوب .. وفى كل الأحوال .. برهن الباكستانيون على حقيقة ناصعة .. هى : أن الكرامة لا تباع ، ولا تشترى .. فقد رفضوا مزاد السيد كلينتون فى سوق النخاسة ، حين عرض خمسة مليارات من الدولارات ، مقابل عدم إجراء تفجيرات نووية مصحوبة بوعود كثيرة .

ولأن الباكستان وعت وفهمت أسلوب السيد الأمريكى ، رفضت بعزة الأموال ؛ لأن أمن شعبها لا يقدر بأموال العالم كله .

لقد رأينا كيف صرح رئيس الوزراء الباكستانى لإبراهيم نافع رئيس تحرير الأهرام بتاريخ ١٩٩٨/٦/٢٦ بأنه رفض مليارات أمريكا لأن الأمن القومى الباكستانى غير قابل للمساومة ، ولو بأموال أمريكا كلها ، ومن الدرس الباكستانى نعلم : أن الاعتماد على النفس ، هو صمام الأمن القومى ، ومن الدرس الباكستانى نعلم أن أمة الإسلام لم تمت ، كما يتوهم السيد الأمريكى .. وإننا مستعدون لأكل أوراق الشجر .. من أجل بلدنا .. عزيزاً كريماً .

الرئيس مبارك يدعو المسلمين إلى المشاركة فى بناء عالم يسوده العدل والحرية والسلام

فى خطابه - احتفالاً بالمولد النبوى - حث الرئيس محمد حسنى مبارك ، العالم الإسلامى على استلهام جوهر الرسالة المحمدية فى بناء الفرد الصالح ، وتكوين المجتمع المترابط ، وإقامة جسور التعاون مع الأمم .

وقال السيد رئيس الجمهورية : إن القرن القادم يحمل تحديات ، ومخاطر جسيمة وغير مسبوقة .

وقد كرم السيد الرئيس ثمانية من علماء الإسلام ومفكريه ، بينهما اثنان من خارج مصر ، كما منح قلادة الجمهورية وهى أرفع وسام مصرى لاسم فضيلة الإمام الشيخ محمد متولى الشعراوى .

● **والتوصية بمحكمة عدل إسلامية :**

اختتم المجلس الأعلى للشئون الإسلامية مؤتمره العاشر فى القاهرة ، وقد أصدر عدة توصيات : من أهمها : ضرورة إنشاء محكمة عدل إسلامية ؛ للنظر فى النزاعات بين الدول الإسلامية ؛ لمنع التدخل الأجنبى فى شئون العالم الإسلامى .

● **و١٥٠ دولة بحثت مستقبل العالم الإسلامى :**

فى مؤتمره العام ، عقد المجلس الأعلى للشئون الإسلامية جلساته على مدار ثلاثة أيام تحت شعار « الإسلام والقرن الحادى والعشرون » ناقش فيها عدة محاور مهمة بحضور لفيف من كبار علماء الإسلام .

القاهرة خاص لـ « الأزهـر » :

الإمام الأكبر:
لا تغيير أو حذف فى المناهج الدراسية بالأزهر

أكد فضيلة الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر على أن المناهج الدراسية بالأزهر الشريف باقية كما هى ، دون حذف أى شىء من المقررات ولا تهاون فى حفظ القرآن الكريم للطلاب ، وسيتم اختيار مدرسين من أصحاب الكفاءات العالية للتدريس لطلاب المعاهد الأزهرية .

ويعلن : إن مبارك وزايد يتعاونان لصالح الأمة الإسلامية

أكد فضيلة الإمام الأكبر : أن الرئيس حسنى مبارك وسمو الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان رئيس دولة الإمارات العربية المتحدة ، يتعاونان لصالح الأمة العربية والإسلامية ، ويعملان بإخلاص ، من أجل لم الشمل العربى ، وجمع الأمة على كلمة سواء .

جاء ذلك خلال استقبال الإمام الأكبر لوزير الأوقاف والشئون الإسلامية بدولة الإمارات .

●●●●

ورئيس جامعة الأزهر يعلن :

قناة الدعوة الإسلامية تبث الفكر المعتدل

أعلن الأستاذ الدكتور أحمد عمر هاشم رئيس جامعة الأزهر : إن قناة الدعوة الإسلامية التى تجرى حالياً ترتيبات إنشائها لبثها على القمر

المصرى (نايل سات) تستهدف عرض الصورة الحضارية للإسلام ونشر الفكر الدينى المعتدل وخدمة الدعوة الإسلامية ، والرد على المزاعم التى تروج ضد الإسلام والمسلمين ، وقال : إن القناة الجديدة التى يشارك الأزهر فيها سوف تبث برامجها باللغة العربية مع ترجمة لبعضها باللغات الحية ، وأكد أنه سوف يشارك فى القناة كوكبة من كبار علماء الأمة .

●●●●

أساتذة من جامعة الأزهر للتدريس بالجامعات الكويتية

استقبل الإمام الأكبر د . محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر : وزير الأوقاف الكويتى والوفد المرافق له ، حيث أشاد الوزير الكويتى بالدور البارز للأزهر فى العالم كله .

ووقع الدكتور أحمد عمر هاشم والدكتور الكليبى ثلاث اتفاقيات للتعاون العلمى والثقافى ، تشمل إيفاد أعضاء هيئة التدريس إلى الجامعات الكويتية واستقبال طلاب الكويت ، بجامعة الأزهر بمرحلتى الماجستير والدكتوراه .

●●●●

دعم التعاون المشترك بين جامعة الأزهر والأكاديمية العربية

لتعزيز التعاون فى مجالات الدراسات الأكاديمية والاقتصاد الإسلامى والتدريب تم التوقيع على اتفاق للتعاون المشترك بين جامعة الأزهر والأكاديمية العربية للعلوم المصرفية والمالية ، وقد وقع الاتفاق الدكتور أحمد عمر هاشم رئيس الجامعة والدكتور مصطفى هديب رئيس الأكاديمية العربية .

ووجهت الأكاديمية الدعوة لوفد من جامعة الأزهر لزيارة مقرها الرئيسى فى العاصمة الأردنية عمان .

وأكد الدكتور هديب رئيس الأكاديمية العربية تقديره لجامعة الأزهر باعتبارها أقدم الجامعات العربية والإسلامية فى العالم .

●●●●

وزير الأوقاف المصـــرى :

قضية الأمية فى العالم الإسلامى تحتل الأولوية فى المرحلة المقبلة

صرح الأستاذ الدكتور محمود حمدى زقزوق وزير الأوقاف بأن : قضية الأمية فى العالم الإسلامى سوف تتصدر أولوية العمل فى المرحلة المقبلة من خلال منهج عملى قابل للتنفيذ ، بالإضافة إلى التنسيق بين علوم الدنيا والدين لإيجاد شخصية المواطن المسلم المتكامل القادر على مواجهة القرن المقبل والتعامل مع التكنولوجيا الحديثة .

●●●●

مؤتمر « الترجمة وتفاعل الحضارات » يناقش :

مواجهة محاولات تحريف القرآن على « الإنترنت »

أعلن الأستاذ الدكتور أحمد عمر هاشم رئيس جامعة الأزهر أنه سوف يتم افتتاح مركز تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها بجامعة الأزهر .

وأعلن الدكتور سامح جاد نائب رئيس جامعة الأزهر أن المؤتمر بحث المشكلات التى تواجه ترجمات معانى القرآن الكريم إلى اللغات الحية لتحقيق التفاعل بين الشعوب الإسلامية .

ونبه الدكتور طه أبو كريشة إلى أهمية الترجمة فى التصدى لحملات تشويه صورة الإسلام من خلال

تحريف القرآن باستخدام شبكة المعلومات الدولية « الإنترنت » .

الجدير بالذكر أن المؤتمر استمر ٣ أيام ، وتعرض خلالها ١٠٠ بحث فى ثلاثة محاور رئيسية مرتبطة بترجمات القرآن الكريم والتفاسير والمعاجم اللغوية ومشكلات نقلها وترجمتها .

●●●●

الجزائـــر :

جدل بين الأحزاب حول قانون تعميم التعريب

تصاعدت ردود الفعل المعارضة للقانون بعد دخوله حيز التنفيذ ، وقد عارض القانون حزب الجبهة الاشتراكى ، بينما أعلن حزب التجمع الوطنى الديمقراطى تمسكه بالهوية الوطنية والعروبة والأمازيجية .

وقال : إن استخدام اللغة العربية لغة رسمية للدولة هو مطلب شعبى باعتباره من مقومات السيادة الوطنية .

●●●●

دمشـــق :

نقلا عن مراسل الأهرام عاطف صقر

مفتى سوريا يدعو إلى إنشاء قناة فضائية عربية للتعاليم الأخلاقية

افتتح الشيخ أحمد كفتارو مفتى سورية الدورة التأهيلية العالمية السادسة للأئمة والدعاة من البلدان غير الناطقة باللغة العربية فى أفريقيا وآسيا وأوروبا وأمريكا .

يشارك فى الدورة ١٤٠ إماماً ومعلماً من ٤٢ دولة ، ودعا مفتى سورية إلى الوسطية والاعتدال والتفاعل مع شعوب العالم ، وأكد أنه لا نجاة للإنسانية إلا بالعودة إلى تعاليم الله ـ سبحانه وتعالى ـ كما دعا إلى إنشاء قناة فضائية عربية وإسلامية متخصصة لنشر الإسلام وإعادة بناء الإنسان المتفوق بالعلم والعمل .

●●●●

قطـــر :

صلاة الغائب على روح الشيخ الشعراوى فى قطر والبحرين

اهتم معظم خطباء مساجد قطر بالحديث عن مآثر الشيخ الشعراوى ، والإشادة بدوره ، فى خدمة الإسلام والمسلمين ، وقد أدى المصلون صلاة الغائب على روحه .

●●●●

البحريـن :

إحباط محاولة لضرب اقتصاد البحرين

أكد رئيس وزراء البحرين الشيخ خليفة بن سلمان آل خليفة أن بلاده تمكنت من احتواء المخطط الدولى لضرب اقتصادها بتزييف كميات ضخمة من العملة البحرينية وتهريبها للأسواق المحلية والدولية .

●●●●

السـعوديـة :

اجتماع اللجنة العليا لمصر والسعودية

صرح السفير سيد أبوزيد وزير الخارجية للشئون العربية رئيس الجانب المصرى بأن اللجنة

العليا تضم ممثلين من مختلف الوزارات والهيئات المعنية لبحث كافة المجالات للعلاقات الثنائية المصرية السعودية .

وقد تم إنشاء مجلس رجال الأعمال المشترك برئاسة خالد أبو إسماعيل نائب رئيس اتحاد الغرف التجارية المصرية .

●●●●

ومفتى القدس لـ « الأهرام إبدو » :

إسرائيل لا تملك أى أثر يؤيد وجودها فى القدس

أكد الشيخ عكرمة صبرى مفتى القدس فى حديث خاص لـ(الأهرام إبدو) أن إسرائيل تعمل فى القدس من منطلق الإحساس بعقدة النقص لأنها لا تملك أى أثر يؤيد وجودها فى حين أن المدينة حافلة بآلاف من الآثار الإسلامية .

وأضاف مفتى القدس أن إسرائيل تريد طمس الحضارة الإسلامية واختلاق مزاعم إسرائيلية تثبت وجودها . . !!

●●●●

المتطرفون اليهود يهددون باقتحام المسجد الأقصى

لعدة مرات . . لازال اليهود المتطرفون يهددون باقتحام المسجد الأقصى ؛ لإقامة صلواتهم فيه ، وقد تم توزيع إعلانات فى القدس تدعو المتطرفين لاقتحام المسجد الأقصى .

كما دعت جماعة « أمناء جبل الهيكل » إلى تجمع حاشد ينطلق من إحدى المستوطنات ، شمالى القدس إلى بيت الشرق للتظاهر أمامه والمطالبة بهدمه . . !!

ومخطط إسرائيلى لتهويد مدارس القدس

كشف مطيع أبو محبة الوكيل المساعد لوزارة التعليم الفلسطينية عن محاولات إسرائيلية لسلطات الاحتلال بتشكيل لجنة للعمل على تطبيق المناهج الإسرائيلية على المدارس العربية فى القدس ومنع سيطرة مؤسسات التعليم الفلسطينية على المناهج هناك .

وأعلن عن وجود أكثر من ثلاثين كتاباً تفرضها إسرائيل على المدارس العربية بالقدس وتحوى معظمها هجوماً وقحاً على الإسلام وعلى رسوله الكريم .

والجدير بالذكر أن مصر أعلنت عن تقديمها المناهج المصرية فوراً فى حالة طلبها مع تيسير قبول الطلاب الفلسطينيين فى المدارس المصرية .

●●●●

● **ومؤتمر الشئون التعليمية لأبناء فلسطين بدمشق**

يطالب بتطوير التعليم بالأراضى المحتلة

طالب المؤتمر بإثارة موضوع التعليم فى القدس فى المؤتمرات الدولية والاستمرار فى محاربة عمليات تهويد التعليم فى القدس بجميع أشكاله .

فلسـطين المحتلـة :

فلسطين على طريق الدولة .. رغم أنف إسـرائيـل

الأمم المتحدة ـ وكالات الأنباء :

وافقت الجمعية العامة للأمم المتحدة بأغلبية ساحقة على قرار برفع مستوى تمثيل بعثة منظمة

التحرير الفلسطينية من وضع (مراقب) إلى وضع تتمتع فيه بحقوق « الدولة » عدا حق التصويت .

وافق على مشروع القرار، ١٢٤ دولة مقابل اعتراض أمريكا وإسرائيل وما يسمى بميكرونيزيا وجزر مارشال . . !!

●●●●

●صحيفة إسرائيلية :

فرنسا اتخذت قرارا بالاعتراف بدولة فلسطينية

تل أبيب : أ . ف . ب :

ذكرت صحيفة « هاآرتس » الإسرائيلية أن فرنسا مستعدة للاعتراف بدولة فلسطينية فور إعلانها فى نهاية المرحلة الانتقالية للحكم الذاتى الفلسطينى .

وأشارت الصحيفة إلى أن خبراء فى وزارة الخارجية الفرنسية يرون أن الشروط القانونية للاعتراف بدولة فلسطينية تحققت لأن السلطة الفلسطينية تمارس فعلاً سيطرة فعلية على جزء من الأراضى التى تطالب بها .

●●●●

بغـــداد :

وفد مصرى يبحث فى بغداد زيادة كميات الأرز المصدرة إلى العراق .

غادر القاهرة رئيس شركة مضارب الإسكندرية للأرز لينضم للوفد التجارى الموجود فى بغداد بهدف إجراء مباحثات مع العراق تتناول إمكانية إبرام عقود جديدة لتزويد العراق باحتياجاته من الأرز المصرى .

●●●●

ليبيـــا :

طائرة ليبية تخترق الحصار الدولى تنفيذا لقرارات القمة الأفريقية

● طرابلس ـ وكالات الأنباء :

هبطت بمطار طرابلس الدولى إحدى الطائرات الليبية قادمة من تشاد مخترقة بذلك الحصار الجوى الظالم المفروض على الشعب الليبى المسلم .

وصل على متن الطائرة أمين عام مساعد دول الساحل والصحراء الأفريقية ، كما غادرت الطائرة مطار طرابلس متجهة إلى تشاد مخترقة بذلك الحصار الجوى .

●●●●

ترحيب ليبى بدعوة المشير طنطاوى لتكوين تكتل عسكرى عربى

● طرابلس ـ وكالات الأنباء :

رحبت اللجنة الشعبية العامة للوحدة الليبية بدعوة المشير حسين طنطاوى القائد العام للقوات المسلحة لتكوين تكتل عسكرى عربى لمواجهة التحديات التى تواجه الأمة العربية وتحقيق التقدم التقنى .

S'il arrive qu'il adopte une pensée, il ne doit pas avoir recours aux interprétations du Coran qui appuient son point de vue, ni choisir parmi les hadiths ceux qui s'adoptent à son opinion: son avis et son opinion doivent être soumis à la vérité. Il lui est conseillé aussi de garder l'esprit ouvert, de ne pas s'attaquer à ceux qui ont des opinions contraires aux siennes, car le savoir est étendu et le Coran peut se prêter à diverses interprétations....Il doit aussi arracher de son coeur toute trace de haine, de rancoeur ou d'envie contre les autres ulémas qui ont acquis une renommée plus large que la sienne ou qui sont entourés d'amour de gens. Il doit savoir que les ulémas, le Jour du Jugement Dernier, seront intérrogés de la même manière que les prophètes...

Le Prophète-b.s-a dit: ***"Si tes conseils servent à guider un seul homme vers la Voie Droite, ceci sera pour toi plus profitable que la possession des meilleures faveurs de ce monde."***(selon une autre version)***"plus profitable que tout ce monde et ce qu'il contient."***

A SUIVRE

Hadith rapporté par Sahl-Ibn Sà ad (Al-Bokhary).

trace imperceptible. Pendant le second sommeil, on retirera le reste de cette loyauté, de sorte qu'il en restera une trace pareille à celle que laisse une braise, quand elle tombe sur un pied en y produisant une légère boursouflure." Puis, le Prophète-b.s-prit un caillou qu'il fit rouler sur son pied et dit :"Les gens s'éveilleront le lendemain pour conclure des transactions, mais ils ne trouveront personne à qui l'on pourra confier un dépôt, au point qu'on dira:"dans telle tribu, il y a un homme loyal. On dira alors de lui:"Comme il est sérieux! Comme il est ingénieux! Comme il est raisonnable! alors que son coeur ne renfermera la moindre parcelle de foi."

Hadith rapporté par Al-Bokhary.

Le vrai Musulman est celui qui surveille son comportement: vis-à-vis d'Allah-Gloire à Lui-, vis-à-vis des gens et vis-à-vis- de lui-même de sorte qu'on le qualifie de loyal en toutes ses actions et qu'il soit à l'abri de la colère de Son Seigneur qui a dit: **[Allah n'aime pas les traîtres.]**

Surate 8 "Al-Anfâl" (Le Butin). V.58.

Nous exposerons ici des exemples de quelques sortes de loyauté montrant comment la sauvegarder afin qu'elle soit un flambeau qui fait connaître au fidèle les sortes de loyautés, sur lesquelles il sera interrogé le Jour du Jugement Dernier.

1-La loyaute du savoir:

Le savoir est un don et une faveur qu'Allah a réservé à certains de Ses serviteurs. Celui qu' Allah a doté du savoir et qu'Il a guidé à exhorter les gens, à leur enseigner, à recommander de faire le bien et à pourchasser le mal, doit prendre soin de cette faveur. Il doit le faire fructifier par des lectures continuelles, car la science n'est conservée que par l'étude permanente. Il faut également, qu'il fasse preuve d'impartialité par rapport aux avis et aux opinions des autres. Son but doit être la recherche continuelle de la vérité; il lui est conseillé d'être indulgent envers ses disciples, que son savoir se pare de clémence; il doit transmettre le savoir en toute probité en le référant à ses propres auteurs, en témoignant de ce qu'il leur doit. Nos pieux ancêtres ont dit: *Est doué du savoir celui qui attribue le savoir à son auteur.*

Il doit etre egalement loyal lorsqu'il rapporte les propos du Prophete-b.s-qui a dit:*"Un mensonge à mon sujet n'est pas comme un mensonge sur n'importe qui: celui qui forge volontairement des mensonges à mon sujet, qu'il soit prêt à occuper sa place en Enfer."*[3]

Hadith rapporté par Al-Bokhary.

[3]La plupart des théologiens disent que le mensonge sur Allah et Son Messager est une pure incroyance qui pourra être transmise et divulguée entre les hommes de chaque génération. Surtout, lorsque le mensonge comporte la transformation de ce qui est illicite en licite.

[Quand Sâlih, leur frère, leur dit:"Ne craindrez-vous pas Allah?; Je suis pour vous un Messager digne de confiance."] **V.142et143.**

[Quand leur frère Lot leur dit:"Ne craindrez-vous pas Allah?. Je suis pour vous un Messager digne de confiance."] **V.161et162.**

[Lorsque Schuaïb leur dit:"Ne craindrez-vous pas Allah?. Je suis pour vous un Messager digne de confiance."] **V.177et178.**

Dans la **Surate 44"Ad-Dokhan"(La Fumée)**, Il a dit:

[Et avant eux, Nous avons déjà éprouvé le peuple de Pharaon, quand un noble Messager leur était venu, (leur disant) "Livrez-moi les serviteurs d'Allah! Je suis pour vous un Messager digne de confiance."] **V.17et18.**

Dans la **Surate 7"Al-A`raf" V.68, Il a dit:**

[Je vous communique les message s de mon Seigneur, et je suis pour vous un conseiller digne de confiance.]

Comme la loyauté est une des qualités des Messagers, elle est aussi une des qualités des hommes vertueux et des djinns, en chaque lieu et chaque époque.

Voici comment le Coran nous décrit le comportement d'un djinn puissant et nous rapporte ce qu'il dit à "Salomon", lorsque ce dernier lui demanda d'apporter le trône de Bilqis; il lui dit:**[Je te l'apporterai avant que tu ne te lèves de ta place: pour cela, je suis fort et digne de confiance.]**

Surate 27 "An-Naml"(Les Fourmis) V.39.

Aussi, lorsque la fille de "Schuaïb" a décrit "Moïse" -paix sur lui- avant que ce dernier ne fût chargé de sa mission, :**[L'une d'elles dit:Ô mon père, engage-le (à ton service) moyennant salaire, car le meilleur à engager c'est celui qui est fort et digne de confiance.]**

Surate 28 "Al-Qaças"(Le Récit) V.26.

La loyauté dans la transmission du Message est manifeste dans les paroles de la mère des croyants "Aïcha"-A.s.e-lorsqu'elle dit: ***"Si Mohamed-b.s-avait dissimulé quelque chose de la Révélation, il aurait dissimulé les paroles d'Allah-Gloire à Lui-:*****[Et tu cachais en ton âme ce qu'Allah allait rendre public[2]. Tu craignais les gens, et c'est Allah qui est plus digne de ta crainte.]**

Surate 33 "Al-Ahzab"(Les Coalisés) V.37.

Ce qui est effrayant et alarmant c'est que la loyauté sera enlevée de la terre parmi dix choses précieuses que l'Archange Gabriel enlèvera avant que ne sonne l'Heure, comme nous l'apprend le Prophète-b.s-:***"L'homme dormira d'un premier sommeil durant lequel on ôtera la loyauté de son coeur et il n'en restera qu'une***

[2]Ce verset fait allusion à l'incident du mariage du Prophète-b.s-avec "Zeinab bint Gahch"sa cousine et la femme de son fils adoptif"Zaïd". Ce dernier, l'ayant répudié, Mohammed-b.s-avait reçu l'ordre d'Allah-Gloire à Lui- de l'épouser; afin de proscrire définitivement l'adoption- comme le déclarent les versets 4 et 5 de cette même surate- et aussi pour démontrer pratiquement que personne n'est retenu par les liens de l'adoption.

La loyauté est l'une des vertus dont fut qualifié notre Prophète-b.s- avant sa mission divine, si bien que son peuple le surnommait: ***"Le loyal".*** Puis, lorsque le Prophète-b.s-prit la résolution d'émigrer à Médine, il chargea son cousin "Ali Ibn Abou Talib"-A.s.l-de rester à la Mecque afin de remettre les dépôts à leurs propriétaires, malgré tout ce que les infidèles infligeaient à ses compagnons et malgré leur attitude vis-à-vis de sa mission.

Donc, la loyauté est une chose très sérieuse, Allah-Gloire à Lui-a dit:**[Nous avons proposé aux cieux, à la terre et aux montagnes le dépôt de la foi. Ils ont refusé de le porter et en ont eu peur. Seul, l'homme s'en est chargé; car il est très injuste (envers lui-même) et très ignorant.]**

Surate 33 "Al-Ahzab" (Les Coalisés)V.72.

Il y a différentes sortes de loyauté: la loyauté de la parole, la loyauté de la transmission, la loyauté du savoir, la loyauté dans l'appel à Allah, la loyauté dans les diverses transactions entre les gens, dans les domaines du commerce, de l'industrie, de l'agriculture, etc...

Il importe pour que quelqu'un soit qualifié de "loyal" qu'il soit sincère et probe; on ne peut pas qualifier de loyal celui qui ment, ni celui qui est querelleur ou (mura'i) .

Allah-Gloire à Lui-a qualifié l'Archange Gabriel "de loyal", car, Il lui a confié la Révélation qu'Il envoie à Ses Messagers; il la leur révèle intégralement, sans rien omettre ni ajouter, sans falsification ni changement et sans en informer qui que ce soit d'autre que le Messager visé. Allah-Gloire à Lui- a dit:**[L'esprit fidèle est descendu avec cela.** **Surate 26"As-Sù ara"(Les Poètes)V.193.**

La loyauté est une des vertus qui caractérisent tous les Messagers du fait qu'Allah-Gloire à Lui-les a chargés de transmettre à leur peuple ce qu'Il leur révèle. Ils le font fidèlement, sans attendre de salaire, tout en endurant les maux que les autres leur infligent.

Allah-Gloire à Lui-a qualifié Ses Messagers de loyauté à plusieurs reprises. Citons, par exemple, ces versets **de la surate 26"As-Sù arà" (Les Poètes):**

[Lorsque "N, uh"(Noé), leur frère; leur dit:"Ne craindrez-vous pas Allah?. Je suis pour vous un Messager digne de confiance."] **V.106 et107.**

[Quand Hud, leur frère, leur dit:"Ne craindrez-vous pas Allah?. Je suis pour vous un Messager digne de confiance. **V.124et125.**

---

[1]"Mura'i" ce terme n'a pas d'équivalent en français, en voici l'explication, d'après le livre "Les Interdictions" du Cheikh Yassin:"Al-Murà i" est celui qui lance une critique contre son frère musulman, afin d'y montrer une contradiction dans ses propos, de rabaisser sa valeur, faire preuve d'une supériorité sur lui et ne visant dans tout cela que l'opposition aux avis de son frère.

La Loyauté "Al-Amanah"

Traduction de :
Hoda Hussein Chaâraoui.[1]

La loyauté est l'opposé de la trahison... Le mot peut servir pour qualifier un trait de caractère humain. On dit: Untel est loyal. Il peut aussi désigner le dépôt-qu'il soit matériel ou moral-qu'on confie à quelqu'un.

Les secrets des gens sont placés en dépots de confiance chez ceux qui les consultent comme le Prophète-b.s-l'a signalé en ces termes:"***Celui qui est consulté, doit être loyal de sorte à ne jamais dévoiler les secrets d'autrui.***"

Hadith raporté par El-Termizie.

Il en est de même pour les médecins qui soignent les malades, ils sont tenus de ne pas dévoiler les secrets des gens. Ainsi, tout ce que l'homme dépose chez un autre qu'il s'agisse de sommes d'argent, de marchandises ou d'autres objets... C'est là un dépôt qui lui est confié et dont il doit assurer la sauvegarde jusqu'à ce que le propriétaire le récupère.

Il en est de même pour les organes de l'homme et son corps; ils constituent un dépôt qui lui est confié et sur lequel il aura à rendre compte le Jour du Jugement Dernier. Allah-Gloire à Lui- a prescrit à Ses serviteurs de garder précieusement ce qui leur est confié et de le remettre à son ayant-droit. Il a dit:**[Certes, Allah vous commande de rendre les dépôts à leurs ayants-droit, et quand vous jugez entre des gens, de juger avec équité.]**

Surate 4 "An-Nissa`"(Les Femmes) V.58.

Il a dit également:**[Ô vous qui croyez! Ne trahissez pas Allah et le Messager. Ne trahissez pas sciemment la confiance qu'on a placée en vous.]**

Surate 8"Al-Anfal"(Le Butin) V.27.

Le fait d'être loyal ne dépend pas de celui qui t'a fait confiance, mais dépend de toi; c'est toi qui dois être loyal si tu es un vrai musulman, comme nous l'apprend le Hadith du Prophète-b.s- qui a dit:"***Remets le dépôt à celui qui t'a fait confiance et ne trahis pas celui qui t'a trahi.***"

Hadith rapporté par Al-Dar Katny.

11- En fait, ton avertissement n'est profitable qu'à celui qui suit les prescriptions du Coran et qui craint le Miséricordieux, même s'il ne Le voit pas. Annonce à ces derniers la bonne nouvelle du pardon de leurs péchés par Allah et de la bonne rétribution pour leurs actions.

12- C'est Nous qui ressuscitons les morts et qui inscrivons les actions qu'ils ont accomplies en ce monde ainsi que les traces qu'ils y ont laissées après leur mort. Nous avons tout inscrit dans un Livre clair.

13- Rappelle - ô Prophète - à ton peuple, l'histoire des habitants de la cité [1]: Elle ressemble à la leur. Les messagers s'y étaient rendus pour les guider vers la Voie Droite.

14- Nous leur envoyâmes d'abord deux messagers qu'ils démentirent; alors Nous les appuyâmes par un troisième. Ces trois messagers leur dirent: "Nous sommes envoyés à vous".

15- Les habitants de la cité leur répondirent: "Vous n'êtes que des humains comme nous. Le Miséricordieux n'a rien révélé à des humains; vous n'êtes que des gens qui disent des choses irréelles."

16- Les messagers répliquèrent: "Notre Seigneur qui nous a envoyés vers vous, sait que nous sommes des messagers envoyés à vous.

17- D'ailleurs nous ne sommes chargés que de vous transmettre clairement le message d'Allah."

18- Les habitants de la cité dirent: "Vous nous portez malheur par votre arrivée. Nous jurons que si vous ne cessez votre appel, nous vous lapiderons et nous vous ferons endurer un supplice particulièrement douloureux."

19- Les messagers dirent: "Votre mauvais présage, dû à votre incroyance, vous est attribué. Est-ce que lorsque vous êtes exhortés à faire ce qui causera votre bonheur, vous tirez mauvais présage de notre présence et vous nous menacez d'un supplice douloureux? Vous êtes, certes des gens qui outrepassez toutes les limites de la vérité et de la justice".

A SUIVRE

(1) Selon les exégètes, il s'agit de la ville d'Antioche.

l'attention des humains sur la goutte qui est à l'origine de leur création et, malgré cela, l'homme s'oppose en adversaire (à Allah). Or, à qui appartient l'origine de la première création? Qui fait jaillir le feu à partir des arbres verts? Celui qui a créé les cieux et la terre est capable de ranimer les os qui sont à l'état de cendres. Il est Celui qui dit à la chose "sois" et elle "est". Le Souverain de toute chose est au-dessus de tout manque, et c'est vers Lui que vous serez ramenés.

1- "Ya - Sîn": deux lettres qui commencent la sourate de la même manière que débutent certaines sourates du Coran, par des lettres isolées.

2- Je jure par le Coran qui renferme la sagesse et le savoir utile.

3- Que tu es certes - ô Mohammad - parmi ceux qu'Allah a envoyés aux gens pour les guider par la vraie religion,

4- Sur une Voie Droite qui est la Religion de l'Islam,

5- Religion révélée par le Fort et le Vainqueur sur toute chose, par Celui que personne ne peut empêcher de faire ce qu'Il veut. Il est compâtissant envers Ses serviteurs, car Il leur a envoyé celui qui va les guider vers la voie du salut.

6- Afin que tu avertisses ceux dont les proches ancêtres n'ont pas été prévenus avant cela: ils sont inconscients de leurs devoirs envers Allah, envers eux-mêmes et envers les gens.

7- Par Notre Savoir, Nous savons d'avance que la plupart d'entre eux n'optent pas pour la foi. La réalité concorde exactement avec ce que Nous savons à leur sujet: ils n'auront pas la foi.

8- Nous avons fait en sorte que ceux qui persistent dans l'incroyance soient semblables à des êtres qui portent des chaînes autour de leur cou, ces chaînes leur arrivent jusqu'au menton. Leurs mains sont fortement attachées à leur tête qu'elles soulèvent tout en gardant leurs regards baissés. Ainsi ils sont incapables de bouger la tête pour voir.

9- Nous avons fait en sorte que ceux qui sont privés de voir les signes et les preuves, soient semblables à des êtres enfermes entre deux barrieres et qui ne voient donc rien: ils ne voient ni ce qui est devant eux, ni ce qui est derriere eux.

10- Cela est egal pour eux: que tu les avertisses ou que tu ne les avertisses point, ils ne croient pas.

Sourate (36) "Yasîn"
Mecquoise composée de 83 versets
Au nom d'Allah, le Miséricordieux, plein de miséricorde.

DR. ROKEYA GABR

Cette sourate débute par deux lettres faisant partie des lettres qui forment les mots de la langue arabe. Ce verset est suivi par un serment fait au nom du Coran et qui certifie que Mohammad - à lui bénédiction et salut - est l'un des messagers et qu'il est sur une Voie Droite que lui a indiquée le Coran, révélé par le Puissant et le Miséricordieux, afin d'avertir un peuple dont les ancêtres ne furent point avertis auparavant. La sourate offre le tableau des ingrats qui ne profitent pas de l'avertissement et explique que l'avertissement n'est utile que pour celui qui est prédisposé à accepter le Rappel et à craindre le Miséricordieux. Elle montre qu'Allah ressuscite les morts et qu'Il recense les actions de Ses serviteurs. La sourate offre ensuite un exemple destiné aux incroyants de la Mecque, en révélant la lutte qui oppose ceux qui invitent à croire en Allah et ceux qui démentent cela, en montrant quelle sera la fin de chacun des deux partis. Ensuite la sourate expose les preuves du pouvoir d'Allah qui doivent mener à croire et à craindre la menace d'Allah. Cette menace les surprendra en un jour où chaque être sera rétribué pour ce qu'il aura fait: les hôtes du Paradis auront des réjouissances et tous leurs désirs seront exaucés; quant aux hôtes de l'Enfer, ils seront chassés; alors qu'ils seront sous l'emprise du Tout-Puissant, leurs bouches seront scellées et leurs organes parleront. Si Allah l'avait voulu, Il aurait même changé leur aspect. C'est Lui qui transforme la force en faiblesse et la raison en débilité chez celui dont l'âge est avancé.

C'est Lui qui a protégé Son prophète contre toute imagination et toute divagation: Il ne lui a point appris la poésie; ce n'est point un métier digne de lui que celui où le poète s'abandonne au rêve. Mohammad n'a été envoyé qu'avec un Rappel clair qui puise ses fondements dans la logique et non dans l'imagination. La sourate se poursuit en rappelant les bienfaits d'Allah envers Ses serviteurs: Il leur a asservi le bétail qu'ils s'approprient et qui leur sert de monture. Or, malgré tous ces bienfaits qui sont mis à leur disposition, les hommes considèrent certaines divinités impuissantes comme les égales d'Allah. La sourate se termine en attirant

REVUE
AL AZHAR

Rabi Al-Akhar 1419 H. Aug. 1998 Vol. 71 Part IV

Section Francaise

Comité de Rédaction :

Dr. Rokaya GABR, Professeur au Départe ment de Langye Francaise et de Traduction M.Mohammad OMAR Traducteur en chef au Centre de Recherches Islamiques

Some of those who contradict Islam, became enemies to the Muslims, fought them and stood in the way of the call for Islam. Islam permits Muslims to fight those people and even urges for this fight. No one would ask Muslims to overlook those enemies or stand with folded arms and stretch necks to be slaughterd by others. Islam does not impose that on anybody because it contradicts with the nature of existence and the principle which says «Everyone had the right to defend himself». It is enough for proving that Islam loves peace that it demands and asks for it with those who do not attack it. It does not harm the love of Islam for peace and its call for it thus commands Muslims to fight those who assault them. This is the outcome of verses and (Hadiths) which call for fighting. They once include fighting when there is an attack and once they include no mention of the attack because Allah knows the situation (which means that the people are already fighting). Allah also knows that there are already existing verses that prohibit fighting someone who does not attack Muslims. Allah would never leave this matter which is connected with the future of humanity and world peace without an exclusive text and a clear statement. Such statement is provided in Allah's words:

﴿ وَقَـٰتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَـٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴾

«And fight in the way of Allah against those who fight against you but do not be aggressive. Surely Allah loves not the aggression.

(Al Baqara : 190)

﴿ وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ﴾

«And if they incline to peace, incline thou also to it, and trust in Allah«.

(Al Anfal : 61)

﴿ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَـٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَـٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ ﴾

«Allah forbids you not respecting those who fight you nor for religion nor drive you forth from your home that you show them kindness and deal with them justly».

(Al Mumtahana : 8)

You must know that among the enemies of Islam are people who throw it with accusations and stick them to it. Those are people who hate Islam and plot against it and want to eradicate it from existence. They find the easy way for this purpose is to turn world countries on Islam and make them understand that it is a fight it is a fight against peace and human cooperation. World countries then become enemies to Islam and fight against it using every possible weapon.

The enemies of Islam work hard to make powerful countries believe that Islam does not deserve existence and that it does not cope with the spirit of the present time (regarding the great aim of making peace prevail all over the world). Those enemies make powerful countries understand that Islam is an evil on their citizens and on humanity as a whole. According to them if Islam is left alone : such contries will be engaged in wars after wars and there will be continuous disrruption. Hence, they have to fight Islam as they fight harmful germs or murderous infection. This point makes this research very important and useful. It is far better than any other research for Muslims. It drives away such false accusations about Islam and removes the dangerous weapons used by the enemies of Islam to plot against it.

This research explains to Muslims the view of Islam concerning peace so they work for it without wasting their efforts in a struggle without an enemy. People on this earth will then know the trutn so they won't look at Muslims as enemies waiting to attack. The result of that will be cooperation and peace.

﴿ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ ﴾

«Repel evil with that which is best».

(Al Muminun : 96)

﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾

«Take the forgiveness and enjoin good and turn away from the ignorant».

(Al Araf : 199)

﴿ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ ﴾

«Then if they turn away, thy duty is only deliverance (of the message)».

(Al Nahl : 82)

These are the facts and rules which should becompact. Thus the «Fatiha» and the following «Suras» (chapters of the Qurien) return to these rules.

May be somebody would say «What you mentioned about the call of Islam for peace contradicts with its call for war and fighting all polytheists».

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ ﴾

«O Prophet, urge the believers to fight».

(Al Anfal : 65)

﴿ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴾

«So smite above the necks and smite every finger-tip of them».

(Al Anfal : 12)

﴿ فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ ﴾

«So when you meet in battle those who disbelieve, smite the necks».

(Muhammaed : 4)

﴿ فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ ﴾

«So let those fight in the way of Allah who sell this world's life for the Hereafter».

(Al Nisa : 74)

Do not those verses prove that Islam is a religion of war and that it calls for fighting? Does not Islam call for fighting heathens and polytheistst because it considers polytheism a crime that deserves war or punishment until the criminals leave their disbelief?

this right even after their attacking the Muslims and then being fought and beaten.

3. Allah allowed Muslims to hold a safe-keeping agreement with those who differ with them in religion (Thema). Muslims can live together with those people in one country.

4. The Prophet (P B U H) explained the rights of the Aliens (Ahlu Althema) the same as the rights of the Muslims. They get what we get and have to do what we must do. This means that they have the same rights as we do and that their duties are the same as ours.

5. Allah declared exclusively (in a way that allows no doubt or gives way to any interpretation) that difference in belief and religion does not lead to unbenevolence injustice. What leads to that is the assault launched on the Muslims by those who contradict Islam.

﴿ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَـٰتِلُوكُمْ
فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَـٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ
يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَـٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ
وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَـٰرِكُمْ وَظَـٰهَرُوا۟ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ
فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴾

«Allah forbids you not respecting those who fight you not for religion nor drive you forth from your homes that you show them kindness and deal with them justly. Surely Allah loves the doer of justice. Allah forbids you only respecting those who fight you for religion, and drive you forth from your homes and help (others) in your expulsion, that you make friends of them, those are the wrong doers».

(Al Mumtahana : 8,9)

6. The Qur'an called for lenience and patience. Inviting others to Islam should be with good exboration.

﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ﴾

«Call to the way of thy Lord with wisdom and good exhoration».

(Al Nahl 125)

﴿ فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴾

«So remind. Thou art only one to remind. Thou art not a warder over them».

(Al Ghashiyah : 21,22)

change the laws of this universe is toil after toil. It only brings unwanted fatigue and stremeous labour.

﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ
مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ
لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾

«And if thy lord had pleased, He would have made people a single nation. And they cease not to differ. Except those on whom thy Lord has mercy, and for this did He create them. And the word of thy Lord is fulfilled. I shal fill hell with jinn and men, all together».

(Hud : 118,119)

If a Muslim knows that the nature of human being requires this difference and that this is Allah's will, then there should be no need for malevolence or hatred.

2. Allah put this decisive rule which can never be dealt with slightly.

﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ﴾

«There is no compulsion in religion».

(Al Baqara : 256)

Accordingly, everyone chooses his own religion and no creature whatsoever has power over him. Anyone can select his creed as he does with his garment. Hence this leads Muslims to avoid compelling anybboody to embrace Islam. Muslims should not fight a nation to make it leave its religion.

3. Allah says:

﴿ فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ
حَتَّىٰ إِذَا أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّىٰ
تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ﴾

«So when you meet in battle those who disbelieve, smite the necks then when you have overcome them, make them prisoners, and afterwards set them (free) as a favour or for ransom till the war lay down its burdens».

(Muhammaed : 4)

Allah allowed Muslims to set hostages free and spare their lives without compensation, or leave them and take a ransom. This is a practical way of teaching Muslims to give those who contradict them the right for existence and to grant them

Peace is the Muslims greeting when they meet or visit each other.This great salutation brings hearts together and strengthens relationships. All of that affirms That Islam loves peace, cares for it, wishes to spread its wings all over the universe, thus rising like a pearl everywhere on earth. That peace which Islam cares for is a dear and noble kind of peace which aims at sparing blood (saving lives) and spreading security and tranquility among people. It does not mean weakness, submission and leaving usurped tights, but it is a strong kind of peace based on readiness and preparation to frighten anyone that would be tempted to assault or oppress Muslims. The writer (May Allah have mercy on him) says:

Some religions call upon their followers to love all humans through cooperation with the followers of other religions whether they live with them in one country or they live in other countries in this world. Some other religions are not like that. They do not call for love or cooperation. They may even stand in the way of human cooperation and brotherhood due to their perversion and twisted nature. Such religions which belong to the second type fill life with evil because difference among human beings in creeds religions is a fact that can not be put aside or ignored.

There is no power whatsoever that can eliminate this difference. If a religion ignores this truth and wishes to erase other religions (becaus) it does not have this element of cooperation with followers of other religions) then it is trying to do what can never be done. Dissension, opposition, corruption and unending war will only follow. The true judgement then is that it is not right for the followers of this religion to exist with the followers of another religion in one country. They are not fit for cooperation with people living in this world. What can be worse than a country in which its citizens are enemies towards one another and are unable to cooperate to bring about something good or push aside any corruption? Is there anything worse than a deviating a nation in this world? Is there anything worse than a nation that attacks other nations, welcomes the flames of war, disturbs peace and stands in the way of the great object of humanity which is continuous peace on this earth ?

The first type of religion is a grace and a blessing on those who embrace it as well as on those who do not. It does not call upon those who adopt it to be involved in a war after another or to disturb world peace by launching assaults or holding weapons.

Where is the place of Islam? Does it have the element of cooperation between its followers and those who contradict it? Or is it of the second type, a war on other religions, battles against them and assaults on them whenever possible? A true researcher finds Islam among the religions which call for peace. Its followers can cooperate with those who contradict it either within the Muslim state or in another country and this can be made clear by the following points:

1. It is pointed out in more than one verse that difference in creeds and religions is a necessity among humans. Allah decreed this. It is an inevitable fact and the attempt to

Islam and peace

By Sheikh Mohamed Arafa,

Member of the Group of Leadig Scholars

Translated by Hanan Abdou El Tahtawy

The concept of peace in Islam occupies a great place in its teachings. It appears clear and bright in its goals and objectives. The word peace is mentioned in the Holy Qur'an in more than fourty verses (Aya). The verses which contain this noble word point; at strengthening the bonds of relationships among people and invite them to live in cooperation like brothers and not to be enemies. Allah. want people to be merciful not competitive towards each other.

Islam is derived from the word Salam or peace. Allah's first address to the first messenger on earth after the flood was a call for peace and an urge to spread it all over the new world.

﴿ قِيلَ يَٰنُوحُ ٱهْبِطْ بِسَلَٰمٍ مِّنَّا وَبَرَكَٰتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ ﴾

«It was said O Noha, descend with peace from us and blessings on thee and on nations (spreinging) from those with thee» (Hud 48).

Salam or peace is one of the names of Allah. He has never sent a Prophet or a Messenger without granting him peace and overwhelming him with it so that peace becomes his slogan in life and the basis for his dealing with people. Due to the position of peace, Allah made the night in which Qur'an was revealed a blessed night encompassed with peace from beginning till end.

﴿ سَلَٰمٌ هِىَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ ﴾

«Peace ! it is till the rising of the morning».
(Al QADR : 5)

Peace is genuine in the manners (nature) of the honourable Prophet (Peace Be Upon Him). Allah commanded him to make peace his slogan even with his enemies.

﴿ فَٱصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَٰمٌ ﴾

«So turn away from them and say peace!.
(Al· Zukhruf : 89)

AL-AZHAR MAGAZINE

Rabi Al-Akhar 1419 H. Aug. 1998

ENGLISH SECTION

Vol. 71 Part IV

ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ

الأعراف / ٤٣

" Praise be to Allah,
who hath guided us
to this (felicity): never
could we have found
guidance, had it not been
for the guidance of Allah:
Indeed it was the truth."

(AL A'raf 43)

EDITORS: Dr.TRANDIL H.EL RAKHAWY. PH.D.

Dept. of English Language and Translation
AL - Azhar University.

ADEL REFAI KHAFAGA.M.A.
Executive Secretary
Al Azhar Magazine.

الفهـــرس

- الافتتاحية (مصر الأزهر الشريف)
  لفضيلة الشيخ عبد المعز عبد الحميد الجزار ٥١٣
- احتفال مصر بذكرى المولد النبوى الشريف
- كلمة السيد رئيس الجمهورية ٥١٨
- كلمة فضيلة الامام الاكبر ٥٢٣
- يوم خالد فى تاريخ الأزهر
  إعداد / اسرة التحرير ٥٢٦
- كلمة فضيلة الامام الاكبر فى افتتاح الجامع الأزهر ٥٢٨
- تفسير سورة البقرة
  لفضيلة الإمام الاكبر شيخ الأزهر ٥٣٠
- قبس من انوار النبوة
  لفضيلة الشيخ على حامد عبد الرحيم ٥٣٥
- يسالونك عن الخمر
  لفضيلة الشيخ السيد عبد المقصود عسكر ٥٣٨
- حرف فى كتاب الله
  لفضيلة الأستاذ الدكتور على العمارى ٥٤٢
- الإنسان المكلف المستخلف
  لفضيلة الشيخ معوض عوض إبراهيم ٥٤٩
- من المراة التى جادلت النبى ﷺ فى زوجها
  لفضيلة الشيخ مصطفى محمد الطير ٥٥٣
- المخدرات والسموم البيضاء
  لفضيلة الشيخ عبد المنصف عبد الفتاح ٥٥٨
- طغيان المال وعبرة المال فى محكم القران
  لفضيلة الشيخ عبد الرحمن صان الدين ٥٦٤
- استفتاءات القراء
  لفضيلة الشيخ السيد العراقى شمس الدين ٥٦٨
- الجانب الأخر من الوعى الحضارى
  للأستاذ الدكتور محمد إبراهيم الفيومى ٥٧٤
- من روائع الماضى بمجلة الأزهر
  إعداد الشيخ عبد الحفيظ محمد عبد الحليم ٥٧٦
- كونوا كالشامة بين الناس
  للدكتور عزت عبد الرحمن عبد العال ٥٨٠
- الرسالة النبوية إلى إمبراطور الروم هرقل
  لفضيلة الأستاذ الدكتور محمد عبد المنعم خفاجة ٥٨٥
- قنواتنا الإقليمية والفضائية ودورها فى بناء الإنسان
  للدكتور محمد عبد الحكيم محمد ٥٨٨
- من قادة الخلفاء الراشدين
  للأستاذ احمد السيد تقى الدين ٥٩٢
- من اعلام الأزهر (الشيخ محمد محمد المدنى)
  لفضيلة الأستاذ الدكتور محمد رجب البيومى ٦٠١
- نظرات حول التصوف
  للأستاذ بدوى طه بدوى ٦٠٧
- شريعتنا الإسلامية وزائرونا من الاجانب
  للدكتور احمد إبراهيم هلال ٦١٤
- طرائف ومواقف
  للشيخ عبد الحفيظ محمد عبد الحليم ٦١٨
- خميلة الشعر
  إعداد الأستاذ محمد عبد الوهاب ٦٢١
- تحية إلى الأزهر المعمور
  شعر / محمد إبراهيم العشماوى ٦٢٢
- ارض الكنانة
  شعر / عبد الحكيم على سيد عثمان ٦٢٣

من امراء الشعر
- النابغة الزبيانى ٦٢٤
- المعلقة ٦٢٦

● العلوم الكونية ●
- فقه المصطلحات العلمية
  للأستاذ الدكتور احمد فؤاد باشا ٦٣٠
- إيثار ام الرة فى دنيا الطيور
  للأستاذ مجدى عبد الحميد بشير ٦٣٤
- موقف الإسلام من الرياضات البدنية
  للدكتور عبد العزيز صلاح سالم ٦٣٩

● اللغة والأدب والنقد ●
- من طبقات المحققين (على عبد العظيم)
  للأستاذ الدكتور السيد إبراهيم الجميلى ٦٤٦
- علماء من مصر
  لفضيلة الشيخ عبد الحفيظ فرغلى على ٦٥٢
- دوحة الكتب
  للأستاذ محمود الفشنى ٦٥٨
- بين المجلة والقارىء
  للأستاذ عادل رفاعى خفاجة ٦٦٤
- انباء مكتب الإمام الأكبر شيخ الأزهر
  إعداد فضيلة الشيخ عمر البسطويسى على ٦٧٠
- انباء العالم الإسلامى
  للدكتور حسن على محمد ٦٨٢
- المقال الفرنسى الثانى
  للأستاذة الدكتورة هدى حسين شعراوى ٦٩٢
- المقال الفرنسى الأول
  للأستاذة الدكتورة رقية محمود جبر ٦٩٥
- المقال الإنجليزى الأول
  للأستاذة حنان طهطاوى ٧٠٢

الأزهر

مجلة شهرية جامعة

تأسست عام ١٣٤٩هـ - ١٩٣١م

وصدر العدد الأول فى المحرم ١٣٤٩هـ

يصدرها

مجمع البحوث الإسلامية

فى مطلع كل شهر عربى

• • •

المشرف العام

رئيس التحرير

عبد المعز عبد الحميد الجزار

مدير التحرير

عبد الحفيظ محمد عبد الحليم الخطيب

سكرتير التحرير

عادل رفاعى خفاجة

المراسلات باسم

مدير التحرير / إدارة الأزهر / القاهرة.

ت : ٢٦٣٨٥٩٩ - ٥٩٠٥٤٧٣

الاشتراكات : قسم الاشتراكات بالأهرام

شارع الجلاء - القاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

كيف تتحقق محبة رسول الله ؟

صلى الله عليه وسلم

أحمد لله وأستعينه وأستغفره وأصلى وأسلم على سيد الخلق رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وبعد :

فإن محبة سيدنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - هى المنزلة التى يتنافس فيها المتنافسون ، وإليها يشخص العاملون ، وعليها يتفانى المحبون ، وبروح نسيمها يتروّح العابدون .

وهى قوت القلوب ، وغذاء الأرواح ، وقرة العيون ، وهى الحياة التى من حرمها فهو من جملة الأموات ، والنور الذى من فقده فهو فى بحار الظلمات .

وهى روح الإيمان والأعمال والأحوال والمقامات .

وإذا كان الإنسان يحب من منحه فى دنياه مرة أو مرتين معروفاً فانيا ، أو استنقذه من مهلكة ،

جمادى الأولى ١٤١٩ هـ - سبتمبر ١٩٩٨ م - الجزء الخامس - السنة الحادية والسبعون

أو مضرة لا تدوم ، فما بالك بمن منحه منحا لا تبيد ولا تزول ، ووقاه من العذاب الأليم مالا يفنى ، وإذا كان المرء يحب غيره على مافيه من صورة جميلة ، وسيرة حميدة ، فكيف بهذا النبى الكريم ، والرسول العظيم ، الجامع لمحاسن الأخلاق والتكريم ، المانح لنا جوامع المكارم ، والفضل العميم ، فقد منحنا الله به منح الدنيا والآخرة ، وأسبغ علينا نعمه ظاهرة وباطنة ، فاستحق أن يكون حظه من محبتنا له أوفى ، وأزكى من محبتنا لأنفسنا وأولادنا وأهلينا وأموالنا والناس أجمعين .

روى البخارى عن أبى هريرة أنه ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : « لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين » .(١) .

أخى فى الله وفى العقيدة : اعلم أنه لا حياة للقلب إلا بمحبة الله تعالى ، ومحبة رسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ولا عيش إلا عيش المحبين ، الذين قرت أعينهم بحبيبهم ، وسكنت نفوسهم إليه ، واطمأنت قلوبهم به ، واستأنسوا بقربه ، وتنعموا بمحبته ، ففى القلب طاقة لا يسدها إلا محبة الله ورسوله ، ومن لم يظفر بذلك فحياته كلها هموم وغموم وآلام وحسرات .

قال صاحب المدارج : ولن يصل العبد إلى هذه المنزلة العلية ، حتى يعرف الله ، ويهتدى إليه بطريق توصله إليه ، ويخرق ظلمات الطبع بأشعة البصيرة ، فيقوم بقلبه شاهد من شواهد الآخرة ، فينجذب إليها بكليته ، ويدأب فى تصحيح التوبة والقيام بالمأمورات الظاهرة والباطنة ، وترك المنهيات الظاهرة والباطنة ، ثم يقوم حارسا على قلبه فلا يسامحه بخطرة يكرهها الله تعالى ، فيصفو لذلك قلبه بذكر ربه ومحبته ، والإنابة إليه ، فحينئذ يجتمع قلبه وخواطره ، وحديث نفسه ، على إرادة ربه وطلبه ، والشوق إليه ، فإذا صدق فى ذلك ، رزق محبة الرسول ، واستولت روحانيته على قلبه ، فجعله إمامه وأستاذه ومعلمه ، وشيخه ، وقدوته ، كما جعله الله نبيه ورسوله وهاديه ، فيطالع سيرته ـ صلى الله عليه وسلم ـ ومبادىء أموره ، وكيفية نزول الوحى عليه ، ويعرف صفاته ، وأخلاقه ، وحركاته ، وسكونه ويقظته ومنامه وعبادته ومعاشرته لأهله وأصحابه ، إلى غير ذلك مما منحه الله ـ تعالى ـ حتى يصير كأنه معه من بعض أصحابه .

---

١ ـ البخارى ١/١٠ ومسلم / الإيمان والنسائى ١١٤/٨ .

أخى المسلم : إن لمحبة رسول الله ـ صلى اللهعليه وسلم ـ علامات :

- أعظمها الاقتداء به ، واستعمال سنته ، وسلوك طريقته ، والاهتداء بهديه وسيرته ، والوقوف على ماحده لنا من شريعة قال تعالى :

﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ ﴾ (آل عمران : ٣١)

وقال المحاسبى : « علامة حب العبد لله ـ عز وجل ـ اتباع مرضاة الله والتمسك بسنن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فإذا ذاق العبد حلاوة الإيمان ووجد طعمه ، ظهرت ثمرة ذلك على جوارحه ولسانه . . . . »

- ومن علامات المحبة أن يرضى مدعيها بما شرعه حتى لا يجد فى نفسه حرجا مما قضى لقوله تعالى : ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾ ﴾ (النساء : ٦٥) .

- ومن العلامات كذلك : نصر دينه بالقول والفعل ، والدفاع عن شريعته ، والتخلق بأخلاقه ، فى الجود والإيثار ، والحلم ، والصبر والتواضع وغيرها .

- ومنها : التسلى عن المصائب ، فإن المحب يجد فى لذة المحبة ما ينسيه المصائب ، ولا يجد من مسها ما يجد غيره حتى كأنه قد اكتسبى طبيعة ثانية ، ليست طبيعة الخلق ، بل يقوى سلطان المحبة حتى يلتذ بكثير من المصائب أعظم من التذاذ الخلى بحظوظه وشهواته .

- ومن هذه العلامات : كثرة ذكره ـ صلى الله عليه وسلم ـ فمن أحب شيئاً أكثر من ذكره .

- ومنها : تعظيمه صلى الله عليه وسلم ـ عند ذكره ، وإظهار الخشوع والخضوع ، والانكسار ، مع سماع اسمه ، فكل من أحب شيئاً خضع له ، كما كان كثير من الصحابة بعده إذا ذكروه خشعوا ، واقشعرت جلودهم ، وبكوا ، كذلك كان كثير من التابعين ، فمن بعدهم يفعلون ذلك محبة له وشوقا إليه وتهيبا وتوقيرا . قال التجيبى : واجب على كل مؤمن متى ذكره ـ صلى الله عليه وسلم ـ أو ذكر عنده أن يخضع ويخشع ويتوقر ويسكن من حركته ، ويأخذ فى هيبته وإجلاله بما كان يأخذ به نفسه لو كان بين يديه ، ويتأدب بما

أدبنا الله به . وكان قتادة : إذا سمع الحديث أخذه البكاء والعويل والزويل . أى : القلق والانزعاج .

● ومن العلامات : كثرة الشوق إلى لقائه ، وكانت الصحابة - رضى الله عنهم - إذا اشتد بهم الشوق وأزعجتهم لواعج المحبة ، قصدوا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - واستشفوا بمشاهدته ، وتلذذوا بالجلوس معه ، والنظر إليه ، والتبرك به - صلى الله عليه وسلم - .

● ومن علامات محبته - صلى الله عليه وسلم - حب القرآن ، الذى أتى به ، وهدى به ، واهتدى به ، وتخلق به ، وإذا أردت أن تعرف ما عندك وعند غيرك من محبة الله ورسوله ، فانظر محبة القرآن من قلبك ، والتذاذك بسماعه ، هل هو أعظم من التذاذ أصحاب الملاهى والغنى المطرب بسماعهم . ويروى : أن عثمان بن عفان قال : لو طهرت قلوبنا لما شبعت من كلام الله .

● ومنها : محبة سنته - صلى الله عليه وسلم - وقراءة حديثه ، فإن من دخلت حلاوة الإيمان فى قلبه إذا سمع كلمة من كلام الله تعالى ، أو من حديث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - تشربتها روحه وقلبه ونفسه .

● ومن علامات محبته - صلى الله عليه وسلم - أن يلتذ محبه بذكره الشريف ، ويطرب عند سماع اسمه المنيف ، وقد يوجب ذلك شكرا يستغرق قلبه وروحه وسمعه .

إخوة الإسلام : إن من اتصف بهذه العلامات فهو كامل المحبة لله ورسوله ، ومن خالف بعضها فهو ناقص المحبة ، ولا يخرج عن اسمها بدليل قوله - صلى الله عليه وسلم - للذى حده فى الخمر ، لما لعنه بعضهم وقال : ما أكثر ما يؤتى به ، فقال - صلى الله عليه وسلم - : « لا تلعنه فإنه يحب الله ورسوله » فأخبر أنه يحب الله ورسوله مع وجود ما صدر منه(١) .

اللهم ارزقنا محبة رسولك ، ومحبة من يحبه ، واجعل اللهم صلواتك وبركاتك ورحمتك على سيد المرسلين ، وإمام المتقين ، وخاتم النبيين ، محمد عبدك ورسولك ، إمام الخير ورسول الرحمة ، اللهم ابعثه مقاما محمودا يغبطه فيه الأولون والآخرون .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

عبد المعز عبد الحميد الجزار

---

١ - طبقات ابن سعد ٣ : ٢ : ٥٦ والبداية ٨/٧٠ .

تفسير سورة البقرة

لفضيلة الإمام الأكبر - شيخ الأزهر

الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوي

﴿ وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ ۖ وَمَا يَكْفُرُ بِهَآ إِلَّا ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٩٩﴾ أَوَكُلَّمَا عَٰهَدُوا۟ عَهْدًا
نَّبَذَهُۥ فَرِيقٌ مِّنْهُم ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٠﴾ وَلَمَّا جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا
مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾
وَٱتَّبَعُوا۟ مَا تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُوا۟
يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ
أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ
وَزَوْجِهِۦ ۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ۚ
وَلَقَدْ عَلِمُوا۟ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ۚ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ ۚ لَوْ كَانُوا۟
يَعْلَمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ خَيْرٌ ۖ لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٣﴾ ﴾

(البقرة - ٩٩ : ١٠٣)

أى : لقد أنزلنا إليك يا محمد علامات واضحات دالة على معانيها وعلى كونها من عند الله ، وبينا لك فيها علوم اليهود ، ومكنونات سرائرهم وأخبارهم ، وما حرفه أوائلهم وأواخرهم من كتبهم ، وما بدلوه من أحكامهم قال تعالى :

﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَكْثَرَ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾

(النمل - ٧٦)

وإن هذه الآيات التى أنزلها الله إليك يا محمد ، ما يكفر بها ، ويجحد صدقها إلا المتمردون من الكفرة ، الخارجون على حدود الله المنتهكون لحرماته .

والهمزة فى قوله ﴿أَوَكُلَّمَا﴾ للإنكار ، والواو للعطف على محذوف يقتضيه المقام ، أى : أكفروا بالآيات البينات ، وكلما عاهدوا عهداً نبذه فريق منهم ، أى : طرحوه ونقضوه من النبذ وهو إلقاء الشيء وطرحه لقلة الاعتداد به ومنه سمى النبيذ وهو التمر والزبيب إذا طرحا فى الماء ، وهو حقيقة فى الأجرام وإسناده إلى العهد مجاز .

والضمير فى قوله : ﴿ مِّنْهُم ﴾ يعود لليهود الذين اشتهروا بنقض العهود وقوله : ﴿ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ يفيد الترقى إلى الأغلظ فالأغلظ ، أى أن فريقا منهم عرف بنقضه للعهد ، وأكثرهم عرف بكفره وجحده للحق .

قال صاحب الكشاف : واليهود موسومون بالغدر ونقض العهود ، وكم أخذ الله الميثاق منهم ومن آبائهم فنقضوا ، وكم عاهدوا رسول الله فلم يفوا : ﴿ ٱلَّذِينَ عَٰهَدتَّ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِى كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ ﴾ .[1]

وقال الرازى : « والمقصود من هذا الاستفهام الإنكار وإعظام ما يقدمون عليه ، لأن مثل ذلك إذا قيل بهذا اللفظ كان أبلغ فى التوبيخ والتبكيت . ودل بقوله : ﴿ أَوَكُلَّمَا عَٰهَدُوا۟ ﴾ على عهد بعد عهد نبذوه ونقضوه ، بل يدل على أن ذلك كالعادة منهم ، فكأنه - تعالى - أراد تسلية النبى ﷺ عند كفرهم بما أنزل عليه من الآيات ، بأن بين له أن ذلك ليس ببدع منهم ، بل هو سجيتهم وعادتهم وعادة سلفهم . . » .[2]

ثم تحدث القرآن بعد ذلك عن نبذ اليهود لكتاب الله ، واتباعهم للسحر والأوهام ، فقال - تعالى - : وَلَمَّا جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾ وَٱتَّبَعُوا۟ مَا تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُوا۟ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ ۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ۚ وَلَقَدْ عَلِمُوا۟ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ۚ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ خَيْرٌ ۖ لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٣﴾

(البقرة - ١٠١ - ١٠٣)

(١) تفسير الكشاف : جـ ١ ص ٢٢٧ .

(٢) تفسير الفخر الرازى : جـ ١ ص ٤١٧ .

والمعنى : وحين جاء اليهود وأحبارهم رسول من عندالله ، وهو محمد ﷺ الذى يجدونه مكتوباً عندهم فى التوراة ، طرح فريق كبير منهم تعاليم التوراة التى تشهد بصدقه ، وراء ظهورهم ، حتى لكأنهم يجهلون أنها من عند الله ، واتبعوا ما قصته واختلقته الشياطين من السحر والأوهام والمفتريات على عهد سليمان - عليه السلام - ومن هذه المفتريات والأكاذيب زعمهم أن سليمان - عليه السلام - كان ساحراً ، وما تم له ملكه العريض ، ولا ظهرت على يديه المعجزات الباهرة من تسخير الجن والريح إلا بهذا .

وقد أكذبهم الله - تعالى - فى هذا الزعم بقوله : ﴿ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ ﴾ أى : بتعلم السحر والعمل به ، كما يزعم هؤلاء « ولكن الشياطين » هم الذين « كفروا » بتعلم السحر وتعليمه للناس ، وتعليمهم - أيضاً - ضرباً آخر منه وهو ﴿ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ ﴾ من وصف السحر وماهيته وكيفية الاحتيال به ، ولقد كان الملكان لا يعلمان أحدا من الناس السحر حتى ينصحاه بقولهما : إن السحر الذى نعلمك إياه . . القصد منه التمييز بين المطيع والعاصى ، وبين السحر والمعجزة ، فحذار أن تستعمله فيما نهيت عنه فتكون من الكافرين ، بخلاف الشياطين فإنهم تعلموه وعلموه لغيرهم لاستعماله فى الشرور والآثام ، ولإحداث التفرقة بين الزوجين ، ولكن هذا السحر الذى يتعاطاه الشياطين وأتباعهم لن يضر أحدا بذاته ، وإنما ضرره يتأتى إذا أراد الله - تعالى - ذلك وشاءه ، ولقد علم أولئك النابذون لكتاب الله المؤثرون عليه اتباع السحر ، أن من استبدل السحر بكتاب الله ، فليس له نصيب من نعيم الجنة ، ﴿ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴾ علماً نافعاً . ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُواْ ﴾ بالله ورسوله محمد ﷺ كما أرشدتهم إليه التوراة : ﴿ وَٱتَّقَوْاْ ﴾ المعاصى والآثام لأثيبوا مثوبة من عند الله هى خير لهم مما آثروه واختاروه على كتاب الله ﴿ لَّوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴾ .

وقوله تعالى :

﴿ وَلَمَّا جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾

بيان لما صدر عن اليهود من تكذيب للرسول ﷺ وطرح لتعاليم كتابهم الذى أمرتهم باتباعه .

أخرج ابن جرير عن السدى قال فى قوله تعالى :

﴿ وَلَمَّا جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ۝١٠١ وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ ﴾

أى لما جاءهم محمد ﷺ عارضوه بالتوراة فخاصموه بها . فاتفقت التوراة والقرآن ، فنبذوا التوراة والقرآن وأخذوا بكتاب آصف وسحر هاروت ، فذلك قول الله ﴿ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ أى كأن هؤلاء الذين نبذوا كتاب الله من علماء اليهود ، فنقضوا عهد الله ، لا يعلمون ما فى التوراة من الأمر باتباع محمد ﷺ وتصديقه [1] .

(١) تفسير ابن جرير جـ ١ ص ٤٤٣ بتصرف وتلخيص .

وفى وصف الرسول بأنه آت من عند الله تعظيم له ، ومبالغة فى إنكار عدم إيمانهم به ، وإغراء للناس جميعاً بالدخول فى دعوته ، لأنه ليس رسولاً من تلقاء نفسه ، وإنما هو رسول من عند الله ـ تعالى ـ .

والمراد ﴿ لِّمَا مَعَهُمْ ﴾ التوراة . وتصديق الرسول ﷺ لها ، معناه أن ما جاء به من تعاليم موافق لها فى أصول الدين ، وأن ما جاءت به من صفات للرسول المنتظر بعد عيسى ـ عليه السلام ـ لا تنطبق إلا عليه ﷺ .

وعبر ـ سبحانه ـ عن تركهم العمل بالكتاب الذى نزل لهدايتهم بالنبذ ، مبالغة فى عدم اعتدادهم ، وتناسيهم إياه ، لأن أصل النبذ طرح وإلقاء ما لا يعتد به .

وفى إسناد النبذ إلى فريق من الذين أوتوا الكتاب ، سخرية بهم ، واستجهال لهم ، لأن الذين أوتوه هم الذين نبذوه ، ولو كان النابذون من المشركين لكان لهم بعض العذر لجهلهم ، ولكن أن يكون التاركون للنور هم الذين أوتوه وأكرموا به ، فذلك هو الضلال المبين .

والمراد من ﴿ كِتَٰبَ ٱللَّهِ ﴾ الذى نبذوه لما جاءهم رسول الله ـ ﷺ ـ التوراة ، لأنهم لو كانوا مؤمنين بها حقاً ، لاتبعوا الرسول ﷺ الذى ذكرت صفاته فيها ، والذى وجب عليهم بمقتضى كتابهم التوراة الإيمان به ، فهم بجحودهم لنبوته ، يكونون جاحدين لتوراتهم التى شهدت له بالصدق .

وقيل المراد بكتاب الله الذى نبذوه القرآن ، لأنهم لم يؤمنوا به ، بل تركوه بعد سماعه ، وتناسوا ماااشتمل عليه من هداية وإرشاد ، مع أنه كان من المتحتم عليهم أن يتلقوه بالقبول .

والذى نراه أن الرأى الأول أرجح ، لأن النبذ يقتضى سابقة الأخذ ، فى الجملة ، وهو متحقق بالنسبة للتوراة ، بخلاف القرآن الكريم فإنهم لم يسبق لهم أن تمسكوا به ، ولأن مذمتهم تكون أشد وجحودهم أكثر ، إذا كان المراد بالكتاب الذى نبذوه ، هو عين الكتاب الذى نزل لهدايتهم وآمنوا به وهو التوراة .

وقوله ـ تعالى ـ : ﴿ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ ﴾ كناية عن إعراضهم الشديد عنه ، وتوليهم عن تعاليمه .

تقول العرب : جعل هذا الأمر وراء ظهره ، أى تولى عنه معرضاً ، لأن ما يجعل وراء الظهر لا ينظر إليه ، ففى هذه الجملة الكريمة تصوير صادق لإعراضهم عن كتاب الله ـ تعالى ـ حيث شبه ـ سبحانه ـ تركهم لكتابه ، بحالة شىء يرمى به وراء الظهر استهانة به ، وفى إضافة الوراء إلى الظهر ، تأكيد لنبذ ما ترك بحيث لا يؤخذ بعد ذلك .

قال الأستاذ الإمام : ليس المراد بنبذ الكتاب وراء ظهورهم أنهم طرحوه برمته ، وتركوا التصديق به فى جملته وتفصيله ، وإنما المراد أنهم طرحوا أجزاء منه وهو ما يبشر بالنبى ـ ﷺ ـ ويبين صفاته ويأمرهم بالإيمان به واتباعه ، فهو تشبيه لتركهم إياه وإنكاره ، بمن يلقى الشىء وراء ظهره حتى لا يراه فيتذكره ، وترك الجزء منه كتركه كله ، لأن ترك البعض يذهب بحرمة الوحى من النفس ، ويجرىء على ترك الباقى [1] .

---

(١) تفسير المنار جـ ١ص ٣٤٦ .

وقوله تعالى : ﴿ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ جملة حالية ، أى طرحوه وراء ظهورهم مشبهين بحال من لا يعلم منه شيئاً ، ومن لا يعرف أنه كتاب الله .

وشبههم بمن لا يعلمون مع أنهم فى الواقع يعلمون أنه من عند الله ـ حق العلم ـ لأنهم نبذوه مكابرة وعناداً ، ولأنهم لم يعملوا بمقتضى علمهم ومن كان هذا شأنه فهو والجاهل سواء ، فى جحود الحق والانغماس فى الآثام .

وقال ـ سبحانه ـ : ﴿ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ بنفى الحال والاستقبال للإشعار بأنهم قوم لا أمل فى توبتهم وإنابتهم ، بل هم تمر بهم الأيام ، وتتوالى عليهم العظات ، ومع ذلك لا يتوبون ولا يرجعون إلى الحق ، فهم مستمرون على طرح كتاب الله فى كل وقت وآن ، ومصممون على ذلك .

ثم حكى ـ سبحانه ـ لوناً آخر من زيغهم وضلالهم واتباعهم للأباطيل بعد أن وبخهم على نبذهم لكتابه فقال ـ تعالى ـ : ﴿ وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ ﴾ .

اتبعوا : من الأتباع وهو الاقتداء ، والضمير فيه يعود على اليهود المعاصرين للنبى ﷺ .

وتتلو : من التلاوة بمعنى الاتباع أو القراءة ، وقال الراغب : تلا عليه كذب عليه .

والشياطين : جمع شيطان ، وهو كائن حى خلق من النار ، ويطلق على الممتلىء شراً من الإنس .

والمعنى : إن هؤلاء اليهود نبذوا كتاب الله ، واتبعوا الذى كانت تتلوه وتقصه الشياطين على عهد ملك سليمان ، وفى زمانه ، من الأكاذيب والكفر ، ومن ذلك زعمهم أن ملكه قام على أساس السحر ، وأنه ارتد فى أواخر حياته ، وعبد الأصنام إرضاء لنسائه الوثنيات إلى غير ذلك من الأكاذيب التى ألصقوها به ـ عليه السلام ـ وهو برىء منها .

قال صاحب الكشاف : وقوله تعالى : ﴿ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ ﴾ أى على عهد ملكه وفى زمانه ، وذلك ان الشياطين كانوا يسترقون السمع ثم يضمون إلى ما سمعوا أكاذيب يلفقونها ويلقونها إلى الكهنة ، وقد دونوها فى كتب يقرءونها ويعلمونها للناس ، وفشا ذلك فى زمان سليمان ـ عليه السلام ـ حتى قالوا : إن الجن تعلم الغيب ، وكانوا يقولون : ماتم لسليمان ملكه إلا بهذا العلم وبه يسخر الإنس والجن والريح التى تجرى بأمره (1) .

وقوله تعالى : ﴿ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا ﴾ معناه : وما كفر سليمان ولكن الشياطين هم الذين كفروا إذ تعلموا السحر وعلموه لغيرهم بقصد إضلالهم ، وصرفهم عن عبادة الله ـ تعالى ـ إلى عبادة غيره من المخلوقات .

ففى الجملة الكريمة تنزيه لسليمان ـ عليه السلام ـ عن الردة والشرك وتبرئة له من عمل السحر الذى كان يتعاطاه أولئك الشياطين وينسبونه إليه زوراً وبهتاناً ، ودلالة على أن ذلك السحر الذى نسبوه إليه وباشرته الشياطين نوع من الكفر .

وقد كان اليهود يعتقدون كفر سليمان ، وأنه ارتد فى آخر عمره ، وعبد الأصنام وبنى لها

(1) تفسير الكشاف جـ ١ ص ٢٢٢ .

المعابد ، وكانوا عندما يذكر النبى ﷺ سليمان بين الأنبياء يقولون : انظروا إلى محمد يخلط الحق بالباطل ، يذكر سليمان مع الأنبياء ، وإنما كان ساحراً يركب الريح .

فإن قال قائل : ماالحكمة فى نفى الكفر عن سليمان مع أن صدر الآية لا يفيد أن أحداً نسب إليه ذلك .

فالجواب : أن اليهود الذين نبذوا كتاب الله ، واتبعوا ما تلته الشياطين من السحر أضافوا هذا السحر إلى سليمان ، وقالوا إنه كان يسخر به الجن والإنس والريح ، فأكذبهم الله ـ تعالى ـ بقوله : ﴿ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ ﴾ كما بينا .

والضمير فى قوله تعالى : ﴿ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ ﴾ يعود على الشياطين الذين افتروا الأكاذيب على سليمان ـ عليه السلام ـ.

ويجوز أن يعود على اليهود الذين نبذوا كتاب الله واتبعوا ما تلته الشياطين على سليمان .

قال الأستاذ الإمام : فى قوله ـ تعالى ـ : ﴿ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ ﴾ : وجهان :

أحدهما : أنه متصل بقوله تعالى : ﴿ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ ﴾ أى : أن الشياطين هم الذين يعلمون الناس السحر .

والثانى : وهو الأظهر أنه متصل بالكلام عن اليهود وأن الكلام فى الشياطين قد انتهى عند قوله ـ تعالى ـ ﴿ كَفَرُواْ ﴾ وانتحال اليهود لتعليم السحر أمر كان مشهوراً فى زمن التنزيل ولا يزالون ينتحلون ذلك إلى اليوم ، أى أن فريقاً من اليهود نبذوا كتاب الله واتبعوا ما تتلو الشياطين على ملك سليمان وههنا يقول القائل : بماذا اتبعوا أولئك الشياطين الذين كذبوا على سليمان فى رميه بالكفر وزعمهم أن السحر استخرج من كتبه التى كانت تحت كرسيه ؟ فأجاب على طريق الاستئناف البيانى ﴿ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ ﴾ .

ونفى الكفر عن سليمان وإلصاقه بالشياطين الكاذبين ذكر بطريق الاعتراض ، فعلم ـ أيضاً ـ أنهم اتبعوا الشياطين بهذه الفرية ، وإنما كان القصد إلى وصف اليهود بتعلم السحر ، لأنه من السيئات التى كانوا متلبسين بها ، ويضرون بها الناس خداعاً وتمويهاً وتلبساً (١) .

وإنما أضاف الله ـ تعالى ـ إلى اليهود أنهم اتبعوا ما تتلو الشياطين على ملك سليمان خاصة مع أنه كان معروفاً قبل سليمان ـ عليه السلام ـ كما أخبر به القرآن عن سحرة فرعون ، وإنما أضاف ذلك إليهم ، لأن هذا كان هو الواقع منهم ، ولأن سحر هؤلاء الشياطين الذين كانوا على عهد سليمان ، كان مدوناً فى صحف اليهود من قديم ، وتوارثه خلفهم عن سلفهم إلى أن وصل إلى من عاصر النبى ﷺ منهم ولأن سليمان ـ عليه السلام ـ أعطاه الله تعالى ملكاً واسعاً ، وسخر له الإنس والجن والريح ، فعزت الشياطين ذلك كله إلى تعلمه السحر .

و﴿ ما ﴾ فى قوله ـ تعالى ـ ﴿ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ ﴾ موصولة ، وهى معطوفة على السحر فى قوله تعالى : ﴿ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ ﴾ أى يعلمون الناس السحر ، ويعلمونهم الذى أنزل على الملكين .

(١) تفسير المنار جـ ١ ص ٤٠١ .

والذى أنزل عليهما هو وصف السحر وماهيته وكيفية الاحتيال به ، ليعرفه الناس فيجتنبوه ، على حد قول الشاعر :

عرفت الشر لا للشر لكن لتوقيه
ومن لا يعرف الشر من الناس يقع فيه

فالشياطين عرفوه فعملوا به ، وعلموه للناس ليستعملوه فى الشرور والمآثم بينما المؤمنون عرفوه واستفادوا من الاطلاع عليه فتجنبوه (١) .

هذا ، واختصت بابل (٢) بالإنزال ، لأنها كانت أكثر البلاد عملاً بالسحر ، وكان سحرتها قد اتخذوا السحر وسيلة لتسخير العامة لهم فى أبدانهم وعقولهم وأموالهم ، ثم جروهم إلى عبادة الأصنام والكواكب فحدث فساد عظيم ، وعمت الأباطيل فألهم الله - تعالى - هاروت وماروت أن يكشفا للناس حقيقة السحر ودقائقه ، حتى يعلموا أن السحرة الذين صرفوهم عن عبادة الله إلى عبادة الكواكب وغيرها قد خدعوهم وأضلوهم ، وبذلك يعودون إلى الصراط المستقيم .

واللام فى ﴿ٱلۡمَلَكَيۡنِ﴾ مفتوحة فى القراءات العشر المتواترة ، وقرىء شاذاً ﴿ الملِكين ﴾ بكسر اللام .

قال بعض المفسرين : المراد بالملَكين - بفتح اللام - رجلان صالحان اطلعا على أسرار السحر التى كانت تفعلها السحرة ، فعلماها للناس ليحذراهم من الانقياد لتلبيسات الشياطين ، وسميا ملكين مع أنهما من البشر لصلاحهما وتقواهما ، ويؤيد هذا الرأى قراءة الملِكين - بكسر اللام - وإن كانت شاذة .

وقال جمهور المفسرين : إنهما ملكان على الحقيقة أنزلهما الله - تعالى - ليعلما الناس السحر ابتلاء لهم ، ليفضحا مزاعم السحرة الذين كانوا يدعون النبوة كذباً ، ويسخرون العامة لهم ويخرجونهم إلى عبادة غير الله ، و(هاروت وماروت) اسمان للملكين اللذين أنزل عليهما السحر ، وهما بدل أو عطف بيان للملكين .

وقوله تعالى : ﴿ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنۡ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحۡنُ فِتۡنَةٌ فَلَا تَكۡفُرۡ ﴾ بيان لما كان ينصح به الملكان من يريد تعلم السحر منهما . والجملة حالية من هاروت وماروت .

والفتنة ، المراد بها هنا الابتلاء والاختبار ، تقول : فتنت الذهب فى النار ، أى : اختبرته لتعرف جودته ورداءته .

والمعنى : أن الملكين لا يعلمان أحداً من الناس السحر إلا وينصحانه بقولهما إن ما نعلمك إياه من فنون السحر الغرض منه الابتلاء والاختبار لتمييز المطيع من العاصى ، فمن عمل به ضل وغوى ، ومن تركه فهو على هدى ونور من الله ، ولإظهار الفرق بين المعجزة والسحر ، فحذار أن تستعمل ما تعلمته فيما نهيت عنه فتكون من الكافرين ، كما كفر السحرة بنسبتهم التأثيرات إلى الكواكب وغيرها من المخلوقات .

---

(١) ويجوز أن تكون (ما) معطوفة على قوله تعالى : ﴿ ما تتلو الشياطين ﴾ والمعنى على هذا الراى ، واتبع اليهود بعد ان نبذوا كتاب الله ، السحر الذى تلته الشياطين على عهد سليمان واتبعوا كذلك السحر الذى انزل على الملكين ببابل هاروت وماروت . وعلى هذا الراى يكون قوله تعالى : ﴿ ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر ﴾ جملة معترضة بين المتعاطفين قصد بها تبرئة سليمان من السحر وإضافته إلى الشياطين ، وبيان انهم هم الذين تعلموه وعلموه الناس بقصد إضلالهم هذا وفى إعراب (ما) فى قوله تعالى : ﴿ وما انزل على الملكين ﴾ آراء اخرى اكتفينا عنها بما ذكرناه لوفائه بالغرض .

(٢) بابل : مدينة بالعراق ينسب إليها السحر والخمر .

فالمقصود من تعليم الملكين للناس السحر ، فضح أمر السحرة الذين كثروا فى تلك الأيام ، وادعوا ما لم يأذن به الله ، وإظهار الفرق بين المعجزة والسحر حتى يعلم الناس أن هؤلاء السحرة الذين قد يزعمون بمرور الأيام أنهم أنبياء ليسوا كذلك ، وإنما هم أفاكون ، وأخبروا عن أنفسهم بطريق القصر بأنهم فتنة للمبالغة فى الإقرار بأنهما لا يملكان نفعاً ولا ضراً لأحد ، وإنما هما فتنة محضة ، وابتلاء من الله لعباده لتمييز المطيع من العاصى .

ثم بين ـ سبحانه ـ لوناً من السحر البغيض الذى استعمله أولئك السحرة فى الأذى فقال تعالى : ﴿ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ ﴾ أى فيتعلم بعض الناس من الملكين ما يحصل به الفراق بين المرء وزوجه .

فالجملة الكريمة تفريع عما دل عليه قوله تعالى قبل ذلك : ﴿ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ ﴾ لأنه يقتضى أن التعليم حاصل ، وأن بعض المتعلمين قد استعملوه فى التفريق بين الزوجين .

وخصص سبحانه هذا اللون من السحر بالنص عليه للتنبيه على شدة فساده ، وعلى شناعة ذنب من يقوم به ، لأنه تسبب عنه التفريق بين الزوجين اللذين جمعت بينهما أواصر المودة والرحمة .

والضمير فى قوله تعالى : ﴿ فَيَتَعَلَّمُونَ ﴾ راجع لأحد ، وصح عود ضمير الجمع عليه مع أنه مفرد ، لوقوعه فى سياق النفى ، والنكرة إذا وردت بعد نفى كانت فى معنى أفراد كثيرة ، فصح أن يعود ضمير الجمع إليه كذلك .

ثم نفى ـ سبحانه ـ أن يكون السحر مؤثراً بذاته فقال تعالى : ﴿ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾ أى : أن أولئك السحرة لن يضروا أو ينفعوا أحداً بسحرهم إلا بإذن الله وقدرته ، فالسحر سبب عادى لما ينشأ عنه من الأضرار ويجوز أن يتخلف عنه مسببه إذا أذن الله بذلك .

والجملة الكريمة معترضة لدفع توهم أن يكون السحر مضراً بذاته ، بحيث لا يتخلف عنه الضرر متى تعاطاه الساحر .

والمراد ﴿ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾ هنا . تخليته ـ سبحانه ـ بين المسحور وضرر السحر ، أى : إن شاء حصل الضرر بسبب السحر ، وإن شاء منعه فلا يصيب المسحور منه شىء من الأذى .

وعبر ـ سبحانه ـ عن هذا المعنى بطريق القصر ، مبالغة فى نفى أى تأثير للسحر بذاته ، وإغراء للناس بتكذيب ما يزعمه السحرة من أن لهم قوى غيبية سوى الأسباب التى ربط الله بها المسببات ، وإرشاداً لهم إلى حسن الاعتقاد ، وسلامة اليقين .

ثم بين ـ سبحانه ـ أن أولئك المتعلمين السحر للأذى وللتفرقة بين المتحابين يتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم ، فقال تعالى : ﴿ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ﴾ أى : أن أولئك الذين تعلموا السحر ليضروا به غيرهم ، ولم يتعلموه ليفرقوا به بين الحق والباطل ، أو ليدفعوا به الشر عن أنفسهم ، قد سلكوا بهذا التعليم الطريق الذى يضرهم ولا ينفعهم ، وأصبحوا بذلك عاصين لما نصحهم به الملكان عند تعليم السحر .

وفى هذه الجملة الكريمة زيادة تنبيه على تفاهة عقول المشتغلين بالسحر للأذى ومبالغة فى تجهيل المصدقين لهم ، لأن الساحر ـ مهما بلغت براعته ـ فلن يستطيع أن يمنع شيئاً أراده الله ، ولا أن يأتى بشىء منعه الله ومادام الأمر كذلك فالمشتغل به ، والمصدق له ، كلاهما وقع فى ضلال مبين .

وقد أفادت الجملة الكريمة بجمعها بين إثبات الضر ونفى النفع مفاد الحصر ، فكأنه ـ سبحانه ـ يقول : ويتعلمون ما ليس إلا ضرراً بحتاً .

« يتبع »

هل يظلم الإنسان نفسه ؟

للشيخ
على حامد عبد الرحيم

عن عبد الله بن عمر - رضى الله عنهما قال : قال - رسول الله - ﷺ : « الظلم ظلمات يوم القيامة » - متفق عليه -

وعن أبى موسى - رضى الله عنه قال : قال رسول الله - ﷺ : « إن الله ليملى للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته » ثم قرأ

﴿ وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴾ (هود-١٠٢) .

رواه الشيخان -

من أظهر مميزات الدين أنه قرر حقوق الإنسان لينصرف إلى عمله فى ثقة واطمئنان فأمر بالعدل بين الناس وإعطاء كل ذى حق حقه ، ومجازاة المحسن بإحسانه ومعاقبة المسىء على إساءته دون تفاوت أو تفاضل ؛ ليعيش الناس على قدم المساواة آمنين على دمائهم وأعراضهم وأموالهم .

فالعدل هو القيام بالحقوق على الوجه الأكمل ، ووضع الأمور فى نصابها ، وهو رأس الفضائل ، وتاج المكارم ، ورأس الخيرات ، وعنوان الكمالات ، وبه تنتظم أمور الدين والدنيا ، وعليه تتوقف سعادة المجتمع . من اتصف به كان محبوبا عند الله - عز وجل - لقيامه بالحقوق الواجبة ، وأعظم الحقوق وأوجبها حق الله على عباده أن يعرفوه ويوحدوه ، ولا يشركوا به شيئا . ولهذا كان من أعظم الظلم وأشده الشرك بالله ، قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ (لقمان- ١٣) .

وإن من اتصف بالعدل وبالقيام بأصول الإيمان ؛ وفرائض الدين ، وعدم الميل عن طريق الخير فإنه يعيش فى أمن وسلام وهداية مع نفسه ومع الناس قال عز من قائل :

﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾

(الأنعام -٨٢)

قال بعض الحكماء : الظلم ثلاثة : أولها ظلم بين الإنسان وبين الله تعالى : وأعظمه الكفر والشرك والنفاق : ولذلك قال الله ـ تعالى

﴿ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾

(لقمان - ١٣) .

والثانى : ظلم بين الإنسان وبين العباد ، وإياه قصد القرآن فى قول الله ـ سبحانه.

﴿ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظْلِمُونَ ٱلنَّاسَ وَيَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾

(الشورى -٤٢)

أى إنما الحرج والعنت على الذين يبتدئون الناس بالظلم ، كما جاء فى الحديث الصحيح فى تفسير ابن كثير ـ « المتسابان ما قالا ، فعلى البادىء مالم يعتد المظلوم » ، وهذا النوع من الظلم نتيجته أليمة ، وعاقبته وخيمة ، ونتيجته فى الدنيا الهلاك ؟ قال تعالى :

﴿ فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةًۢ بِمَا ظَلَمُوٓاْ ﴾

(النمل -٥٢) .

وأما فى الآخرة ، فإن الظالم يلقى ظلمات متتابعة إذا خرج من ظلمة دخل فى غيرها من مظالم العباد ، فهى ظلمات متراكمة بعضها فوق بعض ، كما فى الحديث « فإن الظلم ظلمات يوم القيامة » حيث تحمل الظلمات على ظاهرها ، ويحتمل أن تكون كناية عن الهول والشدة بالنسبة للظالمين فهو تصوير لسوء العاقبة .

فعن ابن عباس ـ رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ـ ﷺ : قال الله تبارك وتعالى : وعزتى وجلالى لأنتقمن من الظالم فى عاجله وآجله ، ولأنتقمن ممن رأى مظلوما فقدر أن ينصره فلم يفعل » رواه أبو الشيخ بل إن الظالم يكون يوم القيامة مفلسا من الحسنات ـ فعن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ فيما رواه مسلم : أن رسول الله ـ ﷺ ـ قال : « أتدرون من المفلس ؟ قالوا : المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع فقال : إن المفلس من أمتى من يأتى يوم القيامة بصلاة وصيام وذكاة ، ويأتى وقد شتم هذا ، وقذف هذا ، وأكل مال هذا ، وسفك دم هذا ، وضرب هذا ، فيعطى هذا من حسناته ، وهذا من حسناته فإن فنيت حسناته قبل أن يقضى ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح فى النار » .

ومن هنا ينصح رسول الله ـ عليه الصلاة والسلام ـ الظالم أن يرد الحق إلى صاحبه ، أو أن يستسمح صاحب المظلمة حتى يرضى ويصفح عنه .

فيقول : فيما رواه البخارى ، عن أبى هريرة

رضى الله عنه عن النبى - ﷺ - قال : « من كانت عنده مظلمة لأخيه من عرضه أو من شىء فليتحلله منه اليوم قبل أن لا يكون دينار ولا درهم ، إن كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته ، وإن لم يكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه فحمل عليه .

أما النوع الثالث : فهو ظلم الإنسان لنفسه : قال تعالى : ﴿ وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ (الأعراف- ١٩) أى لأنفسهم .

وقال تعالى : ﴿ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ ﴾ (الطلاق- ١) .

والأنواع الثلاثة فى الحقيقة ظلم للنفس ، فالظالم أبدا مبتدىء بنفسه فى الظلم . وقد جاء ذلك فى كتاب الله فى أكثر من موضع . قال الله تعالى :

﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ (العنكبوت-٤٠)

فمن ظلم النفس بمنع الزكاة احتباس القطر من السماء ، ونزع البركة من المال وتعريضه للآفات .

ومن ظلم النفس بانتشار الزنى والفواحش ظهور الأوبئة والأمراض الخطيرة .

ومن ظلم نفسه بتعاطى السموم كالخمر والمخدرات جر على نفسه بلاء عظيما وأمراضا فتاكة وجنى على مجتمعه ، بلاء كبيراً .

ومن ظلم نفسه بالسرقة نشر الخوف فى المجتمع ، وزعزعة الأمن بنشر الرعب بين الناس .

ولقد استعاذ النبى - ﷺ - من خصال الشر .

روى ابن ماجه بسنده إلى عبد الله بن عمر - رضى الله عنهما - قال أقبل علينا رسول الله - ﷺ - فقال : يامعشر المهاجرين خمس خصال - إذا ابتليتم بهن وأعوذ بالله أن تدركوهن : لم تظهر الفاحشة فى قوم قط حتى يعلنوا بها إلا فشا فيهم الطاعون والأوجاع التى لم تكن فى أسلافهم ، ولم ينقصوا المكيال والميزان إلا أخذوا بالسنين وشدة المؤونة وجور السلطان ولم ينقضوا عهد الله إلا سلط الله عليهم عدوا من غيرهم فأخذوا بعض مافى أيديهم ، وما تحكم أئمتهم بكتاب الله إلا جعل بأسهم بينهم ، إن من تحمل أمانة العمل أيا كان هذا العمل ثم مالت نفسه الأمارة بالسوء ففضل رغبة دنيوية ، ومصلحة ذاتية فلم يؤد العمل على الوجه المطلوب فاختلس الوقت أو الجهد أو المال ولم يراع ما التزم به فهو ظالم لنفسه . والأب والأم ظالمان لنفسيهما إذا فضلا أحد أولادهما عن الآخر معاملة وعطاء ، والمرأة ظالمة لنفسها إذا تهاونت فيما فرض عليها أو قصرت فى حق زوجها ، أو عرضت نفسها للفتنة ، والبائع ظالم لنفسه إذا غش فى سلعته .

وكل مقصر فيما وكل إليه من أعمال يسأل عن ذلك فى

﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا ﴾ (الفرقان-٢٧) .

الطريق إلى الهداية

لفضيلة الشيخ السيد عبد المقصود عسكر

منذ بعث الله محمدا - ﷺ - بالهدى ودين الحق ، حرص على أن يحث الناس على التدبر ، والتفكر ، والنظر فى ملكوت السموات والأرض ، وما خلق الله من شىء .

وفى القرآن الكريم كثير من الآيات التى تعلى من شأن العقل ، وتحث على إعماله ، والانتفاع به ، باعتبار أنه نعمة من أجل النعم التى أنعم الله بها على عباده .

يقول الله تعالى : ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (الروم : ٢١) .

ويقول الله تعالى ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ (الروم : ٢٤) .

ويقول الله تعالى ﴿ كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ (ص ٢٩) .

ويقول الله تعالى ﴿ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (الحشر : ٢١) .

وحين دعا رسول الله الناس - بأمر الله - أن يتفكروا ، وأن يتدبروا كان على يقين تام أن من أكبر العوائق التى تحول بين الناس وبين اتباع الهدى الذى جاءهم به ، تمسكهم بما ألفوه وتوارثوه عن الآباء والأجداد . وقد كشف القرآن الكريم عن هذه الحقيقة فى مواضع كثيرة . . . منها قول الله تعالى

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا ۗ أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴾ (البقرة : ١٧٠) .

وقد كان هذا هو السبب فى إعراض أهل مكة عن الإيمان بمحمد - ﷺ - فقد قالوا - كما حكى القرآن الكريم ﴿ بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّهْتَدُونَ ﴾ (الزخرف : ٢٢) .

وأهل مكة - فى هذا المسلك - قد ساروا على نفس الدرب الذى سلكه الكفار من قبلهم ولهذا

قال الله سبحانه :

﴿ وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتۡرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٖ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقۡتَدُونَ ﴾

(الزخرف : ٢٣) .

ونتيجة لتمسكهم بالموروث والتعصب له دون حجة أو برهان ولحبهم للتقليد والجمود ولعجزهم عن مواجهة الحجج الدامغة التى يملكها الحق فإنهم لجأوا إلى الجحود والعناد والاستكبار عن قبول الحق . وحبس العقول عن التفكير والقلوب عن التعقل .

والقرآن الكريم يكشف عن هذا الموقف المزرى الذى لا يليق بإنسان عاقل فضله الله على كثير من خلقه . فيقول الله سبحانه

﴿ حمٓ ۝١ تَنزِيلٞ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٢ كِتَٰبٞ فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥ قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا لِّقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ۝٣ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا فَأَعۡرَضَ أَكۡثَرُهُمۡ فَهُمۡ لَا يَسۡمَعُونَ ۝٤ وَقَالُواْ قُلُوبُنَا فِيٓ أَكِنَّةٖ مِّمَّا تَدۡعُونَآ إِلَيۡهِ وَفِيٓ ءَاذَانِنَا وَقۡرٞ وَمِنۢ بَيۡنِنَا وَبَيۡنِكَ حِجَابٞ فَٱعۡمَلۡ إِنَّنَا عَٰمِلُونَ ﴾

(فصلت : ١ ـ ٥) .

ومن هنا يظهر السر وراء إلحاح القرآن الكريم وتحريضه للناس على التفكر والتدبر . يقول الله تعالى :

﴿ إِنَّ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ لَأٓيَٰتٖ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ۝١٩٠ ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ رَبَّنَا مَا خَلَقۡتَ هَٰذَا بَٰطِلٗا سُبۡحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾ (آل عمران : ١٩٠ ـ ١٩١) .

روى ابن أبى حاتم وابن حبان فى صحيحه وغيرهما أن رسول الله ـ ﷺ ـ قرأ هذا الآيات وبكى . ثم قال : « ويل لمن قرأ هذه الآيات ثم لم يتفكر فيها » .

وكما مدح الله عباده الذين يتفكرون ويتدبرون ووصفهم بأنهم أولو الألباب ، فقد ذم الله أولئك الذين لا يتفكرون فيما حولهم ، ولا يعتبرون بمخلوقات الله ، الدالة على ذاته وصفاته وشرعه وقدره وآياته فقال سبحانه : ﴿ وَكَأَيِّن مِّنۡ ءَايَةٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ يَمُرُّونَ عَلَيۡهَا وَهُمۡ عَنۡهَا مُعۡرِضُونَ ﴾

(يوسف : ١٠٥) .

وحيثما يمم الإنسان وجهه وتفكر فيما حوله يجد العديد من دلائل الهدى ، ومعالم الحق . وإذا نظر فى هذه الدلائل التى لا تحصى ، والمعالم التى لا تستقصى ، فإنه يتحرر من إسار التقليد ، ويتخلص من ذل الجمود وينطلق فى آفاق المعرفة ، ويصل إلى اليقين ويتعرف على الحق . يقول الله تعالى ﴿ وَفِي ٱلۡأَرۡضِ ءَايَٰتٞ لِّلۡمُوقِنِينَ ۝٢٠ وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ﴾ (الذاريات : ٢٠ ـ ٢١) .

وآيات الله ودلائل قدرته كثيرة ومتجددة وهى مبثوثة فى الأنفس والآفاق . يقول الله تعالى ﴿ سَنُرِيهِمۡ ءَايَٰتِنَا فِي ٱلۡأٓفَاقِ وَفِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّۗ أَوَلَمۡ يَكۡفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ ﴾

(فصلت : ٥٣) .

ومن أمارات عظمة الإسلام أنه لفت الأنظار بقوة إلى هذه الآيات حتى يدرك الإنسان ذاته ، ويعرف قدره ، ويهتدى إلى خالقه فيطيع أمره ، ويخضع لسلطانه ، وهذا هو مايهدف إليه الإسلام . وذلك هو الطريق المؤدى إليه .

وكل الذين دخلوا فى الإسلام سلكوا هذا الطريق ، فهم لم يهملوا قضية الدين ، وإنما أعطوا هذه القضية ما تستحق من عناية ؛ لأنها قضية مصير ، ولذلك لم يجعلوها على هامش

حياتهم ، والحقيقة بنت البحث فقرأوا وبحثوا وتدبروا . قرأوا بتجرد ، وبحثوا بتعقل ، وتدبروا بوعى وإدراك ، راغبين فى معرفة الحق والتزامه وعلم الله صدقهم فهداهم إليه .

ذلك هو القاسم المشترك الذى عرفناه من أخبار كل أولئك الذين دخلوا فى الإسلام وهداهم الله إليه .

منذ سنوات قدر الله لى أن أقرأ كتابا من تأليف « موريس بوكاى » يزن فيه التوراة والإنجيل والقرآن بميزان العلم . فوجدت الرجل متجردا ، يبحث بكل موضوعية ، ويكتب بدون تحيز وقلت - يومها - لمن سألنى عن رأيى فى الكتاب والكاتب : « يبدو لى أن الرجل سائر على الطريق الصحيح ، وأعتقد أنه لو استمر سائرا ولم يتوقف سيدخل فى الإسلام » .

وقد صح ما توقعته ، ودخل الرجل فى الإسلام فعلا .

لم أكن أعلم الغيب ، وليس ذلك من شأنى ؛ لأن الله - وحده - هو الذى يعلم الغيب . ولم تكن لى معرفة بالتنجيم ، ولا باشرته فى يوم من الأيام ولست مؤمنا به . وإنما هى المقدمات التى توصل إلى نتائجها ما لم تعترضها موانع . نعلم ذلك علم اليقين ونؤمن به تمام الإيمان .

لقد كان رسول الله - ﷺ - واثقا كل الثقة ، أنه على الحق المبين ، ولهذا كان يسعى جاهدا لمناقشة أهل مكة وغيرهم ، وفتح مجال الحوار معهم وهو على يقين تام بانتصار الحق الذى يدعو إليه ، وأن رفضهم قبول دعوته لن يكون إلا بسبب عنادهم وجحودهم ، فقد قال الله تعالى

﴿ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ إِنَّكَ عَلَى ٱلْحَقِّ ٱلْمُبِينِ ۝٧٩ إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْا۟ مُدْبِرِينَ ۝٨٠ وَمَآ أَنتَ بِهَـٰدِى ٱلْعُمْىِ عَن ضَلَـٰلَتِهِمْ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَـٰتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ ﴾

(النمل : ٧٩ - ٨١) .

يعنى : أنه من أصر على كفره وعمى عن رؤية نور الهدى وسد أذنيه عن سماع الحق ، فإنك لا تملك هدايته مع أنك على الحق . ولذا فإن عليك أن تمضى لما أمرك الله متوكلا عليه وحده ، ومن تمام ثقة رسول الله واطمئنانه إلى أنه على الحق وأنه لا يحول بين الأخرين وبين قبول دعوته إلا أن يتحاوروا معه انطلاقا من نقطة البحث عن الحقيقة ، كان يقول لأهل مكة ما ذكره الله فى قوله :

﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ۝٢٤ قُل لَّا تُسْـَٔلُونَ عَمَّآ أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْـَٔلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ ۝٢٥ قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَهُوَ ٱلْفَتَّاحُ ٱلْعَلِيمُ ﴾

(سبأ : ٢٤ - ٢٦) .

وعندما حدد الله معالم الدين الذى بعث به محمدا - ﷺ - وبين أنه دين التوحيد والوحدة الذى بعث به جميع الأنبياء والمرسلين . وذكر أن المشركين هم الذين يكرهون هذا الدين ويرفضون قبوله .

عقب بيان ذلك يأمر الله محمدا - ﷺ - أن يدعو إلى هذا الدين الحق ، الذى يجمع ولا يفرق فيقول سبحانه

﴿ فَلِذَٰلِكَ فَٱدْعُ ۖ وَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ ۖ وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَـٰبٍ ۖ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ ۖ ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ ۖ لَنَآ أَعْمَـٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَـٰلُكُمْ ۖ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ۖ ٱللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴾ (الشورى : ١٥) .

وهذه شخصية عالمية مرموقة تسير على الطريق

نفسه المؤدى إلى الهداية . ذلكم هو الأمير تشارلز ولى عهد بريطانيا . فقد تواترت الأنباء ونقلت إلينا أقوالا منسوبة إليه يتحدث فيها عن الإسلام بطريقة يظهر فيها اتزان الرجل ودقة فهمه وسمو إدراكه ورجاحة عقله وعمق تحليله ومعرفته الواعية للآثار الضارة التى عادت على الإنسان فى الغرب بسبب الحضارة المادية التى فقدت عنصر التوازن . وأن الحضارة الإسلامية هى التى لم تغفل قيمة الروح ولم تهمل العناية بالمادة فى نفس الوقت . وأن ذلك التوازن الذى تحتوى عليه ضرورى لسعادة الإنسان ، ولذا فإنه يجب على الغرب أن يتعلم من الإسلام .

فى محاضرة ألقاها الأمير تشارلز ، قال ما يأتى :

« إن المادية المعاصرة أحدثت خللا مروعا فى حياة الفرد والمجتمع ، لأنها مادية فقدت عنصر التوازن الضرورى لحياة سوية متناسقة متكاملة .

ولقد بدأنا نحن أبناء العالم الغربى نشعر بأننا قد فقدنا الإحساس الكلى بالكون والبيئة ومسئوليتنا الشاملة إزاء الخلق ، ويمكن لنا نحن أبناء الغرب من أجل إعادة اكتشاف الفهم الأصيل لوجودنا ، ومهمتنا أن نلتمس العون على ذلك من التراث الإسلامى المشبع بالنظرة الكلية الأصيلة إلى الكون والإنسان . كما يمكن لنا الاستفادة من هذا التراث فى تحسين نظرتنا نحو الأفضل .

لقد شهدت القرون الثلاثة الأخيرة فى الغرب انقساما خطيرا فى طريقة رؤيتنا إلى العالم المحيط بنا . فقد حاول العلم بسط احتكاره وسطوته المستبدة على طريقة تفكيرنا وفهمنا للعالم وانفصل العلم عن الدين .

إن العلم أدى خدمة جليلة بتبيانه لنا أن العالم أكثر تعقيدا مما نظن . بيد أن العلم فى شكله المادى الأحادى الحديث قد عجز عن تفسير كل شىء . ولاشك أن انفصال العلم والتكنولوجيا عن القيم والموازين الأخلاقية قد بلغ حدا مروعا مفزعا .

ثم قال : إن الثقافة الإسلامية جاءت للحفاظ على الرؤية الصحيحة المتكاملة للعالم . وعلى نحو افتقدناه نحن خلال الأجيال السابقة فى الغرب .

وهناك الكثير مما يمكن لنا أن نتعلمه من رؤية العالم الإسلامى فى هذا المضمار . وهناك طرق شتى لبناء صرح الفهم والتقدير المتبادل .

ولعلنا نستطيع على سبيل المثال أن نبدأ بزيادة عدد المعلمين المسلمين فى المدارس البريطانية . إننا نحتاج إلى أن يعلمنا معلمون مسلمون ، حتى نتعلم بقلوبنا ، كما نتعلم بعقولنا » .

إن ما قاله الرجل فى هذه القضية الخطيرة يمثل صفعة لهؤلاء الذين يقدسون كل ما هو غربى ، حتى فى مجال التقاليد والعادات والأخلاق ، وأساليب الحياة ، ويسفهون كل من يتحدث عن حضارة الإسلام ، وسمو تعاليمه ، وعدالة شريعته ، ويصفونه بكل النقائص ، ويتهمونه بشتى التهم .. وإذا كان هؤلاء يبذلون قصارى جهدهم ، لتكون بلادنا تابعة للغرب ، فى إلحاده وماديته وعلمانيته ، التى عزل بها الدين عن الحياة ، فما جنى غير التعاسة والشقاء ، فماذا يقول هؤلاء وهم يسمعون عقلاء الغرب يعترفون بفشل الحضارة المادية ، وينشدون السلامة والنجاة فى حضارة الإسلام ؟

إنى أدعو هؤلاء لأن يراجعوا موقفهم فى ضوء ما يقوله الأمير تشارلز وغيره ، من مفكرى الغرب إن كانوا يعقلون .

والله يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم .

كتابة القرآن الكريم

بين الرسم المتبع والخط المخترع

للدكتور: على إبراهيم محمد*

حين نزل القرآن الكريم على سيدنا محمد - ﷺ - وبدأ تدوينه فى حياته كان الناس آنذاك يتبعون نظاماً كتابياً معيناً يتضمن هذا النظام كثيراً من الفروق بين المكتوب والمنطوق تتمثل هذه الفروق فى زيادة رموز كتابية لا يوجد لها مقابل فى الأصوات ، أو نقص بعض الرموز التى لها مقابل صوتى ، أو غير ذلك من هذه الفروق التى لم تمثل عائقاً - آنذاك - أمام الناس فى استخدام هذا النظام فى كل أمور حياتهم اليومية . بل إن أصحاب الرسول - ﷺ - استخدموه فى تدوين كتاب الله - عز وجل - .

ومع ظهور هذه الفروق وبروزها لم يحاول علماء العربية - فى هذا الوقت - تقنين هذا النظام وتنميط قواعده إلا بعد فترة غير قصيرة ، وعندما بدأوا فى ذلك كانت الفكرة النحوية والصرفية قد سيطرت على التفكير الكتابى ، وقد أدى ذلك - بالطبع - إلى بقاء كثير من الفروق بين المكتوب والمنطوق ؛ وتطلب الأمر ظهور علم جديد يتخذ من هذه الفروق مادة وموضعاً له حتى يتمكن الكاتبون من أداء كتابتهم على صورة جديدة ، هذا العلم هو ما سُمى بعلم الهجاء ، أو الرسم ، أو ما سماه صاحب كشف الظنون ، بعلم إملاء الخط [1] ، أو الخط المخترع [2] .

ومنذ ظهور هذا العلم الذى قنن هذه الفروق وعلل وجودها أصبح الخلاف قائماً بين العلماء فى

* الكاتب : مدرس أصول اللغة - كلية اللغة العربية - القاهرة .

(١) كشف الظنون - حاجى خليفة ٩٠٢/١ ط ، دار الكتب العلمية - بيروت - ١٩٩٢ م .

(٢) المطالع النصرية ، الشيخ نصر الهورينى ، ص ١٩ ، ط المطبعة الخيرية ١٣٠٤ هـ .

مسألة كتابة القرآن الكريم ، هل يكتب بالرسم العثماني والذي يُطلق عليه الرسم المتبع ؟ أم تجوز كتابته وفقاً للمعايير والأسس التي اشتمل عليها هذا العلم الذي يُسمى بالخط المخترع ؟

ومن الواضح أن هذا الخلاف بين من يجيز كتابته بالرسم المخترع ، ومن لا يجيز ، قائم على فهم كل من الفريقين ، أو تصوره لمصدر الرسم العثماني هل هو توقيفي من الله - عز وجل - ؟ أم أنه من اصطلاح الصحابة - رضوان الله عليهم - ؟

وبين هذا وذاك ظهر اتجاه ثالث يجمع بين الرأيين فيكتب المصحف بالرسم العثماني ، ويشرح في الهامش الكلمات التي تختلف في الرسم الإملائي ، وها نحن نعرض لهذه الآراء الثلاثة ونوضح أدلتهم وموقف البحث العلمي منها .

١ - القائلون بوجوب اتباع المصحف الإمام :

يذهب جمهور العلماء إلى وجوب اتباع رسم المصحف ، وعدم جواز كتابته بالهجاء الاصطلاحي ، أو ما يُسمى بالخط المخترع ، ولهم على ذلك أدلة كثيرة منها :

(أ) أن النبي - ﷺ - أقر كُتّاب الوحي على ما كتبوه ، وإقراره لهم دليل على أن الرسم المصحفي توقيف من الله - تعالى - لا تجوز مخالفته [1] .

(ب) إجماع الصحابة - رضوان الله عليهم أجمعين - على هذا الرسم وكانوا وقتئذ اثني عشر ألفا [2] ، ثم إجماع التابعين بعد ذلك وتابعي التابعين ، فلم يخالف أحد منهم هذا الرسم ، ولم ينقل عن أحد منهم أنه فكر في أن يستبدل بالرسم المصحفي رسماً آخر .

(جـ) إجماع الفقهاء - رحمهم الله - على هذا الرسم .

قال الإمام أحمد : تُحرم مخالفة خط مصحف عثمان في ياءٍ أو واو أو ألف غير ذلك [3] .

وقد سُئل الإمام مالك هل يُكتب المصحف على ما أحدثه الناس من الهجاء ؟ فقال : لا . إلا على الكتبة الأولى [4] .

قال أبو عمرو الداني : « ولا مخالف له في ذلك من علماء الأمة » [5] .

وقال البيهقي في « شعب الإيمان » : « من كتب مصحفاً فينبغي أن يحافظ على حروف الهجاء التي كتبوا بها تلك المصاحف ولا يخالفهم فيها ولا يغير مما كتبوا شيئاً ، فإنهم أكثر علماً ، وأصدق قلباً ، وأعظم أمانة منا ، فلا ينبغي أن نظن بأنفسنا استدراكاً عليهم » [6] .

لهذه الأدلة وغيرها ذهب جمهور العلماء : إلى وجوب اتباع الرسم المصحفي ، وعدم جواز كتابته بالإملاء الاصطلاحي .

---

(١) رسم المصحف بين المؤيدين والمعارضين ، د . عبدالحي الفرماوي ، ص ٢٧ ص (١) مكتبة الأزهر ١٩٧٧ م .

(٢) سمير الطالبين للشيخ الضباع ص ١٨ ط مكتبة المشهد الحسيني د . ت .

(٣) البرهان في علوم القرآن للزركشي تحقيق . الأستاذ محمد أبو الفضل إبراهيم ١/٣٦٩ ط ٣ دار الفكر ١٩٨٠ م .

(٤) إتحاف فضلاء البشر للبنا الدمياطي تحقيق . د . شعبان إسماعيل ١/٨١ ط عالم الكتب والكليات الأزهرية ١٩٨٧ م .

(٥) المقنع للداني تحقيق ، محمد الصادق قمحاوي ص ١٩ ط الكليات الأزهرية د . ت .

(٦) البرهان ١/٣٧٩ .

٢ - القائلون بجواز كتابة القرآن الكريم بالخط المخترع :

ذهب فريق من العلماء القدامى والمحدثين إلى جواز كتابة القرآن الكريم بالرسم الإملائى . بل دعا إليه بعضهم ، فمن القدامى دعا إليه عز الدين بن عبدالسلام الذى يقول : « لا يجوز كتابة المصحف الآن على الرسوم الأولى باصطلاح الأئمة لئلا يوقع فى تغيير من الجهال » (١) .

ويأتى هذا من تصور هذا الفريق إلى أن الرسم المصحفى من اصطلاح الصحابة - رضوان الله عليهم - يُفهم هذا من كلام القاضى أبى بكر الباقلانى الذى يقول : « إنما فُرض على الأمة الوصية فى القرآن وألفاظه ، فلا يزيدون حرفاً ولا ينقصونه ولا يقدمونه ولا يؤخرونه ويتلونه على نحو ما يتلى عليهم .

وأما الكتابة فلم يفرض الله على الأمة فيها شيئاً ، إذ لم يأخذ على كُتاب القرآن ، وخطاط المصاحف رسماً بعينه دون غيره أوجبه عليهم وترك ما عداه ، إذ وجوب ذلك لا يدرك إلا بالسمع والتوقيف ، وليس فى نصوص الكتاب ولا فى مفهومه أن رسم القرآن وخطه لا يجوز إلا على وجه مخصوص ؛ لأن رسول الله - ﷺ - كان يأمر برسمه ولم يبين لهم وجهاً معيناً ، ولا نهى أحداً عن كتابته ، ولذلك اختلفت خطوط المصاحف ، فمنهم من كان يكتب الكلمة على مخرج اللفظ ، ومنهم من كان يزيد وينقص لعلمه بأن ذلك اصطلاح (٢) .

وقد رُد على هذا الاتجاه بأن إقرار الرسول - ﷺ - الكُتّاب الذين كتبوا المصحف سنة يجب اتباعها . كما رُد عليه بإجماع الصحابة والتابعين على هذا الرسم . ويضاف على ذلك أن هذا الرسم لو لم يكن له مزية إلا اتصال سند القارىء بسيدنا رسول الله - ﷺ - لوجبت المحافظة عليه من أجل ذلك . فهذا الرسم يجعل القارىء لا يكتفى بالمكتوب فى قراءة النص القرآنى بل إن عليه أن يتطلب النص بالسماع من أفواه الشيوخ الذين تلقوه عن شيوخ يتصل سندهم بسيدنا الرسول - ﷺ - .

وهذا مما يضعف هذا الاتجاه .

٣ - الرأى الذى توسط بين الأمرين :

بين من أوجب اتباع رسم المصحف الإمام ومن أجاز كتابة القرآن الكريم بالرسم الإملائى ظهر اتجاه ثالث أراد أن يجمع بين الرأيين . هذا الاتجاه يتمثل فى محاولة الشيخ عبدالجليل عيسى - مع إيمانه فيما يبدو بعدم التوفيق - الجمع بين الرأيين فى مصحف سماه بالمصحف المُيسر ، وذلك باتباع الرسم العثمانى مع التنبيه فى هامشه على الوجه الاصطلاحى فيما تظهر فيه المخالفة (٣) .

ومع إيمانى بأنه من الناحية الواقعية توجد بعض فروق بين المكتوب والمنطوق فى الرسم المصحفى

(١) البرهان للزركشى ١/ ٢٧٠ .

(٢) منهج الفرقان للشيخ محمد على سلامة ١/ ١٥١ ، ١٥٢ بتصرف ط ١٩٣٨ م .

(٣) فى علم الكتابة العربية لأستاذى الدكتور عبدالله ربيع محمود ، ص ١٤٦ ، ١٤٧ بتصرف يسير ط ١ ، ١٩٩٢ م .

منها ما لا يوجد له نظير فى الرسم الإملائى إلا أن هذا لا يبرر - فى نظرى - المساس بالرسم المصحفى ، لا من قريب ولا من بعيد ، وذلك لمايلى :

١ - إن المساس به والقول بجواز كتابته بالإملاء الاصطلاحى يفتح مجالاً للتحريف والتبديل فى كتاب الله - عز وجل - الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه . وما حدث للتوراة والإنجيل من تغيير وتحريف ليس ببعيد منا .

٢ - إن هذا الرسم - كما تقدم - سبب فى اتصال سند القارىء بسيدنا رسول الله - ﷺ - لأنه لا يجعل القارىء يكتفى بالرسم فقط فى قراءة النص القرآنى ، بل عليه أن يتلقنه من أفواه الحافظين الذين تلقوه عن شيوخ يتصل سندهم بسيدنا الرسول - ﷺ - .

٣ - إن هذا الرسم لا يُكتب به إلا القرآن الكريم ولا يتعرض له إلا حافظو كتاب الله - عز وجل - أو من يريد حفظه ومن يقبل عليه بإخلاص ييسر الله - تعالى - له . قال تعالى :

﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾

(القمر - ١٧)

فلعل من تيسيره تيسير معرفة خطوطه التى لا تختلف كثيراً عما يكتب به الناس فى سائر أمور حياتهم .

وفى نهاية هذا المقال ، لنا أن نشير إلى قضية مهمة فى كتابة المصاحف فى أيامنا هذه ، وهى اختلاف دور النشر المعنية بطبع المصاحف الشريفة فى أمور مهمة خاصة بالرسم المصحفى ، ونحن ندعو إلى توحيد دور النشر فى هذه الأشياء والتى منها :

اختلافهم فى علامات الوقف ، فقد ترى موضع الوقف فى مصحف مشاراً إليه بعلامة الوقف اللازم (م) وترى نفس الموضع فى مصحف آخر مشاراً إليه بعلامة الوقف الجائز مع كون الوقف أولى (قلى) .

وقد ترى من يجمع بين الوقف الجائز مع كون الوقف أولى والذى علامته (قلى) وبين الوقف الجائز مع كون الوصل أولى وعلامته (صلى) ويرمز للوقفين بعلامة الوقف الجائز جوازاً مستوى الطرفين (ج) ، وقد حدث مثل هذا فى مصحف الأزهر الطبعة العاشرة [١] .

كذلك تختلف دور النشر فى عدد أسطر الصفحة الواحدة فالأكثر على أنها خمسة عشر سطراً ، ومنها من يقل عن ذلك ، والتوحيد فى عدد الأسطر وغيره ، أمر مطلوب لأن الحافظ حين يحفظ تكون الصفحة بعدد أسطرها وبعلامات الوقف فيها قد دخلت ذهنه وتصورها تصوراً تاماً فإذا ماأراد أن يقرأ فى مصحف وجده مخالفا لما حفظ عليه ، قد يؤدى ذلك إلى قلة حفظه ، لاسيما إن كان حافظاً حديث العهد ، نسأل الله أن يجعلنا من الحافظين لكتابه العاملين به .

---

(١) مصحف الأزهر الشريف ، الطبعة العاشرة صفحة (ى) من التعريف بالمصحف .

البلاء وما للإنسان فيه من منظور إسلامى

للدكتور : الشبراوى محمد عبد الهادى الجهورى(*)

لكلمة بلاء وقع أليم لدى أغلب الناس ، فهى تعنى عندهم الشر الذى ينزل بالعبد فيصيبه فى نفسه أو فى أهله أو فيما يملك من متع الحياة ومباهجها ، ومرد ذلك ما يأتى :

١ - ارتباط هذه الكلمة عند عامة الناس بالشدائد والمحن التى تحل بساحة الإنسان فتعكر صفو حياته وتحول سعادته شقاء وهناءه عناء .

٢ - تلك المعانى الكثيرة التى تحتويها كلمة بلاء .

ففى المعجم الوسيط : بلى الثوب بلى وبلاء : رث وبليت الدار ونحوها : فنيت ، وأبلى فى الأمر : اجتهد فيه وبالغ ، وأبلى فلان فلانا : اختبره ، وابتلى الثوب : أخلقه ، وابتلاه : جربه وعرفه ، والبلاء المحنة تنزل بالمرء ليختبر[1] .

وفى مختار الصحاح : البلية والبلوى واحد والجمع البلايا وبلاه : جربه واختبره ، وبلاه الله : اختبره ، ويبلوه بلاء بالمد وهو يكون بالخير والشر[2] .

فالكلمة تنطوى كما هو ملاحظ على أكثر من معنى : فهى تعنى الاختبار والامتحان والتجريب والاجتهاد والفناء والمعرفة والكشف والظهور ، والمحنة تنزل بالمرء ليختبر وهذا الاختبار لا يكون بالشر فقط - كما يعتقد بعض الناس - ولكنه يكون بالخير والشر معا .

(*) الكاتب : مشرف على معهد الهجارسة الإعدادى بنين .

(١) المعجم الوسيط جـ ١ ص ٧١ طبعة دار المعارف .

(٢) مختار الصحاح ص ٦٥ طبعة دار المعارف .

كلمة بلاء فى القرآن الكريم :

جاءت كلمة بلاء فى القرآن الكريم بمعنى اختبار الله لعبده بالخير أو الشر وامتحانه له بالعطاء أو المنع ، قال تعالى :

﴿ وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴾

سورة الأنبياء الآية (٣٥)

أى نختبركم بالشدة والرخاء والحلال والحرام لنعاملكم معاملة المختبر ، فنقف على صبركم فى الشدة والضراء وشكركم فى اليسر والرخاء واستمساككم بالحلال وابتعادكم عن الحرام امتثالا لأمر الله سبحانه وتعالى .

قال تعالى :

﴿ إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴾

سورة الإنسان الآية (٢) .

أى : خلقنا الجنس البشرى من نطفة امتزج فيها الماءان ماء الرجل بماء المرأة ، ونبتليه بمعنى نختبره ، ومن أجل ابتلاء الله للإنسان ووضعه موضع الاختبار جعله سميعا بصيرا لكى يستطيع التمييز بين الخير والشر والنافع والضار .

وقال تعالى :

﴿ تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ﴾

سورة الملك الآية (١ ، ٢) .

أى : الذى خلق الموت والحياة ليختبركم أيها الناس حتى يتميز الخبيث من الطيب والصالح من الطالح .

قال أبو الهيثم : « البلاء يكون حسنا ويكون سيئا وأصله المحنة ، والله تعالى يبلو عبده بالصنيع الجميل ليمتحن شكره ، ويبلوه بالبلوى يكرهها ليمتحن صبره فقيل للحسن بلاء لذلك »[(١)] .

وقال القاضى عياض فى تفسير قوله تعالى :

﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾

سورة الكهف الآية (٧) .

وجه النظم كأنه تعالى يقول : يامحمد إنى خلقت الأرض وزينتها وأخرجت فيها أنواع المنافع والمصالح والمقصود من خلقها بما فيها من المنافع ابتلاء الخلق بهذه التكاليف ، ثم إنهم يكفرون ويتمردون ، ومع ذلك فلا أقطع عنهم مواد هذه النعم ، فأنت يامحمد ينبغى أن لا تنتهى فى الحزن بسبب كفرهم إلى أن تترك الاشتغال بدعوتهم إلى الدين الحق[(٢)] .

هذا ولقد أتت كلمة بلاء فى القرآن الكريم بمعنى الكشف والظهور ، قال تعالى :

﴿ يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ ۝ فَمَا لَهُ مِن قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ ﴾

سورة الطارق الآيتان (٩ ، ١٠) .

أى : تظهر وتبدو خفايا النفوس فيصبح السر علانية والمكنون مشهورا ، وهذا المعنى قريب من معنى الاختبار والامتحان ، فالذى يختبر غيره

(١) تفسير القرطبى جـ ١ ص ٣٨٧ .

(٢) تفسير الفخر الرازى جـ ٢١ ص ٨١ مكتبة دار الفكر .

يحاول الكشف عن مكنونات نفسه ومخبوءات ضميره ومدى اتساقة مع مرادات المختبر أو تخالفه مع هذه المرادات .

ومتى جاء البلاء فيما يحب الإنسان ويتمنى سمى حسنة أو نعمة .

قال تعالى :

﴿ وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَنًا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾

سورة الأنفال الآية (١٧) .

فالبلاء هنا نعمة لأنه يعنى النصر والغنيمة اللذين أفاء الله بهما على المؤمنين فى غزوة بدر الكبرى ، ومتى جاء البلاء فيما يكرهه الإنسان ويبغضه سمى مصيبة أو سيئة ، وقد اجتمع الأمران فى قوله تعالى :

﴿ وَبَلَوْنَاهُم بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾

سـورة الأعراف الآيـة (١٦٨) .

أى : اختبرناهم بالعطايا كالنعم والعافية ، والبلايا كالنقم والأسقام والشدائد لعلهم يرجعون عما هم عليه من الكفر والمعاصي إلى طاعة ربهم فلم يرجعوا .

حتى يميز الخبيث من الطيب :

على أننا نود أن نشير هنا إلى أن ابتلاء الله للإنسان بمعنى اختباره له لا يعنى عدم معرفته سبحانه وتعالى بما سيكون عليه الإنسان عندما تغشاه النعمة ، أو تحل بساحته النقمة ، فالمولى سبحانه وتعالى يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور ، ولكن الله عز وجل يختبر عباده ليجعل من أنفسهم شهداء على أنفسهم فيتحقق فيهم قوله تعالى :

﴿ الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾

سورة يس الآية (٦٥) .

وأيضا ليتميز الخبيث من الطيب ، والصالح من الطالح والصادق الإيمان ، القوى العقيدة ، من ضعيف الإيمان مذبذب العقيدة ، قال تعالى :

﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ ﴾

سورة محمد الآية (٣١) .

وقال تعالى :

﴿ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَلَئِن قُلْتَ إِنَّكُم مَّبْعُوثُونَ مِن بَعْدِ الْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾ سورة هود الآية (٧) .

أى : هو الذى خلق السموات فرفع سمكها وسير أفلاكها ، وخلق الأرض فأرسى جبالها وأجرى أنهارها وقدر فيها أقواتها ليختبركم أيها الناس أيكم أحسن عملا ، فيتميز المحسن من المسيء بتلك النعم ، فمن شكر فهو المحسن ومن كفر فهو المسيء .

قال القاضى عياض فى تفسير قوله تعالى :

﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾

سورة الكهف الآية (٧) .

إنه تعالى يبلوهم ليبصرهم أيهم أطوع لله عز وجل وأشد استمرارا على خدمته لأن من هذا حاله هو الذى يفوز بالجنة[1] .

وجاء فى تفسير الصاوى على الجلالين فى تفسير قوله تعالى :

﴿ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ﴾

سورة الملك الآية (٢) .

(ليبلوكم : أى يعاملكم معاملة المبتلى المختبر فاندفع ما قد يتوهم من ظاهر الآية أن علمه تعالى يتجدد بتجدد المعلومات) [2] .

وقال ابن جزى فى تفسير قوله تعالى :

﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴾

سورة البقرة الآية (١٥٥) .

ولنبلونكم : أى : نختبركم ، ويواصل ابن جزى كلامه فيقول : « وحيثما جاء الاختبار فى حق الله عز وجل فمعناه أن يظهر فى الوجود ما فى علمه لتقوم الحجة على العبد وليس كاختبار الناس بعضهم بعضا ، لأن الله يعلم ما كان وما يكون[3] ، ومعنى هذا أن الله تعالى يريد أن يقطع الحجة على الإنسان بطريق عملى واختبار تجريبى من خلاله يستكشف الإنسان نفسه ويتبين حقيقة أمره فيتحقق فيه قوله عز وجل :

﴿ وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴾

سـورة الإسراء الآيتان (١٣ ، ١٤) .

البلاء ليس وسيلة تعذيب ولكنه وسيلة ردع وتهذيب :

والبلاء ليس وسيلة تعذيب ، ولكنه وسيلة ردع وتهذيب ، فالمولى عز وجل خلق الإنسان وزوده بوسائل التمييز المختلفة (السمع - البصر - الفؤاد) ليميز بين الخير والشر والنافع والضار ، كما أمده سبحانه وتعالى من واسع فضله وعظيم نعمه التى لا تعد ولا تحصى .

﴿ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴾

سورة إبراهيم الآية (٣٤) .

ولكن الإنسان كثيرا ما تطغيه النعمة فيضل الطريق وينحرف عن جادة السبيل ، فيميل مع الهوى ويستجيب لأهواء النفس الأمارة بالسوء ويجرى وراء إغراءات الشيطان الذى آل على نفسه غواية بنى آدم أجمعين إلا عباد الله منهم المخلصين ، وهنا يكون التقويم العملى والتذكير الربانى من الله سبحانه وتعالى للإنسان ، وذلك بسلب بعض نعمه عنه ليتذكر ضعفه وحاجته إلى واهب النعم وهو الله سبحانه وتعالى ، والمولى عز وجل يعطينا مثلا حيا لهذا الصنف من الناس ،

(١) تفسير الفخر الرازى جـ ٢١ ص ٨١ .
(٢) تفسير الصاوى على الجلالين ج ٤ ص ٩١
(٣) تفسير ابن جزى جـ ٢ ص ٣٩ .

وهم هؤلاء الذين تطغيهم النعمة وتشغلهم عن المنعم ، وكيف أنه عاقبهم بطغيانهم وكفرانهم لنعمه التى لا تعد ولا تحصى ، فيقول سبحانه وتعالى :

﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴾

سـورة النحـل الآيـة (١١٢) .

وقد تكون وسيلة التقويم والتهذيب بإمداد الله للإنسان بمزيد من النعم فيتذكر فضل الله تعالى عليه فيثوب إلى رشده ويتجه بكليته إلى الله عز وجل معترفا بفضله سبحانه وتعالى عليه .

ومن هنا ندرك أن البلاء بالعطاء أو المنع وسيلة إصلاح وتهذيب للإنسان وليس وسيلة تعذيب ، فالمولى سبحانه وتعالى غنى عن تعذيب عباده بل إنه منزه عن تعذيبهم ، فهو القائل فى محكم كتابه :

﴿ مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴾

سـورة النساء الآيـة رقم (١٤٧) .

إن الله إذا أحب عبدا ابتلاه :

وليس معنى هذا أن البلاء خاص بالغاوين أو المنحرفين عن جادة الطريق ، ولكن الله تعالى يبتلى عبده المطيع ليمكن له فى ساحة الإيمان ، وليكون أسوة لغيره فى الصبر عندما يبتلى بسلب النعمة ، وأيضا ليكون أسوة لغيره فى الشكر عندما يبتلى بالعطاء والمنح ، وقد جاء فى الحديث الشريف عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « إن الله إذا أحب قوما ابتلاهم فمن رضى فله الرضا ، ومن سخط فله السخط »[١] .

ولما سئل رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ عن أشد الناس بلاء قال : « أشد الناس بلاء الأنبياء ، ثم الأمثل فالأمثل ، يبتلى الرجل على حسب دينه ، فإن كان دينه صلبا اشتد بلاؤه ، وإن كان فى دينه رقة ابتلى على حسب دينه ، فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشى على الأرض ، وما عليه خطيئة »[٢] .

إننا من خلال ما قدمنا نجد أن البلاء باعتباره امتحانا واختبارا من الله عز وجل للعبد له جوانب إيجابية لابد أن يفطن إليها العبد المؤمن ويعيها جيدا ، من هذه الجوانب الإيجابية للبلاء :

١ ـ إن البلاء يصقل العبد المؤمن ، ويمكن له فى ساحة الإيمان ، فالنفس المؤمنة من خلال ما تتعرض له من شدائد ومحن يشتد يقينها بالله عز وجل ، فتوقن أن ماحل بها من شدة وما ألم بها من محنة إنما هو بعلم الله عز وجل وإرادته ، فهى تردد قول الله عز وجل :

---

(١) رواه ابن ملجه فى سننه ، كتاب الفتن ، باب الصبر على البلاء ص ١٣٣٨ .

(٢) رواه الترمذى فى سننه ، كتاب الزهد ، باب الصبر على البلاء ص ٥٢٠ وابن ملجه فى سننه ـ كتاب الفتن باب الصبر على البلاء ص ١٣٣٤ .

﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مِّن قَبۡلِ أَن نَّبۡرَأَهَآۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ﴾

سورة الحديد الآية (٢٢) .

٢ ـ إن البلاء يطهر النفس وينقيها من الخطايا والآثام ، فالمولى سبحانه وتعالى يطهر عباده المخلصين ويصفيهم من الخطايا والذنوب بالشدائد والمحن كما تصفى النار الذهب مما علق به من شوائب وأدران ، فعن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ « مايزال البلاء بالمؤمن فى نفسه وولده وماله حتى يلقى الله وما عليه من خطيئة »[١] .

وعن أبي هريرة وأبي سعيد الخدرى رضى الله عنهما عن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : « ما يصيب المسلم من نَصَبٍ ولا وَصَبٍ ولا همّ ولا حَزَن ولا أذًى ولا غم حتى الشوكة يشاكها إلا كفر الله بها من خطاياه »[٢] .

٣ ـ من خلال البلاء تظهر العبودية الصادقة لله رب العالمين ، فالعبد الذى تحل بساحته الكارثة فيضرع إلى الله ـ عز وجل ـ بالدعاء ويستعين بالله تعالى على كشف ما ألم به من شدائد دون سخط على قضاء الله عبد قوى الإيمان ثابت العقيدة راسخ اليقين بالله عز وجل ، أما العبد الذى يفزع ويجزع ويضطرب ويسخط على قضاء الله عز وجل وقدره عبد ضعيف الإيمان مذبذب العقيدة ، ومن هنا : نقول إنه عن طريق البلاء يتميز الخبيث من الطيب ، ويظهر المؤمن القوى الإيمان الثابت العقيدة من المنافق المخادع الدعى على الإيمان ، قال تعالى :

﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٖۖ فَإِنۡ أَصَابَهُۥ خَيۡرٌ ٱطۡمَأَنَّ بِهِۦۖ وَإِنۡ أَصَابَتۡهُ فِتۡنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجۡهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةَۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡخُسۡرَانُ ٱلۡمُبِينُ ﴾

سورة الحج الآية (١١) .

٤ ـ إن البلاء والصبر على شدائد الحياة دليل محبة الله للعبد وبرهان رضاه سبحانه وتعالى عليه ، وهو وسيلة الوصول والرقى إلى مدارج العلى ومنازل القرب من الله رب العالمين فمن أراد الوصول اجتهد وصبر وثابر ، وحاول التغلب على عثرات الطريق ومشقات السفر ، وعلى قدر الصبر والمثابرة والرضى بما قضى الله وقدر يكون ثواب الله ـ عز وجل ـ للعبد ، فعن أنس بن مالك ـ رضى الله عنه ـ قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « إن أعظم الجزاء من عظم البلاء ، وإن الله إذا أحب قوما ابتلاهم ، فمن رضى فله الرضى ، ومن سخط فله السخط »[٣] فينبغى على المؤمن أن يوطن نفسه على البلاء ، وأن يعلم أنه اختبار وامتحان من الله ـ سبحانه وتعالى ـ فيصبر على الشدائد والمحن ، محتسبا ثواب ذلك عند الله ـ عز وجل ـ ويشكره فى حالة الرخاء والنعم ، معترفا بفضل الله ـ سبحانه وتعالى ـ عليه ، فالمولى ـ عز وجل ـ يقول :

﴿ لَئِن شَكَرۡتُمۡ لَأَزِيدَنَّكُمۡۖ وَلَئِن كَفَرۡتُمۡ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٞ ﴾

سورة إبراهيم الآية (٧) .

---

(١) رواه الترمذى فى سننه ، كتاب الزهد ، باب الصبر على البلاء ص ٥٢٠ .

(٢) متفق عليه .

(٣) رواه الترمذى .

قضايا قرآنية :

قضية الرسم العثمانى

للأستاذ : صديق بكر على عيطة

حول رأى الامام مالك :

القرآن كتاب الله ، الذى أنزله على رسوله محمد بن عبد الله - ﷺ - والذى جاء بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله . هذا الكتاب ، الذى هو سيد الكتب السماوية كلها ، والمهيمن على كل ما جاء فيها ، استحوذ على كثير من اهتمامات العلماء والدارسين فى كل عصر ، وفى كل أمة ، وتحت كل الحضارات ، حتى فاق كل ماسبق أو لحق به من كتب سماوية أو أرضية فى هذه الدراسات التى قام بها مؤيدوه ومعارضوه .

ومن هذه القضايا ، التى ثارت من حوله قضية رسم الكلمات ، فى كتابة المصحف ، التى اصطلح على تسميتها بـ « الرسم العثمانى » حيث ارتفعت بعض الأصوات التى تنادى بكتابة المصحف بالرسم الإملائى الحديث ، والتخلى عن الرسم العثمانى ، الذى لم يعد - فى رأيهم - صالحا لهذا العصر .

وقد اخترت من هذه الأصوات ، ذلك الكتاب الذى ألفه منذ نحو نصف قرن الأستاذ محمد محمد عبد اللطيف تحت عنوان « الفرقان لابن الخطيب » . وأنا بهذا لم أقصد مناقشة الرجل ، ولكن مناقشة « فكره » الذى يمثل أفكار فئة من الكتاب والمحللين ، بدليل أنى صرفت النظر عن كثير من سقطاته ، التى خرج فيها عن حدود الحوار العف النزيه الذى يقصد به صاحبه تبين وجه الحق فى القضية التى كانت محل المناقشة .

وكتاب « الفرقان لابن الخطيب » يمثل الاتجاه الرافض للرسم العثمانى أصدق تمثيل ، وقد ساق فيه مؤلفه من الأدلة والبراهين على صدق دعواه ما لم يتح لغيره ؛ مما يمنح القضية قدرا أكبر من فرص التحليل ، الذى يشفى الغلة ، ويضع الحق فى نصابه ، وسيدور موضوعنا فى هذه القضية من خلال الرد على ما أورده المؤلف فى هذا الكتاب المشار إليه .

ففى صفحة ٥٧ من هذا الكتاب ، وتحت عنوان « أمية العرب » ، يذكر المؤلف - وهو يمهد

للطعن فى الرسم العثمانى - « أن العرب أمة أمية ، لا عهد لها بالكتابة أو القراءة » ثم يقول : « وليس هذا غمطا لحقهم ، ولا انتقاصا لفضلهم ، فهم من نعرف من النبل والفضل والسبق فى الخيرات والمكرمات ، لكنهم كانوا أميين قبل كل شىء ، بل الأمية - التى نعتبرها نقصا وسبة للناس - هى إحدى مفاخرهم » .

ثم يستدل على ذلك بقول النبى - ﷺ - : « نحن أمة أميون لا نحسب ولا نكتب . الشهر هكذا وهكذا وهكذا » وقبض إبهامه فى الثالثة . رواه أحمد فى مسنده [1] .

ثم يستعرض - فى إيجاز شديد - كيف وجدت الكتابة فى الأمة الإسلامية . . ومن هذا كله ينطلق المؤلف ، إلى الطعن الشديد فى كتابة المصحف ، مشككا فى صحة الرسم العثمانى ، الذى أصبح موضع تقدير واحترام من كافة المسلمين منذ أكثر من أربعة عشر قرنا من الزمان ، وإلى الآن . يقول : « ولما كانت الكتابة بين العرب فى أول عهدهم بالإسلام ، ولم يتموا إتقانها ، ومعرفة فنونها ، وقع فى كتابة المصاحف اختلاف كبير فى وضع الكلمات من حيث صناعة الكتابة ورسمها ، لا من حيث معانى الكلمات ومدلولها » .

ثم يقول المؤلف فى صفحة ٦٠ : « وإن الإملاء مهما تطور رسمه ، وتعددت مناحيه فإنه لا يغير نطقا ، ولا يحرف معنى .

« وإذا سلمنا بما يقوله بعضهم من أن الرسم القديم يتفق مع كثير من القراءات ، لوجب علينا أن نكتب المصحف المصرى بما يوافق اللهجة المصرية من القراءات .

« وإلا فكيف نكلف العامة - بل الخاصة الذين لم يحفظوا القرآن - قراءة ما لم يحيطوا به علما ، ولم يستطيعوا له فهما » أ . هـ كلام المؤلف .

أما نحن فإن ردنا عليه يكون على النحو التالى .

أولا : الأستاذ ، يدعى أن هناك مصحفا مصريا ؛ بما يتضمن أن هناك مصحفا سعوديا ، وآخر عراقيا ، أو سوريًا . . وهكذا . وفاته أن المصحف ، هو مصحف المسلمين كافة ، وفى كل أرجاء المعمورة ، ولا يغير من اسمه أن يطبع هنا أو هناك . والواقع خير شاهد على ذلك . فلقد قرأنا القرآن الكريم فى المصحف الذى طبع فى مصر ، والذى طبع فى اليمن ، والذى طبع فى السعودية ، والذى طبع فى العراق . . وهكذا . وها هو ذا المصحف تتبادله بطبعاته المختلفة دول العالم الإسلامى ، من شرقه إلى غربه ، ومن شماله إلى جنوبه ، أيا كانت الدار التى طبع فيها ، وهو يتوافق تماما مع الرسم العثمانى ، الذى يتسع للقراءات السبع المشهورة ، فلا معنى لما يدعيه المؤلف من التخصيص المزعوم .

ثانيا : إن من يقرأ عبارة المؤلف : « وإلا فكيف نكلف العامة . . الخ العبارة » يظن أن المشكلة صعبة ، وأن الرسم العثمانى يقف عقبة كأداء لا يمكن تجاوزها ، فى طريق من يقبل على المصحف ليتعلم قراءة القرآن . فى حين أن قراءة

---

(١) حـ ٢/ ١٢٢ ط ٧٣٥ المكتب الإسلامى

القرآن ، بلغت من البساطة فى تناولها حدا يدعو حقا إلى الإعجاب بهذا الكتاب المعجز من جانب إلى حد الإبهار ، والبسيط من جانب آخر ، إلى حد الإبهار أيضا . ولقد صدق الحق تبارك وتعالى :

﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾

(القمر ١٧ ، ٢٢ ، ٣٢ ، ٤٠)

فمن المشاهد المألوفة ، التى تقع عليها العين صباح مساء ، فى قرانا ومدننا ، وفى أحيائنا الشعبية ، أو الراقية ، أن ترى المرأة الشابة والفتاة التى فى ريعان شبابها ، والعجوز ، والشيخ الفانى والطفل . . يحمل مصحفا ويقرأ فيه دون أدنى تعثر . كل ما هنالك ، أن تعتاد أذنه سماع القرآن من « شيخ » مثلا ، أو أى رجل أو امرأة يحسن التلاوة ، ليقرأ المريد بعد ذلك دون أدنى عناء . ونحن ـ والحمد لله ـ نرى مشكلة التلقى الآن قد حلت تماما ؛ بإذاعات القرآن الكريم ، التى تغطى بإرسالها المتميز كل أرجاء العالم الإسلامى ، وكان ذلك دليلا صريحا وواضحا ، على صدق الحق فى بعض أوجه الإعجاز القرآنى ، تتضح مظاهره فى النصف الثانى من القرن العشرين ، كما لم تتضح من قبل ، والأيام حبلى بالكثير ؛ مما يبرز يوما بعد يوم ، أن آفاق الإعجاز القرآنى ، تتفتق عن الجديد كل يوم ، فى هذا الكتاب الأسنى . فإذا كان الله سبحانه وتعالى يقول : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ (الحجر ٩) فإن من أسباب حفظه التى هيأها الحق تبارك وتعالى أن يسره للذكر ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾ (القمر ١٧ ، ٢٢ ، ٣٢ ، ٤٠) ويكون التيسير فى كل عصر بما يحمل من وسائل . أما أولئك « الخاصة الذين لم يحفظوا القرآن » ، فلا شأن لنا بهم ، وليس هناك مشكلة فى طريقهم ؛ وإنما مشكلتهم من داخل حياتهم الخاصة ، وليست من قبل الرسم العثمانى . وأما الكلمات التى لا تتفق مع الرسم الإملائى المعروف فلا تشكل أكثر من ٢ / ١ ٪ من كلمات القرآن الكريم ، فيما لو تغاضينا عن تكرارها ، وقد أصبحت معروفة تماما ، ولا تشكل أى عائق إلا فى خيال المؤلف ومن لف لفه .

وفى استدلاله على وجوب كتابة المصحف بالرسم الإملائى الحديث يقول المؤلف صفحة ٦٠ : « قال أشهب رضى الله تعالى عنه : سئل مالك رحمه الله تعالى : أرأيت من استكتب مصحفا اليوم ، أترى أن يكتب على ما أحدث الناس من الهجاء ؟ فقال : لا أرى ذلك ، ولكن يكتب على الكتبة الأولى ، فسأله السائل عن نقط القرآن ، فقال : أما الإمام من المصاحف فلا أرى أن ينقط ، ولا يزاد فى المصاحف ما لم يكن فيها ، وأما المصاحف التى يتعلم فيها الصبيان فلا أرى بذلك بأسا » .

ثم يعلق المؤلف على رأى مالك قائلا ص ٦١ ، ٦٢ : « ومن العجيب أن علماء الرسم ، ومن لف لفهم ، يوردون من قول مالك ـ رضى الله تعالى عنه ـ مايتفق ورأيهم ، فيذكرون منه إلى قوله : ولكن يكتب على الكتبة الأولى ، ويسكتون عن باقيه ، وهو كتابة المصاحف بالرسم الحديث لمن يتعلمون القرآن » .

ويستمر قائلا : « وقد أصبح الناس جميعا فى زماننا هذا ـ عالمهم وجاهلهم ـ فى حكم الصبيان

الذين يتعلمون القرآن . عدا بضع نفر ممن أكرمهم الله بفهمه .

« ونهى مالك - رضى الله تعالى عنه - عن كتابته بخلاف الرسم الأول ، إنما هو نهى عن التلاعب بأصله ، المؤدى لضياعه وتحريفه » .

ثم يقول : « ونحن إذا جارينا علماء الرسم ، واتبعنا مالكا فيما أمر به ونهى عنه ، لوجب علينا أن نتبعه أيضا فى عدم النقط ، وعدم وضع أية إشارة لم يضعها عثمان - رضى الله تعالى عنه - فى مصحفه ، الذى أجمعت عليه الصحابة رضوان الله تعالى عليهم .

« ولكن مالكا - رضى الله تعالى عنه - [ولا يزال الكلام للمؤلف] قد أباح كتابته على الهجاء الحديث ، وأجاز نقطه لمن يتعلمون القرآن ، ويتلقنونه مع بقاء المصحف الإمام ، والمحافظة على أصله كما هو ، بدون نقط ولا إحداث شىء فيه » .

ثم يقول : « وهذا هو الرأى الذى نستصوبه ، وندعو إليه ، ونرغب فيه ، وهو أن يكتب المصحف الإمام ، كمصحف عثمان رضى الله تعالى عنه تماما ، لاينقط ولا يشكل ولا يدخل فيه ماليس منه ، ويبقى كأصل يحفظ أثرا لبقاء الرسم الأول وتكتب باقى المصاحف بالإملاء الحديث » أ . هـ كلام المؤلف ، صاحب كتاب « الفرقان » وعفوا أن أطلت ؛ فالقضية ذات شعب كثيرة ، ولا بد من عرض وجهة نظر المؤلف بأمانة ووضوح ؛ لتتم مناقشتها تفصيلا بما يترك وجهتى النظر أمام القارىء جليتين ، لا غموض فيهما .

وفى تعليقنا على ذلك نقول :

أولا : أورد المؤلف رواية مالك ليدلل على جواز كتابة المصحف بالرسم الإملائى الحديث ، مع أن هذه الرواية لا تحمل أى دليل على ذلك . كل ما تدل عليه أن مالكا يرفض هذا الرأى ؛ والعبارة صريحة فى هذا الرفض : « لا أرى ذلك ، ولكن يكتب على الكتبة الأولى » فمن أين جاء المؤلف بجواز - أو ضرورة - كتابة المصحف بالرسم الإملائى الحديث من عبارة مالك ؟ !

أما ما يتعلق بنقط المصحف ، فقد أجازه مالك ، فيما عدا المصحف الإمام ، والغريب أن يقول المؤلف : « ولكن مالكا - رضى الله تعالى عنه - قد أباح كتابته على الهجاء الحديث ، وأجاز نقطه لمن يتعلمون القرآن ويتلقنونه » .

إن الإمام مالكا - رضى الله عنه - سئل سؤالين : الأول عن الرسم ، وكانت الإجابة برفض الرسم الإملائى الحديث صراحة . والثانى عن النقط وكانت الإجابة بالموافقة فيما عدا المصحف الإمام ، ولا أدرى كيف فهم الأستاذ العبارة !! مالك يقول عن النقط : « لا أرى بذلك بأسا » واسم الإشارة يعود على المسئول عنه وهو النقط ، فكيف ضم إليه المؤلف ماسبق أن رفضه الإمام ؟ الله أعلم !!

ثانيا : لقد عرف الإمام مالك - رضى الله عنه وأرضاه - بدقة روايته للحديث الشريف ؛ حتى أنه كان يروى الحديث قائلا : عن فلان . . عن فلان . . عن فلان . . عن صاحب هذا المقام [ويشير إلى مقام رسول الله - ﷺ -] أنه قال كذا وكذا وكانت هذه الإشارة إمعانا منه فى دقة الرواية ، ومتانة التثبت فيما يرويه - رضى الله عنه - فلو كان الإمام يرى فى المصحف خطأ يهدد قدسيته ، وحفظ الله له ، لما كان له أن يسكت ،

ولكان جديرا بأن يقف حياته كلها لإصلاحه ، ولكان جديرا بأن يستمع المسلمون جميعا لما يشير به . ألا نذكر هذه المقولة الشهيرة التى صارت مثلا يضرب على مر التاريخ كله « لا يفتى ومالك بالمدينة » ؟ ! .

وغير معقول أن ما وصل إلى المؤلف من خبىء الأسرار ، وغريب الأخبار ، قد عز وصوله لإمام المدينة - رضى الله عنه وأجزل له المثوبة - .

ثالثا : يذكر المؤلف فى صفحة ٦١ من كتابه المسمى « الفرقان » أن المصحف العثمانى كان محل إجماع من الصحابة - رضوان الله عليهم - ثم يقول فى صفحة ٩٠ ضمن الفصل الذى عنون له بـ « التناقض الموجود فى رسم المصحف » : « وقد جاء أن عثمان - رضى الله تعالى عنه - قال - حين عرض عليه المصحف فى كتبته الأخيرة - أرى فيه لحنا ، وستقيمه العرب بألسنتها » ثم يفسر كلمة عثمان هذه بقوله : « ولا شك أن عثمان يقصد بذلك اللحن الذى ستقيمه العرب بألسنتها : الخطأ البادى فى الهجاء ، والتناقض الموجود فى رسم المصحف القديم » أ . هـ كلام المؤلف . فهل معنى ذلك ، أن إجماع الصحابة قد انعقد على أن هناك لحناً فى المصحف ، ثم تركوه زعما منهم بأن من سيأتون بعدهم سيقومون بإصلاحه ؟

ألا يعنى ذلك أن عثمان والصحابة ، كانوا يعرفون وجه الصحة فى ذلك ؟ فلماذا تركوه إذن ؟ وهل كانوا على يقين مِنْ أن مَنْ سيأتون بعدهم ، سيكونون « أكثر حرصا منهم على سلامة الآيات ؟ » .

إن هذا بالقطع يتنافى مع مفهوم قول النبى - ﷺ - : « خير القرون قرنى ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم » .

إذن لا فكاك عندئذ من أحد احتمالين : إما أن يكون عثمان بن عفان يجهل حقيقة موقعه هو وصحابة الرسول من التاريخ الإسلامى ، أو أن يكون خائنا للأمانة ، التى ينطق به ورفاقه . ولسنا فى حاجة لبيان بطلانها .

رابعا : يعلن المؤلف فى صفحة ٦٢ ، أنه يستصوب الرأى الذى يقول بضرورة تغيير الرسم فى المصحف إلى ما يوافق الرسم الحديث ، وعلى العموم - حرصا منا على حرية الرأى - نحن لن نعامله نفس معاملته لمخالفيه فى الرأى ، ولن ننعته بشىء مما نعتهم هو به ، مع أننا لا نوافقه ؛ فهو رأى شخصى بحت أملته عليه رؤيته الخاصة ، التى لا تلزم أحدا من المسلمين باتباعها ، ولا تفسّقه فى نظر أحد .

غير أن مانعيبه عليه أنه يحمله على رأى الإمام مالك - رضى الله عنه - وهو كما رأينا بعيد كل البعد عن منطوقه ومفهومه على السواء .

لقد أثبت الواقع المعيش ، أن هذه الكلمات التى تختلف فى رسمها العثمانى عن الرسم الإملائى المعتاد ، محدودة ، وإن كانت مكررة ، ولا تشكل أى عقبة أمام الناشئة فى حفظ القرآن الكريم ، فضلا عن أن بها من الإشارات مايدل بوضوح على كيفية نطقها الصحيح ، ولقد عرفنا منذ أن كنا أطفالا صغارا فى الكتاتيب ، أن هناك اختلافا فى رسم كلمات كذا وكذا ، وهى خاصة بالخط العثمانى فى المصاحف ، لا يقاس عليها إملائيا . إذن ليس هناك داع لهذا التعديل المقترح من قبل بعض الناس ؛ حتى لا يكون هذا التعديل بابا من أبواب التعديلات ، التى سوف ينادى بها كثير ممن ينتظرون مثل هذه اللحظة .

﴿وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمرا﴾

(الزمر / ٧٣)

منذ أن فقد العالم الإسلامى ـ بصفة عامة ـ ومصر ـ بصفة خاصة ـ الإمام الكبير والداعية الإسلامى ، فضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى ، وسيل جارف من السادة القراء « لمجلة الأزهر » من : مقالات وقصائد ، وخلجات مليئة بالأسى والحزن على فراق الإمام الداعية الذى كرس حياته فى الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة ، والتبصير للدين الإسلامى بالفهم الصحيح .

ونعتذر عن تأخير نشر ما وصل إلينا وسوف نوالى بإذن الله ـ تعالى ـ نشر ماورد إلى « المجلة » بهذه المناسبة عن حياة مجدد الأمة ، وترجمان القرآن الكريم فى العصر الحديث ، فضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى .

شاكرين لكل من تفضل وأسهم فى الكتابة إلينا .

وجزى الله الجميع كل خير ، وعوضنا والأمة الإسلامية فى الفقيد الكريم الراحل خيرا ، وألهمنا جميعا الصبر .

و﴿ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ﴾ (البقرة-١٥٦) .

إمام الدعاة وحجة الإسلام الشـيخ محمد متولى الشعراوى فى عالم الخلود

للأستاذ الدكتور
محمد عبد المنعم خفاجى

الإمام الشعراوى الأسطورة ، أو قل المعجزة الذى رحل إلى جوار الله ، وإلى عالم الخلود ، منذ أيام قلائل - فجر الأربعاء الثانى والعشرين من صفر ١٤١٩ هـ ، السابع عشر من يونيو ١٩٩٨ - كان يمثل بحق أرفع قيم الإسلام نسكا وعملا وخلقا وأدبا وإنسانية وبرا وعطاء ، وبكته مصر والعالم الإسلامى قاطبة ، وشعر كل مسلم بفداحة المصاب فيه ، ولكنه الصبر والإيمان بقضاء الله وقدره ، واللواذ بالخالق الأعلى يدفع إلى ترداد الآية الكريمة

﴿ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴾ (البقرة - ١٥٦)

ومع مكانة الإمام الشعراوى الإسلامية والفكرية والعلمية والاجتماعية فى وطنه ، بل وفى الوطن الإسلامى عامة ، لم يبلغ أحد من حب الجماهير وثقتهم وتعاطفهم معه ما بلغه هذا الشيخ الجليل ، الذى كانت الجماهير تتلهف لسماع حلقاته الإسلامية عبر الإذاعة والتليفزيون وفى الأمسيات الدينية فى كل مناسبة .

- ١ -

وكان الإمام الشعراوى صديقا للزعماء والقادة ورجال الفكر والدين والأدب ، ولعلماء الأزهر عامة على اختلاف مشاربهم وميولهم ونزعاتهم .

كرمته مصر ، فاستدعاه الرئيس محمد أنور السادات من السعودية عام ١٩٧٦ ليشغل منصب وزير الأوقاف والدعوة ، وظل فى هذا المكان حتى عام ١٩٧٨ ، ومنحه الرئيس السادات كذلك وسام الاستحقاق من الدرجة الأولى عام ١٩٧٦ ، كما منحه الرئيس محمد حسنى مبارك عام ١٩٨٨ الجائزة التقديرية فى العلوم الاجتماعية . وفى عام ١٩٨٩ كرمته محافظة الدقهلية وسط حفاوة أبناء محافظته وتهليلهم ، وتبرع فى هذا الحفل بمليون جنيه لمكاتب تحفيظ القرآن الكريم فى المحافظة . كما اختير عضوا بمجمع الخالدين عام ١٩٨٧ ، وعضوا بالهيئة التأسيسية لرابطة العالم الإسلامى فى مكة . وفى عام ١٩٩٠ كرمته جامعة المنصورة فمنحته الدكتوراة الفخرية فى الآداب تقديرا وإكبارا لشخصيته الجليلة ، وفى هذا التكريم تحدث الأساتذة الدكاترة :

- عبد الهادى النجار عميد حقوق جامعة المنصورة .
- على بركات عميد آداب المنصورة .
- عبد الفتاح حسن رئيس الجامعة .

منوهين لعطائه لدينه ولوطنه وللعالم الإسلامى ، ولا ننسى خطبته الخالدة فى هيئة الأمم المتحدة منوها بدعوة الإسلام إلى السلام .

وفى هذا العام ١٩٩٨ - ١٤١٩ هـ كرمته دبى باختياره الشخصية الإسلامية الأولى فى العالم الإسلامى لعام ١٩٩٨ ، ومنحه سمو الأمير زايد آل نهيان وسام زايد من الدرجة الأولى ، وتبرع بالجائزة التى منحت له للأزهر الشريف وطلاب البعوث الإسلامية فيه .

ولا تسل عن حب الشعب له بجميع طبقاته ، والتفافهم حوله ، حتى كان بيته مقصد الجميع وذوى الحاجات وطالبى الخير ، وكان يتسع صدره لكل الناس ويقابل كل قاصد له ، وكل ذى حاجة ، حتى السيدات بجميع فئاتهن وألوانهن وطبقاتهن ومشاربهن .

والصرح الإسلامى الكبير الذى بناه هذا الشيخ الجليل فى بلدته دقادوس ، من معاهد أزهرية ومكتب لتحفيظ القرآن الكريم ومسجد فسيح ومستشفى لعلاج الفقراء ومبرة لمساعدة الفقراء ، عمل كبير سيلقى جزاءه عليه من المولى - عز وجل - فى دار الجزاء .

ودروس الشيخ فى شرح كتاب الله وتفسير آياته البينات كانت بحق من أرفع الشروح فى التفسير ، وكان الشيخ يبلغ فيها غاية السمو ، حتى ليفهمها الصغير والكبير والأمى والمتعلم ، والمثقف وغير المثقف ، ويستمع إليها فى شوق وحب كل الجماهير .

إلى مؤلفاته التى لاقت ذيوعا وإقبالا من الناس ما بعدهما من ذيوع وإقبال ، رحمك الله يا إمام الدعاة ، جزاء عملك الصالح للإسلام

وللمسلمين وللناس كافة ، فلقد أعطيت وبذلت ، وعملت مالم يستطع أحد عمله فى وطننا اليوم .

ـ ٢ ـ

لقد مات الشيخ عن ثمانية وثمانين عاما ، فقد ولد فى الخامس عشر من أبريل من عام ١٩١٠ - الثانى عشر من ربيع الآخر عام ١٣٢٨ هـ فى قريته دقادوس من أبوين كريمين صالحين ، وحفظ القرآن الكريم ثم التحق بمعهد الزقازيق وهو فى نحو الخامسة عشرة من عمره وذلك عام ١٩٢٦ ونال الابتدائية والثانوية من هذا المعهد ، ثم التحق بكلية اللغة العربية ، ونال منها الشهادة العالية عام ١٩٤١ ، ثم إجازة التدريس التى تعد بمثابة (الماجستير) عام ١٩٤٣ ، وكان الذى ينال هذه الشهادة يقدم مع الامتحان الشفوى والتحريرى رسالة ، أى بحثا فى أى موضوع علمى يختاره وعين مدرسا للعلوم العربية - بعد أن نجح فى امتحان مسابقة كان الأول فيه - فى معهد طنطا الدينى الأزهرى ، ونقل إلى معهد الإسكندرية فالزقازيق ، إلى أن عين وكيلا لمعهد طنطا عام ١٩٦٠ ، فمديرا للدعوة بوزارة الأوقاف عام ١٩٦١ ، فمفتشا للعلوم العربية بالأزهر عام ١٩٦٢ ، فمديرا لمكتب الشيخ حسن مأمون شيخ الأزهر آنذاك عام ١٩٦٤ ، واختير عام ١٩٧٠ أستاذا بجامعة الملك عبد العزيز بمكة المكرمة .

وفى هذه الأثناء صدر له فى السعودية بالإنجليزية - كتاب « فيض الرحمن فى معجزة القرآن » وهو أول مؤلفاته وطبع منه ملايين من النسخ على طبعات متعددة وزعت فى أوروبا وأمريكا ، كما طبع منه بالعربية مئات الآلاف من النسخ وصح أن يطلق عليه من يومئذ لقب « جار الله » ومن جواره لبيت الله جاءته الفيوضات الإلهية من كل جانب .

وتولى الشيخ منصب وزير الأوقاف وشئون الدعوة عامين (١٩٧٦ - ١٩٧٨) ، وبعدها تفرغ لشئون الدعوة الإسلامية تفرغا كاملا ، إلى أن توفاه الله - جل جلاله - إلى رحمته ، وقد دعا له الشعب كافة بأن ينزله الله منازل الشهداء والصالحين الأبرار من أمة محمد عليه الصلاة والسلام .

- ٣ -

ويمثل الإمام الشيخ الشعراوى بالنسبة لى زميل الصبا ورفيق الشباب والصديق الوفى فى شتى مراحل طلب العلم ، والعمل فى خدمة اللغة والأدب والدين طيلة حياتنا حتى وفاته رحمه الله .

كنا فى معهد الزقازيق طالبين معا ، مذاكرتنا وسهراتنا وندواتنا معا ، وميولنا ومشاربنا السياسية والعلمية والأزهرية واحدة ، وقراءاتنا فى مختلف كتب الدين والأدب والشعر تكاد تكون كذلك واحدة ، وانتماءاتنا لمدرسة شوقى وحافظ انتماءات مشتركة ، إلى قراءاتنا لشعر الديوانيين والأبولليين والمهجريين ، وللمجلات الأدبية الكبيرة من مثل السياسة الأسبوعية والرسالة والثقافة والعصور والمقتطف والهلال ، بل وللصحف اليومية وبخاصة صحف الوفد كالجهاد والبلاغ وغيرهما . واشتركنا معا فى الثورة الوطنية عام ١٩٣٤ ضد

الإنجليز طلبا للاستقلال والجلاء واستنكاراً لتصريحات وزير الخارجية البريطانى السير صمويل هور ، كما اشتركنا فى ثورة الأزهر ضد القصر ، وفى طلب تعيين الشيخ المراغى شيخا للأزهر من أجل الإصلاح والتجديد . وألفنا جمعية أدبية من الشعراوى ومنى ومعنا الزملاء :

محمد فهمى عبد اللطيف ، وحسن جاد ، وطاهر أبو فاشا ، والمهدى مصطفى وغيرهم ، واخترنا الشعراوى رئيسا لها ، وكنت أنا الأمين العام لهذه الجمعية ، كما ألفنا جمعية الشباب فى معهد الزقازيق من أجل الحركة الوطنية ، وكان الشعراوى رئيسا لها ، وأنا الوكيل لها ، ومحمد فهمى عبد اللطيف الأمين للصندوق ، ولم نقف عند هذا الحد ، بل ألفنا اتحادا عاما للطلاب فى الشرقية كان الشعراوى رئيسه وكنت وكيله ، وذلك من أجل المطالبة بالحرية والاستقلال ، وأخرج الشعراوى أثناء ذلك ديوانه « بنات الفكر » ، وأخرجت أنا ديوانى « وحى العاطفة » وأصدر حسن جاد ديوانه « زورق الشجون » وذلك عام ١٩٣٦ .

وفى كلية اللغة وفى عملنا بعد تخرجنا فى الأزهر ، وفى شتى نواحى الدين والثقافة والأدب واللغة ، زادت صلاتنا وثوقا وتمكنا وامتدادا . . وقد كتبت عن الشيخ أديبا وشاعرا من قبل فى مقالات عدة نشرت فى الصحف المختلفة ، ولا زلت أذكر لقاءاتنا ومعنا صديق الفكر والأدب د . عبد العزيز شرف رئيس القسم الأدبى بالأهرام ، وأحاديثنا وحواراتنا فى هذه اللقاءات ، وكيف كانت تبدأ وتنتهى لنعاودها كلما سنحت الأحوال ، لازلت أذكرها بفيض من الحزن العميق ، والذكريات اللاذعة ، لأن إمام هذه اللقاءات وبطلها قد فارقنا ، ليحيا حياة طيبة فى جوار الله ورحمته . . إنه بشخصه قد غاب ، غاب ، ولكنه بشخصيته وروحه معنا كل لحظة ، وسيظل معنا دائما وأبداً ، إلى أن يحين اللقاء فى جوار الخالق المعبود .

إنى لأقول فى عبرات لا تنقطع :

لقد كان الإمام ، إمام الدين ، لؤلؤة
يتيمة صاغها الرحمن من كرم

وكان للدين والأيام مفخرة
ونعمة من جليل الخير والنعم

وكان . . ثم مضى لله محتسبا
شوقا إلى السدة العلياء والقمم

مضى وفيا لدين الله داعية
إلى الفضائل يبغى الرشد للأمم

وزاهدا ، حجة الإسلام منتفيا
سيف العزيمة رغم السقم والهرم

مضى كريما عفيف النفس ذا ثقة
بربه ، داعيا لأكرم القيم

جزاه رب السماء فضل رحمته
فى حسن مبتدأ منه ومختتم

إمام الدعاة

ظاهرة يمكن الإفادة منها

للأستاذ الدكتور : سعد ظلام

لقد كان الشيخ ظاهرة فى الدعوة وآن لنا أن ندرسها لنتعلم ونتعرف منها معنى القدوة لنحقق للدعوة ولأنفسنا وللدعاة الخير والنجاح .

ونحن الآن فى ظروف رحيل إمام الدعاة فضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى ، والإحساس الفاجع الذى شمل قطاعات الشعب المسلم فى كل أنحاء العالم بفقده ، والإحباط الذى سيطر على القاعدة الشعبية العريضة خاصة ، وكأنه عملية ارتطام صدمت مشاعره المتألمة نضمد جراحنا ونتأسى ونصبر ، وليس أمامنا حين نحتسب إلى الله غالياً إلا أن نصبر والصبر عند الصدمة الأولى .

والشيخ - يرحمه الله - كان نموذجاً فريداً فى الدعاة ، وطرازاً خاصاً من العلماء ، وقد رحل عنا والساحة لا تزال فى حاجة إليه ، والنفوس المتعطشة الظامئة إلى علمه الغزير تعانى من الفقر والعوز فى هذه النوعية من الدعاة الذين سيطروا بكلمتهم وسلوكهم على القلوب ، والذين اكتسبوا حباً شعبياً جارفاً لم يحرزه عالم أو داعية أو فقيه من قبل إلا فى القليل النادر « وقليل ماهم » وفى حقب زمنية متفاوتة .

ولقد تمكنت هذه العلاقة الخاصة بين الشعب والإمام أيما تمكن ، ونمت فى فترة مبكرة ، واستمرت زمناً طويلاً لم تتأثر ولم تهتز . وقد حافظ الشيخ على هذه العلاقة محافظة طيبة ، وبذل لها من سلوكه القدوة ، وعلمه الوافر ، وذكائه المفرط وبره وكرمه ما جعلها تدوم وتستمر ، حتى أحسن كل فرد من أفراد الشعب أنه على علاقة حب خاصة بالشيخ الإمام ، وهذه هى الثمرة التى يقطفها المريد من العالم .

أما العالم العالم فإنه يحقق بذلك صلة حب أسمى بالله ، تنعكس أو ينعكس أثرها على كل من حوله (فإذا أحب الله فلاناً نادى جبريل » إن الله يحب فلاناً فأحبوه ثم يوضع له القبول فى الأرض ، وهذه أجل نعمة يتطلع إليها العالم من المريد ، ولقد كان للشيخ - يرحمه الله - حواريون ومريدون حققوا المعادلة الصعبة فى زمن التنازلات .

وقد استطاع الشيخ بمهارة الربان وذكائه أن يجمع بين هذا الحب الشعبى ورضاء المسئولين فى وقت واحد ، وهذه براعة لا يحسنها الكثيرون إلا من عصم الله ، ولأن هذه الأطراف المتباعدة لا تجتمع فى قرن أو تتوحد فى يد فرد إلا إذا كان مدرباً على القيادة فاهماً لأصولها وقواعدها وضوابطها واعياً بظروف كل مستوى من هذه المستويات ومداخله وحركته ونسق التصرف فيه ، والقاعدة التى تحكمه ، وهذا ما لم يتوافر للكثير من دعاتنا وعلمائنا ، فبعض علمائنا يوثق علاقته بالمسئولين ثم يترك الرضاء الشعبى للظروف أو أن علاقته بالمسئولين تكون على حساب الرضاء الشعبى فيخسر وهو يظن أنه رابح ، والبعض الآخر قد يقيم علاقة حسنة مع الشعب ، ثم ينسى الطرف الآخر ، فتتأزم العلاقة أو لا تسير فى طريقها المرسوم ، وبالتالى لا يحقق ما يريده ، ولكن الشيخ الشعراوى - يرحمه الله - نجح بكل المقاييس فى إدارة هذا التوازن إدارة الخبير الملتزم بالمنهج ، المنضبط الشديد الانضباط ، وقد ساعده هذا الرصيد فى أن يقول الحق ولا يخشى فيه لومة لائم ، لأن الجميع يعرفون منهجه ، ويدركون الحكمة فى سلوكه فهو يعبر عن نفسه فى الفتيا فى أية قضية ، ويعبر - أيضاً - عن هذا الرصيد الذى اكتسبه من الحب ، لقد نهج نفس النهج النبوى فى التماس - رضاء الله - فقال الحق فأغضب البعض حينا ثم عاد إليه وهو مقدر له حبيب قريب هنا وهناك ، ومن العلاقة المتميزة بين الفرقاء .

ولقد كان للشيخ منهج رسمه الله ورسوله التزمه وطبقه ، فهو يتمثل قول الله - سبحانه وتعالى - :

﴿ ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ ﴾

(الأحزاب ٣٩)

ويلتزم قول رسوله فلقد كتب معاوية إلى عائشة ـ رضى الله عنها ـ أن اكتبى إلى كتابا توصينى فيه ولا تكثرى على ، فكتبت عائشة : « إلى معاوية : سلام عليك فإنى سمعت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول : « من التمس رضا الله بسخط الناس كفاه الله مئونة الناس ، ومن التمس رضا الناس بسخط الله وكله الله إلى الناس » والسلام عليك . . . » .

وكلمة الحق قد تغضب الكثير ، وقد يحجم البعض عن أن يصدع بها ، وقد يهتف بها فى تعصيب وتحد وانفعال ، والفريقان لم ينجحا فى التجربة وتحقيق الهدف ، وإن ظننا أنهما أحرزا بعض النجاحات ، فالأول يخسر رصيده فى وجدان الشعب إن كان له رصيد ، والثانى يخسر رصيده لدى المسئولين إن كان قد بقى له رصيد ، والحكمة إنما تكون فى الأمرين معا ، وفى هذا التوازن تكمن حكمة الشيخ ـ يرحمه الله ـ التى أدركها وهيأ لها من الوسائل والأسباب ما جعلها تبقى وتتألق وتستمر ، وهى تزداد فى كل يوم رسوخاً وتألقاً فقد التمس رضاء الله فكفاه الله مئونة الناس .

وقد جعله ذلك على رأس الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، ينصح الحكام والدين النصيحة لعامة المسلمين وخاصتهم ، ويبين لهم حكم الله فيجد فيهم التقبل والإذعان ، ويقدم للشعب كل ما لدى العالم من حليب المعارف والذخيرة فى النصح والتوجه ، والتبصر والهداية والرشد فيجد التجاوب والتفاعل والالتزام ، وهذا هو النجاح ، أو قل هو قمة نجاح الداعية ، ويهمنا أن نتوصل إلى منظومة العوامل التى هيأت الداعية الإمام لكل هذه النجاحات لكى نضعها أمام الدعاة ليلتزموا بها ، وأمام المخططين للدعوة لينظروا فى تطبيقها إن أرادوا تحسين الخدمة الدعوية .

وبداية نقول : إن الشيخ الشعراوى من خريجى كلية اللغة العربية ، وهذا يسقط دعوى الأوقاف بقصر تعيين خريجى أصول الدين والدعوة على وظائف الدعاة فالدعوة موهبة .

وهذا هو العنصر الأول من عناصر هذه المنظومة ، ولقد كانت موهبة الشيخ ـ يرحمه الله ـ موهبة فطرية ، وهى هبة إلهية يهبها الله لبعض عباده ، وهى حدث كونى مزلزل يأتى على غير ارتقاب ولا يخضع لنواميس البشر ، وقد تسمى عبقرية ، وقد نسب العرب كل أمر خارق إلى ما سموه « عبقر » يريدون أنه بلغ الغاية واستوفى شرائط الجمال والخلود ﴿ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ ﴾ (الرحمن ٧٦) .

والعنصر الثانى : الثقافة : لابد منها لكى تحقق الموهبة فعاليتها لابد أن تتثقف بالدراسة والتحصيل ، وهذا ما اجتناه الشيخ من أمهات الكتب ومصادرها ، وكنوز المعارف ومناشئها ، لقد تمرس بالقراءة والاطلاع منذ صباه الباكر ، طالباً فى الأزهر وجامعته ، ثم قارئاً لكل ما وقعت عليه عيناه من كتب ، وما طالته يده مهتماً بتراث السابقين يجيل فيه الطرف ، ويتأمل وينقب ويستفيد ، وبحكم تخرجه فى كلية اللغة العربية ، كان لابد أن تكون أسبق إلى تخصصه ، لقد درس علوم الدين كلها من خلال اللغة العربية ، ولهذا استقام لسانه ومنهجه ، ومن أسباب اهتزاز صورة الدعاة والمتعرضين للإفتاء أنهم يدرسون علوم

الشريعة بعيدة عن اللغة ، ولقد كان الأزهر قبل التطوير يقدم لأبنائه كل العلوم الشرعية من خلال اللغة العربية ، وكان أساتذة الكليات الثلاث وعمداؤها يتبادلون المواقع ، ومن هنا كانت معارفهم متوازنة ومستوية ، وأداتهم لا تخطىء ، ولسانهم لا يضطرب ، وحتى نحقق للدعاة هذا التوازن لابد من نظرة منهجية إلى ما يقدم لطلابنا فى الكليات الأصلية لتعود اللغة البوابة الأصلية فى فهم كتاب الله وسنة نبيه وفهم كل ما يتصل بهما من علوم ، إننا من خلال ولوعنا بالتخصص وانحياز البعض إلى تخصصه دون النظرة العامة التى تحقق رسالة الداعية والمفتى والخطيب والكاتب والأديب انحياز البعض أحدث ما يشبه القفزات فى لعبة « الأكروبات » فتخرج الداعية الذى لا يحسن صياغة الرسالة الإعلامية ، والمفتى الذى لا يحسن فهم النص ، والعالم الذى تضطرب رؤاه فيحتار ويضطرب لأنه لا يعرف أسرار اللغة ولا مدلولاتها واستعمالاتها .

والثقافة التى نطلبها فى الداعية ليست بالطبع ما حصله فى سنى الدراسة فقط ، ولكننا نريدها ثقافة تتسع لكل ما يقع حوله وتحت بصره من أحداث ورؤى وأحوال سياسية وأنظمة اقتصادية واجتماعية .

وما يحيط به من فكر وفلسفات وعلم الاجتماع والأدب والتربية والطبيعة ، لا نطالبه بالإحاطة والشمولية ولكن بثقافة جمعية ورؤية وفهم بطباعها وأنساقها ، فإذا تحقق له ذلك وثق فى أداته وفى نفسه وواجه المشكلات والأحوال برباطة جأش واندمج فى الحياة اندماجاً عضوياً فإذا التقطه الإعلام صنع منه نجماً داعية أو داعية نجماً ، وهذا ما حققه الإمام .

والعنصر الثالث القدوة والسلوك : فلابد للداعية أن يقول ما يفعل ، ويفعل ما يقول ، لا يخالف قوله فعله ولا العكس : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ﴾ الصف : (٢ - ٣)

فإذا خالف القول الفعل ، أو الفعل القول اهتزت الصورة واضطرب المنهج وانقطعت الصلة الحاكمة والضابطة بين الداعية ومريديه .

والعنصر الرابع : تقوى الله وخشيته ، فلابد من أن يكون الداعية على صلة وثيقة بالله يخشاه ويراقبه مؤدياً لفرائضه ملتزماً بالأدب والخلق والاتزان ، يضوىء صورته دائماً لدى محبيه وعارفى فضله بما يلتزمه من إخلاص وتجرد ، وحب لله ولرسوله ، فإذا ادعى غير ما يظهر عليه حاله فلا بركة فيه ولا خير ، ولا أمل :

تعصى الإله وأنت تظهر حبه
هذا لعمرى فى القياس بديع
لو كان حبك صادقاً لأطعته
إن المحب لمن يحب مطيع

والتقوى جماعُ الخير كلِّه وهى المنزلة التى يرتفع إليها المسلم إذا التزم نهج الله أمراً ونهياً ، وهى زاد طيب فى مسيرة الحياة الدنيوية والأخروية ﴿ وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيۡرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقۡوَىٰ ﴾ (البقرة - ١٩٧) . . وهى من أسباب الفلاح والنجاح والفوز .

وتقـوى الله خير الـزاد زخـراً
وعنـــد الله لـلأتقى مـزيـــد

ونحسب الشيخ ـ يرحمه الله ـ على أكمل ما يكون فى هذه الجوانب .

والعنصر الخامس : التواضع : وهو دليل على الفهم الصحيح للدعوة ، وعلى إحراز مزيد من التقوى والطاعات والقربات ، إنه ثمرة خلقية لا تكون إلا عند اكتمال الشجرة الإيمانية كل وسائل وجودها من الجذور والساق والفروع والأغصان والأوراق ، والظل ثمرة والزهرة ثمرة أخرى ، والتواضع ثمر الثمرات جميعاً ، وبه يقترب الداعية من جمهوره ومحبيه ويقتربون منه ، ويزدادون به صلة وتوثقاً ، وهذا يحقق الغرض الأساسى للدعوة .

وليس التواضع الذى نقصد المذلة والمسكنة فليس المسلم بذليل ؛ لأنه يستمد عزته من عزة الله ﴿ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (المنافقون ـ ٨) ، لكنه كتواضع النحلة تدنو ولكن فى رفعة وسمو

ولعل هذا من أبرز ما يميز شيخنا الشعراوى فمن أهم سماته التواضع الذى كان فيه مضرب المثل .

والعنصر السادس : الإخلاص : والله يحب المخلصين ، وهو صفة من صفات الأنبياء ، فموسى كان مخلصاً وكان رسولاً نبياً ، ولقد تكررت الآية ﴿ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴾ (الصافات ـ ١٢٨) .

فى سورة الصافات وحدها أكثر من ثلاث مرات لأن المخلصين الذين وقعوا فى هذا السور « إلا » ودخلوا فى عبودية الله الخاصة مخلصون له لا يشركون معه فى قلوبهم أحداً غيره ، ولهذا جاء على صورة اسم المفعول .

ولقد نعى الله على من يدعى باللسان أنه لو كان عنده علم عن الأولين لكان من عباد الله المخلصين ، والرد عليهم أن هذه درجة لا ينالها باستحقاق إلا من شغلوا أوقاتهم وعقولهم وقلوبهم وسلوكهم وتفرغوا لهذه العبادات ، إنهم يقدون أرواحهم ويدربونها ويهيئونها لمعارج الـطهر والنور . . ﴿ وَإِن كَانُوا لَيَقُولُونَ ﴿١٦٧﴾ لَوْ أَنَّ عِندَنَا ذِكْرًا مِّنَ الْأَوَّلِينَ ﴿١٦٨﴾ لَكُنَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴾ الصافات : (١٦٧ : ١٦٩) .

ولابد للداعية من الإخلاص ، بل لابد لكل عمل من الإخلاص ، إنه يستصحب النية ويفرغ القلب من الشواغل ، وإذا خلصت النيات كان العمل صالحاً مقبولاً ، « إنما الأعمال بالنيات » ، ومن أعظم أجرا ممن أخلص دينه لله واعتصم به ﴿ وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ ۖ وَسَوْفَ يُؤْتِ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ النساء : (١٤٦)
ويستتبع إخلاص النية إخلاص العمل .

والعنصر السابع لغته ونحن نؤكد على اللغة باعتبارها الأداة للداعية ، فقد تخرج فى كلية اللغة العربية جامعة الأزهر ، وهى يومئذ ـ ولا تزال ـ تقدم لطالبيها مأدبة لغوية شهية ، وكان فيها أساتذة كبار ملأوا الدنيا علماً وأدباً وفقهاً وتأليفاً وتحقيقاً ، فنهل من علمهم ما عزز به موهبته ، ودرس دراسة متخصصة مكنته من زمام الكلمة .

وهو حين درس فى كلية اللغة العربية ألم إلماماً واسعاً بالأدب العربى لساناً وتراثاً وطرائف ؛

فترسب هذا كله فى ذاكرته ، فاغترف منه ، وكلما اغترف زاد المعين لأن النبع عميق الغور ثجاج فياض .

ولقد كان لهذه الملكة اللغوية المدربة أثرها فى خواطره وفى دعوته وفى أسلوبه تفسيراً وتدقيقاً واستيعاباً ومرجعية وعصمة لسان .

وقد ترك هذا كله على أسلوبه سمة أدبية ، وطرزت قوله بما وعى من الملح والطرف والحكايات والوقائع فتفادى بهذا الملال والسأم ، وأشعل حس المتلقين ليتابعوه وهم أكثر نشاطاً وحيوية واستفادة .

والعنصر الثامن عمله بالتدريس ، والمدرس إذا كان متمكناً من مادته العلمية يحس بنشوة وسعادة وهو يؤدى درسه ، إنه يشعل عقول تلاميذه ويبهرهم بما أفاض الله عليه ، وهو كلما ازداد إطلاعاً زادت ثقته بنفسه ، وتفنن فى التوصيل فأتقن وأحسن .

والتدريس فى الأزهر بالذات يحتاج إلى نقاش وجدل وإلى صبر وتمحيص ، ومراجعة دائمة ، وكتب التراث التى تدرس تؤصل هذا النهج ، وكل هذا مما يزيد فى الثقة والمقدرة والكفاءة ويعين على الحوار ، وملاقاة الجماهير ، وقد أسهم هذا كله فى بروز الشيخ الشعراوى إعلامياً حين جاءته الفرصة ، فخاضها وأثراها ، وهو معد لها ومؤهل لذلك تمام الإعداد والتأهيل .

وما اضطراب البعض أمام عدسات التليفزيون إلا من باب عدم الثقة والنضج والاكتمال .

والعنصر التاسع : أسلوبه المتفرد الجائش بكل ما فى اللغة والتراث والمعاصرة ، وما فيه من جمال وقدرة على التوصيل ، وما فى مصريته من روح ودعابة وخفة ظل ، وهذا أضفى على طريقته نكهة خاصة ، وأفرد له منهجاً متميزاً لا يشاركه فيه سواه ، وينفرد هو على قمته مفرداً علما ، لقد اتصل بقاع المجتمع وتعمق فلسفته واستلهم من المجتمع مشكلاته وتبناها وعمل على حلها بكل ما يملك من مودة وجاه وسخاء نفس .

وهذه مهمة الداعية ، إن مهمته أن يندس فى قلب مجتمعه ويتعرف على ما يعوق تقدمه أو يسىء إليه ويقهره ثم يتوجه بكل ما يملك من حلول دينية ويستعمل صلاته بالجهات المعنية للإسهام فى حلها والسيطرة عليها ؛ ليحقق بذلك إرادة الله على الأرض ، وليوجد لرسالته صدى فى أعماق الناس وحياتهم .

والعنصر العاشر : الرسالة الإعلامية ، أو نجومية الإعلام ، والإعلام يصنع النجم الرياضى والفنى والموسيقى ، ولكنه لم يصنع الشعراوى الداعية ؛ لأنه عندما تقدم إليه التليفزيون أو قدمه كان قد تعدى الستين ، ولذلك كان فضل الشعراوى على التليفزيون أكبر من فضل التليفزيون عليه ، صحيح إن التليفزيون هو الذى قدمه وهو الذى عرف به الجماهير ، وهو الذى جعله يجود أداته ، ويتألق فى رسالته الإعلامية ، ولكن كل هذا كان سيتلاشى لو أن المعدن لم يكن ممتازاً ، والجوهر لم يكن متألقاً ، والجودة لم تكن على خير ما يرام .

والصدمة الإعلامية تردى إن لم يكن المقدم على مستواها من القوة والتأثير ، فهى كالمطبات فى الطيران لا يتحملها ضعيف القلب ولا يصمد لها إلا الأقوياء ، وقد كان الشيخ أقوى مادة وجدارة وأكثر مدى فى التوصيل ، قبل أن يلتقطه التليفزيون ففضله على التليفزيون أعظم من فضل التليفزيون عليه .

وفـاة

ظاهرة العصر

للدكتور: عبد الله بن محمد الحميِّد •

بيالغ الأسى والحزن فقدت الأمة الإسلامية عالماً جليلاً ومفسراً عظيما للقرآن الكريم هو فضيلة الشيخ « محمد متولى الشعراوى » بعد معاناة مع أمراض الشيخوخة ، وبعد أن ملأ الدنيا بأحاديثه الممتعة عبر الإذاعة والتليفزيون ، ومؤلفاته القيمة التى تدور فى معظمها حول كتاب الله - عز وجل - فيما كان يطلق عليه « خواطره حول القرآن الكريم » . ومما قال فى ذلك فى مقدمة كتاب « اللواء الإسلامى » وهى صحيفة إسلامية أسبوعية تصدر عن الحزب الوطنى الديمقراطى بجمهورية مصر العربية دأبت ولازالت على نشر أحاديث الشيخ الشعراوى .

فإنى لا أستبيح لنفسى أن أدخل على كتاب الله مفسراً ، فليس عندى ما أرجح به أننى بالغ فيه ما يرضى نفسى عن نفسى ، ولذلك آثرت أن أسمى كل ذلك خواطرى حول القرآن الكريم . والخواطر رزق يجدده الرازق ولا يلام عليه المرزوق ، وكل ما أرجوه أن يجزى الله عنى وعن كل مفيد من خواطرى ، وكل من تأثرت به سماعاً منه ، أو قراءة له ، أو تأسياً به ، فمن كل هؤلاء خميرة عمل هذا ، ولا أستطيع أن أقول أنى أتيت بجديد ، لأن ما جئت به لهؤلاء وليد . . ورحم الله ابن المقفع إذ قال : « شربت الخطب ريًا ولم أضبط لها رويًا ، ففاضت ثم فاضت ، فلا هى هى ، ولا هى غيرها » . ولقد شاء الله لهذه الخواطر أن تكون نتيجة لكل ما تأثرت به حتى وإن كان سامعا يبدو من ملامحه الإعجاب ، أو قارئاً يطرينى فى كتاب . . . إلخ .

والحقيقة فإن وفاة الشيخ الشعراوى تعد خسارة كبيرة وثلمة فى كيان الإسلام من الصعب أن تعوض إلا أن يشاء الله - عز وجل - ، فلقد كان - رحمه الله - ذا أسلوب متفرد فى تناوله للآيات

• الكاتب : عضو نادى ابها الأدبى .

البينات من الذكر الحكيم تأملاً وتفسيرا ووقوفا عند مظاهر الإعجاز البلاغى والنظمى ، بطريقة جذابة ممتعة يفهمها من يستمع إليه أو يقرأ مؤلفاته . وتتضح فيها السهولة والسلاسة وإشراق العبارة وعمق الدلالة وشمول الرؤية ، وسعة الثقافة ، والإحاطة بعلوم العصر ، فيما يمكن القول فيه بأن الشيخ الراحل جمع فى تفسيره للقرآن الكريم جملة من العلوم والفنون فقهية وحديثية ونحوية وبلاغية وطبية ورياضية وكيميائية وفيزيائية وفلكية ، ثم استطاع بتوفيق الله ـ تعالى ـ له أن يفيد من تلك العلوم فى تفسير كلام الله ـ عز وجل ـ وقدمه للمتلقين فى أسلوب سهل ممتنع يقبل عليه العالم المتعلم والأمى ومتوسط الثقافة بكل حب وإعجاب .

وحينما أقول بأن الشيخ الشعراوى ـ رحمه الله ـ [ظاهرة العصر] فإنما أعنى ما أقول حيث لا أعلم فيما أحاطت به ذاكرتى الكليلة أنه يوجد فى العالم الإسلامى المعاصر من يماثل الشيخ الراحل فى طريقته الفذة فى تفسير القرآن الكريم ، والتى أكسبته حبا وإعجابا وإقبالا جماهيرياً هائلاً ، وشهرة واسعة من مشرق العالم الإسلامى إلى مغربه ومن شماله إلى جنوبه .

فلقد كان ـ رحمه الله ـ مثالا رائعا للداعية المسلم ، والفقيه الواعى بأمور عصره حيث سخر ما آتاه الله من علم وفقه ووعى وثقافة فى تفسير كتاب الله ـ تعالى ـ بأسلوب خاص ، ومنهج خاص يجعل المستمع إليه يحلق معه فى الملكوت الأعلى فى ظلال القرآن الكريم ، فاجتمع على محبته ومحبة علمه الكبير والصغير ، والخواص والعوام والمسلم وغير المسلم ، فلقد ذكر لى أن النصارى فى مصر العزيزة كانوا يتابعون برنامجه التليفزيونى الشهير « نور على نور » .

وكان للفقيد تأثيره الواسع فى رجوع كثير من العصاة إلى نور الإسلام ، فتابوا على يديه ، وتأثروا بأسلوبه ، وأقلعوا عما كانوا عليه من ضلال وانحراف عن الحق بحيث يصدق فيه قول النبى ﷺ : « لأن يهدى الله بك رجلا واحدا خير لك من حمر النعم » ، فلقد كان ـ رحمه الله ـ من أعلام الدعوة إلى الله على بصيرة فى هذا العصر جاهد بلسانه وقلمه طيلة نصف قرن وهدى الله به ملايين من المسلمين ، وحببهم فى دين الله ـ عز وجل ـ وأقام الحجة القاطعة على أصحاب الهوى ، والقلوب الضعيفة ، وكانت حجته الراسخة وأسلوبه المتسم بالحكمة واللين سببا من أسباب اهتداء كثير من الناس على يديه .

أما عن الناحية الأدبية عند الشيخ الشعراوى ـ رحمه الله ـ فلقد آتاه الله فصاحة فى اللسان ، وجمالا فى الإلقاء ، وروعة فى الأداء ، وحسن اختيار للألفاظ ، فكأنما هى طوع يديه يختار منها مايشاء ، إلى جانب ما كان يتمتع به ـ رحمه الله ـ من قوة الذاكرة التى كانت تختزن مئات الأبيات الشعرية التى ساعدته فى الاستشهاد بها أثناء أحاديثه المقروءة والمسموعة . ولا غرابة فى ذلك ، فلقد حفظ القرآن الكريم فى صغره ، ثم كان تخصصه العلمى فى اللغة العربية وعلومها حيث حصل على الشهادة العالية فى كلية اللغة العربية بجامعة الأزهر عام ١٣٦١ هـ/١٩٤١ م ، ثم تنقل فى أكثر من موقع مدرساً ، وخطيبا مفوها ، فى بلده مصر ثم فى المملكة العربية السعودية ، فأكسبه كل ذلك إلى جانب ما كان يتمتع به من

قوة فى الموهبة الأدبية إلى الإبداع والتحليق فى النواحى الأدبية .

ومما يجدر ذكره فى هذا المقام أنه كان شاعرا من الطبقة الممتازة لكن اهتمامه بتفسير القرآن الكريم قد غطى على تلك الموهبة الفذة .

ولقد طرق الشيخ الأديب جملة من الأغراض الشعرية كالرثاء ، ومن ذلك مرثيته فى الملك الشهيد فيصل بن عبد العزيز آل سعود ـ رحمه الله ـ التى قال فيها :

هانت خطوب الدهر بعدك فيصل
أيخاف بعدك أى خطب ينزل
الله من ناعيه كيف تحملت
أعصابه فوق الذى يتحمل
ولقد نعى ياهوله مما نعى
وأصاب يابلواه فيما ينزل

وحينما استشهدت مجموعة من أبناء مصر المناهضين للاحتلال الإنجليزى عام ١٣٥٥ هـ/١٩٣٥ م حيا الشيخ أولئك الشهداء فقال :

نداء يابنى وطنى مجاب
دم الشهداء يذكره الشباب
وهم نفس الضحايا والضحايا
بهم قد عز فى مصر المصاب
شباب بر لم يفرق وأدى
رسالته وهاهى ذى تجاب
فلم يجبن ولم يبخل وأرغى
وأزبد لاتزعزعه الحراب
وقدم روحه للحق مهرا
ومن دمه المراق بدا الخضاب
وآثر أن يموت شهيد مصر
لتحيا مصر مركزها مهاب
يهون القيد فى تحرير مصر
وعذب فى قضيتها العذاب

ومن شعره مخاطبا المرأة المسلمة حاثا إياها على الحشمة ومحذرا لها من التبرج :

قصرت أكمامها وشلت ذيولا
هلا رحمت إهابك المصقولا
أسئمت من برد الشتاء سجونه
فطلبت تحرير المصيف عجولا
وخطرت تحت غلالة شفافة
فى فتنة تدع الحليم جهولا
محبوكة لصقت بجسم مشرق
دفعته ثورته فبان فضولا
ألححت فى عرض الجمال وغرك
الفرار حتى أسمعوك فضولا

وأما أجمل شعره فهى (قصيدة الباكورة) التى استعرض فيها حياة النبى ﷺ ويبلغ عدد أبياتها مائتين وخمسة وعشرين بيتا قال فى مطلعها :

ياليلة المعراج والإسراء
وحى الجلال وفتنة الشعراء
الدهر أجمع أنت سر نواته
وبما أتاك الله ذات رواء
فلك العلا دارت عليه شمسه
والشمس واحدة من الإنشاء
ياليلة فى الدهر جل مقامها
نور عليك يفوق نور ذكاء
ياليلة فيها الفضائل أينعت
لنبينا ذى الرتبة العلياء

ثم ختمها بقوله :

باكورة منى ولما تكتمل
عن درك همته خبا إطرائى

منى إلى روح النبى تحية
في مدحة هى من دليل ولائى
لاعيب إن ند الفصيح فكونها
في المصطفى قد زاد من خيلائى

ويقى أن أختم هذه الكلمة بذكر أبرز مؤلفات الشيخ الراحل - رحمه الله - وهى كثيرة لكنى أذكر منها على سبيل المثال لا الحصر :

١ - تفسير القرآن الكريم وقد صدر منه عشرة مجلدات وصل فيها إلى سورة الممتحنة .
٢ - معجزة القرآن فى عشرة أجزاء .
٣ - من فيض الرحمن فى معجزة القرآن فى أربعة أجزاء .
٤ - الفتاوى فى عشرين مجلدا .
٥ - الأدلة المادية على وجود الله .
٦ - أوصاف أهل الجنة .
٧ - خواطرى حول القرآن الكريم فى ثلاثة أجزاء .
٨ - القرآن الكريم معجزة ومنهج فى ثلاثة أجزاء .
٩ - على مائدة الفكر الإسلامى .
١٠ - فى تربية الإنسان المسلم .
١١ - المنتخب فى تفسير القرآن الكريم .
١٢ - الفتاوى الكبرى .
١٣ - أسرار بسم الله الرحمن الرحيم .
١٤ - الإسراء والمعراج .
١٥ - أقول لهؤلاء .
١٦ - الغيب .
١٧ - القضاء والقدر .
١٨ - القصص القرآنى فى سورة الكهف .
١٩ - الرزق .
٢٠ - هذا هو الإسلام .
٢١ - كيف نفهم الإسلام .
٢٢ - معجزة القرآن فى ثلاثة أجزاء .
٢٣ - خطر الكفر والنفاق على مجتمع الإسلام .
٢٤ - أسئلة حرجة وأجوبة صريحة .
٢٥ - آراء الشيخ الشعراوى فى حرب الخليج .
٢٦ - الحلال والحرام .
٢٧ - الحج المبرور .
٢٨ - الحياة والموت .
٢٩ - الخير والشر .
٣٠ - السحر والحسد .
٣١ - الشيطان والإنسان .
٣٢ - المرأة فى القرآن .
٣٣ - معجزات الرسول ﷺ .
٣٤ - نهاية العالم .
٣٥ - يوم القيامة .
٣٦ - آية الكرسى .
٣٧ - قصيدة الباكورة فى مدح النبى ﷺ .

هذا بالإضافة إلى عشرات الأشرطة المرئية والمسموعة التى تحتوى على دروسه فى تفسير القرآن الكريم .

رحم الله الشيخ محمد متولى الشعراوى وأسكنه فسيح جناته ، مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ، جزاء ما قدمه للأمة الإسلامية من العلم النافع والعمل الصالح ، كما نسأل الله تعالى أن يجبر قلوب ذويه وتلاميذه وسائر محبيه بالصبر والسلوان ، وإنا لفراقك أيها الشيخ الجليل لمحزونون ، وإن القلب ليحزن ، وإن العين لتدمع ، ولا نقول إلا ما يرضى ربنا عز وجل إنا لله وإنا إليه راجعون .

الجنيد .. وتصوفه

للأستاذ الدكتور
عامر النجار

هو أبو القاسم الجنيد بن محمد بن الجنيد الخزاز القواريرى البغدادى ، ولد على أرجح الآراء حوالى عام ٢١٥ هـ / ٨٣٠ م ، وكان مولده ببغداد ، وبها نشأ وتعلم ومات ودفن بها عام ٢٩٧ هـ = ٩١٠ م .

وهو الملقب بسيد الطائفة وطاووس الصوفية ، وقد انحدر أصلاً من إحدى أسر « نهاوند » ، فأصل أبيه من نهاوند ، وكان والده يبيع الزجاج لذلك سمى القواريرى .. وقد حفظ القرآن صغيراً ، وأخذ الفقه على يد أبى ثور الكلبى تلميذ الشافعى ـ رضى الله عنه ـ وقيل عن الجنيد : إنه أول من تكلم فى علم التوحيد ببغداد . وقد صحب الحارث المحاسبى الصوفى الكبير ، وتتلمذ فى التصوف أيضاً على يد أبى جعفر محمد بن على القصاب المتوفى سنة ٢٧٥ هـ / ١٨٨ م .

أما خاله السرى السقطى فيعد أستاذه الحقيقى فى التصوف ويصف الجنيد خاله « السرى » متحدثاً عن كثرة عبادته وقيامه الليل فيقول : « ما رأيت أعبد من « السرى » ، أتت عليه ثمان وتسعون سنة مارؤى مضطجعاً إلا فى علة الموت »[1] .

وأيضاً سمع الجنيد الحسن بن عرفة ، ومن قدماء أصحاب الجنيد « محمد بن موسى الفرغانى »[2] وقال الجنيد : « ما أخرج الله إلى الأرض علماً ، وجعل للخلق إليه سبيلاً إلا وقد جعل الله لى فيها حظاً ونصيباً »[3] .

(١) الغزالى ، ابو حامد ، الإحياء ، ط ١ الريان للتراث ، ١٤٠٧ هـ ـ ١٩٨٧ م ، ج ٤ ص ٤٣٤ .

(٢) ابن الجوزى ، ابى الفرج عبد الرحمن ، المنتظم فى تاريخ الملوك والامم ، الجزء السادس ، ط حيدر اباد الركن ١٣٥٧ هـ ، صفحة ٢٦٢ .

(٣) المرجع السابق .

وقال محمد الحريرى : كنت واقفاً على رأس الجنيد وقت وفاته وهو يقرأ القرآن فقلت يا أباالقاسم أرفق بنفسك ! فقال : يا أبا محمد ، ما رأيت أحداً أحوج إليه منى فى هذا الوقت وهو يطوى صحيفتى[1] .

ومن صحب الجنيد : محمد بن أحمد بن القاسم أبو على الروذبارى ، وكان « من أبناء الرؤساء والوزراء والكتبة ، وصحب الجنيد وسمع الحديث ، وحفظ منه شيئاً كثيراً »[2] .

وكان الروذبارى يقول : « أستاذى فى التصوف الجنيد »[3] .

وأيضاً كان إبراهيم بن داود القصار « من أقران الجنيد »[4] .

ومن أصحابه أيضاً « عبد الله بن محمد أبو محمد النيسابورى المعروف بـ (جعفر المرتعش) »

وكذا ممن صحب الجنيد « أبو يعقوب النهر جورى »[5] « ومحمد بن إبراهيم المعروف بابن يوسف بن محمد أبو عمر الزجاجى النيسابورى »[6] .

وعن موت الجنيد :

قال أبو بكر العطوى : « كنت عند الجنيد حين مات ، فرأيته ختم القرآن . . ثم ابتدأ من البقرة ـ وقرأ سبعين آية ثم مات رحمه الله »[7] .

أخلاقـه :

أما عن أهم أخلاقه فقد كان الجنيد صادقاً داعياً إلى الصدق يقول الجنيد « حقيقة الصدق أن تصدق فى موطن لا ينجيك منه إلا الكذب »[8] .

وكان الجنيد حيياً ، ذو نفس قوية لا يستطيع الشيطان أن يتلاعب به أو أن يغويه ، قال الجنيد : « رأيت إبليس فى منامى وكأنه عُريان ، فقلت له ، أما تستحى من الناس ؟ فقال بالله عندك هؤلاء من الناس ؟ لو كانوا من الناس ما تلاعبت بهم كما يتلاعب الصبيان بالكرة ، ولكن الناس غير هؤلاء ! فقلت له : ومن هم ؟ قال : قوم فى مسجد الشونيزى [ببغداد] قد أضنوا قلبى وأنحلوا جسمى ، كلما هممت بهم أشاروا إلى الله ـ تعالى ـ فأكاد أحترق ! قال الجنيد فانتبهت ولبست ثيابى وجئت إلى مسجد « الشونيزى » وعلى ليل فلما دخلت المسجد إذ أنا بثلاث أنفس جلوس ورؤوسهم فى مرقعاتهم فلما أحسوا بى قد دخلت المسجد ، أخرج أحدهم رأسه فقال : يا أبا القاسم ، أنت كلما قيل لك شىء تقبل ! » .

وكان الجنيد مثالاً للزهد الصادق ، قال جعفر الخلدى كان عمرو بن عثمان « الصوفى » قد ولى قضاء « جدة » فهجره الجنيد ، وقال : لا أكلم من كان يظهر الزهد ، ثم يبدو منه الاتساع فى طلب الدنيا .

(١) المرجع السابق .
(٢) المرجع السابق .
(٣) ابن الجوزى ، المنتظم ، جـ ٦ ، ص ٢٧٣ .
(٤) المرجع السابق ، ص ٢٩٤ .
(٥) المرجع السابق ، ص ٣٠١ .
(٦) المرجع السابق ، ص ٣٩١ .
(٧) القشيرى ، الرسالة ، جـ ١ ، ص ١٣٦ .
(٨) القشيرى ، الرسالة ، جـ ٢ ، ص ٤٥١ .

علمه :

لقد كان الجنيد واحداً من علماء الإسلام فى التوحيد والتصوف ، وقيل عنه إنه أول من تكلم فى علم التوحيد فى بغداد ، وهو صاحب المقولة الشهيرة « إن التوحيد إفراد القدم عن الحدث » .

وكان الجنيد يرى « أن أشرف المجالس وأعلاها الجلوس مع الفكرة فى ميدان التوحيد »[1] ويقول الجنيد : « التوحيد إفراد القدم عن الحدث » أى إفراده سبحانه وتعالى من أى حدوث وعن أول ما يحتاج إليه العبد من اعتقاده يقول الجنيد : « إن أول ما يحتاج إليه العبد من عقد الحكمة ، معرفة المصنوع صانعه ، والمحدث كيف كان إحداثه وصفة الخالق من المخلوق ، وصفة القديم من المحدث ، ويذل لدعوته ، ويعترف بوجوب طاعته ، فإن من لم يعرف مالكه لم يعترف بالملك لمن استوجبه »[2] .

ويبرز الجنيد حقيقة التوحيد ويؤكد أهمية الاعتقاد بوحدانية الله ونفى الأضداد والأنداد عنه فالله سبحانه وتعالى : ﴿ فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا ۖ يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ ۚ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١١﴾ ﴾

[الشورى ١١]

فقد سئل الجنيد عن التوحيد فقال : « إفراد الموحد بتحقيق وحدانيته بكمال أحديته أنه الواحد ، الذى لم يلد ، ولم يولد . بنفى الأضداد والأنداد ، والأشباه ، بلا تشبيه . ولا تكييف ولا تصوير ولا تمثيل » . وقال أيضاً : « التوحيد : علمك وإقرارك بأن الله فرد فى أزليته لا ثانى معه [أى منفرد فى أزليته ، لأنه كان ولا شىء معه] ، ولا شىء يفعل فعله » . والله سبحانه وتعالى هو المتفرد بعلم الغيوب ، يقول الجنيد : « تفرد الحق بعلم الغيوب ، فعلم ما كان ، وما يكون ، وما لايكون : أن لو كان كيف كان يكون »[3] .

ويرى الجنيد أن السكون إلى الله تعالى وحده هو الكاشف عن كل ضر ، أو بلوى تصيب وحدة الإنسان فيقول : « من أشار إلى الله وسكن إلى غيره ابتلاه الله تعالى وحجب ذكره عن قلبه ، وأجراه على لسانه ، فإن انتبه وانقطع ممن سكن إليه كشف الله ما به من المحن والبلوى . ونحن نعوذ الله من السكون إلى غيره »[4] .

والجنيد يؤكد دائماً على أهمية الإقبال على الله تعالى وعدم الإعراض عنه ولو لحظة واحدة فيقول : « لو أقبل صادق على الله ألف سنة ثم أعرض عنه لحظة كان ما فاته أكثر مما ناله »[5] .

الجنيد ورأيه فى التصوف :

كان الجنيد يربط دائماً فكره الصوفى بقواعد الكتاب والسنة ، ولهذا عده العلماء شيخ مذهب التصوف . وكان الجنيد يقول : « مذهبنا هذا : مقيد بأصول الكتاب والسنة »[6] .

وقال أيضاً : « الطرق كلها مسدودة على الخلق إلا من اقتفى أثر الرسول - ﷺ - ، واتبع سنته ،

(١) القشيرى ، الرسالة ، ص ٥٥ .
(٢) القشيرى ، الرسالة ، ص ٤١ .
(٣) المرجع السابق ، ص ٥٤
(٤) السلمى ، طبقات الصوفية ، ص ١٦٣ .
(٥) القشيرى ، الرسالة القشيرية ، جـ ١ ، ص ١٣٤ .
(٦) المرجع السابق ، جـ ١ ، ص ١٣٤ .

ولزم طريقته ، فإن طرق الخيرات كلها مفتوحة عليه »[1] .

وقال : « من لم يحفظ القرآن ، ولم يكتب الحديث لا يقتدى به فى هذا الأمر لأن علمنا مقيد بالكتاب والسنة »[2] .

ومن هذه النصوص كلها يتضح لنا كيف كان الجنيد داعياً إلى التمسك بكتاب الله ، وسنة نبيه - ﷺ -.

قال أبو على الروذبارى سمعت الجنيد يقول لرجل ذكر المعرفة وقال الرجل : أهل المعرفة بالله : يصلون إلى ترك الحركات [أى : الأعمال] ، من باب البر والتقرب إلى الله - عز وجل - فقال الجنيد : « إن هذا قول قوم تكلموا بإسقاط الأعمال ، وهو عندى عظيمة ، والذى يسرق ، ويزنى أحسن حالاً من الذى يقول هذا ، فإن العارفين بالله تعالى أخذوا الأعمال عن الله تعالى ، وإليه رجعوا فيها ، ولو بقيت ألف عام لم أنقص من أعمال البر ذرة إلا أن يحال بى دونها »[3] .

وهو ككل متصوف يدعو إلى التصوف السنى ، لا يقول بعصمة الأولياء . فعندما قيل له « العارف يزنى يا أبا القاسم ؟ فأطرق ملياً ، ثم رفع رأسه وقال : وكان أمر الله قدراً مقدوراً »[4] .

الجنيد وموقفه من مسألة الفناء :

يمثل تصوف الجنيد ومدرسته نموذجاً معتدلاً من نماذج التصوف الإسلامى القائم على الكتاب والسنة ، ولهذا فإن الجنيد ومدرسته بعدت تماماً عن الشطح الصوفى .

« فهذه المدرسة رفضت رفضاً باتاً الأخذ بفكرة الجمع بين فناء الصفات وفناء الذات ، بل لقد فصلت فصلاً تاماً بين الذات والصفات بمعنى أنها لم تعترف بأن الصفات هى حقيقة الذات ، بل هى زائدة على الذات ، ومن هنا يمكن فناء الصفات مع بقاء الذات ، فيشعر السالك أنه لا مجال مطلقاً للخلط بين صفة الأزلية والحدث فيظل الإله مفارقاً ، ويظل المخلوق حادثاً متطلعاً إلى صفات الجمال والجلال »[5] .

من ذلك كله يتضح لنا أن مذهبه فى الفناء لا يؤدى إلى الحلول أو الاتحاد .

ولقد غالى الأستاذ زينر «Zaehner» فى حديثه عن فكرة « الفناء » عند الجنيد وأخطأ خطأ كبيراً حين ادعى أن الجنيد وقع تحت تأثير الصفات الإلهية بأنه تأله أى صيرورة الإنسان إلهاً . وأنه تحدث عن فكرة الله فى الإنسان أو سكنه فى الإنسان[6] .

والحقيقة أن الجنيد فى شرحه لوقوع الإنسان

---

(1) السلمى ، عبد الرحمن ، طبقات الصوفية ، تحقيق نور الدين شريبة ، ط مصر ، ١٩٥٣ ، ص ١٥٩ .
(2) الإصبهانى ، حلية الأولياء ، جـ ١٠ ، ص ٢٥٧ .
(3) القشيرى ، الرسالة ، جـ ١ ، ص ١٣٣ ، ص ١٣٤ .
(4) المرجع السابق ، جـ ١ ، ص ١٧٥ .
(5) ياسين ، إبراهيم ، حال الفناء فى التصوف الإسلامى ، نشر المطبعة العلمية الحديثة ، بالمنصورة ، ١٩٩٣ ، ص ٢٤ .
(6) جعفر ، كمال جعفر ، التصوف : طريقاً وتجربة ومذهباً ، الناشر دار المعرفة الجامعية بالإسكندرية ، ١٩٨٠ ، ص ٢٣٢ .

تحت تأثير الصفات الإلهية - كما يقول الدكتور كمال جعفر - « قنع بالحديث القدسي - كنت سمعه الذى يسمع به . . الخ » مستلزماً فى شرحه طريق التحفظ بعبارات لا يمكن الاعتراض عليها ، حيث يستعمل الجنيد فى كتابه « الفناء » ألفاظاً مثل اللطف ، والهداية ، والتوفيق أو التأييد . ولا يوجد أى نص جنيدى يتحدث عن التأله أو الحلول[1] .

وبعد ذكر الحديث القدسى السالف وفيه « . . فإذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به ، وبصره الذى يبصر به . . . » يتساءل الجنيد إثر ذلك قائلاً : « فإذا كان سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به ، فكيف تصف ذلك بكيفيته أو تحده بتحدى تعلمه ؟ ويضيف إلى ذلك قوله ولو ادعى ذلك مدع لأبطل فى دعواه ، لأنا لا نعلم ذلك كائناً بجهة من الجهات تعلم أو تعرف ، وإنما معنى ذلك أنه يؤيده ويوفقه ويهديه ويشهده ما شاء كيف شاء بإصابة الصواب وموافقة الحق .

وذلك فعل الله عز وجل فيه ومواهبه له ، منسوبة إليه لا إلى الواجد لها ، لأنها لم تكن عنه ولا منه ولا به ، وإنما كانت واقعة عليه من غيره ، وهى لغيره أولى وبه أحرى »[2] .

والحقيقة أن مذهب الجنيد يؤدى إلى هذه الفكرة « لا أحد يستطيع مشاهدة الله فى صفاته العليا وأسمائه الحسنى على الوجه التام سوى الله جل جلاله ، وهو لا يجاوز ذلك إلى الذات الإلهية كما يذهب إلى ذلك البسطامى وابن عربى ، ومن ناحية أخرى نقول هناك فرق بين فناء الجنيد وفناء أصحاب الشطح الصوفى ، ففناء الجنيد صحو وحضور لا سكر وغيبة « كما يظل فناء الجنيد توحيداً بعيداً عن فناء الشاطحين من غلو وانحراف »[3] .

من ذلك كله يتضح لنا أن الجنيد يمثل رأساً من رؤوس التصوف السنى فى الإسلام .

أثر الجنيد ومدرسته فى التصوف الإسلامى :

امتد أثر الجنيد ومدرسته حتى القرن الخامس الهجرى فنجد أثرها واضحاً فى أبى حامد الغزالى الذى يعد رائداً من رواد التصوف السنى ، وقال أيضاً بفكرة الفناء فى التوحيد ، فالسالك لا يشاهد إلا الواحد لكونه مستغرقاً بالتوحيد ففنى عن رؤية نفسه والخلق .

وهذا الفناء يعنى توحيد إرادة العبد مع إرادة الله تعالى .

وفى هذا تفريق بين بين الخالق والمخلوق .

أهم أعمال الجنيد :

رسائل الجنيد (مطبوع) تحقيق وطبع على حسن عبد القادر ، وهى عبارة عن رسائله إلى بعض إخوانه ، ونجد أيضاً فى هذه الرسائل موضوعات تتناول التوحيد ، والفناء ، والتصوف الإسلامى ، ومن مؤلفاته المخطوطة ، « قصيدة صوفية » و « الوصايا » .

---

(١) المرجع السابق ، ص ٢٣٢ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٢٥٤ .

(٣) ياسين ، إبراهيم ، حال الفناء فى التصوف الإسلامى ، ص ٢٤ .

العلوم الاجتماعية

ودورها فى مكافحة العنف والتطرف

للدكتور : محمد عبد الحكيم محمد*

سيظل العنف والتطرف انحرافاً إجرامياً فى الفكر والسلوك ، يمكن أن يظهر فى أى مجتمع حتى ولو كان مجتمعا ديمقراطياً يتمتع بالغنى والنفوذ ، فقد شهدت الولايات المتحدة فى السنوات الأخيرة ثلاث حوادث إرهابية كبرى ليس للعرب والمسلمين دخل فيها ، وهى :

(١) حادث تفجير قنبلة فى المدينة الرياضية بأتلانتا .

(٢) حادث تفجير مبنى بلدية « أوكلاهو ماسيتى » .

(٣) حادث (٢٥ يوليو) الماضى داخل قلعة « الكابيتول هيل » فى الكونجرس الأمريكى .

ومع استنكارنا لكل حوادث العنف والتطرف سواء كانت داخل أمريكا أو خارجها ، إلا أننا نقدم من خلالها الدليل الدامغ على أن الإرهاب ليس صناعة عربية أو إسلامية ، كما يروج البعض أو يعتقد ، بل هو ظاهرة عالمية لا ترتبط بوطن معين ، أو بدين معين ، أو بحضارة دون غيرها من حضارات العالم .

* الكاتب : مدرس الصحافة بكلية الآداب ـ جامعة المنصورة .

وكم تعالت الأصوات العربية الإسلامية مطالبة الرأى العام الأمريكى والأوروبى بالانتباه إلى الدوافع السياسية المغرضة وراء إلصاق تهمة الإرهاب مرة بالمسلمين ، ومرة بالعرب ، ولكن لا حياة لمن تنادى !!

إن العنف والتطرف من الظواهر التى لا وطن لها ولا دين ، ومن الخير أن يتكاتف الجميع للقضاء عليها بدلاً من أن يستغلها البعض فى تشويه الآخرين وتحقيق مصالح سياسية على حسابهم .

ونحمد الله ـ تعالى ـ على أن جرائم العنف فى مجتمعاتنا العربية والإسلامية ليست ظاهرة منظمة ولا متكررة ، إنما حوادث فردية فى سبيلها إلى الانحصار .

وفى إطار مجابهتها يمكن للعلوم الاجتماعية بجميع فروعها (الإنسانية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية والإدارية والقانونية) أن تلعب دوراً فعالاً ـ إلى جانب الجهات الأمنية والشعبية ـ فى مواجهة جرائم العنف والتطرف .

ومن ثم أقامت جامعة الأزهر بالتعاون بين قسم الاجتماع بكلية الدراسات الإنسانية ومركز صالح كامل للاقتصاد الإسلامى مؤتمراً دولياً حول : (العلوم الاجتماعية ودورها فى مكافحة جرائم العنف والتطرف فى المجتمعات الإسلامية) فى الفترة من ٤ ـ ٦ ربيع الأول الموافق ٢٨ ـ ٣٠ يونيو ١٩٩٨ م وذلك بهدف استعراض إسهامات العلوم الاجتماعية فى مجال خدمة المجتمع متمثلاً فى مواجهة هذه الظواهر الغريبة والمصادرة لثقافتنا الإسلامية والعربية والمصرية وهى ظواهر العنف والتطرف ، ولذلك من أجل التنبيه إلى أهمية مشاركة العلوم الاجتماعية بكل فروعها فى مواجهة مشكلات المجتمعات الإسلامية ، وإدارة أزماتها وتفعيل برامج التنمية الوطنية ، والاستعارة من كل أدبيات هذه العلوم ومناهجها وتوظيفها فى خدمة مجتمعاتنا . ولا شك أن فى هذا دعوة موجهة إلى كل المشتغلين بهذه العلوم للتخلص من التبعية الثقافية والانطلاق فى الدراسات الاجتماعية من منطلقاتنا الدينية والوطنية والتاريخية بشكل يستفيد من أحدث الآليات والأساليب المنهجية المطروحة عالمياً .

وقد بدأت جلسات المؤتمر بجلسة افتتاحية حضرها فضيلة الإمام الأكبر شيخ الجامع الأزهر الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوى راعى المؤتمر وفضيلة الأستاذ الدكتور أحمد عمر هاشم رئيس جامعة الأزهر ، رئيس المؤتمر ، والأستاذ الدكتور سامح جاد نائب رئيس جامعة الأزهر لفرع البنات ونائب رئيس المؤتمر ، والأستاذة الدكتورة عفاف زيدان عميدة كلية الدراسات الإنسانية وأمين عام المؤتمر ، والأستاذ الدكتور نبيل السمالوطى أستاذ ورئيس قسم الاجتماع ومقرر عام

المؤتمر ، والأستاذ الدكتور محمد عبد الحليم عمر مدير مركز صالح كامل للاقتصاد الإسلامى أمين المؤتمر . وقد ألقى كل منهم كلمة فى الجلسة الافتتاحية .

وقد جرت محاور المؤتمر فى ثمانى جلسات ، وانتهت بحلقة نقاشية .

تخصصت الجلسة الأولى : للأطر الفكرية والمنهجية لظاهرتى العنف والتطرف وكيفية مواجهتها ، ورأسها الأستاذ الدكتور طه أبو كريشة نائب رئيس الجامعة لشئون التعليم والطلاب ، والأستاذ الدكتور سيد حنفى - الأستاذ بجامعة الزقازيق .

والجلسة الثانية : لبعض الجوانب التاريخية لجرائم العنف والتطرف ، ورأسها الأستاذ الدكتور محمد السعدى فرهود - رئيس جامعة الأزهر الأسبق ، والأستاذ الدكتور رأفت غنيمى الشيخ عميد معهد الدراسات الأسيوية جامعة الزقازيق .

والجلسة الثالثة : لبعض الجوانب الاقتصادية والسكانية للعنف والتطرف ، ورأسها الأستاذ الدكتور عبد العزيز حجازى رئيس مجلس الوزراء الأسبق ، والأستاذ الدكتور محمد عبد الحليم عمر مدير مركز صالح كامل للاقتصاد الإسلامى .

والجلسة الرابعة : للإطار القانونى لمواجهة العنف والتطرف ، ورأسها الأستاذ الدكتور سامح جاد - نائب رئيس الجامعة لفرع البنات ، والمستشار / جابر خليل - المحامى العام بالإسكندرية .

والجلسة الخامسة : لدور الخدمة الاجتماعية فى مواجهة العنف والتطرف ، ورأسها الأستاذ المستشار / طارق البشرى - نائب رئيس مجلس الدولة ، والأستاذ الدكتور محمد عبد الهادى - عميد المعهد العالى للخدمة الاجتماعية - كفر الشيخ .

والجلسة السادسة : لدور علم النفس فى مواجهة العنف والتطرف ، ورأسها الأستاذ الدكتور صوفى أبو طالب - رئيس مجلس الشعب الأسبق ، والأستاذ الدكتور ممدوح الصدفى - عميد كلية التربية جامعة الأزهر .

والجلسة السابعة : عن الجوانب الشرعية والدعوية لمواجهة العنف والتطرف ، ورأسها الأستاذ الدكتور حسنين ربيع - نائب رئيس جامعة القاهرة ، والأستاذ الدكتور إسماعيل الدفتار - الأستاذ بكلية أصول الدين جامعة الأزهر .

والجلسة الثامنة : لدراسة ظاهرتى العنف والتطرف فى إطار علم الاجتماع ، ورأسها الأستاذ الدكتور سلامة أحمد سلامة - مستشار رئيس تحرير جريدة الأهرام ، والأستاذ الدكتور

رشاد عبد اللطيف ـ عميد كلية الخدمة الاجتماعية جامعة حلوان .

أما الحلقة النقاشية : فقد دارت حول : استراتيجيات مواجهة جرائم العنف والتطرف فى المجتمعات الإسلامية ـ رؤية مستقبلية . وقد تحدث فيها صفوة من المشتغلين بالعلوم الشرعية والاجتماعية ، وقد رأس هذه الجلسة فضيلة الأستاذ الدكتور رئيس الجامعة وتمت مناقشة خمسين بحثاً بعد تحكيمها تحكيماً علمياً .

وقد توصل المشاركون فى المؤتمر إلى مجموعة من التوصيات من أهمها ما يلى :

أولاً : بناء سياسة بحثية تركز على الدراسة المنهجية لمشكلات المجتمعات وتوظفيها فى خدمة مواجهة أزماتها وإبراز أهم معوقات التنمية الوطنية والتوصل إلى أسبابها وعواملها وأساليب مواجهتها ، وفى مقدمة هذه المعوقات تلك الظواهر الغريبة الوافدة المصادمة لثقافتنا الإسلامية والعربية وهى ظواهر التطرف والعنف وتقديم ناتج هذه الدراسات إلى الجهات المسئولة عن صياغة القرار .

ثانياً : تشجيع الدراسات المتكاملة أو البينية والتى تشارك فيها كل فروع العلوم الاجتماعية (الاجتماع والنفس والتربية والاقتصاد والسياسة والإنسان والخدمة الاجتماعية والقانون والإدارة) وذلك عند دراسة نظم المجتمعات الإسلامية ومشكلاتها ، تحقيقاً للفهم العلمى الشمولى للظواهر والنظم المدروسة .

ثالثاً : التخطيط لتحقيق التواصل بين المشتغلين بالعلوم الاجتماعية على مستوى الدول الإسلامية العربية من أجل الاستفادة بمختلف الدراسات والبحوث التى يتم إجراؤها وعدم التكرار وتحقيق التراكم المعرفى بالنسبة لكل الظواهر المدروسة بشكل عام وبشكل خاص للظواهر المرضية الوافدة على مجتمعاتنا مثل ظواهر العنف والتطرف .

رابعاً : يراعى عند الإعداد العلمى للدعاة تحقيق الحفظ الكامل للقرآن الكريم وعلومه وإجادة اللغات الأجنبية ودراسة العلوم الاجتماعية ، وفى مقدمتها علم الاجتماع والنفس والاتصال تحقيقاً للفهم العلمى ولبيئة المجتمع الذى يمارس خلاله الدعوة والوعى بقضاياه المعاصرة .

خامساً : إحكام الرقابة على العشوائيات والمناطق المتخلفة داخل المدن وإمداد الصالح منها بالخدمات وإعادة تسكين سكان غير الصالح منها وعدم السماح بظهور عشوائيات جديدة ، حيث كشفت الدراسات عن علاقة واضحة بين التطرف والعنف وبين هذه المناطق .

سادساً : تحقيق المزيد من التيسيرات أمام كبار المستثمرين مع تقديم مزيد من التيسيرات أمام الاستثمارات والمشروعات والصناعات الصغيرة للشباب ، من أجل مواجهة مشكلات البطالة والحرمان التى تمهد الطريق لدى ضعاف النفوس للانخراط فى جرائم التطرف والعنف .

سابعاً : هناك دور جوهرى وهام لكل أجهزة المجتمع المدنى من أحزاب وهيئات غير حكومية وجمعيات ونقابات واتحادات فى مواجهة جرائم العنف والتطرف ، وذلك من خلال المزيد من استثمار طاقات الشباب فى خدمة برامج التنمية الوطنية ، وفتح قنوات شرعية أمامهم للتعبير عن الرأى ، وإتاحة الفرصة أمامهم لإبراز قدراتهم وطاقاتهم الإبداعية من أجل صالح المجتمع .

ثامناً : إحكام الرقابة على المصنفات الفنية (شرائط الفيديو والكاسيت) والكتب التى تغذى اتجاهات العنف والتطرف لدى الشباب ، وتيسير البدائل التى تبرز وسطية الإسلام وسماحته وانفتاحه على كل الثقافات والآراء الأخرى .

تاسعاً : لما كان التكافل الاجتماعى من العوامل الفاعلة فى تحقيق الترابط والتراحم بين أبناء المجتمع والحيلولة دون ظهور الصراعات المدمرة والمتمثلة فى حركات التطرف والعنف ، فإن المؤتمر يوصى بإيجاد آلية أو نظام لتجميع الزكاة وصرفها إلى مستحقيها .

عاشراً : لما كانت من أهم عوامل العنف والتطرف الاختلالات الهيكلية فى توزيع المشروعات الاستثمارية جغرافياً ، فإن المؤتمر يبارك ما قامت به القيادة السياسية من مشروعات عملاقة فى الأماكن النائية والمحرومة مثل مشروع توشكى وشرق التفريعة ، وإقامة مدن صناعية فى عواصم محافظات الصعيد ، ويوصى المؤتمر بأن يكون للشباب النصيب الأوفر فى هذه المشروعات بشروط ميسرة .

حادى عشر : إعطاء المزيد من الاهتمام للتربية الدينية بالمدارس ، وتخصيص هيئة تدريس مستقلة لها . هذا مع ضرورة تخصيص مقرر للثقافة الإسلامية فى كل كليات الجامعة ، باعتبار أن الفهم السليم للدين هو خير عصمة ضد الانحراف بكل أنواعه بما فيه التطرف والعنف .

ثانى عشر : الإشادة بالجهود الموفقة للجهات الأمنية فى حماية المجتمع من كل أنواع الانحراف والخروج عن الشرعية ، ويوصى المؤتمر بترشيد المواجهات الأمنية الناجحة لجرائم العنف والتطرف وتعزيز طاقات أجهزة الأمن بكل الإمكانات التقنية الجديدة التى لها لحماية المجتمع .

فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ

استفتاءات القراء

تجيب عنها لجنة الفتوى بالأزهر الشريف

يقدمها الشيخ السيد العراقي شمس الدين

السؤال مقدم من السيد/ أ . ن ـ من القاهرة ، يقول فيه :

نذرت أن أذبح خروفا إن نجح ابنى فى الثانوية العامة ، وأكرم الله ابنى ونجح ، ومرت سنة كاملة ولم أوف بالنذر ، علما بأن حالتى متيسرة ، وأستطيع الوفاء ، فهل علىّ إثم فى هذا التأخير ؟

الجواب

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فنفيد بأن الوفاء بالنذر على مباح وطاعة واجب شرعا ، لقوله تعالى ﴿ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ ﴾ (الحج ـ ٢٩) ، ولقوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ « من نذر أن يطيع الله فليطعه ، ومن نذر أن يعصيه فلا يعصه » البخارى (٦٣١٨) ، وهو دين فى رقبة صاحبه حتى يؤديه ، خاصة إذا كانت حالته ميسورة ويستطيع الوفاء به ، وأن تأخيره فى هذه الحالة يعتبر صاحبه آثما شرعا ، وقد مدح ربنا سبحانه وتعالى الموفين بالنذر فى القرآن الكريم ، حيث قال جل شأنه :

﴿ إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ۝٥ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ۝٦ يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا ﴾

(الإنسان : ٥ ـ ٧) .

ولهذا كان النذر مكروها ولا يجب على الإنسان أن يكلف نفسه بما لا يستطيع ، فإذا نذر نذرا فإن عليه الوفاء بما نذر لأنه دين لله ، ودين الله أحق بالوفاء ، والله أعلم .

السؤال من السيد/ عبد الفتاح إبراهيم البيجاوى يقول فيه :

١ ـ كيف أقدر زكاة المال على محل أدوات منزلية برأس مال ٣٠ ألف جنيه ، ويبيع هذه الأدوات بالتقسيط على سنة أو سنتين ؟

٢ ـ محل آخر برأس مال ٣٠ ألف جنيه لبيع الدواجن واللحوم المجمدة والأسماك ، فما هى الطريقة التى أخرج بها الزكاة وما الحكم ؟

الجواب

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، أما بعد فنفيد عن السؤال الأول بأنك فى نهاية العام ابتداء من بدء النشاط إلى نهاية سنة هجرية تقوم هذه التجارة بعد خصم المصروفات من نقل وخلافه ، ويخرج عنها جميعا الزكاة ، وهى ربع العشر أى ٢,٥٪ ، وتسمى عروض التجارة ، والزكاة تكون على رأس المال والأرباح جميعها .

وعن الثانى نفس الطريقة تقوم هذه التجارة فى نهاية كل عام هجرى ، وأن تبلغ نصابا خاليا من الديون ، وتخرج الزكاة على رأس المال والأرباح وهى ٢,٥٪ ، والله تعالى أعلم .

السؤال : أريد أن أتزوج ابنة خالى الصغرى ، فأخبرتنى أمى أنها أرضعت أختها الكبرى (بنت خالى الكبرى) .

هذا ولم يحدث أن رضعت بنت خالى المخطوبة من والدتى ، ولم أرضع من والدتها ، فهل يحل لى الزواج منها ؟

الحمد لله ، والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا رسول الله ، وعلى آله وصحبه ومن والاه ، أما بعد . . فنفيد بأنه مادام راغب الزواج والمرغوب منها لم يجتمعا على ثدى واحد ، فإن زواجهما حلال لا شيء فيه ، ولا عبرة برضاع أخت الزوجة من أم الزوج ، هذا والله أعلم .

••••

السؤال من السيدة : محاسن محمد كامل ، تقول فيه :

تزوجت من شخص مسلم الديانة مصرى الجنسية ، وكتب ورقة عرفية بينى وبينه ، ولم يكن هناك شهود أثناء كتابة عقد الزواج ، والسؤال هل هذا الزواج على هذه الصورة يكون عقدا صحيحا شرعا ؟ وما الحكم ؟

الجواب

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

أما بعد فنفيد بأن عقد الزواج الشرعى لابد من أن يكون مستوفيا لجميع أركانه وشروطه من إيجاب وقبول ومهر مسمى وشهادة رجلين عدلين وولى شرعى ، وحيث إن الصورة الواردة بالسؤال تفيد بأنه لم يكن هناك أثناء عقد الزواج شهود ولا ولى شرعى ، فإن العقد على هذه الصورة يكون باطلا شرعا ، ولايعتد به ، هذا إذا كان الحال كما ذكر فى السؤال والله تعالى أعلم .

السؤال مقدم من السيد/ محمد عبد الجواد هريدى

توفيت سيدة عن أختين شقيقتين ، أولاد أخوين شقيقين ، أولاد أخوات شقيقات ، وأوصت لأقاربها ، فمن يرث ، وما نصيبه ؟

الجواب

الحمد لله ، والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وبعد :

نفيد بأن الوصية إذا ثبتت فإنها فى الثلث ، فإن زادت فلابد من إجازة الورثة لها ، وتستخرج من التركة أولا ، ويقسم الباقى على الورثة الشرعيين وهم : الأختان الشقيقتان ولهما الثلثان فرضا لعدم من يعصبهما أو يحجبهما يقسم بينهما بالتساوى ، والباقى للذكور فقط من أولاد الأخوين الشقيقين تعصيبا يقسم بينهم بالتساوى كأنهم أولاد أخ واحد ، ولا شىء للإناث من أولاد الأخوين الشقيقين ، كما أنه لا شىء لأولاد الأخوات الشقيقات لأنهم جميعا من ذوى الأرحام المؤخرين فى الميراث عن أصحاب الفروض والعصبات ، والله تعالى أعلم .

••••

السؤال مقدم من السيد/ الشيخ جاسر :

هل دخول النساء المساجد للصلاة أو لسماع الدروس الدينية فيه حرمة عليهن ؟

الجواب

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وبعد :

فنفيد بأن دخول النساء المساجد للصلاة أو لسماع الدروس الدينية لا حرمة فيه ، بشرط وجود الساتر الذى يحجبهن أو يسترهن عن مشاهدة الرجال لهن ، ولا يجوز لأحد أن يمنعهن من تأدية العبادة إذا توفرت الشروط السابقة ، والله تعالى أعلم .

••••

السؤال مقدم من السيد/ منصور عرابى :

ما رأى الدين فى تلقى أهل الميت العزاء فى القبور ؟ وهل يجوز تغسيل الميت من غير أهله ؟ ومن هم الذين يجب عليهم أن يحملوا الميت على أكتافهم ؟

الجواب

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وبعد :

فنفيد بأن مواساة المسلم مشروعة من قبيل المؤاخاة والترابط ، كما أن تشييع الجنائز حق مشروع دعت إليه السنة النبوية المطهرة ، فمن حق المتوفى على أخيه المسلم أن يشيع جنازته ، وله الأجر والثواب ، وتقبل العزاء لأهله جائزة فى أى مكان سواء كانت فى القبور أو فى غيرها .

والأفضل أن يغسل الميت أقاربه ، فإذا لم يوجد من أهله من يقوم بهذا فلا مانع شرعا من القيام بهذا العمل ممن يتطوع به من أهل الفضل الموثوق بهم حتى لا يخرج سرا يراه أثناء الغسل مثلا ، وحمل الميت على الأكتاف فرض كفاية على جماعة المسلمين ممن يوجد منهم وقت الوفاة .

منهج الإسلام في تربية الأولاد

لفضيلة الأستاذ الجليل الشيخ أبو الوفا المراغى

إعداد وتقديم:
عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

الأبناء غراس حياة ، وقطوف أمل ، وقرة عين الإنسان ، هم بناة الغد ؛ وهم رجاله : مفكروه وسواعده ، ودروع أمنه ، وحماة استقراره ، وهم فى الإسلام مستودع أمانات الآباء ، يحفظون الدين ، وينقادون لرب العالمين ، من أجل ذلك وجه الإسلام عنايته إلى تربيتهم ، حتى يسعد بهم المجتمع ، ويصعدوا هم بالمجتمع ، فلقد شملت عناية الإسلام جميع جوانب حياة الفرد ، لينمو نموا متكاملا ، نموا يشمل : جسمه وروحه وخلقه وعقله ، وبالمحافظة على هذا النمط العالى من التربية الراقية ، يربى المواطن الصالح ، الذى يعرف حقوقه ، وواجباته ، ويبنى الفرد المسلم القوى ، الذى يعيش بعقيدته الصحيحة ، وعقله الواعى ، وخلقه القوى .

ونحن أمة الإسلام : إذا أردنا لأنفسنا عزا ومجدا وسؤددا ، علينا أن نعود إلى جوهر ديننا ، علينا أن نربى الأجيال المسلمة على نمط من الرجولة الحقة ، والإنسانية الكريمة ، النمط الذى لمسناه فى المسلمين الأول ، حيث كانوا : قوة فى العقل ، وقوة فى الروح ، وقوة فى الخلق ، وقوة فى الجسم .

إننا لكى نربى الأبناء تربية عالية ومتكاملة ، يجب أن نصوغهم صياغة تتفق مع ما نؤمن به من عقائد ، ومثل عليا كريمة ، مستمدة من كتاب الله ـ عز وجل ـ ومن سنة رسوله ـ ﷺ ـ .

وللمزيد من الإرشاد والتوجيه يقول الكاتب ـ رحمه الله ـ:

أشهى ثمرات الحياة إلى الإنسان الأولاد ، يعرف ذلك من ذاق حلاوتهم ومن ابتلى منهم بالحرمان . وبشدة مرارة الحرمان يعرف قدر نعمة الله بهم على الإنسان ، وعلى الأولاد عمارة الأرض وهى مقصود خلق الله للأكوان . قال تعالى :

﴿ ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴾

(الكهف - ٤٦)

وعن النبى - ﷺ - : « الولد ثمرة القلب »[1] ولما بشر على بفاطمة قال : « ريحانة أشمها ورزقها على الله » وحب الولد من طبيعة الإنسان لهذا تمنى الولد جميع الناس حتى الأنبياء .

وقد تضرع إبراهيم إلى ربه أن يهبه الذرية فقال :

﴿ رَبِّ هَبْ لِى مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠٠﴾ فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾ ﴾

(الصافات - ١٠٠ ، ١٠١)

وتضرع زكريا - عليه السلام - فقال :

﴿ وَإِنِّى خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِىَ مِن وَرَآءِى وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا فَهَبْ لِى مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ﴿٥﴾ يَرِثُنِى وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ ۖ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ﴾

(مريم - ٥ ، ٦)

ولقد صور كثير من الأدباء والشعراء أحاسيسهم بحب الأولاد ، وهذه الصور على تنوعها وتلونها تصدر عن عاطفة واحدة ، وطبيعة واحدة ، هى طبيعة الحب الخالص ، والود الصادق .

قال الأحنف لمعاوية : وقد غضب على ابنه يزيد فهجره : يا أمير المؤمنين أولادنا ثمار قلوبنا ، وعماد ظهورنا ، ونحن لهم سماء ظليلة ، وأرض ذليلة ، وبهم نصول عند كل جليلة ، إن غضبوا فأرضهم ، وإن سألوك فأعطهم ، وإن لم يسألوك فابتدئهم يمنحوك ودهم ، ويحبوك دهرهم ، ولا تنظر إليهم شزرا ، ولا تكن عليهم ثقيلا ؛ فيتمنوا وفاتك ، ويكرهوا قربك ، ويملوا حياتك . وقال أبو تمام :

وإنما أولادنا بيننا
أكبادنا تمشى على الأرض
لو هبت الريح على بعضهم
لامتنعت عينى عن الغمض

والولد ليس ملكا لوالديه فقط ، بل هو ملك للأمة ، ويسعد والداه ، وتسعد الأمة بمقدار توفيقهم فى حسن تربيته ، وإعداده لرسالته فى الحياة إعداداً جسميا وخلقيا ، وعقليا ، وتربية الولد واجب مشترك ، بين الوالدين ، وبين الدولة ، فى المنزل والمدرسة ، إلا أن الواجب الأول ، والعبء الأوفى ، يقع على كاهل الوالدين ، وعلى الوالدة بخاصة فى حال الطفولة والصغر ، لأن تأثر الولد بوالدته فى هذه الحالة يكون قويا .

(١) مجمع الزوائد منبع الفوائد للهيثمى .

وقد قدر الإسلام خطورة هذا التأثر، فمنع أن يتزوج المسلم المشركة، خوفا أن يفتتن الأولاد فى دينهم باتباعها، وكذلك قدر علماء النفس والاجتماع فقالوا:

« إنه على ما يتلقاه الطفل فى المنزل من الوالدين، يتوقف إلى حد كبير، تكوينه وإعداده للحياة ».

وقال الإمام الغزالى: « والصبى أمانة عند والديه، وقلبه الطاهر جوهرة نفيسة ساذجة، خالية من كل نقش وصورة، وهو قابل لكل ماينقش عليه، وقابل إلى كل ما يمال به إليه، فإن عُوِّدَ الخير عُلِّمه وعَلَّمه، ونشأ عليه، وسعد فى الدنيا والآخرة، وشاركه فى ثوابه أبواه، وكل معلم له ومؤدب، وإن عود الشر، وأهمل إهمال البهائم، شقى وهلك، وكان الوزر فى رقبة القيم عليه، الوالى له، وقد قال الله ـ عز وجل ـ:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾

(التحريم ـ ٦)

وقد أرشد الإسلام إلى قواعد عامة لتربية الطفل جسميا وعلميا وخلقيا؛ فأرشد إلى ما يقوى جسمه، ويشد عوده، بممارسة أنواع من الرياضة كالمسابقة والمصارعة، والرماية، والسباحة، وكان النبى ـ ﷺ ـ القدوة العملية فى ذلك، فعن سلمة بن الأكوع ـ رضى الله عنه ـ قال: « مر النبى ـ عليه السلام ـ على نفر من أسلمة ينتضلون فقال: ارموا بنى إسماعيل فإن أباكم كان راميا ارموا وأنا مع بنى فلان قال: فأمسك أحد الفريقين بأيديهم، فقال ـ ﷺ ـ: ما لكم لا ترمون؟ قالوا: كيف نرمى وأنت معهم؟ قال النبى: ارموا فأنا معكم كلكم »[1].

وعن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ قال: « بينا الحبشة يلعبون عند النبى ـ ﷺ ـ بحرابهم دخل عمر فأهوى إلى الحصى فحصبهم بها فقال: « دعهم ياعمر » وصارع النبى ـ ﷺ ـ ركانة فصرعه »

وعن عمر ـ رضى الله عنه ـ « علموا أولادكم السباحة ومروهم يثبوا على الخيل وثبا ».

ودعا الإسلام إلى تعليم الأولاد فى تأكيد فقال: « طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة » ولم يقصرهم على لون منه دون لون إلا أنه يرى أن أولى العلوم بالتعليم هو العلم الدينى، لأنه الوسيلة إلى السعادة فى الدنيا والآخرة، وبتعاليم الدين تستقر النفوس وتطمئن القلوب، وتسعى فى شئونها راضية لا يبطرها نجاح ولا يزلها فشل، لأنها تكل مصائر الأمور إلى الله ـ وجعل التعليم من حق الولد على والده وروى البيهقى عن عائشة ـ رضى الله عنها ـ أن النبى ـ ﷺ ـ: « قال حق الولد على والده أن يحسن اسمه وأن يحسن موضعه ـ أى يختار والدته من أصل طيب ـ وأن يحسن أدبه[2] » وفرض الإسلام العلم على كل مسلم ومسلمة، ولم يقصرهما على لون منه دون لون فلكل منهما أن يأخذ منه ما يلائمه ويعينه على رسالته ووظيفته،

(١) رواه البخارى.
(٢) كنز العمال حـ ١٦.

فللمرأة أن تأخذ منه ما يعدها أن تكون زوجا صالحة تسر زوجها ، وتحسن القيام على شئون منزلها ، وأماً صالحة تحسن تربية أطفالها ، وتوجهها إلى حياة فاضلة سعيدة ، وللرجل أن يأخذ منه ما يعده للرسالة التى يختارها لنفسه ، ويعينه على تحصيل رزقه .

وأرشد الإسلام إلى قواعد عامة فى الفضائل وآداب الاجتماع هى أسمى ما تصل إليه الآداب فى أرقى المجتمعات ، تتمثل فى آيات القرآن الكريم وعمل الرسول - ﷺ - ، وعمل أصحابه . ودعا الآباء إلى أن يأخذوا أبناءهم بها لينشئوهم جيلا صالحا يتحلى بالآداب والفضائل ؛ لتسعد بهم الأسرة وتسعد بهم الأمة ، وتكون كما أرادها الله خير أمة أخرجت للناس قال - تعالى - :

﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ ۚ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ يَٰبُنَىَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِى صَخْرَةٍ أَوْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِى ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿١٦﴾ يَٰبُنَىَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٧﴾ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ ﴾

(لقمان - من ١٤ إلى ١٩)

وقال تعالى :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِيَسْتَـْٔذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا۟ ٱلْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلَٰثَ مَرَّٰتٍ ۚ مِّن قَبْلِ صَلَوٰةِ ٱلْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ وَمِنۢ بَعْدِ صَلَوٰةِ ٱلْعِشَآءِ ۚ ثَلَٰثُ عَوْرَٰتٍ لَّكُمْ ۚ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌۢ بَعْدَهُنَّ ۚ طَوَّٰفُونَ عَلَيْكُم بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾

(النور - ٥٨)

فى هذه الآية يرشد الله الآباء إلى أن يعودوا أطفالهم الاستئذان للدخول عليهم فى أوقات ثلاث هى مظان الراحة ، وعدم التقيد بلياقة فى لبس أو جلوس ، ومظان أن ترفع الكلفة فيها بين الرجل وأهله ، حتى لا يطلع الطفل على مالا ينبغى أن يطلع عليه فى هذه الأوقات وهى : قبل صلاة الفجر ، وعند الراحة فى الظهر ، « ومن بعد صلاة العشاء » وعن عمر بن سلمة أنه كان غلاما صغيرا فى حجر رسول الله - ﷺ - ، وكانت يده تطيش فى الصحفة إذا أكل - أى تتحرك فى الطبق دون انتظام - فقال رسول الله : « ياغلام سم الله وكل بيمينك ، وكل مما يليك[1] إلى آداب كثيرة استفاضت بها السنة وثبتت بالنقل الصحيح عن الصحابة .

وأرشد الإسلام إلى التلطف بالأبناء فى التربية والتوجيه ، حتى لا ينفروا منها ولا يتبرموا بها ولتنغرس فى نفوسهم فى فيض من العطف الأبوى الخالص : وعن النبى - ﷺ - : أنه كان إذا رأى

(١) رواه البخارى

فاطمة - رضى الله عنها - مقبلة قام لها عن مجلسه وأخذ يدها فقبلها . وعنه - ﷺ - أنه قال : « أكرموا أولادكم وأحسنوا أدبهم » « رواه ابن ماجه » وقد جاءه أعرابى فقال : أتقبلون الصبيان فما نقبلهم ؟ فقال له : « أو أملك أن نزع الله من قلبك الرحمة » ؟[1]

وعن أم خالد بنت خالد بن سعيد - رضى الله عنها قالت : « أتيت رسول الله - ﷺ - مع أبى ، وعلى قميص أخضر ، فقال رسول الله - ﷺ - سنه ، سنه وهى بالحبشية : حسنة قالت : فذهبت ألعب بخاتم النبوة فزجرنى أبى . فقال رسول الله : دعها . ثم قال : أبلى وأخلقى ثم أبلى وأخلقى .

وندب الإسلام إلى وجوب العدل بين الأولاد فى العطاء ، حتى ينشأوا متحابين متعاونين ، وأنكر أنه يميز بين البنين والبنات ، حتى لا يحملهم التمايز على عقوق الآباء وجفوتهم ، وعن النبى - ﷺ - : « أن ساووا بين أولادكم فى العطية ، فلو كنت مفضلا أحداً لفضلت النساء »[2]

وينبغى أن يأكل الوالد مع أولاده تأنيسا لهم وقياما على توجيههم ورعايتهم ، وعن سفيان - رضى الله عنه - : بلغنا أن الله وملائكته يصلون على أهل بيت يأكلون جماعة .

بهذه التعاليم يدعو الإسلام الآباء أن يأخذوا أبناءهم ليسعدوا وتسعد بهم الأمة ، وهذه السعادة غاية ما يهدف إليه الإسلام .

(المجلد الحادى والعشرون)

وعن أبى بن كعب - رضى الله عنه - قال كان رجل من الأنصار لا أعلم أحدا أبعد من المساجد منه وكانت لا تخطئه صلاة فقيل له لو اشتريت حمارا لتركبه فى الظلماء وفى الرمضاء قال : ما يسرنى أن منزلى إلى جنب المسجد إنى أريد أن يكتب لى ممشاى إلى المسجد ورجوعى إذا رجعت إلى أهلى فقال رسول الله - ﷺ - « قد جمع الله لك ذلك كله » . رواه مسلم .

(١) رواه البخارى
(٢) السنن الكبرى للبيهقى .

من قادة الخلفاء الراشدين

الفاروق عمر بن الخطاب رضى الله عنه

للأستاذ/ أحمد السيد تقى الدين ٢

هاشم بن عتبة :

ما أن استقر سعد بن أبى وقاص بالمدائن حتى علم بأن (مهران الرازى) قائد جيوش (كسرى يزدجرد الثالث) قد عسكر بجيوش الفرس فى موضع يقال له « جلولاء » وتحصن بها ، وحفر الخنادق حولها ، استعدادا لحرب المسلمين ، كذلك خرج جيش فارسى آخر من الموصل يقودهم رجل يقال له : (الأنطاق) فعسكر بمدينة « تكريت » على نهر دجلة[1] .

فكتب سعد بن أبى وقاص ، إلى عمر بن الخطاب يعلمه بذلك ، فرد عليه بقوله : « سرج هاشم بن عتبة إلى « جلولاء » فى اثنى عشر ألفا ، واجعل على مقدمته القعقاع بن عمرو ، وعلى ميمنته سعد بن مالك ، وعلى ميسرته « عمرو بن مالك بن عتبة » ، واجعل على ساقته « عمرو بن مرة الجهنى » ، وإن هزم الله الجندين : جند مهران ، وجند الأنطاق ، فقدم القعقاع بن عمرو فى آثار القوم ، حتى ينزل بحلوان ، ويكون بين السواد والجبل ، فيكون ردءا للمسلمين » .

وخرج هاشم بن عتبة من المدائن ـ مركز قيادة المسلمين فى ذلك الوقت ـ فى صفر ١٦هـ ـ ، على رأس اثنى عشر ألفا من وجوه المهاجرين والأنصار ، وممن سبق له أن ارتد عن الإسلام ، ثم عاد إليه ثانية .

وفى المقابل كان يزدجرد يحشد الحشود ، ويمد

(١) البلاذرى ، فتوح البلدان ص ٦٥٣ ، الطبرى ٤/ ٢٤ : ٢٥

قواته فى « جلولاء » بآلاف تلو آلاف ، فطلب هاشم المدد من سعد ، فأمده بستمائة فارس ، كان فيهم طليحة بن خويد الأسدى ، وقيس بن مكشوح ، وعمرو بن معدى كرب الزبيدى ، وحجر بن عدى ، وفى النهاية خرج المجوس فى زحف هائل تجاه جيوش المسلمين ، فى حين وقف هاشم خطيبا فى جنوده فقال : « إن هذا المنزل منزله مابعده ، أبلوا بلاء حسنا يتم لكم عليه الأجر والمغنم ، واعملوا لله » ، والتحم الفريقان التحاما هائلا ، ولمح القعقاع خللا فى بعض صفوف المسلمين ، فصرخ فيهم : « أهالتكم هذه ؟ فقالوا : نعم ، نحن مكلون ، وهم مريحون ، والكال يخاف العجز إلا أن يعقب ، فقال القعقاع : إنا حاملون عليهم ومجالدوهم وغير كافين ولا مقلعين حتى يحكم الله بيننا ، فاحملوا عليهم حملة رجل واحد حتى تخالطوهم ، ولا يكذبن أحد منكم » ، فلما أطبق عليهم الليل تحاجز الفريقان ، ولكن القعقاع صرخ فى المسلمين : « أين تحاجزون وأميركم فى الخندق » ، ولم يكن هاشم قائد الجيش قد دخل خنادق المجوس إنما أراد القعقاع أن يدفع المسلمين إلى مطاردة المجوس داخل خنادقهم وحصونهم ، وهو يعلم علم اليقين أن المسلمين لم ولن يقبلوا بترك أميرهم لعدوهم ، فاندفعوا خلف القعقاع فحل الذعر بالمجوس الذين ظنوا أن المسلمين سيبتعدون عنهم حتى يشرق ضوء النهار فى اليوم التالى ، فحلت بهم الهزيمة ، وسقطت « جلولاء » فى غرة ذى القعدة عام ١٦هـ (١) .

القعقاع بن عمرو يفتح حلوان :

ثم أنفذ سعد بن أبى وقاص القعقاع بن عمرو إلى حلوان فانطلق القعقاع فى آثار الفرس على رأس ثلاثة آلاف رجل من المسلمين العرب ، والعجم الذين أسلموا .

أما فى حلوان التى اتخذها يزدجرد الثالث معقلا له فقد وصلت أخبار الهزيمة وانتصار المسلمين وخروج القعقاع إليهم ، فأخلى يزدجرد حلوان فدخلها القعقاع بعد قتال يسير مع حاميتها ، فى حين فر أهلها يلتمسون النجاة ، فأعادهم القعقاع بعد أن أمنهم على أنفسهم نظير الجزية ، فرجعوا إلى ديارهم وأقروا بها ، ولما استدعى سعد بن أبى وقاص القعقاع للعودة إلى الكوفة المقر الجديد لقيادة الجيوش الإسلامية ، اختار القعقاع رجلا من المسلمين العجم ، كان قد اطمأن إلى إسلامه ، وهو قباذ بن عبد الله الفارسى ، الذى كان أول فارسى يتولى قيادة فى عهد عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - (٢) باستثناء الصحابى الجليل (سلمان) - رضى الله عنه - .

جرير بن عبد الله البجلى :

عندما شرع المسلمون فى قسمة غنائمهم من معركة « جلولاء » طلب جرير بن عبد الله البجلى الحصول على ربع الغنائم له ولقومه بجيلة وفق

(١) الطبرى ٤/ ٣٢

(٢) الطبرى ٤/ ٣٤

أول عهده مع عمر بن الخطاب فى بداية فتوح فارس والعراق ، وعندما علم أمير المؤمنين بذلك كتب إلى سعد بن أبى وقاص : « إن شاء جرير أن يكون إنما قاتل وقومه على جُعل كجُعل المؤلفة قلوبهم ، فاعطوهم جُعلهم ، وإن كانوا إنما قاتلوا لله واحتسبوا ماعنده فهم من المسلمين لهم مالهم وعليهم ماعليهم » ، فاستدعى سعد بن أبى وقاص ، جرير بن عبد الله وعرض عليه كتاب الخليفة ، فقال : « صدق أمير المؤمنين وبر لا حاجة لنا بالربع » ، وتبعت بجيلة سيدها طائعة مختارة ماعدا امرأة واحدة لم تسلم ، وطلبت سهم أبيها المتوفى فى القتال فأعطاها عمر[1] .

عبد الله بن المعتم العبسى :

كتب سعد بن أبى وقاص إلى الخليفة عمر بن الخطاب بشأن نزول العجم تكريت على نهر دجلة يقودهم (الأنطاق) ، فكتب إليه عمر : « سرح إلى الأنطاق عبد الله بن المعتم ، واستعمل على مقدمته ربعى بن الأفكل العنزى ، وعلى ميمنته الحارث بن حسان الذهلى ، وعلى ميسرته فرات ابن حيان العجلى ، وعلى ساقته هانىء بن قيس ، وعلى الخيل عرفجة بن هرثمة ، فإن هزموا عدوهم فأمر عبد الله بن المعتم بتسريح ابن الأفكل العنزى إلى الحصنين » ، والحصنان هنا هما : نينوى والموصل ، والأولى مدينة آشورية قديمة شرق دجلة .

وخرج عبد الله بن المعتم من المدائن فى خمسة آلاف رجل حتى بلغ تكريت فوجد جيش الأنطاق يضم جنودا من الفرس والروم وعرب الجزيرة من قبائل إياد وتغلب والنمر والشهارجة ، وقد حفروا خندقا يحتمون وراءه ، فحاصرهم عبد الله بن المعتم الذى قرر أن يستفيد من وجود العنصر العربى فى جيش الأنطاق ، فكتب إليهم يحاول استمالتهم ، فمال بعض بنى تغلب وإياد والنمر إلى الانحياز للمسلمين ، وكتبوا بذلك إلى عبد الله ابن المعتم ، الذى أرسل إليهم يقول : « إن كنتم صادقين بذلك فاشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ، وأقروا بما جاء به من عند الله ، ثم أعلمونا رأيكم » ، فعادت الرسل بإسلامهم ، فكتب إليهم ابن المعتم : « إذا سمعتم تكبيرنا فاعلموا أنا قد نهدنا إلى الأبواب التى تلينا لندخل عليهم منها فخذوا الأبواب التى تلى دجلة وكبروا واقتلوا من قدرتم عليه » .

فكانت نتيجة هذا التدبير من ابن المعتم أن حاقت الهزيمة بالفرس وحلفائهم وسقطت تكريت فى جمادى الأولى عام ١٦هـ .[2]

ربعى بن الأفكل العنزى[3] :

وتنفيذا لأوامر الخليفة بعث عبد الله بن المعتم (ربعى بن الأفكل العنزى) إلى الحصنين : الموصل ونينوى ، وسار ربعى ، ومعه تغلب وإياد والنمر الذين أسلموا وشاركوا فى فتح تكريت وحسن إسلامهم ، وكانوا من أهل الموصل

---

(١) فتوح البلدان ص ٦٢٨/ ٦٧٠
(٢) الطبرى ٤/ ٣٥
(٣) الطبرى ٤/ ٣٥

ونينوى ، فقدمهم ربعى ، وجعل عليهم عتبة بن الوعل من بنى سعد بن جشم ، وذا القرط ، وأبا وداعة بن أبى كرب ، وابن ذى السنينة ، وابن الحجر الإيادى ، وبشر بن أبى حوط ، وكانوا متساندين فى الإمارة ، فساروا مسرعين إلى الحصنين قبل أن يعلم أهلهما بما حدث فى تكريت ، وادعوا الانتصار على المسلمين حتى تمكنوا من السيطرة على أبواب الحصون وفتحوها لجيوش المسلمين ، فدخل ربعى بن الأفكل الحصنين معا ، ونادى فى أهلها بالصلح ، فاستجابوا ، وصارت لهم جميعا ذمة المسلمين ومنعتهم .

واتخذ عبد الله بن المعتم من الموصل بعد ذلك قاعدة له ، على أن سعد بن أبى وقاص استدعى ابن المعتم إلى الكوفة فاستخلف عليها مسلما فارسيا حسن إسلامه هو مسلم بن عبد الله الفارسى .

عمر بن مالك :

حشد هرقل قيصر الروم الجيوش فى حمص وانضمت إليه جموع غفيرة من عرب الجزيرة ، فبعث بهم هرقل إلى (هيث) على نهر الفرات ، فكتب سعد بن أبى وقاص بذلك إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب الذى رد عليه قائلا : « ابعث إليهم عمر بن مالك بن عتبة بن نوفل بن عبد مناف فى جند ، وابعث على مقدمته الحارث بن يزيد العامرى ، وعلى مجنبتيه ربعى بن عامر ، ومالك بن حبيب » .

فخرج عمر بن مالك من المدائن على رأس الجيش تجاه (هيث) وضرب الحصار على من فيها ، وكانوا تحصنوا بخندق حفروه حولهم ، فخلف الحارث بن يزيد على حصارها ، وسار هو بنصف الجيش إلى (قرقيسياء) عند ملتقى نهر الخابور بنهر الفرات ، فاستولى عليها عنوة ، واستجاب أهلها لأداء الجزية .

ثم كتب عمر بن مالك إلى الحارث بن يزيد بشأن المحاصرين فى (هيث) : « إنهم إن استجابوا فخل عنهم فليخرجوا ، وإلا فخندق عليهم خندقا أبوابه مما يليك حتى أرى من رأيى » .

فاستجاب المحاصرون فى هيث واستسلموا [1] .

ضرار بن الخطاب :

حشد الفرس حشدا جديدا فى سهل (ماسبذان) فكتب سعد بن أبى وقاص بذلك إلى عمر بن الخطاب الذى رد عليه : « ابعث عليهم ضرار بن الخطاب فى جند ، واجعل على مقدمته ابن الهذيل الأسدى ، وعلى مجنبتيه عبد الله بن وهب الراسبى حليف بجيلة ، والمضارب بن فلان العجلى » .

ونجح المسلمون بقيادة ضرار فى هزيمة جيوش الفرس ، وأسر (آذين هرمزان) قائد الفرس ، وكان ضرار هو الذى أسره فضرب عنقه ، ودخل

(١) الطبرى ٤/ ٣٧

ماسبذان عنوة ففر أهلها فى الجبال المحيطة بها ، فأمنهم ضرار فعادوا على أن يدفعوا الجزية .

ثم عاد ضرار ليلحق بسعد بن أبى وقاص ، الذى انتقل إلى الكوفة ، واستخلف ضرار على (ماسبذان) ابن الهذيل[1] .

عتبة بن غزوان بن جابر بن وهب[2] :

ثم وجه عمر بن الخطاب عتبة بن غزوان إلى البصرة ، لفتحها وقال له : « قد فتح الله ـ عز وجل ـ على إخوانكم الحيرة وماحولها ، وقتل عظيم من الفرس ، ووطنت خيل المسلمين أرض بابل ، ولست آمن أن يمدهم إخوانهم من أهل فارس ، فإنى أريد أن أوجهك إلى أرض الهند (الأبلة) لتمنع أهل تلك الجيزة من أهل الأهواز وفارس وميسان عن إمداد إخوانهم على إخوانكم ، وتقاتلهم ، لعل الله يفتح عليكم ، فسر على بركة الله ، واتق الله ما استطعت ، واحكم بالعدل ، وصل الصلاة لوقتها وأكثر ذكر الله » .

وأوصاه عمر بقوله : « ياعتبة إنى استعملتك على أرض الهند ، وهو حومة من حومة العدو ، وأرجو أن يكفيك الله ماحولها ، وأن يعينك عليها ، وقد كتبت إلى العلاء بن الحضرمى أن يمدك بعرفجة بن هرثمة ، وهو ذو مجاهدة للعدو ومكايدته ، فإذا قدم عليك فاستشره وقربه .

وادع إلى الله ، فمن أجابك فاقبل منه ، ومن أبى فالجزية عن صغار وذلة ، وإلا فالسيف فى غير هوادة .

واتق الله فيما وليت ، وإياك أن تنازعك نفسك إلى كبر يفسد عليك إخوتك ، وقد صحبت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فعززت به بعد الذلة ، وقويت به بعد الضعف ، حتى صرت أميرا مسلطا ، وملكا مطاعا تقول فيسمع منك ، وتأمر فيطاع أمرك ، فيالها من نعمة إن لم ترفعك فوق قدركَ وتبطرك على من دونك ، احتفظ من النعمة احتفاظك من المعصية ، ولهى أخوفها عندى عليك أن تستدرجك فتسقط سقطة تصير بها إلى جهنم .

أعيذك بالله ونفسى من ذلك ، إن الناس أسرعوا إلى الله حين رفعت لهم الدنيا فأرادوها ، فأر د الله ولا ترد الدنيا ، واتق مصارع الظالمين ، انطلق أنت ومن معك ، حتى إذا كنتم فى أقصى أرض العرب وأدنى أرض العجم فأقيموا » .

وصل عتبة أرض الأبلة فى ربيع الآخر ١٦هـ ، فخطب فى جنوده : « هاهنا أمرتم ، إن أمير المؤمنين أمرنى أن أنزل أقصى البر من أرض العرب ، وأدنى الريف من أرض العجم ، فهذا حيث واجب علينا فيه طاعة إمامنا » .

ثم كتب عمر إلى عتبة يقول : « اجمع الناس موضعا واحدا قريبا من الماء والمرعى ولا تفرقهم » .

ولما علم الفرس بقدوم المسلمين تجاه الأبلة خرجوا لحربهم فى وقعة كانت الغلبة فيها للمسلمين ، وقف عتبة بعد النصر خطيبا فى

(١) الطبرى ٤/ ٣٧

(٢) الطبرى ٣/ ٥٩٠ : ٥٩٧

الجيش يقول : « إن الدنيا تصرمت وولت حذاء ، ولم يبق منها إلا صبابة كصبابة الإناء ، ألا وإنكم منتقلون منها إلى دار قرار فانتقلوا بخير مابحضرتكم ، وقد ذكر لى لو أن صخرة ألقيت من شفير جهنم هوت سبعين خريفا ولتملأنه أو عجبتم ! ولقد ذكر لى أن مابين مصراعين من مصاريع الجنة مسيرة أربعين عاما ، وليأتين عليه يوم وهو كظيظ ، ولقد رأيتم وأنا سابع سبعة مع النبى - صلى الله عليه وسلم - مالنا طعام إلا ورق السمر حتى تقرحت أشداقنا ، والتقطت برده فشققتها بينى وبين سعد فما منا من أولئك السبعة من أحد إلا وهو أمير مصر من الأمصار وسيجربون الناس بعدنا » .

ولما شرع عتبة فى اقتحام الأبلة فرت منها حاميتها الفارسية وعبرت الفرات دون قتال فدخلها عتبة فاتحا فأصاب منها المسلمون الكثير من الغنائم وكتب إلى عمر بن الخطاب يعلمه بالنصر وحمل الكتاب نافع بن الحارث .

وأثار سقوط الأبلة فى يد المسلمين حنق الفرس الذين تجمعت قواتهم فى الأهواز بقيادة (هرمزان) استعدادا للهجوم على جيوش المسلمين ، فكتب عتبة بذلك إلى الخليفة عمر بن الخطاب ، فأمده بنعيم بن مقرن المزنى ، ونعيم بن مسعود ، ودار بين الجانبين قتال هائل كادت الهزيمة تحيق فيه بالفرس لولا أن (هرمزان) طلب الصلح بعد أن أيقن بالهزيمة فقبل عتبة وصالحه على أن يدع للفرس (الأهواز) و (مهرجان قذق) ماعدا نهر (تيرى) و (مناذر) وما غلب المسلمون عليه من سوق الأهواز . على أن هرمزان مالبث أن نقض الصلح ليلتقى الطرفان من جديد عند جسر سوق الأهواز فى معركة حاسمة انهزم فيها هرمزان ، فهرب إلى (رامهرمز) وعاد يطلب الصلح من جديد وأمر عمر بن الخطاب عتبة بقبول الصلح فصالحوه على ما لم يفتحوه من أرض (رامهرمز) و (تستر) و (السوس) و (جندى سابور) و (البنيان) و (مهرجان قذق) ، فأقام هرمزان بها حتى يجبى إليهم خراجها ولا يدخلون عليه وله الذمة والمنعة ، فكانوا يحمونه من غارات الأكراد عليه .

ولما اقترب موسم الحج بعث عتبة إلى أمير المؤمنين يستأذنه فى أداء الفريضة والحج فأذن له ، ولكن عتبة أراد أن يستعفى من ولاية البصرة فرفض عمر وأصر على أن يليها عتبة الذى توفى وهو فى طريقه إليها عام ١٩ هـ .

عياض بن غنم :

وفى عام ١٧ هـ احتشد الروم ومن حالفهم من الأعراب فى الجزيرة بهدف الانقضاض منها على حمص بالشام ، فكتب عمر بن الخطاب إلى سعد ابن أبى وقاص فى الكوفة أن يبعث سهيل بن عدى إلى الرقة بالجزيرة ، وعبد الله بن عبد الله بن عتبان إلى نصيبين ، ثم يفتحا حران والرها ، والوليد بن عقبة إلى عرب الجزيرة من ربيعة وتنوخ ، وأن يرسل جيشا إلى الجزيرة ويجعل عليهم جميعا خالد بن عرفطة أو هاشم بن عتبة أو

عياض بن غنم ، فاختار سعد عياض بن غنم [١] .

وسار سهيل بن عدى إلى الرقة فحاصرها ، فكتب أهلها إلى عياض بن غنم يسألونه الصلح فقبل منهم ، وجاء فى كتاب الصلح : « بسم الله الرحمن الرحيم : هذا ما يعطى عياض بن غنم أهل الرقة يوم دخلها : أعطاهم أمانا لأنفسهم وأموالهم وكنائسهم لاتخرب ولا تسكن إذا أعطوا الجزية ولم يحدثوا مغيلة ، وعلى أن لا يحدثوا كنيسة ولابيعة ، ولا يظهروا ناقوسا ولا باعوثا ولا صليبا ، شهد الله وكفى بالله شهيدا » وختمه عياض بختمه [٢] .

أما عبد الله بن عتبان فقد سار إلى نصيبين تحت لواء عياض كأمر الخليفة فلما أن وصلها وشرع فى حصارها حتى طلب أهلها الصلح ، وفعلوا كما فعل أهل الرقة ، وكتبوا إلى عياض الذى قبل منهم ، وعقد لهم الصلح عبد الله بن عتبان [٣]

وبعد سقوط الرقة ونصيبين سار عياض تجاه (حران) ، و (الرها) على رأس الجيش ، فسار أولا تجاه حران ، وكانت مدينة عظيمة فلما أن بلغتها جيوش المسلمين حتى بادر أهلها إلى طلب الصلح ودفع الجزية .

ثم سار عياض إلى الرها وضرب حولها الحصار ، ووقع قتال بين الجانبين ، انهزم فيه أهل الرها فارتدوا داخل حصونهم وأغلقوها عليهم ثم طلبوا الصلح .

فكتب إليهم عياض : « بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا كتاب من عياض بن غنم ومن معه من المسلمين لأهل الرها ، إنى أمنتهم على دمائهم وأموالهم ، وذراريهم ، ونسائهم ، ومدينتهم ، وطواحينهم ، إذا أدوا الحق الذى عليهم ولنا عليهم أن يصلحوا جسورنا ويهدوا ضالنا ، شهد الله وملائكته والمسلمون [٤] .

ثم سير عياض عثمان بن أبى العاص بن بشر الثقفى إلى أرمينيا فصالحه أهلها على الجزية على كل أهل بيت دينار [٥] .

ووجه عياض الوليد بن عقبة إلى عرب الجزيرة من ربيعة وتنوخ فأخضعها بعد أن انضم إليه من أسلم من تغلب وعرب الجزيرة وسالمه من لم يسلم ، إلا قبيلة إياد بن نزار حيث رحل من لم يسلم منهم إلى المناطق الخاضعة للروم ، فكتب الوليد بذلك إلى الخليفة الذى كتب إلى قيصر يقول : « إنه بلغنى أن حيا من أحياء العرب ترك دارنا وأتى دارك ، فوالله لتخرجنه أو لننبذن إلى النصارى ثم لنخرجنهم إليك » فأخرجهم قيصر فعاد منهم أربعة آلاف [٦] .

على أنه حدثت مشكلة كبيرة بعد ذلك مبعثها أن الوليد بن عقبة رفض أن يقبل من العرب إلا الإسلام ، وكان عامة عرب الجزيرة من تغلب

(١) فتوح البلدان ص ٤٥٦
(٢) المصدر السابق ص ٤٥٧
(٣) الطبرى ٤/ ٥١
(٤) فتوح البلدان ص ٤٩٩
(٥) الطبرى ٤/ ٥٣
(٦) الطبرى ٤/ ٥٤

ومنهم من أسلم ومنهم من لم يسلم ، وكانت حجته أن العرب لا يقبل منهم إلا الإسلام ، فلا يقبل منهم كفر ولا ذمة ، ولكن بنى تغلب رفضوا وقالوا : « أما من نقب على قومه فى صلح سعد ومن كان قبله فأنتم وذلك ، وأما من لم ينقب عليه أحد ولم يجر ذلك لمن نقب فما سبيلك عليه ؟ » ، وكانوا يقصدون بذلك الوفد الذى كان قد قدم على رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ مسلما ، وعرب تكريت والموصل الذين أسلموا .

فكتب الوليد إلى عمر بن الخطاب يستشيره فى ذلك ، فرد عليه : « إنما ذلك لجزيرة العرب لا يقبل منها فيها إلا الإسلام ، فدعهم على أن لا ينصروا وليدا ، واقبل منهم إذا أسلموا » .

فأسلم بعضهم وبقى بعضهم على دينه ، فوجبت عليهم الجزية ، فنصح منهم الوليد بن عقبة بقولهم : « لا تنفروهم بالخراج فيذهبوا ، ولكن ضعفوا عليهم الصدقة التى تأخذونها من أموالهم ، فيكون جزاء ، فإنهم يغضبون من ذكر الجزاء على ألا ينصروا مولودا إذا أسلم آباؤهم » .

لكن الوليد رفض وأصر على أن يجبى منهم الجزية ، وكان فى تغلب عز وامتناع فنازعوا الوليد ، فلما علم عمر بن الخطاب قبل منهم الصدقة مضعفة وعزل الوليد وأمر بدلا منه فرات ابن حيان العجلى ، وهند بن عمرو الجملى[١] .

العلاء بن الحضرمى :

هو عامل عمر بن الخطاب على البحرين ، أخذته الغيرة وهو يسمع أخبار الفتوح ، وأبى إلا أن يكون له دور فيها ، وكان قد كتب إلى عمر بن الخطاب يستأذنه فى غزو فارس ، فرفض عمر ، فما كان منه إلا أن استنفر أهل البحرين لغزو فارس دون إذن الخليفة ، فتسابق أهل البحرين المتعطشين للجهاد إلى تلبية النداء ، وقسم العلاء جيشه إلى مجموعات ثلاث الأولى عليها الجارود بن المعلى ، والثانية السوار بن همام ، والثالثة خليد بن منذر بن ساوى ، وعبر الجيش الخليج ، ورست السفن على الساحل الفارسى من ناحية اصطخر ، فاصطدم الجيش بجيش فارسى جرار ووقع قتال هائل تحطمت فيه سفن المسلمين فقطع عليهم خط الرجعة وحصروا بين البحر والفرس ، واستشهد الجارود بن المعلى ، والسوار بن همام ، وولده عبد الله ، وأحاط الفرس بالمسلمين فى كل مكان .

ولما علم عمر بما حدث غضب مما فعل العلاء ، وعزله عن البحرين ، وأمره بالمسير إلى سعد بن أبى وقاص ، بالكوفة ليكون تحت إمرته ، وكتب إلى عتبة بن غزوان : « إن العلاء بن الحضرمى حمل جندا من المسلمين فأقطعهم أهل فارس وعصانى ، وأظنه لم يرد الله بذلك ، فخشيت عليهم أن لا ينصروا وأن يغلبوا وينشبوا ، فاندب إليهم الناس ، واضممهم إليك قبل أن يُجتاحوا » .

ولبى عتبة نداء الخليفة وانتدب لاستخلاص المسلمين المحصورين على الساحل الفارسى صفوة فرسان المسلمين ، وكان فيهم عرفجة بن هرثمة ، وحذيفة بن محصن ، ومجزأة بن ثور ، ونهار بن

(١) الطبرى ٤/ ٥٦

الحارث ، والترجمان بن فلان ، والحصين بن أبى حر والأحنف بن قيس ، وسعد بن أبى العرجاء ، وعبد الرحمن بن سهل ، وصعصعة بن معاوية ، وعاصم بن عمرو ، وغيرهم يقودهم أبو سبرة بن أبى رهم ، فاستخلصوا المسلمين من الفرس بعد معركة عنيفة وعادوا بهم إلى البصرة [١]

عمر بن الخطاب يعزل سعد بن أبى وقاص [٢]

ادعى نفر من أهل الكوفة على أميرها سعد بن أبى وقاص : « أنه لا يقسم بالسوية ، ولا يعدل فى القضية ، ولا يغزو فى السرية ، ولا يحسن الصلاة » ، فأرسل عمر محمد بن مسلمة للنظر فى الأمر ، وجعل الأخير يطوف بسعد على مساجد الكوفة يسأل المصلين عنه ، فكان لا يسأل أحدا إلا قال : « لا نعلم إلا خيرا ، ولا نشتهى به بدلا ، ولا نقول فيه ، ولا نعين عليه » .

على أن رجلا يدعى أسامة بن قتادة قال : « اللهم إن نشدتنا فإنه لا يقسم بالسوية ، ولا يعدل فى الرعية ، ولا يغزو فى السرية » .

فقال سعد : « اللهم إن كان قالها كاذبا ورياء وسمعة ، فاعم بصره ، وأكثر عياله ، وعرضه لمضلات الفتن » ، وكان سعد - رضى الله عنه - مستجاب الدعوة ، فعاش هذا الرجل حتى عمى ، واجتمع عنده عشر بنات ، ويتعرض للجوارى ، فإذا خوطب فى ذلك يقول : « مفتون أصابته دعوة سعد بن أبى وقاص الرجل المبارك » .

ورغم أن عمر استيقن تماما من كذب الافتراءات على سعد بن أبى وقاص ، إلا أنه آثر أن يعزله احتياطا ، لا لريبة فيه ، ولكن لأن الكوفة كانت بمثابة قاعدة الانطلاق لفتوح فارس ، ومركز التحكم والسيطرة عليها ، وكان من الضرورى لعمر فى هذا الوقت أن يولى رجلا لا يختلف فيه الناس ، ويتوحدون حوله ، فعزله ، وولى مكانه عمار بن ياسر على الحرب ، وعبد الله ابن مسعود على القضاء ، وعمرو بن حنيف على الخراج .

النعمان بن مقرن المزنى [٣] :

واصل (يزدجرد الثالث) فراره أمام زحف المسلمين حتى استقر به المقام فى مدينة (قم) ومنها وجه نداءه إلى أهل فارس لحرب المسلمين ، فتقاطروا إليه من كل أقطار بلاد فارس ، حتى اجتمعت إليه جموع عظيمة ، فولى أمرهم مردان شاه بن هرمز ووجههم إلى (نهاوند) .

وكتب عمار بن ياسر بذلك إلى عمر بن الخطاب ، الذى صعد المنبر ممسكا بكتاب عمار وقال : « يامعشر العرب ، إن الله أيدكم بالإسلام ، وألف بينكم بعد الفرقة ، وأغناكم بعد الفاقة ، وأظفركم فى كل موطن لقيتم فيه عدوكم ، فلم تُفَلُّوا ولم تغلبوا ، وإن الشيطان قد

---

(١) الطبرى ٤/ ٧٩

(٢) الطبرى ٤/ ١٢٢ ، الأخبار الطوال ص ١٢٩

(٣) الأخبار الطوال ص ١٣٣ : ١٣٦ الطبرى ٤/ ١١٩

جمع جموعا ليطفىء نور الله ، وهذا كتاب عمار بن ياسر يذكر أن أهل قومس ، وطبرستان ، ودنباوند ، وجرجان ، والرى ، وأصبهان ، وقم ، وهمذان ، والماهين ، وماسبذان ، قد أجفلوا إلى ملكهم ليسيروا إلى إخوانكم بالكوفة والبصرة، حتى يطردوهم من أرضهم ويغزوكم فى بلادكم فأشيروا على » .

فتكلم طلحة بن عبيد الله فقال : « . . أنت الوالى فمرنا نطع . . » ، ثم تكلم عثمان بن عفان فنصح بأن « . . اكتب إلى أهل الشام . . وإلى أهل اليمن . . وإلى أهل البصرة . . وسر أنت بأهل هذا الحرم حتى توافى الكوفة وقد وافاك المسلمون من أقطار أرضهم وآفاق بلادهم ، فإنك إذا فعلت ذلك كنت أكثر منهم جمعا وأعز نفرا » .

ففى حين قال على بن أبى طالب : « . . إنا لم نقاتل الناس على عهد نبينا ـ صلى الله عليه وسلم ـ بالكثرة . . » ونصح بأن يستعين بثلث الجند فقط من كل مصر من الأمصار والكور ، وأخذ عمر برأى على فكتب بذلك إلى الأمصار ، وقال : « لأولين الحرب رجلا يكون غدا لأسنة القوم جزرا » فولى النعمان بن مقرن المزنى ، واستدعى (السائب بن الأقرع) فدفع إليه عهد النعمان بن مقرن ، وقال له : « إن قتل النعمان فولى الأمر حذيفة بن اليمان . وإن قتل حذيفة ، فولى الأمر جرير بن عبد الله البجلى ، وإن قتل جريرة فالأمير المغيرة بن شعبة ، وإن قتل المغيرة فالأمير الأشعث بن قيس » .

وكتب عمر إلى النعمان بن مقرن : « إن قبلك رجلين هما فارسا العرب : عمر بن معدى كرب ، وطليحة بن خويلد ، فشاورهما فى الحرب ولا تولهما شيئا من الأمر » ، ثم قال للسائب : « إن أظفر الله المسلمين فتول أمر المغنم ، ولا ترفع إلىّ باطلا ، وإن يهلك ذلك الجيش فاذهب فلا أرينك » .

ووصلت إلى النعمان كتب الخليفة ، فزحف بالجيش حتى نزل بمكان يسمى « الإسفيذهان » قرب نهاوند .

ووقف النعمان يخطب فى الجيش :

« قد علمتم ما أعزكم الله به من هذا الدين ، وماوعدكم من الظهور ، وقد أنجز لكم وأدى ماوعدكم وصدوره ، وإنما بقيت أعجازه وأكارعه ، والله منجز وعده ومتبع آخر ذلك أوله ، واذكروا ما مضى إذ كنتم أذلة وما استقبلتم من هذا الأمر وأنتم أعزة ، فأنتم اليوم عباد الله حقا وأولياؤه .

وقد علمتم انقطاعكم من إخوانكم من أهل الكوفة ، والذى لهم فى ظفركم وعزكم ، والذى عليهم فى هزيمتكم وذلكم .

وقد ترون ماأنتم بإزائه من عدوكم ، وما أخطرتم ، وما أخطروا لكم ، فأما ما أخطروا لكم فهذه الرثة ، وما ترون من هذا السواد ، وأما ما أخطرتم لهم فدونكم وبيضتكم ، ولا سواء ما أخطرتم ، وماأخطروا ، فلا يكونن على دنياهم أحمى منكم على دينكم ، واتقى الله عبد صدق الله وأبلى نفسه فأحسن البلاء ، فإنكم بين خيرين منتظرين إحدى الحسنيين ، من بين شهيد حى مرزوق ، أو فتح قريب وظفر يسير ، فكفى كل رجل ما يليه ، ولم يكل قرنه إلى أخيه فيجتمع

البقية ص ـ ٧٩٤ ـ

من أعلام الأزهر

محمود خطاب السبكى

مؤسس الجمعية الشرعية وداعية الإسلام بمصر

للأستاذ الدكتور
محمد رجب البيومى

حدثنى عالم فاضل من كبار علماء الأزهر ، وأحد أساتذة النحو بكلية اللغة العربية فى الثلاثينيات قال :

كنت فى مسجد الرفاعى بالقاهرة أنتظر صعود الخطيب إلى منبر الجمعة يعظ الناس كعادته ، فلم أجده ، وتطلع الناس إلى خطيب بين جموع الحاضرين يقوم بدور الخطيب الغائب ، فتوجهت الأنظار إلىّ وأنا معروف لدى الجميع بأنى من العلماء ولكنى اعتذرت آسفا ، لأنى لم أعتد الارتجال فى مثل هذا المقام ، واشتد الحرج بنفسى ، حتى أنقذ الموقف رجل من رجال الجمعية الشرعية يشتغل تاجرا فى محل للبقالة ،

ولكنه يلوثُ عمامة على رأسه ، فصعد إلى المنبر وألقى خطبة ممتازة لا تقل عن خطب الواعظ الغائب ، بل ربما أربت عليه ، والرجل بعد لم يترب فى معهد أزهرى ، ولم يجلس إلى مدرس رسمى ، ولكنه حفظ القرآن الكريم كبيراً على يد الإمام محمود خطاب السبكى مع نفر مثله يبلغون المئات ، ثم حضر دروسه فى المسجد أمدا من الدهر ، ومرن لسانه على القول ، فأدى دور الواعظ بإتقان .

والذى تجب ملاحظته فى هذا المجال أن القرآن مصدر ثقافة للمسلم ، فالإنسان إذا حفظ كتاب الله فى لغته البليغة تطلع تلقائيا إلى معرفة معانيه ، وألم بأغراض كثيرة من أفانين التشريع والتاريخ والأخلاق وشئون العقيدة ، وعالم الغيب فى اليوم الآخر ومابه من مشاهد الحساب والبعث والصراط والجنة والنار ، فإذا ضم إلى ذلك قراءة الحديث من نفسه .. ولو لم يسمعه من شيخه - فإن إضافات جديدة تنير عقله ، وترفع من مستواه ، ومثل هذا الرجل المتطلع لا يستطيع أن يهمل رغبته فى قراءة ما يستطيع فهمه من كتب التفسير والحديث والفقه ، وهو بهذا الزاد جدير أن يعظ الناس .

لعل الإمام محمود خطاب السبكى ، قد عرف ذلك كله حق المعرفة حين صمم على إنشاء قسم للوعظ من أبناء الجمعية الشرعية التى أنشأها بنضاله المتصل ، فقد عرف أن الوطن عند إنشاء هذا القسم الأهلى لم يعين وعاظا يطوفون بالقرى والمدن داعين إلى الله ، كما حدث من بعد ذلك ولمس الحاجة إلى هذا الضرب من الوعظ ، كى يهدى الحائر ، ويرشد الضال ، ثم رأى أن أكثر طلاب الأزهر لعهده يقرءون المتون والحواشى والتقارير ، ويهتمون بعلوم اللسان دون أن تكون أدوات الخطابة المنبرية مما يدرسون ، فأنشأ بالجمعية قسما للوعظ ، لم يقصر أصحابه على سن معينة ، ولكنه دعا الراغبين فى العلم إلى استماع دروسه ودروس زملائه من أعضاء الجمعية ، وألف من الكتب ما يهديهم إلى تحقيق رسالتهم من كافة الوجوه ، ألف كتاب « الدين الخالص » فى تسعة أجزاء كبار تشمل العبادات والمعاملات وتحارب « البدع والمنكرات » حتى أصبحت الدين الخالص لدى أتباع الشيخ بمنزلة كتاب « الإحياء » لأبى حامدا الغزالى ، وشرح « سند أبى داود » فى أجزاء عدة تبلغ ثلاثة عشر مجلدا كتب ذلك كله ، وشرح ذلك كله بأسلوب واضح يقرؤه القارىء فيجد المعنى الواضح ، والدليل المقنع ، والإنارة البصيرة ، ومن ذاق هذا الضرب من الكلام سيقرأ ما تقع عليه يده من كتب التراث ، وبذلك أصبح هؤلاء المتطوعون من التجار والصناع والعمال رسل هداية ، لا يبتغون عليها أجرا ولا شكورا فهم وعاظ متطوعون ، ولهم زملاء فى الجمعية الشرعية اصطفاهم الأستاذ من نجباء الفتيان حين توسم فيهم المعرفة ، فأعدهم إعداداً أكثر تنظيما ، ليكون دعاة رسميين فى مساجد

الجمعية ، يطوفون البلاد مذكرين هادين ، ولهم سمتهم الخاص ، ومنهجهم فى محاربة البدع ، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وهذه الحركة التنويرية أدت دورها على نحو ناجح لم يكن يتوقعه الشيخ حين بدأ التجربة ، ولكنه غرس البذر وتعهده ، ثم رأى الزرع الناضر والثمر البهيج .

كان الوعظ ضرورة ماسة حين أنشأ الشيخ السبكى دروس الوعظ سنة ١٩١٤ م ، ومن قبل هذا التاريخ بعامين أنشأ ذوو الغيرة من المسلمين داراً للوعظ والإرشاد على نحو أوسع ، إذ لم يكن الغرض منها إرشاد المصريين فى الداخل فحسب ، بل المراد الأكبر تخريج دعاة للعالم الإسلامى كله وبمختلف لغاته ، إذ أن المسلمين يفتقرون إلى ضرب من التوجيه الصادق يقاوم التبشير الزاحف بماله وإغرائه على مواطن كثيرة من مواطن الإسلام ، فرأس الأستاذ محمود سالم بك جمعية إسلامية لنشر الدعوة ، وقام الأستاذ محمد رشيد رضا بإدارة مدرسة الدعوة بحيث تدرس فيها جميع العلوم والفنون التى تدرس فى الكليات العالية مع اهتمام زائد بالتربية الدينية وكانت المدارس ـ كما يقول المنار ـ تقبل فى عداد طلبتها شباب المسلمين الذين تتراوح أعمارهم بين العشرين والخامسة والعشرين ، على أن يكونوا قد حصلوا من العلوم ما يسمح لهم بتلقى هذه الدروس العالية المستوى ، وكانت تفضل من الطلاب من يجيئون من الخارج كأبناء الهند ، والملايو ، والصين وأندونسيا ، وغيرها ، ثم يعطى الطالب فى آخر السنة الثالثة شهادة مرشد تؤهله للدعوة بين المسلمين ، ولكن المدرسة لم تستمر على ما كان يرجى لها من ذيوع ، لأن الحرب العالمية الثانية قد أوقفت سيرها بأمر انجليزى كما أوقفت هذه الحرب دروس الشيخ محمود خطاب فى مساجد الجمعية الشرعية ! والفرق بين الجمعيتين أن جمعية الشيخ رشيد قد أغلقت إلى غير عودة ، أما مدارس الشيخ السبكى فقد عادت إلى طريقها منذ زال الخطر بانتهاء الحرب ، ولن أقول إن الشيخ السبكى قد تأثر بمدرسة الدعوة والإرشاد ، فحاول أن يحذو حذوها ، بل أقول إنه لمس حالة الجهالة الدينية فى الشعب المصرى فحاول إنقاذه على يد دعاة يعرفون كيف يخاطبونه بالتى هى أحسن ، ولم يمتد بصره إلى العالم الإسلامى الفسيح ، لأنه يقدر إمكانياته المتواضعة ، ويرسم الخطط باتئاد هادىء ، وقد رأى فى احتياج الأمة داخليا ما شغله عن الاهتمام بالخارج ، إذ لا يجوز لعاقل أن يصلح بيوت الجيران ، قبل أن يصلح بيته ، ولعله كان ينوى ويأمل أن يمتد إلى أكثر ما اتجه إليه ، ولكن الأمل شىء ، والحقيقة شىء آخر .

لقد قفزت إلى الحديث عن مدارس الوعظ ومساجد الدعوة ، دون أن أقول شيئا عن حياة الشيخ ، ولعلى أكون قد شوقت القارىء إلى معرفة تاريخه بما أسلفت من حديث الدعوة ، فالرجل لا يزال فى حاجة إلى كتاب مستقل يتحدث عن مآثره الكثيرة ، وقد تجاهله أكثر من كتبوا عن أئمة الإصلاح الدينى فى هذا العصر ، وما كان لهم أن يتجاهلوا مثله ، لأن آثاره لا تزال باقية ، وجمعيته

الشرعية تملأ ربوع الجمهورية بمساجدها ، ومبرَّاتها الخيرية ، ومصحاتها الطبية ، على نحو ما سأشير إليه الآن !

ولد الشيخ محمود خطاب فى سنة ١٨٥٨ م فى قرية سبك الأحد بالمنوفية ، وكان والده عمدة القرية يملك أرضا زراعية ، ويجمع حوله أبناء البلدة ، فشب ولده فى بيئة ذات ثراء مناسب ، وجعل منذ صغره يباشر أعمال الزراعة ويغرس نبات الحديقة المحيطة بالمنزل ، ويخالط أهل الخبرة فى مسائل الغرس والحصد ، بل فى كل ما يمت إلى العمالة القروية من نجارة وحدادة وتجارة وغيرها ، وتلك النشأة أفادته فى حياته العلمية والإرشادية ، إذ جعلته ابن قرية يفهم مشكلات الفلاحين ، ويقف على أعباء الفعلة من العمال والكادحين ، ولم تشغله مسائل الزراعة والحرف اليدوية عن التعلم على يد مدرس خاص ، ولكن أمد إقامته بالريف قد طال حتى بلغ التاسعة عشرة من عمره ، فسافر إلى القاهرة للالتحاق بالأزهر الشريف ، وكان الالتحاق حينئذ بالجامع الأزهر لا يتقيد بسن معينة ، ولكن علو سنه بالنسبة للطالب الناشىء قد أفاده قدرة على التحصيل المستوعب . فاستطاع فى أمد يسير أن يلحق بمن سبقوه ، وكانت حياته الريفية شغله الشاغل ، إذ لمس من البدع والمنكرات فى قريته وفى الريف بعامة مالا يتفق مع قواعد الشرع الحنيف ، وأخذ يوازن بين ما يقرأ فى كتب الأزهر وما يرى من بدع تتعلق بحفلات الذكر وجمع النذور وزيارة الموتى على سبيل التوسل ، ووجود طبقة تدعى التصوف ، وهى جاهلة بحقيقته الأصيلة ، مريضة بداء التواكل لا ترتزق بعمل ، ولكن تعيش على صدقات الناس ظانة أن هذا الكسل الخامل عبادة مشروعة ، قرأ الطالب كتب الشريعة فى منابعها الصافية ، وأدرك فداحة مايقع فيه الريفيون من أخطاء ، فما حانت فرصة الأجازة السنوية ، حتى ذهب إلى قريته منكرا كل ما يرى من المشاهد المخالفة لمنهج الإسلام ، ورأى مقاومة عنيفة ممن وصفوه بالإلحاد والزندقة ، وكان الطالب عمليا فى سلوكه حيث صبر وصابر وجاهد بالتى هى أحسن ، ثم انتظر حتى عاد إلى الأزهر ، فوجه أسئلة دينية مكتوبة إلى كبار الأساتذة خاصة بما يرى من البدع والمنكرات لتكون الإجابة سلاحا فى يده ، ولم يتوان شيوخه عن الإجابة والتوقيع على ما يؤيد منهجه ، فحمل هذه الإجابة الموقعة إلى قريته ، وخطب الناس مستندا إلى ما فى يده ، وتم له النصر بالقضاء على هذه البدع فى قريته ، ففرح فرحا شديدا ، وأصر على أن تكون القرى المصرية مبرأة من هذه المثالب ، ومن هنا نشأت فى نفسه ضرورة تأليف الجمعية الشرعية ليقوم أبناؤها بإرشاد القوم فى القرى والمدن إلى حقيقة الدين ، وكان الرجل عمليا فى موقف خاص بها فقد مات والده وهو كبير القوم فى ملئه ، والشائع المتبع أن يقام له سرادق فخم يستمر ثلاث ليالى ، وأن يشيع جثمانه بمشهد حافل

تظلله البيارق والرايات ، وأن ينشد المنشدون قصيدة البردة فى مدح الرسول منغمة طول الطريق حتى تصل الجنازة إلى مستقرها من القبر ، وأن يفد كبار القراء المشاهير ليحيوا الليالى الثلاث ، كما يتوافد الأجانب من القرى طيلة هذه الأيام الثلاثة يأكلون ويشربون وينامون ، وأهل الراحل من غير طبقة الشيخ السبكى يقعون فى حيرة حين يموت منهم أحد ، إذ هم مضطرون إلى هذه المراسيم حتى لا يكونوا موضع المؤاخذة من الناس ! مات والد الشيخ فى هذه البيئة ذات التقليد المتبع ، ولكن المغرمين جاءوا للتعزية فلم يجدوا السرادق ولا القراء ، وجاء أصحاب الرايات والأعلام فصدهم الشيخ وأمرهم بالرجوع ، ثم سارت الجنازة فى خشوع ، ورجع الناس إلى المنزل الكبير ليعظهم الشيخ ، وليخبرهم أن ما صنعه فى تشييع والده هو ما جاء به الشرع الشريف ، وأن خراب المنازل فى إقامة الحفلات الباهظة مما لا يرضاه الله ، ومن ثم صار هذا النهج متبعا فى قرية الشيخ ، وإن قوبل بمعارضة فى غيرها ، ولكنه فعل ما استراح إليه ، وجنب من وافقه كثيرا من الأعباء .

ولم ينته الطالب الذكى عند هذا الموقف العملى ، بل رأى أن يصدر كتابا يجمع البدع المنكرة ، ويردها بلسان القرآن والحديث وأقوال الصحابة والتابعين ، ثم أخذ موافقة على ما كتب من كبار شيوخه ، وكانت دعوة الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده إلى محاربة المنكرات قد بدأت تذيع فى الناس ، حيث قامت مجلة « المنار » بنشر آرائه على وجه متسع ، وقام تلاميذه بالكتابة فى الصحف والخطابة على المنابر فى استهجان كل مالا يتصل بالدين من بدع ، ولا أدرى لماذا لم يشر الشيخ محمود خطاب إلى آراء الإمام ، ولم يأخذ توقيعه فيمن أخذ توقيعهم من الشيوخ ، والرجل العظيم كبير العلماء ، ومفتى الديار المصرية الرسمى ! لعله لمس كراهية الوصوليين لمنحى الإمام ، وقيام نفر من جهلة المشايخ بالحملة على آرائه الصائبة ، فرأى أن يكون عنه بمنأى ، على أن الشيخ قد ناصره وأيده حين شاعت آراء الطالب النابه فى قرى الريف ، واشتكى المغرضون منها إلى رجال الحكم بالعواصم المختلفة ، فكتب المسئولون إلى الشيخ الإمام يطلبون فتواه فيما أذاع الشيخ السبكى ، إذ أحدثت آراؤه شغبا فى الناس ، وكادت تؤدى إلى فتنة فى المساجد والمجامع العامة ، جاء كتاب المسئولين إلى المفتى الأكبر ، فأقر كل ما قاله الشيخ محمود خطاب السبكى ، وأعلن أنه النهج المتبع عند من يستمعون القول فيتبعون صوابه ، وكسب الشيخ السبكى بذلك معاونة رجال الإدارة من مأمورى المراكز ، وضباط النقط فى القرى والبلاد ، وهذا نصر آخر كتب له ، بعد أن وفق إلى جعل قرية (سبك الأحد) نموذجا للاحتذاء .

رأى الشيخ محمود أن يتقدم لامتحان الشهادة العالمية بالأزهر ليكون عالما رسميا فى نظر العامة والخاصة ، لأن خصومه قد أشاعوا عنه قلة

بضاعته من العلم ، وأنه يلجأ إلى الوعظ الجمهورى الذى لا يكلفه غير شرح آية أو تفسير حديث ، أما التعمق فى أصول الشريعة وعلوم اللغة والنحو فهو بعيد عنه ، ولا يجوز لمثله أن يتصدر للوعظ والإرشاد ؛ تقدم الشيخ لامتحان العالمية فى سن التاسعة والثلاثين ، وسن كبيرة بالنسبة لمن يحرزون الشهادة قبل الثلاثين ، ولكن ذلك لا يمنع قانونيا من اجتياز الامتحان ، وكان الامتحان لعهده شفويا فقط يدور حول إحدى عشرة مادة علمية لكل مادة يومها الخاص بها ، والممتحنون من كبار العلماء بالأزهر ، يمتحنون المادة لجميع المتقدمين فى يوم واحد من الصباح إلى الغروب ، وكان هؤلاء لا يزيدون على سبعة أو ثمانية كل عام ، لأن رهبة الامتحان ، وطول مدته النسبية ، ونقاش الكبار من الفحول كانت تصد الكثيرين عن الاقتحام فى لجة عاتية لا تؤمن عقباها ، وكان من الممتحنين الكبار بعض من لا يرضون عن حركة الشيخ الإصلاحية ويعدونها حبا للتظاهر ورغبة فى ذيوع الاسم ونباهة الصيت ، ولكن الحق لابد أن يفوز ، فقد وفق الشيخ فى إجاباته المختلفة على كل ما قدم إليه من أسئلة ، ورأت اللجنة أن يفوز بالدرجة العلمية عن جدارة ، ومن ثم جاز له أن يصبح مدرسا رسميا بالأزهر ، أخذ يختار من نبهاء الطلاب من يتطلعون إلى إصلاح دينى ، ترتكز مبادئه على القرآن والحديث ، وكابد عناء فى إفهام تلاميذه أن المذاهب الفقهية متقاربة ، وأن انتساب الطالب الأزهرى إلى مذهب معين ، لا يجوز أن يعوقه عن الاطلاع على المذاهب الأخرى ، فإذا رجح لديه دليل فى مذهب آخر كان أولى باتباعه ، وضرب المثل لهم بمفتى الديار المصرية الأستاذ الإمام محمد عبده ، حيث إنه شيخ الحنفية الرسمى ، ولكنه فى فتاواه لا يتقيد بالمذهب الحنفى إذا رأى الدليل القوى فى مذهب سواه ، بل إنه يترك المذاهب الأربعة إلى آراء أخرى يجدها فى كتب الأعلام تنسب إلى كبار الصحابة والتابعين ، وتكون معتمدة لدى من تلاهم من أئمة الفقهاء مثل الأوزاعى وسفيان الثورى وابن المبارك وابن حزم وطاووس ، وحين شرح الشيخ محمود خطاب فى كتابة تأليفه المتسع (الدين الخالص) كان هذا الاتجاه واضحا لديه ، ولم تمض سنوات يسيرة حتى رأى الرجل أن لديه من نوابغ الطلاب وأفاضل المدرسين من يؤيدون طريقه الإصلاحى ، ففكر فى إنشاء جمعية تدعو إلى الله ، بعيدة عن الأزهر الرسمى . لأنه باستقلاله فى هذه الجمعية يستطيع أن يكون أكثر حركة ، ويستطيع أن تبعث مؤيديه من تلاميذ الجمعية إلى المدن والقرى المصرية ليرشدوا الناس دون أن يجدوا معارضا من جهات مسئولة ، وهكذا أصبح تأليف الجمعية شغله الشاغل حتى وفقه الله إليه ، فصارت الجمعية واقعا ملموسا ، وقامت برسالتها على نحو ما نشاهده الآن فى مصر جميعها ، وذلك بتأييد الله ورضاه !

« يتبع »

طرائف ومواقف

للأستاذ : عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

نعم الفائز

قال بعض العلماء : إذا ابتليت فثق بالله ولا تجزع ، وإذا عوفيت فاشكر الله ولا تقطع ، وإذا وقف بك أمر فلا تيأس ولا تطمع ، وفوض أمرك إلى الله ، فنعم الملجأ ونعم المرجع ، فإذا فعلت فقد فزت بخير الدارين أجمع .

إذا

إذا جهلت ، فاسأل .

وإذا أسأت ، فاندم .

وإذا ندمت ، فأقلع .

وإذا فُضلت على أحد ، فاكتم .

المنُّ يفسد المعروف

فلا تك منَّانا بخير فعلته
فقد يفسد المعروف بالمنِّ صاحبه.

كلمات

اثنان لا تنساهما أبدا : ذكر الله ، والموت ، واثنان لا تتذكرهما أبدا : إحسانك إلى الناس ، وإساءة الناس إليك .

نصيحة

قال الأحنف بن قيس لولده :

يابنى : إذا أردت أن تؤاخى رجلا فأغضبه ،

فإن أنصفك فألزمه ، وإلا فاحذره ، فالإنصاف وقت الغضب من شيم الأكرمين .

الكبر يؤدى إلى الوضاعة

قال معاوية بن أبي سفيان :

إن التواضع مع البخل والجهل ، أزينُ بالرجل من الكبر مع البذل والعقل ، فيالها من حسنة غطت على سيئتين كبيرتين ، ويالها من سيئة غطت على حسنتين عظيمتين .

العقل

وأفضل قسم الله للمرء عقله
فليس من الخيرات شيء يقاربه
إذا اكمل الرحمن للمرء عقله
فقد كملت أخلاقه ومآربه

أعجب شيء

قال حكيم : أعجب شيء رأيته ، رجل بيده القرآن الكريم ، ويطلب علما سواه ، وأعجب منه قلب عرف الله ثم عصاه .

المبادرة بالعمل الصالح

قال الحسن البصرى : بادروا بالعمل الصالح قبل حلول الأجل ، فإن لكم ما أمضيتم لا ما أبقيتم .

وكان خالد بن معدان يقول :

إذا لم تزرع وأبصرت حاصدا
ندمت على التفريط فى زمن البذر

وقال أمير المؤمنين على بن أبي طالب - رضى الله عنه - لأصحابه يوماً : فيم أنتم ؟ قالوا : نرجو ونخاف ، فقال : من رجا شيئاً طلبه ، ومن خاف شيئاً هرب منه . وقال الشاعر :

ترجو النجاة ولم تسلك مسالكها
إن السفينة لا تجرى على اليبس

دعاء

اللهم إنك تعلم أنى ماكفرت بك منذ آمنت ، ولا أضمرت لك فى قلبى غير ما يضمر المؤمنون الموحدون ، فاغفر لى آثامى وذنوبى . فإنى ما أذنبت عنادا لك ، ولا تمردا عليك ، ولكنها النفس غلبتنى على أمرى ، وحالت بينى وبين طاعتك ، وأنت أجلّ من أن تقاضينى مقاضاة الدائن غريمه ، لأنك كريم ، والكريم يمنح العطية منحا ، ولا يقرضها قرضا ، ويسبغ نعمته الوارفة الظليلة ، حتى على العصاة والمجرمين .

«من كتاب النظرات» بتصرف

فقه المصطلحات العلمية

للأستاذ الدكتور: أحمد فؤاد باشا

(٣)

الذرة لغة واصطلاحا:

كلمة « الذرة » فى اللغة العربية تعنى : صغار النمل ، وتعنى أيضاً : النسل ، وهى تجمع على « ذرّ » ، ومن أبرز معانيها أنها تطلق على ما يرى من هباء وجسيمات دقيقة فى شعاع الشمس الداخل من النافذة ، ومعناها البيانى المقصود هو التهوين والتصغير والتقليل ، وقد ورد ذكر كلمة الذرة ومثقالها فى القرآن الكريم فى مجال التشبيه لتقريب مدى صغر المشبه إلى ذهن السامع أو القارىء . قال تعالى :

﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ۝٨ ﴾ (الزلزلة : ٧ ، ٨)

كذلك ذكرت حبة الخردل ومثقالها للغرض نفسه : قال تعالى :

﴿ يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِى صَخْرَةٍ أَوْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِى ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴾

(لقمان : ١٦) .

أما استخدام مصطلح « الذرة » بمعناه العلمى ، فقد دخل فى لغتنا العربية حديثا على سبيل ترجمة غير دقيقة لكلمة « أتوم » التى تعنى فى لغة الإغريق « غير المنقسم » أو « غير القابل للانقسام » ، وعلى الرغم من شيوعه وقبوله فى لغة العلم العربية باتفاق الناس عليه ، إلا أنه

لا يطابق المعنى اللغوى والبيانى من وجوه عدة ، فضلا عن أنه لا يوافق المقابل الأجنبى الذى احتفظ بلفظه فى جل لغات العالم ، وترجمه أسلافنا ترجمة دقيقة عندما ظهر فى تراثنا الإسلامى باسم « الجزء الذى لا يتجزأ » و « الجوهر الفرد » .

وهنا يجب التنبيه إلى خطورة الربط اللغوى بين اللفظ القرآنى والمصطلح العلمى دون إحاطة تامة بدلالات اللفظ القرآنى من جهة وبتاريخ المصطلح العلمى وسيرته ومعناه من جهة أخرى . وقد ظهر هذا عندما تحدث البعض عن سبق القرآن الكريم أن يتضمن تفاصيل العلوم المختلفة ومايضعه الناس ، اتفاقا ، من مصطلحات فيها .

ويتضح الأثر السلبى لهذه الطريقة فى التفكير عند ترجمة معانى القرآن الكريم إلى مختلف اللغات الأجنبية ويظهر التعبير أو اللفظ القرآنى وكأنه - حاشا لله - مقتبس من لغات قديمة ، فنكون بذلك قد أسأنا إلى الهدف النبيل . ثم ، إذا كان ذلك كذلك ، فأين نجد فى القرآن الكريم المقابل لكلمات « إلكترون » و « بروتون » و « نيوترون » التى ظلت على حالها فى جميع اللغات ؟! . . وماذا نقول الآن فيما ظهر حديثا من مسميات لجسيمات أولية دون الذرة ترجمت إلى اللغة العربية بأسماء من قبيل : « السحر » و « الغرابه » و « الجمال » ؟ . . هل إذا ما وجد لفظ مماثل لهذه الكلمات أو مشتق منها فى القرآن الكريم نقول أن القرآن سبق إلى الأخبار بالجسيمات الأولية دون الذرية قبل أن يكتشفها العلم الحديث ؟ . . لاشك أن ظهور مثل هذه التفسيرات التى جانبها الصواب فيه إسراف فى التأويل ويضاعف من تيار المعارضين لاتجاه الربط بين العلم وإنجازاته من جهة ، وبين القرآن وآياته من جهة أخرى .

من ناحية أخرى ، يقتضى فقه مصطلح « الذرة » أن نؤصل له فى الفكر الإسلامى بعد أن نعرف شيئاً عن سيرته وظروف نشأته فى الثقافة الإغريقية . ذلك أن المذهب الذرى الذى وضعه فلاسفة الإغريق لا يزال يحظى باهتمام كبير من جانب بعض المؤرخين وفلاسفة العلم الغربيين الذين يعرضون لتاريخ النظرية الذرية بالتحليل والتأصيل ، وعلينا أن نتناول الأمر بكل الحذر ولا نبالغ فى تقديره فوق ما يجب ، لأن هذا المذهب قام على كثير من الخيال ، ومن الجدل النظرى العقيم ، ولم يقم على منهج علمى منظم ، وهو بعيد كل البعد عن المدرك المعاصر فى تركيب المادة وبناء الذرة ، فضلا عن أنه يستند عند أنصاره ويذهب بهم إلى أقصى حدود النزعة المادية الآلية التى تسيِّر - فى نظرهم - جميع الأشياء والموجودات فى هذا العالم بحتمية القانون الطبيعى .

وقد اطلع المسلمون الأوائل على آراء فلاسفة الإغريق فى « الذرة » أو « الجوهر الفرد » من خلال مترجماتهم إلى اللغة العربية ، وكان طبيعيا أن يتبرأ مفكرو الإسلام من هذا المذهب الذرى الذى يجحد أصحابه الصانع المدبر للعالم ، وينكرون وجود الخالق الواحد جل وعلا ، كما ينكرون النبوة والبعث والحساب ، وقد وصفهم الإمام الغزالى فى « المنقذ من الضلال » بالزنادقة ، كما أنهم وُسموا بالدهرية الذين عناهم القرآن الكريم بقوله :

﴿ وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ (٢٤) وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ مَّا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّا أَن قَالُوا ائْتُوا بِآبَائِنَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (٢٥) قُلِ اللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾

(الجاثية : ٢٤ ـ ٢٦)

ويأتى أبو الهذيل العلاف (١٣٥ هـ ـ ٢٣٥ هـ) فى مقدمة فلاسفة المسلمين الذين ساهموا فى أول صياغة إسلامية لمعنى مصطلح « الجزء الذى لا يتجزأ » ، فهو يقول : « إن الخردل يجوز أن يتجزأ نصفين ، ثم أربعة ، ثم ثمانية إلى أن يصير كل جزء منها لا يتجزأ ، ويجوز على الجوهر الواحد الذى لا ينقسم إذا انفرد ما يجوز على الأجسام من الحركة والسكون ، وما يتولد عنها من المجامعة والمفارقة . وهذه الأجزاء تتحرك فى خلاء ، لكنها لا تتحرك ولا تسكن بذاتها لأن الله من حيث هو ذات فريدة وقادرة هو الذى أوجد الحركة فيها والسكون » .

ألم يكن من الأفضل الإبقاء على مصطلح « أتوم » معربا ، أو على المقابل العربى « الجزء الذى لا يتجزأ » وما دام هذا لم يحدث فلا مشاحة فى وضع مصطلح « الذرة » واستعماله ، لكن المشاحة ضرورية فيما يتعلق بالمضمون وتوظيف المعنى دينيا وفكريا .

المادة لغة واصطلاحا :

كلمة « مادة » تعنى فى اللغة العربية : كل شىء يكون مددا لغيره ، وتعنى أيضاً كل جسم ذى امتداد ووزن ويشغل حيزا ، ومادة الشىء هى أصوله وعناصره التى منها يتكون . ومن ثم فإن مادة الكون هى كل ما خلق الله فى عالم الشهادة ، أى العالم الذى نحسه بحواسنا أو ندركه بما يقوم مقام الحواس ويعزز وظائفها من أجهزة وأدوات ، مثل المقاريب التى تمكن من رؤية الأجسام البعيدة والمجاهر التى تمكن من رؤية الأجسام الدقيقة ، أو غير ذلك مما لم يتمكن الإنسان بعد من إدراكه والتعرف عليه فى هذا الكون الفسيح الذى لا يعلم مداه إلا الله وحده .

ولقد أقسم الله بالمادة فى صورها المختلفة لحث الإنسان على دراستها للإفادة منها والتعرف على ما فيها من أسرار دالة على عظمة الخالق سبحانه وتعالى وقدرته ، يستوى فى ذلك أن تكون المادة شمسا أو نجما أو قمرا أو

سماء أو أرضا أو ريحا أو بحرا ، أو حتى قلما وكلاما مسطورا ، فهى كلها مسخرة من قبل الله تعالى لاستخدام الإنسان بما يحقق الإعمار فى الأرض ، وهى لا تملك لنفسها ضرا أو نفعا .

لكن أصحاب النزعة المادية شوهوا هذا المعنى الإيمانى للمادة ، واعتبروها الحقيقة الوحيدة المؤكدة التى يفسر بها الكون والمعرفة والسلوك ولا سبيل إلى العثور على حكمة وراءها . ولجأ هؤلاء الملحدون إلى محاولة تقنين هذه الأفكار فى أنساق حسبوها علمية وانخدع بها الكثيرون إلى حين ، وأخذ المفتونون بهذا التيار الفكرى الضال بما أسموه « الحتمية العلمية » أو « الحتمية المادية » ليبرروا لأنفسهم بلوغ قوانين كلية عامة من وقائع جزئية محدودة ، إذ يستحيل على أى باحث أن يرصد كل الوقائع القائمة فى كل زمان ومكان ، وحسبه ما يتاح له منها لكى يصل إلى القانون الذى يصف به سلوك ما يراه أمامه من ظواهر ، ولن يتحقق له ذلك إلا إذا افترض أن المادة بلا بداية ولانهاية ، وأن العالم يخضع لحتمية تربط بين السبب والنتيجة ، وأن الكون المادى يتصرف بضرورة داخلية آلية (ميكانيكية) دون الحاجة إلى علة مطلقة ، وأن كل ما يحدث فى الكون من الأرض إلى السماء يخضع لقانون معلوم أسموه « قانون الطبيعة » . ويبلغ تقديس هذه النزعة الإلحادية حدا جعل الموغلين فى المادية يقارنون بين الإنسان والآلة ، ويشبهون أجزاء المجتمع كله بالآلة وأجزائها ، ويؤكدون أن جسم الإنسان هو الحقيقة الإنسانية الوحيدة ، وأن الغرائز والانفعالات هى التى تقوده وتحكم سلوكه ، ويرجعون الظواهر النفسية إلى عوامل كيميائية وفسيولوجية ، ويردون الحياة إلى مجموعة أعضاء أو وظائف تؤدى عملها وكأنها تروس فى آلة ميكانيكية . وخلاصة ما يزعمه هؤلاء أن الكون والإنسان لا يحتاجان البتة إلى أى سبب غيبى ميتافيزيقى (من وراء الطبيعة) أما تفسير الظواهر المختلفة فلا يخضع - حسب زعمهم - إلا لنوعين من العلل هما : الضرورة والصدفة .

ولقد تولى العلم نفسه دحض هذه الأفكار المادية الطائشة وإسقاطها عندما ظهرت بشائر مرحلة جديدة فى تاريخ العلم مع حلول القرن العشرين ، فقد فتحت نظرية النسبية لأينشتين بابا واسعا لأهمية منطق التوحيد فى الفكر العلمى ، من خلال الجمع بين المكان والزمان والجاذبية والإنسان ، وكان من أهم نتائجها أنها زودت الباحثين بأدوات فكرية وعملية جديدة تمكنهم من البحث المفصل فى بقية الكون بأكمله ، وفى أصله ومصيره ، واضطر أنصار الحتمية المادية إلى أخذ جانب الحذر من مبدأ يخالف طبيعة التقدم العلمى ، فضلا عن أنه يناقض فطرة الإيمان بوحدانية الله سبحانه وتعالى .

ولعل أبرز ما توصل إليه العلم حديثا نظرية « الانفجار الكبير » التى تقضى بأن الكون قد نشأ فى لحظة محددة يرجع تاريخها إلى ما بين ١٢ ، ٢٠ بليون سنة ، إثر انفجار مادته التى كانت جميعها محتواة فى حيز صغير جدا لا يكاد حجمه يعادل شيئا ، وكانت تلك اللحظة هى بداية المكان والزمان والمادة . ويعترف علماء الكونيات بأن هذه العملية تفوق الخيال ، ولكنها مقبولة عقلا ، ولا يستلزم حدوثها وجود مكان قائم بالفعل ، إذ ليس هناك ما يدعو إلى أن نفترض أن المادة والطاقة كانتا موجودتين قبل الانفجار الكبير ، وأنه حدث بينهما تفاعل فجائى ، فما الذى يميز تلك اللحظة عن غيرها من اللحظات فى الأزلية ؟

ويخلص أحد العلماء المعاصرين إلى القول بأن بداية الزمن أمر لا مناص منه ، كما أنه ينفى صفة الأبدية عن المادة والكون لأن عملية انكماش واحدة كبيرة من شأنها أن تنهى كل شىء ، ولو حصل انهيار فى الجاذبية فسنكون قد وصلنا إلى نهاية الزمن . فالمادة إذن ليست بلا بداية ولا نهاية . والأبسط أن نسلم بحقيقة إبداع الإرادة الإلهية للكون من العدم .

وهكذا نجد أن معطيات العلم الجديدة تقود بالضرورة إلى اعتبار الإنسان فى مركز الغاية من إبداع الكون ، والكون الذى يستهدف ظهور الإنسان يستلزم بداهة وجود الخالق الذى يدبره ويرعى شئونه . فسبحان القائل فى محكم التنزيل :

﴿ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًا ۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ ﴾ (ص : ٢٧) .

من قادة الخلفاء الراشدين ـ بقية ـ

عليه قرنه ، وقرن نفسه ، وذلك من الملاءمة ، وقد يقاتل الكلب عن صاحبه ، فكل رجل منكم مسلط على ما يليه . . اللهم إنى أسألك أن تقر عينى اليوم بفتح يكون فيه عز الإسلام ، وذل يذل به الكفار ثم اقبضنى إليك بعد ذلك على الشهادة ، واجعل النعمان أول شهيد اليوم على إعزاز دينك ونصر عبادك ، أمنوا يرحمكم الله » ، فأمن المسلمون وبكوا من خطبة النعمان.

وكان الفرس قد تحصنوا خلف خنادق عجز معها المسلمون عن الوصول إليهم ، فأشار عمر ابن معدى كرب على النعمان بأن يشيع أن أمير المؤمنين توفى ، وينسحب بالجند ، فما أن فعل النعمان حتى تخلى الفرس عن خنادقهم لمطاردة المسلمين فاستدار النعمان بالجيش لمواجهتهم ، وكان النعمان يجول بين صفوف المسلمين يحضهم على القتال ، وكان أكثر ما يحرص عليه أن ينتظر الساعة التى كان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقاتل فيها ويستنزل النصر ، وهى زوال النهار ومهب الريح ، والتحم الفريقان فى قتال عنيف كان النعمان أول شهدائه فحمله أخوه سويد ابن مقرن إلى فسطاطه ، وارتدى ثيابه ، وتقلد سيفه ، وركب فرسه فلم يشعر أحد بوفاة النعمان ، وظل المسلمون يقاتلون حتى أظهرهم الله على الفرس وسقطت نهاوند .

(يتبع)

خميلة الشعر

للأستاذ / محمد عبد الوهاب

تطلع الخميلة اليوم ، وقد تبدلت ملامحها ، فاشجارها واجمة ذاهلة ، وازهارها آسية ذابلة ، اما اطيارها ، التي طالما سحرت الألباب بحلو الأنغام والألحان ، بدت وقد مضَّها الحزن وشفَّها الشّجن .

ولا غرو ، فإن ما نقدمه اليوم ما هو إلا عبرة كبيرة ، وقعت على هذه الصفحات ، فجرت سطورا معبرة ، عما احسه الشعراء من لوعة واسى ، لما اصاب امتنا الإسلامية من اقصاها إلى اقصاها لرحيل فضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى ، وكيف لا ، وفضيلته كان علما من اعلام الإسلام ، ولواء مباركا من الويته ، يدافع عن مبادئه بالحكمة والموعظة الحسنة ، فيهتدى به الضال ، ويامن به الخائف .

ولأنه ابن بار من ابناء الأزهر الشريف ، فيحق للأزهر ، ولمجلته الناطقة بلسانه ، أن تقدم لروحه الطاهرة لمسة وفاء ، لعطائه العلمى الزاخر ، ومهما حاولنا ، او حاول غيرنا من الناس ، فلا يستطيع ان يفى شيخنا حقه إلا الله جل وعلا .

﴿ إنا لله وإنا إليه راجعون ﴾ .

هذا ونقدمُ فى هذا العدد ثلاث قصائد معبرة ، تقدم بها الشعراء .. أثروا ويثرون ساحتنا الأدبية ، بنتاجاتهم المتميزة ، وافكارهم البنَّاءة والموحية .

والله ولى التوفيق .

فى موكب الوداع

مرثية الإمام
محمد متولى الشعراوى

للأستاذ الدكتور : محمد رجب البيومى

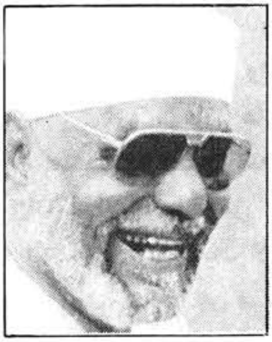

ألقيت فى جلسة مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف.يوم الخميس ٢٣ من شهر صفر سنة ١٤١٩هـ الموافق ١٨ من شهر يونية سنة ١٩٩٨م ، « بقاعة الاجتماعات بإدارة الأزهر الشريف برياسة فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر ، ورئيس المجمع ، والتى خصصت لتأبين الإمام الراحل الشيخ محمد متولى الشعراوى .رحمه الله..

- ١ -

العزاءَ العزاءَ قد أفلَ البد رُ فضلّ السّارِى وتاه الطّرِيقُ
والدجَى كالخصمّ يقذِفُ بِالمو جِ عُبَابًا فيه الوجودُ غريقُ
وعيونُ السّراة هَاجَ لَهَا اللّيْل شُجُونًا ففاضَ منها العقِيقُ
وقَفَ الرّكْبُ فى الدجى كَأَسيرٍ يتمنَّى الحياةَ وَهْوَ طَلِيقُ
كلّ سارٍ مَضَى يُحْدِق فى الأ فق ومَاذَا يُفيده التّحديقُ ؟

يَرقبُ البدرَ فى السَّماءِ ولنْ   يسطعَ منْ ضوئه عليه بريقُ
الضياءُ الضياءُ أودعه الموتُ   ضريحًا به السكونُ العميقُ
فالعزاءَ العزاءَ قد أفل البد   رُ فضلّ السَّارِى وَتَاهَ الطَّرِيقُ

-٢-

أينَ منّا محاضراتُك فى التفسير   تُهدِى لَنَا الجنى فَنَذوقُ
خَطرات الإيمانِ تَسطعُ منها   مثلمَا يبعثُ الضياءَ الشروقُ
بهَرت كلَّ سامعٍ فإذَا   التكبيرُ لِلّه يُعتَلى وَيفُوقُ
وَإذا الملحدُ اللَّجوج جزوعٌ   وإذا المؤمنُ الطَّروب مشوقُ
يستلذّ التَّفْسِير حتى كأنّ   الشرح كأسٌ يُدار فيها الرحيقُ
كلُّ جيل به الأئمةُ أعلاما   وأنتَ المتوَّجُ المرموقُ
منطقٌ ساطعُ الدَّليل وَلَفْظٌ   كَانْسِيَابِ المياهِ عذبٌ رَقيقُ
يقطفُ السامعونَ ما يتشهّو   ن، فكلٌّ يَرى به مَا يَروقُ
فكِبارُ الْأَفْهَام يُطربها الْغَوْص   وَيَهْتَاجُها الدَّقِيق الْعَمِيقُ
وَصِغَارُ الْأَفْهَامِ يُطْربُهَا السَّهل   وَيَقْتَادُها الرشيقُ الْأَنيقُ
جنة غضّة وعرفٌ زكىّ   وجنى ناضر، وغصنٌ وريقُ
خبرَ العصرَ فى جَحِيم بلاياهُ   ولاحَتْ لناظريْه الفُتُوقُ
أبصر الدَّاء فى مكامِنِه الغُلْف   فما عَزّه الدوَاءُ الشَّفِيقُ
ليس فى كفّه سوَى مُصْحَفِ   اللّهِ فمنهُ صَبُوحُه والغَبوقُ
فلعَمرى لولَا الخشوعُ لدى الذ   كر لقد هزَّ سمعَه التَّصْفيقُ
هكذا هكذا تكون المعانى   كالمبانى سِلْسَالهُنَّ دفُوقُ

-٣-

هَجَم المارقونَ من كل صَوْب   فى زمانٍ يطيبُ فيه المروقُ
كلّ غاوٍ يَهْذِى لتسمعَ منه   مايقولُ المُراوغُ الزنديقُ
فإذا صاح بالحقيقة حُرٌّ   صَرخ البومُ، واستطارَ النَّعيقُ

رِدّة لم يكنْ لها غيرُ قوم ... كلّهمْ فى البيان ضاحٍ ذَليقُ
كان منهم «محمدٌ» وهو جيشٌ ... وحدَه ، كم تغصّ منه الحلوقُ
بَطَلُ التّنْويرِ الحقيقىّ فعلاً ... فدعِ القوم نُوَّمًا ، لم يفيقوا
أىّ نور إلا من الذكر يأتى ... وسوِى الذكر رِدّةٌ وفسوقُ

- ٤ -

مَنْ رَأى الأزهر الجزوع كشكلى ... غابَ عندها وحيدُها المعشوقُ
والأسَى يملأُ العيون ضَبَابًا ... كغيوم تنقضُّ منها البُرُوقُ
وجموعُ الطّلاب يعلو زفير ... من صُدور ويستفيضُ شَهِيقُ
قد تمنّوْا أن يَحمِلُوك على الرأس ... فكلٌّ إلى الوداعِ سبوقُ
جاءَهم الامتحانُ فالتحم القيدُ ... وَفَارَتْ بِالْغَيْظِ منهم عُروقُ
عَاقَهم مَوْسم الحصاد وماكانَ ... سواه لدى الوداع يعوقُ
إن تنادَتْ جسومهم فعلى القبر ... لمسرى أرواحهم تحليقُ
والملايينُ من سواهم حشود ... كاد منها رحب الفضاء يضيقُ
أَمَلٌ فَرَّ كَالخيال فهلا ... كان بعد الفرار منه طُروقُ
العزاءَ العزاءَ قد أفل البدر ... فَضَلَّ السَّارِى وتاه الطريقُ

- ٥ -

يافقيدَ الأخلاقِ أى المزايا ... لك يصفو معينها ويروقُ ؟
الحياء النبيل ، والأدب الجمّ ... وإحساسك الرهيف الرَّقيقُ
حينَ أعطاه ربه شارك ... النَّاس فإحسانه أكيدٌ وثيقُ
يُجمع المال عنده دون مسعى ... وله بعد ساعة تفريقُ
كَمْ يتيمٍ حَنَا عليه وَكَمْ ثَكْلَى ... محَا حزنَها نداهُ الشَّفيقُ
وبيوتٍ مستورة لَوْ عداها ... كُشف السّتر وَاسْتَطَارَ الْحَريقُ
عدِّ عن ذا فَلَوْ أَفَضْتَ بِمَا أدْ ... ريه عنه تعذّر التَّصْدِيقُ
العزاءَ العزاءَ قد أفل البدر ... فضل السارى وتاهَ الطَّرِيقُ

فى رحيل الإمام الشعراوى

للأستاذ : محمد التهامى

ألقاها الشاعر فى حفل تأبين « الشبكات الإذاعية لجمهورية مصر العربية » لفضيلة الشيخ الشعراوى ، والذى أقيم فى مسجد مولانا الإمام الحسين ـ رضى الله عنه ـ مساء يوم السبت الموافق ٢٥ من شهر صفر سنة ١٤١٩هـ ، ٢٠/٦/١٩٩٨م .

أيها المقْنعُ منْ ذَا أقنعك ؟ ∴ فارتضيْتَ الصمتَ كيلا نسمَعك

وارتقيت البعد عن أَنظارِنا ∴ فحملت الصبرَ والسَّلوى معك

قد تركتَ الكون قفرًا مُوحِشًا ∴ فتمنى كلُّنا أن يَتْبَعَكْ

هذه أرْواحُنا نفدِى بها ∴ إِن يكن فى طوْقها أَنْ تُرجِعَكْ

ـ

هلْ وهَذا الهوْلُ فى أيامِنَا ∴ أَيُّها العملاقُ تُخْلِى موقِعَكْ ؟

جِئْتَ بِالتِّبْيَانِ نُورًا ساطِعًا ∴ فتحَرَّت كل عين مَوْضِعَكْ

تَـعْـبُرُ الـغَـيْـمَ وَتَـضْـوِى فَـوْقَـه ∴ مـااسْـتَـطَاعَـتْ غَـيْـمَـةٌ أَنْ تَمْـنَـعَـكْ

—

سِرتَ بِـالإيمـانِ نَهْرًا جَـارِيًـا ∴ فَـرِضَـاءُ الـلّهِ أَجْـرَى مَـنْـبَـعَـكْ
قَـدْ قَضَيْتَ العُـمْـرَ طَـوَّافًـا بِـهِ ∴ وَعُـيُـونُ الخَلْقِ تَـرْعَـى مَـطْلَعَـكْ
وَقَـسَـا الـدّهـرُ وَوافَـاكَ الـضَّـنَى ∴ حـاولـتْ الآمُـه أَنْ تُخْـضِـعَـكْ
فَـقَـهَـرْتَ الهَـولَ لم تَـعْـبَـأْ بِـهِ ∴ لم تُـرِدْ يَـاشَـيْـخَـنَـا أَنْ يَـقْـدَعَـكْ
تَـقْـطفُ الْـوَرْدَ وَتُهْـدِيـهِ لَـنَـا ∴ وَعَـضُـوضُ الشـوْكِ أَدمَـى إصبَـعَـكْ
وَتَـصُـبُّ الـشَّـهْـدَ فِي أَفْـوَاهِـنَـا ∴ رَاضِيًـا مِـن نَـحْـلِهِ أنْ يَـلْـسَـعَـكْ
وَعَـرَضـت الـثَّـغْـرَ بَسّـامًـا لَـنَـا ∴ وَكَـتَـمْـتَ الجُـرْحَ مَهـمَا أَوْجَـعَـكْ
تُـطْلِقُ الْـبَـسْـمَـةَ فِي أَفْـوَاهِـنَـا ∴ وَتُـغَـطّى فِي شُـمُـوخٍ أَدْمُـعَـكْ
وَتَـرُدُّ الـنـارَ عَـن أَضْـلاعِـنَـا ∴ حِـين تلوى فى عُـضـال أَضْـلُعَـكْ
فَـشَـفَـيْـتَ الجُـرحَ فِي أَعْـمَاقِـنَـا ∴ بَـعـدَمَـا أَعْـمَلْت فِـيـه مِـبْـضَـعَـكْ
وَدَعَـاكَ الـلّـهُ فَـاشْـتَـدّتْ خُـطَـى ∴ كُـنْـتَ فِـيـهـا وَاثِـبًـا مَـا أَسْرَعَـكْ
قَـدْ جَمَعْتَ الـدِّيـنَ وَالـدُّنْـيَـا معًـا ∴ نِلْتَ فِي الـدَّارَيْن فِـيهـا مَـطْـمَـعَـكْ
كَـيْـفَ نَـحْـيَـا دُونَ قَـوْلٍ مُـلـهَـمٍ ∴ صَـاغَـهُ الـرَّحْـمَـنُ لَمَّـا أَبْـدَعَـكْ ؟
تَـعْـرِفُ الْحَـقَّ صَـوابًـا كـلَّه ∴ مَـاتَـرَكْـتَ الـزَّيـفَ حتّى يَخْـدَعَـكْ
كَـمْ تَـوَالَى بَـاطِـلٌ مُـسْـتَـحْـكِـمٌ ∴ ثُـمَّ وَلّى عَـاجِـزًا أَنْ يُـقْـنِـعَـكْ
أَغْـلَقَ الحـقُّ عَـلَى أَسْرَارِه ∴ وَعَـلَـيْـهَـا فِي جَـلاءٍ أطْـلَعَـكْ
أَتُـرَى أُرْهِـقْـتَ مِـنْ أيّـامِـنَـا ∴ وَطغَـى الإرْهَـاقُ حَـتَّى ضَـيَّـعَـكْ ؟
قُـل لَـنـا بِـالّـلهِ يَـاقِـنْـدِيـلَنَـا ∴ كَيْفَ يَحْيَا فِي الدُّجَى مَنْ شَيَّعَكْ ؟

∴

سوف تبقى

للشاعر: محمد فتحى نصار

إلى الروح الكريمة فى مثواها الكريم، عند مليك مقتدر، فضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى.

هل خَتَمْتَ الكتابَ قبلَ الرَّحيلِ   وَأَضَأْتَ القلوبَ قبلَ العقولِ ؟!
هل أَزَحْتَ الستارَ عن كلِّ خافٍ   من معانٍ بديعةِ التَّأْوِيلِ ؟!
هل شرِبتَ الغيوبَ نَهرًا حفيًّا   فى كؤوسٍ رنَّانَةِ التَّرتيلِ ؟!
هل عبرتَ التاريخَ فَهْوَ سطورٌ   فى نَواحِى رُؤَاكَ خيرُ دَليلِ ؟!
هل رأيتَ الأمينَ يَنْزِل وَحْيًا   وتلقَّيْتَ صوتَهُ بِالْقَبُولِ ؟!
هل قَرأْتَ الحياةَ سِفْرًا فَسِفْرًا   فَرضِيتَ الرَّحيلَ دونَ بَديلِ ؟!
وتركتَ الحياةَ لَمَّا استقَرَّتْ   وَأَقَرَّتْ بِمَا تَرَى مِن أُصولِ ؟!

*

يادليلَ الظِّمَاءِ للنَّبْع والنَّبْـ   ـع اشْتِياقٌ لِضَوْئِكَ الْمَغْسُولِ
يارَفِيقَ الصَّباحِ وَجْهًا لِوَجْهٍ   وَمُنَادى سَنَاهُ دُونَ غُفُولِ
أَيْنَ نَلقَى هُدَاكَ وَهْوَ حَبِيبٌ   رَائِعُ الْوَعْدِ مَا لَهُ مِنْ مَثِيلِ ؟
كيفَ نَأْتَمُّ وَالْإِمَامُ بَعِيدٌ   دُونَ مَرْأَى مكانِهِ ألفُ غِيلِ ؟

كيف نُصْغِى وَصَوْتُهُ صَارَ غَيْبًا   رَغْمَ أنَّ الحديثَ غَضُّ الفُصُولِ ؟
يَاصَدِيقَ الْكِتَابِ ، وَهْوَ شَفِيعٌ   وَرَفِيقٌ ، وَرِفْعَةٌ لِلخَلِيلِ :
لا تَدَعْنَا لتيهنا وَدُجَانا   وَابْقَ فِينَا بقاءَ كُلِّ أَصِيلِ
ابْقَ فِينَا بقاءَ كلِّ نَبِىٍّ   ابقَ فينا بَقَاءَ كُلِّ رَسولِ

*

سَوْفَ تَبْقَى -وَإنْ رَحلْتَ- كِتَابًا   وحديثا مُعَانِقَ التَّنْزِيلِ
سوْفَ تَبْقَى لمن أَحَبُّوكَ وَحْيًا   وَطَرِيقًا عَلى خُطا «جِبرِيلِ»
سَوْفَ تَبْقَى لَنَا منارًا وَرَمْزًا   فوقَ جُهْدِ التَّشْبِيهِ وَالتَّمْثِيلِ
فَوْقَ طَاقَاتِ كلِّ ذِى كلماتٍ   حائرِ اللَّفظِ عاجزٍ ، وعَجُولِ
فَوْقَ كلِّ العقول مَهْمَا اسْتُشِيرت   وَأَتَتْ بِالجَمِيلِ ، أَوْ بِالجَزِيلِ
سَوْفَ تَبْقَى هُناكَ فَوقَ الأَمَانِى   تَتَرَاءَى كَالشَّمس ، كَالمُسْتَحِيلِ

*

آيَةُ اللَّه ، أنتَ كنتَ صداهَا   وحفيفَ التَّفْسِيرِ وَالتَّفْصِيلِ
وهى كانتْ لكَ الحياةَ ، وكانتْ   لخُطاكَ الأمانَ يَومَ الرَّحِيلِ
كنتُ بِالأَمْسِ ضَارِعًا بِدُعَائِى   أن تطولَ الحياةُ ريَّ غليلِ
فَأَنَا اليومَ صامتٌ مُسْتعيدٌ   كلَّ ماقد سمعتُ قبلَ المُثولِ
وَأَنَا اليوم عاجزٌ عن بيانٍ   كنتُ أزْهَى به قُبَيْلَ الدُّخُولِ
وأنا اليوم صامتٌ رغمَ أنِّى   كنتُ رَبَّ الحُروفِ مُنْذُ قَلِيلِ
فادْعُ أنتَ القريبَ ألاَّ يَرَانَا   من بقايا السُّوءِ ، رُفاتِ الصَّهِيلِ
وَأَعِدْنِى إلى الحياةِ ، وَصِفْ لِى   رِحْلَةَ الْوَعْدِ ، يَالَهَا مِنْ سَبِيلِ !!
وَارْوِ لِى مِنْ مواقفٍ لمْ أَعِشْهَا   بحروفٍ مَوْثُوقَةِ التَّدْلِيلِ
هَاأَنَا فِى انْتظارِكَ اليومَ ، فَانْظُرْ   لَمْ يَزَلْ صوتُ مَوْعِدى فِى ذُهُولِى
لَمْ يَغِبْ صَوْتُكَ الحبيبُ فَدَعْنِى   مُصْغِىَ القَلْبِ فِى انْتِظارِ الهُطُولِ
وَاحْكِ لِى عن كَرامةِ اللهِ دَهْرًا   لَنْ أَمَلَّ الحَدِيثَ ، رَغْمَ السُّدُولِ
أَرِنِى الْغَيْبَ مِنْ وَرَاءِ المَعَانِى   وَسَلامَ الخُرُوجِ ، طِيبَ الوُصُولِ
رُبَّمَا أَقْتَدِى ، وَأَجْمَعُ نَفْسِى   فَوْقَ دَرْبِ النَّجَاةِ ، قَبلَ الذُّبُولِ
رُبَّمَا أَلْتَقِى بِدَرْبِكَ يَوْمًا   تَحْتَ دَوْحٍ مِنَ الجِنَانِ ظَلِيلِ

اللغة والأدب والنقد

جهود الزيات

فى الحياة الفكرية

مآثر اسلامية

فى الصحافة الأجنبية

جهود الزيات في الحياة الفكرية والأدبية

للأستاذ الدكتور
السيد مرسى أبو ذكرى

تقديم

أحمد حسن الزيات ١٨٨٥ - ١٩٦٨ ، كاتب له مكانته ومنزلته بين أدباء عصره ، جمع بين الثقافتين العربية والأوربية فى حذق ومهارة ، ودافع عن الأصالة العربية وآدابها ، بقلم متميز ، وأسلوب متفرد ، وفكر نير ، مما كان له أثره فى حياتنا الفكرية والأدبية .

دبّج يراعه - من الثلث الأول من القرن الحالى - مقالات ممتعة فى الأدب والسياسة والاجتماع ، تفيض بالإحساس الدافق ، والشعور الصادق ، والحماس الهادر ، تجعله صاحب مدرسة متميزة فى أدبنا المعاصر .

لم يفقد الزيات طابعه العربى ولا نسق أسلوبه العالى ، رغم وقوفه على روائع آداب الغرب . حتى قيل عنه : « أسلوب الزيات يعتمد على الصنعة المحكمة .. فهو ضفيرة منسقة من الألفاظ الموسيقية المجلجلة ، أو قطعة من الفسيفساء ، أبدعتها يد فنان صانع ، أو هو قالب جاهز يلبسها لكل فكرة ، ويلقيها على كل موضوع ، دون أن يحاول الخروج عن النسق المعتاد ، أو السنة المقررة ، ودون أن يعنى بتحوير القلب ، وتهذيبه بحيث يلائم الشكل المطلوب[1] .

آثار الزيات

أثرى الزيات المكتبة العربية بمؤلفات وترجمات ، صنعت للأدب العربى منهجا وطريقا ، ونهضت به فنا وأسلوبا ، وكونت مذهبا فنيا يقوم على دعامتين : الأولى : إعادة الطابع

(١) راجع : فن المقالة ص ٨٤ - ٨٥ ومحمد يوسف نجم ، بيروت ١٩٦٦

الأول للبلاغة العربية ، كما فى كتابات ابن المقفع ، وفصول الجاحظ ، والثانية : تطعيم الفكر العربى الحديث بترجمة روائع الأدب الغربية كآلام فرتر وروفائيل ، ليساير ركب الحضارة المعاصرة ، وهاهى آثار الزيات المؤلفة والمترجمة :

١ـ تاريخ الأدب العربى

ألفه الزيات عام ١٩١٦ ، ليعود بدراسة الأدب إلى منابعه الأولى ، ضمّن مقدمته : ماهية الأدب وتاريخه وفائدته ، وأثره فى حياة الأمة ، وفى بناء وحدة الشعوب ، واستطرد قائلا : « فإذا حرمت شعبا آدابه وعلومه الجليلة الموروثة ، فقطعت سياق تقاليده الأدبية والقومية ، حرمته قوام خصائصه ، ونظام وحدته ، وقدته إلى العبودية العقلية ، وهى شر من العبودية السياسية ، لأن استعباد الجسم مرض يمكن دواؤه ، ويرجى شفاؤه ، أما استعباد الروح فموت للقومية التى لا يقدر على إحيائها طبيب »[١] .

قسم الزيات تاريخ الأدب العربى إلى خمسة عصور هى : العصر الجاهلى ، وعصر صدر الإسلام ، والدولة الأموية ، والعصر العباسى ، والعصر التركى ، والعصر الحديث ، وخص كل عصر بباب ، وأخضع تقسيم العصور لتقلبات السياسة ، وتغييرات المجتمعات فى الأمة العربية والإسلامية ، وأنهى الكتاب بخاتمة فى تاريخ الاستشراق ، وذكر بعض المستشرقين .

٢ـ آلام فرتر

هى قصة ألفها « جيته » صور فيها آلام وحب الفتى « فرتر » ترجمها الزيات خلال الفترة بين ١٩/١٩٢٠ لما مر به من اضطراب عواطفه وكثرة انفعالاته ، على نحو ما مر بالفتى « فرتر » . تصرف الزيات فى بعض أحداثها دون تجاوز أمانة الترجمة لنص القصة وطبعت سنة ١٩٢٠ .

٣ـ روفائيل

قصة الكاتب الفرنسى « لأمرتين ١٧٩٠ - ١٨٦٩ » ترجمها الزيات خلال إقامته فى باريس عام ١٩٢٥ ، بعد مشاهدته لمعظم المعالم التى وردت فى القصة ، وزيارة الأماكن التى ارتادها البطل « روفائيل » مع بطلة القصة « جوليانا » ، وطبعت عقب عودته من باريس سنة ١٩٢٥ .

ولولا إختلاف الأسماء والأماكن لخيل لقارىء القصتين ـ آلام فرتر وروفائيل ـ أن أبطالهما عرب ، وهذا يدل على إفادة الزيات من الثقافة الفرنسية ، دون أن يعلو صوتها على صوت العربية فى أسلوبه وفكره وترجماته .

٤ـ أصول الأدب

ألفه الزيات بعد عودته من العراق ١٩٣٢ ، ضمّنه محاضراته التى ألقاها فى بغداد ، وبعض مقالاته التى كتبها ـ قبل سفره ـ فى المجلات ، ورغم تميز محاضرات ومقالات الكتاب بالعمق وحسن العرض ، فإنها تفتقد المنهج المتكامل على نحو ما تلقاه فى كتابه الأول .

أثار الزيات فى محاضرات ومقالات الكتاب قضايا أدبية هامة ، فتحت آفاقا جديدة فى الدراسة الأدبية ، ونشر الكتاب سنة ١٩٣٤ ، فكانت موضوعاته جديدة ، وبخاصة الأبحاث النقدية

(١) راجع : تاريخ الأدب العربى ص ٤ الطبعة الخامسة والعشرون بدون تاريخ .

التى استقى أصولها من الأدب الفرنسى ، وساهم بها فى حركة النقد الأدبى العربى .

٥ـ دفاع عن البلاغة

ألفه الزيات بعد عام ١٩٣٤ ، للرد على حملات التشهير بالبلاغة القديمة ، وأرجع ما تعانيه البلاغة فى العصر الحديث إلى ثلاثة عوامل : السرعة والصحافة والتطفل ، ورأى أنها البلايا الثلاث التى تكابدها البلاغة المعاصرة .

ورأى الزيات أن البلاغة موهبة قبل كل شىء ، وليست صنعة يمكن اكتسابها ، وحددها بأنها « البلاغة التى لا تفصل بين العقل والذوق ، ولابين الفكر والكلمة ، ولا بين الموضوع والشكل ، إذ الكلام كائن حى ، روحه المعنى ، وجسمه اللفظ ، فإذا فصلت بينهما أصبح الروح نفسا لا يتمثل ، والجسم جمادا لا يحسّ »[(١)] .

وأشار إلى أن الذوق الأدبى أداة الفن ، وأن العقل أداة العلم ، فالذى لا يتذوق لا يدرك الجمال ، والذى لا يفقه لا يعرف الحق ، ورسم وسائل تكوين الأدب ومذاهبه ، وتحدث عن الأسلوب ، ونشأة مذاهب الكتابة فى تاريخ اللغة العربية ، وظهور المذاهب الأدبية فى أوروبا ، وفند مزاعم القائلين بالعامية ، وكشف حقيقة الدعوة إلى الرمزية

٦ـ مختارات من الأدب الفرنسى

هى من عيون النثر والشعر ، معظم النثر قصص « لجى دى موباسان » ، أما الشعر فترجمة لقصائد وصور شعرية ، معظمها للامرتين ١٧٩٠ ـ ١٨٦٩ ، واللافت للنظر فى هذه المختارات أن الزيات ضمن النثر قصة الكاتب الإنجليزى « أرتولدينت » ويبدو أنه ترجمها عن الفرنسية ، كما أطلق اسم زعيم النثر الفرنسى على « شوتوبريان » .

يدل الكتاب ـ فى اختياراته ـ على ولع الزيات بمن ترجم إنتاجهم ، أما من حيث الأسلوب فقد تصرف الزيات فيه ، ليقربه إلى العربية ، تقوده دقته وأمانته ، وإلا سميت ترجماته تعريبا .

٧ـ وحى الرسالة

ضمّنه الزيات المقالات التى كتبها فى مجلة الرسالة ، طوال عمرها ١٩٣٣ ـ ١٩٥٣ ، وقدم لها فى الغلاف الخارجى بقوله : « فصول فى الأدب والنقد والسياسة والاجتماع والقصص » ، وهذا يعنى أن مقالات الكتاب متفرقة ، تتناول شئون الثقافة والأدب ، لكنها تحمل تجاربه وانفعالاته وأفكاره وفلسفته فى الحياة .

تتسم مقالات الكتاب بالطابع العربى ، الذى تتميز به كتابات فحول الكتاب من المتقدمين ، وتطعيمها بآثار الفكر الأوروبى ، وروائع الأدب الغربى ، وبهذا الكتاب نال الزيات جائزة الدولة التقديرية عام ١٩٥٣ .

٨ـ فى ضوء الرسالة

يعد هذا الكتاب امتدادا لكتاب وحى الرسالة ، ضمنه الزيات المقالات التى كتبها بعد احتجاب مجلة الرسالة عام ١٩٥٣ ، والتى نشرها فى جريدتى الشعب والجمهورية ، وفى مجلتى الهلال والأزهر ، وقدم لمقالات الكتاب فى الغلاف الخارجى بقوله : « ألوان من الأدب والتاريخ » .

---

(١) راجع : دفاع عن البلاغة ص ١٧ احمد حسن الزيات طبعة ١٩٤٥ .

ويلاحظ أن بعض مقالات الكتاب معاد ومكرر ، وبعضها جديد يحمل ذكريات الماضى ، وتضم مباحث لغوية ، ودراسات تناولت الواقعية والأدب ، وقضية الشعر المرسل وغيرها ، كما يلاحظ أن مؤلفات الزيات تحمل أفكارا جديدة فى البلاغة والأدب ، ويسودها أسلوب مميز فى اختيار الألفاظ ، وسبك الجمل ، وروعة الأداء ، وجمال التعبير ، وقوة التصوير .

الرسالة والزيات

اتخذ الزيات فكرة تسميتها من معنى الرسالة المحمدية الخالدة ، لتكون أسلوبا ومنهجا وغاية[1] ، والرسالة منذ صدور عددها الأول فى الخامس عشر من يناير عام ١٩٣٣ ، حتى آخر أعدادها الصادر فى الثالث والعشرين من فبراير عام ١٩٥٣ ، مرت بأربع مراحل نجمل القول فيها ، وهى :

المرحلة الأولى :

هى مرحلة الرسالة النصف شهرية . . تبدأ من العدد الأول الصادر فى ١٥ يناير عام ١٩٣٣ ، وإلى العدد ٢١ الصادر فى ١٥ نوفمبر عام ١٩٣٣ ، مهدت أعداد هذه المرحلة للمراحل التى تلتها ، وخاصة المرحلة الثانية التى تعد من أهم مراحلها .

تناولت أعداد هذه المرحلة موضوعات عديدة أهمها : حوادث وأحاديث ، وفى الأدب العربى ، وفى الأدب الشرقى ، وفى الأدب الغربى ، وباب العلم ، والعالم النسائى ، وباب القصص ، والعالم المسرحى والسينمائى ، ومن طرائف الشعر .

المرحلة الثانية :

هى مرحلة الرسالة الشابة ، أى أنها أخصب وأعمق مراحلها ، تبدأ من العدد ٢٢ الصادر فى ٤ ديسمبر عام ١٩٣٣ ، إلى العدد ٣٣٨ الصادر فى ٢٥ ديسمبر عام ١٩٣٩ ، حيث زادت أبوابا جديدة على أبوابها السابقة ، مثل النسائيات ، والأخبار الأدبية والعلمية والثقافية ، والقصص والاقتصاد والاجتماع والسياسة العالمية ، وبذا خطت الرسالة خطوة جديدة ومفيدة .

وفى أول يناير عام ١٩٣٧ ظهرت الرسالة ومعها الرواية ـ مجلة القصص العالمى والسمر الرفيع ـ تنقل من بدائع الأدب الغربى ، الأقاصيص والروايات والمذكرات والاعترافات والسير ، « فترضى الذوق كما ترضى الرسالة العقل ، وترفع القصة كما ترفع الرسالة المقالة ، وتسجل أدب الغرب كما تسجل الرسالة أدب العرب »[1] .

وأبرز موضوعات هذه المرحلة سلسلة مقالات للزيات ، تناولت علل المجتمع المصرى من فقر وجهل ومرض ، ومعاناة الفلاح من ظلم الإقطاع له ، وإهمال الحكومة لشئونه ، وصفه الزيات بقوله : « لا يكاد ينزع يده من الأرض ، ولا يرفع طرفه إلى السماء ، ولا يتبين وجهه الدنيا ، ولا يتصور غاية الحكم ، ثم يحول عليه الحول فلا يجد نقودا فى جيبه ، ولا سرورا فى قلبه »[2] .

بجانب سلسلة مقالات تناولت الحياة الأدبية فى معظم بلدان العروبة ، وأخرى : دارت حول العلوم والفلسفة ، وثالثة : اهتمت بالشعر

---

(١) راجع : العدد ١٨٣ من مجلة الرسالة الصادر فى ١٩٣٧/١/٤ .

(٢) راجع : العدد ٤٠ من مجلة الرسالة ، الصادر فى ١٩٣٤/٤/٩ .

والقصة والموضوعات الإسلامية مع الأبواب الثابتة .

المرحلة الثالثة :

هى مرحلة الرسالة خلال الحرب العالمية الثانية ، تبدأ من العدد ٣٣٩ الصادر فى أول يناير عام ١٩٤٠ ، إلى العدد ٦٠٦ الصادر فى ١٢ فبراير عام ١٩٤٥ ، فى هذه المرحلة أدمجت الرواية مع الرسالة ، وأصبح المسمى « الرسالة والرواية » وبدأت العناية بالأقصوصة ، فتضمن معظم أعدادها أقصوصة أو أقصوصتين ، من أروع ما أُلّف أو نقل .

تناولت أعداد هذه المرحلة الكثير من الأبواب ، ففى باب القصص كتب محمد سعيد العريان ، وفى باب الأدب الفنلندى كتب صديق شيبوب ، وفى باب الأدب فى سير أعلامه كتب محمود الخفيف ، وفى باب من هنا وهناك كتب محمود محمد شاكر ، وعن الشعر المرسل والشعر الحر كتب دريني خشبة سلسلة من المقالات ، تناول فيها محاولات محمد فريد أبو حديد ، وعلى أحمد باكثير ، وأحمد زكى أبو شادى .

وفى باب أوزان الشعر العربى ، كتب محمد مندور سلسلة من المقالات ، وفى باب كتب وشخصيات تناول سيد قطب أدب المازنى ، وزهرة العمر لتوفيق الحكيم ، والصديقة بنت الصديق للعقاد بالنقد والتقويم ، وعن قضية مقتل الحلاج كتب عبد المتعال الصعيدى عدة مقالات ، وتحت عنوان « الحديث ذو شجون » سجّل خواطره ، وغيرها من الأبواب .

وفى عدد الهجرة النبوية ٥٥٠ الصادر فى ٢١ المحرم ١٣٦٣ هـ = ١٧ يناير ١٩٤٤ احتلت الموضوعات الدينية معظم صفحاته ، فكتب الزيات عن عبقرية الإسلام ، وكتب العقاد عن الروحانية بين موسى وعيسى ومحمد عليهم السلام ، وكتب محمود شلتوت عن فقه عمر ، وكتب أنطوان الجويل عن عظمة العيد وعبرة الذكرى ، وغيرها من الموضوعات التى تدور فى فلك الدين أو الهجرة .

المرحلة الرابعة :

هى فترة الرسالة فى مرحلتها الأخيرة ، تبدأ بالعدد ٦٠٧ الصادر فى ١٩ فبراير عام ١٩٤٥ ، إلى العدد ١٠٢٥ الصادر فى ٢٣ فبراير عام ١٩٥٣ ، تعكس صفحات أعداد هذه المرحلة السياسة الاجتماعية التى كانت مصر عليها ، فالزيات فى مقالة « نهضة العرب مشكلة » تناول مشكلتنا مع الاستعمار الذى يرى أن العرب دواب سخروا لنقل الأحمال وجر الأثقال [١] .

وكتب عمر الدسوقى عن فلسطين ، وهاجم الأمريكان لمساندتهم اليهود ضد الحق العربى [٢] ، وكتب سيد قطب عن شيلوك الجديد أو قضية فلسطين ، وهى مسرحية لعلى أحمد باكثير ، وتناولها بالنقد والتعليق[٣] ، وكان العدد ١٠٢٥ الصادر فى ٢٣ فبراير عام ١٩٥٣ آخر أعداد الرسالة ، فقد افتتحه الزيات بعنوان « الرسالة

---

(١) راجع : العدد ٦٢٦ من مجلة الرسالة الصادر فى ١٩٤٥/٧/٢ .

(٢) راجع : العدد ٦٥٤ من مجلة الرسالة الصادر فى ١٩٤٦/١/١٤ .

(٣) راجع : العدد ٦٥٥ من مجلة الرسالة ، الصادر فى ١٩٤٦/١/٢١ .

تحتجب » أعلن فيه توقفها عن الصدور ، وألقى تبعة احتجابها على الحكومة بوجه عام ، وعلى وزارة التربية والتعليم بوجه خاص ، وختم مقاله بقوله : « ولكن القضاء غالب ، والرجاء فى الله أولى ، ولكل أجل كتاب ، ولكل سافرة حجاب ، ولكل بداية نهاية »[1] .

أثر الرسالة فى التاريخ الأدبى

حرص الزيات طوال حياة « الرسالة » ١٩٣٣ ـ ١٩٥٣ ، أن يتخذ من تسميتها أسلوبا ومنهجا ، يواجه به طغيان السياسة ، ويدعم به ذوق الناشئين فى مواجهة بهرج الأدب ، وتوضيح الطريق أمام حيرة أبناء الأمة ، بجانب ربط القديم بالحديث ، ووصل الشرق بالغرب .

لذا نجد أنور الجندى يقول : « إن الرسالة جمعت بين الأدب الوصفى والأدب الإنشائى ، وبين القصة والشعر ، وأن قوام مدرسة الرسالة ، روح الزيات الأدبية المتسمة بالأسلوب البليغ ، والعبارة المتزنة ، والكلمة النقية ، والنقد والإبداع ، وبالرغم من أن بعض كتاب السياسة انتقل إلى الرسالة إلا أن إنتاجهم كان قد تطور وتحول من حال إلى حال[2] .

ومثل بكتابات طه حسين فى صحيفة « السياسة » ١٩٢٣ تحت عنوان « حديث الأربعاء » عن المجون فى العصر العباسى ، وتحوله فى « الرسالة » عام ١٩٣٣ إلى الكتابة تحت عنوان « على هامش السيرة » وبما كتبه مصطفى صادق الرافعى عن حديث القمر وأوراق الورد قبل صدور الرسالة ، ثم تحوله إلى كتابة مقالات جيدة فى « الرسالة » ألفت فى مجموعها كتابه المسمى « وحى القلم » .

والذى يتابع مسيرة المجلات قبل صدور الرسالة ، يجد معظمها قد حمل شخصيات منشئيها ، ولم تنفك عن السمات الفكرية لأصحابها ، فالمقتطف منذ صدورها فى بيروت عام ١٨٧٦ ، ثم انتقالها لمصر عام ١٨٨٥ ، تحمل السمات العلمية ليعقوب صروف ، والهلال منذ ظهورها عام ١٨٩٢ تحمل السمات التاريخية لجورجى زيدان ، والأستاذ منذ وجودها عام ١٨٩٢ تحمل تدفق نبضات عبد الله النديم فى نقده العنيف للحكومة والاستعمار .

بينما « الرسالة » منذ صدورها عام ١٩٣٣ لم تكن أسيرة للزيات ، وإنما شكلت ذاتها وفق ظروفها ، ولم تكن مجرد وعاء للمادة الأدبية والصحفية ، وإنما كانت بمثابة الأرض التى نبتت فيها الأزهار الأدبية[3] ، ولا يعنى هذا أن الرسالة لم تتأثر بأسلوب الزيات أو شخصيته ، أو لم يكن له تأثير فى كتاباته ، فالرجل قضى بها عشرين عاما ، وقد ملك أداة الإبداع ، التى وجهته إلى المقال ، وحدّدت مستقبله الأدبى ، ولولاها لأبعده التدريس عن التأليف والترجمة ، حيث شغله

(١) راجع : العدد ١٠٢٥ من مجلة الرسالة الصادر فى ١٩٥٣/١٢/٢٢ .

(٢) راجع : المحافظة والتجديد فى النثر العربى فى مائة عام ص ٦٥٥ طبعة الرسالة عام ١٩٦١ .

(٣) يلاحظ أن المجلات التى عاصرت « الرسالة » اهتمت بالأدب دون الثقافة : المعرفة ١٩٣١ ـ ١٩٣٤ شهرية ، المجلة الجديدة ١٩٢٩ ـ ١٩٤١ ، ومن ١٩٤٢ ـ ١٩٤٤ شهرية . الكاتب المصرى ١٩٤٥ ـ ١٩٤٨ شهرية . أبوللو ١٩٣٢ ـ ١٩٣٤ شهرية ، مجلتى ١٩٣٤ ـ ١٩٤٥ شهرية . وبذا يظهر دور « الرسالة » وأثرها فى الحياة الفكرية والأدبية دون غيرها .

بمدرسة الفرير بالخرنفش عام ١٩٠٧ - ١٩١٤ ، ومدرسة الظاهر عام ١٩١٤ - ١٩٢٢ ، ورياسة قسم اللغة العربية بالجامعة الأمريكية ١٩٢٢ - ١٩٢٩ ، وعمله ببغداد فى مدرسة المعلمين العليا عام ١٩٢٩ - ١٩٣٢ .

من هنا تميزت « الرسالة » عن غيرها فى التأريخ الأدبى ، وبالذات فى رصد حركة الأدب المعاصر عند ظهور شخصية أدبية أو وجود ظاهرة فنية ، أو استحداث فن من فنون الأدب ، أو نشوب معركة أدبية ، وما أكثر ما حفلت صفحات الرسالة به ، من موضوعات خلال فترة ظهورها التى امتدت إلى عشرين عاما .

لذا قيل عن الزيات والرسالة : « الذين يعرفون الزيات يعرفون مجلة الرسالة التى ظلت مايقرب من ربع قرن ، تحمل رسالة الفكر العربى فى كل مكان من العالم الناطق بالضاد ، والتى كانت مدرسة حقيقية ، ربت جيلا وأنشأت أدبا ، وثقفت وعلمت ، وقامت على صفحاتها معارك النقد والتجديد[1] .

والمسلم به أن « الرسالة » مجلة أدبية ، أثرت التأريخ الأدبى ، بالعديد من الموضوعات والقضايا والشخصيات والأفكار ، وبما نشرت من آداب مختلف الأمم وفنونها ، وبما أحيت من التراث العربى القديم ، وبذا تنفرد دون غيرها من المجلات التى ظهرت - قبلها أو عاصرتها - فى البلدان العربية .

فالباحث الذى يترجم - مثلا - لأحمد شوقى ، أو زكى مبارك ، أو عباس العقاد ، أو طه حسين ، عليه مراجعة أعداد الرسالة ، وإلا فاته الوقوف على عناصر تكوين الشخصية التى هو بصددها ، وبَعُدَ عن دراسة تاريخها ، والدارس لظاهرة الشعر الجديد أو الحر ، عليه حتى تجدى دراسته أن يرجع إلى الأعداد الأولى من مجلة « الرسالة » حيث صاحبت هذه الظاهرة أول أعدادها .

من هنا يبدو دور « الرسالة » فى مجال التأريخ لحركة الأدب ، وفى حفظ مالم ينشر فى كتب ، من كتابات كبار الأدباء ، وتعد أعدادها التى تجاوزت الألف ثروة من تراثنا الأدبى ، وثقافة جامعة عرفتها مختلف بلاد العروبة منذ ظهورها على الساحة الأدبية عام ١٩٣٣ .

يضاف لذلك ما نشرت من روائع مختلف الآداب : إنجليزية وألمانية وإيطالية وأسبانية وروسية وهندية ، وما عرفت من أعلام العالم ، وقدمت لفصول من التراث الأدبى القديم .

وعلى هذا ستظل أعداد مجلة « الرسالة » التى بلغت خمسة وعشرين بعد الألف مصدرا للدارسين فى تاريخ الفكر والفن ، وفى إثراء المكتبة العربية بمقالات جمعت فى كتب ، مثل وحى الرسالة لأحمد حسن الزيات ، ووحى القلم لمصطفى صادق الرافعى ، والبرج العاجى لتوفيق الحكيم ، وترجمات لدرينى خشبة ، وأحمد عرابى لمحمود الخفيف ، وليلى المريضة فى العراق لزكى مبارك ، وعلى هامش السيرة لطه حسين ، وغيرها من الكتابات المتفرقة فى أعداد الرسالة ، ثم جمعت فى كتب يرجع إليها طلاب العلم ورواد المعرفة من حين لآخر .

---

(١) راجع : الحديث عن الزيات ، المجمعيون فى ثلاثين عاما ، ، ومحمد مهدى علام ، الهيئة العامة لشئون المطابع عام ١٩٦٤ .

مآثر إسلامية

فى الصحافة الأجنبية

للأستاذ / مجدى عبد الحميد بشير

كانت الحضارة الإسلامية ذات يوم ملء الأسماع والأبصار ، لا ينكرها إلا جاحد أو حاقد ، ويقر بها العدو قبل الصديق ، ويرتوى من معينها الثرى كل ظامىء إلى المعرفة ، متعطش للعلم ، متطلع إلى السمو الأخلاقى ، يدرك أن رسالة الإنسان الحقيقية هى : عبادة الله وحده ، وإعمار الكون ، وهما هدفان لا يمكن فصل أحدهما عن الآخر تماما ، كما لا يمكن وضع الصورة خارج إطارها ، فأعمالنا هى صورتنا المعبرة عن شخصيتنا ، والمجسمة لتقدمنا ، وهى تخلو من المعنى والمغزى ، إذا كانت فى معزل عن الإيمان ، الذى يمثل الإطار المنوط به حفظ هذه الصورة ، من عوامل الفساد ، وإبقائها فى حال من الوضاءة والإشراق ، يزيدها بهاء ورواء ما تثرى به الآخرين من شغف بالسؤدد ، وتشوف للكمالات الإنسانية ، ونشدان للمعالى . وهذا بالفعل ما أدركه أسلافنا ، فمزجوا الدين بالدنيا مزجا ، جعلهم محل الإعجاب والإكبار ، حتى من أعدائهم ، الذين لم يملكوا أنفسهم من الذهول ، فنوهوا كثيرا بمآثر الأجداد الرائعة ، وأعمالهم الخالدة ، وسجاياهم الحميدة . وحكاية شارلمان إمبراطور الروم ، مع هارون الرشيد ، أشهر من

أن تُروى ، فقد ذهل الرجل حين أهداه أمير المؤمنين العباسى ساعة اخترعها المسلمون ، وظنها الآخر ضربا من ضروب السحر والخيال ، هذا ما كان قديما ، ونقله له الثقات من المؤرخين ، ولكن ليس من رأى كمن سمع كما يقول العارفون . ويزداد إعجابنا ، ونكون أكثر انبهارا حين نطلع القارىء الكريم على بعض الشذرات العبقة ، التى ازدانت بها إحدى المجلات الأجنبية ، التى تصدر باللغة الإنجليزية ، وهى مجلة تخصصت فى نشر الثقافة ذات المستوى الرفيع ، وزاد من أهميتها أن لها موقعا على شبكة المعلومات الدولية (الإنترنت) فقد نشرت فى عددين متتاليين اثنتين من المآثر الإسلامية الزاهرة ، التى تجعلنا نرفع رؤوسنا بكل شموخ وإباء ، أن صرنا أغرودة عذبة فى فم الأصدقاء ، وغير الأصدقاء ، والحمد لله أنهم نوهوا وأشادوا وكتبوا ودونوا فى مجلتهم هذه الأسطر المضيئة .

ففى عدد مارس ١٩٩٨ من مجلة (ماتيلدا زيجلر) للمكفوفين التى تصدر من (أمريكا) منذ عام ١٩٠٧ جاءت قصة حقيقية فى أسطر قليلة إن دلت على شىء ، فهى إنما تدل على مدى امتثال المسلمين لأول نداء سماوى ورد فى قول ربنا ـ تبارك وتعالى ـ لرسوله الكريم محمد ـ ﷺ ـ :

﴿ ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ﴾ (العلق ـ ١)

الآيات قالت المجلة « إن عبد الله أبا القاسم ابن إسماعيل المعروف بـ (الشهر زورى) وكان كبير الوزراء فى فارس ، فى القرن العاشر الميلادى ، اعتاد ألا يسافر مطلقا إلا مصطحبا معه كتبه ومراجعه ، ويصل بك العجب مداه حين تعلم أن مكتبته تلك كانت تتكون من مجلدات ضخمة ، بلغ عددها مائة وسبعة عشر ألف مجلد ، تحملها قافلة من الجمال ، يبلغ عددها أربعمائة من الإبل . إلى هنا وربما بدا الأمر عاديا ، رغم صعوبته ، وتكلفته العالية ، لكن الذى لم يكن فى الحسبان أنه تم تدريب هذه الإبل تدريبا دقيقا ، حتى تسير حاملة الكتب ، وقد رتبت عليها ترتيبا (ألف بائيا) . فأين أصحاب الحواسيب ذوات الإمكانات المهولة ، من أولئك المنسقينَ ذوى الإمكانات ، التى لا تقارن بحال بإمكانات عصر المعلومات .

وبعد فلربما اعتبر البعض ذلك العمل على ضخامته ، وندرة طرازه عملا فرديا ؛ زاعمين أنه لا يفيد المجموع فى شىء ، ومن هنا نرى لزاما علينا ، أن نورد مثلا آخر تعدت فائدته الفرد إلى المجموع ، وتجاوزت أهميته مجرد الاستمتاع بمتعة القراءة النظرية إلى المنفعة العملية ، التى تدل بحق على توقد ذهنى ، وذكاء فطرى ، وبراعة فى استثمار الخبرة ، وإعمال التجربة ؛ تطبيقا للمنهج العلمى السليم .

ففى عدد أبريل من المجلة ذاتها ، وعلى مدى صفحة كاملة جاءت هذه القصة تحت عنوان : (تحديد موقع المستشفى) .

قالت المجلة : إن العالم أبا بكر محمد بن زكريا الرازى ، المولود سنة٨٤١م ، والمتوفى سنة ٩٢٦م والمعروف لدى الغرب باسم : RHAZES والمولود فى فارس (إيران الحالية) فى بلد تسمى الرى ، بالقرب من طهران ، هذا العالم الذى قضى شبابه فى تعلم الموسيقى والرياضيات ، وعلم الكيمياء ، قام بالسفر إلى بغداد ؛ ليواصل دراسة الطب . وكان ساعتها فى

سن الأربعين ، وبعد استكمال دراساته عاد إلى مسقط رأسه ؛ ليستأنف إدارته لمستشفى ذلك البلد المحظوظ . وطبقت شهرته الآفاق ، إذ فى غضون بضع سنين تم اختياره ليكون مديرا لأحد المستشفيات الجديدة ، التى كان من المزمع بناؤها فى بغداد ، عاصمة الخلافة الإسلامية حينذاك ، واستن فى سبيل إقامة هذا المستشفى سنة لم يسبق إليها ، فقد أمر القائمين على المشروع بتعليق قطع من اللحم النيىء مواقع مختلفة من المدينة ، ثم قام بعد ذلك بفحص هذه القطع المعرضة للهواء ؛ ليتبين مدى تأثرها ، ودرجة الفساد أو الصلاحية ، التى وصلت إليها . ثم أمر ببناء المستشفى فى المكان الذى لم تتأثر فيه قطع اللحم إلا بأقل قدر من العفونة . وكانت حجته الرائعة فى ذلك أن أكثر الأماكن تمتعا بالهواء النقى ، هى أصلحها لإقامة ذلك الصرح الصحى الشامخ .

وهو مفهوم بيئى سابق لعصره ، توصل إليه الرازى بفطنته ، وصفاء قريحته ، فحق له أن يكون محل الحظوة والإجلال فى واحدة من أعرق المجلات الثقافية ، والكتب الأجنبية ، ليكون هو وأمثاله من العلماء الأفذاذ ، القدوة الحسنة ، والأسوة الطيبة ، التى ينشدها شبابنا الواعد فى سبيل ارتقاء سلم المجد ، وذرى العلياء .

وفى عدد ديسمبر ١٩٩٥ من نفس المجلة جاء فى فقرة نشرتها قولها : « إن الناس فى الغرب بشكل عام لا يدركون حقيقة : أن الإسلام يمثل ركنا ركينا من التراث الدينى ، الذى أوحت به السماء إلى الأنبياء ، وبدأ بنبى الله إبراهيم - عليه السلام - واستمر عبر سلسلة من الأنبياء شملت موسى وعيسى (وامتنع الكاتب - مطلقا - عن ذكر اسم النبى محمد - ﷺ - وواصل قائلا : « إن أديان التوحيد الثلاثة العظيمة كان مهدها الشرق الأوسط ، وإن اليهودية والمسيحية والإسلام كلها بها نقاط التقاء ، ولتأكيد هذا المعنى طلب الكاتب من القراء - فى شكل اختبارى - ذكر مصدر بعض النصوص التى أوردها . . هل هو العهد القديم أو العهد الجديد أو القرآن ؟ وأجاب فى النهاية : إنها آيات من القرآن الكريم نوردها مصححين خطأ جاء فى آخرها .

قال تعالى :

﴿ وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾

(لبقرة - ٣٥)

﴿ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّى فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾

(البقرة - ٤٧)

﴿ وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾

(آل عمران - ٤٢)

وأما الآية الرابعة فقد ذكرها الكاتب ، وتعمد حذف اسم الرسول - ﷺ - منها ، كما لم يذكر اسم سيدنا نوح ، لهدف لا نعلمه ، ونص الآية :

﴿ إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيْمَٰنَ ۚ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴾

(النساء - ١٦٣)

هذا وبالله التوفيق

دوحة الكتب

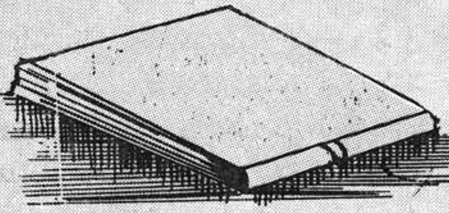

إعداد: محمود الفشنى

على الرغم من ثورة المعلومات وانتشار أجهزة استقبال البث الفضائى والتطور المتلاحق فى الشبكات العلمية وعلوم الكمبيوتر يظل الكتاب رافداً من أهم روافد الإشعاع الثقافى ؛ ولذا نقدم ـ دون نقد أو تعليق فى نبذة مختصرة ـ تعريفاً بأحدث ما فى المكتبات من كتب إسلامية وثقافية وعلمية .

المحرر

الحرم المكّى الشريف والأعلام المحيطة به

بحث وإعداد الدكتور/ عبد الملك بن عبد الله دهيش

● عزيزى القارىء : إن الكتابة عن الحرم المكى تحتاج منا إلى مجلدات ، ويصعب فيها العرض والتحليل ، ولكن من عظيم سرورى أن يكون لى الشرف فى عرض هذه الموسوعة فى التاريخ الدينى .

● وهذه رحلة غير عادية ، لأنها ليس من بلد إلى بلد ! إنما هى طواف حول بلد بمسار دقيق لايجوز أن نحيد عنه ذات اليمين ، ولا ذات الشمال .

● وهذه الموسوعة التاريخية بدأها الباحث بمقدمة شرح فيها بداية رحلته فى بعض اللجان المكلفة بهذا الأمر بصحبة والده فضيلة الشيخ عبد الله بن عمر بن دهيش عندما كان رئيسا لمحاكم مكة المكرمة .

* الباحث/ الرئيس العام لتعليم البنات بالمملكة العربية السعودية.

● وأخذ الحماس والرغبة بهذا الباحث فى البحث والتنقيب بعد أن تعمق فى دراسة المباحث الجغرافية ، التى ذكرها الفاكهى فى كتابه ، وخاصة الأعلام التى صرح بها ، والمخطوطات التى ذكرها فى (كتاب الفاكهى) .

● وبدأ الباحث رحلته مستعينا بأهل الخبرة ممن لهم دراية فى مواضع مكة وجبالها ووهادها . وأعلامها ، وشعابها ، وأسماء جبالها ، وريعانها ، وأوديتها ، وآبارها .

● ثم قام الباحث بمسح شامل لتلك المواضع ، حيث استعرض الحدود .الحد الشرقى ، والحد الشمالى ، والحد الغربى ، والحد الجنوبى .

● وقد رأى الباحث فى رحلته (٩٢٣) علما تحيط بالحرم المكى إحاطة تامة ، أقامها السلف ، رغم ارتفاع الجبال أكثر من ٥٠٠ متر عند سطح البحر .

● انتقل بعد ذلك إلى تقسيم البحث ، وقسمه إلى ثلاثة أبواب ، وكل باب إلى فصلين ، ففى الباب الأول : أشار إلى تاريخ أعلام الحرم المكى ، ولماذا تم اختيار الحرم على سائر الأرض ؟ ويعتبر بعض المختصين أن مكة المكرمة هى مركز الأرض ، وقد توصلوا إلى ذلك بوسائل علمية ، قامت على نوع من الإسقاط المساحى الخاص ، فتوصلوا إلى هذه النتيجة الدقيقة ؟

● ثم شرح الباحث متى حرمت مكة المكرمة ؟ وأشار أن المتتبع للآيات القرآنية والأحاديث النبوية يجد أن الله قد حرم مكة يوم خلق السموات والأرض .

● تعرض بعد ذلك إلى المواقيت ، ودوائر الحرم ، وشرح كيف أن الكعبة تحيط بها دوائر ثلاث هى : دائرة المسجد دائرة الحرم ، ودائرة المواقيت ، وهى مواضع حددها الشارع الحكيم فلا يتجاوز هذه المواقت إن كان قاصدا دخول مكة المكرمة .

● والمواقيت هى : ذو الحليفة ، والجحفة ، وذات عرق ، وقرن المنازل ، ويلملم .

● ثم أشار بعد ذلك إلى سبب تحريم الحرم .

● ثم تناول الباحث خصائص الحرم المكى ، وأحكامه ، منها أن الصلوات الخمس تضاعف فيه ، تضاعف القرابات ، تضاعف السيئة ، عدم كراهية صلاة النافلة ، إن صلاة العيد تقام فى المسجد الحرام ، أن لا يدخل الحرم إلا بإحرام ، كراهية إقامة الحد فيه ، وأنها اختصت ببئر زمزم ، وغيرها من الخصائص ، أما تجديد أعلام الحرم بعد سيدنا إبراهيم ـ عليه السلام ـ إلى أن جددها

النبى - صلى الله عليه وسلم - فهم إسماعيل - عليه السلام - عدنان من أولاد قصى بن كلاب قريش أثناء البعثة ، ثم تجديد النبى - صلى الله عليه وسلم - ثم عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - وعثمان بن عفان ، ومعاوية ، وعبد الملك بن مروان ، والمهدى العباسى حتى انتهى التجديد على يد خادم الحرمين الملك فهد .

● ثم ذكر الباحث جهود الإمامين الأزرقى والفاكهى والمواضع التى ذكراها فى حدود الحرم ثم الأودية التى تسكب سيولها من الحل إلى الحرم ، ومداخل مكة التى كانت فى زمنهما .

● وأشار إلى جهود محب الدين الطبرى ، والإمام تقى الدين الفاسى ، ثم تقييم الجهود المبذولة فى تحديد المسافات بين الحرم والأعلام المحيطة به .

● لقد تحدث الباحث فى شرح وتوضيح لم يسبقه فيه أحد أعلام الحدود كالحد الشرقى ، والحد الشمالى ، والحد الغربى ، وأخيرا الحد الجنوبى .

● حتى توصل الباحث إلى نتائج أهمها إن علم (حدود الحرم الشريف) من العلوم التى لم تكتب كتابة مستقلة ، ولم تدون منذ أول وجود لها على الأرض تدوينا قائما بذاته إلى يوم الناس هذا.وأن تحديد حدود الحرم أمر توقيفى لا مجال فيه للاجتهاد . إن عدد الأعلام المحيطة بالحرم التى وقفت عليها الدراسة ووصفتها وصورتها هى ٩٣٤ علما ، وعدد الجبال التى يسير عليها حد الحرم هى ٤٥ جبلا ، وعدد الثنايا (الريعان) والشرفات التى يمر بها حد الحرم ١٦ ثنية وشرفة .

● وكانت هناك سبعة اقتراحات أهمها وجوب المسارعة بتنصيب أعلام طريق جدة السريع ، وطريق الطائف السريع ، ووجوب المسارعة إلى وضع أعلام الليث بين جبلى الدوامة السوداء وجبل نعيلة ، ثم إعادة بناء جميع الأعلام المتهدمة التى كانت قائمة على رؤوس الجبال والمرتفعات ، إنشاء دائرة خاصة لشؤون حدود الحرم ، تقرير فصل من فصول الجغرافيا فى أحد مقررات الدراسة لسنة من السنوات فى المرحلة المتوسطة والثانوية موضوع حدود الحرم .

● وأخيرا عزيزى القارىء بعد أن استغرقت رحلة هذا الباحث تسعة أشهر فى شهور الشتاء والربيع والخريف ، وكان يتسلق الجبال بعد صلاة الفجر ، أو فى المساء بعد صلاة العصر حتى غروب الشمس ، وكان يشرح بالرسم المخطط كل الجبال والقمم الموجودة بها ، ويسجل مابين الأعلام من مسافات ووصفها ، وبعد النزول يحصى ما وجده من أعلام ثم يكتب وصفا عاما للجبل من حيث حدوده وأبعاده ولون حجارته ، وقام بتصوير أكثر من ٢٠٠٠ صورة واستعان بمكتب هندسى ، وبهذا قام الباحث برحلة شاقة ، ولكنها جميلة وعظيمة .

● وهذا البحث غزير المادة ، متعدد الجوانب ، وهو عبارة عن جهد فردى للباحث سجله بكامل الأمانة .

● أضم ندائى إلى نداء الباحث بأن نلفت نظر المؤسسات العلمية والدينية إلى هذا الموضوع الهام .

● عزيزى القارىء هذه رسالة بسيطة حاولت أن أقدمها لك هدية عن أعظم مكان فى الوجود .

القضـــاء والقـــدر فـــى الإســـلام

تأليف الدكتور: فاروق أحمد الدسوقى

● عزيزى القارىء إن قضية القضاء والقدر من أهم القضايا التى مازالت فيها الاجتهادات والآراء ، وهى مدار علم الكلام ، ومفترق الطرق ، التى سلكتها المدارس والفرق الإسلامية .

● وسيظل الفلاسفة والمفكرون مختلفين ، وأن الاختلاف هو روح الفلسفة وسبب وجودها ، وعلة استمرارها .

● والفلسفة هى البحث عن الحقيقة من كون وإنسان ، وموقف الإنسان الوجودى ومصيره بعد الموت ، ومدى حريته ومكانته فى تحديد هذا المصير .

● ومؤلف هذا الكتاب يبحر ويبحث ويجتهد فى هذا العلم حتى يبطىء حدة الخلاف ، ويصل إلى نتائج تريح الإنسان فى هذه المسائل ، وإيقانا منه : أن الحل الحاسم لهذه المسألة وهى القضاء والقدر والجبر والاختيار وارد فى القرآن الكريم والسنة النبوية .

● ولهذا اتخذهما مرجعا أساسيا ، وأساسا يعتمد إليه فى كل مسألة من المسائل .

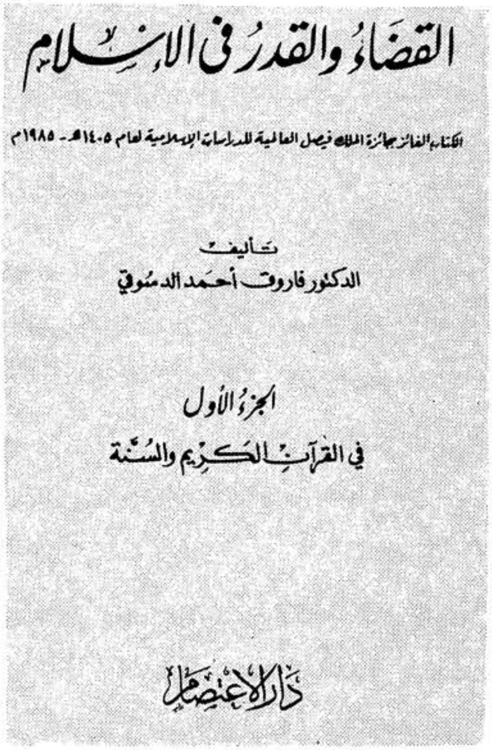

● بدأ بمقدمة شرح فيها كيف اتجه إلى دراسة الفلسفة ، وانبهار أستاذه الدكتور علي سامى النشار ببحثه لنيل درجة الماجستير ، وموضوعها : « مشكلة الحرية فى الفكر الإسلامى » .

● ويتناول فى المقدمة عقيدة التوحيد الإسلامية ، ودراسة الفكر الإسلامى ، والإسلام كحضارة ، والفلسفة الإسلامية ، ثم ناقش قضية العلوم ، ونادى بإعادة تأسيسها من القرآن والسنة .

● بعد ذلك تحدث المؤلف عن قضية إبليس والشبهات السبع ،. ومناظرة إبليس للملائكة ، ورده على الأقوال التى تعلقت بهذه المسألة ، وخاصة الرد المزعوم بأن إبليس هو البطل المأساوى أو شهيد التوحيد المظلوم .

● ثم أشار إلى شبهات إبليس فى مجال الأدب وتأييد بعض الأدباء لهذه الشبهات ورده عليهم بالقرآن والسنة المطهرة .

● تعرض أيضا لشبهات إبليس فى الفكر الدينى والفلسفى ، والمواقف الثلاثة التى يقفها الناس من القدر .

● أما فى الفصل الأول من الكتاب الذى يحتوى على أكثر من أربعمائة صفحة كلها تتعلق بالبحث عن الحقيقة فى القرآن والسنة ، ثم الرجوع إلى القرآن الكريم كله لمعرفة حقيقة قرآنية واحدة ، ثم إفراد الله بالألوهية والربوبية يوجب إفراد الوحى كمصدر للعقيدة والشريعة ، أيضا الوحى والعقل ومنهج التأويل العقلى ثم المعرفة بالوحى والمعرفة بالعقل ، ضرورة توافق الحقيقة المستنبطة من البحث فى القرآن مع غيرها من الحقائق القرآنية ، وأخيرا إخلاص النية وسلامة القصد .

● أما فى الفصل الثانى فوضح الأسس الاعتقادية للحرية الإنسانية من حيث الإنسان والزمان والفطرة والإلحاد ، ثم أشار إلى حقيقة قرآنية عظيمة وخطيرة ، وهما وجود الله عز وجل أمر بديهى لا يحتاج إلى دليل ، تعرض أيضا إلى مسألة مناهضة الملاحدة بالأدلة العقلية ، ثم الفطرة ، ونشأة الدين ، وظاهرة الإلحاد ، ثم مناهضة القرآن الكريم للملاحدة بالتعجيز وبإثبات الفطرة ، ثم الأمانة والخلافة .

● أشار أيضا إلى الإنسان والعالم والإنسان والشيطان والسماء والأرض والخلافة .

● ثم تعرض لقضية هامة ، وهى لماذا خلق الله العالم ؟ ولماذا خلق الله الإنسان ؟

فى الفصل الثالث تحدث فيها عن حكمة الخلق وتفسيره ، وخلق الحياة الدنيا ، ثم التجربة الابتلائية بالضراء والسراء ، والجبر والاختيار .

● أما فى الفصل الرابع فتحدث عن الجبر والاختيار فى القرآن الكريم ، وجوهر الاختيار البشرى فى القرآن الكريم .

● ثم أشار فى الفصل الخامس : إلى ركائز الاستطاعة البشرية فى القرآن الكريم ، تحدث فيها عن الخلافة وإثبات الاستطاعة للإنسان ، ونفى القدرة عنه ، ثم معنى الفعل الإنسانى وحدوده ، تحدث أيضا عن إثبات السنن والمشيئة الإلهية ، ثم العلة لا تخلق المعلول ، ثم طرح

مذهب المتكلمين فى علاقة العلة ، بالمعلول المعرفة والعلم أحد المقومات الثلاثية الرئيسية للحرية ، تحدث فيها عن العلم والتكنولوجيا ، وأشار إلى كتاب الله لعباس محمود العقاد عندما صرح فيه قائلا (ترقى الناس فى العقائد كما ترقى فى العلوم والصناعات) ، وهو هنا غربى يتبع المدرسة الغربية العلمانية فى تفسير نشأة الدين .

● ثم تعرض لمسألة هامة وهى محاولة الكافر يوم القيامة نفى حريته فى الدنيا ، ثم الدين والعلم مقوما الحضارة الإنسانية الصحيحة .

● أما فى الفصل السابع فقد وضح الدكتور الدسوقى القضاء والقدر قائلا : القضاء بمعنى إرادة الله النافذة فى الخلق والفعل فى زمان ومكان ، وبكيف وبكم محدودين ، والقدر فى القرآن الكريم والسنة ، هو تقدير كل شىء تقديرا مسبقا على خلقه وحدوثه أى تحديده ماهية وخاصية وصفة كما وكيفا زمانا ومكانا ، ثم تعرض للإرادة والأمر والاختيار الإنسانى والإرادة الإلهية ، وقضية الإسلام والإيمان والقدر والتدوين ، ثم القدر والابتلاء .

● انتقل بنا بعد ذلك إلى العدل الإلهى ، والكمال الإنسانى ، وأن الكلام على القضاء والقدر يجب أن يكون من خلال حقيقة الابتلاء ، لأنها الوعاء الذى يحتوى هذا كله فيقدم لنا الأمر التشريعى الإلهى والأمر الكونى متناسقين ، بلا تضارب أو تناقض أو غموض أو لبس أو إيهام ، كما يقدم لنا الجانب الاختيارى من كينونة البشر وأفعالهم فى تناسق تام وبلا تعارض أو تناقض أو تضاد .

● تعرض المؤلف أيضا إلى الحرية السياسية ، وحرية العقيدة للأفراد والشعوب ، ثم الحرية الاقتصادية ، والحرية الاجتماعية ، وتعنى : كل المواطنين جميعا سواء ، فى الحقوق والواجبات بلا تمييز طبقى ، وأخيرا الحرية السلوكية .

● أما الفصل التاسع والأخير فقد اختتمه الدكتور فاروق بالنتائج الغيبية للحرية الإنسانية ، أشار فيه بأن الجنة للفائزين وجهنم للخاسرين نتيجة حتمية للابتلاء ، تحدث فيه عن الحرية والتحلل من شرع الله وعبوديته وسبيل الخير وسبيل الشر والجنة والنار والخلافة فى الدنيا والآخرة .

● **عزيزى القارىء** : إن علم الكلام يقوم على الخلافات والتشقق والنزاع والتعصب الأعمى ، لذا اخترت لك هذا الكتاب لكل الأعمار من شباب ورجال ونساء ليكون عونا على تفهم وإدراك واستيعاب هذه القضايا الهامة التى كثر فيها الكلام فتشققت الوحدة إلى فرق ، وليكن هذا الكتاب أيضا بين يدى الباحثين والمجتهدين والمثقفين فى الفكر الإسلامى ليكون لهم طريقا علميا واضحا من طرق العلوم الإسلامية .

النصائح الدينية والوصايا الإيمانية

حققه وراجعه المستشار: السيد على بن السيد عبد الرحمن الهاشمى

● **عزيزى القارىء : إنه لمن النجاح والتطور المتلاحق ، وحسن القبول ، أن يحظى هذا الباب بهذه الموسوعة الإسلامية التى ينتفع بها المسلمون فى بقاع الأرض ، من نصائح دينية ، وقضايا إيمانية ، تحثهم على التمسك بالدين والعمل الصالح .**

ومما يزيدنا بهجة ، ويزيد الكتاب استحسانا أن يقدم له الإمام الأكبر فضيلة الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر بماله من حلاوة المنطق ، وحسن البيان وسهولة المعانى ، وعظمة العلم .

● وقد فضيلته بشرح جلى وأسلوب بديع هذه الموسوعة ، وأشاد بالمحقق السابق العلامة الشيخ حسنين محمد مخلوف مفتى الديار المصرية سابقا .

● ثم أشار فضيلته إلى الإضافة والمراجعة والزيادة الواسعة فى هذا التحقيق للمحقق المستشار السيد على بن السيد عبد الرحمن الهاشمى .

● وقد استهل فضيلته بمقدمة وافية عرض فيها منهجه فى التحقيق ، وبدأ الباحث بمبحث حول التقوى وتمنى الموت ووجوب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، ثم المباحث الرئيسية ، وتتحدث عن الصلاة والزكاة والصوم والحج وتلاوة القرآن وذكر الله ، والجهاد ، ومبحث الولايات والمنجيات ، ثم الخاتمة .

● وأشار فضيلته إلى الجهد المبذول فى هذا التحقيق حيث قال لقد وافانا بالغرض المقصود فيه الإجابة عن أسئلة كثيرة ، يحتاجها المسلم والمسلمة فى أمور حياتهما ومعاشهما .

● وأولى مباحث الكتاب : ببحث التقوى وأنها وصية الله للأولين والآخرين ، وأن الطاعات تقوى الإسلام ، والمعاصى توهنه ، ثم خير القلوب أصفاها وأصلبها ، وأرقها ، والنقية من الباطل والشر كله .

● ثم أصناف الناس فى الأمل ثلاثة ، ثم العالم الذى يعلم الناس الحيل شيطان مارد ، وعلماء السوء ، وعلامات العالم العامل ، مما ينبغى للعلماء والقضاة .

● ثم انتقل المؤلف إلى مبحث الصلاة وفيه :

وجوب كمال الطهارة للصلاة ، وجوب الخشوع ، وحضور القلب فى الصلاة ، صلاة الجمعة فرض عين بالإجماع ، وجوب صلاة الوتر إحياء مابين العشاء بين القليل الدائم خير من الكثير المنقطع .

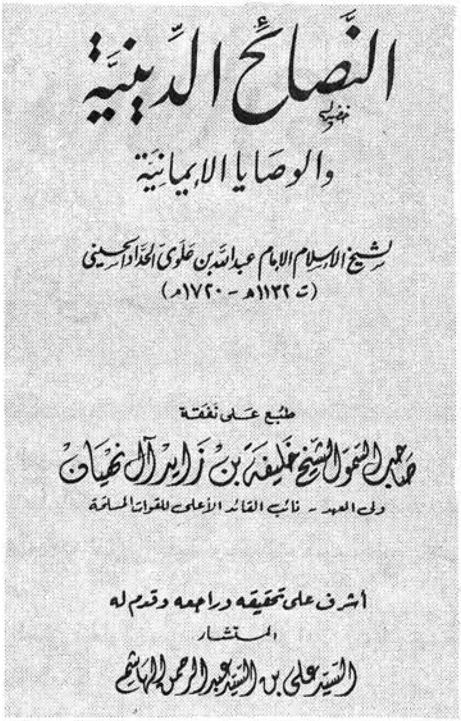
النصائح الدينية
والوصايا الايمانية
لشيخ الاسلام الامام عبدالله بن علوى الحداد الحسينى
(ت ١١٣٢هـ - ١٧٢٠م)
طبع على نفقة
صاحب السمو الشيخ خليفة بن زايد آل نهيان
ولى العهد - نائب القائد الأعلى للقوات المسلحة
أشرف على تحقيقه وراجعه وقدم له
المستشار
السيد على بن السيد عبدالرحمن الهاشمى

● أما مبحث الزكاة فقد أشار إلى فضلها ـ القليل عند الله كثير الثواب ـ التحذير من نهر السائل ، فضل الأسرار بالصدقة ، الحث فى الصدق بالمحبوب ، ذم السؤال إلا عند الحاجة الشديدة .

● ثم انتقل بنا المؤلف إلى مباحث الصوم ، والذكاة ، والحج ، وتلاوة القرآن ، من حيث آداب التلاوة ، وتحسين الصوت بالقرآن ، ثم أشار إلى مباحث : ذكر الله ـ تعالى ـ ومباحث الأمر بالمعروف ، ومباحث الجهاد ، والولايات ، وتناول فيها الأسرة والمجتمع ، ثم مبحث المحرمات والمنجيات ، حتى انتهى إلى خاتمة الكتاب حول عقلية أهل السنة والجماعة ، ثم خاتمة الخاتمة ، التى اشتملت على سبعة أحاديث شريفة مروية عن صحابة كرام .

● وقد أشاد فضيلة الشيخ عبد المعز الجزار بهذا الكتاب قائلا فلما كان كتاب « النصائح الدينية والوصايا الإيمانية» لشيخ الإسلام عبد الله بن علوى الحداد الحضرمى الشافعى من كتب التراث القيمة التى لا غنى عنها لكل مسلم يريد أن يصحح عقيدته ، فقد احتوى على العديد من المباحث التى ترشد إلى سعادة الدنيا والآخرة ، كل هذا فى وضوح عبارة ، وقوة أسلوب ، وتحقيق فى البحث ودقة فى النقل ووضوح الحجة وباهر المحجة وفيض فى البيان .

● ثم وضح فضيلته مكانة هذا الكتاب العلمية ، وأشار إلى مجموعة العلماء التى تناولته من قبل والطبعات التى نقل منها بأمانة وحرص ودقة عالية ، حتى أنه حرص على إبراز المحقق بأنه عالم عامل من علماء هذه الأمة المشهود لهم بطول الباع فى التحقيق والتدقيق وحب للعمل والعلماء ، وإخلاص فى كل ما يقوم به .

● ثم أبرز الدور السخى والمعطاء الذى يوليه سمو الشيخ خليفة بن زايد آل نهيان ولى العهد فى رعايته وعنايته بنشر كتب العلوم النافعة ، ولاسيما كتب الفقه متمثلا فى الدور الرائد فى ظل حضرة صاحب السمو الشيخ زايد بن سلطان رئيس دولة الإمارات .

● وأخيرا عزيزى القارىء أقدم لك ما يغنيك عن الاستفسار والحيرة فى أمور دينك ، فهو شعلة إسلامية بها ما يهمك فى الدنيا والآخرة .

بين المجلة والقارئ

إعداد: عادل رفاعى خفاجة

قلوب محبة

مازالت الرسائل تترى ، والألسنة تلهج بحب الشيخ الشعراوى ، داعية له أن يجزيه الله ـ تعالى ـ خير ما جزى إماماً عن محبيه ، ومازالت أصداء وفاته تلهم قراءنا بالكثير ، فتخرج قرائحهم أشجى ما عندهم فى كلمات حزينة ، عميقة المعنى ، وإننا لنحترم فيها خلجات نفوس طيبة ونبضات قلوب محبة تحتفى بإمامها الراحل ، وتسجل له مواقفه الكريمة الشجاعة .

ونحن أمام هذا الحب الغامر ، والمشاعر الجياشة ، والسيل الجارف من رسائل القراء ، رغبةً منهم أن يضم كتاب الوفاء سطوراً ولو قليلة بأيديهم ، نقدم بعضاً منها .

أمير الدعاة

وردت هذه الرسالة من أحد القراء ، ولم يشر إلى اسمه ، نقتطف منها ما يلى :

لعل مما يخفف علينا وقع المصيبة الجائحة فى وفاة إمام الدعاة قول الحق تبارك وتعالى :

﴿ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ ﴾ (الأنبياء ـ ٣٤) .

لقد عاش إمامنا ـ رضى الله عنه ـ حياة حميدة حببته إلى قلوب الملايين المؤمنين بالله ، إذ كان غيث رحمة لها ، يرد إليها نور الثقة بعد ظلام اليأس .

فها هى ذى جنازة المليون ، التى تخرج من تلقاء نفسها ملتاعة لتشييع شيخ الدعاة إلى مثواه بين قلب مكلوم ، وعين قرحها البكاء ، ونفس التاعت أيما التياع .

لقد شاهدت الخيزران أم هارون الرشيد اجتماع الناس أفواجاً ، لا يحصيها عد على سيدى عبد الله بن المبارك وهى تنظر من قصرها ، فلما سألت وعرفت أنه عالم خراسان ، قالت قولتها الشهيرة : « هذا هو الملك الحقيقى ، لا ملك هارون » .

لقد مات الشعراوى ميتةً يتمناها كل مسلم صادق . مات التقى النقى الطاهر الورع ، مشيعاً إلى مثواه ؛ لتفرح بمقدمه السماء ، وتحف روحه

الطاهرة الملائكة ليستبشر بمقدمه أبوه آدم - صلى الله عليه وعلى نبينا محمد وسلم ، وليتقطع قلب أبي مُرة ، ويتوارى خزيا هو وجنوده من شياطين الجن والإنس .

رحم الله الشعراوى رحمة واسعة ، بقدر ما أمتع بحديثه الشائق الصادر عن نفس مؤمنة ملايين المستمعين ، وبقدر ما أسال دموعاً من خشية الله . ولكم أسال من دمعى ، إذ كنت أستمع إليه ، وأدرك إدراكاً كبيراً جمال ما يفسر إذ هو مجالى ، وهو التفسير الذى إن لم يتتبع اللفظة ودورانها ، وموضعها فى السياق ، فلا فهم ولا إدراك .

وكم حاولت أن أراه فى حياتى . . ولكن إذا عزَّ المطلب فى الدنيا فهل ياترى يجود رب رحيم غفور كريم يعفو عن كثير ، أن أراه فى جنة الخلد ؟ وأين تكون منزلتى منه ؟

﴿ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾
(الأعراف - ٥٦)

فقد سئل الإمام سفيان الثورى - رضى الله عنه - هل أنت مؤمن ؟

فأجاب : الإيمان إيمانان . إن كنت تسألنى عن الإيمان بالله ، وملائكته ، ورسله ، واليوم الآخر ، فأنا مؤمن .

أما إن كنت تسأل عن الإيمان :

﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾
(الأنفال - ٢) .

فلا أدرى أأنا منهم أم لا ؟

أم ترانى أردد مع ابن زيدون - رحمه الله ، وغفر له - :

إن كان قد عز فى الدنيا اللقاء ففى
مـواقف الحشر نلقـاكم ويكفينـا

فسلام على الشعراوى ، يوم ولد ، ويوم يموت ، ويوم يبعث حيا .

والسلام عليك يا إمامنا بما أثرت فىَّ ، من لواعج الحزن ، وبواعث الأسى ، ومرارة الفقد ، الذى يصقل الروح .

ويغفر الله لى ولكم ، ولسائر المسلمين .

ورحل إمام الدعاة

من محافظة دمياط - الزرقا - كفر المياسرة

أرسل القارىء : مصدق مطاوع عيسى يقول :

كان الإمام الشعراوى ، ولا يزال علماً من أعلام الفكر الإسلامى :

ناقش بيسر القضايا الهامة ، وجعل من الصعب سهلاً . أحب الناس ، فبادلوه حباً بحب ، وكان من الشخصيات الفذة ، فترك علماً ينتفع به من أجل هذا الجيل ، والأجيال القادمة ؛ وليرفعه الله بهذا العلم مع الأبرار ، والشهداء ، والصديقين .

من أقواله الخالدة التى هزت وجدانى :

* « أحب الناس إلى قلبى ، هو الذى لا يجاملنى بإخفاء عيب فىّ » .

وهو قول يستند إلى قول الفاروق عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - « رحم الله امرءًا أهدى إلىّ عيوبى »

* أسأل الله ألا يكون تكريمى فى الدنيا ، على حساب جزائى يوم القيامة .

* إن الله موجود فينا بالفطرة ، إنه موجود فى كل حبات كياننا . نحس به ، ونشعر بوجوده ، ونعرف أنه موجود ، ومن إجاباته الملهمة عن سؤال :

لماذا خلق الله ـ تعالى ـ الشياطين ؟ وما فائدة وجودهم ؟ يقول : إنه إذا لم يوجد ما يهيجك على المعصية تصبح الطاعة أمراً اعتيادياً ، لكن عظمة الطاعة تتجلى فى أن واحداً يغريك بأن تعصى ، فتقول له : لا ؛ لأن فكرة وجود الشياطين استبقاء لحرارة التكليف .

* ومن أهم الأمور التى كان يحرص عليها :

أنه كان يخلو بنفسه يومياً ساعتين ، ليحاسبها قبل أن تُحاسب ، ويزن أعماله قبل أن تُوزن ، فى يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون .

وأتساءل : من منا يخلو بنفسه ولو نصف ساعة يومياً ؟

رحم الله هذا القطب ، والمفكر الإسلامى : محمد متولى الشعراوى ، الإمام المجدد لديننا ، وأسكنه فسيح جناته : الفردوس الأعلى مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً .

بكت عينى أبا سامى

القارىء رجب سيد عياد البرديسى :

المملكة العربية السعودية ـ المدينة المنورة ـ البريكة أرسل يقول :

غـداة نعى أبا سـامى الناعى
بكت عـينى ، واهـتز جنـانى
حـل الأجل وتقـطعت الأمـانى
وتجمدت سيول الدمع فى الوجدان
فـلما لـبّى الإمـام الـداعـى
شيعتـه البقرة ، والسبـع المثانى
أتـاه الله من سحـر البيـان
فـألف بـين القـاصى والـدانى
فيـا نفس صبراً عـلى ما قضى
الـرحمن فى غـابـر الأزمـان
بالله قولوا إن سمعتم ذكره :
رحـم الـله مـفسر القـرآن

●●●●

أما القارىء : محمود الطاهر الصافى ـ عضو رابطة الأدب الإسلامى فيكتوريا ـ المنتزه ـ الإسكندرية . فيرسل كلمة عن :

القرآن الكريم والفطرة الإنسانية

إن القرآن الكريم ، هو أعظم منبع معنوى ، وعملى ترتوى من معينه الثر البصائر الحرة ، والعقول المطلقة العبقرية ؛ لأنه العلم الأعلى ، والحكمة المعجزة فى جمالها وإحكامها ، وصورة الحياة المثلى المتسقة ، التى لا ترى فيها عوجاً ولا أمتا ، فالقرآن الكريم يتجه فى إبلاغه المعجز ، إلى الفطرة الإنسانية السليمة المشتركة ، التى تعلو على القومية ، والجنسية ، والعصبية ، فمعانيه تنتظم عناصر وجود الإنسان ، وأسرار خلقه ، وصلته بخالقه ، وتجعل ذلك كله على صراط مستقيم ، فالإنسان بجسمه وروحه ، ونفسه ، وقلبه ومع نفسه وغيره من البداية إلى النهاية ـ يصوره القرآن وحدة متكاملة ، وقوى

متحدة ، مسخرة لحقيقته الإنسانية العالية ، التى هى موضع العناية الإلهية من الكون كله ، وفطرة الإنسان إنما هى هذه الحقيقة غير أن من استحب الضلالة يكتسب ما يباعده عن الفطرة ؛ فيصير اختلالاً فى كيان الإنسانية كلها ، أو بعضها .

●●●●

أما القارئة عبير محمد نصار - البحيرة - دمنهور .

فتقتطف طاقة من بستان ابن القيم الجوزية فتذكر تحت عنوان : الأسباب الجالبة لمحبة الله عز وجل :

(١) قراءة القرآن بتدبر وتفهم لمعانيه .

(٢) التقرب إلى الله بالنوافل بعد الفرائض لقوله تعالى فى حديث قدسى : « ما تقرب إلىّ عبدى بشىء أحب إلىّ مما افترضته عليه ، ولا يزال عبدى يتقرب إلىَّ بالنوافل حتى أحبه »[١] رواه البخارى .

(٣) دوام ذكر الله على كل حال باللسان ، والقلب ، والعمل .

(٤) مطالعة القلب لأسمائه وصفاته .

(٥) مشاهدة بره وإحسانه ، وآلائه ، ونعمه .

(٦) انكسار القلب بكليته بين يدى الله - عز وجل - .

(٧) مجالسة المحبين الصادقين .

(٨) مباعدة كل سبب يحول بين القلب ، وبين الله - عز وجل - .

القارىء : عبد الوهاب عبد الغفار عمر - البحيرة - شبرا خيت .

يرسل إسهاماً عن دولة بروناى يقول :

اسم بروناى اشتق من نهر بروناى (حالياً لمبانج) ، والذى ينبع من سرواك ويمر بالعاصمة بندر سرى بيجوان ، تحتل سلطنة بروناى الشريط الساحلى الشمالى لجزيرة بورنيو ، ثالث جزر العالم مساحة ، وقلب مجموعة جزر جنوب شرق آسيا . . وتبدو السلطنة على شكل قوسين تتداخل بينهما أراضى سرواك إحدى ولايات اتحاد ماليزيا ، إضافة إلى جزيرة لابوان . . وتحيط بها أراضى دول أندونيسيا وماليزيا والفلبين وتايلاند . . مساحة السلطنة ٥٧٦٥ كيلو مترا « نصف مساحة لبنان » لغة الدولة الرسمية هى اللغة الملايوية - والعملة هى الدولار البرونى « نصف الدولار الأمريكى » استقلت عن بريطانيا فى الأول من يناير ١٩٨٤ . عدد السكان فى بروناى طبقا لآخر الإحصائيات بلغ ٢٥٠ ألف نسمة أغلبهم من الملايويين (١٣٩) ألف نسمة يليهم الصينيون (٤٨ ألفا) ، ثم الجنسيات الأخرى (٢٥ ألفاً بينهم ٥ آلاف بريطانى و ٢٥٠٠ من الهنود والباكستانيين والفلبينيين ، أما الباقون (١٩ ألف نسمة) فمن سكان البلاد الأصليين من قبائل الكادازان والأيبان والدوسون يعيشون فى الغابات الداخلية الكثيفة ، دخل الفرد يصل إلى ٢٥ ألف دولار أمريكى ، وتحتل المركز الأول لدخل الفرد فى العالم كما أعلنه البنك الدولى فى إحصائه السنوى .

بروناى من أقدم الممالك المالوية الإسلامية وتشير الآثار التاريخية المتبقية إلى أن جذورها تمتد

(١) رواه البخارى فى الرقائق (١١/ ٣٤٠ ، ٣٤١) .

إلى أواخر القرن الرابع عشر عندما اعتنق حاكم الإمارة (أوانج الان بتياتار) الإسلام وسمى نفسه السلطان محمد شاه الأول ، بعد أن قام بزيارة لمملكة « ملقا » لزيارة السلطان المسلم حيث اقتنع بالإسلام ودخل فيه ، ومنذ ذلك الوقت تولى الحكم ٢٩ سلطاناً . وقد تأصلت جذور الإسلام فى بروناى عندما وفد من الطائف الشريف على من نسل الإمام حسن بن على ، واستقبله السلطان استقبالاً حسناً ، ومن ثم انتشر الإسلام انتشاراً واسعاً فى فترة قصيرة ، فارتضاه واعتنقه معظم أبناء البلاد حتى أصبحت بروناى دولة إسلامية بعد ذلك ، وتزوج « الشريف على » من ابنة السلطان « أحمد » وأصبح بعد ذلك السلطان الثالث لبروناى باسم السلطان بركات . وحكم السلطان بركات البلاد حسب مبادىء الشريعة الإسلامية .. وكان هو وراء قيام مملكة « كوتاباتو » العاصمة القديمة . المسلمون فى السلطنة يربو عددهم على ١٥٠ ألف مسلم على مذهب أهل السنة والجماعة أصلاً والمذهب الشافعى فرعاً ، أما الباقون فمن غير المسلمين .

من أشهر المساجد مسجد عمر على سيف الدين .

اقتصاد بروناى يقوم على النفط والغاز الطبيعى .. والواقع أن ازدهار بروناى يرتبط بالنفط والغاز الطبيعى المسيل . وهذا كله يشكل ٩٨٪ من مجموع صادرات البلاد التى بلغت عام ٩٤ ستة مليارات من الدولارات وتمثل ٨٠٪ من خالص الإنتاج القومى والمصادر المعدنية محدودة ، ويتجه النشاط إلى الصناعات الخشبية والزراعة وصيد الأسماك .

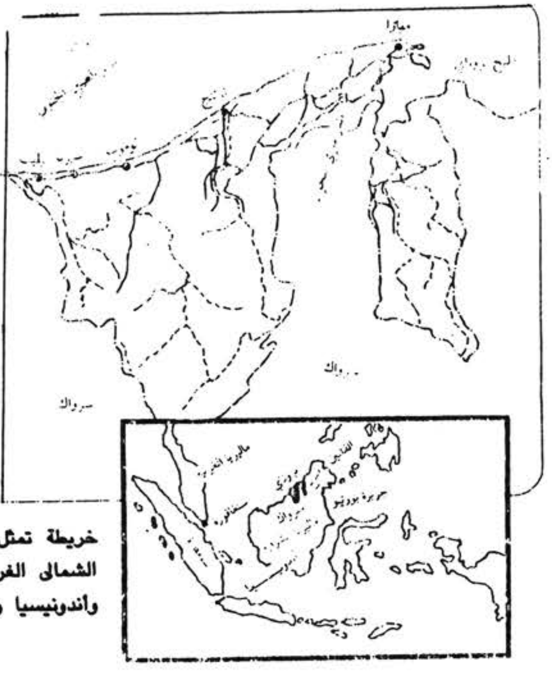

خريطة تمثل موقع بروناى حيث تحتل الشريط الساحلى الشمالى الغربى لجزيرة بورنيو وتحيط بها أراضى ماليزيا وأندونيسيا والفلبين وتايلاند .

ردود سريعة

القراء :

- قناوى محمد فادى ، قنا ـ الحصواية ـ مدرسة عمر بن الخطاب .
- يوسف عبد الهادى بيومى ، قنا ـ مركز قوص ـ قرية الحلة .
- العيدى طارق ـ المسيلة ـ الجزائر .
- إيهاب عصام خليفة ـ أشمون منوفية .

بخصوص الاشتراك فى مجلة الأزهر ، يمكنكم الاشتراك عن طريق قسم الاشتراكات « بجريدة الأهرام » حيث هى الجهة المسئولة عن التوزيع وعنوانها : القاهرة ـ شارع الجلاء .

أما بخصوص رغبتكم فى الحصول على بعض المطبوعات التى تعرف بالدين الإسلامى باللغات الأجنبية فيمكنكم الحصول عليها من المجلس الأعلى للشئون الإسلامية وعنوانه كالتالى : ٩ ش النباتات ـ جاردن سيتى ـ القاهرة .

القراء :

سامح محمد محمود صاحب قصيدة « وا إسلاماه » .

هشام عبد الصبور رجب صاحب قصيدة « المناهضة » .

أسامة الزقزوق صاحب قصيدة « الشوق والحنين إلى أم القرى » .

عليكم بقراءة المزيد من دواوين الشعر العربى القديم منه والحديث حتى تصقل موهبتكم ، فتنطلقوا محلقين فى دنيا الشعر الجميل بإذن الله ـ تعالى ـ .

القارىء : بدران بسيونى مصطفى الأمانة الفنية ـ مجمع البحوث الإسلامية .

قصيدتكم المهداة إلى روح فضيلة الشيخ الشعراوى حوت معان طيبة ودلت على روح إنسانية عالية ، فشكراً على شعورك الطيب وعلى ما قمت به ، ونأسف لعدم نشر أى إنتاج إلا بالعربية الفصحى .

القارىء : محمد عبده عبد القادر نجم ـ رئيس الشئون القانونية ـ بالتربية والتعليم ـ السنبلاوين .

نفيدكم أن ما دون على غلاف المجلة لم يكن خطأً مطبعياً ، وإنما كان مع العدد هديتان : كتاب « محمد الرحمة المهداة » ولوحة : هؤلاء فى الجنة .

ونرجو موافاتنا باسم وعنوان باعة الصحف الذين أفادوك بذلك حتى يمكننا إخطار إدارة توزيع الأهرام لاتخاذ اللازم ، ليكون فى ذلك عبرة للآخرين .

كما يمكنكم الكتابة مباشرة إلى :
جريدة الأهرام ـ قسم التوزيع
شارع الجلاء ـ القاهرة .

أنباء مكتب شيخ الأزهر

إعداد الأستاذ
عمر البسطويسى

الإمام الأكبر يعقد مؤتمراً صحفيا

● عقد فضيلة الإمام الأكبر د. محمد سيد طنطاوى مؤتمراً صحفياً حضره بعض أعضاء مجمع البحوث الإسلامية وفضيلة الشيخ فوزى الزفزاف وكيل الأزهر وقيادات الأزهر، والمسئولون عن التعليم بالأزهر والمهتمون بالعملية التعليمية ومراسلو الصحف المحلية والعربية ووكالات الأنباء العربية والأجنبية فى قاعة الإمام الشيخ محمد عبده بجامعة الأزهر الشريف فى الساعة الواحدة ظهر يوم الثلاثاء الموافق ١٩٩٨/٨/١١، لتوضيح ما أثير حول تخفيض مدة الدراسة بالمعاهد الثانوية من أربع سنوات إلى ثلاث سنوات، وما أثير أيضاً حول تخفيض مواد الدراسة بالمعاهد الأزهرية فى المراحل الثلاث الابتدائية والإعدادية والثانوية.

وقد أكد فضيلته أن اقتراح الثانوية الأزهرية ثلاث سنين بدأت مناقشاته منذ ٢٧ ديسمبر عام ١٩٩٧، ولم تحدث الموافقة عليه إلا هذا العام بعد دراسة متأنية، وبعد أخذ رأى المتخصصين فى الأزهر والمسئولين عن العملية التعليمية، وأيضاً بعد رأى وموافقة المجلس الأعلى للأزهر الذى هو أكبر هيئة لدراسة هذه الأمور، والمسئولين فيه من الأزهر ومن التربية والتعليم ومن المتخصصين فى هذا المجال، وهو أكبر من مجلس جامعة الأزهر، وكانت رغبة ملحة من أولياء الأمور الذين لهم أبناء يدرسون فى الأزهر الشريف، وبعد ذلك رفع الأمر إلى مجلس الوزراء ووافق عليه، ثم إلى مجلس الشعب ووافق عليه، ثم رفع إلى السيد رئيس الجمهورية ووافق عليه، وتم تعديل القانون إلى أن تكون الدراسة بالثانوية الأزهرية ثلاث سنوات بدلاً من أربع سنوات، وأيضاً أصبح شيخ الأزهر الشريف هو المسئول عن تعديل المناهج، وكان هذا القانون قبل ذلك يتيح أن يتولى وزير الأزهر مسئولية تعديل المناهج.

وأكد فضيلة الإمام الأكبر على أن حصص

تحفيظ القرآن الكريم فى بعض المراحل بلغت ثلث المنهج وخاصة فى المرحلة الابتدائية التى وصلت فيها إلى ١٥ حصة فى الأسبوع ، وكذلك المواد العربية والشرعية ، ولم يحدث الاختلاف إلا فى المرحلة الثانوية حيث لا يتساوى الذى يدخل كليات الطب والهندسة والصيدلة والزراعة وطب الأسنان والعلوم إلخ فى المواد العربية والشرعية مع الطالب الذى سيلتحق بكليات اللغة العربية والشريعة وأصول الدين والدعوة ، ومن هنا كانت المفاضلة ، حيث بلغت الحصص فى الشعبة الأدبية ٢٢ حصة فى العلوم الشرعية أسبوعياً ،

وكذلك العلوم العربية ، ١٧ حصة فى المواد الثقافية والعلمية ، حتى يتناسب المنهج مع الكلية التى يرغبها الطالب ، وأكد شيخ الأزهر على أنه مسئول أمام الله أولاً على أنه أخذ على عاتقه منذ أن تولى مشيخة الأزهر أن يحافظ على القرآن الكريم وعلومه ، وعلى العلوم العربية والشرعية ، ومن أجل ذلك قرر أن يكون حفظ القرآن الكريم فى المرحلة الابتدائية ثمانية عشر جزءا يمتحن الطالب فى المنهج المقرر فى العام وفى الأعوام السابقة ، ويكون حفظ المقرر من القرآن فى القسم الإعدادى سبعة أجزاء يمتحن الطالب فى منهج العام وفى المنهج السابق جميعه وأيضا تقرر حفظ خمسة أجزاء فى القسم الثانوى يمتحن الطالب فى المنهج المقرر للعام ، وفى المنهج المقرر على الأعوام السابقة جميعه ، وبذلك يلتحق بالجامعة ، وهو حافظ للقرآن الكريم ، وفى الجامعة تتم الإعادة على القرآن بامتحان تحريرى وشفوى كل عام ، ومن أجل ذلك تم شراء تسجيل للقرآن الكريم بصوت الشيخ الحصرى (المصحف المعلم)، وتم توزيعه على المعاهد الأزهرية على مستوى الجمهورية كل سنة دراسية لها الشرائط الخاصة بها والمقررة عليها ، وتم شراء أجهزة تسجيل تم توزيعها على المعاهد الأزهرية جميعها ، وفى طابور الصباح تتم قراءة القرآن الكريم لمدة عشر دقائق يردد الطالب القراءة وراء القارىء ، وفى الحصص يتم الحفظ عن طريق هذه الشرائط أيضاً حتى يتعلم الطالب القراءة الصحيحة ، كما تم تسليم جامعة الأزهر الشريف خمسين نسخة من (المصحف المعلم) لتوزيعها على كليات الجامعة ليكون الحفظ بنفس الطريقة فى المعاهد الأزهرية ، ثم طلب فضيلة الإمام الأكبر من الشيخ على فتح الله رئيس قطاع المعاهد الأزهرية . . بتوضيح وشرح المناهج الخاصة بكل مرحلة وعدد الحصص فى القرآن الكريم وفى المواد الشرعية والعربية والثقافية ، وأشار إلى الكتب وإلى مؤلفيها وإلى عدد صفحاتها ، وكانت الكتب موجودة أمام الجميع ، ووضح أن المناهج لم تتغير ، وأنها جميعها من التراث الذى كان يدرس فى الأزهر قديما ، وتم توزيع مناهج السنة الرابعة الثانوية على الصف الأول والثانى والثالث ، وتمت إزالة الحشو ، كما تمت إزالة المكرر .

وتحدث فضيلة الدكتور أحمد عمر هاشم ، وقال : إن الهدف من هذا المؤتمر هو الرد على المزايدين الذين نشروا فى الصحف وفى وسائل الإعلام أخباراً لا أساس لها من الصحة ، ومن أجل ذلك عقد المؤتمر لتبين الحقيقة أمام الجميع والكتب موجودة والمسئولون عن التعليم فى الأزهر موجودون قرأوا الخطة وبينوا المنهج وعدد الحصص والكتب ثم قام بالرد على الأسئلة التى وُجهت مكتوبة .

ثم تحدث فضيلة الأستاذ الدكتور محمود حمدى زقزوق وزير الأوقاف قائلاً : إن البعض يقول أن

هناك مؤامرة لتدمير الأزهر من الداخل والخارج ، أو هى أوامر عليا تمليها الحكومة ، وأنا أقول أن هذا ليس من الحقيقة فى شىء ، وإنما تطوير الأزهر نابع من الأزهر ذاته برئاسة شيخه بعد دراسة متأنية استمرت ما يقرب من سنة إلى أن تمت الموافقة عليه بالقنوات الشرعية والدستورية ، فلماذا كل هذه الضجة المفتعلة ؟ فإذن ليست هناك مشكلة إلا تمسك بعض المعترضين .

ثم عقب فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر رداً على من قال إن القرآن الكريم كان يدرس كله فى المرحلة الابتدائية من قبل : قال إن هذا غير مقبول وهو عمل غير عادل ، وقد جربناه بأنفسنا حيث كان الطالب يمتحن فى القرآن فقط وبذلك ينسى الماضى كله ، فتخرج جيل لا يحفظ القرآن ، ونحن نريد لخريج الأزهر أن يكون حافظاً للقرآن الكريم كله حفظاً جيداً ، والفرق بين الأزهرى وغيره هو حفظ القرآن الكريم ، والأزهرى الذى لا يحفظ القرآن الكريم لا يسمى أزهرياً ، وبالنسبة للمواد الشرعية واللغوية أكد فضيلته بالأدلة التى عرضت فى المؤتمر أمام الحاضرين وتضمنت الكتب الدراسية والمقررات الجديدة التى ستدرس للطالب بعد التعديلات أنه لم يحدث فيها حذف أو تغيير ، بل هناك مواد زيدت حصصها والحذف تم فى الحشو وفى المكرر وفى بعض المواد الثقافية بالنسبة للقسم الأدبى .

●●●●

الإمام الأكبر يحضر الحفل الختامى للتضامن الإسلامى

● فى الحفل الختامى للمخيم الرابع للتضامن الإسلامى الذى أقامه المجلس الإسلامى العالمى للدعوة والإغاثة برئاسة فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف بمعسكر أبى قير بالإسكندرية ، وحضره شباب ٥٦ دولة إسلامية وعربية من أفريقيا وآسيا وما يقرب من مائة شاب فلسطينى ضمن معسكر الشباب الذى يضم ٢٠٠٠ شاب فى ١٩٩٨/٧/٣١ . أعلن فضيلته أن مصر رئيساً وحكومة وشعباً تتقبل أبناء الدول الإسلامية بقلوبها وتفتحها لهم قبل أن تفتح أبوابها لأننا أمة واحدة تتعاون على البر والتقوى لا على الإثم والعدوان ، وأعلن أن شباب ٥٦ دولة إسلامية وعربية قاموا بغرس ٥٦ شجرة فى أرض الإسكندرية من أجل التعمير والتعاون ، وهو ما نادى به الدين الإسلامى الحنيف ، وطالب فضيلته الشباب بأن يعتنقوا الفضائل ويبتعدوا عن الرذائل ، وأن تكون صداقاتهم وعلاقاتهم بالشباب الذى يحفظ القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة ، وأن يبتعدوا عن الشائعات الكاذبة.

وقال فضيلته : إن التضامن بين الشباب المسلم هو أسمى المعانى التى نسعى إليها لأن الشباب هم عدة الأمة التى بدونها لا تقوم لها قائمة ، ولذلك أشاد القرآن الكريم بهم وامتدحهم فى قوله تعالى : ﴿ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى ﴾

فحين يقوى الرابط بينهم تعز بهم الأمة وتتبوأ مكانتها المرجوة لها ، كما قال الله تعالى :

﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ
تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾

وقد صدرت التوصيات فى نهاية الندوة ، أعلنها السيد حمدى عبيد مسئول المخيمات بمجلس الإغاثة ، وقد استمرت عشرة أيام خلال المعسكر ، وقد دعت إلى إنشاء محكمة عدل إسلامية على غرار محكمة العدل الدولية تنظر شئون المسلمين فى العالم الإسلامى ، كما دعت إلى

قيام لجنة لتقصى الحقائق فى المناطق المنكوبة فى العالم الإسلامى تتكون من الأزهر الشريف والمجلس الإسلامى العلمى للدعوة والإغاثة ومنظمة المؤتمر الإسلامى .

●●●●

ويرأس فضيلته اجتماع مديرى المناطق الأزهرية

● رأس فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الاجتماع الموسع لرؤساء ومديرى جميع المناطق الأزهرية بالجمهورية يوم ١٩٩٨/٨/٤ ، حيث أكد فضيلته الاستعداد التام والدقة الكاملة فى امتحانات الدور الثانى للشهادات الأزهرية الإعدادية والثانوية ، وإجازة التجويد وتخصص القراءات من حيث الأسئلة وتأمينها وتهيئة الجو المناسب للطلاب ليؤدوا الامتحان بأعصاب هادئة وتوفير كل وسائل الراحة لهم مع الانضباط التام والكامل .

كما قرر فضيلته عدم قبول أى تلميذ بالصف الأول الابتدائى أقل من ست سنوات ، ويفتح فصل تمهيدى فى كل معهد على مستوى معاهد الجمهورية يقبل من هم أقل من ست سنوات ، وذلك بمصروفات ، ويكون له الأولوية فى العام القادم لدخول الصف الأول الابتدائى ، كما تقرر ألا تقل كثافة الفصل عن ١٥ طالباً ، ولا تزيد على ٣٥ طالباً ، وبالنسبة لدخول الصف الأول الإعدادى الأزهرى عن طريق المسابقة التى تجرى لذلك كل عام ، لا يزيد سن الطالب الذى يتقدم للامتحان على ١١ سنة وستة أشهر بعد اجتيازه الامتحان المقرر بنجاح حسب القواعد المنظمة ، كما تقرر إلغاء شرط السن عند الالتحاق بمعهد القراءات ، وتوفير محفظى القرآن الكريم من المحفظين والوعاظ ، وقد فوض فضيلة الإمام الأكبر رؤساء المناطق الأزهرية فى الموافقة على تحويل الطلاب من المعاهد الأزهرية إلى التربية والتعليم فى نطاق الصالح العام وفى حالة الضرورة ، كما تقرر عدم إعطاء إذن تشغيل للمعاهد الأزهرية التى تبنى بالجهود الذاتية إلا بعد موافقة رئيس المنطقة ورئيس قطاع المعاهد الأزهرية ، وذلك حتى ٦/٣٠ من كل عام ، ولا يقبل تشغيل أى معهد بعد هذا التاريخ وبعد التأكد من أن مبنى المعهد صالح للعملية التعليمية من جميع النواحى ، كما أكد فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر على ضرورة الاستعداد للعام الدراسى الجديد وتجهيز المكان بالأثاث والوسائل التعليمية والكتب الدراسية والعمالة وهيئة التدريس ، كما وجه على المظهر العام بالنسبة لملابس الطلاب فى جميع المراحل .

●●●●

ويستقبل رئيس المحكمة العليا بالمغرب .

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر د . محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر الشريف بمكتبه فى ٩٨/٧/٣٠ السيد المستشار أحمد مصطفى المراغى رئيس محكمة النقض يرافقه السيد المستشار/ إدريس الضحاك رئيس المحكمة العليا بالمملكة المغربية والوفد المرافق لسيادته فى إطار الزيارة التى يقوم بها الوفد للقاهرة لتوقيع اتفاقية التعاون القضائى بين مصر والمملكة المغربية .

وقد رحب فضيلة الإمام الأكبر بالوفد فى الأزهر الشريف موضحاً أن التعاون بين مصر والمملكة

المغربية قائم منذ زمن طويل ، ونحن نذكر أن العلامة فضيلة الشيخ محمد الخضر حسين كان شيخاً للأزهر وهو من دولة المغرب الشقيقة ، والتعاون بين مصر وأزهرها والمغرب يزداد قوة وازدهاراً ، وللمغاربة رواق بالأزهر الشريف لطلاب العلم بها للدراسة بالأزهر الشريف وجامعته العريقة ، والأزهر الشريف يرحب بكل تعاون مثمر بينه وبين جامعات المغرب ، وأبواب الأزهر وجامعته مفتوحة على مصراعيها لطلاب المغرب الشقيق .

قدم الوفد شكره لفضيلة الإمام الأكبر على إتاحة الفرصة لزيارة الأزهر ، وأشاد الوفد بما يقدمه الأزهر من خلال علمائه وبعثاته لنشر الدعوة الإسلامية والثقافة إلى العالم أجمع ، كما قدم تعازيه فى وفاة المرحوم فضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى ، حضر اللقاء فضيلة الشيخ فوزى الزفزاف وكيل الأزهر الشريف .

●●●●

ويرأس اجتماع المجلس الأعلى للأزهر

● برئاسة فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر عقد المجلس الأعلى للأزهر جلسته يوم ٢٦/٧/٩٨ بقاعة الاجتماعات بإدارة الأزهر ، ووافق المجلس الأعلى للأزهر على خطة الدراسة بشعبة الدراسات الإسلامية باللغة الألمانية بمرحلة الإجازة العالية بكلية اللغات والترجمة ، كما وافق على قواعد وشروط قبول الطلاب المصريين والوافدين بمرحلة الإجازة العالية ، بكليات الجامعة للبنين والبنات للعام الجامعى ٩٨/٩٩ ، كما تمت الموافقة على تشكيل اللجنة العلمية الدائمة للقانون الخاص بجامعة الأزهر .

كما وافق على تحديد الأقسام العلمية لشعبتى الشريعة والقانون والصحافة والإعلام بكلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالقاهرة ، حضر الجلسة فضيلة الدكتور وزير الأوقاف ، وفضيلة وكيل الأزهر ، وفضيلة رئيس جامعة الأزهر ، وفضيلة رئيس قطاع المعاهد الأزهرية ، والأستاذ الأمين العام للمجلس الأعلى للأزهر .

●●●●

قرارات فضيلة الإمام الأكبر

● صدر قرار السيد رئيس مجلس الوزراء بناء على ما عرضه فضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر الشريف بمد خدمة فضيلة الشيخ/ على محمد على فتح الله وكيل قطاع المعاهد الأزهرية لشئون الخدمات بالأزهر الشريف لمدة سنة تبدأ من ١٥/٧/١٩٩٨م .

● كما صدر قرار فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف : يسند إلى الشيخ محمود إبراهيم عبد الباعث أحمد شيخ معهد الإسكندرية الثانوى للبنين بدرجة مدير عام القيام بعمل وظيفة رئيس الإدارة المركزية لمنطقة

الإسكندرية الأزهرية اعتباراً من ١٥/٧/١٩٩٨ ، ولحين شغلها بصفة أصلية ممن توافرت فيه شروط شغلها حسب بطاقة وصفها المعتمدة من الجهاز المركزى للتنظيم والإدارة وفق قانون الوظائف القيادية رقم ٥ لسنة ١٩٩١ ولائحته التنفيذية .

● صدر قرار فضيلة الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر الشريف بالموافقة على سفر فضيلة الشيخ على نور الدين محمد على - الأمين العام المساعد للدعوة والإعلام الدينى بمجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف إلى الجماهيرية الليبية لمدة ستة أيام فى مهمة رسمية لإنهاء المعاملة المالية للسادة الوعاظ المرشحين للعمل فى مجال الدعوة ونشر الثقافة الإسلامية والعربية فى الدول الأفريقية على نفقة جمعية الدعوة الإسلامية العالمية بالجماهيرية الليبية من الأحد ٩ أغسطس وحتى ١٤ أغسطس عام ١٩٩٨ .

● وافق فضيلة الإمام الأكبر الدكتور/ محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر الشريف على قيام وعاظ الأزهر الشريف وعددهم ١٨٠٠ واعظ بالمساهمة فى تحفيظ القرآن الكريم لطلاب المعاهد الأزهرية على مستوى الجمهورية ، كما وافق على قيامهم بسد العجز فى تدريس المواد الشرعية والعربية بالمعاهد الأزهرية .

● تمت ترقية ١٢٢٤ من العاملين بمنطقة القاهرة الأزهرية شملت المراحل الثلاث الابتدائية والإعدادية والثانوية للبنين والبنات والمعلمين والقراءات ، صرح بذلك الشيخ على فتح الله رئيس قطاع المعاهد الأزهرية ، حيث شملت الترقيات المدرسين الأوائل فى الابتدائى والإعدادى والثانوى ، وكذلك وكلاء وشيوخ المعاهد فى المراحل الثلاث ، وكذلك الموجهين والموجهين الأوائل والنظار ورؤساء أقسام بالمرحلة الابتدائية ، وهذه الحركة الموسعة فى الترقيات تضمنت ٣٠١ مدرس إعدادى شرعى وثقافى ، ٣٠٠ مدرس أول ثانوى ، ١٩٩ وكيل معهد للمرحلة الإعدادية ، ٢٨٦ للمرحلة الابتدائية ، ٢٦ شيخ معهد إعدادى وثانوى ، ٣١ موجهاً إعدادياً شرعياً وثقافياً ، ٦٣ موجهاً ثانوياً ، ٢٢ موجه أول ثانوى .

المرحلة الابتدائية ١١٦ مدرساً أول ، ٧ وكلاء معاهد ، ١١ ناظراً ، ٣٩ موجهاً ، ٧ موجهين أول ، ٦ رؤساء أقسام .

● اعتمد فضيلة الإمام الأكبر د . محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر الشريف حركة الإعارات الخارجية للعام الدراسى ٩٨/٩٩ من مختلف التخصصات للعلوم الشرعية والعربية والثقافية لدول العالم المختلفة شملت الحركة أكثر من ثلاثمائة وخمسين مدرساً ومدرسة إلى جنوب أفريقيا والجابون وجيبوتى ، والكاميرون وغينيا كوناكرى ، السنغال ، تشاد ، النيجر ، كوت ديفوار ، الفلبين ، باكستان ، نيجيريا ، مالى ، إريتريا ، كينيا ، زيمبابوى ، بوروندى ، الجزائر ، بنين ، أندونيسيا ، بنجلاديش .. وكذلك لدول الكومنولث الإسلامى : كازخستان ، أذربيجان ، تركمانستان ، الأنغوش ، وكذلك إلى المالديف ، وسيرلانكا ، تايلاند ، ألبانيا ، الصومال ، النمسا ، رومانيا ، وزامبيا .

أخبار العالم الإسلامى

يحررها الدكتور
حسن على محمد

●● من المحرر ●●

«وولف» ومهمته السخيفة ..

● هل حقا فى مصر اضطهاد ضد المسيحيين ؟!

● وهل وصل الأمر إلى حد تدخل جهات مشكوك فيها لتقصى الحقائق ؟

● وهل بلدنا الآمن والمطمئن يحتاج إلى خبراء لرصد التمييز بين المسلم والمسيحى ؟!

إن فرانك وولف ذلك الأمريكى اليهودى ما جاء إلى مصر الآمنة إلا لإثارة الشكوك والقلاقل ولابد أن يعرف المسلم والمسيحى الدوافع الكامنة وراء هذه الزيارة الكريهة .

وأعتقد أن الدولة أخطأت حين سمحت لهذا (الوولف) بدخول البلاد وإن سعة صدر المسئولين فى مصر تم تفسيرها على نحو يضر بالأمن القومى .

● والسؤال : هل حقا كان الأمريكان حريصين على حقوق إخوتنا المسيحيين فى مصر ؟ .. ولماذا هم دون جميع خلق الله ؟!

ثم أين حقوق السود فى أمريكا ؟! وأين حقوق المسلمين وهم أكثر من ستة ملايين مسلم فى أمريكا ؟

● ثم هل من حق مصر بلد الأزهر الشريف أن ترسل لجنة لتقصى أحوال المسلمين الأمريكان ؟

● ياأيها الإخوة .. ياأبناء مصر .. (المسلمون والمسيحيون) لا تنخدعوا بالشعارات الكاذبة .

الإمام الأكبر:

القدس فى قلب كل مسلم

القاهرة- خاص للأزهر

دعا فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر المسلمين والعرب فى كل مكان إلى الدفاع عن حقوقهم المشروعة فى مدينة القدس بكل الطرق الممكنة .

وأشار فى كلمة ألقاها فى مؤتمر القدس محور الإسلام إلى أنه فى حالة رفض إسرائيل الاستجابة لمطالب المسلمين بحقوقهم المشروعة فى القدس فليس أمامهم إلا الدفاع عن أنفسهم وأراضيهم بكافة الطرق والوسائل التى تعيد إليهم حقوقهم المسلوبة .

وقال شيخ الأزهر : إن القدس أمانة فى أعناق الدول الإسلامية والمسيحية ، لأنها مدينة قدستها السماء وسار فيها الأنبياء .

مفتى الديار المصرية يدعو إلى تشديد المقاطعة الاقتصادية على إسرائيل

ومن جانب آخر دعا فضيلة المفتى إلى تشديد المقاطعة الاقتصادية على إسرائيل ومن يناصرها ، مؤكداً على ضرورة أن يسهم العرب والمسلمون فى إعمار الأراضى العربية فى فلسطين .

مفتى سورية يدعو المسلمين للوقوف فى وجه التوسع الإسرائيلى

كما دعا الشيخ أحمد كفتارو مفتى سورية إلى أن يقف المسلمون جميعا فى وجه المخططات الصهيونية التى تهدف إلى تهويد القدس وإقامة المستوطنات بها ، وقال إن الجهاد يصبح ضرورة فى حالة استمرار الغرور الصهيونى الإسرائيلى .

خاص «للأزهر»

٩٧٤ مبعوثا أزهريا فى ٦٩ دولة لإعلاء كلمة الله

القاهرة :

للأزهر الشريف بعثات تعليمية إسلامية فى ٦٩ دولة يبلغ عدد أعضائها ٩٧٤ مبعوثا ، يعملون فى العديد من الدول الإسلامية مثل : كينيا ، والسنغال ، والكاميرون ، ولبنان ، والنيجر ، والفلبين ، ومالى ، وأندونيسيا ، واليمن . . وغير ذلك .

كما يعمل حوالى ١٢٧٢ مبعوثا أزهريا فى العالم الإسلامى بنظام التعاقد الشخصى ، وتتولى السفارات المصرية فى العالم رعاية بعثات الأزهر .

وتتكون بعثة الأزهر من رئيس وسكرتير وأعضاء من العلماء المعلمين .

والجدير بالذكر أن لوزارة الأوقاف ١٢٨ عالما يعملون فى المراكز الإسلامية فى لندن ، وبروكسل ، والولايات المتحدة وأوراجواى وأوغندا والكاميرون وأفريقيا الوسطى وجنوب أفريقية وفنزويلا وشيلى !

جزر البحر الكاريبى يحتاجون إلى الدعاة وبناء المساجد

تحتاج الأقليات الإسلامية فى جزر الكاريبى إلى الدعاة والمدرسين وإلى المساعدة المالية فى بناء المساجد والمدارس الإسلامية وإرسال المصاحف .

يبلغ عدد المسلمين فى جزر الكاريبى حوالى ٥٠٠٠ مسلم ومسلمة ولا يوجد مسجد واحد

يؤدون فيه صلواتهم ، ويسعون لدى السلطات لتكوين جمعية ترعى شئونهم .

تخريج دفعة جديدة من الجامعة الإسلامية

النيجر :

تخرج من الجامعة الإسلامية فى النيجر ٧٩ طالبا فى العام الدراسى ١٩٩٨/٩٧ ، وقد ترأس حفل التخرج ، وزير التعليم العالى فى النيجر وحضر الحفل عدد من السفراء وكبار المسئولين .

ويذكر أن الحكومة النيجيرية مهتمة بالشئون الإسلامية وبتطوير العمل الإسلامى .

الجدير بالذكر أن الجامعة الإسلامية أنشأتها منظمة المؤتمر الإسلامى عام ١٩٨٧ وتخرج منها حتى الآن ٥٠٠ طالب من ١٦ دولة أفريقية .

١٥ ألف مسلم يحتاجون إلى تعلم اللغة العربية

نيوزيلاندا :

يبلغ عدد الأقليات الإسلامية فى نيوزيلاندا ١٥ ألف نسمة من ٤ ملايين نسمة هم سكان الدولة .

وللمسلمين فى نيوزيلاندا عدد من المساجد والجمعيات المنتشرة فى جميع المناطق هناك ، ويتركز المسلمون فى عدة مدن منها أوكلاند وفى هذه المدينة ثلاثة مساجد ، وثلاث جمعيات إسلامية .

الجدير بالذكر أن معظم مسلمى نيوزيلاندا من آسيا .

٣٣٠٠ متر لأول مسجد .. بجبل طارق

جبل طارق ـ وكالة الأنباء الإسلامية :

يجرى استكمال إنشاءات أول مسجد فى منطقة جبل طارق جنوبى أسبانيا بالقرب من منطقة عبور المسلمين من شمال أفريقيا إلى الأراضى الأوروبية .

المعروف أن المسجد الوحيد بجبل طارق الذى كان قائما تم تحويله إلى كنيسة بعد خروج المسلمين من هذه المناطق .

وقد تبرع الملك فهد بن عبد العزيز بتكلفة المسجد الجديد ومرافقه ، وتبلغ مساحة المسجد الجديد ٣٣٠٠ متر مربع ، ويشتمل على مسجد ومدرسة لتحفيظ القرآن الكريم وتعليم اللغة العربية وقاعة للمحاضرات ومكتبة إسلامية ومنطقة خدمات ويستوعب المسجد ألف مصلٍ فى القاعة الرئيسية منه .

هجوم تنصيرى على ماليزيا

ماليزيا :

صادرت الحكومة الماليزية كتبا تنصيرية حاول المنصرون إدخالها إلى ماليزيا لتنصير المسلمين والوثنيين هناك ، والمعروف أن هذه الكتب جاءت من سنغافورة وأندونيسيا .

وقد منعت وزارة الداخلية ٢٣٠ كتابا بموجب قانون صادر عن الدولة يمنع دخول أو طبع أو تداول أى كتب بهدف التنصير .

وقال مصدر مسئول فى وزارة الداخلية أن هذه الكتب طبعت بأغلفة تشبه الكتب الإسلامية وعلى غلافها عبارات خادعة وكأنها كتب إسلامية .

استانبول ـ إينا

تركيا :

تطالب كثير من الأطراف السياسية التركية ـ وخاصة الإسلامية ـ بفتح مسجد أيا صوفيا للصلاة أمام المسلمين ، وكان آخرها ما قام به ١٥٠ نائبا فى البرلمان التركى حيث وقعوا على طلب

للحكومة بإعادة فتح المسجد للصلاة . واستعادة وظيفته كجامع .

ومسجد أياصوفيا من المعمار البيزنطى فى استانبول ، وكان قبل الفتح الإسلامى كنيسة احتفالات للبيزنطيين ثم تحول إلى مسجد جامع على يد السلطان محمد الفاتح .

افتتاح كلية للشريعة الإسلامية

كينيا :

نيروبى ـ وكالات الأنباء الإسلامية

تم إنشاء كلية للشريعة والدراسات الإسلامية بدعم من لجنة مسلمى أفريقيا وهى هيئة خيرية كويتية .

وتنفذ اللجنة الكويتية العديد من المشروعات لخدمة أبناء المسلمين فى أفريقيا ومساعدتهم على تحسين أحوالهم ومعيشتهم .

وقد صرح الأمين العام للجنة الدكتور عبد الرحمن السميط أن كلية الشريعة الإسلامية ستكون بمثابة نواة لجامعة إسلامية بكينيا ، وفى خطة لجنة مسلمى أفريقيا فتح كلية لتدريب المعلمين فى موزمبيق .

إعادة مسجد للمسلمين

المجر :

بودابست ـ وكالات الأنباء :

تدرس الحكومة المنجارية (المجر) إعادة مسجد بودابست العاصمة إلى المسلمين المقيمين فى العاصمة .

وكانت الحكومة الشيوعية السابقة قد حولت المسجد إلى سينما وتبحث الحكومة المجرية عن خبراء فى فن المعمار العثمانى لإعادة بناء وترميم المساجد القديمة التى بناها العثمانيون فى هنجاريا .

وقد بنى السلطان سليمان هذا المسجد الكبير فى بودابست الذى تحول إلى كنيسة ثم حوله الشيوعيون إلى قاعة للسينما وأخيرا عادت السينما إلى مسجد عندما عرف المجريون الإسلام جيدا .

تأسيس مجلس العلماء

زيمبابوى :

هرارى ـ وكالة الأنباء الإسلامية :

تأسس مجلس العلماء هناك بهدف تنسيق الجهود والدفاع عن مصالح المسلمين ومساعدة الجمعيات والمنظمات الإسلامية وإرشادها فى حقل التعليم والدعوة .

المعروف أن المجلس تم تأسيسه فى عام ١٩٧٥ ويبلغ أعضاء المجلس فى تشكيله الأخير ٧٥ عضوا من العلماء يشكلون الجمعية العامة ويجتمعون مرة كل عام وهناك لجنة تنفيذية يبلغ عدد أعضائها ١٤ عضوا من العلماء ينتخبون مرتين سنويا ويقدم المجلس مساعدات مالية لبناء المساجد وصيانتها ونشر الدعوة الإسلامية وتوزيع المطبوعات .

صحيفة سورية تطالب بمحاكمة مجرمى الحرب فى إسرائيل

سوريا :

دمشق ـ أ . ش . أ :

طالبت صحيفة (تشرين) السورية المحكمة الجنائية الدولية بمحاكمة مجرمى الحرب الإسرائيليين بتهمة المجاهرة بالعداء للسلام والقانون الدولى وممارسة شريعة الغاب واغتيال العلماء والأبرياء .

وقالت الصحيفة إن الاستيطان شكل من أشكال التطهير العرقى مشيرة فى الوقت ذاته إلى الحملة العدائية التى يشنها اليهود ضد العرب فى الأراضى المحتلة .

Rappelant l'engagement donné par les fils d'Adam, Allah a pris un engagement de Ses serviteurs dès leur création lorsqu'Il leur a demandé de se prendre eux-mêmes à témoins, de croire en Lui, de Lui consacrer toute leur dévotion, puis Il leur a rappelé cela en ces termes: **[Rappelle-leur, lorsque ton Seigneur a tiré des reines des fils d'Adam leur descendance et les a fait témoigner vis-à-vis d'eux-mêmes en leur disant:"Ne suis-je pas votre Dieu?". A quoi ils répondirent: "Si! Nous l'attestons!". Afin que vous ne disiez point, au Jour de la Résurrection: "Vraiment, nous n'y avons pas fait attention". Ou que vous disiez:"Nos ancêtres autrefois donnaient des associés à Allah, et nous sommes leurs descendants, après eux, vas-tu nous détruire pour ce qu'ont fait les imposteurs?".]**

Surate 7 "Al-A`raf" V.172 et 173.

De même, la loyauté envers Allah se manifeste dans les témoignages. Quiconque est appelé à témoigner doit le faire et rapporter ce qu'il a vu ou entendu sans falsification.

Allah-Gloire à Lui- a dit:**[Ne refusez pas de témoigner. Quiconque refuse de témoigner sera coupable en son coeur.]**

Surate 2 "Al-Baqara"(La Vache)V.283.

Elle se manifeste aussi, dans le fait de conserver sa foi en Allah -Gloire à Lui- qui a dit:**[Et ne violez pas vos serments après les avoir solennellement prêtés et avoir pris Allah comme Garant.]**

Surate 16"An-Nahl" (Les Abeilles) V.91.

Il est du devoir du musulman de satisfaire le souhait de son frère, s'il l'exprime par un serment et s'il ne comporte pas de tort, pour lui éviter le parjure conformément au Hadith du Prophète-b.s-[7] Il en est de même, dans tous les rapports avec Allah-Gloire à Lui-, dans tout ce qu'on Lui doit, le musulman est tenu d'être loyal, digne de confiance en tout ce qu'Il nous a confié par la saine nature.

Enfin, dans un Hadith divin "Qodossy", Allah -Qu'il soit exalté- dit:***"Nul n'acquiert Ma faveur qu'en accomplissant ce que Je lui ai imposé de faire.***

Mon serviteur ne cesse de rechercher ma grâce par des oeuvres surérogatoires, jusqu'à ce que je finisse par l'aimer.

Si Je l'aime, Je serai son oreille avec laquelle il entendra, son oeil avec lequel il verra, sa main avec laquelle il frappera et son pied avec lequel il marchera. S'il Me demande Je lui accorde, s'il cherche refuge Je le protège."

Rapporté par Al-Bokhary.

---

[7] Al-Bara`ibn Azeb a dit que le Prophète-b.s- nous a recommandé d'aller voir les malades, d'assister aux funérailles, de présenter les souhaits à celui qui éternue, de secourir les opprimés, de répondre aux invitations et de saluer.

Il nous suffit de signaler que Omar ibn Al-Khattab-A.s.l.-le farouche défenseur de la religion a dit:*"J'éspère sortir de ce monde indemne et j'aurais souhaité que la mère de Omar n'eût pas donné le jour à Omar."* C'est ainsi qu'il est recommandé a tout musulman en chaque poste et, dans chaque charge de la société d'être loyal envers les autres: cela est manifeste dans les paroles du Prophète-b.s-qui dit:***"Chacun de vous est un berger et il lui sera demandé compte de son troupeau. Le prince est le berger de son peuple, l'homme est un berger pour sa famille, la femme est une bergère dans sa maison, le domestique est un berger dans le domaine de son maître; chacun de vous est donc un berger et il lui sera demandé compte de ses responsabilités."***

Hadith rapporté par Al-Bokhary et Moslim.

3-La loyauté vis-à-vis de soi-même:

L'âme est un dépôt confié à l'homme.à ce sujet Allah-Gloire à Lui-a dit:**[Sera heureux celui qui la purifie (son âme), tandis que courra à sa ruine celui qui la souille.]**

Surate 91 "Ach-Shams" (Le Soleil) V.9 et 10.

De même tous les sens, les organes[6] sont un dépôt confié à l'homme et il lui sera demandé de rendre compte de l'usage qu'il en a fait, conformément aux paroles d'Allah-Gloire à Lui-:**[L'ouïe, la vue et le coeur: sur tout cela, en vérité, on sera interrogé.]**

Surate 17 "Al-Isrà" (Le Voyage nocturne)V.36.

Il en est de même de tout ce qu'Allah a octroyé à son serviteur comme: l'argent, le pouvoir, l'épouse et les enfants sont un dépôt confié à l'homme et sur lequel il sera interrogé le Jour du Jugement Dernier. Le Prophète-b.s- a dit:***"Chaque être humain, le Jour du Jugement Dernier -qu'il soit destiné au paradis ou à l'Enfer-, sera interrogé sur ces quatres choses: sa vie, à quoi l'a-t-il employée?, son savoir comment l'a-t-il mis en pratique?, sa fortune d'où il l'a acquise et à quoi il l'a dépensée et enfin son corps à quoi il s'en est servi."***

Hadith rapporté par El-Termizie.

Ces dépôts de confiance varient d'une personne à l'autre et chacun sera interrogé dans les limites de ce qu'Allah lui aura confié; même la raison de l'homme est considérée comme l'un de ces dons.

4-La loyauté envers Allah-Gloire à Lui-:

Elle se manifeste par la sincérité de la foi, qui doit ne pas être entâchée d'aucun défaut, qu'il s'agisse d'un polythéisme apparent ou caché.

---

[6]L'homme a sept membres à savoir: l'oreille, l'oeil, la langue, la main, le pied, le ventre et les organes sexuels.

plaideurs plus habiles que leurs adversaires à exposer leurs différends. Je juge d'après ce que j'entends. Que celui auquel j'accorde un bien qui n'est pas le sien, prenne garde. Ce n'est qu'une tranche de feu que je lui taille."

Hadith rapporté par Al-Bokhary.

Il en est de même pour celui qui engage un ouvrier. Il est tenu de bien le traiter, de ne pas l'opprimer et il doit se hâter de lui donner son salaire, conformément aux paroles du Prophète-b.s-qui dit:*"Donnez à l'ouvrier son salaire avant même que sa sueur n'ait séchée."* **Hadith rapporté par Al-Soyouty.**

L'artisan est tenu de s'en tenir au juste milieu en estimant son salaire de façon à ne pas exagérer, ni à être négligent dans son métier. Le Prophète-b.s-a annoncé la bonne nouvelle aux artisans qui font des travaux manuels et qui font honnêtement leurs métier; il a dit:*"Celui qui s'endort le soir épuisé de fatigue à cause de l'effort qu'il a fourni en faisant un travail licite, s'endort en ayant tous ses péchés pardonnés."* **Hadith rapporté par Aïcha-A.s.e-(AL-Soyouty.)**

Le Prophète-b.s- a recommandé d'exécuter méticuleusement le travail, sans frauder, il a dit: *"Allah aime que celui d'entre vous qui fait un travail en prenne bien soin."* **Hadith rapporté par Aïcha-A.s.e-(Al-Bayhaky.)**

Il est vivement conseillé à chaque fonctionnaire qui a des rapports sociaux avec le public, de s'efforcer à leur être utile, de répondre à leur demande, de leur éviter toute peine et de ne pas les charger de ce qui dépasse leurs moyens. Leur manquer d'égards, c'est trahir la confiance. Le Prophète-b.s-a dit:*"Seigneur! Celui à qui l'on confie la direction d'une affaire de ma communauté, et qui se montre bienveillant envers les gens, sois Clément envers lui. Et celui à qui l'on confie la direction d'une affaire de ma communauté, et qui accable les gens, sois impitoyable envers lui."*

Hadith rapporté par Aïcha-A.s.e-(Moslim).

Il est interdit au fonctionnaire d'accepter un cadeau qui lui est donné pour sa fonction, le Prophète-b.s-a menacé son auteur de l'Enfer et le cadeau est jugé comme un pot-de-vin. Le Prophète-b.s-a prévenu qu'Allah a maudit aussi bien le corrupteur que le corrompu[5], que le corropmpu et quiconque se fait intermédiaire entre eux.

Quiconque est nommé juge, ou responsable des affaires des gens ou berger doit se souvenir des paroles du Prophète-b.s-concernant ces charges: *"Ceci est une charge de confiance et, le Jour du Jugement Dernier, elles seront une humiliation et une cause de regret; à moins que celui qui en prenne la charge soit digne de s'acquitter de ses obligations."*

Hadith rapporté par Al-Bokhary.

[5]Le corrupteur est celui qui donne le pot-de-vin tandis que le corrompu est celui qui l'accepte.

avant celui qui vient de me ramener." Le prêteur lui demanda:"Ne m'as-tu rien envoyé?".L'emprunteur répliqua:"Je te répète que je n'avais pas réussi à trouver un navire avant celui qui vient de m'amener." "Allah, répondit le prêteur, m'a remboursé à ta place et m'a remis ce que tu avais envoyé dans la poutre." Sur ce fait, l'emprunteur remporta les mille dinars et partit satisfait."

Hadith rapporté par Al-Bokhary.

Commentaire du Hadith d'après l'une des séances de Sa Révérence le Cheikh Yassine Rouchdy:

L'emprunteur parle à Son Seigneur et lui raconte les évènements tels qu'ils s'étaient déroulés. Ce qui nous pousse à demander: est ce que le Seigneur ne le savait pas?. Si, bien sûr! Le Seigneur sait tout, mais c'est le fait de converser avec Allah conformément à la sage tradition de nos pieux ancêtres qui dit:*"Celui qui voudrait un compagnon, Allah lui suffit. Celui qui voudrait un avertissement, la mort lui suffit. Celui qui refuse l'un et l'autre l'Enfer lui suffit."* Donc, c'est une invitation aux fidèles de converser avec leur Seigneur qui les écoute attentivement et Lui seul est capable de les secourir.

Rien n'empêche le Seigneur d'écouter ou ne l'occupe de façon qu'Il remet les affaires de quiconque pour accomplir les voeux d'un autre. Par contre, l'ami sur terre peut être retenu par ses occupations, ou ses fonctions ou encore par son repos. Qui d'entre nous ne voudrait pas avoir Son Seigneur pour compagnon?. La réponse est simple: converser toujours avec Lui. Plaintes, voeux, invocations, souhaits, désirs etc.. Confiez- *les*,a Allah, Il est apte à les réaliser et Il soulage Ses serviteurs qui veulent Le prendre pour ami.

L'emprunteur bien qu'il ait déposé les mille dinars dans la poutre, est revenu chez le prêteur avec mille autre dinars.

Pourquoi? La première fois en payant la dette et en l'enfonçant dans la poutre c'était pour prouver à Son Seigneur qu'il a été fidèle au serment et qu'il n'a pas profité de la caution et du témoignage divins pour abuser d'autrui. Grâce à sa bonne intention, le Seigneur a fait parvenir la poutre au prêteur. Ce dernier, n'a pas demandé d'autres témoins lorsque le débiteur lui a signalé le nom d'Allah comme Témoin. La sincérité de l'intention de ces deux individus a mérité que les deux soient rétribués: le créancier et le débiteur.

L'emprunteur, la deuxième fois, est revenu lui remettre l'argent, car il savait qu'il lui était redevable de mille dinars.

S'attendait-il à ce que la poutre parvienne au prêteur?. La plupart des avis disent: Non. Il ne pouvait pas non plus dire au prêteur que je t'ai envoyé l'argent dans une poutre dans la mer.... Mais parce qu'il était fidèle à son engagement envers Son Seigneur, Allah s'est porté Garant de remettre l'argent à son créancier. Le Prophète-b.s- a dit:*"Allah ne s'intéresse pas à vos physionomies, ni à vos richesses, Il regarde uniquement vos coeurs et vos oeuvres."*

Hadith rapporté par Al-Bokhary.

Il faut aussi savoir que le jugement rendu par le tribunal ne peut, devant Allah, rendre licite ce qui ne l'est pas. Le Prophète-b.s-a dit: *"Je ne suis qu'un être humain et vous venez vous plaindre à moi. Parmi vous, il se trouve des*

petite chose?. Le Prophète-b.s- répondit: ***"Même si c'est un batonnet d'Arak." (plante qu'on utilisait comme cure-dent.)***

Hadith rapporté par Moslim.

Il nous faut aussi signaler, qu'il est permis de s'emprunter de l'argent, mais, on ne doit recourir à ce moyen qu'en cas de force majeure, en étant sûr de rembourser et en accompagnant l'acte d'une résolution sincère et ferme de s'acquitter de sa dette. Le Prophète-b.s-a dit: ***"Quiconque emprunte de l'argent aux autres avec la détermination de le restituer, Allah l'aidera à le faire. Quiconque emprunte de l'argent avec la détermination de ne pas le restituer, Allah nuira son argent[4]."***
Hadith rapporté par Al-Bokhary.

Selon Abou-Horaïra, ***le Messager d'Allah a raconté le récit suivant:"Un homme des fils d'Israël demanda à l'un de ses compatriotes de lui prêter mille dinars. Celui-ci dit à l'emprunteur: "Amène-moi des témoins qui témoigneront de cela." -"Allah me suffit comme Témoin, "répondit l'emprunteur.***

"Alors, donne-moi une caution" - "Allah suffit comme Caution",répliqua l'emprunteur. "Tu as raison," ajouta le prêteur et il lui rémit la somme en lui fixant un terme pour son remboursement.

L'emprunteur entreprit un voyage en mer, alla à ses affaires puis le voyage étant terminé, il voulut retourner dans sa ville. Mais, quand il chercha un navire pour le ramener, il n'en trouva aucun et le délai de la date de remboursement allait bientôt expirer. Alors qu'il était ainsi embarrasé, il vit une poutre qui flottait. Il la prit, y fit un trou dans lequel il introduisit mille dinars et une lettre adressée à son créancier. Puis il la boucha et la jeta dans la mer en disant:"Ô Allah! Tu sais que j'ai emprunté mille dinars d'Untel et que je lui avais dit lorsqu'il me demanda une caution: "Allah! suffit comme Caution"; et lorsqu'il me demanda un témoin, je lui dis:"Allah! suffit comme Témoin". J'ai fait tous mes efforts pour trouver un navire afin de m'acquitter de ma dette, mais je n'ai pas pu en trouver un. Aussi, je te confie cet argent." Ceci fait, il jeta la poutre dans la mer, où elle s'enfonça; puis il rentra dans la ville en espérant toujours trouver un navire qui le ramènerait à son pays.

Pendant ce temps, le prêteur, de l'autre côté de la mer, sortit pour voir si quelque navire ne lui rapportait pas son argent. Ne voyant rien, il retourna chez lui. Un jour, pendant qu'il contemplait la mer, il aperçut la poutre, il la saisit et la rapporta à sa famille comme bois à brûler. Comme il la scia, il y trouva l'argent ainsi que la lettre.

Plus tard, l'emprunteur revint, alla trouver son prêteur et lui rapporta les mille dinars en lui disant:"Par Allah! je n'ai cessé de faire mon possible pour trouver un navire et te rendre ton argent, mais je n'ai pas réussi à en trouver un

---

[4]L'intention est le principe vital de toute action. Celle-ci est bonne quand son mobile est bon et mauvaise quand il est mauvais. Dans ce Hadith, la mauvaise intention a fait d'un acte permis par la loi, un acte illicite et son auteur sera châtié.

LA LOYAUTE

«AL - AMANAH»

Traduction :
HODA HUSSEIN CHARAAOUI

- 2 -

2-La loyauté dans les rapports:

Elle se manifeste dans la conduite observée envers autrui, en conservant les secrets qui t'ont été révélés dans la confidence au nom de l'amitié, ou bien sous forme d'une demande de conseil, ou par le métier que tu professes-comme c'est le cas pour le médecin, l'avocat -par exemple- il ne faut pas dévoiler leurs secrets, ni les rapporter à quelqu'un sous prétexte qu'il est un de tes proches. Si tu es commerçant, tu es tenu de ne pas trahir, ni tromper. Le Prophète-b.s-a dit:***"Celui qui nous trompe n'est pas des nôtres."***

· Un jour le Prophète-b.s-passa devant un marchand qui vendait des céréales. Le Prophète-b.s- introduisit sa main dans le sac de céréales et y sentit de l'humidité. ***"Qu'est ce que cela?"***, demanda-t-il au marchand.

-***" La pluie l'a mouillé"***,dit le marchand.

-***"Pourquoi ne l'as-tu pas mis à la surface pour qu'on le voie?."***dit le Prophète-b.s-,.puis il ajouta:***"Quiconque nous trompe n'est pas des nôtres"***.

Hadith rapporté par Al-Bokhary.

Il a dit également:***"Le vendeur et l'acheteur sont libres de conclure un marché tant qu'ils ne se sont pas séparés. S'ils ont été sincères et se sont révélé les défauts de leur marchandise, leur marché sera béni. Si, au contraire, ils se sont menti et ont caché l'imperfection de leur marchandise, ce marché ne leur apportera aucun bien."***

Hadith rapporté par Al-Bokhary.

Il est formellement interdit d'usurper les biens d'autrui. Le Prophète-b.s-a dit:***"Celui qui prête serment en vue de s'approprier injustement le droit d'un musulman, Allah le destinera à l'Enfer et le Paradis lui sera prohibé ."*** Un homme se leva et demanda:***"Ce châtiment est-il appliqué, même si c'est une***

49- Ils n'ont point à attendre: aussitôt un seul cri les terrasse par surprise pendant qu'ils sont absorbés par les disputes concernant les affaires de ce monde, inconscients de la vie future.

50- Ils ne peuvent ni faire un testament ni revenir auprès des membres de leur famille, tant ce qui leur est arrivé est subit.

51- On souffle dans la Trompette Infernale pour annoncer la Résurrection; et aussitôt les morts sortent de leurs tombeaux en se précipitant pour aller à la rencontre d'Allah. Cette Trompette et ce cri sont des choses qu'Allah seul connaît. (A SUIVRE)

---

la lune, les planètes et les étoiles tournent dans le ciel à une vitesse déterminée et dans un sens déterminé. Selon les études récentes, on a pu remarquer que les différents éléments d'une nébuleuse gravitent autour du centre à une vitesse diamétralement opposée à sa distance du centre. Ainsi, le soleil et la lune tournent chacun dans des orbites parallèles qui rendent impossible leur rencontre. De même la nuit ne peut dépasser le jour à moins que la terre ne tourne autour de son axe de l'est à l'ouest. La lune, dans sa rotation autour de la terre, passe par des constellations d'étoiles appelées "maisons". Au début et à la fin du mois la lune prend l'apparence d'une palme desséchée.

après nuit, jusqu'à ce qu'elle atteigne la forme de pleine lune; ensuite sa taille diminue de la même façon jusqu'à ce qu'elle apparaisse - pour celui qui la regarde - telle une palme de dattier qui, avec le temps, se dessèche, se courbe et jaunit.

40- Ni le soleil peut sortir de ses habitudes et rejoindre la lune pour entrer dans son orbite, ni la nuit peut vaincre le jour et empêcher ce dernier de venir, mais ils apparaissent successivement, l'un après l'autre. De même, le soleil, la lune et les autres astres, voguent chacun dans son orbite dont il ne peut sortir.(2)

41- Voici un autre signe pour eux: Nous avons porté les êtres humains dans des vaisseaux remplis de passagers, de bagages et de provisions.

42- Nous leur avons créé, comme les vaisseaux, d'autres moyens de transport.

43- Si Nous voulions les noyer avec tout ce qu' ils ont gagné, Nous les aurions noyés: nul ne pourrait alors venir à leur secours, ni eux ils ne pourraient échapper à l'anéantissement.

44- Pourtant, par miséricorde pour eux, Nous ne les noyons pas et Nous les laissons jouir (de la vie) jusqu'à un terme fixé d'avance.

45- Lorsqu'on leur dit: "Craignez qu'il ne vous arrive ce qui est arrivé aux peuples précédents qui ont refusé de croire et craignez le supplice de la vie future que vous vous attirerez par votre persistance dans l'incroyance - en espérant qu'Allah aura pitié de vous, si vous Le craignez-", ils se détournent.

46- Ils se détournent de tous les arguments de leur Seigneur qui leur sont présentés et qui prouvent l'unicité et le pouvoir d'Allah.

47- Si on leur dit: "Donnez aux pauvres des biens qu'Allah vous a octroyés", les incroyants disent aux croyants: "Allons-nous nourrir ceux qu'Allah - s'Il l'avait voulu - aurait nourris? En faisant cela nous irions à l'encontre de la volonté d'Allah. Vous qui nous invitez à donner les biens, vous êtes dans un aveuglement qui vous empêche de voir la Vérité".

48- Ils disent aux croyants, en les raillant: "Quand aura lieu ce que vous nous promettez - si vous êtes véridiques dans votre promesse?"

avons fait descendre du ciel, car Nous n'avons jamais anéanti un peuple en lui envoyant des soldats.

29- Leur anéantissement ne nécessita qu'un seul cri que Nous leur envoyâmes et les voici aussitôt morts, tels un feu éteint!

30- Hélas! Ils méritent qu'on éprouve un grand regret pour eux, à cause de leur grande perte. Nous ne leur avons jamais envoyé de messager sans qu'ils ne s'en soient moqués.

31- N'ont-ils donc pas tiré une leçon de l'exemple des nombreux peuples qui les ont précédés et que Nous avons anéantis? Ces derniers ne reviennent plus à leur vie en ce bas-monde!

32- Tous les peuples précédents et tous ceux qui viendront seront certes rassemblés chez Nous, ramenés de force vers Nous.

33- Pour leur donner une preuve de Notre pouvoir de ressusciter, Nous avons ramené, grâce à l'eau, la vie à la terre desséchée, et Nous y avons alors fait pousser des graines dont vous mangez.

34- 35- Nous y avons mis des jardins et des vergers de palmiers et de vignes: Nous y avons fait jaillir des sources qui arrosent leurs arbres et y font pousser les fruits, afin qu'ils mangent de cela et non de ce qu'ils ont fait de leurs propres mains. En échange de cela, ne devraient-ils pas s'acquitter de leur devoir envers Allah, en ayant la foi et en Le louant?!

36- Pour témoigner de la transcendance d'Allah qui a créé de toute chose le mâle et la femelle, aussi bien chez les plantes que chez les individus et en d'autres choses que les gens ignorent ,

37- Voici un autre signe pour leur prouver l'existence d'Allah et Son pouvoir: la nuit qui est dépouillée du jour qui la dissimulait; les gens sont alors plongés dans l'obscurité qui les enveloppe de toutes parts.

38- Le soleil chemine vers un lieu de séjour qu'Allah a décrété pour lui et pour lequel Il a fixé un lieu et une durée. Ceci est l'oeuvre du Vainqueur par Son pouvoir, et de l'Omniscient.

39- La lune - par Notre décret - a des phases: elle apparaît comme un croissant très fin au début du mois; ensuite elle grandit graduellement, nuit

LA TRADUCTION DU SEMS DU CORAN

(suite) (YASIN)

par : DR. ROKEYA GABR

20- Un homme, venant de l'autre bout de la ville, arriva en se hâtant pour dire aux habitants de la ville: "Vous, les gens, suivez les messagers qui vous sont envoyés de la part d'Allah.

21- "Suivez ceux qui ne vous demandent aucun salaire en échange de leurs conseils et du fait qu'ils vous guident, alors qu'eux ils sont bien guidés et que vous profiterez de leur exemple pour suivre le chemin du bien et de la réussite.

22- "Quelle chose pourrait m'empêcher d'adorer Celui qui m'a créé alors que c'est vers Lui - et aucun autre que Lui - que vous et moi reviendrons?!

23- "Prendrais-je en dehors d'Allah d'autres divinités dont l'intercession ne me servira nullement si Allah me veut quelque mal, et qui ne sauront me l'éviter, si ce mal m'atteint?

24- "Si jamais je prenais d'autres dieux en dehors de Lui, je serais certes dans un égarement manifeste.

25- "J'ai cru en votre Seigneur qui vous a créés et pris en charge. Ecoutez mon conseil et obéissez-moi."

26- 27- Il lui fut dit - en récompense pour sa foi et pour son invitation à croire en Allah -: "Entre au Paradis". Il dit, alors qu' il jouissait de la félicité et de la dignité: "Comme j'aurais souhaité que mon peuple sache à quel point mon Seigneur m'a pardonné et m'a traité avec générosité, afin qu'ils aient la foi comme moi!"

28- Nous ne les avons point anéantis au moyen de soldats que Nous

REVUE
AL AZHAR

Jumada Al-ula 1419 H.Sep., 1998 Vol. 71 Part V.

Section Francaise

Comité de Rédaction :

Dr. Rokaya GABR, Professeur au Départe ment de Langye Francaise et de Traduction M.Mohammad OMAR Traducteur en chef au Centre de Recherches Islamiques

Testify the truth and never fabricate,
Adhere to the right and advocate,
Avoid statues and draw not a human portrait,
Save your skin from the Hell-fire even with a half date,
Stick to the sound Islamic tenets and don't deviate,
Extremism and blind fanaticism blind the mind and never illuminate,
They tarnish the true image of religion and devastate,
Fulfil your promise as it is the prophet Ismael's trait,
Help the opressed and collaborate,
Tighten the grip on the oppressor and intimidate,
Show not your teeth to the weak or humiliate,
Alleviate their sufferings and lighten their weight,
Don't complicate lawful matters but facilitate,
Forgive the follies of fools and never retaliate,
Curb your fury and elevate,
Bury the hatchet to live in a peaceful state,
Benefit from the sagacity of the sage and the serenity of the sedate,
Fight the element of evil and eliminate,
Cling to virtue and propagate,
Waste not your time in a futile debate,
Finish today's duties not to procrastinate,
Your shroud may be woven and tomorrow may be your burial date,
No escape from your fate.

No Escape

By Kamal Abdul Rahman Hammam

No escape from your fate,
Sooner or later, you'II be named the late,
The angel of death is ordered to close your life's gate,
Never can you predict your death place or date,
Have you prepared yourself for this decisive fate?
Recite the holy Qur'an and contemplate,
Read the prophetic Tradition, and concentrate
Believe in Monotheism and don't hesitate,
It is the call of your innate nature since your birth date,
Submit to the Donor of life and supplicate,
Worship the Creator with Whom no partners participate,
Your existence out of nothingness is enough to bow to him and prostrate,
Scrutinize His signs and meditate,
Blessings and peace be upon the prophet muhmmad whose path is true and straight,
Refrain from prohibitions and never violate,
Adultery defames fame and raises poverty rate,
Liquor befogs the mind and makes you hallucinate,
Drug addiction results in high lunacy rate,
Smoking makes health deteriorate,
Rob not anyone or assassinate,
Usurp not an inch of others' land or confiscate,
Fight usury and eradicate,
Bribery is a devilish and hellish trait,

﴿ وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا
لِلنَّاظِرِينَ ﴿١٦﴾ وَحَفِظْنَاهَا مِن كُلِّ شَيْطَانٍ رَّجِيمٍ ﴿١٧﴾ إِلَّا مَنِ اسْتَرَقَ
السَّمْعَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ مُّبِينٌ ﴿١٨﴾ ﴾

«And indeed we sought out heaven, but we found it filled with mighty guards and meteors». (72:8) The Jinn.

﴿ وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ﴿٨﴾ ﴾

«And indeed we sat in some places, sitting to listen, but whoever listens now finds a meteor lying in ambush for him». (72:9) The jinn.

﴿ وَأَنَّا كُنَّا
نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَن يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَّصَدًا ﴿٩﴾ ﴾

This was the first historic reference to the atom having weight.

We learn from the Qur'an (Which was revealed more than thirteen centuries ago) that humans and other creatures would travel through the bounds of the earth, and in the heavens but only with authority.

«O company of jinn and men, were you able to penetrate the bounds of the heavens and the earth, do then penetrate them, yet you shall not pass through save by an authority». (55:35) the Most benignant.

﴿ يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنتَصِرَانِ ﴿٣٥﴾ ﴾

«He knows whatever goes into the earth, and whatever comes forth from it, and what comes down from heaven and what ascends into it». (57:4) Iron.

﴿ هُوَ
الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ ۚ
يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ
فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤﴾ ﴾

Far from being a chaotic existence, we learn that there is a higher order of the universe, that the heavens are full activities, sounds that can be eavesdropped to. We also learn that there are places where the jinn and the angels are, and that there are tough guards and hosts guarding the heavens, and the ultimate where the highest assembly is. We learn that everything is measured, even meteors are guided, and have specific purposes, so is every thing else in the earth and the heavens.

«And we have made constellations in heaven, and embellished it to the beholders. and we have guarded it against every outcast satan. Except he who eavesdrops; then him a visible meteod shall pursue». (15:16 - 18) Al Hijr.

Modern commentators now understand that the Qur'an full with modern and still unknown scientific knowledge. Beginning with the smallest details about the creation of the universe and of human life and other creatures life, to other fields such as Astronomy, space, earth, geology, sciences and mathematics.

We learn in the Qur'an without illusions where we stand, we learn that there are other planets swimming in many orbits, that there are the likes of earth, that there are constellations, star clusters, galaxies. We learn about the vastness of the universe where distances are covered some in a thousand years, some in fifty thousand years, and more. We learn that there are different time zones where a thousand years in human life is but one day in Allah's counting, and where Allah's Messengers ascend to Allah from other places in differnt times. We also learn that the universe did not just happen, but that it is ruled and run with perfect laws and to a perfect precision. Allah has even created the slightest of details with perfect measure.

This measure of Allah is of huge and magnificent dimensions, that the more we ponder about it the more we are awed by the power and knowledge of Allah Almighty, (Glory be to Him in his mercy.)

«And we do not send down except in a known measure,» (15:21) Al Hijr.

﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢١﴾ ﴾

«And not so much as a single weight' of an atom in the earth or in the heavens is hidden from your God, neither is anything' smaller' than that or greater». (10:61) Jonah.

﴿ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُواْ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ
وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ
وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَآ
أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦١﴾ ﴾

Islam And The Great Qur'an

Part IX

by Ambassador Maha Fahmy

Knowledge in Islam

The Qur'an, the Light :

«Say: The Holy Spirit brought it down from your God with the truth that he may establish firm those who believe, and as guidance and glad tidings to the moslems».

(16 : 20) the bee.

﴿ قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿١٠٢﴾ ﴾

There is no darkness in the Qur'an.The Qur'an ushered in great learning and knowledge in the Arab world. Reading the Qur'an started and age of enlightnment that long preceded then greatly inspired Europe. Arab mathematicians are and were famed, inventing the zero and the numericals the way they are written today, (01 etc). Are Arabic not latin, a great relief from the Roman symbols. The zero made advanced mathematics possible.Arab scholars and scientists became famed in Algebra, physics, Astronomy, sciences, geography, history and in literature and culture. Arab civilization and culture influenced Europe and greatly contributed when Europe was getting out from the dark ages. No one can read the Qur'an without attaining intellectual sophistication, at least as an arabic language expert, a language rich, very literary and very eloquent.

AL-AZHAR MAGAZINE

Jumada Al-ula 1419 H.Sep.,1998

ENGLISH SECTION

Vol. 71 Part V.

ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ

الأعراف / ٤٣

" Praise be to Allah,
who hath guided us
to this (felicity): never
could we have found
guidance, had it not been
for the guidance of Allah:
Indeed it was the truth."

(AL A'raf 43)

EDITORS : Dr.TRANDIL H.EL RAKHAWY. PH.D.

Dept. of English Language and Translation
AL - Azhar University.

ADEL REFAI KHAFAGA.M.A.
Executive Secretary
Al Azhar Magazine.

الفهرس

● الافتتاحية (كيف تتحقق محبة رسول الله ؟) - صلى الله عليه وسلم -
لفضيلة الشيخ عبد المعز عبدالحميد الجزار ٧٠٥
● تفسير سورة البقرة
لفضيلة الإمام الاكبر شيخ الأزهر ٧٠٩
● قبس من انوار النبوة
لفضيلة الشيخ على حامد عبد الرحيم ٧١٧
● الطريق إلى الهداية
لفضيلة الشيخ السيد عبد المقصود عسكر ٧٢٠
● كتابة القرآن الكريم بين الرسم المتبع والخط المخترع
للدكتور على إبراهيم محمد ٧٢٤
● البلاء وما للإنسان فيه من منظور إسلامى
للدكتور الشبراوى محمد عبد الهادى الجهورى ٧٢٨
● قضايا قرآنية : قضية الرسم العثمانى
للأستاذ صديق بكر على ٧٣٤
● إمام الدعاة وحجة الإسلام الشيخ محمد متولى الشعراوى فى عالم الخلود
للأستاذ الدكتور محمد عبد المنعم خفاجى ٧٤٠
● إمام الدعاة ظاهرة يمكن الإفادة منها
للأستاذ الدكتور سعد ظلام ٧٤٤
● ومات ظاهرة العصر
للدكتور عبد الله بن محمد الحميد ٧٥٠
● الجنيد .. وتصوفه
للأستاذ الدكتور عامر النجار ٧٥٤
● العلوم الاجتماعية ودورها فى مكافحة العنف والتطرف
للدكتور محمد عبد الحكيم محمد ٧٥٩
● استفتاءات القراء
لفضيلة الشيخ السيد العراقى شمس الدين ٧٦٤
● من روائع الماضى بمجلة الأزهر
إعداد الشيخ عبد الحفيظ محمد عبد الحليم ٧٦٧
● من قادة الخلفاء الراشدين الفاروق عمر بن الخطاب - رضى الله عنه (٢)
للأستاذ أحمد السيد تقى الدين ٧٧٢
● من اعلام الأزهر (محمود خطاب السبكى)
للأستاذ الدكتور محمد رجب البيومى ٧٨٢
● طرائف ومواقف
للشيخ عبد الحفيظ محمد عبد الحليم ٧٨٨
● فقه المصطلحات العلمية
للأستاذ الدكتور أحمد فؤاد باشا ٧٩٠

● خميلة الشعر

إعداد الأستاذ محمد عبد الوهاب ٧٩٥
● فى موكب الوداع مرثية الإمام محمد متولى الشعراوى
للأستاذ الدكتور محمد رجب البيومى ٧٩٦
● فى رحيل الإمام الشعراوى
للأستاذ محمد التهامى ٧٩٩
● سوف يبقى
للشاعر محمد فتحى نصار ٨٠١

● اللغة والأدب والنقد

● جهود الزيات فى الحياة الفكرية والأدبية
للأستاذ الدكتور السيد مرسى أبو ذكرى ٨٠٤
● مآثر إسلامية فى الصحافة الأجنبية
للأستاذ / مجدى عبد الحميد بشير ٨١١
● دوحة الكتب
للأستاذ محمود الفشنى ٨١٤
● بين المجلة والقارىء
للأستاذ عادل رفاعى خفاجة ٨٢٢
● انباء مكتب شيخ الأزهر الشريف
إعداد الأستاذ : عمر البسطويسى ٨٢٨
● اخبار العالم الإسلامى
للدكتور حسن على محمد ٨٣٤

● مقالات القسم الفرنسى

● المقالة الثانية
د . هدى حسين شعراوى ٨٤٣
● المقالة الأولى
د . رقية جبر ٨٤٧

مقالات القسم الانجليزى

● المقالة الثانية
الأستاذ كمال عبد الرحمن همام ٨٥٠
● المقالة الأولى
للسفيرة مها فهمى ٨٥٤

الأزهر

مجلة شهرية جامعة

تأسست عام ١٣٤٩هـ - ١٩٣١م

وصدر العدد الأول في المحرم ١٣٤٩هـ

يصدرها

مجمع البحوث الإسلامية

فى مطلع كل شهر عربى

● ● ●

المشرف العام

رئيس التحرير

عبد المعز عبد الحميد الجزار

مدير التحرير

عبد الحفيظ محمد عبد الحليم الخطيب

سكرتير التحرير

عادل رفاعى خفاجة

المراسلات باسم

مدير التحرير / إدارة الأزهر / القاهرة.

ت : ٢٦٣٨٥٩٩ - ٥٩٠٥٤٧٣

الاشتراكات : قسم الاشتراكات بالأهرام

شارع الجلاء - القاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

العلماء وحاجة المجتمع إليهم

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وبعد .

فإن العلماء هم سراج العباد ، ومنار البلاد ، وقوام الأمة ، وينابيع الحكمة ، وهم غيظ الشيطان ، وبهم تحيا قلوب أهل الحق ، وتموت قلوب أهل الزيغ ، وإن مثلهم فى الأرض كمثل النجوم فى السماء ، يهتدى بها فى ظلمات البر والبحر ، إذا انطمست النجوم تحيروا ، وإذا أبصر عنها الظلام أبصروا .

وقد بين المولى - سبحانه - فضل العلماء ف الدنيا والآخرة إذ يقول :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ انشُزُوا فَانشُزُوا يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١﴾ ﴾

(سورة المجادلة : ١١) .

جمادى الآخرة ١٤١٩هـ . أكتوبر ١٩٩٨م . الجزء السادس . السنة الحادية والسبعون

فوعد الله المؤمنين أن يرفعهم ثم خص العلماء منهم بفضل الدرجات ، وقوله :

﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾ ﴾

(سورة فاطر : ٢٨)

فأعلم خلقه أنه إنما يخشاه العلماء به ، وقوله :

﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟ ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾

(سورة السجدة : ٢٤)

وعن مجاهد فى قوله تعالى :

﴿ يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ﴾

(سورة البقرة ٢٦٩)

قال : العلم والفقه ، إلى غير ذلك من آيات القرآن الكريم .

وفى الحديث الشريف : « يُشفّع الله يوم القيامة ثلاثة : الأنبياء ثم العلماء ، ثم الشهداء »[١] ، وأعظم بمنزلة بين الأنبياء والشهداء ، لأن العلماء يحببون إلى الناس بعلمهم الذى أفنوا فيه نفائس أوقاتهم ، أكرمهم الله بولاية مقام الإحسان إليهم فى الآخرة بالشفاعة فيهم جزاء وفاقا ، ثم إنه صرَّح فى حديث بأن حبر العلماء أرجح من دم الشهيد « يوزن حبر العلماء ودم الشهداء فيرجح ثواب حبر العلماء على ثواب دم الشهيد »[٢] وصدق من قال :

ياطالبى علم النبى محمد ما أنتمو وسواكم بسواء
ومداد ما تجرى به أقلامكم أزكى وأرجح من دم الشهداء

وقال ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « ما عبد الله بشىء أفضل من فقه فى دين ، ولفقيه واحد أشد على الشيطان من ألف عابد ، ولكل شىء عماد ، وعماد الدين الفقه[٣] .

(١) ابن ماجه (٤٣١٣) وإتحاف السادة المتقين (٢/ ٤١ ، ١٠/٤٩٦) .
(٢) ميزان الاعتدال (٧٣٩٢) .
(٣) سنن البيهقى (١٠٢/١) ومجمع الزوائد (١٢١/١) .

وقال كعب : « عليكم بالعلم قبل أن يذهب ، فإن ذهاب العلم موت أهله ، موت العالم نجم طمس ، موت العالم كسر لا يجبر ، وثلمة لا تسد . بأبى وأمى العلماء ، قال : أحسبه قال : قبلتى إذا لقيتهم ، وضالتى إذا لم ألقهم ، لا خير فى الناس إلا بهم » .

وقال الحسن البصرى ـ رضى الله عنه ـ : « صرير قلم العالم تسبيح ، وكتابة العلم والنظر فيه عبادة ، وإذا أصاب من ذلك المداد ثوبه فكإصابة دم الشهيد . وإذا قطر منها على الأرض تلألأ نوره ، وإذا قام من قبره نظر إليه أهل الجمع ، فقالوا : هذا عبد من عباد الله أكرمه الله ، وحشره مع الأنبياء » .

قال الهيتمى فى كتاب « الزواجر » : ومن الكبائر المحرمات إضاعة نحو العلماء والاستخفاف بهم لحديث : « ثلاثة لا يستخف بهم إلا منافق : ذو الشيبة فى الإسلام ، وذو العلم ، وإمام مقسط»(٤) ، ولحديث : « ليس من أمتى من لم يجل كبيرنا ، ويرحم صغيرنا ويعرف لعالمنا حقه »(٥) ، وروى الطبرانى عن أبى ثعلبة بن الحمام أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « يقول الله تعالى يوم القيامة للعلماء إنى لم أجعل علمى فيكم إلا وأنا أريد أن أغفر لكم ماكان منكم ولا أبالى »(٦) .

قال النووى ـ رحمه الله تعالى ـ فى « شرح المهذب » بعد قوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « من آذى لى وليا فقد آذنته بالحرب »(٧) ، قال الإمامان الجليلان : الشافعى وأبو حنيفة ـ رضى الله تعالى عنهما ـ إذا لم يكن العلماء أولياء الله فليس لله ولى ، لاسيما وقد جعل الله فيهم علامة إرادة الخير » .

وقال الإمام أبو الحسن الأشعرى : « لحوم العلماء مسمومة ، وهتك أستارهم معلومة ، وإن لحوم العلماء سم ، من شمها مرض ، ومن ذاقها مات » .

وقال الإمام شهاب الدين المنصورى :

أجدر الناس بالعلا العلماء ... فهم الصالحون والأولياء
سادة ذو الجلال أثنى عليهم ... وعلى مثلهم يطيب الثناء
وبهم تمطر السماء وعنا ... يكشف السوء ويزول البلاء
فالبرايا جسم وهم فيه روح ... والبرايا موتى وهم أحياء
فتعفف عن لحمهم فهو سم ... جل منه الضنا وعز الشفاء

---

(٤) مجمع الزوائد (١٢٧/١) والمعجم للطبرانى (٢٣٨/٨) .
(٥) المعجم الكبير للطبرانى (٤٤٩/١١) .
(٦) تفسير ابن كثير (٥٣٦/٦) .
(٧) إتحاف السادة المتقين للزبيدى (٢٩٥/٥ ، ٨/ ٤٧٧ ، ٩ ، ٦١٠) والحاوى (٥٦٢/١) .

قد رأينا لكل دهر عيونا ولعمرى هم للعيون ضياء

وقال الإمام على كرم الله وجهه :

الناس من جهة التمثال أكفاء أبوهم آدم والأم حواء
فإن يكن لهم فى أصلهم شرف يفاخرون به فالطين والماء
ما الفخر إلا لأهل العلم إنهم على الهدى لمن استهدى أدلاء
وقدر كل امرىء ماكان يحسنه والجاهلون لأهل العلم أعداء
ففز بعلم تعش حيا به أبدا الناس موتى وأهل العلم أحياء

ومما استدل به السيد السمهودى - رحمه الله - على وجوب تعظيم العلماء واحترامهم قوله تعالى :

﴿ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ ﴾

(سورة الحج : ٣٠)

وقوله :

﴿ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴾

(سورة الحج : ٣٢)

فالعلماء من أعظم حرمات الله ، ومن أعظم شعائر الله ، ويقول الإمام الشعرانى - رحمه الله - : أخذ علينا العهد العام من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أن نبجل العلماء والصالحين والأكابر ، وإن لم يعملوا بعلمهم ، لنقوم بواجب حقهم ، ونكل أمرهم إلى الله تعالى ، فمن أخل بواجب حقوقهم من الإكرام والتبجيل فقد خان الله ورسوله ، فإن العلماء نواب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - .

وقال العيدروس - رحمه الله تعالى - « يجب تحسين الظن بالعلماء » .

وبعد : فإن العلماء للأمة كالملح للطعام ، وينبغى علينا أن نحوطهم بالرعاية والعناية ، وأن نبوئهم المكانة اللائقة بهم ، وأن نزاحمهم فى مجالسهم ، ونسألهم عما يعن لنا من أمور ، لأنهم أهل الذكر ، حتى يستقيم الأمر وتوضع الأمور فى موقعها الصحيح .

نسأل الله سبحانه أن يلهمنا الرشد ، وأن ينور بصائرنا ، وأن نقتدى بعلمائنا الأفذاذ فى علمهم وعملهم ، وأن يعلمنا ما ينفعنا فى ديننا ودنيانا .

اللهم آمين .

عبد المعز عبد الحميد الجزار

تفسير سورة البقرة

لفضيلة الإمام الأكبر - شيخ الأزهر

الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوي

﴿ ولقد أنزلنا إليك آيات بينات وما يكفر بها إلا الفاسقون (٩٩) أوكلما عاهدوا عهدا
نبذه فريق منهم بل أكثرهم لا يؤمنون (١٠٠) ولما جاءهم رسول من عند الله مصدق لما
معهم نبذ فريق من الذين أوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون (١٠١)
واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا
يعلمون الناس السحر وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت وما يعلمان من
أحد حتى يقولا إنما نحن فتنة فلا تكفر فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء
وزوجه وما هم بضارين به من أحد إلا بإذن الله ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم
ولقد علموا لمن اشتراه ما له في الآخرة من خلاق ولبئس ما شروا به أنفسهم لو كانوا
يعلمون (١٠٢) ولو أنهم آمنوا واتقوا لمثوبة من عند الله خير لو كانوا يعلمون (١٠٣) ﴾

(البقرة - ٩٩ : ١٠٣)

ثم بين ـ سبحانه ـ مآل أولئك اليهود التاركين للحق ، والمتبعين للباطل فقال تعالى :

﴿ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ ﴾

(البقرة ـ ١٠٢)

أى : ولقد علم أولئك اليهود الذين نبذوا تعاليم كتابهم واتبعوا السحر ، أن من استبدل السحر بكتاب الله ليس له من حظ فى الجنة ، لأنه قد اختار الضلال وترك الهدى ، وعلمهم مرجعه إلى أن التوراة قد حرمت عليهم تعلم السحر أو تعليمه للأذى والضرر ، وشددت العقوبة على مرتكبه ، وعلى متبع الجن والشياطين والكهان ، فالضمير فى ﴿ عَلِمُوا ﴾ يعود إلى أولئك اليهود الذى تركوا كتاب الله واستبدلوا به السحر .

والاشتراء هو اكتساب شىء ببذل غيره ، والمراد أنهم اكتسبوا السحر الذى تتلوه الشياطين بعد أن بذلوا فى سبيل ذلك إيمانهم ونصيبهم من الجنة ، وغدوا مفلسين من حظوظ الآخرة ، لإقبالهم على التمويه والكذب ، واستبدالهم الذى هو أدنى بالذى هو خير .

وأكد ـ سبحانه ـ علمهم بضرر السحر بقوله ﴿ وَلَقَدْ عَلِمُوا ﴾ للإشارة إلى أن اختيارهم للسحر لم ينشأ عن جهلهم بضرره ، وإنما هم الذين اختاروه ومالوا إليه متعمدين وعالمين بعاقبته السيئة .

ثم قال تعالى :

﴿ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾

(البقرة ١٠٢)

شروا : بمعنى باعوا ، وبيع الأنفس هنا معناه بيع نصيبها من الجنة . ونعيمها .

والمعنى : ولبئس شيئا باع به أولئك السحرة حظوظ أنفسهم تعلم ما يضر من السحر والعمل به ، ولو كانوا ممن ينتفعون بعلمهم لما فعلوا ذلك .

وأثبت لهم العلم فى قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ ﴾ ثم نفاه عنهم فى قوله تعالى : ﴿ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ جريا على الأسلوب المعروف فى فنون البلاغة من أن العالم بالشىء إذا لم يعمل بموجب علمه نزل منزلة الجاهل ونفى عنه العلم كما ينفى عن الجاهلين .

وإلى هذا المعنى الذى قررناه أشار صاحب الكشاف بقوله :

فإن قلت كيف أثبت لهم العلم أولا فى قوله : ﴿ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ ﴾ على سبيل التوكيد القسمى ، ثم نفاه عنهم فى قوله : ﴿ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ .

قلت : معناه لو كانوا يعملون بعلمهم . جعلهم حين لم يعملوا به كأنهم منسلخون عنه[(١)] .

(١) تفسير الكشاف جـ١ ص ٢٢٨ .

ثم بين - سبحانه - المنافع التى تعود عليهم لو اتبعوا الحق ، بعد أن بين الأضرار التى ترتبت على اتباعهم للباطل فقال تعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ خَيْرٌ لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾

(البقرة - ١٠٣)

أى : لو أن أولئك اليهود النابذين لكتاب الله المتبعين للأوهام والأباطيل ، آمنوا بمحمد - ﷺ - أو بالتوراة إيمانا حقا ، واتقوا الله ، فاجتنبوا ما يؤثمهم ومنه السحر والتمويه ، لكانت لهم مثوبة(١) من عند الله ، هى خير لهم من السحر وغيره ، ولو كانوا من أولى العلم النافع لفهموا ذلك ، واستبدلوا بالسحر الإيمان والتقوى ، ولكنهم قوم لا يعقلون .

فقوله تعالى : ﴿ لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ خَيْرٌ ﴾ جواب للو الشرطية ، وأصل التركيب ، لأثيبوا مثوبة من عند الله خيرا مما شروا به أنفسهم ، فحذف الفعل ، وغير السبك إلى ما عليه النظم الكريم ، للدلالة على ثبوت المثوبة لهم والجزم بخيريتها .

وإلى هذا المعنى أشار صاحب الكشاف(٢) بقوله : (فإن قلت : كيف أوثرت الجملة الإسمية على الفعلية فى جواب لو ؟ قلت : لما فى ذلك من الدلالة على ثبات المثوبة واستقرارها ، كما عدل عن النصب إلى الرفع فى سلام عليكم لذلك .

وقال الإمام الآلوسى : (المثوبة : اسم مصدر أثاب إذا أعطى الثواب ، والثواب الجزاء الذى يعطى للغير . ولم يقل - سبحانه - لمثوبة الله مع أنه أخصر ، ليشعر التنكير بالتقليل فيفيد أن شيئا قليلا من ثواب الله - تعالى - فى الآخرة الدائمة ، خير من متاع كثير فى الدنيا الفانية ، فكيف وثواب الله - تعالى - كثير دائم ، وفيه من الترغيب والترهيب المناسبين للمقام مالا يخفى(٣) .

وقوله تعالى : ﴿ لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ شرط آخر محذوف الجواب لدلالة ما تقدم عليه ، وحذف مفعول ﴿ يَعْلَمُونَ ﴾ لدلالة ﴿ لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ خَيْرٌ ﴾ عليه . أى : لو كانوا يعلمون مثوبة الله لما اشتروا السحر بالإيمان .

وبذلك تكون الآيات الكريمة التى سقناها فى هذا المبحث قد دمغت بنى إسرائيل بجحود الحق ، ونبذهم لتعاليم كتابهم وإيثارهم عليها الأكاذيب والأباطيل ، وسيرهم فى طريق الشر عن تعمد وإصرار ، وعدم عملهم بما يعلمون لانحراف طباعهم ، وحماقة تفكيرهم وسوء تدبيرهم . واستحواذ الشيطان عليهم . .

﴿ فَبَاءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ ۚ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾

(البقرة - ٩٠)

هذا ، ويحسن بنا قبل أن نختم هذا البحث ،

---

(١) المثوبة : اسم مصدر أثاب أعطى الثواب ، والثواب الجزاء الذى يعطى للغير .

(٢) تفسير الكشاف جـ ١ ص ٢٢٨ .

(٣) تفسير الآلوسى جـ ١ ص ٣٨٤ .

أن نذكر كلمة موجزة عن السحر فنقول : السحر : فى أصل اللغة معناه : الصرف ، ومنه قوله تعالى ﴿ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴾ (المؤمنون : ٨٩) أى : فكيف تصرفون عن الحق إلى الباطل .

وقد ذكر السحر فى القرآن والسنة ، واتفق علماء المسلمين على أن هناك شيئا يسمى سحرا ، إلا أنهم اختلفوا فى تصويره .

فجمهور أهل السنة ذهب إلى أن للسحر آثارا حقيقية ، وأن الساحر قد يأتى بأشياء غير عادية ، إلا أن الفاعل الحقيقى فى كل ذلك هو الله ـ تعالى ـ واستدلوا على ذلك بأدلة منها .

أولا : أن الله ـ تعالى ـ قد أمر نبيه ـ ﷺ ـ ، أن يستعيذ به ﴿ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ﴾ (الفلق ـ ٤)

وهم السحرة ـ على أرجح الأقوال .

قال الإمام ابن كثير : قوله تعالى ﴿ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ﴾ (الفلق : ٤) قال مجاهد وعكرمة والحسن وقتادة والضحاك ، يعنى السواحر قال مجاهد « إذا رقين ونفثن فى العقد »[1] .

فالآية الكريمة تدل على أن للسحر آثارا حقيقية ، وإلا لما أمر الله ـ تعالى ـ نبيه ـ ﷺ ـ أن يستعيذ من شرور السحرة .

ثانيا : قال الإمام البخارى : ـ فى باب هل يستخرج السحر ـ : حدثنى عبد الله بن محمد ، قال : سمعت سفيان بن عيينة يقول : أول من حدثنا به ابن جريج يقول : حدثنى آل عروة عن عروة ، فسألت هشاما عنه فحدثنا عن أبيه عن عائشة قالت : كان رسول الله ـ ﷺ ـ سحر حتى كان يرى أنه يأتى النساء ولا يأتيهن ، قال سفيان : وهذا أشد ما يكون من السحر إذا كان كذلك . فقال : « ياعائشة أعلمت أن الله قد أفتانى فيما استفتيته فيه ؟ أتانى رجلان فقعد أحدهما عند رأسى والآخر عند رجلى ، فقال الذى عند رأسى للآخر ، ما بال الرجل : مطبوب ، قال ومن طبه ؟ قال : لبيد بن الأعصم ـ رجل من بنى زريق حليف اليهود كان منافقا ـ قال . وفيم ؟

قال : فى مشط ومشاطه ، قال : وأين ؟ قال فى جف طلعة ذكر تحت راعوفة فى بئر ذروان . قالت : فأتى البئر حتى استخرجه ، فقال : « هذه البئر التى أريتها وكأن نخلها رءوس الشياطين » قال فاستخرج ـ أى السحر ـ قالت : فقلت أفلا ـ أى ـ تنشرت ؟ فقال : « إن الله قد شفانى وأكره أن أثير على أحد من الناس شراً »[2] .

---

(١) تفسير ابن كثير جـ ٤ ص ٥٧٣ .

(٢) فتح البارى : لابن حجر جـ ١٢ ص ٢٤٥ طبعة الحلبى .
وهذا تفسير موجز لمفردات الحديث : « هشام » هو ابن عروة ابن الزبير ومعنى: « افتانى فيما استفتيته فيه » : اجابنى فيما دعوته من ان يطلعنى على حقيقة ما « مطبوب » اى مسحور يقال : طب الرجل ـ بالضم ـ إذا سحر . « المشط » : الآلة التى يسرح بها شعر الراس واللحية « والمشاطة » : ما يخرج من الشعر إذا مشط « وجف طلع نخلة ذكر » هو الغشاء الذى يكون على الطلع ويطلق على الذكر والانثى فلهذا قيده بالذكر . « والراعوفة » حجر يوضع على راس البئر يقوم عليه المستقى وقد يكون فى اسفلها « وبئر ذروان » : اسم لموضع البئر ، كان ماءها نقاعة الحناء » : يعنى احمر اللون . « افلا اى تنشرت » : النشرة ـ بالضم ـ ضرب من العلاج يعالج به من يظن ان به سحرا او مسا من الجن قيل لها ذلك : لانه يكشف بها عما خالطه من الداء .

فهذا الحديث الصحيح يفيد أن السحر قد أثر فى جسم الرسول - ﷺ - بنوع من المرض أو الثقل ، دون أن يكون لذلك أدنى تأثير فى عقله .

قال الإمام ابن القيم : هذا هو الحديث الذى رواه البخارى ، وهو ثابت عند أهل العلم بالحديث لا يختلفون فى صحته ، وقد اتفق أصحاب الصحيحين على تصحيحه ، ولم يتكلم فيه أهل الحديث بكلمة واحدة ، والقصة مشهورة عند أهل التفسير والسنن والحديث والتاريخ والفقه ، وهؤلاء أعلم بأحوال الرسول - ﷺ - وأيامه(١) .

وقال الإمام القرطبى « الأدلة متوفرة على أن للسحر حقيقة ، فهو مقطوع به بإخبار الله - تعالى - ورسوله على وجوده ووقوعه ، وعلى هذا أهل الحل والعقد الذين ينعقد بهم الإجماع ولا عبرة مع اتفاقهم بحثالة المعتزلة ومخالفتهم أهل الحق ، ولقد شاع السحر وذاع فى سابق الزمان ، وتكلم الناس فيه ، ولم يبد من الصحابة ولا من التابعين إنكار لأصله(٢) .

وقال الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقى : قال المازرى : « مذهب أهل السنة وجمهور علماء الأمة على إثبات السحر وأن له حقيقة كحقيقة غيره من الأشياء الثابتة . خلافا لمن أنكر ذلك ونفى حقيقته وأضاف ما يقع منه إلى خيالات باطلة لا حقائق لها . وقد ذكره الله - تعالى - فى كتابه وذكر أنه مما يتعلم . وذكر فيه إشارة إلى أنه مما يكفر به . وأنه يفرق بين المرء وزوجه . وهذا كله لا يمكن فيما لا حقيقة له ، وهذا الحديث أيضا مصرح بإثباته . وأنه أشياء دفنت وأخرجت ولا يستنكر فى العقل أن الله - سبحانه - يخرق العادة عند النطق بكلام ملفق أو تركيب أجسام ، أو المزج بين قوى على ترتيب لا يعرفه إلا الساحر . قال : وقد أنكر بعض المبتدعة هذا الحديث لسبب آخر . فزعم أنه يحط من منصب النبوة ويشكك فيها ، وأن تجويزه يمنع الثقة بالشرع وهذا الذى ادعاه بعض المبتدعة باطل لأن الدلائل القطعية قد قامت على صدقه وصحته وعصمته فيما يتعلق بالتبليغ والمعجزة شاهدة بذلك . قال القاضى عياض : وقد جاءت روايات مبينة أن السحر إنما تسلط على جسده وظواهر جوارحه ، لا على قوله وقلبه واعتقاده ، ويكون معنى قوله فى الحديث : « حتى يظن أنه يأتى أهله ولا يأتيهن » أى يظهر من نشاطه ومتقدم عادته القدرة عليهن ، فإذا دنا منهن أخذته أخذة السحر فلم يأتهن ولم يتمكن من ذلك كما يعترى المسحور(٣)

أما المعتزلة فقد ذهبوا إلى أن السحر لا حقيقة له ، وإنما هو تخييل وتمويه كما قال تعالى فى سحرة فرعون ﴿ فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴾ (طه - ٦٦)

فأخبر - سبحانه - أن ما ظنوه سعيا منها لم يكن سعيا على الحقيقة إنما كان تخييلا وتمويها . وقال تعالى فى سحرة فرعون أيضا :

---

(١) التفسير القيم لابن القيم - تفسير سورة الفلق .
(٢) تفسير القرطبى جـ ٢ ص ٦٤ .
(٣) صحيح مسلم « كتاب السلام » باب السحر جـ ٤ ص ١٧١٩ شرح وتحقيق الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقى .

﴿ فَلَمَّآ أَلْقَوْا سَحَرُوٓا أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ﴾ (الأعراف ـ ١١٦)

أى فلما ألقوا عصيهم موهوا على الناس حتى ظنوا أن حبالهم وعصيهم تسعى ، وأرهبوهم بما فعلوه ، وجاءوا بسحر عظيم فى فنه .

والذى نراه أن السحر على أضرب منها :

أولا : ضرب يترتب على مزاولته قلب الحقائق كقلب الإنسان حيوانا وعكسه ، وهذا قد منعه المعتزلة بحجة أن الساحر لو أمكنه ذلك لالتبس فعله هذا بمعجزات الأنبياء . وأهل السنة أجازوا وقوعه وإن كان لم يقع فعلا . ويفرقون بينه وبين المعجزة إن وقع ، بأن المعجزة خارق يظهر على يد من يدعى النبوة على سبيل التحدى والمعارضة ، والسحر ليس فيه دعوى نبوة ولا معارضة .

هذا مع ملاحظة أن السحر يمكن تعلمه وتعليمه ، ولا يظهر إلا على يد شرير بخلاف المعجزة .

قال فضيلة المرحوم الشيخ محمد الخضر حسين : وهذا النوع لم يقع لنا دليل فى الشريعة على وقوعه ، وربما كانت الحاجة إلى الفرق بين المعجزة والسحر فرقا واضحا تقتضى عدم وقوعه ، فالساحر لا يبلغ أن يقلب العصا ثعبانا ، ولا أن يفلق البحر فتمر بين فرقيه الجيوش ، ولا أن يجعل الماء ينبع بين الأصابع فتروى منه العطاش ، أعنى أنه لا يجرى على يده من خوارق العادات ، مثل ما يجرى على أيدى الأنبياء للإعجاز(١) .

ثانيا : أن يزاول بعض أرباب النفوس الخبيثة أفعالا يترتب عليها الضرر بدون مماسة ولا ملابسة لمن وقع عليه الضرر ، وهذا الضرب قد جوز وقوعه أهل السنة ومنعه المعتزلة ، ومن أمثلته مايفعله السحرة للتفريق بين المرء وزوجه والظاهر فى هذا الضرب قول أهل السنة لأن القرآن الكريم قد حكى عن السحرة أنهم يتعلمون من السحر ما يفرقون به بين المرء وزوجه ، وقد صح الحديث أن لبيد بن الأعصم اليهودى سحر رسول الله ـ ﷺ ـ وأنه حينما استخرج السحر خف جسمه ـ ﷺ ـ كأنما نشط من عقال .

ثالثا : مزاولة أسباب يترتب عليها آثار ظاهرية لا حقيقية وهذا الضرب واقع باتفاق بين أهل السنة والمعتزلة ، وقد حكاه القرآن الكريم عن سحرة فرعون فى قوله تعالى : ﴿ فَلَمَّآ أَلْقَوْا سَحَرُوٓا أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ﴾ (الأعراف ـ ١١٦) وفى قوله تعالى : ﴿ فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴾ (طه ـ ٦٦)

هذا ، وقد حذر الإسلام من تعاطى السحر للأذى ، وجاءت تعاليمه بذمه وتحريمه ، وتوعدت مرتكبه بالعقوبات الأليمة ، ففى الحديث الشريف « حد الساحر ضربه بالسيف »

وقد أفتى بعض الفقهاء بقتل الساحر لأنه زنديق ، وبعضهم أفتى بأن الساحر إذا كان قد أحدث فى المسحور جناية توجب القصاص اقتص منه ، وإن كان قد أحدث به مالا قصاص فيه ، حكم عليه بدية مناسبة .

وبعد : فهذه كلمة ذكرناها عن السحر ، لم نقصد بها الخوض فى تفصيلاته . وإنما قصدنا بها إعطاء القارىء فكرة مختصرة عنه بمناسبة حديثنا عن رذائل اليهود التى منها نبذهم لكتاب الله واتباعهم للأوهام والأباطيل والأكاذيب .

---

(١) مجلة لواء الإسلام ، السنة الثالثة ، العدد الثالث ص٨ .

قبس من أنوار النبوة

الأمن في الإسلام

لفضيلة الشيخ :
على حامد عبد الرحيم

عن أبى هريرة - رضى الله عنه - قال : قال رسول الله - ﷺ - :

« كل المسلم على المسلم حرام : دمه ، وماله ، وعرضه » رواه مسلم .

وعن أبى هريرة - رضى الله عنه - قال : قال رسول الله - ﷺ - : « إذا أصبحت آمنا فى سربك - أى فى نفسك أو قومك - معافى فى بدنك عندك قوت يومك فعلى الدنيا العفاء » - أى التراب أو ذهاب الأثر . أخرجه البيهقى فى شعب الإيمان .

البيان :

الإسلام دستور عظيم ، يعمل على استقرار حياة الأفراد والجماعات والأمم والمجتمعات . وإن المتأمل فى منهج الإسلام الذى ارتضاه الله لنا دينا يجده يولى الأمن عناية فائقة فيجعله قسيما للطعام الذى تتوقف عليه الحياة . امتن به على قريش يذكرها بنعمه ويأمرها بعبادته وطاعته . فيقول : ﴿ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَٰذَا الْبَيْتِ ۝ الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ ۝ ﴾

(قريش - ٤)

فإذا كان الطعام حياة مادية للإنسان فإن الأمن

حياة معنوية له ، وهو شعور ينبع من داخل النفس يلازم الإنسان ويبعث فيه الاطمئنان والراحة النفسية التى تتمثل فى الثقة العميقة فى الله ـ سبحانه ـ على نحو يشعر صاحبه بالسكينة ، كما يشعره بالاعتماد على خالقه ـ سبحانه ـ لأنه يشعر بمعيته له بالحماية والحفظ ، وليس هناك قوة تستعصى على حماية الله وحفظه .

ولمكانة الأمن وعلو منزلته بشرالله رسوله محمدا ـ ﷺ ـ بالرؤيا الصادقة ووعده وأصحابه بدخول المسجد الحرام آمنين مطمئنين فقال :

﴿ لَقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ ﴾

(سورة الفتح ـ ٢٧)

ولمكانة الأمن كانت دعوة يوسف ـ عليه السلام ـ لإخوته وأبيه

﴿ فَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ٱدْخُلُوا۟ مِصْرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ﴿٩٩﴾ ﴾

(يوسف ـ ٩٩)

وإذا توفر الأمن فى ظلال حياة ترتبط باستقامة السلوك النابع من الإيمان الصادق الذى يعصم صاحبه من الوقوع فى الخطأ مع الآخرين فإنه يجلب الأمن والسعادة. بل يتأكد ضمان الأمن للمؤمن المستقيم فى سلوكه مع الله ومع النفس ومع الناس أجمعين :

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُوا۟ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٣﴾ ﴾

(الأحقاف ـ ١٣)

كما أن الله ـ عز وجل ـ وعده بالعزة والتمكين فى الأرض للمجتمع الذى يتمسك أفراده بالمبادىء والمثل والقيم . قال تعالى :

﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ﴾

(النور ـ ٥٥)

ومن هنا شدد الله ـ عز وجل ـ عقوبة إيذاء الناس ونفر من إزعاج الفرد أو المجتمع بترويعهم أو بتهديدهم أو بنهب أموالهم أو بانتهاك أعراضهم أو بسفك دمائهم .

قال الله تعالى :

﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَـٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٨﴾ ﴾

(الأحزاب ـ ٥٨)

إن جريمة الاعتداء على مقدرات الناس وأموالهم وأرواحهم يعد محاربة لله ورسوله وجزاء من هذا فعله يبينه ربنا فى كتابه العزيز :

﴿ إِنَّمَا جَزَٰٓؤُا۟ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓا۟ أَوْ يُصَلَّبُوٓا۟ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَـٰفٍ أَوْ يُنفَوْا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْىٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَلَهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٣٣﴾ ﴾

(المائدة ـ ٣٣)

إن من يزعج الفرد أو المجتمع . يلقى أشد العقاب فى يوم الجزاء .

قال - ﷺ : من أخاف مؤمنا كان حقا على الله الا يؤمنه من فزع يوم القيامة » رواه أحمد وأبو داود .

وإن جريمة إزهاق الأرواح تدل على التجرد من الإنسانية والرحمة وإن الله - عز وجل - توعد مقترف جريمة قتل الأرواح بمقته وغضبه وشديد عقابه .

قال تعالى :

﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾ ﴾

(النساء - ٩٣)

وما كان ذلك إلا لأن الإسلام يحرص كل الحرص على حقن الدماء وصيانة الأرواح ، بل يعتبر القتل ظلما جريمة كبرى ، لأنها سلب لحياة الإنسان بغير حق وهدم لبنيان الله . والإنسان بنية الله . ومن يهدم بنية الله يستحق أليم العذاب .

إن هؤلاء الطغاة الذى يعتدون على شعوب الأمه الإسلامية يقتلون ويدمرون سينتقم الله منهم ومن كل ظالم وقال - ﷺ - إن الله ليملى للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته - ثم تلا قوله تعالى :

﴿ وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾ ﴾

(هود - ١٠٢)

رواه البخارى عن أبى موسى الأشعرى .

وعن أبى بن كعب - رضى الله عنه - قال كان رجل من الأنصار لا أعلم أحدا أبعد من المساجد منه وكانت لا تخطئه صلاة فقيل له لو اشتريت حمارا لتركبه فى الظلماء وفى الرمضاء قال : ما يسرنى أن منزلى إلى جنب المسجد إنى أريد أن يكتب لى ممشاى إلى المسجد ورجوعى إذا رجعت إلى أهلى فقال رسول الله - ﷺ - « قد جمع الله لك ذلك كله » . رواه مسلم .

إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا

لفضيلة الشيخ: السيد عبد المقصود عسكر

حين يتدبر المؤمن آيات الله فى كتابه المبارك ويستخلص منها الدروس والعبر يكون قد انخرط فى سلك أهل العقل والنهى واندمج فى موكب أولى الألباب.

هذا ما تشهد به آيات القرآن الكريم فى قول الله تبارك وتعالى:

﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ **(ص : ٢٩).**

وفى قوله سبحانه:

﴿ أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ **(الرعد : ٧٩).**

ومن خلال تدبر آيات القرآن الكريم يكتشف المؤمن كنوزا ثرية، وثروات هائلة من العلم والمعرفة يقوى بها الإيمان، ويزداد اليقين، وتشع الأنوار، وتنجاب الظلمات.

ومعية الله لعباده تعبير تكرر فى آيات كثيرة من كتاب الله عز وجل منها قوله سبحانه:

﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ

الله معنا فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هي العليا والله عزيز حكيم ﴾
(التوبة : ٤٠)

ومنها قول الله تعالى :

﴿ ألم تر أن الله يعلم ما في السموات وما في الأرض ما يكون من نجوى ثلثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أين ما كانوا ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيمة إن الله بكل شيء عليم ﴾ (المجادلة : ٧) .

وعند النظر فى مجموع الآيات المباركات التى ورد فيها هذا التعبير بصيغه المتنوعة وسياقاته المتعددة نجد أن معية الله للإنسان نوعان :

النوع الأول : معية مراقبة ومحاسبة وعلم بكل ما يصدر عن الخلق من قول أو فعل أو خاطرة أو فكرة لاتزال مستكنة فى الصدور بحيث لاتخفى عليه خافية فى الأرض ولا فى السماء .

وهذا النوع من المعية يشمل الخلق جميعا . وهو المراد بقول الله تعالى :

﴿ هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم ۝ هو الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو معكم أين ما كنتم والله بما تعملون بصير ﴾
(الحديد : ٣ - ٤)

وهو المراد - أيضا - من الآية التى ذكرناها آنفا ، من سورة المجادلة ، والمعية بهذا المعنى تتصل اتصالا وثيقا بصفات الجلال والكمال لله تبارك وتعالى مثل صفات السميع والعليم ، والبصير والرقيب ، والحسيب والعدل وغيرها .

ومن نتائج هذه المعية وتوابعها تسجيل أعمال الخلائق وتصرفاتهم ، وإحصاؤها عليهم حتى يحاسبوا عليها ، وينال كل مخلوق مايستحق من جزاء فى اليوم الآخر . يقول الله تعالى :

﴿ يوم يبعثهم الله جميعا فينبئهم بما عملوا أحصه الله ونسوه والله على كل شيء شهيد ﴾
(المجادلة : ٦) .

ويقول الله تعالى :

﴿ إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بمن اهتدى ۝ ولله ما في السموات وما في الأرض ليجزي الذين أسـٰـوا بما عملوا ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى ﴾
(النجم : ٣٠ - ٣١)

والنوع الثانى : معية حفظ ورعاية ونصر وعناية وتأييد وحماية وهذا النوع من المعية خاص بأولياء الله تعالى وأصفيائه من الأنبياء والمرسلين ومن المؤمنين الصادقين ، وإلى هذا المعنى أشار رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قوله : (ياأبا بكر ماظنك باثنين الله ثالثهما) .

فقد روى الإمام أحمد بسنده عن أنس رضى الله عنه أن أبابكر رضى الله عنه حدثه فقال : قلت للنبى - صلى الله عليه وسلم - ونحن فى الغار ، لو نظر أحدهم إلى قدميه لأبصرنا تحت قدميه ، قال : فقال : (ياأبابكر ماظنك باثنين الله ثالثهما)[1] .

وقد سجل القرآن الكريم هذه الواقعة وسماها الله نصرا فقال :

﴿ إلا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن

(١) واخرجه البخارى ومسلم.

اللَّهَ مَعَنَا فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (التوبة : ٤٠) .

يقول القرطبى فى تفسيره : « ولهذا قال بعض العلماء فى قوله تعالى : ﴿ ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ ﴾ مايدل على أن الخليفة بعد النبى - صلى الله عليه وسلم - أبو بكر الصديق رضى الله عنه ، لأن الخليفة لا يكون أبدا إلا ثانيا ، وسمعت شيخنا الإمام أبا العباس أحمد بن عمر يقول : إنما استحق الصديق أن يقال له ثانى اثنين لقيامه بعد النبى - صلى الله عليه وسلم - بالأمر ، كقيام النبى - صلى الله عليه وسلم - به أولا ، وذلك أن النبى صلى الله عليه وسلم لما مات ارتدت العرب كلها ، ولم يبق الإسلام إلا بالمدينة ومكة وجواثا[٢] . فقام أبو بكر يدعو الناس إلى الإسلام ، ويقاتلهم على الدخول فى الدين كما فعل النبى - صلى الله عليه وسلم - فاستحق من هذه الجهة أن يقال فى حقه ثانى اثنين .

ومن المواضع التى وردت فيها المعية بهذا المعنى ما جرى مع سيدنا موسى - عليه السلام - حين خرج مع قومه مهاجراً وطاردهم فرعون بجنوده كى يعيدهم خاضعين لسلطانه يتعرضون للإذلال والمهانة وملأ الخوف قلوب بنى إسرائيل وعبروا عن ذلك فطمأنهم موسى - عليه السلام - مؤكدا لهم أن معية الله له ستكون سببا فى النجاة ، وقد كان كما قال . فكانت نجاة موسى ومن معه وكان هلاك فرعون وجنوده .

يقول الله تعالى : ﴿ فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَىٰ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾ فَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾ وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ الْآخَرِينَ ﴿٦٤﴾ وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُ أَجْمَعِينَ ﴿٦٥﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ ﴾ (الشعراء : ٦١ - ٦٦)

وقد عرف موسى - عليه السلام - فضل هذه المعية منذ بدأ السير على طريق الدعوة إلى الله ، لأنه عندما كلفه الله أن يذهب ومعه أخوه هارون عليهما السلام للقاء فرعون لتذكيره بالله والخشية منه قالا إننا نخاف بطشه بنا وطغيانه علينا . وعندئذ طمأنهما الله وأمنهما من بطش فرعون لأنهما سيكونان فى معية الله عز وجل ولن يستطيع فرعون أن يمسهما بأى أذى ماداما محافظين على ذكر الله ، وقد تحقق وعد الله الذى لا يتخلف .

يقول الله تعالى : ﴿ اذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾ قَالَا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَن يَطْغَىٰ ﴿٤٥﴾ قَالَ لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴾ (طه : ٤٢ - ٤٦)

كيفية الفوز بمعية الله :

المعية بمعناها الأول وهو المراقبة والمحاسبة وما يترتب عليها من إحصاء الأعمال والجزاء عليها حاصلة للخلائق جميعا سواء رضوا بذلك أم لم يرضوا به ، ولهذا فهى لن تكون محل سعى وطلب من الإنسان . والسؤال المذكور ليس مطروحا بشأنها .

أما المعية بمعناها الثانى وهو الحفظ والرعاية والنصر والعناية فإن الفوز بها يكون بطلبها والسعى إليها والعمل لها بعد توفيق الله - عز وجل - وهدايته لأنها نعمة من نعم الله تعالى . وماعند الله لا ينال إلا بطاعته .

(٢) موضع بالبحرين.

ولهذا فإنها هى التى يطرح السؤال عن كيفية الفوز بها .

ونجد الجواب عن هذا السؤال فى آيات القرآن الكريم وفى أحاديث الرسول العظيم ـ صلى الله عليه وسلم ـ .

ويمكن أن نقول : إن الحصول عليها والفوز بها يكون بالمحافظة على أوامر الله تعالى والانتهاء عما نهى الله عنه والوقوف عند حدوده ، وإخلاص العمل له وحده .

وقد نبهنا القرآن الكريم إلى ذلك عندما ذكر لنا الميثاق الذى أخذه الله على بنى إسرائيل فى قول الله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴾

(المائدة : ١٢) .

فقد تضمنت هذه الآية أعمالا لابد من أدائها ممن أراد أن يحظى بمعية الله له فيحفظه ويرعاه ويسعده فى الدنيا والآخرة . وإذا أضفنا إلى هذه الأعمال بقية بنود الميثاق الذى أخذه الله على بنى إسرائيل كما وردت فى قول الله تعالى :

﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُعْرِضُونَ ﴿٨٣﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ ﴾ (البقرة : ٨٣ ـ ٨٤) .

إذا جمعنا ماورد فى هذه الآيات من تكاليف يتحقق لمن قام بها على وجهها الفوز بمعية الله سبحانه يظهر لنا أنها نفس التكاليف التى كلف الله بها الأمة الإسلامية . ويمكن أن نوجزها فيما يلى :

١ ـ الإيمان بالله الواحد الأحد . والتوجه إليه بالعبادة الخالصة له ، وفى هذا يقول الله سبحانه : ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾

(الكهف : ١١٠) .

٢ ـ بر الوالدين والإحسان إليهما : وفى هذا يقول الله تعالى :

﴿ وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴾

(الإسراء : ٢٣ ـ ٢٤) .

٣ ـ صلة الرحم وهى أثر عملى من آثار الإيمان بالله سبحانه . عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه . ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليصل رحمه . ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت[٣] .

وعن أنس رضى الله عنه أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : (من أحب أن يبسط له فى رزقه وينسأ له فى أثره فليصل رحمه)[٤] .

(٣) متفق عليه.

(٤) متفق عليه.

٤ ـ رعاية اليتامى وكفالتهم . وقد حث على ذلك ورغب فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : (أنا وكافل اليتيم فى الجنة هكذا) . وأشار بالسبابة والوسطى ، وفرج بينهما[٥] .

٥ ـ ضبط اللسان والتحكم فيه بحيث لا يقول الإنسان إلا حقا ولا ينطق إلا صدقا ويتجنب لغو الكلام ويتخير من الكلام أحسنه . يقول الله تعالى :

﴿ وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴾ (الإسراء : ٥٣) .

٦ ـ إقامة الصلاة والحفاظ عليها فى أوقاتها . وقد عنى بها الإسلام أيما عناية ، حتى قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ (أول ما يحاسب عليه العبد يوم القيامة الصلاة ، فإن صلحت صلح سائر عمله ، وإن فسدت فسد سائر عمله)[٦] .

٧ ـ إيتاء الزكاة . وهى ركن من أركان الإسلام قرين الصلاة ، وهى حق المال كما أن الصلاة حق الجسد . واسمها مأخوذ من معنى النماء والطهارة والبركة فهى تزكى النفس وتنميها بالخيرات .

يقول الله تعالى :

﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ ۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ (التوبة : ١٠٣) .

٨ ـ كف الأذى عن الناس فلا يعتدى عليهم فى نفس أو عرض أو مال بأية صورة من صور العدوان . وقد وردت فى ذلك نصوص كثيرة .

٩ ـ الإيمان بكل الرسل ونصرتهم ومؤازرتهم والحفاظ على دعوة الإسلام التى بعثوا بها ، وهى الدعوة التى بلغها وجاهد فى سبيلها خاتم الأنبياء محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ والذين معه والذين جاءوا ويجيئون من بعدهم حتى يرث الله الأرض ومن عليها .

وفى القرآن الكريم آيات كثيرة جمعت العديد من هذه التكاليف التى تشمل كل خصال الخير وتحض عليها وتحذر من كل خصال الشر وتنفر منها .

من هذه الآيات قول الله تبارك وتعالى :

﴿ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴾ (البقرة : ١٧٧) الآية

ومنها قول الله تعالى :

﴿ وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴾ (النساء : ٣٦) الآية .

ومنها قول الله تعالى : ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا ﴿٦٤﴾ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ ۖ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾ إِنَّهَا سَآءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٦٦﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا۟ لَمْ يُسْرِفُوا۟ وَلَمْ يَقْتُرُوا۟ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾ وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾

(٥) رواه البخارى.

(٦) رواه الطبرانى.

﴿ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾ وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابًا ﴿٧١﴾ وَٱلَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا۟ بِٱللَّغْوِ مَرُّوا۟ كِرَامًا ﴿٧٢﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا۟ عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ﴿٧٣﴾ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴾

(الفرقان : ٦٣ - ٧٤)

كما ذكرت فى القرآن الكريم والأحاديث الشريفة صفات وأخلاق قرنت ببيان فوز أصحابها بمعية الله عز وجل ، على أساس أنها صفات جامعة . ونذكر فيما يلى بعضا منها مضافا إلى ما سبق .

١ - التقوى . وقد أوصى الله جميع الخلائق بها . حيث يقول الله سبحانه :

﴿ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ وَإِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا ﴾

(النساء : ١٣١) .

وقد بين حقيقة التقوى سيدنا أبى بن كعب رضى الله عنه حين سأله سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه قائلاً : ما هى التقوى ؟ فقال : ياأمير المؤمنين أما سرت فى طريق فيه شوك ؟ قال : بلى . قال : فماذا كنت تصنع ؟ قال : كنت أشمر عن ثيابى وأجتهد . قال : فتلك هى التقوى .

ومن أجل هذا حظى المتقون بمعية الله عز وجل .

يقول الله تعالى : ﴿ ٱلشَّهْرُ ٱلْحَرَامُ بِٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ وَٱلْحُرُمَٰتُ قِصَاصٌ ۚ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُوا۟ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾

(البقرة : ١٩٤) .

٢ - الإحسان : وهو مطلوب فى كل شىء حتى قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم : (إن الله كتب الإحسان على كل شىء فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة ، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة ، وليحد أحدكم شفرته وليرح ذبيحته)(٧) .

وقد بين رسول الله حقيقة الإحسان لما سأله عنه جبريل عليه السلام فقال : (أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك)(٨) .

ولهذا كان المحسنون جديرين بالفوز بمعية الله عز وجل .

يقول الله تعالى :

﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾

(العنكبوت : ٦٩)

٣ - ذكر الله وهو أفضل العبادات وأعظمها شأنا وأعلاها قدرا من حيث تصفية القلوب وتجليتها وتزكية النفوس وتطهيرها ، وبه تطمئن قلوب المؤمنين .

يقول الله تعالى :

﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴾ (الرعد : ٢٨) .

ولهذا فقط حظى الذاكرون لله بالفوز بمعيته - سبحانه - لأنه القائل :

(٧) رواه مسلم.

(٨) رواه مسلم والترمذى وغيرهما.

﴿ فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ﴾ (البقرة : ١٥٢) .

ومما يؤكد فوز الذاكرين بهذه المعية المباركة قوله - صلى الله عليه وسلم - فيما يرويه عن ربه فى الحديث القدسى : (أنا عند ظن عبدى بى . وأنا معه إذا ذكرنى ، فإن ذكرنى فى نفسه ذكرته فى نفسى ، وإن ذكرنى فى ملأ ذكرته فى ملأ خير منهم)(٩) .

٤ - الصبر : وهو أعظم عطاء يعطيه الله لعبد من عباده يقول رسول الله - صلى الله عليه وسلم : (ما أعطى أحد عطاء خيرا وأوسع من الصبر)(١٠) .

والصبر قوة يتحصن بها المؤمنون فى أوقات الشدائد والمحن . ويواجهون بها الصعاب التى تعترض طريقهم ، ولهذا فهم لا يضعفون أمام الأعاصير والعواصف ولا تخيفهم قوة الأعداء ولا يرهبهم بطش الطغاة ولا طغيانهم .

يقول الله تعالى : ﴿ وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ ﴾ (آل عمران : ١٤٦) .

ومن أحبه الله نصره وأيده وحفظه من كيد عدوه وكان فى معيته .

ولهذا فقد فاز الصابرون بمعية الله عز وجل . يقول الله تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾ الْآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ (الأنفال : ٦٥ - ٦٦) .

آثار الشعور بالمعية :

إن شعور العبد بمعية الله له وبمراقبته الدائمة لكل ما يصدر عنه وإحساسه بأنه يعيش فى كنفه ويستظل بحمايته ، كل ذلك ينتج آثارا هائلة فى سلوك العبد وتصرفاته وفى نظرته للأحداث التى تجرى وفى علاقاته بالآخرين الذين يتعامل معهم .

ونذكر فيما يلى بعض هذه الآثار الهامة :

١ - شدة الحرص على طاعة الله تعالى والحذر الشديد من معصيته . وتلك نتيجة حتمية لشعور المؤمن الصادق بأن الله معه يراقب سلوكه ويحصى عليه أعماله وسيجازيه عليها يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم .

وحين يصل المؤمن إلى هذا المستوى من الخشية لله يكون قد وضع أقدامه على الطريق الصحيح الذى يسلكه فى عداد المتقين الذين أعد الله لهم جنات عرضها السماوات والأرض .

والوصول إلى هذه المنزلة يجعل المؤمن نصيرا للحق والعدل ، ولا تأخذه فى الله لومة لائم ، كما يحفظه من السقوط فى شراك العصبية أو العنصرية أو الدفاع عن الباطل والتخلى عن الحق ، مجاملة للخلق كما حدث من أولئك الذين عناهم الله بقوله : ﴿ يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ الْقَوْلِ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا ﴾ (النساء : ١٠٨)

٢ - القدرة على مواجهة الشدائد والمحن

(٩) متفق عليه.

(١٠) متفق عليه.

مستعينا بالله وواثقا من وعده ومطمئنا إلى معيته ، فيشعر بالأنس وإن كان وحيدا . وينتظر الفرج فى أوقات الضيق ، ويرى فى المحن منحا وفى العسر يسرا ، مصداقا لقول رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ لعبد الله بن عباس رضى الله عنه) (احفظ الله تجده أمامك ، تعرف إلى الله فى الرخاء يعرفك فى الشدة ، واعلم أن ما أخطأك لم يكن ليصيبك ، وما أصابك لم يكن ليخطئك ، واعلم أن النصر مع الصبر ، وأن الفرج مع الكرب ، وأن مع العسر يسرا)(١١) .

٣ ـ رفض الذلة وعدم قبول الدنية ، لأنه لن يقبل الذلة من أعزه الله بالإيمان ، وهو سبحانه القائل :

﴿ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (المنافقون : ٨)

ولن يقبل الذلة والهوان من كان مع الله ومعتزا بحماه ، ألم يقل الله لأوليائه برغم ما أصابهم من قرح وجرح :

﴿ وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ (آل عمران : ١٣٩) .

وعلى حين يرضى كثير من الناس أن يعيشوا عيش العبيد الأذلاء ، إيثاراً للسلامة وهروبا من تكاليف الجهاد ، فإن المؤمنين الصادقين يسعون دائماً إلى المعالى ، وينشدون الحياة العزيزة الكريمة ، أو الشهادة العظيمة فى سبيل الله . ورائدهم فى ذلك قول الله تعالى :

﴿ فَلَا تَهِنُوا۟ وَتَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّلْمِ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ وَٱللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ ﴾ (محمد : ٣٥)

٤ ـ البذل والعطاء والتضحية والفداء . ذلك لأن من كان فى معية الغنى لا يخشى فقرا ، ومن كان واثقا بما أعد الله لعباده المؤمنين هانت عليه الدنيا بما فيها ، ومن فيها ، وأقبل على البذل والعطاء بسماحة نفس إيثارا لما عند الله وطمعا فى رضاه لأن ثقته بما عند الله أشد من ثقته بما فى يده .

إن الشح والبخل والخوف والجبن رذائل يبغضها الله سبحانه ، ولا يقع الإنسان فيها إلا بتحريض من الشيطان ، ولا يتخلص الإنسان منها إلا إذا قاوم الشيطان ، ولاذ بحمى الرحمن . يقول الله تعالى :

﴿ ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ (البقرة : ٢٦٨) .

إن المؤمن الصادق لا يركن إلى الدنيا ولا ينخدع بزينتها ولا يغتر بزخرفها بعد أن علم قدرها وأدرك قيمتها .

عن سهل بن سعد رضى الله عنه قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم : (لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ما سقى كافرا منها شربة ماء)(١٢) .

البقية ص ٩٤٤

(١١) رواه الإمام احمد والترمذى .
(١٢) رواه الترمذى . وقال حديث حسن صحيح.

مهمة المسجد في توجيه الشباب للإسهام في تنمية مجتمعاتهم

للأستاذ الدكتور : محمد إبراهيم الجيوشى

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين والنبيين وخاتمهم أجمعين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

وبعـــد :

فإن المسجد فى الإسلام مركز الإشعاع ، ونقطة الانطلاق إلى غرس العقيدة السليمة من الشوائب وتأدية العبادات على الوجه الصحيح بعيداً عن الإفراط والتفريط واكتساب الأخلاق العالية ، والأخذ بالسلوك القويم ، والتدرب على حسن المعاملة واكتساب المعارف النافعة ، والعلوم المفيدة ، والتأسى بصاحب الرسالة سيدنا محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى التعامل مع شئون الحياة المختلفة .

هذا هو جوهر الرسالة التى يؤديها المسجد فى المجتمع المسلم ، وهكذا كان محور الحياة فى مبدأ الإسلام فى السلم والحرب ، والتعليم والتوجيه ، والأخذ بأسباب الحياة التى تؤدى إلى الرقى والتقدم .

ومن أجل ذلك خرَّج المسجد جيلا من الصحابة تعلموا على يدى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ونقلوا ما تعلموه من الهدى النبوى إلى من جاء بعدهم من أجيال المسلمين المتعاقبة فاتسعت دائرة التوجيه الإلهى والتعليم النبوى من مركزها بمسجد المدينة حتى وصلت الصين شرقاً ، وقلب أوروبا غرباً .

ونتيجة لهذا الانطلاق الذى ابتدأ من المسجد النبوى بالمدينة شهدت الدنيا حضارة إسلامية متميزة عن الحضارات التى عرفتها البشرية فى عصورها المختلفة فى القديم والحديث سِمَتُها الرحمة والعدل والمساواة والحفاظ على الكرامة الإنسانية ، وإعطاء كل ذى حق حقه بصرف النظر عن جنسه أو لونه أو عقيدته أو لغته ، فالناس كلهم لآدم وآدم من تراب لا فضل لعربى على عجمى ولا لأبيض على أسود إلا بالتقوى ، ومكانة المرء فى الإسلام تتوقف على مدى ما ينطوى

عليه ضميره من عقيدة صحيحة ونية خيرة وعمل صالح يقدمه لأفراد مجتمعه بصرف النظر عن حسن المنظر وفراهة الجسم ، لأن الإسلام يعتنى بالجوهر قبل العناية بالمظهر ، وقد حدد النبى - صلى الله عليه وسلم - هذا الميزان بقوله : « إن الله لا ينظر إلى أجسامكم ولا إلى أحسابكم ولا إلى أموالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم »[1] .

والإسلام جاء ليجمع البشرية تحت لواء واحد وعقيدة واحدة حتى يتعارفوا ويتعاونوا . . فالله - سبحانه - يقول :

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾

سورة الحجرات (آية ١٣)

ومن أجل ذلك النهج الذى سار عليه المسلمون الأوائل مقتدين بتوجيه القرآن الكريم ، وهدى النبى - صلى الله عليه وسلم - أقبلت الشعوب على اعتناق الإسلام راضية مطمئنة لأنها رأت فى مبادئه تحقيقاً لأمنها ورخائها ، وفى تعاليمه صيانة لكرامتها وحفظاً لإنسانيتها ، وفى عدالة أحكامه أمناً وأماناً على دمائها وأموالها وأعراضها ، فرغبت فى الانتساب إليه والعيش فى ظلاله ، والعمل على تأييده ونشره ، لأنها رأت فيه الحق الذى ظلت تنشده ، والأمن الذى تحتمى به من ظلم الأقوياء ، وقد زادها تمسكاً به وحرصاً عليه ما وعته من تراثه الذى يولى الإنسان الاهتمام اللائق ويواجه فى حزم والتزام أى بادرة تبدو من بعض الأفراد ، يشم منها خروج على الأسس التى سنّها والمبادىء التى شرعها ، سواء كان فى عهد النبى - صلى الله عليه وسلم - أو فى زمن خلفائه من بعده أو مسلك حكام المسلمين وأولى الأمر فيهم ، فالسيرة النبوية تحدثنا أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لما كان فى مسجده يعلم أصحابه ، ويربيهم على قيم الإسلام ومبادئه ، وكانوا يلتفون من حوله يتلهفون إلى الانتفاع بهديه الذى تستضىء به قلوبهم .

روى جندب بن جنادة الغفارى عن أبى ذر - رضى الله عنه - : قاولت رجلا عند النبى - صلى الله عليه وسلم - فقلت له : ياابن السوداء ، فقال النبى - صلى الله عليه وسلم - : « طف الصاع طف الصاع ، ليس لابن البيضاء على ابن السوداء فضل »[2] . ونزل قوله - تعالى - مواجهاً هذا الصنيع حتى يكون توجيها عاما يلتزم به المسلمون جميعاً ، ويكون تحذيراً للآخرين :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾

الحجرات (آية ١١)

وإزاء هذا الحزم فى إرساء مبدأ المساواة واقتلاع أى آثار للعصبية لم يجد ذلك الصحابى الذى بدرت منه هذه البادرة إلا أن يضع خده على التراب ويطلب ممن أساء إليه أن يطأ على صدغه كتعبير عن ندمه عما قدم من إساءة ، وكان المسجد

---

(١) الطبرانى - المعجم الكبير - بغداد .

(٢) الزبيدى - اتحاف السادة المتقين (٨ / ٣٧٥).

ساحة هذا الدرس الذى اشترك فى تلقينه وحى الله وتوجيه رسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ .

على هذا المنوال سار أبو بكر ـ رضى الله عنه ـ ومن منبر المسجد أعلن عن مبدئه فى الحكم ومنهجه فى السياسة والتعامل مع جماعة المسلمين فهم جميعاً أمام الحق سواء لا فرق بين ضعيف وقوى ، وأعلنها مجلجلة فى خطبته الأولى : « القوى فيكم ضعيف عندى حتى آخذ الحق منه ، والضعيف فيكم قوى عندى حتى آخذ الحق له » ، وهو فى هذا يقفو خطى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ حينما وقعت حادثة سرقة المرأة المخزومية وأراد بنو مخزوم أن يجدوا وسيلة تنجو بها المرأة من تنفيذ حد السرقة عليها ، وهم لا يجرؤون أن يتحدثوا إلى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى هذا الأمر ، فاتجهوا إلى أسامة بن زيد يطلبون إليه أن يتحدث إلى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ لعله يتسامح فى إقامة الحد عليها ، ولم يكد أسامة يتحدث إلى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى شأن المرأة حتى بدا الغضب فى وجهه وقال له : « أتشفع فى حد من حدود الله ، إنما أهلك من كان قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه ، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها »[1] .

كان هذا الإعلان الذى يضع قاعدة هامة من قواعد الاجتماع وارتفاع الدول وقوتها حينما تأخذ به وانهيارها وضعفها حينما تتخلى عنه ، كان ذلك الإعلان من منبر مسجد رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وعاه الصغير والكبير وصار أمراً لازماً يأخذ المسلم نفسه به ويسير الحكام على هداه حتى تستقيم بهم الأمور وتمضى الحياة بالمجتمعات آمنة مطمئنة رخية سعيدة .

ومن هذا المنطلق الذى يحرص على سيادة العدل جاءت وصية عمر ـ رضى الله عنه ـ إلى أبى موسى الأشعرى يقول فيها : « آسى بين الناس فى مجلسك وفى وجهك وفى قضائك حتى لا يطمع شريف فى حيفك ، ولا ييأس ضعيف من عدلك . . » وهذا الحرص على إقامة العدل هو الذى دفعه إلى أن يعلن على الناس فى المسجد فى أول عهده بالحكم : « إذا رأيتم فىّ اعوجاجاً فقومونى ، فقال له أحدهم من عرض المجلس : والله لو رأينا فيك اعوجاجاً لقومناه بسيوفنا ، ويعلق عمر على قول الرجل قائلا : الحمد لله الذى جعل فى المسلمين من يقوم اعوجاج عمر بالسيف » .

كان هذا الإعلان أيضاً من منبر المسجد مما يؤكد أن المسجد هو محور الحياة فى المجتمع المسلم ووظيفته الأساسية هى وظيفة التوجيه والتعليم وإيصال الحقوق إلى أصحابها .

ولم يكن تأثير المسجد قاصراً على صدر الإسلام بل ظل ممتداً مع التاريخ مادامت الدولة الإسلامية قائدة المجتمع الإنسانى ، وباعثة النهضة والإشعاع إلى شعوب الأرض جميعاً وداعية إلى إقامة العدل ، ورعاية الحقوق وحفظ الحرمات ، وحماية الضعفاء ورد العدوان وكانت المساجد فى الحواضر الإسلامية هى الجامعات التى يتخرج فيها القادة

---

(١) سنن ابى داود ـ (٣ / ١٣٢) تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ـ ط .مصطفى البابى الحلبى .

والمفكرون وعلماء السياسة والموجهون إلى قيم الحق والعدل والسلام والساحات التى يتدرب فيها النشء من أبناء المسلمين على التخلق بما يدعو إليه الإسلام من السمو والاستقامة فى السلوك والأخلاق والمعاملات .

كيف يستعيد المسجد مكانته ؟

إذا كان هذا الذى عرضنا جانباً منه هو تأثير المسجد فى المجتمع المسلم وإعداد أبنائه للاضطلاع بمهماتهم والقيام بواجباتهم سواء كانت علمية أو اجتماعية أو سياسية فما بالنا اليوم ونحن نرى المساجد فى أغلب بلاد العالم الإسلامى قد انحسر تأثيرها وأصبح التأثير الأكبر من صنع أجهزة أخرى جاء بها العصر الحديث ، ولم يمكن استغلالها الاستغلال الأمثل لتقوم بواجبها على خير وجه فى صيانة المجتمع المسلم وحمايته من الآثار الوافدة ، وقد واكب ذلك انكماش الدور القيادى الذى كان المسجد يضطلع به ، وإن ذلك ليدعونا أن نستعرض الأسباب التى أدت إلى هذه النتيجة حتى نأخذ فى علاجها ونعيد للمسجد دوره الريادى فى إعداد النشء ، وتقويم الشباب ، وسيادة المثل العليا التى قام المسجد على الدعوة إليها والأخذ بها على مدى التاريخ المضىء للدولة الإسلامية .

نحن لا نتجاهل تأثير الأجهزة الحديثة فى جذب الاهتمام من كل قطاعات المجتمع شيوخاً كانوا أم شباباً أم أطفالاً رجالاً ونساء ، وهذه الأجهزة فى مقدمتها التليفزيون والڤيديو والراديو والصحف ، ومع ظهور هذا التأثير الواسع لهذه الأجهزة على سلوك المجتمع وأخلاقياته تسرب إلى مجتمعاتنا بدون وعى بعض أنماط السلوك التى لا تتفق مع عقائدنا ومثلنا وأخلاقنا ومنهج حياتنا ، ودخلت بيوتنا وأثرت على أبنائنا شئنا أم أبينا ، ويرجع ذلك إلى أن الذين تولوا هذه الأجهزة فى الأعم الأغلب كانوا واقعين تحت تأثير الذين نقلوا عنهم هذه الأجهزة ، وإذا أرادوا أن يتمرنوا على إدارة هذه الأجهزة فإنهم يذهبون إلى البلاد الأخرى ليأخذوا عنهم كيفية إدارتها وتوجيهها ، وظنوا أن فى اتباع ما تلقوه الوسيلة الوحيدة للنجاح فى القيام بمهامهم ، وقد يكون البعض منهم قد تعمد امتداد المنهج الغربى فى توجيه هذه الأجهزة نتيجة لأنماط التربية التى نشأ عليها وظن أنه بصنيعه هذا إنما ينهج نهج الدول التى صارت إليها قيادة الحياة فى عصرنا الحاضر ، وقد تكون نظم التربية والتعليم التى تلقاها قد أسهمت بالنصيب الأوفى فى سلوكه هذا ، وقد يكون البعض الآخر قد اضطر إلى عرض ما يقدم إليه لأنه لم يجد عنده من المواد التى تلائم مبادئنا ومثلنا وأخلاقنا ومنهج حياتنا ما يملأ به الفراغ الذى يحتاج إلى تقديمه لجمهوره سواء كان جمهوراً قارئا فى صحيفة أو مستمعاً لإذاعة أو مشاهدا للتليفزيون أو الڤيديو ، وعلى العموم فإننا نشعر أن كثيرين من المسئولين عن إدارة هذه الأجهزة على اختلافها يحتاجون إلى أن يتلقوا دورات مكثفة تجعلهم يستشعرون مسئولياتهم نحو الجمهور الذى يخاطبونه .

ففى المجتمعات العلمانية لا يسمحون أن تعرض هذه الأجهزة دعوة تخالف ما أخذت أنفسها به .

وإننا لنأمل من القائمين على هذه الأجهزة أن يأخذوا فى الاعتبار العمل الدءوب على ما يؤكد

القيم البناءة فى نفوس الشباب والنشء الجديد بالذات لأنهم هم المستقبل ، وذلك انطلاقاً من الإدراك بقوة تأثير هذه الأجهزة فى تفكير الأمة وسلوكها ، وأن ما يبنيه المسجد فى أسبوع من العمل المضنى يمكن أن يهدمه التليفزيون فى مشهد لا يستغرق أكثر من دقائق معدودة ، ومن أجل ذلك كان لزاماً أن يكون هنا تناسق بين هذه الأجهزة وبين الرسالة التى يقوم عليها المسجد ، وإلا سيكون كل جهد نبذله هباء لا يغنى ولن نصل إلى ما نريد من تحصين الأمة وإعداد الشباب إعدادا مفيداً يسهم به فى تنمية مجتمعه إلا إذا أقمنا هذا السياج وإلا كان مثلنا مثل الحالة التى يصورها الشاعر بقوله :

متى يبلغ البنيـان يـومـاً تمامـه
إذا كنت تبنيـه وغـيـرك يـهـدم

هذا الذى عرضناه يمثل المعوق الطارىء على رسالة المسجد وتمكينه من القيام بدوره المنشود فى بناء المجتمع القوى وإعداد الفرد السوى ، وتكوين الشاب القادر على تحمل مسئولياته والنهوض بأعبائه فى خدمة مجتمعه وتحقيق رخائه .

وهنا لا يفوتنى أن أشير إلى أن هذا التعارض بين رسالة المسجد وبين ما تبثه وسائل الإعلام قد أسهم إلى حد كبير فى وجود القلق بين بعض الشباب فى عدد من مجتمعاتنا وأوقعهم فريسة لبعض الأفكار غير الناضجة التى حاول أصحابها استغلال الطاقات المتفجرة فى نفوس الشباب مما سبب كثيراً من المشاكل التى آلمتنا جميعاً .

ولسنا بهذا الذى قلناه نلقى التبعة كلها على وسائل الإعلام ونعفى المساجد ، فشخصية الإمام وقدراته ذات أثر فعال فى المحيط الذى يعمل فيه ، وبقدر ما عنده من المعرفة النافعة والرغبة فى العمل ، والتفتح الفكرى والمقدرة على تناول المشاكل ومناقشتها مناقشة واعية يستطيع أن يجعل المسجد منطقة جذب ومركز إشعاع حقيقيا يجمع من حوله القلوب ويحبب المسجد إلى رواده .

ولكى يقوم الإمام بواجبه على خير وجه لابد أن تتوافر له الإمكانات العلمية والمادية والقدرات الذهنية التى تعينه على النجاح فى مهمته ، وأن يزود المسجد بوسائل الجذب التى ترغب الشباب فى الارتباط به .

فبالنسبة للإمام لابد أن يختار بعناية الشخص الذى يتولى هذه المهمة ، وأن يكون معداً إعداداً علمياً سليماً ، وأن تكون له الشخصية القادرة على التأثير والحوار والإقناع وإنى أقترح ألا يختار لهذا المنصب إلا من يجتاز اختبارا دقيقا فى العلوم الدينية والمعارف المعاصرة ، والوقوف على ما يموج به العالم من تيارات فكرية وحركات اجتماعية حتى يستطيع أن يواجه كل ذلك فيقبل النافع ويرفض الضار ، ويبين مميزات الإسلام فى القضايا التى تطرح ويكشف عن أوجه النقص فى المناهج الأخرى التى تطرح فى الساحة ، ويتقدم دعاتها بالترويج لها ، وبذلك يستطيع الإمام أن يكون مركز الدائرة فى المحيط الذى يعمل فيه ويكتسب ثقة من حوله .

ولا يمكن أن نعثر على هذه النوعية من الأئمة إلا إذا هيأنا له وضعاً اجتماعياً واقتصادياً يمكنه من النهوض بهذا الواجب على الوجه الأكمل ، فإن كثيرين من ذوى الكفاءات ينصرفون عن هذا الميدان لأنهم لا يجدون ما يحقق لهم الحياة الكريمة التى تمكنهم من الحفاظ على المستوى اللائق بهم ، وقد يساعد على الوصول إلى هذا الهدف أن نضمن له دخلا مجزياً متميزاً عن نظرائه من العاملين فى

المجالات الأخرى ، وأن نقدم له مسكناً لائقاً مريحاً ، وأن يلحق به مكان للاجتماعات واللقاءات التى يعقدها مع زواره من سكان المنطقة وأن نمكنه من أن يمد يد العون لمن يحتاج العون بأن نضع تحت يده من الوسائل ما يجعله قادراً على مساعدة من هو فى ضائقة مالية وبخاصة من طلاب العلم ، وأن يستجاب له فى المستشفيات حينما يلجأ إليه فقير مريض يحتاج إلى العلاج .

وعلى الرغم من أن الكليات والمعاهد المختصة بإعداد الدعاة تحاول أن تقدم خير العناصر إلا أن القيود التى تلتزم بها باعتبارها أعضاء فى مؤسسات تعليمية لابد أن تخضع لما يحكم كل أعضاء هذه المؤسسات ويقيد من حركتها ، ولهذا فإنى أقترح أن ينشأ معهد عال للدعاة يسمح بالدخول فيه لكل من يتقدم إليه من الحاصلين على شهادات جامعية شريطة أن يجتاز امتحانا تحريريا وشفويا فى القرآن الكريم والثقافة الإسلامية والخطابة ، وتكون مدة الدراسة به سنتين ، يعتبر الملتحق بالمعهد خلالها موظفا يتقاضى راتبا مثل نظرائه فإذا تخرج بتقدير لا يقل عن جيد لحق بوظيفة إمام من الدرجة الأولى ، وحصل على كل المميزات التى تقدم لمن يعملون فى مجال الإمامة والتى سبقت الإشارة إليها ، وأعتقد أننا بفتحنا هذا المجال أمام ذوى المقدرة على العمل فى الحقل الدعوى نكون قد أسدينا خدمة جليلة للمسجد ورسالته ، وطعمنا العاملين فى حقل الدعوة بدماء جديدة تنطلق فى عملها بدافع من أنفسها رغبة فى العمل ذاته ، وفى الوقت نفسه لا نسمح لكل من حفظ آيات من القرآن وردد بعض الأحاديث النبوية بدون فقه ولا دراية بأن يتولى مسئولية التوجيه وهو لم يستكمل أدواته بعد .

أما المسجد ذاته فلابد أن نزوده بكل ما يغرى الشباب بالإقبال عليه بعد أن هيأنا له الإمام المناسب ، وذلك بأن يكون بالمسجد مكتبة جامعة يؤمها الشباب للاطلاع والبحث ، وأن يكون ملحقا به ساحة للاجتماعات والمحاضرات واللقاءات تعرض فيها القضايا وتناقش من خلال وجهة نظر الإسلام وأن يلتحق به بعض الأنشطة العلمية والاجتماعية ، والمهنية والصحية والتعليمية مثل « دورات للكمبيوتر » ، و« عيادات طبية » مزودة بأحدث الأجهزة وصيدليات بها كل الأدوية المطلوبة على أن تقدم للفقير مجانا ويدفع القادر ما يطلب إليه .

وفصول دراسية لمساعدة الطلاب فى جميع المستويات التعليمية ، ولجنة اجتماعية تكون مسئولة عن مساعدة الفقراء فى المنطقة التى يقوم المسجد على خدمتها وتدريب الشباب من رواد المسجد على الإسهام فى كل هذه الخدمات والاشتراك فيها ، فإذا تم هذا للمسجد فلا شك أنه سيكون المركز الأصيل المؤثر فى توجيه الحياة العامة وإعداد الشباب للقيام بالإسهام فى تنمية مجتمعاتهم .

ولا يحتاج منا هذا إلا إلى إخلاص النيات وجدية العمل والرغبة الصادقة فى تحقيق النماء والرخاء .

ولا شك أن الموسرين من المسلمين حينما يرون هذه الآثار الطيبة سيسارعون إلى تقديم العون المادى لتحقيق هذا الأمل ، ولو تأملنا فى فكرة الوقف فى الإسلام لوجدنا أنها دعوة عملية لتحقيق مثل هذه الخدمات .

وبالله التوفيق

الحياء والإيمان

للدكتور : سامى عفيفى حجازى

الحياء شرط من شروط العمل الخلقى يبعث على ترك القبيح ، ويمنع من التقصير فى حق ذى الحق[1] . ولذا يعرفه صاحب كتاب « التعريفات » فيقول : الحياء انقباض النفس من شىء ، وتركه حذرا عن اللوم فيه ، وهو نوعان :

الأول : حياء نفسانى وهو الذى خلقه الله - تعالى - فى النفوس كلها ، كالحياء من كشف العورة .

والثانى : حياء إيمانى وهو امتناع المؤمن من فعل المعاصى ، خوفا من الله تعالى[2] ، كما يقول القاضى عياض : « إن الحياء رقة تعترى وجه الإنسان عند فعل ما يتوقع كراهيته ، أو ما يكون تركه خيرا من فعله .[3]

(*) كلية اصول الدين القاهرة

(١) الإمام النووى ، رياض الصالحين ، ص ٢٢٧ ط ١٩٨٣ م

(٢) السيد الشريف الجرجانى ، كتاب التعريفات ص ٩٤ ، ط بيروت ١٩٨٣م .

(٣) القاضى عياض ، الشفا باحوال المصطفى ج١ ، ص ٦٨ الحلبى ١٩٥٠م .

ومن خلال هذه الضوابط يتضح لنا أن الحياء : هو ما كان وفق الشرع ، لما فيه من اعتدال الشمائل الخلقية ، ومن هنا كان قائما على انقباض النفس عن القبائح ، وهو من سمات الإنسان القائم على الفطرة والتوحيد ، وقد جعل فيه ليرتدع عما تنزع إليه الشهوة من الشرور والمآثم من جانب ، ولأنه من أسباب أصل الإيمان من جانب آخر ، وأخلاق أهله تمنع الفواحش ، وتحمل على الخير والبر ، ولذا كان شرطا من شروط الخلق والسلوك ، وعلى هذا فالحياء ليس مركبا من قوة سلبية ، وقوة إيجابية معا ، أى : من جبن وعفة ، كما يقول البعض[٤] ، وأن الشجاع يستحى من الفرار والجبن معا ، ولذا فمن الخطأ القول : بأن الشجاع قلما يكون مستحيا .

إن الخوف فى الحياء ليس كالخوف فى الجبن والفرار ، لأن الخوف فى الحياء خوف من النقيصة ، وأما الخوف فى الجبن فخوف من الخطر ، وحرص على الحياة .

ومن هنا : فالحياء يخيف صاحبه من فقدان الفضيلة ، والجبن يخيف صاحبه من فقدان الحياة ، بصرف النظر عن الفضيلة .

وعلى هذا فالحياء ليس جبنا ، ولكنه شرط للشجاعة التى هى نقيض الجبن ، كما هو شرط لغيرها من الفضائل ، والشجاع هو فى الحقيقة أحرص الناس على الحياء من الجبن والفرار .

وعلى هذا تتضح قيمة الحياء فى مفهوم الدين ، كما يقول صاحب دراسة أدب الدنيا والدين : « إن الدين أقوى قاعدة الدنيا واستقامتها ، وأجدى الأمور نفعا فى انتظامها وسلامتها » ولذلك لم يخل الله - تعالى - خلقه منذ فطرهم عقلاء من تكليف شرع واعتقاد دين ، ينقادون لحكمه ، لئلا تختلف بينهم الآراء ، ويستسلمون لأمره فلا تتصرف بهم الأهواء[٥] ، وهذا يعنى : تهذيب الظاهر والباطن وفقا لتوجيهات الشريعة ، وإذا ما تهذب باطن الإنسان وظهرت آثار ذلك فى سلوكه ، كان حينئذ متحليا بالخلق ، والسلوك الإسلامى القائم على تهذيب وتنقية الظاهر والباطن ، ولذا فمما لاشك فيه عند كل منصف أن الإيمان الصحيح له أثره البالغ فى تهذيب نفس الفرد وتطهيره ، من الميل إلى الفحش ، أو الفسق ، ليس هذا فحسب بل وأكبر دافع له كذلك إلى التمسك بالفضيلة والاستزادة من ألوان البر والخيرات ، إذ المؤمن الحق يرتفع بنفسه عن اقتراف الدنايا والآثام ، كما أن ترك المؤمن للإثم يكون فى السر كما يكون فى العلانية .

ولذا فالحياء يمنع من المعاصى ، كما يمنع من التقاعس عن أداء الواجبات والفضائل .

وإذا كانت أوامر الشريعة تنقسم فى جملتها إلى ما يتعلق بأقوال ظاهرة ، كالصوم ، والصلاة ، والأمر بالمعروف ، والنهى عن المنكر ، والسعى

---

(٤) راجع : الحسين بن على الراغب الأصفهانى ، الذريعة ص ١١٣ ، ط ١٣٢٤هـ .

(٥) الماوردى ، أدب الدنيا والدين ، ص ١٣ ، ط دار الشعب ، ١٩٧٩م .

فى مصالح العباد ، وإلى ما يتعلق بالنفس والقلب كالإخلاص والتواضع ، والحب فى الله والبغض فيه ، والخوف من وعيد الله - تعالى - والأمل فى مثوبته ورضوانه .

فكذلك النواهى تنقسم فى جملتها - أيضا - إلى ما يتعلق بمظاهر الأقوال والأفعال كالنهى عن القتل بغير حق ، والسرقة ، والغيبة ، والنميمة ، وإلى ما يتعلق بأعماق النفس ، أو القلب ، كالنهى عن الكبر ، والعجب والحقد ، والتعلق بزخارف الدنيا ، وأهواء النفس .

وفوق هذا وذاك فإن ما تلبس به المسلم من الطاعات الظاهرة المتعلقة بالأقوال والأفعال لا يستقيم على حالة من القبول عند الله - تعالى - ما لم ينهض ويرتكز على تلك الطاعات الأخرى المتعلقة بطوايا النفس والقلب .(٦)

إن الحياء قوة تعترى النفس وتمنع من اقتراف المعاصى ، وتحفظ من التردى فى الرذائل ، ليس هذا فحسب ، بل ويبعث على العمل الفاضل ، ولذا كان الحياء دليل نضج الحس الخلقى ، الذى يميز بين الخير والشر ، وبالتالى يمنع من اقتراف الشر ، ويبعث على الخير .

ومن هنا دعا أئمة السلوك إلى التأكيد على أهمية الحياء ، وأنه ينشأ لدى المسلم الذى يتقى الله - تعالى - عن طريقين :

الأول : رؤية الآلاء ، أى : نعم الله - تبارك وتعالى - التى أسبغها على الإنسان ظاهرة وباطنة .

والثانى : رؤية التقصير ، وذلك بمعنى شعور المرء بأنه لا يستطيع أن يوفى هذه النعم حقها من الشكر كما ينبغى أن يكون .

وعلى هذا فالخجل ليس حياء شرعا ، لأنه إفراط فى الحياء إلى حد الاضطراب والحيرة ، ولذا كان الخجل مذموما لما فيه من تجاوز الحد .

ومن هنا ذهب الحكماء إلى التفرقة بين الحياء والخجل ، وأن الخجل ضعف وصفة رجل يستر ما ابتلى به من المعاصى ، أو يمتنع عن كشف ما يخصه من صميم الأمور الباطنة(٧) .

أما الحياء فتغير وانكسار عند خوف مايعاب أو يذم ، ولذا كان من سماته أنه يعقل المرء عن اقتراف الشرور والآثام ، كما يقول صاحب « تهذيب الأخلاق » : « إن أول ما ينبغى أن يتفرس فى الصبى ويستدل به على عقله : الحياء ، فإنه يدل على أنه قد أحس بالقبيح ، ومع إحساسه به هو يحذره ويجتنبه ، ويخاف أن يظهر منه أو فيه ، فإذا نظرت إلى الصبى فوجدته مستحييا فهذا أول دليل نجابته ، والشاهد على أن نفسه قد أحست بالجميل والقبيح ، وأن حياءه هو انحصار نفسه ، خوفا من قبح يظهر منه ، وهذا ليس بشىء أكثر من إيثار الجميل ، والهروب من القبيح بالتمييز والعقل »(٨) .

ولذا نجد نقطة التقاء بين الحياء وبين العقل ، الذى يعقل صاحبه عن شىء ما ، ويشتبه أن يكون سلوك الحياء أثرا من آثار العقل فى الإنسان ، أو هو مظهر من مظاهره الكبرى ،

---

(٦) راجع : السلوك وتنمية وعى الأمة للمؤلف ، ص ٩ ، ط ١٩٩٦م .

(٧) المعجم الفلسفى ج١ ، ص ٥٠٢ بيروت ١٩٨٢م .

(٨) ابن مسكويه : تهذيب الأخلاق ، ص ٦٧ ، ط الأولى .

ولذا يقول صاحب دراسة دستور الأخلاق فى القرآن الكريم : إن الحياء هو القيمة المركزية فى الأخلاق الإسلامية ، وليس مجرد مانع أو حافز ، أو باعث على الخلق والسلوك .[٩]

وإذا كان العرف قد نادى باعتماد الأخلاق اليهودية على أنها شريعة الخوف ، والأخلاق المسيحية على أنها شريعة الحب ، فإن الحياء الشرعى يجمع مختلف المبادىء اللازمة للخلق والسلوك فى تركيب متكامل[١٠] ويؤيد ذلك قول الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « لكل دين خلق ، وخلق الإسلام الحياء »[١١] .

إن سمة الحياء دلالة على اعتدال النفس وشارة لصفاء ونقاء الضمير ، وإذا كان الحياء من الناس حسنا ، فإن الأحسن منه كثيرا أن يكون الحياء من الله ـ تعالى ـ لأنه يمنع الإنسان من المعاصى دائما ، ولهذا نقل عن عثمان بن عفان ـ رضى الله عنه ـ قوله : إنى لأغتسل فى البيت المظلم ، فأنطوى حياء من الله ـ عز وجل ـ[١٢] .

ومن الحياء المحمود : أن يستحى الإنسان من نفسه ، وفى هذا نوع من المراقبة الذاتية والوجدانية حيث ينقى الإنسان نفسه ويفر من توبيخ النفس ، وتأنيب الضمير ، فيصبح عادة له ، تضفى عليه منهلا أخلاقيا وسلوكيا .

ومن هنا فالحياء ضرورة فى حياة كل إنسان ، حيث يكون بمثابة الستر ، الذى يورى سوأته ، ويشير إلى ذلك الخليفة الأول أبو بكر الصديق ـ رضى الله عنه ـ فيقول : « كأنى أرى من لاحياء له ، ولا أمانة وسط القوم عريانا » .

وروى عن أمير المؤمنين على بن أبى طالب ـ رضى الله عنه ـ ما يفيد هذا المعنى ، من أن الحياء كالثوب الذى يستر صاحبه ، حيث يقول : « من كساه الحياء ثوبه ، لم ير الناس عيبه[١٣] » ، وأن أحاديث النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ لتشير إلى أهمية الحياء وقيمته ، وكونه دليلا على صدق صاحبه حيث يقول ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « لكل دين خلق ، وخلق الإسلام الحياء[١٤] » ، وفى رواية : « إن لكل دين خلقا[١٥] » ، ومن هنا جعل الإسلام قيمة الحياء سمة من السمات المقومة للإيمان ، والمتممة له ، حيث يقول المصطفى ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « الحياء شعبة من الإيمان »[١٦] ، كما ربط الإسلام ـ أيضا ـ بين

---

(٩) محمد عبد الله دراز ، دستور الأخلاق فى القرآن الكريم ، ص ٥٣١ ، ط ٧ بيروت ، ١٩٨٧.

(١٠) دكتور محمد عبد الله دراز دستور الأخلاق فى القرآن الكريم ص ٥٣١ بيروت ط السابقة .

(١١) انظر موطا الإمام مالك وابن ماجه : كتاب الزهد ، باب ١٧ وكذا فى الجامع الصغير ج ١ ص ٩٧ عن النعمان بن بشير ، برواية اخرى .

(١٢) راجع دكتور/ محمد كمال جعفر : فى الفلسفة والأخلاق ، ص ٣٤٠ ، ط ١٩٦٨م .

(١٣) الشيخ عبد القادر المغربى : الأخلاق والواجبات ، ص ٧٣ ، ط ١٩٤٧م .

(١٤) انظر موطا الإمام مالك .

(١٥) ابن ماجه وكتاب الزهد وكذا فى الجامع الصغير ج ١ ، ص ٩٧ عن النعمان بن بشير ، وسنن ابن ماجه جـ ٢ رقم ٤١٨١ .

(١٦) الإمام البخارى ، كتاب الإيمان ، وراجع فتح المنعم لشرح صحيح مسلم لأستاذنا الدكتور موسى شاهين جـ ١ ص ٢١١ .

الحياء وبين طرق الخير كلها ، وهذا مصدر من مصادر السعادة والرضوان الذى ضل عنه المعرضون عن طريق الفطرة والتوحيد ، ومصداق ذلك قول الرسول - صلى الله عليه وسلم - : « الحياء خير كله »[١٧] ، كما ورد فى الحديث - أيضا : « الحياء لا يأتى إلا بخير »[١٨] ، ونلمس هذا المعنى فى موضع آخر حيث يقرر المصطفى - صلى الله عليه وسلم - : « وماكان الحياء فى شىء قط إلا زانه »[١٩]

ومن كل ما تقدم يتضح أن الخير والشر معان كامنة فى النفوس بالفطرة ، وهى منح إلهية ، والإنسان مطالب من الله بأن يخرج ما أودعه ربه فيه من سجايا صالحة إلى الفعل ، وذلك بالتحكم فى سلوكه بالإرادة والكسب ، فإذا استطاع ذلك فاستخرج ما هو بالقوة إلى الفعل كان متحليا بالحياء ، وهذا يكون لمن تيقظ بالإيمان ، ولذلك كان أهل الخلق متفاوتين فى مدى قدرتهم على اكتساب الخير ، أو الابتعاد عن الشر ، تبعا لما ركب فيهم من السجايا ، التى هى فعل الخالق ، واستخراجه بكسب المخلوق ، فكذا الآداب منبعها السجايا الصالحة والمنح الإلهية[٢٠] كما قال الشاعر :

لا تسأل المرء عن خلائقه
فى وجهه شاهد من الخبر

فسمة الخير : الدعاء والحياء ، وسمة الشر : الفجور والبذاء ، وقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « الحياء من الإيمان ، والإيمان فى الجنة ، والبذاء من الجفاء ، والجفاء فى النار »[٢١] ، وعن عبد الله بن عمر - رضى الله عنه - قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « الحياء والإيمان قرناء جميعا ، فإذا رفع أحدهما رفع الآخر »[٢١] .

وللحياء حالة متوسطة : هى حد الاعتدال ، وهى الممدوحة فى شرع الله ، قال تعالى :

﴿ فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِى عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ ﴾

(سورة القصص جزء من الآية ٢٥) .

ومعنى ذلك أن المرأة العفيفة تمشى على استحياء ، بعيدة عن التبذل والتبرج والإغواء ، جاءته على خلق كريم لتنهى إليه دعوة فى أوجز عبارة ، وأدق تعبير ، فمع الحياء إبانة وفصاحة ، وطهارة وذلك كذلك من إيحاء الفطرة النقية السليمة المستقيمة ، فالفتاة المستقيمة القويمة تستحى بفطرتها عند لقاء الرجال ، والحديث معهم ، ولكنها لثقتها بطهارتها واستقامتها لاتضطرب الاضطراب الذى يطمع ويغرى ويهيج ، إنما تتحدث فى وضوح بالقدر المطلوب[٢٢] ، وهذا لا يكون إلا بالحياء .

---

(١٧) رواه الإمام مسلم والإمام احمد بن حنبل .
(١٨) رواه الشيخان . وراجع اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان .
(١٩) رواه الترمذى وابن ماجه واحمد .
(٢٠) راجع : عوارف المعارف ، للسهروردى .
(٢١) ابن ماجه جـ ٢ ١٤٠٠ والبذاء هو الفحش فى الكلام .
(٢٢) سيد قطب ، فى ظلال القران الكريم ، ج ٦ ص ٣٣٧ ، ط السابعة ، ١٩٧١م .

قال تعالى :

﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ۘ يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا ۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٦﴾ ﴾

(سورة البقرة الآية ٢٦) .

فالله رب كل شيء وخالق كل شيء من الدقيق والجليل والصغير والكبير ، على أن العبرة فى المثل ليست فى الحجم والشكل ، وإنما الأمثال أدوات للتنوير والتبصير ، وليس فى ضرب الأمثال ما يعاب ، وما من شأنه الاستحياء من ذكره ، والحق - تبارك وتعالى - جلت حكمته يريد بها اختبار القلوب وامتحان النفوس ، وبذلك يتضح أن الحياء شرط للقيمة الخلقية والسلوكية ، وهو رأس مال الثقة بالإنسان ، حيث يقدر الناس صاحبه ، كما أشار إلى ذلك جمال الدين الأفغانى - رحمه الله تعالى - حيث يقول : « إن صاحب الحياء يحترم عقله ، ويلتزم أحكامه فى كل المواقف ، ليس هذا فحسب بل هو أسبق الناس إلى احترام عهوده من حيث الصدق والوفاء »[٢٣] .

ومصداق ذلك قول ابن عمر - رضى الله عنه - إن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - مر على رجل وهو يعظ أخاه فى الحياء ، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « دعه فإن الحياء من الإيمان »[٢٤] .

فإذا ما تحلى المسلم بالقيم الخلقية ، والسلوكية للحياء صده ذلك عن فعل كل قبيح ، ودفعه إلى امتثال كل أمر طيب ، أما إذا ضعف هذا الإدراك فى ذات الإنسان ، فلن يحل محله إلا السلوك المجافى للفطرة ، وهنا يضع الإنسان نفسه أمام منافذ السوء والمنكر ، فيقع فى المهالك ، وما أصعب ما يعانيه مجتمع يبتلى بمثل هذا ، كما يقول أئمة الشريعة :

« إنما جعل الحياء من الإيمان ، وإن كان غريزة ، لأن استعماله على قانون الشرع يحتاج إلى قصد واكتساب وعلم ، فالفعل المأمور به سواء كان واجبا أو مندوبا يستحى من تركه .

والمنهى عنه الحرام أو المكروه يستحى من فعله ، وأما المباح فالحياء من فعله وتركه جائز .
إن الحياء يدور حول ثلاث شعب :

أولها : الحياء من الله - عز وجل - ويكون بما كلفنا به من امتثال أمر ، واجتناب نهى ، ورضا بقضاء وقدر ، وأن نراقب الله فى حركاتنا وسكناتنا فى خلوتنا وجلوتنا ، ومصداق هذا قول الرسول - صلى الله عليه وسلم - لأحد أصحابه : « أوصيك أن تستحى من الله - تعالى - كما تستحى من الرجل الصالح من قومك »[٢٥] .

---

(٢٣) دكتور/ محمد قاسم ، فى مؤلفه جمال الدين الأفغانى ، حياته وفلسفته ، ص ١٤٢ ، ط الانجلو المصرية .
(٢٤) راجع بذل المجهود فى حل ابى داود جـ ١٩ ص ٥٠ والبخارى جـ ١ ص ٦٩ ومسلم ٣٦ .
(٢٥) اخرجه الترمذى وراجع الترغيب والترهيب وانظر مرقاة المفاتيح جـ ٤ ص ٧٤ .

روى الترمذى عن عبد الله بن مسعود ـ رضى الله عنه ـ قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « استحوا من الله حق الحياء . قلنا : إنا نستحى من الله يارسول الله والحمد لله ، قال : ليس ذلك ، ولكن الاستحياء من الله حق الحياء . أن تحفظ الرأس وماوعى ، والبطن وما حوى ، وتذكر الموت والبلى ، ومن أراد الآخرة ترك زينة الحياة الدنيا وآثر الآخرة على الأولى ، فمن فعل ذلك فقد استحيا من الله حق الحياء »[٢٦] .

وعن عبد الله بن عمر ـ رضى الله عنهما ـ قال : دخلت على النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فوجدته يبكى فقلت : يارسول الله ما يبكيك ؟ قال : أخبرنى جبريل ـ عليه السلام ـ أن الله يستحى من عبد يشيب فى الإسلام أن يعذبه ، أفلا يستحى الشيخ أن يذنب وقد شاب فى الإسلام »[٢٧] .

ثانيها : الحياء من الناس ، ويكون بمراعاة حقوقهم وكف الأذى عنهم وترك مجاهدتهم بالقبيح .

قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « من تقوى الله اتقاء الناس »[٢٨] .

ثالثها : حياء المرء من نفسه ، ويكون بالعفة واتقاء الريب والتورع عن الشبهات ، واستشعار عظمة الله تعالى وخشيته فى جميع الأوقات ، وألا يعمل فى السر عملا يستحى منه فى العلانية ، لذلك قال بعض الحكماء الفضلاء : « ليكن استحياؤك من نفسك أكثر من استحيائك من غيرك ، فالإثم ما حاك فى صدرك ، وكرهت أن يطلع عليه الناس »[٢٩] .

فالنفس الحيية هى الأبية الشريفة التى تتحاشى عن الدنايا وتترفع عن فعل النقائص ، وتأبى الضيم ، فتبرأ من كل عار ، وذلك حين لا تقف موقف امتهان يحط بالكرامة ، أو يخدش الشرف .

إن الحياء الشرعى : هو الذى يحمل صاحبه على البعد عما نهى الله عنه . إنه يقظة فى الضمير . وسمو فى التفكير ، وترفع عن الدنايا وانتماء إلى التحلى بكريم الصفات ، وحميد الخصال والعادات ، وهو أكبر شاهد على الأدب الرفيع ، والتواضع الجم الذى يدفع إلى التحلى والتخلى .

أما الحياء الذى ينشأ عنه الإخلال بالحقوق فليس حياء شرعا ، بل هو عجز ومهانة ، والحياء المكتسب هو الذى جعله الشارع من الإيمان ، وهو المكلف به دون الغريزى غير أن كل من كان فيه غريزة منه فإنها تعينه على المكتسب ، وكان النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ قد جمع له النوعان :

فكان فى الغريزى أشد حياء من العذراء فى خدرها ، وفى المكتسب فى الذروة العليا ، وقد ربى النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ أصحابه على هذه

---

(٢٦) رواه الإمام الترمذى فى مسنده .

(٢٧) راجع بذل المجهود فى حل ابى داود ، وراجع المنهاج فى شعب الإيمان جـ ٢ ص ٢٤٠ .

(٢٨) المرجع السابق .

(٢٩) صحيح الإمام مسلم ومسند الإمام احمد عن وابصة بن سعيد .

الشمائل العظيمة حتى يكونوا أهلا لبناء المجتمع القدوة ، ولا يتحقق ذلك إلا بالتمسك بما أقيم عليه بناء الدين فى ذات المسلم ، وليس ما نقوله دعوى بدون دليل ، وذلك لأن المصطفى ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول : « إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى: إذا لم تستح فاصنع ما شئت »(٣٠) .

وهذا القول الجامع يوقفنا على أن فاقد الحياء جدير بكل هوان من جانب ، وبعيد عن الهداية الإيمانية من جانب آخر ، ولنا فى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أسوة حسنة فى التمسك بضوابط الخلق والسلوك ، والتى ثمرتها الحياء الذى لا يأتى إلا بكل خير ، كما تبين فيما تقدم ، وأنه كان ـ صلى الله عليه وسلم ـ أشد حياء من العذراء فى خدرها(٣١) ، وصدق الله العظيم حين قال لرسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ :

﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾
(سورة القلم الآية ٤) .

وعلى ضوء كل ما تقدم يتضح لنا : أن الحياء الإيمانى معيار لكل خلق وسلوك ، يشتمل عليه من اعتدال الخلال ، والصفات ، والضوابط الخلقية والسلوكية المنبثقة من الإسلام ، وفى هذا ما يوقفنا على أن للحياء دورا إيجابيا فى كونه باعثا على الخلق والسلوك القويم ، كما أن له دورا سلبيا فى كونه مانعا من المعاصى والقبائح ، وليس وسطا بين رذيلتين ، كما يظهر لنا أن التمسك بهذا البناء الرفيع دليل على الإيمان الذى يحقق السعادة للفرد والمجتمع .

عن حصين بن وحوح ـ رضى الله عنه ـ أن طلحة بن البراء بن عازب ـ رضى الله عنهما ـ مرض فأتاه النبى ـ ﷺ ـ يعوده فقال : « إنى لا أرى طلحة إلا قد حدث فيه الموت فآذنونى به وعجلوا به فإنه لا ينبغى لجيفة مسلم أن تحبس بين ظهرانى أهله » . رواه أبو داود .

(٣٠) رواه الإمام احمد وابو داود والبزار .

(٣١) رواه الإمام البخارى كتاب المناقب .

العمل ومكانته العظيمة في الإسلام

لفضيلة الشيخ:
عبد المنصف محمود عبد الفتاح

قال الله تعالى :

﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ (النحل : ٩٧) .

إن الإسلام وهو دين الإنسانية بأسرها ، والحريص على خيرها وإسعادها ، يريد للناس أن يحيوا حياة طيبة عزيزة كريمة ، تتأكد بها إنسانيتهم ، وتتحقق لهم فيها احتياجاتهم ، فدعاهم بعد الإيمان بالله ـ عز وجل ـ وبرسوله محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ إلى أداء العبادات ، حتى تكون حياتهم قائمة على السلوك الحميد ، والضمير الحى ، والقلب النظيف ، وكما دعاهم إلى العبادة دعاهم إلى أن يكونوا إيجابيين فى هذه الحياة يعملون وينتجون ويخترعون ويبتكرون ، حتى لا يتخلفوا عن ركب الإنسانية الزاحف ، لأنه دين الرقى والحضارة ، دين الحياة والنشاط والحركة الدائبة .

وإنه ما عرف العالم بأسره دينا من الأديان حث على العمل ورغب فيه كدين الإسلام ، قال الله تعالى موجها عباده إلى العمل الطيب ، والجد والنشاط :

﴿ وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾

(التوبة : ١٠٥) .

وروى الحافظ البزار عن رفاعة بن رافع : أن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ سئل : أى الكسب أطيب ؟ قال : عمل الرجل بيده ، وكل بيع مبرور » وروى البخاري عن المقدام بن معد يكرب ـ رضى الله عنه ـ عن النبي ـ ﷺ ـ قال : « ماأكل أحد طعاماً قط خيراً من أن يأكل من عمل يده ، وإن نبى الله داود ـ عليه السلام ـ كان يأكل من عمل يده » . .

فترك العمل عكس ماجاء به الإسلام ، وليس الدين منحصراً فى العبادة فحسب ؛ من صلاة ، وصيام ، وزكاة ، وحج . بل كل عمل من أعمال الدنيا يُراد به وجه الله - عز وجل - والدار الآخرة إنما هو من صميم الدين . . ومن الدين أن يقوم الناس بأداء ماتتطلبه شئون الحياة من زراعة وصناعة وتجارة وحرفة ومهنة بالطريقة السليمة التى بينها الإسلام ، وأرشدت إليها تعاليمه . والله يثيب عليها كما يثيب على الطاعات . وسائر العبادات ، وكل ماهو من صميم الدين . . عن كعب بن عجرة - رضى الله عنه - قال : « مَرَّ على النبى - ﷺ - رجل ، فرأى أصحاب النبى - ﷺ - من جلده ونشاطه ، فقالوا : يارسول الله لو كان هذا فى سبيل الله ؟ فقال - ﷺ - : « إن كان خرج يسعى على ولده صغاراً فهو فى سبيل الله ، وإن كان خرج يسعى على أبوين شيخين كبيرين فهو فى سبيل الله ، وإن كان خرج يسعى على نفسه ينفعها فهو فى سبيل الله ، وإن كان خرج يسعى رياء ومفاخرة فهو في سبيل الشيطان » رواه الطبرانى . .

لهذا نرى الإسلام يوجه أتباعه إلى استخدام وسائل الإنتاج المتاحة لهم فى جميع مجالات العمل . . ففى مجال التصنيع « الصناعة » يقول الله تعالى :

﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾

(الحديد : ٢٥) .

فقد قرن الله تعالى فى هذه الآية إنزال الكتب والأمر بالعدل في كل شيء مما يتعلق بشئون الدنيا والدين ، بإنزال الحديد للإشارة إلى أن الكتاب يمثل القوة التشريعية ، والميزان يمثل القوة القضائية ، والحديد يمثل القوة التنفيذية ؛ لأن تشريع السماء لابد له من قاض يحكم بالعدل . ولابد لهما من قوة تنفذ حكمهما ، وتناضل وتجاهد من أجلهما ، وتدفع عدوان المعتدين وجبروت الظالمين . . فالصناعة من أنفع ما علمه الله تعالى بنى الإنسان مكنت لهم أن يتخذوا مما ذرأ على الأرض ، وما أودع فى بطنها وسائل لتوفير راحتهم ، وإنماء حضارتهم ، واستكمال سعادتهم . . وليس أدل على فضل الصناعة وشرفها من أن الله تعالى علمها رسله وأنبياءه فآدم - عليه السلام - كان فلاحا يحرث الأرض ، ويعمل بنفسه ، وبمعاونة زوجته حواء جميع الأعمال التى تتطلبها مهنة الزراعة ، ويصنع بيديه الآلات التى تعينه على ذلك . . وكان إدريس - عليه السلام - خياطاً . . وكان نوح - عليه السلام - نجارا ، يصنع الفلك الذى يتخذه طريقا للنجاة من الطوفان قال الله تعالى :

﴿ وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴿٣٧﴾ وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ ﴾

(هود : ٣٧ ، ٣٨) .

وكان إبراهيم - عليه السلام - : بناء ، وهو الذى بنى الكعبة البيت الحرام ، وساعده فى عملية البناء ابنه إسماعيل : ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾

(البقرة : ١٢٧) .

وكان إلياس نساجاً .. وكان داود ـ عليه السلام ـ زراداً يصنع الدروع ، قال تعالى :

﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا ۖ يَـٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ ۖ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ ﴿١٠﴾ أَنِ ٱعْمَلْ سَـٰبِغَـٰتٍ وَقَدِّرْ فِى ٱلسَّرْدِ ۖ وَٱعْمَلُوا۟ صَـٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾

(سبأ : ١٠ ، ١١) .

أى اصنع الدروع التامة التى تستعمل فى الحروب ، وأتقن صناعتها ..

وقد قامت الحضارة الإسلامية على إدراك فضل الصناعة وشرفها ، وماذاك إلا لأن الإسلام دين متطور ، ينادى بالعلم والثقافة والدراسة وفهم الواقع ، والاستفادة من خبرات وتجارب كل فرد ، ويحث على ارتياد الآفاق والمجهولات .. من أجل ذلك أمر بالبحوث العقلية ، والمجهودات الفكرية ، والمحاولات العلمية والعملية .

﴿ قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ ﴾

(يونس : ١٠١) .

وأمر معتنقيه بدوام الإنتاج الذى يعود على الإنسانية بالخير ، وملاءمة التطورات الزمنية فى قول النبى ـ ﷺ ـ : « أنتم أعلم بشئون دنياكم » رواه مسلم . وقوله ـ ﷺ ـ : « أليس لكل زمان ما يلائمه » لا يشترط لذلك سوى شرط واحد : هو أن تكون الصناعة مما ينفع الناس ، ويخفف أو يزيل آلام البشرية .. وفى مجال التجارة يقول الله تعالى :

﴿ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَـٰرَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا ۗ وَأَشْهِدُوٓا۟ إِذَا تَبَايَعْتُمْ ۚ وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ ۚ ﴾

(البقرة : ٢٨٢) .

وقال تعالى :

﴿ وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِى ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ ۙ ﴾

(المزمل : ٢٠) .

وهم التجار المسافرون : الذين يتقلبون فى الأرض ، ويطلبون الرزق وكسب المال ، مما هو فضل من الله ونعمة . وبه ينالون من الله عظيم الأجر وحسن المثوبة .. روى الترمذى عن أبى سعيد الخدرى ـ رضى الله عنه ـ قال : قال رسول الله ـ ﷺ ـ : « التاجر الصدوق الأمين ، مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين » .. وقد كان رسول الله ـ ﷺ ـ : يشتغل بالتجارة فى مال السيدة خديجة ـ رضى الله عنها ـ قبل البعثة .. قال ابن إسحاق : « وكانت خديجة بنت خويلد : امرأة تاجرة ذات شرف ومال ، تستأجر الرجال فى مالها ، وتضاربهم إياه بشىء تجعله لهم ، وكانت قريش قوما تجارا ، فلما بلغها عن رسول الله ـ ﷺ ـ من صدق حديثه ، وعظيم أمانته ، وكرم أخلاقه بعثت إليه فعرضت عليه أن يخرج فى مالها ، إلى الشام تاجرا ، وتعطيه أفضل ما تعطى غيره من التجار ، مع غلام لها ، يقال له « ميسرة » فقبله رسول الله ـ ﷺ ـ منها وخرج فى مالها ذلك ، وخرج معه غلامها « ميسرة » حتى قدم الشام ، فلما قدم مكة على خديجة بمالها باعت ما جاء به » .. وأثر عن عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ أنه قال : « ما من موضع يأتينى الموت فيه أحب إلى من موطن أتسوق فيه لأهلى ، أبيع وأشترى ولأن أموت بين شعبتى رحلى ، وأنا أضرب فى الأرض أبتغى من فضل الله أحب إلى من أن أموت شهيدا فى سبيله ، لأن الله تعالى قدم ذاك على هذا فى كتابه قال تعالى :

﴿ وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَءَاخَرُونَ يُقَـٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾

(المزمل : ٢٠) .

فالتجارة : هى محك الرجولة ، بها يمتحن دين الرجل وورعه وعفته وأمانته . . فلا ينبغى للتاجر أن يشغله معاشه عن معاده ، ولا دنياه عن آخرته ، فيكون عمره ضائعا ، وصفقته خاسرة ، وما يفوته من الثواب فى الآخرة لا يفى به ما ينال فى الدنيا من متاع قليل ، وحطام زائل ، فيكون ممن اشترى الدنيا بالآخرة :

﴿ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ لَهِيَ ٱلْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴾

(العنكبوت : ٦٤) .

بل العاقل الكيس ينبغى له أن يشفق على نفسه ، وشفقته على نفسه ، تكون بحفظ رأس ماله ودينه وتجارته فيه قال الله تعالى :

﴿ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَـٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ﴾

(النور : ٣٧) .

وقال جل شأنه :

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَـٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَـٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴾

(فاطر : ٢٩ ، ٣٠) .

وفى مجال الزراعة يقول الله تبارك وتعالى :

﴿ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ﴾

(الواقعة : ٦٣ ، ٦٤) .

وروى مسلم فى صحيحه أن النبى - ﷺ - دخل ذات يوم على أم بشر الأنصارية فى نخل لها فقال : « من غرس هذا النخل أمسلم أم كافر ؟ قالت : بل مسلم يارسول الله ، فقال رسول الله - ﷺ - : لا يغرس مسلم غرسا ، ولا يزرع زرعا ، فيأكل منه إنسان ولا دابة ولا شىء إلا كانت له صدقة إلى يوم القيامة » . . وروى أن النبى - ﷺ - صافح حذيفة بن اليمان فوجد يده خشنة أجشة ، فسأله عن السبب ؟ فقال : يارسول الله إنى أحرث الأرض بفأس طلبا لرزق عيالى ، فسر منه رسول الله - ﷺ - وقال : هذه يد يحبها الله ورسوله » .

لقد دعا الإسلام إلى العمل للدين والدنيا ، بل وطالب بالإخلاص فيه ، وأن يكون العمل صالحا هادفا إلى خير الفرد والجماعة ، وقرر أن الله لا يضيع عمل العاملين والعاملات ، طالما أنهم قد بذلوا الجهد ، وأحسنوا العمل ، وسعوا فى الأرض يبتغون من فضل الله قال تعالى :

﴿ فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَـٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ۖ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ ﴾

(آل عمران : ١٩٥) .

وبين أن الأجر يكون على قدر العمل ، قال تعالى :

﴿ وَلِكُلٍّ دَرَجَـٰتٌ مِّمَّا عَمِلُوا۟ ۖ وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَـٰلَهُمْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾

(الأحقاف : ١٩) .

فالعمل فى ذاته عبادة إذا حسنت النية ، وسلمت الطوية ، ولم يترتب عليه الإهمال أو التقصير فى بعض الواجبات الدينية ، وذلك لأنه

يحقق الحكمة من خلق الإنسان ووجوده فى هذه الحياة ، قال تعالى :

﴿ لِيَأْكُلُوا مِن ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴾

(يس : ٣٥) .

والشكر على النعمة يقتضى حفظها ، والمداومة عليها ، لقد خاطب الله رسله وأنبياءه بقوله :

﴿ يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴾ (المؤمنون : ٥١) .

وذلك ليكونوا لنا خير قدوة فى حياتنا الدنيوية وقال الله تعالى فى شأن يوسف عليه السلام :

﴿ وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ﴾ (يوسف : ٥٤) .

ومن هذه الآية الكريمة يتضح أن يوسف ـ عليه السلام ـ استدعاه ملك مصر ، ليجعله أثيراً لديه ، نديما له ، محظيا عنده ، ومعلوم أن من كان بهذه المنزلة لدى الملوك فهو من أرباب العيش الرخى ، والمشرب الهنى ، والفراش الوثير ، ثم هو من أهل الترف والنعمة ، وأرباب الراحة والدعة ، وقد رفض يوسف ـ عليه السلام ـ أن يعطل ما أعطاه الله من قوة ، وما منحه من جهد ، وما ألهمه من علم وخبرة ويرضى بحياة البطالة التى لا تستريح لها نفس أبية ، وفطرة زكية ، فطلب أن يقوم بعمل ، يبذل فيه الجهد ، إصلاحاً لأمور الناس ، وصيانة للمجتمع من الاختلال فقال : ﴿ قَالَ اجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ الْأَرْضِ ﴾ مبينا له الحكمة فى هذا المطلب بقوله :

﴿ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴾ (يوسف : ٥٥) .

ومن البدهى أن مجد الدين والمجتمع الإسلامى لا يبنى إلا بأيدى نفوس فتية قوية ، تعرف كيف تؤدى الواجب بأمانة وإخلاص ، وعزم وتصميم ، وتأخذ الحق فى أناة وصبر ، ورفق وحزم ، وعلى كاهل أمة ناهضة لاتتهاون فى أداء عمل ولا تضيع ساعة من حياتها فى لهو أو كسل ، بل تشغل جل وقتها بوضع لبنات فى صرح عزها . . ولا شك أن الإسلام يشحذ العزائم ، وينمى المواهب ، ويذكى طاقات الطموح ، ويربى فى النفوس قوة الشخصية ، والاعتزاز بالكرامة وذلك أس من أسس بناء الحضارة ، وقاعدة فى خلق الشعوب القوية . .

وقد وعد الله المؤمنين العاملين بالفوز والنصر المبين ، فحقق لهم وعدهم ، وأنالهم مأربهم ، ومكن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وبدلهم من بعد خوفهم أمنا . . ولا يزال هذا شأن كل أمة تؤمن بالله ورسوله ، وتعمل الصالح الذى أمر الله به ، وتترك كل قبيح نهى الله عنه ، وتقيم العدل والنظام ، قال الله تعالى :

﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ﴾ (النور : ٥٥) .

والأمة الإسلامية الآن قادرة بإذن الله على استرداد مجدها التليد ، وعزها الضائع : إذا رجعت إلى العمل بكتاب الله ، وسنة رسوله ـ ﷺ ـ ، ووحدت صفوفها ، وجمعت على الحق كلمتها . .

﴿ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ ﴾

(محمد : ٣٥) .

قضايا قرآنية ٢

قضية الرسم العثماني

دعوى الالتباس بين الكلمات والرد عليها

للأستاذ: صديق بكر على عيطة

ما نزال فى هذه الحلقة والحلقات التالية - إن شاء الله - مع كتاب « الفرقان لابن الخطيب » نفند فكره ، ونرد على مزاعمه ، التى تدعو إلى كتابة المصحف بالرسم الإملائى الحديث ، وطرح الرسم العثمانى ، وقد قلنا فى الحلقة الماضية إننا لا نقصد الرجل وإنما نقصد فكره ، لأنه يمثل فكر طائفة من الكتاب والمحللين .

يقول الرجل فى صفحة ٦٢ مدللا على وجوب كتابة المصحف بالرسم الإملائى الحديث بدلا من الرسم العثمانى : « . . . وقد جاء عن ابن عمر ، وقتادة ، وإبراهيم ، وهشام ، وابن سيرين : كراهة نقط المصحف ، وإحداث أى تحسين ، أو تنميق به ، وقد أغلظوا فى ذلك ، وأعظموا فى إثمه .

وها نحن أولاء ـ وما يزال الكلام لصاحب كتاب الفرقان ـ قد نقطنا المصحف ، ونمقناه ، ووضعنا به علامات ، وأدخلنا فيه إشارات ، ليست منه وليس منها .

« أليس كل ذلك لتسهيل قراءته ، وتبيين عبارته ، وتعرف وقفاته ، وتبين مواضع سكناته ، ومواطن سجداته ؟ »

« فحيث أدخلنا عليه ما كرهه الأوائل ، ولم يرضوا عنه ، ولم يفتوا به ، وذلك لمصلحة رأيناها ، وحكمة تبيناها . ولأجل أن يستطيع القارىء أن يقرأه والمتفهم أن يتفهمه . فلا أقل من أن نكتبه بالهجاء الذى تداوله الناس ، واصطلحوا على علمه ومعرفته » أ . هـ كلام الأستاذ .

والمتأمل فى هذا الكلام ، يرى أن سيادته يقيس ما لم تدع إليه الحاجة ، ولم تثبت فيه المصلحة ، بما دعت إليه الحاجة ، وثبتت فيه المصلحة؛ لأن تنقيط الحروف ، ووضع العلامات بجميع أشكالها ، ولجميع أهدافها المتفق عليها ، أصبح ضرورة من ضرورات الأداء القرآنى ، فى صورته المثلى . وليس هناك ما يخشى من وراء ذلك . أما ما يدعو إليه المؤلف من كتابة المصحف بالرسم الحديث ، فليس هناك من الضرورة ما يؤكده ، فضلا عن أن هناك بعض الآثار الجانبية ، التى يخشى منها على هذا الكتاب الأسنى . ألا يدرى الأستاذ أن الرسم الإملائى الحديث ، فيه كثير من الاختلاف بين بعض الأقطار العربية ؟ إذن فبأى رسم نكتبه ؟ ألا يفتح ذلك بابا واسعا من أبواب الخلاف ؟ . بخاصة ونحن فى عصر كثر فيه تداول المطبوعات وفى مقدمتها المصحف بين الأقطار العربية والإسلامية ، بصورة لم يسبق لها مثيل ، وهى آخذة فى التزايد .

ولماذا إذن كل هذا ؟ والمسلمون فى أقصى البلاد وأدناها يعرفون ما يتميز به القرآن من خصوصية يستوعبها الصبى بسرعة فى بواكير حياته : كتابة ونطقا وسماعا ؟

ثم يسوق المؤلف فى صفحة ٦٤ جدولا لعدد من الكلمات ، التى اختلف رسمها العثمانى عن الرسم الإملائى ، ويقول فى صفحة ٦٥ : « هذا مع ملاحظة أن القرآن قد كتب فى المصحف الإمام ، بالرسم الأول بدون نقط ولا شكل » ليرتب على ذلك أن « تزداد الكلمات عجمة على عجمة ، والتباسا على التباس ، وتصير قراءة القرآن على صحته مستحيلة أو أشبه بالمستحيلات » .

ويستمر قائلا : « وذلك لأن القارىء فيه لا يستطيع أن يفرق بين لفظة « ياصالح » ولفظة « يَصْلُحُ » . لأن رسمها مجردة من النقط والشكل هكذا : « يصلح » ولا بين « ليسوءوا » و « ليسوا » . ولا بين « أنباء » و « أُنبِّوا » . ولا بين « البَـلَاغُ » ، و « البلغ » . ولا بين « جىءَ » و « جاىْ » أ . هـ كلام المؤلف صاحب

كتاب « الفرقان » . غير أننا فى ملاحظاتنا على ما أورده نقول :

أولا : يزعم المؤلف أن هناك تشويها فى نطق الكلمات التى اختلف رسمها العثمانى عن الرسم الإملائى الحديث . فأين ذلك التشويه فى « يَصَّلِحُ » أو فى « طٰغين » أو فى « إِيَٰىَ » مثلا ؟ .

ألم يكن يدرى ـ رحمه الله ـ أن القرآن ، إنما يؤخذ بالتلقى ؟ أى بالمشافهة بالدرجة الأولى ؟ وهذا فعلا هو ما عشناه فى طفولتنا وصبانا من خلال نظام الكتاتيب وما شابه ذلك ، ومانزال نمارسه مع أبنائنا وأحفادنا ، فمما هو مشاهد ، ومتفق عليه أن المتعلم يمسك بالمصحف ، ويقرأ أمام « شيخ » ويُسمِعه ذلك الشيخ كيف تتلى الآية بعد الآية ، إلى أن يستقر الصبى على طريق شيخه فى التلاوة الصحيحة ، بعد أن يتعرف ـ عن طريق الممارسة الفعلية ـ على الرموز التى تساعده على ذلك . فهذه المدود الصغيرة ، أليست موضوعة بحساب دقيق صارم ، يحفظ للكلمة حقها فى النطق السديد ، الذى لا تشوبه أدنى شائبة ؟ وهل هناك حالة واحدة ، رآها المؤلف أو سمع عنها ، قرأ فيها القارىء ﴿ يَٰصَٰلِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَٰذَآ ﴾ على أنها يَصْلُحُ قد كنت فينا مرجوا قبل هذا ، أى بوضع الفعل « يصلح » مكان « يَصَّلح » أو ما هو شبيه بذلك ؟

نحن مع المؤلف فى احتمال هذا التشابك بين اللفظتين إذا وردتا أو وردت إحداهما منفردة بعيدة عن سياق الآية المباركة ، ولم يكن هناك مايشير إلى أنها جزء من الآية . هنا ـ وهنا فقط ـ يحتمل هذا التشابك بين اللفظتين ، أما ونحن نقرأ الآية المباركة ، وننطق باللفظة من خلال سياق الآية ، فلا وجود أصلا لذلك التشابك بين اللفظتين .

إن قارىء القرآن يتتبع مواطىء أقدام شيخه ومعلمه فى كيفية التلاوة الصحيحة والعجيب فى أمر هذا الكتاب المعجز ، أن يظل المرء طيلة حياته ذاكرا هذه القراءة الصحيحة ـ ولا تثبت إلا إذا كانت صحيحة ، وهذه إحدى معجزات ذلك الكتاب العجيب ـ بنصّها وفصّها ، ذاكرا مكان الآية فى الصحيفة ، ذاكرا أين تم حفظها ـ ربما ـ إلى آخر أيام حياته مهما طالت . وهو ما لم يحدث مع أى كتاب آخر سماوى أو أرضى !

ثانيا : إن ما يدعو إليه المؤلف من إعادة الرسم ، حسب القواعد الإملائية المعروفة ، إنما هو فتح للباب على مصراعيه ، لتشويه النطق الذى يحذرنا منه ؛ حيث إن القارىء العادى ، سوف يقرأ الآية ، غير معتمد على صاحب قراءة صحيحة يطمئن إليها ، ويصير كمن يقرأ قصة ، أو عمودا فى صحيفة يومية ، أو موضوعا فى كتاب المطالعة ، دون أن يعرف لخصوصية التلاوة القرآنية حقها ، وما يجب أن تكون عليه من رعاية لأحكامها ، التى لا يمكن أن تعرف إلا

◄

بالتلقى والسماع أولا ، وتشرب موسيقى القرآن ، التى تهز القلوب والعقول هزا . فمثلا : كم من طلاب القراءة الصحيحة ، يستطيع أن يقرأ قول الحق تبارك وتعالى : ﴿ كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ ﴾ أو ﴿ أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ ﴾ دون أن يقوم التلقى بالدور الأكبر فى ذلك ؟ إن مثل هذه الكلمات يرى معناها فى موسيقاها ، كما أن موسيقاها ترى فى معناها ، وطريق المعنى هو التلاوة الصحيحة ، وطريق التلاوة الصحيحة ، إنما هو السماع الصحيح . ثم من يستطيع قراءة : حمٓ . المٓ . قٓ . نٓ . كٓهيعٓصٓ . حمٓ عٓسٓقٓ .. قراءة صحيحة دون أن يكون التلقى هو العامل الأول فى ذلك ؟

وإذا لم يكن هناك بدٌّ من السماع والتلقى لكل من يقرأ القرآن مبتدئا فى ذلك كبيرا كان أو صغيرا ؛ فما الداعى إذن لأن نفتح باب التغيير ، الذى لا نستطيع التحكم فى رياحه ؛ ليدخل فيه مانخشاه ، ويخشاه جميع المسلمين من التغيير والتبديل . ويومها ، نحاول الدفاع عنه فلا نستطيع ، لنصبح فى هذه الحالة كمن دفع للمغنى درهما ليغنى ، فلما غنى ، دفع له عشرة دراهم ليسكت ، وياليته يسكت فى حالتنا هذه !!

ثالثا : إن المؤلف حينما يذكر « أن القرآن قد كتب فى المصحف الإمام ، بالرسم الأول دون نقط ولا شكل ليرتب على ذلك « أن تزداد الكلمات عجمة على عجمة ، والتباسا على التباس » إنما يعلن بذلك إفلاسه عن طرح الحجج المقنعة ، ولذا فهو « يُلَمْلِمُ » من هنا وهناك ، حججا لا تغنى شروى نقير ، ولا تتقدم به خطوة واحدة فى طريق ما يرمى إليه ؛ فهذه الحجة ليست بذات موضوع ، منذ أن أجمع المسلمون على نقط المصحف وتشكيله ، ولم نعد نرى منذ ذلك الحين ، فى واقع الأمر غيره . مالنا نحن - المسلمين ، قراء القرآن - وما للمصحف الذى لم يُنقط ولم يُشكل ؟ كم واحدٍ من المسلمين رآه رأى العين ؟ إن ما كان قد أرسل منذ عصر عثمان رضى الله عنه إلى الأمصار الإسلامية ، نسخ محدودة العدد للغاية ، وهى الآن فى أماكن غير متاحة للعامة أو للخاصة ؛ لأنها أثر إسلامى يعتز به المسلمون ، فى مشارق الأرض ومغاربها ، لا يطلع فيها أو عليها أحد . إذن فلا معنى لأن يعتبرها الأستاذ المؤلف - رحمه الله - عائقا يضاف إلى بقية العوائق ، التى رسمها فى مخيلته الخصبة .

رابعا : ذكر المؤلف التشابه الحاصل بين « ياصالح » إذا جردت من ألفى المد ، والنقط والشكل ، وصارت « بصلح » وبين الفعل « يصلح » وما شابه ذلك ، ولكنه لم يذكر التشابه بين « المٓ » فى فواتح بعض السور و « أَلَمْ » فى فاتحة سورة الشرح ، أليس لأنه يعرف سلفا أن التلقى الشفاهى هنا كفيل بأن يقوم بدور الحارس الأمين ، الذى لا يسمح إطلاقا بهذا الخلط المزعوم بين الكلمات ، التى أشار إليها ؟

إن الله تبارك وتعالى جعل القرآن الكريم مرتبطا بالتواتر ، والنقل الشفاهى أكثر من أى

كتاب سماوى آخر . ولقد أحسن الإمام الشيخ محمد أبو زهرة فى التعليل لذلك عندما قال فى كتابه : « المعجزة الكبرى . القرآن » ص ٢٩ :

« إن ذلك من عمل الله تعالى ؛ لأن الله تعالى العليم الحكيم ، جعل حفظ القرآن الكريم فى الصدور ابتداء وانتهاء ، وفى السطور احتياطا ، ولتكون كتابته من بعد ذلك صحيحة من كل وجوهها ، لا يعتريها تصحيف ، ولا تحريف ، وأن تواتر القرآن الكريم عن رسول الله يكون كما تلقاه عن ربه العليم الحكيم . والتواتر يكون بالتلقى فى الصدور لا فى السطور . ولا يكون تواتر فى مكتوب إلا إذا قرىء المكتوب على من أخذ عنه وأجازه . فالمكتوب يحتاج فى نقله إلى الإجازة القولية ، والإجازة القولية لا تحتاج إلى كتابة إلا بمقدار تسجيل الإجازة » .

إننا لا نستطيع حتى الآن أن نزعم أن خط المصحف ، وبخاصة فى رسم الكلمات التى لا يتعلق بها أحد أحكام القراءات ، وقد اختلفت فى ذات الوقت عن الرسم الإملائى الحديث .

أقول لا نستطيع أن نزعم ، أنه قد تم رسمه وفق قاعدة معينة ، ولذا فلا غرابة فى أن نرى هناك اختلافا بين الكلمات المتماثلة ، وهو بطبيعة الحال لا يتعدى الآحاد . أقول لا نستطيع حتى الآن ؛ لأنه قد تظهر حكمة لذلك فى المستقبل على يد واحد ، أو جماعة من المسلمين ، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ، والحكمة ليست قاصرة على زمن دون زمن .

غير أنى أود أن أركز على نقطتين اثنتين :

الأولى : أن الرعيل الأول . الذى اضطلع بمهمة جمع القرآن الكريم ، لم يكن من الغفلة ، بحيث تقع منه أخطاء الزيادة والنقصان ، فى الآية أو أخطاء فى رسم الكلمة ، وقد كانوا من الحذر ، والحيطة بالدرجة التى نعرفها ويعرفها كافة المسلمين ، بدءا من الصديق ، فعمر وعائشة ، وانتهاء بآخر واحد من أعضاء اللجنة التى شكلها عثمان رضى الله عنه للقيام بهذه المهمة الجليلة .

الثانية : ليس هناك من داعى العقيدة ، أو المصلحة العاجلة أو الآجلة أن نقتحم كتاب الله الأقدس ، ونمدّ نحن ـ المسلمين ـ أيدينا إليه بالتغيير أو التبديل فى رسم الكلمات ـ والرسم الإملائى على وجه التحديد ـ لأن هذه الزيادة أو هذا النقص ، لا أقول إنها لا داعى لها ، بل هى خروج على إجماع المسلمين عن بكرة أبيهم .

وإلى لقاء آخر إن شاء الله نكمل فيه المسيرة .

رأى مستشرق

فى الأزمة بين الغرب والعرب

للأستاذ الدكتور: محمد إبراهيم الفيومى

من الموضوعات التى ملكت على إعجابى ، وشدت إليها تفكيرى ، وأنا أقرأ كتابا عنوانه : « الإسلام فى التاريخ الحديث » لمؤلفه (ولفرد كانتويل سميث) حديثه عن العرب والإسلام والغرب ـ والأزمة التى ضربت أطنابها فيما يحكمهم من علاقات . ولم يكن حديثه عن موضوع الإسلام فى التاريخ الحديث ، خاضعا لأهواء عرقية ، شأن الكتابات التى تعرضت للإسلام والغرب ، إنما كان حديثه عن الموضوع حديث الدارس المتمكن الهاضم لمصادره ، لا يتعجل نتائج بحثه ، ولا يعدها قبل ، ثم يبحث عن شهود لها . ولا ينال ذلك إلا من خبرته الثقافية ، فهو : مدير معهد الدراسات الإسلامية ، وأستاذ الدين المقارن ، جامعة ماجل ـ مونتريال كندا . وقد أقام المؤلف فى « لا هور » بضع سنوات يدرس الإسلام ، وزار غالبية المناطق الإسلامية ، ووضع عدداً من الكتب ، نذكر منها ـ الإسلام فى الهند ـ الإسلام فى العالم الحديث وجاء إلى القاهرة وألقى محاضرتين فى القاعة الشرقية بالجامعة الأمريكية ، فى مساء يومى ١٩ ، ٢٠ فبراير سنة ١٩٥٨ .

لذلك كان منصفا فيما يكتب عن الإسلام ، نزيه القلم فيما يكتب عن العرب ، ناقدا محللا ، محايدا فى عرضه لتاريخ علاقات الغرب بالعرب ، لذا رأينا تلخيص وجهة نظره التى يقرر فيها :

إن العرب قوم ذوو كبرياء وحساسية ، مسلمون يمتزج إسلامهم بنسيج كبريائهم وحساسيتهم ، كما يتداخل مع عروبتهم ، ويمتزج بها ، مما يجعل لحياتهم اليوم سمعة خاصة . بل إن الإسلام هو الصفة الظاهرة للقومية العربية .

إن العرب ليجمعون فى تركيز شديد الأزمة الحديثة للعالم الإسلامى كله . وفخر العرب بعروبتهم عميق جدا .

ولهذا الفخر عناصر مختلفة ، يرجع بعضها إلى ما كانوا يتحلون به من فضائل ، فى الفترة السابقة على الإسلام ، كان من أبرزها المروءة ، ويعتبر العربى الحق مثلا يحتذى به فى هذه الناحية ، كما يرجعها البعض الآخر إلى لغتهم العربية ، إذ هم فخورون بها ، وبآدابها ، وتاريخها كل الفخر ، ولقد سادت هذه اللغة فى العصر القديم ، وكانت ثقافتهم فى وقت ما : هى الثقافة المرموقة فى العالم ، هذا فضلا عن أن المسلم العربى كأى مسلم آخر فخور بدينه وعقيدته ، فالإسلام هو الدين الوحيد فى العالم الذى ملأ نفوس معتنقيه فخرا وإعجابا ، وهم ينظرون إلى لغتهم بوصفها اللغة التى اختارها الله وسيلة لإظهار دينه ، فكانت هى اللغة التى يجب أن يتعلمها كل من أراد أن يتخذ الإسلام دينا له .

ومن ناحية أخرى فالإسلام هو الذى خرج بالعرب من ديارهم ، إلى بلاد أخرى ما كانوا يعرفونها ، ففتحوها وأنتجوا فيها ، وهكذا نجد أن الإسلام كان سبب عظمة العرب الدنيوية .

كما كان العرب من الناحية الأخرى أصحاب فضل فى نشر الإسلام فى بقاع الأرض .

إذا رأينا ذلك ، وأدركنا مبلغ تعلق العرب بدينهم ، الذى كان أساس عظمتهم ، ورفعة شأنهم فى العالم ، أمكننا أن نقدر عمق شعورهم ، ومدى حساسيتهم إزاء كل هجوم على هذا الدين ومن ناحية أخرى ، فقد رأى العرب العالم الحديث يتآمر على عروبتهم ، مزعزعا الثقة فى القومية العربية ، وكان هجومه هجوما على أهم معاقلهم ، كان الهجوم لا هوادة فيه ولا رحمة ، ومن أمثلته الصارخة إطلاق السفن البريطانية نيرانها على الإسكندرية سنة ١٨٨٢ بغية القضاء على حركة « عرابى باشا » عندما قام لإصلاح الحكم الداخلى فى بلاده ، كذلك أصلت الطائرات الفرنسية بقذائفها المدن السورية سنة ١٩٢٥ ، حين طالب السوريون بالحكم الذاتى ، واقتحمت الدبابات البريطانية قصر عابدين ، وكسرت بابه ، كى تقيم حكومة موالية للحلفاء ؛ لذلك كان العرب باستمرار متوجسين من الغرب ، ويعيشون فى ظل المدافع التى قد تنطلق فى أية لحظة ، وتهددهم فى كل لحظة ؛ ويلازمهم

الشعور بالخطر يأتيهم من ناحية الغرب ، ويعتقدون أن الغربيين سيهاجمونهم ، كلما سنحت فرصة الهجوم وسيعتدون عليهم ، وأن لديهم القوة التى تمكنهم من الهجوم والاعتداء ، وفضلا عن ذلك فقد كان فى يد الغرب سلاح آخر لفرض سيطرته على العرب ، سلاح الضغط الاقتصادى ، الذى كثيرا ماتعرض له العرب بدرجات تتفاوت ، فكان تارة ثقيلا قاسيا ، وأخرى غاشما لا مبرر له ، وهو بعد ذلك سلاح خبيث يخضع العرب للغرب ، وكثيرا ما أحس العرب ألا مبرر لهذا الضغط ، وهذه الهجمات ، وكانوا يرون العالم مبهما لا يدركونه إدراكا تاما ، ولا يمكنهم أن يسيطروا عليه .

على أن الأمر لم يقف عند هذا الحد من الهجوم المسلح ، إلى الضغط الاقتصادى ، إذ جاوز الغربيون هذا كله إلى توجيه النقد إلى العرب فى حياتهم الخاصة ونظمهم .. بل إلى وصفهم بالتأخر والتخلف .

بل إنهم ذهبوا إلى أبعد من ذلك ، فحابوا اليهود على حساب العرب ، فيما يقدمون من مساعدات ، موحين إلى العرب أنهم ليسوا متخلفين فقط ، وإنما لا أهمية لهم أيضا .

وقد نما الشعور أخيرا بين العرب بأن الهجوم عليهم من جانب الغرب مقصود به الهجوم على دينهم ، وأن العالم أو فى القليل الغربى يتعمد تمزق الإسلام . ومن الحق أن الإسلام يعتبر صعوبة من بين الصعاب ، التى يواجهها الغرب ؟ اليوم ، وأحد العوامل التى شاركت فى إيجاد الفجوة بينهم وبين الغرب .. إذ الواقع أن الفروق بين الحضارات العظمى فى العالم دقيقة وعميقة ، وأن الفجوات القائمة بينها تدق على فهم الغربيين والمسلمين على السواء .

وهناك اتجاه جديد فى العالم الحديث إلى ضرورة عبور هذه الفجوات . وإيجاد اتصال وتفاهم بين الحضارات المختلفة .

وقد جرى التاريخ على أن علاقة الغرب بالإسلام كانت تختلف منذ البداية عن علاقته بأى مدنية أخرى ، فقد كان لها تخوم مشتركة بينهما دوما ، مما يؤيد أنهما كانا على اتصال دائم ، وكانا على خصومة ونزاع صريح فى الغالب ، أما الصين والهند فكانا بعيدين ، تسودهما الخرافة ، ولم يعرفا بحق إلا فى القرن الثامن عشر ، ومن الناحية الثانية فقد عرفت أوروبا الإسلام منذ ثلاثة عشر قرنا ، وكانت نظرتها إليه فى الكثير الغالب النظرة إلى عدو ووعيد.

كان الهجوم مباشرا سواء من الناحية العسكرية ، أو من الناحية المذهبية ، وكان بالغ القوة ، وأنه لأمر طبيعى أن يرى المسلمون الحق والخير ، بل ومن المحتم أن الإسلام يجب أن يمتد كما حدث وتختلف عن ذلك نظرة غير المسلمين ، الذين تم هذا التوسع على حسابهم ، لقد كان على حساب الغرب إلى درجة كبيرة ، فقد فقدت المسيحية فجأة أفضل ولايات الإمبراطورية الرومانية ، وكانت معرضة لخطر فقد هذه

الإمبراطورية كلها ، وبالرغم من أن القسطنطينية لم تقع فى يد العرب ، كما وقعت مصر وسورية إلا أنها سقطت فى الموجة الإسلامية التالية سنة ١٤٥٣ ، وفى صميم قلب أوروبا فرض الحصار على فيينا فى سنة ١٥٢٩ ، ثم فى سنة ١٨٦٣ .

وكان التحدى والانتصارات تصل إلى نطاق القيم والأفكار ، فالهجوم الإسلامى ، كان ينتظم النظر والعمل ، وكان الإسلام يركز أفكاره على مركز العقيدة المسيحية ، التى شرعت أوروبا تقيم عليها مدنيتها ، وكان التحدى الإسلامى يتميز بالقوة حتى أنه تسلل بنجاح إلى قرابة نصف العالم المسيحى ، فكان القوة الإيجابية الوحيدة ، التى اكتسبت مرتدين عن المسيحية ، يقدر عددهم بعشرات الملايين ، كان القوة الوحيدة التى أعلنت أن المذهب المسيحى ليس زائفا فقط ، بل شنيعا أيضا .

ولسنا نذكر بهذا التاريخ الطويل لذلك النزاع بغية إعادة إشعاله ، أو لتبرير التهاتر ، فعلى العكس من ذلك لمجرد تبيان أن توفيق أولئك الذين يرجون ، أو يعملون اليوم على التوفيق أو التفاهم لا يتوقع أن يتم لهم هذا التوفيق سريعا ، أو فى سهولة ويسر .

وهكذا لعب الإسلام بوصفه دينا ، ومدنية تاريخية دوره ، فى نطاق التطور الخارجى ، ولعب دورا آخر فى نطاق التطور الداخلى ، وهو دور هام وثيق الصلة بأزمة العرب الداخلية ، فقد وجدوا الإسلام هدفا لهجوم العالم الحديث ، ولم يكن الهجوم علانية فحسب ، وإنما هو ماثل فى أذهان الأفراد العرب ، وهنا يشتد الكرب ، وقد يصبح خطيرا أيضا .

على أن هناك أسلوبا معروفا ، وإن لم يكن بسيطا مؤداه أن الدين هدف للهجوم عليه من جانب العنصرية ؟ وقد عرف العرب هذه الظاهرة ، وكان الكفاح فى القرن التاسع عشر حادا ، وأصبحت الفكرة القائلة بأن العلوم الحديثة بما لازمها من تفكير وجرأة ، وأن الحياة العصرية بسحرها ، جعلت من العقيدة الدينية شيئا لا يمكن الدفاع عنه ، أو تأييده أو غير ضرورى ، ذائعة فى العالم كله .

إلا أن المراقبين الغربيين ، وقد تعلموا هذا بالنسبة للمسيحية ، تملكتهم الدهشة لما تبينوا من أن الدين لم يفقد سحره فى المجتمع العربى ، أو بعبارة أخرى فى العالم الإسلامى .

فالإسلام لم يتأثر بهذا الاتجاه إذ انبرى المدافعون عن العقيدة يصدرون الكتب تلو الكتب ، والنشرات تلو النشرات ، يدافعون فيها عن العقيدة ، وينعون على الشباب العربى اعتناقهم المذاهب العقلية الغربية ، وغيرها من الآراء التى تنكر على العقيدة صحتها .

وقد يبدو أن هذه الشكوى مبالغ فيها إلا أن مجرد وجود هذه الكتابات الدفاعية يقوم دليلا على وجود المشكلة ذاتها وحدّتها .

فالمشكلة قائمة وحادة ، ليس بالنسبة للمجتمع فحسب ، بل أيضا بالنسبة للفرد ، فإن كان

كثيرون انساقوا بعيدا عن العقيدة ، فهناك آخرون يهيمون فى وادى الحيرة والشك .. هوت أرواحهم فى دوامة من التردد ، حيث تتقاذفها تيارات مختلفة من الإيمان والشك .

وعلى هذا النحو يكون الوضع فى المجتمع العربى أوفر خطرا ، وضررا منه فى المجتمع الغربى ، سواء من ناحية الفرد ، أو من ناحية المجتمع ، وذلك لسببين : أن الهجوم العلمانى على الدين أجنبى عن العرب . وأنه الأيسر للفرد ، وأوفر صحة للمجتمع أن يجد تقليدا موروثا يناقش بقيم جديدة تطورت بين قومه ، من أن تكون هذه القيم قد تسللت إليه على أيد مفروض أنها معادية فتنفر الإنسان حتى من نفسه ، لفكرة أنه كان حليف الخطأ دائما ، أمر يحتاج إلى شجاعة إذ الشعور بالخطر ، وعدم الأمان يغدو عظيما ، إذ كان المعيار أجنبيا ، فالرجل الغربى الذى يجد أن دينه أصبح لا يمكن الدفاع عنه يعتنق بعض القيم الأخرى التى وجدت فى مجتمعه ، بينما العربى فى مثل هذا الموقف تنصب مناهضته على هجر قيم مجتمعه ، ويكون فى تركه للإسلام كمن يخون مجتمعه .

والخطر الذى يستهدف له لا يأتيه من الخارج فحسب ، بل ومن الداخل ، ولا يتهدد وجوده وحده بل جوهره وما هيته .

وإذن فالمأزق الإسلامى إزاء العنصرية يحسه المثقفون بعمق ، فقد مضى أكثر من قرن من الزمان منذ بدأت الحاجة إلى الدفاع عن العقيدة ضد الضغط الخارجى ، والتأخر الداخلى .. واليوم ، وبرغم التقدم فى نواح كثيرة نرى الهجوم على الإسلام أكثر شدة ، نرى هجوما من الخارج ، ومن الداخل ليس هجوما من أعدائه الأجانب الخارجيين ، بل كذلك هجوما على الظاهرة التاريخية الخارجية للإسلام كحقيقة واقعة .

إن هذا الإحساس بالهجوم ، يلقى كثيرا من الضوء على تفاقم المشكلة بين الإسلام والغرب والعربى الحديث يقف موقف الدفاع عن نفسه ، وعن مجتمعه ضد الاعتداء ، حتى أصبحت كل حركة ترمى إلى خلق ثقة بالعالم الخارجى ، تزيد من هذا العداء ، حتى لقد أصبحت كراهية الأجنبى صريحة فى كثير من المدن الإسلامية الكبرى ، وكان من نتيجة هذا الشعور أن أصبح المسلمون فى هذه الأيام يضرعون إلى الله أن يتركوا وشأنهم ، ولكنهم تبينوا أنه لا يمكنهم ترك الدفاع مادامت هناك هجمات ، إذ أصبح لهذه الهجمات رد فعل ، فى عقولهم ، ومشاعرهم ، واتخذوا فى دفاعهم طريقين : طريق الفكر ، أو المعاذير ، وطريق العمل .

كلمة وفاء

فى ذكرى أستاذنا فضيلة الشيخ عبد الفتاح القاضى

"رحمه الله" المتوفى فى ١٥ من المحرم ١٤٠٣هـ

للدكتور : عبد الفتاح إسماعيل شلبى

كان مولد أستاذنا الشيخ العلامة عبد الفتاح القاضى ١٣٢٥هـ - ١٩٠٧م بمحافظة البحيرة ، وفى مدينة دمنهور التى نشأ فيها علماء مشهورون ملأوا الأرض علما حتى يومنا هذا .

حفظ القرآن الكريم وجوده ، وتلقى قراءاته على أكابر الشيوخ فى عصره .. وتلقى علومه الثانوية بمعهد الإسكندرية الدينى ، ثم ارتحل إلى القاهرة حيث حصل على شهادة العالمية ، ثم التحق بالتخصص القديم : « شعبة التفسير والحديث » حيث نال شهادته التى تعادل (الدكتوراه) سنة ١٣٥٥هـ ، وتقلب الشيخ فى وظائف مختلفة كان آخرها فى مصر المدير العام للمعاهد الأزهرية .

طارت شهرة الشيخ ، وفطن لعلمه وقدره سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز رئيس الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، فأسند إلى الشيخ عبد الفتاح القاضى إنشاء « كلية القرآن الكريم » بالجامعة ، فأولاها الشيخ القاضى عناية ورعاية ، وارتبط بها ارتباطا وثيقا ، تخطيطا وتدريسا ومنهجا وكتابا ، واختار للتدريس بها أساتذة لهم الصدارة فى علوم القرآن والقراءات .

وحنا الشيخ على طلابها ، فأحبهم وأحبوه ، حتى أصبحت هذه الكلية بفضل رعاية الشيخ لها منارة ومصدرا للإشعاع فى أقطار العالم الإسلامى .

وقد هيأ الله للشيخ الأعلام من أكابر الشيوخ أخذ عنهم القراءات تجويدا وتعليما ، أمثال الشيخ محمود بن محمد غزال .

وفى دراسته العالية كان من شيوخه الأئمة من علماء الأزهر فى فروع العلم المختلفة : التفسير ، والفقه ، والحديث ، والبلاغة ، واللغة ، وحسبنا أن يكون من أساتذته : أصحاب الفضيلة الشيخ محمود شلتوت ، شيخ الأزهر الأسبق ، والشيخ عبد الله دراز ، والشيخ محمود خطاب السبكى ، والشيخ محمد الخضر حسين شيخ الأزهر الأسبق ، والشيخ سيد بن على المرصفى .

وكان من طلابه الذين أخذوا عنه القراءات ، وتخرجوا على يديه الأفاضل الأكابر من علمائنا : الشيخ موسى شاهين لاشين ، والدكتور عوض الله حجازى ، والدكتور زكريا البرى ، وغيرهم من المصريين .

كما كان من طلابه الشيخ على بن عبد الرحمن الحذيفى الإمام بالحرم النبوى الشريف ، والشيخ إبراهيم الأخضر .

ومن أبرز أعمال الشيخ كذلك رياسته للجنة تصحيح المصاحف بمصر ، وإنشاء كلية القرآن الكريم بالمدينة المنورة ، وقد حدثتك عنها منذ قريب .

ولفضيلة الشيخ عبد الفتاح القاضى مؤلفات عدة بعضها منظوم ، وبعضها منثور ، وقد تنوعت هذه المؤلفات بين الدراسات القرآنية ، والفقهية ، واللغوية ، وقد صاغها الشيخ بأسلوب سهل ، قريب إلى أذهان الطلاب والمتعلمين ، ومن هذه المؤلفات :

- « الوافى فى شرح الشاطبية فى القراءات السبع » .
- « البدور الزاهرة فى القراءات العشر المتواترة » .
- « النظم الجامع لقراءة الإمام نافع » : وقد جعلها من بحر الرجز ، حيث يقول فى أبياتها الأولى :

وهـذه أرجـوزة ضـمنتهـا
حروف نافع ، وقد هـذبتها

- « شرح النظم الجامع » ، وهو شرح النظم السابق ، أورده الشيخ ـ رحمه الله ـ فى إيجاز واضح .
- القراءات الشاذة ، وتوجيهها من لغة العرب » .

ذكر فيه قراءة الأئمة الأربعة بعد العشرة ، الذين تواترت قراءاتهم ، وبين وجه قراءة كل إمام من الأئمة الأربعة ، احتج لها من حيث اللغة والإعراب ، لكن لا يقرأ بها نظرا لشذوذها .

● « الفوائد الحسان فى عد آى القرآن » .

وهو نظم سهل من بحر الرجز .

وقد شرح هذا النظم فى : « نفائس البيان شرح الفوائد الحسان » .

● « تاريخ المصحف الشريف » تعرض فى هذا الكتاب القيم إلى كتابة القرآن الكريم ورسمه ، ونقطه وشكله .

● « تاريخ القراء العشرة ، ورواتهم ، وتواتر قراءاتهم ، ومنهج كل فى القراءة » .

● القراءات فى نظر المستشرقين » .

وقد ناقش الشيخ ـ رحمه الله ـ الشبهات التى أوردها المستشرق : جولد زيهر ، وبين ما وقع فيه من أخطاء .

وقد وهبه الله قدرة فائقة على نظم الشعر ووظف فضيلته هذه القدرة فى الشعر التعليمى ، وبخاصة علمى الفقه والقراءات فله فى الفقه :

● « أرجوزة الميراث » فى أسلوب واضح ، وقد جعل هذه الأرجوزة من بحر الرجز ومطلعها :

الحمد لله العلى الباقى
مقدر الآجال والأرزاق

ثم يقول بعد الصلاة والسلام على النبى وآله وصحابته والتابعين :

وهذه أرجوزة الميراث
نظمتها للفتية الأحداث

● « شرح أرجوزة الميراث » وهو شرح للكتاب السابق وجاء شرحا موجزا للمبتدئين كما ذكر فى مطلع أرجوزته السابقة .

● « الصيام ، وفضائله وأحكامه » من مطبوعات مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر .

ولفضيلته تحقيقات لكتب فى القراءات ، ورسم المصحف ، وعلم الضبط .

وهكذا نفع الله بعلم أستاذنا الجليل الشيخ عبد الفتاح القاضى ، على هذا النطاق الواسع من النفع العظيم فى خدمة القرآن الكريم .

وفى اليوم الخامس عشر من شهر محرم ١٤٠٣هـ ، انتقل إلى جوار ربه ، راجعا إليه راضيا مرضيا .

رحمه الله رحمة واسعة ، وجزاه عما قدم من الأعمال الصالحات خير الجزاء .

الإطار الاجتماعي للدعوة والداعية في الدول الإسلامية

للأستاذ الدكتور: محمد محمد البادى*

لا تحدث الدعوة الدينية بصفة عامة داخل فراغ ، ولا يمارس الدعاة أعمالهم بعيدا عن واقع الحياة الاجتماعية التى يعيشون فيها ، ولا يستطيع الداعية أن يؤثر بدعوته إلا من خلال إطار اجتماعى يحكم أقواله ، وسلوكياته ، فى مواجهة جماهيره .

وإذا كان هذا القول صحيحا فيما يتعلق بالدعوة الدينية ، أيا كانت هذه الدعوة ، فإنه أكثر صحة فيما يتعلق بالدعوة الإسلامية . ذلك لأن الإسلام دين يربط بين الدنيا والآخرة ، ويحافظ على توازن دقيق بين حقوق الفرد والجماعة والمجتمع ، والخالق ـ سبحانه وتعالى ـ ومن ثم ، كان للإطار الاجتماعى الذى يحكم دعاته ودعوته مغزى أعمق وأبعد غورا . ولقد اعترف علماء الإسلام وأئمته بهذه الحقيقة وأكدوا عليها .

ففى دراسة للشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر الشريف السابق (رحمة الله عليه) جاء فيها : أنه إذا كانت وظائف المسجد قد انكمشت فى هذا العصر بعد أن زاحمته المؤسسات المعاصرة ، وبسبب فتور التدين لدى كثير من المسلمين وانحرافهم ، أو قعودهم عن سلوك الطريق المستقيم ، والانخداع بزخرف الحياة المادية ، التى سادت فى المجتمعات غير الإسلامية ، وبسبب الضعف السياسى والاقتصادى ، الذى شاب الأقطار الإسلامية التى

* الكاتب : استاذ ورئيس قسم الصحافة والإعلام ـ كلية الآداب ـ جامعة المنصورة .

وقعت فريسة للاستعمار السياسى ، بعد الاستعمار العسكرى والفكرى ، ومع الهيمنة الاقتصادية للغير ، ثم شيوع البدع والخرافات ، التى باعدت بين الكثير من المسلمين ، وبين الدين الصحيح .

وأضاف قوله : إنه إذا كان ذلك ، كان على أمة الإسلام أن تعود إلى استعادة وظائف المساجد ، وإبراز العمل بها ، فلا تظل مقصورة أو محصورة فى أداء الصلوات ، وإنما تمتد وتعود إلى التعليم ، والتربية ، والتوجيه الدينى والخلقى ، ونشر العلم والثقافة العامة(*) .

وهذه الدراسة بإشارتها إلى أهمية الربط بين المسجد والمجتمع ، وبين الدعوة ومجريات الحياة الاجتماعية ومتطلباتها ، تؤكد على أهمية الإطار الاجتماعى لكل من الدعوة والداعية من زاوية دينية أساسية ، حيث لا تأثير للدعوة والداعية إلا من خلال التعامل مع الواقع الاجتماعى .

ولقد أكدت الدراسات العلمية للإقناع أهمية هذا الإطار الاجتماعى ، ومدى قدرته على التحكم فى الآثار الناتجة عن أية عملية إقناع ، فى أى مجال من مجالات الحياة الاجتماعية باتساع المجتمع كله ، ولئن كانت هذه الدراسات عددت مفاهيم أخرى للإطار الاجتماعى ، « كالإطار الموقفى » و « الإطار الاتصالى » ، إلا أن المعانى الداخلة فى هذه المصطلحات جميعها ومفاهيمها واحدة ولا تعارض بينها ، وكلها مستمدة من الواقع الاجتماعى الذى يحيط بالداعية وهو يتوجه بدعوته إلى جماهير معينة .

ويهمنا هنا أن نتناول هذه المصطلحات جميعها من الناحية العلمية ؛ لنتعرف على تطبيقاتها فى مجال الدعوة الدينية الإسلامية ، وأهميتها ، وكيفية استثمارها ؛ لدعم فعالية الدعاة وقوة تأثيرهم وسط متغيرات اجتماعية قاسية ، تعصف بقلوب المسلمين وعقولهم ، وتجعلهم فى دوامة فكرية وثقافية ، تفصل بينهم وبين الدعوة وأهدافها النبيلة .

فعلى ضوء النتائج التى انتهت إليها تلك الدراسات العلمية فى مجال الإقناع ، نتبين : أن الإطار الاجتماعى أو الموقفى أو الاتصالى الذى يحيط بكل عملية للإقناع بكل تطبيقاتها ، بين مفاهيم كثيرة ، وكلها ذات تأثيرات متباينة ومؤكدة على كل من القائم بالإقناع ورسالته وجماهيره ، كما أن لها مغزاها للدعوة الدينية الإسلامية .

فمن الناحية العلمية ، نجد أن الإطار الموقفى أو الاتصالى الذى تجرى داخله عمليات الإقناع . يعتبر أحد العناصر الأساسية المشكلة لكل عملية منها ، إلى جانب القائم بالإقناع ورسالته والوسيلة التى تستخدم لنقل رسالته ، والجماهير المستهدفة منها . ويقصد بهذا الإطار الموقفى أو الاتصالى تلك الخلفية الاجتماعية والمادية والمعنوية المستمدة من الإطار الاجتماعى المحيط بها ، والتى تعطى لعملية الإقناع دوافعها ، والتى تساعد كلا من الطرفين المتقابلين فى كل عملية إقناع ، وهما القائم بالإقناع وجماهيره المستهدفة ، على فهم رسالة الأخر وتفسيرها ، والاستجابة لها ، على أساس أن كل عملية إقناع تقوم على اتصال هادف يتبادل خلاله الطرفان التأثيرات ، لكى يصل

---

* فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق : المسجد إنشاء .. ورسالة .. وتاريخا . ملحق مجلة الأزهر ، عدد رمضان عام ١٤١٦ هـ . الصفحات ١٧ و ٢٨ و ٢٩ .

القائم بالإقناع فى النهاية إلى غايته . والإطار الموقفى أو الاتصالى أو الاجتماعى ، بهذا التعريف ، يحمل تأثيراته على الطرفين معا ، كما يحمل تأثيراته على النتائج التى تنتهى إليها كل عملية للإقناع .

والإطار الموقفى أو الاتصالى أو الاجتماعى يضيق أو يتسع ، بحسب المتغيرات الكائنة فيه ، فى مواجهة كل عملية للإقناع . ومع أننا نجد أن بعض الباحثين يستعملون هذا المصطلح استعمالا ضيقا لا يستوعب إلا بعض المعانى المحدودة ، إلا أن النظرة الواقعية لمفهوم هذا المصطلح ووظائفه تحتم ربط معانيه بطبيعة عمليات الإقناع التى تتنوع وتتعدد بتنوع تطبيقاته وتعددها . فلكل عملية إقناع إطارها الموقفى أو الاتصالى أوالاجتماعى ، ولكل إطار متغيراته التى تحكم معانيه . وهذا ينطبق على المجال التطبيقى للدعوة الإسلامية ، كما ينطبق على مجالات الإقناع الأخرى وتطبيقاتها .

فقد يعنى الإطار الموقفى أو الاتصالى مايسمى « بالأرضية المشتركة » بين الطرفين الداخلين فى عملية إقناع معينة . ويقصد بالأرضية المشتركة تلك الجوانب المتشابهة التى تخلق تآلفا بين ميول الطرفين وخبرتهما ، ويمكن أن تؤدى إلى عبور فجوة الخلافات والاختلافات بينهما . وهى بهذا المعنى ، تصبح أكثر اتصالا بالماضى ، لأنها تجمع عوامل تعمقت شخصية كل طرف منهما ، لأنها عوامل مكتسبة من النظام الاجتماعى المحيط بالإنسان ، على أساس أن البيئة المحلية ، والمجتمع لهما تأثيرهما على شخصية الفرد فيهما .

ولعل التاريخ المشترك وظروفه المشتركة التى مرت بالمجتمعات الإسلامية ، والتى أدت إلى الضعف السياسى ، والاقتصادى ، والفكرى ، والثقافى ، تصلح أمثلة واقعية فى مجال الدعوة الإسلامية ، والتى تصنع أرضية مشتركة بين الدعاة وجماهيرهم فى هذه المجتمعات .

وقد يعنى الإطار الموقفى أو الاتصالى ما يسمى بالخلفية المشتركة ، ويقصد بها وجود بيئة مناسبة ، أو غير مناسبة للتعامل بين الطرفين الداخلين فى عملية إقناع معينة ، وهى تجمع عوامل ومتغيرات متباينة . فقد تعنى ظروف المكان والزمان التى تجرى فيها عملية الإقناع ، أو قد تعنى درجة الحرارة وقت حدوث عملية الإقناع ، وقد تعنى الحوادث الجارية والضاغطة على الطرفين ، أو قد تنصرف إلى التقاليد الثقافية والاجتماعية التى تشكل خلفية لما يدور بين الطرفين ، وهى كلها عوامل ومتغيرات منفصلة عن شخصية كل طرف منهما ، وأكثر اتصالا بالظروف الحالية الموجودة خلال عملية الإقناع ، كما أنها عوامل تشكلها ظروف النظام الاجتماعى الذى ينتمى إليه الطرفان ومتغيراته .

ولا شك أن هذه المعانى لها تطبيقاتها الهامة فى الدعوة الإسلامية . فتوقيت الدعوة ومكانها لهما أهمية بالغة ، والحوادث الجارية فى المجتمعات الإسلامية والعالم من حولها لها أهميتها أيضا ، ومراعاة التقاليد الثقافية فى مجتمع خارجى لها أهميتها كذلك . وهى كلها عوامل ينبغى أن تدخل فى الحسبان إذا أراد الداعية لدعوته النجاح والفعالية .

وقد يعنى الإطار الموقفى أو الاتصالى ـ أيضا ـ ما يسمى بالمصالح المشتركة بين الطرفين . وهذه المصالح المشتركة تتحقق إذ شعر كل طرف أن مصالحه الخاصة تتحقق إذا حقق الطرف الآخر

مصالحه الخاصة . وإذا كانت هذه المصالح المشتركة أكثر وضوحا فى مجالات السياسة والاقتصاد ، فإنها لا تقل وضوحا فى مجال الدعوة الدينية الإسلامية ، فكل من الداعية وجماهيره المسلمة لهما مصلحة مشتركة فى فهم الإسلام وتطبيقه فكرا وقولا وسلوكا ، مما يجعل الطرفين يقبلان على التفاعل معا ، إذا توفرت الظروف الأخرى المتصلة بالعناصر الأخرى لعملية الإقناع كالرسالة والوسيلة . أما إذا كانت الجماهير غير مسلمة ، فهنا يكون على الداعية أن يهتدى إلى مايجمع بينه وبينها من مصالح مشتركة ، وأن يربط بين دعوته وبين هذه المصالح المشتركة .

ويضاف إلى ذلك ، مايعنيه الإطار الموقفى أو الاتصالى من معان تتصل بالمثيرات الاجتماعية . ويقصد بها ما يقدمه النظام الاجتماعى الذى ينتمى إليه الطرفان الداخلان فى عملية إقناع معينة من ظروف ومتغيرات تشكل مع الحاجات الإنسانية مثيرات ودوافع لكلا الطرفين .فإذا كانت هذه الظروف والمتغيرات واضحة فى علاقتها بالحاجات الإنسانية ، إلى جانب وضوح السلوك المطلوب لإشباع هذه الحاجات ، قلنا بأن الإطار الموقفى أو الاتصالى يقدم مثيرات اجتماعية إيجابية لعملية الإقناع ، والعكس صحيح .

ولاشك أن الربط بين الظروف السائدة فى مجتمع إسلامى أو غير إسلامى ومعان دينية إسلامية معينة ، بالكيفية التى توضح للجماهير كيفية إشباع هذا الربط لحاجات إنسانية يحسون أهميتها ، يمكن أن تحقق هذا المعنى من معانى الإطار الموقفى أو الاتصالى فى الدعوة الإسلامية .

ويضاف إلى ذلك أيضا ، ما يعنيه الإطار الموقفى أو الاتصالى من معان تتصل بالتنظيمات الاجتماعية التى تنتمى إليها الجماهير المستهدفة من عملية إقناع معينة . ويقصد بها تلك الجماعات التى ينتمون إليها ، كالأسر والطوائف والطبقات والفئات والعشائر والقبائل ، وما إليها ، وهى جميعها تشكل النظام البنائى فى مجتمع معين . وهذا يعنى : أن الكيفية التى يستثمر بها القائم بالإقناع طبيعة هذه الجماعات وعلاقاتها وحاجاتها وثقافاتها ، بالربط بينها وبين مضمون دعوته ، يمكن أن تؤثر على نجاحها . وهذا واضح فى مجال الدعوة الإسلامية ، ولا يحتاج إلى أمثلة أو أدلة ، خاصة إذا كان الداعية فى مجتمع قبائلى أو عشائرى كالمجتمعات الأفريقية مثلا .

كما يضاف إلى ذلك ، ما يعنيه الإطار الموقفى أو الاتصالى من معان تتصل بالعمليات النفسية المعقدة التى تحدث داخل هذه التنظيمات الاجتماعية ، التى تنتمى إليها الجماهير المستهدفة . ومن أهم هذه العمليات الكيفية التى يقيم بها الفرد ذاته ، ويقيم الآخرين داخل جماعته ، والكيفية التى يتحقق بها الاعتماد المتبادل بين أفراد الجماعة ، وطبيعة الاتصال بينهم ودرجته ، ودرجة السلطة والنفوذ التى يتمتع بها كل فرد ، والأدوار الاجتماعية للأعضاء وما تخلفه من توقعات مشتركة . وهذه العمليات النفسية تؤدى إلى علاقات اجتماعية إيجابية أو سلبية بين الأفراد ، المنتمين إلى جماعة معينة ، وتشكل الإطار النفسى والاجتماعى الذى يسود هذه الجماعة أو تلك .

ولعل الأهمية القصوى لدراسة الجماعات الإنسانية فى كل مجتمع ، بكل ما يجرى داخلها من عمليات ، وما يترتب عليها من مناخ إيجابى أو سلبى ، تعتبر مدخلا قويا ، لأنها تجعل الداعية

يفهم نفسية جماهيره وبناءها الاجتماعى ، قبل أن يوجه إليها دعوته بالكيفية التى تلقى بها آذانا صاغية ونفوسا طيعة وقلوبا لينة .

وعلى ذلك ، يكون الإطار الموقفى أو الاتصالى أو الاجتماعى له ضغوطه وتأثيراته على الدعوة والداعية ، بالكيفية التى لا يمكن معها تجاهله ، بل وبالكيفية التى تحتم دراسته بوعى وإدراك وتعقل ، وبما يحقق الاستفادة العملية منه ، عندما يصوغ الداعية دعوته ، إذا أراد لها تفاعلا إيجابيا مثمراً واستجابة روحية وفكرية وسلوكية عميقة .

وعلى ذلك أيضا ، يكون تساؤلنا هنا عن الكيفية التى يمكن بها أن يستفيد الداعية من الإطار الموقفى أو الاتصالى أو الاجتماعى بكل معانيه ، وهو يتوجه بدعوته إلى جماهيره ؟! وتكون إجابتنا عن هذا التساؤل ، كما يلى :

أولا : قبل إعداد رسالته ، ينبغى على الداعية :

١ - أن يدرس طبيعة المجتمع الذى يوجه إليه دعوته ، وأن يدرس بنيانه وثقافته ، والعلاقات بين أفراده وجماعاته ، سواء من الناحية النفسية أو الاجتماعية ، وأن يدرس مناسباته التاريخية والقومية ، كما يدرس المؤثرات الإعلامية والثقافية داخله وخارجه ، وما شابه ذلك .

٢ - أن يدرس البيئة التى يقيم داخلها ، ويوجه إلى سكانها دعوته . وليكن معلوما أن الثقافة العامة لكل مجتمع تنقسم إلى ثقافات فرعية ، كالثقافات البيئية والطائفية . وليس هناك تعارض بينها . فالبيئة الريفية مثلا لها ثقافتها التى تختلف فى كثير أو قليل عن ثقافة البيئة الصناعية ، وهكذا ، وكلتاهما لا تتعارض مع ثقافة المجتمع الكبير الذى تنتميان إليه ، بل إنه يستوعب كلتيهما ، ويبلور ثقافة عامة تختلف بدرجات متفاوتة عن كل منهما .

ثانيا : عند إعداد رسالته ، ينبغى على الداعية :

١ - أن يكون هناك انسجام وتوافق بين الأدلة والشواهد التى يستخدمها وبين ما يجرى فى المجتمع والبيئة اللذين يوجه دعوته من خلالهما إلى جماهير مستهدفة فيهما .

٢ - أن يستثمر المثيرات الاجتماعية ، كالمناسبات التاريخية والاجتماعية ، بالكيفية التى تلتقى مع حاجات الناس ، حتى يتولد عندهم الدافع إلى الاستماع لدعوته والاستجابة لها .

٣ - أن يضع فى اعتباره ظروف المكان والزمان كالحرارة والمطر والبرد والزحام والظروف الخاصة لكل فرد والظروف الضاغطة على نفسية الجماهير ، إلى جانب مراعاة اهتمامات الجماهير واتجاهاتها ، حتى تخرج دعوته متوافقة مع واقعهم وظروفهم وإمكاناتهم ومستوياتهم وحاجاتهم . فليس بطول الخطبة مثلا يقاس نجاحها ، وليس بالحماس والتعصب والصياح والعويل والبكاء يستجيب الناس . وأقوال الرسول الكريم - عليه الصلاة والسلام - خير شاهد على ذلك ، عندما قال (ﷺ) : « يسروا ولا تعسروا » - متفق عليه - بمعنى أن يكون الدعاة مبشرين ولا يكونوا منفرين ، وأن يعاملوا الناس على قدر عقولهم ، وأن يخففوا عن الناس عند الصلاة .

ومن ذلك ما رواه الإمام مالك عن أبى هريرة أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : « إذا كان أحدكم يصلى بالناس فليخفف ، فإن فيهم السقيم والضعيف ، فإذا كان يصلى لنفسه فليطل ما شاء .

كذلك أخرج الإمام مسلم عن أبى هريرة ـ أيضاً ـ أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : « إذا أمَّ أحدكم الناس فليخفف فإن فيهم الصغير والكبير والضعيف والمريض ، وإذا صلى وحده فليصل كيف شاء .

وقال الإمام الشافعى[1] : روى عن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه كان أخفَّ الناس صلاة على الناس وأطول الناس صلاة لنفسه .

٤ ـ أن تكون دعوته منسجمة ومتوافقة مع ما يقال أو يجرى فى المجتمع والبيئة اللذين يدعو من خلالهما ، وإذا كان هناك تعارض ، فليجد حلا لهذا التعارض حتى لا تكون كلماته جوفاء ودعوته خاوية . فالدعوة الإسلامية حياة اجتماعية متكاملة ولا تنفصل عن واقع الناس ، ويكون على المسئولين عنها فى كل مجتمع إسلامى أن يتحملوا هذه المسئولية ، ليوفروا للدعاة مناخا مناسبا .

ثالثا : خلال توجيه رسالته وبعدها ، ينبغى على الداعية :

١ ـ أن يقيس مدى استجابة الجماهير لدعوته ، سواء كان هذا القياس باللفظ أو التعبير الحسى أو الفعل . وكلما كان الداعية أقرب إلى البيئة التى يوجه من خلالها دعوته ، كلما استطاع أن يلمس آثار دعوته بوضوح . ثم إن انطباعات الناس ومشاعرها . وملامح وجوهها ، كلها تعطى للداعية مؤشرات قوية على ردود فعلهم تجاه مضمون رسالته . والحرص على تلقى ردود الأفعال يحدد مدى نجاح دعوته .

٢ ـ على الداعية أن يغير من أسلوبه وأدلته وشواهده بالكيفية التى تتناسب مع ردود الأفعال التى يتلقاها ، حتى يستطيع أن يحقق تفاعلا أكبر مع دعوته واستجابة أكثر معها .

٣ ـ على الداعية أن يعلم أن آثار دعوته لا تتحقق من رسالة واحدة ، وأن التكرار المتنوع والمحسوب ، يمكن أن يحقق هذه الآثار على التوالى وبشكل متراكم ، على أن يكون واضحا أن الملل والضجر والسأم صفات إنسانية طبيعية وعلى الداعية أن يتعامل معها بوعى وإدراك .

وإذا كنا لا نستطيع أن نحمل الدعاة كل هذه المسئوليات التى يفرضها الربط بين الإطار الاجتماعى والدعوة والداعية ، وخاصة فى مجال البحوث والدراسات اللازمة لرسالتهم ، فإن المسئولين عنهم فى وزارة الأوقاف والأزهر والمجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، يستطيعون أن يقيموا جهازا للبحوث العلمية الاجتماعية ، وتكون النتائج التى يصل إليها تحت تصرف الدعاة ؛ ليستفيدوا منها ، سواء قبل إعداد رسالتهم أو خلالها أو بعدها .

وخلاصة القول هنا : أنه إذا كان الانفصال بين الدعوة والداعية ، وإطارهما الاجتماعى سببا واضحا لما أصاب الدعوة الإسلامية من ضعف ، بالكيفية التى أشا إليها فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق فى دراسته التى استشهدنا بها ، فإن التفاعل الإيجابى بين هذه العناصر الثلاثة على أسس علمية مدروسة ، يعتبر مدخلا قويا إلى داعية أكثر تفاعلا ، ودعوة أكثر تأثيرا فى مواجهة متغيرات ثقافية عنيفة وضاغطة ، سواء من داخل المجتمعات الإسلامية أو خارجها .

---

(١) راجع كتاب الأم ـ طبعة دار الغد العربى ـ جـ ١ صـ ٢٤٩

ركائز البقاء في ظل التحديات المعاصرة

للدكتور : محمد عبد الحكيم

ليس من شك فى أن أمتنا العربية قد شرعت فى إنهاء مرحلة الضعف والتفكك وأخذت فى تجميع كلمتها بما يعود عليها وعلى المسلمين بالنفع ويجعلها قادرة على مواجهة التحديات المعاصرة ويصل بها إلى بر الأمان والسلام بمشيئة الله تعالى .

وأذكر أن مؤتمر القمة العربى الذى انعقد فى القاهرة فى شهر يونية (١٩٩٦) بدعوة من الرئيس مبارك إلى القادة العرب ، كان خطوة رائدة على هذا الطريق ، حيث تمت فيه المصالحات بين بعض الزعماء العرب ، حيث الخروج بموقف عربى موحد من القدس وفلسطين والأراضى العربية المحتلة .

وكان ـ أيضاً ـ من أهم ما خرج به المؤتمر فى بيانه الختامى الذى نشرته الصحف المصرية فى ذلك الوقت ، هو دعم السلام كخيار استراتيجى عربى وحمايته ، على أن يكون عادلا وشاملا يقوم على مبدأ « الأرض مقابل السلام » وقرارات مجلس الأمن ومقررات مؤتمر مدريد ، والنص على أهمية انضمام كافة الدول بالمنطقة إلى اتفاقية حظر انتشار الأسلحة النووية ، والتزام إسرائيل بإخضاع منشآتها النووية للمراقبة الدولية كضرورة لأمن المنطقة واستقرارها .

وعلى الرغم من أن انعقاد « القمة العربية » على هذا النحو الطيب كان مكسباً كبيراً للتضامن العربى الذى عاد ويعود بالخير على شعوب أمتنا العربية والإسلامية ، وأنه فتح الباب لعقد قمم عربية أخرى توفر المزيد من الأمن والاستقرار فى

* مدرس الصحافة بكلية الآداب جامعة المنصورة .

المنطقة ، إلا أنه فى ظل التعنت الإسرائيلى تجاه كل ما هو عربى وكل ما هو إسلامى ؛ تبقى حقيقة الوضع القائم لأحوال العرب والمسلمين بصفة عامة ، وتبقى حقيقة التحديات التى تواجه أمتنا بأبعادها المختلفة .

تلك التحديات التى لم تفارق أمتنا فى الماضى متمثلة فى الحروب الصليبية والغزو المغولى وسقوط الأندلس فى يد الصليبيين ، وفى الحاضر متمثلة فى : التعنت الإسرائيلى ، والاستشراق المعادى ، والعلمانية ، والحركات الهدامة داخل الأمة الإسلامية وخارجها ، والتى نشهد أثرها فيما تشهده بعض ساحات الوطن الإسلامى من قتال وفتن وإبادة .

إن من ينظر إلى حال الأمة الإسلامية اليوم بسهولة ما يراه من مظاهر الضعف والوهن فيها ، حتى أصبحت الشكوى من هذا الوضع قاسما مشتركا لدى المفكرين والعلماء وعامة الناس إن كان اليأس من الإصلاح يسيطر على الكافة .

ومن ثم أصبح على العلماء والمفكرين « كفرض عين » مواجهة أسباب الضعف فى الواقع الملموس بصراحة كاملة ، وبتجرد بعيد عن المجاملات ، تلك المجاملات التى يرى البعض أنها هى السبب الأول لما نحن فيه من عناء .

ولعل ما يزيد من خطر المسئولية هو إدراك حجم المخططات الساعية لمسخ شخصية الأمة وتبديد طاقتها وثرواتها بالغزو الثقافى عبر قنوات الاتصال والسماوات المفتوحة .

سؤال يطرح نفسه :

فما هى أسباب الوهن ومظاهر الضعف فى الواقع العربى والإسلامى ، وكيف يمكن مواجهتها فى ظل التعنت الإسرائيلى وما تضعه من عراقيل أمام المسيرة السلمية ؟ وفى ظل التحديات المطروحة بصفة عامة ، حتى نتمكن من تجاوز خط التواكل والخمول إلى خط العمل والتأثير فى رُكب الحضارة العالمية كسالف عهدنا فى المجد والدور والمكانة ؟ أو بمعنى آخر ، ما هى ركائز البقاء لأمتنا العربية والإسلامية فى ظل التحديات المعاصرة ؟

رؤية الإمام الأكبر :

وقد سبق أن نص فضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوى[1] على أن أولويات العمل من أجل تحقيق مفهوم الأمة الواحدة ، أو الجسد الواحد الذى إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى ، هى الاعتماد على عدة ركائز ، كل ركيزة منها متى طبقت ومتى نفذت ستعود على الأمة العربية والإسلامية بالخير ، هى : ركيزة الاتحاد . ركيزة التكاتف .

ركيزة التعاون . ركيزة الإخلاص .

ركيزة الشعور بأننا جميعا فى مركب واحد .

وأننا ـ جميعا ـ تظلنا سماء واحدة وتقلنا أرض واحدة .

وأننا ـ جميعا ـ تجمعنا مصالح مشتركة .

فالأمة العربية ـ والكلام لفضيلته ـ يجب عليها أن تتكاتف من أجل الدفاع عن حقوقها ، ومن أجل الدفاع عن دينها ، ومن أجل الدفاع عن كرامتها .

رؤية عالم أزهرى :

وتحت عنوان « الوحدة أولاً » رصد فضيلة الشيخ عبد المعز الجزار (رئيس تحرير مجلة

---

(١) من حديث صحفى مع فضيلته فى مكتبه .

الأزهر) أحوال الأمة الإسلامية بعد أن عقد مقارنة بين سالف عهدها المزدهر فى ظل مبدأ التآخى بين المهاجرين والأنصار ، وبين واقعها الراهن ، ثم قال فضيلته فى محاولة لتشخيص الداء والدواء[٢] :

« أما الآن فقد تأخر المسلمون ، وأضاعوا مجدهم ، بسبب إهمال دينهم وكتابهم العزيز ، فلم يعملوا بأحكامه ، ولم يتخلقوا بأخلاقه ، ولم يتحلوا بآدابه ، ولم يأبهوا لنصوصه وأحكامه ، ولو تأملوها وعملوا بمقتضاها لاستقامت أمورهم واتسقت أفكارهم وانتظمت دولهم وهو نبراس لكل من يستضىء به فى تقنين القوانين ، وتنظيم الشرائع وسياسة الأمم ، وإدارة دفة الدول .

ولما لم يعمل المسلمون بدينهم القويم وتركوا كتاب الله وراء ظهورهم أظلمت قلوبهم ، وعميت بصائرهم ، وهانت عليهم نفوسهم ، وخارت قواهم .

والدين أقوى قاعدة فى صلاح الدنيا واستقامتها ، وأجدى الأمور نفعا فى انتظامها وسلامتها ، وهو الفرد الأحد فى صلاح الآخرة ، وما كان به صلاح الدنيا والآخرة ، فحقيق بالعقل أن يكون به متمسكا وعليه محافظا .

ثم إنه بسبب تدابر المسلمين وتقاطعهم وتنابذهم وتباغضهم وتهاترهم وتحاسدهم وإيقاع بعضهم فى بعض ، وتنافسهم فى التافه من الشىء من غير أن يكون لهذا التنافس فائدة تعود عليهم ، حتى تقطعت أوصالهم وتفككت عرى الألفة والمحبة بينهم جميعا ، حتى بين الآباء والأبناء ، والإخوة والأخوات ، والأزواج والزوجات ، والمعلمين والمتعلمين ، فلا توجد بين الجميع محبة ولا رأفة ولا رحمة ، وفقد الاحترام بين الجميع .

وحينئذ أصبح المسلمون مفككين ، وصاروا أذلة فى أوطانهم ، وهانت عليهم أنفسهم ، وضاعت أرضهم ، وعلى رأسها : القدس والمسجد الأقصى .

وأخيراً : فإن قوة المسلمين فى وحدتهم ، وتعاونهم ، وتضامنهم ، وتآزرهم ، ووحدة كلمتهم ، وإن صلاح أمر المسلمين إنما يتحقق بالالتزام بشرع الله عز وجل ، واتباع سنة رسوله الكريم - صلى الله عليه وسلم - والعمل بالمنهج الذى حدده الله - سبحانه وتعالى - لعباده فى الأرض .

وفى ضوء هذه الرؤية نجد أن هناك أزمة توهن جسد الأمة العربية والإسلامية ، وهذه الأزمة لها عناصر أو مظاهر ضعف تحيط بها وتثقل كاهل العمل الإسلامى ، وتحجب عنه رؤية الطريق ، لعل من أبرزها :

١ - الخلاف والتنازع .

فقد حطم التنازع البنية الحية فى الوجدان المسلم ، مع أن الله - عز وجل - نهانا عنه ورتب عليه نتيجة من أخطر النتائج وهى الفشل وذهاب الريح . فقال تعالى :

﴿ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَٱصْبِرُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ (الأنفال/٤٦)

والمعنى[٣] : ولا تتنازعوا فيما بينكم فتتفرق كلمتكم وتذهب قوتكم ودولتكم وتجرى الأمور على غير ما تريدون من النصر ، والفشل فى الأصل : الخيبة والنكول عن إمضاء الأمر ، وأكثر

(٢) مجلة الأزهر عدد ذى القعدة ١٤١٨هـ ، مارس ١٩٩٨ ص١٧٣٨ .

(٣) تفسير الوسيط للقرآن الكريم - الحزب ١٩ صفحات ١٦٣٠ - ١٦٣١ .

أسبابه : الضعف والجبن ، ولذلك فسروه بهما » أ . هـ .

فهذه الآية تعبر عن حال الأمة الإسلامية إذا اختلفت وتنازعت أفضل تعبير .

٢ ـ فقدان المنهج .

ويعد التنازع فى حد ذاته نتيجة مترتبة على فقدان المنهج المتمثل فى كتاب الله ـ عز وجل ـ وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ، فهما من أهم عوامل قوة الأمة الإسلامية ووحدتها وتضامنها ما إن اعتصمت الأمة الإسلامية بهما .

يقول تعالى :

﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا ﴾ (الكهف/ ٥٧) .

﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا ﴾ (السجدة/ ٢٢) .

﴿ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِ ﴾ (المائدة/ ١٣) .

﴿ وَمَا تَسْأَلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ﴾ (يوسف/ ١٠٤) .

﴿ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ ﴾ (النور/ ٣٧) .

فلاشك أن نسيان هذا الذكر هو فقدان للمنهج ، يليه الخضوع والمهانة ، بينما العمل بمقتضاه فيه الشرف والبقاء والحياة ونعمة الحضور فى المجتمع الدولى بتقدير وتوقير .

٣ ـ خلافات الحدود :

ويأتى التعصب للجغرافيا والتاريخ بالخلافات على الحدود بين بعض الدول العربية والإسلامية فى مقدمة عوامل الضعف التى تفتت فى كيان الأمة ، حيث تقوم الحرب ويقع الضحايا وتنزف الدماء وتهدر الطاقات بسبب التعصب للتاريخ أو الجنس مع أن هذه الأراضى أراض عربية إسلامية سواء هنا أو هناك .

على أن هذه الخلافات حول الحدود وغيرها من مظاهر الضعف والوهن فى أمتنا ، إنما تستعر استجابة لرغبات غربية غير معلنة ، لأن مصلحة الغرب تقتضى وجود عدد كبير من الدول المستقلة والمتناحرة فى نفس الوقت حتى تتضاءل إمكانية الوفاق والتكتل فيما بينها أكبر ، فليس من مصلحة الغرب وجود دولة واحدة قوية فى المنطقة العربية أو وحدة صف فى المجتمعات الإسلامية !

تشويه الصورة الإسلامية :

ولا يكاد يطل يوم جديد إلا بهجمة شرسة على الإسلام تبغى تشويه صورته النقية ، تلك الهجمات التى تأخذ أشكالا عديدة منها : بروز الخلافات بين بعض شعوب الأمة الإسلامية ، بل بين أبناء الشعب الواحد .

وهكذا يجرى اختراق الإسلام اليوم بوسائل عديدة من قبل الذين يدركون قيمته وقوته وحضارته بغية قطعه عن جذوره تمهيدا للقضاء عليه .

التحدى الثقافى وثورة المعلومات :

وتأسيسا على ما تقدم من مظاهر الضعف فى الجسد العربى والإسلامى يمكن النظر إلى التحدى المعرفى أو الثقافى الذى يواجه عالمنا العربى والإسلامى على أنه من أخطر التحديات التى تواجهه بسبب الثورة التكنولوجية والتطور المستمر لشبكة الاتصالات الفضائية القادرة على اختراق الحدود السياسية والجغرافية ، لاسيما أن هناك

قاعدة تقول : « إن من يملك التكنولوجيا هو الذى يحكم وهو الذى ستكون له السيادة فى موضوع هذه التكنولوجيا ، وهى مادة الفكر التى تحملها أوعيتها ، فهل يمكن توظيف ما نملكه من وسائل وقنوات إعلامية - مصرية وعربية - فى رأب هذا الصدع ومواجهة هذا التحدى ؟؟

ويرى بعض خبراء الإعلام أنه إذا كانت تكنولوجيا الاتصال هى المحك الحقيقى لقياس قوة الدول وكان الشق الأساسى لهذه التكنولوجيا هو « الهاردوير Hardwire » المتمثل فى الأقمار الصناعية والحاسبات الآلية « الشهيرة بالكمبيوتر » وأجهزة التلفاز ، وما شابهها ، وهو شق نستورده ولا نملكه ؛ فلا أقل من أن نطوعه وأن نتحكم فى المضمون وهو « Softwire » ، ونسيطر على مفرداته ، بحيث يصبح الإعلام الإسلامى من أهم مقومات القوة لعالمنا فى عصر ثورة المعلومات .

والحق أنه كلام كان مقبولا قبل أن تتوسع مصر والمنطقة العربية فى القنوات الإقليمية والفضائية ، فقد أصبح لدينا فى مصر عدا القناتين التليفزيونيتين المركزيتين (الأولى والثانية) ست قنوات إقليمية هى : الثالثة والرابعة والخامسة والسادسة والسابعة والثامنة ، فضلا عن قناة النيل الدولية ، وقناة المعلومات ، وقناة النيل للدراما وغيرها ، ثم القناة الفضائية المصرية المستأجرة على القمر الصناعى العربى (Arabsat-1) ، والقناة غزيرة الإشعاع على القمر الصناعى العربى (Arabsat-2) .

وقد توجت هذه الإنجازات بدخول مصر نادى الفضاء العالمى بإطلاق أول قمر صناعى مصرى « نايل سات » (Nilesat) فى مايو (١٩٩٨) بعدد (١٢) قناة مضغوطة تصل فى مجملها إلى (٨٤) قناة فضائية .

هذا بالإضافة إلى الشبكات الفضائية المتعددة فى المنطقة العربية ، وجميعها يمكن لمصر والمنطقة العربية من خلالها وهى تمثل الـ « Hardwire » ، وبالكوادر المدربة أن تكون مصدرة للثقافة العربية والإسلامية الخاصة بها ، وهى مادة الفكر التى كانت تمثل الـ « Softwire » ، بعد أن كانت جالبة لثقافات أمريكية وأوروبية فى شكل دراما وأفلام ومسلسلات تؤثر بالقطع على الهوية والعادات المصرية والعربية والإسلامية ، تلك الثقافات التى كانت تفرض نفسها بغزارة الإنتاج وقلة التكلفة المادية .

وهكذا تأتى الخطط الجادة المشتركة القائمة على تعاليم الإسلام ومنهجه هى حجر الزاوية لدى عالمنا العربى والإسلامى عند أية محاولة للنهوض الحضارى ومجابهة التحديات المعاصرة .

وأخيراً فإنه يجب النص على أن وعد الله تعالى بالنصر والاستخلاف فى الأرض وعد مشروط بمناصرة الله - عز وجل .

﴿ إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴾ (محمد/٧) .

علماء من مصر

لفضيلة الشيخ: عبد الحفيظ على القرنى (٢)

تحدثنا فى المقال السابق[1] عن بعض من نبغوا فى مصر من علماء القراءات والحديث ، ونوالى حديثنا عن علماء آخرين فى ميادين أخرى .

فى علم الفقه :

ولايمكن أن ننسى الليث بن سعد الذى كان من كبار المجتهدين فى العلم ، وكان معاصرا للإمام مالك ، واستحق ثقته ، وكان مالك يتوج روايته عنه بقوله : حدثنى من أرضى من أهل العلم . وهو يعنى بذلك الليث بن سعد .

وكان الإمام الليث من مفاخر مصر دينا وعلما وخلقا ، وهو مصرى صميم وإن كان بعضهم يروى أن له أصولا أصبهانية فارسية ، إلا أنه ولد فى حضن أسرة مصرية كانت تعيش فى « قلقشندة » من أعمال القليوبية سنة أربع وعشرين ومائة . وبعضهم يقول : ولد سنة أربع وتسعين هـ .

ونشأ بمصر وتثقف على علمائها ومن أبرزهم يزيد بن أبى حبيب ، وكان الإمام الشافعى يجله ويشتاق إلى لقائه ، وكان ذلك أحد الأسباب التى جعلت الشافعى يتشوق إلى مصر ، ولكن مجيئه تأخر كثيرا بعد رحيل الليث إلى العالم الباقى . وفى الليث يقول الشافعى : الليث بن سعد أفقه من مالك إلا أن أصحابه لم يقوموا به .

ومن إجلال العلماء لليث بن سعد أنهم كانوا يتذاكرون مسائله ، ومن ذلك أنه فى أثناء قراءة ابن وهب مسائل لليث على الشافعى قال رجل من العلماء : أحسن والله الليث كأنه كان يسمع مالكا يجيب فيجيب ، فقال أين وهب ، بل كأن مالكا يسمع والليث يجيب فيجيب ، والله الذى لا إله إلا هو مارأيت أحدا أفقه من الليث .

وكان الليث إلى جانب علمه الغزير كريما فياضا بالعطاء ، حمل إليه مالك صينية فيها تمر ، فأعادها إليه مملوءة ذهبا ، كان ذلك فى أثناء زيارة الليث للمدينة .

وقال ابن خلكان فى «وفيات الأعيان»: كان يتخير لأصحابه « الفالوذج » ويعمل فيه الدنانير

(١) شهر ربيع الآخر سنة ١٤١٩ هـ.

ليحصل كل من أكل كثيرا أكثر من صاحبه .

وكانت له عقارات وأراض تغل له فى العام خمسة آلاف دينار ومع ذلك لم تجب عليه الزكاة ، لأنه كان ينفق دخله كله فى الصلات ومساعدة الفقراء والمحتاجين ونجدة الإخوان ، وكان يصل الإمام مالكا كل عام بمال كثير .

وكان الليث بن سعد عظيم المنزلة عند القاضى والوالى حتى كانا لا يقطعان أمرا دون مشورته ، حتى قال بعض الشعراء فى ذلك بيتين وأرسلهما إلى الخليفة المنصور فى بغداد :

لعبد الله عبد الله عندى
نصائح حكتها فى السر وحدى
أمير المؤمنين تلاف مصرا
فإن أميرها ليث بن سعد

وهذا من الحسد الذى ابتلى به العلماء .

وكان الليث فقيها صاحب فهم وحكمة ، وله رأى صائب ومعرفة دقيقة بالأحكام ، وقد حدثت محاورات فقهية بينه وبين الإمام مالك حول القضايا الفقهية ومن بينها حرص الإمام مالك على تفضيل عمل أهل المدينة على غيرهم ، والأخذ بهذا العمل فى كثير من أحكامه الفقهية . . وكان الإمام الليث لايرى هذا الرأى .

ومن المحاورات التى جرت بين الإمام الليث والإمام مالك أن الإمام مالك كتب إلى الليث يقول له : بلغنى أنك تأكل الرقاق وتلبس الرقاق وتمشى فى الأسواق .

فرد عليه الليث قائلاً : صدق الله العظيم إذ يقول :

﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ (الأعراف ٣٢)

وهذا أبلغ رد .

وقد توفى الليث بن سعد بمصر سنة ١٧٥ هـ وقبره بمصر معروف وهو أحد المزارات المشهورة ، وهو قريب من مسجد الإمام الشافعى ـ رضى الله عنهما ـ .

قيل فيما يرويه ابن خلكان أنه بعد أن دفن الليث بن سعد سمع صوتا يقول دون أن يرى صاحبه :

ذهب الليث فلا ليث لكم
ومضى العلم قريبا وقُبر

وهو بيت يشير إلى منزلة الليث وعظم قدره ، وأن الفراغ الذى تركه بعد لا يوجد من يملؤه .

ابن عبد الحكم :

ومن أئمة الفقه فى مصر محمد بن عبد الله بن عبد الحكم ، ويكنى أبا عبدالله الفقيه الشافعى سمع من ابن وهب ، وأشهب من أصحاب الإمام مالك ، فلما قدم الشافعى مصر ، صحبه وتفقه به وحُمِل فى المحنة ـ محنة القول بخلق القرآن ـ إلى بغداد وامتحن ، ولكنه صمد ، ولم يجب إلى ما أريد منه ، فَرُدَّ إلى مصر ، وانتهت إليها الرياسة بها .

وقد وصل إلى منزلة رفيعة عند الإمام الشافعى ، قال المازنى : كنا نأتى الشافعى نسمع منه فنجلس على باب داره ، ويأتى محمد بن عبد الحكم فيصعد ويطيل المكث عنده ، وكان الشافعى يقول عنه : وددت لو أن لى ولدا مثله وعلىَّ ألف دينار لا أجد لها قضاء .

وهذه العبارة تشير إلى عزة الدينار فى ذلك الوقت وارتفاع قيمته حتى لأن الألف دينار تكون ثروة كبيرة . . كما تشير إلى خطورة الدين ، وأنه يمثل هما عظيما ، ولكنه يهون أمره إذا رزق الإنسان غلاما كابن عبد الحكم .

وعلى الرغم من أن ابن عبد الحكم كان أبوه مالكياً إلا أنه كان يوصى ابنه بملازمة الشافعى ، وكان ذلك سبب وصوله إلى أعلى درجات العلم .

وقد اختص الشافعى محمد بن عبد الحكم بكتاب « الوصايا » الذى كان الشافعى قد كتبه بخطه وأعطاه له ، ولم يكن الشافعى قد حدث به . قال الربيع : وجدناه بخط الشافعى عنده بعد موته .

وأثنى عليه كثير من العلماء ، قال عنه النسائى : أنه صدوق ، وتلك شهادة لها قدرها من أحد علماء السنة وأصحاب الحديث .

وقال عنه ابن خزيمة : مارأيت فى فقهاء الإسلام أعرف بأقاويل الصحابة والتابعين منه - يعنى ابن عبد الحكم .

وكان محمد بن عبد الحكم صاحب أفق واسع ، ويدل على ذلك أن أحمد بن طولون أمير مصر أجرى عينا بالمغافر ، وتوقف الناس عن الوضوء منها والشرب منها بحجة أنها كانت وقفا فاستقدم ابن طولون محمد بن عبد الحكم ليلا إلى هذه السقاية ، فحين حضر شرب من السقاية وتوضأ منها ، فكان فعله هذا حجة ، فأعجب به ابن طولون ووجه إليه بصلة .

ولم يفعل ابن عبد الحكم ما فعله خوفا أو مصانعة ، ولكنه فعله فقها وعلما لأن الوقف لا ينافى استنباط الماء من المكان الموقوف والانتفاع به على سبيل الصدقة ونفع الناس ، وهذا لا يخالف شروط الواقف .

ولمحمد بن عبد الحكم كتاب فى تاريخ مصر يعد من أقدم الكتب التى ألفت فى معرفة مصر وفضائلها وتاريخها . وعليه اعتمد كثير من المؤلفين الذين جاءوا بعده .

وله غير هذا كتاب السنن على مذهب الإمام الشافعى ، وكتاب مصابيح الظلام . وتوفى ابن عبد الحكم سنة ثمان وستين ومائتين ، وقبره بجوار قبر الإمام الشافعى رحمهما الله تعالى .

البويطى :

ومتى أشرنا إلى محنة القول بخلق القرآن وامتحان العلماء فيها وجب علينا أن نشير إلى عالم من علماء مصر كان أحد الذين استشهدوا فيها ، وكان الإمام الشافعى قد أشار إلى استشهاده حين قدم مصر ، فقد نظر إليه متفرسا وقال له : أما أنت ياأبا يعقوب فستموت فى حديدك .

وهذه هى فراسة العلماء التى جاء فيها قوله صلى الله عليه وسلم : « اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله » رواه البخارى فى التاريخ والترمذى من حديث أبى سعيد رضى الله عنه .

والبويطى هو : أبو يعقوب يوسف بن يحيى المصرى البويطى ، ينسب إلى قرية صغيرة فى صعيد مصر اسمها « بويط » هى إحدى قرى مركز ساحل سليم بمحافظة أسيوط على الشاطىء الشرقى للنيل ، وقد زرت هذه القرية مرارا ولكن أحدا فيها لا يعرف شيئا عن هذا الإمام الذى كتب لهذه القرية الخلود ، ولعل هذه الكلمة تنبه

أذهان النابهين من أبناء هذه القرية ليبحثوا عن تاريخ هذا الشيخ وينسجوا على منواله فى العلم ، حين كان تلميذا نجيبا للشافعى رضى الله عنه وغيره من الأئمة ، ثم بلغ من الثقة أن أصبح علما يروى عنه أصحاب السنن كإبراهيم الحربى والترمذى والقاسم بن المغيرة وغيرهم .

قال ابن خلكان عن البويطى فى « وفيات الأعيان » : كان واسطة عقد جماعة الشافعى وأظهرهم نجابة ، اختص به الشافعى فى حياته وقام مقامه فى الدرس والفتوى بعد وفاته

تعرض البويطى للفتنة :

الحسد وراء كل محنة يتعرض لها النابهون ، وكم أكل الحسد من قلوب ، ويشتد الحسد عادة بين العلماء أنفسهم ، وقد حسد الكسائى سيبويه ، وكان هذا الحسد سببا فى القضاء حسرة على سيبويه وهو فى شرخ الشباب ، ولهذا قصة مشهورة فى ميادين الأدب والعلم .

أما قصة حسد البويطى فيشير إليها السيوطى فى كتابه « حسن المحاضرة فى أخبار مصر والقاهرة » قال : كان ابن أبى الليث الحنفى قاضى مصر يحسد البويطى على حسن منزلته وارتفاع قدره بين الناس ، فسعى به إلى الواثق الخليفة العباسى أيام المحنة بخلق القرآن ، فأمر الواثق بحمله إلى بغداد مغلولا مقيدا ، وأريد منه القول بذلك فامتنع . فحبس ببغداد إلى أن مات فى القيد والحبس يوم الجمعة من رجب سنة إحدى وثلاثين ومائتين

وصدقت نبوءة الشافعى فيه حين قال له قبل ذلك اليوم بثلاثين سنة : أنت تموت فى حديدك .

بطولة البويطى :

ولم يلن البويطى ولم يضعف عزمه ، ولكنه أظهر بطولة فريدة ، ولم يأخذ الضرب والتضييق عليه فى الحبس ، وثقل الحديد من ثباته شيئا .

قال الربيع بن سليمان : لقد رأيت البويطى على بغل فى عنقه غُل وفى رجليه قيد ، وبين الغل والقيد سلسلة من حديد فيها طوبة وزنها أربعون رطلا ، وهو يقول : إنما خلق الله ـ سبحانه وتعالى ـ الخلق بكلمة كن ، فإذا كانت « كن » مخلوقة فكأن مخلوقا خلق مخلوقا ، فوالله لأموتن فى حديدى حتى يأتى من بعدى قوم يعلمون أنه مات فى هذا الشأن قوم فى حديدهم ، ولئن أدخلت على الواثق لأصدقنه .

وأصبح البويطى موضع إعجاب شديد بصموده العظيم ، وثباته الخارق ، وعزمه القوى ، وإيمانه العميق ، واجتهاده فى العبادة على الرغم مما هو فيه من ضيق وحبس . حدث الشيخ أبو القاسم الشيرازى فى كتابه « طبقات الفقهاء » قائلاً : كان أبو يعقوب البويطى إذا سمع المؤذن وهو فى السجن يوم الجمعة اغتسل ولبس ثيابه ومشى حتى يبلغ باب السجن ، فيقول له السجان : أين تريد ؟

فيقول الشيخ : أجيب داعى الله .
فيقول السجان : ارجع عافاك الله .

فيقول البويطى : اللهم إنك تعلم أنى قد أجبت داعيك فمنعونى . وظل وهو فى السجن مواظبا على العبادة نشيطا فيها على الرغم مما يكابده من عناء السجن حتى لقى ربه راضيا مرضيا .

ويروى لنا أحد رفقائه فى السجن وهو أبو الوليد بن أبى الجارود قائلاً : كان البويطى جارى فى السجن ، فما كنت أنتبه ساعة من الليل إلا سمعته قارئاً يصلى - وقد ذكر ذلك ابن خلكان فى ترجمته له فى « وفيات الأعيان » .

مثل أعلى :

وإن كنا نعجب من صلابة البويطى فى دينه وعمق إيمانه وشدة صبره ومواظبته على العبادة وهو فى ضيق السجن وكربه ، وهو فى سن متقدمة تجعل له مندوحة أن يؤدى فرضه جالسا أو يستعمل الرخص التى يسر الله بها على عباده فى أمراضهم وأسفارهم وضوائقهم ، فإننا نرثى لحال هذا القاضى الذى وشى به للخليفة ، وعرضه لهذه المحنة ، لا لسبب إلا ذلك الحسد الذى ملأ قلبه ، والتنافس المذموم فى دنيا يملؤها الوهم ويحيط بها الفناء .

لقد رأى القاضى ما يكنه الناس من إعجاب للبويطى فهاله ذلك ، وظن أنه بوشايته تلك ينفتح له باب الإعجاب ، وينفسح أمامه المجال للتصدر ، وماأضيق هذا من نظر !! وما أضيقه من هدف !!

ولقد ضرب البويطى المثل الكامل للعلماء ، وانتصر الحق وزهق الباطل ، وذهبت هذه المحنة التى أصيب فيها كثير من العلماء الفضلاء ، ولكنهم أبقوا بعدهم أثرا خالدا وذكرا باقيا وشهادة طيبة بأن الحق أحق أن يتبع ، وأن مناصب الدنيا زائلة ، أما كلمة الحق فهى باقية خالدة .

وصية البويطى :

كتب البويطى رسالة من سجنه إلى الربيع بن سليمان أحد تلاميذ الشافعى يقول له فيها : إنه ليأتى على أوقات لا أحس فيها بالحديد على بدنى حتى تمسه يدى ، فإذا قرأت كتابى فأحسن خلقك مع أهل حلقتك ، واستوص بالغرباء خاصة خيرا ، فكثيرا ما كنت أسمع الشافعى - رضى الله عنه - يتمثل بهذا البيت :

أهين لهم نفسى لأكرمها بهم
ولن تكرم النفس التى لا تهينها

ثروة علمية :

كان الإمام الشافعى يعرف قدر تلميذه البويطى ، وكثيرا ما كان يحيل عليه ما يرد له من أسئلة السائلين فيقول : سلوا أبا يعقوب ، فحين يجيب البويطى يقول الشافعى رضى الله عنه : القول كما قال .

وقد لقبه الذهبى فى كتابه « دول الإسلام » بأنه فقيه وقته وأعلم أصحاب الشافعى وأعبدهم .

وترك من بعده ثروة علمية تشير إلى فضله تتمثل فى عدة كتب ، منها كتاب « المختصر الكبير » ، و« المختصر الصغير » ، وكتاب « الفرائض » وهى كتب تدور حول الفقه الشافعى ومسائله ، وله كتاب « النزهة الزهية » فى علم النحو وهذا يشير إلى براعته فى النحو إلى جانب براعته فى الفقه والحديث .

رحم الله هذا العالم الموسوعى وطيب ثراه ، وجزاه عما قدم للعلم واللغة والدين والأخلاق خيرا .

ونرجو أن نلتقى فى هذا الموضوع مع أئمة آخرين ممن نشأوا فى ربوع مصر وأضاءوا آفاقها بالعلم والمعرفة إن شاء الله تعالى .

طرائف .. ومواقف

للأستاذ : عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

استعن بالله

كل عسير إذا استعنت بالله فهو يسير ، وكل يسير إذا اعتمدت فيه على نفسك أو أحد من خلق الله فهو عسير .

سؤال .. وجواب

سئل حكيم عن أفضل الحكمة ، فقال : معرفة المرء بقدره ، وعن أكمل العقل ، فقال : وقوف الإنسان عند علمه ، وعن الحلم ، فقال حلم الإنسان عند استماع شتمه ، وعن أصون المروءة ، فقال : استيفاء الإنسان ماء وجهه ، وعن أكمل المال فقال : ما أعطى الحق منه ، وعن أحسن السخاء ، فقال : البذل قبل المسألة . وعن أنفع الأشياء ، فقال : تقوى الله وإخلاص العمل ، وعن أى الملوك خير ، فقال أقربهم من الحلم عند المقدرة وأبعدهم من الجهل عند الغضب .

الذكر الحسن

قال الشاعر :

وما من كاتب إلا سيفنى
ويبقى الدهر ما كتبت يداه
فلا تكتب بكفك غير شىء
يسرك فى القيامة أن تراه

كن على حذر

من الكريم إذا أهنته ، ومن العاقل إذا أحرجته ، ومن اللئيم إذا أكرمته ، ومن الأحمق إذا مازحته .

شكاية صريحة

قدم أمير المؤمنين ـ المنصور ـ حاجا ، فكان يخرج للطواف ليلا وبينما هو يطوف إذ برجل يقول : اللهم إنى أشكو إليك ظهور البغى والفساد فى الأرض ، وما يحول بين الحق وأهله من الظلم والطمع .

فاستدعاه ـ المنصور ـ وسأله ، ما هذا الذى تقول ؟ لقد حشوت مسامعى بما أمرضنى وأقلقنى . فأجابه الرجل : إنما عنيتك بقولى ، وقصدتك ، لا سواك .

دع الأمل

يامن يعد غدا لتوبته
أعلى يقين من بلوغ غد ؟ !
أيام عمرك كلها عدد
ولعل يومك آخر العدد

خير المكاسب وشرها

قيل لبعض الحكماء : ما خير المكسب ؟

قال : خير مكاسب الدنيا طلب الحلال لزوال الحاجة والأخذ منه للقوة على العبادة ، وتقديم فضله لزاد يوم القيامة .

وأما خير مكاسب الآخرة : فعلم معمول به نشرته . وعمل صالح قدمته ، وسنة حسنة أحييتها .

قيل : وما شر المكاسب ؟ قال : أما شر مكاسب الدنيا فحرام جمعته ، وفى المعاصى أنفقته ، ولمن لا يطيع ربه خلفته .

وأما شر مكاسب الآخرة : فحق أنكرته حسدا ، ومعصية قدمتها إصرارا ، وسنة سيئة أحييتها عدوانا .

هل أخذت نصيبك

قال رجل لآخر : إن الحاكم قد أمر لكل مجنون بدرهمين . فقال له : هل أخذت نصيبك ؟

الأعداء .. والأصدقاء

قال حكيم : انتفعت بأعدائى أكثر مما انتفعت بأصدقائى ، لأن أعدائى كانوا يعيروننى بأخطائى فأنتبه لها ، وأصدقائى كانوا يزينون لى الخطأ .

دعاء

اللهم إنى أبرأ إليك من حولى وقوتى ، وألجأ إلى حولك وقوتك ، أحمدك إذ أوجدتنا من العدم ، وفضلتنا على كثير من الأمم .

من قادة الخلفاء الراشدين

الفاروق
عمر بن الخطاب
رضى الله عنه

٣

للأستاذ : أحمد السيد تقى الدين

قادة فتوح الشام :

أبو عبيدة بن الجراح ، خالد بن الوليد ، عمرو بن العاص[1]

توفى الخليفة أبو بكر الصديق ـ رضى الله عنه ـ فى جمادى الآخرة من سنة ١٣ هـ ، ولما تولى عمر بن الخطاب أصدر واحدا من أهم قراراته ، وهو عزل خالد بن الوليد عن قيادة جيش الفتح الإسلامى ، فى الشام وولى بدلا منه أبا عبيدة عامر بن الجراح ، على أن أبا عبيدة لم يُطلع أحدا على خطاب الخليفة له ، حتى انتهت معركة اليرموك ، ولم ينفذ أبو عبيدة أمر الخليفة خجلا من خالد بن الوليد ، فكتب إليه عمر بن الخطاب :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى أبى عبيدة عامر بن الجراح ، سلام عليك ، فإنى أحمد الله الذى لا إله إلا هو ، وأصلى على نبيه محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ وبعد : فقد وليتك أمور المسلمين فلا تستحى فإن الله لا يستحى من الحق ، وإنى أوصيك بتقوى الله ، الذى أخرجك من الكفر إلى الإيمان ، ومن الضلال إلى الهدى ، وقد استعملتك على جند

(١) لا يمكن تناول أعمال كل قائد من هؤلاء فى فتوح الشام كل على حدة لأن الثلاثة شاركوا جنبا إلى جنب فى كل مراحل الفتح ، فضلا عن أن أبا عبيدة كان القائد العام وخالد وعمرو يأتمران بأمره .

خالد ، فاقبض جنده ، واعزله عن إمارته ، ولا تنفذ المسلمين إلى هلكة ، رجاء غنيمة ، ولا تنفذ سرية إلى جمع كثير ، وغض عن الدنيا عينيك ، وإله عنها قلبك ، وإياك أن تهلك كما هلك من كان قبلك ، فقد رأيت مصارعهم ، وخبرت سرائرهم ، وإن بينك وبين الآخرة ستر الخمار ، وكأنى بك منتظر سفرا من دار قد مضت نضارتها ، وذهبت زهرتها ، وأحزم الناس من يكون زاده التقوى »[1] .

وعلم خالد بأمر عزله فأقبل حتى دخل على أبى عبيدة فقال : « يغفر الله لك ، أتاك كتاب أمير المؤمنين بالولاية فلم تعلمنى ، وأنت تصلى خلفى والسلطان سلطانك ؟! » فقال أبو عبيدة : « وأنت يغفر الله لك ، ما كنت لأعلمك ذلك حتى تعلمه من عند غيرى ، وما كنت لأكسر عليك حربك حتى ينقضى ذلك كله ثم قد كنت أعلمك إن شاء الله ، وما سلطان الدنيا أريد ، وما للدنيا أعمل ، وإن ما ترى سيصير إلى زوال وانقطاع ، وإنما نحن إخوان وقوام بأمر الله عز وجل ، وما يضر الرجل أن يلى عليه أخوه فى دينه ولا دنياه ، بل يعلم الوالى أنه يكاد أن يكون أدناهما إلى الفتنة وأوقعهما فى الخطيئة لما يعرض من الهلكة إلا من عصم الله - عز وجل - وقليل ما هم » . فقال خالد : « الحمد لله الذى قضى على أبى بكر بالموت وكان أحب إلىَّ من عمر ، والحمد لله الذى ولى عمر وكان أبغض إلىَّ من أبى بكر ثم ألزمنى حبه »[2] .

ثم كتب عمر بن الخطاب إلى أبى عبيدة : « من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى أبى عبيدة بن الجراح ، سلام عليك ، فإنى أحمد إليك الله الذى لا إله إلا هو ، أما بعد فإنك فى كنف من المسلمين وعدد يكفى حصار دمشق ، فابعث سراياك فى أرض حمص ودمشق وماسواها من الشام ، ولا يمنعك قولى هذا أن تعرى عسكرك ، فيطمع فيك عدوك ، ولكن انظر برأيك فيما استغنيت عنه منهم فسيرهم ، وما احتجت إليه منهم فاحبسه عندك ، وليكن فيمن يُحبس عندك خالد بن الوليد ، فإنه لا غنى بك عنه ، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته »[3] .

فارتحل أبو عبيدة من اليرموك ، ونزل بالجنود على (مرج الصفر) وهو عازم على حصار دمشق فعلم بورود إمدادات جيش الروم من حمص إلى دمشق ، وتجمع جيوش رومية أخرى بـ (فحل) من أرض فلسطين فكتب بذلك إلى عمر بن الخطاب ، الذى رد عليه بقوله : « أن ابدأ بدمشق فإنها حصن الشام ، وبيت مملكتهم ، فانهض لها واشغلوا عنكم أهل فحل بخيول تكون تلقاءهم ، فإن فتحها الله قبل دمشق ، فذلك الذى نحب ، وإن فتحت دمشق قبلها فسر أنت ومن معك ، واستخلف على دمشق ، فإذا فتح الله عليكم فحل فسر أنت وخالد إلى حمص ، واترك عمرا وشرحبيل على الأردن وفلسطين »[4] .

(1) الأزدى ، تاريخ فتوح الشام ص ١٠٢ .
(2) ابن عساكر ، تاريخ مدينة دمشق ٥١٢/١ ، الطبرى ، تاريخ الأمم والملوك ٤٠٢/٣ .
(3) الأزدى / تاريخ فتوح الشام .
(4) البداية والنهاية ٢١/٧ .

فسرح أبو عبيدة إلى فحل جيشا على رأسه (عُمارة بن مخشى) الصحابى فساروا من مرج الصفر إلى فحل ، فوجدوا الروم هناك قريبا من ثمانين ألفا وكتب الله النصر للمسلمين فكانت فحل أول حصن فتح قبل دمشق ، أما أهل فحل فلما رأوا أن المسلمين تغلبوا على الروم فقد سألوا الصلح ٤٦٥ : ٤٦٧م ثم بعث أبو عبيدة جيشا يكون بين دمشق وبين فلسطين ، وبعث (ذا الكلاع) على جيش يكون بين دمشق وبين حمص ليرد من يرد إليهم من المدد من جهة هرقل ، ثم سار أبو عبيدة من مرج الصفر قاصدا دمشق ، وقد جعل خالد بن الوليد فى القلب ، وركب أبو عبيدة وعمرو بن العاص فى المجنبتين ، وعلى الخيل عياض بن غنم ، وعلى الرجالة شرحبيل بن حسنة فقدموا دمشق ، ووقف خالد بن الوليد على الباب الشرقى وباب كيسان ، ونزل أبو عبيدة على باب الجابية الكبير ، ونزل يزيد بن أبى سفيان على باب الجابية الصغير ، وعمرو بن العاص ، وشرحبيل بن حسنة على بقية أبواب البلد ، وأرصد أبو عبيدة أبا الدرداء على جيش بـ (برزة) يكون ردءا له ، وكذا الذى بينه وبين حمص ، وحاصروها حصارا شديدا سبعين ليلة[١] .

خالد بن الوليد:

بعد أن قام عمر بعزل خالد ، عن إمرة الجيش ، كتب إلى الأمصار فى هذا العزل :

« إنى لم أعزل خالدا عن سخطة ولا خيانة ، ولكن الناس فُتنوا به ، فخشيت أن يوكلوا إليه ، ويبتلوا ، فأحببت أن يعلموا أن الله هو الصانع وألا يكونوا بعرض الفتنة »[٢] .

فعمر يدرك تماما قيمة خالد بن الوليد ، فى العمليات الحربية ، فى الشام ، ومن هنا كان نصح عمر لأبى عبيدة « . . . وليكن فيمن يُحبس عندك خالد بن الوليد ، فإنه لا غنى بك عنه . . . » فكان لخالد بن الوليد اليد الطولى فى كل المعارك ، التى خاضها المسلمون بالشام تحت قيادة أبى عبيدة بن الجراح .

وفى حصار دمشق امتنع أهلها غاية الامتناع ، وعجز المسلمون عن اقتحامها ، وفى إحدى الليالى فطن خالد بن الوليد إلى خلو أسوار الباب الشرقى ، من المقاتلة الرومية ، فتسلق السور ، ومعه القعقاع بن عمرو ، ومذعور بن عدى ، وثبتوا عليها سلالم من الحبال ليتسلقها الجيش ، بعد أن أحكموا ربطها أسفل السور ، ثم رفعوا أصواتهم بالتكبير ، فاندفع المسلمون يتسلقون الأسوار ، فى حين انحدر خالد ومن معه داخل الحصن فقتلوا حراس الباب الشرقى ، وفتحوه ؛ لتندفع منه جيوش المسلمين ، عندها فتح أهل دمشق سائر الأبواب طالبين الصلح من سائر أمراء جيوش المسلمين ، فأجابوهم وهم لا يعلمون ما صنع خالد ، فدخلت جيوش المسلمين دمشق ، من كل جانب ، ليجدوا خالد بن الوليد

---

(٢) المصدر السابق ٢١/٧ ، ٢٢ .

(٢) على المتقى ، كنز العمال ٣٠/٦ ط حيدر اباد ـ الدكن نقلا عن محمد حميد الله ، مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوى والخلافة الراشدة ص ٤٥٨ ، ٤٥٩ ط ١٩٨٥ دار النفائس / بيروت .

يقتل كل من يجده فقالوا له : « إنا قد أمناهم » فقال خالد : إنى فتحتها عنوة . على أن أبا عبيدة اختار أن يعقد الصلح لأهل دمشق ، وكتب خالد عهد الصلح ، وكان ذلك فى رجب ١٤ هـ وتضمن كتاب الصلح الأمان على الدماء والأموال والكنائس(٢) .

ثم انطلق خالد بأمر أمير الجيش أبى عبيدة بن الجراح إلى البقاع ، ففتحه بالسيف(٣) واتجه منها إلى بعلبك التى رأى أهلها أنه لا أمل لهم ، فبعثوا فى طلب الصلح ، فكتب خالد بذلك إلى أبى عبيدة الذى وافق وكتب لهم كتابا أمنهم على أنفسهم وأموالهم ، وكنائسهم ، وأجلهم إلى ربيع الآخر ، وجمادى الأولى ، فمن أراد الجلاء سار إلى حيث شاء ، ومن أقام فعليه الجزية(٣) .

وواصل أبو عبيدة السير بالجيش ومعه خالد بن الوليد ، حتى بلغوا حمص ، فى شتاء عام ١٥ هـ فحاصروها حصارا شديدا ، فلما اشتدت وطأة الحصار على الروم ، أخرجوا جيشا كبيرا ، تصدى له خالد بن الوليد الذى صاح فى رجاله : « ياأهل الإسلام الشدة الشدة » فحملوا على الروم حملة صادقة حتى اضطروا للانسحاب فبعث خالد فى أعقابهم (ميسرة بن مسروق العبسى) الذى طاردهم ثم حمل عليهم فهزموهم(٤) .

فلما اشتد الحصار على أهل حمص خشوا من السبى فأرسلوا إلى أبى عبيدة طالبين الصلح فصالحهم وأمنهم على أنفسهم ، وأموالهم وكنائسهم ، على أن يضيفوا المسلمين يوما وليلة وعلى ألا يعمروا بيعهم ، وصالحوا على أرض حمص كلها على أن عليهم مائة ألف دينار وسبعين ألف دينار .

فكتب أبو عبيدة إلى عمر يخبره بفتح حمص : « بسم الله الرحمن الرحيم ، لعبد الله عمر أمير المؤمنين من أبى عبيدة بن الجراح ، سلام عليك ، فإنى أحمد إليك الله الذى لا إله إلا هو ، أما بعد فالحمد لله الذى أفاء علينا وعليك ، أفضل كورة بالشام أهلا وقلاعا ، وأكثرهم عدة وجمعا وخراجا ، وأكبتهم للمشركين كبتا ، وأيسره على المسلمين فتحا ، أخبرك يا أمير المؤمنين أصلحك الله أنا قدمنا بلاد حمص يزفونهم بيأس شديد ، فلما دخلنا بلادهم ألقى الله الرعب فى قلوبهم ، ووهن كيدهم ، وقلم أظفارهم وسألوا الصلح وأذعنوا بأداء الجزية ، فقبلنا منهم وكففنا عنهم ، وفتحوا لنا الحصون ، واكتتبوا منا الأمان وقد وجهنا الخيول إلى الناحية التى فيها ملكهم وجنوده ، فنسأل الله مالك الملوك وناصر الجنود أن يعز المسلمين بنصره ، وأن يسلم المشرك الخاطىء بذنبه والسلام عليك » .

فرد عليه عمر بكتاب جاء فيه « أما بعد : فقد بلغنى كتابك تأمرنى فيه بحمد الله على ما أفاء الله علينا من الأرض وفتح علينا من القلاع ، ومكن لنا فى البلاد وصنع لنا ولكم ، وأبلانا وإياكم من

(٢) البداية والنهاية ٢١/٧ : ٢٧
(٣) المصدر السابق ٢٧/٧ .
(٣) البلاذرى ، فتوح البلدان ص ١٢٩ : ١٣٠ .
(٤) الأزدى ، تاريخ فتوح الشام ص ١٤٥ .

حسن البلاء ، فالحمد لله حمدا كثيرا ليس له نفاد ، ولا يُحصى له تعداد ، وذكرت أنك وجهت الخيول نحو البلاد التى فيها ملك الروم وجموعهم ، فلا تفعل ، وابعث إلى خيلك فاضممها إليك ، وأقم حتى يمضى هذا الحول ، ونرى من رأينا ونستعين بالله ذى الجلال والإكرام على جميع أمورنا . والسلام »[1] .

ثم بعث أبو عبيدة خالد بن الوليد إلى قنسرين ، فلما جاء ثار إليه أهلها ومن عندهم من نصارى العرب فقاتلهم خالد قتالا شديدا وهُزم الروم هزيمة منكرة ، فلما رأى حلفاؤهم من نصارى الأعراب ذلك لجأوا إلى حصنهم فتحصنوا به ، فقال لهم خالد : « لو كنتم فى السحاب لحملنا الله إليكم أو لأنزلكم إلينا » ولم يزل خالد بهم حتى فتحها الله عليه .

وبلغ عمر ما فعل خالد بقنسرين فقال : « أمر خالد نفسه ، يرحم الله أبا بكر ، كان أعلم بالرجال منى ، إنى لم أعزله عن ريبة ولكن الناس عظموه فخشيت أن يوكلوا إليه »[2] .

على أن عمر بن الخطاب علم بعد ذلك أن أهل قنسرين أرسلوا إلى أبى عبيدة يطلبون الصلح ، فأجابهم إليه فى حين اقتحمها خالد ، وأخربها فرأى عمر أن خالد تجاوز حدوده ، واقتحم قنسرين عنوة برغم أمان أبى عبيدة فعزله عن قنسرين ، فلما استبان لعمر أن خالد اقتحم قنسرين ولم يعلم بأمان أبى عبيدة لأهلها ، أرسل له يقول « إنك علىّ لكريم وإنك عندى لعزيز ، ولن يصل إليك منى أمر تكرهه بعد ذلك »[3] .

ورحل أبو عبيدة إلى حلب فضرب الحصار على أهلها حتى طلبوا الصلح ، فأمنهم على أموالهم وأنفسهم وكنائسهم وسور مدينتهم ومنازلهم ، والحصن الذى بها .

ولكن هرقل مالبث أن أعاد تجميع جيوشه وحاصر أبا عبيدة وجيشه بحمص ونصح خالد أبو عبيدة بالخروج ومناجزة الروم ، ولكنه فضل التحصن بحمص نزولا على رأى أغلب أمرائه ، وأمر بإخلاء دمشق وسحب حاميتها حتى يتجمع له أكبر عدد ممكن فى مواجهة الروم ، ورد لأهل دمشق ما أخذه منهم من الجزية التى كانت تجبى نظير الحماية فقال أهل دمشق للمسلمين : « ردكم الله إلينا ولعن الذين كانوا يملكوننا من الروم ، ولكن والله لو كانوا هم ما ردوا علينا بل غصبوا وأخذوا مع هذا ما قدروا عليه من أموالنا » .

وكتب أبو عبيدة بذلك إلى عمر بن الخطاب وجاء فى كتابه :

« أما بعد فإن عيونى قدمت على من أرض عدونا ، من القرية التى فيها ملك الروم ، فحدثونى بأن الروم قد توجهوا إلينا ، وجمعوا لنا

(١) الأزدى ، تاريخ فتوح الشام ص١٤٥ : ١٤٨ .
(٢) البداية والنهاية ٥٨/٧ ، ٥٩ .
(٣) البداية والنهاية ١٢٧/٧ ، وذلك خلافا لما هو سائد بين المؤرخين ، وبنيت رايى هذا على ما اورده البلاذرى فى فتوح البلدان ص ١٧٢ من ان ابا عبيدة كتب كتابا لاهل قنسرين يؤمنهم فيه على انفسهم ، وعلى ما ذكره ابن كثير فى البداية والنهاية ٥٨/٧ من ان خالدا دخلها عنوة اما ما يقال من ان عمر عزل خالدا لبذله المال لذوى الشرف واللسن او لسابق عداوة بينهما ، او قصة مالك ابن نويرة ، فهى امور تاباها سيرة رجلين من عظماء التاريخ الإسلامى .

من الجموع ما لم يجمعوه لأمة قط كانت قبلنا . وقد دعوت المسلمين فأخبرتهم الخبر ، واستشرتهم فى الرأى . فأجمع رأيهم على أن يتنحوا عنهم حتى يأتينا رأيك . وقد بعثت إليك رجلاً عنده علم ما قلنا ، فسله عما بدا لك ، فإنه بذلك عليم ، وهو عندنا أمين . ونستعين بالله العزيز العليم ، وهو حسبنا ونعم الوكيل . والسلام عليك »[1] .

فرد عليه عمر بقوله :

بسم الله الرحمن الرحيم .

من عبد الله عمر أمير المؤمنين ، إلى أبى عبيدة ابن الجراح ، وإلى الذين معه من المهاجرين والأنصار والتابعين بإحسان والمهاجرين فى سبيل الله .

السلام عليكم . فإنى أحمد إليكم الله ، الذى لا إله إلا هو . أما بعد فإنه بلغنى توجيهكم من أرض حمص إلى أرض دمشق ، وترككم بلاداً قد فتحها الله عليكم ، وخليتموها لعدوكم ، وخرجتم منها طائعين . فكرهت هذا من رأيكم وفعلكم . وسألت رسولكم : أعن رأى من جميعكم كان ذلك ؟ فزعم أن ذلك كان من رأى خياركم وأولى النهى منكم وجماعتكم . فعلمت أن الله عز وجل لم يكن ليجمع رأيكم إلا على توفيق وصواب ورشد فى العاجلة والعاقبة . فهون ذلك علىّ ما كان دخلنى من الكراهية قبل ذلك لتحويلكم . وقد سألنى رسولكم المدد لكم . وأنا ممدكم قبل أن تقرءوا كتابى هذا ، وأشخص إليكم المدد من قبل إن شاء الله تعالى . واعلموا أنه ليس بالجمع الكثير كنا نهزم الجمع الكثير ، ولا بالجمع الكثير كان الله تعالى ينزل النصر عليهم . ولربما خذل الله الجموع الكثيرة فوهنت ، وفلت وفشلت ، ولم تُغن عنهم فيئتهم شيئا . ولربما نصر الله العصابة القليل عددها على الكثير عددها من أعداء الله تعالى . فأنزل الله تعالى عليكم نصره ، وعلى المشركين من أعداء الله تعالى وأعداء المسلمين بأسه ورجزه والسلام عليكم » .[2] .

وكتب عمر بن الخطاب إلى سعد بن أبى وقاص بالكوفة أن يندب الناس مع القعقاع بن عمرو ويسيرهم إلى حمص من يوم يقدم عليه الكتاب نجدة لأبى عبيدة ، وأن يجهز جيشا يُسيره إلى أهل الجزيرة الذين مالأوا الروم على حصار أبى عبيدة ، فوجه سعد بن أبى وقاص جيشين .. واحد عليه القعقاع بن عمرو التميمى ، والآخر عليه عياض بن غنم لنجدة أبى عبيدة فحلت الهزيمة بالروم[3]

« يتبع »

---

(1) الوثائق السياسية ص ٤٧٠ .

(2) المصدر السابق ص ٤٧١ .

(3) البداية والنهاية ٨٤/٧ .

الثقافة أولاً..

للأستاذ الدكتور : محمد عبد المنعم خفاجي

- ١ -

هل صرنا أمة لا تقرأ ؟

إن أساس حضارة الأمم هو الثقافة ، والثقافة أساسها القراءة ، ولذلك أعجبنا الإعجاب كله بحركة دفع الشباب للقراءة ، وحثهم عليها ، وإصدار المكتبات الثقافية اللازمة لنمو عقليتهم ، ولتغذية مواهبهم وإبداعاتهم ، حتى يمكن أن يشاركوا فى حركة الثقافة ، وفى بناء شخصية الأمة وحضارتها ، وحين نزل القرآن الكريم نادى أولا بوجوب القراءة كأساس لبناء الأمة الإسلامية ، فقال تعالى : ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴾ .

والإنسان العربى ، والمسلم بصفة خاصة ، عليه - فى المجتمع المعاصر - أن يعى تمام الوعى أن تراثه هو ثقافته الأصيلة التى يجب أن يتسلح بها ، وأن تكون عنده هى الأساس لأى بناء فكرى يتحدى الزمان والمكان ، ويواجه الحياة فى القرن الجديد .

ثقافتنا العربية الإسلامية هى القادرة على بناء الإنسان روحيا وخلقيا واجتماعيا ، وعلى صنع الحاضر والمستقبل لأمتنا ، وعلى مضاعفة قوة انتماء الإنسان المسلم لوطنه ومجتمعه ، بل ولدينه وللإنسانية عامة ؛ وعلى خلق فرص النجاح أمامه فى معايشة الحضارة العالمية بكل مذاهبها ومعتقداتها بسلام ووئام .

وهذه الثقافة الأصيلة هى الحافز لنا على تأسيس بناء تام ، وبنية قوية للمجتمع الثقافى بصفة خاصة ، وللمجتمع العربى الإسلامى بوجه عام .

إنها هى التى ستقودنا للعمل من أجل تبادل المعرفة بيننا وبين الحضارة الراهنة ، والعمل الدائب لنشر السلام بين حضارة الشرق وحضارة الغرب .

والمستقبل القريب يحمل لنا تحديات لابد من أن نستعد دائماً لمواجهتها ، بكل طاقاتنا الروحية والفكرية والثقافية ، وبالتسلح بتراثنا الإسلامى العربى بكل أبعاده ، لأن الثقافة ليست إبداعا فى الأدب ، وارتقاء بالفكر فحسب ، بل هى شاملة للعلم والمعرفة ولفهم جوانب الحياة الاقتصادية والاجتماعية وكل الحقوق الشخصية والإنسانية .

ثقافتنا وحدها قادرة على العمل من أجل احتفاظنا بشخصيتنا وهويتنا المستقلة العاملة على مسايرة التطورات العالمية المتلاحقة ليكون لنا دورنا الفعال الذى نشارك به العالم فى صنع الحياة .

أما الذين ينادون بأن الفكر الغربى يجب أن يكون أساس ثقافتنا وهويتنا العقلية ، فهم جد مخطئين ، لأنهم يتناسون الفروق الجوهرية بيننا وبين الغرب ، وأن هذا الفكر قد أفلس روحياً وأخلاقياً وإنسانياً .

وإن كان هو الذى يسير الحضارة الراهنة بقوة العلم وحده ؛ وهم يزعمون أن التنوير ضرورة لنا ، لنصنع حضارة جديدة ، ويريدون من التنوير جانبه العلمانى المادى الملحد والمظلم ، ويتناسون أن مصطلح التنوير إنما يعبر عن مرحلة عصر النهضة ؛ وهو عصر معركة دارت فى أرض أخرى ، ولأغراض ليست هى التى تمثل أمامنا الآن فى أرض الواقع العربى الإسلامى المعاش ، وينادى هؤلاء المضللون بالمجتمع المدنى ، وليس المجتمع المدنى إلا خروجا على شريعة السماء وعلى منهج القرآن ، وهو مع ذلك ليس إلا وصفا للسوق الرأسمالية لا أكثر ولا أقل ، كما أنه بعيد عن قيمنا وتراثنا وفكرنا وأخلاقنا وحياتنا الروحية والاجتماعية ، وهؤلاء التنويريون ، ومثلهم الحداثيون قد أصبحوا يؤمنون بالغيبيات التى كانوا يرفضونها من قبل ، مثل إيمانهم بحتمية التطور ، وبما يسمونه حتمية التاريخ ، وشأنهم فى ذلك شأن العلمانيين والماديين والوجوديين وكافة أصناف الملحدين المنكرين للدين ولرسالات السماء . .

-٢-

ثقافتنا العربية الإسلامية هى التى أخرجت لنا أعلام الفكر الإسلامى طيلة ألف وأربعمائة عام ؛ أخرجت لنا أمثال أبى حنيفة ومالك والشافعى وأحمد بن حنبل ، كما أخرجت لنا أمثال الفارابى وابن سينا والغزالى وابن رشد ، وأخرجت لنا أمثال الأصمعى والجاحظ والتوحيدى ، وأمثال أبى تمام والبحترى وابن الرومى والمتنبى والمعرى والشريف الرضى وأحمد شوقى وحافظ إبراهيم وأبى ريشة ، وأمثال محمد عبده والعقاد وطه حسين ، ومصطفى لطفى المنفلوطى ، ومصطفى صادق الرافعى والزيات وأحمد أمين ومصطفى عبد الرازق وأضرابهم ؛ كما أخرجت لنا أمثال جابر بن حيان وجعفر الصادق والرازى والبيرونى ، وأخيراً على مصطفى مشرفة وفاروق الباز وأحمد زكى وأحمد زويل وسواهم .

فثقافتنا تشمل علوم الشريعة ، وأصول الدين ، وكافة علوم الإسلام وثقافاته المستمدة من الكتاب والسنة وإجماع السلف الصالح واجتهادات المجتهدين الأولين فى الإسلام وأصحاب المذاهب الإسلامية الصحيحة ، كما تشمل كذلك الثقافة العلمية بشتى فروعها ، وثقافات علوم العربية وآدابها وبلاغتها ؛ وهى التى صنعت الأعلام والموهوبين طيلة تاريخنا الممتد عبر أربعة عشر قرنا من الزمان .

حدثنى بربك عن ثقافة الغرب ، وماذا أدت إليه فى بلادنا من صنع التبعية ، وفقدان الشخصية وضياع النبوغ ، وانهيار القيم ، وذوبان الذاتية وضعف الروح ، وعدم القدرة على تحمل المسئولية ، وبحسبنا ما قرأناه من أن آلافا من الشباب الجامعيين دخلوا مسابقة عامة . . فلم ينجح منهم أحد .

ونحن نعلم أن إخواننا المسيحيين فى مصر نبغ منهم الكثير ، ممن رضعوا أفاويق الثقافة العربية أولا وقبل كل شىء وحدها ، وبعضهم كان يحفظ العديد من آيات القرآن الكريم ، والحديث النبوى الشريف ، والكثير منهم قرأوا الشعر العربى فى مختلف عصوره ، وحفظوا منه العديد من قصائده البليغة .

وهذه الثقافة العربية الإسلامية ، التى يمثلها لنا تراثنا الخالد ، قد أخذت أبدع ما فى الثقافات العالمية وأضافته إليها نسيجا حياً متجدداً نابضا بالحياة والقدرة على العمل وعلى صنع الحضارة .

والتراث الإسلامى حافل بالموسوعات الضخمة فى شتى العلوم ، وفى مقدمتها علوم الشريعة والفقه والأصول والتفسير والحديث والتوحيد ، إلى علوم التاريخ وتقويم البلدان ، وعلوم الطب والكيمياء والهندسة والحساب والجبر والفلسفة والطبيعة والرياضيات ، وإلى علوم اللغة والأدب والنقد والشعر ومختلف الموسوعات الأدبية ، وإلى القصص والأسمار وكتب الرحلات وكتب الطبقات والسيرة ، وإلى كتب تاريخ المدن ودوواين الشعراء وبلاغات البلغاء ، وسوى ذلك كله من علوم الدين والدنيا ، وعلوم الحكمة والزهد والتصوف والأخلاق .

وأدباؤنا فى شبابهم كانوا أمثلة رفيعة للنبوغ والموهبة والقدرة على الاستيعاب .

كان كامل كيلانى مؤلف كتب أدب الأطفال يحفظ وهو تلميذ فى المدرسة الابتدائية عشرة آلاف بيت من الشعر العربى : وكان العقاد وهو تلميذ فى الابتدائية يقرأ الأدب الإنجليزي ويترجم منه .

تراثنا العربى الإسلامى صنع الرجال والنبوغ والعبقريات فى شتى علوم الدين واللغة والأدب والشريعة والفقه والفلسفة والتاريخ وغيرها .

وابن رشد كان إمام الجامعات فى الغرب فى عصر النهضة ، وابن خلدون مبتكر علم الاجتماع مازال الغرب يقر بعبقريته ، ونظريات الفقه المالكى كانت أساس قانون نابليون .

عظمة الثقافة العربية الإسلامية ليست مجالا لإنكار منكر ، ولا لجحود جاحد . . إنها هى التى أضاءت الشرق والغرب ، وهزت الجامعات وصنعت المواهب والعبقريات .

أيها الإنسان العربى :

أيها الإنسان المسلم :

احتفل بثقافاتك الأصيلة ، وأقبل عليها ، وتزود من زادها ؛ فهى وحدها القادرة على صنع المعجزات ، وهى وحدها المجلية للمواهب ، والصانعة للنبوغ ، وهى وحدها القادرة على بناء الإنسان ، وتجديد الحياة وصنع الحضارة .

إن الثقافة العربية الإسلامية هى ثقافة القرآن الكريم ، والحديث النبوى الشريف ، ثقافة الإمام على بن أبى طالب وكتابه « نهج البلاغة » ، ثقافة ابن المقفع فى كتبه من أمثال : « الأدب الصغير » و « الأدب الكبير » و « الأدب الوجيز » ، ثقافة المبرد فى كتابه « الكامل » وابن المعتز فى كتابه « البديع » ، وثعلب فى كتابه

« قواعد الشعر ، والاصمعى فى كتابه « فحولة الشعراء » ، وابن سلام فى كتابه « طبقات الشعراء » ، وقدامة فى كتابه « نقد الشعر » ، ثقافة الشافعى فى كتابيه : الأم والرسالة ، إلى غير ذلك من الأعلام ومن تراثهم الخالد .

إن ظاهرة ضعف طلابنا فى اللغة العربية منشؤها أنهم أولاً لايقرأون ، وأن ملهيات الشباب صرفتهم اليوم عن القراءة ، وأنهم ثانياً قد طرحوا التراث العربى كله جملة وراءهم ظهريا ، فهم لا يعرفون الجاحظ مثلا ولا كتبه : « البيان والتبيين » و « الحيوان » ، و « البخلاء » ، وما إلى ذلك كله ، بل هم لا يقرأون أدب الرافعى والعقاد وطه حسين وتوفيق الحكيم والزيات وأحمد أمين وزكى مبارك وغيرهم ، وهذا الأدب عربى إسلامى صرف ، وهو تراث قريب . وإذا كان لهم العذر فى عدم قراءتهم للتراث البعيد ، فما عذرهم فى هذا التراث الذى لم يغيب عنا إلا عشرات السنين .

وحسنا تفعل هيئة الكتاب المصرية فى نشرها أولا لأمهات كتب التراث ، وثانياً لنشر ملخصات لهذه الكتب تعد تهذيبا لها ، وتقريبا لأفكارها إلى شباب اليوم .

وإذا سألت شباب الجامعات اليوم عن على مصطفى مشرفة ، أو الدكتور أحمد زكى ، أو مصطفى لطفى المنفلوطى ، أو المويلحى ، أو عبد العزيز البشرى ، أو عبد الرحمن عزام أو محمد الخضر حسين ، أو الكثير من أعلامنا المعاصرين ؛ لم تجد عندهم جوابا .

ومن من الشباب اليوم قرأ عودة الروح أو عصفور من الشرق ، أو آلام فرتر أو ماجدولين ، أو حديث عيسى بن هشام مثلاً ؟

لنعد إلى الثقافة الأصيلة وأعلامها وذخائرها لا عودة المستقل بها وحدها ، ولكن عودة المشاركة بينها وبين ثقافة اليوم حتى لا نتهم بالجمود وبالوقوف عند منبع واحد من منابع الثقافة الإنسانية كما يقولون .

إن منبعنا الثقافى الأصيل هو قبل كل شىء هو فى ثقافتنا العربية الإسلامية : ثقافة القرآن واللغة العربية الشامخة والتاريخ والحضارة ، والتراث العربى العظيم .

« وعن عائشة - رضى الله عنها - أنها سألت رسول الله - ﷺ - عن الطاعون فأخبرها أنه كان عذاباً يبعثه الله تعالى على من يشاء فجعله الله تعالى رحمة للمؤمنين ، فليس من عبد يقع فى الطاعون فيمكث فى بلده صابراً محتسباً يعلم أنه لا يصيبه إلا ما كتب الله له إلا كان له مثل أجر الشهيد » . رواه البخارى .

من أعلام الأزهر

محمود خطاب السبكى

مؤسس الجمعية الشرعية وداعية الإسلام بمصر (٢)

للدكتور / محمد رجب البيومى

يقول الأستاذ الزعيم احمد حسين رئيس حزب مصر الفتاة بمصر عن الأستاذ السبكى (١) :

« إنى أتصور أن حركة « السبكية » كما كانت تسمى نسبة إلى مؤسسها المغفور له الشيخ محمود خطاب السبكى هى أحد ردود فعل مصر الإسلامية ضد الاحتلال الإنجليزى .

(١) مجلة المختار الإسلامى ، رمضان سنة ١٤٠٨ هـ نقلا عن مقال للأستاذ احمد حسين نشر بمجلة الاعتصام ، ذى الحجة سنة ١٣٩٥ هـ .

لقد كان الاحتلال الإنجليزى لمصر صدمة مدوخة ، إذ لأول مرة وجد مسلمو مصر أنهم محكومون بقوة غير إسلامية ، فأخرج هذا الشعب من صفوفه من راح يحاول وضع يده على سبب هذه النكبة ، فذهب بعضهم إلى أن السر فيها يرجع إلى قلة التعليم ، فاندفعوا يبشرون بوجوب نشر التعليم وفتح المدارس ، وقال آخرون : إنما هو انعدام الوعى السياسى ، فراحوا ينشئون الأحزاب ، ويُصدرون الصحف ، وقال ضمير الشعب الممعن فى الإيمان أن السر هو فى انحراف المسلمين عن دينهم ، وعليهم أن يتمسكوا بما كان عليه السلف الصالح تصديقاً لقول نبيهم : « تركت فيكم ماإن تمسكتم به لن تضلوا بعدى أبدا ، كتاب الله وسنتى » ، وهكذا كان الشيخ محمود خطاب السبكى تُرجماناً لمشاعر الشعب .

وتعبيراً عن إرادته فى النهوض والإصلاح والتحرير عن طريق العودة إلى الإسلام عند منابعه الأولى ، إن الذى أتصوره فى عمل الشيخ محمود أنه أنشأ مزرعة روحية لإعادة مجد الإسلام عن طريق اتباع الكتاب والسنة كما طبقها السلف الصالح ، وسُرعان ماازدهرت هذه المزرعة وبدأت تؤتى أكلها فراحت تقدم للمصرى أروع النماذج والمثل ، فى شتى أنواع الأنشطة ، فعندما قامت ثورة ١٩١٩ ، هذا الحدث العجيب الذى حطم كبرياء الإنجليز وجبروتهم ، مما استرعى الانتباه إلى الدور العظيم الذى قامت به ورش العنابر التابعة للسكك الحديدية ، وقد كشفت الأيام أن قائد هذا العمل من أعظم من عرفت مصر ، كان هو الشيخ أحمد جاد الله ، وقد قدم للمحاكمة فى مقتل السير لى ستاك الإنجليزى وعشرات الإنجليز من قبله ، ولم يكن الشيخ أحمد جاد إلا عضواً من أصدق أعضاء الجمعية الشرعية » .

هذا قليل من كثير قاله الزعيم أحمد حسين ، وقدآثرت الاستشهاد به ، لأن بعض القراء لا يصدقون روعة هذه الأعمال الباهرة التى بلغت حد الاستشهاد فى سبيل الله إلا إذا هتف بها كاتب كبير ، وها هو ذا الأستاذ أحمد حسين ينطق بأثر الإسلام فى تربية النفوس ، ورفع مستواها إلى منزلة الاستشهاد ، ولكن كيف ألفت هذه الجمعية الشرعية التى آتت هذا الثمر العجيب ؟

فى المحرم من سنة ١٣٣١ هـ - ١٩١٢ م أسس الإمام محمود الجمعية ووضع لها نظاماً خاصاً لتكون على أسس ثابتة يؤكدها القانون المدون باتفاق جميع الأعضاء على تنفيذ نصوصه ، وكان الوعظ الدينى ، والإرشاد القرآنى هو الأساس الأول الذى ترتكز عليه الجمعية لتلفت المسلمين إلى واجبهم الحضارى ، فاهتم الإمام باختيار طائفة من زملائه وتلاميذه ، وحدد لكل أستاذ مكان عمله ، وبرنامج وعظه ، وجعل اجتماع الجمعية محدداً بليلة الخميس من كل أسبوع ، إلا إذا طرأ عاجل يستدعى جلسة سريعة ، وكانت محاضر الجلسات تدون فى سجل خاص يوقع عليه الجميع ، ثم طبع قانون الجمعية وتقدم به إلى الجهات المسئولة فوافقت عليه ، وأبرز ما قام به

الأستاذ منذ تألفت الجمعية الشروع فى بناء عدة مساجد خاصة بالجمعية ، وقد عدَّ بعض الناقدين هذا العمل اعتزالاً عن كافة الناس ، وهو نظر قاصر ، لأن مساجد الجمعية تفتح أبوابها لكل وافد ، ولكن المساجد العامة التابعة لوزارة الأوقاف لا يمكن من المنبر والوعظ غير الخطيب الرسمى المعين من الوزارة ، فكيف يقوم خطيب الجماعة بإيضاح أغراضها الإسلامية وهو ممنوع من مزاولة جهاده على نحو متصل ، ولم يكن دور المساجد مقصورا على الصلاة والخطبة الأسبوعية ، بل كان لكل مسجد برنامجه التعليمى ، وقد ألحقت به مدارس لتعليم القرآن وتحفيظه ، ومدارس لدراسة قواعد الدين واللغة ، فكانت بمثابة معاهد دينية تؤازر الأزهر فى أداء رسالته ، وكانت نشأة الإمام فى الريف ، ومزاولته العمل فى الزراعة والصناعة ناهضة به إلى التفكير فى إنشاء دورات مهنية لتعليم الفتيات ما يحتجن إليه من أمور الحياكة والتطريز وتدبير المنازل حتى يستطعن التكسب العملى من هذه المهمة ، ولا يكن عالة على التبرعات التى يجود بها الناس على فترات متقطعة لا تتصل ، مع تقديم دروس دينية لهن يعرفن بها كيف تنشأ الفتاة المسلمة فى ظل التربية الدينية .

أما الأمر الباهر حقاً فهو ما وجد لأول مرة بالمساجد الدينية ، وهو إحداث مستوصفات للعلاج فى كل حى يقوم به المسجد ، بأجور رمزية مع تيسير أدوات الفحص الطبى ، ونحن نرى الآن مئات المستشفيات الملحقة بمساجد الدولة ، ولكن الذى أنشأ هذا المرفق وبدأ بتنفيذه لأول مرة هو الشيخ محمود خطاب السبكى ، ومن سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم الدين ، وما نقوله عن المستشفيات الملحقة بالمساجد نقوله عن فصول التقوية التعليمية التى كانت إحدى مهام المسجد ، فقد شاء الأستاذ أن يكون المسجد صورة مصغرة للأزهر ، فدعا التلاميذ إلى الاستماع إلى دروس تتصل بمقررات المدرسة ، يكون التعليم بها مجاناً دون مقابل ، ويضاف إليها درس التربية الدينية إذ كان هذا الدرس مهملاً أو كالمهمل فى مدارس الدولة حينئذ ، ويذكرنا هذا بإنشائه معاهد عالية تلحق بالمساجد لتخريج الدعاة ، إذ أن خطيب المسجد المعين من الجمعية لا يبلغ هذا المبلغ إلا بعد دربة وامتحان ، وعليه أن يختار من أبناء الحى من يراه مناسباً لأن يكون واعظاً فيما بعد ، فيشجعه على الالتحاق بمعاهد الجمعية التى كانت تسمى (معاهد الإمامة) ولها لائحة تعليمية ذات مواد أصيلة فى التربية الثقافية إذ يتضمن الفقه والحديث والتفسير والتاريخ الإسلامى والتربية الخلقية ، ومدة الدراسة عامان يصل فيهما الطالب إلى مبتغى الجماعة من إنشاء هذا التعليم ، ويعقد له امتحان يقدر مدى كفاءته العلمية !! كل ذلك قامت به الجمعية على نسق رتيب .

وبعض الناس يحاولون انتقاص هذه المدارس بمقارنتها بمدارس الجمعية الخيرية الإسلامية التى أنشأها الأستاذ الإمام محمد عبده ، ولعمرى هذا هو الخطأ بعينه ، فقد كان للأستاذ الإمام منزلته الكبيرة لدى أغنياء الدولة وكبار الباشوات والأعيان ممن أيقظ فيهم حاسة التدين ، ودفعهم إلى التبرع السنوى للجمعية ، بل دفعهم إلى تحديد أوقاف كبيرة ذات ريع سنوى تحفظ به

الجمعية مستواها المالى ، وطاف الأستاذ الإمام بنفسه على منازل الكبار من الأثرياء ، فاستجابوا إلى رجائه ، وأنشىء مجلس الإدارة برئاسته ضاما كبار الوجهاء من المصلحين ذوى المناصب المرموقة ! وقد قامت الجمعية بواجبها المشكور فأسست المدارس وأقامت المبرات الخيرية ، ووزعت أجوراً شهرية على المعوزين والمحتاجين ، وذلك فضل باهر لا ينكر ، ولكن لا يجب أن يكون هذا الفضل مدعاة لإنكار فضل آخر قام به إمام مخلص لم يتيسر له أن يعتمد على الكبار من أصحاب الجاه والنفوذ ، فاعتمد على من يراهم أهل الخير من إخوانه وزملائه ، وممن يعرفون إخلاصه وحرصه على النفع العام ، وشاء الله لعمله أن يثمر فى حياته وفيما بعد وفاته حتى أصبح الآن عملاً ضخماً يحتل أرقى الأحياء ، وبه الأجهزة الكاملة على أحدث طراز ، وقد فترت الجمعية الخيرية على غير ما نود ، ونهضت الجمعية الشرعية لتؤدى رسالتها بنجاح .

وقد نسيت أن أتحدث عن مجهود اقتصادى باهر أشار إليه الأستاذ محمد أحمد بدوى عضو إدارة مجلس الجمعية فى مقال علمى نشره بمجلة المسلم المعاصر(١) حيث قال :

« كانت نظرة الشيخ « محمود خطاب السبكى » مترامية الأطراف ، فلم يُهمل فى تجربته النواحى الاقتصادية والسياسية والاجتماعية ، لأن مشكلات التخلف يأخذ بعضها برقاب بعض وعلاجها يتداعى فيه جزء إلى جزء ، فقد بدأ الاتجاه الاقتصادى بتصنيع أقمشة لدى الغير بتصميمات يضعها الشيخ بنفسه ، ويختار لها الألوان ، والمواد الخام ، واعتمدت الجمعية وكلاء للتوزيع ، ثم أنشأت مصنعاً يدوياً خاصاً بها ، بدلاً من تشغيل الآلات المؤقتة التى ابتكرها الشيخ (خارج الجمعية) ، وأعدت معرضاً للمنتجات فى مقرها ، مع بقاء الوكلاء فى الأقاليم ، وزادت شهرة المنسوجات وجودتها ، حتى صارت تصدر إلى السعودية وإلى فلسطين » .

هذا بعض الجهد الاقتصادى الذى أشار إليه الكاتب الفاضل ، وفيما ذكرناه إشارة إلى بعض نواحى الجهد الاجتماعى ، أما الجهد السياسى ، فلا تخفى معالمه ، لأن الإسلام دين ودولة ، فالسياسة لا يمكن فصلها عنه ، ومن يظنون الإسلام علاقة بين العبد وربه فقط ينكرون ذلك فى أعماقهم - إن كانوا مسلمين - ولكنهم يجهرون بغير ما يعتقدون رغبة فى نفع عاجل ، أو خضوعا لرؤساء يرون فيهم النفع الخاص لهم ، وهم فى كل ذلك أذناب لا رءوس ، وقد ارتاب الاحتلال الإنجليزى بدروس الشيخ منذ بدأ يلقيها بالجمعية الشرعية ، وقام الدخلاء بمراقبة هذه الدروس ، ثم بادروا بالقبض عليه توهماً لمراسلات بينه وبين تركيا عاصمة الخلافة الإسلامية ، وتم تفتيش منزله بحثاً عن هذه المراسلات ، وأودع السجن بغيا وعدواناً ، فظل مضربا عن تناول الطعام ، حتى علمت أسرته ، فكانت تنفذ إليه ما يقوته بمجاهدات شاقة فى هذا السبيل ، وظل معتقلاً ثلاثة أشهر ، دون تحقيق ، لأن الأدلة اليقينية

(١) مجلة المسلم المعاصر العدد ٤٩ سنة ١٤٠٨ هـ ص ١٣٧ .

مفقودة ، ولما قامت الحرب العالمية الأولى أصدر الحاكم العسكرى قراراً يمنع الشيخ من مزاولة عمله بالجمعية والمسجد ، وأوقفت تبعاً لذلك محاضر جلسات الجمعية ، وكل ذلك لم يمنع الشيخ من المناداة بضرورة الاحتكام إلى كتاب الله ومنع القوانين الأجنبية ، كان يهتف بذلك فى جميع دروسه ، ثم سجل رأيه الصريح فى الجزء الخامس من الدين الخالص حيث قال[1] : « إن المسلمين الآن تحت سيطرة غيرهم لأنهم لم يقيموا الدين كما أمروا ، بل أفرطوا فى تقليد الأجنبى فى الضار دون النافع فقلدوه فى أكل الربا وشرب الخمر ، وإباحة الزنا والتبرج ، وخروج النساء واستحمامهن فى البحار ، بل قلدوهم فى الحكم بالقانون الوضعى ، ونبذ الحكم بالقانون السماوى ، ولم يرتدعوا بقول الله ـ عز وجل ـ :

﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴾

المائدة (آية ٤٤)

وتركوا ما أمرهم مولاهم به فى قوله :

﴿ وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ ﴾

الأنفال (آية ٦٠)

فخذلهم الله وسلط عليهم من لا يرحمهم ، والانتصار على الأجنبى خاص بمن نصر دين الله وتمسك به وسلك طريق النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقد قال الله ـ تعالى ـ :

﴿ إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴾

محمد (آية ٧)

وقال :

﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ ﴾

غافر (آية ٥١)

فنصر الدين من الإيمان .

وقد أشار الأستاذ أحمد حسين فى كلمته السابقة إلى جهاد بعض أعضاء الجمعية الشرعية ـ الشيخ أحمد جاد ـ وليس وحده الذى قدم روحه فداء لوطنه ، فقد تحدث الدكتور محمد مورو ومجلة المختار[2] عن جهود مماثلة لنفر من الأعضاء منهم المجاهد إبراهيم موسى الذى كان بين عمال العنابر الذين أوقفوا حركة المرور بالسكك الحديدية ، وكان أميناً للصندوق المالى للعمال ، واتهم فى حادث قتل السردار الإنجليزى وحكم عليه بالإعدام ، ولم يجزع وقابل الشهادة باستبشار » ، وحديث إضراب العمال بقيادته وقيادة زميله أحمد جاد مشتهر ، أشار إليه الرافعى فى كتابه عن ثورة ١٩١٩ م ، وكان أقوى تأثيراً من المظاهرات التى اندفعت تلقائياً فى القاهرة وشتى عواصم البلاد ، لأنه جعل الإنجليز يعجزون عجزاً تاما عن استتباب الأمن ، وبه وبأمثاله رجعوا عن تكريس الاحتلال .

---

(١) الدين الخالص جـ ٥ ص ٢١٧ ومابعدها .

(٢) مجلة المختار الإسلامى رمضان سنة ١٤٠٨ هـ .

كما أشار الدكتور محمد مورو إلى أثرين بارزين فى الاتجاه السياسى للجمعية ، إذ أزعجها أن يتدخل المستعمرون الإنجليز بفلسطين ضد العرب فينحازوا جهارا إلى الصهيونية المحتلة ، وقد داهموا المنازل وتركوا أهلها فى العراء ، فقامت الجمعية الشرعية بإرسال كمية من المنسوجات إلى بيت المقدس لتوزيعها على المنكوبين فى فلسطين ، وأرسلت الطرود العاجلة بطريق سكة حديد (مصر ـ فلسطين) وتلقى مجلس إدارة الجمعية رسالة محررة فى ١٧ من رجب عام ١٣٤٩ هـ الموافق ١٤ من ديسمبر ١٩٣٠ م ، موقعاً عليها من رئيس المجلس الأعلى الإسلامى السيد محمد أمين الحسينى يشكر الجمعية على ما قامت به ، وفى الأربعينيات فتحت الجمعية مجال التبرعات للشعب الفلسطينى وقامت بجهدها قدر المستطاع فى هذا المجال ، هذا هو الأثر الأول ، أما الأثر الثانى فما قامت به الجمعية من إعلان المقاطعة الاقتصادية التامة لكل ما يصنع فى إنجلترا ، ويرد إلى مصر من الأدوات والملابس ، وقام الوعاظ التابعون للجمعية بنشر الدعوة إلى المقاطعة واستجاب لها فريق كبير من أبناء الشعب ، كما شنت الجمعية حرباً على الترف الزائد فى استعمال أدوات التجميل وأزياء التبرج الوافدة من الغرب ، وأظهرت أن المتاجر العربية ستتعرض للبوار إذا اندفع الناس فى شراء هذه الكماليات ، وتركوا ما بالمتاجر العربية من ملابس الاحتشام والفضيلة ، مع رخص الثمن ، بالإضافة إلى غلائه فى الأدوات الوافدة ، وهى مما يهون تركه دون احتياج .

ولا أثقل لدى من المقارنة الظالمة بين مصلح ومصلح ، لأن زعماء الإصلاح جنود فى ركب الزحف الإسلامى إلى الإمام ، وكل زعيم يبذل جهده قدر المستطاع ، فإذا وفق زعيم لأكثر مما وفق إليه سواه ، فلا يجوز لنا أن نحاول الغض من مقامه ليكون الجميع فى مستوى واحد ، والأعمال بالنيات ، ورب عمل صغير يكون أجره عند الله أوفى من عمل يكبره ، فمراعاة الحق المنصف أولى وأجدر بمن يكتبون عن جهاد المصلحين ، فقد تعرض الأستاذ محمد أحمد بدوى فى مقاله (تجربة الجمعية الشرعية بالقاهرة) المنشور بمجلة المسلم المعاصر [1] إلى موازنة بين أثر الإمام محمد عبده وأثر الإمام محمود خطاب السبكى فقال فيما قال : (أما الأفغانى ومحمد عبده فإن دعوتهما لم تصل إلى الشعب ، كان عمل الشيخ محمد عبده كصرخة فى واد أو كمثل رخات من المطر أصابت صحراء واسعة امتصت الماء فلم تثمر شيئاً ، ولكن عمل الشيخ محمود خطاب قد روى بمائه الذى كان قليلاً قطعة أرض صغيرة ، فظهر أثره فيها ، فأنبتت وآتت أكلها ، وساعد ما نتج منها على استصلاح قطعة أخرى ، وساعدت الاثنتان على استصلاح ثالثة وهكذا تولدت قوة ذاتية للدعوة إلى الإصلاح ، وكأن الكاتب رأى فى انتشار الجمعيات الشرعية بالمدن والقرى سبقاً لم يصل إليه الإمام محمد عبده ، وقد نسى أن انتشار فضائل الإسلام فى جميع الصحف والمجلات الإسلامية لآلاف القراء كان بفضل محمد عبده الذى هاجم أعداء الإسلام ، حين رموه بالتأخر

(١) المسلم المعاصر المحرم سنة ١٤٠٨ هـ .

والجمود ومحاربة العقل وأنه سبب التقهقر فى بلاد الإسلام ، وكاد كثير من المخدوعين أن يصدقوا هذا الإفك ، لولا أن حمل الأستاذ الإمام لواء الدفاع عن الإسلام ، وأيقظ العقول من نومها حين فتح العيون على مجد فكرى وحضارى للإسلام لم يعرفوه ، فما جاء من بعده مدافع عن الإسلام إلا رشف من مورده ، وأكل من ثمره ، ومنهم الإمام محمود خطاب ، وإذا وُجد لدينا نفر من كتاب العقيدة الإسلامية كرشيد رضا وجاويش وشكيب أرسلان ومحب الدين الخطيب ، ومحمد مصطفى المراغى ومحمد الخضرى وعبدالوهاب النجار ومن لا أستطيع أن أحصيهم فكلهم قد خرجوا من عباءة الإمام ، أما إصلاح الأزهر وخروجه من النور إلى الظلمات فلم يتم بغير السير على منهج الإمام الذى رسمه ، وحالت الأغراض دون تنفيذه ، حتى جاء الإمام المراغى فاقتفاه ونقله إلى الوجود الحى واعترف بذلك فى حفلة التكريم التى أقيمت له بعد عودته الثانية إلى مشيخة الأزهر الشريف ، أفيقال بعد ذلك كله إنه ماء نزل فى صحراء !!

إن اللـــه معنـــــا . بقية .

٥ ـ القوة والشجاعة بحيث لا يخاف الطغاة ولا يخشى بأسهم ولا يرهب الأعداء مهما ملكوا من قوة ، إذ كيف يخاف بطش الطغاة من كان فى معية القوى الذى لا يغلب ، ولهذا كان أصحاب رسول الله ـ صلّى الله عليه وسلم ـ لا يهابون الموت ولا يرهبون الأعداء وذلك ثقة منهم فى وعد الله وانتظارا لما أعده لهم من النعيم المقيم والدرجات العلى .

عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : انطلق رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأصحابه حتى سبقوا المشركين إلى بدر ، وجاء المشركون فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ « لا يقدمن أحد منكم إلى شىء حتى أكون أنا دونه » ، فدنا المشركون ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « قوموا إلى جنة عرضها السموات والأرض » قال : يقول عمير بن الحمام الأنصارى رضى الله عنه : يارسول الله ، جنة عرضها السموات والأرض ؟ قال : « نعم » قال : بخ بخ[١٣] فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم « مايحملك على قولك بخ بخ ؟ » قال : لا والله يارسول الله إلا رجاء أن أكون من أهلها ، قال : « فإنك من أهلها » فأخرج تمرات من قرنه[١٤] فجعل يأكل منهن ، ثم قال : لئن أنا حييت حتى آكل تمراتى هذه إنها لحياة طويلة ! فرمى بما كان معه من التمر ثم قاتلهم حتى قتل[١٥] .

فاللهم احفظنا بعنايتك واكلأنا برعايتك وأعزنا بعزتك واجعلنا أهلاً لمعيتك ، إنك نعم المولى ونعم النصير !

(١٣) كلمة تقال لتفخيم الامر وتعظيمه فى الخير.

(١٤) جعبة النشاب.

(١٥) رواه مسلم .

طبقات المحققين والمصححين

فضيلة الشيخ محمد الخضر حسين

رحمه الله

بقلم الأستاذ الدكتور:

السيد الجميلى

هذا رجل طيب الأرومة ، واسع السرب ، رحيب الصدر ، بعيد الأناة ، راسخ رسوخ الجبال ، طوده لا تقلقه العواصف ، وبحره لا تكدره الدلاء .

أناخ فى ظل الأمان ، ونزل فى أكناف الدعة ، ضرب الأمن عليه سرادقه ، وضرب عليه الوقار أطنابه ، ومدت عليه الدعة رواقها .

سلس الطبيعة ، لين الأعطاف ، أخلاقه ألين من أعطاف النسيم ، وأسلس من الماء .

لم ينل من أجلاده ما نابه من بنى جلدته . . فكان فى كل أحواله وأطواره خافض الجناح ، متجافيا عن مقاعد الكبر لا تتهادى به أذيال التيه .

فيه يقول لسان الحال عن شاعر العرب :

عـمَّت فـواضـله فعـمَّ مصـابـه
فـالنـاس فيـه كـلهم مـأجـور
ردَّت صنـائعـه عليـه حيـاتـه
فـكـأنـه من نشرهـا مـنـشـور

إنه الشيخ الإمام الفقيه محمد الخضر حسين علم من أعلام العروبة والإسلام ، أديب أصولى باحث مطبوع ، شاعر مجيد متقن ، له يد طولى ، وباع طويل وقدم راسخة فى علوم المعقول والمنقول .

ذلكم الإمام محمد الخضر بن حسين بن على بن عمر الحسنى ، ولد سنة ثلاث وتسعين ومائتين وألف للهجرة المشرفة الموافق سنة ست وسبعين وثمانمائة وألف للميلاد ، فى نفطة (من بلاد تونس) كان محل ميلاده حيث نشأ وترعرع فى بيئة خضراء اخضرار الأمل ، نقية الهواء مطوية على البراءة والخير والتأميل .

ولئن كانت البيئة التونسية قد انطوت على الكثير والكثير من العلائق المتشابكة والدخائل المتواشجة إلا أنك ترى فيها صورة جامعة دقيقة للحسن الظاهر والجمال الباهر . . اختلف إليها كل فترة بين فينة وأخرى ، فكأنى أراها لأول مرة ، ففيها لى ذكريات ومسامرات مع أصهارى الذين يشدنى الحنين قبل فراقهم لما أراهم مفطورين عليه من سلامة الصدور ونقاء الطوايا ، وسجاحة الطبائع .

إن العجيب فى أمر هذه البقعة العزيزة على كل عربى مسلم أن ترى فيها سمات الغرب من جهات عديدة لا مجال لبسط القول فيها ، ثم من جهة أخرى تراها وثيقة العروة ، مستحصدةَ المريرة ، قوية الأصرة بالأصول العربية .

فالتونسى شديد الوضوح وكثير الصراحة لا يخفى فى أطوائه شيئاً ، فالحقيقة ظاهرة على وجهه ، ولسانه ، وجبينه ، ولا يكتمك حديثاً بحال ، هذا فضلاً عن الطيبة الحقيقية غير المنحولة ، والتواضع الشديد غير المصنوع .

من تلك الذكريات التى مر عليها زهاء ثلاث عشرة سنة كنت هناك والأسرة ، فدهمت ابنتى نوبة صحية وعثرة طارئة حرجة ، فأدخلتها مستشفى خاصاً هناك ، فإذا بى أرى الدقة والعناية والاهتمام الفارط غير المحدود من الأساتذة الأطباء الأجانب والتوانسة مع النخوة والشهامة العربية ، فأعجزوا نطقى وطوقوا عنقى بما أسدوه لابنتى من خدمات جليلة ، فكيف أشكرهم وأنا قليل الحول والحيلة ؟؟!!

فى (نفطة) التونسية اشرأب شيخنا فى أسرة طيبة الأصول ، عريقة النسب ، لها مع الفضائل شجنة قوية ، ونسب شابك ، وعروة وثيقة . . لما أن لنا بها - نحن المصريين - نسبا شابكا وماسكة رحم .

قيل إن أصل الشيخ من الجزائر ، ينتمى إلى أسرة الأدارسة التى كونت دولة بالمغرب .

حفظ القرآن صبياً كدأب الكثيرين من أترابه ، ثم وجد نفسه منهوماً بالأدب العربى ، مشغوفاً مولعاً بالتراث العربى بعامة ، فنهل من ورده المشفوه السخى .

انتقل إلى تونس مع أبيه سنة إحدى وعشرين وثلاثمائة وألف للهجرة ، وقيل سنة ثلاث وعشرين .

ثم تتلمذ فى تونس الخضراء لأعلام عصره من كبار الشيوخ المرموقين ، وكان ذلك فى جامع الزيتونة سنة سبع وثلاثمائة وألف للهجرة الموافق سنة تسع وثمانين وثمانمائة وألف للميلاد ، ولم يزل بهذا الجامع حتى استحصد رأيه ، واستعجم عوده ، وكملت أداته ، فأصبح قوى الشكيمة ، مبرم الرأى ، فخيم الشأن .

وقد زرت جامع الزيتونة وهو جامع أثرى شديد المشابهة بالجامع الأزهر الشريف ، وبه مكتبة رائعة ينهل منها الدارسون والباحثون والعلماء .

تخرج فى جامع الزيتونة ، فنال شهادته العالمية منه سنة ست عشرة وثلاثمائة وألف الموافق سنة ثمان وتسعين وتسعمائة وألف للميلاد .

عمل بعد تخرجه فى جامع الزيتونة مدرساً للعلوم الشرعية واللغوية ، ثم عمل بالتدريس أيضاً فى المدرسة الصادقية بتونس .

ثم أنشأ مجلة علمية أدبية هى مجلة « السعادة العظمى » وهى أول مجلة أنشئت فى المغرب العربى ، وكان ذلك سنة إحدى وعشرين وثلاثمائة وألف للهجرة إلى سنة ثلاث وعشرين .

فى بنزرت ولى القضاء ، وعمل فى نفس الوقت بالتدريس والخطابة بجامعها ، ثم استعفى من القضاء لأسباب لم نقف عليها بجلاء .

ثم عاد مرة أخرى إلى التدريس بجامع الزيتونة سنة أربع وعشرين وثلاثمائة وألف الموافق سنة ست وتسعمائة وألف ، وفى ذلك الوقت كانت وفاة الإمام المصلح الشيخ محمد عبده ـ رحمه الله ـ فى مصر .

عمل الخضر حسين فى لجنة تنظيم المكتبتين : العبدلية والزيتونة .

فى تلك الفترة زار الجزائر مرات ثلاثا فقط .

قيل : عندما نشبت الحرب بين الطليان والعثمانيين ـ رحل محمد الخضر حسين إلى الجزائر ، وألقى بها دروساً نافعة ثم كان لابد أن يغادرها مستكرها من الاستعمار .

ثم أشخص إلى دمشق سنة ثلاثين وثلاثمائة وألف للهجرة حيث درس هناك اللغة العربية فى المدرسة السلطانية قبل الحرب العالمية الأولى ، وكان ذلك سنة اثنتى عشر وتسعمائة وألف للميلاد ، ثم تحول بعد ذلك إلى مكة .

●●●

فكر الشيخ مليا ، وأطرق طويلًا ، ثم قالت له نفسه همساً : وجدتها .. وجدتها .

إنها المنتجع والمستراد والملاذ المستذرى به لكل شارد ووارد ، فالغريب فيها ليس غريباً ، إذ ما أن

يطأ ثراها حتى ينسى أهله وأوطانه . . إنها مصر المعزية أعزها الله ، القاهرة المحروسة المأنوسة بلطف الله قهر الله أعداءها وكبت حاسديها .

فى مصر الحبيبة إلى كل عربى ومسلم التقى الشيخ الخضر بالشيخ محمد رشيد رضا تلميذ الشيخ الإمام محمد عبده ، وكان لقاء كريما طيباً .

ثم عاد إلى تونس سنة إحدى وثلاثين وثلاثمائة وألف للهجرة ، ثم عُين عضواً بلجنة « التاريخ التونسى » ثم ينتقل بعد ذلك إلى دمشق ليعمل مدرساً فى المدرسة السلطانية .

بيد أن الحكومة العثمانية كانت انتدبته إلى السفر إلى برلين - إبان الحرب العالمية - مع الشيخ عبدالعزيز جاويش وآخرين ، وكانت فرصة ذهبية لإجادة اللغة الألمانية مع الألمان فى برلين . . ثم عاد بعد ذلك إلى الآستانة ولم يلبث أن اجتواها وثقل على صدره هواها ، واستوبل أجواءها ، انطلق إلى دمشق مرة أخرى فاعتقله حاكمها سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة وألف ، ونال صنوف العذاب فى سجنه ومحبسه ، وتعرض لحملة منطوية على الإرهاب والإعنات والإرهاق الذى لا مزيد عليه .

كأن بلاد الله وهى عريضة
على الخائف المذعور كفة حابل
يؤدى إليه أن كل ثنية
تيممها ترمى إليه بقاتل

اعتورته الهموم ، ونالت من أجلاده الأشجان لكن ظل يقاومها بثبات وقوة يقين :

وهبك اتقيت السهم من حيث تتقى
فكيف بمن يرميك من حيث لا تدرى

ثم تنكسر حدة الظلم ، ولابد أن يكون ذلك فأراد الله - سبحانه - أن يفرج كربته ، ويرحم غربته ، فأفرج عنه ، ونعم بالحرية .

نشر فى دمشق سلسلة من أخبار رحلته فى جريدة « المقتبس » الدمشقية وفيها نشر مجموعات من الشعر الرقيق لما احتل الفرنسيون سوريا سنة اثنتين وعشرين الموافق سنة تسع وثلاثين وثلاثمائة وألف للهجرة ، كان استقراره الأخير فى بلده الحبيب مصر الغالية حيث وجد فيها هواءً نقياً ، وصدراً حنوناً ، وقلباً رءوما يحتفى ويحتفل بالعلماء الأعلام .

فى القاهرة عمل الشيخ الخضر حسين مصححاً فى دار الكتب المصرية الكائنة بباب الخلق ، وأنفق بها سنوات خمساً كانت ثرية مأهولة بالخير والخصوبة والنماء .

ألف فى مصر رسالته النفيسة : « الخيال فى الشعر العربى » .

من شدة حبه لمصر والمصريين وحبهم له نال الجنسية المصرية . . . . . فهو الجزائرى التونسى المصرى .

نال من الجامع الأزهر شهادة العالمية ، فكان حصوله عليها مسوغاً له للعمل بالتدريس فى الجامع الأزهر .

أنشأ جمعية الهداية الإسلامية ، وجمعية الشبان المسلمين ، ثم تولى رئاستها ، ورأس تحرير

مجلتها . فى سنة أربع وأربعين وثلاثمائة وألف للهجرة ظهر كتاب : « الإسلام وأصول الحكم » للشيخ على عبدالرازق بما انطوى عليه من طعن فى الإسلام مخالفاً بذلك الإجماع على بدهيات معلومة من الدين بالضرورة .

ثم انبرى الشيخ الخضر حسين يرد على هذا الكتاب ويميط اللثام عما اعتوره من عوار ، وما شابه من مدخولات وآراء فاسدة باطلة شديدة الانحدار ظاهرة البطلان المطلق ، فانتزعت شهادة العالمية من على عبدالرازق .

ثم يصدر كتاب الدكتور طه حسين سنة خمس وعشرين وتسعمائة وألف (سنة خمس وأربعين وثلاثمائة وألف للهجرة) فيكون من نصيبه أن يتصدى له الشيخ الخضر ، فيسدد إليه حراب نقده ، ويعزو ما ورد فيه من مخالفات إلى سموم المستشرقين من أساتذة طه حسين .

إنه نظراً لإخلاصه وقوته كان له مكان فى قلوب محبيه وعارفى فضله .

من ثم اختير رئيساً لتحرير مجلة « نور الإسلام » الأزهرية ، وهى التى صارت فيما بعد « مجلة الأزهر » .. ثم رئيساً لتحرير مجلة « لواء الإسلام » التى أصدرها المرحوم أحمد حمزة باشا .

تكريماً وإكراماً للرجل ، وعرفاناً بفضله وبذله وجهده العلمى والأدبى .. اختير ليكون عضواً بهيئة كبار العلماء (مجمع البحوث الإسلامية حالياً) ، وذلك بموجب رسالة قدمها ، موضوعها : (القياس فى اللغة العربية) ، ثم عمل أستاذاً بكلية أصول الدين .

كان الشيخ محمد الخضر حسين ، من الرعيل الأول إذ اختير ليكون عضواً بمجمع اللغة العربية بالقاهرة سنة اثنتين وخمسين وتسعمائة وألف للميلاد .

تتويجاً لأعماله الجليلة عُين شيخاً للأزهر فى أواخر سنة إحدى وسبعين وثلاثمائة وألف للهجرة .. ثم استقال من منصبه سنة ثلاث وسبعين وثلاثمائة وألف .

كان الشيخ إبان زيارته الأخيرة لألمانيا قد التقى فيها بزعماء الحركة الإسلامية مثل : الدكتور عبدالحميد سعيد ، والدكتور أحمد فؤاد ، والشيخ عبدالعزيز جاويش .. وكانت هذه الصداقة خيراً وبركة .

لم تكد تسالم الشيخ الكبير الهموم ، ولم تكن تهادنه الحوادث الجسام ، وتنام عنه الطوارق حتى ألفى نفسه قد أوغل فى الثانية والثمانين من عمره ... وتاقت هذه النفس المبرورة ، والطبيعة اللينة الوفورة ، واشتاقت إلى جوار ربها الذى لا يُضام من والاه ، ولا يشقى من كان مرضياً عنه عنده .. وكما قال شاعر العرب لخنذيذ : « وسهم المنايا مولع بالدخائر » .

لما شعر الشيخ بأن النهاية المحتومة وشيكة ولم يعد ثم بد منها ولا مصرف عنها ترك وصية حررها على الفور مؤداها أن يدفن فى تربة صديقه وحميمه وواصله خدنه وخدينه أحمد تيمور باشا .

فكما كان كلا الشيخين قريبا من الآخر فى الدنيا ، فلابد أن يكونا قريبين فى القبر .. فرضى

الله عنهما وأرضاهما ، وقد انتقل الشيخ الخضر إلى رحمة الله فى القاهرة سنة ثمان وخمسين وتسعمائة وألف للميلاد .

اجتمعت فى الشيخ الخضر حسين من الخلال والسجايا والخصال ما لا يجتمع فى غيره إلا فى النُّدرى .

●●●

قال عنه الشيخ محمد على النجار :

« كان قوى الحجة ، حسن الجدال ، عف اللسان والقلم ، لا يتناول المنقود بما يخزيه ويثلم عرضه » .

نعم .. نم واسترح أيها الشيخ الجليل فإن صنائعك مذخورة وأعمالك مأجورة ، وأياديك مذكورة ، وفوارط حسناتك فى الموقف بين يدى الله تعالى إن شاء الله يوم نلقاه .

فقدناك فقدان الربيع وليتنا
فديناك من دهمائنا بألوف

تراث الشيخ الخضر حسين :

● حياة اللغة العربية : مسامرة ألقاها فى نادى الجمعية الخلدونية فى الحادى عشر من شوال سنة سبع وعشرين وثلاثمائة وألف للهجرة .

● الخيال الشعرى العربى .

● مناهج الشرف . وهو كتاب فى الأخلاق ، طبع بمطبعة الترقى بدمشق سنة إحدى وثلاثين وثلاثمائة وألف للهجرة .

● الدعوة إلى الإصلاح .

● طائفة القاديانية .

● مدارك الشريعة الإسلامية وسياستها .

نشر فى دمشق سنة ثلاثين وثلاثمائة وألف للهجرة .

● الحرية فى الإسلام . مسامرة ألقاها فى السابع عشر من ربيع الثانى سنة أربع وعشرين وثلاثمائة وألف للهجرة ، بنادى جمعية مدرسة قدماء تلامذة المدرسة الصادقية .

● نقض كتاب : « الإسلام وأصول الحكم » .

● نقض كتاب : « فى الشعر الجاهلى » .

● خواطر الحياة .. وهو ديوان شعره .

● بلاغة القرآن .

● رسائل الإصلاح . ثلاث رسائل فى ثلاثة مجلدات .

● محمد رسول الله .

● آداب الحرب فى الإسلام .

● السعادة العظمى .

● تونس وجامع الزيتونة .

● القياس فى اللغة العربية ، وهى الرسالة التى تقدم بها لعضوية هيئة كبار العلماء .

● أبحاث ومقالات ودراسات عديدة نشرت فى مجلة الأزهر ، ولواء الإسلام ، والهداية الإسلامية .

● شروح وتعليقات على كتاب : « الموافقات للشاطبى » .

والحمد لله رب العالمين

رسالة المعلم

للأستاذ : محب الدين الخطيب

إعداد وتقديم :
عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

إن رسالة المعلم تتناول كيان الفرد إذ تصقل معدنه ، وتجلو جوهره ، وتخلق منه إنسانا يعيش لغيره ، كما يعيش لنفسه ، وهى بذلك كله : تربية وتكوين قبل أن تكون تعلما وتعليما وتلقينا ، وأساسها روح فاضلة وخلق كريم ؛ والطالب فى سنه المبكرة مرآة صافية صادقة ، تعكس فى وضوح صورة المربى فى المدرسة ، وتنفذ إلى أغوار نفسه فيتمثلها وينقاد وراءها ؛ وهو حين ينمو فكره ، وتسمو روحه ، ويقوى جسمه ، تكون صورة أستاذه ومربيه ، قد انطبعت فى كل عناصر كيانه .

ولهذا ينبغى على المعلم أن يكون قدوة حسنة ، فى دينه ، وخلقه وفى كل صفاته وتصرفاته .

فالشباب هم رجال المستقبل وعصب الحياة ، وعدة الأمم ، به تعيش ، وفى سبيلها تحيا ، والأمة القوية هى التى تتمتع بقوة شبابها ، والأمة السعيدة التى يعمل فيها الشباب بفكر وثاب ، وعزيمة لا تعرف الخور ، وأمل لا يرقى إليه الملل ، ولذلك تحرص الشعوب الناهضة على العناية برسالة المعلم وتوفير كل ما هو بحاجة إليه ؛ ليتفرغ لأداء واجبه ، تفرغا كاملا ، نجنى من غرسه أطيب الثمرات ، وأحسن الخيرات .

إن الشباب نار ونور ، والمعلم الناجح المخلص فى عمله يستطيع أن ينير الطريق بيسر وسهولة ويعالج العقبات بما أوتى من فهم وبعد نظر ، محققا الأمل المعقود من رسالة المعلم .

قال الكاتب ـ رحمه الله ـ :

المعلمون الذين ستقع أنظارهم على هذه الكلمة يعدون بالمئات إن لم يعدوا بالألوف ، وما منهم إلا من يحفظ كلمة حافظ فيهم :

قم للمعلم وفِّـه التبجيـلا

كاد المعلم أن يكون رسولا

وهم يحفظون هذه الكلمة على أنها ثناء عليهم بأنهم ـ مع قيامهم بمهمة التعليم ـ يحملون رسالة من رسالات الله ، يتوسلون بها إلى مرضاة الله . وإذا كان فيهم من أجهد نفسه فى طلب العلم من نعومة أظفاره فى مختلف مراحل التعليم إلى أن صار معلماً ، ولم يبلغ بعد أن يكون من حملة رسالة الله إلى أبناء الجيل الناشىء فى معاهد التعليم ، فإن الناس لا ينكرون عليه أنه معلم ، ولكنهم لا يعترفون له ـ ولا هو يعترف لنفسه ـ بأنه أحد الذين أثنى عليهم حافظ إبراهيم ، لاضطلاعهم برسالة التعليم .

المعلمون فريقان : معلم آلى يؤدى عمله من لسانه إلى آذان المتعلمين ، ومعلم صاحب رسالة فى التعليم يؤدى عمله من قلبه إلى قلوب المتعلمين . وكلا الفريقين يؤدى عمله ، ويبذل فى سبيله من جهد ووقت مثل الذى يبذله صاحبه ، غير أن أحدهما آلة ، والآخر مؤمن برسالة .

الأول تافه يعيش على هامش الحياة ، والآخر خالد يؤدى لله واجبه فى تكوين الجيل وإعداده للحياة .

الأول أسطوانة تتحرك وهى لا تشعر بما تتحرك له ، والآخر أب حكيم رحيم يعتبر تلاميذه أمانة الله بين يديه كأولاده الذين اختصه الله بهم وائتمنه عليهم .

إن الأمة الإسلامية كلها ـ ومصر فى جملتها ـ تجتاز الآن طوراً من أطوار تاريخها ، وهى منه على مفترق الطرق . والتطور لا يتناول الذين شبوا عن الطوق ودخلوا فى سن الرجولة أو الكهولة أو الشيخوخة ، بل يتناول رواد معاهد العلم من البراعم التى فى سن الطفولة ، إلى المراهقين الذين يملأون المدارس الثانوية ، فالشباب الذين يتلقون التعليم الجامعى ، هؤلاء هم المعرضون الآن لحادث التطور ، وهؤلاء هم الواقفون على مفترق الطرق ، وهؤلاء هم الذين سيكون منهم ـ فى عشرات السنين الآتية ـ أتفه أمة أخرجت للناس ، أو خير أمة أخرجت للناس . وفى يد المعلم ، المعلم الذى يجهل رسالته أو يتجاهلها ، والمعلم الذى يعلم رسالته ويؤمن بها ، فى يد هذا الفريق من المعلمين أو ذاك ، تكوين الجيل الآتى ، وإعداده لمستقبل الأمة والوطن جيلا تافها ، أو جيلا خيراً نافعا .

كان اسم المصنع القائم على إعداد الأجيال الماضية « وزارة المعارف » ، لأن المطلوب من المعلم فيما مضى كان حشر ألفاظ من المعارف فى أمخاخ التلاميذ والطلبة ليجتازوا بها الامتحان السنوى ، ثم يحصلوا بعد ذلك على شهادة يتوصلون بها إلى وظيفة فى دواوين الحكومة ، فكان يكفى لذلك أن يكون المعلم آلة تحفيظ يؤدى عمله من لسانه إلى آذان المتعلمين .

هذه هى الطريقة التى اختطها « دانلوب » وزارة المعارف ، وسارت عليها وزارة المعارف فى النصف الماضى من هذا القرن . أما الآن ، أى فى السنة الدراسية الجديدة ، فقد تحولت وزارة المعارف إلى شىء آخر ، إلى « وزارة التربية والتعليم » ، إشعارا للمعلم بأن عمله الفردى السابق أصبح الآن عملا مزدوجاً : كان معلماً وصار معلماً ومربياً . كان موظفا مكلفا بإعداد موظفين ، فصار أباً مكلفاً بإعداد رجال عاملين خيرين نافعين . كانت مهمته تنتهى بين لسانه وآذان تلاميذه ، فازدوجت الآن هذه المهمة ، وصار مكلفاً بأن ينشىء صلة جديدة بين قلبه وقلوب أبناء كأبنائه ائتمنه الوطن عليهم ليكون منهم خير أمة أخرجت للناس ، لا ليتركهم هملا يتعرضون بأهوائهم لحبائل الشيطان فيكونوا شر أمة أخرجت للناس .

لقد تحول المعلم عندنا ـ المرة الأولى ـ من آلة أو أسطوانة تردد مناهج وزارة المعارف ، إلى مرب يرى فى نفسه أنه سفير وزارة التربية والتعليم ، إلى فلذات أكباد الأمة الذين يملأون مقاعد معاهد التربية والتعليم ، ليجعل منهم لبنات قوية سليمة فى بنيان الجيل الحبيب فى المستقبل القريب .

لقد صار المعلم مربياً ومعلماً من قلبه وصميم روحه ومنتهى عزيمته ، بعد أن كان معلماً من لسانه وذاكرته . وهذا الفرق الجوهرى بين المعلم الدنلوبى والمعلم الاستقلالى هو الذى يجب أن يجعله المعلم نصب عينيه فى داخل مدرسته وخارجها .

لقد أصبح المعلم مسئولا عن تربية العقل فى أبناء الأمة الذين ائتمنته الأمة عليهم ، والعقل هو المصباح للنفس البشرية يقوم على توجيهها إلى الحق والخير فى طريق الحياة ، فكلما كانت عناية المعلم بتربية عقل التلميذ أحكم وأقوم ، كان للأمة من هذا التلميذ الرجل المستنير المهذب الذى تعتز به الأمة ويرتفع مستواها ويستقيم سيرها نحو العلى ، فيكون لها فى التاريخ دور أعز وأفضل وأعلى .

والمعلم مسئول عن تربية الخلق فى أبناء الأمة الذين ائتمنته الأمة عليهم ، ليكون الجيل الآتى من الأمة ـ فى عشرات السنين التالية ـ من أهل الصدق والتعاون على الخير ، والصبر فى الشدائد ، ومن أهل القصد والرفق والاعتدال ، والدأب فى العمل والمثابرة عليه والتجويد له ، وإيثار الآجلة بنصيبها من السعى والجهد ، مع إعطاء العاجلة حقها من ذلك .

أيها المعلمون ، أنتم الذين تروون للناس قول شوقى : « الأمم الأخلاق » وقد مل الناس رواية هذه الكلمة بالألسن ، وباتوا فى حاجة إلى أن يروها معمولا بها فى سيرتنا وتصرفاتنا وتعاملنا فيما بيننا ، لتكون قدوة لهم ولتكون لهم أسوة بنا ، فإن لسان الحال أبلغ وأصدق وأجدى وأسرع تأثيرا من لسان المقال ، وإذا كانت الأمم الأخلاق ، فما هى منزلتنا الآن من هذه الأخلاق ؟ وهل من سبيل إلى الارتفاع بمنزلتنا إلا على أيديكم ؟ وإذا كان التغنى بقول شوقى : « إنما الأمم الأخلاق » لم ننتفع به من طريق الكلام ، فهلا ترون أن الأوان قد آن لنجرب طريق القدوة والأسوة ؟ وإذا كنتم يائسين من جدوى القدوة والأسوة فى جيلى أنا وأمثالى من

الذين شبوا عن الطوق ، فهلا نبدأ بتجربة القدوة والأسوة مع هذه البراعم المنفتحة على مقاعد مدارسكم ومعاهدكم ؟

إن الزمان استدار ، والبضاعة التى كانت ترضى وزارة المعارف فيما مضى ، لن تكتفى بها وزارة التربية والتعليم فيما سيأتى ، وقد أصبحت الأمة فى حاجة إلى جيل منها جديد يحب الله ، ويؤثر رضاه ، ويتقى مساخطه . ويختار الحق والخير ، ويقتدى فى ذلك بالمثل العليا فى سيرة الأخيار من أهل الحق ، وما أكثرهم فى سلف هذه الأمة الغنية بالأخلاق فى جاهليتها ، فضلا عن عصور الإسلام التى قدمت للإنسانية من قادة الحق والخير من لا تضارعها فيهم أمم الأرض مجتمعة ، فاستمدوا من هذا الماضى الغنى بالفضائل لإعداد المستقبل إعداداً صالحا تتصل أخراه بأولاه ، فنستأنف سيرتنا الطيبة فى التاريخ .

عرفوا الأحفاد بفضائل الأجداد .

ابعثوا فى الحاضر مآثر الماضى .

اربطوا قافلة الغد بقافلة الأمس لتواصل طريقها إلى السعادة .

إن معلم الناس الخير ﷺ كان يستعيذ بالله من علم لا ينفع ، فعلموا تلاميذكم ما ينفعهم فى تنمية عقولهم ، وتربية أخلاقهم ، والنهوض بمستوى حياتهم ، حتى يكونوا أمة صالحة تحترمها الأمم ، وحتى يكونوا أمة صدق ، ودأب ، وتجويد ، وابتكار لكل ما ينفع الناس ويقضى حاجاتهم ويرفع مستواهم بين الأمم .

هذه هى رسالة المعلم ، والذى يؤمن بها لا يحتاج إلى مناهج تدله عليها ، ولا إلى دليل يأخذ بيده إليها كالدليل الذى يستعين به الكفيف إذا سلك طريقه .

هى رسالة يعرفها كل معلم ، ثم يتفاوتون فى العمل بها ، بقدر تفاوتهم فى الإيمان بها . والفارق بين الفريقين هو أن يميز المعلم طريقه فى التعليم : فهل هو موظف فى وزارة المعارف الدنلوبية ، أم هو سفير وزارة التربية والتعليم ، المتعاون معها على تكوين الجيل الجديد بتربية عقله وخلقه ونفسه ، وتزويده بالعلم النافع للنهوض بمستوى الأمة الاجتماعى إلى ما يرضى الله وتعم فى الأوطان الإسلامية رسالة الحق والخير .

إن رسالة المعلم هى رسالة الدليل للأمة الحائرة وهى على مفترق الطرق ، فانظروا إلى أى طريق أنتم ذاهبون بها . .

عن أبى عبد الرحمن عبد الله بن مسعود ـ رضى الله عنه ـ قال كأنى أنظر إلى رسول الله ـ ﷺ ـ يحكى نبياً من الأنبياء ـ صلوات الله وسلامه عليهم ـ ضربه قومه فأدموه وهو يمسح الدم عن وجهه وهو يقول « اللهم اغفر لقومى فإنهم لا يعلمون » . متفق عليه .

فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ

استفتاءات القراء

تجيب عنها لجنة الفتوى بالأزهر الشريف

يقدمها الشيخ السيد العراقى شمس الدين

السؤال من السيد / ع . م

ما حكم الاحتفال بإقامة السرادقات للميت لاستقبال المعزين والتباهى بالإنفاق عليها من إحضار قارىء مسموع ، وتقديم الأطعمة للمعزين . وتأخير الدفن لوقت معين لاجتماع الناس والنعى . وقراءة القرآن للميت وتقديم الصدقة ؟

الجواب

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

أما بعد

فنفيد بأن المشروع عند الموت الإسراع بالتجهيز والجنازة للدفن بعد أن يمضى الوقت الذى يغلب على الظن فيه أن الوفاة قد تحققت ـ يقول الرسول ـ ﷺ ـ (أسرعوا بالجنازة فإن تك صالحة فخير تقدمونها إليه وإن تك غير ذلك فشر تلقونه عن كاهلكم) وبذلك لايشرع تأخير الدفن حتى يجتمع الناس كما لايشرع النعى بالصورة المعروفة الآن من ذكر صفات الميت ووظائفه وأقربائه وصفاتهم فإن ذلك من نعى الجاهلية وقد نهى عنه الرسول ـ ﷺ ـ أما المشروع للنعى فهو الإعلان لأقربائه وأصدقائه بدون ذكر لصفاته ومراكزه .

وإقامة السرادقات والتباهى بإقامتها وإحضار القارئين المسموعين لها وتقديم الأطعمة للمعزين كل ذلك غير مشروع لما فيه من الإسراف فى الأموال والفخر على الناس والإضرار بالقصر من ورثة الميت إذ أن صرف الأموال فى ذلك محرم

وصرف أموال القصر فى ذلك أشد حرمة قال رسول الله - ﷺ - لما قتل جعفر بن أبى طالب (اصنعوا لآل جعفر طعاما فقد آتاهم ما يشغلهم) فصنيعة الطعام من أهل الميت للناس غير مشروعة . أما المشروع فهو أن يصنع الناس الطعام لأهل الميت للناس فذلك نوع من المواساة لهم و . . . ويحرم الذبح عند القبر أوعند خروج الميت من البيت حيث قد نهى النبى - ﷺ - عن ذلك والمطلوب للميت أن يحسن غسله ، وأن يحسن تكفينه مما يحل له فى حياته وأن يكون من الثياب البيضاء ، وأن يجتمع الناس جميعا للصلاة عليه ، وأن يجتمع الناس جميعا لتشييع جنازته لقول الرسول - ﷺ - (من تبع جنازة فله قيراط ومن تبع جنازة وصلى عليها فله قيراطان والقيراط مثل جبل أحد) والقيراط فى الجنة . والذى ينفع الميت كذلك قراءة القرآن والدعاء له والاستغفار والصدقات من مال الميت إن كان قد وصى بذلك أو من مال البلغ من ورثته إن رضوا بذلك وأهم شىء إنما هو سداد ديونه فإن النبى - ﷺ - يقول : (نفس المؤمن معلقة بدينه حتى يقضى عنه) وأن الرسول - ﷺ - امتنع عن الصلاة على جنازة لأنه مدين وما صلى حتى تعهد أحد الصحابة بأداء دينه وأن الشهيد يغفر له كل شىء إلا الدين فليتق الله المسلمون وليلتزموا شرع الله بعيدا عن التفاخر والرياء وبخاصة فى مثل هذه المواقف حتى لاتجتمع بلية النفس والمال ، والله تعالى أعلم .

السؤال مقدم من السيد / اللواء عبد الحكم عباس إبراهيم توفى عن : بنتين ، وأولاد أخوين شقيقين ذكور وإناث فمن يرث وما نصيبه .

الجواب

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله - ﷺ - وبعد .

فنفيد بأن للبنتين الثلثين فرضاً لعدم من يعصبهما يقسم بينهما بالتساوى والباقى للذكور فقط من أولاد الأخوين الشقيقين تعصيبا يقسم بينهم بالتساوى كأنهم أبناء أخ واحد ، ولاشىء للإناث من أولاد الأخوين الشقيقين لأنهن من ذوى الأرحام المؤخرين فى الميراث عن أصحاب الفروض والعصبات هذا إذا كان الحال كما ذكر فى السؤال ، والله أعلم .

السؤال من السيدة / هدى محمود خلف إبراهيم تقول فيه :

شاب يريد الزواج من فتاة هو لم يرضع من أمها وكذلك الفتاة لم ترضع من أمه ولم يجتمعا على ثدى واحد ولكن توجد أخت للفتاة رضعت من أم الشاب فما الحكم ؟

الجواب

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

أما بعد

فنفيد بأنه مادام الشاب لم يرضع من أم الفتاة ، وكذلك الفتاة لم ترضع من أم الشاب ولم يجتمعا على ثدى واحد فيجوز لهما الزواج ولا عبرة أن أخت الفتاة رضعت من أم الشاب فالحرمة تقع على من رضع ، والله تعالى أعلم .

من السيد / ع . ر

[السؤال الأول]

ـ أعطانى الله من نعمه وبنيت مسجداً وأخرج من الزكاة ثلثها أو خمسها للمسجد فهل يجوز ؟

الجواب

لامانع من دفع بعض الزكاة لعمارة المسجد : فذلك من سبيل الله على ما هو المختار للفتوى .

[السؤال الثانى] عندى مزارع سمكية تشرب بالآلة هل تكون زكاتها نصف العشر أم ربع العشر . وهل تخرج الزكاة بعد خصم مصروفات الزريعة والغفرة وأجر عمال واستخراج السمك من الإيراد الكلى ، أو تخرج الزكاة من الإيراد الكلى دون خصم المصروفات السابقة ؟

الجواب

إذا كانت هذه تجارة يقوم السمك آخر العام ويخصم من ثمنه المصاريف والديون ، وتخرج الزكاة على الباقى بواقع ٢,٥٪ (على كل ألف جنيه ٢٥ جنيها) .

[السؤال الثالث] عندى نخل حيانى بلحه أحمر ورطب ولايصلح تمراً وأدفع زكاته نقداً . فهل يجوز ؟

الجواب

البلح الذى لا يصلح تمرا لا زكاة فيه على رأى بعض المذاهب ، ولا مانع من إخراج صدقة عنه ليبارك الله فيه .

[السؤال الرابع] هل الفلوس التى فى البنك تستحق الزكاة على رأس المال أو الأرباح ويوجد جدال على الفلوس التى فى البنك يقال أنها ربا ؟

الجواب

النقود التى فى البنوك التجارية العادية تجب الزكاة فى أصلها عند آخر الحول الهجرى إذا بلغت نصابا وهو ما قيمته حوالى ٨٥ جراما من الذهب بواقع ٢,٥٪ (على كل ألف جنيه ٢٥ جنيها) أما الفوائد فهى مما لا زكاة عليها ، وتنفق فى سبيل الله ، ولا يجوز الانتفاع بها شخصيا ؟

[السؤال الخامس] ـ يسلمون على أقربائى أو أغراب من النساء صغيراً وكبيراً ويبوسون على يدى ويبوسون فى وجهى وأنا محرج أن أقول لهم : ماتبوسونيش وأعتبرهم كأخواتى وأبنائى وأشعر كأنى أسلم على رجل عادى فهل فيها شىء مخالف للدين . أو تنقض الوضوء ؟

الجواب

النساء القريبات منهن محارم كالأم والبنت والأخت وغير محارم كبنت العم وبنت الخال . . وغير المحارم لا يجوز السلام عليهن باليد بدون حائل ، وبالتالى لا يجوز التقبيل ولا غيره ، أما الوضوء إذا كان اللمس بغير حائل فهو ينتقض عند الشافعية مطلقا ولا ينتقض عند المالكية إلا إذا كان فيه تعمد أو شهوة ، فالأولى البعد عنه وعدم فعله والقول بالنقض أولى .

سؤالان من المواطن الدكتور عثمان حسين إلى صاحب الفضيلة رئيس لجنة الفتوى بالأزهر .

وبالاطلاع على الاستفتاءين تبين أن الأول يقول فيه : أنا متزوج منذ سبع سنوات ولم يرزقنى الله بأطفال حتى الآن كل التحاليل الطبية أكدت أن

السبب الرئيسى هو عدم وجود بويضات لدى زوجتى ولدى سؤال الأول ـ هل بالإمكان شراء بويضة من امرأة أخرى وتخصيبها بسائلى المنوى قبل وضعها فى رحم زوجتى كما تحصل الآن هذه العملية فى معظم الدول الأوربية .

٢ ـ إذا كانت الإجابة بلا فى السؤال الأول فهل بإمكانى الزواج من امرأة ثانية ثم أخذ بويضة منها بموافقتها ثم تخصيب البويضة بسائلى المنوى ووضعها فى رحم زوجتى الأولى وما الحكم ؟

الجواب

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

أما بعد :

فنفيد بالاطلاع على السؤالين المذكورين أعلاه بأنه لايجوز شرعا فى تلكما الحالتين ، والله تعالى أعلم .

سؤال :

رجل مسلم الديانة متزوج من سيدة كانت مسيحية واعتنقت الدين الإسلامى وأصبحت مسلمة والزوجة لها ورثة مسيحيون فهل يحق لهم الإرث منها فى حالة وفاتها ، وما الحكم ؟ مع الإحاطة أن الزوجة ليس لها أولاد . . .

الجواب

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

أما بعد

فنفيد بأن ميراث هذه الزوجة المسلمة يرثه زوجها فإذا لم يكن زوجها موجودا فإن ميراثها يؤول إلى بيت المال . ولا يرثها أحد من المسيحيين لاختلاف الدينين إذ هو مانع من موانع الإرث والله تعالى أعلم .

السؤال من السيدة/ عزيزة أحمد مرسى تقول فيه :

توفى رجل عن زوجة ، وخمس بنات ، وأخ وأخت شقيقين . . فمن يرث وما نصيبه ؟

الجـــواب

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

أما بعد . . فنفيد بأن للزوجة الثُمن فرضاً لوجود الفرع الوارث ، وللبنات الخمس الثلثان فرضاً لعدم من يعصبهن يقسم بينهن بالتساوى ، والباقى للأخ والأخت تعصيباً يقسم بينهما للذكر ضعف الأنثى . . والله ـ تعالى ـ أعلم .

« وعن أبى موسى ـ رضى الله عنه ـ قال : « قال رسول الله ـ ﷺ ـ إن الله ليملى للظالم فإذا أخذه لم يفلته ثم قرأ ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَخۡذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلۡقُرَىٰ وَهِيَ ظَٰلِمَةٌۚ إِنَّ أَخۡذَهُۥٓ أَلِيمٞ شَدِيدٌ ﴾ . (هود-١٠٢) متفق عليه .

خميلة الشعر

للأستاذ : محمد عبد الوهاب

تقدم الخميلة اليوم طاقة متنوعة من القصائد الشعرية المعبرة نبدؤها بقصيدة عنوانها : « وداعاً أبا سامى » للأستاذ الدكتور سعد ظلام ، وهى مهداة إلى روح إمام الدعاة الشيخ محمد متولى الشعراوى الذى رحل عن دنيانا ، وكنا فى اشد الحاجة إليه ، وسوف نوالى نشر ماورد إلى المجلة عن رحيل إمام الدعاة فى الأعداد المقبلة - إن شاء الله .

ثم نتبعها بقصيدة من تراث الشريف الرضى ، الذى يعتبر من أشعر الشعراء القرشيين ، وفيها يعبر عن اعتزازه بنسبه الشريف ، وبالحنين إلى أسلافه من آل بيت النبوة عليهم جميعا الصلاة والسلام .

ثم قصيدة للشاعر جابر محمد الكردى ، يعرض من خلالها رأيه فيما يكتبه بعض الصحفيين من تهجم ظالم على فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر - حفظه الله - فيظهر الحقائق التى يحاول الشانئون أن يخفوها افتراء وظلما .

ونقدم قصيدة للشاعر محمود الطاهر الصافى - يعبر فيها عن عقيدة التوحيد بأبياته الشعرية الصادقة .

ونختتم جولة الخميلة فى هذا العدد بقصيدة « فى حب مصر » بعنوان « أنا مصر » يقدم من خلالها الشاعر / محمد أحمد المعصرانى ما يحسه من محبة وشوق إلى الوطن العزيز الغالى « مصر » .

هنا ونرجو أن يوفقنا الله - سبحانه وتعالى - لتقديم كل ما يروق ويفيد ، كما نرجو من قرائنا وكتابنا الأعزاء - موافاة إدارة المجلة بآرائكم وما ترجونه فى هذا الباب .

والله ولى التوفيق

وداعاً أبا سامى

إلى روح مولانا إمام الدعاة الشيخ

« محمد متولى الشعراوى » الذى رحل

عن دنيانا وكنا فى أشد الحاجة إليه

دكتور سعد ظلام

بروحى لو تفدى .. لجثتك فاديا — وقدمت قلبى .. والمنى وفؤاديا

ولكنها الآجال .. والعمر والدنى — وسفر طواه الموت فينان عاليا

وداعاً « أبا سامى » .. فذاك مصيرنا — وهذا قضاء الله فى الخلق ماضيا

نعاك صباح كالنواعى .. فساءنا — نظرت .. كأن الشمس مالت بأفقها

وساء صباح كان للشيخ ناعيا — وملت مداها .. والسنا والمراقيا

وأن شحوباً غل فيها ضياءها — وأثقل فيها خطوها والمعاليا

دهتها الغواشى بالفراق .. وراعها — وداعٌ .. وما أقسى النوى والغواشيا

تناغى أماسيها الصعاب بفقده — وتخشى الأماسى أن يصرن مآسيا

وأزهرنا المعمور أجهش باكيا — وودع تاريخا مضيئا .. وغاليا

وشيع إحدى قبلتيه .. ومنبراً — وجزءاً عزيزاً بالحضارة زاهيا

وقد كان مأزوما .. فكنت رجاءه — وقد كان محروباً .. فكنت المداويا

فيا أيها اليوم الذى لا أطيقه ... وأنت غراب البين أسحم داجيا
خطفت ائتلاقاً واخضراراً .. وبسمة ... وأفراح عرس قد رجعن بواكيا
ويتمت فينا الحب وهو رسالة ... وأرغمتنا ألا نرجى التلاقيا
رحلت «أبا سامى» فسودت أفقنا ... وبيضت بالآلام تلك المآقيا
ملايين هبت للوداع .. أسيفة ... سقاها الردى كأساً من الحزن داجيا
يتامى .. كأن الموت ألجم حسهم ... وأعمل فيهم ما يفوق المواضيا
وهاهم .. حواريوك .. فى كل موقع ... بهم من سهام القهر والغدر .. مابيا
يعزون فيمن كان ملء حياتهم ... ربيعاً يرجى ، أو طبيباً .. مداويا
ومن كان ملء السمع والقلب علمه ... وصوت كصوت الحق بالحق .. داويا
يهز متون الظلم صوت هزيمة ... يقول فلا يخشى سوى الله .. راعيا
عيون على المحراب .. والمصحف الذى ... غزلت بدنياه حياتك .. ثاويا
وأنت به نعم الخبير .. سماؤه ... تصيد بها النجمات .. حلين حاليا
كشفت بنور الله عذب ضيائه ... وأخرجت منه دره واللآليا
مهارة صياد .. وبوحة عاشق ... أديب وفيض بالتدفق هاميا
وأنت .. ورب البيت فنان مصحف ... حباك الإله الذوق فينان راقيا
ويا أيها الركب المسافر للسما ... وأنت تغذ السير .. فرحان .. هانيا
تركت بنا الأشجان ترعى نفوسنا ... وتزرع أياماً تشيب النواصيا
فتسود فى وجه الحياة وجوهنا ... وتكلح آفاق الدهور تغابيا
ترفق بنا .. يا أيها الركب .. إننا ... لفى حاجة قصوى إليه .. تناهيا
فمن للدعوة الغراء .. بعد «محمد» ... ومن لكتاب الله سهران .. تاليا ؟
ينقب عن معنى .. ويشرح لفظة ... ويسلك بالحب المضيىء المثانيا
ومن لهتاف الحق يهدر صوته ... فتهتز أركان .. وتجثو تداعيا
ومن للأولى زجوا بحضنك ضعفهم ... فكنت لهم كهفاً أميناً وحانيا ؟
يتامى كأن الموت غال أباهم ... وما أضعف المجنى .. وأقساه جانيا
ويا أيها الحزن الذى شق صدرنا ... وداس بخفيه السنا والأياديا
وحطم أفنانى .. وهد منائرى ... وخلى مشاعرى الغضاب بواكيا
عزيز علينا أن تفارق شيخنا ... وكنت لنا مجداً مقيماً .. وهاديا
عزيز علينا أن تفارق شيخنا ... ونحن على حال تسر الأعاديا

نفتش عن شيخ قئول .. فلا نرى ... وقار .. فلا نلقى سوى الضعف قاريا
وها أنت قد ودعت .. فارتاع حالنا ... وأظهر فينا كل ما كان خافيا
عزيز علينا يا نموذج نفسه ... فراقك .. يا طب القلوب .. وشافيا
عزيز على مثلى .. وإنك قدوتى ... وإن كنت قد حوصرت نائياً .. وناديا
وقد حيل ما بينى .. وبين مواهبى ... كما حيل بين الزرع والماء صافيا
ترشفت كأس الحزن حتى رشفته ... ولكن رفضت الضعف حتى التفانيا
تصبرت حتى قيل إنى صابر ... ومن لى بهذا الصبر حسا مداجيا ؟
فجئت وفى روحى بقايا عزيمة ... لأعزف من حزنى لحوناً غواليا
وأمتص من نعمى حديثك نفحة ... أصوغ بها نفسى إليك مناجيا
أتيت كأنى فى الحديد مقيد ... تموت أحاسيسى .. وتحيا تفانيا
أتيت .. ولكن فى وضوئى وروعتى ... وأحرمت قلباً ناصع الطهر ساعيا
كأنى بساحات « الحطيم » و « زمزم » ... أعالج قلباً بالوضاءة راجيا
كأنى على باب « الحسين » و « جعفر » ... أمد أكفى بالضراعة داعيا
تهيبت .. والخطوات أثقلها الأسى ... وأشفقت لما جئت روضك باكيا
أقدم خطوى ثم أرجع ثانيا ... وأحزم صبرى ، ثم يرتد خاويا
وأبوابك السبع المثانى .. ومن لنا ... بمثل المثانى مدخلاً متناغيا ؟
ومن أين ؟ والأبواب عالية الذرى ... ونبض المعانى كالسما متراميا
مهارج إيمان .. ونبل .. وحكمة ... ومعراج أخلاق يجوز المراميا
أتيت إلى أبواب علمك قابساً ... فحيث التفتنا .. كان نورك هاديا
دخلت تضاعيف الحياة .. فردتها ... زعيماً سياسياً .. أديباً .. وحاديا
فرأيك مقبول ، ونصحك سائغ ... وأمرك تلقيه ، فيصبح ماضيا
وكم موقف لله أنت وقفته ... لتدفع ظلماً ، أو تقيم المباديا
تواضعت فى غير اتضاع وإنما ... تكون المعانى حيث تبدو روانيا
أأحكى عن الشعر الذى أنت نسبة ... إليه ، وكم دبجت فيه القوافيا ؟
أم الفقه والفتيا ؟ أم الدين والحجا ... أم الحفظ للقرآن أسنى عواليا
أم البر والإعطاء والجود والندى ... تعم قريباً فى العطاء .. ونائيا
« دقادوس » قد أنجبت للدين عالماً ... وبحر علوم الله مد السواقيا
ومجتهداً « كالشافعى » و « مالك » ... وصنو «ابن عباس » و« عزا » وداعيا
ونجما على الآفاق فى كل منتدى ... يرد ضلالات ويفحم غاويا

ومن هو سباق إلى كل غاية ... ومن حبه زكى القلوب تصافيا
ومن هو نجم الدين فى كل محفل ... يعطر بالقول المضىء المجاليا
وكم صاول الإلحاد وهو مدجج ... وما هابه .. والأفق يهمى دواهيا
ومن مثل « شعراوى » إماما وأمة ... وخلقاً رضيا كالشعاع تساميا
وأفصح ما فيه الذى لايذيعه ... وقد ظل سرا مطمئنا .. وخافيا
وليس يذيع الروض إلا عبيره ... ولو كان من يجنيه لصا وجانيا
سيرضيك إما كنت يوماً صديقه ... وترضاه إما كنت يوماً معاديا
سترضاه فى الحالين صدق مودة ... ويرضيك فى الحالين بالود صافيا
فيا أيها الشيخ المقيم .. وإن نأى ... لذكرك كالأهرام مازال باقيا
يصوغ على تاريخنا ووجودنا ... ربيعاً ينث الطيب فينان زاكيا
ويملأ بالإشراق وجه حياتنا ... وتمهدنا نفساً .. ودرباً .. وناديا
ستبقى بما قدمت للمجد أولاً ... وتبقى بما أبقيت للخلد ثانيا
على كل أفق مصحف .. وملائك ... وقلب نبى مشرق الوحى .. داعيا
وألف صلاة ضمختك بعطرها ... وسيل من الرحمات يهمى سواقيا
سلام عليكم يا إمام دعاتنا ... مع الرسل مرضياً عليك .. وراضيا

من شعراء قريش :

الشريف الرضى

هو أبو الحسن محمد بن الطاهر ذى المنقبتين أبى أحمد الحسين بن موسى بن إبراهيم بن موسى بن جعفر بن محمد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب - رضى الله عنه - ولد فى بغداد سنة ٣٥٩ هـ . وتوفى هناك سنة ٤٠٦ هـ .

يقول الثعالبى فى يتيمته : « إن الرضى ابتدأ بقول الشعر ، بعد أن جاوز العشر سنين بقليل » ، وقال الفتح بن جنى : « إن الشريف الرضى أُحضر إلى السيرافى النحوى ، وهو طفل لم يبلغ عمره عشر سنين ، فلقنه النحو . وقعد معه يوماً فى حلقته فذاكره بشىء من الإعراب ، على عادة التعليم ، فقال له : إذا قلنا رأيت عمرو ، فما علامة النصب فى عمرو ؟

فقال له الرضى : بغض علىّ ! فعجب السيرافى والحاضرون من حدة خاطره » .

كان ذا هيبة ، وورع وعفة ، ومراعاة للأهل والعشيرة ؛ رفيع المنزلة بشرف نسبه وعلو منصبه ، حيث انتقلت إليه نقابة الأشراف من أبيه وهو حى ، وتولى معها إمارة الحج والمظالم ، وكان يرشح نفسه للخلافة ، ومن أدل شعره على عزة نفسه ، قوله يخاطب القادر بالله الخليفة العباسى :

عطفاً ! أمير المؤمنين ، فإننا ... فى دوحة العلياء لا نتفرق
ما بيننا يوم الفخار تفاوت ... أبدا ، كلانا فى المعالى معرق
إلا الخلافة ميزتك ، فإننى ... أنا عاطل منها ، وأنت مطوق

ونختار له اليوم نصاً يفتخر فيه بآل البيت - عليهم السلام - فيقول :

ألا لله بادرة الطلاب ... وعزم لا يروع بالعتاب
وكل مشمر البردين يهوى ... هوى المصلتات إلى الرقاب
أعاتبه على بعد التنائى ... ويعزلنى على قرب الإياب
رأيت العجز يخضع لليالى ... ويرضى عن نوائبها الغضاب

ولولا صولة الأيام دونى … هجمت على العلى من كل باب
ومن شيم الفتى العربى فينا … وصال البيض والخيل العراب

ثم يقول :

سقى الله المدينة من محل … لباب الماء والنطف العذاب
وجاد على البقيع وساكنيه … رخى الذيل ملآن الوطاب
وأعلام الغرى ، وما استباحت … معالمها من الحسب اللباب
وقبرا بالطفوف يضم شلوا … قضى ظمأ إلى برد الشراب
و(سامرا) ، و(بغدادا) ، و(طوسا) … هطول الودق منخرق العباب
فلو بخل السحاب على ثراها … لذابت فوقها قطع السراب
سقاك فكم ظمئت إليك شوقا … على عدواء دارى واقترابى

ثم يقول :

صلاة الله تحقق كل يوم … على تلك المعالم والقباب

إلى أن يقول :

ولى قبران بالزوراء أشفى … بقربهما نزاعى واكتئابى
أقود إليهما نفسى وأهدى … سلاما لا يحيد عن الجواب
لقاؤهما يطهر من جنانى … ويدرأ عن ردائى كل عاب
قسيم النار جدى يوم يلقى … به باب النجاة من العذاب[1]
وساقى الخلق والمهجات حرى … وفاتحة الصراط إلى الحساب
ومن سمحت بخاتمه .. يمين … تضن بكل عالية الكعاب
أما فى باب خير معجزات … تصدق ، أو مناجاة الحباب
أرادت كيده ، والله يأبى … فجاء النصر من قبل الغراب
أهذا البدر يُكسف بالدياجى … وهذى الشمس تطمس بالضباب
وكان إذا استطال عليه جان … يرى ترك العقاب ، من العقاب
بكم فى الشعر فخرى لا بشعرى … وعنكم طال باعى فى الخطاب
أجل عن القبائح غير أنى … لكم أرمى وأرمى بالسباب
فأجهر بالولاء ، ولا أورى … وأنطق بالبراء ، ولا أحابى
ومن أولى بكم منى وليا … وفى أيديكم طرف انتسابى
محبكم ولو بغضت حياتى … وزائركم ولو عقرت ركابى
تباعد بيننا غير الليالى … ومرجعنا إلى النسب القراب

الناقدون فى الميزان

للشيخ : جابر محمد الكردى

بعض الصحافة تقلب الميزانا ... وترى النهار من الهوى ألوانا
تأبى التطور والتقدم كالذى ... ألف الجمود وقيد الأذهانا
ماضر أزهرنا علوم نقحت ... من كل حشو فى المناهج كانا
من نصف قرن والمناهج عندنا ... ترجو القشيب وتنشد الأعوانا
حتى أتاها شيخنا وإمامنا ... يبغى المفيد ويعدل الميزانا
متخصصون لدى الإمام تعاونوا ... حتى أتموا الصرح والأركانا
نعماء طنطاوى أنت إمامنا ... تبنى وغيرك يمقت البنيانا ؟
الوعظ خلفك والمعاهد كلها ... والشعب يعلن بالرضا إعلانا
يا شيخ أزهرنا سلمت من الردى ... وتحطم القلم الكسيح عيانا
من كان مثلك لا يضام لأنه ... يخشى الإله وينشر الإحسانا
لك فى المنابر صحبة ومحبة ... وعلوت فى علم الكتاب بيانا
إن كان بعض الناقدين تطاولوا ... فكريم طبعك قد بدا عنوانا

من لطيف المنح على بعض ماماء ونبح

للأستاذ : مجدى عبد الحميد بشير

من المغيبات التى أخبرت عنها السنة النبوية الصحيحة ، أن صياح الديكة ينبىء عن رؤية الملائكة ، وأن بعض العجماوات من البهائم تحس بما ينال بعض الموتى ، من عذاب فى القبر ، وغير ذلك مما لا مجال للإفاضة فى شرحه وتفصيله ، وكل هذه بالطبع تجليات أودعها الله ـ سبحانه وتعالى ـ بعض مخلوقاته ، وأيدتها حقائق العلم الحديث ، التى نورد فى هذه الأسطر طرفاً منها فى محاولات متواضعة ، قصد العلماء من ورائها استكشاف واستكناه الروابط النفسية ، والصلات الروحية ، بين الإنسان والحيوان ، منوهين بما أوردته السنة النبوية ، من أن اقتناء الكلاب ينقص من أجور أصحابها فى كل يوم .

وأولى هذه القصص ما جاء فى مقال نشرته مجلة (العصر الحديث ـ *New Age*) الأمريكية ، فى عدد شهرى سبتمبر وأكتوبر سنة ١٩٩٥ ، حيث قال الكاتب : إن فى بلدتى بإنجلترا إحدى الجارات الأرامل ، كانت تقتنى فى بيتها أحد القطط ، وكان ابن هذه السيدة بحاراً ، وذات يوم أخبرتنى أنها دائماً ما تعلم وقت عودة ابنها إلى البيت بالضبط ، حتى ولو لم يخطرها هو بذلك ، والسبب : أن القط كان يذهب ويجلس على دواسة الباب ، ويشرع فى المواء ، فى الساعة ، أو الساعتين ، اللتين تسبقان وصول الابن للبيت ،

مما يمكن أمه من إعداد الشاى له ، ولم تكن هذه السيدة مولعة بالكذب والبهتان ، رغم أن البعض قد يضيف لهذه القصة ، من الرتوش والألوان ما يخرجها عن الحقيقة .

ولقد دفعنى قبولها المحض لهذه الظاهرة أن أتساءل : هل هناك أمور غريبة حقاً ؟ أو أن هذا مجرد وهم ناشىء عن تفكير غير علمى ، اتخذ من الخزعبلات ، والخرافات ، والنزوات أجنحة يحلق بها فى دنيا السراب ؟

وسرعان ما يكتشف الكاتب أن لدى كثير من مقتنى تلك الحيوانات حكايات مشابهة ، فيدفعه ذلك لكتابة مقالات حول الموضوع ، لمجلات وصحف مشهورة ، ذكر منها اثنتين : هما :

الدورية المسماة (علوم تقوية الرياضات الذهنية) والصحيفة اللندنية المعروفة (صنداى تلجراف *Sunday Telegraph*) ، وعلى إثر ذلك يتلقى مئات الخطابات من أناس ، زعموا أن هذه الحيوانات ـ خصوصاً الكلاب ـ لديها بعض القدرات الخارقة ؛ ويستطرد قائلاً : « إن هذه الظواهر لم تؤخذ مأخذ الجد ، وأن تلك الحكايات اعتبرت ألغازاً لا معنى لها ، رغم وجود ما يبررها ، ورغم تجاهل علماء النفس لها ، ولإيمانى الشديد بها جال فى فكرى أنها تنبىء عما أسميته التخاطر ، أو توارد ، وتداعى الأفكار ، لدى هذه المخلوقات تماماً ، كما هو الحال مع الإنسان ، وهنا لا يفوتنى أن أنوه بصوت الشيخ الجليل (عبدالحميد كشك) ـ رحمه الله ـ والذى نقل لنا فى إحدى روائعه قصة الفاروق عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ حين سمعه المسلمون على المنبر ، فى إحدى خطب الجمعة ، يهتف قائلاً : « يَاسَارِيَةَ .. الجَبَلَ .. الجبل .. ومن استرعى الذئب ظلم » فلما طلب المصلون منه بعد الصلاة تفسيراً لما قال ، أخبرهم أنه أحس أو رأى أن جيش سارية بن حصن فى الشام ، كان سينهزم لو لم يحتم بالجبل ضد الروم ، وقد أقر سارية بعد عودته بالقصة ، وأنه لولا التجاء الجيش المسلم إلى الجبل ، امتثالاً للصوت ، الذى سمعه ، ولم يعرف له مصدراً لما تحقق النصر ، وثبوت هذه القصة الحقيقية تاريخياً يشرح ويفسر معنى حدة البصيرة ، وصفاء الحدس .

وفى كتاب (سبع تجارب يمكن أن تغير وجه العالم .. شرح وتحليل لظاهرة طالما أهملها العلماء) حيث جاء فيه : أن ما أسموه بالحاسة السادسة عند الحيوان يتفق مع رأى (روجر ماجفورد) أحد علماء سلوكيات الحيوان الذى أبلغ صحيفة (صنداى تلجراف) اللندنية : أن للحيوانات حواسا كثيرة ومتنوعة ، تفوق ما لدى الإنسان ، وإن بإمكان هذه الحيوانات تتبع الأصوات ذات الذبذبات المنخفضة جداً والتغيرات (الجيو مغناطيسية) ، لذا فلا ينبغى أن نستغرب قدرتها ، على الإحساس بأمور لا نحسها ، نحن البشر ، ويواصل (ماجفورد) فيقول : « لا أعتقد أننا بحاجة إلى إضافة ، أو اختراع حاسة سادسة للحيوان ، وإنما الأمر ببساطة أنها تدمج كل حواسها ، وتستخدمها بكفاءة عالية .

ولإثبات هذه النظرية يقدم لنا الكاتب حكاية شائقة تقول : إنه فى مقاطعة (لانكشاير) بإنجلترا عندما تقوم الآنسة (بام سمارت) بالخروج فإنها

نترك كلبها (جيتى) ذا الخمس سنوات مع والديها ، اللذين يسكنان الشقة المجاورة لها ، وبالطبع لا يكون الوالدان على علم بموعد عودة ابنتهما إلى البيت ، لأن ساعات عملها غير منتظمة ، كما أنها تذهب لزيارة الصديقات . لكن كلبها يعلم ـ دائماً ـ الوقت الذى تبدأ فيه بام رحلة العودة إلى البيت ، فينطلق إلى النافذة بحثاً عنها ، ويقول الكاتب : إنه منذ عام ، وتلبية لطلب منى بدأت بام فى تدوين الأوقات التى تعود فيها إلى البيت بالضبط ، إلى جانب ملاحظات والديها على تصرفات كلبها .

وقد ثبت أنه فى ثمان وثلاثين مرة من مجموع أربع وأربعين مرة ، استطاع الكلب التنبؤ بموعد رجوعها للبيت ، من مدن وأماكن مختلفة ، إذ كان يتجه للنافذة منتظراً صاحبته فى اللحظة التى تبدأ فيها إدارة محرك سيارتها فى طريق عودتها إلى البيت ، فمثلاً عندما بدأت التحرك من مقاطعة (بيرى) وهى بلدة تبعد خمسة أميال عن (لانكشاير) ، وتستغرق عشر دقائق ، ذهب الكلب إلى النافذة قبل أن تطرق صاحبته الباب بعشر دقائق تماماً ، ولما ذهبت فى رحلة إلى (بلاك بول) وهى رحلة مدتها ساعة ونصف الساعة ، فإن الكلب استعد للقائها فى ذات المدة ، وأما المرات الست التى لم يستجب فيها الكلب لصاحبته ، فقد كان مشغولاً بزميل له أصابته الحمى ، فى مسكن مجاور ، واستطرد الكاتب قائلاً : إن « بام » وبناء على رغبتى ـ أيضاً ـ استخدمت فى تنقلاتها الدراجة ، ولم تستعمل السيارة ، وهو أمر نادراً ما كانت تمارسه منذ سنوات ، وقامت بزيارة أختها ، التى تسكن على بعد أكثر من ثلاثة أميال ، ومرة أخرى ، اتجه الكلب للنافذة قبل أن تركب صاحبته الدراجة مودعة أختها فى طريق عودتها للبيت ، وتجربة الدراجة هذه فندت نظرية : أن الكلب يستمع إلى صوت السيارة من بعد ، وتركت للباحثين احتمالين اثنين : الأول أن الكلب يدرك من تصرفات والدى بام أنها على وشك الوصول إلى المنزل ، والثانى أنه يشعر ويحس بقدوم صاحبته للبيت من سلوكياتها هى ، وهو ما يؤيد نظرية التخاطر ، ولإبطال الفرض الأول ، فإن (بام) كانت تعود للبيت فى أوقات غير منتظمة يتم تحديدها عن طريق القرعة ، وفى كل مرة ينطلق الكلب كعادته إلى النافذة فى الوقت الذى تبدأ فيه بام رحلة العودة ، وكأنه يحس تصرفاتها رغم ما يفصلها من أميال .

ولقد ذهب فريق من وحدة العلوم بتلفاز النمسا مؤخراً لبريطانيا ، وذلك لتصوير تصرفات ذلك الكلب العجيب فى فيلم وثائقى ، وتم تقسيم الفريق إلى مجموعتين ، وتم ضبط الأجهزة ، التى يستعملونها لتصور فى وقت واحد ، وهاتان المجموعتان أولاهما تصور بكاميراتها البيت الذى يقيم فيه والدى (بام) والفريق الثانى يتتبع (بام) التى تقضى ساعات فى بلدة مجاورة . . وفى وقت تم اختياره عشوائياً ، فإن الفريق المنوط به تصوير بام ، طلب منها بدء رحلة ربع الساعة إلى بيتها ، ولدحض ادعاء تجاوب الكلب مع صوت سيارة صاحبته ، التى ربما يسمعها من بعد فقد عادت بام إلى البيت راكبة سيارة أجرة (تاكسى) دون أن يعلم والداها

ولا فريق التصوير المصاحب لهما موعد عودتها مقدماً ، وقد تم عرض الجزء الحساس من التجربة على شاشة تلفاز مقسومة ، أى أنها تستطيع عرض منظرين فى وقت واحد ، وهى بخلاف الشاشة المزدوجة ، وذلك ليكون من الممكن والميسور مشاهدة حركات (بام) وكلبها فى آن واحد ، وتأكد للفريقين أنه بعد مرور خمس ثوان بالضبط من بدء سير (بام) ناحية سيارة الأجرة أن الكلب اندفع للنافذة منتظرا عودة صاحبته .

ويقول (هينى ليجر) العالم النمساوى ، المشرف على التجربة السابقة : « إنى لا أومن بنظرية التخاطر عادة ، ومع هذا فليس لدى أى تفسير لما رأيت بعينى على الإطلاق .

ثم يورد المقال قصة لأحد القطط ذات القدرات الخارقة ، فيقول : إن زوجة أحد أساتذة الجامعة فى مقاطعة (ويلز) بانجلترا قالت لى :

« إن زوجى عندما يهاتفنى من الجامعة ، وأكون فى البيت من أى مكان آخر ، فإن القط ينطلق إلى الهاتف ويمسك السماعة بمخالبه ، وقد نجح عدة مرات فى فعل ذلك ثم يصدر مواء يسمعه زوجى بحب وشغف على الطرف الآخر من الخط ، ولو حدث ، وكان من يتصل شخصا آخر فإن القط كان لا يبدى أى اهتمام ، فيالقدرة البارى الوهاب .

وينهى الكاتب كلامه بأسطر يؤكد فيها : أن للعلم كلاما يمكن أن يعتد به فى هذا المجال فيقول : إذا افترضنا أن هذه القصص حقيقية ، ويمكن الاعتماد عليها وتصديقها ، وأعتقد - جازما - أنها كذلك ، فإن الطريقة الوحيدة لتفسير هذه التصرفات هى افتراض وجود علاقة غير مرئية أو رباط وثيق بين الإنسان والحيوان ،

وعن طريقها يتم التأثير والتأثر عن بعد ، ثم يتساءل الكاتب ما طبيعة هذا الرباط ؟ ويجيب :

إنى أعتقد أن الناس يمكن أن ترتبط بحيواناتها ، وبالآخرين بما أسميه مجالا معينا . وفى فرضيتى هذه أرى أن لذلك المجال رنينا مايصدر عنه يشبه إلى حد كبير الرنين المغناطيسى . كما أرى أن المجالات غير المنظورة هى التى تشكل الطريقة التى تنمو بها الكائنات وتنظم بها غرائزها الحيوانية ، بل إنها تغلف ذلك بروابطها الاجتماعية ، وأرى أن تلك التأثيرات يمكن أن تنتقل عبر هذا المجال ذى الرنين تماما كما أن موجات الإرسال الإذاعى المسموع ، والمرئى ،

تنتقل عبر المجال الكهرومغناطيسى . ومن نافلة القول : أن وجود ذلك المجال أمر مثير للجدل والنقاش ، فإن وجد مثل هذا المجال فإن التأثيرات غير المرئية ، التى تنتقل من إنسان إلى حيوان ، وبالعكس ، يمكن أن تساعد فى تفسير وشرح هذه القدرة الخارقة ، التى وهبها البارى لهذه الحيوانات العجماوات ، وختاما : فإن هذا النوع من الأبحاث باهظ التكاليف ، ويمكن أن يقوم به طلبة العلم كمشروعات علمية ، فإن أكدت أبحاث أخرى وجود مجالات جديدة ، أو تأثيرات ، لم يتم التعرف عليها بعد عن طريق العلم ، فإن الحيوانات ستسهم فى إعطائنا فهما أعمق ليس فقط للطبيعة ، بل ولأ نفسنا أيضا .

■

فقه المصطلحات العلمية

للأستاذ الدكتور : أحمد فؤاد باشا (٤)

يعتقد البعض خطأ أن مصطلحات الحضارة الغربية ، ذات الدلالات غير الإسلامية ، لا ينبغى استعمالها فى أدبيات الفكر الإسلامى والثقافة الإسلامية ، إما من قبيل الحذر ، أو إيثاراً للسلامة والبعد عن اللبس والغموض . وكانت النتيجة أن تحاشى بعض الإسلاميين استخدام تلك المصطلحات ، وشجعوا الآخر بذلك على أن يتمادى فى احتكارها ، ويجعلها مميزة لثقافته المادية التى يسعى إلى « عولمتها » .

العقل والعقلانية :

لقد استأثرت الثقافة الغربية بهذين اللفظين وحرمتهما على كل ما سواها ، حيث جعلت من « العقلانية » مذهبا يميزها وحدها ويدل على سر تفوقها علميا وحضاريا ، استناداً إلى « العقل الذى بالغوا فى تقدير سلطانه إلى درجة التقديس ، واعتبروا أحكامه مطلقة الصدق واليقين ، وعامة مشتركة بين جميع الناس .

لكننا لو تعاملنا مع مصطلح « العقلانية » بما يعنيه فى اللغة العربية منسوبا إلى « العقل » الذى به يتميز الصواب من الخطأ ، والحق من الباطل ، والحسن من القبيح ، ويكون به التفكير والاستدلال ، وتركيب التصورات والتصديقات ، لوجدناه أقرب لديننا وأنسب : ذلك لأن معجزة الإسلام ورسوله - ﷺ - معجزة عقلية وعقلانية ، والخطاب الإسلامى يلفت أصحاب العقول الراجحة وذوى القلوب المؤمنة إلى المنهج الصحيح فى التعامل مع آيات الله الداعية إلى تحقيق الإبداع العلمى والعملى فى مجالات المعرفة وتطبيقاتها . مصداق هذا قول الحق جل وعلا :

﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ② وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنْهَٰرًا وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ③ وَفِى ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ وَجَنَّٰتٌ مِّنْ أَعْنَٰبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلْأُكُلِ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ④ ﴾

(الرعد ـ ٢ : ٤)

ولا يخفى على أى عاقل مغزى الخطاب الإلهى الموجه فى هذه الآيات الكريمة للموقنين ، ولقوم يعقلون ويتفكرون .

ولقد كان لمثل هذا الخطاب الإسلامى أعظم الأثر فى تشكيل العقلانية الإسلامية القادرة على التفوق والإبداع ، والمهيأة لأداء أعمال بنائية وحضارية بفضل ما تميزت به من خصائص وسمات تأتى فى مقدمتها ملكة النقد البناء التى توجه العقل البشرى إلى ضالته وتساعده على الوصول إلى حكم صائب . وهذا الإحساس النقدى من أهم الضرورات المعرفية التى يتحد المرء على أساسها الموقف العقلى للقاضى ، فيطرح جانبا ميوله الشخصية ، ويفحص كل الحجج والبراهين التى توجه القرار فى اتجاه معين . وهذا المنهج النقدى من شأنه أن يساعد العقل على رفض العوامل التى تنكر إمكان المعرفة وتهون من قدرة الإنسان على تحصيلها ، كما تساعده على تلافى الأخطاء التى وقع فيها السابقون ، وتزوده بأنجح السبل والمفاهيم والنتائج التى توصل إليها العقل الإنسانى . ويخطىء من يظن أن العقل والعقلانية يشكلان خطورة على الدين الذى من أصوله الطاعة والاستسلام ، فالقرآن الكريم حث على إعمال العقل فى تدبر آياته سعيا للوصول إلى الحقيقة ، قال تعالى :

﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ⑧② ﴾

(النساء ـ ٨٢)

وقد أفاد من هذه التعاليم الإسلامية علماء المسلمين الذين نهجوا نهجا عقلانيا مبكرا ، وتوخوا الحقيقة على أساس علمى دقيق ، ويكفى أن نستشهد فى هذا المقام بما قاله الحسن بن الهيثم عن نفسه عندما اتخذ موقفا تجاه الاختلاف فى الرأى بين المتكلمين ، حيث ذكر مانصه : « . . . إنى لم أزل منذ عهد الصبا مرويا فى اعتقادات هؤلاء الناس المختلفة وتمسك كل فرقة منهم بما تعتقده من الرأى ، فكنت متشككا فى جميعه ، موقنا بأن الحق واحد ، وأن الاختلاف فيه إنما هو من جهة السلوك إليه . فلما كملت لإدراك الأمور العقلية انقطعت إلى طلب معدن العلم ، ووجهت رغبتى وحرصى إلى إدراك مابه تنكشف تمويهات الظنون ، وتنقشع غيابات المتشكك المفتون ، وبعثت عزيمتى إلى تحصيل الرأى المقرب إلى الله . . » .

فلننظر كيف أنصف الإسلام العقل ، وأرسى مبادىء العقلانية الإيمانية ، وعول عليها فى أمر العقيدة ، وأمر التبعة والتكليف ، للقيام بمهام المعرفة والتعرف على الحقائق الكبرى فى الوجود .

المنهجية :

« المنهجية » كلمة لا يكاد يخلو منها كتاب أو خطاب أو حوار أو حديث يعرض لقضية من قضايا الفكر العلمى ، وبالرغم من ذلك فإن الاختلاف حول المعنى والمضمون شديدة والمشاحة قائمة بين أنصار المذاهب الفكرية المختلفة .

وتدلنا النظرة الفاحصة لطبيعة البحث فى العلوم المختلفة على حقيقة هامة مؤداها أن مناهج البحث العلمى ليست أبدا قواعد ثابتة ، بل هى تتغير تبعا لمقتضيات العلم ، وتكون قابلة للتعديل المستمر حتى تستطيع أن تفى بمتطلبات العلم المتجددة . وليس صحيحا ما يوهمنا به المروجون للثقافة الغربية ومفاهيمها من أن قضية المنهجية العلمية قد بت فيها ولم تعد تحتاج إلى نظر جديد ، وأنه ما علينا ، إذا أردنا أن نجنى ثمار البحث العلمى كما يجنيها غيرنا ، إلا أن نعرف ذلك المنهج الذى ألفوا ترديده منسوبا إلى « ديكارت » و « ميل » و « بيكون » وغيرهم ، حتى أوشكنا على تصوره اختراعا غربيا على شكل لائحة أو قائمة بالتعليمات والإرشادات التى لا ينبغى الحيود عن تطبيقها ، وكأنها طائفة من الوصفات المجربة الناجحة ، يتعين على أى باحث الالتزام بها .

ويقتضى فقه مصطلح « المنهجية » أن نتوصل له بالمنهج الإسلامى الذى جاء بالقول الفصل فى التأليف بين العقل والواقع الكونى والإنسانى ، وتميز بأنه منهج عقلانى تجريبى إيمانى فى آن واحد ، يحث على الاستقراء والاستنباط ، وينمى الحس النقدى والنظرة الاستقصائية لدى الباحثين ، فهو يعتبر الإنسان بكامله ، بعقله وحواسه وإرادته وبصيرته وكل ملكاته التى أنعم الله بها عليه ، يعتبرها مجتمعة الوسيلة الأولى والأخيرة لتحصيل المعرفة العلمية .

وقد أشار القرآن الكريم إلى حواس الإنسان وباقى ملكاته المعرفية فى أماكن كثيرة ، فذكر الذوق فى قوله تعالى :

﴿ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا ﴾

(الأعراف : ٢٢)

وأشار إلى اللمس فى قوله تعالى :

﴿ وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴾

(الانعام : ٧)

وأشار إلى حاسة الشم فى قوله تعالى :

﴿ وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَنْ تُفَنِّدُونِ ﴾

(يوسف ـ ٩٤)

وذكر السمع والبصر والفؤاد فى مثل قوله تعالى :

﴿ وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾

(النحل ـ ٨)

وقوله سبحانه وتعالى :

﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَٰكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾

(الحج ـ ٤٦)

وأشار إلى العلم الذى يتلقى بالفتح من الله سبحانه وتعالى ، ويعول فى تحصيله على « التقوى » حيث قال تعالى :

﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾

(البقرة - ٢٨٢)

وليس هناك من شك فى أن البحث فى ظواهر الكون والحياة لقراءة الآيات الإلهية المنبثة فى الآفاق وفى الأنفس يتم بالاستخدام الأمثل لكل هذه الوسائل والملكات الإدراكية ، وليس اختراع العديد من أجهزة الرصد والقياس سوى تعزيز وتعميق لهذه الوسائل والملكات ، فلم يكن استحداث أجيال المجاهر والمقاريب بأنواعها المختلفة إلا تعزيزا لحاسة الإبصار بعد أن اقتحم العلم عالم المتناهيات فى الصغر كالذرة والخلية الحية ونواتيها ، وغزا عالم المتناهيات فى البعد والكبر من كواكب ونجوم ومجرات فى أعماق الفضاء الخارجى ، ولم يكن اختراع مقاييس الحرارة (الترمومترات) سوى تعميق لحاسة اللمس ، وليس الحاسب الآلى سوى مساعد للعقل فى إجراء العمليات الحسابية والتخطيطية المعقدة . وسوف يستمر تطور الأجهزة العلمية مواكبا لتطور المعرفة العلمية ، لكن يظل فكر الإنسان وعمله نتاجا لوسائل وملكات يتحمل مسئوليتها أمام خالقه الحكيم العليم القائل فى محكم التنزيل :

﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴾

(الإسراء - ٣٦)

وهكذا أدرك المسلمون الأوائل أن مفتاح المعرفة يمثل فى اتباع منهجية علمية رشيدة ، واستطاعوا بفضل التوجيهات الإسلامية البناءة أن يطبقوا هذه المنهجية على أساس الممارسة النقدية السليمة لعلوم القدماء ، وميزوا بوضوح بين مصادر المعرفة فى عالمى الغيب والشهادة ، كما ميزوا بين طبيعة الظواهر العقلية الخالصة من جهة ، وبين الظواهر الحسية المادية من جهة أخرى ، ولذا نجدهم قد فطنوا إلى تعددية مناهج البحث العلمى ، وهو ما يعتبر خير رد على دعاوى المشككين فى قدرات العقلية الإسلامية على التنسيق والتجميع والتركيب فى أنساق فكرية شملت مذاهب فى علم التوحيد ، وفى علم أصول الفقه ، وفى غيرهما من العلوم العقلية ، إلى جانب المنهج التجريبى الاستقرائى الملائم فى الظواهر الكونية المنتظمة ، وهو مالم يظفر به الفكر فى غيرهم من الأمم . وصدق الله العظيم حيث يقول :

﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾

(الأنعام - ١٥٣)

الشك المنهجى :

يشارك الشك المنهجى فى العملية النقدية للمعرفة باعتباره أول مراحل التفكير التى تتطلب من أى باحث فى قضية معرفية أن يتحرى الدليل

الأقوى والبرهان الكافى من أجل الوصول إلى اليقين . بل إن هذا النوع من الشك الذى يستخدمه الباحث الناضج بإرادته ، رغبة منه فى اختيار معرفته وعدم تأثر تفكيره بالأخطاء المألوفة والمتوارثة ، يعتبر فى واقع الأمر أحد عناصر اليقين فى تحصيل المعرفية العلمية . وهناك من الباحثين فى قضايا المنهجية من يرى فى الشك المنهجى تلك القوة الموقظة فى تاريخ النشاط العقلى ، ويرجع إليه كل نزوع إلى النقد الصحيح وحرية البحث وعبقرية الاكتشاف فى ماضى العلم وحاضره .

من ناحية أخرى ، عرفت الدراسات العقلية الحديثة وأبحاث التحليل النفسى أن الشك المنهجى فى الفكر العقلانى والتجريبى على حد سواء يلازم خطوات اختبار المعرفة أو امتحانها أثناء تحصيلها وعند تمحيص مصادرها ونتائجها .

إذ أن الاعتقاد والإنكار فى رأى الكثيرين من علماء النفس مظهران لحالة نفسية واحدة ، فالضد الصحيح للاعتقاد هو الشك الإرادى والبحث العلمى وليس الإنكار . ومن ثم فإن الطريق إلى تحصيل معارف جديدة وصحيحة يقوم فى جانبه العقلى على استخدام الشك المنهجى ، وهو بطبيعة الحال يختلف عما يعرف بالشك المذهبى أو الشك المطلق الذى يزاول لذاته وبغير إرادة من صاحبه الذى يعيش فى حالة ريب ، يبدأ فيها وينتهى بالشك وعدم الثقة فى بلوغ اليقين ، على نحو مافعل الشكاك من « السوفسطائيين » الذين اتخذوا من الشك مركزا يديرون عليه محاوراتهم الجدلية العقيمة ، فعطلوا به حركة العقل السليم فى اتجاه الحق والحقيقة .

ومن حسن تقدير الإسلام أن أيقظ كل مقومات الحس النقدى فى العقل الإنسانى ، ودعا إلى إعمال التفكير العلمى السليم لكى يكون الشك ممرا إلى العلم اليقينى ، وليس لمجرد الشك الذى يبغى إنكار الحقيقة . ونجد مصداق هذا فى آيات كثيرة من القرآن الكريم مثل قوله تعالى :

﴿ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴾

(البقرة -٢٣ ، ٢٤)

وقوله عز من قائل :

﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِي الْقُبُورِ ﴿٧﴾ ﴾

(الحج -٥ : ٧)

بين المجلة والقارئ

إعداد : عادل رفاعى خفاجة

تلقيت رسالة طيبة من أخ كريم يتساءل فيها عن قواعد النشر وأهم الموضوعات التى تحظى بالنشر فى باب « بين المجلة والقارىء » . وللقارىء الكريم نقول :

لقد حرصنا منذ إنشاء هذا الباب أن يكون للقارىء :

* رأى فيما ينشر بالمجلة .

* ومشاركة بقلمه فى تحرير بعض الموضوعات .

وبفضل الله ـ تعالى ـ فإن القراء يساهمون بشكل فعَّال فى كلا هذين الأمرين . وإننا نذكر القراء بأننا نهتم ـ فى هذا الباب ـ بنشر كل ما هو جاد وجديد ، وليس بالضرورة أن يكون إنتاجا خاصا بالقارىء بل نرحب ـ أيضا ـ بكل ما لفت انتباهه فى كتاب أو صحيفة أو برنامج .

وفى حالة رغبة القارىء فى المساهمة بأحد الموضوعات ، فعليه أن يراعى أن لا يتناول ما تعالجه المجلة بأقلام الأساتذة المختصين ، مع مراعاة الدقة فى ذكر المراجع التى اعتمد عليها وبخاصة عند الاستشهاد بالأحاديث النبوية الشريفة .

الشـــــورى

ويرسل القارىء : ناصر مصطفى عبد الحميد مرسى كلمة مستفيضة عن الشورى نجتزىء منها قوله :

الشورى

هى استطلاع رأى الأمة من خلال نوابها من أهل الحل والعقد فى أمر من الأمور الدنيوية التى تمس مصالح الناس بهدف الوصول إلى الرأى الصواب ؛ مما يساعد الحاكم على اتخاذ القرار النهائى بما لا يخالف النصوص الشرعية وأحكامها ومقاصدها صراحة أو ضمنا .

وهى من أهم الأصول السياسية فى الإسلام .

فمبدأ الشورى فى الإسلام يحقق التوازن بين السلطتين ضمانا لعدم ديكتاتورية السلطة التنفيذية .

ومن أجل هذا أمر الله سبحانه وتعالى بتحقيق مبدأ الشورى فى أكثر من موضع من القرآن الكريم ومن ذلك قول الله تعالى :

﴿ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴾

(آل عمران - ١٥٩)

كما وردت الشورى كصفة من صفات المؤمنين فى قوله تعالى :

﴿ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ ﴾ (الشورى - ٣٨)

كما حث عليها الرسول فى أحاديث كثيرة منها قوله - ﷺ - «لاخاب من استخار ولا ندم من استشار ولا عال من اقتصد » . رواه الطبرانى

وقوله - ﷺ - : « أما وإن الله ورسوله لغنيان عنها - أى المشاورة - ولكن جعلها تعالى رحمة لأمتى ، فمن استشار منهم لم يعدم رشدا ومن تركها لم يعدم غيا » . وأما سنة الرسول - ﷺ - العملية فى هذا الأمر فهى أشهر من أن تذكر أو تحصر فقد كان يستشير أصحابه فى كل أمر لم يرد فيه توجيه سماوى .

أما الهدف من الشورى فهو :

١ - التأليف بين قلوب المسلمين ، وذلك حين يجتمعون لأخذ الرأى فيما بينهم بهدف الوصول إلى الحق الذى يرضى الله - تعالى .

٢ - معالجة كل القضايا المستحدثة فى حياة الناس مما لم يرد فيه نص من الكتاب والسنة .

٣ - احترام حرية الفكر والعقل .

٤ - الوصول إلى قرارات بعيدة عن الزلل .

مجال الشورى وحدودها :

ما الموضوعات التى تخضع للشورى بين أهل الحل والعقد ؟ والجواب أنها الأمور التى استحدثت فى حياة الناس مما لم يرد فيه نص فى الكتاب والسنة والإجماع والقياس وغيرها من مصادر التشريع ، كالمسائل التطبيقية حول الأصول السياسية أو الأصول الاقتصادية ، أى اتخاذ أفضل الطرق لتطبيق هذه الأصول وأمور الحرب والهدنة وعقد المصالحات ووضع الميزانية وتوزيعها ، وتخصيص النفقات وغير ذلك من الأمور التى لم ينص الشارع عليها بالحل أو بالحرمة » .

قـــدرة اللـــه

وتلقينا من القارىء : خالد السيد محمد سالم من قرية المقاطع ، مركز الباجور رسالة احتوت على كلمة عن قدرة الله تعالى جاء فيها :

« .. فلا بد على ذوى العقول أن يذكروا الله ، وأن يكون لسانهم رطبا بذكر الله ، ولا يجعلوا الدنيا أكبر همهم بل عليهم أن يتفكروا فى قدرة الله ـ تعالى ـ وكيف بسط الأرض ومهدها وكيف رفع السماء وأمسكها وعليهم أن يقرأوا فى تدبر قول الحق تبارك وتعالى :

﴿ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴾

(الغاشية ـ ١٧)

وعلينا أن لا ننخدع بالمظاهر ، وأن نؤمن يقينا أن الأمور كلها بيد الله ـ عز وجل ـ فلا نسأل إلا الله ولا نذل إلا له ، وعلينا أن نتأمل قول الشاعر :

قل للطبيب تخطفته يد الردى
ياشافى الأمراض من أرداكا ؟
قل للمريض نجا وعوفى بعدما
عجزت فنون الطب من عافاكا ؟
قل للصحيح يموت لا من علة
من بالمنايا ياصحيح دهاكا ؟

إغاثة الملهوف واصطناع المعروف

ومن رسالة للقارىء : عبد الهادى محمد أحمد سليم
منشاة الجهال ـ مركز طامية ـ الفيوم
نورد مايلى :

دعا الإسلام الحنيف إلى التعاون وإغاثة الملهوف وانتشاله من ورطته وقضاء حاجته فقال تعالى :

﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ﴾

(٢ ـ المائدة)

ومن هنا وجب على كل مسلم أن يكون معينا إذا طلب العون منه ويطلب العون إذا احتاج إليه

فضـــل العلـــم

ومن قصيدة للقارئة نجلاء إبراهيم عامر ـ دمنهور شبرا بعنوان : « فضل طلب العلم ومنزلته » نعرض هذه الأبيات :

العلم أغلى وأحلى ماله استمعت
أذن وأعرب عنه ناطق بفم
العلم أشرف مطلوب وطالبه
لله أكرم من يمشى على قدم
العلم نور مبين يستضىء به
أهل السعادة والجهال فى الظلم

لأن كلمة تعاونوا على وزن تفاعلوا وهذا مايشير إلى معنى الأخذ والعطاء المتبادل بين من يملك ومن لا يملك ، والمسلمون فى هذه الأيام فى أمس الحاجة لإحياء هذا الخلق الرفيع فيما بينهم حتى تعود جماعة الإسلام إلى سابق عهدها من القوة والمجد والنصر على الأعداء . فالمسلم النافع لمجتمعه هو أحب الناس إلى الله وإلى رسوله فقد روى فى مسند الشهاب عن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما أن النبى - ﷺ - قال : « خير الناس أنفعهم للناس » . فمن هذا الحديث نفهم أن أفضل الناس وأحبهم إلى الله ورسوله هم النافعون لخلقه الذين يمنحونهم مما منحهم الله من عطاء .

وصاحب العطاء لابد وأنه يدرك تماما أن الله سبحانه وتعالى خصه بهذا العطاء ليفيض به على غيره من الملهوفين وأصحاب الحاجات فإذا منعهم هذا العطاء صرفه الله عنه وحوله إلى غيره ليقوم بهذه المهمة ويؤديها على أكمل وجه فقد روى ابن أبى الدنيا أيضا عنه - ﷺ - أنه قال : « إن لله قوما اختصهم بالنعم لمنافع العباد ، يقرهم فيها ما بذلوها فإذا منعوها نزعها منهم فحولها إلى غيرهم » .

وفى رواية للطبرانى عن عتبة بن غزوان عن نبى الله - ﷺ - قال : « إذا أضل أحدكم شيئا أو أراد عونا وهو بأرض ليس بها أنيس فليقل ياعباد الله أعينونى . فإن لله عبادا لا نراهم » . قال الإمام النووى : جربت ذلك فوجدته فإذا كان الله يحب إغاثة اللهفان وجند لذلك جنوداً خفية لا نراهم فما بالنا نحن المسلمين نهمل هذا الخلق الرفيع فعلينا أن نغيث الملهوف ونعين صاحب الحاجة حتى ننال من الله الخير الوفير فى الدنيا والآخرة .

الأمر بالمعروف

ونقدم هذا الجزء من رسالة القارىء : أيمن محمد أبو السعود مركز دسوق .

يقول تحت عنوان : الحاجة إلى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر : المجتمع وإن كان به العاقل والرشيد الذى تصدر أعماله عن دين وعلم تجربة به كثير من المقصرين المتراخين الذين يقعون فى الزلل إما جهلا وإما استهتاراً فلو ترك هؤلاء بغير نصح لأساءوا إلى أنفسهم وإلى المجتمع الذى هم فيه وتمادوا فى غيهم وكثرت المفاسد وفشت الشرور وأهملت الفضائل وانتشرت المظالم واستبد الحكام وعمت الفتن فشملت المفسدين وغيرهم ، لذا فرض الدين على المسلمين أن يأمروا بالمعروف وينهوا عن المنكر فقال تعالى :

﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾

(آل عمران - ١٠٤)

اللهـــم لــك الحمـــد

ويرسل القارىء : خيرى محمد إبراهيم أبو الروس بيلا - كفر الشيخ هذه الرسالة من أقوال الرسول - ﷺ - .

عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : كان رسول الله - ﷺ - إذا قام من الليل يتهجد قال : « اللهم لك الحمد قيم السموات والأرض ومن فيهن . ولك الحمد أنت نور السموات والأرض ومن فيهن ولك الحمد أنت الحق ، ووعدك الحق ولقاؤك الحق وقولك الحق اللهم لك أسلمت وبك آمنت وعليك توكلت وإليك أنيب وبك خاصمت وإليك حاكمت فاغفر لى ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت . أنت المقدم وأنت المؤخر لا إله إلا أنت » .

« رواه الإمام البخارى فى صحيحه »

ردود سريعة

القارىء : ناجح الخربطلى بدوى إسماعيل قنا - نجع حمادى - أولاد نجم

وصلتنا رسالتكم ونحن فى انتظار ما ترسله من إسهامات .

القارىء : تامر عبد الغنى الأنصارى دمنهور - عزبة الأنصارى

إن الطريق إلى الله - تعالى - مفتوح للجميع وبخاصة لهؤلاء العائدين إلى رحاب الله التائبين ، قال تعالى :

﴿ قُلْ يَـٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ﴾ (الزمر ٥٣)

ولا مانع من اختيار الرفيق الصالح الذى يعينك على الطريق فخير رفيق هو الذى يذكر دائما بتقوى الله - تعالى . ولك أن تطيعه فى كل شىء ما لم يأمرك بمحرم « فلا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق » .

القراء :

- رجب يونس عيسى
- فاضل إسماعيل صالح
- أحمد محمد غانم

شركة مصر للغزل والنسيج الرفيع - كفر الدوار

إبراهيم البدرى على - الاسكندرية - محطة الرمل - ش سعد زغلول

نرجو أن تقبل اعتذارنا عن عدم التمكن من إرسال الأجزاء ١١ ، ١٢ سنة ١٤١٨ هـ ، حيث تنفد المجلة بعد صدورها مباشرة .

أما بخصوص طلبكم الاشتراك فى المجلة ، فيمكنكم الكتابة مباشرة إلى :

السيد / رئيس قسم الاشتراكات بجريدة الأهرام - القاهرة - شارع الجلاء .

حيث إن الأهرام هى الجهة المسئولة عن توزيع مجلة الأزهر على أن يتضمن طلبكم العنوان بالتفصيل وبخط واضح مرفقاً به حوالة بريدية بقيمة الاشتراك ، وهى اثنا عشر جنيها عن العام .

روضة الكتاب

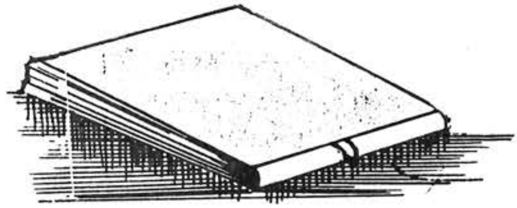

إعداد: محمود الفشنى

على الرغم من ثورة المعلومات وانتشار أجهزة استقبال البث الفضائى والتطور المتلاحق فى الشبكات العلمية وعلوم الكمبيوتر يظل الكتاب رافداً من أهم روافد الإشعاع الثقافى ؛ ولذا نقدم - دون نقد أو تعليق فى نبذة مختصرة - تعريفاً بأحدث ما فى المكتبات من كتب إسلامية وثقافية وعلمية .

المحرر

أبى آدم قصة الخليقة بين الأسطورة والحقيقة

تاليف الدكتور / عبد الصبور شاهين :

● عزيزى الإنسان . . إذا أردت البحث عن نفسك ومكونات خلقك ، وكيف خُلقت وما هى بدايتك وحقيقة الطين الذى خُلقت منه ، ومن هو أبوك ، ومتى بدأ تكوينه ؟ أسئلة كثيرة ومتعددة قد يشرد فيها عقلك طوال عمرك وأنت تبحث عن نفسك .

● والآن أقدم لك هذا الكتاب : فيه كل صغيرة وكبيرة عن الخليقة بين الأسطورة والحقيقة مع اختلاف الأقوال والأساطير وصولاً إلى الحقيقة الأساسية ، ومن المعلوم أن أمم الحيوان والطير قد

سبقت فى وجودها الإنسان على الأرض ، وحسبك من ذلك إشارة القرآن إلى الغراب الذى علم ابن آدم القاتل كيف يوارى سوأة أخيه ، ولكن وجود هذه الكائنات لم يشغل بال الإنسان ، لأنه لا يمثل فى نظره مشكلة .

فأما وجود الخليقة البشرية فهو المشكلة الكبرى التى تواردت عليها الرؤى وتواترت الاجتهادات بدءا من الرؤية الإسرائيلية ، وللأسف كانت واسعة الانتشار ، وتفردها على الساحة الفكرية ، حتى وجدنا أكثر المفسرين للقرآن يرددون ما ذكرته الإسرائيليات ترديداً حرفياً . . دون أدنى محاولة تعرض مضمونها على العقل ، وتغربل ما حفلت به من خرافات وأساطير .

● وإليك أيها القارىء جوهرها كما تلقيناها عن القدماء ، وكما رواها صاحب قصص الأنبياء المسمى بالعرائس ، ووضحها أستاذنا الدكتور عبدالصبور شاهين مستعيناً بالقرآن الكريم .

ففى المقدمة ذكر المؤلف معرفة الله ـ سبحانه وتعالى ـ عن طريق خلقه للإنسان هذا المخلوق العاقل المؤهل للمعرفة .

● وأما الزمان والمكان فقد خلقا لتحديد ماهية الأشياء ، وقد جعلها الخالق ـ سبحانه ـ على مرتبتين ، غيب وشهادة ، إن كل ما فى كيان الإنسان ، وواقعه ، وزمانه ، ومكانه هو من آثار رحمة الله .

● ثم عرض المؤلف آراء ابن طفيل فى مشكلة خلق الإنسان وتناول جزئية هامة من كتاب (آدم ـ عليه السلام) من تأليف بشير التركى ، وذكر فيه أهم الموجات البشرية وهى أربع :

● الأولى من أربعة مليارات إلى مليار من السنين ، وهى فترة عاش خلالها بشر يسمى بشر الجنوب والاسترالوبتيك .

● والثانية من مليار إلى مائة وخمسين ألف سنة وعاش خلالها جيل « البتكائيروب » وهو البشر الواقف .

● والثالثة من مائة وخمسين إلى أربعين ألف سنة ، وعاش خلالها إنسان « النياندرتال » وهو بشر الشعور .

● الرابعة من أربعين ألف سنة حتى الآن ، وقد عاش فيها الإنسان « الهوموسابيتر » ، أو الإنسان العارف .

● أما فى الباب الأول من الكتاب فقد ذكر المؤلف القصة والإسرائيليات وقصة خلق الإنسان عند القدماء تأثرت بالتصور الإسرائيلى لها ، وأشار إلى سلسلة النسب من آدم ـ عليه السلام ـ وحتى إبراهيم ـ عليه السلام ـ .

● أما فى الباب الثانى فتناول النظرة العلمية ووضح فيها أكثر من ست عشرة حقبة وهى عصور مرت بكوكب الأرض وقسمت إلى حُقب بدأت من حقبة ما قبل (الكمبرى) إلى حقبة (البلايستوسين) .

● وعن دور الإنسان بين العلم والقرآن وضح المؤلف أن معطيات العلم ليست حقائق مطلقة فى أغلب الأحيان ، بل هى رُؤى نسبية ، من حيث

إن العقل الذى يتوصل إليها مرتهن بقيود من البيئة والزمان والقدرات الذاتية .

أما القرآن وهو الكلمة الإلهية النهائية فى الخطاب ما بين السماء والأرض فإنه ولا شك يقدم للعقل الإنسانى الحقائق النهائية فى الموضوع .

● وعن نظرة القدماء إلى وجود الخليقة كان الفصل الثالث من الكتاب ويحكى أسطورة خلق الإنسان .

● وفى الفصل الرابع تناول المؤلف حديث القرآن ، وذكر السور التى تعرضت لخلق الإنسان وهى ٣٥ سورة قرآنية ، وهى تتضمن أساسيات قصة الخلق من مبدئها إلى منتهاها .

والأساسيات التى يقصدها المؤلف فى القصة هى إخبار الله للملائكة بأنه سيخلق البشر ، خلق البشر من طين ، أمر الملائكة ومعهم إبليس بالسجود للمخلوق عند استوائه واكتماله ، رفض إبليس للسجود استكبارا ، ادعاؤه الخيرية على آدم بخيرية النار على الطين ، طرد إبليس وإمهاله إلى يوم الدين .

توعد إبليس بغواية آدم ، إلا المخلصين ، وعيد الله بجهنم لمن اتبع إبليس .

● وبعد ذلك ذكر المؤلف فى عدة فصول إعلام الملائكة . خلق البشر من طين استعمالات القرآن لكلمة (بشر) حقيقة الطين ، الخلق النفسى ، البشر والإنسان ، الإنسان يخرج من البشر ، الطريق إلى الجنة ، برهان التكرار ، آدم أبو الإنسان .

● أما فى الباب الثانى فتحدث المؤلف عن وقائع القصة ، ففى الفصل الأول وضح معنى البشر واللغة والإنسان والملائكة ثم السجود للنبى الإنسان وموقف إبليس ثم بين إبليس وآدم فى الجنة .

● وفى الفصل السادس بين المؤلف اللغة والأسماء القديمة - الله - الملائكة - آدم - إبليس - الشيطان ، وتناول قصة إبليس فى القرآن ، وقد ورد ذكر الشيطان فى القرآن مفرداً وجمعاً فى سياقات توحى باختلاف المعنى المقصود منه ، وعرض الشيطان فى المرحلة المكية والمرحلة المدنية ، وكان هذا هو الفصل الأخير بعد أن عشنا مع هذا الكتاب الشيق الذى نضعه بين يد القراء الأعزاء ليوضح لهم معالمهم وقصة خلقهم .

● وفى النهاية أقول لكم أن الموضوع خطير - مثير ، وهو يحتاج إلى أن يقرأ بمزيد من التأمل والهدوء دون الخضوع للأفكار المتوارثة ، والحكايات القديمة .

وأخطر ما فى الموضوع أن تقرأ نصاً معيناً أو كتاباً ، ثم تهب معترضاً فى تلقائية بعيدة عن التفكير المتعمق .

● وهذا الكتاب لم يخرج فيه الدكتور عبدالصبور عن المعنى القرآنى ، ولا يتناقض فى نتائجه مع أى حديث صحيح فى السنة الشريفة .

والهدف منه هو انتزاع العقل المسلم من براثن النقول الإسرائيلية المحشوة بالخرافات ، المنافية لكل ما هو عقل وعلم ونور .

● فاحرص عليه لتضيف إلى مكتبتك كتاباً لا غنى عنه ، ويجب أن يقرأه كل مسلم يريد أن يعرف حقيقته : كيف ومتى ولماذا ؟؟؟

سيد التابعين سعيد بن المسيب

من أعلام رجال الدعوة

تاليف الدكتور / محمد إبراهيم الجيوشى :

● عزيزى القارىء : كنت أتردد كثيراً فى البحث عن أهم الإصدارات التى تهم كل قارىء ، وتكون عنده معلومات هامة عن العلماء فى مختلف العصور إلى أن اهتديت إلى هذه الدراسة لواحد من أكبر علماء الأمة فى عصر التابعين ، وأبعدهم أثراً فى الحركة العلمية وتأثيراً فى طلاب العلم فى عصره ، نعرض فيه أطوار حياة هذا العالم المتميز الذى استحق أن يطلق عليه العلماء من بعده لقب « سيد التابعين » .

● هذا الكتاب يحكى سيرة هذا الصحابى الجليل وتراجم هامة عن حياته ، ففى بداية هذا الكتاب :

● كان التمهيد عن مسيرة الدعوة فى عصر النبوة والخلفاء عندما كانت الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ يأخذون عن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ مباشرة أثناء حياته يتلقون عنه ما يفيدهم فى دينهم ودنياهم ، ويسألونه عما يحتاجون إلى السؤال عنه ، وقد حفظت لنا كتب السنن والسير سيلا من هذه الأسئلة ومعينا لا ينضب من المعارف التى استقاها الصحابة منه ـ عليه السلام ـ وقد

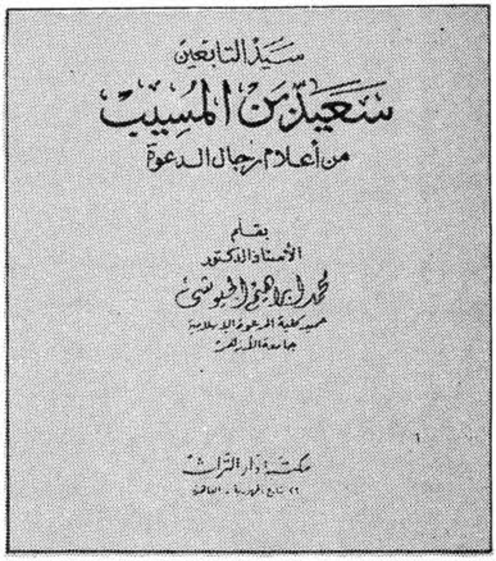

انتفعوا بهذه المعارف حتى بلغ عدد منهم مكانة من العلم هيأت له أن يجلس مجلس الفتوى فى حياة النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ .

● ثم تحدث عن نشأة المدارس الفكرية بعد عصر النبوة وفقهاء المدينة السبعة وهم سعيد بن المسيب ، وعروة بن الزبير ، وأبو سلمة بن عبدالرحمن ، وعبيد الله بن عبدالله بن عتبة ، والقاسم بن محمد ، وسالم بن عبدالله ، وسليمان ابن يسار ، وخارجة بن زيد ، وأبو بكر بن عبدالرحمن ، وأبان بن عثمان .

● المؤلف : عميد كلية الدعوة الإسلامية السابق .

● وأشار المؤلف أيضا إلى مجمع العلماء أو مجلس الفتوى وحلقات الدرس .

● أما فى الفصل الأول من الكتاب فتحدث عن النشأة والتربية لسيد التابعين الورع الحجة الإمام الفقيه العالم النقى أبو محمد سعيد بن المسيب بن حزن المخزومى القرشى المدنى شيخ المدينة كان أبوه وجده صحابيين وكانت أسرته تعرف بالحدة فى الطباع والشدة فيما تأخذ به أنفسنا .

● ثم تناول المؤلف حياته فى تحصيل العلم وإعجابه بعلم زيد بن ثابت وقضاياه ثم إعجاب الناس بعلمه وقوة حافظته وهيبته واعتزازه بنفسه .

● ولكن فى الفصل الثانى انتقل المؤلف إلى المتاعب والاضطهاد التى تعرض لها هذا الصحابى ، من الزبيريين ، والأمويين على السواء ، لأن كلا منهما كان يريد أن يكون الناس تبعاً له فيما يرى .

● ووضح المؤلف فى الفصل الثالث دنيا ودين سعيد بن المسيب - رضى الله عنه - من مظهر وملبس ، وموقفه من الشعر ، روايته واستماعه ، ثم أخلاقه وعبادته وتقواه ، وصومه وحجه .

● أما فى الفصل الرابع فقد تناول المؤلف أسرته وحياته الاجتماعية ، فكان لسعيد ابن اسمه محمد وابنته التى زوجها لتلميذه ابن أبى وداعة ، وكانت زوجته ابنة أبى هريرة - رضى الله عنها - .

● أشار المؤلف بعد ذلك إلى نظرته إلى الأحداث السياسية ، ورأيه فى فتنة سيدنا عثمان ، وموقفه من البيعة ليزيد وبنى مروان ثم موقفه من عمر بن عبدالعزيز - رضى الله عنه - .

● وفى الفصل الخامس والأخير صاحبنا سعيد بن المسيب فى رحلة طويلة طوفنا معه فيها فى مجالات الدرس والتحصيل .

● أشار المؤلف إلى معرفته بالأخبار والأنساب .. ثم علم تعبير الرؤى ونماذج من تعبيره للرؤى ، وعلوم القرآن ثم فى القراءات وأسباب النزول ومعرفة الناسخ والمنسوخ وتفسير القرآن والسنة وخبر الآحاد والمرسل والفقه .

● وقد وردت عن الإمام سعيد أحكام فقهية ، تناولت تقريباً كل مسائل الفروع ، فى العبادات ، والمعاملات والحدود .

● لهذا عزيزى القارىء : يكون هذا العالم الإمام الجليل قد قضى حياة طويلة عريضة ، استمرت ثمانين عاماً ، وامتلأت بالأحداث المثيرة ، لم يسلم منها بل ناله من متاعبها الكثير من سجن وجلد ومقاطعة وتعرض للقتل أكثر من مرة .

● كان هذا الإمام حريصاً على حضور الجماعة بالمسجد النبوى ، ثم توفى إلى رحمة الله عام ٩٤ هـ بعد أن ترك أثراً واضحاً فى معالم الحياة الفكرية فى المدينة ، واتجاه المدارس الفقهية فيما بعد ، بعد أن ضرب القدوة للعلماء ، وأهل الفتوى فى الاعتزاز بالحق ، والتمسك بأهدافه ، حتى تسود المثل العليا ويتحقق للمجتمعات ما تصبو إليه من عدل ينعم به الجميع ، وأمن يبسط عليهم ظلاله .

● نقدم هذه الدراسة للعاملين فى حقل الدعوة ، والمنتسبين إليها لعلهم يجدون فيها ما ينقصهم فى سلوكهم وأخلاقهم ، ويقفون على المدى الفذ لاعتزاز العلماء بمكانتهم وحرصهم على إعلان كلمة الحق والدعوة إليها بالحكمة والموعظة الحسنة .

أنباء مكتب شيخ الأزهر

إعداد الأستاذ
عمر البسطويسى

فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهـر يــزور مــاليزيا

● عاد بسلامة الله ـ تعالى ـ فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوى من زيارته لماليزيا يوم ١٩٩٨/٨/٢٣ ، حيث التقى خلال الزيارة بملك ماليزيا ورئيس وزرائها الدكتور/ محمد مهاتير ، والسيد وزير الشئون الدينية وبأساتذة الجامعات الإسلامية ، كما زار فرع جامعة الأزهر بماليزيا ، وألقى عدة محاضرات عن التسامح فى الإسلام ووسطيته وسبل مواجهة الإساءات الموجهة ضد الإسلام والوسائل التى يجب اتخاذها لتوضيح الصورة الصحيحة للإسلام .

وقد منحت جامعة ماليزيا « جائزة العطاء العلمى المتميز » لفضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر تقديراً لجهوده المتميزة فى خدمة الإسلام والمسلمين .

وقد حظيت زيارة فضيلته باهتمام كبير من كل المسئولين ومن كل وسائل الإعلام الماليزية التى اهتمت اهتماماً كبيراً وخصصت مساحات ضخمة لمتابعة اللقاءات التى تمت مع فضيلته والمسئولين بماليزيا ، وقد أكد الدكتور/ مهاتير محمد رئيس وزراء ماليزيا أن سياسة الأزهر فى التعليم المتوازن نموذج يحتذى .

« نتيجة امتحان الدور الثانى للشهادة الابتدائية »

اعتمد فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف صباح يوم ١٩٩٨/٨/٢٥ ، نتيجة امتحان الشهادة الابتدائية الأزهرية للدور الثانى للعام الدراسى ٩٨/٩٧ ، وقد تقدم للامتحان ٥٢٣٩٠ تلميذاً وتلميذة ، حضر منهم ٥٠٩٦١ تلميذاً وتلميذة وتخلف ١٤٢٩ ، ونجح ٣٦٣٨٥ ، ورسب ١٦٠٠٥ ، والنسبة المئوية

للنجاح فى الدور الثانى ٧١,٤٠٪ .. وكانت النسبة المئوية للنجاح فى الدور الأول ٥٦,٠٧٪ ، والنسبة المئوية للنجاح فى الدورين الأول والثانى للشهادة الابتدائية الأزهرية بلغت ٨٦,٨٤٪ .

« نتيجة امتحان شهادات القراءات »

اعتمد فضيلته صباح يوم ١٩٩٨/٩/٩ نتيجة امتحان شهادات القراءات الثلاث التجويد والعالية والقراءات للدور الثانى للعام الدراسى ٩٩/٩٨ ، وجاءت النتيجة على النحو التالى :

أولاً : **إجازة التجويد** : تقدم للامتحان ٨٧٠ طالباً نجح منهم ٦٤٠ طالباً ، وبلغت النسبة العامة للنجاح فى الدورين الأول والثانى ٩٠٪ .

ثانياً : عالية القراءات : تقدم للامتحان ٣٣١ طالباً نجح منهم ٢٣١ طالباً ، وبلغت النسبة العامة للنجاح فى الدورين الأول والثانى ٨٦,٨٪ .

ثالثاً : تخصص القراءات : تقدم للامتحان ١٤٧ طالباً نجح منهم ١١٨ طالباً وبلغت النسبة العامة للنجاح فى الدورين الأول والثانى ٩٢,٤٪ .

« افتتاح مجمع المعاهد الأزهرية بالحى الثامن بمدينة نصر »

افتتح فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف مجمع المعاهد الأزهرية النموذجية باسم الدكتور طلعت السيد بمدينة نصر بالحى الثامن يوم ٩٨/٨/٢٥ ، ويشتمل المجمع على حضانة (تمهيدى) وابتدائى وإعدادى وثانوى بنين وبنات ، وقد قدمه الدكتور طلعت السيد هدية للأزهر الشريف مكتمل الإنشاءات والمبانى على أحدث طراز ، وكذلك التجهيزات من أثاث وخلافه ، وقد تكلف حوالى المليون ونصف المليون جنيه ، حضر حفل الافتتاح فضيلة الشيخ فوزى الزفزاف وكيل الأزهر والشيخ على فتح الله رئيس قطاع المعاهد الأزهرية والمسئولون بالأزهر الشريف والمدير العام للعلاقات العامة والإعلام .

« فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر يلتقى ووفد المعهد الدبلوماسى بوزارة الخارجية »

التقى فضيلة الإمام الأكبر الدكتور/ محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر الشريف بوفد المعهد الدبلوماسى بوزارة الخارجية من الملحقين الدبلوماسيين والتجاريين بقاعة الاجتماعات الكبرى بإدارة الأزهر الشريف وعددهم ٥٢ ملحقاً يوم ١٩٩٨/٨/٣١ ، وأوضح السيد السفير/ محمود فرغل مساعد وزير الخارجية ومدير المعهد أن هذه الزيارة تأتى فى إطار تطوير تدريب الدبلوماسيين الجدد لتعميق معرفتهم بكافة القضايا .

وقد رحب فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر بالوفد فى الأزهر الشريف منارة العلم والمعرفة شارحاً دور الأزهر فى نشر الثقافة ، فى مشارق الأرض ومغاربها ..

كما قام فضيلته بالتعريف بسماحة الإسلام والوسطية التى يتمتع بها وبعده عن التعصب

كما أوضح فضيلته دور الأزهر الشريف من حيث المنح التى يقدمها لأبناء المسلمين فى شتى أنحاء العالم فى أفريقيا وآسيا وأوروبا وأمريكا واستراليا للدراسة بالازهر وجامعته العريقة والمعاهد والكليات التى يساعد فى إنشائها فى الدول المختلفة ، وكذا إرسال العلماء من الأزهر إلى كافة أنحاء العالم لتوضيح سماحة الإسلام

كما أوضح فضيلته بأن علاقة الأزهر بوزارة الخارجية المصرية فى الداخل والخارج قوية ووثيقة الصلة ، وأن بعثات الأزهر فى الخارج على اتصال وثيق بالسفارات المصرية لأن السفارات المصرية هى العين الساهرة على مصالح مصر فى الخارج ولهم دور هام فى إيفاد أبناء هذه الدول للالتحاق بالأزهر وجامعته .

ومهمة السفراء فى الخارج شاقة وتحتاج إلى جهد ومشقة لتوضيح صورة مصر وسياستها لأن العالم يتطور وكل دولة تريد أن تأخذ مكانها بين الدول ، وذلك يحتاج لجهد الدبلوماسيين والعلماء ، ومصر بأزهرها وعلمائها ودبلوماسييها وثقافتها وتاريخها تأخذ وتحتل المكانة المرموقة فى العالم أجمع ، وأيضاً المراكز الإسلامية فى العالم تؤدى الدور الهام لخدمة دينها ووطنها .

وقد استمع فضيلته إلى أسئلتهم واستفساراتهم ، وأجاب عن الأسئلة التى طرحت .

وفى نهايه اللقاء قدم النصح والتوجيه لرجال الدبلوماسية بأن يتزودوا بالعلم النافع وبالقراءة المستمرة ومتابعة ومواكبة التطور المستمر فى العالم أجمع وأن يعتصموا بالفضائل التى من شأنها أن تعصم الإنسان من الوقوع فى الخطأ ، وأن يتحصن بالوفاء والصدق والأمانة والطهارة والنزاهة . . والتعاون والثقة بالنفس داعياً الله لهم بالتوفيق والسداد فى عملهم ، وقدم الوفد الشكر لفضيلته لإتاحة هذه الفرصة

« الإمام الأكبر يستقبل السيد سفير دولة استراليا »

استقبل فضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور/ محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر الشريف بمكتبه صباح يوم ١٩٩٨/٨/٢٧ ، السيد السفير الدكتور/ عصام رمضان سفير مصر الجديد بدولة استراليا ، وذلك بمناسبة تعيينه سفيراً لجمهورية مصر العربية بدولة استراليا .

طلب السيد السفير من فضيلة الإمام الأكبر التوجيه والنصح ، كما طلب إمداده بالكتب والمراجع الدينية ، وذلك لتعليم أبناء الجالية المصرية فى استراليا وغيرهم قواعد الإسلام واللغة العربية وغيرها ولمساعدتهم على معرفة أمور دينهم كما طلب إمداد استراليا بعلماء من الأزهر الشريف خلال شهر رمضان لنشر الدعوة والثقافة الإسلامية .

كما أبدى رغبته فى أن يقبل فضيلة الإمام الأكبر الدعوة لزيارة دولة استراليا ،وقد أعرب فضيلة الإمام الأكبر عن استعداد الأزهر الشريف لتقديم كل عون ومساعدة فى مجال نشر الدعوة والثقافة الإسلامية باستراليا وغيرها من دول العالم سواء عن طريق الكتب والمراجع أو عن طريق إرسال العلماء .

وقد شكر الضيف فضيلة شيخ الأزهر على حسن الاستقبال وعلى النصائح التى استمع إليها من فضيلته .

« الإمام الأكبر يستقبل السيد سفير مصر بدولة زامبيا »

استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر بمكتبه صباح يوم ٩٨/٨/٢٧ السيد السفير د . صفوت أيوب سفير مصر بدولة زامبيا بمناسبة تعيينه سفيراً جديداً لجمهورية مصر العربية بدولة زامبيا ، وقد طلب النصح والتوجيه من فضيلته ، وقد شكره فضيلة الإمام على زيارته للأزهر الشريف متمنياً له التوفيق فى عمله الجديد . . حضر اللقاء المدير العام للعلاقات العامة والإعلام .

« الإمام الأكبر يستقبل وفد جمعية ثقافة دونجان بجمهورية كازاخستان »

استقبل فضيلته وفد جمعية ثقافة دونجان بجمهورية كازاخستان برياسة الدكتور رشيد باكيرون رئيس الجمعية ، وقد رحب فضيلة الإمام بالوفد بالأزهر الشريف ، وطلب الوفد من فضيلة الإمام الأكبر إمداد الجمعية بالكتب الإسلامية والمراجع الدينية باللغة العربية وباللغات الأخرى للاستعانة بها فى فهم الإسلام فهما صحيحاً وللرجوع إليها للاطلاع والاستفادة ، كما طلب الوفد إرسال علماء من الأزهر الشريف لنشر الدعوة والثقافة الإسلامية .

وأبدى الوفد رغبته فى زيارة فضيلة الإمام الأكبر لدولة كازاخستان ، وسيقوم الوفد بالعمل على اتخاذ اللازم مع الحكومة لإنجاز هذه الزيارة التى يعتبرونها شيئا مهما جداً .

وقد وعد فضيلته بدراسة مطالبهم تمهيداً لتلبيتها فى أقرب وقت ممكن .

« الإمام الأكبر يستقبل السيد سفير زامبيا بالقاهرة »

استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر السيد السفير/ باتريك كافو موكاتشى سفير زامبيا بالقاهرة ، وقد أبلغ سعادة السفير فضيلة الإمام الأكبر تحيات وتقدير فخامة رئيس جمهورية زامبيا .

وقد دار الحديث خلال هذا اللقاء حول المنح التى يقدمها الأزهر الشريف لطلاب دولة زامبيا للدراسة بالأزهر فى المعاهد الأزهرية وجامعة الأزهر ، وكذلك دور البعثة الأزهرية الموجودة فى زامبيا لتعليم أبنائها اللغة العربية والشريعة الإسلامية ونشر الدعوة والثقافة الإسلامية ، وكذلك الكتب والمراجع الدينية ، وقد حمل فضيلة الإمام الأكبر السيد السفير تحياته وتقديره لفخامة رئيس جمهورية زامبيا والحكومة وشعب زامبيا مؤكداً أن الأزهر لا يدخر وسعاً فى تقديم كل عون ومساعدة لأبناء زامبيا الشقيقة من كتب دراسية وكتب دينية ومنح للطلاب وعلماء من الأزهر الشريف .

حضر اللقاء فضيلة الشيخ سامى الشعراوى ـ الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية ـ والشيخ/ عمر البسطويسى المدير العام للعلاقات العامة والإعلام .

« الإمام الأكبر يستقبل سعادة سفيرة مصر بدولة الكاميرون »

استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر بمكتبه صباح يوم ١٩٩٨/٩/٢ سعادة السفيرة عبلة عبدالرحمن سفيرة مصر بدولة الكاميرون .

تم خلال اللقاء استعراض أوضاع المسلمين فى الكاميرون ، وطلبت السفيرة من شيخ الأزهر دعم الأزهر الشريف للكاميرون فى زيادة عدد المنح الدراسية لأبناء المسلمين بالكاميرون للدراسة بالأزهر وجامعته وإيفاد العلماء من الأزهر خلال شهر رمضان المعظم ، وذلك لنشر الثقافة الإسلامية .

وقد قدمت سيادتها الشكر لفضيلته على ما يقدمه الأزهر وعلى البعثة الموجودة من الأزهر الشريف فى الكاميرون وعلى حسن اللقاء .

« قرارات لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهـر »

● أصدر فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف قراراً بنقل فضيلة الشيخ/ محمود محمد سيد الحجر رئيس الإدارة المركزية لمنطقة قنا الأزهرية بالدرجة العالية والقائم بعمل رئيس الإدارة المركزية المشرف على مدينة البعوث الإسلامية إلى وظيفة رئيس الإدارة المركزية لمنطقة الشرقية الأزهرية اعتباراً من ١٩٩٨/٩/٥ . صدر فى ١٩٩٨/٨/٣١ .

كما صدر قرار فضيلته أيضاً : يسند إلى فضيلة الشيخ/ فرحات السعيد الموافى المنجى شيخ معهد المنصورة الثانوى بنين بدرجة مدير عام والقائم بعمل مدير عام شئون الطلبة والخدمات بمدينة البعوث الإسلامية حالياً ، القيام بعمل وظيفة رئيس الإدارة المركزية المشرف على مدينة البعوث الإسلامية ، وذلك إلى حين شغلها بصفة أصلية ممن توافرت فيه شروط شغلها وفق أحكام قانون الوظائف القيادية رقم (٥) لسنة ١٩٩١ ، ولائحته التنفيذية ، صدر فى ١٩٩٨/٩/١ .

● كما صدر قرار فضيلته أيضاً : يسند إلى فضيلة الشيخ/ عبدالمقصود محمد محمد برانية وكيل مشيخة عليا (أ) للعلوم الدينية والعربية بدرجة مدير عام القيام بعمل وظيفة رئيس الإدارة المركزية لمنطقة البحيرة الأزهرية اعتباراً من ١٩٩٨/٨/٣١ تاريخ خلوها لإحالة شاغلها إلى التقاعد ، وذلك لحين شغلها بصفة أصلية ممن توافرت فيه شروط شغلها طبقاً لأحكام القانون رقم (٥) لسنة ١٩٩١ ، ولائحته التنفيذية (صدر فى ١٩٩٨/٨/٣١) .

● كما صدر قرار فضيلته بنقل فضيلة الشيخ/ محمد حسنى محمد حجازى شيخ معهد دمنهور الثانوى بنين بدرجة مدير عام إلى وظيفة وكيل منطقة (أ) للعلوم الدينية والعربية بالبحيرة بذات الدرجة والمجموعة النوعية التى ينتمى إليها ، وذلك اعتباراً من ١٩٩٨/٨/٣١ . صدر فى ١٩٩٨/٨/٣١ .

● كما صدر قرار فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر بإيفاد السيد/ عبدالمؤمن محمود مجاهد عزام بسكرتارية مكتب شيخ الأزهر ـ سكرتيراً لبعثة الأزهر بدولة مالى فى العام الدراسى ٩٩/٩٨ العام الأول على أن تتحمل موازنة الأزهر نفقات السفر والمرتبات المقررة قانوناً للسيد المذكور خلال فترة إيفاده .. صدر فى ١٩٩٨/٨/٢٩ .. كما صدر قرار شيخ الأزهر بالتجديد للشيخ/ حسين حسن حامد على الطويل شيخ معهد فتيات مصر الجديدة الأزهرى للعام الدراسى ٩٩/٩٨ رئيساً لبعثة الأزهر فى دولة الكاميرون . صدر فى ٨/٢٠ .

« مناقشة بدء العام الدراسى الجديد »

التقى فضيلة الإمام الأكبر الدكتور/ محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر الشريف برؤساء ومديرى المناطق الأزهرية على مستوى الجمهورية أيام ٥ ، ٧ ، ١٩٩٨/٩/٩ ، وذلك لمناقشة ما يتعلق ببدء الدراسة فى العام الجديد والوقوف على قبول الطلاب فى التمهيدى والابتدائى ومسابقة القبول بالإعدادى الأزهرى ، واستكمال العجز فى المدرسين والمحفظين وموقف المعاهد من ناحية الترميم والإحلال إلخ .

وقد أكد فضيلة الإمام الأكبر على التوسع فى فتح الفصول التمهيدية بمصروفات ، وذلك لمن لا يقبل بالصف الأول الابتدائى فى جميع معاهد الجمهورية من سن ٤ ـ ٦ سنوات ، ولا حد للكثافة .

وأكد على عدم قبول أى طالب بالصف الأول الابتدائى الأزهرى لأقل من ست سنوات ولو بيوم واحد ، وعلى أن تكون كثافة الفصل لا تقل عن ١٥ طالباً ، ولا تزيد على ٣٥ طالباً ، وفى المحافظات النائية يمكن النزول بالحد الأدنى عن ١٥ طالباً حسب ما يراه رئيس المنطقة .

توحيد الزى فى التمهيدى وفى الابتدائى بنين وبنات تمهيداً لتعميمه فى الإعدادى والثانوى على الطلاب والطالبات .

وكل من نجح فى مسابقة القبول الإعدادى الأزهرى إذا كانت سنه ١١/٢ فأكثر يقبل بالصف الأول الإعدادى ، ومن نجح فى مسابقة القبول الإعدادى الأزهرى وسنه أقل من ١١/٢ يقبل بالصف السادس الابتدائى الأزهرى إذا رغب الطالب فى ذلك .

وفيما يختص بالعجز فى مدرسى تحفيظ القرآن الكريم يتم سد العجز بالاستعانة بوعاظ الأزهر الشريف لتدريس القرآن الكريم وتحفيظه ولتدريس بعض المواد الدينية والعربية إذا اقتضت الضرورة .

وفيما يختص بالعجز فى مدرسى اللغة الإنجليزية تم تدريب وتأهيل كثير من المدرسين وتحويلهم إلى تدريس اللغة الإنجليزية وتم الإعلان عن مسابقة لسد هذا العجز والاستعانة بخريجى كلية اللغات والترجمة وسيتم تعيينهم على درجات .

وبالنسبة للكتب أكد المسئولون أنها وصلت للمناطق وقامت بتوزيعها على المعاهد ليتسلمها الطلاب فى أول يوم فى الدراسة .

التركيز على متابعة الانتهاء من ترميم المعاهد الأزهرية لتكون جاهزة فى بدء الدراسة واستلام المعاهد من الشركات المنفذة للإحلال والتجديد .

التأكيد على المتابعة الدائمة والمستمرة فى بدء العام الدراسى من شيوخ المعاهد والمفتشين والموجهين على حفظ القرآن الكريم والعناية بحفظه عناية فائقة والمواد الأخرى وخاصة فى المرحلة الابتدائية التى هى الأساس للتعليم الأزهرى .

حضر هذه اللقاءات فضيلة الشيخ فوزى الزفزاف وكيل الأزهر والشيخ على فتح الله رئيس قطاع المعاهد الأزهرية والأستاذ محمد جلال عبد ربه ـ الأمين العام للمجلس الأعلى للأزهر ـ والمسئولون عن العملية التعليمية بالأزهر والمدير العام للعلاقات العامة والإعلام .

أخبار العالم الإسلامي

يحررها الدكتور :
حسن على محمد

●● من المحرر ●●

الســودان وألاعيب الأمريكـــان !

تحاول الولايات المتحدة الأمريكية رسم خريطة جديدة لقارة أفريقية ، والمنطقة العربية ، لتأمين إسرائيل عدة عقود من الزمان ، ولاترى الولايات المتحدة خطراً حقيقياً على إسرائيل إلا من مصر ، باعتبارها الثقل البشرى ، والعسكرى ، والثقافى فى المنطقة ، وهى تحاول فى هذا إضعاف جميع الأطراف من خلال رجال المخابرات الأمريكية الذين يلعبون فى جنوب السودان ودول حوض نهر النيل .. !

وقد تركز المخطط الأمريكى فى منطقة البحيرات العظمى لأهميتها الاستراتيجية بحيث يتحرك منها الأمريكان شرقاً وغرباً ، ومن هذه المنطقة تنسال مياه الأمطار شمالاً فى نهر النيل شريان الحياة فى مصر والسودان كما تمثل هذه المنطقة نقطة التقاء بين الشمال العربى والامتداد الإسلامى فى أفريقيا .

ولهذا تحتضن الولايات المتحدة الدول المحيطة بالسودان وتؤلبها ضد السودان مع مدها بالتدريب ، والعتاد العسكرى ولهذا ستكون مصر هى الهدف الثانى بعد السودان ، وإن ما يدور فى جنوب مصر يجب أن نفتح عليه عيوننا جيداً .

●●●●

مصر :

□ القاهرة :

شيخ الأزهر :

مصر تفتح قلبهالأبناء العالم الإسلامى

أكد فضيلة الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر : أن مصر تفتح قلبها لأبناء العالم الإسلامى الدارسين فى جامعتها وأزهرها ومعاهدها .

وقال الإمام الأكبر : إن هناك فرقاً بين من يصنع قنبلة ليدافع بها عن وطنه ، وعرضه وكرامته ، ومن يصنع قنبلة ليحطم بها قطاراً أو يهدم منزلا .

وأشار الإمام الأكبر إلى أن طالب الأزهر يجب أن يحفظ القرآن الكريم ، وإن لم يستطع فهو غير أزهرى ، وقال بأن حفظ القرآن سيكون ١٨ جزءاً فى المرحلة الابتدائية ، ٧ أجزاء فى المرحلة الإعدادية و٥ أجزاء فى المرحلة الثانوية .

وقال إن الطالب بجامعة الأزهر يجب أن يكون حافظا للأجزاء الثلاثين .

●●●●

تعيين ٦٠٠٠ إمام وخطيب فى المساجد

قررت وزارة الأوقاف تعيين ٦٠٠٠ خطيب وإمام من خريجى كليات الدعوة وأصول الدين ، وأعلن وزير الاوقاف أنه تقرر رفع الإعانة المقدمة لطلبة الجامعات إلى ١٥٠٪ تم اعتمادها من صندوق البر بوزارة الأوقاف.

●●●●

دار إفتاء عالمية ..على الإنترنت

أعلن الدكتور محمود حمدى زقزوق وزير الأوقـاف : أن الوزارة ستتولى الرد على استفسارات المواطنين من جميع أنحاء العالم الإسلامى حول الدين الإسلامى والقضايا الإسلامية ، والفتاوى الشرعية عن طريق شبكة الإنترنت .

●●●●

العالم العربى :

هجوم أمريكى بالصواريخ على السودان وأفغانستان

□ الخرطوم - كابول : وكالات الأنباء

فى واحدة من أعمال البلطجة الدولية ، قامت الولايات المتحدة الأمريكية بتوجيه ضربات جوية صاروخية إلى كل من السودان وأفغانستان حيث دمرت مصنعاً للأدوية فى السودان بزعم أنه مصنع كيماويات ينتج أسلحة كيماوية ، كما دمرت بعض المواقع الأفغانية التى يشتبه أن يكون فيها أسامة بن لادن .

وتعد هذه الهجمات الأمريكية سابقة خطيرة فى مجال العلاقات الدولية وخرقاً للقوانين الدولية واعتداء على دولتين عضوين فى الأمم المتحدة .

●●●●

...... وشيخ الأزهر يؤكد :

□ القاهرة - خاص للأزهر

نحن ضد العدوان على الأبرياء

أكد فضيلة الإمام الأكبر : أن السلوك

الأمريكى يعد عدواناً على الأبرياء الآمنين ، وأن الأزهر مع احترام كرامة الإنسان ، وقال شيخ الأزهر : إننا نؤيد الدعوة إلى مؤتمر دولى لمكافحة الإرهاب .

●●●●

السودان يطالب ببعثة تقصى حقائق للمصنع المدمر

الخرطوم ـ أ . ف . ب :

طالب السودان منظمة الأمم المتحدة والولايات المتحدة الأمريكية بإرسال بعثة تقصى حقائق إلى أراضيه للتأكد من أن المصنع الذى تعرض لضربة عسكرية أمريكية خاص بإنتاج الأدوية وليس لأسلحة كيماوية .

وأعرب وزير الخارجية السودانى مصطفى عثمان عن استعداد بلاده لاستقبال هذه البعثة ، وتحقيقها فى وجود أى صلة بين المصنع وأسامة بن لادن . ومن ناحية أخرى ، قررت الحكومة السودانية حظر استخدام طائرات الشركات الجوية الأمريكية للمجال الجوى السودانى بعد الضربات العسكرية الأمريكية المفاجئة .

●●●●

...... ووزير الخارجية المصرى يقول : لايمكن لأية دولة أن تكون بديلا عن مجلس الأمن

القاهرة :

صرح السيد عمرو موسى وزير الخارجية المصرى بأن البيان المصرى الصادر بمناسبة الضربات الأمريكية ضد السودان وأفغانستان كان واضحاً فى تأكيد الموقف المصرى ضد الإرهاب وفى مطالبة مجلس الأمن باتخاذ التدابير اللازمة .

●●●●

..... والولايات المتحدة الأمريكية تواصل حملتها الدبلوماسية لاحتواء مضاعفات الهجوم العسكرى

واشنطن ـ وكالات الأنباء :

واصلت الولايات المتحدة حملتها الدبلوماسية للتقليل من أخطار هجومها العسكرى غير القانونى وحاول الرئيس الأمريكى الاتصال بقادة الدول العربية لشرح الموقف الأمريكى وحشد التأييد لواشنطن ضد السودان وأفغانستان .

●●●●

ردود فعل عربية واسعة النطاق على الهجمات الأمريكية

عواصم الدول العربية ـ وكالات الأنباء :

أثارت الهجمات الأمريكية « الوقحة » ردود فعل واسعة النطاق على المستويات الرسمية والشعبية .

فقد استنكرت سوريا العدوان الأمريكى ووصفتها المملكة الأردنية بأنها غير معقولة وغير مقبولة ، وأعربت قطر عن قلقها لهذه الهجمات .

كما أكد الرئيس السودانى عمر البشير أن بلاده ستنتقم من الولايات المتحدة لاعتدائها على مصنع الشفاء مؤكداً تصميم بلاده على الرد على العدوان .

كما أطلق المتظاهرون السودانيون هتافات معادية ثم قاموا بحرق العلم الأمريكى .

..... وموجات إدانة عالمية للغارات الجوية الأمريكية ضد السودان وأفغانستان بالدول الإسلامية

عواصم الدول الإسلامية ـ وكالات الأنباء:

توالت ردود الفعل العالمية على الضربات الصاروخية الأمريكية ضد السودان وأفغانستان ، وغلب عليها طابع الإدانة المعلنة والضمنية ، ففى باكستان طالب وزير الخارجية بعدم شن أى هجوم إضافى ضد أفغانستان والبحث عن أساليب أخرى فى مكافحة الإرهاب .

كما أعلنت إيران رسمياً عن نشر وحدات إضافية على امتداد حدودها مع أفغانستان تحسباً لتكرار الغارات الجوية الأمريكية .

وفى ماليزيا أدان د . محاضر محمد رئيس الوزراء العمل العسكرى الأمريكى ، وحذر من حدوث فوضى عالمية إذا قررت كل دولة شن هجوم فى الوقت الذى يحلو لها .

وفى أنقرة أصدرت الخارجية التركية بياناً رسمياً أكدت فيه تأييد تركيا للغارات الجوية الأمريكية .

●●●●

● العالم الإسلامى :ـ

□ بنجلاديش

الفيضانات تهدد بنجلاديش بالأوبئة

أدت الفيضانات الناجمة عن الأمطار الغزيرة إلى ارتفاع منسوب المياه فى الأنهار ومقتل ٧٠٠ شخص وأضرار جسيمة بمنازل وحقول ٣٠ مليون شخص وتدمير آلاف المنازل والمحاصيل الزراعية .

وتشير وكالة (اسوشيتدبرس) إلى أن بنجلاديش أصبحت مهددة بتفشى أمراض الكوليرا والإسهال من بدء تحلل جثث الموتى الملقاة بالشوارع والحقول الزراعية .

●●●●

باكستان تترقب خطة إنقاذ مالى يقدمها البنك الإسلامى للتنمية

□ باكستان

كراتشى ـ وكالات الأنباء :

حذر جاحازب نصير المحلل المالى الباكستانى من احتمال توقف باكستان عن سداد أقساط الديون الخارجية حال فشل البنك الإسلامى للتنمية فى تدبير خطة إنقاذ بحوالى مليار ونصف المليار دولار تشارك فيها عدة مؤسسات مالية إسلامية .

وقد رفض صندوق النقد الدولى الاستمرار فى تقديم القروض للباكستان إثر العقوبات الدولية المفروضة على إسلام آباد منذ التفجيرات النووية فى مايو الماضى من عام ١٩٩٨ .

●●●●

الهند وباكستان توافقان على استئناف المفاوضات

ديربان ـ جنوب أفريقية ـ وكالات الأنباء :

اتفقت الهند وباكستان على استمرار المحادثات

بينهما فى اجتماع بين وكيلى وزارة الخارجية للبلدين فى قمة عدم الانحياز .

●●●●

أندونيسيا :

الجيش الأندونيسى ينفى تحريضه على إثارة الاضطرابات

جاكرتا ـ ر : نفى الجيش الأندونيسى الاتهامات الموجهة له بالتحريض على إثارة الاضطرابات ، وألقت قيادة عسكرية بالجيش الأندونيسى باللوم على الانفصاليين الإسلاميين .

وجاء بيان الجيش الأندونيسى رداً على اتهامات وجهتها اللجنة المستقلة للاختفاء القسرى وضحايا التعذيب .

●●●●

ماليزيا :

خطة لإنعاش اقتصاد ماليزيا

كوالالمبور ـ رويتر :

كشفت الحكومة الماليزية عن مجموعة من الإجراءات الاقتصادية الشاملة وضعها المجلس الوطنى للعمل الاقتصادى تهدف إلى مساعدة البلاد للخروج من ركودها .

وأوصى مجلس الوزراء الماليزى بإزالة جميع القيود على الملكية الأجنبية فى مشروعات الصناعات التحويلية .

كوسوفا :

الصرب يرتكبون مذابح بشعة ضد الألبان

بريشتينا : وكالات الأنباء :

ارتكب الصرب مذابح بشعة فى بلدة « هوفيتش » استمرت خمسة أيام ، انتهت بفرار ٢٠ ألف نسمة إلى التلال الشمالية ، وقد دعت اللجنة الدولية للدفاع عن حقوق الإنسان إلى إجراء تحقيق دولى حول المجازر البشعة التى يرتكبها الصرب ضد الألبان المسلمين .

●●●●

□ أوزباكستان :

أوزباكستان تحتفل بمقياس النيل فى طشقند

طقشند ـ وكالات الأنباء : ـ

أبرقت السفارة الأوزبكية فى القاهرة إلى هيئة الاستعلامات المصرية تطلب استقبال وفد على مستوى عال لإعداد فيلم تسجيلى عن مقياس الروضة مدته نصف ساعة بتمويل من اليونسكو .

وسوف تحتفل طشقند بمقياس النيل فى شهر أكتوبر الحالى فى إطار احتفالها بمرور ١٢٠٠ عام على مولد عالم الفلك والهندسة الأوزبكى أحمد الفرغانى الذى قام بتصميم وبناء المقياس عام ٨٦١ م .

l'élève en degrés ou bien Il lui accorde ces deux faveurs à la fois. On raconte que le Jour du Jugement Dernier -avant que la Balance ne soit posée ou que le Jugement ne soit commencé- un Crieur de la part du Seigneur -Le Sublime- dira: **Que Celui dont le salaire incombe à Allah, se lève.**[2]. Quelques-uns sous l'effet d'une inspiration se lèveront, puis l'ordre sera donné de les mener au Paradis.

Les anges leur demanderont surpris:"*Qui êtes-vous?*". Ils réponderont:"*Nous sommes les patients?*".Les Portes du Paradis s'ouvriront alors pour eux et ses Gardiens leur diront: **[Paix sur vous, pour votre endurance.]** **Surate 13"Ar-Ràd".(Le Tonnerrre)V.24.**

Lorsque les gens du Rassemblement verront ce que les endurants ont gagné, ils souhaiteront que leurs corps aient été rongés avec des cisailles de fer,-dans la vie terrestre-, et qu'ils eurent endurés tout ce mal, pour qu'ils puissent mériter ce que les patients ont mérité. Allah, Le Glorieux, a dit vrai en signalant que: **[Ceux qui sont endurants, seront dignement rémunérés au-delà de toute mesure.]**
Surate 39 "Az-Zumar" (Les Groupes) V.10.

à l'épreuve. Celui qui se résigne[1] obtiendra l'approbation d'Allah, mais celui qui se révolte encourra Sa colère."

Hadith rapporté par Al-Termizie.

Donc, lorsque l'homme est frappé d'un malheur ou d'une chose qui le répugne, il doit se résigner, car la résignation lui vaudra une grande récompense. S'il n'arrive pas à atteindre le stade du contentement, qu'il soit du moins parmi ceux qui endurent sans se plaindre.

Certains de nos pieux Cheikhs ont dit que: *Lorsqu'Allah veut rapprocher de Lui l'un de Ses serviteurs, Il le détache de tout ce qui le corrompt, l'expose à toutes sortes d'épreuves pour l'obliger à retourner vers Son Seigneur.*

Celui qui ne s'alarme pas, ni ne s'irrite, ni ne se plaint obtiendra l'approbation d'Allah et la généreuse récompense. Quant à celui qui se lamente, se rebelle, s'emporte contre les arrêts divins; il sera maudit et rien n'arrêtera le cours du destin, car les décrets divins sont justes et immuables que l'on s'y montre résigné ou non. Allah décrète tout avec une sagesse infinie, même si cette dernière n'est point apparente pour ceux qui sont doués d'intelligence. Nos pieux ancêtres ont dit:" *l'homme est avide du bien en toutes ses affaires, or, dans certaines affaires le mal est caché."*

Donc, il n'existe point de mal qui ne fasse partie d'un bien car tout ce qui provient d'Allah ne peut être qu'un bien. C'est Lui qui dit: **[Or, il se peut que vous ayez de l'aversion pour une chose qui, cependant, vous est un bien. Et il se peut que vous aimiez une chose qui cependant vous est mauvaise. C'est Allah qui sait, alors que vous ne savez pas.]**

Surate 2 "Al-Baqara" (La Vache)V.216.

C'est pour cette raison, qu'un des "Connaisseurs" disait:" *Je trouve ma joie dans les arrêts du destin."*

Un autre, s'attristait et s'effrayait si la vie lui ouvrait les bras et disait:*"Je crains qu'on me dise le Jour du Jugement Dernier:* **[Vous avez dissipé vos biens et vous en avez joui pleinement durant votre vie sur terre.]**"

Surate 46 "Al-Ahqâf" V.20.

Al-Bokhary a rapporté ce Hadith du Prophète-b.s-:***"Quand Allah veut du bien à quelqu'un, il l'éprouve."***

Le Prophète -b.s- a dit également:***"C'est merveilleux! Tout ce qui arrive au croyant, lui est favorable. Nul autre n'a ce privilège: S'il est heureux, il remercie Allah et cela est bien pour lui; s'il est malheureux, il se résigne et cela est bénéfique pour lui."***

Hadith rapporté par Moslim.

Nos pieux ancêtres ont dit:*Le croyant n'est jamais épargné qu'il s'agisse d'une maladie, d'une diminution de biens ou d'une humiliation.*

L'épreuve en cette vie est pour celui qui l'endure avec patience est un bienfait caché, car elle amène l'homme à recourir à Son Seigneur, qui lui pardonne ses péchés, ou

[1]La résignation est une vertu qu'on peut acquérir à force d'entraînement.

3-L'endurance devant les bienfaits:

En reconnaissant leur source c'est-à-dire la grâce divine, car tout don n'est que par la grâce d'Allah-Gloire à Lui-. De plus, le croyant n'emploie les faveurs octroyés par Son Seigneur que dans des choses licites, de sorte qu'il ne se montre jamais ni rebelle ni ingrat. Allah-Gloire à Lui- a dit: **[Bien au contraire l'homme est rebelle, dès qu'il se voit dans l'aisance.]**

Surate 96 "Al-Alaq" (Le Caillot de sang)V.6et 7.

Nos pieux ancêtres ont dit:
"Le peu qui suffit est supérieur à l'abondance qui divertit."
Le Prophète-b.s-invoquait Son Seigneur par ces paroles:
"Seigneur! Préserve-moi contre la séduction de l'épreuve de la richesse et l'égarement de l'épreuve de la pauvreté." ***"Al-Bokhary".***

4-L'endurance dans les épreuves:

Cette endurance se manifeste par l'acceptation des arrêts divins et du destin sans s'alarmer ni se plaindre. Le croyant les accepte avec stoïcisme en demandant à Allah de le dédommager de sa perte- qu'elle soit matérielle ou physique- et de l'assister par Sa Grâce en cas de disparition d'un être aimé...Allah-Gloire à Lui-a dit:**[Nous vous éprouverons de quelques façons, par la peur , la faim, la diminution des biens, de personnes et de fruits. Annonce la bonne nouvelle aux endurants.]**

Surate 2 "Al-Baqara" (La Vache) V.155.

Allah-Gloire à Lui-a dit également: **[Et certainement Nous vous éprouverons afin de connaître ceux d'entre vous qui luttent, ainsi que les endurants et d'éprouver ce que l'on rapporte sur vous.]**

Surate 47" Mohammed" V.31.

Les épreuves sont proportionnelles à la foi de l'homme: si sa foi est fragile l'épreuve sera allégée, c'est pour cette raison que le Prophète-b.s-a dit:***"Les épreuves les plus pénibles sont celles qui s'abattent sur les Prophètes, puis sur les élus, puis sur les meilleurs et ainsi de suite par ordre de mérite."***

Hadith rapporté par Al-Bokhary.

Notons qu'il exite des sortes d'épreuves dont la rétribution (pour celui qui les endure) ne peut être que le Paradis; Anas-A.s.l-a rapporté ce Hadith du Prophète -b.s-: ***"Allah-Gloire à Lui- a dit: Quand Je frappe mon serviteur de cécité et qu'il se soumet à Mon arrêt, Je lui accorde en échange le Paradis."***

Hadith rapporté par Al-Bokhary.

Al-Timizie a rapporté également ce Hadith du Prophète-b.s-qui dit:***"La valeur de la rétribution est proportionnelle à l'épreuve. Quand Allah aime des gens, Il les soumet***

Bien que ce soit Allah qui guide le fidèle vers la patience et L'assiste, Il annonce la bonne nouvelle à ceux qui sont endurants, par ces paroles:[**Annonce une heureuse issue aux endurants, à ceux qui, frappés d'un malheur disent:"Nous appartenons à Allah et vers Lui sera notre retour!". Ceux-là auront pour lot miséricorde et bénédiction de leur Seigneur. Ils auront suivi le droit chemin.]**

Surate 2 "Al-baqara" (La Vache) V.156.

La patience est la vertu la plus indispensable pour l'accomplissement des actes de dévotion le mois de Ramadan, par exemple, a été nommé le mois de patience, parce que le croyant renonce par piété aux désirs licites permis en dehors du jeûne: il supporte la faim, la soif, trouve son réconfort en pensant à Allah et à la grande rétribution accordée pour cet acte de dévotion, selon le Hadith divin qui dit:[***Tout ce que fait le fils d'Adam lui appartient, sauf le jeûne, il M'appartient et c'est Moi qui en fixe la rétribution.]***

Rapporté par Al-Bokhary et Moslim.

Toutefois, la patience n'est valable que si elle est accompagnée de sincérité; le jeûneur dans sa solitude n'est vu que par Allah, donc c'est un acte de dévotion dont seul Allah est témoin, c'est pour cette raison que c'est Lui qui en fixe la récompense.

En ce qui suit, nous exposerons les quatre sortes d'endurance et nous expliquerons chacun séparément.

1-L'endurance dans la soumission:

Cette forme d'endurance consiste à respecter les ordres d'Allah quels que pénibles ou difficiles qu'ils soient: comme le fait de supporter le jeûne, d'accomplir les prières nocturnes ainsi que tous les autres actes de dévotion. Le Prophète-b.s-ne se tenait-il pas debout dans ses prières nocturnes si longtemps que ses pieds se fendillaient et saignaient?. Quand Aïcha -A.s.e- lui demanda:"***Pourquoi Ô Messager d'Allah fais-tu cela, alors que tu sais qu'Allah t'a pardonné tes péchés présents et passés?"***Il répondit:***"N'est ce point une raison pour être un serviteur reconnaissant?".***

Rappoté par Al-Bokhary.

2-L'endurance qui consiste à éviter de commetttre les péchés:

En s'écartant de ce qu'Allah interdit et de tout ce qui lui fait encourir la colère d'Allah comme l'indique ce verset global: **[Certes, Allah prescrit l'équité, la charité, l'assistance bienveillante aux proches. Il proscrit la turpitude, réprouve l'inconvenance, stigmatise la violence injustifiée. Allah vous exhorte ainsi, pour vous inciter à refléchir.]**

Surate 16 "An-Nahl" (Les Abeilles)V.90.

Cette parole est vraie lorsqu'elle dit:

"Le combattant est celui qui réprime ses passions et l'émigré est celui qui fuit les turpitudes".

Patience et Endurance

“As–Sabr”

Traduttion de : Hoda Hussein Chaaraoui

La patience et l'endurance sont des vertus qui consistent à réprimer de sa nature humaine (nafs) en fonction des exigences de la raison et de la loi. Certains ulémas ont dit que le mot patience, peut avoir plusieurs significations différentes selon les circonstances de la vie. Si c'est le fait de se résigner devant le malheur, on le nomme patience tout simplement et son opposé est la colère; si le mot est utilisé pour décrire la fermeté durant le combat, on le nomme: courage et son opposé est la lâcheté; si c'est pour décrire le fait de supporter les paroles irritantes d'autrui, on le nomme: longanimité et son opposé est l'emportement; si c'est le fait de se retenir de parler, on le nomme: discrétion et son opposé est la légèreté.

De même le fait de s'astreindre à l'obéissance, au culte d'Allah, de lutter contre ses passions, d'éviter les péchés, on le nomme endurance car le Musulman est appelé à réprimer sa nature humaine (nafs) par la soumission, par les actes de dévotion, à lutter contre ses penchants et l'écarter des péchés. Allah-Gloire à Lui- nous recommande dans Son Livre révélé toutes les formes d'endurance, Il nous dit:**[Ô vous les croyants! soyez endurants. Rivalisez en endurance. Soyez fermes et craignez Allah; Afin que vous obteniez la félicité.]**

Surate 3 "Al-Imran" (La Famille d'Imran.) V.200.

La patience est l'une des vertus de l'Islam qui a vu sa forme la plus parfaite en la personne du meilleur des fils d'Adam, Mohammed-b.s-que le Seigneur a décrit par ces paroles: **[Certes, tu es doué du plus noble des caractères.]**

Surate 68 "Al-qalam" (La Plume). V.4.

La patience est également l'une des vertus dont jouissent les Messagers, Allah-Gloire à Lui- ordonna à Son Bien-aimé-b.s-de suivre leur exemple; Il a dit: **[Sois patient, comme l'ont été les Messagers qui étaient doués d'une ferme résolution.]**

Surate 46 "Al-Ahcâf" V.35.

Ce qui prouve que leur patience atteignit le faîte de la patience.

L'homme ne peut acquérir cette vertu qu'avec l'aide et la grâce d'Allah, c'est lui qui a dit:**[Sois patient! Ta patience ne vient que d'Allah.]**

Surate 16 "An-nahl" (Les Abeilles) V.127.

81- Ont-ils perdu la raison et ne savent-ils pas que Celui qui a créé les cieux et la terre - malgré leur immensité - est capable de recréer les humains qui sont - comparativement - bien petits et bien faibles? Oui, certes: Il est le Tout-Puissant qui créé sans cesse, et Il est l'Omniscient.

82- C'est ainsi qu'Il procède dans Sa création: quand Il veut faire exister une chose, il Lui suffit de dire: "Sois", alors elle "est", et "existe" immédiatement.

83- Celui qui, par Son pouvoir, peut tout posséder - en la créant, en la gérant et en en disposant - est le Transcendant, bien au-dessus de tout ce qui ne convient pas à Sa Majesté et c'est vers Lui seul que vous serez ramenés afin qu'Il vous juge pour vos actions.

eux-mêmes des défenseurs au service de leurs divinités impuissantes, pour les servir et les défendre contre tout mal.

76- Ne sois donc point attristé par leurs paroles contre Allah dues à leur athéisme, ni contre toi, par leur démenti. Nous savons ce qu'ils cachent et ce qu'ils divulguent, et Nous les rétribuons pour cela.

77- L'être humain renie-t-il l'existence d'Allah et Sa toute-puissance et ne voit-il pas que Nous l'avons créé - du néant - à partir d'une simple goutte de sperme? et le voilà qui affiche fortement et ouvertement cette adversité!

78- Cet ennemi déclaré nous offre un exemple par lequel il renie Notre pouvoir de faire revivre les os après qu'ils sont réduits en poussière; or, il a oublié que Nous l'avons créé lui-même, alors qu'il n'existait pas auparavant. Il a dit avec réprobation, tout en jugeant impossible que Nous en soyons capable: "Qui fait revivre les os alors qu'ils sont réduits en poussière?"

79- Dis - ô Mohammad -: "C'est Celui qui les a créés la première fois qui les fait revire; car celui qui a commencé par faire une chose peut facilement la refaire. Il est parfaitement au courant de tout ce qu'Il a créé; aussi ne Lui est-il pas impossible de rassembler les parties après qu'elles sont dispersées.

80- Celui qui a créé pour vous le feu à partir des arbres verts, lorsqu'ils sont desséchés. (1)

---

(1) L'énergie solaire se transmet aux plantes grâce à la photosynthèse. Le bois se forme à partir d'éléments chimiques composés essentiellement de carbone, d'hydrogène et d'oxygène. C'est de ce bois que se compose le charbon de bois utilisé comme combustible. En brûlant, ce charbon dégage une énergie utilisée pour le chauffage, la cuisson des aliments, etc. Quant au charbon minéral, il est formé de la même façon, puis il s'est partiellement décomposé au cours de milliers d'annés sous l'effet d'agents géologiques tels la chaleur et la pression. La couleur "verte" dans le verset désigne la chorophylle verte nécessaire à la photosynthèse.

qu'ils sachent que la vie est un lieu de séjour temporaire et que c'est la vie future qui est le séjour éternel? (1)

69- Nous n'avons point appris la poésie à Notre messager. D'ailleurs il ne convient pas - vu sa valeur et sa dignité - qu'il soit un poète. Le Coran qui lui est révélé n'est qu'une exhortation et un Livre divin clair. Aucune comparaison n'est donc possible entre le Coran et la poésie.

70- Ce Coran vise à inspirer la peur à celui dont le coeur est vivace et l'esprit alerte, mais aussi pour que le supplice soit bien mérité par ceux qui le renient et refusent d'être guidés par lui.

71- Les incroyants sont-ils devenus aveugles au point de ne pas voir que Nous avons créé pour eux - par Notre pouvoir - le bétail(2) qu ils s'approprient, et dont ils font usage à leur gré?

72- Nous les leur avons asservis: ils usent certains comme monture et en mangent d'autres.

73- En plus de cela, ils profitent de leur laine, de leur fourrure, de leurs poils et de leurs os, et ils boivent leur lait. Oublient-ils tous ces bienfaits, au point de ne pas remercier leur Bienfaiteur?

74- Les polythéistes ont même adoré d'autres divinités en dehors d'Allah, avec l'espoir qu'elles les assisteraient.

75- Or, ces divinités ne peuvent leur venir en aide, si Allah veut les frapper d'un mal; car elles ne sont ni utiles ni nuisibles; en outre ils sont

---

(1) Celui dont Nous prolongeons les jours devient faible car la vie humaine passe par trois étapes: croissance, maturité et affaiblissement des organes (reins, foie, glande thyroïde et pancréas) qui affaiblit tout le corps. De plus, toutes les cellules du corps - à l'exclusion de celles du cerveau et de la moëlle épinière - évoluent et changent continuellement. Tant qu'il y a équilibre entre la rénovation et la destruction des cellules, il n'y a aucun symptôme. Par contre, si les cellules détruites ne sont pas remplacées par des cellules nouvelles, on voit apparaître les signes de sénilité avec un changement dans la nature des tissus: ceci est apparent sur la peau du visage, par exemple. Ce sont là les causes directes de l'apparition des signes du vieillissement.

(2) Il s'agit des chameaux, des moutons et des vaches

59- Il sera dit ce jour-là aux coupables: "Ecartez-vous des croyants."

60- Ne vous-ai-Je pas recommandé - ô descendants d'Adam - de ne point obéir à Satan en l'adorant comme un dieu, car il est pour vous un ennemi déclaré?!

61- Ne vous-ai-Je pas recommandé de Me vouer un culte exclusif; car le fait de M'adorer exclusivement est la Voie la plus droite.

62- Satan a séduit un grand nombre de créatures parmi vous. Vous n'en étiez pas conscients; ne réfléchissiez-vous donc pas lorsque vous lui obéissiez?

63- Il leur sera dit: "Voici la Géhenne qu'on vous promettait durant votre vie en ce monde, en châtiment pour votre incroyance.

64- "Entrez-y et souffrez aujourd'hui de sa chaleur, en punition pour votre incroyance".

65- Aujourd'hui Nous scellons leurs bouches pour qu'elles ne puissent pas parler; ce sont leurs mains qui Nous parlent et leurs pieds sont doués du don de la parole, afin qu'ils témoignent contre eux et disent ce qu' ils faisaient.

66- Si Nous avions voulu les rendre aveugles durant leur vie Nous l'aurions fait; ils se seraient alors bousculés sur la voie de la Vérité qu'ils doivent suivre. Mais comment la verraient-ils, alors que Nous les aurons rendus aveugles?

67- Si Nous voulions changer leur apparence, Nous l'aurions transformée en une apparence hideuse, malgré la force et la dignité dont ils jouissent. Ils n'auraient pu alors ni avancer ni reculer, car Nous aurions annihilé leur force.

68- Celui dont Nous prolongeons la vie, Nous le ramenons de la force à la faiblesse. Ne comprennent-ils pas que cela est en Notre pouvoir, afin

YASIN

DR. ROKEYA MAHMOUD GABR

(3)

52- Ceux qui se relèvent de leurs tombeaux disent: "Quelle chose effroyable nous attend? Qui nous a réveillés de notre sommeil?". Aussitôt ils reçoivent la réponse à leur question: "C'est le Jour de la Résurrection que le Miséricordieux a promis à Ses serviteurs, et les messagers ont dit vrai en parlant de ce Jour."

53- Il a suffi d'un seul cri pour les appeler à sortir (de leurs tombes); et les voici aussitôt rassemblés devant Nous, amenés pour être jugés par Nous.

54- Ce jour-là aucune âme ne verra sa rétribution diminuée pour une action qu'elle aura accomplie, et vous ne recevrez que la juste rétribution pour le bien ou le mal que vous aurez fait.

55- Les hôtes du Paradis seront absorbés ce jour-là par la félicité dont ils jouissent et qui les remplit de joie.

56- Eux et leurs conjoints, sous des ombrages descendant jusqu'à terre, seront accoudés sur des lits décorés.

57- Au Paradis, ils auront des fruits de toutes sortes et tous leurs désirs seront comblés.

58- Il leur sera dit: "Paix: c'est là une parole émanant d'un Seigneur compâtissant".

REVUE
AL AZHAR

Jumada Al-Akhera 1419H. Oct., 1998 Vol. 71 Part VI

Section Francaise

Comité de Rédaction :

Dr. Rokaya GABR, Professeur au Départe ment de Langye Francaise et de Traduction M.Mohammad OMAR Traducteur en chef au Centre de Recherches Islamiques

7 – This is "A Book we have sent down to you that you may bring forth the people from darkness to light, by their god's leave .' (14 :1) Abraham

﴿ الٓرۚ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ ١ ﴾

The Qur'an emphasizes that we are given sight, hearing, minds and hearts to see that Allah has created humans different ; different countries, creeds, colours and races to know each other and to seek to attain harmony and cooperation ; reaching for the sublime and the example of the harmonious Oneness .

"O men we have indeed create you of male and female, and have made you peoples and tribes that you might know one another . (49 : 13) champers .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ ﴾

8 – Allah has blessed us with hearts, sight, hearing and minds to see that he created us rich and poor to know that we must have a compassion and a responsibility to help one another . The rich and the learned and the most powerful helping the less fortunate will become even more blessed and strengthened by Allah to be able to help even more .

9 – That religion is all about practicing what we preach, putting the theory to the fest of application to real life and daily practice . This is not an outlandish idea, people are already aware that there is a great deal more to cooperation and helping each other out than simply being kind, which in itself is greatly rewarded by Allah, That Allah in his wisdom has made us realize that we live together in an interdependent world wher ignoring one another is really like ignoring ourselves.

10 – Our religious past is important in the lessons of the divisiveness and struggless of our ancestors. We must also shed the light of acquired learning and knowledge on religious examples, morals, stories and lessons to be able to benefit from what Allah wants us to comprehend and learn, and to try to achieve the sublime, the perfect and the light, all are potentials for humans .

"That you may Elucidate for them that which they are at variance." (16 : 39) the bee.

﴿ لِيُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي يَخْتَلِفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ كَانُوا كَاذِبِينَ ﴿٣٩﴾ ﴾

2 – That Allah stands by his promise and that it is word does not change. He praises to Allah, speaks to all peoples in all languages. « And they swear By God their most strenuous aoths that Allah Will never raise him who died, yea, it is a true promise on Him, But most people know not » (16 : 38) the bee .

﴿ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَن يَمُوتُ بَلَىٰ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾

3 – That the Qur'an is a universal message to all beings and a mercy and good tidings for the Muslims.

4 – That the most important message of Qur'an is manifest in its very name which means 'to read' and the very first word of the very first revelation is (read) the important message is emphasizing knowledge as a means out of darkness into the light . The light is another name of the Qur'an.

5 – That reading and knowledge means also to see not only with your eyes but also with your heart . To be able to see what is there around humans, what is there for them to do about it, and what in reality is expected from them .

6 – That humans went from darkness to light across the three Holy Books comprising the word of Allah .

* The Original sin and the fall out and down from heaven .
* The messiah Jesus son of Mary, forgiveness, mercy and to give sight, to make people see the light and so that man can be at the right hand of Allah .
* The journey and ascent of prophet Mohammad to the light of Allah and forgiveness . Muslims are absolved and are accepted back through prayers in Heaven .

Islam And The Great Qur'an

by Ambassador Maha Fahmy

The important messages of the Qur'an :

1 – In the Qur'an Allah is One, and there is a trinity of Holy Books ; the Torah, the Gospel and the Qur'an with The Qur'an corroborating what was before it of Books and as a guardian over them and a guidance where they are at variance.

- The Torah, story of Adam father of man .
- The Gospel story of the Messiah, Jesus son of virgin Mary .
- The Qur'an, the word of Allah Revealed by the Holy Spirit .

"And we have sent down the Book to you with truth confirming what was before it of a Book and as a guardian over it ." (5 : 48) the table .

﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ﴾

"And We have sent down upon you the Book the Qur'an elucidating everything and a guidance, and a mercy, and good tidings to the Muslems " (16 : 89) the bee.

﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً
وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾ ﴾

"So when you read the Quran, then seek refuge in Allah from the outcast Satan" (S16, A98)the Bee

5 – Reading The Basmallah (In The Name Of Allah The Merciful the Ever–Merciful).

It is preferable to start your reading with this sentence at the beginning of the Suras except Surah At–tawbah (Repentance).

6 – Seeking the blessed times :

Reading the Qur'an is required at all times yet there are certain times in which it will be more rewarded such as at the month of Ramadan (the fasting month) when the Qur'an was revealed and the reward of reading it is doubled as well as at dawn and before sunset for these are the best two daily times of remembering Allah (thikr).

Ending an article about the Qur'an is not an easy task, for there are a huge amount of related information which could be included yet due to the space limitation I will stop at this point with the hope to continue writing in the nearest opportunity.

﴿ إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ۝٧٧ فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ ۝٧٨ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ۝٧٩
تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٨٠ ﴾

That is indeed a Quran most honorable• In a book well guarded•
Which none shall touch but those who are clean• A revelation from the Lord Of the Worlds• (556/ A77–80)

In this honorable ayah our attention is drawn to four qualities of the Qur'an : (a)– It is honorable and deserves respect and favors those who believe in it, (b)– It is well guarded, precious in itself, and well preserved as we have mentioned above, (c)– None could touch but the clean ; clean in body, mind, thought, intention, and soul; only such can contact with its full meaning, (d)– It is universal because it is a revelation from The Lord of The Worlds.

2 – Sensitivity :

It is highly important to be sensitive to the words of Allah, to interact with them; with understanding to the meanings and situations behind the words as much as possible seizing the opportunity of every ayah to pray to Allah when it is suitable, to ask for His forgiveness and mercy at the convenient places. Crying out of compassion is also preferable for it cleans the heart and the soul of the believer according to Imam Alnawawy in his **Al Tebyan** he narrated the Prophetic saying "Read The Qur'an and cry, If you can not make yourself."

3 – Correction

The Muslim has to learn the correct rules of reading the Qur'an (the Tajweed science) which has its special methods that has to be learnt from a learnt specialist. On the present time we are blessed with the availability of the modern learning aids such as the recorders, radios and audio computerized CDs which facilitate the learning process making the learnt specialist reachable to almost everyone.

4 – Seeking Allah's Protection :

It is preferable to preceed your reading of the Qur'an with asking for Allah's Protection from Satan :

﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ۝٩٨ ﴾

"Whoever recites the Qur'an and thinks that someone is given better than him, he maximizes what Allah made trivial and minimizes what Allah made great." Narrated by Ibn Omar authorize by Altabarane. (200)

From these Hadiths we understand that studying The Qur'an, Knowing its meanings and memorizing it is the true value which could never be surpassed.

We may also understand that those who were given the talent and patience to study it are with no doubt given a precious gift from The Creator, yet it is a duty and obligation on every Muslim to read, recite, study, learn, memorize and understand The Qur'an not only as a Holly Book but also as a doctrine to our everyday life which contains the history of our ancestors and gives the divine solutions to our present problems and forsakes our future as well.

Finding it difficult to learn should neither be an obstacle nor an excuse or its negligence for Allah had made it easy for those who see it easy and hard for those who see it as such. Allah repeated the following ? ayah in Sura Al-Qammar (54) many times :

﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٧﴾ ﴾

But We have indeed made the Qur'an easy to understand and remember : then is there any that will receive admonition ? (22,23,40).

Thus Qur'an as the basic source of our legislation is no hoarding for certain sect, group or tongue, but it is an open mine for those who are willing to fall down.

As a divine science The Qur'an should be dealt with from a very different approach than any other science; for it determines a prior purification of soul and directness of one's intention to Allah as well as avoiding sins and Allah's anger as much as possible. Though all these qualities and conditions are needed in all the aspects of our lives yet student or reader of the Qur'an should be more, careful and pay more attention to them in order to get Allah's keys to the Qur'anic secrets.

Reading the Qur'an is a worship in itself which could bring the Muslim closer to his Lorsd and nearer to his Creator, as any other sort of worship in Islam it has its own ethics. I Collected some of them from different Islamic references and books in the following list :

1 – Ablution :

It is preferable for the Muslim to have ablution before reading The Qur'an resembling the angles and seeking the higher ranks from Allah :

The Merits and Ethics of Reading the Qur'an

By : Hadeer Refat Abo–Elnagah

I believe in the Qur'an as the Holly Book we were favored with,as an honor and guidance which deserves our attention, care and study. It is a secret treasure which can give its jewels only to those who work hard enough to dig in its meanings and merits, to those who are willing to spend enough time and effort to unveil some of its wisdom and drink from its everlasting well. This article is only the first in a series about The Qur'an I intend to write within the next few months.

The Qur'an is not only important to Muslims as their Holly Book but also important to all humanity because it is the only Book now on earth that has not been changed since it was revelaed to Muhammad (Peace Be Upon Him,) We were promised with its protection and preservation by Allah.
As Allah promised in his Holly Book :

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ۝٩ ﴾

We have without doubt, sent down the Message; and we will assuredly guard it (from corruption).

(S.15 . A9) Al–HIJR–9

To me studying The Qur'an is not a burden –as many people think of it–or a task that has to be done but a gift and a blessing from Allah to very special people, in his **Fadail Al Qur'an** Ibn Khatheer narrated the following two Hadith according to the Prophet (Peace Be Upon Him :)
"The most honorable of my people are those who has the Qur'an" narrated by Ibn Abbas (193).

AL-AZHAR MAGAZINE
Jumada Al-Akhera 1419H.

ENGLISH SECTION
Vol. 71 Part VI

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ
الأعراف / ٤٣

*" Praise be to Allah,
who hath guided us
to this (felicity): never
could we have found
guidance, had it not been
for the guidance of Allah:
Indeed it was the truth."*

(AL A'raf 43)

EDITORS : Dr.TRANDIL H.EL RAKHAWY. PH.D.

Dept. of English Language and Translation
AL - Azhar University.

ADEL REFAI KHAFAGA.M.A.
Executive Secretary
Al Azhar Magazine.

الفهرس

● الافتتاحية (العلماء وحاجة المجتمع إليهم) :
لفضيلة الشيخ عبد المعز عبد الحميد الجزار ٨٥٧
● تفسير سورة البقرة :
لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر ٨٦١
● قبس من أنوار النبوة :
لفضيلة الشيخ علي حامد عبد الرحيم ٨٦٧
● إن الله معنا :
لفضيلة الشيخ السيد عبد المقصود عسكر ٨٧٠
● مهمة المسجد في توجيه الشباب للإسهام في تنمية مجتمعاتهم :
للأستاذ الدكتور محمد إبراهيم الجيوشي ٨٧٨
● الحياء والإيمان :
للدكتور سامي عفيفي حجازي ٨٨٤
● العمل ومكانته العظيمة في الإسلام :
لفضيلة الشيخ عبد المنصف محمود عبد الفتاح ٨٩٢
● قضايا قرانية .. قضية الرسم العثماني :
للأستاذ صديق بكر علي عيطة ٨٩٧
● راى مستشرق في الأزمة بين الغرب والعرب :
للأستاذ الدكتور محمد إبراهيم الفيومي ٩٠٢
● كلمة وفاء في ذكرى استاذنا فضيلة الشيخ عبد الفتاح القاضي ، رحمه الله ، في ١٥ من محرم ١٤٠٣ هـ :
للدكتور عبد الفتاح إسماعيل شلبي ٩٠٧
● الإطار الاجتماعي للدعوة والداعية في الدول الإسلامية
للأستاذ الدكتور محمد محمد البادي ٩١٠
● ركائز البقاء في ظل التحديات المعاصرة :
للدكتور محمد عبدالحكيم ٩١٦
● علماء من مصر :
لفضيلة الشيخ عبد الحفيظ علي القرني ٩٢١
● طرائف .. ومواقف :
للأستاذ عبد الحفيظ محمد عبد الحليم ٩٢٦
● من قادة الخلفاء الراشدين ، الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، :
للأستاذ أحمد السيد تقي الدين ٩٢٨
● الثقافة اولاً :
للأستاذ الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي ٩٣٤
● من اعلام الأزهر ، محمود خطاب السبكي ، مؤسس الجمعية الشرعية وداعية الإسلام بمصر :
للدكتور محمد رجب البيومي ٩٣٨
● طبقات المحققين والمصححين ، فضيلة الشيخ محمد الخضر حسين ـ رحمه الله ، :
بقلم الأستاذ الدكتور السيد الجميلي ٩٤٥
● من روائع الماضي بمجلة الأزهر ، رسالة المعلم للأستاذ محب الدين الخطيب ، :
إعداد وتقديم عبد الحفيظ محمد عبد الحليم ٩٥١
● استفتاءات القراء :
يقدمها الشيخ السيد العراقي شمس الدين ٩٥٥
● خميلة الشعر :
للأستاذ محمد عبد الوهاب ٩٥٩
● من لطيف المنح على بعض ماماء ونبح :
للأستاذ مجدي عبد الحميد بشير ٩٦٧
● فقه المصطلحات العلمية :
للأستاذ الدكتور أحمد فؤاد باشا ٩٧١
● بين المجلة والقارىء :
إعداد عادل رفاعي خفاجة ٩٧٦
● دوحة الكتب :
إعداد محمود الفشني ٩٨١
● انباء مكتب شيخ الأزهر الشريف :
إعداد الأستاذ عمر البسطويسي ٩٨٦
● اخبار العالم الإسلامي :
للدكتور حسن علي محمد ٩٩٢
● مقالات القسم الفرنسي
● المقالة الثانية :
د . هدى حسين شعراوي ١٠٠١
● المقالة الأولى :
د . رقية جبر ١٠٠٦
● مقالات القسم الا نجليزي
● المقالة الثانية :
للسفيرة مها فهمي ١٠١٠
● المقالة الأولى :
إعداد الأستاذة هدى رافت أبو النجا ١٠١٤